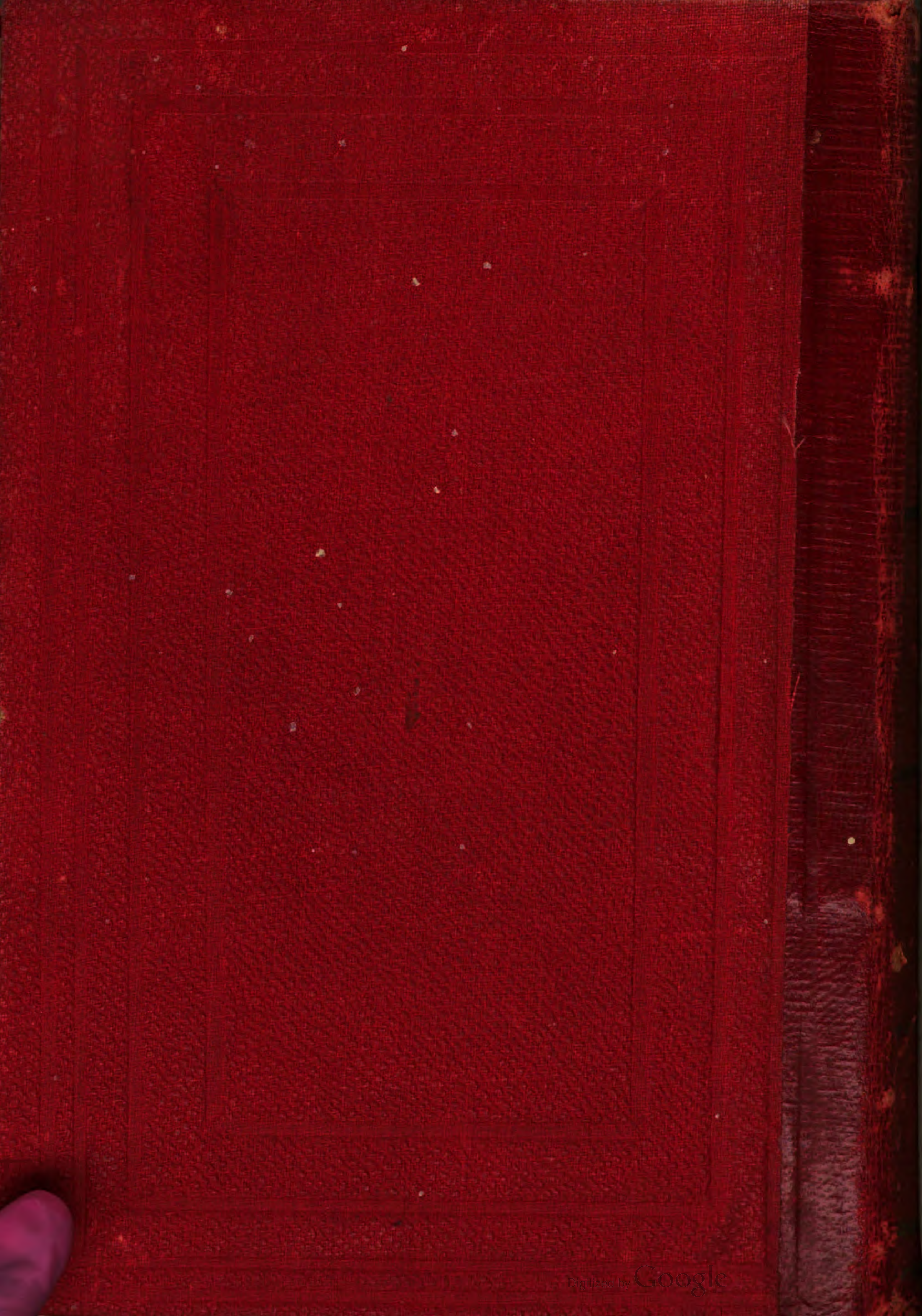
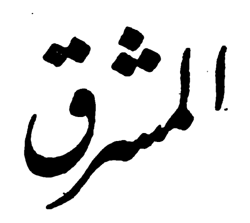




مجلة كاثوليكية تصدر مرَّة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلّيَّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الخامسة عشرة

١٩١٢

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكًا لبيروت و ١٣ فرنكًا ونصف لبلاد تركيًا و١٥ فرنكًا للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٢

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université St Joseph

Paraissant une fois le mois

en un fascicule de 80 pages grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

QUINZIÈME ANNÉE

1912

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1912



سلام الله

ادعيةٌ في رأس السنة الجديدة

هو السلام نتمنَّاه في غرَّة العام الجديد وبدء سنتنا الخامسة عشرة لقرَّائنا الكرام كما يتمنَّاهُ كلٌّ منَّا لصاحبهِ اذا اهداهُ تحيَّـة الموسم السنوي. ولعمري ليست هبةٌ اولى او منَّة افضل يمنحها الله لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني من نعمة السلام.

فنطلب السلام من ربّ السلام لكل من افراد الوطن ليحلّ عليهم فيريحهم نفساً وجسماً ويمكِّنهم من بلوغ الغاية السامية التي قضى الله عليهم ان يدركوها في الحياة

نطلب السلام للبيوت فانهُ كنزٌ لاصحابها وسبب لرفاهية عيشهم كيف لا وهو يؤلف القلوب ويؤنسها وينفي عنهـا كل نفور فيتفانى الابوان في صالح اولادهما ويتسابق الاولاد في اكرام الوالدين علَّة حياتهم بعد الله فتصبح العائـلة محطّ السعادة ومورد الهناء

نطلب السلام لمدينتنا العامرة لكي يعيش اهلها بالسكينة والائتلاف في ظلّ الدولة العليَّـة ورعاية عطوفة والينا الجديد حازم بك فتضمَّهم محبة الوطن العزيز وتَجمع كلمتَهم الخيرُ العـام فينتزعوا من قلوبهم كل الضغائن ويسعوا في توسيع نطاق كل المشروعات الصالحة ان مادّية وان ادبيَة

نطلب السلام للممالك المحروسة كي تمتزج عناصرهـا المختلفة امتزاج الماء بالراح فتنمو قواهم بالوحدة والوفاق ويردُّوا كل مكايد العدوان. فان العدوّ الخارجي مهما تفاقم شرُّهُ لا يضرُّ بهم ضررَهم ببعضهم اذا انقسموا ونزعوا الى الخصام بينهم.

ومع هذا السلام بين ابنـــاء الوطن نطلب منهُ تعالى ان يردّ ايضاً للدولة سلامها في الخارج ويطفئ نار حرب مشئومة اسعرتهـا مطامع ايطاليا في احدى ولاياتها دون حقّ سابق

نطلب السلام لكل الامم وكافّة الشعوب فعساهُ يمـدُّ رواقهُ على جميع الدول ويبسط ظلّهُ على كلّ الممالك فانَّ السلام ركنها الوطيد وعروتها الوثقى بفضلهِ يتعاضد الناس ويتساندون ويخفّف بعضهم عن بعض اعباء الوجدان·بهِ تتوثق روابط الحبّ والائتلاف بين البشر فيعيشون كأبنـــاء عائلة كبيرة ممتدة في كلّ اقطار المعمور لا يضرُّها البتة اختلاف الاجناس وافتراق اللغـــات وتباين النزعات بل تتوفر باجتماع القلوب اسباب النعمة ووسائل العمران

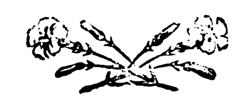
لكنَّ لهذا السلام المرغوب ركناً ثابتاً اذا استند اليهِ المرء فاز قدحهُ لا محالة ألا وهو خوفهُ تعالى الذي لا ينبذهُ انسان الَّا فقد السلام مع نفسهِ ومع قريبهِ اذ « لا سلام للمنـــافقين » كما يقول الربّ (اشعيا ٤٨ : ٢٢) وان صرخوا « سلام سلام فليس سلام » (ارميا ٦ : ١٤) . امَّا اذا جرى المرء على سُنن خالقه وقام باوامرهِ عزَّ وجلّ فانَّهُ يعلم انَّ الوصيَّة الاولى التي امر بها الله اعني حبّ الانسان لربِّهِ انَّما يتبعها وصيَّة ثانية مرتبطة معها ارتباطاً غير منفصم اي حبُّهُ لقريبهِ كنفسهِ فلا يتعدَّى على حقوق غيرهِ كما لا يحبّ ان يهضم انسان حقوقهُ

ولنا في عيد ميلاد السيد المسيح رجاء صالح واملٌ وطيد للحصول على ذلك السلام اذ وعد الآب السماوي ان يرسل ابنهُ للعالم كرسول السلام بينهُ وبين البشر . وقـــد سبق اشعيا (٩ : ٦) ووصفهُ « بالاله العجيب ورئيس السلام » المرسل من الله « لنموّ الرئاسة والسلام »

وقد تمَّ ذلك فعلًا بيننا يوم لبس طبيعتنا في عهد أوغسطس قيصر حيث كانت الحروب قد خمدت وتوطَّد السلام في اربعة اقطار الدنيا . فكانت بشرى الملائكة عند مذودهِ في بيت لحم ان « المجد لله في العلى وعلى الارض السلام » . فمن طفل هذا المذود المبارك نستمدُّ نحن ايضاً « سلام الله الذي يفوق كلّ فهم » (فيليبي ٤ : ٧) ونحيّيهِ بهذه الابيات من قلم احد طلبـــة مدرسة الحكمة العامرة الاديب حبيب افندي ثابت :

ايها الطفل . . . !

ذاك نجمٌ في جنح ليلٍ بانا   فارانا من حسنهِ ما ارانا
وتلا النجمَ في العلاء نشيدٌ   مستطيلٌ فابهج الوديانا
انشدوا المجدَ في العلى وعلى الار   ضِ سلاماً وغبطةً واماناً
حبَّذا النجمُ صورةً لقدوم الطفـل   وافى فأيقظ الرعيانا
ذلك الليلَ حلَّ طفلٌ صغيرٌ   بيتَ لحمٍ . وكان ما قد كانا . . .
يحمل الطفلُ في يديهِ حياةً   وخلاصاً ورحمةً وحنانا
ذلك الطفل والملائك تشدو   بصفاء لربّها الالحانا
اخذ المذودَ الحقيرَ مقرًّا   وهو فوق الملوك ارفع شانا
سجَع الطيرُ حينذاك وغنَّى   ونسيمٌ يلاعبُ الاغصانا
فرأينا المجوس تأتي اليهِ   تحمل المرَّ والكبا والجُمانا
ورأينا كل الطبيعة تزهو   ورأينا النسرينَ والريحانا
ورأينا الازهار تضفر اكليلًا   من الزهر يشبه التيجانا
ورأينا سنابل الحقل تنمو   لتؤدّي من قمحها القربانا
ورأينا الكروم تُخرج خمرًا   رُبَّ خمرٍ بهِ روينا ظمانا
ورأينا ربَّ السماء ذليلًا   وقريباً سوف يموت فدانا . . .
كل هذا والطفل في مهدهِ م   القشِّ صغيرًا يجاور الحيوانا
وهو مصغٍ الى الملائك تشدو   نغماتٍ تبدّد الاحزانا
امرُ ذاك الاله امرٌ عجيبٌ   فهو لغزٌ يحيّرُ الانسانا
ايها الطفل ان قلبيَ نادى   ايها الطفل انت كلُّ رجانا



حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخـو اليسوعي

نطوي السنين فتطوينا وتسير بنا وهي تذهب باهانينـا على انها اذا دخلت في بحر الابدية لا تموت كلها وانما تبقي بعدها آثارًا تُدوَّن في بطون التواريخ وتكون عبرةً للمعتبرين فكم هناك من مفاخر تجلّل الاوطان وكم من اعمال شريفة تخلّد ذكر فاعليها وكم من مشروعات عظيمة تمهد للانسانيَّة مناهج الرقي والفلاح. وربما وقعت ايضاً في تلك الاعوام نكبات وانقلابات فيتخذها العاقل مثالًا لحياته فلا يركن الى الدنيا ولا يضع في الدهر آمالًا وان وجد خيرًا شكر الله واهب النعم على ما اعطى وان رأى شرًّا لاذ برحمتهِ تعالى واناب عمّا فرط منهُ جهلًا

فلإدراك هذه الغايات الطيّبة قصدنا في بدء هـذه السنة الجديدة ان نروي كمألوف عادتنا في السنين المنصرمة لقرَّاء المشرق خلاصة الوقائع الجارية في العام الذي ودَّعناه موخرًا. ونقسم هـذا النظر الى قسمين فنفرد باباً لحوادث الشرق ثم نلحقهُ بذكر احداث الغرب

١ الشرق وماجرياتهُ في العام المنصرم

﴿ تركيا ﴾ يحقُّ بنا ان نفتتح هذا الفصل بذكر دولتنا العليَّة ومجمل ما وقع في العام الماضي في داخلها اوَّلًا ثم في خارجها

دخل العام الجديد والوزارة في حالة حرجة فكان الصدر الاعظم حقي باشا يرى في سبيلهِ عَقبـات لا يقوى على تمهيدها. وكانت الولايات في اضطراب وقلق. فان الامام يحيي والقبائل اليمنيَّة كانت لا تزال تضايق الجنود العثمانيَّـة وتتعقبها وقد ظفرت بها غير مرَّة حتى اضطرَّ وزير الحربيَّـة الى ارسال عشر اورط لكسر جناح الثورة ثمَّ عقَّبها بطوابير اخرى لتلافي الشرّ ومحاربة رجل آخر يدعى السيد ادريس خرج في جهة عسير فبلغ عدد الجنود ٤٠,٠٠٠ مقاتل ودالت وقائع الحرب سجالًا الى ان اتّفق الامام يحيي والادريسي وغلبـا جيوش الدولة في جيزان في منتصف حزيران

وكانت جهات الكرك تستدعي ايضاً انظار الحكومة اذ قامت بعض قبائل العربان فنهبت وسلبت وضربت وقتلت على انَّ سامي باشا الفاروقي قائد الحملة الحورانيَّة لم يزل يتعقب آثار المعتدين حتى كفى الاهلين شرَّهم بقتل البعض واسر البعض الآخر ثم ردَّ المال الى اصحابهِ

امَّا حاضرة السلطنة فكانت تجري فيها عدَّة امور تعكِر صفاء راحة الدولة اخصها نزوع جمعيَّة الاتحاد والترقي الى احتكار السلطة ومناوأة الذين لا يجارونها في اعمالها بل بلغ باصحابهـا الاستبداد الى ان قبضوا على بعض الذين لم يوافقوهم على خطتهم والقوهم في السجن بحجَّة نسبتهم الى الارتجاعيين المنتمين الى الشيع السرية فعذبوهم بالضرب وانواع العذاب حتى بلغ امرهم الى بعض مبعوثي دار الندوة وتظلَّم باسمهم امام رصفائهِ في مجلس النواب اسماعيل بك واثبت شكواه بالدليل وايَّدهُ الدكتور رضا توفيق ولطفي فكري بك

والحقّ يقال ان جمعيَّـة الاتحاد والترقي كانت تأتي كل يوم من اعمال الجور والسياسة الخرقاء ماكان يُكثر تشكي الناس من امرها لاسيا بعد ان شاع انَّها آلة في ايدي الماسونيَّة وانَّ لليهود يداً في تدبير امورهـا وانَّ الجمعيَّة الصهيونية تتستر وراءها لتتولَّى على املاك الدولة

وزد على ذلك انـهُ وقع اختلاف بين المبعوثين الاتراك وغيرهم في مجلس النواب كما زاد استياء البطركيَّات من قلَّة انصاف الدولة برعاياها النصارى بخصوص التعليم وتجنيد المسيحيين ثم لأَجل هضم امتيازات الرؤساء الروحيين فدارت المخابرات بين دوائر الحكومة وبطركي الروم والارمن دون ان يحصل الاتفاق

هذا الى الحريق الهائل الذي حدث في ٦ شباط فالتهم بعض قصور الباب العالي والمعاهد الرسميَّة. وتكرَّرت هذه النكبة مرتين في ٤ نيسان في قاضي كوي فدمَّرت ٣٠٠ بيت وفي ١٧ حزيران في احياء استنبول فتلف بالنيران المتأججة اكثر من الفي بيت وبقي الوف من اهل العاصمة بلا مأوى

وكان الالبانيون فِي تلك الاثناء يحملون من جبالهم الحملات المتتالية على الجنود المرسلة لمحاربتهم وانضمَّت اليهم عشائر المرديت فدوَّخت طوابير الاتراك وبقي الامر على ذلك حتى تولى قيادة الحملة شوكت طورغود باشا وتمكن بعد الجهد الجهيد من

اخاد الثورة فمنحوا ملّة الماليسور ما طلبوهُ من الانعامات كاستعمال لغتهم في مكاتبهم وتخصيص واردات الارنأوط لبلادهم وتعيين ولاة عليهم من جنسيتهم ووعدوهم بالاصلاحات القريبة

فكلُّ هذه الامور المزعجة كان من شأنها ان تضعف الوزارة الحقيَّة بل ادخلت الانقلاب العثماني الاخير في طورٍ جديد كما اقرّ بذلك مكاتب جريدة « الديبا » الفرنسوية فقال « انهُ اصبح من الثابت الأكيد ان نفوذ الذين قاموا بحركة تموز ١٩٠٨ قد قلّ وضعف »

فكانت نتيجة الامر انَّ الوزارة الحقيَّة لم تزل في انحطاط الى ان استعفى منها جاويد بك وزير الماليَّة ثم تبعهُ اسماعيل حقي بك ناظر المعارف. وخيف من سقوط بقيَّة الوزراء الَّا انَّ الوزارة بقيت مدَّةً تجاهد عن حياتها الى ان استقالت اخيرًا في اواخر ايلول فتألفت وزارة جديدة بعهدة سعيد باشا للصدارة. ووافق هذا الانقلاب اعلان ايطالية الحرب للدولة في طرابلس الغرب

على انَّ تغيير الوزارة لم يكن ليفكّ المشاكل ما دامت جمعيَّة الاتحاد والترقي لا تزال واضعة يدها في امور السياسة. ولذلك ترى كل يوم عددًا عديدًا من النواب والاعيان والضباط ورجال السياسة يعدلون عنها اذ يرون ما تأتيهِ من الاعمال المنافية لصالح البلاد لا سيما تتريك الاجناس والغضّ من حقوق العناصر المخالفة. وكان من القائمين في وجه هؤلاء الاتحاديين شكري افندي العسلي مبعوث دمشق الذي دافع عن العنصر العربي غاية جهدهِ وندَّد بسوء خطة جمعيَّة الاتحاد والترقي. ووافقهُ في ذلك كامل باشا فأعلن ان الاتحاديين قد خدموا الدولة بادئ بدء اذ نصبوا نفوسهم لحماية الدستور لكنهم بتداخلهم في السياسة وببسط سيطرتهم على السلطة الاجرائيَّة قد اصبحوا حكومة ضمن حكومة وصاروا خطرًا على الدستور

وكذلك رأى الاميرآلاي صادق بك احد رجال الانقلاب العثماني المعدودين الذي قام لمعارضة الاتحاديين والَّف حزبًا جديدًا دعاهُ حزب الحرية والائتلاف وهو لا يزال في نموّ واتساع حتى كاد اليوم يبلغ بعددهِ جملة حزب الاتحاديين لكنَّ بانشاء هذا الحزب قد حصل للدولة خطر آخر انذر بهِ موخرًا الصدر الاعظم حيث قال « انَّ الحكومة لم يعد يمكنها اليوم ان تتكل على احد الحزبين دون ان يناقضها الحزب

الآخر وبذلك اصبحت في حالة حرجة يكفي لسقوط الوزارة سبب طفيف بمعارضة الفرقة التي لا تقبل باقتراح الوزارة. وفي الواقع يُخاف اليوم من ازمة جديدة توجب استقالتها لسبب تعديل في احد قوانين الدستور تستصوبهُ الوزارة والمرويّ ان الازمة وقعت

فهذه الاحزاب كما ترى تهوّر بالدولة في اخطار جسيمة وتوقعها في مشاكل جمّة ربما ادّت الى حرب اهليّة ان لم يُصلَح ذات البين ولم يتفق النوّاب في اتباع سياسة ثابتـــة تستند الى قوى البلاد وعناصرهِ وتجمع الكلمة بين الرعايا دون التفات الى اجناسهم واديانهم. نعم انَّ عدد المبعوثين الاتراك يفوق على سواهم (١٥٥ من ٢٧٨ نائباً) ولكن ايجوز ان يُهمل العنصر العربي ومن انصارهِ ٥٠ نائباً وكذا قُل عن بقيَّة العناصر اذ يؤدي هضمُ حقوقها الى عواقب مشئومة. وما يقال عن العناصر يصحُّ في الاديان فانَّ النواب المسيحيين وهم ٤٣ لا يرضون مطلقاً بان تُمسّ حقوقُهم بشيءٍ من الاجحاف وان كان عدد المسلمين يزيد عنهم خمسة اضعاف. فلا بدَّ اذن ان يبـادر عقلاء الدولة ويتخذوا لهم في تدبير الامور رجالًا ينبذون كل المصالح الشخصية ويرمون الى غاية واحدة هي خير الوطن دون ان ينزعوا الى حزب او ملّة فان النجاة بهذا الائتلاف وهذه الوحدة ان شاء الله

امَّا اذا عدلنا عن احوال الدولة في داخلها وسرَّحنا النظر في امورها الخارجيَّة رأينا انَّ سماءها مغيم ايضاً فانَّ المانية التي كانت معدودةً كصديقـــة تركيًا وحليفتها انحرفت عنها نوعاً في هذا العام لخدمة مصالحها كما جرى لها في الاتّفاق الالمانيّ الروسي بخصوص خطّ بغداد في مقابلة بوتسدام بين قيصر روسيَّة وامبراطور المانية فاستاءت تركيًا لوقوع هذا الاتّفاق دون علمها مع انَّ الامر يعنيها اكثر من سواها

وكذلك امورها في كريت ليست على ما يُرام فانَّ الدول المحاميـــة لا تزال متردّدة بين حقوق تركيًا وموالاة اهل الجزيرة الذين لا يألون جهدًا في طلب الانضمام الى اليونان فيجاهرون برغوبهم دون انقطاع ولا يرضون الَّا بهِ مهما سعت الدول في تخميد نزقهم وقد ارسل الكريتيون مؤخرًا ٢٦ نائباً منهم الى اثينـــة ولم يقنعوا بمشورة ناصح

وحدثت في حدود البلغار عـــدَّة مناوشات بين خفر الدولتين ولعلّ الامر كان تفاقم حتى افضى الى الحرب لو لم تُقدَّم الترضيات اللازمة واخمـــد عقلاء الدولتين نار

الثورة. وحدث مثل ذلك مع دولة الجبل الاسود لالتجاء الالبانيين الى ثغورها مدة الحرب فمهّد الجبل الاسود عذرهُ للدولة العليّة

وافظع من ذلك الحرب الايطاليّة لطرابلس الغرب واغتصاب ايطاليـة لتلك الولاية الكبيرة وسنأتي على تفصيل اخبارها عند ذكرنا لايطالية

على انَّ تركيًّا مع كل هذه الامور المقلقة لم تخلُ في العام المنصرم من اسباب النجاح والرقيّ. فمن ذلك تعزيز جيشها الذي تحسنت احوالهُ منذ الاعلان بالدستور تحسُّناً مهماً حتى انَّ احد الكتبة الاختصاصيين الروسي ميخانلوفسكي وضع مقالة في ذلك اقرَّ فيها بانَّ الجندية العثمانيَّة دخلت في طور جديد ثم عدَّد قوَّاتها في وقت السلم والحرب فبيَّن ان تركيًّا يمكنها عند الحاجة ان تعبّي في ساحات القتال عدداً من الجند لا يقلّ عن ١,٢٣٠,٠٠٠ الّا انَّ هـذا الجيش يحتاج بعدُ الى عدد من الاسلحة كالبندقيَّات والمدافع من الطرز الجديد كما انَّ قسماً منهُ لم يتدرب التدرُّب الكافي على آداب الحرب وذلك ممَّـا يُنال مع تمادي الزمان

وكما عزَّزت تركيًّا جيشها البرّي وجَّهت ايضاً نظرهـا الى البحر وقد رأينا في اواسط ايلول قسماً من اسطولها وفيهِ من الدوارع والبوارج مـا تفتخر به البلاد. وقـد وضعنا سابقاً فصلًا خاصًّا في وصف الاسطول العثماني فلا حاجة الى التكرار (اطلب المشرق ١٣ : ٧٩٢) ومنهُ يُرى ما تكلفتهُ الدولة في سبيل جيشها البحريّ. فلا غرو ان يكون بلغ عجز الماليَّة الاخير تسعة ملايين ليرة ولارباب الامر املٌ في سده بتزيد الايرادات العموميَّة

ويا ليت الدولة كانت تعير الزراعة وتعـدين المناجم وفتح السكك الحديديَّة للمواصلات مزيد عناية فانها كانت تستطيع بذلك ان تنمي ثروتها وتزيدها زيادة بالغة فانَّ ذلك افضل لها من تعزيز اسطولها كما بيَّن ثريّا بك ميرالاي اركان الحرب في المجلة الحربيَّة الرسميَّة في مقالة كلُّها دُرر وفيهـا الادلَّة القاطعة على انَّ مستقبل تركيًّا يقوم بتنشيط الزراعة وتوفير اسباب المواصلات بين البـلاد لاسيَّما الخطوط الحديديَّة لنقل محصولاتها وتعبية جيوشها في انحاء السلطنة بكل سرعة

وممَّا صار لهُ احسن وقع في الصدور السياحة الفخيمة التي باشرها جلالة السلطان الاعظم محمد خان رشاد في بعض جهات ممالكهِ المحروسة فركب الدارعة برباروس

خير الدين في ٥ حزيران وابحر الى سلانيك حيث أُعدّ لجلالتهِ استقبال باهر وزار معرضها الزراعي واستقبل الوفود الوطنيــة والاجنبيَّة ثم ركب القطار الى اسكوب فاسرعت الجماهير لاستقبالهِ ولبست المدينة ثوباً من النور ترحيباً بهِ. وقد نظر هناك في امور الالبانيين وعفـا عن ٢٠٠ من اسراهم ثم رحل الى مناستير وتفقَّد بعض جهات مقدونية واطلق سراح بعض البلغـار الاسرى فاكتسب بفعلهِ حبّ الاهلين وعاد بعد ذلك سالماً الى مركز السلطنة

وقبل ذلك بمدّة كان تشرَّف بالمثول امام جلالتهِ وفدان اوفدتهما ولاية بيروت ومتصرفيَّة لبنان فرفعا لعظمتهِ بالنيابة عن الاهلين ادعيتهم الخيريَّة وعَرْض اخلاصهم وتعلقهم بالعرش العثماني فكان جواب جلالتهِ مفعماً رقَّة ولطفاً واكَّد للوافدين بودّهِ لو استطاع ان يجيب الى دعوتهم فيشرّف سوريَّة بالزيارة لولا ان الظروف لا تسمح لهُ بذلك حاضراً وانما يؤمل باتمام الامر في فرصة أُخرى

وبينما كان جلالة سلطان آل عثمان يزور انحاء ممالكهِ كان ولي عهـد السلطنة الامير يوسف عزّ الدين ينتقـل في حواضر اوربَّة ليوثق عُرى التحابّ بين الدولة العليَّة والدول الاوربيَّة فكانت اوّل زيارتهِ لفرنسة حيث لقي من الالتفات اعظمهُ ومن الاستقبال اجلَّهُ. ثم زار لندن فرحب بهِ عظماؤها ثم سار الى ايطالية فمنحهُ ملكها نيشان القديس موريس فكان فعلهُ كابتسامة البرق قبل دويّ الرعد ثم رحل الى المانية فكان وصولهُ اليها مسك ختام رحلتـهِ فأكّد لهُ الامبراطور انهُ ثابت على ولاء الدولة العليَّة

وممَّا سرَّت لهُ الخواطر في انحاء تركيَّا بل في كل العالم المتمدّن ان مسألة خطّ بغداد قد وجدت اخيراً حلًّا نهائيًا باتّفاق الدول مع دولتنا في انجاز السكة قريباً. والامل معقود انَّ الخطّ الحديدي ينتهي في سنة ١٩١٦ والشغـل قائم اليوم على ساق في قطع مختلفة بكل جدّ وحزم

واتت الاخبار على اثر ذلك بان امور اليمن قد تحسَّنت نوعاً وانَّ جيوش الدولة استرجعت كثيراً من الامكنة التي ضبطها اليمنيون. وآخر مـا بلغ ارباب الامر انَّ الامام يحيى قدَّم خضوعهُ لعزَّت باشا وعُقدت بينهُ وبين الدولة معاهدة سرّيَّة زعمت جريدة طنين انَّ بموجبها نال الامام نوعاً من الاستقلال على شرط ان يقرَّ بخلافة

جلالة السلطان ويؤدي بعض الرسوم اشارة الى تعلقهِ باهداب الدولة العثمانيَّة . ولعلَّ الامام اراد الاعراب عن خلوص تبعيَّتهِ لمَّا ارسل في الشهر السابق نبأ برقيًّا للوزارة معلناً باستعدادهِ لمحاربة الطليان في طرابلس الغرب . ومعلوم انَّ بين القول والعمل بوناً كبيرًا

وان عطفنا النظر بعد هذا الوصف العمومي لاحوال تركيًّا الى سوريًّا امكنَّا ان ندوّن هنا بعض الامور الجديرة بالذكر منها البرد القارس الذي حدث في شهري شباط وآذار فهطلت الامطار كالسيول ونزلت الثلوج المتوالية في لبنان حتى بقيت سكَّة حديد الشام الى بيروت مقطوعة ٤٠ يوماً وهو امر لم يسبق لهُ مثيل وكذا وردت الاخبار تترى من الجهات الداخليَّة منذرة باضرار جسيمة اصابت عدَّة ولايات فاتلفت عددًا من النفوس ومن المال الراعي وتداعت الابنية في بعض القرى . وجرفت السيول في افقا قسماً كبيرًا من الربوة الواقعة تحت مغاورها حيث كانت آثار هيكلها القديم مع اشجار ومزارع خُسف بها كلها فزحفت الى اسفل الوادي

وتهدَّدنا في اواسط الصيف داء الهواء الاصفر فحدثت عدَّة اصابات في انحاء شتى وخيف من فشوهِ لكنَّ الله لطف بعبادهِ فتقلَّص ظلُّهُ

وممَّن اسفنا على فقدهم في هذه السنة والي بيروت السابق نور الدين بك تغيَّب مدَّة لسبب صحتهِ ثم عاد الى الولاية وسكن الجبل مدَّةً فلم يتعافَ ورأى انهُ الاجدر بهِ تقديم استعفائهِ وبلغنا منذ شهر خبر وفاتهِ بدائهِ المزمن فخلفهُ عطوفة الوالي الحالي حازم بك احد رجال الدولة المحنَّكين

وكذلك رُزئت الدولة بموت الفريق سامي باشا الفاروقي قائد الحملة الحورانية في ١٧ تشرين الاوَّل في بيروت فكان فقدهُ فاجعةً اليمة على البلاد واليهِ يعود الفضل في قطع دابر ثورة حوران وتنظيم الامور فيها بعد كسرة الثائرين

وفقدت الرسالة اللعازريَّة في ٢٤ شباط احد كبار مرسليها الذي خدم بلاد الشام بتهذيب الناشئة السوريَّة مدَّة نيف وربع قرن اعني بهِ الطيِّب الذكر الاب الفونس سالياج رئيس مدرسة عينطورة فافتتح الشبان الذين نالهم فضلهُ اكتتاباً ليقيموا لهُ مشهدًا يخلِّد بينهم تذكارهُ

وبكت رسالتنا في السنة المنصرمة ثلثاً من مرسليها المعروفين بفضلهم ونشاطهم

واعمالهم الرسوليَّة الاب هيبوليت كورديه رئيس ديرنا في دمشق الذي بشَّر سابقاً عبيد الزمبيز. والاب اوغسطين طردي من رؤساء كايتّنا في بيروت وفي عدَّة اديرة لاسيما دير صيداء وخلَّف لهُ في كلها مآثر مشكورة. ثم الاب سيرافيم ساكوني المرسل الغيور الذي كان يتجوَّل في انحاء لبنان وعكار وبلاد بشاره واعظاً ومبشِّراً بهمَّة لا تعرف الملل فكلّ هؤلاء وقعوا كالجنود البُسَّل في ابَّان فلاحتهم لكرم الرب

ومن اسباب الرقي التي استبشر بها اهــل دمشق وضع الاسلاك التليفونيَّة في مدينتهم فسهَّلت المخابرات بين انحاء البــلد المتباينة. امَّا بيروت فاخذت الكهرباء تنير احياءَها بانوارها الساطعة. وعمَّا قليل ان شاء الله تزدان بها منازل الخاصة

وقد ظهرت في هذه السنة اريحية اهل سوريّة بما جمعوا من المال الوافر لمساعدة الاسطول العثماني وللمنكوبين بحريق الاستانة واملُ المحسنين انَّ تلك المبالغ لا تذهب سدىً لمنفعة بعض الخاصة

واستبشر اهل سوريا الكاثوليك في العام الماضي بامور مبهجة تلقَّوها مع الشكر لهُ تعالى. اوَّلها اليوبيل الحافل الذي اقامهُ رهبــان دير المخلص الملكيون الكاثوليك كتذكار المئة الثالثة لانشاء رهبانيَّتهم فتوالت الرتب الدينيَّة وعُقدت الحفلات الشائقة بحضور نيافة القاصد الرسولي والسادة الاساقفة الاجلَّاء واعيان الطوائف ووردتهم التهانئ من قداسة الحبر الاعظم وغبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى. فكانت تلك الافراح منشطاً جديداً للرهبانيَّة الفاضلة على مواصلة اعمالهـــا الرسوليَّة لمجد الله وخير الوطن

وفي هذه السنة وقع يوبيــل آخر افعم فرحاً قلوب طائفة الروم الكاثوليك الملكيين جمعاء ألا وهو اليوبيل الاسقفي لغبطة البطريرك كيركيرون السيد كيرلوس الثامن فانتهز عموم الاكليروس الكاثوليكي هذه الفرصة لرفع مراسيم التهانئ الى مقام غبطتهِ مع الهدايا الفاخرة. وقد اشترك في هذه الحفلات مأمورو الدولة السنيَّة مع علية القوم والوجهاء والادباء. وكان يتقدَّم الجميع سعادة قنصل فرنسة الفخيمة الذي ناب عن دولتهِ وشكر غبطتهُ على ما اظهرهُ دائماً من الولاء وخلوص الوداد لفرنسة وتبعتها. وما لبث بعد قليل ان ورد من الوزارة وسام اللجيون دونور من رتبــة كومندور فرُفع الى غبطتهِ في جلسة خصوصيَّة عُقدت في تموز في الدار البطريركيَّة في

دمشق كان لها رنَّة بهجة انعكس صداهـا في صدور جميع الاهلين ولا سيما ابناء طائفتهِ الكريمة

وقد حصل لبيروت مجالي افراح جارت فيها دمشق بما نالهُ رئيسُ شرف جمعيَّة الاطبَّاء والصيادلة في سوريَّة الدكتور ده برون من الامتيـاز بانتخابهِ كعضو الاكادمية الطبيَّة الافرنسيَّة فاحبَّت الجمعيَّة ان تحيي جلسة اكراميـَّة تعرب فيها للدكتور عن اجلالها لشخصهِ واعتبارها لاعمالهِ وشكرها لهمتهِ التي قدّر لهـا قدرها المجمعُ العلمي في باريس بنظمهِ بين اعضائهِ الوطنيين

ونال ايضاً مثل هذا الالتفات من دولة فرنسة حضرة الاب كاتين رئيس مكتبنا الطبيّ لجازتهُ بمنحهِ وسام اللجيون دونور من رتبـة اوفيسيه فبادر كل اصحاب المكتب لتهنئته نخصُّ منهم بالذكر نيـافة القاصد الرسولي وكل بطاركة الطوائف الكاثوليكيَّة الذين تفضلوا وكتبوا لحضرتهِ رسائل عدّها افضل من كل الامتيازات الشرَفيَّة

وقد جاء هذا الامتياز موافقاً لتدشين الابنيـة الجديدة التي تُشيَّد على طريق الشام حيث ينتقل قريباً مكتبنا الطبي فوضع في اساسهِ الحجر الاوَّل بحفلةٍ عُقدت في ٢١ تشرين الثاني وجمعت اكليروس كل الطوائف يتقدمهم نيافة القاصد الرسولي ثم غبطة بطريرك السريان والسيد دمتريوس قاضي رئيس اساقفة حلب على الروم الكاثوليك. وكانت دولة فرنسة عيَّنت جنـاب قنصلها في بيروت ليقوم براسيم الاحتفال المدني نيابة عنها كما مثَّل حضرة مدير المعارف فائق بك لعطوفة والي بيروت حازم بك وناب جناب عبدالله بك الخوري عن صاحب الدولة يوسف باشا متصرّف لبنـان. ووافق وقوع هذا الاحتفال حضور اللجنتين التركيَّة والفرنسويَّة القادمتين في كل سنة لفحص الدارسين قبل ان يُمنحوا شهادة الدكتوريَّة. وكذلك حضرهُ اميرال الدارعة ليون غامبتّا الراسية امـام بيروت دارتيج دي فورنه مع ضبَّاط الباخرتين برتغال وكنغو وطبيبيهما وكلهم ببزَّاتهم الرسميَّة فتُليت الخطب البليغة المنبئة برقيّ المكتب الطبيّ ووُزعت الشهادات على مستحقيها ثم انجز نيافة القاصد الرسولي الرتبـة الدينيَّة بتكريس الحجر الاوَّل ثم أُودع في قلبهِ رقٌّ تضمَّن تاريخ الحفلة موقَّعاً بامضـاء

سعادة القنصل واماثل الحضور وارباب المكتب وجُعل الرقّ في اسطوانةٍ ختمها ممثل الحكومة الفرنسوية واثبتها البنّاؤون في مكانها

ولعلَّ السنة المنصرمة قد امتازت في انحاء الشام بنهضة دينيَّة لاحت لوائحها في عدَّة مظاهر منها اقبال المؤمنين على الاجتماعات الدينيَّـة والمواعظ والرياضات ما سُرَّت بهِ خواطر الرؤساء الروحيين. ومنهـا حفلات الطواف بالقربان في الشوارع والاسواق كما فعل الدمشقيون في حارة المصلّى واللبنانيون في بعبدا وجونية ومحلَّات أُخرى وجرى ذلك بابهة ورونق غير معهود. ومنها زيارات اهل بيروت وسكَّان الجبل لتمثال العذراء الطاهرة في حريصا فكان لتقاطر الزوَّار ومجاهرتهم بالشواعر الدينيَّة في مشارف الجبل احسن وقع في النفوس فاثبت لكل معتبر انَّ الدين لا يزال معزَّزًا في قلوب اهل المدن كما هو فخرُ آل لبنان

وقد استدللنا على هذه النهضة الدينيَّـة بما ابداه من شواعر الحماسة كثير من ذوي الهمة بازاء الشيعة الماسونيَّة التي خرجت عندنا في هـذه الآونة الاخيرة من اسرابها الخفيَّـة ظنًا من اصحابها انها تستطيع المجاهرة بنيَّاتها السيئة ومكنونات صدرها فتُعارض الدين وتناهض السلطة كما هو دأبها حيثما ضربت اطنابها وبلغت بها القحـة الى ان نشرت المنشورات الفاسدة ومثَّلت في المراسح الروايات الخلاعيَّة فقام اذ ذاك عددٌ من الشبَّان وجاهدوا في سبيل الدين والآداب ولم يبالوا بما اصابهم لفعلهم من الاذى والهوان فاثنت كل الالسن على شهامتهم ولحق العار بالماسون حتى كسدت بضاعتهم واطَّلع الناس على كذبهم وسوء اعمالهم

وكان في اثناء ذلك اخوانهم وانصارهم في دمشق وزحلة وعمشيت يجارونهم في مظاهراتهم العدائيَّة للدين وارباب الدين فهنا يعقدون الحفلات الماسونيَّـة وينشرون اوسمتهم الرجسة بين القوم وهنـاك يخرجون رسميًا في جنازة بعض مشايعيهم وفي محلّ آخر يعقـدون الاجتماعات وينشرون الاكاذيب في حقّ ارباب الكهنوت او يتعرَّضون للمرسلين ليمنعوهم عن خدمة النفوس بالرياضات. فطفح الاناء بكل ذلك وقام البطاركة والاساقفـة الاجلَّاء يقبّحون اعمالهم ويضربونهم بالحرم وينكرون عليهم الاسرار فاستنكف من العشيرة كلّ ذي ادب ودين لاسيا بعد شيوع كراريسنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» والقاء خُطب الوعَّاظ في كنائس بيروت ودمشق

ووافق هذه النهضة وقوع اختلافات ومنازعات بين الماسون انفسهم في محافل سوريّة والشام لم يمكنهم ان يخفوها في زوايا انديتهم فانبعثت روائحها الكريهة. وكذلك أُميط النقاب في الاستانة وسالونيك عن دفائن الشيع الماسونيّة المنتمي اليها زعماء جمعيّــة الاتحاد والترقي فعرف القاصي والداني انّ الشيعة لا تخدم غير صوالح اهلها واليهود المتسترين وراءهم وكلُّهم يضحُّون الف وطن لبلوغ غايتهم الدنيئة ومنافعهم الشخصيّة. فلا عجب ان يكون عمّ النفور كلّ ذوي النفوس الابيّة فقاموا في وجه الشيعة بل تواردت الاوامر العليّة في اقفال محافلها ومنع فتوح غيرها. فيا ليت هذه الاوامر لا تبقى حبرًا على ورق او ضربةً في المـــاء لانّ الماسونيّة كالحيّة تبقى في اجحارها متسترةً لاطيةً اذا تنسَّمت خطرًا على حياتها ريثما تسنح لها الفرصة ويخلو لها الجوّ لتثور وتعيث وربَّما نفثت سمَّها خفيةً كما فعل بعض اصحابها مؤخرًا في احدى الجرائد فنشر تحت امضاء خ. ز مقالةً نسب فيهـــا الى ممثل الحبر الاعظم « دسيسةً ايطالية » لسبب زيارة قانونيّة للرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة فقام سيادة مطران الروم الكاثوليك المفضال فردّ في جريدتي الثبات والبشير على مزاعم الكاتب وبيَّن جهلهُ وسوء نيتهِ كما هو شأن اعداء الدين

وكانت الماسونيّة الارمنيّة المنتمية اليهـــا الجمعيّة المليّة حاولت في الاستانة ان تُعرقل اعمال غبطة السيد البطريرك بطرس بولس ترزيان وتنفخ في الطائفة روح التمرُّد والشقاق الّا انّ غبطتهُ لم يخف من التصدي لها وايقافها عند حدودها فرحل الى رومية عاصمة الكثلكة وكتب ذلك المنشور المفعم حكمةً وبلاغةً وزيَّف اعمال اولئك المتغطرسين الناصبين نفوسهم جزافًا لتدبير الكنيسة وامر بحلّ جمعيَّتهم ثم اتَّفق مع قداسة امام الاحبار ليدعو السادة الاساقفة الى مجمع ملِّي يُعقــد في امّ المدائن. ولمَّا رأى نائب السيد المسيح انَّ عدَّة كنائس ارمنيَّة مترملة بوفاة رعاتها عيَّن هو نفسهُ تسعة اساقفة عليها وعُقد المجمع بكل نظام وكل وفاق وادرك معظم ابناء الطائفة الذين حاولت الجمعيَّة تضليلهم حسن خطَّة الحبر الاعظم فارسلوا واعربوا عن شكرهم لقداسته وخضوعهم لكلّ ما قرَّرهُ. وكذلك الحكومة السلطانيَّة بعــد اختفاء الحقيقة عنها بمساعي الجمعيَّة المليَّة الملغاة تحققت اخيرًا ان المجمع الارمني الملتئم في ظلّ الفاتيكان انَّما عُقد لخير الطائفة الارمنيَّة وتوطيد اركان السلام بين بنيها

فظفرُ الدين في كل هذه المواقع اثبتَ للجميع ان النهضة الدينيَّة التي ذكرناها لم تكن كلاماً فارغاً واسماً بلا جسم. ولنا على ذلك دليل آخر بمناهضة المدارس اللادينيَّة التي سعت ان تزرع في بلادنا زؤانها القتَّال. فان نيافة القاصد الرسولي خصَّ بهذا الامر رسالتهُ السنويَّة وحذَّر كل المؤمنين من شرور تلك المدارس الكفرية ووافقهُ في مسعاهُ السادة الاساقفة نخصُّ منهم بالذكر سيادة مطران قبرس الجديد الحبر المفضال السيد بولس عوَّاد في منشورهِ الاوَّل لابرشيتهِ. وكذا فعلت عدَّة جرائد كاثوليكية في مقدَّمتها البشير بل احسَّ غير الكاثوليك بنيَّات اصحاب تلك المدارس الذين لم يتظاهروا بالحياد عن الدين الَّا لينقضوا اركانهُ في قلوب تلامذتهم. وقد نشرنا سابقاً مقالتين في المشرق بيَّنا فيهما انَّ هذه المدارس لا تستطيع ان تكون مجرَّدة عن الدين وان استطاعت ذلك لما جاز لها وأتت باثم عظيم

﴿ ايران ﴾ صارت بلاد العجم منذ الانقلاب الاخير وخلع الشاه السابق محمَّد عليّ وتمليك ابنهِ الصغير في مأزق حرج. فان القلاقل بلغت في عدَّة ايالات مبلغها بين الحكومة وانصار الشاه الخليع وحصلت في وهران ونواحيها وقائع متوالية قضت على قناصل الدول ان يستدعوا لحماية رعاياهم فرقاً من الجند وبقيت الامور على ذلك في اضطراب مدَّة اشهر حتى كادت تصطلح نوعاً الَّا انَّ الشرَّ تفاقم في اواسط تموُّز اذ ورد الى العجم خبر رجوع الشاه الخليع مارًّا بروسيَّة فدخل استراباد واستقبلهُ اهلها استقبالًا فخيماً واخذ يجنّد الجنود لمحاربة هيئة الحكومة الجديدة واسترجاع سلطتهِ المفقودة فوافقهُ على مرامهِ سكَّان كرمان شاه واهل شيراز وساعدهُ في نهضتهِ صدر الدولة فعزل حاكم كرمان شاه واقام بدلًا منهُ اعلان الممالك خان. وكادت الثورة تمتدُّ الى اواسط ايران لولا انَّ الحكومة اوقفت الثائرين وكسرت شوكتهم في معركة دمويَّة وقعت قريباً من طهران وفيها أُسر السردار ارشد نصير الشاه ثمَّ حُكم عليهِ بالاعدام. وكذلك قُتل بعدهُ علاء الدولة حاكم فارس باطلاق الرصاص لما وقع عليهِ من الشبهة في مناصرة الشاه الخليع فهذا الانخذال فتَّ في عضد محمد علي فرجع الى روسيَّة وهو مقيم في اودسا

ولا تزال ايران مطمعاً للدول الاوربيَّة فكلها تترقب احوال تلك البلاد وتهتمُّ بزيادة نفوذها فيها. فالاتفاق الروسي الالماني الذي جرى في بوتسدام يتناول قسماً

من تخوم ايران ومن شروطهِ ايصال سكَّة حديد بغداد بالخطوط الايرانيَّة فيفتح لصوالح روسيَّة باباً جديداً في تلك المملكة ويمهّد الطريق للمطامع الالمانيَّة

وفي هذه الاسابيع الاخيرة حصلت لايران حوادث مزعجة كادت تريش سهام الحرب بينها وبين روسيَّة وذلك انَّ ايران رأت حاجتها الى تنظيم ماليتها فاستدعت بعض الاختصاصيين الاميركيين منهم المستر مورغان شوستر مدير الجمارك في جزائر الفيليبين سابقاً فقام هؤلاء المأمورون بمهنتهم خير قيام الَّا انَّهُ وقع الخلاف بينهم وبين ممثلي الدول وخصوصاً ممثل روسية لمعاملة المستر شوستر اهلَ وطنهِ بعنف فاقام عليهِ الاحتجاج وطلبت حكومة بطرسبرج عزلهُ واذ أُهين موظفو القنصل الروسي في طهران ولم ترَ روسيَّة عذرًا مقنعاً في تبليغات ايران قطعت من وقتها العلاقات السياسيَّة مع حكومة العجم وامرت ثلاث الايات من القوزاق بان تجتاز الحدود وارسلت مذكِّرة لارباب الامر تتهددهم بالحرب ان لم يقدّموا الترضيات للدولة الروسيَّة ويبعدوا الاميركيين الذين رأتهم روسيَّة معاكسين لصوالحها ويدفعوا نفقة الجنود الروسيين الذين دخلوا العجم. وقد وافقت انكلترة رصيفتها في هذه المطالب فلم ترَ حكومة ايران بُدًّا من تمهيد العذر للروس وكاد يزول الخلاف

﴿ مصر ﴾ احوال مصر الاقتصاديَّة لم تتغير كثيرًا عن سنتها السابقة. فانَّ الازمة الماليَّة التي ضايقت اهلها منذ مدَّة لم تنفرج بعد ولعلَّها تفاقمت بافلاس بعض المصارف الكبيرة في الاسابيع الاخيرة

وقد زار القطر المصري في هذا العام بعض كبار قومهم منهم في آذار سمو ملك وملكة بلجكة. ومرَّ في بورت سعيد في تشرين جلالة ملك انكلترة جورج الخامس راحلًا الى الهند فزارهُ في يختهِ الحضرة الخديويَّة وممثلو الدول. وقدم اليها بصفة معتمد دولتهِ اللورد كتشنر خلفاً للسير غورست فكان قدومهُ منعشاً لآمال المصريين في تحسن احوال قطر النيل وقد قام اللورد بوظيفتهِ بنشاط وحزم وظهر من بعض إعمالهِ انَّ انكلترَّة تنوي ان تخطو خطوة جديدة في توطيد سلطتها على مصر. ومن نتائج قدومهِ الحسنة انَّهُ وضع حدًّا لمدَّعيات الحزب الوطني الذي تجاوز طورهُ في طلب الاستبداد واخمد آخرًا نار الخلاف بين القبط والمسلمين بعد عقد كل من الملَّتين مؤتمرًا كثر فيهِ القال والقيل وهيَّج الضغائن في القلوب وادَّى الى فصم عُرى الوداد والوفاق

وبُليت مصر مع ذلك في نيسان بداء الطاعون فحدثت عدَّة اصابات في انحاء القطر حتى بلغت الوفيات من ٣٠ الى ٤٠ في اليوم

﴿ الحبش ﴾ تضاربت الاقوال في موت نجاشيها الملك منليك وحتى الآن يظهر انَّهُ لم يَمت وانَّما سلَّم تدبير الامور لوليّ عهده وهو حفيدهُ الامير يسوع بن ميخائيل الذي نُودي بهِ ملكاً في ١٥ ايار. على انَّ رؤوس الولايات واعيان الدولة منقسمون في طاعة الامبراطور الجديد الذي يُثنى على شدّة بأسهِ لكنهُ ليس بمنجّد في أحكام السياسة. وشدَّ ما تعارضهُ في ملكهِ الامبراطورة طايتو وهي امرأة داهية تُريد الملك لنفسها او لاحد انسبائها اذ لم يولد لها ولد تجعلهُ خليفة لزوجها منليك. ولعلَّ هذه المنازعات تُفضي بعد قليل الى فوضى ان لم يتمكَّن النجاشي الجديد من قمعها

﴿ الهند ﴾ وان سرنا شرقاً من الحبشة الى الهند امكننا سماع اصداء البشائر التي دُقت آخرًا والاحتفالات الباهرة التي أُقيمت لتتويج الملك جورج بصفة ملك الهند في دهلي فتقاطرت كل امم الهنود وزعمائها الوطنيين الى المدينة لمعاينة تلك المظاهرات الجليلة وقدموا للملك اجمل الالطاف واسنى الهدايا وفي هذه النسبة نُقل كرسي الملك من كلكوته الى دهلي لوقوعها في مركز اوفق للتدبير. وقد خصَّ الملك جورج بانعطافهِ في هذه الحفلات رئيس اساقفة بمباي الكاثوليكي فدعاهُ رسمياً لحضور تتويجهِ واقعدهُ على مائدتهِ الملكيَّة مع خواصّ الدولة

ويحسن بنا ان نذكر هاهنا ما اصابتهُ الكثلكة في الهند من النجاح فانَّ الاحصاء الرسمي الذي قامت بهِ الحكومة سنة ١٩١٠ دلَّ على انَّ عدد الكاثوليك في تلك الانحاء بلغ ٢,٣١٠,٠٠٠ وكان في سنة ١٩٠٠ بالغاً ١,٨٤٥,٠٠٠ بزيادة ٤٦٥,٠٠٠ في العشر السنين الاخيرة

﴿ الصين ﴾ وقعت بلاد الصين في حيص بيص بعد سُهادها مدَّة اجيال فارادت ان تنهض من خمودها لاسيا اثر انتصار اليابان عليها سنة ١٨٩٥ فقام اناس من طالبي الرقي واخذوا ينشرون في مواطنيهم الروح الجديدة. وكان في مقدّمتهم رجل ذو اقدام ونشاط اسمهُ « سون يات سِن » اصلهُ من جزائر سندويش ودرس

في الولايات المتحدة ونال الدكتوريَّة في كليَّة كمبريدج فكان لكتاباتهِ المهيجة وقع كبير في النفوس حتى انَّ الوفاً من اهل وطنهِ تبعوهُ فنزلوا ساحة الوغى مع حكومتهم فلم يفلحوا واضطرَّ سون يات سِن ان يهرب الى اليابان وحاول غير مرَّة استئناف الفتن وقلب الدولة المالكة المنشوريَّة الاصل ليجعل زمام الامر في ايدي سلالة وطنيَّة ويتخذ المبادئ الدستوريَّة لسياسة الصينيين: وقد رأى في العام المنصرم انَّ الاحوال توافقهُ لثورة جديدة فدعا اليهِ قوماً من جنوبيّ الصين ومن مقاطعة سي تشوان المجاورة لبلاد تبيت فابتدأوا اولًا في «كوان تنغ» فقلبوا انحاءها ظهرًا لبطن ثم انتهم العصابات الثوريَّة وهجموا على العاصمة «شنغ تو» فقتلوا ونفوا عددًا كبيرًا من الموظفين ودفعوا فرقاً من الجند الى خلع الطاعة فأُرسلت الجيوش المنظمة الى محاربة العصاة فاوقفوهم مدَّة لكن نار الثورة استعرت في مقاطعة اعظم وهي مقاطعة «هوبه» التي موقعها في قلب الصين وتُعدّ من اكبر المقاطعات الصينيَّة شأناً وارقاها تمدُّناً واعرقها في الفنون والصنائع عاصمتها «هانكيو» احدى امّهات مدن الصين. فالى هذه المقاطعة وحاضرتها امتدَّت عدوى الثورة تحت قيادة «سون يات سِن» يؤازرهُ بالعمل رجل من انصاره يسمى «وانغ سنغ» من متخرّجي كليَّة طوكيو فاحتلُّوا هانكيو وساروا الى «هان كيسو» حيث فازوا منتصرين وغلبوا جيوش الحكومة. وفي ٢٥ تشرين الاوَّل اطلق احدهم قنبلة على القائد المنشوري «فُنغ سن» فجرحهُ جرحاً بليغاً وزادت بكل ذلك عزائم المتعصبين حتى تهددوا بكين. فجاءَت هذه الاخبار كصاعقة على ابن ماء السماء وعمرهُ خمس سنوات فقط واضطربت لها حاشيتهُ فخافوا ان يهجم اصحاب الثورة على كرسي الملك وينزعوا من الدولة المالكة منذ ثلاثة اجيال سلطتها الوراثيَّة فاستدراكاً لهذه البلايا اسرعوا فنشروا باسم الامبراطور تقريرًا تاريخهُ ٣٠ ت ١ وعدوا فيهِ بالاصلاحات وبمنح الحكم الدستوري لاربع عشرة ولاية من ولايات الصين البالغة جملتُها ثماني عشرة لا بل منحوا العفو لكلّ المجرمين واعتذروا عن تواني واهمال المأمورين السابقين وبشروا باقامة وزارة وطنيَّة لا يدخلها احد من اعيان المنشوريين ثم استدعوا احد كبار السياسيين يُدعى «يوان تشي كي» فسلموا اليهِ ازمَّة الملك لينقذ البلاد من الاخطار المحدقة بها

فكان للمنشور الملكي تأثير عظيم استدلَّ بهِ زعماء الثورة على ضعف الدولة

وفشلها فزادوا معرّةً وفشا روح الثورة في مدن كثيرة مثل كانتون ونانكين وانحازت فيالق من جيوش الدولة الى العصاة. وقتلوا في شكياسيان من اعمال منشوريا الحاكم المنشوري وعائلتهُ وحرسهُ مع عدد من المنشوريين في ٣ تشرين الثاني

وفي اواسط تشرين الثاني اخذت الدوائر الحاكمة في شانغاي والولايات الجنوبيَّة في انتخاب نوَّاب موقّتين ليعقدوا مجلساً ينظر اهلهُ في احوال الدولة ويقوم بالمواعيد الامبراطوريَّة بخصوص الحكم الدستوري. فحصلت في غضون هذه الحركات فتن واضطرابات اقلقت الاجانب حتى ذهب بعضهم ضحايا تلك القلاقل من جملتهم الاب كاستانهْ من المرسلين الفرنسويين في كانسي. فاضطرَّ القناصل الى طلب النجدات الحامية من دولهم فأُرسلت اليهم سفن حربيَّة وتجَّارة لحراستهم

امَّا « يوان تشي كي » فجعل يطلب الوسائل لقمع الثورة واخماد نيرانها فنال بعض مطلوبهِ وظفرت مؤخرًا جنود الحكومة ببعض العصابات الثائرة. وفي كانون الاوَّل اجتمع قوَّاد الثوَّار مع « سون يات سن » وحاولوا ان يكسبوا « يوان تشي كي » الى حزبهم فاعلنوا بالحكم الجمهوري وفوَّضوا رئاسة هذه الجمهوريَّة الى « يوان تشي كي » الذي اجاب اهل الثورة انَّهُ لا يوافقهم على مطاليبهم بل هو مصمِّم على محاربتهم. ثم عُقدت مفاوضات بين انصار الحكومة وانصار الثورة كان يُرجى منها الحصول على الاتفاق لكنَّ مندوبَي الجانبين لم يستطيعوا ان يعقدوا صلحاً لانَّ مندوب الثورة اعلن بان القاعدة الوحيدة لعقد الصلح انَّما هي انشاء الجمهوريَّة فقُطعت المخابرات في ٢١ ك ١ واستأنفت الثورة سيرها الى الامام والله يعلم ما سيحدث من الامور في مملكة يبلغ عدد اهلها ربع اهل المعمور فلا شكَّ ان يكون لوقائع تلك البلاد انعكاس صدى الى اقاصي الغرب. وما يوقع رعباً في القلوب انَّ هذه الحركة ليست دستوريَّة فقط بل فوضوية ايضاً لانَّ زعماء النهضة الصينيَّة والعصابات التي تنقاد الى اوامرهم انما هي جمعيَّات سريَّة لها علاقات خفية مع الجمعيَّات الماسونية الاوربية لاسيما مع شرق باريس الاعظم كما بيَّن آخرًا احد كتبة المجلة الفرنسويَّة المعاكسة للشيعة « Revue Antimaçonnique » في عدديها الصادرين في تشرين الاوَّل والثاني. ومما ورد هناك ان « سون يات سن » كان في باريس ولندن يتردَّد الى المحافل الماسونية ويفاوض زعماءَها في امر الانقلاب الصيني.

وهذا برهان جديد على ما قلناه مرارًا عن الماسونية انَّها هي العامل الكبير في قلب الممالك وتفويض السلطة الى الجمهور لعلمها انَّ الجمهوريات كثيرًا ما تنقاد الى احكامها وتحقق نياتها. وفي الانباء البرقيَّة الاخيرة انَّ العُصاة نادوا بالجمهوريَّة الصينيَّة وجعلوا رئيسها سون يات سِن

﴿ منشورية ﴾ أُصيبت في هذه السنة بطاعون مجحف فشا في عدَّة اماكن وكاد يحوّلها الى اقفار بلاقع ثم سرى في بعض جهات روسيَّة حتى معاملات القفقاز وخلفتهُ مجاعة عظيمة ذهبت بحياة الوف من البشر

﴿ اليابان ﴾ شعرت ايضاً بلاد اليابان بمآثم الفوضويين. فانَّ بعضاً منهم في العام السابق كانوا حاولوا ان يمدُّوا الى ملكها الميكادو يدًا اثيمة فلم يفوزوا بمرغوبهم فأُوقفوا وحُكم على ١٢ منهم بالموت وقد استقبح عموم اهل اليابان فعلهم القبيح

والدولة اليابانية ترقى يوماً بعد يوم معارج الفلاح واصحابها لا يزالون في تعزيز شؤونها الاقتصادية وامورها الحربية. ومما روت لنا اخبار العام الماضي تجهيزها لسفن حربية جديدة ثم معاهداتها التجارية مع الولايات المتحدة وروسية وانكلترة وقد اتفقت مع حكومة بطرسبرج بخصوص سياستهما في منشورية وظهر بذلك ان الدولتين عادتا الى الولاء وحسن العلاقات فزالت اسباب النفور السابقة

على انَّ اليابان لم تخلُ ايضاً من الازمات الوزاريَّة فانَّ وزارة كاتسورا وقعت في اواسط شهر آب لخلاف بين الاحزاب في الامور الاقتصادية وخلفتها وزارة أُخرى تشكلت تحت رئاسة المركيز سايونجي

وفي ٢٤ تشرين الثاني فقدت الامَّة اليابانيَّة احد رجالها العظام المركيز كومورا ولد سنة ١٨٥٥ وكان اول المتخرّجين على الآداب الاوربيَّة فدرس العلوم في اميركة ثم عاد الى وطنهِ وخدمهُ الخدم المشكورة في الحربين اليابانية الصينيَّة واليابانيَّة الروسية وتقلد عدَّة مناصب كسفير بلادهِ في لندن وبكين وكمعتمد دولي وكوزير الخارجية في الوزارات المتتابعة فخلَّف لوطنهِ ذكرًا حميدًا (لها بقية)

كتاب
اعمال الرسل اي الابرَكسيس

نظرٌ تاريخي انتقادي

للخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

انَّ المقالات الخطيرة التي نشرها حضرة الاب انطون ربَّاط اليسوعي في الاناجيل المقدَّسة حدت بنا الى كتابة فصل في سفر آخر لهُ علاقة معها . ألا وهو الكتاب التاريخي الخامس في العدد بين كتب العهد الجديد الذي اطلقت عليهِ النسخ القديمة هذا العنوان باليونانيَّة « Πράξεις τῶν Ἀποστόλων » وترجمتهُ اعمال الرسل : وهذه التسمية من باب التوسُّع والمجاز فان موضوع الكتاب كما ستعلم لم يتحفنا باخبار واعمال الرسل كلهم بل جُلّ ما أُودع شيءٌ من اخبار الكنيسة الاولى وخصوصاً اخبار الرسولين بطرس وبولس ولم يستغرق ترجمتهما تماماً كما هو ظاهر . ولهذا الكتاب شأن عظيم اذ ليس تأليف بين المؤلفات القديمة يماثل كتاب الاعمال من حيث علاقتهِ مع تاريخ العهد الاوَّل لنشأة النصرانيَّة وتاريخ اليهود واليونان والرومان وجغرافيَّتهم في ذاك العهد فانَّ الكاتب قد ضمَّن كتابهُ ما تجدر معرفتهُ من اخلاق تلك الامم التي نشر القديس بولس بين ظهرانيها بالكلمة فاشار الى عباداتها والمأثور من آدابها ومناهج فلاسفتها وادبائها ومواقف ساستها وامرائها وزعمائها فكان الكاتب شديد المراقبة يتحرَّى ما يقع تحت نظرهِ وينقل ما ينقلهُ بدقَّة واخلاص كما سيظهر لك لدى المطالعة بعد ذكرنا موضوع الكتاب وغايتهِ

موضوع الكتاب اجمالًا وغاية الكاتب

امَّا ما تضمَّنهُ الكتاب اجمالًا فهو سردُ ما جرى مذ عاد المسيح الى ابيهِ الى ان بلغ بولس مدينة رومية ليُحاكم امام قيصر . ويظهر للمطالع بداهةً ان واضعهُ لم يقصد وضع تاريخ مسهب لجيل الكنيسة الاول بل جلّ غرضهِ الاساسي ان يكتب لافادة رجل من اصدقائهِ يُدعى تاوفيلس . وممَّا يُرجّح ان اصدقاء بولس

الرسول واخصّهم تاوفيلس المذكور رغبوا الى لوقا ان يوقفهم ليس فقط على حياة يسوع المسيح بل على ماضي رسالة بولس وما لرسالة هذا من العلاقة مع رسالة بطرس والاثني عشر وماهية اتصال سلسلة تعاليمهم وانذارهم بسلسلة تعليم المخلص وكيف ان الروح القدس اشترك بهذا العمل المهمّ وهو انتشار الانجيل والانذار بملكوت الله وبكل ما يتعلق بالمخلص

ولم يكن يهمّ تاوفيلس سوى معرفة حلقات هذه السلسلة فاجاب لوقا الى طلبهِ بما كتب

ولم يستغرق الكتاب سوى مجمل الحوادث التي جرت من ربيع سنة ٢٩ الى ربيع سنة ٦٤. ففي القسم الاوَّل من الكتاب من الفصل الاول الى التاسع يوقفنا الكاتب على خلاصة ما حدث ابَّان انتشار الايمان بين اليهود

وفي القسم الثاني من الفصل العاشر الى الثامن والعشرين يطرفنا بخلاصة ما وقع من الحوادث اثر اعتناق الوثنيين الايمان

ويلعب في القسم الاوَّل دورًا مهمًّا القديس بطرس وفي الثاني القديس بولس:

ومن الغريب اننا لا نرى مؤلفاً كثرت الشهادات الاثريَّة في جانب صدق روايتهِ نظير كتاب الاعمال ومع ذلك قد قام اعداء الدين من العقليين ورموهُ بسهامٍ كثيرة فتحاملوا على صحتــهِ وسلامتهِ من التزييف والتحريف وعزوهُ الى مؤلف غير مؤلفهِ الحقيقي وأخَّروا تاريخ كتابتهِ ليحطُّوا من اهميَّة ما أُودعهُ من الافادات الغرر عن تاريخ نشأة النصرانيَّة. فحدا بنا حبُّ افادة اهل البحث في بلادنا العزيزة ان ندوّن لهم ما يهمُّهم الوقوف عليهِ من هذا الباب متخذين مؤلفات علماء الكاثوليك وغيرهم سندًا لنا في بحثنا هذا ولنا الامل بانهم يقابلون بالمسرَّة خطتنا في تحدّي كرم القوم في الدفاع عن شرف ديننا القويم وكتبنا المقدَّسة وعلى الله الاتكال

والابحاث التي يتناولها سفر الاعمال مرجعها الى اربعة امور اعني مؤلفهُ ثم زمان وضعهِ ثم سلامتهُ من التحريف وصدق روايتهِ

١ من هو كاتب اعمال الرسل

ان المجمع التريدنتي في جلستهِ الرابعة عزا كتابة هذا السفر للقديس لوقا وليس

ذلك دون مستند فلدينا برهانان يدعمان هذه الحقيقة : اوَّلهما مـا رواهُ لنا السلف وتُنوقل بالتواتر دون انقطاع . وثانيهما ما يُستنبط من نصّ فقرات الكتاب نفسهِ .
وبهذا كفاية لرد بعض اعتراضات يرمي بها قوم المنتقدين المتأخرين هذا الرأي الثالث

١ً (شهادة النقل او التقليد) لا نطيل الكلام بهذا الصدد فنقتصر على ما يأتي : من المؤكد ان الكنيسة الرومانيَّة كانت ترتإي منذ منتصف الجيل الثاني انَّ مؤلف كتاب اعمال الرسل هو القديس لوقا وذلك ليس دون مستنـد فان القانون الذي عثر عليهِ العلَّامة موراتوري (Muratori) المكتوب بين السنتين ١٦٠ — و ١٧٠ للمسيح يشهد لهذا الامر وفي هذا القانون جدول الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث . فهناك ذكرٌ صريح لاعمال الرسل ومؤلفهِ الانجيلي لوقا

وذهب الى مثل ذلك القديس ايريناوس الذي جمع في شخصهِ تقاليـد آسية وغالية وهو تلميذ بوليكربوس المتتلمذ ليوحنَّا الرسول

وقال بقولهِ ترتوليانوس المعلم . وارتأى بعدهما هذا الرأي اوسابيوس الذي اورد في تاريخهِ خلاصة كل التقاليد وجعل كتاب اعمـال الرسل للوقا في عداد الكتب القانونيَّة (١ المقبولة دون ادنى تردُّد (٢

٢ً (شهادة استقراء كتاب الاعمال) فلننتقل الآن الى البرهان الثاني وهو ما يُستنبَط من فقرات الكتاب نفسهِ :

---

١) عبَّر مذ ذاك بالكلمة اليونانية (ὁμολογούμενα) اي الاسفـار التي لا يُشَكّ في قانونيتها

٢) ان العالم هرناك (Harnack) الالماني إمام علماء البروتستانت في زماننا بالدروس الكتابية الذي ارتاب في حقائق دينيَّة كثيرة فانكر العجائب والاسرار ومعتقدات الكنيسة وخصوصاً ما يتعلَّق بالمسيح فلم يبقَ عنـده من الدين المسيحي سوى بعض التصوُّر المبهم في الله عاد اخيرًا فوجه انظاره الى شهادة النقـل التي كان عرض عنها على شاكلة غيره واعارها حقَّها من الاعتبار وتبع في امور كثيرة رأي علماء الكاثوليك . وهاك ما قالهُ في مقدمة تأليفه عن القديس لوقا (Lucas der Artz) الذي نشرهُ سنة ١٩٠٦ : « ان الرسائل المنسوبة لبولس وكتابات لوقا وتاريخ اوسابيوس هي بمنزلة دعائم متينة يستند اليها تاريخ اقدم عهد لنشأة الدين المسيحي وحتى الآن لم تُعرَف هذه الميزة لمؤلفات لوقا اذ كان المنتقدون لا ينصفون اهمية كتاب اعمال الرسل وعليهِ فاقول في هذا الموقف ان المنتقدين هم على ضلال وانَّ الحقّ في جانب النقل والتقليد » اه كلام هرناك

قال كاتب اعمال الرسل في العبارة الاولى من كتابهِ في مفتتح الفصل الاول:
« قد انشأتُ الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي عملها يسوع وعلَّم بها »
فمن هذه الآية نستجلي بالتحري والمقابلة ان المؤلف الذي كتب الاعمال هو القديس لوقا نفسهُ الذي انشأ الكلام الاوَّل اي الانجيل الثالث المنسوب اليهِ دون ادنى توقُّف فاهدى الكتابين الى رجل واحد شريف يدعوهُ فيهما تاوفيلس لم يزدنا الكاتب او المؤرخون علماً بمناحي حياتهِ (١

ثم لم يرتبْ احد بان المراد من لوقا كاتب الاعمال والانجيل انما هو لوقا نفسهُ الذي يتكلم عنهُ القديس بولس وهو سجين في رومية سنتي ٦٠ — ٦٢: وهاك ما ورد في رسالة القديس بولس الى اهل كولسي (٤ : ١٤): « يقرئكم السلام لوقا الطبيب الحبيب وديماس ». وقد كتب ايضاً بولس في ذاك العهد الى فيلمون (ع ٢٤):
« يسلم عليك ابفراس رفيقي في الاسر . . وديماس ولوقا رفاقي في العمل»
ولمَّا كتب القديس بولس رسالتهُ الثانية الى تلميذهِ تيموتاوس كان ديماس غادر الرسول الى سالونيك وكان مرقس عند تيموتاوس فلم يكن عند بولس احد سوى لوقا وهذا ظاهر من قول الرسول: « ومعي لوقا وحدهُ فاستصحبْ مرقس واقدم بهِ فانهُ ينفعني في الخدمة » (تيموتاوس الثانية ٤ : ٩ و ١١) فيستجلي المطالع المنصف من النصَّين الاولين الصادرين عن رومية ان لوقا كان رافق الرسول السجين وانه شريكهُ في التبشير والانذار وانهُ معهُ وجليسهُ في رومية (لكن غير مقيَّد معهُ في السجن) وانهُ طبيبهُ وهذا المعنى قصدهُ الرسول بقولهِ اعلاه لوقا الطبيب
ثمَّ يستجلي ثانياً من رسائل بولس ان لوقا لم يكن بقربهِ في سنتي ٥٦ و٥٧ الميلاد لانهُ في مدَّتهما كتب رسائلهُ الى القورنتيين والغلاطيين والرومانيين اذ لو كان مع الرسول في ذاك العهد لما كان اعرض عن الاتيان بذكرهِ (٢
وهذا النزر القليل الذي كتبهُ لنا الرسول في شأن طبيبهِ الحبيب وجليسهِ في حلّهِ

١) طالع ما قالهُ رينان في مقدمته على اعمال الرسل والرسائل (Renan: *Introd.*, X)
٢) اما ما يزعمهُ البعض خلافاً لما تقدم مستندين الى ما ورد في الرسالة الى اهل قورنتوس (٨ : ١٨ و ١٩) « وقد بعثنا معهُ الاخ الذي يثنى عليهِ . . . بل قد اختارتهُ الكنائس رفيقاً لنا في السفر » فلا يعوَّل عليهِ لانَّ المرجَّح انهُ لم يقصد بهِ لوقا

وانيسهِ في ترحالهِ يتَّضح بجلاء من نص كتاب الاعمال فنهُ يلوح ان ذاك الطبيب والخدن العزيز والإلف الكريم الذي يصفهُ لنا الرسول إن هو الّا لوقا كاتب الاعمال وان الكتاب المؤما اليهِ هو نتاج قريحة ذاك الطبيب والرفيق الذي يطوف معهُ البرَّ والبحار تطواف الشاهد البصير كما سترى

واعلم انَّ مجمل كتاب الاعمال ٢٨ فصلًا فاذا رميت بنظرك الى الفصل السادس عشر وتوقفت عند العدد التاسع وما يليهِ من هذا الفصل ظهر لك كاتبهُ المجهول لانهُ هناك استبدل ضمير الغائب (الذي استعملهُ من الفصل الاوَّل حتى السادس عشر) بضمير التكلم فقال: «فلمَّا رأى (بولس) الرؤيا طلبنا للوقت ان نسير الى مكدونية الخ». فمن يتصفَّح كلام الراوي من هذه الآية الى التاسعة عشرة يتحقَّق ان الكاتب هو هو بلا ريب ذاك الرفيق الذي اشار اليهِ القديس بولس فدعاهُ «رفيقهُ في العمل» لاننا نرى هذا الكاتب يورد الحوادث كشاهد عياني بحيث يُطلقَ عليهِ بحق وصواب اسم الرفيق لانهُ شارك معلّمهُ في كل المواقع التي يصفها. ثمَّ انَّ هذا الرفيق يرافق الرسول الى مكدونية وفيلبي (اعمال ف ١٦ عد ١٠ — ١٧) وبعد ايام نراه يختفي فيعدل عن رواية المتكلم الى رواية الغائب فلا نراهُ ملقًى في السجن مع بولس وسيلا ولم يتبعهما بعد خروجهما من السجن (ف ١٦ عد ١٩ — ٤٠) في اسفارهما الى اثينا وقورنتية وانطاكية نحو السنة ٥٣ للميلاد اذ يروي كل ذلك عن بولس ورفقتهِ دون نفسهِ

وفي هذه السنة ترى الرسول يعاود اسفارهُ الرسوليَّة فيباشر سفرهُ الثالث والاخير من السنة ٥٣ الى ٥٧ فتراهُ يزور افسوس ومكدونية وبلاد اليونان. ولمَّا كان مزمعاً ان يقلع الى سورية او انطاكية ارتأى ان يعود برًّا الى مكدونية واذ ذاك يظهر امامنا الرفيق المحجوب فيستأنف روايتهُ بضمير المتكلم. فكان بقي في مكدونية بعد اختفائهِ عن ابصارنا من العدد العشرين في الفصل السادس عشر من سفر الاعمال فظهر في العدد الخامس من الفصل العشرين حيث عاد الى ضمير المتكلم فقال: «فهولاء سبقوا وانتظرونا في ترواس»

وهذه الحقبة تتناول خمس او ست سنوات ومذ ذاك الحين نرى الرفيق لاحقاً بالرسول فيركب معهُ متن البحار ويطوف مطاوي البر فتراه الى جانبهِ في ترواس

ومتيلانة وميلِتس وكيوس وردس ومنهـا الى بتراس وصور وقيصرية حتى بلغوا اورشليم (ف ٢١ عد ١—١٨) . وهنا الرفيق يختفي عن نظرنا ثانيةً خلال روايتهِ لما جرى لبولس من الحوادث في اورشليم وما بعد لمَّا أُقتيد الى قيصرية واعتُقل هنـاك مدَّة سنتين من السنة ٥٧ الى ٥٩ للميلاد. ثم رفع بولس دعواهُ الى قيصر وسـافر الى رومية يخفرهُ الجنـد . وبعد ذلك يظهر الرفيق السرّي ويعود الى رواية المتكلّمين ويسرد لنا ماجريّات سفر بولس من قيصريَّة الى رومية على الصفحات الاخيرة من كتاب الاعمال (اي الفصلين ٢٧ و٢٨) وكل ذلك بتعابير واوصاف دقيقة لا يُحسن تدوينها الَّا من كان رفيقاً الى جانب بولس

ثم يختفي الرفيق السري لآخر مرَّة وينقطع عن الكتابة ويترك لنـا الرسول في رومية في بيتٍ اجرهُ لنفسهِ فيقتبل فيـهِ من يزورهُ وينادي بالكلمة . ولم يتحفنا الكاتب بتفاصيل بقيَّة امور الرسول التي كان ينتظرها القارئ بفروغ صبر ألا وهي وقوف بولس امام نيرون قيصر واحتجاجهُ بازاء ذلك الامبراطور الطاغية على دعوى اليهود ونجاتهُ من اعدائهِ وانَّما اكتفى بقولهِ انَّ بولس « اقام سنتين في رومية وهو يبشر بملكوت الله » فدلَّ بذلك عن فروغهِ من الكتابة قبل ذلك او مفارقتهِ لمعلّمهِ

هذا وان بولس الرسول قد وصف لوقـا بوصف آخر غير الرفيق فدعاه الطبيب الحبيب وفي هذا الاسم دليل جديد على ان صاحب سفر الاعمـال انَّما هو لوقا . فهلمَّ بنا نتصفح الكتاب مع الذين احكموا اللغة اليونانيَّة التي كُتب بها الانجيل الثالث واعمال الرسل

قد اوغل بعض النقّاد في البحث والاستنباط (ومنهم العالم هرناك الـذي اتينا بذكرهِ) حتى وضع بعضهم معجماً للالفاظ التي وردت في انجيل لوقا وفي سفر الاعمال فاستدلَّ بذلك على انهما لكاتب واحد وهذا الكاتب هو لوقا الطبيب الذي احكم اللغـة اليونانيَّة على شاكلة غيرهِ من رصفائهِ المتطبّبين . فمن جملة الالفاظ الدالَّة على هويّتهِ الالفاظ الطبّية المُصطلَح عليها عند الحكماء التي تجدها في السفرين

افتح انجيل لوقا (٤ : ٣٨) اذا كنت ممَّن يحكمون اللغة اليونانيَّة ترَ الطبيب لوقا يعبر عن حمى بطرس بعبارة مأنوسة عند الاطباء . وترى مثـل ذلك في وصفهِ عرق المخلص الدموي (٢٢ : ٤٣)

واذا شئت طالع الفصل الثامن والعشرين من سفر الاعمال فترى ان القديس بولس بعد نجاتهِ من الغرق انزلهُ في دارهِ كبيرُ قومهِ في جزيرة مالطة المدعو پبليوس الطيّب العنصر الكريم الخلق المضياف وكان ابو پبليوس هذا مريضاً فدخل اليهِ بولس وصلّى ووضع يديهِ عليهِ فابرأه. وهنا نرى الكاتب الطبيب يصف لك المرض وينوّعهُ كطبيب فيقول (٢٨ : ٨) «قد اخذتهُ الحمّى والزُّحار» وهو داء الدوسنتاريا ويعبر لوقا عن المرض باليونانيّة بهاتين اللفظتين الاصطلاحيتين في فن الطبّ: (πυρετοῖς καὶ δυσεντερίᾳ) ثم واصل المطالعة الفصل المتقدم ذكرهُ فترى شواهد اخرى على ما قدمناه. منها تعبير الكاتب الطبيب عمَّا اصاب بولس بعد ان لسعتهُ الحية في جزيرة مالطة اثر نجاتهِ من الغرق فعبَّر باليونانيّة عن توقع المشاهدين الانتقاخ وسقوط بولس بغتة على اثر لذع الحيّة بكلمتين اصطلاحيّتين بفن الطب: (πίμπρασθαι) وهو الانتفاخ و (καταπίπτειν) وهو الموت بغتة. وهذه التعابير خُصَّت بانشاء القديس وليس لها مثل في العهد الجديد في محالّ اخرى. ثم طالع ما جرى للقديس بولس مع ذاك الذميم الخلق أَلِياس (اعمال ١٣ : ٨) الذي استنزل الرسول اللعنة عليهِ لمقاومتهِ بشارة الانجيل فاصابهُ العمى. فترى اللفظة اليونانيّة المستعملة هناك لفظة طبيّة (ἔπεσεν ἀχλὺς)

فمن هذه الالفاظ وامثالها استنتج المدققون في اللغة اليونانيّة انّ الكاتب الذي أنتجت قريحتهُ الكتابين هو واحد وانهُ لوقا الطبيب. وهذا القليل من الكثير وافٍ بالغرض

ولنضف الى كل ما تقدم برهاناً اخر يدعم ما قدمناه من البراهين:

ان لوقا كان تلميذ بولس الرسول ولا نراه ينقل شيئاً من رسائلهِ التي بين ايدينا (وهذا ممَّا يدلّ على قدم عهد كتابة الاعمال) ومع ذلك نرى لوقا يرسم لنا صورة بولس الحقيقيَّة في الخطب الثلاث الطويلة التي يعزوها اليه فالخطيب هو حقيقة كاتب الرسائل كما يظهر لادنى تبحر في نهج الخطب والرسائل وليس لنا ان نفرض ان بولس تكلم بخلاف ما يصفهُ لوقا ولا ان لوقا امكنهُ ان يتقلد انشاء بولس

فمن يستطيع ان ينكر بعد هذا ان كاتب الاعمال هو الطبيب والرفيق والتلميذ الذي يعنيه بولس: ومن اولى بوصف بولس ذاك الوصف والرسم الحيّ من تلميذهِ

لوقا ؟ فلو فُرض ان كاتباً غير لوقا كتب في بدء الجيل الثاني كتاب الاعمال فهل كان اورد ما اورده ُ ببساطة لوقا ووصفهِ الحيّ مبتعدًا ومعرضاً عن الاعجاب بالرسول وتقريظهِ كما فعل الذين ظهروا بعد ذلك العهد

فاذا تبينا كل ما تقدَّم من البراهين استغربنا زعم من لا يسلّم بنسبة الكتاب الى القديس لوقا

٢ في اي عهدٍ كتب القديس لوقا كتابهُ

عبثاً حاول بعض المنتقدين تأخير عهد كتابة الكتاب :

اجل ليس في اثناء الاعمال تاريخ صريح للسنة التي دُوّن فيهـا ذلك السفر الجليل وانما لدينا دلائل ضمنيَّة تُستفاد من منطوق العبارات التي يختم بها الكاتب تأليفهُ . ومنها يؤخذ ان القديس لوقا كتب كتابهُ في رومية بين السنتين ٦٢ و ٦٤ قال كتاب الاعمال (٢٨ : ٣٠ — ٣١) : « واقام (بولس) سنتين كاملتين في بيت استأجره ُ وكان يقبـل جميع الذين يقصدونهُ ويبشر بملكوت الله ويعلّم ما يختصّ بالرب يسوع بكل جرأة ولا يمنعهُ احد »

ان السنتين المشار اليهما في النصّ وقعتا بين ٦٢ الى ٦٤ قضاهما القديس بولس مطلق التصرُّف بنوع ما تحت حراسة جندي روماني ريثما يجري الحكم في حقهِ . وفي تلك الحقبة صفا الجوّ للكاتب فعكف على تدوين سفرهِ وانتهى منـهُ الى ماجريات تلك الحقبة والّا لَما كان ممكناً ان يعرض الكاتب عن ذكر ختام الدعوى ووصف استشهاد الرسول الذي جرى بعد ذلك باربع سنوات

وليسمح لنا القارئ ان نردّ على زعم المخالفين لهذا الرأي بنقل ما كتبهُ العلّامة باتيفول (Batiffol) بهذا الشأن في مجلة الاكليروس الافرنسي قال :

« من المؤكد ان لوقا كتب انجيلهُ قبل كتاب الاعمال فاننا لا نرى فيهِ كلمة تشير الى خراب اورشليم والحال لو فُرض ان لوقا كتب بعد السنة السبعين أما كان قال لنا ان نبوة المخلص على خراب اورشليم قد تمت وبذلك يتحاشى ما جمعهُ في انجيلهِ ممتزجاً عن نبوءة المسيح بخراب اورشليم وانتهاء العالم ؟

« ولننتقل الى كتاب الاعمال : طالع الفصل السادس عشر من الاعمال (٣٥ —

٣٩) فهناك لا ترى تلك البغضة او الشحناء في صدور الولاة الرومانيين تغلي ضد المسيحيين كما حدث بعد اضطهاد نيرون قال : « ولمَّا كان النهار ارسل الولاة الجلَّادين يقولون (للسجَّان) : اطلق ذينك الرجلين . . . فاقبلوا (اي الولاة) اليهما متضرعين واخرجوهما وسألوهما ان يتحوَّلا عن المدينة »

طالع ايضاً سنداً لهذا الرأي الفصل الثامن عشر (١٢ — ١٧) والفصل الرابع والعشرين (٢٢ — ١٧) والفصل الخامس (١ — ٥) تجد في كل ذلك مراعاةً لبولس ولاصحابهِ تدلُّ على انَّ النصرانيَّة لم تحرّك بعدُ عليها غضب الرومان . امَّا بعد اضطهاد نيرون للنصارى في السنة ٦٨ فانقلبت الاحوال وصار الولاة يتشدَّدون على المسيحيين كما يظهر للمؤرخ المنصف . ولولا القول بان لوقا كتب قبل هذا الاضطهاد لَما روى مثل هذا الرفق بالنصارى وتغاضي الولاة عنهم

ولنضف الى ما تقدَّم ملاحظة اخرى عن العالم هرناك : ان كاتب الاعمال يُظهر الشعب اليهودي بمظهر شعب راتع في بحبوحة السلطان متمتع بامتيازاتهِ سِمَتُهُ القحة والقاء السجس في اورشليم وخارجاً عنها بين الامم . وليس في كتابة لوقا عبارة تدلُّ على قرب انتهاء تلك الحالة وانقلابها الى الضنك والظلم اللذين نزلا بهم بعد ان دُكَّت مدينتهم العظمى وتشتَّت شملهم بخراب اورشليم على يد طيطس سنة السبعين فصاروا رجساً في اعين الجميع يُباعون كالعبيد ويُقتلون كاعداء المملكة

ومما تقدَّم يظهر ضعف زعم من يرتأون تأخير تاريخ وضع الكتاب فيسندون انقطاع الكاتب عن مواصلة الكلام ووقوفهِ عند بلوغ بولس رومية الى اسباب اخرى غير ما رويناه . فمن قائل بان تاوفيلس الذي اهداه بولس كتابهُ كان ساكناً رومية فلم يكن من حاجة لان يدوّن لهُ الكاتب ما جرى للرسول فيما بعد تحت نظره . ومن قائل بان الكاتب ختم كتابهُ عند بلوغ رومية اذ بوصولهِ اليها تمَّ القول الذي قالهُ المخلص لرسلهِ لدن صعودهِ الى السماء كما ورد في الفصل الاول والعدد الثامن من الاعمال : « وتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة الى اقصى الارض » . ويريد البعض الآية الاخرى الواردة بهذا المعنى في الفصل الثالث والعشرين العدد الحادي عشر من الاعمال : « وفي الليلة التالية وقف بهِ (اي بولس)

الرب وقال لهُ: « ثق فانك كما شهدت في اورشليم كذلك ينبغي ان تشهد في رومية ايضاً » وهذه التعليلات لم يُعِرْها اهميَّة المدققون من المنتقدين

غير ان ارباب النقد لا يحملون على اجزاء الكتاب بجذافيرها بل ان معظم حملتهم موجَّهة الى ما رواه الكاتب من اعمال القديس بطرس من الفصل الاوَّل حتى الثاني عشر فهذا القسم ينكرون نسبته الى الكاتب لوقا ويسلّمون بالباقي حتى الفصل الاخير

لكنَّهم وضعوا هذا التمييز بين القسمين جزافاً دون باعث مقنع وجلُّ ما يأتون بهِ من الاعتراضات مؤداهُ الى الدعاوي الآتية: يقولون ان القديس لوقا كان اجنبيًّا لم يكن ليعرف بلاد فلسطين وسكَّانها اليهود فيكون نقل ما سمعهُ دون تدقيق نظر وخلط بين التاريخ الصادق والروايات الاختلاقيَّة

ولكن هل فات المعترضين ان لوقا رافق بولس الى اورشليم في رحلتهِ الاخيرة. ومكث بالقرب منهُ في قيصرية لمَّا كان مسجوناً هناك مدة سنتين من السنة ٥٩ الى ٦١ . وفي هذه الحقبة تلقَّى ما سطَّرهُ في الفصول الاثني عشر الاولى من مجرَّد مخالطتهِ المسيحيين الاولين المتنصرين من اليهود فاختبر الاخلاق والعادات واخذ واستفاد وافاد ومهما تمحَّل المنتقدون من الاسباب لاثبات زعمهم مدَّعين بصغر سن لوقا في عهد سجن بولس في قيصرية وذهابهِ الى اورشليم فقد طاش سهمهم لان القديس لوقا هو من جيل اولئك الناس الذين اسَّسوا الدين المسيحي فانهُ رأى في اورشليم يعقوب اخا الرب (غلاطية ١ : ١٩) وتكلَّم مع فيلبوس الشماس في قيصريَّة (اعمال ٢١ : ٨ — ١٨) كما قال: « وفي الغد خرجنا ووافينا قيصريَّة ودخلنا بيت فيلبوس المبشر الذي هو احد السبعة واقمنا عندهُ ». وخاطب بطرس في رومية. وما لم يشاهدهُ بعينه فمعلمهُ بولس عرَّفهُ عن مصدرهِ واصلهِ كاستشهاد اسطفانوس الذي جرى امام اعين بولس (المدعوّ اذ ذاك شاوول) واعلمهُ بارتدادهِ قريباً من باب مدينة الشام. ثم اخذ كثيرًا من الامور عن المسيحيين الاوَّلين نظير مناسون القبرسي (اعمال ٢١ : ١٦) : « وسار معنا تلاميذ من قيصرية وقد اخذوا معهم مناسون القبرسي التلميذ القديم لننزل عندهُ »

وخلاصة القول انَّ لوقا كتب تاريخ حوادث العشرين السنة الاولى لنشأة الدين المسيحي بناء على ما رواه لهُ شهود عيان رأوا الحوادث بذواتهم:

٣ في سلامة الكتاب من التحريف

لا نطيل الكلام في هذا الباب فان الاباحيين انفسهم لم يرموا هـذه الحقيقة باعتراض يُذكر. وعليهِ فنقول ان نصّ كتاب الاعمال قد اتَّصل بنا دون ان يلحق بهِ ادنى تغيير جوهري وما وقع من الاختلاف في بعض النسخ لا يمسّ البتَّة جوهر المعنى: ويشهد على صحة ما قدمناه كل الترجمات القديمة وخصوصاً الترجمتين السريانيَّة واللاتينيَّة والنصوص العديدة التي استشهد بها اباء الكنيسة فانهـا لو جُمعت من تآليفهم في القرون الاربعة الاولى للميلاد لعمَّت تقريباً كل سفر الاعمال

٤ في صدق ما يرويه الكاتب

ان صدق ما يرويه القديس لوقا يلوح من كل سطر من كتابهِ فيتحقَّق القارئ ان الحوادث التي رواها الكاتب هي يقينية اخذ بعضها عن رواة ثقة عيانيين على ما يقول في مفتتح انجيله (١ : ١) «كما سلَّمها الينا الذين كانوا معاينين منـذ البدء وخادمين للكلمة» والبعض الآخر ممَّا شاهدهُ هو بذاتهِ واشترك بهِ ولم يتعمَّد الخداع والتمويه لان الحوادث التي يرويها كانت قريبة عهدٍ ممن شهدها فكان من الخطر العظيم ان يروي اموراً غير حقيقية واقعية فينكشف خداعه. وبهذا النذر القليل كفاية مع ما اسلفناه عن عهـد كتابة الكتاب وعن موضوعهِ وغاية الكاتب

هذا وقد اتى الاب فيكورو في موءلفه «العهد الجديد والاكتشافات الاثريَّة الحديثة» بشواهد وضعيَّة تنفي كل ريب في صدق رواية القديس لوقا ونحن نحيل القارئ اللبيب الى مطالعة ما دوَّنهُ هذا الباحث المدقق زيادة للبرهان وانَّما نضيف الى قولنا بعض الملحوظات تتمَّة للفائدة فنقول:

لا شكّ ان القديس بولس استثبت كتاب الاعمال واطَّلع عليهِ بدليل ان في عهد انجاز الكتاب كان القديس لوقا بالقرب منهُ فانَّ الرسول يذكرهُ في رسالتـهِ الى فيلمون التي كتبها من رومية فيتبادر ان الرسول قرأ ما كتبهُ لوقا واثبتهُ

ثم ان الاجيال الآتية اتّبعت القديس بولس في اثبات صدق رواية القديس لوقا: قال القديس ايريناوس في مؤلفهِ ضدّ الهرطقات (كتاب ٣ ف ٣ عدد ٣): «ما اخبرنا بهِ بولس عن الاثني عشر وما شهد بهِ لوقا واثبتهُ هما امران يتفقان مع بعضهما من كل وجه بحيث يصحّ ان يقال عنهما انهما شهادة واحدة ورواية واحدة»

على انّ بعض المحدثين حاولوا انكار صدق سفر الاعمال فاعترضوا عليهِ باعتراضات ظنّوا انّ من شأنها اثبات زعمهم. فمن ذلك رواية الكاتب لبعض المعجزات والحوادث الخارقة الطبيعة التي ينكر هؤلاء الاباحيون وقوعها لعدم ايمانهم باسرار ما وراء الطبيعة

غير ان هذا الاعتراض مبنيّ على وهم فقط ليس على حقيقة ثابتة وهو يعمّ كل الاسفار المنزلة والجواب عليهِ انّ المعجزات ليست فقط ممكنةً بل واقعيّة لا يجوز نكرانها الّا لاسباب موجبة

وما احرى بنا ان نوجّه الخطاب الذي خاطب بهِ الرسول اهل قورنتية في رسالته الثانية (٢: ١٦—١٧) الى العقليين الذين يحاولون انكار حقيقة الكتاب لانكارهم المعجزات ومن ثم حوّلوا حقيقة الدين الذي نادى بهِ الرسول الى نفحة موت فنطلب هدايتهم ونبشّرهم بانتصار الدين القويم على هجماتهم العنيفة كما قال: «فشكراً لله الذي يظفرنا كل حين في المسيح يسوع ويُبدي بنا نفحة معرفتهِ في كل مكان فانا نحن نفحة المسيح الطيبة لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون لهؤلاء نفحة موت للموت ولاولائك نفحة حياة للحياة. ومن هو خليق بذلك فانا لسنا مثل الكثيرين الذين يغشّون كلمة الله لكنّا باخلاص ومن لدن الله ننطق امام الله في المسيح»

وممّا اعترض غيرهم على صدق الكاتب لسفر الاعمال انهُ لم يروِ بعض الحوادث المهمّة التي وقعت في اوّل الكنيسة كسفر القديس بطرس مرّتين الى رومية وكبشارة الرسل في انحاء المعمور كما اثبتهُ النقل وغير ذلك من الحوادث التي اغفلها

نجيب على هذا الاعتراض ان اغفال المؤرخين لبعض الامور في تواريخهم لا يفسد جوهر الحوادث التي يروونها. وهكذا يقال عن صاحب سفر الاعمال فانهُ روى اهمّ الامور التي جرت في بدء الكنيسة كنشأتها في العلّيّة الصهيونيّة وانتشارها بين

اليهود اوّلًا ثم بين الامم وتأليف نظامها من اساقفة وكهنة ومؤمنين وترتيب اسرارها وعقد مجمعها الاول ورئاسة بطرس عليها كل ذلك وبولس الطرسوسي لم يزل خارجاً عنها او معتزلًا في دمشق او في بادية الشام (غلطية ١:١٧-١٨ و٢:١) . فاغفال بعض الامور على ما تقدَّم لا يحطّ من دقة الكاتب اذ قلّما نرى مترجماً او مؤرخاً يلمُّ باحوال مترجمهِ واعمالهِ بكليتها وجزئيّاتها

وقد رأى البعض ان يضيفوا الى الغاية الاولى التي رمى اليها الكاتب غرضاً اخر وهو الدفاع عن القديس بولس وان قَصْد لوقا الاساسي ان يرينا (في مجرى حوادث تأسيس الكنيسة) الاتحاد والوفاق السائدين بين القديس بطرس ورسول الامم بما لهُ علاقة بالمعتقد والتهذيب . وذهب بعض العلماء الكاثوليك ومنهم الاب سِماريا (Semeria) في المجلة الكتابيَّة (تموز ١٨٩٥ صفحة ٣٢٠) ان في هذا الزعم ما يستوقف الانظار لكن مع الحذر من التهوُّر في مذهب بعض اساتذة مدرسة توبنغ الذين لا يرون في كتاب الاعمال تاريخاً حقيقاً وضعياً بل رواية مختلقة او مُلفَّقة

والحقّ يقال ان من طالع الكتاب باخلاص نيَّة رأى ان الكاتب لم يقصد اخفاء الخلاف الذي وقع في مهد الكنيسة بين اليهود المعتنقين الايمان حديثاً وبين الامم الذين كان يصعب عليهم الخضوع لقول المتنصرين من اليهود انهُ ليس خلاص دون ختان : فنرى الكاتب يضع امام اعيننا بنزاهة وبساطة مصدر الخلاف المومأ اليهِ واسبابهُ ألا وهي شدَّة تمسُّك مسيحيّي اورشليم بناموس موسى . فعبثاً حاول اسطفانوس ان يسمعهم صوتهُ مصرّحاً بانهم أُعتقوا من تلك الروابط . وعبثاً حاول القديس بطرس اقناعهم بان حقوق اليهود والامم متساوية في الملكوت السماوي فانَّ كل ذلك لم يضعف شيئاً من بغضهم لمن لم يخضعوا لشريعة الختان . وهل يخفي علينا كتاب الاعمال هذه الظروف ؟ كلَّا بل نراه يصرّح بها . افتحْ مثلًا الفصل العاشر (العدد ١٩-٣٤) فترى فيهِ سرد دعوة الامم للايمان بشخص كرنيليوس . ثمَّ يقول كتاب الاعمال (١٥ : ٢٤) لمَّا تكاثر عدد المتنصرين من الامم في انطاكية انحدر قوم من اليهوديَّة واقلقوا الانفس باقوالهم بحيث التزم القديس بولس وبرنابا ان يقاوما ذاك التعليم والتمسا من المجمع الاول الذي عُقد في اورشليم رذل قول القائلين

انهُ لا خلاص دون ختان . ومع ذلك بقي المتنصرون في اورشليم متمسكين بناموس موسى وهو ظاهر من خطاب القديس يعقوب والكهنة في اورشليم للقديس بولس (٢١ : ٢٠) « انت ترى ايها الاخ كم ربوة من اليهود قد آمنوا وهؤلاء كلُّهم أُولو غيرة على الناموس »

ولذا نرى القديس يعقوب يناشد القديس بولس بان يرقَّ لضعف هؤلاء ويراعي عاداتهم ويظهر نفسه مع رفاقه في الهيكل. وبهذا كفاية لردع قول من يقولون بان غاية الكتاب اخفاء الخلاف وتوحيد الرأي بين بولس وبطرس

اجل ان الخلاف كان شديدًا بين المتنصرين من الامم واليهود واما الرسل فكانوا بمعزل عنهُ ولم يكونوا يتداخلون الَّا لالقاء السلام وقطع دابر الخلاف فلم يكن الخلاف بين الرعاة والقطيع كما يزعم البعض. واذا كان القديس بولس نطق ببعض كلمات في معرض الحدَّة فلم يبطل ذلك علاقاتهِ مع المتنصرين في اورشليم من اليهود الذين كان يجمع لهم من كل صوب الحسنات ونيرانُ الخلاف في شدَّة وطيسها بين العنصرين وذلك دليل واضح على انَّ القديس بولس كان يخدم المتنصرين من اليهود كالمتنصرين من الامم . فقد ورد مثلًا في رسالته الاولى لاهل قورنتية (١٦ : ١—٣) قولهُ : « واما ما يُجمع للقديسين فكما اوعزتُ الى كنائس غلاطية كذلك فاصنعوا انتم ايضاً. في كل اول اسبوع ليعزل كل امرئٍ منكم عندهُ ويخزن ما وُفقَ اليهِ لئلَّا يكون الجمع عند قدومي اليكم »

وورد في رسالته الثانية لاهل قورنتية (١١ : ٧) :« أَلعَلي اتيت خطيئة حين وضعت نفسي لترتفعوا انتم حيث بشَّرتُكم بانجيل الله مجاناً فاني قد سلبت كنائس اخرى واخذت منها النفقات لخدمتكم » . ولئلَّا نطيل الكلام فليطالع القارئ رسالة القديس بولس الى اهل قورنتية الثانيةِ ورسالتهُ الى اهل غلاطية (١ : ١١— ١٦و١٩ : ٢ : ١—١٤) الخ . وكلها تبيّن بطلان زعم الزاعمين بأَن لوقا قصد توفيق خلافٍ ما بين بطرس وبولس او اثبتَ تبايناً في خطَّة تبشير الرسل فكل هذه الاغراض تكذّبها النصوص الكتابية

وبعد ما قدمناه من البراهين باختصار اذا بقي من يرتاب بصحة رواية سفر

اعمال الرسل وحقيقة اسناده الى مؤلفهِ القديس لوقا وعهد كتابتهِ فيصح ان يقال عنهُ ما قالهُ الرسول عن الرومانيين (١ : ٢١) المتعنتين : « سفهت افكارُهم واظلمت قلوبهم الغبيَّة » اذ قد يتفق ان تظلم العقول في الحقائق التاريخيَّة بسبب الاوهام والاغراض كما تظلم القلوب بسبب سطوة الشهوات الفاسدة والاميال القبيحة صان الله عقولنا وقلوبنا من شرّهما

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي

عجيبٌ هو الله في اعمالهِ ! . هكذا هتف النبيُّ والملك داود حينما كان واقفاً يعتبر ما في الكون من مخلوقات الله المتنوعة . وكل من نظر بعين المتأمل الى اعمال الله القدير لا بدَّ لهُ ان يردد الآية ويبارك الخالق في كائناتهِ : نعم ان الله لعجيب في كلّ عمل من اعمالهِ . عجيب بما وهب الانسان من نور العقل وحرّيَّة الارادة . عجيب بسنبلة الحقل التي ينذهل الناظر اليها من دقيق صنعها كما ينذهل من جمال الارزة العظيمة وشموخها وبسوق اغصانها . هو الله عجيب بهذا العدد العظيم من الحيوانات المختلفة الانواع وتلك الحشرات الصغيرة التي لكل طائفة منها غريزة خصوصيَّة وعوائد مألوفة واميال طبيعيَّة لا تحيد عنها مدى الدهر

ولكن دعنا اليوم نتخذ واحدة من هذه الكائنات موضوعاً لدرسنا نقصد بها هامَّة صغيرة غايةً في اللطف وهي النحلة . ولعلَّ بعضاً من الجهلاء يعارضنا قائلًا : ترى ماذا تجد في النحلة من الاشياء الغريبة العجيبة ؟ فان قلتَ انها تمجُّ العسل والشمع فالبقرة تدرُّ بحليب نصنع منهُ اللبن والجبن والسمن . وان قلت انها تلسع كل من تعرَّض لها بحُمتها فالثور يذبُّ عن نفسهِ بقرنيهِ والكلب ينهش من رام لهُ شرًّا . ولست ارى موضعاً للاعجاب في هذه الحشرة الصغيرة

رويدك يا صاح فان كانت غاية ما تعرف عن النحلة كونها تصنع العسل والشمع وتلسب كل من تعرَّض لها فلعلَّ غيرك لا يكتفي بهذا النزر القليل ويتوق الى معرفة اسرار اخرى لا يفكّر فيها الشرهُ الذي يطلب العسل ليملأَ منهُ بطنهُ ويشفي شهوتهُ او لا يكترث لها الملّاك صاحب ٢٠٠ الى ٣٠٠ قفير من النحل طمعاً بجناها والارباح التي يؤملها منها لكنهُ لا ينتبه الى شيء من طبائعها ومستعمراتها العجيبة وترتيبها الداخلي وعيشتها النظاميَّة وتدبيرها وتكاثر نسلها . فلا يعرف من كلّ ذلك شيئاً يُذكر وان القيت عليهِ سؤالًا اجابك ببعض كلمات لا طائل تحتها وغفل عمَّا يستطيع ان يُساعد بهِ النحل لتوسيع شغلها وزيادة دخلهِ . ولا يعلم ان في هذه المستعمرات الصغيرة عجائب من التدبير والعمل والترتيب والنظافة ما يعود عليهِ بالنفع والفائدة فيكتفي بالقشرة ويسهو عن اللبّ ويضحّي الغد لمنفعة اليوم وربَّما فاتهُ ايضاً اداء الشكر الى الله الذي انعم اليهِ بكلّ هذه المرافق والخيرات

امَّا نحن فلا نقف عند هذا الحدّ من المعرفة بل نريد ان ندرس تلك الطائفة من الحشرات درساً مطوَّلًا يوقفنا على ما يحدث داخل الخلايا من الاعمال الغريبة . فانتقلْ معي بالفكر ايها القارئ العزيز الى ذلك البستان حيث وُضعت قفران النحل فاذا فتحنا احدى الخلايا ونظرنا الى داخلها رأينا ان كل قرص من العسل قد جُهز لهُ اطار من الخشب كالجرَّار يمكن سحبهُ ومدُّهُ ورفعهُ وحطهُ من غير ان تُثلم الاقراص او تُعاق النحل عن شغلها . واذا تأملنا هذه الخلايا وجدناها غاية في الجودة لان المعتنين بها يعرفون عوائد سكَّانها فيساعدونهم على توفير العسل والاسراع بجَنيهِ . والذي يستوقف النظر اكثر من سواهُ انَّما هو العدد العديد من النحل فترى افرادها تتزاحم على مدخل معملها الذي تتألف منهُ تلك العائلة او المستعمرة الصغيرة

والنحلة لا تشتغل وحدها ولا مع عدد قليل من رفيقاتها كما تصنع الزنابير التي في عملها بعضُ الشبه مع عمل النحل . لكنها تشتغل بالالفة وتشترك مع الالوف من رصيفاتها في قفير واحد

واعلم انَّ الحشرم من النحل لا بدَّ لهُ من ثمانية آلاف الى عشرة آلاف نحلة حتى يقدر ان يواصل شغلهُ دون ان يفشل فيأتي بعمل نافع . وكل قفير يقلّ اهلهُ عن هذا العدد لا يمكنهم ان يستحضروا من العسل والشمع ما يكفيهم لمؤونة الشتاء ولا ان

ينتجوا بالتوالد عددًا من الصغار يقوم مقام ما يموت منها كل يوم لانَّ اسباب الموت كثيرة بين النحل. وزد عليهِ ان هذه الهوامّ متى قلّ عددها لا يمكنها في الاماكن الباردة ان تحفظ في باطن الخلايا حرارة معتدلة تكفيها لمقاومة تغييرات الهواء في فصول السنة. وربَّما سطا البرد على الخشارم فيتلفها لقلّة عدد نحلها

ولا يكفي لخشرم النحل ان يثبت في الحياة وانَّما الغاية من كيانهِ العملُ النافع لصاحبهِ. وان شاء هذا ان ينال منهُ مبتغاه فعليهِ ان يزيد عدَد العمَلة بحيث يبلغ كل كوارة من ٣٠,٠٠٠ الى ٤٠,٠٠٠ نحلة ولا بأْس ان زاد عددها لانَّ وفرة المحصول تزداد بوفرة الصَّنَعة وقد اثبت الاختبار ان خلية ذات ٤٠,٠٠٠ نحلة تُعسِّل اكثر من خليتين في كلّ منها ٢٠,٠٠٠ والأَولى ان تكون الخلية عامرة بعدد يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ و٥٠,٠٠٠ نسمة بحيث تقوم الحديثات العهد فتخلف كل يوم اللواتي تخور عن العمل لعجزها او تصاب بآفات تودي بأَعمارها. وبذلك تقوى ايضاً على توليد خشارم جديدة في وقت الربيع

*

دعنا الآن بعد هذا النظر الاجمالي نُنعم النظر في سكّان الخلايا لندرس خواصّها ونتبيَّن ميزاتها. ولا تظنَّن انَّ النحل كلها تتشابه. كلّا فانك لو استطلعت طِلعها في فصل الصيف لرأيت انها على نوعين مختلفين. وكذلك لو فحصت شهد العسل مع شمعهِ لوجدت نخاريبه التي تُلقى فيها ذراري النحل متفاوتة الحجم بعضها اكبر من البعض. فانّ بين النحل صنفاً اقوى بنيةً واصلب جسماً من الآخر لذويهِ عينان كبيرتان تشغلان اعلى الراس ومقدَّمتهُ. فتلك الذكور وسيأْتي الكلام عنها فيا بعد. والصنف الآخر ادقّ جسماً واخفّ حركةً ولعلهُ يتبادر الى ذهنك انَّ تلك الاناث كلّا بل تلك العاملات لأنَّهُ ليس في الخلية الّا انثى واحدة تخلف نسلًا وهي التي يدعوها علماء الطبيعة من الاوربيين « ملكة النحل » امّا العرب فيسمونها الملك او اليعسوب. واذا شئت ان ترى هذه الملكة فألقِ بنظرك الى ناحية الخلية حيث تزدحم النحل فهناك هي الّا انك لا تستطيع ان تنظرها الّا عرضاً لأنَّها لا تحبُّ ان تُحدق بها الابصار فتستتر في وسط النحل كأَنَّها حرمة تختفي عن اعين الغرباء ولها ما عدا ذلك

في بقيَّة النحلَ حرس يصونها ويحجبها كأَنهُ يرى في حياتها سلامتهُ . وتلك غريزة وهبها الله هذه الحشرات لصون كيانها

هلمَّ بنا الآن نتكلم بالتفصيل عن اصناف النحل الثلاثة اي النحلة العاملة ثم الذكر ثم الملكة لندرك شيئاً من طبائع هذه الانواع الثلاثة واخلاقها وعاداتها

١ النحلة العاملة

هي النحلة التي يتألف منها العـدد الاعظم من سكَّان القفير وهي التي تقوم بكل الاشغال ما عـدا نتاج البيض . فاذا نظرتَ الى خارج الكوارة رأيت ثلاث او اربع نحلات كأنهنَّ يتجاذبن وينثرنَ القوائم والاجنحة بعضهنَّ لبعض امَّا اصغرهنَّ واخفهن فالتي في الوسط فهذه نحلة قد خرجت حديثاً من نخروبها فعاينت النور لاول مرَّة من حياتها وتلك النحلات الثلاث قد رافقْنها الى امام القفير ليجلونها ويزيِّنَّها كاختهنَّ الصغيرة . انظر كيف انهنَّ ينشِّفنَ جناحها طولًا وعرضاً ويمسحنَ كل جسمها وقوائمها ودوائر عينيها وفمها حتى لا يبقى مكان الَّا يصيبهُ شيء من اعتناء الشقيقات الكبيرات فاذا استقامت الجوانح واصبحت متينة حسنة الصقـل طارت النحلة الجديدة من وقتها في الفضاء لاوَّل مرَّة لتطلب لها قطرة ماء حلوة تصنع منهـا عسلًا وهكذا تزداد النحلات عددًا وتوَّازرها في الشغل عاملة جديدة

وقد توالت على هذه النحلة قبل ان تتجنَّح وتطير اطوار شتى من الوجدان فكانت اوَّلًا بيضة صغيرة لا تكاد العين تبصرهـا ثم اصبحت دودة واخذت في النمو حتى انقلبت الى شرنقة ثم خرجت من الشرنقة نحلة كاملة ذات جوانح جميلة : وهكذا تتَّلد كلّ الهوام مهما تنوَّعت وتكاثرت ففراشة النهار الزاهية الالوان التي تطير من زهرة الى زهرة وفراشة الليـل التي تحوم حول سراجك في المساء وكل الحشرات المتنوعة الالوان والهيئـة التي توجد في الحقول او على الاشجار كما الذباب الذي يقلق راحتك في بيتك كلّ هذه الهوامّ تخرج من بيضة صغيرة تنسلها الامّ

ولا بدَّ لتلك البيضة ان تُجعل في حرارة تناسبها فتخرج منها دودة تغتذي من الكلإ او من ورق بعض النبات او من مادَّة آليَّة او نباتيَّة فسدت بالانحلال فكل نوع على حسب طبيعتهِ وهكذا تنمو الدودة وترقى سلَّم الحيـاة الى ان تصبح

اخيرًا حشرة مجنَّحة او ذبابة او فراشة على حسب النوع . وهكذا ايضاً تلد النحلة . فان في عالم المادَّة لا تخلق الطبيعة شيئاً ولا تخرجهُ من العدم فكل حيوان او كل حشرة مهما صغر حجمها انَّما اصلها من جرثومة حيَّة اذ ليس حيّ الَّا من حيّ مثلهِ سبقهُ في الحياة الى ان تبلغ الحلقة الاولى من تلك السلسلة التي يضبطها الله الواجب الوجود

هذا ما اثبتهُ النابغة لويس باسطور بالاختبارات العديدة ومن ثمَّ سقط زعم الطبيعيين الذين دافعوا زمناً طويلًا عن مبدأ التولد الذاتي رجاء ان ينكروا وجود الخالق فاليوم لا يمكنهم الثبوت على ما يزعمون امام تحديدات العلم الحقيقي في هذا الصدد

ووالدة النحلة كما مرَّ انما هي الملكة فاذا باضت وضعت بيضةً غاية في النعومة في احد نخاريب الشمع التي قامت ببنائها النحلات العاملات . فهذه البيضة تنفقس بعد ثلاثة ايام ان وُجدت في حرارة لا تنقص عن الثلاثين درجةً فصاعدًا فتخرج منها دودة دقيقة بيضاء لا قوائم ولا اجنحة لها فيقوم بقوتها بعض النحلات فيسهرن على حياتها ويُظهرن لها خالص الانعطاف ويقدّمن لها الطعام مرات عديدة في النهار ويكون هذا الطعام غاية في الجودة وهو عبارة عن مجموع زُئبر الزهور يُداف بقليل من العسل والماء وهنَّ يتأنَّقنَ في هذا الطعام ويراعينَ في تركيبهِ نموّ الدودة . وبعد خمسة ايام تبلغ النحلة منتهى النموّ فتكفّ النحلات عن إعالتها ويسددنَ النخروب بغشاء نحيف من الشمع فتبقى الدودة مسجونةً وتمتنع عن الأكل ثم تنسج لها شرنقة من الحرير الخفيف ويصيب جسمها تغيير في بشرتهِ وبعد يومين تصبح في حالة الفيلجة لا تبدي حراكاً ففي هذه الحالة ينال جسمها هيئتهُ قليلًا فقليلًا وتتكوَّن اعضاء النحلة وقوائمها وجناحُها ورأسها وكل ما فيها ويشتدّ جسمها حتى يبلغ تمامهُ بعد عشرة ايام فحينئذٍ تخرق النحلة الشرنقة وتشقُّ غشاء النخروب وتُخرج رأسها وقوائمها ثم كلّ بدنها بجملتهِ وتخرج من سجنها حرَّةً فهكذا تولد النحلة

واذا ولدت النحلة ولدت للشغل والجدّ فلا تكاد رفيقاتها ان ينتهين من تنشيفها ومسحها حتى تسرع الى العمل في صالح المستعمرة العمومي وهكذا بمدَّة عشرين يوماً تصبح البيضة الصغيرة نحلةً عاملة وهذه النحلة اذ خلقت للعمل لا تنفك مشتغلة طول

حياتها وانمًا تستريح فقط في الأيام الماطرة والهواء البارد وعند ما يمتلئ القفير مؤونة وما عدا تلك الفترة لا تعهدها الّا في شغل شاغل صباحَ مساء

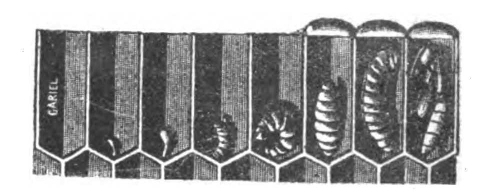
وليست كلّ عاملات النحل متشابهة فهلمّ نرقب مدخل القفير لنقف على ما يباشرنهُ من الاعمال المختلفة

انظر اوّلًا هذه النحلة الخارجة من الخليّة وفي اثرها نحلة ثانية لكنهما ما كادتا تخرجان من القفير حتى تراهما تعطفان ادراجهما الى داخلهِ فتغيبان هنيهة ثمّ تعودان الى باب الخلية كأَنهما تترصدان الداخلين. نعم هما حاجبتا الخلية القائمتان على حراسة بابها فالويل لغريب يتقرَّب منهُ سواء كان زنبورًا او نملة او ذبابة فتراهما المحال تحولان دون الداخل وتردّانهِ على اعقابه مخذولًا

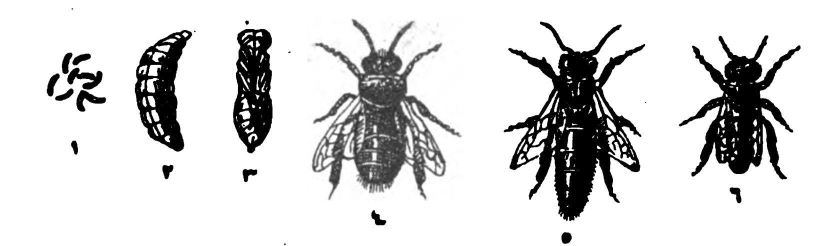
ولو تقدَّمتْ انت بنفسك ايُّها الراقب العزيز فبدَتْ منك حركة مشبوهة او حملهنَّ حضورك على الريبة من امرك لرأيتهما تحملان عليك حملة المدافع الغضبان ثم يتبعهما غيرهنَّ من النحل فتسمع حولك دويهنَّ كأَنهنَّ ينادين الى الحرب. فان كنت لا تودّ ان تشعر بإبرهنَّ المسمومة فانسحب عنهنَّ بهدوّ دون سرعة بل اضبط انفاسك لان التنفُّس يزيد هياجهنَّ

واذ عرفتَ النَّحلَ الحجَّاب انظر الآن الى غيرهنّ فترى منهنَّ كثيرًا في ذهاب واياب لا يكترثن لك البتة. فاذا خرجتْ منهنَّ نحلة تراها تخفُّ مسرعة حتى تبلغ الى مقدَّمة الخلية ثم تحلِّق في الفضاء فتطير كالسهم الى حيث تؤمل وجود رزقها من لقاح الزهور العسلي فان وجدتْهُ قريباً فبهِ والّا تجشَّمت اسفارًا بعيدة وربما بعدت عن الخلية الى مسافة ثلاثة واربعة كيلومترات الى ان تفوز بالمطلوب. ومن النحل ما يعود الى الخلية بحملهِ بعد شقّ النفس فتراهنَّ وقتئذٍ يلقين بنفسهنَّ على طعام الخلية بنهمة لما اصابهنَّ من العياء والتعب. وكم يتلف منهنَّ بآفة الدهر فهذه ترميها الريح في الماء وتلك يلتهمها الطير وغيرهــا يسطو عليها الزنابير فكلّ هؤلاء يذهبن ضحيَّة الصالح العمومي

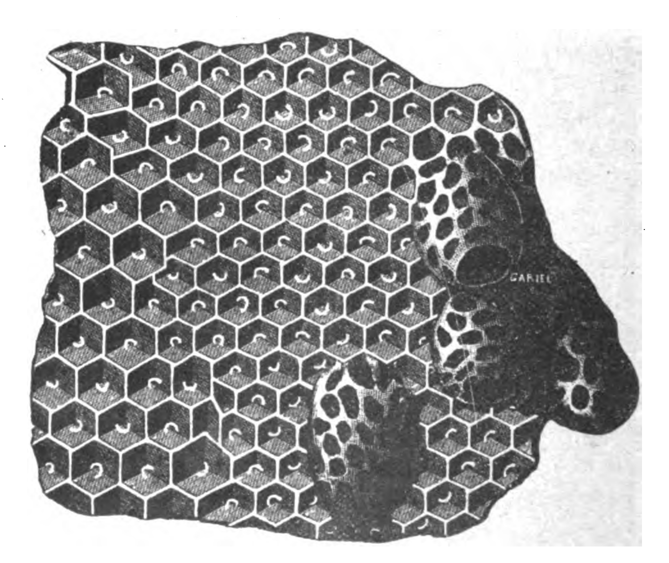
امَّا العائدات الى الخلية بعد جناهنَّ فيكنَّ على هيئات شتى فالبعض يخلن لك فارغات وليس الامر كما تظنّ فانَّهنَّ مصصنَ بخراطيمهنَّ قطرات من السيَّال السكَّري الــذي وَجدْنَهُ في كمّ الزهور فيحفظنهُ في حنجرتهنَّ كما في مستودع واذا عُدْنَ الى



الشكل الاوَّل النحلة في اطوار حياتها الاولى



الشكل الثاني صورة (١) بيضة النحل (٢) دودتها (٣) زيزها (٤) النحلة الذكر (٥) الامّ او الملكة (٦) العاملة او العسَّالة



الشكل الثالث شهد العسل وفيهِ نخاريب واسعة للنحل الذكر شمالاً ثم نخاريب اصغر للعاملات في الوسط اما اليمين ففيهِ نخاريب لليعسوب او الملكة ثلاثة منها مفتوحة

الخلية مجنحــة في النخاريب الفارغة التي يترك منها الشهد واصطنعتهُ نحل أُخرى في باطن الخليــة . ومنهنَّ مَنْ يُفرغ جناه فماً الى فم فتنتقلهُ الواحدة من الاخرى حتى يبلغ الى المستودع العمومي

حوِّل الآن نظرك الى نحلات اخرى يقبلن الى الخلية بعد قطع المسافات البعيدة فكل واحدة منهنَّ تأتي وقد عُلق بزئبر مخالبها شيءٌ من الأعلاق (grumeaux) المختلفة الالوان جنتها من لقــاح الزهور فتودعها في بعض بيوت الخلية المختصة بهِ حيث يدوفُها غيرُها من النحل فيصطنعنَ منها مأكلًا لطيفاً تتغذّى بها ديدان النحل قبل بلوغهنَّ . ولأن هذا لقاح الزهور يُشبه الغبار وهو ذو الوان شتى ترى النحلات بعد ان ولجنَ اكمام الزهور ليستخرجنهُ يرجعن مصطبغات بتلك الالوان من حمرة او صفرة او بياض على حسب اجناس الزهور التي تمرَّغنَ فيهــا ولا يبالين واذا بلغنَ الخليَّة وجدنَ من ينفضهنَّ وينظف جناحهنَّ

ومن النحل الساقيات فهنَّ يقصدن العيون القريبة فيمتصصنَ من مياهها اصفى قطراتها فيأتين بها الخلية فيرششنها على مجموع لقاح الزهور ليُداف بها العسل ويعجنَّ قوت الصغيرات

وليست كلَّ هوامِّ النحل الخارجات من الخلية يخرجن لجنى الزهور فيطرنَ الى الفضاء . كلّا بل يوجد بينهنَّ فئة لتهوية الخليــة وتبريد حرارتها في ايَّام القيظ . فانَّ هذه الفرقة العجيبة تقوم بازاء مدخل الخليــة وتغرز رأسها في الارض بلا حراك امَّا اجنحتها فتوجهها الى باب القفير فترفرف بها بسرعة غريبة بحيث يُسمع لهــا صوت خفيف فاذا فعلنَ ذلك صارت اجنحتهنَّ كمراوح تحرِّك الريح وتلطِّف من حرارتهِ فيدخل الهواء رطباً الى الخليَّة ويخفِّف وطأة الحرّ . واذا تعبنَ بعد مدَّة تسارعت غيرهنَّ فتناوبن بالعمل . ياليت شعري من لا يرى في عمل هذه الحشرات الصغار يد الله الذي طبع فيهنَّ تلك الغريزة ليسعين الى كل ما يفيد الخير العام فيتفانينَ في سبيل الجمهور

انظر الآن الى نحلات اخرى هــا هنَّ يخرجنَ وفي افواههنَّ قطعة من الغشاء الشمعي المستدير الذي كنَّ ختمنَ بهِ نخاريب المولودات في صومهنَّ فلمَّا شقَّتها النحلة الصغيرة اصبح ذلك الغشاء نافلًا لا نفع لهُ فتنزعهُ العاملات ويلقينهُ خارج الخلية

وكذلك اذا ماتت نحلةٌ فلا تدع اخواتها جثتها في الخلية فتفسد ريحها بل يُخرجنها

الى المزبلة وكذا يصنعنَ بديدان النحل اذا وجدنهنَّ سقيمات ضئيلات البنية لانهنَّ لا يدعْنَ بينهنَّ الّا كل عاملة تقوى على الشغل وتساعد جماعة النحل

والنحل في ذلك يجري على مقتضى غريزتهِ لا يرعى سنَّة المحبة نحو الضعفاء والمسقومين اذ لا عقل لهُ . وكم جرى على وتيرتهِ بعض همج الشعوب ذوي العقول الذين كانوا يقتلون اولادهم اذا وجدوهم مشوَّهين سقماء فيلقونهم في الازقَّة وعلى المزابل خلافاً لشواعر الانسانية وليس لهم عذر الحيوانات غير العاقلة

واذا ماتت في الخليَّة نحلةٌ امَّا عجزًا وامَّا لداء عرض لها فهناك عاملاتٌ يحملنَ الميّتة الى الخارج فيبقى القفير ومعمل الشغل في نظافته . وهذا هو فعلهنَّ بكل جسم غريب يلج الخليَّة من اقذار وبقايا اقراص شمع وعُصافة ادخلها الريح الى باطن المأوى فانَّ الموكولات بتنظيف الخليَّة لا يُبقينَ من كل ذلك شيئاً ولا يذرْن

وكما يعتني بعض النحل بكناسة الدار يهتمُّ غيرهنّ بترميمهِ وهندامهِ . دعنا ندخل قليلًا الى باطن الخليَّة لنعاين شيئاً من هندستهنَّ . فترى منهنَّ من وُكلت اليهنَّ نظارة البيت وتحصينهُ فاذا رأينَ في بعض جوانبهِ شقًّا ينفذ منهُ شعاع الشمس او ريح باردة او لمحنَ ثقباً يفتح باباً لهامَّة غريبة او عدوّ اسرعنَ للحال في سدّها . ويستحضرن لذلك نوعاً من العلك او السائل اللزج (propolis) يسدّ تلك النوافذ سدًّا محكماً . وان وقع في الخليَّة شيء من الحشرات او النفايات اخرجْنها بلا بُطء وان عجزنَ عن ذلك طمرْنها في احدى زوايا الخليَّة وسجَّينها بالسائل المذكور كما يودع الميت في قبر مكلس بحيث لا يؤذي فسادهُ الخليَّة

واذا قرب وقت الشتاء بادرت اولئك المهندسات الى باب الخليَّة لتضييقهِ لئلَّا ينفذ البرد الى سكان الدار فيوصدن الباب بالعلك السابق ذكرهُ ولا يدعن سوى ثقبين صغيرين لمرور النحل وعلى هذه المنوال لا تفقد الخليَّة حرارتها الباطنة اذا قرس البردُ في الخارج

انظر الآن اقراص الشمع التي لم ينجز بعد هنداُمها فترى على اطرافها عددًا عديدًا من النحل تراكم بعضهنَّ على بعض كبناء مرصوص وهنَّ لا يبدينَ حراكاً . فان سألت وماذا يصنع هؤلاء ما بالهنَّ جاثمات فارغات لا يقمنَ بعمل ؟ ساء ظنك يا صاح فانَّ الكسل غير معروف في عشيرة النحل وانَّما هؤلاء قد اغتذين بالعسل

واكلن منهُ الى الشبع وها هنَّ يهضمن ما اكلنَ. وليس ذلك شراهةً او لمجرَّد اللذَّة لكن ليصطنعنَ منهُ شمعاً . وهذا الشمع يتكوَّن على ابدانهنَّ كما يرشح من جسمنا العرق وهو يخرج من النحلة على شبه صفائح دقيقة من تحت الحلقات التي يتألَّف منها قسم جسدها الاسفل . واذا استحضرنَ ذلك الشمع وحان الوقت للعمل تقدَّمن الى طرف القرص ونفضنَ شمعهنَّ فيتناولهُ فمهنَّ ويَلُكنهُ ثم يعجنَّهُ ويعركنهُ بمخالبهنَّ ويبتنين دون مطمار ولا مقياس تلك النخاريب العجيبة الصنع المسدَّسة الاشكال التي يُعدِدْنها لمولد الذراريّ ولمخازن العسل. فهذا عمل الشمَّاعات والمهندسات

وبينهنَّ الأظآر يعطفنَ على المواليد كالأُمّ على ابنها فتراهنَّ يستخرجنَ شيئاً من العسل يَدُفْنهُ بلقاح الزهور وبماء المستقيات فيركّبنَ المعجون الموافق للصغار كما مرّ

ومنهنَّ العاسلات الموكول اليهنَّ صُنع العسل. فانهنَّ يعمدنَ الى النخاريب التي جعلت فيها العاملات تلك السوائلَ السكَّريَّة المجنيَّة على الزهور فينقلنها الى نخاريب اخرى أودعنَ فيها شيئاً من العسل ثمَّ يخلُطنها بهِ ويعركنها عركاً طويلاً حتى تمتزج اجزاؤهُ امتزاجاً تامَّاً ثمَّ يدَعْنهُ الى ان يتبخَّر ما فيهِ من الماء الزائد واذا امتلأ النخروب من العسل المذيّ الصرف بسطنَ عليهِ غشاء يختمنهُ بهِ كما تفعل ربَّة البيت اذا ملأت اناء من المربَّيات فانها تلفُّهُ بلفافة نظيفة لصيانتهِ من كل وسخ او تجعل على فمهِ ورقاً مزيَّتاً فتشدُّهُ بالخيط

وبين النحل العاملات فئةٌ اخرى ارفع رتبةً اجَّلنا الكلام عنها عمداً. نريد بها تابعات الملكة وحاشيتها اللواتي يَقُمنَ بخدمتها. وهي لعمري مهنة شريفة لكنها ليست خالية من العمل. فمن شأن هذه النحلات ان يُحدقنَ بالملكة ليلاً مع نهار ليسعينَ في سلامتها وتعيش في حرارة معتدلة متساوية توافق نتاج البيض. والملكة لا همَّ لها الَّا تأهيل المسكن بالنسل والذراري وهي لا تستطيع ان تقوم بمعاشها ولو تُركت مدَّةً وحدها لماتت جوعاً. وعليهِ يجب على حاشيتها ان يقدّمن لها حاجتها من المآكل والمشرب

ثم ان الملكة ليست كبقيَّة النحل اللواتي يخرجنَ من الخليَّة ما شئنَ ويستنشقنَ

الهواء من حين الى حين ويلقين برازهنّ واقذارهنّ فانها اي الملكة على خلاف ذلك رابضةٌ ابدًا في مكانها فحاشيتها هي التي تقوم بكل لوازمها حتى ادناها شأنًا . واذا قضت في مقامها حاجتها اسرعت تابعاتها الى نقل الاقذار الملكية الى الخارج ولا يأنفنَ من ذلك اذ ليس شي من العار في خدمة الملوك فيبقى هكذا المنزل الملكي نظيفًا طاهرًا كما يليق ببلاط الاشراف والعظماء

وفي هذه المملكة النحليَّة الصغيرة اذا استثنينا الملكة وجدنا مساواة تامَّة فليس لكلّ نحلة مهنةٌ تلزمُها طولَ حياتها ولا تتعدَّاها الى غيرها في داخل الخليَّة وخارجها . كلّا لكنَّ النحل كلهُ على سواء يمكنهُ ان يقوم بايّ عمل كان وليس هناك امرٌ من رئيس الى مرؤوس كما هو جار بين البشر الذين اعطاهم الله العقل للتدبير وانَّما هي غريزة طبيعيَّة فُطرت عليها تلك الحشرات فترى النحل مدفوعاتٍ الى اشغالها من جرَّاء قوَّة طبعها الله فيها لبقاء جنسها ثم لخدمة الانسان

نعم ان النحلة لمدفوعة من غريزتها الطبيعيَّة الى عملها العجيب دون ان تفقه لهُ معنًى او تدرك لهُ غايةً حتى ان احد فلاسفة الفرنج دعاها بادوات حيَّة يحرّكها الوجدان كآلة ميكانيكيَّة الى ابراز اعمال مذهلة ترثها من الطبيعة دون تعليم وتأتيها دون تروّ . فلا فضل لها في اتّباع غريزتها وانَّما الفضل هو لله خالقها الذي طبع فيها تلك الاخلاق لخدمة البشر . فيجب على الانسان ان يحمد الله في هذا الحيوان الصغير كما ينبغي عليهِ شكرهُ تعالى في خلائقهِ كلها . وكأنَّهُ عزَّ وجلَّ وضع في الحيوان غير العاقل تلك الخواصّ لينبّه الانسان الى الاحتذاء بها كما فعل سليمان الحكيم لمَّا ارشد الكسلان الى النملة حيث قال (امثال ٦ : ٦) : « اذهب الى النملة أيُّها الكسلان انظر طُرقها وكن حكيماً انَّها ليس لها قائد ولا مدبّر ولا حاكم وتُعدّ في الصيف طعامها وتوعي في الحصاد اكلها »

فكم من سجيَّة طيبة يستطيع الانسان ان يقتفي بها اذا عاين النحلة فيتعلَّم منها الشغل المتواصل والهمَّة التي لا تعرف الملل وبذل النفس للخير العام وايثار الموت على ضرر يلحق بالجماعة

ألا انظر مثلًا هذه الهامَّة الصغيرة بازاء عدوّها فان تقرَّب الى الخليَّة وشعرت بسوء نيتهِ وثبتْ اليهِ ودقَّت نفير القتال وطارت حولهُ وهي تزجر وتُسمع الخصم

طنين الغضب وغمغمة الوعيد. فان ابتعد العدوّ رافقتهُ الى حيث تكون في مأمن من اذاه وتعود الى كوارتها والّا فتدعو الى الحرب رصيفاتها فترى النحلة ثم النحلتين ثم عشراً وعشرين ومئة يقتحمنَ ميدان الوغى ويتهدَّدن بجماتهنَّ المعادي وان تجاسر ذاك الشقي ومدَّ يدهُ الى الخليَّة وليس عليهِ ما يقي بهِ عُري وجههِ ويديهِ من لسع النحل فالويل لهُ كلّ الويل فانَّ إبرَ تلك الهوامّ تنغرز في كل لحمانهِ فتذيقهُ من الآلام المبرّحة ما يعدُّهُ كالموت الاحمر. وهذه الابرة لا يمكن النحلة ان تشكّها في لحم عدوّها الّا وتفقد معها حلقةً من بدنها فلا تلبث ان تموت وعليهِ يكون موتها موت البطل الذي يضحّي بنفسهِ لصالح العموم

فليخجل بعد ذلك الانسان الذي لا يفكّر الّا في نفعهِ الخاصّ ويذهل عن خدمة وطنهِ واهلهِ وعائلتهِ. فانَّ النحلة بشهامتها تسِمهُ بسمة العار والخزي لأنانيَّتهِ وتفضيل ذاتهِ على الخير العام

وكم من فضيلة أُخرى يمكن العاقل ان يرى صورتها في النحلة فيرشد نفسهُ بها كرفقها بصغارها وكرامتها لملكتها وثباتها في العمل الى آخر رَمَق من حياتها وحيادها عن كل اعتصاب وعصيان في خدمة صاحبها اذ تعود الى التعسيل كلما يُسلب منها عسلها دون ان تحقد عليهِ وتبتعد عن خدمتهِ فعلى العاقل ان يفقه كل ذلك ويتَّخذهُ عبرة لسلوكهِ

ومَّما يمكنهُ ان يستفيدهُ على خلاف ذلك من نظر النحل الفرق العظيم بين الحيوان الاعجم والانسان فان النحل منذ وُجد على الارض الى يومنا هذا لا يزال على طبعهِ الذي جُبل عليهِ دون ان يحيد عنهُ الى نقص او كمال فلو كان عاقلًا لوجد طرائق جديدة لتحسين عملهِ واختيار مكانهِ وتوفير رزقهِ وصيانة مالهِ من عدوّ ومحاولة الهجرة من مقام الانسان الى القفار وغير ذلك ممَّا لم ينتبه اليهِ النحل البتة ويثبت بهِ انهُ حيوان اعجم مدفوع من غيره لا خيرة لهُ ولا ارادة ولا فهم يبقى ابد الدهر في الدائرة التي وضعهُ الله فيها لا يتجاوزها ابدًا

وما نقولهُ عن النحلة يصحُّ قولهُ في كلّ حيوان فانَّ الله منحهُ غريزةً يجري عليها لحفظ حياتهِ ونوعهِ وهو في اتّباعها احذق من الانسان الّا انهُ لا يتخطّاها مطلقاً فترى الطيور اليوم تبني اعشاشها البديعة الصنع كما كانت تبنيها قبل الوف من السنين والعنكبوت يصطنع نسيجهُ كما رواه لنا اقدم المؤرخين والنملة تعمّر بيتها

كما وصفهُ سليمان قبل ٣٠٠٠ سنة وقس عليها بقيَّـة الحيوانات التي لم تبلغ ذرَّة من الكمال مع توالي الدهور بينما الانسان لا يزال في ترقٍ دائم يكتشف كل يوم وسائل جديدة لمعاشهِ ولسكناه ولخدمة اهلهِ ومدينتهِ ووطنهِ. فناهيك بذلك برهاناً قاطعاً على بطلان المذهب الدرويني في ترقي الانواع فضلاً عن الاجناس من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان فليس لدروين لتأييد قولهِ سوى الظنّ والتخمين بينما تقوم لتفنيدهِ كل الشواهد التاريخيَّة والاختبارات المتواصلة والادلَّة العقليَّـة فتثبت بقاء الاجناس والانواع في الطبيعة دون ان تتغير فترقى من درجة سافلة الى درجة اعلى وتؤيد كما زعم قول سفر التكوين انهُ تعالى خلق النبات والحيوان مباشرةً على حسب اصنافهما كما خلق رأساً ابوينا الاولين (لهُ بقيَّة)

لا حول ولا...

من نظم حضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة
اهدانا اياها بعد اعادة النظر فيها وتحسينها

ساقت رياحُ سياسةٍ خرقاءَ	نحو البلاد سحاباً دكناءَ
فاربدَّ أُفق الشرق منها واكتسى	من كل دُهم المعضلات رداءَ
وقد اكفهرَّ مقطِّباً ومعبِّساً	«فالأُفق تُفقِدهُ الغيومُ صفاءَ»
فأهاب فينا هاتفٌ: حتَّى متى	انتم نيام والخطوب إزاءَ؟
فتراكمت في جوِّكم وتكاثفت	سُحبٌ سحبنَ على البلاد بلاءَ
حتَّى مَ انتم في عميق سُباتكم	حتَّى مَ يهوى جفنكم اغفاءَ؟
فازال من اجفانهم سِنةَ الكرى	قصفٌ يكاد يُدكدكُ الغبراءَ
وخفا من الفولاذ لمعُ بوارق	دلعت لساناً يلهمُ الظلماءَ
فارتجَّ متن الشرق من خَطب طغى	والغربُ هبَّ يردّد الاصداءَ
فهفا غطارفةٌ واهل حفيظةٍ	وحميَّة كي يكشفوا الغمَّاءَ
وعلا ذوو الرأي الاصيل منابرًا	ليوطّدوا بين القلوب ولاءَ
انَّ التعاضد والتضامن مَعقِلٌ	يزري بكل إغارة شعواءَ

فقوى البلاد تكاتفٌ وتآلفٌ ان الوئام ينهنهُ الضرَّاء
وطنُ الفتى جسمٌ فان عضوٌ شكا داء شكت اعضاؤه ذا الداء
فبواحدٍ كلٌّ وكلٌّ واحدٌ لا تجهلوهُ بربكم اجزاء
فاقلُّ تحزيب يُلمُّ بأمَّةٍ يُلقي شِقاقًا بينها فشقاء
نجتاز في عقَبات سود مشاكلٍ تذرُ الرضيع بلمَّةٍ بيضاء
بتنا لفادحة الخطوب مَرامياً فحيالَنا وحذاءنا ووراء
من ذا يرى سبلًا تُطحطح خَصمنا الَّا اتحادًا صادقًا واخاء
ولئن تقاعس مَن خطَبنا ودَّهم عن نصرنا لم نَعدم النُصراء
فكفى نصيرًا ان نرى من قومنا عِظَم النفوس وهمَّة شمَّاء
يتساجلون بكل فعل حميدةٍ متنافسين شهامةً ومضاء
هذا يراعتهُ كعضبٍ صارمٍ تفري اديم مصاعب دَجْناء
هذا تبجّس من غمام يمينهِ ودقُ المكارم يُمطرُ الصَّفراء
هذا تألَّق من كواكب رأيهِ شُهبٌ تُزيح عن الخطوب غِشاء
هذا يُهيب محرِّضاً : أن أخلدوا لسكينةٍ وتجنَّبوا الشحناء
هذا يجوب عواصماً غربيَّةً كي يستميلَ لنصرنا الآراء
هذا يخوض غِمار نقعِ معاركٍ بفؤاد اروعَ يعشقُ الهيجاء
وأُلوف آلافٍ من الاسد الأُلى جعلوا النفوس عن البلاد فِداء
خفُّوا زَرافاتٍ ووحداناً الى قطرٍ بهِ قطرَ العجاجُ دماء
أحلاسُ جُردٍ بل قساورُ قد علَتْ مَتن السعالي لا تهابُ لقاء
شقُّوا دياجر قسطلٍ بأغرَّةٍ تكسو المآزق حلَّةً حمراء
لم ينتضوا بيض الصوارم في الوغى الَّا وكان غمودُها الاحشاء
ثَملوا باصوات المدافع اذ دوتْ فكأنَّ في بارودها صهباء
ويهزُّ عطفيهم انينُ قنابل طرَباً فتصطفقُ السيوفُ هناء
نصبوا كلاكلَهم لوبل بنادقٍ هدفاً لكيما يُظهر الإزراء
حملوا على الآطام حملة ضيغمٍ والموتُ يرسلُ نظرةً شوصاء
من كل مجدول السواعد أشوس يُلفي الوشيج حديقةً غنَّاء

ثبتُ الجنانِ حياتهُ في كفهِ ماضي العزيمة يجهل الاعياء
آلى على النفس الابيَّة مُقسماً إمَّا دفاعاً او رَدًى وفناء
أيخوض لجَّات الحِمام كُماتُنا وتظلُّ سُحب نِزاعنا وَطْفاء ؟
فبأيِّ شَرْع ام بأيَّة سُنَّةٍ نُبدي النفور لبعضنا وجَفاء
او ما كفانا خَصْمُنا وعُداتُنا حتى نكون لذاتنا أعداء
تَخِذَ العدوُّ لكيدنا سُبلًا لهُ رُحبَ الفلا والجوِّ والدَأماء
تقضي علينا حالُنا في خطَّةٍ منها ننالُ من العموم رِضاء
أنباؤنا موضوعُ صُحف اوربَّةٍ وبنا الحديث الصُبحَ والإمساء
نحن الأُلى نُملي على كتَّابها بفعالنا ... فلتُحسن الإنشاء
فالغربُ في نشَزٍ يُتابع خطونا يرنو لنا من أعينٍ خَزْراء
هَفَواتنا كالقَالدِ فتحت لهُ بابَ الولوج — وذا الذي قد شاء
فلكلِّ مُشكلة تجيء بها غدتْ بفؤاد شرقٍ طعنةً نَجلاء
اللهَ اللهَ اتّقوا يا قومنا ودَعوا الخلاف وفتنةً ومِراء
يا ناظرين ولا ترونَ تبصَّروا افلا ترون سماءنا قَتْماء ؟
ان البلاد لَفي حَراجة ازمةٍ تجتاز كلَّ مصاعب كأداء
انكون أضغاثاً على ابالةٍ ونرى لنا وطناً بعبْءٍ ناء ؟
او ما كفى الوطنَ العزيزَ نوائبٌ حتى نزيد الطينَ فيهِ ماء ؟
ما بالُنا نُلفي فريقاً ناشراً لتفرُّق .بل للخصام لِواء ؟
ما بالُ ذاك يمسُّ ذا في دينهِ ويسومُهُ خسفاً خنًى وبغاء ؟
كفُّوا كفاكم يا تِجارَ وُرَيقةٍ هي في البلاد كحيَّة رقطاء
فالدينُ ارفع من بذاءة اخطلٍ وَغدٍ اتى بمقالةٍ حمقاء
دينُ الاله الحقِّ دينُ تسالمٍ ومحبَّةٍ لا تعرف البَغضاء
ما شأنُ دينٍ في الحروب يا تُرى وهو المردِّد بالسلام نِداء
فالحرب حربُ سياسةٍ لا مذهبٍ فإلى متى نستضحكُ العُقَلاء ؟
أفلم تُضحِّ فرنسةٌ برجالها لتذبَّ عن شرف الهِلال عداء ؟
ولِمَ الصليب الى الصليب قد انبرى بسبستبول — فترتجي الإفتاء ؟

*

ولقد رأينا أو كعَين تَباريا بسَفالةٍ وسفاهةٍ شنعاء
راما إهانةَ سيّد الاحبار في ما خرفشاهُ خسّـةً ورِثاء
« اسرار رومة والمسيح برومةٍ » قالا : نميط عن الخفيّ غِطاء
زعما بانَّ الافكَ اقربُ مورد يجدان فيهِ للغليل شفاء
او يُلفيان الى المعيشة منهلًا منهُ يصيب المُفسدان ثراء
وجدا « على ما يزعمان » زؤانةً في هَريِ أحبار سَمَوا إحصاء
تركا لآلئَ حنطة وتسرّعا لزؤانة كدجاجة عمياء
انّا لَأَرفعُ منزلًا من ان نُنا زل جاهلًا ثرثارةً فأفاء (١
ما ضرَّ شمساً هجوُ عميان ولا راعَ الغضنفرَ صوتُ هرٍّ ماء
لكن يعزُّ على المروءة أن ترى من سلطة مدنيَّة اغضاء

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عُني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي

توطئة

في مكتبة المتحف البريطاني (٢ مجلد بقطع ربع عدد صفحاتهِ ٢٠٩ يضمُّ بين دفّتيهِ كتابين مخطوطين الاوَّل عنوانهُ « كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ حلب » وهو عبارة عن نبذ منتخبة من كتاب نزهـة النواظر في روض المناظر لقاضي القضاة محبّ الدين شيخ الاسلام ابي الفضل محمد بن الشحنة الحلبي . وهو الكتاب الذي تولّى نشرهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٩ صاحب الهمَّة الاديب يوسف افندي اليان سركيس

---

١) قال لي بعضهم ان مترجم قصيدة المسيح في الفاتيكان قد تستر وراء هذين الحرفين ف . ف فقلت : اجل انما هو فأفاء حذف الموصوفَ وابقى الصفة وفأفاء اي عييٌّ بل اعجم طمطم لا يَفهَم ولا يُفهِم

٢) (Rieu: *Catalogus Manuscriptorum Arabicorum Musei Britannici* DCCCCXLIV, p. 433)

امَّا الثاني وهو يبتدئ من الصفحة ١٤١ فعنوانهُ: تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل. فما اجلتُ في مباحثهِ اللحظ حتى تبين لي من اهميتهِ وفوائدهِ ما هيَّج عندي رغبة شديدة في نشرهِ. وممَّا زاد في رغبتي ان هذا المؤلف لم يطلع عليهِ الَّا القليلون ونسخهُ الخطيَّة نادرة جدًّا بل ربما كانت نسخة المتحف البريطاني هي الوحيدة ولم اقف منها على نسخة سواها. ولا يخفى ان الآثار والمؤلفات التاريخيَّة في الحوادث التي اخبر عنها المؤلف اي التي جرت في النصف الاخير من القرن الثامن عشر وفي النصف الاوَّل من التاسع عشر هي اقلّ من ان تروي غلَّة لمن يبحث عما يستحق في تلك المدَّة ان يستلفت الخاطر ويستوقف الفكرة. فرأيت من الواجب الادبي حفظ هذا الاثر ولا ريب عندي في ان القرَّاء يجدون في مطالعتهِ لذَّة وفائدة. وهو يتناول كثيرًا من الوقائع التي حدثت في دمشق حاضرة سوريا وفي سواحل لبنان وانحاء الجبل في عهد احمد الجزَّار صاحب عكا والامير بشير الشهابي الكبير وما جرى حينئذٍ من حملة نابوليون على عكا ودخول المصريين في الشام الى غير ذلك من الحوادث الخطيرة التي يحبُّ القرَّاء ان يسمعوها من فم كاتب شاهد عياني. واخطر منها الاحداث الدينيَّة التي وقعت في تلك الحقبة وسها عنها مؤرخو ذلك الوقت.

وكنَّا وددنا ان نزيد القرَّاء علمًا بالمؤلف لكنَّ اسمهُ ميخائيل الدمشقي مبهمٌ يوافق كثيرين مثلهُ. ولعلَّ احدًا من اهل دمشق او من ادبائها يمكنهُ ان يزيدنا افادةً من هذا القبيل ويلوح من كلامهِ انهُ كان من الروم الكاثوليك الملكيين

واظنّ استنادًا الى بعض احرف من كتابة ذهب معظمها ان الكتاب كان أُرسل من هذه البلاد الى وزارة خارجية انكلترة وهي اهدتهُ بعدئذٍ الى المتحف البريطاني

امَّا لغة الكتاب فهي اقرب الى لغة العامَّة في دمشق منها الى اللغة الصحيحة وفيها من الركاكة ما فيها وقد عوَّلت على ابقائها كما هي دون ان أُجيل فيها قلم الاصلاح محافظةً على الاصل الَّا بعض الاغلاط اللغويَّة الظاهرة. فاذا اصلحتُ او زدتُ شيئًا لمنع الابهام او لتقريب المعاني من الأفهام جعلتهُ بين هلالين او في حاشية الاوجه

امَّا نسخة الكتاب الموجودة في المتحف البريطاني فهي ترتقي الى عهد المؤلف وقد جاء عنها في آخر الكتاب: « وكان نساخة كتابنا عن خطّ مؤلفهِ في شهر تشرين اول سنة ١٨٤٣ مسيحيَّة موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية »

(140r) بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل

من تأليف الحقير مخائيل الدمشقي. وكل ما حررناه فهو صحيح ليس بهِ نظم ولا

تجميل . والقصد بذلك لاجل المطالعة لاصحاب الدراية حيث غابي عن اغلب الناس بما صار لعدم وجود مؤرخين ان كان بالشام او بالجبل . وجعلنا ذلك ثلاثة ابواب لكل باب معنًى ما يخصّهُ وهو من ابتداء سنة الف ومائة وسبع وتسعين ونهايته في سنة الف ومائتين وسبع وخمسين هجرية (١)

وقد تقابلت هذه النسخة على نسخة صحيحة بغاية الضبط والتدقيق عدا بعض عبارات شرحها طويل مختصرة في النسخة المنقول عنها هذه والمقصود معرفة اصول الحوادث بحكم السنين والأيام ويسهل للمطالع ويستغني عن الفحص والسوءال

فهرس الكتاب

الباب الاول

الباب الثاني

الباب الثالث

(141v) الباب الاول

علم بيان الوزراء الذين تولوا بالشام من بعد محمد باشا العظم وعن الوقايع والحوادث بزمان توليهم بالاختصار

انهُ بعد وفاة ﴿ محمد باشا العظم ﴾ في سنة الف ومائة وسبع وتسعين وكان منتهياً بالعمر وكان وزيرًا عادلًا مهاباً واستقام سنين كثيرة بالشام فبعد وفاتهِ تولى الشام من طرف الدولة محمد بن عثمان باشا

---

١) كان بدء سنة ١١٩٧ للهجرة في يوم السبت ٧ ك ١ سنة ١٧٨٢ للمسيح وبدء سنة ١٢٥٧ الهجرية في يوم الثلاثاء ٢٣ شباط سنة ١٨٤١

﴿ محمد باشا ﴾ فحضر للشام بالسنة المذكورة وكان ظالماً قاسياً فاستقام تسعة وعشرين يوماً ومات وقيل انهُ كان مبتلى بداء السل وبعد وفاتهِ تولّى اخوهُ درويش ابن عثمان باشا

﴿ تولّي درويش باشا ﴾ استقام سنةً وعُزل وجاء المنصب الى محمد بطال باشا في سنة الف ومائة وتسع وتسعين (١٧٨٤—١٧٨٥)

﴿ تولّي محمد بطال باشا ﴾ وكان حدثاً جاهلاً ليس هو خبيراً بمقاطعات الاحكام. استقام سنة وعزل. ومن الحوادث في ايَّامهِ انهُ قُتل خوري روم في صيدنايا اصلهُ من الشام وما انعرف من قتلهُ. وروم صيدنايا تهموا الكاثوليك انهم هم قتلوهُ وسمع لهم الحاكم واحضر الثلاثة خوارنة القرية مع احد مشايخ الكاثوليك ووضعوهم تحت العذاب المتنوّع الاشكال والشيخ مات تحت العذاب وكل يوم يخرجون الخوارنة من السجن ويضربونهم بقساوة ويرجعونهم للسجن. ومضى لذلك ايَّام والطائفة بالشام ما رضوا يقارشون هذه المادَّة (١ مطلقاً وبطرك الروم دانيال كان يريد انفكاك هؤلاء الخوارنة بخسارة وافرة يدفعونها للطائفة بالشام حيث انهُ دائماً هذا البطرك وجماعتهُ يرغبون ضرر (142) الكاثوليك ويسعون بذلك بطرائق متنوعة ويوسوسون الى الحواشي (٢ ويؤملونهم انهُ سيصير نفع عظيم من هذه المادة ويحرضونهم على مداومة عذاب الخوارنة. وكل يوم يتوجه شمامسة البطرك ومن العامة ايضاً ليحضروا عذاب الخوارنة فيوماً اخرجوهم من السجن بقصد عذابهم وكان الكاخيه عمراغا مسقله جالساً على التخت والروم حواليهِ واقفون فرمى التفكجية (٣ احد الخوارنة على الارض بقساوةٍ على وجههِ فتألم كثيراً ودفق الدم من حلقهِ بغزارة. فلما نظر الكاخيه هذا الحال رقَّ قلبهُ والتفت الى الشمامسة والباقي وقال لهم: ايجوز في ديانتكم تعذيب هؤلاء الذين هم نصارى من جنسكم والى الآن ما كنتم تهجعون من السعي بعذابهم. فكان جوابهم انهُ: افندم هؤلاء ليس هم منَّا ولا نعرفهم وفي مذهبنا ان مالهم ودمهم حلال. فلما سمع الكاخيه غضب جدًّا

١) اي يتكلمون فيها ٢) اي متوظفي الحكومة
٣) او بالحري التفنكجيَّة يريد الجند واصلهُ من التفنكة اي البارودة التي يحملونها

وشتمهم ولعنهم على ان في مذهب الاسلام لا يستحلّون ذلك وقال لهم: انتم كفراء ملاعين ليس لكم دين (١ وبالحال رفع الضرب عن الخوارنة وتحقق عند ارباب الحكم رداوة الروم وافتراهم.

واقتضى ان الكاخيه طلب المتكلّم على الطائفة بالشام والزمهُ يصرف مادّة الخوارنة كيف كان. وبغير خدمة ما تنصرف. فانتهى الحال بستة الاف غرش ثم ان البطرك اظهر فرماناً شريفاً ان الكنائس تبعهُ هي اربعة: كنيسة المجامع ومار بطرس واندراوس وتوما (٢ وانكتب اعلام من الشرع ان ليس للكاثوليك حق بالكنائس المذكورة بل هي بتصريف البطرك وهكذا انتهى الحال وانطلقوا الخوارنة لمحلاتهم. وكانوا يصلون في بيوتهم وايام الاعياد يتوجه منهم ومن العامة الى قرية المعرّة يصلون بالكنيسة التي بقيت بحالها بيد الكاثوليك مع كنائس يبرود ومعلولا ما قدر البطرك يضبطهم (٣

---

١) لا تخلو امّة ولا طائفة من أُناس يأتون من الاعمال ما تستنكرهُ الانسانية ويجرُّ ذيل العار على فاعليه وليس من الانصاف ان يُنسب ذلك الى الطائفة او الامة برمّتها. وعليهِ لم نر من داعٍ لحذف شيء ممّا كتبهُ المؤلف وابقيناه على اصله

٢) هذه كنائس صيدنايا باقية الى اليوم وفي ايدي الروم الكاثوليك ثلاث منها

٣) هنا ورد بالمتن حاشية للمؤلف نثبتها بحرفها في ذيل الصفحة:

« (حاشية) ان ربّما من جماعة الروم يعترضون ويعتذرون انهم ابدًا (142ᵛ) ما تعرَّضوا على خوارنة صيدنايا انّما صدر ذلك من فلّاحين صيدنايا الروم الاردياء الذين اشاعوا واكّدوا ان الكاثوليك قتلوا الخوري وتجسّمت الامور عند البطرك واقتضى يجعل لهم هذا التأديب. ثم يقولون انهُ ابدًا ما قالت الشمامسة والطائفة الى الكاخيه انهُ حلال في مذهبهم دم ومال الكاثوليك. والحال ان النوع الاول صحيح واصل الرداوة من الفلاحين ولكن الملامة على البطرك وجماعته اعتمادهم كذا أعوان من غير برهان كافي. وايضاً ان فلاحين صيدنايا لا يمكن كلامهم يؤثر في الحاكم من دون مساعدة يد عالية ولا يسمع لهم ويخشون من عداوة مع الكاثوليك حيث في قرية واحدة واهلية. وثانياً الكاثوليك اكثر منهم. وثالثًا ان المادة مفسّرة بعضها: اولًا ان دير مار جرجس الذي قُتل بهِ الخوري منفرد عن القرية وعماره بين الصخور وبرية متسعة تصل الى اراضي بعلبك ولا يوجد قرية ولا عمار. ثانياً ان قاتلين الخوري يبان انهم غرباء لانهم كانوا يسحبون الخوري لكل الاماكن ثم للكنيسة لاجل يقرّ عن خزنته ويضربونهُ بالسكاكين وتُنظَر حيطان الكنيسة وغيرها ملطخة بالدم حتى اخيرًا اهتدوا على الدراهم التي خافيها خلف مائدة الهيكل في طابق ضمن الطاقة. فالصيادنة اغلبهم يعرفونها ويعرفون عمار

﴿ تولي احمد باشا جزار ﴾ فاستقام نحو سنة وفي غيابهِ بالحجّ راح عليهِ شكاوات للدولة من اهــل الشام وحضر امر بعزلهِ الى القاضي. وحينما قرب حضور الحج الى المزيريب توجَّه القاضي واعرض عليهِ الاوامر واستلم منــهُ المحمل وجاء بهِ للشام والباشا راح برّانيه من المزيريب الى عكا. قيل ان الباشا كان قاصدًا يحجز القمح من حوران وغيرها ويبيع من يدهِ وينشي غلاء وعمَّر بوايك (١ ومخازن لاجل الخزين. فاعرضوا بذلك للدولة فجاء الامر بعزلهِ وكان ذلك في سنة الف ومايتين (١٧٨٥م)

وهذا الباشا اصلهُ من بَشناق تعيَّن عند علي بك بمصر وحين قُتــل المذكور وتغيرت الاحكام خاف الباشا المذكور وهرب لبرّ الشام وكان دائرًا من مكان الى مكان وبوقتهِ تلاشى حكم عكا من (143v) ضاهر العمر. وكان بوقتهِ حاكمًا بالجبل الامير يوسف شهاب وكان ذا سطوة واقتدار وهيبة شاملة الجبل والسواحل. فالجزار المذكور اغلب اقامتهِ بالجبــل يتردَّد لدير القمر والامير يلومهُ كثيرًا كونهُ غريبًا وملتجئًا وكان نبيهًا وجسورًا. ففي اقامتهِ بالساحل والجبل اطَّلع على احوالهم

فبعد ايام توجه الى اسلامبول وتداخل مع الحكام وصادف توفيقًا وعملوه وزيرًا

الدير بالتدقيق ما هو مقتضي (ان) يقرّروا الخوري ويعذبوهُ. ثالثًا انهم نهبوا الدير تمامًا من نحاس وخلافه من عدا القون والصلبــان وقناديل البلور والقزاز وغير اشياء. فاذًا انَّ هذا الصنيع هو من اناس غرباء او متاولة. هذا بالتأكيد وما فيهِ شك لانَّ المتاولة دايمًا مداورين صيدنايا بنوع خصوصي وقاتلين منهم جملة اناس يصادفونهم بالبراري حتى انهم يحضرون احيانًا بالليــل يأكلون ويشربون ويعطونهم معاملة خوفًا من اذاهم فاذًا ان الروم (143r) افتروا ويعطون جواب لله تعالى. ثم النوع الثاني حلال وحرام فهذا ما هو مستبعــد عنهم نظرًا لبغضهم لطائفة الكاثوليك والذي يتكلم في غيابك يتكلم في وجهك وكان يوجد شماس شرير يرسلهُ البطرك للسرايا لاجل الوشايات والتبليغ الردي الذي يوجب المخاسر وغيرهــا . وقاست الطائفة اتعابًا شاقَّة من رداوة هذا الشماس حتى ربنا اماته بالطاعون وطلعت الضربة في لسانهوهــذا انفهم جيدًا عند الجميع ومات ودفنوه في مغارة المتوحدين. وبعد ايَّام مات اقنوم طور سينا فحين فتحوا المغارة المذكورة نظر الحفارون في تابوت الشماس افعى ممتدة على طول التابوت فخافوا منها وبعد حين اختفت وقبروا الاقنوم بعجلة كليَّة. وان قلت عن الشماس انتيموس الذي هو من الواشين في مادة الخوارنة وبعده رسموه مطران فهذا احواله مفهومة ما هي مخفية والذين احكوا ونقلوا عن كلامه مع الكاخيه فهم صادقون. واسلام شهدت بما سمعوه وهذا الذي صار وكل يتجازى بفعله » انتهى بحرفهِ

١) اي اهراء

على صيدا. وحضر لعكا واستقرّ بهـا وابتدأ يحصّنها واول معاطاة حكمهِ ضبط بيروت ورفع الحكم عنها من بيت شهاب. وانشأ لها صور (سورًا) وبوابات وانسرّت الاسلام بهذا الصنيع. وجميع املاك بيت شهاب ضبطها للميري لان قبلًا منذ سنين كانت بيروت مختصـة في بيت شهاب وحكامها الامير منصور والامير ملحم ابو الامير يوسف وماتوا في بيروت ودُفنوا بها. ولذلك اغلب الامـارة عمَّروا وكايل وبيوتاً وجنوا ارزاقاً داخل خارج وكانوا ساكنين بالمدينة اغلب ايامهم. فالجزّار منع ذلك عدا الرزق بقي لاصحابهِ. ويأتي الشرح عمَّا عملهُ الجزار بالسواحل والجبـل فيما بعد. ثم بعد عزل الجزار من ولاية الشام في السنة الذكورة جاء خبر بتولي ابرهيم دالى باش (١ واصلهُ كردي

﴿ تولي ابرهيم باشا ﴾ تولى في سنة الف ومايتين وواحد (١٧٨٦م) فحضر للشام وكان جسورًا مهاباً وكان آغا القلعة احمد اغا الزعفرنجي فبعد ايام حصل مزاعلة وشلش (خلاف) بين الوزير والاهالي وتعصَّبوا عليهِ وحصل حرب ومشاجرة والزعفرنجي سكَّر القلعة واراد يضارب الوزير والتزم الوزير ان يخرج من الشام بحال مقهر. وبوصولهِ لحمص وحماة جمع عسكر وافر ورتب امورهُ جيـدًا وحضر للشام وشاع الخبر ان قصدهُ يخرب الميدان ويقتل اهلها ويحرقها بالنار. فحصل الوهم والاحتساب وعُزّل الميدان تماماً. وارسلوا الحريم للجامع الاموي وكان ضجيج مهول بالبلد

فوصل (144 ر) الباشا ونصب اورديه (٢ ناحيـة داريًا وكوكب. فاجتمعوا اعيان البلد وقرّ الراي انهم يتوجهون للاوردي ليتكلموا مع الباشا بالاصلاح ويجلبوهُ للعدل والرحمة. وبعـد مراجعات وتوسلات كثيرة تغير خاطرهُ وعفا عن ذنبهم ولكن بشرط ان الزعفرنجي يخرج من البلد ويسلمون القلعة للوزير. وتمَّ ذلك بعد اخذ الامان التام ثم دخل الباشا للسرايا وفش قلبـهُ في قتل بعض اناس ارديا مخالفين واستقام بالشام حاكمًا نحو اربع سنين وعُزل

وفي زمانهِ رجعت كنائس الكاثوليك في صيدنايا لاصحابها وارتفعت يد الروم منها وذلك بواسطة غنـدور الخوري كاخية الامير يوسف لان بهذه السنة حصل اختلاف احكام بالجبل وعزلوا الامير المذكور وجاء لقرية منّين محتمياً عند ابرهيم باشا

١) وفي سالنامة سوريَّة يدعى « دالاتي ابرهيم باشا »
٢) اي فرقة الجيش

فتوجه بعض الايام غندور المذكور واتباعهُ الى صيدنايا بقصد الصلاة وطقسهم موارنة فنظروا الكنائس مقفولة والخوارنة تصلي في بيوتهم فسألهم عن السبب فاخبروهُ بما توقَّع من افتراء الروم وعن المساوي التي صدرت من البطرك. فانغمَّ جدًّا وثاني يوم نزل للشام واعرض الى الباشا وترجاه رجوع الكنائس لاصلها. فحالًا ارسل الوزير واخذ المفاتيح من البطرك وبعدهُ اعرض الخوارنة عن الاعلام المأخوذ من الشرع بيد البطرك بخصوص الكنائس وانهم يخصوهُ وهذه لها غوائل صعبة فيما بعد. فارسل الباشا يطلب هذا الاعلام من البطرك فادَّعى انهُ فاقد فتخلق (فغضب) الباشا وامر بحضور هذا الاعلام كيف كان. ومن كون حصل التأكيد من البطرك بفقدهِ فاقتضى ان البطرك يرسل وكيلًا الى المحكمة ويخرج اعلاماً ضدّ الاوَّل يرفع مقارشتهُ واسقاط حقه وهكذا رجعت الكنائس حكم اصلها بعد كلفة ومضى الامر

﴿ تولي احمد باشا جزار ثاني مرة ﴾ في ابتداء سنة الف ومائتين وخمس (١٧٩٠ م) وبقي في عكا وارسل (144^٧) متسلمين واحدًا بعد آخر الى ان استقر متسلماً محمد ارفا اميني وهذا كان ظالمًا قاسياً يشابه استاذهُ في انشاء المظالم والحوادث الصعبة على اسلام ونصارى ويهود. وكان الجزار مقهورًا من اهل الشام بسبب اعراضهم فيهِ للدولة سابقاً وكيف عُزل بطريقة مهينة وقاصد الآن ينتقم منهم. وبالحقيقة ان في مدة حكم الجزار بالشام نحو خمس سنين ما ارتاحت الناس ولا شهرًا واحدًا. اولًا من طلب القرش ظلماً. ثانياً من طرح المعاملة المتصل التي اصدرت خسارة كبيرة ثم طرح بضائع متنوعة ينهبها من جهات ويطرحها باسعار زائدة. ثمَّ حوادث كثيرة مقهرة ومغمَّة من انواع كثيرة. ومن الجملة اذا وقع قتيل بالبرية فيصير تحديد على القرايا القريبة لموضع القتيل وينقطع الجرم بخسارة واهية. واذا وُجد قتيل باحد الانهر فيلحقون جميع القرايا التي تشرب من ذاك النهر وياخذون منهم مالًا غزيرًا واذا تشاجر احدٌ مع غيرهِ ووصل الخبر للسرايا فما يعود لها نهاية الّا بغاية الظلم والعدوان. ولا يوجد بالبلد كبير ولا صغير الجميع حالهم متساوي مرهونون تحت المظالم والمقاهرات. واناس كثيرون نزحوا من الشام وتركوا اوطانهم وعيالهم

وكان الباشا يحضر بنفسهِ قبل طلوع الحج بعشرة ايام وبرجوعهِ يستقيم عشرة أيَّام واكثر ويتوجهُ لعكا. ولكن حينما يجيء من الحج لا بدَّ ما يعمل اشياء مكربة

مغمّة في اقامتهِ تلك البرهة. ونعلم ان ثاني سنة من ولايتهِ امات مائة وستين نفرًا خنقاً بالقلعة بعد حضوره من الحج منهم مقدَّمون وخدم ومماليك وعسكر وغيرهم من اهالي الشام وغير محلّات ويرمونهم بالبيارة بالقلعة

وفي سنة اخرى قتل نحو ستين نفرًا خنقاً في ليلة واحدة وهذا صار بالتأكيد من النصارى الذين خنقوا غصباً عنهم. وعندنا خادم خنق عشرين نفرًا بيدهِ (145r) من بعد ما عذبهُ الواقفون من قبل الحاكم. ومن خوفهِ ابتُلي في تشويش وبهِ مات بعد ايام وهذا الذي صار غير المفرد على مدار السنة من القتل على ادنى ذنب من متسلّمهِ الردي الظالم

ومن الحوادث في زمانهِ انهُ موجود بيك اسمهُ علي بن محمد باشا العظم وامهُ بنت اسعد باشا وكان ذا نباهة وسطوة ولهُ اشتهار بالدولة فهذا لهُ شركاء من العرب على غنم ومواشي. هذا من جملة املاكهِ وارزاقهِ الوافرة. فجرى عصاوة من العرب فارسل المتسلم نهبهم. فمن الجملة انتهبت المواشي خاصّة البيك المذكور. فتخلّق المذكور وراجع المتسلم واحكى معهُ كلاماً جافياً. فالمتسلم كتب الى الجزار بما توقع فجاء الجواب ان يقتل البيك فعمل المتسلم حيلة ودسّ لهُ سمّاً بواسطة الحكما وبالنتيجة انهُ تشوش يومين ومات وظهر فيهِ علامات السمّ. فهاجت الناس وصار شاش كبير وضوجه (وضجّة) فارسل المتسلم الى محمد صوان المتقدم بين التجار وتهددهُ بصرف هذه المادّة. فجاء المذكور وافرق الناس عن بعضها وحماوا الميت ودفنوهُ بالسرعة. وكان ذلك في سنة الف ومايتين وثمانية (١٧٩٣م) وهمدت الامور خوفاً من الحكم. واما ام البيك التي هي ابنة اسعد باشا (فانها) حزنت مفرطاً على فقدها ابنها ووحيدها وكانت تتكلم كلاماً واسعاً في حقّ الباشا ومتسلمهِ واخيرًا عزمت على التوجه الى اسلامبول شاكية الى السلطان على ما عملهُ الجزار بقتلهِ ابنها. فبوصولها لساقط (لساقص) اتوفت هناك. (فمنهم) من قال انهُ من الغم الشديد الذي استحوذ عليها وغيرهم قال ان الجزار ارسل في اثرها اناساً وفي ساقط صار لهم فرصة لموتها سمّاً وراحت المادّة على من راح. وكذلك قُتل احمد آغا زعفرنجي مسكه بالامان نواحي شوّال وسجنهُ بالقلعة. واحمد آغا القبيقول بوقتهِ كان عدوه فقتلهُ بعد عذاب اليم وارماه بخندق القلعة واشاع انهُ هو ارمى نفسهُ (145v) وقُتل

ثم في سنة الف ومايتين وتسعة (١٧٩٤) انعزل محمد اغا ارفا اميني المتسلم وانمسكت اليهود الصيارف بالشام وسجنوهم وهم يوسف وناحيم وروفايل . امّا سلمون ابن عمهم (فانهُ) هرب ومسكوا عوضهُ جدّه سلمون (الذي) مات تحت العذاب واخوهم حاييم حاشهُ (امسكهُ) الجزار في عكا وقلع عينيهِ وقطع انفـهُ وقيل اذنهُ ايضاً . والذي صار هو بمطابقة احمد آغا متولي السنانية . راح لعكا ودفع مال للجزار وعزل المتسلم ووقف مكانهُ . وهذا المتولي كان شريرًا وعقلـهُ خايس ويبغض الصيارف جدًا . فجاب امر في عذابهم وصار يعذبهم يومياً ويطلب منهم غوشاً من دون تعيين وكل يوم يطلع واحد منهم من السجن يجيب مال ومعهُ غفريه (خفراء) . فبعد ايام من حبسهم كان احد العنصرة فطلع احدهم يوسف ومعهُ ثلاثة فراح لبيتهِ واختفى وصار الغفريه يفتشون داخل البيت فما وجدوه . فاعرضوا للسرايا فارسـل المتسلم ستماية عسكري والذي صار بحارة اليهود مهول جدًا وكبسوا البيوت وصار ضرب ونهب وشنقوا لحّاماً يهودياً على باب دكانهِ . وبقي الشلش دائماً الى حصة العصر حتى وجدوا يوسف المذكور عند امرأة يهودية بطرف الحارة مختفياً هناك . فجابوه بحالٍ يرثى لهُ والمغرب خنقوا الثلاثة غفرية بالقلعة وكان نهار وهم جدًّا وهذا المتسلم ما كان يهدأ من المظالم والقاهرات . والمتسلم العتيق بقي بالسجن بالقلعة مدة ايام واطلقوه

ثم كان الجزار قرب حضوره من الحاج . فعلى حين غفلة هرب المتسلم من الشام وما احد عرف اين راح . فالى بعد ايام انفهم وجوده في اسلامبول . ثم حضر الباشا من الحج وصرف اليهود وتوجه لعكا . وبعد ايام قليلة شاع الخبر بعزلهِ من الشام . واستقام خمسة سنوات اذاق الناس مراير الصبر . والذي شرحناه من افعالهِ فهو قليل من كثير وكان يبغض جنس البشر بنوع فائق (146 [r]) وليس لهُ امان وما احد يخدمهُ ويطلع سالمًا من اذاه ان كان بسلب المال او اتلاف الحياة وهكذا صار بسماح الله تعالى

وفي ايامهِ انعزل بطرك الروم دانيال بامر سلطاني بمطابقة جماعتهِ الذين قدموا فيهِ عرضحال . قيـل انهُ محبّ المال ويريد يجمعهُ من حلال وحرام وانهُ نهب كامل آنية الفضة والنذورات من دير صيدنايا . وهذا البطرك كان خفيف العقـل وعديم التقوى لانهُ اضرّ طائفة الكاثوليك بالشام وبرّها وما يهدا من انشا الاضرار على

التوالي. واخذوهُ غصباً وقهرًا منفيًّا الى ساقظ (ساقص) مقرّ وطنهِ. وجاء عوضهُ انثاميوس قبرصي الاصل وهو انسب من ذلك لكنّ جماعةً تهموه تهمة ردية وخسر مبلغ غرش مع طائفته ثم سافر الى اسلامبول واستقام اياماً كثيرة وفيما بعد عَزْل الجزار رجع للشام واستقام لحين وفاته

﴿ تولي عبدالله باشا ﴾ فحصل الفرح والسرور في قلوب الناس بازالة تلك الاحكام الكثيفة (اي الباهظة) حتى انهُ من سرور الناس زينوا البلد بنوع مستغرب وتنظر الشمع شاعلًا بالدكاكين في وسط النهـار. ثم حضر الباشا للشام واستقام ثلاثة سنين وفي زمان ولايته ما جرى شيءٌ من الحوادث المكربة. وفي مدة ولايتهِ قُتل محمد آغا ارفا اميني. جابهُ بالحيلة وخنقهُ بالقلعة. وهذا الذي قتـل علي بيك في زمان الجزار وهو اخو عبدالله باشا. وكذلك قتل عمر آغا مسقله كاخيته ومتسلمهُ حسن آغا سوقيه

وفي ابتدا سنة الف ومايتين وثلاثة عشر (١٧٩٨) شـاع الخبر بعزلهِ من ولاية الشام. وبوقتهِ ملك الفرنساوية مصر وبالشام صار شلش واحتساب (خوف) من هيج وتعدي الاسلام على النصارى. والذي انحسب صار كما ياتي الشرح بعده. وجا المنصب الى ابرهيم المحصل في حلب

﴿ تولي ابرهيم باشا ﴾ فحضر للشام وضبط البلد غير انهُ كان عندهُ حمق ويشتم الناس والبلد مضطربة بسبب الفرنساوية وخراب حال مصر وفلتة (اي اضطراب) (146v) الاحكام والباشا يريد يهمد الامور وانما بنوع قاسي. فهاجت الاسلام عليهِ وكاد يصير فتنة عظيمة واقتضى ان الباشا يطلع من الشام

وحينما بلغ الدولة بما صار ارسلوا امرًا الى احمد باشا الجزار يناظر الشام. فارسل من قبلهِ متسلماً غير ان فكره مشغول من نحو الفرنساوية بمصر قاصدين محاربتهُ واخذ عكا منهُ. ثم ارسل امير حجّ فراح وجاء بكل سلامة. وبغيـاب الحجّ حضروا الفرنساوية لعكا وحاصروها وفلت الحكم بالشام وبرّهـا حتى ما عاد امان لا على عرض ولا مال وقاسى النصـارى اتعاباً كثيرة وكانت البيوت تنتهب ويصير اضرار كثيرة ولكن عناية الله ادركت. بوقتهِ تعيَّن بالبلد رجل اسمـهُ ابو حمزي

وضبط البلد مع چرايچه (١ الميدان محمد عقيل وخلافهُ وبقيت الشـام هكذا بغير حكم مدة طويلة (لهُ بقيَّة)

آفة الاشجار المثمرة

نظرٌ علمي للاب يوسف كلنپانان اليسوعي

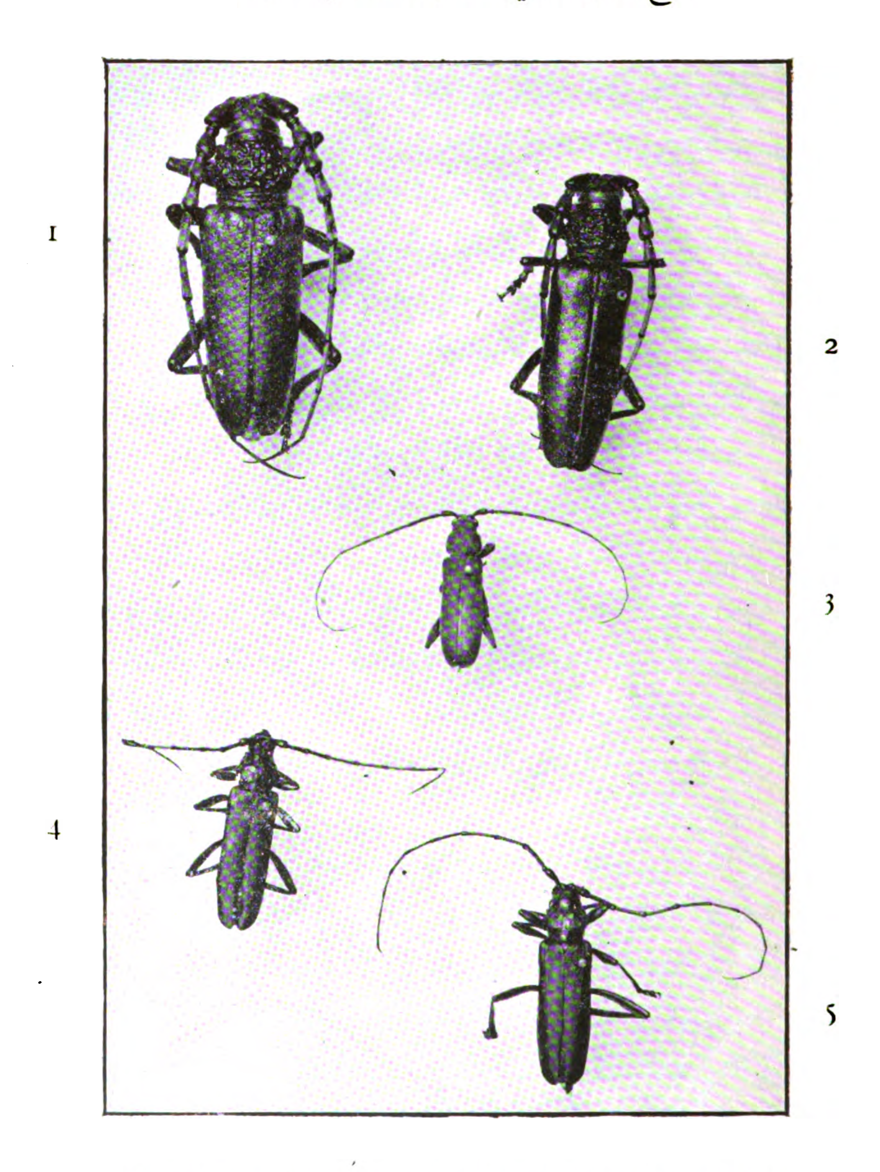
الاشجار المثمرة احدى ثَرَوات بلاد الشام وايراداتها الطيّبة فيحقّ باهلهـا ان يخصوها بالنظر فيشملوها بعنايتهم ويزيدوها خصباً ويدفعوا عنها الآفات التي تضرُّ بها . فمن هذه الآفات عدَّة حشرات تنخر اخشابها وتمتصُّ مائيَّتها وتضعف بنيتها بل تقتلها لا محالة ان لم تُنزع عنها او تُلاشى . وليس كلامنا هنـا عن بعض الحشرات الصغيرة كالأَرَضة والسُّرْفة والسوس فانَّ هذه الحشرات مع اذاها لا تأتي بالاضرار الجسيمة الَّا بعد ردهة من الزمان وتسطو غالباً على الخشب اليابس وانّمـا نعني بها حشرات اعظم جرماً في كبر الخنافس والجعلان لكنها من غير جنسها فهي تنفذ في قلب الشجرة وتعشش فيها ولا تزال تقرضها وتزداد بالتناسل حتى لا تُبقي ولا تذر

وهـذا الجنس من الحشرات شائع في كل البلاد الغنيَّة باثمارها وهو كثير في نواحي الشام وقد تعقَّبنا آثار هذه الهوام منـذ وصولنا الى بيروت في خريف سنة ١٩٠٩ فجمعنا اصنافاً منها رسمنا اخصَّ اشكالها في الصور الثلاث التي ننشرها في وسط مقالتنا

﴿ وصفها ﴾ اعلم انَّ الطبيعيين يدعون هـذه الحشرات على اختلاف انواعها باسم آكلة الخشب (xylophages) ويسمُّون الضروب التي نبحث عنهـا الآن باسم الحشرات الغمديَّة الاجنحة (Coléoptères) لانَّ لهـذا الصنف غالباً في ظاهرهِ غلاف قرني كالغضاريف ملتحم الوسط يسترُ ظهرهُ كالغمد . وتحت هذا الغلاف جناحان يطير بهما في الهواء واذا طار مدَّ جانبي غمـدهِ افقيًّا ونشر جناحيهِ فصار لهُ بذلك كزوجي جناح وانّمـا طيرانهُ ثقيل لا يمكنهُ ان يعلو كثيرًا فيسقط

١) جمع چرچيجي بالتركيَّة وهو بائع الخرده

اللوح الاوَّل : فصيلة الحشرات المستطيلة القرون



1, 2 Cerambyx nodicornis = 3 Aromia ambrosiana (humeralis) =
4, 5 Hesperophanes nebulosus

ولا ان يقاوم الريح لكنهُ يطفر من غصن الى آخر واذا اشتدّ الحرّ وكان الهواء هادياً ثبت في الطيران قليلًا الَّا الفصيلة الثانية التي تحسن الطيران

وهذه الحشرات على ثلاثة اطوار من الحياة فتكون في طورها الاوَّل دودةً ثمَّ تتحوَّل الى زيز وتبلغ آخرًا حالة حشرة تامة . واذا كانت في كمالها تجدها تنقسم الى ثلاثة اقسام الاول رأسها في مقدَّم جسدها على شبه طوق وهو صلب شديد العضلات وفي جانبي الراس عينان جاحظتان كبيرتان وبقربهما مغرز قرنيها . ولفمها شفتان وفكّان وزبانيان متينان وفي الزبانيين كما يُظَنّ حاسّتا اللمس والشمّ . وفكّا هذه الحشرات صلبان جدًّا بهما تقرض الخشب وينتهي الفكّ بمخلب اعقف

والقسم الثاني منها صدرها فيهِ اعصابها التي تحرّك زوجي جناحيها الاعلى والاسفل وبقناتهِ تمرُّ الاطعمة التي تأكلها لتبلغ الى بطنها

والبطن هو القسم الثالث منها وهو يتألف من عدَّة خرزات متصلة ببعضها فيها الجهاز الهضمي والمسامّ التنفسيَّة واعضاء التناسل

﴿ انواعها ﴾ الحشرات الغمديَّة الاجنحة كثيرة وقد قصرنا وصفنا هنا على ثلاثة فصائل منها لتوفُّرها في بلاد الشام لاسيا سواحل بيروت وجهات البقاع : فالفصيلة الاولى هي الحشرات المستطيلة القرون (Longicornes *ou* Capri - cornes) كما تراها مصوَّرة في اللوح الاوَّل فلكثير منها قرنان يزيدان عن جسمها طولًا (اطلب اللوح الاوَّل)

والفصيلة الثانية يدعونها بوپراست (Buprestes) اي نافخة البقر لزعم القدماء ان البقر اذا اكلتها مع الحشيشة نفخت بطونها وسمَّمتها . وهذا الصنف ذو جسم مكتنز لهُ راس صغير يدخلهُ في بدنهِ المستعرض . امَّا قرناه فقصيران يثنيهما تحت صدرهِ اذا ربض وينشرهما عند سيرهِ او طيرانهِ (اطلب اللوح الثاني)

والفصيلة الثالثة المسنَّنة القرون (Lamellicornes) لأنَّ قرنيها المتوسطين في الطول ينتهيان بشبه اسنان المشط المصفَّحة (اللوح الثالث)

وكل هذه الفصائل تتفق بخروجها من البيضة ثم بحياتها الدوديَّة حيث يكون لها ستة ارجل موافقة لصدر الحشرة التامة . واذا صارت زيزًا اصبحت كالفيلجة او الشرنقة الحريريَّة ثم تصبح آخرًا في كمال حياتها

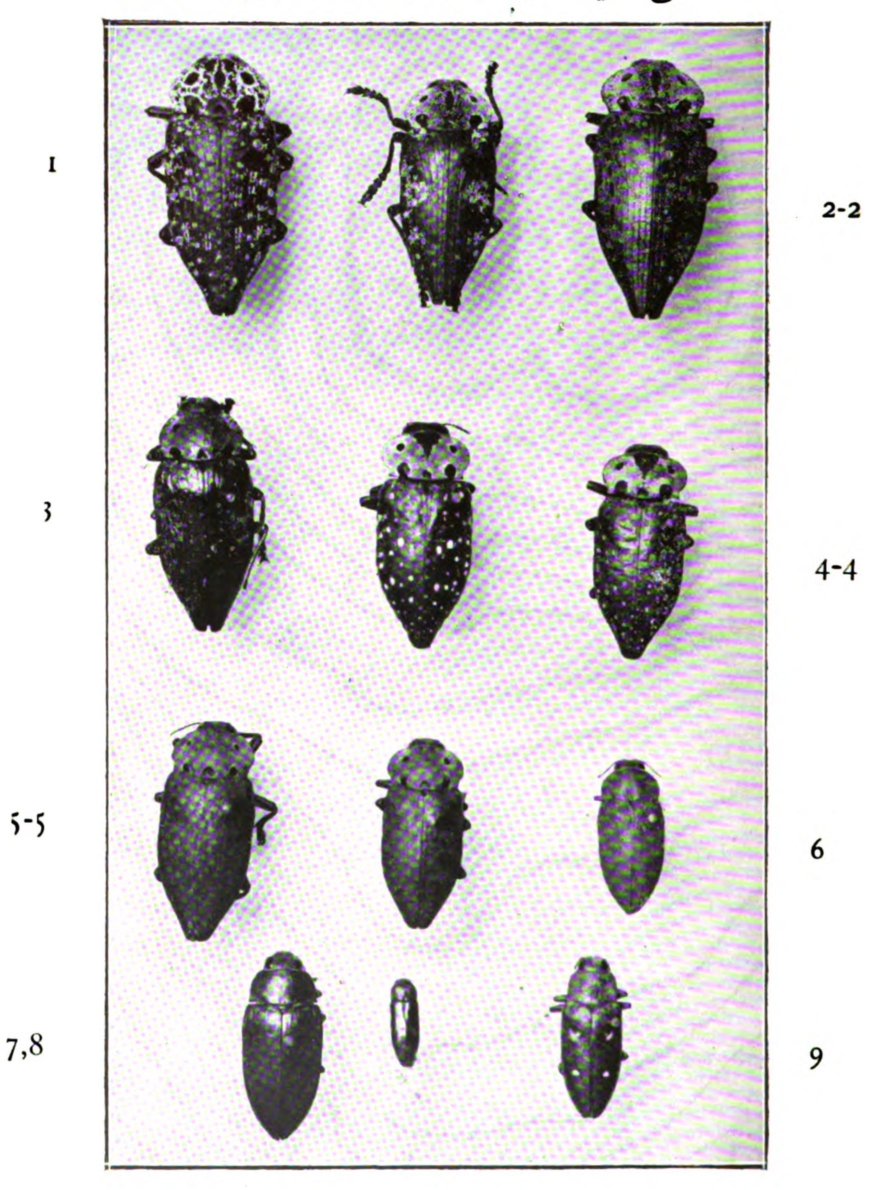
وتنقسم الفصائل المذكورة الى ضروب شتى صوَّرنا هنا بعض ما وجدنا منها .
فالشكل الاوَّل من اللوح الاوَّل يمثل صورة حشرة طويلة القرنين معقدتهما فدُعيت لذلك عند علماء الطبيعة « Cerambyx nodicornis » هو من اشدّ هذه الحشرات فعلًا بقرض الخشب لمتانة اعضائهِ وقد رسمنا منهُ شكلين معاً وتحتهما شكل ثانٍ يسمَّى « Hesperophanes nebulosus » وهو متوسط القرنين ولونهُ يضرب الى الصفرة وقد وجدتهُ على شجر اللوز لكنهُ دون الشكل السابق ضررًا

ويليهِ في اسفل اللوح ضربٌ ثالث رسمنا منهُ شكلين يدعونهُ في لسان العلم اروميا امبروسيانا (Aromia ambrosiana) اي العطرية الرائحة وهي حشرة جميلة الهيئة خضراء الى الزرقة يتلوَّن غمدُها الساتر لاجنحتها واماَّ صدرها فاحمر خمري: وقد دُعيت بالعطريَّة الرائحة لانهُ يفوح منها كعرف المسك فيُستدلّ على وجودها في الاشجار واكثر ما تعيث باشجار الصفصاف وقد وجدنا منها قليلًا في بيروت وهي كثيرة في حمَّانا وجهات البقاع . وهذا النوع يستدعي همَّة كبيرة لانهُ من الدّ اعداء الاشجار وهو مع ذلك ينمو بسرعة غريبة فلا يلبث ان يتلف الاشجار التي يعشش فيها . وان اراد محبو الروائح العطرية ان يستنشقوا رائحتهُ فليجعلوهُ في علبة وهو حي فان مات فقدَ تلك الرائحة كالزهرة الطيبة اذا قُطعت تفقد رائحتها . اماَّ الوانهُ الزاهية فتبقى مدَّةً بعد موتهِ

ويلحق بهذهِ الفصيلة صنفٌ من المستطيلة القرون لم ارسم صورتهُ وقد وجدتهُ غير مرَّة في نواحي بيروت يدعوهُ الطبيعيُّون « xylótrupes bajulus » يبلغ طولهُ من ٣ الى ٤ سنتمترات وعرضهُ بين ستّ ملمترات الى سبعة وهو مفرطح مسود في سوادهِ دقائق بيض وعلى غمدهِ الاعلى نكتتان بيضاوان ومنهُ ضروب صغيرة لا يزيد طولها على سنتمتر واحد في عرض ملمترين وهو معروف في اوربَّة يُرى على شجر الشربين والصنوبر وكثيرًا ما يفتك بالخشب اليابس وبخزائن البيوت فينخرها واكثر دخول الانثى اليها على ضوء الاسرجة وقد لقيتُ منها في خزائن مرَّ على عهدها ٣٠ سنة

واللوح الثاني قد خصصناه ببعض تصاوير الحشرات المسمَّاة بوپراست ممَّا وجدناه خصوصاً في بيروت وجهات البقاع وهي من شرّ اعداء الاشجار المثمرة .

اللوح الثاني : فصيلة الحشرات المعروفة باسم بوپراست



1 Capnodis miliaris = 2-3 C. cariosa = 4-4 C. carbonaria = 5-5 C. porosa = 6 Perotis orientalis = 7 P. chlorana = 8 Ptosima Cyclops = 9 Chalcophora quatuor notata

فدودتها تعيش ثلاث سنين وهي اطول من السابقة واكثر انبساطاً لكنها خالية من الارجل . وتكون ضاربة الى البياض

واذا تحوَّلت الى زيز تجمعت وتقبضت ونفذت الى قلب الخشب واقصى اعماقه فترى شجر الليمون والزيتون التي ابتلاها الله بهذهِ الآفة تضوى بعد قليل ثم تيبس وان نجت من الموت اصبح شجرها منخورًا وخشبها مثقَّباً لا يصلح حتى للاصطلاء . وهذه الحشرات كثيرة الحذر على نفسها يصعب اصطيادها وانَّما تخرج من اسرابها في ساعات النهار الحامية فتطير وربَّما وجدوها لاطيةً عند الصباح والمساء تحت اوراق الشجر . واصنافُها غالباً سوداء فحميَّة اللون

واوَّل ما تراهُ في اللوح الثاني منهـا النوع المسمَّى كبنوديس ملياريس (Capnodis miliaris) تطير في بعض الاحيان حول الزيتون . ويليها زوج من الصنف المسمَّى كبنوديس كاريوزا (Capnodis cariosa) ومنها الموسوم بالعدد٣ . وهذه سوداء لامعة وغمدها على لون الشبَه والصُّفر وكلها قد التقطناهـا في البقاع . وبعدها زوج (عدد ٤) يُدعى كبنوديس كربوناريا (C. carbonaria) وهـذا الصنف يناوئ اشجار الزيتون والفستق والتين والبطم وعليها وجدتُ الزوج المصوَّر

وفي الصنف الثالث من هذا اللوح زوج (عدد ٥) يُدعى كبنوديس الثاقب (C. porosa) هو اسود قاتم اللون في صدرهِ ست نُكَت لامعة . وهذا النوع يحبُّ شجر السمَّاق . وكثيرًا ما يشاركهُ في نخرها صنف اخر اصغر منـهُ جسماً طولهُ نحو سنتمترين اسطواني الشكل ذو لون زمرّدي شديد اللمعـان يسمُّونهُ في لسان العلم (Polyctesis rhoïs) وهو سريع الحركة كثير الحيل للنجاة من عدوّه ربَّما تماوت ليفلت منـهُ ويفرّ هارباً . لكني لم ارسم صورتهُ . وكذلك لم اصوّر حشرةً اخرى من هـذه الفصيلة وجدتها على سطوح كليَّتنا في ايلول وتشرين يدعونها كبنوديس تنبريكوزا (C. tenebricosa) اي المظلمـة يقرب لونها من الشبه النحاسي وعلى ظنّي انَّها تعشش في شجر الزنزلخت

امَّا الحشرة الموسومة بالعدد ٦ المدعوة الثاقب الشرقي (Perotis orientalis) فاحدى الحشرات النادرة التي يبحث عنها النباتيُّون وجدتُها على نبـات اليتوع (euphorbe) في نواحي بيروت وهي داخلة في جملة هذه الفصيلة

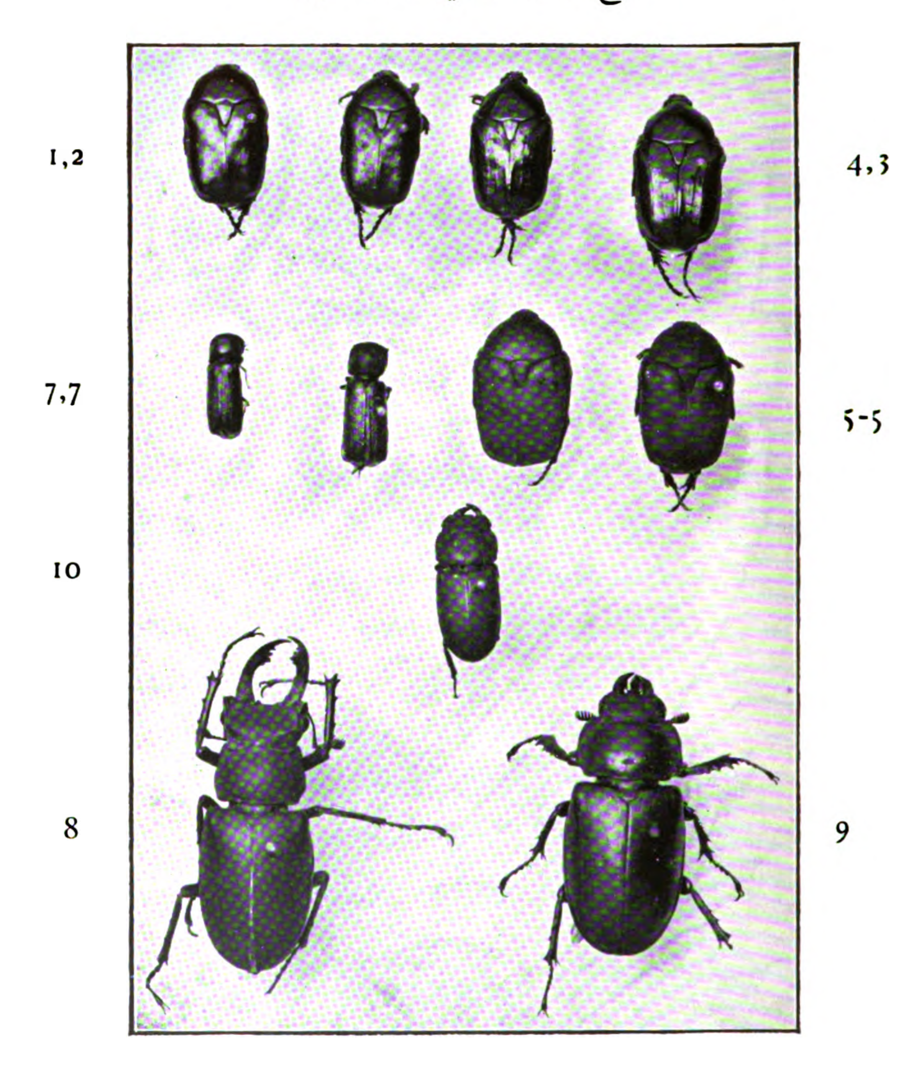
وفي الصفّ الاخير من هـذا اللوح ثلاث حشرات الاولى (عدد ٧) تدعى بيروتيس كلورانا (Perotis Chlorana) وهي عدوّة الاشجار المثمرة كالخوخ والمشمش واللوز واذا طارت مرّت كالبرق فيصعب اصطيادها واذا وقعت تماوتت. والثانيّة يدعونها خَلكوفورا (Chalcophora) وهي على شكلين فتكون سوداء مصمتة ذات سواد لامع وُجدت منها في تعنايل وكسارا من البقاع واماً خضراء الى الزرقة ذات اربع نقط بيضاء طباشيريّة في ظهرها دعوها لذلك مربعة السِمات (Ch. quatuor notata) وجدتها في بيروت على اللوز والزيتون وصورتها في العدد ٩

امّا الحشرة الثامنة التي بينها فمن صنفٍ يسمُّونهُ پتوسما (Ptosima) على غمدهِ خطوط صفراء دقيقـة وكذلك نكتٌ من لونها على جانبي صدرهِ ثم نكتة متسعة في اعلى رأسهِ فلقبوه لذلك بلقب سيكلوبس (P. Cyclops) وهذا الصنف شائع في اوربّة وهو قليـل بمصر ولسوء الحظّ قد يكثر في سوريّة وهو من اقبح آفات شجر التفاح والاجّاص وجدتهُ في بعض اشجار بكفيّا فكان تنقّـل في كل اغصانها وايبسها

واضرب الصفح عن صنفٍ آخر في كبر الحشرة المذكورة آنفاً يدعونهُ كوريبوس (Coroebus) على ظهرهِ الغمدي ثلاث شقق بيضاء عليهـا زئبر لكنهُ يعيش في الشوك والعوسج ولا يضرّ الشجر. وكذلك لم اذكر اشكالًا اصغر من السابقة تُدعى انثاكسيا (Anthaxia) تتسلط خصوصاً على النباتات البريّة وهي متعددة الاصناف فمنها صفراء ومنها حمراء ومنها ذهبيّة اللون ولها اعداء تقاتلهـا فتفنيها اخصها نوع يُدعى سرسيون (Cercyon) يلتهمها كما فعلت قبـل ثلاث سنوات الهامّة التي زحفت على الحشرات المفسدة ليمون ساحل بيروت وصيداء فنظفت منها الحدائق

وان انتقلنا الى اللوح الثالث وجدنا هناك صور حشرات أُخر تعيث بالاشجار والنبات. فالصفّ الاوّل يمثل اربعة اشكال يدعونها سيتوان (Cétoines) هي جميلة الخلقة ذات زرقة زمرُّديّة يتلهّى بها الاولاد فيربطونها بخيط ويُطيرونها وهم يمنعون اذاها دون علمهم. على انّ هذه الحشرات ضررها للبقول اكثر منهُ للاشجار ودودتها بيضاء كدودة الجندب (Hanneton) رأسها قرني لها مقراضان مهولان تقرض بهما النبات وهي تتوالد في السماد وتنمو بسرعة واذا نُشر السماد في البستان

اللوح الثالث : الفصيلة المسنَّنة القرون



1 Cetonia ignicollis = 2 C. metallica = 3 C. azuræa = 4 C. nasuta = 5-5 C. mœsta = 7-7 Apate francisca = 8, 9, 10 Lucanus

وجدت اهناً طعام في بُقولهِ وخضرتهِ فتقرض اصول النبات وتُفقد البستاني ثمرة اتعابهِ ·
فان اراد النجاة من شرّها عليهِ قبل ان ينشر السرقين في البستان ان يجعلهُ مدَّة في
محل منفرد ثم يقلّبهُ من وقت الى آخر فيقتل الدود المتولد فيهِ لاسيما في فصل الربيع
ثم ينقلهُ الى البستان منظّفاً · والحشرات الاربع التي وصفناها مختلفة الشكل فاوَّلها
(Cetonia ignicollis) ظهرها اخضر فاقع وصدرها احمر متلوّن · وثانيها
(C. metallica) معدنيّــة اللون كما يؤخذ من اسمها · وثالثها (C. azuræa)
زرقاء ناصعة الزرقة : ورابعها (C. nasuta) خضراء الى الزرقة · وتحتهــا زوج من
جنسها الّا انّ لونها اقتم فدُعيت بالحزينة (C. mœsta) وهي تأوي الى الشوك
والعوسج

ويلي هذا الزوج زوجٌ اصغر وسمناهُ بالعدد ٧ اسمهُ اباتي فرنسسكا (-Apate
francisca) وهو من اكثر الحشرات ضررًا بالخشب في حالتها الدوديَّة وفي تمام
كيانها وقد تبعتُ حركاتها واعمالها في بستان مدرستنا في شهري ايّار وحزيران فوجدتها
داهية دهياء فتراها اذا صار المساء تحلّق فوق الشجرة فتتشبّث بقشرتها ولها رأس صغير
تقيـــهِ بصدرها كانّها قلنسوة راهب ولذلك دعوها بالمتقلنسة (monaca) ولها في
فكّها شبه المقراض تدخلهُ في الخشب وبعد قليل تُنفذ في ثقبهِ رأسها ثم باقي جسدها ·
واذا كانت مشغولة في عملها يسهل قتلُها بشرط ان لا تحسّ بصيّادها فاذا احسّت بهِ
طارت مسرعة لكنها تعود بعد قليل الى طعامها فيسهل قبضُها · وهذا الصنف يفضّل
الاخشاب الضعيفة الضئيلة امَّا الاشجار القويَّة فاذاها فيها قليــل وقد رأيت شجرة
ليمون كانت هذه الحشرة سطت عليها ثم وجدتُها بعد مدَّة قــد ضمّدت جروحها
بمائيّتها

والاشكال الثلاثة الاخيرة صنفٌ من الحشرات الخشبيَّة المعروفة باسم لوكانوس
(Lucanus) لم اجد لها اثرًا في بيروت وانّمــا وجدتها في جهات بكفيًا وتعنايل
وقد عثرتُ على واحدة كبيرة في شجرة صلبة الخشب كانت قُطعت حديثاً وكانت
الحشرة في قلب الشجرة فأضرّت بها ضربةُ فأس الحطّاب فلم يمكني ان احفظهــا
سالمةً · والوسطى المرسومة في اللوح وجدتها في تعنايل وهي من الحشرات المتسلطة
على الحور والصفصاف وهي تتحوّل من حالة دودة الى شرنقة في ايلول ثم بعد قليل

تبلغ كمالها وهي تكون اوّلًا مبيضّة اللون ثم تسودّ شيئًا بعد شيءٍ

هذا نظر اجمالي في الحشرات المؤذية للخشب ولم نذكرها كلها وانمّا ذكرنا ما تهمّ معرفتهُ اهل هذه البلاد وما يكثر فيها

﴿ النجاة من هذه الحشرات ﴾ رأيت فيا سبق كم من عدوّ للاشجار في بلاد الشام ولو اردنا وصف اضرارها لطال بنا الكلام وانما نقول اجمالًا انّها اذا تحاملت على الشجرة تسرع ان تفتح لها منفذًا الى قلبها فتشقّ قشرتها ولا تلبث مائيّة الشجرة ان تسيل كالصمغ كأنها جريح يسيل دمهُ وربّما سال الصمغ على الحشرة بوفرة فيُغرقها فيهِ كما رأينا غير مرّة. ثم تعمد الى اللبّ فتأكلهُ. ويعرف البستاني وجودها في الشجرة بما يراه من شقوق القشر ومن نشارة الخشب الذي تقرضهُ فتدفعها الى الخارج الى ان تبلغ الى قلب الشجرة حيث يكون الخشب أرخص واهشّ فهناك تمهّد لنسلها مقاماً وثيرًا وتتخذهُ عشًّا واذا وضعت نساها لا يبقى لها حاجة الى الحياة فتموت بعد قليل لكنها قبل موتها تحصِّن عشّ صغيرها وتجعل فوقهُ شبه سقف من نشارة الخشب المعلوكة

واذا نقفت البيضة وخرجت منها الدودة عاشت ثلاث سنوات تأكل الخشب بأمن وهناء وهي تمزق نسيج الشجرة الباطن فتقطع شرايينها ومسايل مائيّتها

فلتلافي هذه الاضرار قد طلب ارباب الفلاحة طرائق مختلفة ليتلفوا تلك الحشرات فكان بعضهم يبحث عن ثقوب الحشرة في الشجرة فيصبُّ فيها ماء الّا انَّ الماء لم يصل اليها في الغالب بما جعلتهُ الامّ فوق مولودها من الخشب المعلوك الذي لا ينفذ اليهِ الماء. وغيرهم اتّخذوا لاتلافها بعض سوائل كالپترول حقنوا بها منافذها لكنهم اضرُّوا بذلك الشجرة دون نفع عظيم

وافضل من ذلك ان تُتخذ اسلاك حديديّة رفيعة فتُدخَل في قلب الشجرة حيث فتحت الحشرة لها مجازًا الى ان يبلغ رأس السلك اقصى الثقب فيقتل الدودة وان كانت الحشرة الامّ هناك خرجت فيقتلها البستاني عند خروجها

والطريقة المفضّلة على كل ذلك ان تُرصد الحشرات التامّة البنية قبل آوان سفادها في الربيع اذ تخرج الى الهواء عند المساء وتنزل على جذور الشجرة واغصانها تطلب اناثها فيجتمع منها كمّيات يسهل قتلها مهما اضطربت وحرّكت زبانيَها

لتخدش بمقراضها اصابع الذي يريد اذاها ولا بأس على صيَّادها اذا امسكها من ظهرها او رأسها . وفي بعض البلاد يدعون الى مطاردتها اولاد المدارس فيقتلون منها عددًا وافرًا . ومن عرف طباع هذه الحشرات امكنهُ ان يمنع اضرارها فاني قتلتُ في العامين الماضيين في جنينة كليَّتنا من الجنس المؤذي اكثر من ٣٠٠ .

ومما يصلح لدفع اضرار هذه الحشرات حسن تقليم الاشجار فاذا اراد صاحبها قطع زوائدها ووجد منفذًا لعشّ الحشرات فليطلِ بالقطران مقطع الغصن او يملطهُ بالكلس

فهذه بعض وسائل لاستدراك اضرار هذه الحشرات وصيانة اشجارنا من آفاتها



النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في العراق (تابع)

وصار الملك من بعد امرئ القيس الى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة (٥١٣ — ٥٦٢) وماء السماء لقب امّهِ ماوية (ويروى مارية) ابنة عوف وقيل بل هي اخت كليب والمهلهل التغلبيَّين وانَّ اسمها رُبيعة والعرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقَّة طباعها . ويدعى ايضاً هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا لهُ من شعرهِ . وكان المنذر المذكور من ارفع ملوك الحيرة قدرًا واشدّهم بأساً وهو الذي انتصر من بليزار احد ابطال الروم في زمانهِ وكبير قوَّاد يستنيان . امَّا دينهُ فانَّ شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفهِ . وما يُحصَّل منها انَّهُ عرف النصرانيَّة منذ حداثة سنهِ لأنَّ امَّهُ كانت نصرانية فلا شكَّ انَّها لقنتهُ منذ صغرهِ مبادئ الدين المسيحي . لكنهُ لمَّا كبر وتولَّى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل الى

الشرك ودين المجوسيَّة او بالحري الى مذهب مزدك اي المانويَّة بايعاز ملك فارس. والظاهر انهُ في اثناء زندقتهِ استقبل الوفد الذي ارسلهُ اليهِ ذو نوَّاس بعد قتلهِ نصارى نجران كما اخبر الكاتب المعاصر شمعون اسقف بيت ارشم (١ فطاب منهُ ان يقتفي آثارهُ ويقتل نصارى الحيرة فأثَّر كلام ملك اليمن في المنذر واراد ان يختبر صدق ايمان المتنصرين من جيشهِ فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد صناديد ضبَّاطهِ فقال لهُ: «انَّ تنصُّرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات ان تقنعنا بالعدول عن ديننا. وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا اجحدهُ مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحقَّقتَ ذلك لمَّا رأيتني في وقائع الحروب اذ لم يكُ سيفي اقصر من سواي». فلمَّا سمع المنذر كلامهُ عرف انَّهُ لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصدهِ وترك كلًّا من جنودهِ يتبع دينهُ. وبقي المنذر على زندقتهِ زمناً وعبد كبعض العرب اللات والعزَّى. وممَّا اخبرهُ عنهُ المؤرخ زكريا الخطيب (٢ وميخائيل الكبير (٣ انهُ انتهك في بعض حروبهِ حرمة الكنائس والاديرة فنهب وسلب واسر في اراضي الرومان عدداً من الاسرى بينهم ٤٠٠ من العذارى الراهبات قتلهنَّ وقدَّمهن كذبائح للعُزَّى

على انَّ المنذر لم يثبت في زندقتهِ بل جحد الوثنيَّة ونبذ مذهب مزدك. بل تنصَّر بعد ذلك كما يؤخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب. وقد روى صاحب الاغاني (١٩: ٧٧) والقزويني (ص ٢٨٥) وغيرهما خبر تنصُّرهِ في مطاوي ذكرهم للغريَّين. قالوا انَّ المنذر المذكور اذ كان قتل في بعض ايَّام ثملتهِ اثنين من اعزّ ندمائهِ عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل اقام على قبريهما غريَّين او طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يُغني فيه من اتاه قبل غيرهِ ويوم بوس كان يقتل فيهِ اوَّل وافد عليهِ. فقتل في احدى السنين عبيد الابرص الشاعر ثم اتاه في سنة اخرى احد مضيفيهِ المحسنين اليهِ في يوم صيدهِ يُدعى حنظلة بن ابي عفراء الطائي وهو يرجّي خيراً فلم يرَ المنذر بُدًّا من قتلهِ لئلَّا يحنث بوعدهِ الَّا انَّ حنظلة طلب تأجيل الحكم

---

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (BO, I, 364)

٢) اطلب تاريخهُ (éd. Land III, 244)

٣) في تاريخهِ (éd. Chabot II,178)

لمدّة معلومة واتّخذ لهُ كفيلًا شريك بن عمرو الشيباني . فلمّا جاء اليوم المعهود وكاد يُنفَذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعدًّا ليُقتَل . واذ قضى الملك المنذر منهُ العجب سألهُ ماذا دفعهُ الى القيام بوعدهِ فاجاب ان دينهُ النصراني دفعهُ الى ذلك فتنصر الملك واهل الحيرة معهُ . هذا ما رواهُ العرب . ومنهم من ينسب الامر الى النعمان الاوَّل وغيرهم يروونهُ عن النعمان ابي قابوس الَّا انَّ اصحاب النقد يرجّحون انهُ المنذر الثالث ابن ماء السماء . وهو يؤيد كما ترى ما قلناهُ عن تنصر المنذر

امَّا حنظلة فروى ياقوت (٢ : ٦٥٥) انَّهُ بعد نجاتهِ من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديرًا قريباً من الفرات عند الرَّحبة دُعي باسمهِ دير حنظلة وكان حنظلة عمّ اياس بن قبيصة الذي صار ملكاً على الحيرة بامر ملك العجم كما سترى

وقد جاء ايضاً في تاريخ ابن العبري (مختصر الدول ١٤٨) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصارى العرب الَّا ان ابن العبريّ ليس مصيباً في ذلك ولعلّهُ انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثلهُ . ولنا على صحة ايمان المنذر دليل لامع وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال انَّ ساويرس البطريرك السرياني الدخيل اراد ان يجتذب الى بدعتهِ ملك الحيرة فارسل اليهِ اسقفين ليقنعاه بانَّ في المسيح طبيعةً واحدة ليس طبيعتين كما تُعلِّم الكنيسة الارثذكسيَّة . فالملك سمع كلامهما ساكتاً ثمَّ فضَّ كتاباً كان في يدهِ فبدت عند قراءتهِ الكآبة على وجههِ فسألهُ الاسقفان : ما الامر . فقال : قد ابلغني كاتب هذه الرسالة انَّ رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امعضني جدًّا . فضحك الاسقفان حتى قهقها وقالا للملك : كيف يمكن ان يموت ملاك لا جسد لهُ فهذا كذب محض . فاردف الملك وقال لهما : وكيف انتما تزعمان انَّ المسيح وهو ذو طبيعة الهيَّة مفردة قد مات . اليس هذا اعظم كذباً وضلالًا؟ ثمَّ ردَّ الاسقفين خائبين (١

فيظهر من جواب المنذر لهذين الاسقفين انهُ ليس فقط كان نصرانيًّا بل كاثوليكيًّا يؤيد ذلك المؤرخ فكتور التونويّ المتوفى سنة ٥٥٦ فقال انَّ المنذر تعمَّد

١) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايفاغريوس (ك ٣ ف ٣٣) وتاريخ تاودورس القارئ (ك ٢) وتاريخ زوناراس (ك ١٤ ص ١٦٠)

على يد اساقفة من انصار المجمع الخلقيدوني (١

وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضرهُ اسقفان من العرب اوسطات ويوحنَّا فوقَّع كلاهما على اعماله باسم اسقف السراكسة او الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث ان البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة لم تفشوا بين عرب العراق الَّا بعد اواسط القرن السادس في ايَّام فيروز ملك العجم لمَّا اطلق العنان لبرصوما. الَّا انَّ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥) يرتإي انَّ البدعتين اخذتا في الانتشار منذ اواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قولهِ. وكان للنسطوريَّة في العراق السهم الافوز

وكانت وفاة المنذر ابن مـاء السماء في يوم حليمة احد ايَّام العرب الشهيرة بين اللخميين وبني غسَّان. فضبط زمام الملك ابنهُ عمرو بن المنذر الشهير بعمرو بن هند (٥٦٢ — ٥٧٤) واشتهر كابيهِ بعدَّة وقائع مع الروم وعرب غسَّان وعرب اليمامة وغيرهم. امَّا دينهُ فالنصرانيَّة لنا على ذلك شاهد جليل رواهُ ابو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) وياقوت في معجم البلدان (٢: ٧٠٩) في وصف دير هند الاقدم او دير هند الكبرى امّ عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكنديّ قال:

« وكان في صدره (اي صدر دير هند) مكتوب: بنتْ هذه البيعة هندٌ بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر الملكةُ بنتُ الأَملاك وامّ الملك عمرو بن المنذر أَمَةُ المسيح وامُّ عبدهِ وابنة عبدهِ في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرائيم الاسقف. فالاله الذي بنت لهُ هذا الدير يغفر خطيئتَها ويترحَّم عليها وعلى ولدها ويُقبل بها وبقومها الى امانة الحقّ ويكون الاله (وروى ياقوت: الله) معها ومع ولدها الدهر الداهر »

فهذا القول من اوضح البيِّنات على نصرانية عمرو بن هند بل على نصرانيَّة ملوك كندة كما ترى

وخلف عمرو بن هند النعمانُ بن المنذر وهو صاحب عديّ بن زيد الشاعر النصراني العبادي الشهير وعلى ما يُستنتج من رواية مؤرخي السريان انَّهُ كان نصرانيًّا قبل جلوسهِ على سدَّة الملك. امَّا العرب فيخبرون انَّهُ تنصر على يد صهرهِ عديّ بن

١) اطلب تاريخهُ في مجموع الآباء اللاتين لمين (Migne P. L. t. 88 col. 951)

زيد زوج ابنتهِ هند بنت النعمان وماريَّة الكنديَّة المعروفة بالحُرَقة. وقد روى غير واحد منهم (راجع الاغاني ٢ : ٣٤) ان النعمان مرَّ بمقبرة فانشدهُ عدي ابياتاً زهديَّة (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٤٤١—٤٤٢) كانت سبب تنصُّرهِ بل روى ابو الفرج انهُ «لبس المسوح وتنصَّر وترهب وخرج سائحاً على وجههِ فلا يدرى ما كانت حالهُ فتنصَّر ولدهُ بعدهُ وبنوا البيَع والصوامع »

على انك رأيت ممَّا سبق انَّ ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت اخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من اخبر انَّهُ فتك بعديّ بن زيد فقتلهُ فقام ابن عديّ المدعو زيداً كجدهِ فسعى بهِ لدى كسرى انوشروان فحبسهُ وقتلهُ. وروى غيرهم ولعلَّهُ الاصحّ انَّ قاتل عديّ بن زيد انَّما هو خلف المنذر ابو قابوس (١. امَّا ابنتهُ هند فزهدت بالدنيا وعمَّرت لها ديرًا عُرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن ابي وقَّاص بعد يوم القادسيَّة ثمَّ مع المغيرة بن شعبة الذي خطبها لمَّا تولى الكوفة فردَّتهُ ردًّا لطيفاً وماتت في رهبانيَّتها

وممَّا لا يُنكر انَّ النصرانيَّة غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة واهلها العرب حتى يجوز القول بانَّها عمَّتهم قاطبة وانَّ المسلمين لمَّا فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانيَّة في دينها وآدابها وعاداتها . ومن بعض اصحابها اخذ العرب كتابتهم كما مرَّ في المشرق (٤ : ٢٧٨—٢٨٢) وان كانت بعض فروع الكتابة اتتهم ايضاً من نصارى النبط ومن اهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك ايضاً واثبتتهُ الاكتشافات الاثرية الاخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الاسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولَّاهُ عليهم بعد وفاة المنذر ريثما يعين لهم ملكاً من ابنائهِ فبقي على ولايتهم الى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانيَّة اياس المذكور ثابتة لا شكَّ فيها (٢ (لهُ بقيَّة)

---

١) اطلب اخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية (ص ٤٣٩—٤٧٤)

٢) اطلب شعراء النصرانيَّة (٩٣ و٩٤)

مطبوعات شرقية جديدة

F. J. W. GIBB MEMORIAL. XV, Kitab-i Nuqtatu'l Kaf being the earliest History of the Bâbìs compiled by **Hâjjî Mîrzâ Jani of Kâshân**, ed. by **E. G. Browne**, *Luzac*, 1910, XCV-697

كتاب نقطة الكاف في تاريخ البابيّة تأليف حاجي ميرزا جاني كاشاني

هذا مثال جديد على اجتهاد المستشرقين في نشر اخبار النِحل المستحدثة فانَّ البابيَّة لعبت دورًا مهمًّا في العجم منذ ثلاثة ارباع القرن فكُتب عنها كتب مطوَّلة لتعريفها ووصف دُعاتها. وليس من بلغ في ذلك مبلغ العلّامة الانكليزي ادورد برون وتآليفهُ في هذا الباب ممَّا يعوَّل عليهِ. وها هوذا قد خدم هذا الفنّ خدمةً جديدة بنشرهِ اوَّل تاريخ يُعرف للبابيَّة يسمَّى كتاب نقطة الكاف جمعهُ صاحبهُ ميرزا جاني بين السنتين ١٨٥٠ و ١٨٥٢ وذلك عن نسخة وحيدة هي في مكتبة باريس. وزاد التأليف افادةً بمقدَّمة جليلة كتبها المسيو برَون بالفارسيَّة البليغة. فلا يسعنا الّا الثناء على همّتهِ والتمنّي بان يخدم الآداب الشرقيَّة زمناً طويلًا ل. ش

ΒΑ. ΛΙΝΑΡΔΟΥ : Οἱ Μασσῶνοι ἐναντίον τοῦ χριστιανισμοῦ. (Alexandrie, 1911, p. 16)

الماسونية بازاء النصرانية

ان الحركة الماسونية التي افسدت بلاد اوربّة وجهات بلادنا اتت باثمارها السيّئة بين اليونان في اثينا وجزائر الارخبيل والمهاجرين الى مصر. فاستاء بعض ذوي الفضل من مواطنيهم المسمى باسيل ليناردو القاطن في الاسكندريّة فالّف فيها كتيّباً صغيرًا بيّن فيهِ انَّ المحافل الماسونيَّة اليونانيَّة ليست هي كما يزعمون منتديات وطنيَّة لخدمة بلادهم وانما هي معامل للفتن والمكايد اعلنوا بمكنونات صدورهم يوم تجمّعوا للمظاهرات الثوروية احتجاجاً على قتل فرير الفوضوي الاثيم ولكنهم سكتوا عن قتل الماسون في سالونيك لليوناني «جان باپازاوغلو» وقد ختم كتابهُ بقولهِ: «كفى الماسون غشًّا وخداعاً وبئس الذين ينضمُّون اليهم فيصيرون كعبيد بين ايديهم». فتلك خلاصة هذا التأليف وهو برهان جديد يؤيد ما نشرتهُ مجلّة المشرق في امر الشيعة الاب ب. كسانتاكيس

الانجيل الشريف

بحث نظريّ تاريخيّ نقديّ . بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٧٨)

عرف قرّاء مجلّتنا ما يتضمنهُ هـذا الكتاب من الابحاث العلميَّة بمطالعة تلك المقالات البليغة التي نشرها المؤلف في المشرق عن الانجيــل الشريف . ففحص فحصاً مدقّقاً مجرّدًا عن كل غرض تلك الاناجيل الاربعــة التي يتداولها النصارى في يومنا ليتبيّن أهي حقيقةً من قلم اولئك الانجيليين الذين تُنسب اليهم اعني تلميذي السيد المسيح متى ويوحنا ثم تلميذي الرسل مرقس ولوقا . فرقي سلّم الاجيال الى ان بلغ عهد النصرانيَّة الاوَّل فاثبت انَّ الاناجيل المذكورة هي حقًّا لاولئك الكتبة لا يمكن احدًا ان يشكّ في ذلك الَّا مَن كابر الحقّ واعمى بصرهُ عن النور الواضح . ثم بيَّن بعد ذلك تاريخ كتابتها وما لدينا من نسخها القديمة الصحيحة وتخطَّى الى بيان براءتها من كل تحريف حتى ختم ابحاثهُ باثبات صدق رواة تلك الاناجيل الذين رووا مضامينها عن علم ثابت وكشهود عيانيين لم يَخدعوا اذ قرَّروا شهادتهم بسفك دمهم للدفاع عنها ولم ينخدعوا اذ تنطبق تلك الشهادة على كل الآثار التي خلَّفها الوثنيون واليهود واعداء النصرانيَّة . فنشكر حضرة المؤلف على وضع هذه الابحاث التي لم يسبقهُ احد اليها في لغتنا العربيَّة على هذه الصورة العلميَّة ونخصُّ كل من يريد ان يعرف اركان الدين النصراني ان يطالعها . والمؤلف مستعدٌ لأن يجيب على كل اعتراض يُرسل اليهِ في هذا الشأن

ل : ش

أرج الوطنيّة في حياة الطوباويّة جان درك الباسلة الفرنسية

بقلم الاب يوسف علوان

طبع في بيروت بمطبعة صبرا (سنة ١٩١٠ ص ٢٧٣)

هذا الكتاب اوسع ما كُتب في تلك الفتــاة العجيبة التي انقذ الله على يدها مملكة فرنسة في النصف الاول من القرن الخامس عشر . فانَّ ذكرهــا بقي حيًّا في قلوب مواطنيها بعد وفاتها رغماً عمَّا حلَّ بها من النكبات . بل زاد تعظيمهم لها بعد ان برَّأ ساحتها الكرسيُّ الرسولي من تُهم اعدائهــا وصار اسم جان درك مرادفاً

للشهامة وحبّ الوطن. على انّ تلك الباسلة لم تكن فقط كميّة حروب بل كانت ايضاً قدوة فضل ومرآة برارة لاهل عصرها. ومن ثم تولّت الكنيسة الفحص القانوني عن قداستها ولمّا ثبت لها انها بلغت ذروة الفضائل وان الله ايّد برّها بمعجزاتٍ نالها المؤمنون بشفاعتها ادرج الحبر الاعظم اسمها الكريم في سجلّ اولياء الله (اطلب المشرق ١٢ : ٣٢١) وهذه الاعمال الشريفة والفضائل السامية كان سبق الى بيانها حضرة الاب د. ڤرنيه في كتاب لطيف طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٨ فمرَّ لنا وصفهُ. واردفهُ حضرة الاب يوسف علوان المرسل اللعازريّ فاتّسع في اخبار حياة تلك الفارسة واغنى لساننا العربي بترجمة غزيرة المادَّة رائقة المعاني منسجمة الكلام تصلحُ خصوصاً لاحداث المدارس فتنعش في قلوبهم اشرف العواطف لخدمة الدين والوطن معاً. فلا عجب بعد ذلك ان نال المؤلف اطيب الثناء على عملهِ وانّ وزير الخارجية في فرنسة شكرهُ على تقدمتهِ كتابهُ للامَّة الفرنسيَّة الشريفة محامية الكاثوليك في المشرق. فنحضُّ ارباب المدارس على نشر هذا الكتاب وهو من افضل ما يجازى بهِ الطلبة في ختام الدروس السنويَّة ل. ش

الدليل الامين في خدم التكريس والتدشين

جمعهُ وعرَّبهُ عن اليونانيّ وعن السلافي السيد رفائيل اسقف بروكلن
طُبع في نيويرك سنة ١٩١١ (ص ١٣٦)

في الكنيسة اليونانيَّة كتاب يدعى الافخولوجيون يشتمل على الخدم الكنائسيَّة والصلوات التي تُتلى في بعض الحاجات الروحيَّة. ومن هذا الكتاب نسخ مختلفة بعضها اطول كالافخولوجيون الكبير الذي يستعملهُ كهنة الروم الكاثوليك المطبوع في القدس سنة ١٨٦٥ وبعضها اقصر كالافخولوجيون الصغير المطبوع في رومية سنة ١٨٥١ وبعضها باللغات اليونانيَّة والسلافيَّة. فعمد سيادة اسقف بروكلن رفائيل هواويني الارثذكسي ورئيس الرسالة الروسية السوريَّة في اميركا الشماليَّة الى جمع ما رأى اليهِ حاجة امسّ من تلك الخدم لا سيما الخدم المختصَّة بتأسيس الكنائس وتدشينها وتكريس أثاثها وآنيتها وقد استند في تعريبها الى الافخولوجيَّين اليونانيّ والروسي وقدَّم عليها فصلًا تمهيديًا ذكر فيهِ مختصر تاريخ نشأة الكنائس المسيحيَّة وانتشارها ثم بنائها وتنظيم كل اقسامها ومحتوياتها وزينتها مع تفسير لترتيب خدمة

تدشينها . فنثني على همّة السيد رفائيـل ونتمنى لكتابهِ رواجاً بين محبيّ الطقوس اليونانيّة ل . ش

شهر قلب يسوع

تأملات وجيزة لفائدة العمّال

طُبع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ١١٢)

العمّـال رجال التعب والكدّ يحتاجون اكثر من سواهم الى من يقويهم ويسندهم في اشغالهم الشاقّة ومن يا تُرى هو احرى بذلك من ذاك الاله الذي قال عنهُ الرسول في رسالتهِ الثانية الى اهل قورنتس انهُ « افتقر من اجلهم وهو الغنيّ لكي يستغنوا هم بفقرهِ » . وقد جعل الرب قلبهُ مثالًا لحياتهم ودعاهم الى درس مزاياه وطبع فضائلهِ في نفوسهم حيث قال (متى ١١ : ٢٨–٣٠) : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا اريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لانفسكم لان نيري ليّن وحملي خفيف » . ومن ثمّ نشكر واضع هذا الكتاب والساعين بتعريبهِ ونشرهِ لأنهُ يتضمَّن في ثلاثين تأمُّلًا وجيزًا اخصّ الفضائل التي مارسها السيد المسيح وعلّمها العمّال المسيحيين لكي يقدّسوا حياتهم على مثالهِ ويبتعدوا عمّـا يفسد عقولهم وآدابهم بمشاركة اصحاب الاشغاب والفتن الثوروية الذين يسلبونهم كنز ايمانهم ويخدعونهم بالاماني الكاذبة ويرمونهم آخرًا في لجة القنوط . والكتاب يصلح خصوصاً لشهر حزيران المختصّ باكرام قلب يسوع وفي آخرهِ رتبة زيّاح القلب الاقدس مع عدَّة افادات مختصة بعبادتهِ ل . ش

الدروس العربية

اصول الصرف والنحو — القسم التمهيدي — اوّل قسم النحو

للشيخ مصطفى الغلاييني

طُبع بالمطبعة الاهلية في بيروت (١٣٢٨–١٣٢٩)

قد مضى عهد المطوّلات المدرسيّة حيث كان طلبة العربيّة يدرسون العلوم اللغويّة في تلك الكتب الضخمة السيئة الطبع المبهمة المضامين التي كانوا يقضون السنين قبل فكّ معضلاتها . وكان اصحاب المدارس النصرانيّة اوّل من ادرك وعورة هذا المسلك

فوضعوا عدداً لا يحصى من الكتب اللغويَّة سهلوا فيها درس اصول العربيَّة وقواعدها الصرفيَّة والنحويَّة . ففي مطبعتنا وحدها قد نُشر منها نيف وعشرون كتاباً . ودونك الآن سلسلةً جديدة باشر بسرد حلقاتها احد افاضل الادباء الشيخ مصطفى الغلاييني مدرّس اللغة العربيَّة في المكتب السلطاني والكليَّة العثمانيَّة في بيروت . وقد تمَّ منها ثلاث حلقات اعني سلّم الدروس العربيَّة وفيهِ اصول الصرف والنحو ثم القسم الاوَّل من النحو . وجناب الاستاذ مجتهد في مواصلة عملهِ فاذا تمت اقسام النحو والصرف أتبعها باقسام اخرى في علوم البلاغة والانشاء والعروض . والحقّ يقال انَّ ما نجز منها يشهد على براعة المؤلف وحسن ذوقهِ وتفننهِ في تسهيل طرائق التعليم فترى في كل قسم القواعد والامثلة والتمارين والاسئلة والاجوبة وكل ذلك بطبع نظيف وحروف متشكلة تقرّب المواد الى عقول الاحداث . وقد اضاف المؤلف الى الدروس اللغويَّة في القسم التمهيدي دروساً ادبيَّة نظنّ انهُ كان الاولى ان تُطبع على حدة او في آخر الكتاب . ونحن نحضّ كل طلبة العربيَّة على مراجعة هذا التأليف الجديد الذي يُطلب من المكتبة الاهليَّة في البلدة ل . ش

قصائد احمديَّة

طُبعت بمطبعة « الميكزين بقاديان هند » (ص ١٥٨)

قيل الجنون فنون وهذا الكتاب من بعض الدلائل عليهِ . فانَّ في بلاد الهند قد قام منذ بضع سنين رجلٌ ممسوس بعقلهِ يُدعى ميرزا غلام احمد يدَّعي انهُ المسيح الموعود والمهدي المعهود . وهذه القصائد انشدها في مدحهِ تَبَعَتهُ المبتلون بعقولهم مثلهُ شفاهم الله ل . ش

زراعة التبغ التركي في لبنان

تأليف يوسف الجميّل الاجزائي الكيماويّ

طُبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيَّة (سنة ١٩١١ ص ٤١)

انَّ النهضة الجديدة لاستئناف زراعة التبغ في لبنان حملت جناب يوسف افندي الجميّل الحائز في مكتبنا الطبي الصيدلي الجائزة الاولى ورئيس مختبرهِ سابقاً على وضع ابحاث متتابعة في المشرق وصف فيها ما يختصّ بالتبغ التركي خصوصاً وتتبَّع كل احواله التي من شأنها ان توفّر محصولاتهِ وتزيدها جودةً فيقبل عليها المدخنون .

فكان لهذه الابحاث وقع حسن لدى القرَّاء وقد اجاب المؤلف الى طلبهم فاكتسب شكرهم بنشرها على حدة تعميماً للفائدة ل٠ش

انفاس الطلَّاب في مضمار الكتاب

بقلم تلامذة القديس بطرس بسكنتا (لبنان)

طُبع في المطبعة اللبنانية عند جسر نهر بيروت لبنان (١٩١٢ ص ١٠٣)

بسكنتا من اعلى قرى لبنان وارفعها فوق سطح البحر وقد احبَّ حضرة المنسنيور بطرس حبيقة ان يجعل لها مقاماً ادبيًّا موافقاً لارتفاعها المادّي ففتح فيها مدرسةً نجحت بهمَّتهِ وقد اتحفنا اليوم ببعض اثارها الطيبة وهو مجموع فيهِ مقالات ادبيَّة وفلسفيَّة بقلم تلامذتها الادباء رفعوها لمعالي السيد مار الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونيَّة فنثني على رئيس المدرسة وتلامذتها النجباء ونطلب لهم مزيد النجاح ل: ش

شَذَرَاتٌ

﴿ بطرك مجهول ﴾ كتب لنا احد القرَّاء ما حرفهُ: قد وقفنا في شرطونيَّة مارونيَّة مخطوطة على كتابة بخط « ايليًّا بطرس بطريرك انطاكية » يقول فيها انَّهُ صار بطريركاً في ١٥ ايَّار سنة ١٧٤٢ وقد راجعنا سلسلة البطاركة الموارنة المطبوعة فلم نجد لهذا البطرك ذكرًا فنرجوكم الافادة . امَّا الكتابة فهي هذه بحرفها في اوَّلها اسم الكاتب مع ختمهِ منقوشاً :

ܐܠܝܐ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܣܟܢܐ

(محل الختم)

لمَّا كان تاريخ سنة الف وسبعماية واثنين واربعين في ܝܒ (١٢) ايار نهار عيد العنصرة انتقل الى رحمة مولاه سالفنا المرحوم مار يوسف البطريرك الانطاكي الخازن ابن المرحوم الشيخ ابو قانصوه في دير ريفون في ثالث ساعة من النهار وكان دفنـهُ في قرية غوسطا في كنيسة مار الياس كرسي مطرنيتهِ. وفي اليوم الثالث من وفاتهِ اجتمع حضرة اخوانـنا المطارين المحترمين المطران سمعان والمطران فيلبوس والمطران اسطفان والمطران حنا والمطران جبرائيل والمطران مخائيل في دير مار انطانيوس عين ورقا وبانتخاب عام انتخبوني بطريركًا عليهم انا المحرر اعلاه اسمي وختمي وذلك كان في ܝܗ (١٥) ايار نهار الثلاثاء عيد السيدة الملقب بالسنبل. والكهنة

الذين وضعت اليد عليهم بعد ارتقائي الى هذه الوظيفة هم محررون ادناه : اولاً القس مخائيل لوقا القبرسي تلميذ المدرسة الرومانية . ثانياً القسّ انطانيوس راهب من شننعير على مزرعة شمعرير في بلاد الشوف وذلك في سنة ١٧٤٣ (١٧٤٣) . وفي اواخر شهر شباط حضرنا الى دير مار موسى الكاين في مزارع كسروان واخذنا السكن هناك ورسمنا القس سمعان الذي من مزرعة كفرديان راهب على دير مار يوحنا قتّالة تابع دير مار موسى . وفي اربعة من نيسان رسمنا الخوري سليمان كاهن عالي على قرية فنال في بلاد جبيل . وفي السابع عشر من شهر ايار السنة المذكورة رسمنا الراهب يواكيم قساً على دير مار اشعيا . وفي السادس والعشرين من هذا الشهر وهذه السنة المذكورة رسمنا الراهب يواكيم قساً على دير مار اشعيا . وفي السادس والعشرين من هذا الشهر وهذه السنة رسمنا الشد(ياق) موسى قساً على مزرعة راس الحرف في بلاد المتن

(المشرق) الياس بطرس صاحب هذا الخطّ هو المطران الياس محاسب الذي وردت ترجمتهُ في المشرق سنة ١٩٠٣ (٦ : ٧٨٣) في جملة رؤساء دير ريفون وفي السنة ١٩٠٤ (٧ : ٧٥٠) في اخبار المطران سمعان عوّاد . ومنهما يتضحّ ان الياس محاسب المذكور كان مولدهُ سنة ١٦٨٨ وترأس على دير ريفون ثمّ سقفهُ البطريرك يعقوب عوّاد على عرقة شرفاً وجعلهُ نائباً بطريركيًّا . فلمّا توفي البطريرك يوسف ضرغام الخازن في ١٣ أيّار سنة ١٧٤٢ انتخبهُ بعض الاساقفة كخلفهِ في الرتبة البطريركيّة فاخذ يتصرّف بحقوق منصبهِ السامي ورسالتهُ السابقة تشهد على تصرفهِ . لكنّ المطران طوبيًّا الخازن اعترض على هذا الانتخاب غير القانونيّ واتّفق مع مطرانين آخرين ماروني فسرياني فساموا اسقفين بهما بلغ عدد الاساقفة خمسة فعقدوا مجمعاً وانتخبوا طوبيًّا الخازن كبطريرك وحصل بذلك اضطراب عظيم . فلماً بلغ الخصام الى رومية ألغى البابا بندكتيوس الرابع عشر الانتخابين ببراءة ارسلها الى رئيس الاديار المقدّسة في اورشليم وعيّن البطريرك سمعان عواد كبطريرك قانوني في تاريخ ١٦ آذار سنة ١٧٤٣ فاذعن الجميع لامر الكرسي الرسولي الّا انّ الرسالة البابويّة بلغت بعد تاريخها بعدّة اسابيع ولذلك تجد الياس محاسب في كتابتهِ لا يزال يعتبر نفسهُ كبطريرك حتى اواخر أيّار ولسبب الامر ذاتهِ لم يُدرج اسمهُ في عداد البطاركة (١

نعوة ماسونيّة نشرت جريدة البرق ورقة نعت فيها محفل صنين بما صورتهُ :

---

١) راجع البولاريوم (Bullarium Pontificium S. Congr., III, 76-91)

الخطب جلل :

هو الحي الباقي

ارملة الفقيد واولادهما وذوو القربى والمتنفعون والسماسرة والادنون والمحامون والدجَّالون ينعون اليكم بمزيد الاسف واللهف عزيزهم وحبيبهم المأسوف عليهِ كثيرًا المرحوم

< محفل صنين >

انتقل الى رحمة ربّهِ (بل الى لعنتــهِ) غير مزوَّد بالاسرار الالهيَّة في الساعة السابعة مساء الجمعة (٢٢ ك ١ ١٩١١) واحتُفــل بجنازتهِ في الساعة الثامنة مشيَّعاً بالاوفياء والانسباء لكم من بعدهِ طول البقاء

وكنَّا وددنا لو افادنا الرصيف بايّ علّة مات المرحوم . وعلى ظننا انَّهُ توفّي بالسلّ لانَّ صندوق العشيرة قد فرغ مرارًا باختلاس الخزَنة لماليَّتهِ فلم يجد ابناء الارملة ما يكفي لعلاج السقيم وتطبيبهِ فمات غير مأسوف عليهِ . ومن المنتظر القريب ان يُنعى الينا غيرهُ من المحافل الشاميَّة والمصريَّة اذ لا يمرُّ علينا اسبوع الَّا ونسمع بسوء حالة اصحابها وخصوماتهم ما يدلُّ على ان الداء عضال وانَّ المرضى مشرفون على الموت . فنشير على من يساكن الموبوئين ان يفارقوهم لئلا يُصابوا بعدواهم

اليهود والدستور في المملكة العثمانيَّة كتبت مجلَّة الكلمة (في عدد تش ٢ ١٩١١ ص ٤٢٣) فصلًا تحت هذا العنوان اثبتت فيهِ ما ذكرناهُ في مقالتنا عن الماسونيَّة وهو نفوذ اليهود في تركيًا منذ اعلان الدستور فقالت هناك ما نصهُ :

« ان الدستور العثماني ككل دستور آخر خطَّتهُ يد الماسونيَّة قد منح اليهود حق المساواة . فلم يلبث اليهود في تركيا ان اخذوا يظهرون لدى الملا ماذا يعنون بهذهِ المساواة . فقبل كل شيء قد انسلُّوا الى اعلى الوظائف في المملكة . . . ثم لم يمضِ طويل وقت حتى ظهر ان مديري دفَّة جمعية تركيًا الفتاة هم يهود . امَّا الحاخام باشي او رئيس الحاخامات في الاستانة ففي يوم الاحتفال بمرور سنةٍ على اعلان الدستور في المملكة العثمانية اخذ من شدة فرحهِ بالحرية الدستوريَّة وعظيم بغضهِ للنصرانيَّة يدوس برجليهِ اوراقًا منتزعة من كتاب الانجيل المقدس !

« وبوجه الاجمال ان اعلان الدستور في تركيًا قد ملأ قلوب بني اسرائيــل اجمعين فرحاً

عظيماً بهذا المقدار حتى انهم اصبحوا كالسكارى لا همَّ لهم الَّا الانتقام في السرّ والجهر من اخوتهم النصارى ! فاخذوا بواسطة اعوانهم لدى الباب العالي يثيرون كامن البغض بين الاتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحيَّة في المملكة العثمانيَّة وكلَّما رأوا ان نيران هذا البغض بين الطرفين يكاد ان يخمد اوارها بادروا وزادوها وقودًا. وما يؤيد لنا هذه الحقيقة هو ان جريدة « التيمس » الانكليزيَّة احدى الجرائد المشهورة بممالأتها لليهود واليهوديَّة رأت من واجباتها ان تذكّر اليهود بالدور الذي كانوا يلعبونهُ دوماً في تهييج الاسلام ضد النصارى وباشتراكهم مع الاولين في ذبح الاخرين كما في مذابح سوريَّة ومذابح الاستانة ولا سيما في مذابح آدنة ونواحيها. ثم تذكرهم بما استفادهُ اليهود من وراء هذه المذابح الاخيرة وهو ان اراضي الذين ذُبحوا او هربوا من الارمن قد استملكها احد اليهود المسمَّى جاريل وأسكنها يهودًا من روسياً . . على ان تظاهرهم الوقح بنياتهم اليهوديَّة لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ولاسيما الاعراب المسلمين ضد الدولة العثمانية الدستوريَة وخصوصاً ضد جمعيَّة تركيَّا الفتاة التي امست من جرَّاء استسلامها للنفوذ اليهودي مكروهة في اكثر انحاء المملكة العثمانيَّة . . . وهذا ما جعل جريدة « التيمس » الانكليزيَّة المذكورة آنفاً تبادر الى تحذير اليهود في كل مكان ولاسيما في تركيَّا من وخامة عواقب استعجالهم في التظاهر بامانيّهم اليهوديَّة ! ولكن قد فات هذه الجريدة وسائر الجرائد التي على شاكلتها ان تلك الاماني اليهوديَّة مهما سعى اليهود واحتالوا بواسطة اعوانهم على تحقيقها هيهات ان تتحقق ما دامت الامة اليهوديَّة موصومة بوصمة اللعنة الالهيَّة »

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من الطائفة المارونية أللحكومة المدنيَّة او العلمانيين دخلٌ في امر الاوقاف وتدبيرها وهل يستطيع احد ان يقيم دعوى على الموقفين او على الاكليروس بحجَّة انَّ الاوقاف ليست موافقة لقوانين الشرع وان ربح الدعوى أيجوز ان يتصرَّف بالاملاك او يتمتَّع باثمارها او ليس هو بالحريّ ملتزماً بردّها والتعويض عن كلّ الاضرار اللاحقة بها ؟

الاوقاف الكنسيَّة

ج انهُ من المقرَّر في الحقّ القانونيّ وفي المجمع اللبنانيّ (ص ٤٥٤–٤٥٩) انَّ الاوقاف هي تحت حكم الاكليروس وحدهُ وليس لاحد ان يتصرَّف بشيءٍ منها فيبيع او يرهن او يهب او يؤجر ولو جزءًا منها الَّا بحكم الرؤساء الموكول اليهم ذلك وعلى الشروط القانونية المعروفة في الشرع الكنسيّ . امَّا الحكومة والعلمانيُّون فلا دخل لهم في ذلك مطلقاً ما لم ينتدبهم الى الامر الرؤساءُ الروحيُّون وان اقاموا دعوى او اغتصبوا شيئاً من الاوقاف على اي طريقة كانت عُدُّوا ظالمين ووقعوا تحت طائلة العقوبات الكنسيَّة والتزموا ذمَّةً بردّ المسلوب والتعويض عن كل الاضرار ل . ش



من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ست عشرة سنة مرَّت علينا منذ تجشَّمنا اتعاب سفر طويل باشرناه في سبيل العلم فطفنا بهِ انحاء الجزيرة ثمَّ العِراق فالعجم فالهند وعطفنا راجعين على طريق عدن فسويس. وقد كان اصحابنا غير مرَّة طلبوا الينا ان ندوّن اخبار رحلتنا فيقتبسوا شيئاً من فوائدها الَّا انَّ الضغط الزائد على المطبوعات كان في العصر الحميدي يمنعنا عن نشرها وقد جرى لنا فيها امور لا توافق على طبعها المراقبة الرسميَّة فاليوم اذ تلاشت هذه الحواجز لم نَعد نرى موجباً لكفّ القلم فلا بأس من روايتها

١ من بيروت الى حلب

معلوم انَّ الرهبانيَّة اليسوعية حيثما حلَّت مع دفاعها عن الدين القويم تنهج طريقاً مهيعاً للعلوم البشرية. فان مدارسها وكليَّاتها ومطبوعاتها في كل الفنون ومراصدها الفلكيَّة ومعاهدها العلميَّة في الخافقين تشهد على حسن مساعيها التي اقرَّ بها اعداؤها فضلًا عن الاصدقاء.

وما كانت رسالتنا في سوريَّة لتحيد عن هذه الخطَّة كما هو معروف. ومن جملة ما عُني بانشائهِ رؤساؤها في هذه الديار مطبعتنا الكاثوليكيَّة التي مرَّ عليها اليوم ستون سنة خدمت فيها بكل نشاط الدين والعلم وقد ابرزت في هذه المدة نيفاً وخمسمائة كتاب في معظم العلوم العصريَّة عدَّدنا قسماً منها في تاريخنا لفنّ الطباعة الشرقيَّة (راجع المشرق ١٩٠٠ ج ٣ ص ٧٠٦ الخ)

على انَّ مطبعة كبيرة كهذه اشتهرت في الشرق والغرب معاً بمطبوعاتها العلميَّة لا تستطيع ان تحفظ مرتبتها العالية الَّا ان يكون لاصحابها مورد غزير يستقون منهُ فيواصلون اشغالهم دون ان تنقص عنهم الموادّ. ولهذه الغاية كان ارباب كليَّتنا انشأوا مكتبةً شرقيَّة واسعة جمعوا فيها اخصّ المطبوعات العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة وقد نشروا تآليف في كل هذه اللغات يعرفها الشرقيون والمستشرقون

الَّا انَّ ما يزين المكاتب الكبيرة خصوصاً انَّما هو عدد مخطوطاتها ووفرة مآثرها العزيزة الوجود. وكانت مكتبتنا الشرقيَّة حريصة على جمع هذه الخطيات كلَّما كانت تسنح الفرصة للوقوف على شيءٍ منها. بل اخذنا منذ السنة ١٨٨٠ نطوف في انحاء الجبل لعلَّنا نعثر على بعض هذه الآثار الخطيَّة وفي كل سنة في زمن العطلة الصيفيَّة كنَّا نتنقل في مدن الشام القريبة كطرابلس وصيداء ودمشق وحمص وحلب رجاء التقاط هذه الدُّرر الغالية الثمن فما كان ليخيب املنا فنعود بعد كل رحلة بعدد وافر من تلك الجواهر الفريدة

واذ قرأنا في رِحَل علماء الغرب انَّهم كانوا يتردَّدون خصوصاً الى بلاد الجزيرة والعراق فيعودون الى مواطنهم بعد ان اقتنوا عدداً دثرًا من المخطوطات الشرقيَّة اثارت اخبارهم الرغبة فينا لأن نتوغَّل على مثالهم تلك الجهات ولنا عليهم فضل الوطنيَّة ومعرفة البلاد والعادات واللغة فعرضنا الامر على رؤساء رسالتنا فلم نجد فيهم الَّا تنشيطاً على اتمام العمل غير انَّ اشغالًا مختلفة كانت تقضي علينا كل سنة بتأجيل ذلك السفر حتى جاء خريف سنة ١٨٩٥

وكان وقتئذٍ رئيساً على رسالتنا السوريَّة المرحوم الاب اسطفان كلاره فاتتنا منهُ ونحن في غزير للرياضة السنويَّة رسالةٌ اوعز بها الينا في ان نباشر رحلتنا في اقرب وقت وقد اخذت وهجات الصيف في الخمود

فما امكنَّا الَّا الاجابة الى تلك الدعوة فتحفَّزنا للسفر وبعد ثمانية ايام ركبنا باخرةً مسكوبيَّة نقلتنا الى طرابلس الشام اذ لم تكن السكك الحديديَّة قد امتدَّت بعد من الثغر الى البقاع الى جهات حلب. وكان خروجنا من بيروت في ١١ ايلول من السنة ١٨٩٥ في اصيل يوم الاربعاء

وفي صباح اليوم التالي اقلّتنا العربة من طرابلس الى حمص حيث قضينا يومين. وكان يوم السبت واقعاً فيهِ عيد الصليب فرأينا من تقوى اهل حمص الكاثوليك ما سرَّنا. وسمعنا عموم سكان المدينة يطلقون ألسنة الشكر مثنين على همَّة الآباء المرسلين الذين لم يألوا جهدهم في خدمة المرضى مدَّة عدوى الهواء الاصفر التي فشت في تلك السنة في المدينة وبعض انحائها فكان المرسلون وراهبات القلبين الاقدسين يواصلون الليل بالنهار في عيادة المصابين وتوزيع الادوية عليهم على اختلاف طوائفهم ومللهم

وفي مساء الاحد سرنا راكبين الجياد الى حماة فوصلنا اليها بعد المغرب بساعتين فحللنا في بيت احد الروم الكاثوليك الذي تحفَّى بنا واستقبلنا بكل ترحاب

ولم نبت غير ليلتنا في حماة التي اجّلنا زيارتها لمرَّة اخرى (المشرق ٥: ٩٥٣) فقمنا في سحر يوم الاثنين قاصدين حلب فسرنا على الخيل في طريق قطعناها بعد ذلك بعشر سنين فوصفنا مراحاها وقراها (المشرق ٨: ٩١٧ ٩٢٣) لا سيما خان شيخون ومعرَّة النعمان وسنبل وخان تومان. ولم يعرض لنا اذ ذاك ما يكدّر الخاطر بل رأينا من عنايتهِ تعالى ما جعلنا نتيمَّن بهذا السفر ونرجو منهُ خيرًا وذلك ان اصابات الهواء الاصفر التي حدثت في جهات حمص كانت اوقعت الرعب في قلوب اهل القرى الشماليَّة فجعلوا حجرًا على القادمين من حماة ولم يَدَعوهم يواصلون السفر خوفاً من بثّ العدوى ففي اليوم السابق لمرورنا أُلغي الحجر الصحي. ومن ثم ضاعفنا السرعة لنلحق بقافلةٍ كانت سبقتنا بيوم من حماة فادركناها قبل خان سنبل وسرنا في رفقتها الى حلب بكل امان وراحة

وفي خان سنبل جرت لنا تلك القصة المضحكة التي رويناها سابقاً (في المشرق ٨: ٩٢١) حيث اعتزلنا عن القوم لتلاوة صلاة الفرض القانوني فظنَّ احد جهال القرية أنَّنا اكتشفنا كنزًا فطلب منَّا بالحاح ان نقتسمهُ معهُ فرددناهُ باطف فلم يقنع وتهدَّدنا بمدية حتى اضطرنا الامر ان ندعو بعض رجال المكان ليكفُّوا عنَّا شرَّهُ ففعلوا وابتعد وهو يزمجر ويدمدم

وفي منتصف الليل قام الركب ليسيروا على ضوء القمر وينجوا من حرّ النهار الملتهب فاحسنوا بذلك وبعد ان قضينا في مراقب ساعات الهاجرة من اليوم التالي

استأنفنا المسير الى حلب وسرينا طول الليل حتى بلغنا الشهباء في سحر يوم الخميس في ١٩ من الشهر

قد عرف قرّاؤنا ما لحلب من المآثر التاريخيّة والادبيّة والصناعيّة بعد مقالات عديدة اثبتناها في المشرق سابقاً فلا نرى حاجةً للتكرار

ولم نُطل الاقامة في حلب الّا ريثما نجد قفلاً يسير بنا الى ما بين النهرين لأنَّ الطرق في تلك الانحاء خالية من الامان فاذا انفرد المسافر هوَّر بنفسهِ في الاخطار وربّما خرجت عليهِ شذّاذ العرب او غوغاء الأكراد فسلبوهُ امتعتهُ وتهددوا حياتهُ

وكان الرؤساء تقدَّموا الى احد آباء جماعتنا في حلب حضرة الاب يوسف شلفون بان يرافقني في هذه الرحلة وهو من ابناء لبنان المعروفين بالنشاط والاقدام فكان لي خير مؤنس ومساعد في هذه الرحلة فاهتممنا في حلب باعداد لوازم السفر. وكان من اخصها تجهيز هيكل نقّال نستطيع ان ننصبهُ كل يوم حيثما حللنا فنقدّم عليهِ الذبيحة الالهيّة صباحاً ونستمطر البركات العلويّة . ثم استحضرنا ايضاً من الحكومة تذكرة تنبئ المأمورين باشخاصنا ومقامنا ولم يكن ذلك امرًا نافلًا كما سترى

ثم جعلنا نسأل في الخانات عن زمن خروج القفل الى جهات اورفا وماردين لننضم اليهِ فعلمنا ان احد زعماء القوافل من الارمن الكاثوليك كان قدم من ماردين وهو يتأهب للسفر بعد ايّام. فاستدللنا عليهِ واجتمعنا بهِ فاذا هو رجل مربوع القامة مفتول الذراعين على وجههِ سيماء البسالة فاتّفقنا معهُ على شروط السفر. ولا بدَّ هنا ان نعرّف اصحاب هذه القوافل فانَّ هؤلاء ليسوا كالمُكارين في الشام او لبنان يرتزقون بضنك العيش ويشتغلون مع دابَّة او دابَّتين. وانَّما هم غالباً رجال اصحاب مال واسع ولهم تحت امرهم عدَّة عمَّال يرافقونهم ويملكون عددًا كبيرًا من الدوابّ لنقل محصولات البلاد من قطرٍ الى آخر. وهم يدعون القفل كَروانًا ويطلقون على المُكارين اسم القطرجيّة او القاطرجيَّة. واذا رأيت هؤلاء المكارين ولا سيما شيخهم في بيوتهم احتسبتهم من وجوه القوم وذوي الحال الواسعة امَّا اذا حان وقت سفرهم فيلبسون ثياب السفر الدافئة في الشتاء الخفيفة في الصيف وعلى رؤوسهم اللبد. وفي ارجلهم الاحذية الغليظة وهم مدجَّجون بالاسلحة ليدافعوا عن نفوسهم واموالهم ويردُّوا غارات اهل البادية . واذا حان يوم سفرهم يخرجون من البلد

برونق فتسير دوابهم بنظام وهم يعلِقون على اعناقها ولبَّاتها وقُطرَيها واذنابها الجلاجل والاجراس يُسمع لها اصوات مرنَّة وجلبة عظيمة من مسافة بعيدة فيأخذ اللصوص حذرهم لتوهمهم بشدَّة القفل وكثرة الركَّاب. ويمشي الركاب مع هذه القوافل يحتمون بحمى اصحابها ويخرج اهل البلد لوداعهم حتى ارباض المدينة فيكون لخروج القفل مشهد مهيب

وكان موعد سفر قفلنا في ٢٤ ايلول فقضينا الأيَّام الباقيـــة لزيارة الاصحاب وفحص بعض المكاتب العموميَّة والخصوصيَّة في حلب بل امكنًا ان نقتني جانباً من المخطوطات النصرانيَّة والاسلاميَّة وحلب في مقدَّمة المدن التي عُنيت بالعلوم والآداب في القرون الوسطى وفيها ابتدأت النهضة الادبيَّة الجديدة التي تعمّ اليوم مدن الشام كما بيَّنا ذلك في مقالتين نشرناهما سابقاً في المشرق (٩ : ٦٢٩,٦٩١) ولعلّ الثلث من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة قد حصلنا عليها في الشهباء

وفي صباح اليوم الموعود قمنا لسفرنا وكان يوم الثلثاء وفيـهِ واقع عيد سيدة الفداء فجعلنا هذه الرحلة تحت حماية البتول لتبارك ذهابنـا وايابنا. والحقّ يقال انَّ أملنا في مراحمها لم تخب اذ وافق سفرنا حلول تلك الاضطرابات العظيمة والمذابح الهائلة التي اجرت الدماء سيولًا على طريقنا وكادت تذهب بحياتنا غير مرَّة لولا عناية خاصَّة منهُ تعالى

٢ من حلب الى الفرات

يقطع القفل الطريق الفاصلة حلب عن الفرات فالرها بستَّة او سبعة أيَّام وتنيف المسافة بين المدينتين على مائتي كيلو متر والمسير الى الرها في صحاري مخصبة قفراء ليس فيها سوى بعض القرى الحقيرة يسكنها قومٌ من التركمان او بعض اهل المدر من العرب. ووجهة الطريق من حلب الى الفرات شمالية شرقيَّة ثم تعطف الى الشرق

كانت مرحلتنا الاولى الى (جوبان بك) والمرحـلة عندهم تختلف بين ست ساعات وعشر ساعات وهم يدعونها القوناق . ففي هذا اليوم الاوَّل تعرَّفنا برفقتنا وهم نحو عشرين رجلًا منهم نصارى ومنهم مسلمون وكلهم يؤلفون في هذه الاسفار جمعاً واحدًا وعائلة واحدة يؤدي بعضهم لبعض الخدم التي يعتادهـا الاصحاب واذا ركبوا تبادلوا عبارات الوداد وساروا معاً وربَّما تناشدوا الاناشيد المطربة والاغاني

المبهجة لاسيما في سُرى الليل لئلّا يغلب عليهم النوم فيدهمهم عدوّ راصد لهم وراء الصخور او الشجر . ومنهم من يقصُّ القصص على رفقتهِ وبالاخصّ زعماء القافلة الذين يروون للركاب تفاصيل اسفارهم في جهات الشرق كالارمن والعراق والاناضول فتنتهي الساعات والآذان مصغية الى اخبارهم دون ان يجد الركاب مللًا من حديثهم . واذا انجزهُ الواحد خلفهُ غيرهُ الى ان يبلغوا نهرًا او قرية فيستريحون هنيهة او ياكلون اكل الغداء دون ان يحلّوا دوابهم ثم يستأنفون السير حتى يؤدي بهم الى منزل الليل

وهم عادة في هذه البراري يحلّون في جوار قرية حيث يجدون علفاً لدوابهم وماء شروباً . واذا عوّلوا على صرف الليل في مكان انزلوا الحمولة عن الدواب ونسقوها فوق بعضها على شكل تربيع واسع او دائرة فينزل الرَّكب في الوسط ويفرشون فيهِ امتعتهم للنوم امَّا الدواب فيربطونها باوتدة في خارج المربَّع ويتركون عليها اجراسها حتى اذا سرقها لصّ سمعوا صوتها فقاموا الى السارق وهزموهُ . امَّا اذا وجدوا خاناً في بعض القرى فيفضلونهُ لراحتهم وراحة دوابهم وذلك باجرة معلومة

وكثيرًا ما يقتسم الركّاب بينهم مآكلهم . واذا وُجد مَن يُحسن الطبخ اعدّوا طبيخاً يأكل منهُ جميعهم على حساب الركاب كلٌّ بنوبتهِ . واهل القرى ينتهزون فرصة مرور تلك القوافل ليبيعوهم شيئاً من مالهم . وليس لديهم غالباً سوى قليل من خبز الشعير والبيض واللبن

وجوبان بك مرحلتنا الاولى لا تزيد على عشرين الى ثلاثين بيتاً مقبباً وبقربها خيم ينزلها العربان . واذ رآنا اهلها اقبلوا الينا في اسمالهم وحسبونا من اطبَّاء الفرنج فجعلوا يطلبون منَّا الادوية لمرضاهم فاحسنَّا اليهم بشيء ممَّا كنَّا اخذناهُ لحاجتنا كالكينا وبعض السفوفات والمراهم . وقد تكرَّر علينا ذلك في بقيَّة سفرنا . فكان اولئك المساكين يجعلون ثقتهم فينا ويخبرونا باوجاعهم فكنا نسلّيهم ونشير اليهم بالصلاة وبوضع رجائهم في الطبيب العظيم الذي يشفي كل بؤس ووجع او ندلّهم على الادوية البسيطة والوسائل الصحيَّة القريبة التي تفضل على الادوية فكانوا يبتعدون راضين بهذه النصائح . وعرفنا من ثمَّ كم هي رفيعة رتبة الطبيب في البلاد الداخليَّة حيث لا يجد المسقومون من يعالج امراضهم

وفي اليوم التالي سرنا الى الشمال فقطعنا نهر الساجور احد سواعد الفرات واصلهُ

من جهات عينتاب وكان مسيرنا في منتصف الطريق فعن شمالنا كلّس ثمَّ عينتاب ومرعش وعن يميننا منبج وكلها مدن شهيرة لاسيما مرعش ومنبج. وكانت منبج قديماً حاضرة لعمل روماني كبير يُعرَف بالمعاملة الفراتيَّة ويدعون منبج بالمدينة المقدَّسة (ايرابوليس) وكان فيها معبد للشمس كبعلبكَّ وبقيت منبج في ايَّام العرب زاهرة تكثر فيها الانسجة الشهيرة بالمنبجانيَّة او الانبجانيَّة (راجع المشرق ١٤ : ٨٠)

وفي مساء ذلك النهار نزلنا في قرية وسطى تُدعى بزنبور فيها مسجد صغير وخان للقوافل وفي لغة اهلها شيءٌ من الكردية لاسيما في اعلامهم فيدعون حسن « حَسو » وخليل « خَلو » ومحمد « محو » ومصطفى « مصطو » وليس بينهم من يُحسن القرأة غير الآغا وشيخ القرية. والنساء في تلك القرى مُسفرات لا حجاب لهنَّ. وكذا يقال عن سائر قرى البادية الى بغداد

ثم واصلنا المسير الخميس وصباح الجمعة الى « بيره‌جك » فلم نزل نقطع الطريق التي مهدتها منذ اجيال متوالية ارجل الامم السالفة حتى اشرفنا على وادي الفرات فلاح لنا عن بعد ذلك النهر الجليل المتسع الضفاف الزاخر المياه فتذكرنا وصفهُ للنابغة اذ شبه بهِ كرم النعمان فقال :

فما الفراتُ اذا هبَّ الرياحُ لهُ ترمي اواذيُّهُ العبرَين بالزَّبَدِ
يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُترَعٍ لجبٍ فيهِ ركامٌ من الينبوتِ والخضَدِ
يظلُّ من خوفهِ الملَّاح معتصماً بالخيزُرانةِ بعد الأَين والنَّجَدِ
يوماً باجودَ منهُ سَيبَ نافلةٍ ولا يحول عطاءُ اليوم دون غدِ

فاسرعنا منحدرين اليهِ لنروي ظمأنا من مائهِ العذب الفرات كاسمهِ وبقينا ساعةً نمتّع العيون بمسيلهِ فتراه كسيّد مهيب يجري بكل هدوّ ورزانة لا تكاد الباصرة تميز جهة انحدارهِ. وكم مرَّت عليهِ من القرون وشاهد من الحوادث منذ كان يسيل في جنَّة عدنٍ فحضر تسبيح الابوين الاوَّلين لخالقهما بعد ان كوَّنهما بكلمتهِ الحيَّة ثم مدَّة الاجيال التالية حيث التحمت على جوانبهِ تلك الحروب المرعبة فطحنت اممٌ اماً وسحقت دول حديثةٌ دولاً قديمة فقامت مقامها منذ عهد الكلدان والبابليين والاشوريين والماديين الى اليونان والرومان والعرب والترك حتى واقعة نزيب او نصيبين البلدة القريبة من بيره جك في غربيها وهناك انتصر ابراهيم باشا على جيوش

الدولة العثمانيّة في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ وتهدَّد استقلال تركيًا فعارضتهُ الدول وردَّتهُ فارغاً الى قطرهِ المصري بعد مدَّة

فكلّ هذه الوقائع قد شاهدها الفرات وهو هو لم يزل يخصب البلاد التي يمرُّ بها على طول مجراه من اواسط بلاد ارمينيا حيث ينابيعهُ الى شطّ العرب وفيهِ ينضمُّ الى دجلة فيسيران ممتزجين الى ان يصبّا في خليج العجم. والفرات في الجزيرة بمثابة النيل في مصر فانَّهُ في ايدي الشعوب التي احسنت التصرُّف بهِ وقدَّرتهُ قدرهُ كان كنزًا ثميناً لا تنفد ثروتهُ وكفى دليلًا عليهِ مُدُن لا تحصى كانت ترتزق من موارده كسميساط وقلعة الروم والبيرة والرقّة ودير الزور وكان اذا بلغ الى جهات بابل احيا اقطار البابليين كما كانت دجلة تخصب وتحيي بلاد الاشوريين. وكانت قنيّ عديدة تُرى آثارها حتى اليوم تستمدُّ شيئاً من مياهه فتسقي بقاعاً تُؤتي ثمرها بمئتي ضعف حتى ٣٠٠ ضعف كما شهد عليه قدماء المؤرخين

غير انَّ هذه الاحوال قد تغيَّرت في الاجيال الاخيرة واصبح الفرات وشقيقتهُ دجلة كنزين مدفونين لا يأتيان بجزء في المئة من منافعهما. فعسى دولتنا الدستوريّة تسدُّ هذا الخلل قريباً وتستدرك هذا الخسران فتُخرج الى حيز العمل مشروع الريّ الذي قدَّمهُ الانكليزي ويلكوكس وتمنح امتيازًا لشركة تُسرع الى اجرائهِ مع توسيع قعر النهر في بعض الامكنة لتسير فيهِ السفن البخاريّة وليس ذلك من الامور العسرة البالغة النفقات

تلك كانت الافكار التي تدور على خلدنا في تلك الساعة ونحن في انتظار القوارب التي يُقطع عليها النهر . فما لبثت ان اقتربت الى الشاطئ حيث كنّا قائمين فركبناها نحن ودوابُّنا بحمولها. وهذه القوارب على شبه حذاء كبير لا نعل لهُ ولا عقب اذا اتَّصلت بالبرّ لا يصعب على الدوابّ نفسها ان تدخلها وفي اعلاها ملّاح في يدهِ مجذاف طويل يركزهُ في قعر النهر فيتحرَّك القارب الى ان يبلغ الضفَّة الاخرى. وعرض النهر في الصيف لا يزيد عن ١٢٠ مترًا امَّا في وقت الشتاء فيصير كالبحر ويبلغ عرضهُ الف متر وازيد

٣ من الفرات الى الرها

ومعبر الفرات في هذا المكان من المعابر الشهيرة منذ قديم الزمان وكان اليونان



مدينة البيرة او بره جيك وقلعتها المشرفة على الفرات

يدعون المدينة التي بقربهِ العبر (Ζεῦγμα) وكانوا حصّنوها في وجه العدوّ ليسدُّوا في وجههِ معبر النهر. بل جاء في خرافات اليونان انَّ الاله باخوس اوَّل من مدَّ جسراً في هذا المكان لمَّا سار من بلاد اليونان ليفتح ممالك الهند. والمرجَّح ان باني المدينة احد ملوك العجم من دولة بني ارشك فدعاها بيرثا. ولمَّا وقعت هذه المدينة في ايدي العرب سمَّوها البيرة ورمَّموا حصنها المنيع الذي تُرى منهُ حتى اليوم بقايا صالحة. وفي اواخر القرن الرابع عشر اخربها تيمورلنك . ثم استولى عليها الاتراك فدعوها « بيره جك » وهو اسمها الآن

والمدينة الحالية في لحف القلعة على منعطف تلّ يتحدَّر كالدرج . واهلها نحو ١٢,٠٠٠ نفس اكثرهم مسلمون يتكلَّمون بالتركيَّة وبينهم نحو الف ارمني غريغوري و٥٠٠ ارمني كاثوليكي . وبعد مرورنا بشهرين قُتل كثيرون من ارمن بيره جك. وفي المدينة عدَّة جوامع اخصُّها « علو جامع » اي الجامع الكبير وهو قديم حسن الهندسة. وفيها اربع كنائس وثلث مدارس ابتدائيَّة وللكاثوليك منها كنيسة ومدرسة. وتحدق بالمدينة الاشجار والمزدرعات وكان لها سور خرب اكثره كالقلعة وفي جوارها مياه معدنيَّة يُستَحمُّ بها

وبيره جك مركز احد الاقضية الداخلة في سنجق اورفا منها قضاء « روم قلعه » في شمالها حيث كانت قلعة حريزة شادها الروم على الفرات فاضحت مدينةً وكثر اهلها وكان يقيم فيها جاثليق الارمن الى ان استولى عليها الخراب واليوم في مكانها بلدة تُدعى خلفت فيها مركز القائمقام . ومنها قضاء سروج باسم مركزها سروج وهي مدينة عريقة في القدم ذات شأن عظيم كان القدماء يدعونها بطنة وفيها وُجدت آثار جليلة من عهد الاشوريين. وفي جنوبي البيرة ليس بعيداً منها عند مصبّ الساجور في الفرات بلدة صغيرة تُدعى جرابيس وفي جوارها وجدوا قبل ٣٠ سنة اخربة مهمَّة تحقَّقوا انَّها بقايا قرقميش حاضرة الدولة الحثيَّة الشهيرة في تاريخ الحروب الاشوريَّة

وكان مقامنا في البيرة في خان واسع مشرف على المدينة وارباضها فكان مساؤنا هنيئاً منعماً والهواء رطباً منعشاً واجتمعنا ببعض اهل البلد فانسنا بمشاهدتهم وافادونا شيئاً من احوالهم

وقمنا قبل سحر اليوم التالي السبت ٢٨ ايلول لنقطع مسافة طويلة ونتمكن من الوصول الى اورفا صباح الاحد وبين بيرهجك واورفا ٩٩ كيلومترًا اي ٢٠ ساعة. فمشينا في ذلك اليوم عشر ساعات متوجهين الى الشرق . وبعد ان اجتزنا الجبال المكتنفة بالبيرة دخلنا في بقاع ما بين النهرين المخصبة ونزلنا وقت العصر عند خان كبير مبنيّ بالحجارة المنحوتة الضخمة يُدعى «جهار ملك» اي الملوك الاربعة. ويزعم النصارى انَّ هذا البناء يرتقي الى عهد الملوك المجوس وانَّهم كانوا اربعة فدُعي الخان باسمهِ المذكور. وليس الامر كما يزعمون والخان من ابنية القرون الوسطى كما يظهر ولعلّ اسمه يشير الى ملوك نزلوا فيهِ او ابتنوهُ لمأوى القوافل. وبقربهِ جدول ماء يسقي تلك الانحاء ويشرب منهُ الزرّاعون الذين هناك

ولمّا حللنا الرحل انتهزنا الفرصة لاقامة صلاتنا عند الاشجار التي تظلّل مجرى المياه واذا برجل هناك حسن اللبس وضيء الهيئة اقترب منّا وطلب دواء يعالج بهِ امرأتهُ ليزيل عقمها فاشرنا اليهِ بالصلاة الدواء العظيم لمثل هذه الحاجات مع الاحسان الى الفقراء وصرفناهُ بلطف

كان اليوم التالي يوم الاحد وفيهِ عيد الملاك ميخائيل فألححنا على رفقتنا واقنعناهم بان يقوموا نصف الليل لنبلغ الى الرها في ضُحى النهار ونقدّم القداس الالهيّ في كنيسة الآباء الكبوشيين فاجابوا الى ملتمسنا. وما كنَّا قطعنا ميلًا من الخان واذا ببعض اللصوص كمنوا لنا وراء تلّ هناك وحاولوا ان ينهبوا القفل الّا انَّ اصحابنا شعروا بهم فنادى بعضهم بعضاً واطلقوا بنادقهم الى جهة المتلصّصين . امَّا نحن فطلبنا شفاعة رئيس الملائكة ميخائيل في يوم عيدهِ فما تأخر عن مساعدتنا فاوقع الرعب في قلوب اللصوص الذين ولّوا هاربين وظنوا ان عددنا غفير جدًّا فلا طاقة لهم بنا

وقد تذكرنا وقتئذٍ ما حلّ في هذه الامكنة عينها برسلَين يسوعيين وهما السيد مبارك بلانشه (M^{gr} B. Planchet) القاصد الرسولي على ما بين النهرين والاب يوسف لابورد (P. J. Laborde) وذلك في اواسط تشرين الثاني من السنة ١٨٥٩ فانهما اذ كانا سائرين مع القفل من ديار بكر الى سويرك طلب السيد بلانشه ان يستريح قليلًا لنوبة من الحمى اصابتهُ في الطريق فسبقهُ القفل وبقي وحدهُ في رفقة الاب لابورد واذا بقوم من الاكراد هجموا عليهما وسلبوا كل ما لهما

وضربوهما بالسيوف والحجارة وتركوهما على آخر رمق. ولمَّا عرف رفقتهما ما جرى لهما حملوهما الى سويرك حيث توفي السيد پلانشه امَّا الاب لابورد فشفي باعجوبة من العذراء مريم التي ظهرت لهُ وأبرأت جراحهُ فقام من ساعتهِ معافًى

وبعد مسير ست ساعات عند طلوع الشمس ولجنا في طريق محجرة كانت تمرُّ بين تلال وصخور. وكنَّا نرى فيها المغاور والكهوف المنحوتة التي كان يسكنها السيَّاح وعبَّاد النصارى في قرون النصرانيَّة الاولى لمَّا جارى رهبان ما بين النهرين غيرة رهبان الصعيد فزهدوا بالدنيا وانقطعوا الى امور الآخرة

وكان وصولنا الى الرها في ضُحى النهار فتركنا القفل في خارج البلد وقصدنا دير المرسلين الكبوشيين الذي رحَّبوا بنا واستقبلونا استقبال الاخوان ولم يذخروا وسعاً في سبيل خدمتنا مدَّة اقامتنا عندهم فتحققنا قول النبيّ داود: « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » وهو امر اختبرناهُ مدَّة رحلتنا كلها عند كافة المرسلين الذين نزلنا عندهم من اي رهبانيَّة كانوا فلا يسعنا الَّا الشكر على لطفهم وكرم طباعهم وحبهم الاخوي طالبين من ابي المواهب ان يجازيهم خيرًا عن صنعهم (يتبع)

من أعلى منارة بيروت

للاديب سليم البستاني احد طلبة كليتنا

تبارك صُنعُ الله في البرّ والبحرِ	ألا فاحمدوا الرحمنَ بالنظم والنثرِ
تباركَ مَن ذرّ الكواكب في العلى	وزان أديم الارض بالحُلَل الخضرِ
اذا سكتت عن حمدهِ ألسنُ الورى	تُسبّحهُ الأكوان في السرّ والجهرِ
لقد شاقني رقصُ الطبيعة في الضحى	على نغم الاطيار في جنَّة البِشرِ
لذا حدَّثتني النفس ان اقصد الربى	فلم أرَ للإحجام وجهاً من العذرِ
صعدتُ الى اعلى المنارة ناظرًا	الى ما حواهُ الكون من طُرَفٍ غُرّ
وحلقتُ في جوّ الخيال بفكرةٍ	بلغتُ بها شأوًا يعزّ على النسرِ
وسرّحتُ طرفي في البريَّة فانثنى	يُردّد آياتِ المهيمن بالشكرِ
سبى مُقلتي لبنانُ مُنيةُ مهجتي	فأسكرني والفخر يغني عن الخمرِ

تنشَّيتُ عَرفَ الطُّهر من نفحاتهِ فروَّحَ روحي عرفُ ذيَّالك الطهرِ
رَنوتُ الى أطوادهِ وهضابهِ وقد عبثت بالدهر عصراً على عصرِ
ومتعتُ ابصاري بجنَّات عَدْنِهِ فخلتُ سماء الحسن في ذلك المصرِ
لقد شقَّ سيفُ السيل صدرَ جبالهِ ففجَّر انهار اللُّجين من الصدرِ
اذا افتخرت ارض بعِقيان تُرْبها فأنهار لبنان كنوزٌ من اليُسرِ
فأكرِمْ بقطرٍ يملأ العين قرَّة عليهِ طرازٌ حبَّرتهُ يد القطرِ
ألا صوِّبوا الانظار نحو سمائهِ تروْها كمرآةٍ صفا ماؤها الدرّي
يجمِّلها في الليل أبهر كوكبٍ يسيرُ الهُوَينا بين انجمهِ الزُّهرِ
وتختالُ في افلاكها ربَّةُ البها على عرشِ نُور في وشاح من البرِّ
فقلَّبتُ في تلك المشاهد مقلتي وقلبي يصوغُ الشعر فيها ولا ادري
الى ان سمعتُ البحرَ يخفق قلبهُ هُياماً فوجَّهت اللحاظ الى البحرِ
رأيتُ بساطاً أزرقاً فوق مَتنهِ تُلاعبهُ الارياح في الطيِّ والنشرِ
اذا رضيَت خلتَ الخضمَّ صفيحةً وان سخطت خلت الجبال بهِ تجري
لقد فتنت آثارُ لبنان لُبَّهُ فحاول ان يسعى اليها على البَرِّ
ولمَّا رأى سُدًّا متيناً يصدُّهُ تألَّبت الامواج كالعسكر المَجرِ
كأني بهِ والموجُ يعلو متونهُ خطيبٌ غَضوبٌ يُنذر البرَّ بالكرِّ
يهيج هياج الليث في طغيانهِ وينحب كالثكلى وينهضُ للوترِ
ويصدم اطراف الشواطئِ حانقاً ويطعنها بالموج لا بالقنا السُّمرِ
يرى الارض لا تخشى كتائب موجهِ فيبدي ضروب الغيظ في المدِّ والجزرِ
ويبصرُ في تلك الجبال معاقلاً فيزبد سخطاً راصداً فرصة الغدرِ
اذا كرَّ فلَّ الصخرَ جرَّارُ موجهِ فيرتدُّ مهزوماً على عقب الذعرِ
فأعجبْ به بحرًا يحيِّر فكرتي بما فيهِ من خير وما فيهِ من شرِّ
رسا اللؤلؤ الوهَّاج في غورِ لجِّهِ مخافة ان يُبلى بشائبةِ الكِبرِ
تسيرُ الجواري فوق متن عُبابهِ كما تسبح الأجيادُ في المَهْمَهِ القفرِ
فلولاهُ ما اهتزَّت ركابُ رجالنا الى أسحقِ البلدان في طلب الوفرِ
فعادوا باموال جلت عن بلادنا جيوش همومٍ جنَّدتها يدُ العُسرِ

على انَّ لليمّ الخضمِ كوارثاً واصغرُها خنقُ النفوس على الغمرِ
فكم من غريق ذاق في البحر حتفهُ فزّج بهِ التيَّار في هوَّة القعرِ
تجمَّعت الحيتان من حول جسمهِ فصادف في اجوافهــا لجَّة القبرِ
وكم من فتًى قد بات فوق غمارهِ كما باتت الورقاء في مخلب الصقرِ
لئن هالني العجَّاجُ وقت كلوحهِ فبهجتُهُ تجلو البلابل عن صدري
تمدّ اليهِ الشمس من عرش مجدها حبالًا كاسلاكِ اللآلىء في النحرِ
كاني بها ترنو اليــهِ صبابةً وتبغي اللقا والدهرُ يحكم بالهجرِ
لذلك تعلو وجهَها صُفرةُ الجوى وفي قلبها الاشواق تلذعُ كالجمرِ
اذا حان ميعــاد الفراق تلهَّفتْ وانَّت وسَيْلُ الدمع من عينها يجري
تُودّعــهُ والشرقُ يزفو لوعةً فللــه توديعٌ امرُّ من الصبرِ
كذلك يلقى المرء آخرَ عمرهِ اذا صرف الأيَّام في اللهو والوزرِ
لقد سامني هجرُ الغزالة وحشةً اشدَّ على قلب الابيّ من الاسرِ
ولولا هلالٌ لاح في غسَق الدجى لبتُّ بلا أُنس الى مطلع الفجرِ
بدا في سماء العزّ ينشر نوره على صفحات الكون مبتسم الثغرِ
ومن حولهِ زُهر النجوم كانهــا جنودٌ لهُ تحميه من صولة الدهرِ
هفا القلبُ مني حين أرخى حبالهُ على طود لبنان بمظهرهِ الدُّرّي
فخلتُ على تلك الجبــال بحيرةً من النور او روضاً من الدرّ والسحرِ
جبالٌ اذا أمَّ العليلُ رياضهــا تنشَّى عبيرَ البُرء من نفَس الزَّهرِ
شُغفت بهــا طفلًا واني محبُّهــا ولا انثني عن حبِّها مدَّةَ العمرِ
حوتْ من أُباةِ الناس قوماً تنزَّهت نفوسهمُ عن موقف الضيمِ والضرِّ
لهم همَّةٌ شمَّاء لا تعرف الوَنى وقلبهمُ قد قُدَّ من مهجة الصخرِ
نظرتُ الى بيروت تختــال عزَّةً بابنيةٍ شُمٍّ تجلُّ عن الحصرِ
عليها سمات الظرف والمجد والبها ومن حولها الجنَّاتُ عابقةُ النشرِ
تحدّث عن اخلاق سكّانها الأُولى عرفنا بهم صــدق المهزَّةِ للبرِّ
فكم لُجنة خيريةٍ تبذل اللُّهى لتدفع عن اهل الشقا عارة الفقرِ
ألا حبَّذا تلك المشاريع انَّهــا تُنيلهمُ الذكر الجميل مع الاجرِ

اذا افتخرت اهل اليسار بمالهم ففخرهمُ بالفضل والعمل البرّ
اطلتُ وقوفي في المنارة باحثاً فضاق مجال النظم عن كرّة الفكرِ
وما كان عهدي بالقريض يخونني ولكن نطاقُ الوصف اوسع من شعري

مرآة الحسناء

ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مرّاش
نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

فرنسيس بن فتح الله المرّاش احد نوابغ الشعراء الحلبيين في القرن المنصرم وقد ذكرناهُ مع غيره من اسرتهِ الكريمة في كتابنا تاريخ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر وعددنا تآليفهُ (ج ١ ص ٤١). ومن كتبه التي نُشرت بالطبع ديوانهُ المدعو مرآة الحسناء الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٧٢ في مطبعة المعارف بهمَّة احد ادباء الكتبيين المسلمين احمد وهبي الحلبيّ . فعرف بهِ الشعراء ما آتاهُ الله صاحبهُ من القريحة الوقّادة لنظم القريض الحسن والشعر الرائق الذي قلّما فاقهُ فيهِ معاصروهُ لاسيَّما النصارى اللهمَّ الّا بعض الافراد كالشيخ ناصيف اليازجيّ وبطرس كرامه . ولذلك اطرأه شعراء عصرهِ من مسلمين ونصارى فقال الشيخ بكر الزهري عنهُ مؤرخاً :

هو شاعرُ الدنيا بديع زمانها انسانُ عين خلاصة الفصحاء
فلهُ من الشعر الحلال قصائدٌ كقلائد نُظمت من الجوزاء
لا عيب فيهِ غير انَّ لسانهُ ينبوع كلّ بديعةٍ غرَّاء
عجباً فارّخ كلَّما سطع البها هذا جمال المرأة الحسناء

والديوان المطبوع غزير المادَّة وافر القصائد البالغ مجموعها ٣٤٨ صفحة من قطع الثمن . وهو اليوم قليل الوجود . وقد وقعت في يدنا نسخةٌ منهُ مخطوطة قد بيعت مؤخرًا في بيروت فاشتراها جناب الاديب الهمام يوسف افندي ليان سركيس تكرَّم علينا بالنظر فيها وسمح لنا بالكتابة عنها في المشرق ان استصوبنا الامر . فبعد المراجعة رأينا انهُ لا يخلو تعريفها من الافادة

فهذه النسخة المخطوطة صغيرة الحجم متقنة الكتابة ومجلَّدة بجلد احمر منقوش

بالذهب يبلغ عدد صفحاتها ٢٤٧ صفحة الّا انَّهُ قد نُوع منها كرَّاس (٦٢ — ٧١) من القصائد الداليَّــة وخطّها نسخيّ ناعم في غاية الحسن والضبط تحتوي كل صفحة منهُ ١٨ بيتاً . واسم الناظم لم يُروَ في صدر الكتاب بل لم يُذكر في اثنائــهِ ولولا اشارات خفيفة في بعض القصائد لمــا عرفنا ناظمها . وكذلك اسم الديوان وتاريخ كتابتهِ ليسا بمدوَّنين هناك وكأن الشاعر لم يعوّل بعــد على طبعهِ فلم يختر لهُ اسماً يوافقهُ

وقد قابلنا مــا تحتويهِ النسخة الخطيَّة من المنظومات مع الديوان المطبوع فاذا هناك عدَّة قصائد او مقطعات لم تُنشر بالطبع فلم نعلم سبب الضرب عنها ولعلَّ ناظمها او المتولي لطبع الديوان لم يستحسنها فعدل عن نشرها واستعاض عنها بقصائد اخرى تُرى في النسخة المطبوعة لا ذكر لهــا في المخطوطة او يكون جامع الديوان المخطوط احد اصحاب الشاعر جمع هذه المنظومات من اوراقٍ بعد وفاتهِ سنة ١٨٧٣ فان فرنسيس مرَّاش كان في اواخر عمرهِ مكفوف البصر فمن المحتمل ان تكون هذه الاوراق فُقدت منهُ فوجدت في تركتهِ بعد موتهِ وكتبت في هذه النسخة والله اعلم

وعلى كلّ حالٍ قد احببنا ان ننشر هنا اجود هــذه القصائد لئلّا تأخذها يد الضياع . فممَّا ورد لفرنسيس المرَّاش من الشعر في باب الهمزة قولهُ (ص ١١) في مدح بعض مواطنيهِ المسمَّى رزق الله يشكرهُ عن نعمةٍ نالها :

فوزُ الصغير بساعدِ الكُبَراء ... وقوى الضعيف بقوَّةِ العظماء
لولا ضياء الشمس في جَلَدِ السما ... لم يأتِ جرمُ البدر بالاضواء
ذو الخير عن راجيهِ ليس بمُعرضٍ ... واخو المروَّة ملجأُ الضعفــاء
ما كنتُ ممَّن حاز كلَّ سعادةٍ ... لولا الذي قد حاز كلَّ سناء
اعني بــذاك الشهمَ رزق الله مَن ... بنوالــهِ يعلو على الانواء
الفاضل البادي الشهامة من غدا ... تاجَ الكرامِ وهامةَ العقلاء
قد جئتُ مفتخرًا بوصف صفاتهِ ... مدحُ الاكارمِ فخرةُ الشعراء
يا ايُّها الفطنُ الذي بسما الهدى ... شمسٌ ويمشي مشيةَ الجوزاء
ببحورِ فضلك قد غرقتُ فان أَقُم ... عمري بشكرك لا يقوم وفائي
فلك المدائح والثنا والشكرُ ما ... لثمتْ خدودَ الورد ريحُ صباء

ومن نظمهِ في قافية الباء بيتان (١٥) كتبهما على كيس تبغ :

اذا فاح عرفُ المسك يومًا بمحفلٍ ... فانَّ شذا هــذا الدخان لأَطيبُ

سقى الله ارضاً انبتتهُ مع الصفا وغادرت الاكدارَ بالنار تُلهبُ

ولم نجد في الديوان المطبوع في قافية الباء قصيدةً انشدها سنة ١٨٥٦ في مدح السلطان عبد المجيد اوَّلها قوله:

علتْ فلكَ المجد العظيم جوانبُهْ فحلَّتْ امانيهِ وسارت مواكبُهْ
مليكٌ يصيبُ النائباتِ بمثلها اذا ما بدت كتَّابُهُ وكتائبُهْ
مجيدٌ حليمٌ عادلٌ ذو عناية حميدٌ حكيمٌ باسلٌ عزَّ جانبُهْ

ومنها: لقد زان أُفقَ الملكِ كوكبُ أنسهِ وليس يزينُ الأُفقَ الّا كواكبُهْ
وقد طلب الفوز الكبير فنالهُ على قدر المطلوب قد جاء طالبُهْ
تمورُ قلوبُ الخافقين مهابةً اذا انتشرت اعلامُهُ وقواضبُهْ
ومذ لاح نور العدل منهُ انجلى بهِ ظلام الردى والظلمُ هارت غياهبُهْ
سرت نسماتُ الأَمن منهُ فأنعشت قلوبَ الورى والدهر طابت مشاربُهْ
فيا ربِّ صُنْهُ ما بدا الصبحُ باسماً على النور والديجورُ شُقَّت جلابيبُهْ

وقال من قافية التاء في تاريخ زفاف المسمى دانيال (ص ٣٥):

بلابلُ الانس والافراح قد صدحت في حيّكم وزهور البشر قد نفحتْ
وكوكبُ السعد من برج الهناء بدت انوارهُ فجلَتْ ليل الاسى ومحتْ
هُنّئتمُ بزفافٍ كالجنان زها رنّت بهِ حلبُ الشهباء وانشرحتْ
عرسٌ تموَّج بحر المكرماتِ بهِ وعن سماهُ نجوم المجد ما نزحتْ
اقول حين ارى التاريخ تمَّ بهِ لدانيال قلوبُ الشعب كم فرحتْ

وقال يتشوَّق الى صديقهِ نصر الله وفيهِ تضمين اسمهِ (ص ٣٦):

بُعد الاحبَّة لا يزال محاربًا قلبي بنار الشوق والزفراتِ
فانا القتيلُ ومن يبشّرنا تُرى بورود نصر اللهِ فهو حياتي

ومن نظمه في باب قافية الثاء (ص ٣٧) يهجو رجلًا ورث مالًا فتشامخ:

ان تنَلْ تالدًا يقولوا وريثُ او تُصِبْ طارقًا يقولوا حديثُ
انَّما الفضل للذي يربحُ الامـوال بالجدِّ فالوريثُ خبيثُ
حدَّثوني عن احمقٍ انَّهُ ظنَّ م السنا بالغناء وبئس الحديثُ
أيُّها الغمرُ لستَ تغنمُ بالما ل سناءً فالمالُ شيٌ غثيثُ
ان ورثتَ الاموال مذ غفل الدهـرُ فما الفضلُ والنُّهى موروثُ
انتَ لولا الميراثُ ما كنت تسوى درهمًا للشرا قمتْ يا وريثُ
ان تَفُتْكَ الاموالُ من سطوة الفقـر فمن سطوة المنى من يغيثُ
والغنى لم يُفِدْكَ اذ انت محتا جٌ الى العقل وهو عنكَ نثيثُ (كذا)

ولهُ في قافية الحاء تاريخ زفاف المسمَّى عبد الله (ص ٤٥):

بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ وجلا سنا السرَّاء دَيجور الترحْ
عرسٌ بهِ صدرُ الزمان قد انشرحْ فصفا ومن احكامهِ البؤس انترحْ
تَترى اليهِ اقبلتْ غررُ المُلَحْ وبروضهِ زهر السعادة قد نفحْ
ناديتُ اذ ظلَّ الهناء وما برحْ فالله تبيانَ التواريخ منحْ
بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ ١٢٧٣ (١٨٥٦)

وقال في من يزخرف القول ولا يكترث للمعنى (ص ٤٥):

يا من يزخرف قولًا علَّ يُفحمنا بهِ أَلَا دَعْ كلامًا غير ممدوح
فزُخرفُ القولِ في ما لا مقامَ لهُ كثوب وشيٍ على جسمٍ بلا روح

ولهُ تهنئة في مولود (من قافية الدال ص ٤٩) سنة ١٨٥٠ :

لكمُ الهناء وليَ المسرَّةُ سرمدا في خير مولودٍ بحيّكمُ بدا
قد جاء فخرًا للرجال وزينةً بين العشائر وللملا عزًّا غدا
لا زال نورُ المجد فوق سريرهِ والبشرُ منبجسًا ويعلو الفرقدا
للهِ من فيهِ بتاريخٍ ارى شمس السرور ببرج يوم اسعدا

وقال هذه الزهريَّة (ص ٥٨):

طابَ الصَّبوحُ فدعْ جوارَ المرقدِ وانهض الى الروض العذيب الموردِ
هلَّا رأيت الليل ولَّى هاربًا والفجر جاء على جوادٍ اربدِ
ونضا بياضُ الصبح ابيضَ نورهِ ورمى بهِ عنق الظلام الاسودِ
فذر الهموم على الفراش وسرْ بنا نحو الرياضِ نَفُزْ بعيشٍ ارغدِ
حيثُ الصبا سقَتِ الرُّبَى خمر الندى والوُرْقُ ابدت نغمةَ الصوت النَّدي
والطلُّ لاح على الشقيق كانهُ عرَقُ الحياء على خدود الخُرَّد
والزهر بين مرصَّعٍ ومنضَّدٍ والنهرُ بين مدرَّعٍ ومزرَّدِ
والنَّوْر في تلك الخمائل قد حكى دُررًا نُثرنَ على بساطِ زبرجدِ
ثَغر الأَقاح هناك يبسمُ كلَّما يبكي الغمامُ وما لهُ من مُنجدِ
للهِ من روضٍ انيقٍ خلتُهُ مغنًى يُزَانُ بكلِّ نقشٍ جيِّدِ
صدحت طيور الانس فيهِ والصفا ء صفا من الاكدار والبؤس الردي
مغنًى غدا للظُّرف ظرفًا اذ حوى معنًى اليهِ سوى الهنا لم يُسنَدِ
وحكى كناسًا في كثيبٍ حولهُ يرعى وينشا كلَّ ظبي اغيدِ
فلنعمة الله انتمى وبنصرهِ وجد السنا وبعبدهِ لم يُفقَدِ
وبهِ السرور بدا فقلتُ مؤرخًا الضيمُ في هذا الحمى لم يوجدِ

وقال في قافية الراء في مدح بعض ادباء الشبَّان من قصيدة (ص ٨١):

غصنٌ بروضِ المكرمات قد انثنى ولقد نما في ذروة الاحرارِ

اوصافهُ راقت فأبدت للورى صور الجلال فحيَّرت افكاري
ريحانةُ الارواح ذكرُ خلالهِ تلك التي تصفو عن الاكدار
حسنُ السجايا ذو فعال ما حوت عللًا فقد سلمت عن الاوضار
لا عيبَ فيهِ غير ان خصالهُ بالعقل تفعلُ فعلَ كأس عقار

ولهُ في مدح جبرائيل دلّال من قصيدة (١٠٢):

ما روضةٌ نظمت ايدي النسيم لها عقدًا من النَّوْر اضحى نزهة البَصَرِ
وافترَّ ثغر الأَقاحي والغصونُ بدتْ بالرقص لمَّا شدا القمريُّ في الشجرِ
يومًا بأحسنَ مرأًى من محاسن مَنْ تجلى ببشر ابن دلّالٍ على البَشَرِ
من لم يزل بخلوص الودّ مشتغلًا ومن غدا معهد الالطاف والغُرَرِ
ندبٌ حزُومٌ اغرٌّ فاضلٌ فطنٌ صافي الصفات سليم القلب والفِكَرِ
تلقاهُ شيخًا كبيرًا بالمعارف اذ يروي حديثًا وفي العشرين لم يصرِ
سادت شمائلهُ جادت انامله كادت فعائلهُ تعلو على الزُّهُرِ
حسَّادهُ فنيت قصَّادهُ غَنيت ورَّادهُ رَويت من كفّهِ الهمرِ
يرعى الاخاء بحالَيْ شدَّةٍ ورخًا ويعضدُ الصحب في عسرٍ وفي يسرِ
افادهُ اللهُ في سنّ الحداثة ما لم يَستفدْ بعضهُ كهلٌ مدى العُمرِ

وممَّا لم يروَ ايضاً في ديوانهِ المطبوع قصيدة قالها في مدح رشيد باشا لمَّا قدم حلب كمشير (ص ١٠٥) اوَّلها:

ما لوجه الشهباء يشرقُ بِشْرا وعلى م كلٌّ يُقدّم نَذْرا

الى ان قال:

الرشيد السامي محمَّد من قد راح يعلو على الكواكب قدرا
من على الجَوْر شنَّ غارة عدلٍ فحباهُ القديرُ فتحًا ونصرا
مُذ اتى جاء إثرَهُ الدهر بالسرَّاءِ والدهر لا يجيء بسرًّا
كُسيت في قدومهِ حلبٌ ثوبَ نعيمٍ وجاءها الخيرُ تترى
وتغنَّت بلابلُ الانس في دوحِ مغانيهِ والسلامُ استقرًّا
مدَّ كفًّا يفيضُ بحر نوالٍ فهو حلوٌ وقطُّ لم يُبدِ جَزْرًا
في رياض الاحكام قد غرس الحقَّ م واجرى من العدالة نهرا
مهَّد الحكم بالسواء وقد أنسجَ طرقَ الاماني برًّا وبحرا
كم وكم حقَّ شكرُنا لمليكٍ قد هدانا هذا الوزير الاغرَّا
هو عبدُ المجيد ذو النعم واللاءِ على الناس ظلهنَّ اسبطرًّا
من غدا في سما الممالك بدرًا وبجيد الزمان اصبح درًّا
فاسألوا الله يا عبادُ فهذا حظُّكم أن يطول قدرًا وعمرا

ومن ظريف شعرهِ غير المطبوع في قافية السين قولهُ يمدح مطران حلب الطيب الذكر بولس حاتم مؤدّبهُ سابقاً (ص ١٠٩):

العقلُ افقٌ والعلومُ شموسُ — والشعرُ روضٌ والمعاني غروسُ
سبحان من اهدى العقول خفيَّة — يُجلى بها المعقولُ والمحسوسُ
والعلم مصباح يُنير وكم بهِ — تُهدى الى سُبل الرشاد نفوسُ
ما كلّ ذي علم كأرسطو ولا — كلّ امرئ بالطبّ جالينوسُ
ما مرَّ دهرٌ خالياً من مفردٍ — فيهِ بجلباب العلوم يميسُ
واليوم قمتُ بمدح مَن في دهرهِ — اضحى فريدًا شخصهُ المأنوسُ
الاسقف الراعي الامين اخو الهدى — السيِّد النحريرُ والنقريسُ
من في رياض العقل منهُ يانعٌ — غرسُ المعارفِ والذكا مغروسُ
آراؤهُ شهبُ الحقائق والهدى — ولسانهُ الناموسُ والقاموسُ
متسربلٌ ثوب الطهارة والتُقى — ما شانَ حسنَ نقائهِ تدنيسُ
يا ايُّها الحبرُ المعظَّم شأنهُ — لا شكَّ انَّ الشان منك نفيسُ
ان قمتُ اهديك المديح فانّني — اهديك مالك ايُّها القُدْموسُ
اوليتني خيرًا وقد فقَّهتني — فانا بروض الفضل منك جليسُ
فلك المديح مضاعفاً والشكرُ ما — لاحت بآفاق السماء شموسُ

ولهُ في قافية السين موشح رُوي قسمٌ منـهُ في الديوان (ص ١٥٣) ولم تُذكر ادوارهُ الاخيرة في مدح المسمَّى نعمة الله. ومن قصائدهِ اللاميَّة الحسنة رثاء قالهُ في والدهِ وكان توفي في الغربة (ص ١٤٤) هذه بعض ابياتهِ:

يا روحِ ان نفدت دموعي سيلي — بدمي ويا قلبِ التهب بغليلي
داءٌ ألمَّ بنـا فليس دوًا لهُ — غير اتّقاد حشًى وطول عويلِ
في فقد والدنا الذي لم يُبقِ في — احدٍ فؤادًا ليس بالمشغولِ
فردٌ قضى والفضلُ اجمالٌ بهِ — والموتُ كم يسعى لقنص فضيلِ
أيلذُّ بعـدك بالنوى عيشٌ لنا — ما العيش بعد نواك غير فضولِ
ان لم يكن رسلٌ اليك ليشرحوا — حالي فني الروحُ خيرُ رسولِ
ودَّعتني قبل الرحيل ولم أكن — ادري الذي سيكون بعد رحيلِ
يا ليت كنَّا حول جسمك ركَّعًا — لتبرُّكٍ كبني اسرائيلِ
ابقيت بالارواح منَّا حسرةً — تزدادُ ما زاد المدى بالطولِ
بالارض نَوحٌ مذ نأيتَ وبالسما — للقائك الامـلاكُ في تهليلِ

ولهُ في قافية اللام قصيدة طويلة (ص ١٥٠) اجاب فيها احد العلماء على لُغز في العين ختمها بقوله:

فالفزك عينٌ والعيون كثيرة   أيا من غدا اكليل تاج الافاضلِ

وفيها ايضاً هجو شيخ جاهل قابل بينه وبين شيخ فاضل فقال (ص ١٥٢):

وما شيخٌ طويل الذقن كهلٌ   وليس لهُ كما الصبيان عقلُ
قبيحٌ ماكرٌ برمٌ مُضِلٌ   شحيح فاجرٌ نحمٌ عُتلُ
تراءى في ثياب الصدق لكن   لهُ بذيول ثوب الكذب رفلُ
لقد شابت ذوائبـهُ فشبَّت   قبائحهُ فذا شيخٌ وطفلُ
لحاهُ الله من غمرٍ جهولٍ   لهُ وجهٌ لصفع الكفِّ اهلُ
مللتُ هجـاءهُ عجزًا ولكن   بمدح اخي الفضائل لا املُّ
كثير الودّ ذو طبع سليم   كريمٌ ماجدٌ ندبٌ أجلُّ
فكم شخصت عيون المجد فيهِ   وعاد بهِ لسان الحمد يتلو

وفي هذا الباب لاميَّة في ١٩ بيتاً قالها في مدح المسيو جوفروا كنشلير دولة فرنسة في حلب وكان نال لهُ ان يكون تحت حماية دولتـهِ وانقذهُ من جور لحق بهِ (ص ١٥٣) وهذه القصيدة روي منها في الديوان (ص ٢١٨) سبعة ابيات فقط ولم يُذكَر فيها الممدوح وسبب المدح. فمما قال فيها:

والمرء لا ينفكُ عن مثلٍ لهُ   لكن لمن ارجوهُ ليس مثيلُ
اعني بذلك جفرُوَا فخرَ الملا   مَن قد صفت في وقتهِ الاحوالُ
من سعيكم نلنا الخلاص من العدى   وبغوثكم طالت لنا اذيالُ
قد راق مدحي في جميل فعالكم   والمدحُ في اهل الجميلِ جمالُ

كذلك ورد في هذا الباب في النسخة المخطوطة (ص ١٥٦) مدح الامير بشير احمد في لبنان لم يُروَ منهُ في الديوان (ص ٢٢٠) الّا نصفـهُ وسُكت هناك عن الممدوح كقولهِ متخلِّصاً من الغزل الى المدح:

فما حسنُ التخلُّص منكِ الّا   بمدح امير لبنانَ الفضيلِ
اميرٌ امجدٌ شهمٌ بشيرٌ   خطيرٌ احمدٌ سامي الحصولِ
رفيعُ ذرًى اتى الدنيا سليماً   بجيلٍ قد زرى في كل جيلِ
يلوحُ بحالة الافضـال بدرًا   ويرفلُ من كمالٍ في ذيولِ
لقد وفرت بحورُ الجود منـهُ   فليس لنا سواهُ من خليلِ
غدا بسماء لبنانٍ شهاباً   لهُ ببروجهِ شرف الحلولِ

ومما لم يُروَ لهُ في قافية الميم قصيدة مدح فيها احد بني المدوَّر وكان انعم على بعض اصحابهِ فاقترح هذا عليهِ شكرهُ. اولها:

بشرى الكئيب بما بهِ يتنعَّمُ   فقد انجلى عنهُ المصابُ المؤلمُ

ولهُ في قافية النون وصف لجريدة كانت تُدعى المشتري كانت تُطبع في باريس ولعلَّ متولي طبع الديوان اضرب عنها لسبب سياسي (ص ١٨٦) منها :

لِيَ عين تظلُّ جنحَ الدياجي ترقب المشتري فيا سَعْدَ عيني
كوكبٌ قد غدت اشعَّتهُ اخبا رَ صدقٍ ما شابها من مَينِ
فمن الغرب قد بدا ولِلُقيا هُ غدا الشرق باسط الراحتينِ
يرشد الناس للتمدُّن والتهذ يب فهو الآتي من النوعينِ
فيهِ شملُ الاخبار يحكي الثريَّا فاليهِ يُشار بالكفَّينِ

وكتب على كيس دخان :

اذا اصابك همٌّ مِلْ نحو بنت الدنانِ
وان يَضِقْ لك صدرٌ يُفرَجْ بهذا الدخانِ

وفي الديوان المطبوع (ص ٣١٧) القصيدة التي قالها فرنسيس مرَّاش في مدح الشيخ ناصيف اليازجي. الَّا انهُ لم يرو جواب الشيخ عليها وهذه الابيات لم نجدها في ما طبع من اشعارهِ ولذلك احببنا ان نثبتها هنا :

دارُ التي شطَّ عنكَ معهدُها قريبةٌ والنزارُ يُبعدُها
وحبَّذا بعد ما يُرام عن النفس التي لا تنالهُ يدُها
تلك الفتاةُ التي يشيبُ لها عن فيئةٍ العاشقين امردُها
مقصورةٌ في الخيام مقلتُها يقطعُ ببيضَ الصفاح أسودُها
رخيمةُ النطق ضمَّ مَبسمُها مثل الذي ضمَّهُ مقلَّدُها
كأنَّ ذاك الحديثَ قافيةٌ من ابن مرَّاشَ قام يُنشدها
ذاك الهلال الذي يلوحُ بهِ نور البدور الذي سيكمدها
غصنٌ نشا في الرياضِ مقتبلًا والدوحُ من مثل ذاك مولدها
افادَهُ الله في حداثتهِ مواهبًا لم يزل يجدّدها
اقلامهُ كالسيوفِ ماضيةٌ مرفوعة الشانِ اذ يجرّدها
مواهبٌ يشهد العدوّ لها برغمهِ والصديق يحسدُها
قامت تخوضُ الظلامَ طالبةً صبحًا الى ضوئهِ يردّدها
لله في الخلق حكمةٌ جرت ونعمةٌ لا يغيضُ موردها
من كان يبغي دوامَ نعمتهِ فلا يكن في الزمانِ يجحدها

وفي هذه النسخة المخطوطة غير الذي روينا وانَّما اوردنا ما وجدنا فيهِ افادة ويشهد للشاعر بجودة القريحة وذكاء القلب فنقف عند هذا الحدّ

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

وفي ابتداء سنة الف ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) تولى ❊ عبدالله باشا ثاني مرَّة ❊ وبعد ايام قريبة حضر يوسف باشا الوزير الاعظم بعساكر وافرة لمحاربة الفرنساوية وطردهم من مصر وبوصولهِ الى حمص وحماة طلب عبدالله باشا فخرج من الشام واجتمع بالوزير بحمص. ثم وصل للشام وقتل اناساً كثيرين من الذين عملوا هيجاناً واضطراباً. من جملتهم عبيد الادهمي وهذا كان شريرًا والتفَّ اليهِ جماعة معترين (١ نحو اربعين (او) خمسين نفرًا وكان ينزل على بيوت اسلام ونصارى ويرضونهُ بالمال. وعمل اضرارًا كثيرة حتى راح فيهِ عرضحالات للوزير من اهالي الشام. واما المذكور فانَّهُ خاف من الوزير فاحتمى عند عبدالله باشا وذهب معهُ وكانت الشكاوات سبقتهُ لحمص. فالوزير طلبهُ من عبدالله باشا فاجتهد ان يخلصهُ وما امكنهُ ذلك. فقبض عليهِ الوزير وجابهُ معهُ والجنزير في رقبتهِ ورجليهِ واشتفت قلوب الناس منهُ. وبعد كم يوم قتلهُ وخفي اثرهُ حتى كان الذين من غرضهِ يقولون ان الوزير نفاه للعجم. وايضاً قتل ابو حمزى وبعض اناس بقساوة اي قتلهم بنيشان من العسكر (٢ وما (147 r) كان يقتضى لذلك (٣ لانهم هَمدوا شرورًا كثيرة ولكن كذا صار

واستقام الوزير بالشام اياماً نحو شهرين وفي اقامتهِ بالمرجة كان كل يومين يحضر مئة عسكري من الشمال يستقيمون يومين ويرسلهم لارض غزَّة. ومن جملة العسكر حضر عسكر من بلاد الروملي زيّهم غريب كانوا لابسين كوالك (٤ بروسهم معلق بهِ جرس وهم ارديا. قُساة يميلون للفحشاء والسكر ومالوا جهة النصارى يبهدلوهم ويهينوهم. وكان في ذاك الزمان ترتيب قديم لبس قواويق (٥ جوخ الاسلام بشاش

١) اوباش ٢) اي باطلاق العساكر الرصاص عليهم

٣) وما كان يحسن ذلك ٤) الكولك قلنسوة شبه السطل

٥) جمع قاووق والقاووق من ملابس الرأس اسطواني مستدير كالدنّيَّة

ابيض والنصارى بشاش كحلي واليهود بشاش احمر وكلٌّ معروف امرهُ ولا احد يتعدَّى الرسوم. والذي كسمهُ شال لا يمكنهُ يلبس قاووق. فالان بحضور العساكر صاروا يلتفتون للنصارى ارباب القواويق يظنونهم اغنياء فيلّصونهم ويهينونهم مع اليهود. فالتزموا الجهتين ان يغيروا لبس القواويق ويلبسوا شال سنجابي وكحلي واليهود ابطلوا لبس الاحمر وصاروا يلبسون حكم (مثل) النصارى حتى ما عادوا ينعرفون الَّا من لهم سالف شعر. وامـا الاسلام فانهم بقيوا (بقوا) على كسمهم يلفون على القاووق شال ابيض والأشراف اخضر. الى بعد مدَّة سنين صدر امر سلطاني بابطال لبس القاووق كليًا وما عاد لهُ وجود ولا احد يعرفهُ من المحدثين

ثم ان الوزير قام من الشام لغزَّة وقبل سفرهِ بايام احضر عبدالله باشا وولَّاهُ بالشام فاستقام ثلاث سنين وينيف ·

ومن الحوادث في ايامهِ ان القبيقول (١ بالشام قصدوا فتنةً وشرورًا واغا القلعة مصطفى ارفلي اوكركتلي سكَّر القلعة والتزم ان الباشا يحاصرها وحصل شلش (اضطراب) كبير. واخيرًا من الضيقة والجوع طلبوا الامان. فقال لهم الباشا: لا يمكن (ان) ارضى عليكم ما لم تسلموني مصطفى اغا وبعدهُ عليكم امان الله. فتشاوروا فيما بينهم وحسن عندهم ان يسلموه ويخلصوا من الضيق الذي هم بهِ. فدخلوا عليهِ وربطوه ودلّوه من القلعة فاخذوهُ لقدَّام الباشا وبالحال خنقهُ ورماه بالسرايا. وحينئذٍ فتحوا الباب وخرج الجميع وما حصل عليهم ادنى ضرر من الباشا وهمدت البلد

ثم ان الباشا تحرَّك لمحاربة مصطفى بربر متسلِّم طرابلس وتوجَّه (147v) بنفسهِ بعسكر وحاصر القلعة بقوة شديدة وطال الحال والتزم بربر ان يلتجي الى احمد باشا الجزار والمذكور كان عمَّال يكاتب الدولة على منصب الشام. فما اعطى جواب لبربر عن شيء بل على غفلة بوصولهِ للمنصب ارسل الاوامر للشام الى محمد عقيل صحبة الفين عسكري دخلوا ليلًا. وكتب الى عقيل المذكور ان يمسك البلد ويمسك حالًا عبد الرحمن افندي مرادي وحسن آغا دفتردار المتسلم وابن سيح متسلم حمص ويقتلهم حالًا. فالاثنين المتسلِّمين مسكهم في مخادعهم وهم نيام. امَّا عبد الرحمن افندي فانهُ جاءَهُ نذير فهرب. والى ثاني يوم حصة (نحو) العصر حتى وجدوهُ في

١) القبيقول وفي التركيَّة قپوقولى ومعناها عسكر الباب اسم لستّ فرق من الجند

حارة الجديدة مخبّى في بيت فسجنوا الثلاثة في القلعة ونادوا باسم الجزار . فبلغ عبدالله باشا ما صار بالشام فقام حالاً عن طرابلس وحضر للشام حتى ينظر الخبر . لان ما كان عنـدهُ علم عن شيء من اسلامبول . فلمَّا تحقق انهُ صحيح وان الدولة متغيّرة من نحوه جدًّا خاف وبالحال ذهب لعند العرب ودخل بالشول (بالبرّيّة) الى ان وصل لبغداد واستقرَّ هناك . ومصطفى بربر طلبـهُ الجزار لعكا فتوجه حالاً ورجع ثاني متسلم كما كان حيث طرابلس تابعة حكم الشام وكان ذلك في سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣ م)

﴿ تولي احمد باشا الجزار ثالث مرَّة ﴾ وكان الجزار يكتب الى محمـد عقيل بيلرديات باشياء متعارفة تخصّ الاحكام ونظام البلد . والمواد الجوهرية كان يكتبها بوريقة لعلم ما يريد عملهُ ويضعها ضمن البيلردي بغير ختم استدراكاً منـهُ حتى لا ينمسك عليهِ غيطة (١ . وهكذا لما امرهُ بقتل عبد الرحمن افندي والباقي كان بورقة برانيَّة . وانمَّا محمد عقيل كان عاقلاً ويستدرك الامور . فمن لحاجة الباشا بقتل المذكورين ما رضي يقتلهم بل وضعهم في بير بطرف القلعة ناشف ولهُ نافذة بالسور لاجل الضو ودخول الهواء كأنَّ المكان اوضة عميقة بالارض . وفكّر ان ربما الباشا يعفي عنهم فيكون ارتاح من غائلة المفتي . وربما انهُ انزل معهم اكلاً وشرباً . والحال انهُ ما صار من الباشا شيء بل (بقي) الامر كما هو . وماتوا ضمن البير وبقيوا (وبقوا) فيهِ الى حين ظهر امرهم فيما بعد . ثم بعد أيام قريبة (148 r) انطلب محمَّد عقيل لعكا وقيل انهم اخذوهُ وبوصولهِ وضعوه بالسجن وعذبوه (كي) يقرّ على الاموال التي عندهُ . فمن العذاب اقرّ على مخباية بدهليز بيتهِ بالحيط فارسل الى كنج احمد متسلّمهُ ينظر ذلك فوجدوا مبلغ ريال قنس (؟) سكة السلطان مصطفى قيل انهُ كان اثنـا عشر حمل ربما عشرون الف ريال واكثر وارسلوهم لعكا

وبوقتهِ حضر قبوجي (٢ من طرف الدولة بالملامة على الباشا بقتلهِ عبد الرحمن افندي ضدّ الرسوم وان بيت المرادي يُقتلون نظير العامة . فلمَّـا اطلع الباشا على الكتابات خادع القبجي وارسلهُ للقناق (٣ ليرتاح وثاني يوم عمل ديوان وحضر القبجي

١) كذا . ولعلّها « غلطة »

٢) رواها على صورتين قبوجي وقبجي ومعناها الحاجب ٣) المنزل ينزلهُ المسافر

وانطلب محمّد عقيل وهذّرهُ (١ الباشا وقال لهُ : كيف انك تجاسرت وقتلت المفتي وصار يشتمهُ ويكبر عليهِ الوهم . اخيرًا طلب منهُ ان كان معهُ امر صريح بقتلهِ يظهرهُ . فابن عقيل انخبل وما بقي يعرف كيف يجاوب فلزم سكت (ان يسكت) . وصار الباشا يرغش (يغلّظ) بالحكي ويلتفت للقبجي ويقول له ان اهل الشام بهايم وعندهم بغضة ورداوة في بعضهم ولا يقدّرون العواقب . وان هذا بينهُ وبين المفتي عداوة فلما صار لهُ فرصة قتلهُ وهذا لهُ زمان زربا (٢ بالشام ولهُ عَزوه (٣ من اهل الميدان ودايمًا يظهرون عصاوة على الوزير ويطردهم من الشام بمطابقة هذا الرجل . وبالنتيجة اظهر الجزار برارتهُ من قتل المفتي ثم اظهر غضبًا شديدًا وارسل عقيل للحبس وارسل عمر اغا تفنكجي باشي خنقهُ وقطعهُ اربع قطع ووضعوهُ ضمن قفة ورموه بالبحر واظهر قدام القبجي انهُ لا يريد ينجس الارض فيهِ وكتب جواب للدولة بما توقع ومضى الامر

ثم الذي عملهُ الجزار بهذه السنة بالشام من المظالم والمقاهرات ابلغ من كل ما تقدَّم . وهرب اغلب المستورين لحلب والجبل والذي وقع انضام جدًا . ومن الجملة حاش (مسك) نفرَين تجار معتبرين محمد صواف وامين قباقيبي واهانهما جدًا واخذ منهما مالًا كثيرًا وطلب القباقيبي لعكا ووضعهُ بالسجن وكان قاصدًا اعدامهُ (148v) بسبب خيانة صدرت منهُ قديمًا بسعيهِ في عزلهِ من الشام وتولي عبدالله باشا لانهُ اسعف المذكور بمبلغ مال دفعهُ عنهُ للدولة في اسلامبول . وكان القباقيبي دايمًا مضطربًا وخايفًا من الجزار حتى رمتهُ المقادير ووقع بخطر الموت

وهكذا مضت هذه السنة على اهل الشام بغاية الكرب والكدر وكان الشيخ طاها الكردي المتقدم عندهُ في عكا وبيده الحلّ والربط رجلًا رديًا مغضوبًا ليس عندهُ شفقة ولا رحمة . وارسل للشام جماعة اكراد قُساة لاجل يعذّبون الناس

وبهذه الغضون كان الجزار اعتراه مرض الاستقساء ومشغول فكرهُ من مرضهِ وطاها الكردي يعمل ما يريد الى ان الله تعالى اذن بالفرج بموت الباشا في سابع وعشرين محرم سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م) موافق اربعة وعشرون

---

١) وبخهُ واهانهُ ٢) اي انهُ متمرّد وقاطع طرق ٣) اي انصار واصحاب

نيسان (١ صباح احد الفصح وذلك كان رحمة من الله لان الكيل وصل لحده وما كانت الناس تصدّق انهُ مات لولا تواتر الخبر من كل الجهات. وقيل انهُ قاسى اوجاعاً مهولة في مرضهِ وزال من الدنيا وسبحان الدايم الباقي. ودفنوه ضمن الجامع الذي بناه

وحين وصل الخبر للشام استلم البلد القاضي وهاج الناس وقتلوا هاشم اغا واولادهُ وهذا كان صار متسلِّماً بالشام ولهُ امور رديَّة وقصدوا يقتلون كنج احمد المتسلّم فهرب للقلعة وتحصن. والقاضي نصب متسلِّماً والي اغا. وهذا كان لطيفاً وانمَّا ما امكنهُ يضبط البلد وكانت فالتة كانها بغير حكم وآغا السكمان (٢ واقف قدام اهل البلد بالقلعة وضرب مدافع كثيرة واحترق جملة بيوت ودكاكين. وارضوا المذكور بماية كيس وهي مفضَّة (٣ على قولهِ وقال انهُ متى دفعوها لهُ يقوم من الشام. وبالحال فرضوا ذلك: سبعين كيساً على الاسلام وعشرين على النصارى وعشرة على اليهود. وحينما جابوها لهُ ما قبلها وقال انهُ لا يقوم من الشام الَّا بامر الدولة وصار الحال مكروباً

ثم ان اهل البلد قتلوا عليّ آغا الشمَّاع (149r) هذا كان عواني شريرًا. فنزلوا الى بيتهِ وقتلوه ثم ربطوا حبلًا برجليهِ وجروه الى الباب الشرقي ورموه في قليط (٤ وبعدهُ جاء اهلهُ وغسلوه ودفنوه. ثم فتشوا على المعذّبين الاكراد فبجهدٍ وجدوا منهم سبعة انفار مختفين في تلّ منين فقيَّدوهم وجاءوا بهم للشام بحال مهين بضرب وعذاب وكان الاكراد يقولون لهم: اقتلوا ولا تعذّبوا. ولكن الناس كانوا مقهورين منهم من قساوتهم الردية. ثم قتلوهم وقتلوا غيرهم ايضاً ومع وجود هذا الهيجان والشلش (الاضطراب) بالبلد ما صار تعدي على احد

ثم في شهر صفر حضر اخبار تولّي ابراهيم المحصِّل الحلبي

❊ تولي ابرهيم باشا ثالث مرَّة ❊ هذا كان والياً بحلب فارسلتهُ الدولة والياً على الشامِ وأُرسل من قبلهِ متسلّم اسمهُ سيفي آغا لحين حضورهِ. وبهذا الشهر وصل

---

١) بموجب الحساب الشرقي

٢) السكمان فرقة من الانكچاريَّة

٣) اي يُفَضّ بها المشكل ٤) مجرى الاقذار

سليمان باشا بالحج وهـذا كان ارسلهُ الجزار امير حج بسبب تشويشهِ . واستقام الباشا المذكور بالشام ينتظر جواباً من الدولة بسبب انهُ لا يمكنهُ يروح لعكا لان اسمعيل باشا تملكها بواسطة تدبير طاها الكردي والامور واقفة

وفي هـذا الشهر وصل ابرهيم باشا للشام والعسكر الذي كان مع سليمان باشا لمحافظة الحجّ راح لعكا وراح معهم كتج احمـد والعسكر المذكور نهب في طريقهِ جملة قرايا

وفي هذه الاثناء صدر مناداة بالشام من ابرهيم باشا بان تمتنع النصارى واليهود من شرب العرق والخمر ويرفعوه من بيوتهم وصار فحص وتفتيش واضرار . ومن الوهم كنت تنظر كل من عندهُ خمر وعرق يهرقهُ في السكة

ثم في ربيع اول ورد فرمـان الى ابرهيم باشا تقرير ولاية الشام وصيداء وطرابلس . وحضر فرمان الى الامير بشير حاكم الجبل ومكتوب من الوزير الختّـام عنوانهما ان يكون بطاعة ابرهيم باشا ومسعفاً لهُ في اصلاح حال صيداء والسواحل . وارسل ابرهيم باشا كتابة الى امراء الجبل يحرضهم على محافظة البلاد وان يكونوا مطمئنين من سائر الوجوه

صورة الفرمان

(لتولية ابرهيم باشا)

(149v) قدوة الاماثل والاقران القاطن في ايالة صيداء زيد قدرهُ

يكون معلومك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني الواصل اليك هو انهُ في هـذه الاثناء جزار احمد باشا والي صيداء ارتحل لدار البقا ووجَّهنا ايالة صيدا والشام وطرابلس الشام واميرية حج وسرعسكرية الحجاز الى عهدة الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيري الحاج ابرهيم باشا ادام الله اجلالهُ وامرناه بان يقوم على جناح العجلة ويتحرَّك الى جهة صيداء وتلك المحلات يستقيم لاجل ضبط وربط المملكة ودفع اهل الفساد . وانت ايها الامير المومأ اليـه تكون تحت امر ورأي الوزير المشار اليهِ وتظهر حسن الخدامة والصداقة وكمال الغيرة . فبناءً على ذلك اصدرنا لك امرنا هذا الشريف مخصوصاً وارسلناه حال وصولهِ تكون انت والمشار اليهِ رأي واحد في سائر الاحوال ساعياً بحسن الغيرة لما يامرك بـهِ . واحتذر المخالفة على الوجوه المشروحة بموجب صدور اوامرنا الشريفة تكون ممتثلاً ومتتبعاً . واعتمد هذه العلامة الشريفة غاية الاعتماد . تحريراً في اواخر صفر سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م)

وكذلك المكتوب من الوزير بنص ذلك . ثم ونظير هـذا الفرمان حضر الى

يوسف الجزار بنابلس والمضمون جميعه لاجل ضبط البلاد ومنع الفساد. وباطن الامر تنبيه حتى لا احد يلتفت الى ناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد العصاوة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابرهيم باشا وصار عندهُ عساكر وافرة سيما العسكر الذي كان بالحج. اما ابرهيم باشا فانهُ عزم على التوجه لصيدا وارسل عسكر وجبخانة (١. وفي ستة عشر ربيع الثاني قام الى صيداء اوّلًا. وقبلًا بيوم راح سليمان باشا لصيدا وهناك يحصل التدبير في مادة عكا. ثم توجه سليمان المذكور بالبحر لعكا لاجل يعمل موافقة مع اسمعيل باشا وما صار افادة والتزم يقوم الى عكا وحصلت محاربات كثيرة بينهم وايضاً حضر عمارة (اسطول) بحرية واشتدت الامور واسماعيل باشا ووجوه العسكر خامروا (تآمروا) على طاها الكردي وقتلوه لانهم لحظوا خيانة صدرت منهُ

ثم انَّ اسماعيل (150 ²) باشا اجتهد كثيرًا بالحروب واخيرًا غلب وهرب وحاشوه (وامسكوهُ) في قرية شفاعمر وارسلوه لاسلامبول وقيل انهم هناك تشفعوا فيهِ. ولكن بعدهُ تحققوا انهُ قُتل وارسلوا حكم منصب صيداء الى سليمان باشا وابرهيم باشا انقام من عكا بامر الدولة وجاء للشام ثم انعزل من ولاية الشام وتوجّه لديار بكر وحضر المنصب لعبدالله باشا في سنة الف ومايتين وعشرين (١٨٠٥ م)

﴿ تولي عبدالله باشا ثالث مرة ﴾ فحضر للشام ولكن في غياب ابرهيم باشا في عكا حصل فتنة بالشام ردية جدًا بين الانكجارية والقبيقول وصار حروب بينهم ومجاريح وقتل وحريق اسواق ودكاكين من ضرب المدافع من القلعة. فلمّا وصل عبدالله باشا للشام هدت (هدأت) الامور نوعاً ولكن في غياب الباشا بالدورة اشتدت الامور فارسلوا اعلموه فوعدهم انهُ قريب يحضر. ومن عدم التدبير من الباشا طمعوا فيهِ لان غرضهُ كان مع الانكجارية. ولكن ما نفعهم بشي سوى انهُ قوى عبارتهم واحدقوا الشاغور وخلافهُ. اما القبيقول فقد اعانتهم القلعة وبطشوا بالانكجارية بغتة وقتلوا ثلاثة انفار صالح قطان واثنين آخرين قتلهم اسمعيل اخو

١) الجبخانة الذخائر الحربية كالبارود والاسلحة

عبد الرزاق آغا القلعة وبسبب ذلك هجع الانكجارية وكمدوا على جرحهم. فحضر الباشا وما ظهر منهُ شيءٌ وعبد الرزاق متحصن بالقلعة والباشا ضامر لهُ السوء. ولكن لا يمكنهُ محاصرة القلعة بسبب مداركة (١ امور الحجّ . فهمَّد الشرّ بين الجهتين بواسطة كنج يوسف دالي باش وهذا كان صديقاً لعبد الرزاق. والباشا خلع على اسمعيل بيد ناشي بحماية كنج يوسف المذكور

ثم حين طلوع الحجّ اقام كنج المذكور متسلماً بالشام وحالًا اظهر مرجلة ونزل بالدورة بالليل وقتل رجلًا انكجارياً نظرهُ بالليل بغير نور. فناداه: من انت. فجاوبهُ بصوت عالي: انا فلان انكجاري. فضربهُ بالسيف فرمى راسهُ. (فلمَّا) اصبح الناس ونظروا ذلك انوهموا وهابوا وتوجه الباشا بالحجّ. ففي المزيريب رجل قبيقولي قتل نفرًا وهرب (١٥٠٧) فكتب الباشا المتسلم عنهُ فمسكهُ وقتلهُ ودخل الخوف على الجميع. ولكن القبيقول بقيوا رافقين (اي بقوا متغلّبين) بسبب ان المتسلم من غرضهم. والباشا قبل سفرهِ امر بعمار ما خرب من الاسواق واستكنت الاحوال

ثم انهُ في شهر (ذي) الحجة ورد اخبار برجوع الحج والباشا الى المزيريب هرباً من عبد الوهَّاب الذي تسلط على الحجاز وجمع غفير تبعوهُ (وشاع) القول انهُ من حين وصل الباشا لتلك الاماكن قام عليهِ الاهالي ومنعوه من الدخول الى بلادهم ودعواهم انهُ اخذها الوهابي. وما كان احد يتحرك لمرافقتهِ حتى ان الوهابي ارسل علماً للباشا ان كنت تريد تحجّ لا باس ولكن بشرط تسلّمني السنجق والمحمل وسلاح العسكر وانا اخفرك للشام. وان ما ارتضيت فاطردك. وكان كيخية الوالدة (٢ مع الباشا. فعمل الباشا ديوان بحضورهِ والصرة امين (٣ واشهر لهما انهُ يحارب الوهابي فمنعاهُ واشارا اليهِ ان يرجع للشام وهما يعطيان جواباً للسلطان واخذ منهما سنداً بختمهما بذلك ورجع للشام بغير حج بسرعة كلية

وبقي هناك جانب من الحجاج منهم فُقدوا بالطريق ومنهم تاهوا وقاسوا الاهوال من التعب والعطش حتى وصلوا للشام ومنهم حجُّوا برضى الوهابي ورافقهم جماعة وهابيَّة الى اراضي الشام

---

١) قرب وصول ٢) يريد والدة السلطان

٣) الصرَّة امين هو ناظر المال

وحين وصول الباشا للشام صار ضوجــة (ضجة) واضطراب بين الاسلام. اخبرنا رجل عمدة كان بالحجّ انهُ لمــا حضر الشريف الكبير الى خيمة الوزير ومعهُ رجل من اتباع الوهّابي صار يحكي الشريف عن سطوة الوهابي واقتداره وانهُ غير ممكن يخلّي الحجّ يمشي بهذه الطريق وصار يتلاوم على دولة العثملي (العثمانيّة) وان ما عاد لها تدبير وتركتونا لهذه الحدود حتى خربت البلاد والمقام وان هذا مــا عاد منــهُ رجاء باصلاحهِ. وكان بالديوان كيخية الوالدة فجاوب الشريف بكلام ركيك فقام اليــهِ الشريف ومسكهُ من لحيتهِ وقال لهُ: كل الغضب منك لانني حينما توجهت لاسلامبول منذ خمس سنين ونزلت في بيتك وتكلمت معك كثيرًا بهذا الخصوص وترجيتك تجمعني بالسلطان وانت تحادف (تماطل) (٢ 151) واستقمت عندك ستة شهور ومــا كان يمكن تدعني املك اربي ورجعت خائباً . ثم حلف يميناً لولا الخواطر قتلتك مكانك . واظهر غضبه وتكلم بالديوان اننا نحن والوهابيّة عليكم . وقام مع ارفاقهِ مغضباً وبعد ذهابهم التفت كيخية الوالدة وخلافهُ الى الباشا وحسنوا لهُ الرحيل لئلّا يجــد شيئاً رديًا. فحالًا قاموا بسرعة وجدُّوا بالسير ركضاً. القول (يقال) انهم اخذوا القناقين بقناق (١ والذي فكروا فيهِ تمَّ. لان الشريف برجوعهِ الى مكة ندم على تركهِ الجماعة فجمع عسكرًا وجاء عليهم فما وجدهم فركضوا في اثرهم فما حصّلوهم وهكذا سلموا منهم على اهون حال

ثم بعد حضور الباشا طمع بهِ اهل الشام والتسلّم نزل عن وظيفتهِ. فبعــد ايام نزل حرامية على بيت الباشا وتحسب (٢ جدًّا لربما قصدوا بهِ ضررًا . فحصل شلش واحتساب كبير وثاني يوم جاب معمارية ونجارين ورفع الحيطان والطبــلات وبهذا الصنيع طمعت بهِ الناس والبلد صارت فالتة كليًّا. واماّ عبد الرزاق فانهُ استقام بالقلعة ما طلع منها ابدًا. والباب مفتوح وعليهِ حراس. فبعد أيام قليلة شاع الخبر بعزلهِ من ولاية الشام وتولى كنج يوسف الدالي باش المذكور

و كانت ولاية عبدالله باشا سنتين وهي الاخيرة من احكامهِ. وفي زمان حكمهِ وقع حيط البرج بالقلعــة بالطرف وظهر البير الذي وُضع فيهِ عبد الرحمن

١) القناق بالتركيَّة المرحلة وسَير اليوم
٢) تخوَّف وتحذَّر

المرادي وارفاقهُ. وهذا البير بمنزلة جبّ تحت الارض بحيط السور وهو واسع ولهُ
نافذة تسمى زغلول على السور يدخل منها الضوء فراح الناس لهذا المكان يتفرجون
عليهِ فوجدوا المفتي متكي بثيابهِ وبَلي وجههُ. اغا امرهُ ظاهر. والدفتردار ملقًى على
قفاه وابن سبح نظروه ناحية الطاقة مطبوباً على وجهه. حال محزن. وكان محمد عقيل
قبرَهم احياء فاعرض اقرباء عبد الرحمن افندي المفتي لعبدالله باشا انهم ينقلون جسمهُ
الى تربتهم في بيتهِ بسوق ساروجا فما ارتضى الباشا انهم ينقلوا جسمهُ وقال: ان
هذا الحال مستغرب ويصير منهُ شلش (151 ٧). ثم طلب المعمار باشي وامرهُ ان
يبني بوجه السرعة حيط البرج ويرجعهُ كما كان وتمّ ذلك حالًا وبقي كل شيء بحالهِ
ومضى الامر

❖ تولي يوسف باشا ❖ في شهر صفر سنة الف ومايتين واثنين وعشرين (١٨٠٧)
ورد العلم من الدولة بولاية المذكور. وبوقتــهِ كان في حوران فراح المبشرون لهناك
وبالحال حضر للشام. وعبدالله باشا لزم بيتــهُ وراح سلّم على يوسف باشا وقدم لهُ
المذكور الاكرام اللائق لكونه وليّ نعمتهِ

ثم بعدهُ جاء امر بقيام عبدالله باشا الى ادنه. فقبل ذهابهِ اعطى الى يوسف باشا
المال الذي لهُ عندهُ وحيث مــا وجد عندهُ غرش يكفيه فاستدّ منهُ طقومة وغيرها
وبوقتهِ النحاس (قُبض على) درويش اغا ابن جعفر اغا كتخداه عبدالله باشا . سجنهُ
(يوسف باشا) بالقلعة وتهددهُ بالعذاب واخذ منهُ مبلغ مال وخيل وطقم. والناس
حصلوا في وَجل وخوف من الباشا لانهُ ضيقهم حين كان متسلم فكيف الان.
ولبس (وسمّى) كتخداه الشربجي حسن آغا تمر وهــذا عميد الانكجارية
واستكنت الوجاقات (١ لان الخوف دخل على الجميع وقتل بعضاً من المحبوسين
الحرامية وكل من اذنب من جديد والذي يقع ليس لهُ شفيع ولا رفيع

اعلم ان هذا الباشا اصلهُ كردي شراه ملّا اسمعيل واخيرًا فاق على سيدهِ وخدم
عند عبدالله باشا وصار دالي باش (٢ وضمن ضيعاً واراضي وجمع اموالًا غزيرة وانشأ
بيتاً معتبرًا بالشام ومن رخاوة الحكم طمع بالناس وتظاهر بالقوة والاقتدار وجعل

١) الوجاق النَسق من الجند والمقاطعة والناحية

٢) اي زعيم قومهِ

لهُ معرفة من اعيان الدولة في اسلامبول بواسطة رجل حمصي يدعى عبود البحري (١ كاتب عنــد عبدالله باشا · ففي مرور كيخية الوالدة للشام بقصد الحج نزل في بيتهِ وقدم لهُ اكراماً كلياً وفي غيبتهِ بالحج كان متسلماً فصار يرسل كتابات لاعيان الدولة وترَّجى منصب الشام · ومن كونهِ في مشروب الدولة استند على عبود المذكور حيث ان المذكور يفهم جيدًا انشاء الكتابات ومختبر حال الدولة بسبب خدمتهِ عند الوزير سنين · فاستوت الطبخة وانكتم السرّ حتى حضور الحجّ وبالاخص ان الدولة كرهت عبــدالله باشا من مزاياه وعدم ملاحظته (152r) بتدبير الاحكام · والأَبلغ في عزلتهِ رجوعهُ خائباً من الحج · وبعد مجي كيخية الوالدة وتوجههِ الى اسلامبول سعى في ولاية يوسف باشا باجتهاد وافهمهم عن شطارتهِ ومعاركتهِ بالحروب وانه يمكنهُ محاربة الوهَّابي وينتصر عليهِ فارسلوا لهُ المنصب

ثم انهُ بعد ايام قريبة من تولّيهِ ظهر منهُ اشياء مغايرة · اوَّلًا صدر منهُ امر بمناداة ان النصارى لا يشربون خمرًا وعرقاً والذي عندهُ يهرقهُ خارجاً وانهُ بعــد ثلاثة ايام ينزل بنفسهِ يفتش بالبيوت ومن وجد عندهُ درهماً واحدًا يقتلهُ حالًا · فخاف النصارى ونزعوا كلما عندهم · ثم امر ايضاً ان النصارى لا يدخلون الحمام بين الاسلام بل لهم يومان بالجمعة فقط ويكون لحمام المسك والخراب فقط لا غير · ومنها انهُ يبطل لبس المقصب والمصاغ لكامل النساء اسلام ونصارى · وبالنتيجة صدر في يوم واحد جمــلة امور على هذا النمط وكل كم يوم يخترع من عقلهِ اشياء · واغلب الاوامر ما سلكت (لم يُعمل بها) عدا الذي يخصّ النصارى · ثم امر بتغيير الاوزان على الرطل الحلبي سبعماية وعشرون درهماً · وتحرَّر القبــان والارطال على موجب ذلك وصار الحرير والخضار (الخضرة) بموجب ذلك وزن واحد · وتسجَّل هذا الامر بدون مراجعة · وهــذه صدر منها ضرر كبير بالشام

ثم ان الباشا بالحيل والمحارفات (صار) ينشي (يخترع) مظالم وعمل ذنوب الى عبــد الرزاق افندي نائب القاضي بما يخصّ تركة الاموات واخذ منهُ ماية كيس بعد الضرب والبهدلة · ثم عمل حادثة على انوال الكار ماية وخمسين كيساً خصّ النصارى منها الثلث · ولحق بعض الحرف وكذلك فعل ببعض الحرف

١) اطلب اخبار اسرتهِ في المشرق (٣ : ٩-٢٢)

وفي ربيع الثاني صار زينة بالشام على شان جلوس مصطفى سلطان جديد وامر الباشا ان تصير الملاعب واللهو والطرب من كامل الحرف. وبقي ذلك ثلاثة ايام واما اهل الشام (فكانوا) دائماً بالاحتساب من الباشا والبلد صارت بالامان من تعدي الاوباش وطلب السكر وغيره

وبهذه الغضون عزم الباشا على التوجه بالدورة لنابلوس والقدس وما يتبعهما ولبس (عيّن) قيمقام شمشان اغا (125v) الكردي واخذ معهُ الدرويش جعفر اغا واحمد بيك ابن عبدالله باشا وذلك بقصد منهُ وخشيةً من اضطراب وشلش يحدث في غيابهِ. وبوصولهِ لنابلوس ارسل امر الى شمشان اغا المتسلم بان يقبض على اسمعيل اغا الهايني الشرنجي ويقتلهُ حالًا. فاحضرهُ للسرايا واراه الامر وبالحال اخذوه للقلعة وخنقوهُ بالوقت. وهذا كان لطيفاً وليس لهُ اذية لاحدٍ

ثم بعد رجوع الباشا من الدورة ارسل امرًا بمناداة عالية ان رجال ونساء النصارى يلبسون الاسود لحدّ الحذاء. وانهم يعلّون ابواب كنايسهم حتى اذا فات المسلم لا يحني رأسهُ وان النصارى تكرم الاسلام ولا يرفعوا اصواتهم عليهم على سائر الوجوه. وامور نظير هذه مقهرة ومن ذلك طمعت الاسلام وصار يحدث منهم امور مهينة في حقّ النصارى. ومن الجملة نصراني كان حمّل حطباً على كديش فلما دخل بسوق باب توما وكان ينادي «ظهرك بالك» حكم (حسب) العادة تعرض لهُ رجل مسلم وجمع عليهِ انفارًا نظيرهُ وصاروا يضربونهُ. واخذوه لعند النقيب (وكانت) دعواهم انهُ رفع صوتهُ على المسلمين. وزادوا انهُ احكى كلاماً غير مرتب. فقال لهُ النقيب: ان كنت تكلمت ذلك من فمك فقط وجب عليك الحرق وان كان من قلبك وجب عليك الاسلام والّا فتُقتل. فصار الرجل يتوسل اليهم وبعد جهدٍ تركوهُ سالمًا. وكذلك صار جملة نوادر نظير ذلك وحصلت النصارى في ضيق ووجل

ثم ان اسلام باب توما هاجوا على الافرنج وحسن عندهم ان يقتلوا الرهبان ويخربوا الدير وبدت منهم امور ردية في حقّ الرهبان. والمذكورين دخل عليهم الوهم وبدروا جانب غرش (ودفعوا شيئاً من المال) الى الاغاوات وللقاضي وغيرهم لكيما يحموهم من الضرر. والقاضي تهدد الناس فاشتكوا للباشا فجاوبهم ان الافرنج انا ما اقارش

(لا اتكلم في) امورهم وان كان عليهم ذنوب فاشكوهم لباب همايون. فلما نظروا عدم الافادة في تنفيـذ مآربهم عرضوا للباشا انهُ يوجد مسجد خربان بالساحة خلف دير الافرنج نريد نعمرهُ فقال لهم (153r): روحوا عمروهُ وامر لهم بمايتين غرش فنزلوا من السرايا مسرورين. وابتدوا في بنـائهِ وفرضوا على بعضهم من غرش الى خمسة غروش على كل نفر. والحال هذا محال لا يكفيهم لبنـاء الاساس. فصاروا يهوّنوا الامور ثم عزموا على تفريغ بيوت النصارى الذين بالساحة وطردهم من كل الساحة التي اغلب سكانها نصارى ومن الجملة يوجد بيوت وقف تعلق (تخصّ) الموارنة فعملوا ثقلة زايدة بشأن ذلك. فراح احد الساكنين اشتكا الى الكتخداه بما توقع فحالًا ارسل المذكور ومسك المسلم الـذي افترى على النصراني وحبسهُ. وثاني يوم راح النصراني ترجى فيهِ واطلقهُ وانما الكيخية اظهر غمهُ من هـذا الصنيع وقال للاسلام: انكم ان بنيتم الجامع فسكروه ولا تفتحوهُ الّا حين الصلاة. فلما نظروا انهم لا يستفيدون شيئاً تركوا بناء الجامع لاسيما انهُ بهذه الغضون صدر امر بمناداة عالية ان لا احدًا يتعارض ولا يبغي على رفيقهِ ان كان مسلماً او نصرانيًا او يهوديًا لا في بيع وشراء ولا في غير شيءْ. ثم ان كامل المسلمين من عمر اربعة عشر سنة وصاعدًا يسيّبوا (يرخون) لحاهم ويكحلوا عيونهم ويحنّوا دقونهم والـذي يخالف لا يأمن ما يجري عليهِ. ثم ان القهاوى تسكر حين غروب الشمس وتبطل عمل الأكولات (المأكولات) بعجين وسمن. ونبّـه على الكوارجية لا يطبخوا بالسرايا الّا برغل بزيت واستقام اياماً لا يأكل لحماً ولا مأكلًا دسماً بل خبزًا وزعترًا واشياء نواشف. وبعدهُ استشار شيخهُ الكردي ان يدبرهُ في مأكلهِ. فاراه ان المال الذي عندك هو مشبوه لا يجوز لك تأكل منـهُ فسألهُ الباشا: اي مال هو حلال الذي يجب ان اصرفهُ على نفسي. فاجابـهُ الشيخ: ان المال الصاغ الخالي من الشبهة هو مال الجزية. فحالًا طلب من النصارى سلف عن مال الجزية خمسة اكياس عن سنة الف ومايتين وثلاثة وعشرين (١٨٠٨م) ودفعوا لهُ مطلوبهُ. ومن جرى المناداة على الاسلام كما تقرر خف الشلش (الخوف والاضطراب) عن النصارى وانشغلوا في هموهم (اشغالهم)

ثم بهذه الايّام (143v) حسّن الى عبود البحري كاتبـه ان يدخل في دين

الاسلام فاوعدهُ حتى يشاور نفسهُ. وبتلك الليـلة ذاتها هرب مع اخوتهِ للجبل ثم لدير القمر والباشا ندم على ذلك حيث لا يستغني عن عبود المذكور. فارسل لهُ كتابة تطمين وانهُ لا يتعارضهُ ويحضر لشغلهِ فتوقف عن الحضور وبعد مراجعات وكتابات للامير بشير بان يرسلهم حضروا بعد غيبة شهر زمان وما صار عليهم خلاف

ثم بهذه السنة ارسل عسكرًا بالحج في شهر شوال ولبس امير حج. وفي شهر محرم حضر خبر برجوع الحج الى المزيريب مطرودًا ومنهوبًا. القول (وقيـل) ان الشريف منعهم من الدخول وطردهم بجماقة زايدة وقال لهم: ليش (لماذا) الباشا ما هو معكم. واظهر لهم عين الغدر فالتزموا يرجعوا وصادفهم العرب ونهبوا منهم اشياء وهؤلاء العرب هم المحافظون ولهم الصر (العطاء) المعتاد وما دفعوا لهم. وصاروا بمذهب الوهابي (وانحازوا اليـهِ). ودخل الصره اميني للشام وتشاجر مع الباشا وطلع من الشام بزعل. وارسل الباشا الكتخداه جابوه من عند القابون (١ واخذ خاطره لانهُ خشي يفرط (يدسّ) في حقهِ للدولة

وبهذه الغضون وصل جملة خيل عرب من الوهابي لقرب الشام ومعهم مكاتيب الى الاعيان مضمون كلامهم التسليم وانهُ قادم للشام جديع القبلان ابن قاسم وابن عم مهنا فاضل شيخ عرب عنزة بجموع كثيرة وحصل وهمٌ عظيم على اهل الشام ولكن ما عاد حضر احد (لها بقية)

صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي

رسالة نجاشي الحبشة الى جرجس ملك النوبة

في عهد بطريرك الاسكندريّة فيلوثاوس (٩٨١–١٠٠٢)

لجناب الكاڤالير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدّم فخري وسر اجزائي بلاط امبراطور الحبشة سابقًا

تقيم الكنيسة الحبشيَّة تذكار نياح البطريرك فيلوثاوس الاسكندري في اليوم

---

١) « قابون موضع بينهُ وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد الى العراق في وسط البساتين » (ياقوت)

الثاني عشر من شهر هدار (١٠ تشرين الثاني) ويذكر السنكسار الحبشي خبرًا تاريخيًا جرى في عهد بطريركيتهِ وهو ان الحبشة كانوا من امد بعيـد محرومين من وجود اسقف عندهم فكتب ملكهم الى جرجس ملك النوبة يسألهُ ان يتوسط لهُ عند البطريرك فيلوثاوس بارسال اسقف الى الحبشة كالعادة القديمة . وقد ذكر السنكسار صورة الكتاب المذكور وفي آخرهِ خمسة ابيات شعر في مديح البطريرك المتوفى

واذا قابلنا هذا الحادث المدوَّن في السنكسار والموجود منـهُ نسخة خطية في المكتبة العموميَّة في باريس مع سياق الحوادث في كتاب يدعونهُ « كبرانِگست » اي عظمة الملوك طُبع مؤخرًا في رومة على نفقة بعض المستشرقين رأيناه مطابقًا لمـا دُوّن في هذا الاخير . وممَّا ورد فيهِ ايضًا ان ملكة يهوديَّة ضربت في ذلك العهد الحبشة وحرقت مدنهـا والجأت الملك الى الهرب وهم يدعونها يهوديت او ترداني گبز (፡ ዝበገ ፡ ትርዳኤ) ويقولون ان اتباعها سبط يقال لهم بني العموطة . واليك صورة الصفحة من السنكسار مع ترجمتها الى العربيَّة حرفيًّا :

صورة الاصل الحبشي وترجمته

وفي هذا اليوم (١٢ هدار) توفي ايضًا الاب القـديس فيلوثاوس رئيس اساقفـة الاسكندريَّة وهو البطريرك الثالث والستون على دبتيخـا رؤساء الاساقفة . ففي عهدهِ ارسل ملك الحبشة كتابًا الى جرجس ملك النوبة يقول لهُ فيهِ « ان الله غضب علينا بسبب ما صنع الملوك الذين سلفونا فانهم قـد تعدَّوا ناموس الرب في قضية ابينـا بطرس الاسقف الذي طردوهُ من وظيفتـهِ واقاموا مكانهُ المنافق الـذي يُدعى

ወበዛቲ ፡ ዕለት ፡ ካዕበ ፡ አዕረፈ ፡ አብ ፡ ቅዱስ ፡ ፊላታዎስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳ ሳት ፡ ዘሀገረ ፡ እስክንድርያ ። ወው እቱ ፡ እምኍልቆሙ ፡ ለአበው ፡ ሊ ቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ ፷ወ፫ ። በመዋዕለ ፡ ሢመቱ ፡ ፈነወ ፡ መልእክተ ፡ ንጉ ሠ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ን ጉሠ ፡ ኖባ ፡ ወይቤሎ ፡ እስመ ፡ እግ ዚአብሔር ፡ ተምዕዓ ፡ ላዕሌነ ፡ በእ ንተ ፡ ዘገብሩ ፡ ነገሥት ፡ እለ ፡ እም ቅድሜነ ፡ ሶበ ፡ ተዓድዉ ፡ ትእዛዘ ፡ እግዚአብሔር ፡ በእንተ ፡ አባ ፡ ጴጥ ሮስ ፡ ጳጳስ ፡ ሶበ ፡ ሰድድዎ ፡ እምሢ መቱ ፡ ወሤሙ ፡ ህየንቴሁ ፡ ዘስሙ ፡ ሚናስ ፡ ሐሳዊ ፡ በመዋዕሊሁ ፡ ለአ ባ ፡ ቆዝሞስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ወናሁ ፡

مينا وذلك في ايَّام الاب قزما رئيس
الاساقفة (بطريرك الاسكندريَّة) وقد
تولى البطريركيَّة سبعة روْساء اساقفة ولم
يسيموا لنـــا اسقفاً فلذلك خربت بلادنا
وهلك الناس والبهائم بالجوع والطاعون
ونهض علينا اعداوْنا وسبَوا عدداً كثيراً
من رجـــال بلادنا ودمَّروا مدننا
وانقطعت الامطار ولم تعدْ ارضنا تعطي
ثمرها. اعداوْنا احرقوا مدائننـــا وخربوا
كنائسنا وطردونا فتِهنا من مكان الى
مكان . فاســألك ان ترثي لبوْسي.
استحلفك بالله وبحقّ الايمـــان المستقيم
واطلب اليك ان تبعث انت كتاباً الى
ابيك رئيس الاساقفــة الاب فيلوثاوس
وتسألهُ من اجل الله ان يصفح عنا وعن
بلادنا ويضرع من اجانا حتى يرفع الله
عنَّا الشرّ والمحن التي بُلينا بها وان يرثي
لنا ويسيم لنا اسقفاً ويرسلهُ الينـــا كما
كانت عادتهُ وعادة آبائنا وان يصلّي من
اجلنا حتى يُقصي الله غضبهُ عنَّا. واعلم
يا اخي الملك اني اذا كنت اكتب لك
ذلك فلخوفي على الايمان بالمسيح ان يزول
في هذه الاقطار لانهُ منذ ان ذهب منا
هذا الاسقف الى اليوم قام سبعة بطاركة

ጳ ሊቃን ፡ ጳጳሳት ፡ ኢሤሙ ፡ ለነ ፡ ጳ
ጳስ ። ወበእንተዝ ፡ ጠፍአ ፡ ብሔርነ ፡
ወኃልቁ ፡ ኵሉ ፡ ሰብእ ፡ ወእንስሳ ፡
በረኃብ ፡ ወበብድብድ ። ወተንሥ
ኡ ፡ ለዕሌነ ፡ ጻላእትነ ፡ ወፄወውዎ
ሙ ፡ ለብዙኃን ፡ ሰብእ ፡ እምብሔር
ነ ። ወአመዝበሩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወተከ
ልአ ፡ ዝናም ፡ ከመ ፡ ኢይረድ ፡ ወ
ምድርኒ ፡ ኢተሀብ ፡ ፍሬሃ ። ወጻላእ
ትነ ፡ አውዓዩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወአመዝ
በሩ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወሰ
ደዱነ ፡ እመካን ፡ ውስተ ፡ መካን ፡ ወ
እስእለከ ፡ ከመ ፡ ትኩን ፡ ሱቱፈ ፡ ም
ስኪንየ ፡ በጻማ ፡ በእንተ ፡ እግዚአብ
ሔር ፡ ወበእንተ ፡ ሃይማኖት ፡ ርትዕ
ት ። ወትጽሕፍ ፡ መልእክተ ፡ እንተ ፡
እምኀቤከ ፡ ኀበ ፡ አቡከ ፡ ሊቃነ ፡ ጳ
ጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወተስእሎ ፡
በእንተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ከመ ፡ ይ
ፍትሐነ ፡ ወይፍታሕ ፡ ሀገሪነ ፡ ወይጸ
ልይ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡ እ
ምኔነ ፡ እግዚአብሔር ፡ ወእምላዕለ ፡
ሀገርነ ፡ ዘንተ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ፡
ዘበጽሐነ ፡ ወይሣህለነ ፡ ወይሢም ፡
ለነ ፡ ጳጳስ ። ወይፈንዎ ፡ ኀቤነ ፡ በከ
መ ፡ ልማዱ ፡ ወልማደ ፡ አበዊነ ፡ ወ
ይጸሊ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡
እግዚአብሔር ፡ መዓቶ ፡ እምላዕሌነ ፡
ወአንሰ ፡ ዘእቤለከ ፡ አእኁየ ፡ ንጉ
ሥ ፡ እስመ ፡ አነ ፡ ፈራህኩ ፡ ከመ ፡
ኢይብጥል ፡ ሃይማኖተ ፡ ክርስቶስ ፡
እስመ ፡ ናሁ ፡ እምአመ ፡ ከነ ፡ ዝን
ቱ ፡ እስከ ፡ ይእዜ ፡ ተሠይሙ ፡ ጳሊ

ولم يرسلوا لنا اسقفاً ولم يذكروا قطرنا
فاصبحنا كقطيع غنم لا راعي لهُ. مات
اساقفتنا وكهنتنا وملوكنا وخربت
كنائسنا واننا نعلم ان هذه الشرور
التي حلّت بنا انما جاءتنا بسبب ما صنعناه
باسقفنا الاب بطرس »

فلما بلغ كتاب ملك الحبشة هذا
الى ملك النوبة جرجس وقرأه لهُ كاتب
رسائلهِ (اي كاتم اسرارهِ) حزن بسبب
وقوع هذه المصائب التي حلّت بمملكة
الحبش. حينئذٍ بعث الملك جرجس ملك
النوبة بكتاب من قبلهِ الى رئيس
الاساقفة الاب فيلوثاوس يشرح لهُ بهِ
الشرور والمحن التي حلت ببلاد الحبشة
وتوسّل اليهِ ان يتحنّن على الشعب الحبشي
وان يسيم لهم اسقفاً. فلمّا سمع رئيس
الاساقفة بذلك ارسل للحال رسولهُ الى
بريّة الاسقيط الى راهب صدّيق هناك
يدعى الاب دانيال فقام هذا من دير
القديس مكاريوس وجاء الى البطريرك
فسامهُ هذا اسقفاً على الحبشة وارسلهُ
اليهم. ولمّا بلغ ديارهم استقبلوهُ بفرح
عظيم فصرف الله عنهم غضبهُ ونصرهم
على اعدائهم الذين قاموا عليهم من ذي

ቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ ወኢሤሙ ፡ ለነ ፡ ጳጳ
ስ ፡ ወኢተዘከሩ ፡ ብሔረነ ። ወኮነ ፡
ከመ ፡ አባግዕ ፡ ግዱፋን ፡ ዘአልቦ ፡ ኖ
ላዊ ፡ ወሞቱ ፡ ኤጲስ ፡ ቆጶሳቲነ ፡ ወ
ካህናቲነ ፡ ወነገሥቲነ ፡ ወተሥነቱ ፡
አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወአእመር
ነ ፡ ከመ ፡ ወረደ ፡ ላዕሌነ ፡ ዝንቱ ፡
ምንዳቤ ፡ ህየንተ ፡ ዘገበርነ ፡ ላዕለ ፡
ጳጳስነ ፡ አባ ፡ ጴጥሮስ ።

ወሶበ ፡ በጽሐት ፡ መልእክተ ፡ ን
ጉሠ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ንጉሥ ፡ ጊ
ዮርጊስ ፡ ዘኖባ ፡ ወአንበባ ፡ ለመጽ
ሐፈ ፡ መልእክት ፡ ወኃዘነ ፡ ፈድፋ
ደ ፡ በእንተ ፡ ዘበጽሐ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡
ኢትዮጵያ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ። ወ
ሶቤሃ ፡ ጸሐፈ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ንጉሠ ፡
ኖባ ፡ በመልእክት ፡ እምኀቤሁ ፡ ወ
ፈነወ ፡ ኀበ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊ
ላታዎስ ፡ ወይቤ ፡ ኵሎ ፡ ዘውስቴታ ፡
ዘኮነ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ም
ንዳቤ ፡ ወመከራ ፡ ወስአሎ ፡ ከመ ፡
ይሣሀል ፡ ላዕሌሆሙ ፡ ለሕዝበ ፡ ኢ
ትዮጵያ ፡ ከመ ፡ ይሢም ፡ ሎሙ ፡ ጳ
ጳስ ። ወሣሚያ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ሶቤ
ሃ ፡ ፈነወ ፡ ኀበ ፡ ገዳመ ፡ አስቄጥስ ፡
ኀበ ፩ መነኮስ ፡ ጻድቅ ፡ ወሶቤሃ ፡ በ
ጽሐ ፡ ኀቤሁ ፡ ውእቱ ፡ መነኮስ ፡ እ
ምደብረ ፡ አባ ፡ መቃርስ ፡ ውእቱ ፡
ዘስሙ ፡ አባ ፡ ዳንኤል ። ወሤሙ ፡
ሎሙ ፡ ኪያሁ ፡ ጳጳስ ፡ ወፈነዎ ፡ ኀ
ቤሆሙ ። ወሶበ ፡ በጽሐ ፡ ኀቤሆሙ ፡
ተወክፍዎ ፡ ወዐቢይ ፡ ፍሥሓ ፡ ወአ
እተተ ፡ እግዚአብሔር ፡ መዐቶ ፡ እ

Ge'ez	العربية
ምላዕሌሆሙ ፡ ወሞእዎሙ ፡ ለጸላእቶሙ ፡ እለ ፡ ተንሥኡ ፡ ላዕሌሆሙ ፡ ቀዲሙ ፡ ወረትዓ ፡ ኵሉ ፡ ግብሮሙ ፡ በመዋዕሊሁ ፡ ለዝንቱ ፡ አብ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወአስተርአየ ፡ እምኔሁ ፡ ተአምራት ፡ ወመንከራት ፡ ብዙኃት ፡፡	قبل وقد حسنت حالهم وسارت امورهم بخير في عهد رئاسة البطريرك الاب فيلوثاوس الذي اجترح آيات وعجائب كثيرة
ሰላም ፡ ለከ ፡ ፊላታዎስ ፡ ሐዋርያ ፡፡	— السلام لك يا فيلوثاوس الرسول
ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ዘእስክንድርያ ፡፡	— رئيس اساقفة الاسكندريّة
በእብሬትከ ፡ አንፈሱ ፡ ሕዝበ ፡ ኢትዮጵያ ፡፡	— في عهدك استراح الشعب الحبشي
በእንተ ፡ ዘሤሙ ፡ በላዕሌሆሙ ፡ ብእሴ ፡ ጕሕልያ ፡፡	— بعد ان سامه العدو نكالًا وغزته القبائل المجاورة له
አመ ፡ ፅእለተ ፡ ፀር ፡ ከነ ፡ ወለጎር ፡ ሕብልያ ፡፡	— اذ قام عليهِ اسقف جاحد

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الرسالة السابق ذكرها تستدعي بعض المعلومات التي نعرضها هنا على قرَّاء المشرق تتمَّة للفائدة

(اوّلًا) يلوح منها العادة الجارية في بلاد الحبش انَّ رئيس اساقفتها المعروف عندهم باسم « ابونا » لم يتولَّ تدبير كنائسها الَّا بعد سيامتهِ بيد البطريرك الاسكندري. وهذه العادة تترقّى الى اوَّل زمان تنصُّر بلاد الحبش بهمَّة رسولهم فرومنتيوس الذي بعد تبشيرهِ في بلادهم صار اسقفاً عليها بوضع ايدي القديس اثناسيوس الاسكندري كما رواهُ كلّ قدماء المؤرخين كروفين (ك ١ ف ٩) وسقراط (ك ١ ف ١٩) وسوزومان (ك ٢ ف ٢٤). وبهِ يثبت تواصل السلسلة الاسقفيَّة بالكراسي الرسوليَّة

(ثانياً) ورد في هذه الرسالة ذكر انقطاع السلسلة الاسقفية في الحبشة مدَّةً لاسباب اشار اليها هناك ولم يَستوفها فدونك تفاصيل الامر. لمّا جلس على كرسي ملك الحبش احد نجاشيهم المسمَّى « كدا جان » نحو سنة ٩٢٠ للمسيح ارسل راهباً يُدعى بطرس وطلب من قزما البطريرك الاسكندري القبطي ان يسيمه اسقفاً على الحبشة فاجاب قزما الى طلبهِ وعاد بطرس الى اكسوم حاضرة الملك. وبعد قليل أُصيب النجاشي « كداجان » بمرض عضال فدعا بطرس وفوَّض اليهِ ان يختار واحداً من ولدَيهِ فيمسحهُ ملكاً بعدهُ . فلمَّا مات الملك توَّج بطرس ملكاً على الحبشة اصغر الاخوين المسمَّى « دال ناد » لحسن صفاتهِ. لكنَّ الابن البكر المدعو « انباسا وديم » لم يرضَ بهذا الحكم واجتمع براهبين مصريين مينا ومنصور واتفق معهما على مقاتلة اخيهِ « دال ناد »: وادَّعى مينا برسائل زوَّرها انَّ البطريرك الاسكندري جعلهُ اسقفاً على الحبشة بعد عزل بطرس. فقام « انباسا وديم » وجنَّد الجند واعلن باسقفيَّة مينا وعَزْل بطرس ثم مسحهُ مينا ملكاً وسار الى محاربة اخيهِ لكنَّ « دال ناد » وانصارهُ غلبوهُ وشتَّتوا شمل جنودهِ وقبض « دال ناد » على الاسقف الدخيل مينا امَّا بطرس فمات في تلك الاثناء في المنفى. فلما رأى منصور ما حلَّ بمينا صاحبهِ نهب الدار الاسقفيَّة وهرب الى مصر واخبر قزما البطريرك بما فعل « انباسا وديم » بالاسقف بطرس وتزوير مينا لرسائلهِ . فلمَّا تأكَّد « دال ناد » نفاق مينا حكم عليهِ بالموت فقُتل. ثم استقدم احد تلامذة « ابونا بطرس » واضطرَّهُ ان يقوم بوظيفتهِ ولم يسمح لهُ ان يذهب الى مصر ليسيمهُ بطريرك الاسكندريَّة فساء ذلك بطاركة الاقباط ولم يعودوا يرسلون اساقفة الى الحبشة حتى عهد فيلوثاوس

وملك دال ناد من السنة ٩٢٥ الى ٩٣٧ الَّا انَّ ملكهُ كان غاية في الاضطراب فقامت ملكة يهوديَّة تُدعى « يهوديت » او « استير » كانت مالكة على امَّة الفلاشا في بلاد مجاورة للحبشة وحاولت فتح بلاد الحبش فسارت بجنودها وقاتلت دال ناد وظفرت بـهِ واستولت على مملكتهِ وقتلت كل النسل الملكي و٤٠٠ من امرائهِ وبقيت قابضةً على ازمَّة الملك في الحبشة الى سنة ٩٧٧ فبعد وفاتها قام الحبش على الملكة يهوديت الثانية المالكة بعدها وانتصروا عليها واقاموا دولة جديدة وطنيَّة نصرانيَّة تدعى « الزاكيَّة » باسم زاكي زعيمها الذي دُعي باسم تكلاهيمانوت . فلمَّا

استقرَّت لهُ الامور ارسل كتاباً الى ملك النوبة (وهي الرسالة التي نشرها الكافاليير رعد) ليتوسَّل الى بطريرك الاسكندريَّة فيلوثاوس وينال منهُ تعيين اسقف للحبشة كما كانت العادة جارية قبل خمسين سنة فرضي فيلوثاوس وسام للحبش راهباً يُدعى دانيال استدعاهُ من دير اسقيط. وكانت وفاة تكلا هيمانوت سنة ٩٩٢ للمسيح

(ثالثاً) وفي هذه الرسالة ورد اسم بطريركين من الاقباط ينبغي لنا ان نبين شيئاً من احوالهما. فالاوَّل هو قزما وهو البطريرك الثامن والخمسون وقيل التاسع والخمسون من عهد القديس مرقس والثاني من اسمهِ تولّى تدبير الكرسي الاسكندري ١٢ سنةً من ٩٢٣ الى ٩٣٤ ولم تُفدنا التواريخ شيئاً من اعمالهِ غير ما جرى لهُ مع الحبشة. اما الثاني فهو فيلوثاوس وهو البطريرك الثالث والستون من بطاركة الاسكندريَّة الاقباط دبَّر كرسي اليعاقبة ٢٤ سنة من ٩٧٥ الى ٩٩٩ على الاصحّ. ومن عجيب الامور انَّ الاحباش يكرمون هذا البطريرك كاحد القديسين ونسبوا اليهِ في سنكسارهم الآيات والمعجزات مع انَّ الاقباط وهم اعرف بهِ ذكروا لهُ من الاعمال ما يسوّد صحيفتهُ ويقبح سيرتهُ. قال ابن الراهب في تاريخهِ الذي تولينا نشرهُ (ص ١٣٤ — ١٣٥):

«وكان هذا البطريرك (اي فيلوثاوس) محبًّا لجمع المال والاكل والشرب ودخول الحمَّام بالتطيُّب واخذ الشرطونيَّة (يريد السيمونيا) وكان يوماً يقدّس في بيعة ماري مرقس باسكندريَّة فابصر يدًا خرجت من الشاق وصلَّبت على القربان فانقسم في يدهِ فاضطرب منهُ ولم يزل يرجف الى ان مات في ثالث هتور يوم السبت»

فما ابعد هذه الصفات عن القداسة. وقد ورد مثل ذلك عن فيلوثاوس في التاريخ الرسمي لبطاركة الاسكندريَّة لساويروس بن المقفع اسقف الاشمونين معاصرهِ وهناك ترجمة حياة فيلوثاوس وسياق اعماله مطوَّلةً (اطلب نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ٥٨٨ — ٦١٢) فذكر المؤرخ من سوء مآثرهِ اكثر ممَّا رواه ابن الراهب. ويؤيّد الروايتين المؤرخ الشهير جرجس بن العميد المعروف بابن المكين (éd. Erpenius, - p. 249) الَّا انهُ دُعي هناك فيلابانوس فظنَّ البعض انهُ وجد بطريركان الواحد صالح مكرَّم عند الحبشة وهو فيلوثاوس والآخر طالح سيّئ الاعمال وهو فيلابانوس

لكنَّ هـذا التميز لا سند له واسم فيلابانوس تصحيف ظاهر لاسم فيلاثاوس. والظاهر ان الحبشة اكرموا فيلوثاوس كقديس شكرًا لتعيينهِ لهم اسقفاً بعـد انقطاع سلسلة احبارهم وهم لم يعرفوهُ لبعدهِ عنهم

(رابعاً) وهذه الرسالة الحبشيَّة التي رواها جناب عبدالله افندي رعد قد ذكرها ساويروس بن المقفع معرَّبة في تاريخـهِ (ص ٦٠٩ و ٦١٠) مع خلاصة خبر ملك النوبة كما ورد في السنكسار الحبشي

(خامساً) ولا بدَّ هنا من ذكر النوبة وملكها جرجس الذي كتب اليهِ تكلا هيمانوت فنقول انَّ النوبة في القرن العاشر للمسيح كانت دولة مستقلة تمتدُّ في جنوبيّ مصر من اسوان الى ما فوقها شمالًا على مسير ثمانين يوماً مع النيل وكانت حاضرتها دُمْقلة او دُنقلة وفيها كرسي الملك. امَّا اهل النوبة فكانوا نصارى يعاقبة كما شهد على ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ : ٨٢٠) وكانت النصرانيَّة دخلت بينهم منذ عهد قسطنطين الكبير. وقد شهد قزما الرحَّالة الهندي في القرن الخامس على انتشار الدين المسيحي بين اهل النوبة. وعلى قول ابي الصلح الارمني انَّ اوَّل ملك منهم تنصر كان يُدعى « بجرياً ». وكان ملوك النوبة محالفين لملوك الحبش وربما ملك على الدولتين ملك واحد. امَّا جرجس الذي وجَّه اليهِ تكلا هيمانوت رسالته فهو جرجس بن زكَرِيَّا ويدعونهُ ايضاً جرجا وجرجه وقِرْقي بن زكرِيَّا ويطرئون بأسهُ وحسن سياستهِ وكان جلوسهُ على كرسي الملك نحو سنة ٩٨٠ للميلاد ولا نعلم سنة وفاتهِ. وقد جاء في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٢١ éd. Evetts) ان ملك النوبة في سنة ٣٩٢ للعرب اي ١٠٠٢ للمسيح كان يُدعى رفائيل والظاهر انهُ خلف جرجس بن زكرِيَّا

هذا ما عنَّ لنا ان نوردهُ تعليقاً على هـذه الرسالة التي هي كما ترى صحيفة خطيرة من تاريخ الحبش وتكشف عدَّة اسرار عن احوال نصارى القرن العاشر



الأَنفيلَكسيا او عكس المناعة

برهان حيٌّ على بطلان مذهب التحويل الدرويني

بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني

الأَنفيلَكسيا كلمةٌ جديدة تدور اليوم على ألسنة الكتَّاب من علماء الغرب فرأيت ان أُعالج موضوعها كي لا يفوت قرَّاء المشرق الاطّلاع على هذا الاكتشاف الخطير وفيهِ من الغرابة ما يحيّر العقول وتُدهَش منهُ نفوس الاذكياء. بل رأيت ضروريًّا الاسهاب في هذا الحادث لارتباطهِ بما كتبتُ في هذه المجلة منذ عدة سنين (المشرق ٣: ٦٤٧ و٧: ٥٢٣) في المناعة ونظر العلّامة اهرليخ في امر تعليلها

كلُّ من لهُ قليل المام في علم الحياة يعلم انهُ اذا لُقِح حيوانٌ بمقادير مخففة من بعض السموم ثم زيدت شيئًا فشيئًا بالتدريج قد يأتي زمانٌ يصبح فيهِ ذلك الحيوان غير متأثر بكميات اشدّ منها وذلك ما سمّوه المناعة

غير انهُ قد اكتشف بعض العلماء حادثًا حيويًّا يعارض عمل المناعة ويعاكس فعلها تمامًا. مثالهُ ان تعمدَ الى أرنب وتحقنهُ تحت جلدهِ بعشر غرامات من مصل دم فرسٍ سليم مُعافى فلا يحصل لهُ أذًى وتدوم فراهته وانتعاشهُ ثم تأخذهُ بعد مضيّ شهرٍ فتحقنهُ ثانيةً بعُشر الكمية الاولى فتراهُ قد مات في الحال. ويزيدُ الامرُ وضوحًا ان تأخذَ خنزيرًا هنديًّا لان هذا الحيوان نهايةٌ في الانفعال فتحقنهُ بالمصل مرَّةً أُولى ثم بعد مرور مدَّةٍ من الزمان تحقنهُ مرةً ثانيةً بجزء من الف جزء من الاولى فيخرّ ميتًا باقل من لمح البصر

وقد لحظ كثيرٌ من العلماء الحيويّين هذا الحادث العجيب فأعادوا التجارب فيهِ على طرائق شتى فكانت النتيجة واحدة: اي ان الحيوان الملقَّح بمصل دم حيوان آخر لا يتأثَّر منهُ اولًا امَّا اذا كُرِّر تلقيحهُ ثانيةً بالمصل عينهِ بعد مرور شهر ولو بعُشر عُشر الجرعة الاولى فيموت موتًا سريعًا. فاطلقوا على هذا الحادث اسم الأَنفيلَكسيا اشتقاقًا من كلمتين يونانيتَين ترجمتهما « عكس المناعة »

ان مثل هذا الحادث الذي يتمّ في الحيوان قد يتمّ طبعاً في الانسان على وجه التشابه. ولكن اذ لا يجوز اجراء التجارب في الانسان الحيّ كما في الحيوان الاعجم لم يتحقّق العلماء الامر بالاختبار وانّما جاءت صُدَف الطوارئ تصدقنا الخبر. منها ان طبيباً في البرازيل تلقّح بالمصل المضاد للطاعون وقايةً لنفسهِ من وباء المطعونين لمخالطتهِ لهم فنال منهُ غايتهُ ثم انهُ في السنة المقبلة تكرّرت عدوى الطاعون فعاد الطبيب وتلقّح بالمصل السابق كما فعل قبلًا فلم تمضِ عليهِ بضع ساعات الّا وقد سقط ميتاً. وعلى اثر هذه المصيبة تنبَّهت الخواطر لاعتبار غيرها فشوهدت حوادث عِدَّة تؤيّد وقوع الانفيلكسيا في الانسان . وعندنا ان اعراض التسمُّم التي تعرض للاطفال المصابين بالدفتيريا على اثر حقنهم بالمصل ثانيةً بعد مرور مدةٍ على الحقنة الاولى ليست الّا من هذا القبيل

امّا الشروط المقتضاة لاحداث الانفيلكسيا فاثنان : الاول ان يمرَّ بين التلقيح الاول والثاني مدة لا تقلّ عن الخمسة عشر يوماً. والثاني ان تكون مادَّة التلقيح المستعملة اولًا وثانياً من نوع واحد والّا بطلت الانفيلكسيا. مثلًا اذا اخذت مصل دم ارنب برّي ولقحت بهِ حيواناً ثم اخذت بعد حينٍ دم ارنبٍ داجن ولقحت بهِ ذلك الحيوان مرةً ثانية فلا ينالهُ اذًى ولا ضرر لانهُ حصل تغيّر في مصدر المصل وذلك بالرغم عمّا بين الحيوانين من التقارب

ومن عجيب امر الانفيلكسيا انّها تحصل ليس فقط بمصل الدم بل بجميع المواد الغرويّة الغير القابلة التَّبلُور كالزُّلال وخلاصات بعض البقول كالحمّص والفول وخلاصات اللحم الاحمر والنخاع والكلى والحليب والبول والبيض على انواعهِ ولكن بشرط المحافظة على القاعدة المتقدم ذكرها اي ان تكون مادَّة التلقيح مأخوذة من نوع واحد. فبناء على ذلك اذا اعتبرنا شخصاً لُقِح اولًا بمادة بيض الحمام ثم لقح ثانيةً بمادة بيض الدجاج او البط فلا خوف عليهِ من ضررٍ ولا ينالهُ اذًى. الّا انَّ كثيرًا من المواد المعدنيَّة والنباتيَّة كالمورفين والكحول والاستركنين لا تحدث الانفيلكسيا

امّا تعليل هذا الحادث نظريًّا فهو ان المواد الشبيهة بالغروية (غير القابلة التبلور) اذا دخلت في دورة الدم كوَّنت فيهِ مادَّةً جديدةً اسمها التوسكيجنين (اي مولّدة

السم) من شأنها ان تكمن في الدم ولا توذي الّا اذا أُدخلت عليها ثانيةً نفس المادّة التي كانت سبب توليدها في الاوّل فتأتلف بها وتكوّنان بائتلافهما سمًّا ناقعاً ذلك اشبه بما جاء في اختبارات كلود برنار (Claude-Bernard) على خميرَتي اللوز المرّ « الأميكدالين والإمولسين » . فانّهما اذا أُدخلا في الدم منفصلين لا يوذيان واذا أُدخلا سويةً اصبحا سمًّا قاتلاً . ومن خواصّ التوكسيجنين استمرارُ فعلها على الدوام فهي تلازم صاحبها دائماً . وكم كشف الاختبار عن حوادث انفيلكسيا دامت عدة سنين

تحدث الانفيلكسيا على الغالب بطريقة الحقن تحت الجلد وقلّما تحدث في المسالك الهضميَّة ولعلَّ المانع ما يطرأ من الغِيار بواسطة عصارات المعدة على الاطعمة او المواد التي تمرُّ فيها فلا تلجُ الدمَ الّا متحللة . ومع ذلك فان كثيرًا من الناس يصيبهم شيءٌ من التسمُّم على اثر تناولهم البيض او الحليب او غيره ممَّا كان يشكل فهمه قبل معرفة الانفيلكسيا التي تعلّل لنا اليوم عن طبيعة تلك الاعراض

واهمّ ما في هذه الاكتشافات العلميَّة انَّها أتتنا ببرهان محسوس يُبطل مذهب دروين المعروف بالتحوُّل النوعي فضلًا عن الادلّة الاخرى التي كادت تقوّض اركانهُ

من المعلوم ان المذهب الدرويني ينكر وجود انواع الحيوان كل واحد مستقلّ عن سواه من يوم فطرته ويعتقد انها فروع متعددة ترجع الى اصلٍ واحد هي حويصلة حيَّة اخذت تنمو وتتشعَّب وتتفرَّع وتتحوَّل وتتكيَّف دون ان يكون في ذلك الاصل ذاتيَّات لكل نوعٍ من الانواع كأن جاز للانسان ان يكون تسلسل من القرد والقرد من الخنزير وهذا من السمكة وهلمَّ جرًّا . على ان ما مرَّ بك من شأن الانفيلكسيا وشروط إحداثها يعزّز استقلال النوع وانفراده بطبعهِ وخواصّهِ ويدلّ على قيام الفواصل بين نوع ونوع . وكل فردٍ من نوعهِ خلقٌ مطبوعٌ قائم بذاتهِ لا نتيجة التفرّع او التحوُّل من اصل واحد . وليس القول بالانواع من مخترعات التعليم يُقصد بها تقسيم الاحياء وتبويبها لمساعدة الذهن على درسها وحفظها . واكبر برهان لدينا اليوم هو وجود التوكسيجنين النوعية حسبما كشفتها لنا الانفيلكسيا التي نحن في صددها صابرةً على مرور الاجيال لا يعتريها تغيّر ولا زوال بل تظلّ على قدم الاستعداد لتُظهر بمفاعيلها ان لا تغيّر في النوع ولا تحويل

واليك اختبارًا فريدًا في بابهِ يؤيد هذه الحقيقة: جاءوا بموميا (جثة محنّطة) قديمة العهد تعاصر ابراهيم الخليل عليهِ السلام فاستخلصوا شيئاً من نخاعها الشوكي ولقحوا بهِ خنزيرًا هنديًا فلم يحصل لهُ ضرر ولا نقص انتعاشه ثم بعد مرور المدة القانونيَّة قُبض عليهِ ولُقح بمصل دمٍ بشري جديد سليم فاذا بهِ مات في الحال. أوَ ليس هذا برهاناً على ان تلك الموميا العريقة بالقدم التي مضى عليها اكثر من اربعين جيلًا هي من النوع الانساني وانها لم تتغيَّر في نوعها مع ان الانسان الذي استُعمل مصله للتلقيح هو من الجيل العشرين ابيض البشرة آري الاصل بينما الموميا من بني حام وتنتمي حسب التوراة الى مسرائيم؟ الَّا ان النوع لم يزل واحدًا في كليهما فتأمل!

حوادث مدهشة في الحقيقة ودلائل واضحة تقطع بدوام الانواع والرواميز على حالٍ لا تتغيَّر وبالتالي فهي حجةٌ دامغة لتفنيد مذهب التحوُّل الدرويني. فسبحان الله كم لهُ في خلقهِ من آيات وكم نرى في اسرار هذا الخلق من معجزات

حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ احوال اوربأ في العام المنصرم

﴿ رومية ﴾ يحسن بنا ان نبتدئ بعاصمة الكثلكة وحبرها الجليل نعم ان رومية ليست دولةً ذات املاك وقوَّة ماديَّة الَّا انَّها ذات سلطة ادبيَّة تفوق على كلّ سلطة ادبيَّة وتعلو فوق كل الدول. لعمري انهُ لمشهد يسحر الالباب نظر ذلك الشيخ السجين في قصر الفاتيكان الذي ترنو اليهِ ابصار العالم كله وتحيّيهِ الملوك كما يُحيّا ممثل السلطة العلويَّة ويُزار في سجنهِ كما تُزار المقامات المقدَّسة ويقول بقولهِ ثلثمائة مليون من البشر اذا شهد انَّهُ ينطق باسم الههِ المسيح ولهُ الرئاسة التامَّة على الكنيسة فتجعلهُ اعظم شخص ادبيّ في الكون وان سلبتهُ ايطالية املاكهُ فهو لا يزال ملكًا شرعيًا تقرُّ بملكه الدول وترسل اليهِ سفراءها كما تفعل مع بقيَّة الملوك ويرسل هو اليها سفراءهُ ولهُ رايتهُ الخاصة تُنشر كرايات الدول وتُكرم كراية ملك. وقد اثبت

كل ذلك احد كبار الكتبة الفرنسويين المسيو دَلزون في مجلَّة العالَمين واتى بشهادة احد كبار السياسيين الايطاليين تاييدًا لقولهِ

وقد ظهر نفوذ الكرسي الرسولي في العام الماضي في عدَّة مواقع ففي العشر الاوَّل من كانون الثاني وجَّه الحبر الاعظم الى رؤساء الاساقفة القصَّاد الرسوليين في كلّ انحاء الشرق تلك الرسالة الجليلة التي فند فيها الاضاليل التاريخيَّة واللاهوتيَّة التي كان ضمنها الكاهن الامير مكسمليان اخو ملك ساكس في مقالة عنوانها « خواطر في مسألة اتحاد الكنائس » ونشرها في مجلة حديثة اسمها « رومية والشرق » فبين قداستهُ انَّ صاحبها مع سلامة نيته وصفاء سريرته قد شحنها بالاقوال الباطلة المنافية للحقائق التاريخيَّة والدينيَّة معاً وقد اقرّ صاحبها بغلطه وقدَّم مسرعاً للحبر الاعظم خضوعهُ التامّ . فجاء هذا الحادث برهاناً جديدًا على صحة المثل القائل بان الانسان قابل للضلال فان اعترف بذنبه اصبح ملاكاً وانَّ اصرّ على عصيانه صار شيطاناً ماردًا . واثبت ايضاً ذلك الامر انَّ الكنيسة في حاجة الى رأس يقودها ويرشدها وينقذها من كلّ ضلال

والحقّ يقال انَّ قداسة امام الاحبار بيوس العاشر يرعى الكنيسة بعين ساهرة وكل همّهِ ان يحقق الشعار الذي وضعهُ بازاء عينه يوم جلوسه على السدَّة البطرسيَّة اي تجديد كل شيء في المسيح والتصدي لكل من يعارضهُ في سبيل غايته الجليلة . وهذا ما حملهُ في هذا العام على توجيه الملامة الى الحكومة البرتغاليَّة الجديدة التي داست تحت الارجل كلّ مبادئ الدين ونسيت ماضيها الشريف لتنشر راية الكفر في بلادها وتناصب رؤساء الكهنوت وتَطرد الرهبان وتفصل الكنيسة في الحكومة وتنقاد الى تعاليم الماسونيَّة الوخيمة . فكان لبراءة الحبر الاعظم احسن وقع في قلوب الكاثوليك وشكروهُ عليها بطريرك ليسبونة مع لفيف اساقفة البرتغال

ومن آثار عنايته ايضاً ضربهُ بالحرم لعدَّة تآليف ومنشورات منها صريحة الكفر والفساد ومنها ألفها بعض الكاثوليك فحادوا فيها عن جادَّة الحقّ شاءوا ام ابوا كان من جملتهم السيد دوشان (M^gr Duchesne) الذي مع سموّ فضله وكثرة معارفهِ غلط في رواية بعض الاخبار التاريخيَّة الدينيَّة فصار كتابهُ في اصول الكنيسة عثرةً لكثيرين واضطرّ المجمع المقدس الى تحريمهِ

وقد رأينا سابقاً ما ابرزهُ البابا من الهمة في امر الارمن الكاثوليك بعضد غبطة بطريركهم المفضال وتعيين اساقفة للكنائس المترملة واقامة مجمع مليّ لاصلاح شؤون الطائفة ووضع حدود لتطرُّف بعض العلمانيين

وتصدَّى لمكايد الماسونيَّة الايطاليَّة وقبَّح اعمال زعيمها في رومية اليهودي ناثان رئيس البلدية الذي لزم خطتهُ السابقة في شتم شيخ الفاتيكان الجليل. وكذلك احتج على منشورات بعض الصحف البذيَّة التي تنفث سمَّها كل صباح في نفوس قرَّائها فتحملهم على بغض الدين وارباببهِ حتى انَّ بعض هؤلاء الجهال دخل كنيسة مار بطرس ليقتل الحبر الاعظم او اوَّل كاهن يلتقي بهِ فكاد يذهب ضحيَّة جنونهِ المسنيور اورزتشي (Mgr Orzucci) وكذلك احتجَّ قداستهُ على مظاهرات الفوضويين العدائيَّة عند باب پيَّا في شهر ايلول تذكاراً لدخول الجنود الايطاليَّة الى رومية وكان البروتستانت الاميركيون قد انضموا الى تلك الغوغاء فظهر لكلّ ذي بصر انَّ البروتستانية مصادقة للفوضى في معاداتها للكنيسة

وممَّا شكرهُ العالم الكاثوليكي لقداسة الحبر الاعظم ترقيتهُ في ٢٧ تشرين الاوَّل لسبعة عشر كردينالاً من بلاد مختلفة اشهرهم السيد اميت (L. A. Amette) رئيس اساقفة باريس والسيد بورن (F. Bourne) رئيس اساقفة وستمنستر والسيد جون فارلي (G. Farley) رئيس اساقفة نيويرك والسيد كوسي ماتشيو (Cos y Machid) رئيس اساقفة فلادوليد والسيد ناكل (F. Nagl) رئيس اساقفة ڤينَّا. والاب لويس بيليو (L. Billot) اليسوعي وكلهم من رجال الفضل والعلم المشار بالبنان

ومن آيات عناية ابي المؤمنين رسالة جميلة كتبها في ١١ حزيران ينشط فيها الجمعيَّات الساعية في توطيد السلام بين الممالك. وبها اثبت قداسته انَّهُ رسول ربّ السلام غاية مرغوبهِ ان تعيش الدول في الوداد والائتلاف وتعدل عن اسباب النزاع والخصام. ولمَّا استعرت نيران الحرب بين دولتنا العليَّة وايطالية واتَّهم بعض اصحاب الفتن الحبر الروماني بايقاد سعيرها كذَّب بيوس العاشر هذا الخبر رسمياً واكَّد علانيةً انَّهُ يشنأ الحروب ولا يتمنى للدول غير السلام والوفاق

ورأى الاب الاقدس انَّ حركة التجارة ولوازم المعاش وتزاحم الاشغال لم تعد

تسمح للكاثوليك في بلاد كثيرة الانقطاع عن الشغل في بعض الاعياد فاحبّ التساهل في ذلك وحصر في الكنيسة اللاتينيَّة اعياد البطالة السنويَّة في ثمانية ايَّام فقط اعني ميلاد الربّ وختانتهُ والغطاس والصعود ثمَّ الحبل الطاهر بالعذراء مريم وانتقالها الى السماء وعيد القديسين الرسولين بطرس وبولس وجميع القديسين ورخَّص اكل البياض واللحم يوم الجمعة ان وقع فيها احد هذه الاعياد

فتلك بعض الادلَّة عن سمو نظر قداسة الحبر الاعظم وتنبئ كلُّها بعنايتهِ الابويَّة بالحظيرة التي وُكلت اليهِ حراستها. وقد عرفت لهُ خرافهُ حسن رعايتهِ وهي تسعد باستماع صوتهِ وتبذل النفس والنفيس فداءً عنهُ. ولمَّا أُصيب راعي الرعاة بنزلة صدريَّة في شهر آب ارتفعت اكفُّ الدعاء من كل انحاء المعمور ليصون الله حياتهُ الثمينة من كل الآفات فما عتَّم ان نال الشفاء التام

﴿ انكلترَّة ﴾ وُجدت بريطانية العظمى في السنة المنصرمة في حال حرجة بما وقع من الانقسام بين مجلسي الدولة اذ وجد مجلس العموم في الاعيان مقاومةً تحول دون رغائبهِ في بعض الاصلاحات التي اراد تنفيذها فاتخذ زعماء مجلس الندوة الوسائل الفعَّالة ليصادق الاعيان على السنن التي استنُّوها وذلك بانهم تهدَّدوهم ان يقلبوا ذلك المجلس الاعلى ويختاروا برضى الملك غيرهم ممَّن يوافقونهم على مقترحاتهم فتخوَّف الاعيان من ثورة تجري في الامَّة وتنازلوا عن شيءٍ من حقوقهم باغراء المستر بلفور. وفاز الاحرار برغوبهم تحت قيادة المستر اسكويث اذ صادق المجلس الاعلى على القانون المعروف بقانون المنع (Veto - Bill)

ولا ينكر ان الاشتراكيين في هذه السنين الاخيرة ازدادوا قوَّة ونفوذًا ولنا اكبر دليل على ذلك في الاعتصابات المتوالية التي جرت في العام المنصرم وعرَّضت البلاد لاعظم المخاطر فاعتصب عمَّال السفن البحريَّة واعتصب عملة السكك الحديدية واعتصب المعدِّنون للفحم وعمَّال القطن والصنائع فتعرقلت الامور وسكنت حركة التجارة ووقف دولاب الاعمال حتى خيف نقص ضروريَّات المعاش في لندن وليفربول ومدن اخرى. وجرت بين المعتصبين وشرط الحكومة مناوشات عديدة في الشوارع اودت بحياة رجال من الفريقين ولم ترجع الامور الى مجراها الَّا بعد المفاوضات الطويلة ومنح العمَّال شيئًا من مطاليبهم. وهم قاصدون ان يؤلفوا قريبًا اعتصابًا عامًّا

ومن غريب الامور انَّ النساء في انكلترَّة اخذن ايضاً يطالبن الحكومة بحقّ التصويت في الانتخابات . ولمَّا رأين انَّ ارباب الحكم يُصمُّون السمع عن احتجاجهنَّ سرن الى مجلس الامَّة معتصبات ليهجمنَ عليهِ وكنَّ في طريقهنَّ يكسِّرنَ نوافذ المخازن حتى اوقف الشرط منهنَّ اكثر من مائتي امرأة بينهنَّ بعض نساء الاشراف

وقد عاين الانكليز في هذه السنة الاعياد الجليلة التي اقيمت في عاصمتهم بنسبة تتويج جلالة الملك جورج الخامس فكان اليوم الثاني والعشرون من حزيران يوماً مشهودًا ظهرت فيهِ السلالة المالكة في كل رونقها وجلالها وتلا الملك لاوَّل مرَّة ذلك القسم المنقح الذي أُلغي منهُ ما يمسّ كرامة الكنيسة الكاثوليك وذلك بحضور سفراء كل الدول في مقدَّمتهم ممثل الكرسي الرسولي الذي لقي مع وفد الفاتيكان لدى جلالة الملك والملكة وارباب الدولة كل رعاية واكرام . وكذلك نال السيد بورن رئيس اساقفة وستمنستر التفاتاً خاصًا ودُعي الى احدى المآدب الرسميَّة التي لم يحضرها قبلًا اسقف كاثوليكي . وتوالت هذه الافراح عدَّة ايام ونسي اصحاب الاحزاب انقسامهم لرفع شؤون الوطن . وفي هذه الغضون استعرض الملك جورج كل اساطيل الدولة فكان استعراضها مشهدًا فريدًا قلما ذُكر مثلهُ في تاريخ بريطانية العظمى

والحقُّ يقال انَّ الملك جورج يستحقُّ هذا الاكرام العظيم بما يزين شخصهُ من الصفات الكريمة والسجايا الطيبة مع معرفتهِ بسياسة بلادهِ ورغبتهِ التامَّة في خدمة صوالحها ومراعاة احزابها وترقية مستعمراتها التي ساح الى جهاتها ودرس احتياجاتها . وتجاريه الملكة ماري قرينتهُ بلطف طباعها ومحبة رعاياها . وهي تحب السذاجة وتنفرُ عن التأنق في اللباس وتتبُّع الازياء الجديدة وتريد ان تحذو حذوها كل نساء حاشيتها . وكلٌّ يشهد بان الملك والملكة قدوة الجميع في العفاف والفضائل البيتيَّة

وقد استأنف اهل الهند هذه المواسم في اوائل كانون الاوَّل فكان الدربار في دلهي من افخم وابهى ما وقعت عليهِ العين هناك قيل انَّ الموكب الذي كان يتقدَّم الملك والملكة يوم تتويجهما كان طولهُ ثلاثة اميال وكانا راكبين مركبة ملكيَّة تحفُّ بهما اعيان الهند وكبراؤها الذين قُدّر عددهم بمئة الف فتصاعدت اصوات الهاتفين واناشيد المتحمسين الى عنان السماء وكان عدد الجند من الماشين في هذا

الموكب عشرين الفاً . واغتنم جلالة الملك الجديد هذه الفرصة لنقل مركز حكومة الهند من كلكتا الى دلهي لوقوعها في وسط البلاد ومراعاةً لصوالح الوطنيين

وممَّا يحسن ذكرهُ لانكلترة في العام الماضي انَّ عقلاءها من بروتستانت وكاثوليك بازاء الحركات الفوضويَّة في البلاد تحققوا ان للماسونيَّة يدًا في تلك الاشغاب وكثيرون منهم كانوا يدَّعون انَّ الشيعة في انكلترة واميركة لا تناهض الدين والسلطة كما في غيرهما من البلاد فثبت لهم انَّ الماسونيَّــة الانكليزيَّة لا تشذّ خطَّتها في بريطانية العظمى وفي اميركة عن سواهما الَّا انَّها تراعي الاحوال وتلبس لكل بلاد لبوسها وتتلوَّن بالوانها وتدسّ لها السمَّ في الكاس الموافق لشربها

ومن مساعي كاثوليك الانكليز المشكورة عقدهم لمؤتمرهم الثاني في نيوكسل في ٣ آب حضرهُ جمٌّ غفير منهم تحت رئاسة رئيس اساقفة وستمنستر السيد بورن واثني عشر اسقفاً وكان هناك كثير من اعيــان الدولة والنوَّاب في مقدَّمتهم الدوق دي نورفلك ودارت ابحاث المؤتمرين على مسائل خطيرة اخصُّها مسألة سلطــة الحبر الاعظم الزمنيَّة والتعليم الثانوي في انكلترة . وقد رحب بالقادمين حاكم المدينــة البروتستاني وشكرهم على اختيارهم لمدينة نيوكسل لهذا المؤتمر لعلمهِ بما ينجم عنهُ من الخير للدين والوطن

وكان الكاثوليك قبل ذلك بايام قليلة فازوا في الانتخابات الجزئيَّة فنال اكثريَّة الاصوات اثنان منهم وهما الماجور موركس والبارون ده فورست المثري الشهير رغماً عن مساعي انصار المترشحين من البروتستانت وغيرهم فبلغ بهمــا عدد النوَّاب الكاثوليك في مجلس العموم ٨٤ عددًا عشرةٌ منهم انكليز والباقون ارلنديُّون

وكأنَّ الحبر الاعظم اراد مجازاة الانكليز على سامي همَّتهم بترقيتــهِ الى مقام الكرادلة السيد بورن وزاد على هذه النعمة نعمةً ثانيــة ان حوَّل ثلاثة كراسي اسقفيَّة في انكلترة الى مطرانيَّات اوَّلها جاثليقيَّــة وستمنستر ثم مطرانيَّة ليفربول ومطرانيَّــة برمنغام واناط بهذه الكراسي الرئيسيَّة بقيَّة الابرشيَّات البالغ عددها ١٤ كرسيًّا اسقفيًّا . مع بقاء حقوق الرئاسة العليا لرئيس اساقفة وستمنستر في الاحتفالات والمواقف الرسميَّة ولبس درع الباليوم والجلوس على العرش في كل انحاء انكلترَّة

﴿ المانية ﴾ احتفلت المانيــة في ١٨ كانون الثاني بتذكار السنة الاربعين

لامبراطوريتها فكانت الحفلات المقامة لذلك العيد الوطني غاية في الرونق والتحمُّس واتفقت فيهـا كل عناصر الدولة فاوثقت هذه المظاهرات عرى الاتحاد بين انحاء البلاد

وفي ١٥ آب استعرض جلالة الامبراطور غليوم الاساطيل الالمانيّـة واشار الى ثقته بالبحريّة للدفاع عن الوطن

وكانَّ خطاب الامبراطور المذكور لم يكن غير صدى لزمجرة الاسـد اذ كانت المانية باشرت بتوسطها في امور مراكش فارسلت بارجتهـا المدعوَّة بانثير الى مينا الغدير وادَّعت لهـا من الحقوق على تلك البلاد ما لم تُعرَف لهُ سوابق. فجرت بين معتمدي فرنسة والمانية المسيو جول كمبون وكيدرلن ڤختر - Kiderlen-Waech (ter) مفاوضات طويلة صعبة دامت ثلاثة اشهر ابرقت في مدَّتها المانية وارعدت حتى خيف من انتشاب الحرب لكنَّ فرنسة ثبتت في مقام كرامتها فلم ترضَ ان تتنازل عن حقوقها حتى انقشعت اخيرًا تلك السحابة بالاتفاق الفرنساوي الالماني الذي تمَّ التوقيع عليهِ في ٤ تشرين الثاني فبموجبه اطلقت المانية اليد لفرنسة في احتلال مراكش عسكريًّا وبسط حمايتهـا عليها. امَّا فرنسة فانها منحت لالمانية كتعويض عن حيادها قطعةً من بلادهـا في الكنغو تمكّنها من الوصول الى نهري الكنغو والاوبنغي بحيث يسهل عليهـا البلوغ الى مستعمرتها في الكامرون وتعديل حدودها

ولعلَّ الذي دفع المانيـة على ان تخفض شيئاً من زهوها سقمُ حالة ماليَّتها لانَّ الفرنسويين استياءً من عملهـا سحبوا من ماليَّتهم في مصارفها الى حدّ ثمانية ملايين ليرة فخافت المانية من الافلاس لولا مساعدة بعض المتموّلين من اليهود الفرنسويين. وكان مع ذلك عجز مالية المانية نحو ١٦ مليون ليرة

امَّا المانية الكاثوليكية فلا تزال تجاهد الجهاد الحسن في خير الكنيسة والوطن. قيـل انَّ الاحصاء الرسمي الذي تمَّ في العام الماضي افاد بانَّ عدد الالمانين بلغ ٦٤,٥٥١,٠٠٠ نفس والكاثوليك منهم ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ بنيف وهم فضـلًا عن عددهم هذا مرتبطون بروابط الوفاق بينهم ومع رؤسائهم الروحيين. ولهم من المشروعات الخيريَّة والاجتماعية ما يعزّ وجودهُ عند غيرهم. وكفى دليلًا على نفوذهم مؤتمرُهم السنوي الذي يجـدّد كل سنة قواهم ويبين لكل مواطنيهم رسوخ

قدمهم في حبّ الدين والوطن. وكان المؤتمر الاخير هو الثامن والخمسون للكاثوليك الالمانيين عقدوهُ في ماينسة في ٦ آب وكان احد مقاصدهم التي صمّموا عليها النية مناهضة المدارس اللادينية. ونقلت الجرائد انَّ عدد الذين مشوا في الموكب الجاري في ختام جلساتهم بلغ ٥٣,٠٠٠ كانوا اتوا من كل مقاطعات المانية ليحضروا المؤتمر

هذا وان الخطر العظيم الذي يتهدَّد اليوم المانية عموماً انَّما هو الخطر الاشتراكي الفوضوي فانَّ الانتخابات الاخيرة التي جرت حديثاً ارعبت قلوب المحافظين من بروتستانت وكاثوليك لما نال الاشتراكيون من الفوز في عدَّة امكنة فدخلوا في مجلس العموم وقصدُهم تعزيز مبادئهم الضارَّة. فيا ليت المحافظين ينسون عداوتهم للكنيسة ويمشون يدًا في يدٍ معها لردّ هذا الشرّ الذين يتهدَّد الدين والوطن معاً

﴿ النمسة ﴾ ان موت رئيس الحزب الكاثوليكي لويغر (Lueger) اضعف شيئاً من عزائم اصحابهِ الذين كانوا في هذه السنين الاخيرة نالوا فوزًا باهرًا بمناهضة الاشتراكيين والحزب اليهودي والماسوني. فانتهز كل اهل الفوضى واعداء الدين تلك الفرصة ليحملوا حملة شديدة على الكاثوليك فاصابوا في ڤينّا نجاحاً وزاد نجاحهم الحكومةَ ضعفاً مع كثرة العناصر في النمسة ووفرة الاحزاب التي تزيد على عشرين حزباً. فقامت قيامة الاشتراكيين وعمدوا الى المشاغبات وفي ١٧ ايلول اجروا الدماء في شوارع العاصمة. وحاول احدهم المسمى نياغوس (Njegus) ان يقتل وزير العدليَّة. فرأت الحكومة انها لا تستطيع كبح جماح آل الثورة الَّا بمعاقبتهم عقاباً شديدًا ليكونوا عبرةً لغيرهم. وارتأى رؤساء الوزارة الثلثة الذين تتابعوا اي بينرث (Bienerth) وغوتش (Gautsch) وستورخ (Stürgkh) انَّهُ لا بُدَّ من العمل بالحزم

امَّا الكاثوليك فسعى الاساقفة وزعماء احزابهم ان يضمُّوا كلمتهم ويجمعوا شتاتهم وانشأوا « الاتفاق الكاثوليكي النمساوي » وجعلوا لهُ فروعاً متعدّدة في المملكة. فلم تلبث ان ظهرت ثمرة اتّحادهم بمعاكسة الاشتراكيين وصدّهم عن فتح المدارس اللادينيَّة

وقد فقدت ڤينّا في ٦ آب رئيس اساقفتها السيد انطون يوسف غروشا (A. J. Gruscha) المولود سنة ١٨٢٠ وكان كردينالًا منذ سنة ١٨٩١ فخلفهُ

السيد ناكل (Nagl) مساعدهُ فُرِّقي الى رتبة الكرادلة كما سبق . وكذلك رُزئت بولونية النمساوية في ٩ ايلول برئيس اساقفة كراكوفيا الامير جان بوزينا دي كوزيلسكو (G. Puzyna de Kozielsko) كان مولدهُ سنة ١٨٤٢ وتعيَّن رئيس اساقفة على بولونية سنة ١٨٩٥ ونُظِم في سلك الكرادلة سنة ١٩٠٣

﴿ فرنسة ﴾ حدث في وزارتها عدَّة تقلّبات اظهرت ما صارت اليهِ تلك الدولة الشريفة في ايدي الجمهوريَّة اللادينيَّة فاصبحت كريشة تتلاعب فيها الرياح حتى تقلّص شيء من هيبتها وكرامتها . ففي ١٠ كانون الثاني عاد النواب فانتخبوا لرئاسة المجلس بريسون احد زعماء الماسونيَّة . وفي ٢٨ شباط استعفى رئيس الوزارة بريان لما وجد في المتطرفين من حزبهِ من المقاومة لتساهلهِ على ما زعموا مع الكاثوليك في امر للكتب الكفريَّة والتعليم اللاديني وتغاضيهِ في رجوع بعض الرهبان فحملوا عليهِ الحملات الشديدة حتى اسقطوا وزارتهُ . فتألفت وزارة جديدة برئاسة مونيس للداخليَّة وكروبي للخارجية وبرتو للحربية وستيغ للمعارف . وضاعفت هذه الوزارة ضغطها على الدين وارباب‍هِ فاقفلت عدَّة مدارس كاثوليكية . وكأنَّ الله اراد تنبيهها بالحادث المفجع الذي حدث في ٢١ ايَّار في حفلة سباق الطيارات من فرنسة الى مدريد فصدمت احدى الطيارات المنصَّة التي كان جالساً عليها الوزراء فقتلت وزير الحربيَّة المسيو برتو (Mr Berteaux) وجرحت رئيس الوزارة مونيس . ثم فشلت هذه الوزارة واستقالت وقامت وزارة ثالثة تحت رئاسة كاليو (Mr Caillaux) وكروبي للعدليَّة وسلف للخارجيَّة ودلكاسه للبحريَّة وستيغ للمعارف وكان ذلك في اواخر حزيران ولم تطل مدَّتها الَّا ستة اشهر فانَّ الانباء الاخيرة اعلنت بسقوطها في اوائل السنة الجديدة

واضطربت فرنسة بعدَّة فتن وحركات داخليَّة منها ثورة الكرَّامين في مقاطعة شمپانية وتحاملهم على باعة الخمور المزيَّفة فحدثت لذلك مضاربات ومشاجرات احوجت الحكومة على التداخل في الامر وارسال القوَّات العسكرية لاخماد الفتنة فلم تعد السكينة الَّا بعد افراغ الجهد الجهيد وعَقْد لجنةٍ تحاكم اليها الفريقان في دواي (Douai)

واستأنفت الماسونيَّة دسائسها بسعاية اصحابها سرًّا في الضباط الكاثوليك

ليمنعوهم عن الترقي في مراتب الجيش كما فعلوا سابقاً . وفي ٢١ ايلول عقدت الماسونيَّة مؤتمرهـا السنوي في باريس تحت رئاسة دبييار (Debierre) فكان من اخصّ مقاصدها اضرام الحرب العوان على التعليم الديني والكتب المدارسيَّة الكاثوليكيَّة لتخريج الناشئة على المبادئ الحرَّة الكفرية . وكان في اثناء ذلك نوَّاب مجلس العموم الفرمسون يتجوَّلون في انحاء فرنسة ويتآمرون في محافلهم السريَّة لتنفيذ الاحكام الماسونيَّـة في كل دوائر الدولة حتى ان المسيو دِلاشانل (M. Delachanel) في ٢٩ تشرين الثاني احتجَّ على هـذه السياسة الماسونيَّة في دار الندوة كما فعل سابقاً المسيو پراش (Prache) وافحم الوزير كاليو مبيناً امام الجميع انَّ النواب الماسون يضحُّون بسياستهم الماسونيَّة كل كرامة فرنسة

وكأن هذا التطرُّف الزائد قد هيَّج الرأي العام على الشيعة حتى انَّ الاشتراكيين نفسهم عقدوا الاجتماعات لمعاكسة الماسونيَّة فان نقابة الفعلة الباريسيَّة جمعت اصحابها في ٣ نيسان في باريس للاحتجاج على الماسونيَّـة وقام فيهم خطيباً المسمى پاتو (Pataud) زعيم رجال الكهربائيَّة في باريس وكشف كل دسائس الماسونيَّـة واثبت انَّ الشيعة تستخدم الفَعَلة كآلات صمَّاء لتنفيذ مآربها وتضحية مصالحهم . فلحق من جرَّاء ذلك عارٌ عظيم على ابناء الارملة

وتجلببت الماسونيَّـة عارًا جديدًا بنشر اوراق ڤلدك روسو (Waldeck-Rousseau) السياسيَّة في جريدة الماتين الموالية للحكومة فعرف الكل انَّ ذلك الوزير بتحامله على الرهبانيَّات ومدارسها انمَّا كان مرتشياً من اصحاب الشيعة

وتكرر خزي الشيعة التي كانت دسَّت احد اعضائها من شُرَط باريس ليقنع مجرماً رُفع للمحاكمة بقضية القتـل اسمهُ ليرو (Leroux) بان يرمي الذنب على كاهن قرية ايغورناي (Igornay) المدعو الاب لارو (Laroue) . ففعـل المجرم وأُلقي الكاهن في الحبس مدَّة ثلاثة اسابيع فاوسعتهُ الجرائد الماسونيَّـة شتماً هو وكلَّ الاكليروس . لكن مهماز الضمير لم يزل يتأثر المجرم حتى طلب ان يجتمع أمام القضاة مع الكاهن لارو فلمَّا حضر الاب المذكور خرَّ القاتل على قدميهِ ونشدهُ الله باكياً الَّا ان يغفر لهُ التهمة الباطلة التي اتهمهُ بهـا وانَّهُ هو وحدهُ المذنب . فضمَّهُ الكاهن الى صدرهِ وعيناهُ مغرورقتان بالدموع وسامحهُ . فكان لهذا الاقرار وقع

عظيم في نفوس الحضور وردَّدتهُ كل الصحافة معلنةً بخبث الشرطي ومكر الماسونية مع الثناء الطيِّب على شهامة الكاهن

وبينما كانت الشيعة تختلق هذه السعايات الكاذبة افتُضح احد كبار مشايعيها الاخ *** فلاشون (Flachon) مدير الجريدة لانترن (Lanterne) اقبح جرائد فرنسة كفرًا فثبت تدنيسهُ لثوب طهارة احد الصبيان وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقَّة في تشرين الثاني — وكذلك فُضحت الماسونيَّة بحكم القضاة على دويز (Duez) المتولي تصفية اموال الرهبانيَّات في فرنسة لاختلاسه منها جانباً كبيرًا مع اصحابهِ. فلمَّا ثبت جرمهُ حُكم عليهِ في ٢١ حزيران بالحبس لمدَّة ١٢ سنة

فاي عجب بعد ذلك ان كان الكاثوليك في العام المنصرم دافعوا عن حقوقهم مدافعة الابطال. وكان في مقدَّمتهم اساقفتهم الذين نشروا المناشير المفعمة غيرةً وحماسة في رذل الكتب الكفريَّة التي جعلتها الحكومة في ايدي الاولاد في المدارس العموميَّة. وكذلك اجتمع في ٨ كانون الثاني ١٣ اسقفاً وحرموا قراءة بعض الجرائد المعادية الدين وسمَّوها باسمائها ولم يخف هؤلاء الاحبار من قيام انصار الماسونيَّة عليهم في المحاكم العموميَّة بل عدُّوا الحكم عليهم شرفاً كالكردينال لوسون (Mgr Luçon) الذي قضى عليهِ مجلس ريمس بدفع ٥٠٠ فرنك كتعويض لجماعة المعلمين اللادينيَّة (les Amicales). وكان بخلاف ذلك مجلس رودس برَّر ساحة السيد دي ليغونس (de Ligonnès) للسبب عينه

وقد سرَّنا ان تألَّفت جمعيَّات شتى لمناهضة الماسونيَّة ونشر اعمالها وكتاباتها السريَّة. وفي اواسط تشرين الثاني عُقد المؤتمر الثاني لمعاكسة الشيعة حضرهُ في باريس ممثلو ١٨ دولة بينهم بعض المصريين والسوريين

وكذلك عقد الكاثوليك عدَّة مؤتمرات أُخر لتعزيز المشروعات الاجتماعيَّة كمؤتمر الفعلة الكاثوليك الذي امتدَّت فروعهُ اليوم في كلّ انحاء فرنسة وهي تبلغ ٤٥٠ فرعاً. واحتفلت ايضاً في ايار جمعيَّة الشبَّان الكاثوليك بعرسها الفضي وهي اليوم من ازهر الجمعيَّات واشدّها نفوذًا. وكذلك عُقد في ١١ حزيران مؤتمر «الاعمال الكاثوليكيَّة العموميَّة» بكل ابهة ورونق — ولم يكن في ٢٨ حزيران وفي ١٨ تموز اقلّ شأناً مؤتمران آخران عُقدا للدفاع عن المدارس الاكليريكية ولنشر المواعظ

والرياضات في قرى فرنسة . ومثلهما المؤتمر الرابع والثلثون لجمعية ائتلاف المعاهد التهذيبية في ٣٠ آب — وكان لاعياد جان درك في اورليان في ٢٣ اَيار مشهد رائع اخذ بمجامع القلوب وازدانت المدينة بكل حلل البهاء والنور ليلًا مع نهار

وممَّا نال بهِ الكاثوليك فخرًا دخول السيد دوشان (Duchesne) في الاكادمية الفرنسويَّة في ٢٦ كانون الاوَّل — وكذلك منحت الحكومة اوسمة الشرف لكهنة ورهبان وراهبات امتازوا بالفضل والخدم الجليلة لوطنهم فكان فعلها كاقرار بشرف الاكليروس والرهبانيَّات التي هي تضطهدها . وكان من جملة من ظفروا بهذه الهبات بعض المرسلين من رهبانيتنا في آطنة وبيروت — هذا وقد نالت كنيسة فرنسة مجدًا اثيلًا بنصب بناء فخري وتمثال فخيم لامير خطبائها الدينيين بوصويه الشهير في مدينة موّ (Meaux) وتمَّ الامر بمساعي السيد ماربو (M^gr Marbeau) خلفه الحالي على كرسي موّ فكانت الحفلة المنعقدة لذلك في ٨ تموز من اجلّ الحفلات — واعظم منها جلالًا حفلة نقل ذخائر القديس فرنسيس دي سال في انّسي الى الكنيسة الجديدة المبنيَّة لذكرهِ فتقاطرت الجموع من كل انحاء البلاد لهذه الحفلة وبالخصوص الالوف المؤلفة من اهالي مقاطعة سابوديا واسم فرنسيس دي سال لا يزال بينهم حيًّا محبوبًا

وممَّـا أُصيبت بهِ فرنسة في العام الماضي من المصائب المؤلمة انفجار ثلاثٍ من دوارعها الحربيَّة كلوار (Gloire) وكوربه (Courbet) وليبرته (Liberté) في اواخر ايلول فقُتل كثيرون من بحارتها ولبست البلاد حدادها على الموتى وابرق الحبر الاعظم الى رئيس الجمهورية يعزيه في هذه الفاجعة وكذلك اسرع السيد كيليبرت (M^gr Guillibert) الى عيادة المجروحين وأُقيمت الجنازات الدينيَّة المؤثرة لتذكار الموتى . وكان وافق يوم انفجار الدارعة كلوار تدشين الدارعة جان بار (Jean - Bart) في برست التي محمولها ٢٤,٠٠٠ طنّ

وكذلك رُزئت فرنسة في ١٠ تشرين الاوَّل بوفاة احد مشاهير قوَّادها الكاثوليك وهو الجنرال اثناس شارتّ (Ath. Charette) البطـل المغوار الذي دافع عن حقوق الكرسي الرسولي مع الزواوة في ايطالية ثم حارب في سبيل وطنهِ سنة ١٨٧٠ فنزل في حومة القتـال في لواني (Loigny) مظلَّلًا براية قلب يسوع فاكسب هو وذووهُ فرنسةَ شرفًا مخلَّدًا

وفي ١٠ ايّار توفي احد علماء فرنسة باللغات الشرقيّة المرحوم روبنس دوڤال (R. Duval) الشهير خصوصاً بتآليفهِ السريانيّة

امّا امور فرنسة الخارجيّة فاخصُّها فوز سياستها في مراكش فانَّ فتن الحزب المعاكس هناك لولاية مولاي حفيد سلطانها اقتضت فرنسة ان ترسل اليها عدداً من الجند بلغ ٣٠,٠٠٠ فجرت عدَّة وقائع دمويَّة وقُتل بعض ضبَّاط الَّا انَّ الجنود الفرنسويَّة بلغت اخيراً فاس حاضرة مراكش تحت قيادة الجنرال مانجان (Mangin) وكسرت شوكة الاعداء. وقد مرَّ بك ما دار اذ ذاك بين فرنسة والمانية من المفاوضات في شأن حماية الاولى وسيطرتها وكيف انتهت تلك الازمة. فلم يبقَ الآن الَّا المخابرات مع اسبانيــة والامل معقود انَّ الاتفاق بين الدولتين يتمُّ قريباً

وفي اواسط الصيف ابحر الرئيس فاليــار من دنكرك الى هولندة فاستُقبل استقبال المنتصر في شاننج ولاهاي

﴿ اسبانية ﴾ كانت اسبانية في اوائل السنة ١٩١١ في حالة حرجة لسوء تصرُّف رئيس وزارتها كناليجاس الذي كان بتقرُّبه من الاشتراكيين قوَّى عزائمهم فعمدت البحريَّة الى الثورة لتعلن بالجمهوريَّة فحصلت عدَّت مشاغبــات وفتن ففهم كناليجاس انَّ تساهلهُ يلقي بالدولة في التهالك وغيَّر خطَّتهُ ثم اتَّخذ الوسائل الفعَّالة لكبح شرّ الفوضى

ومن مساعي الاشتراكيين في اسبانية انَّهم حاولوا استئناف قضيَّة فرّير لزعمهم انَّهُ قُتل ظلماً فقام النائب الجمهوري سوريانو وطلب في ٢٨ اذار ان تُستأنف الدعوى لكنهُ لمَّا اوقفهُ وزير الدولة على اوراق الحكم وتفاصيلها اقرَّ جهاراً بانَّ فرّير اثيم وان الحكم بموته عادل

وكانت الحملة الاسبانية في شمالي مرَّاكش ساعيــة في توطيد اعمالها العسكرية بعد ان سافر الملك الفونس الثالث عشر الى مليلة في غرَّة السنــة لتنشيط الجنود المحتلّين هناك الَّا انّ المرَّاكشيين لم يدعوا فرصة لمقاتلــة الاسبان حتى ألحقوا بهم خسائر عديدة . وفي ١٤ تشرين الاوَّل قتلوا القائد اوردونيس في احدى الوقائع لكن الاسبان مصمّمون على مواصلة الحرب. امَّا بعد المعاهدة الافرنسيَّة الالمانية فلم يبق لاسبانية الَّا ان تتفق مع فرنسة على شروط احتلالها في شمالي مرَّاكش

ومن المعلوم انَّ اسبانية كانت قطعت العلاقات الرسميَّة مع الكرسي الرسولي بسبب احتجاج الحبر الاعظم على سوء تصرُّف كناليجاس في احكام دينيَّـة لكنَّ الملك الفونس استأنف المخابرات مع رومية بعد ان وقع اختيار الكاثوليك على مدريد للمجمع القرباني فارسل الملك رسالة يشكر فيهـا الحبر الاعظم على هذا الامتياز ثم عيَّن في ١١ حزيران سفيرًا جديدًا لدى الكرسي الرسولي السنيور نفارُّو ريڤرتر.

وفي ٢٣ حزيران كان افتتاح المعرض القرباني برونق عظيم فخيِّل انَّ اسبانيـة الكاثوليكيَّة تراكضت من اقاصي البلاد لتعلن بايمانها ودامت تلك الحفلات البهيَّة ثمانية ايَّام خُتمت بطواف فاخر لاكرام القربان الاقدس حضرتهُ المدينـة كلها وزاد حضور الملك لتلك الحفلات رونقاً. وكان الحبر الاعظم عيَّن لرئاسة المجمع كنائبه الخاصّ جاثليق اسبانية ورئيس اساقفة طليطلة الكردينال آغير. وفي اثناء الحفلات ابرق الملك الى الحبر الاعظم معرباً عن سروره بتلك المظاهرات الدينيَّة الفخيمة فجاء جواب امام الاحبار يتدفَّق لطفاً وحناناً لاسبانية وملكها. وممَّا جرى حينئذٍ من الحفـلات المؤثرة تقرُّب عشرين الف ولد لاوَّل مرَّة من القربان الاقدس فأُقيمت الذبيحة في حديقة كبيرة على ثلاثة مذابح وتناول الاحداث من ايدي الاساقفة ومرُّوا امام نيافة الكردينال اغير الجالس على سدَّة عالية فباركهم

❊ البرتغال ❊ جارة اسبانيـة تتخبَّط في الثورة والفوضى كما رأيت في مقالتنا المعنونة «مولد جمهوريَّة البرتغـال الماسونية» (المشرق ١٤ : ٧٠٤) فانَّ اصحابها بدلًا من السعي باصلاح الاحوال وجمع الكلمة للذبّ عن الوطن لا همَّ لهم سوى اضطهاد ارباب الدين وبثّ المبادئ الفاسـدة. وقد حكموا مؤخرًا بعزل غبطة بطريرك ليسبونة السيد مندس بلُّو (Mgr Mendes Bello) ثم بحبسهِ ونفيهِ الى افريقية. وترى الجمهوريين مع ذلك في انقسام وخصام حتى سقطت وزارتهم مع حداثة عهدها في ٢ ايلول وقامت وزارة جديدة برئاسـة جواو شاغاس من الدّ اعداء الدين الذي كرَّر الغارة على انصـار الملك مانويل والاكليروس كخلفه فازدادت الاحوال خراباً واخذ الشعب يتلهَّف على الحكومة السابقة مع خللها

ومن عجيب الامور انَّ انكلترَّة اثبتت حمايتها على رعاياها في البرتغال رغماً عن الجمهوريين فترى دعاة الدين البروتستاني يتمتَّعون بالحريَّة التامَّـة لنشر تعاليمهم

وتهذيب اكليروسهم والمجاهرة برتبهم الدينيَّة ولبس الثياب الخاصَّة بهم بخلاف الكهنة الكاثوليك الذين لم يَعُد يُسمح لهم ان يظهروا في الشوارع بشارات دينهم او يلبسوا ثيابهم الاكليريكيَّة. فما اخفَّ نير الماسونيَّة!!

❁ ايطالية ❁ ارادت ايطالية في العام المنصرم ان تحتفل بالسنة الخمسين لاعلانها بالوحدة الايطاليَّة والسنة الاربعين لاغتصابها املاك الكرسي الرسولي. غير انَّ هذه الحفلات بقيت غالباً منحصرة في الدوائر الرسميَّة فانَّ الكاثوليك كما لا يخفى رأوا في تلك المظاهرات اهانة لدينهم فعدلوا عنها . امَّا الفوضويّون والاشتراكيُّون فانهم ابوا حضورها لتوجيه الدولة كل اكرامها للملك فكتور عمانويل الذي اقامت لذكرهِ مشهداً مع كونها ضربت صفحاً عن زعيمي الوحدة الايطاليَّة مازّيني وغاريبلدي . وكانت الحكومة اعدَّت معرضاً عمومياً دعت اليهِ الملوك ورؤساء الدول وتكلفت عليهِ النفقات الطائلة فلم يحضرهُ احد منهم وبلغت خسارتهُ عدَّة ملايين فنسب اليهودي ناثان رئيس بلديَّة رومية هذا التقصير للحبر الاعظم وللحزب الاكليريكي . وزاد الامر تقهقرًا بسقوط وزارة لوزاتي في ١٨ آذار في اليوم التابع لافتتاح المعرض. ثم جاءت في اواسط الصيف عدوى الهواء الاصفر في رومية وانحاء ايطالية فكانت بلاء على بلاء

ومن عجيب الاتّفاق انَّ ايطالية التي كانت تطرئ معرضها وتصوّر حفلات عيدها الخمسيني كتوطيد السلام هي هي قامت في اواخر ايلول وباشرت بغتةً بتلك الحرب المشؤومة التي نشعر بانعكاس فعلها حتى في اقطارنا فردَّدت كلمة مازّيني التي قالها سنة ١٨٣٨ : « انَّ شمالي افريقية ملك من املاك ايطالية » وسكرت بقول بيسمارك سنة ١٨٦٦ : « انَّ ملك البحر المتوسط يخصّ بلا مراء ايطالية ». وكان اعلان الحرب في ٢٩ ايلول فضربت اوَّلاً السفن الايطالية طوربيدًا في بريڤيزا جنوبيّ جزيرة كورفو. ثمَّ سارت الى طرابلس فاطلقت عليها القذائف في ٣ تشرين الاوَّل وانزلت جنودها الى البرّ في ٥ منهُ ومذ ذاك الوقت استولت على سواحل طرابلس امَّا داخليَّة البلاد فلم يتوغَّل فيها الطليان كثيرًا مع انَّ مجموع عساكرهم يبلغ اليوم في طرابلس ١٢٠ الفاً. وكانَّ ما وجدوهُ هناك من المقاومة قد احنقهم فاخذوا يتهدَّدون سواحل البحر الاحمر فضربوا بعض المدن ودمَّروا قسماً من السفن التركيَّة . على انَّ

الدولة العثمانيَّة لم تغضِ على القذى وقد اظهرت جنودها من البسالة ما لم يكن في حسبان الايطاليين ثم صادرت التجارة الايطاليَّة في بلادها فالحقت بها خسائر لا تحصى

وممَّـا طنطنت بهِ الجرائد الايطاليَّة في العام الماضي دعوى الكاهن الجاحد لدينهِ المسمَّى ڤرديزي (Verdesi) الذي اتَّهم احد الرهبـان اليسوعيين الاب بريكارلي بكشف سرّ الاعتراف فاقام الاب المذكور دعوى على المتَّهم فاثبت كذبهُ وحُكم على ڤرديزي بالحبس ودفع كُلف الدعوى . وكان هـذا الحكم انتصارًا للكثلكة

﴿ بلجكة ﴾ في هـذه السنة تواطأت الاحزاب المعاكسة للحكومة على جمع قواها ونزع السلطة من الكاثوليك ففازت ببعض مناها وسقطت وزارة شولرت (Schollaert) وقام بدلًا منهُ البارون دي روكفيل (Bon de Roqueville) . ولَّما جرت الانتخابات كسب الاشتراكيُّون والاحرار بعض كراسي في مجلس الندوة الَّا انَّ عدد الاصوات كان اوفر جدًّا للكاثوليك الذين لا يزالون في مقامهم . امَّا اعداؤهم ففضَّلوا تضحية مبادئهم لنوال فوز زهيد لم يُظفرهم بالنصرة التامَّة . ومع ذلك ملأ الماسون البلاد صخباً وعمدوا الى مظاهرات شتَّى في بروكسل وغيرها لكنَّ المحافظين الكاثوليك كالوا لهم الكيل بالكيل وردُّوا كيدهم في نحرهم في لوڤان ومن ثم رأوا ضرورة توثيق عُرى وحدتهم

﴿ هولندة ﴾ نصبت عَلَمها على جزيرة بلماس بدلًا من العلم الاميركي بعد اتفاق الدولتين

﴿ روسيَّة ﴾ دهم بلادها في جهات تركستان زلازل هائلة قوَّضت ابنية بعض مدنها وتلت ذلك عدوى الطاعون فاجتاحت عددًا عديدًا من اهلهـا حتى اضحت بعض الانحاء قفرًا مقفرًا . وجاءت بعد ذلك المجاعة فكانت ثالثة الاثافيّ وذهبت بنفوس الوفٍ مؤلفة من اهل سبيريا

وحصل في آذار جفاء بين روسيَّة والصين لنقض الصين بعض معاهداتها فارسلت روسيَّة مذكَّرة تنبهها الى انَّ عملهـا سيفضي الى حلّ عُرى الصداقة فلم ترَ الصين بدًّا من ترضية جارتها القديرة

هاج الروسيون على اليهود في كياف ثم في ثرسوڤيا لقتل ولد مسيحي ادّعى الرأي العام ان اليهود قتلوهُ لغاية دينيَّة في فصحهم. ولمَّا حاولت الحكومة ان تتحقق الامر شرعيًا والحّ الكنت ستوليبين على القضاة باثبات الدعوى قام يهودي آخر اسمهُ بوغروف فكاد لحياة الوزير ستولبين حتى قتلهُ واقرّ قبل عقابهِ انهُ فعل ذلك انتقاماً منهُ لطلبهِ اقامة الدعوى على مندل بيليس (M. Beiliss) المتهم بقتل الصبي في كياف—وقد مرّ في ما سبق ما حصل من توتُّر الاحوال بين روسيَّة وايران— وكذلك هاج الرأي العام في تركيًا لطلب الدولة المسكوبيَّة فتح الدردنيل لسفنها الحربيَّة لكنَّ الدولة العليَّة اجابت جواباً سلبيًا على هذا الطلب الذي يفتح بلادها لنفوذ الاجانب

❁ بلغارية ❁ اجرت انتخابات مجلسها العمومي في ١٩ حزيران فكانت الاغلبيَّة للنوَّاب الموافقين للحكومة فبلغ عددهم ١٢٦ ولم يتجاوز عدد المعاكسين ٦٨. وفي ١٠ تموُّز عقد المجلس الاعلى المعروف بالسوبرانيه فصادق ٣٣٢ من النواب والاعيان على ترقية اميريَّة البلغار الى ملكيَّة وفوَّضوا الى الملك السلطة في المعاهدات دون رخصة مجلس الندوة — وفي اواسط كانون الاوَّل حصلت في ثغور تركيًا والبلغار مناوشات بين خفراء الدولتين. فخُشي ان تتجسم الامور وتؤول الى حرب لكنَّ الله كفانا شرَّها بحكمة العقلاء

❁ اليونان ❁ لا تزال احوالها الداخليَّة في اضطراب مع عجز ماليَّتها — وقد أُصيبت تجارتها بضربة موجعة لمقاطعة بضائعها في الدولة العثمانيَّة مدى السنة حتى الخريف—وكانت كريت تواصل مساعيها للدخول في حكم اليونان فاضطرَّت الدول غير مرَّة ان تحول دون رغائبها حاضرًا

❁ موناكو ❁ منح في ٥ ك ٢ اميرها البار الاوَّل دستورًا لبلادهِ التي لا يبلغ اهلها عشرين الفاً فاذاقهم حلاوة الحكم الدستوري

٣ ماجريات اميركا

❁ اميركا الشماليَّة ❁ الولايات المتحدة تجري في الرقي والعمران جري الجبابرة وقد سبق في المشرق (١٤ : ٧٢١) كلام طويل في مركزها الاقتصادي الممتاز. ولما انتهت في غاية حزيران السنة الماليَّة وجدوا انَّ صادرات البلاد زادت على

العامّ السابق بما يساوي مليارين دولار وانَّ الربح الخالص ينيف على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد نالت الولايات المتحدة من الصين امتيازات مهمَّة لمدّ سكة هونكنغ الحديديَّة واصلاح الجمارك . وكذلك عُقدت معاهدة مع اليابان واتَّفقت فيها الدولتان على عدَّة امور كمسألة المهاجرين من بلاد الى اخرى

ادَّت نتيجة الانتخابات في الولايات المتحدة الى فوز الجمهوريّين وكان السبق قبلًا للنوَّاب الديموقراطيين

في تموز احتفل الكاثوليك في بلتيمور بيوبيل الكردينال جيبونس اذ وافقت هذه السنة تمام خمسين عاماً على كهنوتهِ و٢٥ عاماً على ترقيتهِ الى الكردينالية فاقيمت لهُ حفلة عظيمة حضرها رئيس الولايات المتحدة تافت والمستر تيودور روزفلت وكثير من الاعيان والنواب وممثلي الدول مع جمهور بالغ ١٥,٠٠٠ نسمة خطب فيها كثير من الخطباء المفوَّهين ورفعوا شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة وصاحب العيد والحقّ يقال ان الرئيس تافت لا يدع فرصة في تعظيم الدين الكاثوليكي وارbابهِ . وقد روى البشير في ٥ ايلول خطبتهُ البديعة عند زيارتهِ دير الجسمانيَّة حيث مدح الرهبان واطرأ اعمالهم

ومن مرويَّات اميركة الشماليَّة المؤتمر الذي عقدهُ الكاثوليك في شيكاغو حيث احتجَّ الكاثوليك على كارنجي المثري الاميركي الكبير لتخصيصهِ مبالغ وافرة من مالهِ لتعزيز التعليم اللاديني ومضرَّة البلاد

وعلى خلاف ذلك استدعت حكومة كولومبية الآباء اليسوعيين ووكلت اليهم فتح كليَّة يعلّمون فيها العلوم العليا ويمنحون اجازة الدرجات الاكاديميَّة ووعدت الحكومة بأنَّها تقدّم لهم مساعدة ماليَّة سنويَّة على شروط معلومة

❁ كندا ❁ في هذه السنة جرى بعض التحوير في سياسة كندا وهي بلاد يتنازعها العنصران الاميركي والانكليزي وقسم كبير من اهلها فرنسويُّون كاثوليكيُّون متحمسون في دينهم فسعى العنصر الاميركي ان يغلِب فيها اللغة الانكليزيَّة والعادات الاميركيَّة ويضعف حياتها الاستقلاليَّة وحبَّها لفرنسة فقاومهُ معظم الفرنسويين وقام الاساقفة يدافعون عن حقوق الكاثوليك ويطالبون بحفظ امتيازاتهم ففاز سهمهم

وقد تعين لكندا كحاكم عمومي باسم بريطانة دوق دي كونوت فاستقبل بكل رونق وفرح

ومما تحققوهُ بالاحصاء الاخير انَّ اهل كندا يهاجرون كثيرًا الى الولايات المتحدة حتى انَّ عددهم البالغ سابقاً ثمانية ملايين من النفوس سقط في هذا الاحصاء الى سبعة ملايين

﴿ المكسيك ﴾ كانت جمهوريَّة المكسيك في هذه السنة في هرج ومرج لقيام اهلها على الرئيس پورفيريو دياز الذي منذ ٣٥ سنة يضبط زمام الامور رغماً عن كل معاكسيه وخلافاً للقوانين الدستوريَّة وقد تمكَّن من حفظ سلطتهِ بكل انواع الاستبدادِ والظلم مع مساعدة انصارهِ فما كان احد يجسر ان يقاومهُ واذا فعل شعر بعد قليل بمفاعيل غيظهِ فيُقتَل خفيةً ويذهب دمهُ هدرًا . وكانت الماسونيَّة وهو احد اعضائها تعضدهُ في كلّ مشاريعهِ حتى طفح الكأس في هذه السنة وقام لمحاربة دياز رجال ذوو إقدام وأنفة كفرنسيسكو ماديرو وفلورس ماغون وقامت الحرب الاهليَّة على ساق وسالت الدماء الى ان اضطرَّ بورفيريو دياز ان يقدّم استعفاءهُ . والمقدَّم حتى الآن هو ماديرو وقد انحاز اليهِ الكاثوليك الذين كانوا سابقاً حائدين عن الاحزاب السياسيَّة ومن المنتظر ان يفوز تماماً عمَّا قريب

﴿ اميركا الوسطى ﴾ ليس بين جمهوريَّاتها في السلم سوى حكومتي كوستاريكا وسان سلڤادور امَّا نيكاراغوا وهندوراس فكانتا في قلق واضطراب لاختلاف احزابهما . وكانت جمهوريَّة غواتمالا تئنُّ للضنك اللاحق بها من قبل رئيسها استرادا كبريرا

﴿ اميركا الجنوبيَّة ﴾ غلب السلم على جمهوريَّة شيلي التي بعد احتفالها بالمئة الاولى على استقلالها لم تزل ترقى في معارج الفلاح والحريَّة الصحيحة وتعزيز الدين . وكذلك الهدوّ والوفاق سائدان في بلاد پيرو وكولومبية . امَّا بقيَّة البلاد فانَّها لم تخلُ من حركة وهيجان فان اهل باراغواي احتشدوا على رئيسهم وقبضوا عليه وحبسوهُ حتى اكرهوهُ على الاستعفاء واقاموا بدلًا منهُ رئيس المجلس السنيور ليباراتو . ويودّ اهل اروغواي ان يكسروا نير رئيسهم باتلّ اي اوردونيس (Batile y Ordònez) لضغطه عليهم واستبدادهِ المفرط . وكذلك جمهوريَّة

الارجنتين فانّ بعض الفوضويين اقلقوا راحتها في حاضرة البلاد

امّا البرازيل فثار فيها قسمٌ من بحريّتها وتهدّدوا ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى السكينة الّا بعد ان نالوا الامان التـام . وكادت العلاقات الوديّة بين البرازيل والكرسي الرسولي ان تنقطع بسبب تجاوز الحكومة حدودهـا في بعض الامور الدينيّة لكنّ الامل معقود بقرب اتّفاق الجانبين. وقد التجأ اليسوعيّون البرتغاليّون بعد نفيهم من وطنهم الى البرازيل حيث رحّب بهم الاهلون وفتحوا مدرسةً كبيرة في مدينة بايا (Bahia)

﴿ اوسترالية ﴾ امورها في خطة النجاح. وانّما فقد الكاثوليك رجلهم العظيم الكردينال موران (Mgr P. F. Moran) الذي احسن تدبيرهم منذ جلس على كرسي اسقفيّة سيدناي سنة ١٨٨٤ وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رقّاهُ الى منصب الكرادلة سنة ١٨٨٥ وتقدّمت الكثلكة في عهدهِ تقدّماً قلّما يُرى نظيرهُ

النّصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثامن

النصرانيّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنـا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة. وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فممّا لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدّة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران

الكبيران دجلة والفرات مع عدَّة انهار تنصبّ فيها اخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم القديمة تتزاحم في ماكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصَّرة لم يبقَ من اكثرها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويَّة تنبئ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقَّة ورأس العين وقرقيش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبَّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لمعاشهم الساذج ولرعية مواشيهم فيتنقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرَّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

وما يدلّ على انتشار القبائل العربيَّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممَّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلَّها العرب اخصها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبدى ثم نُسبت الى ابني عُمَر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمَر بن اوس التغلبي »

امَّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسَب الى بكر بن وائل. . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وحدُّها ما غرَّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنهُ حصن كيفا وآمد وميَّافارقين. وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحيني وما تخلَّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربَّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فانَّهم كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلّهُ قبل الاسلام في بواديهِ واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرّان والرقّة وشمشاط وسروج وتلّ مَوزَن »

امّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرّيّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال ابو محمَّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ éd. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمَّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقّاً في طرف الشام على التواء الى العراق فغربيُّهُ ديار كَلْب وشرقيُّهُ ديار مُضَر (فيها) من المدن الرافقة وهي على شط الفرات يسكنها اخلاط مُضر. وحرّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها. . . لبني تميم ومن يُخالط بني سليم. والرُّها لبني سُلَيم وكنيسة الرها التي يُضرَب بها المثل. ومَرْبَعا والخابور لبني عُقَيل اعلاه ولبني مالك و بني حَبيب وبطون تغلب الباقي. ثم آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) وما خلفها. اوّلها وآخر ديار مضر رأسُ العين. ثم كفرتوثا لجشم عن اياسرها مارَّة من موضع الجنَّات المضروب بها المثل وهي تطلّ على دارَين ثم نصيبين . . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. فمن نصيبين الى أذْرَمة والشُّمَيعية مسيرة يوم وعن ايمن ذاك جبل سنجار جبل شُراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من ايمن ذلك دُهُنًا الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب. . . ثم منها الى بلَدَ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل. وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نهر) الثرثار عن يمينك. واكثر اهل الموصل مذحج وهي رَبِيعة فان تياسرتَ منها وقعت الى الجبل المسمَّى بالجودي يسكنهُ ربيعة وخلفهُ الاكراد وخلف الاكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداذ لقيتَك الحديثة وجبل بارمَّا يسمَّى اليوم حُمرين. . ثم السنّ والبوازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو اوَّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذويها لا يمازجهم الى ناحية خراسان الَّا الاكراد »

فاذا عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيَّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيَّة من النفوذ بينها فنقول :

انَّ اوَّل برهان يثبت دخول النصرانيَّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح بهِ كل الآثار التاريخيَّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس

للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انَّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظَّهم كما اصابهُ اخوتهم في باديةّ الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يعدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى بهِ ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيما بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢ : ٩–١١) المعجزات التي جرت يوم حاول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديُّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدُّعاة الاوَّلين للنصرانية فانَّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد بالمجاورة لليهوديَّة التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استفتينا التواريخ القديمة والتقاليد المحليَّة والطقوس السريانيَّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيَّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ: « قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكهنوت المقدس من ادّي احد السبعين تلميذًا ». وقال ايليَّا الاسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري: « وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد... ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١)». وقال ماري بن سليمان (éd. Gismondi, p. 2): « وتوجه آحي وماري (تلميذا ادّي) الى نصيبين واعمدا اهلها وانفذ ماري الى المشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجَّه ادّي الى المشرق وبدأ بناحية حزَّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة... » وقال ايضاً: « وادّي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب: العرب) ». وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١ éd. Gismondi) مصرّحاً: « ثم انهُ (اي ماري) بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن »

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق

---

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤: ٥–٢٥)

فانَّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس « كرز في سوريَّة والجزيرة »

رابعاً وان تخطَّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدَّسة الى السريانيَّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوَّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في القسم الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالدياطاسارون(٣. وهناك تنصَّر الاباجرة ملوك الرها سواء يُسلَّم بصحَّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيَّة او يؤجل تنصرهم الى ايام كراكلّا برجوع ابجر التاسع (١٧٩—٢١٤) وهناك عُقد مجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل النظر في اقوال بعض المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (٥ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلًا على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الربّ يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدَّة اساقفة رعوا المومنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وهلمَّ جرًّا

امَّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ — ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٦ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يمتدُّ ملكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢ : ٤٨٣)

٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيَّة لرَيت (ص ٢)

٣) اطلب المشرق (٤ : ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

٥) فيهِ .Ibid

٦) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

واخو الحَضر اذ بناهُ واذ م دجـــلةُ تجبى اليه والخابورُ

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصــار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل رونقهــا وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخصّ بواسطة الرهبــان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدَّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوكين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير . وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبـــل الإزْل وبشَّر بالايمان في نصيبين وعمَّد عاملهـــا واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ الناس وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوكين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (١ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٤) فقال عنهُ انَّ اوكين وهو دعاهُ اونس (Aönes) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقــل المورخ الى ذكر تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتَّاوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا ولعازر الذي سُقِّف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرَّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولَّى الاسقفيَّة على حرَّان بعـــد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوكين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديرًا ويوحنـــا الذي كان يطوف القرى وينصّر الناس وآحا اخا يوحنـــا (٢. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمَّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيَّة لا سيا الامكنة المقفرة والجبال كالجبل

١) اطلب مجموع الآباء. ين (Migne, PP. GG. LXVII, 1391)

٢) اطلب تاريخ ماري بن سليمان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤ : ٨٦٥)

المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الازل السابق ذكرهُ وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انَّ بين هذه الاديرة ماكان يبلغ عدد رهبانهِ عدَّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (١ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة . فانَّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢ : ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس ورُبولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيَّة تؤثر في البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليهِ نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبتهِ الشرقيَّة (٤ :٥٩٨) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم وممَّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٤) عن الرهبان: « انَّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جدًّا من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام». وقد مرَّ بك ما رواهُ تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصَّرت على يدهِ. وكان كثير منها تقاطرت اليهِ من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيَّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى (لهُ تابع)

---

١) اطلب تاريخ العيشة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa*. c. 30

مطبوعات شرقية جديدة

TRAVELS AND STUDIES IN THE NEARER EAST, by **A. T. Olmstead, B. B. Charles a. J. E. Wrenek** (Cornell Expedition to Asia Minor and the Assyro-Babylonian Orient). *Vol. I. Part II.* HITTITE INSCRIPTIONS, *Ithaca* (*New-York*) 1911, 4°., 49 pp. a. 27 *Plates.*

رحلة بعثة كورنل الى الاناضول وكتاباتها الحثيّة

ان كليّة كورنل الاميركيّة اوفدت بعثة علمية الى جهات الاناضول بمساعي الاستاذ ستيرّت (J. R. S. Sterrett) الذي طاف سابقاً تلك الانحاء. فلمّا عادت آخرًا الى اميركة بغنائم علميّة معتبرة اخذ اصحابها في تنسيق اكتشافاتهم ووصفها وبما انّ شغلهم يقتضيهِ زمن طويل فلا ينجزون القسم الاوّل منهُ الّا بعد سنةٍ احبُّوا ان ينشروا للحال الكتابات والآثار الحثيّة التي وجدوها حديثاً او استأنفوا درسها. فاذا بعجالاتهم كتاب خطير قام بتصنيفهِ ثلاثة اساتذة من كليّة كورنل في مقدّمتهم الاستاذ شرلس اللغوي الذي تولّى نشر الكتابات الحثيّة بعد ان استنسخها ورسم صورها الفوتغرافية واعدّ نشر نصوصها. ومن اطّلع على هذا الكتاب ادرك لاوّل وهلة قدرة صاحبها وفضلهُ العميم فانّ بين هذه الكتابات ما وقف عليهِ اسلافهُ واعلنوا بعدم استطاعتهم قراءَتهُ فحلّ الاستاذ شرلس رموزهُ. ولم يكتفِ بتصوير هذه الكتابات بالشمس بل رسم صورها باليد ايضاً وبذلك سهل على العلماء كشف معانيها. ومن المعلوم انّ الكتابات الحثيّة حتى الآن سرّ دفين لم يطلع عليهِ اساطين العلم مع وفرة آثارها المكتشفة في الاناضول وسوريّة وما بين النهرين اذ لم يقفوا حتى الآن على أثر في لغتين ليحلوا القلم المجهول بالمعلوم كما فعل شامبوليون لحلّ الرموز الهيروغليفيّة بواسطة حجر رشيد. وانما وجدوا فقط خاتماً صغيرًا ذي لغتين لكنهُ غير كافٍ للمقصود. فان شاء الله تتحقق آمالهم قريباً س. ر

HANDBUCH DER MITTELALTERLICHEN UND NEUEREN GESCHICHTE, herausg. von **G. von Below** u. **F. Meinecke**: URKUNDENLEHRE von **W. Erben, L. Schmitz-Kallenberg** und **Osw. Redlich.** I^er Teil. 1907, III^er Teil, 1911. *München, Oldenbourg,* 2 *vol.* gr. 8°; X-369 pp. et VIII-233

اصول تاريخ القرون الوسطى والازمنة الاخيرة

أُنشئت في المانية جمعيّة لوضع تاريخ مدرسي كامل للقرون المتوسطة والاجيال

المتأخرة فاهدانا المتولي لطبع هذا الاثر مجلدين أُنجزا منهُ حتى الآن وهما الاوَّل والثالث.
فالاوَّل الذي طُبع سنة ١٩٠٧ يحتوي مقدّمة واسعة يجث فيها مؤلفها المسيو إربن
عن الاصول التي يُستنَد اليها في كتابة التواريخ الملكيَّة والامبراطوريَّة مدَّة القرون
الوسطى في المانية وفرنسة وايطالية. وتتبَّع بالاجمال تاريخ الكتابات الرسميَّة
كمجموع الراهب البندكتيّ مابيليون (Mabillon) الشهير والمناشير والتقارير
والرسالات والصكوك الجارية في تلك الازمنة وبجث عن اصولها وصورها ونُسخها
وتزويراتها. امَّا المجلد الثالث فنشرهُ المسيو ردليخ في العام المنصرم ووجَّه فيهِ نظرهُ
الى تاريخ الكتابات والصكوك الخاصة الرومانيَّة والافرنسيَّة والالمانيَّة التي شاعت منذ
بدء تلك الاجيال ولهُ تفاصيل واسعة في ابواب متعدّدة عن معلومات القرن العاشر
الى الثالث عشر ختمها بفصل مهمّ عن التقارير الشرعيَّة. والمجلد الثاني الذي لم يُنشر
بعد بالطبع سوف يشتمل درساً واسعاً على الاصول التي تتضمن التواريخ البابوية.
وما يقال اجمالًا عن هذا التأليف انهُ من انفع ما نُشر حتى اليوم في تعريف الاسانيد
التاريخيَّة للقرون الوسطى وانَّهُ يحقّ نقلهُ الى العربيَّة ليُقتبس من فوائدهِ. بل نتمنى
ان يقوم احد الشرقيين فيحذو حذو مؤلفي هذا الكتاب ويعرّف الاصول التاريخيَّة
الشرقيَّة التي يجب على العلماء ان يركنوا اليها في درس اخبار بلادنا س. ر

L. Lallemand. HISTOIRE DE LA CHARITÉ. t. IV. Les Temps Modernes (XVI-XIX^e siècles), 1re partie. *Paris, A. Picard,* 1910, IX-624, 8°

تاريخ المشروعات الخيرية في القرون الحديثة

عرف قرّاء المشرق (٩ : ٧٦٩) خواص هذا الكتاب الذي قصد منهُ صاحبهُ
بيان قوَّة المحبة المسيحيَّة وتفنُّنها العجيب في انشاء المشروعات الخيرية المتعدّدة لمعالجة
كل الاسقام البشريَّة. وهذا المجلد الرابع قد خصَّهُ المولف الفاضل باعمال الرحمة في
الاجيال المتأخرة. واتسع بهِ المجال لكثرة ما وجد من الموادّ لاسيما بعد اكتشاف فنّ
الطباعة وتعدُّد المنشورات واختلاط الامم وايجاد الوسائل المستحدثة لاعانة الفقراء
وعلاج الامراض وسدّ الحاجات المختلفة. فقسم هذا الجزء قسمين افتتح الاوَّل الذي
تمّ حديثاً بنظر عام في الطرائق التي ساعدت بها الكنيسة الاوجاع البشريَّة
منذ المجمع التريدنتيني فعدَّد ما أُنشي من الجمعيَّات والرهبانيَّات الخيرية كرهبانيَّة مار

يوحنا الالهي لعلاج المجانين وجمعية اخوات المحبة وعدد لا يحصى من الرهبانيات التي نشأت في حديقة الكنيسة كزهور تبهج النظر وتسرّ القلوب وتشهد امام العالم بما للدين الكاثوليكي من الحياة النامية ولم يحرم شرقنا العزيز من منافعها. وعقّب هذا النظر بفصلين مطوّلين عن الاوبئة المعدية كالطاعون والجهاد ضدّ الشحاذة . وختم هذا القسم بباب واسع في المستشفيات وتجهيزها وادارتها . امّا القسم الثاني فقد افادنا المؤلف انهُ خصهُ بالاعمال الخيرية الناشئة في القرن التاسع عشر . فنشكر الف شكر صاحب هذا التأليف الجليل الذي شحن كتابهُ بالمعلومات الخطيرة عن اعمال الخير فاثبت ما لهُ من سعة المعارف وكثرة الاطلاع . وحرّك في القلوب عواطف الشفقة والرحمة نحو ذوي البأساء اذ جعل السابق عبرةً للاحق وليس كالمثل دافع الى عمل الخير س. ر

Le Marquis de Pomponne (1618-1699) par **L. Delavaud.** *Plon, Paris,* 1911, pp. XX-363

المركيز دي پومپون

ادار المركيز دي پومپون اعمال الوزارة الخارجيّة في فرنسة ايام لويس الرابع عشر مدّة من الزمان وقرأنا توقيعهُ على كثير من الرسائل المتعلقة بالشرق. ولمَّا فتحنا هذا الكتاب امّلنا ان نستخلص منهُ فوائد تاريخيّة عن احوال بلادنا في زمانه فخاب املنا لكننا وجدنا فيهِ كثيرًا من النصوص الاصليّة الكاشفة القناع عن طباع هذا الوزير وذويهِ واصدقائهِ وكثيرين من معاصريهِ فاثنينا على جامع شتات هذه الآثار لما في معرفتها من الفائدة اذا اشكل على الكاتب شرح بعض اعمال الوزير . كان دي پومپون شهمًا ممتازًا بالصدق والامانة لكنهُ من عائلة « ارنو » (Arnaud) التي اشتهر تعلّقها بهرطقة جانسانيوس فجاءت بعض اقواله واعمالهِ سرًّا على الباحث اذا جهل هذه العلاقات العائليّة. لكن السرّ ينكشف اذا ما تبصر القارئ بما نشرهُ المسيو دلافو من الاوراق ا. ر

Enchiridium Patristicum collegit **Rouët de Journel** s. j. *Fribourg-en-Brisgau. Herder* et *Beauchesne, Paris,* 1911, XXIV-882 pp. in-8°. Prix 12 frs

خلاصة تعليم الآباء

انّ طلبة اللاهوت يحتاجون لتأييد العقائد الكاثوليكيّة الى مراجعة اعمال

الآباء الاوّلين. لكنّ مجموع تآليف الآباء ينيف على مئين من المجلدات الضخمة والدارسون لا يستطيعون ان يخوضوا ذلك البحر العباب لقصر وقتهم وبُعدهم من المكاتب الحافلة فاحبّ احد الآباء اليسوعيين الاب ر. دي جرنيل ان يتلافى هذا النقص فراجع اعمال الآباء والمآثر الدينية القديمة المكتشفة حديثاً وانتزع منها اخصّ ما فيها من النصوص الحقيقة باثبات التعليم الكاثوليكي منذ عهد الرسل الى القرن السابع ونشرها باللغتين الاصليتين اي اليونانية واللاتينية متتبعاً في تنظيمها اقسام اللاهوت النظري ليسهل الاطلاع عليها مع الاشارة الى طبعة مين (Migne) ومجموعيهِ اليوناني واللاتيني. امّا شواهد الآباء السريان كمار افرام وافراهاط فروى ترجمتها فقط. ثمّ ألحق بعملهِ عدّة فهارس تزيدها فائدة. فجاء الكتاب مع وفرة موادّهِ وعدد صفحاتهِ من اجلّ الكتب المدارسية واقربها استعمالاً. وهذا التأليف يوافقهُ تأليفان آخران من جنسهِ وُضعا ايضاً لدارسي العلوم اللاهوتية اوّلها خلاصة دساتير الايمان والقضايا المثبتة في المجامع وبراءات الاحبار للابوين اليسوعيين دنتسنغر وبانفرت (Denzinger-Banwart s. j. : *Enchiridium Symbolorum*) الذي طُبع عشر مرّات. والثاني خلاصة اصول التاريخ الكنسيّ القديم للاب كرش اليسوعي (Kirsch s. j. : *Enchiridium Historiæ Ecclesiasticæ antiquæ*). فهذه الكتب الثلاثة تباع عند هردر (Herder) ولا غنى عنها لطلبة اللاهوت بل لكل الكهنة ولاسيا الواعظين والكتبة

الاب ب. كسانتاكيس

LEÇONS ET LECTURES D'APOLOGÉTIQUE : LA VRAIE RELIGION par **E. Roupain**, *Casterman, Paris* et *Tournai*, **1911** pp. 676 in-8°

دروس جدالية في الدين المستقيم

هذا الكتاب كالتأليف السابق من المصنَّفات الممتعة التي تغني الكهنة ومحبّي الدروس الدينيّة عن المطالعات المملة. فانّ مؤلفهُ اليسوعي جعلهُ كدائرة علوم الدين فنقل من اشهر الكتبة المضلّعين والوعاظ المفوّهين وبلغاء الصحفيين وغيرهم اجود ما كتبوه في تأييد قضايا الدين الكاثوليكي والردّ على الزنادقة الملحدين ونكرة الوحي. وهو مقسم الى قسمين الواحد في الدين والوحي والآخر في وحي العقائد النصرانية. وقد قدَّم جامعهِ عليهِ مقدّمة نفيسة جمع فيها اخصّ ما كُتب حديثاً في وجودهِ تعالى

وختمهُ بالفهارس المفيدة: فنثني على جامع هذا الكتاب اطيب الثناء ونوصي بهِ كلّ من يحبّ اثبات وجوب الدين والدفاع عن حياض الحقائق الدينية ب·ك

M. Gatterer s. j. et **Fr. Krus** s. j. : L'Education de la Chasteté. Traduit par l'Abbé **Th. Dequin.** *Paris,, Bloud et Cie*, 1911, pp. 148. Prix 2 frs.

تهذيب العفّة

انّ الاخطار المتعدّدة التي تتعرّض لها عفّة الاحداث لا سيما في الجيل الفاسد الذي نحن في مطاويهِ قد استلفتت انظار كل العقلاء الموكول اليهم تهذيب الناشئة اذ يرون ما يُحدق بالصغار من اسباب الخلاعة مع تواطؤ الاشرار على تقويض اركان العفاف في قلوب الاحداث فما يكادون يترعرعون حتى تكون ذبلت فيهم زهرة الطهارة واستسلموا الى تلك العادات القبيحة التي يندى لها الجبين حياء فيظلمون نفسهم وجسدهم معاً فلاستدراك هذا الشرّ العظيم رأى الابوان اليسوعيان غاتّرِر وكروس ان يصنفا هذا الكتاب ليكون كدستور في ايدي الوالدين ثم كل المتولين لتخريج الشبيبة يصونون بقوانينه في قلوب الشبان هذا الكنز الفريد بان يُبعدوا عنهم الاخطار التي تتهدّد عفافهم ويعدُّوهم شيئاً فشيئاً بكل رزانة وحشمة الى معرفة اسرار الطبيعة التي يجب عليهم معرفتها فيعلموا كم هي عظيمة في الانسان الحياة النسلية وكم يؤدي سوء استعمالها الى العواقب الوخيمة. فجاء الكتاب كدواء ناجع لذلك الداء العضال الذي يسري بين اغرار الشبّان. ولذلك قد احبّ نقلهُ الى الفرنسويّة الخوري دكان الفرنسوي تعميماً للفائدة. ومثلهُ فائدة كتاب آخر ظهر سنة ١٩٠٨ في مصر معرّباً عن الانكليزيّة بقلم سليم افندي خوري وعنوانهُ « عفّة الاولاد » استحسنّا طريقتهُ فجاز وضعهُ في ايدي الشبان الاب ي· ديلنسيغر

J.-B. Chabot : Notice sur la Vie et les Travaux de M. Rubens Duval. *Macon, Protat,* 1911. pp. 44

ترجمة حياة واعمال المرحوم روبنس دوڤال

ذكرنا في جملة اخبار العام المدبر خبر وفاة هذا المستشرق الفرنسويّ الشهير. واليوم قد اهدانا اهلهُ ترجمةً مستوفية لاعمال حياتهِ وتآليفهِ فسُررنا بمطالعتها وزاد اعتبارنا لذلك الرجل الذي عرفناهُ في باريس واختبرنا سعة معارفهِ وجميل فضلهِ وعراقتهُ في

الدين الكاثوليكي. وفي آخر ترجمتهِ جدول مصنَّفاته البالغة نحو الثلثمائة بين طويلة وقصيرة يُستدلُّ منها انهُ كان يعرف عشر لغات شرقيَّة فضلًا عن اللغات الاوربيَّة رحمهُ الله ل. ش

كتاب التعبد ليسوع طفل براغ

من قلم الاب انستاس ماري الكرملي الحافي

طبع بمطبعة الآداب في بغداد ١٩١١ ص ١٦٨)

كنَّا سبقنا قبل ١٥ سنة فنشرنا في مطبعتنا كتاب « التعبد لطفولية يسوع المسيح مع نبذةٍ في ذكر تمثال الطفل العجائبي المكرَّم في مدينة براغ » واليوم قد اتَّسع حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع وألَّف اثني عشر تأملًا في فضائل الطفل يسوع لكلّ شهر من شهور السنة. ويلي كل تأمل خبر تقوي مع اكرام ونافذة. وقفَّى تلك التأملات بلمعة في فوائد هذه العبادة وتأريخها والصلوات اللائقة بممارستها مع تساعية لعيد الميلاد واناشيد يُتغنى بها. وهو كتاب صغير الحجم واسع الجدوى دبَّجهُ حضرة المؤلف بقلمهِ البليغ. ولعلمنا انّ حضرتهُ يحبُّ الانتقادات اللغوية نذكر له بعض اغلاط وقعت في كتابهِ كقولهِ مثلًا (ص ٩ س١) « الكلمة المتجسدة » والصواب هنا « المتجسد » اي ابن الله ليوافق قولهُ بالمذكَّر « انتقل من احشاء مريم » وقولهِ (ص ١٠ س٧) « لولا أيَّاك » والصواب « لولاك » وقولهِ (ص ١١ س١٣) « يسرع » غلطة طبعية يريد « يسوع » وقولهِ (ص ١٢ س٢) « الدموع التي فاضها » والصواب « افاضها » وقولهِ (فيها س٣) « يُسمعهُ للناس » والصواب « يُسمعهُ الناس » اذ اسمع يتعدَّى الى مفعولين وقولهِ (فيها س ٨) « ان تتزلي لكي تلينيهِ » والصواب « ان تتزل لكي تلينهُ » عائد الى « الصراخ » هذا بعض ما لحظناهُ في الصفحات الاولى ل. ش

كتاب الكهنوت

لابينا المعظَّم القديس يوحنَّا مارون البطريرك الاوَّل

عُني بتعريبهِ ونشرهِ بالسريانيَّة والعربيَّة القس يوسف حبيقه الراهب الماروني

(ص ٩ + ١٨٣ + ٥٥٥)

يحتوي هذا الكتاب اربعين فصلًا في اخصّ الامور المنوطة بالكهنوت كاصلهِ

واقسامهِ وشرفهِ ودرجاتهِ ومراتبهِ وخواصهِ وهو من اجلّ آثار الكنيسة السريانيّة فاحسن بطبع اصلـهِ وتعريبهِ حضرة القس يوسف حبيقه البسكنتاوي الراهب المارونيّ اللبنانيّ لتعمّ فائدتهُ اهل بلادنا ولاسيما الاكايروس. امّا نسبة هذا الكتاب الى مار يوحنا مارون ففيه نظر فانهُ ليس بين المستشرقين والعلماء المدقّقين في زماننا من يقول بذلك كما انّ النسخ الموجودة منهُ في المكاتب لا تذكر مار يوحنّا مارون. واذ طلب حضرة المعرّب ان ندلّهُ على نسخة قديمة ترشـدهُ الى الصواب فنشير اليهِ بمراجعة نسخة دير الشرفة التي تاريخها سنة ١٢٢٤ للمسيح وفيها اسم مؤلف الكتاب صريحًا وهو « موسى بركيفا » من اشرف كتبة السريان. وليراجع ايضاً حضرتهُ ما كتبهُ في هذا الشان صاحب الحجج الراهنة (ص ١٧٣—١٧٥) وهناك يبين المؤلف سبب نسبة هذا الكتاب الى يوحنا اسقف دارا من كتبة القرن العاشر ل. ش

شذرات

تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس في الهنـد بنسبة تتويج جلالة جرج الخامس ملكاً على الهند في دلهي صنف احد المستشرقين الاميركان وهو ناظر مكتبة فال ريفر في الولايات المتحدة المسمَّى جرج رنكين (G. Ranking) فقرةً نثريّة عربيّة ضمّنها تاريخ هـذا الحادث على حساب الجمَّل وارسلهُ الى المجلة الاسيويّة الانكليزيّة (JRAS) فنشرتهُ آخرًا (عـدد ك ٢ ١٩١٢ ص ٢٦٢) ومجموعهُ سنة ١٩١١

بعون الله جرجيس خامس قيصر هند حامي الملك والدين

١٢٨ ٦٦ ٢٧٦ ٧٠١ ٤٠٠ ٥٩ ٥٩ ١٢١ ١٠١=١٩١١

اقرار بالفضل سرّنا مـا قرأناه في المفيد من اقرار جناب الوجيه مختار افندي بيهم بفضـل الاجانب في بلادنا وبهِ احسن ردّ على الذين شحنوا كتاباتهم سابقاً سبًّا في حقّ الاجانب:

« كان ابتداء الحركة العلميّة الحقيقيّة على ايدي الاجانب فلهم فضل عظيم في نشر العلوم والمعارف في بلادنا وكل من ينكر ذلك يكون مخطئًا وناكرًا للجميل

« يقول بعضهم: اننـا لا ننكر عليهم سعيهم في تعليمنا ولكن لهم من وراء ذلك غايات

ومآرب. فانا اقول لهؤلاء ان اعترافهم هذا وتأييدهم للحقيقة مما يُشكر. ومع ذلك فالعاقل من يستفيد من كل خير ويتّقي ما يخالف مصلحتهُ الشخصيَّة والعامة معًا

« هذا فيما يتعلّق في حركة الاجانب العلميَّة امَّا اخواننــا المسيحيون فانهم عرفوا كيف يستفيدون من زمن بعيد من تلك المدارس وذلك بارسال اولادهم اليهــا اقتباسًا لعلومها. وقد انتبهوا الى هذا الامر منذ اربعين سنة ويوم كنا نحن المسلمين نعتقــد ان تعليم اللغات والعلوم العلميَّة والرياضيَّة كفر وضلالة. وهــذه هي العثرة التي كانت سببًا في تدنّي المسلمين في المعارف والرقي الاقتصادي والاجتماعي عن اخوانهم من بقيَّة الطوائف. تلك حقيقة جارحة يجب ان تتذكرها خوفًا من الوقوع في مثلها في المستقبل. . . »

المروءة الفرنسويَّة اثنى في احد اعــداد المقطم الاخيرة الكاتب البليغ وليّ الدين افنــدي يكن على مروءة الفرنسويين لاحتجاجهم على الايطاليين في توقيف سفينة افرنسيَّة كانت تقــلّ عددًا من الاتراك بحجة كونهم ضبّاطًا سائرين الى محاربتهم في طرابلس الغرب فقال وهو نعم القول ينفي اكاذيب الذين شتموا هــذه الدولة الشريفة لما اوقفت قرضًا جديدًا لتركيًّا قبل استيفاء الشروط المرعيَّة بين الدول :

« سلام على فرنسا ورايتها وحكومتها وشعبها سلام اوّلهُ اليوم وآخرهُ الابد. دار العلم وموطن الحريَّة وجنة الدنيا وكناس الظباء ومربض الآساد. جمالها في غضبها كجمالها في رضاها بسمتْ ففتنتْ عبست فاخضعت. . . لو غضبت فرنسا غَضْبَتَها من اجلنا لكان ذلك حبًّا وتحببًا ولكنهــا غضبت للحقّ وغضبت للشرف. . .

« وانا اقول : اذا غضبت عليك فرنسا حسبتَ دول الارض كلها غضبى. تُرهب بسلطانين من حقّ وقوة. كبرَ عليها ان تذهب سفينتها وودائعها نهبًا في حرب ليست من جُناتها. ولو لم يكن على ظهر الارض الّا فرنسوي واحد لاستفزّهُ ما استفزَّ فرنسا العظمى. هذه انفسٌ خُلقت عزيزةً فلا يريد الله لها الذلّ . . .

« كان قوم يزعمون ان المسيحيَّة متفقــة على مناوأة الاسلام. علت صيحاتهم حتى صمَّت الآذان. فما قولهم في فرنسا المسيحية الكاثوليكيَّة اللاتينيَّــة تتوعد ايطاليا المسيحيَّة الكاثوليكية اللاتينية من اجل اتراك مسلمين. . .

« هكذا تصنع الامم المتمدنة. وليس بيننــا وبينها خلاف الّا في العقول والمدارك. وهو خلاف يزول متى بلغنا من العلم والتمدُّن مبلغها. وما ذلك محالًا غير انهُ بعيد. . .

« يا فرنسا يا حسناء اوروبا. . . ما مقالي هذا ثناء عليكِ ولا وصفًا لكِ. بل هو قبلة شوق تجتاز البحر المتوسط وترفُّ على جبينك الذي يتألق بنور الحرية في ظلمات العصر العشرين »

استياء بلغنا انَّ بعض افاضل الروم الارثذكس استاؤوا ممّا ورد في العدد الاخير (ص ٥٢) عن كهنة صيدنايا الكاثوليك والروم هناك. فجوابنا

انَّنا بنشرنا هذا الاثر التاريخي الفريد في بابهِ لم نقصد اساءة احد وانمَّا روينا الخبر كما ورد في الاصل اذ لم يَجز لنا التصرُّف بهِ بل عُني حضرة متولي طبعهِ بتلطيفهِ بما اثبتهُ في ذيل الصفحة ملقياً تبعة الامر على بعض الجهَّال — هذا ونحن احقّ بالاستياء ممَّا تنشرهُ تباعاً مجلة « الكلمة » الارثذكسيَّة التي يتولَّى ادارتها اسقف ارثذكسي فلا تدع عددًا من اعدادها دون ان تجرح عواطف الكاثوليك وتنسب الى الكنيسة الرومانيَّة الدعاوى الكاذبة وتشتم الرهبانيَّة اليسوعيَّة بانواع الشتائم . وسنعود الى هذا الامر في عدد آخر ان شاء الله

أسئلة وأجوبة

س سئلنا عن اصل الكلمتين « شدياق وفسيفساء » وما معناهما الاصلي

شدياق . فسيفساء

ج الشائع انَّ الشدياق هو الشمَّاس الرسائليّ وانَّ اشتقاق اسمهِ من اليونانيَّة (ὑποδιάκονος) لكنَّ الشين من اوَّل الكلمة يدلّ على انَّ اصلها من (ἀρχιδιάκονος) اي رئيس الشمامسة الانجيليين فحذفوا حرفيها الاوَّلين واطلقوها اوَّلًا على الشمامسة الكبار ثم كثر استعمالها فعمَّ جميع الشمامسة — امَّا الفُسَيْفساء ومثلها الفِسْفِس فاشتقاقها من اليونانيَّة (Ψῆφος) او (Ψῆφις) ومعناها الحجرة الصغيرة لانهم كانوا يتَّخذون الحجار الصغار فيرصّعونها للنقش . الَّا ان اللفظة العربيَّة لم تُنقَل رأساً من اليونانيَّة لكن بتوسُّط اللغة الآراميَّة فسفس (פספס) او فسفيس (פספיס) ومعناها الحصى

س وسألنا احد رهبان دير المخلص كيف يتوصل الى استقطار الالكحول (السبيرتو) من البرتقال

استقطار الالكحول من البرتقال

ج لاستقطار ثمر البرتقال وتحويل ما فيهِ من السكر الى الالكحول لا بُدَّ من تخميرهِ ويُحصل على ذلك بخميره البيرة او رغوتها (levure de bierre) فاذا اختمر استُقطر بالانبيق كمألوف العادة ل . ش



رسولا الخير العام في مدينة السلام

لمعة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي (*

انَّ للرهبان الغربيين من الايادي البيض على جميع انحاء الشرق ما تنطق بهِ ألسنة العموم وتصرّح بهِ جميع الآثار الباقية منذ القرون المتوسطة الى يومنا الحاضر فكانَّ الغرب اراد ان يُسدي شكرهُ للشرقيين عمَّا نالهُ من فضل رهبان الصعيد والشام والجزيرة واليونان الذين هاجروا منذ القرن الخامس للميلاد الى جهات اوربَّا ونشروا العيشة الرهبانيَّة في اعمال ممالكها المتنصرة. فما فتئ الغربيون ان جاروا في تلك الحلبة المقدسة اخوتهم الشرقيين. ولم يزالوا يترقَّون في معارج الكمال حتى رأوا ما صارت اليهِ الاقطار الشرقية من التقهقر بانتشار البدع فحملتهم الغيرة على ان يمدُّوا الى اهلها يد المساعدة فأتى منهم فئات متوالية من بندكتيين وكرمليين وفرنسيسكان ودومنيكان ويسوعيين وكبوشيين ولعازريين خدموا بلادنا اصدق خدمة بغيرة لم تعرف الملل ونزاهة يشهد لها كل الرواة الموثوق بهم. ولكلّ هذه الرهبانيَّات من المبرَّات والمساعي الخيريَّة ما لو جُمعت اخبارهُ لأَنافت على عدَّة مجلدات ضخمة

وقد امتازت الرهبانيَّة الكرمليَّة منذ سالف الاعصار في محبة الشرق وخدمة

---

*) استندنا في روايتنا لاعمال هذين المرسلين الى معلومات واسعة منها خطيَّة ومنها مطبوعة لمن عرفهما حقَّ المعرفة راجع الكتاب Quarante ans à son Poste par Ordep والمقالة Un missionnaire médecin par Ordep

اهلهِ واذ انتمت الى ذلك النبي الغيور ايليَّا الذي لم تمحُ الدهور آثار فضلهِ في فلسطين والسامرة والجليل اتّخذتهُ ايضاً كمثالها في الدعوة الى الله والدفاع عن الدين

وليس قصدنا هنا ان نتتبع تاريخ رهبان الكرمل على الجبل المقدَّس الذي انتسبوا اليهِ وانمَّا اخترنا فقط زهرتين حديثتي العهد نجنيهما من تلك الحديقة الغنّاء وكلتاهما نشرت نفحة طيبها الذكيَّة في حاضرة العراق فعطرت مدينة السلام باريجها نريد بهما رجلي الصلاح والفضل الاب ماري جوزف والاب داميان

*

في اواسط القرن السادس عشر قامت في اسبانية امرأة شريفة ازدانت بكل المواهب الطبيعيَّة وجمعت في نفسها مزايا العقول السامية والقلوب المتقدة حبًّا لله تُدعى تريزيا. فهذه انتدبها الله لإصلاح رهبانيَّة الكرمل التي كان طرأ عليها لطول الاجيال شيءٌ من العتق الروحي والتراخي في حفظ قوانين اجدادها الصالحين فبعد ان اصلحت اديرة الراهبات وتجشمت لبلوغ غايتها اعظم المشاقّ حاولت اصلاح الرهبان ايضاً بمساعدة قديس عظيم اشبهها فضلًا واقداماً وهو القديس يوحنَّا الصليبي فاتمّ الله على ايديهما ذلك المشروع الجليل وظهرت الرهبانية الكرمليَّة في مجلى جديد من البرارة والغيرة

وكان من ثمرة ذلك الاصلاح أن طلب بعض رهبان الكرمل من الحبر الاعظم اقليميس الثامن ان يجعل لهم سهماً في التبشير بالايمان المسيحي في اقطار الشرق. فسرَّ قداسة البابا لطلبهم وعيَّن لهم بلاد العجم ليزرعوا فيهِ بذور الايمان وينشروا بين نصارى تلك البلاد من ارمن ونساطرة ويعاقبة حقائق الدين القويم

وكان المرسلون الاوَّلون من بلاد ايطالية فخرجوا من رومية في اواسط تموز سنة ١٦٠٤ وكان امام الاحبار تسهيلًا لامورهم جعلهم كسفراء دولتهِ الى شاه العجم عبَّاس الاوَّل المعروف بالكبير وسلَّمهم رقيماً بخطهِ مع هدايا فاخرة يقدّمونها الى الشاه وكذلك آزرهم برسائل ملوكيَّة بخطي امبراطور النمسة رودلف الثاني وملك پولونية سجسمند. فكانت نتيجة هذه السفارة ان احتفى الشاه عبَّاس بالوفد ورخَّص للمرسلين بالسكنى في حاضرة اصبهان ومنحهم ملكاً يبتنون لهم فيهِ دارًا لاقامة فرائضهم الدينيَّة

وكانت وقتئذٍ مملكة العجم تتناول جهات الافغان الى حدود الهند جنوباً وتمتدُّ شمالًا وغرباً الى انحاء الموصل وكانتِ البصرة وبغداد من جملة املاكها. فما ثبتت قدم المرسلين في اصفهان حتى ابحر احدهم الى اوربــة واسعر في قلوب اخوتهِ نار الغيرة لفلاحة كرم الرب في العجم فعاد وبرفقتــهِ مرسلون جدد اقتسموا انحاء بلاد فارس لخدمة نفوس اهلها فاحتلُّوا هرمز وشيراز وبندر عباس وهَمَدان ولنكه وجُلفة

ثم تقدّموا الى العراق فسكنوا اوَّلًا مدينــة البصرة سنة ١٦٢٣ بهمَّة احدهم المسمَّى الاب باسيل فاخذوا يدعون الى الايمان قوم الصابئة المندائيين المعروفين ايضاً بنصارى مار يوحنَّا (١ فردُّوا منهم كثيرين الى الدين الكاثوليكي وازهرت رسالة البصرة بهمَّة المرسلين حتى ان لويس الرابع عشر ملك فرنسة منح رؤساءَها رتبــة القناصل بقرار رسمي امضــاهُ سفيرهُ في الاستانة في تاريخ ٢٧ شباط سنة ١٦٧٧ فتولَّج اعمال القنصليَّة منهم احد عشر رئيساً

امَّا بغداد فتأخر دخول المرسلين اليها حتى القرن الثامن عشر لما لقيهُ الرهبان الكرمليون في طريقهم من العقبات بعد الحروب التي انتشبت بين الدولة العثمانية والعجم فاستولى السلطان مراد الرابع على بغــداد ولم يسمح ولاتها للمرسلين ان يدخلوها. وبقي الامر على ذلك الى سنة ١٧٢١ حيث أُنشئت رسالة بغداد. فنال ايضاً رئيسها « الاب عمانويل دي سنت البار» منصب القنصليَّة الفرنسويَّة سنة ١٧٤١. وبعد قليل ازدهت هذه الرسالة كرسالة البصرة لا سيما برجوع النساطرة الى حجر الكنيسة الرومانيَّة وسار المرسلون الى جهات الموصل فاشتغلوا ايضاً بدعوة النساطرة الى الكثلكة فلم يخب مسعاهم فرجَّعوا منهم ٤٧٠ بيتاً لكنهم عادوا بعد قليل الى بغداد وسلَّموا رسالة الموصل سنة ١٧٥٠ للآباء الدومنيكان

وكان الكرسي الرسولي منذ السنة ١٦٢٢ رأى حاجة بلاد العجم والعراق الى قصَّاد رسوليين يهتمُّون بشؤون اهلهــا فاختار البابا غريغورس الخامس عشر احد الآباء الكرمليتان لهذه الرتبة وهو السيد طيموتاوس پيريز (Tim. Pérez) الاسباني. ثم صارت من بعــده قصادة بابل تحت نظارة اساقفة فرنسويين اشتهر منهم ثلاثة

١) اطلب في المشرق (السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣) مقالات حضرة الاب انستاس الكرملي في هذه الشيعة

رجال كان اولهم السيد جان دوڤال (J. Duval) وكان من الرهبانية الكرمليتانيَّة يُدعى فيها برتزد دي سانتا تريزيا (١٦٣٨ — ١٦٦٩) فهدى الى نور الايمان عددًا عديدًا من النساطرة والارمن الغريغوريين وغيرهم . ثمَّ خلفهُ رجل مفضال كان من الاكايروس العالمي وهو السيد فرنسوا پيكه (Fr. Picquet) الذي تقلَّد رتبة قنصليَّة فرنسة في حلب ثم زهد في الدنيا واندرج في سلك الكهنوت حتى وقع عليهِ الاختيار للقصادة الرسولية في بابل فسافر الى بغداد لكنهُ لم يستطع ان يدخلها فسكن همدان القريبة منها وبها توفي في رائحة القداسة في آب من السنة ١٦٧٥ . واشتهر في القرن الثامن عشر الاب الكرمليتاني عمانويل السابق ذكرهُ فعهدت اليهِ رومية القصادة الرسولية فلما سُقِّف عُرف باسم عائلتهِ فدُعي بالسيد باليه (E. Baillet) فاستنفد الوسع في خير اهل العراق وأنمى بهمَّته عدد قطيعهِ نموًّا عظيماً . ومات سنة ١٧٧٣ شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين (المشرق ١٩٠٩ ص١١)

ثم بقيت قصادة بابل منسيَّة لما حلَّ وقتئذٍ بالكرسي الرسولي من المحن حتى استأنف تدبيرها السيد كوپري (Pierre — Alexandre Coupperie) سنة ١٨١٩ وربح شكر الاهلين بنشاطهِ واعمالهِ المبرورة . مات ايضاً ضحيَّة محبتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٨٣١ . ثم خلفهُ كاتب اسرارهِ السيد تريوش (Trioche) وهو اوَّل اسقف في بغداد عُرف رسمياً بقاصد رسولي على ما بين النهرين والعجم . ثم استعفى فخلفهُ السيد انطون مرسياي (A. Merciai) الدومنيكاني (١٨٥٠) ثم السيد مبارك پلانشه (B. Planchet) اليسوعي (١٨٥٢) ثم السيد هنري امانطون (H. Amanton) الدومنيكاني (١٨٥٩) ثم السيد نيقولا كاستلس (N. Castells) الكبوشي (١٨٦٤) ثم الدومنيكيَّان السيد لويس م . ليون (L. M. Lion (١٨٧٤) والسيد هنري ف . التماير (H.V. Altmayer) (١٨٨٤) ثم السيد الحالي جان درور (M^gr^.J. Drure) الكرملي (١٩٠٤)

امَّا الرسالة الكرمليَّة فانها بقيت متواصلة بعد انقطاع القصَّاد عنها لكنها خملت وضعفت نوعاً . وكانت انتقلت الى ايدي مرسلين ايطاليين فبقيت تحت نظارتهم الى اواسط القرن التاسع عشر . وممَّا يُخبرهُ اهل بغداد عن احد رؤسائهم الاخيرين الاب الفونس انهُ رأى سنة ١٨٤٥ عدوى الهواء الاصفر تفتك بدار السلام فتكاً ذريعاً .

ففي ٣٠ ايلول تضرَّع الى الله ان يكفّ عن الحاضرة وطأة الداء وقدَّم نفسهُ فداء عن الجميع في الذبيحة المقدَّسة فأوحى الله اليهِ انهُ استجاب ملتمسهُ فأعلن لجمهور المؤمنين ان العدوى لن تعود تضرب احدًا من الاهلين ولكن سوف يموت رجل عزيز عليهم. فتمّ الامر في غد ذلك النهار بوفاة الاب الفونس وانقطاع الهواء الاصفر بغتة عن بغداد

*

تلك كانت حالة رسالة الآباء الكرمليتان في اواسط القرن المنصرم اذ حكم المجمع المقدس باعادة تدبيرها الى الرهبان الفرنسويين وبعودتهم دخلت الرسالة في طور جديد. وانما كان ذلك خصوصاً بهمَّة المرسَلَين الصالحين العاملين اللذين تولينا نشر اخبارهما ليعرف الشرقيون ما لهما من الفضل عليهم ويخلِّد البغاددة قبل الكلّ ذكرهما الطيب على صفحات قلوبهم فلا يفرقوا بينهما وقد اجتمعا في خدمتهم السنين الطوال فعُني الواحد بصلاح نفوسهم والآخر بعلاج مرضاهم وتفانى كلاهما في سبيل خيرهم العام

١ الاب ماري جوزيف

في جنوبي فرنسة مقاطعة شهيرة بخصبها كان يعمُّها سابقاً اسم بلاد غسكونيا وهي اليوم مقسمة الى عدَّة معاملات منها معاملة « تَرْن وغارون » باسم نهرين يجريان في وسطها ثم يصبَّان في نهر جيروند المنتهي الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في جهات بوردو احدى حواضر فرنسة

ففي تلك المعاملة في قرية عامرة تدعى لاماجيستار (La Magistère) قريباً من آجان (Agen) ومنتوبان (Montauban) ولد سنة ١٨٣٠ غستاف كنسل (Gustave Cancel) بطلُنا وكان مولدهُ في ١٦ حزيران وهو يوم عيد احد رسل فرنسة الشهيرين في القرون المتأخرة ومواطنهِ القديس فرنسيس راجيس اليسوعي الذي يقصد قبرهُ في ذلك اليوم الوف من الزوَّار ينالون بشفاعتهِ العجائب المنبئة بثقتهم في فضلهِ عند الله

وكان اهل غُستاف من الملَّاكين يستثمرون ملكهم بشغلهم الخاص فيرتزقون

بغلّاتهِ. على انَّ دينهم كان اوفر من دنياهم فسعى ابواهُ بحسن تربيتهِ وعُنيت أُمهُ خصوصاً بان تطبع في قلبه روح التقى والبرارة فنشأ الولد ورعاً تقيّاً كما شاءت

وكان الولد مع تقاه ثاقب العقل متوقد الذهن لا يصعب عليهِ شيء من تعاليم المدرسة فأتقن بوقت قليل مبادئ القراءة والكتابة والحساب وشرع يتوق الى ما هو اسمى وارفع. ووافق شبابهُ شبوبَ الحرب بين فرنسة والامير عبد القادر فكان يرُّ الجند في بلدتهِ ليسيروا الى الجزائر ثم يسمع بوقائعهم ومآثرهم فيتمنى ان يكتسب الشرف بينهم الّا انَّ الله كان يعدّ قلب الصبي لاحراز مجد اعظم من المجد العالمي. فانهُ لمّا ترعرع واراد التقدُّم في العلوم ارسلهُ ابواه الى مدرسة آجان (Agen) الاكليريكيَّة حيث انقطع لدرس الآداب والفلسفة. وفي غضون دروسهِ قدم الى آجان رهبان كرمليون اتّخذوا لهم ديرًا سكنوهُ فقدَّسوهُ بعيشتهم النسكيَّة وفضائلهم السامية حتى انتشر عرف برارتهم في تلك الانحاء. وقصدهم الشبّان ليحذوا حذوهم ويأتسوا بامثالهم

فكان غستاف من جملة الذين سمعوا صوت الله في قلبهم فطلّق العالم واباطيلهُ وطلب الانضواء الى رهبانيَّة الكرمل فاجاب الرؤساء الى ملتمسهِ في حزيران من السنة ١٨٥١ وعمرهُ اذ ذاك احدى وعشرون سنة فدُعي باسم رهباني جديد وهو «ماري جوزف دي جيزو» (Marie-Joseph de Jésus) فجمع في تسميتهِ الطف الاسماء واشرفها «يسوع ومريم ويوسف»

قيل انَّ الفرنسوي طُبع على طلب الامور العظام فلا يرضى بالدون ولا الخمول فاذا قصد شيئاً اندفع اليهِ بملء قواه لا يثبطهُ عن نوالهِ عائق. فذلك ما نواه الاخ ماري جوزف منذ لبسهِ الاسكيم الرهباني فانهُ وجه نظرهُ الى اسمى الفضائل واقصى الكمال فتأسس اوّلًا على السنن الرهبانيَّة والفرائض النسكيَّة ثم انقطع الى العلوم الدينيَّة حتى برع فيها لكنَّ اميالهُ كانت تجذبهُ الى فلاحة كرم الرب في الرسالات الاجنبيَّة ليقتاد الضالّين الى سبيل الخلاص

فلمّا كان في كركسّون يدرس اللاهوت مع اخوتهِ الرهبان كاشف رؤساءهُ برغبتهِ فوعدوهُ بتلبية طلبهِ عند نهاية دروسهِ وكذا تمّ الامر سنة ١٨٥٦ فانَّ الرئيس العامّ على الرهبانيَّة الكرمليَّة الاب «نوال دي سانتا حنة» (Noël de Ste Anne) رخصهُ بالرحلة الى الشرق لينقطع هناك الى اعمال المرسلين في خدمة النصارى

فتلقَّى الاب ماري جوزف هذا الامر بملء السرور وما لبث ان ابحر في مرسيلية مع مرسلين آخرين من رهبانيتهِ الى الاسكندرية مارّين على جزيرة مالطة ثم اجتازوا الى يافا فزاروا الاراضي المقدَّسة وانعشوا قلوبهم بمعاينة الامكنة التي تجوَّل فيها ابن الله بصنع الخير وانتقلوا اخيرًا الى دير الكرمل في اوائل سنة ١٨٥٧ حيث قضى الاب ماري جوزف تلك السنة ليستعدّ لاعمال الرسالة في ذلك الجبل الجليل الذي قدَّسهُ كثيرون من الانبياء الكرام كايليا واليشاع والقديسين العظام كالقديس بروكرد والقديس سمعان ستوك من اجداد رهبان الكرمل فعطَّر نفسهُ برائحة قداستهم واضرم قلبهُ بلهيب غيرتهم في تلك العزلة البعيدة عن ضوضاء العالم القريبة من الله وبين اخوة لا همَّ لهم غير خدمة خالقهم

وفي غضون السنة طلب المجمع المقدَّس من رئيس الرهبانيَّة الكرمليَّة ان يجعل رسالة بغداد في ايدي المرسلين الفرنسويين فاجاب الى رغبته وعيَّن الابوين « كساڤيه دي سنت ماري » والاب ماري جوزف ليقوما بهذا العمل وكان الامر قد اتاهما في اواخر تشرين الاوَّل فما برحا ان تأهبا من وقتهما للسفر. وكانت الطريق في ذلك العهد شاقَّة تُقطع مع القفول في اقفار تكثر فيها الاخطار وتلصُّص الاكراد وغزوات العرب وذلك في اوائل الشتاء القارس البرد فقاسيا من اتعاب السفر ما لا يصفهُ لسان لاسيما الاب كساڤيه الذي كان طاعنًا في السن حتى بلغا اخيرًا دار السلام في ٦ ك ٢ سنة ١٨٥٨

*

كانت بغداد بعد الحروب المتوالية التي وقعت بين الدولة العثمانيَّة ودولة ايران في القرن الثامن عشر فقدت كثيرًا من رونقها السابق حتى صحَّ القول فيها انَّها صارت اثرًا بعد عين فنُهبت مرارًا وصارت أكلةً لمطامع بعض اعيان الدولة وافنى الطاعون والهواء الاصفر قسماً من اهلها وكان الولاة يتناوبون عليها بسرعة فلا يطلبون غالباً الَّا الاغتناء من تجارها بالخرق والجور

لكنَّ هذه الحالة السيئة اخذت تتحسن نوعاً في عهد السلطانين محمود الثاني وعبد المجيد فدبَّرها ولاة ذوو حزم ونزاهة اعادوا اليها شيئاً من رقيها السابق لاسيما داود باشا (١٨١٤ — ١٨٢٩) وخلفهُ علي باشا (١٨٣٩ — ١٨٤٣) الذي ضُرب

المثل بكرمهِ الحاتمي ثم كوزلكلي محمّد رشيد باشا (١٨٥١ — ١٨٥٦) من افضل الولاة واعظمهم شأناً وارغبهم في خير العموم

وكان المتولي على دار السلام لمّا وصل اليها المرسلان الفرنسويّان السردارَ اكرم عمر باشا الذي تعقّب آثار غزاة العرب فكسر شوكة القبائل التي كانت تقطع السابلة في جهات الفرات الى نواحي دير الزور. ثم سار الى محاربة عشائر الاكراد الذين عدلوا الى العصيان على المملكة وما كاد يكبح جماحهم حتى استدعتهُ الدولة وعهدت بولاية بغداد الى مصطفى نوري باشا. فاستقبل عمر باشا الراهبين بكلّ انس ومدح زهدهما واكد لهما بانهُ يرعى جانبهما مثنياً على من تقدَّمها في بغداد من المرسلين الكرمليين

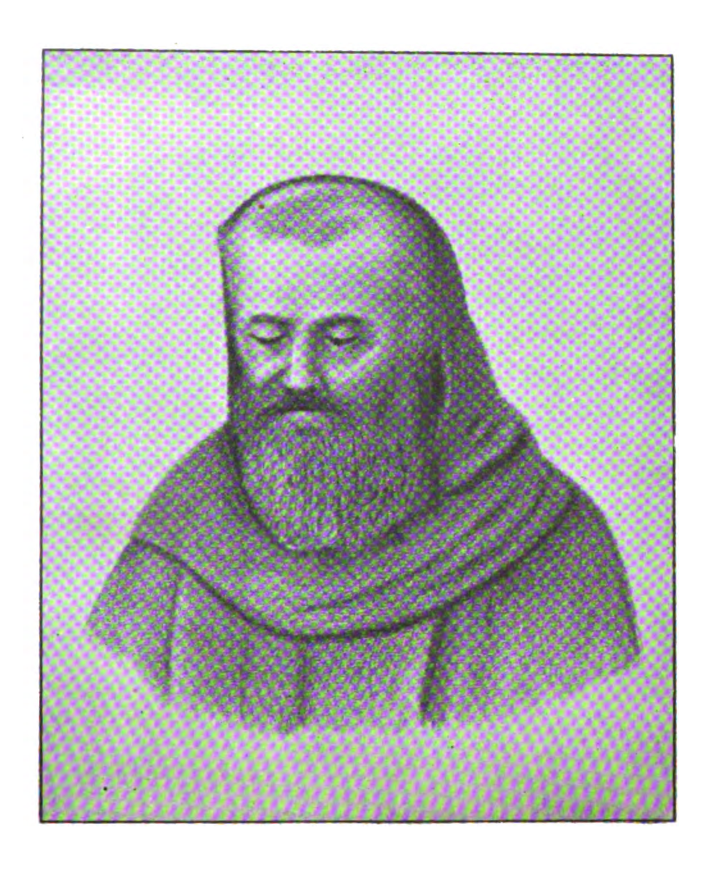
فشرع المرسلان مذ ذاك الحين يشتغلان في خدمة نصارى بغداد الذين عددهم لم يتجاوز وقتئذٍ الفي نسمة وكان اكثرهم كلداناً وسرياناً من ابناء اولئك النساطرة واليعاقبة الذين ردَّهم اخوتهم في القرن السابق. وكان هؤلاء المؤمنون مع قلة ذات يدهم مزدانين بالتقى وسائر الفضائل المسيحيَّة لم يشوّه سذاجة طباعهم روح التمدُّن العصري

واوَّل ما باشر بهِ الابوان درس اللغة العربيَّة ليحسنا الكرازة بتلك اللغة. على انَّ الاب كساقيه لتقدُّمهِ في السنّ رأى نفسهُ عاجزًا عن الامر فكان يلقي المواعظ في الافرنسيَّة فيترجمها احد السامعين وبقي على ذلك الى سنة ١٨٦٢ حيث استدعاهُ الرؤساء من بغداد ليقلِّدوهُ اعمالًا غيرها. اما الاب ماري جوزف فانَّهُ مع قلة معرفتهِ بالعربيَّة وطَّن نفسهُ على التكلّم بها حتى امكن البغاددة ان يدركوا معاني اقوالهِ بل صاروا بعد زمن يتلقون عظاتهِ بارتياح وربما اثَّرت خطبهُ في قلوبهم حتى انَّ الدموع كانت تجري مدرارًا من عيونهم بل تُسمع زفرات نحيبهم ندامةً على خطاياهم

وكان وافق وصول المرسلين الى بغداد تعيين قنصل فرنسوي عليها المسيو اوجان تستو (Eugène Tastu) الذي كان قدوة لنصارى بغداد بتدينه وسمو فضائلهِ وكان للمذكور والـدة اشتهرت في الكتابة تُدعى السيدة أمابل (Amable) فألفت التآليف الشائعة بين ادباء وطنها وكانت ربَّت ابنهـا احسن تربية حتى انَّهُ حبًّا بها لم يشأ ان يقترن بالزواج ليخدمها في اواخر ايَّام حياتها لمَّا فقدت البصر فكان



١ الطيّب الذكر ماري جوزف الكرملي



٢ الطيب النطاسي الاب داميان الكرملي

برهُ بامهِ يؤثر بالجميع ايّ تأثير فيرافقها حيثما سارت لاسيما الى كنيسة الآباء الكرمليين فيقتربان معاً كل يوم احد من المائدة المقدَّسة

ومع انَّ الاب ماري جوزف بقي وحدهُ بعد سفر الاب كساقيه فلم يقصِر عن اتمام كل واجباتهِ الكهنوتيَّة واعمالهِ الرسوليَّة بل كان يعود المرضى ويوزع الاسرار على المؤمنين ويراقب تعليم الاحداث في مدرسة الدير ويعدُّهم لقبول القربان الاقدس بل جعل يعلمهم اللغة الفرنسويَّة التي زاد الاقبال عليها بعد حرب القريم

وفي السنة ١٨٦٣ عزم الاب ماري جوزف ان يزور البصرة ومدينة عمارة فركب الباخرة الانكليزيَّة التي تسير كل اسبوع من بغداد الى البصرة فوجد هناك دير رهبانهِ القدماء. وكان المرسلون لا يزالون يهتمُّون بشؤون اهلها اذ جعلوا معاشاً لاحد كهنة الكلدان ليقيم الرتب الدينيَّة في كنيستهم ويعلّم اولاد البصريين فثبَّت الاب ماري جوزف الكاهنَ على عملهِ وزار اهل البلد والقى عليهم المواعظ

ثم عاد الى بغداد مارًّا على مدينة عمارة وهي مدينة حديثة على ضفة نهر دجلة يسكنها اولئك الصابئة او المندائيون الذين اهتمّ رهبان الكرمل قبلًا بجذبهم الى الدين المسيحي فاجتمع الاب ماري جوزف بشيوخهم واظهر لهم من التعطف ما قرَّبهم منهُ فكان يؤمل مذ ذاك الحين ان ينقذهم من الضلال فقصد لهذه الغاية ان يفتح هناك منزلًا لرهبانيتهِ

على انَّ الاب ماري جوزف تحقَّق ان اتساع دائرة اعمال الرسالة كان يقتضي عددًا اوفر من المرسلين ليساعدوهُ في حصاد الزرع الجيّد فلم يرَ لذلك وسيلة الَّا بان يسافر الى اوربة باذن رئيسهِ العام ليدعوا فعلة جددًا الى فلاحة كرم الرب ويستدرّ حسنات المؤمنين لخدمة الشرقيين

ففي اواسط شهر كانون الثاني من السنة ١٨٦٤ امتطى الاب ماري جوزف ناقة واكتسى بثياب اهل البادية ورحل من بغداد في رفقة جمَّال متوجهاً الى دمشق. وقد دوَّن تفاصيل تلك الرحلة التي استغرقت خمسة وعشرين يوماً طاف في اثنائها البراري وتجشم الاخطار

ومما اخبر بهِ انهُ مرَّ باخربة برج بابل المعروف في العراق ببرج نمرود فرقي الى اعلاهُ ودسَّ في اطلالهِ ايقونةً للعذراء الطاهرة طالباً منها ان تبارك سفرهُ وتهديهُ الى

مرسلٍ من رهبانيتهِ يشاركهُ في خدمة آل بغداد ووعدها اذا اجابت الى دعوتهِ بان يقيم هناك تمثالًا لذكرها فلم يكذب ظنهُ في ملكة السماء كما سترى

والتقى في طريقهِ بقبيلة غريبة الهيئة عجيبة الاحوال تعيش في الصحاري بصيد الغزلان وتمتاز عن عرب البادية بأخلاقها الطيبة وعاداتها السلميَّة ألا وهي قبيلة الصُّلَيب (١ التي رحبت بالمسافر وضافتهُ في خيامها يومين

ثم توغَّل في تلك الصحاري فخرج عليهِ العربان غير مرَّة وحاولوا سلب مالهِ وضبط ناقتهِ الَّا انَّ الراهب الصالح كان يتودَّد اليهم فيكاد يسحرهم بجودة طباعهِ وخلابة لسانهِ فيذكّرهم بخالقهم ويشير اليهم بما يفيدهم في المعاش وتدبير اهلهم فكانوا يستعذبون كلامهُ ثم يردُّون لهُ ما سلبوه بل يرافقونهُ في طريقهِ لئلَّا يصيبهُ سوء فكان يسير بينهم وفي ايديهم الرماح كأنَّه قائد عسكر بين حاشيتهِ

قضى الاب ماري جوزف سنةً بنيف في اوربة فنال بركة الحبر الاعظم بيوس التاسع ثم تجوَّل في انحاء فرنسة فعرض لمواطنيهِ حاجات الرسالة البغدادية وبيَّن ما لها من العلاقات مع الدولة الفرنسويَّة منذ القرن السابع عشر فكان المحسنون يسرعون الى مساعدتهِ بمالهم

ولمَّا طلب بين اخوتهِ الرهبان الكرمليين من يتبعهُ الى العراق كان لدعوتهِ صدى في قلوب بعض الدارسين الذين وعدوهُ بان يأتوا لمؤازرتهِ عند تتمَّة دروسهم فسرَّ بمواعيدهم التي قاموا بها بعد ذلك. وزاد سرورهُ اذ لقي في ليون رجلًا كان اتقن فنَّ الطبابة ونال الاجازة فيها فدخل في رهبانيَّة الكرمل وكان يدعى داميان وهو على وشك قبول الكهنوت فهذا اذ سمع الاب ماري جوزف يصف احوال العراق وعلم بعظم حاجة اهل بغداد الى طبيب ماهر يكون مرسلًا روحيًا معاً قدَّم نفسهُ ليرافقهُ الى مدينة السلام

فعلم الاب انَّ البتول مريم استجابت صلاتهُ فطلب من جمعيَّة سيدة النصر (N. D. des Victoires) في باريس بان يكرموا عليهِ بتمثال العذراء لينصبهُ كما

---

١) اطلب وصف الصُّلَيب للاب انستاس في المشرق (١ : ٦٧٣) وفي مقالة رحلتنا الى بادية تدمر (المشرق ١٩٠٦ ص ٩٥٧)

وعد على انقاض برج نمرود فاهدوهُ شخصاً من شَبَه البرونز وكتبوا عليهِ « انَّ اخوة سيدة النصر قد اقاموني فوق برج بابل بيد حضرة الاب ماري جوزف المرسل الكرملي في بغداد ». فاسرع المرسل عند مروره في المكان بان يبدل الايقونة التي خبأها هناك من هذا التمثال الجميل مع صغر حجمهِ فبقي هناك مدَّة لكنَّ عرب البادية اكتشفوهُ بعد زمان وظنُّوهُ اثرًا قديمًا فباعوهُ لاحد محبيّ العاديات في بغداد فاتى بهِ المذكور الى الاب ماري جوزف ليريهُ كما قال « تمثالًا عريقًا في القدم » وكان الصدأ قد علاه. فعرفهُ الاب ماري وقصَّ للرجل قصتهُ واقرأهُ الكتابة التي عليهِ ثم اخذه منهُ ونصبهُ فوق قبة الجرس في كنيسة للرسلين في البصرة

*

حدّث ولا حرج بفرح البغاددة لدى مشاهدتهم الاب ماري جوزف عائدًا من اوربة ومعهُ مرسل متطبب يعالج مرضاهم ومسقوميهم. وكان المجمع المقدَّس عيَّن في اثناء ذلك نائبًا رسوليًا على رسالة بغداد الاب كليمنت الكرمليتاني فكسبت الرسالة بكل هؤلاء حياةً جديدة واخذ اصحابها يُعنون بتوطيد اعمالها وتوفير اشغالها

وكان الاب ماري جوزف قُطب هذا الاعمال وسندهـا يقرُّ لهُ الجميع ببذل الذات والتفاني العظيم. ومن مساعيهِ الطيبة وقتئذٍ مباشرتهُ ببناء كنيسة واسعة تكفي لاهل بغداد نال لتشييدها من الباب العالي فرماناً مؤذناً بذلك تاريخهُ ذو الحجة سنة ١٨٦٦. فاقيمت حفلة شائقة بحضور قنصل دولة فرنسا بليسيهٔ دي رينيو (Pellissier de Regnault) واعيان بغداد الاجانب والوطنيين مع اكليروس الطوائف الكاثوليكيَّة لوضع الحجر الاوَّل لتلك الكنيسة في ٢٠ أيَّار سنة ١٨٦٦ يوم عيد العنصرة

واذ رأى الاب ماري جوزف انَّ النفقات لا تفي باتمام هذه البيعة استأنف السفر الى اوربَّة لجمع من ذوي الاريحيَّة والكرم ما سدَّد كلفتها. وكان ذلك في سنة ١٨٦٩. وفيها استعفى الاب كليمنت من نيابة الرسالة فعهد المجمع المقدَّس بهذه المهمَّة الى الاب ماري جوزف فرجع الى بغداد وهو مرتبط بروابط جديدة زادتهُ غيرة وعناية. وبعد سنتين انجز بناء الكنيسة التي عُدَّت طرفة من طُرف العراق اذ يبلغ

طولها ٣٤ مترًا وعرضها ١٩ م وعلوّها ١٣ . وكان تدشينها الاحد السابق لعيد الميلاد سنة ١٨٧١ بعد ١٥٠ سنة لفتح الرسالة الكرمليَّة في بغداد

فما لبثت الكنيسة الجديدة ان صارت مركزًا لكثير من الاعمال الرسوليَّة والرياضات التقويَّة والاخويات للرجال والنساء والاحداث

ثم افرغ الاب ماري جوزف كنانة جهدهِ في تحسين حالة مدرسة الرسالة فوفَّر عدد معلميها ووسع نطاق دروسها وتعليم لغاتها من عربيَّة وافرنسيَّة وانكليزيَّة وتركيَّة حتى عُدَّت في مقدَّمة مدارس الحاضرة وزاد في ابنيتها ما يليق براحة الاحداث وترويح افكارهم . بل عُني بانشاء جمعيَّة للشبَّان يجتمعون في اوقات معلومة ليتكاتفوا في عمل الخير ويقووا بالاتحاد

ثم وجَّه الاب ماري جوزف فكرهُ الى بقيَّة الرسالة فابتنى سنة ١٨٨١ كنيسة جديدة في البصرة وألحق بها مدارس للفتية والفتيات

وفي السنة ١٨٨٤ اقتنى في بلدة « عمارة » ملكاً واسعاً اقام فيهِ مدرسة وكلَ التعليم فيها الى احد كهنة الكلدان وابتنى معبدًا للسكان النصارى

ولمَّا ضاق دير الآباء المرسلين برهبانهِ في بغداد لم يرَ بدًّا من استئناف بنائهِ على طرز جديد وتوسيع قلاليهِ ومعاهدهِ جامعاً بين حسن الذوق في الهندسة والسذاجة الرهبانيَّة . وكذلك اشترى في ارباض المدينة جنينة يجد فيها المرسلون نصيباً من الراحة في اتعابهم لاسيا في أبان الصيف الذي يستعر اوارهُ في بغداد فتثقل وطأتهُ على اهلها عموماً وعلى الاجانب خصوصاً

وقد اهتمَّ ايضاً بدير « راهبات التقدمة » اللواتي كان اتى بهنَّ من مدينة طور في فرنسة القاصد الرسولي السيد ليون (Mgr Lion) فساعدهنَّ الاب ماري في تجهيز ابنية دارهنَّ ومدارسهنَّ واعمالهنَّ الخيريَّة

ولم تكن هذا المشروعات لتستنفد همَّة رئيس الرسالة الكرمليَّة بل كان يقدّم على كلّ اشغالهِ تدبير اخوتهِ وخدمة النفوس لا يثبطهُ عن العمل شيء من المتاعب والمشقَّات لاسيا في اوقات الحاجة . ففي السنتين ١٨٧٦ و١٨٧٧ اذ فشا الطاعون في بغداد كان اوَّل من بادر الى خدمة المطعونين فجازاه الله بان نجى الكاثوليك من ذلك الداء فلم يحدث بينهم غير حادثين فقط مع كثرة مَن أُصيب حينئذٍ في دار السلام

٢ الاب داميان

هو رفيق السعيد الذكر الاب ماري جوزف وثمرة ابتهالاتهِ من مراحم السيدة البتول يوم طمر ايقونتها المباركة على انقاض برج نمرود

ولد الاب داميـــان في سان سنفوريان في معاملة الجيروند (la Gironde) ليس بعيدًا من موطن الاب ماري جوزف سنة ١٨٢٨ من ابوين متوسطي الاحوال وكان ابوهُ يدعى بتالي (Battailley) فدعي الولـد في المعموديَّة بطرس دَزِيره فنشأ ديّناً ورعاً بين اقارب مشهورين بالفضل والصلاح. ثم أُرسل الى مدرسة بازاس (Bazas) فاتقن فيها دروسهُ الادبيَّة. ثم شعر بميل الى فنّ الطبّ والعلوم الطبيعيَّة فانتقل الى باريس وانكبَّ على الدروس الطبية برغبـة عظيمة ادَّت بهِ الى النجاح في الامتحانات السنوية فنال في سنة ١٨٥٤ اجازة الدوكتوريَّة

وكان الشاب الدارس قد حافظ مدَّة دروسهِ على الآداب الدينيَّة واتخذ الدرس كمجنّ يصونهُ من ضربات الكفر وفساد الاخلاق فعاد الى مدينـة بازاس مسيحيًّا صادقًا وطبيباً نطاسيًّا فاخذ يتعاطى فنَّهُ بكل نشاط فشاع بعـد قليل حذقهُ بحسن المعالجة والرفق بالفقراء واشتهر في الانحاء المجاورة حتى كان المرضى يطلبونهُ بالحاح ثم فكر الطبيب باتلي بان يتأهل فخطب فتاةً من مدينة بوردو وكادت تتم حفلة الزواج اذ فُكَّت الخطبة بغتةً سواء كان السبب بتغيير الابنة فكرها كما قيـل او لالهام خاص من الله اراد ان يدعو ذلك الشاب لخدمتهِ زهدًا في الدنيـا ورحمةً باهل الشرق كما هو المرجَّح

ومن المقرَّر الثـابت انَّ الدكتور طلب الى رئيس الكرمليين في بوردو بان يقبلهُ بين رهبانهِ فبعد فحص دعوة الطالب البسهُ ثوب الرهبانيَّـة فابدل اسمهُ باسم طبيب عربي شهيد يدعى داميانوس فسمي الاب « داميان دي سان جوزف »

انَّ هذا الانقلاب في حالة الدكتور باتلي اذهل اصحابهُ وظنَّ بعضهم انَّهُ لن يثبت على عزمهِ لكنَّ الشاب الهمام لم يكن ممن يضعون اليد على المحراث ثم يرجعون الى الوراء بل كان مثَلهُ كمثـل الرسل الذين تركوا كل شيء لمَّا سمعوا الرب يدعوهم فتبعوه دون تردُّد

ثم ابتدأ الراهب الجديد ان يدرس علم القداسة ليطبع في نفسهِ الفضائل السامية التي تفوق على كل العلوم البشرية واذ كان الاكبر بين اخوتهِ الطالبين جعل نفسهُ الاصغر فكان بينهم كواحد منهم بل كآخرهم فاذا رآه احد ظنهُ رجلًا خاملًا كبقيَّة المبتدئين وهو لا يشير البتة الى رتبتهِ في فنّ الطبابة

وبعد ان اتمّ الاخ داميان زمن الامتحانات المألوفة في الرهبانيَّة وابرز النذور الثلثة انكبَّ على الدروس الدينيَّة حتى حصَّل منها ما يحتاج اليهِ في خدمة القريب فنال نعمة الكهنوت وأُرسل سنة ١٨٦٤ الى دير رهبانيتهِ في ليون على تلّ فورڤيار (Fourvière) في ظلّ الكنيسة الشهيرة المبنيَّة على اسم السيدة الطاهرة والمقصودة من كل انحاء البلاد

فكان هناك منذ بضعة اشهر مهتمًّا بالخدمة الدينيَّة اذ مرّ بليون الاب ماري جوزف كما سبق القول فتعرَّف بوطنيّهِ الاب داميان وثبت لهُ انهُ هو هو الرجل الذي اعدَّتهُ البتول لمساعدته في الرسالة البغدادية وانهُ لا يجوز ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فاقنع الاب داميان بان يرافقهُ الى العراق ليخصّ نفسهُ بخدمة اهلهِ فيعالج الاجساد ويتوصل بها الى تقديس الارواح

*

قد رأيت كيف تحفَّى اهل بغداد بالمرسل الجديد اذ علموا انَّهُ طبيب قانوني وخرّيج كليَّة باريس فلم يسمُّوهُ مذ ذاك الحين الَّا « البادري (الاب) الحكيم » وتضاعف فرحهم به اذ اعلن للجمهور انهُ مستعدّ ان يعود المرضى في بيوتهم ويستقبل الذين يطلبون خدمتهُ في الدير وكل ذلك مجَّانًا لوجه الله

ولم تكن تلك المواعيد كلامًا فارغًا فانَّ الاب داميان باشر بمهنتهِ في اوَّل اسبوع قدومهِ الى بغداد مستعينًا بترجمان في فحص المرضى لكنهُ جعل من وقتهِ يدرس العربيَّة تسهيلًا للمعاملات مع الجميع

عاش الاب داميان ثلاثين سنة في مدينة السلام كانت حياتهُ في مدَّتها متشابهةً متساويةً اوَّل ايامها كآخرهِ لم يباشر فيها من الاعمال ما يطنطن بهِ الناس وتستعظمهُ الالسنة فما كان خطيبًا مفوَّهًا او واعظًا بليغًا ولا كاتبًا مبرزًا وانمَّا كان اشبه بزهرة البنفسج العطرة التي تنشر شذاها مختفية بين النبات او

بالحري كان اشبه باحد انهار الـ[illegible] التي تجري بكل هدو وجلال فتخصب كل البقاع بسيرها او نقول انهُ كان كسيدهِ المسيح الذي اجتاز على الارض يُحسن الى الناس (اعمال ١٠: ٣٨)

وعرف الاب قبل كل انهُ مرسل رسولي وانَّ غايتهُ بمجيئهِ الى العراق انما هي خلاص النفوس كبقيَّة اخوتهِ الَّا انَّ دعوتهُ ان يخدم الاجساد خصوصاً بينما يفرغ اخوتهُ وسعهم في خدمة الارواح بالوعظ والتبشير. ومن ثمَّ كان يخصّ باكورة نهارهِ للاعمال الروحيَّة فيزوّد نفسهِ بالفضائل التي يحتاج اليها في خدمة القريب كالصبر وطول الاناة وصفاء النيَّة ونظر الله في القريب

وكان يقسم نهارهُ ثلاثة اقسام: قسم يقضيهِ في مستوصف الدير ليعاين من يأتيهِ من ذوي العاهات ووصف الادوية التي توافق احوالهم. وقسم كان يقضيهِ في عيادة المرضى الملازمين لبيوتهم. وقسم في قلّايتهِ في الصلاة او في الدرس او التدريس

وكان للاب داميان همَّة في علاج المرضى لا تعرف الملل فكان مستعدًّا في اي ساعة طلبوهُ ليلًا او نهارًا ان يترك كل شيء حتى اكلهُ ونومهُ لتمريضهم وتلطيف اوجاعهم وربما سار في اليوم الواحد مرارًا الى اقاصي المدينة

وكان فضلًا عن همَّتهِ لا يراعي الاشخاص في خدمتهِ للمرضى سواء طلبهُ الفقراء او الاغنياء الصغار او الكبار بل كان يفضِّل الفقراء المساكين لعلمهِ بانَّ ذوي الثروة يستطيعون ان يجدوا غيرهُ لمعالجتهم

وكذلك كان لا يفرق بين ذوي الاديان فيعود المسلمين واليهود كما يعود النصارى وكثيرًا ما كان يوقفهُ الناس في الطريق ليعرضوا عليهِ ادواءهم او يقودونهُ الى احياء من المدينة لا يعرفها فما كان يتردَّد في مرافقتهم مُنزلًا نفسهُ منزلة بولس الرسول فيجعلها كلًّا للكلّ ليربح الكلّ لله

وكانت همة الاب داميان تتضاعف في ايَّام العدوى حتى انهُ حينئذٍ كان يواصل الشغل الساعات الطوال فينسى راحتهُ ويعرّض بنفسهِ للمخاطر دون مراعاة لصحَّتهِ فكان الجميع ينسبون سلامتهُ الى عناية خاصة من الله

وكان مع هذا لا يهمل الاب داميان المطالعة ليعرف الاكتشافات الطبيَّة الجديدة فيستفيد منها للمرضى. بل كان يدرس الادوية المفردة التي يستعملها البغاددة

في بعض الامراض على طريقة التقليد ووراثةً اباً عن جدّ فاذا رآها نافعةً وصفها للاهلين (١ وكان ايضاً لا يثق بنفسهِ مع علمهِ بل يحبّ ان يفاوض غيرهُ من الاطباء ويستشيرهم وقد شهدوا غير مرّة لبراعته واستندوا الى رأيهِ كالدكتور طولوزان (Dr Tholozan) كبير اطباء شاه العجم الذي زارهُ في بغداد وكان يكاتبهُ ويعتزّ برأيهِ لاسيما في الامراض المعدية كالطاعون والهواء الاصفر وقد ذكرهُ في كتبهِ باسمهِ العالميّ . وكذلك الدكتور بومان (Dr Bawman) طبيب قنصليّة بريطانية العظمى الذي كان يكرّر على من يأتيهِ من المرضى انّ معالجات الاب داميان مبنيّة على علم وتروٍّ فانهُ خير طبيب

وكانت ثقة الاب داميان بربّهِ اعظم منها بالادوية الطبيعيّة فكان يذهب الى المرضى وسبحة العذراء في يدهِ والصلاة على لسانهِ فاذا اعتاص عليهِ الداء التجأ الى رب الشفاء وربّما نال بذلك ما ينس من نوالهِ بالعلاج الطبيعي . وقد شهد بعض المرضى انّ صلاتهُ فعلت ما لم تفعلهُ الادوية حتى شاع في بغداد انّ الاب الحكيم يبرئ الاسقام بقداستهِ اكثر منه بادويتهِ . وكان في بعض الاحيان يمزج بالادوية بعض نقط من ماء سيدة لورد العجائبي او يحضّ المرضى على التماس شفاعة البتول الطاهرة او لبس ثوبها فيشفون اذا فعلوا

وكان اهتمام الاب داميان لا ينحصر بالاجساد بل كان يسعى طاقة جهدهِ ان يسعف النفوس ايضاً . فكان في كل زياراتهِ المسقومين يوجه نظرهم الى خالقهم فيعلمهم انّ في يدهِ الصحّة والمرض الشفاء والموت فينهض املهم ويرقي افكارهم ويلهمهم الصبر من اي دين كانوا . اما النصارى فكان يحثهم على تنقية ضميرهم وطلب الاسرار فكان لديهم طبيباً جسديّاً وروحيّاً معاً . والله وحده يعلم كم صالحَ من الخطأة مع ربهم وكم صبغ من الاحداث بماء المعمودية . وكان مثالهُ الصالح يجتذب اليهِ كل القلوب حتى ان كثيرين من اهل بغداد وشبّانها اتخذوه كمرشد لحياتهم الروحية فاصبحوا قدوةً للجميع بسلوكهم المسيحي

١) وقد جرى في ذلك على مثال الاب الكرملتاني « انج دي سان جوزف » المرسل الكرملي في اصفهان في القرن السابع عشر الذي كان وصف الادوية الشائعة في العجم فطبع وصفهُ لها في باريس ١٦٨٠ تحت هذا العنوان : « Pharmacopea Persica »

ومما كان يذكرهُ اهل بغداد بالشكر والثناء تجرُّد الاب داميان ونزاهتهُ فانهُ ليس فقط لم يطلب جزاء عن تعبهِ بل كان يرفض ايَّ هديَّة كانت لا يريد بدلًا عن شغلهِ سوى مجد الله وخدمة البشرية الَّا اذا كان احد المرضى الاغنياء يعطيهِ شيئاً للفقراء فكان يقبلهُ كوديعةٍ ولا يلبث ان يوزعهُ على المساكين

ومع وفرة اشغال الاب داميان في علاج اهل بغداد قد ادَّى للرسالة خدماً جليلة بصفة معلّم فكان يدرّس في مدرسة الآباء الكرمليتان الآداب الفرنسويَّة والرياضيَّات كمبادئ الجبر والهندسة وقد اخذ عنهُ عدَّة شبَّان معارفهم فيشكرون حتى اليوم فضلهُ جهارًا وينسبون اليهِ ما نالوهُ من الرتب

وكان الاب مغرماً بهذه العلوم الرياضيَّة ويحبُّ التعاطي بهــا في اوقات الفراغ فيحلّ مشاكلها العويصة. وقد ظهر فضلهُ في احدى السنين اذ وقع جدال بين اساتذة مدرسة بغداد العسكريَّة ومعلمي بقيَّـة المدارس بخصوص مسألة جبريَّة فعرضوا المشكل على رجل الادب سليمان افندي البستاني احد اعضاء مجلس الاعيان حاضرًا ومعرّب الالياذة فاشار اليهم بمراجعة «الاب الحكيم» ففعلوا ولم يلبثوا ان اتَّفقوا جميعهم على حسن فضّهِ للمشكل بطريقة واضحة مستوفية

ومن آثار الاب داميان انهُ خطب غير مرَّة في مواضيع علميَّة في دائرة الشبان الكاثوليك المنشأة في بغداد وكان يختار لابحاثهِ الاكتشافات الحديثة فيدرسها درساً نعمًا ثم يعرض على العموم خلاصتهــا. فخطب في اكتشافات باستور والادواء الميكروبيَّة وعن اكتشافات الدكتور كوخ في الســلّ. ودرس خصوصاً الموادّ السامّة لمعالجة الملسوعين من الحيات والعقارب والزنابير في بغداد

وقد ارسلهُ رؤساؤهُ الى البصرة والى عمارة والى الموصــل لبعض حاجات الرسالة وترويح النفس من تراكم الاشغال فكان يقدّس اسفارهُ بمناجاة الله وخدمة المسقومين فيثني الجميع على قدوتهِ الصالحة وبرارة حياتهِ

وبقي الاب داميان سنين طويلة دون مستوصف يستقبل فيــهِ الوافدين من المرضى الى ان سدَّ السيد التاير هذا الخلل وفتح مستوصفاً في الدار الاسقفيَّة القديمة سنة ١٨٩٢ وعهد بتدبيرهِ للاب داميــان وعيَّن راهبةً تساعدهُ في العمل فلقي في ذلك بعض الراحة. ثم اوصى احد الفرنسويين الاتقياء المسيو اشيل مورا (M^r A.

(Murat ترجمان قنصليَّة فرنسة قبل وفاته بان تجعل دارهُ مستوصفاً لفقراء بغداد فجُهزت هذه الدار تجهيزًا تامًا وأُقفل المستوصف الاوَّل فانتقل اليهِ الاب داميان لكنهُ لم ينتفع منهُ زمناً طويلًا اذ رآه الله ثمرة جنيَّة تصلح للحديقة السماوية فابتلي في شهر نيسان من السنة ١٨٩٦ بداء الفالج وبقي لا يكاد يعي لحالهِ الى شهر تشرين الاوَّل فمات ميتة الابرار بقبلة الرب في السادس منهُ. فما طار منعاه الى اهل المدينة حتى توارد الوف منهم لنظرهِ النظرة الاخيرة فكانوا يرددون عبارات الاسف على من غمرهم بفضلهِ وكان كثيرون يحملون على جسمهِ ادوات تقوية يتبركون بها . وحضر حفلة جنازتهِ جمٌّ غفير يتقدمهم قنصل روسية المتولي ادارة قنصليَّة فرنسة في غيبة صاحبها وكان لسان حالهم جميعاً يكرّر آية النبي داود: انهُ لكريم في عيني الرب موت اصفيائهِ ولتمت نفسي ميتة الابرار

فهكذا قضى حياتهما هذان الراهبان الجليلان اللذان اسعدنا الحظّ برؤيتهما في بغداد قبل وفاتهما بقليل فليقبلا منّا هذه الاسطر كدليل على شكرنا وشكر كافة اهل مدينة السلام على فضلهما العميم اجزل الله ثوابها في دار البقاء ومتّع بلادنا بامثالها

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثم ان الباشا لم يزل يصدر اوامر مكربة . من جملتها ان النصارى لا يلبسوا اخضر ولا زيتي وان الحريم يجعلوا اغطيتهم وملبوسهم اسود الى المشدّ والبابوج . وانمسك جماعة فلاحين من الجبل وزحلة متزنّرين بحزام صوف اخضر يساوي خمسين فضة . فلما نظرهم الباشا تداخلهُ العجب والانذهال وصار يصفّق بيديهِ ويقول: ما هذا الحال ويصير يستعفي من الامام عمر بمطاولة النصارى . ثم التفت اليهم وقال: ايش مذهبكم . قالوا: نصارى . فقال: كيف تلبسون اخضر وتتجاسرون على ذلك . فقالوا:

كذا يلبسون بالجبل . فقال: هذا لا يجوز . (154r) يلزم انكم تُسلموا والّا اقتلكم. فمن الوهم اثنين منهم اسلموا. واماً الثالث زحلاوي فما ارتضى يسلم فامر بقطع عنقه. فاحكى معهُ الخدام كثيرًا وما رضي يفوت (يترك) دينهُ. وقُتل بوقتهِ والذين اسلموا فيما بعد هربوا لبلادهم ورجعوا نصارى

وصار الاسلام والنصارى في كرب شديد من هذهِ الاحوال حيث كل يوم يجدّ شيٌ جديد. اخيرًا اتفق العلماء ان يكلموه عن الخلل الذي حاصل منهُ وانهُ منافي مذهب الاسلام ولا احد سبق اليهِ من الوزراء وان هـذا لهُ غوائل واضرار ردية. وكلام نظير هذا. فتوجهوا لعنده وكلموه وبجهدٍ كلي حتى اقتنع منهم. واشاروا عليهِ بطرد الشيخ الكردي من عنده. فقبل كلامهم وطرد الشيخ واظهر لطف وعدل وغيَّر كلما كان معتمد عليهِ واطمأنت الناس وارتفع الشلش ومشي الذيب والغنم سواء ولا احد تعدَّى على احد. مسلم نصراني يهودي كل في حريتهِ وما عاد قبـل وشاية من احد. وتغيرت الاحوال فصارت باحسن حال ولا سيا اهـل القرايا رفع عنهم الحوادث والتعدّي. ودايماً يوصى على الصلاة والعبادة والمحبة ثم انهُ قطع خرج جمـلة عسكر

وبعد ايام تحرك لمحاربة مصطفى بربر بطرابلس الذي صدر منهُ مخالفة وعصيان واقتضى يتوجه بنفسه بعساكر ومهمات. وحارب اولًا النصيريَّة وطيَّعهم (واخضعهم) من بعد محاربة شهرين ونهب بعض قراهم. وبواسطة مشايخ بلاد عكار تركهم. وان قائدهم صخر يحضر يواجههُ وهذا كان هارباً. ثم قام الباشا لطرابلس وحاصر القلعة اياماً طويلة واخيرًا بواسطة سليمان باشا والي عكا الذي اخرج مصطفى بربر من القلعة بالامان واخذهُ لعكا وسلّم القلعة ليوسف باشا ورجع للشام منصورًا

وبعده تحرك لضبط سوامات البقاع الذي واضع يده عليهم الامير بشير وابن جنبلاط وهي محلات متسعة ومداخيلها وافرة . ولو انهم يدفعوا المال المرتب عليهم لاربابهم. غير انهُ حاصل قهر وفرق زائد عن حال القديم والمذكورين ضابطين هذه المالكانات (154v) (الاملاك) قوةً واقتدارًا. فصار الباشا يناكدهم (يعارضهم) ويريد يستخلص ذلك من يدهم او يصير طريقـة عادلة. فالمذكورين ما ارتضوا بشيء واعرضوا الى سليمان باشا. والمذكور توسط بينهم وبين الباشا . ولكن المذكور

ما كان يسمع لهُ وما يعمل الَّا الذي يريده · وطال هذا الشرّ بينهم وصار شلش وخوف في قرايا البقاع·حتي ان بتلك السنـة ما صار زراعة بكل البقاع لان الامير نبَّه ان لا احد يزرع وكان الباشا اعتمد يرسل عسكر لزحلة ويحرقها ومن الخوف عُزلت تماماً وما بقي غير نقالة العدَّة برأي الامير بشير · وهـذه المدَّة صار ضرر كبير ليوسف باشا لان سليمان باشا اعرض للدولة عن بغي المذكور وتعديه وهو من بخله وحوسته (واغتصابه) اموال الميري نحو ثلاثة سنين ما يرسل للدولة الَّا شيئاً زهيدًا ودائمًا يدّعي انهُ عمَّال يصرف اموال غزيرة لشان تعدي الوهابي على العساكر والمهمات والامر كان خلاف (ذلك)·وبالنيجة ان الدولة تغيرت عليـهِ وسمعوا كلام سليمان باشا وصدر الامر بعزله من ولاية الشام ووجلوا سليمان باشا في طرده وربَّما في اعدامه وهو يكون والياً عوضه·وهكذا عَجز تدبيره كان سبب لتدميره

وفي ابتداء سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠م) شاع الخبر ان سليمان باشا قام الى طبريا وطلب الامير بشير و (الشيخ) جنبلاط واظهر لهم المشروع· وتصدر الامير والشيخ انهم يقدموا من الجبل عسكر وافر وابتدأ يجمع العسكر من طبريا · ويوسف باشـا بوقتهِ كان في اراضي حوران لطرد الوهابي الذي كان يسطو ويغزي في بعض قرايا·فعلى حين غفلة شاع وصول سليمان باشا وامراء ومشايخ الجبـل مع عساكر كثيرة عسلّي (عثمانيَّة) وجبليَّة الى قرية قطَنا·فلما فهم اهـل الشام ان المادة ثقيلة انوهموا (خافوا) جدًّا وارسلوا علم للباشا·فحضر حالًا للشام وبالحال قتل متسلمهُ شمشان اغا·يقولوا انهُ جاء لهُ كتابة من سليمان باشا

ثم ان الباشا استعدّ لمحاربة سليمان باشا و(اعلن) ان حضورهُ تعدي منهُ ليس بامر الدولة·وصار يرسل (155r) ذخائر والآت حرب للقلعة·وكان بوقته اغا القلعة سقا احمد ودخل الخوف بقلوب الناس من هذا القبيل وعزّل الميدان واغلب الاسواق· والاعيان انوهموا من هذه الاحوال لان الباشا يقول انني ارسلت إعراض للدولة ومنتظر الجواب· واقتضى انهُ صار ديوان بالسر واجتمع الاعيان واتفقوا على ارسال الشيخ خليل لكونه رجل عالم وفصيح اللسان·فتوجه لقطنا لعند سليمان باشا يعلمهُ عن لسان الجمهور بان يتوقّى (يمتنع عن) الحضور للشام لحينما تحضر جوابات الكتابة من الدولة ليوسف باشا · وانهُ اذا صار عجلة فيحدث خراب كبير حيث انَّ الباشا ماسك القلعة وملأها ذخائر

ومهمات للحرب· فلما وصل الشيخ خليل تكلم بهذا الكلام فكان الجواب من سليمان باشا ان هذا الرجاء لا يتمّ ولا انتظر جواب ولا غيرهُ· لان معي اوامر سلطانيّة يقتضي اتممها· وكان مليح ان يوسف باشا يقدم الطاعة ويرسخ (يرضخ) للاوامر· ثم ان الحواشي مثل مصطفى بربر وكنج احمد ومحمد اغا ابو نبوت كلموا الشيخ خليل بكلام عالي وازدراء وانهُ معهُ مهلة ثلاثة ايام· فان بقي بالشام فنهجم على البلد بالسيف· فحضر الشيخ واخبر بما سمع· فتخلق الباشا جدًّا وصار يشتم ويلعن وعزم على المحاربة وارسل عسكر ومدافع الى سهل المزّة وطلع بنفسهِ في تسعة عشر تموز يوم الثلثا ومشي على اوردي سليمان باشا· فلاقاه جانب عسكر خيّالة وحصلت المكافحة بين العسكرين ووقع جانب (بعض) قتلى عسملي ودروز وبعض من عسكر يوسف باشا ولّوا راجعين· القول انهُ حصل خيانة والتزم يرجع يوسف باشا للشام من دون انتصار ولا خذل· ولكن الملحوظ ان الوجه لهُ (انهُ كان انتصر) لو ثبت عسكرهُ · لان الدروز ظهر لهم اشارة خوف وفزع وكانوا ميقنين (موقنين) بالهلاك· وبالصدفة حين هذا القتال حصل هواء شديد واغبار واهوال (الامر) الذي اوجب ارتداد الجهتين عن بعضهم

فلما رجع الباشا للشام اعتمد على الحصار وتشديد الحرب· وكان قبلًا حرر لملّا (155^٧) اسمعيل لحماة بان يحضر بعساكر وافرة لمساعدتهِ وكان متأمل الباشا من هذا الوجه يبلغ اربهُ · فنهار الاربعاء في عشرين تموز جاء الجواب من ملا اسمعيل للباشا وبهِ يوهم عليهِ ويتعذّر عن حضورهِ : اوّلًا لا يمكنهُ يظهر عصاوة للدولة· ثانياً يلخص للباشا انك انت ايضاً لا تظهر على نفسك هذا القبيح· والشور (والراي) الحسن يكون التسليم وتبطل المشروع الساعي فيه· والقول ان ملا اسمعيل ارسل الى قواد العساكر سرًّا بان يتركوا ويرفضوا شروع يوسف باشا

فلما فهم الباشا مواربة ملّا اسماعيل وانحرافهُ عنهُ تداخلهُ الخوف جدًّا وخشي الهلاك· فعزم على الرحيل من الشام وحزّم الخزنة صناديق وافراد· قيل انهُ بلغ الذهب اثني عشر صندوقاً والبياض عشرة احمال وارسل شيئاً مع زينيل اغا وشيئاً مع سليم بيك مملوكه· فبلغ القواد ذلك فحاشوا (امسكوا) الباشا وهو طالع من باب الهواء· حاشهُ اغا الارناووط· وغيره مسك سليم بيك وطلبوا من الباشا بخشيش

او برطيل حتى يتركوه يخرج. فالباشا تحسب من كلام اغا الارناووط الذي قال لهُ : انني ان سلمتك الى سليمان باشا احصل منهُ على انعام وافرة. فكان جواب الباشا : انني حاسبت كلًّا منكم فاذا كنتم تريدون شيئاً اخر فالمال قدامكم خذوا منهُ ما تريدون. فبالحال قطعوا الحبال فانفرط المال (وبينما) هم مشغولين في لمهِ كان الباشا نفذ من الصرايا والعسكر مع بعض من اهل الشام اخذوا الذي قدروا عليهِ والبعض رموا الصر في البحرة بالسرايا والبعض طمروه بالارض. وكل ذلك من خوف الناس من بعضها والامر وقع ليلًا. وحصل مزاحمة مهولة ولكن السبب هو كافي ويخرج الناس تقتل بعضها. وجملة اناس سعدوا من هذه النهبة

فثاني يوم شاع الخبر بذهاب الباشا من البلد مع تابعيــهِ وراح الخبر الى سليمان باشا. والى حصة (وقت) العصر حتى نفذ علم منهُ (156r) بقيام متسلم. وحضر بعسكرهِ الى قريب بوابة الله استقام يومين وطلعت لعنده اعيان البلد قاطبة سلّموا عليهِ، ثم طلب القلعة فما رضي سقا احمد يسلمها. حتى انهُ ما ارتضى يواجه الباشا

وبهذه اليومين نزلت الدروز للبلد بالسلاح ومنهم راكبين الخيل امارا (امراء) ومشايخ وعوام. و (صاروا) دايرين بالبلد اجواق اجواق. وقصدوا يدخلوا الجوامع ايتفرجوا. فالاسلام اشمأزوا منهم ومنعوهم من الدخول للجامع الكبير وسكّروا الخانات وصاروا يكبّروا ويهللوا على هــذه النادرة الواقعة لاسيا حينما سمعوا من الدروز انهم ملكوا الشام بسيفهم وطردوا يوسف باشا وهلم جرًّا

ويوم السبت في ثلاثة وعشرين تموز دخل الباشا بموكب عظيم. اول آلاي كان عسكر دروز وقايدهم الامير بشير ابن قاسم شهاب واخوهُ بشير جنبلاط وجماعتهُ. نزلوا بالمرجة مع الامير بشير حاكم الجبل. واماَّ الباشا فدخل السرايا وبعد يومين حضر حاييم الصراف

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ ثاني يوم من دخولهِ صار الديوان واشتهرت الاوامر السلطانيّة بولايتهِ وصدر مناداة بالبلد « أمن وامان » وراقت الاحوال. انما الباشا انشغل فكرهُ من عصاوة سقا احمد وارسل لهُ وسائل بالاطاعة. وهو لا يرتضي بل يقول لا أسلم القلعة بل (الّا) للذي سلمني اياها يعني عن يوسف باشا. وهكذا مضى ايام كثيرة والامور واقفة بينهما حتى ان اهل البلد من بغضهم بالدروز كانوا يرغبون

فتنة تصير بالبلد بواسطة القلعة. ولكن بعد ايام خرج سقا احمد وتوجّه للخارج. واستلم القلعة الباشا وجعل فيها آغا عبد العزيز من الصالحية ولكن لا يجعل اقامتهُ داخل القلعة بل خارجها على التخت يتعاطى شغلهُ

ثم ان يوسف باشا راح للاذقية وتحقق انحراف الدولة عليهِ. فمن الوهم نزل في مركب وتوجه لمصر محتمياً عند محمد علي باشا الذي قبلهُ بكل اكرام وكتب بشانهِ للدولة وجاب لهُ العفو والرضى وبقي في مصر كم سنة ومات. ثم ورد قبوجي من الدولة بضبط مالهِ بالشام. فالذي (156[٧]) وجد بعد المنهوب نحو ثمانية الاف كيس من صافي صابون وبعض اشيا كان يتعاطاها

ثم بهذه السنة جرى ثلاثة اشياء حصل منها مخاسر للناس: اولها المناداة على المعاملة بنقص ثمانية غروش في المائة. ثم بتوطيد حادثة الحرير الذي كان جاء امر بها قبلًا وبطلت فالان ثبتت بامر الوزير وذلك على الرطل غرشين ونصف ثم يَسَق (منع) على الحنطة لا يحضَّر من حوران للشام حتى يخلص مطلوب عكا. حتى ان الباشا اشترى قمح بمال الميري وكان الموسم حالهُ متوسط واشترت الغلال بهذه السنة وانباعت الغرارة بماية وستون غرش ونصفها تراب. وعزّ وجود القمح طول السنة. وفي اخرها انباع المدّ بثلاثة غروش والسنة الثانية كذلك وحصل للناس غاية الضرر

ومن الحوادث في ايامهِ انهُ مات نصراني ميداني فقبروه في مغارة بساحة مار جرجس. فثاني يوم باكرًا جاءت امهُ تبكي على قبرهِ فوجدت باب المغارة مفتوحاً فنزلت الى داخله فوجدت ابنها عريان كلياً فاشتدّ حزنها وحالًا توجهت للسرايا وعرضت الامر للباشا. فطلب المذكور ناطور التلّ من الشاغور (وهو) مسلم ولهُ اجرة يأخذها من النصارى كل سنة. فسألهُ الباشا كيف يصير هذا وانت ناطور تحت علوفة (اجرة) فامر عليهِ بالضرب. فطلب الامان واعرض انهُ موجود اناس بالشاغور يعتادوا على تشليح الموتى وغيره ولا يمكني امنعهم حتى ولا اقدر اشتكي عليهم خوفاً من ضررهم لانهم جماعة جسورين ارديا. وافهمهُ اساميهم ومحلّ بيتهم. فحالًا ارسل التفكجي باشي ومسك الاثنين وجاء بهم للسرايا. فسالهم الباشا فنكروا. فامر عليهم بالضرب وعذبهم كثيرًا ولم يقروا بشي. ففكر الباشا يحضر امّهم كونها تعرف سرائرهم. فسالها فصارت تعتذر وليس تعلم بشي. وبوقتهِ كانوا عمّالين يعذبون اولادها فانوهمت

واقرَّت ان حوايج الموتى في مكان بالبيت مستتر. فارسل معها تفكجي باشي فأرتهم المكان وهو تحت الارض. فنزلوا اليهِ ووجدوا ملبوس اشكال. فحزموها وجابوها للسرايا وسلمها الباشا الى عبد العزيز اغا (157r) القلعة وامرهُ ينبه على النصارى كل من لهُ شيء يأخذهُ بعد تأكيده. فما احد طلب شيئاً غير امّ الميداني اخذت قنباز ابنها والباقي ولبستهم لابنها والاغا بعد حين باع الحوايج وتصرف في ثمنهم والباشا امات النفرين المذنبين بالشنق ومضى امرهم

واستقام الباشا حاكماً بالشام وعزل في ابتداء سنة سبعة وعشرين ومايتين والف (١٨١٢ م) وجاء المنصب الى سليمان باشا سلحدار السلطان وهو مقيم في اسلامبول واصلهُ من حماة. وارسل الى سليمان باشا والي عكا وكالة الى حين حضورهِ. والمذكور ارسل الى علي اغا البغدادي الذي كان متسلماً يبقى كما هو. وهذا كان في صور متسلماً وصاحب تدبير ونبيهاً. فارسلهُ للشام واقامهُ متسلماً وبناظر على القلعة ايضاً الذي كان وضع فيها عبد العزيز وبعده باكير آغا المغربي والآن عزل المذكور وتوكل مكانهُ. وسجن درويش اغا بالقلعة اياماً ولم يكن يدفع المال المطلوب منهُ ومدّعي الافلاس وبعد مدة انطلب لطرابلس فسجنوهُ هناك. وبعد ايام اخذوهُ لصيدا تحت الترسيم

ثم ان باكير اغا توجه لعكا شاكياً على علي آغا وايضاً على حاييم اليهودي بسبب عزلتهِ من القلعة والشكاوة الى علي باشا ابو عبدالله باشا. وكان يطعن في حاييم مع علي باشا الذي هو صديقاً الى حاييم. وهذا باكير اغا كان شرس الطبع وكلامهُ كثيف (فظّ). فلما سمع حاييم مذمتهُ فيهِ لعلي باشا التزم ان يتملق باكير اغا ويكرمهُ في مال ويوعدهُ انهُ سيرجعهُ الى القلعة. وبهذا الامل حضر من عكا للشام واستقام في بيتهِ

وبعد ايام جاء لعنده رجل لهُ عندهُ حساب فطالبهُ وكرر عليهِ ذلك. فانحمق منهُ باكير وقام اليهِ وسحب عليهِ الخنجر فراح الرجل واشتكى الى علي اغا فاحضرهُ وشتمهُ وحبسهُ بالقلعة. فبعدهُ ارسل القاضي الى الاغا بان يطلقهُ من السجن بعد ايام بوكالة سليمان باشا. ثم في ستة عشر نيسان حضر امر الى علي اغا يقبض على باكير اغا ويخنقهُ حالًا. وتمَّ ذلك ثمَّ رموه خارج القلعة

ثم صدر نكتة في تولي علي اغا . وهوان حرمة دلّالة ردّية (كانت) تسعى في فضح بنات الناس (157) بوسيلة الغرش . فخادعت بيتاً مستورًا واخذت ابنتهم لعندها للبيت وكان رجل يريدها فكمن في بيت هذه الشقية. وسلمتهُ البنت وفضحها. واشتكوا اهلها الى علي آغا وبالحال طلب الرجل والامرأة. فالرجل هرب والامرأة حاشوها (القوا القبض عليها) وثاني يوم اماتها بالشنق في شجرة بميدان السرايا . وما هان ذلك على القاضي وتلاوم على الاغا وانهُ مرة ثانية لا يفعل ذلك

﴿ تولي سليمان السلحدار ﴾ فحضر الباشا المذكور للشام في تسعة وعشرين حزيران ودخل بموكب عظيم في ربيع الآخر الف ومايتين وسبعة وعشرين (١٨١٢م) وحصل للمتسلم عبدالله آغا قبول واكرام دون غيرهِ وكان ملازماً الباشا بكافة الامور . وبذلك حصلت الناس براحة بال حيث قبلًا كانوا موهومين من حوادث تحصل لاسيما حين شاع الطلب والثقلة التي حصلت على اهالي حماة وفوق ذلك من الخدمة التي تُطلب شيء زايد الحدّ . قيل انهُ في قرية القطيفة صار دعوى على كرم يساوي خمسمائة غرش ما بين الفلاحيين انتهى على يد الكيخيا فامر في خدمة وافرة (دفع مال وافر) وهذا مما جعل الوهم يدخل على الناس

ثم بعد وصول الباشا باربع ساعات طلب رجلًا حمصيًا تاجرًا يقال لهُ عثمان محرم وهو من اعيان حمص جاء للشام في شغل وعمل . البايِن (يظهر انهُ كان) لهُ اضداد في حمص وبالاخصّ متسلم حمص مبلغين عنهُ امور ردّية . فحال مواجهته الباشا صدر الامر بقتلهِ فترجى فيهِ علي اغا المتسلم وبجهد حتى عفا عن دمهِ وامر عليهِ بالسجن في القلعة . فاضطربت الناس من ذلك وبعض التجار تواروا عن اعين الناس . وبعد ايام ارتفع دعاوي كثيرة وكان الخدمة (المال المدفوع) تطلع للقواصه مبلغ لا يطاق . وكان علي اغا يراجع الكتخداه ويلطف الطلب وكلما يريدهُ المتسلم يصير . ثم ان الباشا خلع على المذكور خلعة فاخرة وجعلهُ قيمقاماً بوجودهِ . وهذه ضدّ العوايد . وكان بالنهار ملازماً السرايا وبالعشية يبات (يبيت) بالقلعة . واخذ عيالهُ للقلعة واحضر اخاه من بغداد وكان مقيماً (158) بالقلعة

وفي اثني عشر تموز حصل مزاعلة بينهُ وبين الباشا بقصد منهُ . لانهُ اشار عليهِ ان يطرد سقا احمد من خدمتهِ الذي كان جابهُ معهُ من حماة ولبسهُ تفكجي باشي

واوعدهُ انهُ سينفيهِ بعد ايام . فصار علي اغـا يكرر القول . فنفر منهُ الباشا واظهر الغيظ من هذه اللجاجة وهي من نوع المطاولة . فقـام الاغا وتوجه للقلعة بحرد (بغضب) فسمعت الناس بذلك فدخل عندهم الخوف وابتدأ العزيل بسوق الاروام . فطلب الباشا الاغا فامتنع وقال انهُ متشوش وشارب دواء فتزايد الخوف على الناس واقتضى ان الباشا حينما نظر وهم الناس اشهر مناداة بالأمن والامان . وكل من سكَّر دكانتهُ يرتَّب جزاه . ثم عيَّن عنـدهُ آظن علي دالي باش وارسلهُ للقلعة يحكي مع علي اغـا بانهُ يحضر لعنده يلبس خلعة رضى ويرجع للقلعة بكل امان . وبذلك يرتفع عن الناس الاشتباه . وعلى كل حال ما فيهِ سبب لهـذا الانشمال (القلق) . فكلمهُ كثيرًا وهو لا يسمع . وجوابهُ انني انا آغاقول بموجب امر سلطاني وملتزم وظيفتي لا ارغب خدمة الوزراء ولا اريـد اقارش شيئاً ولا يمكن اطلع من القلعـة كليًا . فرجع آظن علي واخبر الباشا بما سمع . فثاني يوم تحسبت (خافت) الناس وعزل اسواق كثيرة القريبين للقلعة والسرايا . وقيـل ان علي اغا ارسل تحت الدس (خفية) ينبـه على الناس يعزلوا وخوّفهم جدًا . فلمَّا نظر الباشا خواب البلد ارسل للقاضي بان يرسـل احدًا من قبلهِ للآغا يكلمهُ (كي) يطفي النيران القايدة (المتقدة) ويعمل لهذا الحال آخر . فتوجه نائب القاضي للقلعة وتكلَّم مع الآغا كثيرًا وحسَّن لهُ الاطاعة فما صـار افادة بل الاغا ازداد حنقاً وقال للنايب : ان كان الملايكة تجي من السما تطلب القلعة فلا يمكني ان اسلمها . وانحمق كثيرًا وصار يقول : ما انا بشان الوزير (مرتبط بخدمته) ولا بعازة امانهِ . واغلظ في القول جدًا

فرجع نايب القاضي خايباً والبلد ضايجة والخوف يزداد . فما احتمل الباشا هـذا الحال واعتمد بمحاصرة القلعـة وعيَّن عساكر كثيرة نيف عن ثلاثة الاف وشرعوا بالحصار (٧158) وركَّبوا المدافع داير القلعة واشتغل الضرب ناحية البرج . وعلي اغا سكر باب القلعة حالًا وعندهُ ماية وثمانون نفر جميعهم بغَّادة [1] وكان ادخل ذخيرة للقلعة على المشاع (اشيع انها) تكفيهِ لسنتين . ثم ابتدأ يضرب مدافع عشية الجمعة تاسع عشر تموز والعساكر ملازمة القلعة على الداير وضرب الرصاص من كل ناحية ومن

١) من بغداد

المواذن (المآذن) القريبة للقلعة حتى يمنعوا طلوع العسكر الجواني لظهر القلعة . ودام ضرب المدافع والحصار الشديد نهار السبت والاحد ليلًا ونهارًا بغير فتور . واماً بالليل (فكان) يقف الحرب نوعاً . اماً ليلة الاثنين فصار الضرب متصل لبعد نصف الليل . ومن القلعة اوَّل يوم انضرب مدافع قليلة وانما ضرب الرصاص كثير . وقُتل اناس قليل من خارج القلعة واحترق بعض اماكن ناحية المناظيه

ففي صبحة (صباح) الاثنين قرَّ الرأي بحفر لغم في اساس القلعة حيث ان المدافع ما صار منها نتيجة يرجى منها الفرج وانمًا تهشم حيط البرج ووقع كم حجر من شرافات القلعة . فابتدوا بحفر اللغم وسخروا الناس في ردم الخندق . ومع ذلك ضربُ المدافع متصل والرصاص ايضاً من المواذن خصوصاً حيث انهم يكشفوا على سطوح القلعة . ومع وجود هذه الغوغه (الضجة) كلها ما احد انتبه من الذين داخل القلعة ولا عندهم خبر حفر اللغم ولا ردم الخندق . فقوي عزم الباشا وامر باحضار سلالم ينصبوها على حيط القلعة . كل هذا والذين داخل القلعة ما عندهم خبر شيء . فقام الكتخداء وكلم العسكر بطلوعهم على السلالم وكل من طلع اوَّلًا يأخذ البخشيش . فتقدَّم عسكري ارنوطي او مغربي فطلب خمسمائة غرش فارضاه بثلاثمائة غرش . فاخذها وطلع الى السلم ووصل الى اعلاه سحب سيفهُ خشية من احد يكون كامناً لهُ وصار يتشجع ويعلو رويدًا رويدًا الى انهُ صار على سطوح القلعة . فنظر ميمنة ميسرة ما وجد احدًا يخشاه . فاعطى اشارة للعسكر فساروا يتسابقوا بالطلوع على السلالم الى ان صار كميَّة وافرة . وهذا الحال كان من غرائب الاتفاق فكل من نظرهم من عسكر البغَّادة (159r) يجمد دمهُ . وقتلوا منهم خمسة انفار وارموا رؤوسهم من اعلى السور ثم اشتغلوا بالنهب . وكانت ساعة مهولة وعسكر القلعة صاروا مثل الطيور بالشبكة وصار العسكر يعرونهم ويتركونهم . ومنهم (مَن) هربوا من الخوف الذي داهمهم الى سياقات المالح (اي مصرف المياه والاقذار) التي تحت الارض ومنهم من بقي يومين وثلاثة ايام . وربما مات منهم بهذا الحال . والعساكر لم يزالوا يتزاحمون على الطلوع للقلعة

وبعد ساعتين طلع آظن علي دالي باش على السلم ليمسك الاغا ويحضرهُ للباشا الذي (اي الاغا) كان شلحوهُ العسكر من غير ما يعرفوه وبعدهُ تخبي خلف باب

القلعة. فلمَّا وصلوا اليهِ ارادوا مسكهُ فكان معهُ فرد طبنجا فقصد يقتــل نفسهُ. فمنعوهُ وحسنوا لهُ التسليم وربما يصير لهُ عفو. فما اركن حتى سمحوا لهُ في ألبق (او قلبق) دالاتي يلبسهُ وهو طلب منهم ذلك. فمسكوه وجاووا بــهِ الى طرف سور القلعة. وقبل ما ينظرهُ عسكر الدالاتيه من تحت السور رموا القلبق عن راسهِ. لان اذا نظروه العسكر محتمياً في وجاقهم (في فرقتهم) فما يدعوهُ يقتل. ثم نزلوه الى السلالم حافياً بطاق القميص مكشوف الراس بحال يرثى اليــهِ. والناس تقاطرت افواجاً ليتفرجوا عليهِ

فلمَّا وصل القاعة البرانيَّة وكان الباشا جالساً وبجانبــهِ شيء من السلاح فحين نظر الباشا وقع على الارض وما امكنهُ الوقوف. فكلمهُ الباشا: ايش هذا العمل الذي عملتهُ. فكان جوابهُ: انهُ ما هو مني. فانحمق الباشا منهُ وقام ناهضاً وظنَّ الواقفون انهُ يريد قتلهُ. ثم قعد وقال لهُ: تقول انهُ ما هو منك فاذًا من مين (ممَّن). فقال: من سليمان باشا وهو الزمني. فسكت وامر (ان) ياخذوهُ الى الخزنــة وسجنوهُ في اوضة الخزندار. ثم مسكوا اخو علي باشا والخزندار وسجنوهم. ومسكوا بعض البغَّادة الذين بالقلعة منهم حبسوهم ومنهم اطلقوهم. واشتغــل العسكر بنهب القلعة يوم وليلة حتى ما بقي شيئاً يساوي عشرة فضــة حتى نهبوا المغرفة والدست المختص بالوجاق وبعض برك الحاج واشياء قديمة من تروسة (159v) وغير اشيا مخزونة من زمان وما صار نهب ردي هكذا من سنين عديدة

وثاني يوم نهار الثلاثا امر الباشا بفتح باب القلعة وجعل بها بعض عسكر محافظين ومضى امرها

امَّا ما كان من امر الاغا فعشيَّة الاثنين دخل لعندهِ الكتخداه وصار يوانسهُ بالكلام ويعاتبهُ على ما وقع منهُ. وامتدَّ الخطاب حصة (مدَّة) طويلة. وانَّما الاغا كان حصل خلل في عقلهِ ودايماً يتنهد ويتندَّم ويطلب الامان. فالكيخيه حين نظرهُ مرتعشاً تركهُ وامر خادم يطعمهُ ويسقيهِ. وجابوا له شال ابيض وجوخه وهو لا يريد ان يلبس ولا ياكل ولا يشرب. وصار الخادم يوانسه بكلما كان ممكن. وهو ما طال (لم يزل) يصفق بيديهِ ويقول: ايش جرى ايش صار. وفي الصباح غلساً دخل لعنده الكتخداه وسكر الباب وصار يقررهُ عن شيء خفي. فاستقام حصة طويلة ثم طلع

لعند الباشا وافهمه ما كان. فبعد الشمس بثلاث ساعات صار الديوان واحضروا علي اغا. فوبخه الباشا عن طعنهِ في استاذهِ وانه ابدًا ما الزمه يعمل ما عمله وانما هذه سندات (احتجاجات) منهُ ومطاولة (وتطاول) في حقّ الوزراء. وحينئذٍ امر بقتله وخنقوهُ بالعتبة ثم عروهُ كليًّا ورموهُ في باب السرايا بغاية الاحتقار وحصل عليهِ الاسف من الخاصّ والعامّ. ولكن ما احد ترحَّم عليهِ بما (بسبب ما) عمل بنفسهِ لانهُ هو افترا على نفسهِ. وكان يقدر على نتاجهِ (خلاصهِ) من هذا القطوع (التهلكة) ولو كان الذي فعلهُ من غيرهِ كما قال. ولكن المقدور ما منهُ مهروب. مع انهُ كان فريد الاوصاف وعقلهُ زكي وفهيم وكانت الناس راضية منهُ في مدَّة ولايتهِ ويميل للنصارى وعندهُ معروف ورقَّة. وانما كان بخيل وهذا من مزايا البغادة (الذين من) جنسهِ. ويكون هذا ابن اخو احمد اغا المشهور الذي كان اغاقول في الشام في زمان الجزار وهرب لبغداد واخيرًا مات قتلًا حين توفي سليمان باشا والي بغداد وابن اخيه هذا استقام خادماً عند والي صيدا وعملهُ متسلماً (160r) في صور فبعدهُ في هذه السنة ارسلهُ للشام وقضى نحبهُ نظير عمهِ. ثم ان اخاهُ شفع فيهِ آظن علي واخذهُ لعنده

امَّا الخزندار فصدر الامر بقطع عنقهِ فلمَّا وقع بيد الجلاد طلب مواجهة الوزير واختلى بهِ ساعة زمان. وبعده سجنوهُ اياماً ثم اطلقوه. قيل انهُ استقرَّ (اقرَّ) في مال مدفون بالقلعة يخصّ علي اغا. وقيل غير ذلك (لهُ بقيَّة)

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

٣ ذكَر النَّحل

بعد ان افضنا الكلام في النحلة العاملة فلنصفنَّ الذكر. وما يقال عنهُ بالاجمال انَّ مرتبتهُ في خلية النحل دون مرتبة الاناث. فكأنَّ هذه المستعمرة التي قوامها بالشغل لا ترضى بتسويد الذكور والذكور لا يأتون عملًا نافعاً سوى تلقيح الملكة فتراهم ليل نهار مخلدين الى الراحة مستسلمين للكسل فالعاملات من النحل اللواتي هنَّ خناثى او

بالحري اناثاً عقيات لا يصبرن على الذكور الّا اذا أملن منهم منفعةً فاذا رأينَ انهم لم يعودوا يصلحون للتناسل حملن عليهم وطردنَهم من الخلية فيموتون جوعاً

ولا تظننَّ مع هذا انَّ الحكم هو للملكة فقد بيّنّا في الفصل السابق انَّ حياة الملكة نفسها منوطة بالعاملات. والاحرى ان يقال انَّ للمستعمرة النحليَّة على هيئة جمهوريَّة من الاشتراكيين فالحكم فيها للعملة الذين يسعون في الخير العام على حدّ سواء دون مراعاة الرتب والمقام

ويُعرف الذكر بمجرَّد النظر اليه فانهُ اكبر جسماً من النحلة العاملة واغلظ بنيةً كما انَّ رأسهُ اكبر من رأسها تكاد عيناه الجاحظتان تشغلانه. فاذا طار سُمع لهُ طنين مرنَّ يخيف من يجهل انَّهُ لا ابرة لهُ وانَّ لا بأس من اصطياده. بخلاف الاناث العاملات فانَّ لهنَّ حمةً سامَّة لاذعة يتهدَّدن بها كل من يناوئ الخلية او يقصدهنَّ باذى. اما الملكة فلها ايضاً حمة لكنها لا تستخدم هذا السلاح الّا لمحاربة ملكة اخرى مثلها تقصد خلعها

واذا دخل الربيع وهو الوقت المناسب لانفصال خشارم النحل ترى العاملات يصطنعنَ في اقراص العسل بيوتاً من الشمع مسدَّسة اوسع من النخاريب العاديَّة. فهذه البيوت انَّما هي لتربية الذكور المعدَّة للخشارم الموشكة على المهاجرة. واذا قامت الملكة لتلقي بزرها في تلك المسدَّسات جعلت بزرة نحلة انثى في البيوت الصغيرة وبزرة ذكر في الواسعة لا تكاد تخطئ في وضعها

وان سألت كيف استطاعت الملكة ان تُفرز بين بيض الذكور والاناث وهي تنسل في اليوم الوفاً من البيض أَولعلَّها تدري بانَّ البيت الواسع هو للذكور وما سواه للاناث ؟ وان علمتْ بذلك أَفليس فعلُها صنفاً من الفهم والادراك ؟

كلَّا لا فهم لليعسوب او ملكة النحل كما لغيرها من الحيوان الاعجم. امَّا تعليل فعلها المذكور فقد بيَّنهُ بعض العلماء وللدقِّقين الذين انعموا النظر في الامر فقالوا: انَّ ملكة النحل بل كل الاناث العاملات يمكنهنَّ في بعض الاحيان ان يلقين بزرًا وبيضهنَّ هذا كلهُ من جنس واحد فاذا لم تأبرهُ الامّ وتصلحهُ بعد افرازه انتج دائمًا ذكورًا واذا أَبَرَتْهُ صار نحلة انثى او عاملة. وعليهِ فاذا مرَّت الملكة بنخروب ضيّق دفعتها غريزتها الى حضانة خاصَّة لتنتج تلك البزرة نحلة عاملة. امَّا النخاريب

الواسعة فتلقي فيها بزرها دون ذلك الاصلاح فيأتي بذكور . هذا ما ارتآه هؤلاء العلماء لشرح هذا الامر الغريب وشرحهم لا يخلو من الوجاهة وان لم يكن مقرّرًا راهنًا

واذا وُضعت بيض الذكور في بيوت الشمع المعدّة لها قامت النحل العاملات بامرها فيأتينها بالطعام الموافق ويصلحنها كما يفعلنَ بدود العاملات واذا مرَّ على الذكر ٢٤ يوماً بعد تسرئة الامّ اي بزيادة ثلاثة ايّام على الاناث فتح المولود غشاء الشمع الذي يغطيهِ وخرج ذباباً تامّ الخلقة . وليس من كيان الذكور منفعة الّا ان يلقحوا ملكات الخشارم الجديدة وهذا اللقاح يقوم بهِ ذكرٌ واحد ويكفي لطول حياة الملكة وعليهِ لا حاجة الى ذكور كثيرة في خليّة واحدة

وربما كثر عدد الذكور في القفير الّا انَّ في هذه الكثرة ضررًا لجماعة النحل لانَّ الذكر كما سبق القول لا يألف الشغل في داخل القفير او في خارجهِ فيقضي حياتهُ فارغاً باطلًا ويعيش متطفلًا على نفقة العاملات فيأكل كثيرًا ممَّا يعددنهُ من العسل . واذا حمي النهار يخرج هؤلاء الذكور من القفير طلباً للراحة والنزهة ولا يعودون اليهِ الّا مساء ليصرفوا ليلهم اكلًا وشرباً

فاذا رأى اصحاب القفران والعسّالون انَّ الذكور تكاثرت فعليهم ان يتخذوا مشبكات صغيرة من اسلاك الحديد فيها ثقوب يمكن الاناث الاجتياز بها دون الذكور فتوضع على باب القفير وتمنع الذكور من الدخول اذا خرجت فتُقتل

هذا وقد سبق القول انَّ النحل مع ما خُصَّت بهِ من المزايا الطيبة الموصوفة قبلًا ليست من الحشرات المتعطّفة بل هي شرسة الاخلاق لا ترحم غير رصيفاتها العاملات ومن ثم في كلّ سنة بعد انفصال الخشارم او في آخر الصيف عند ما يقلّ الزهر في الخارج تجتمع لمطاردة اخوانها الذكور ولا تفعل في قلوبها اواصر الحبّ والقرابة بل تهجم على الذكور الذين وُلدوا في السنة فترى لفعلها مشهدًا فاجعاً فانَّ ثلاثاً او اربعاً من النحل الاناث يُحدقنَ بذكرٍ واحد فينتزنهُ من جوانحهِ ويسحبنهُ بقوائمهِ كانهنَّ الشُرَط يجلبون اثيماً مكتّفاً الى منقع الدم وهنَّ لا يزلن بدفعهِ حتى يُخرجنه من الخلية ويقمنَ في حراسة الباب لئلّا يعود اليهِ فترى هؤلاء البائسين وقوفاً حول القفير في اسوأ حال فلا يلبثون ان يموتوا جوعاً او بردًا في الليل . فكفى بهذا الفعل

دليلًا على خلو النحل من الفهم والادراك اذ لا يرذُهنَّ العقل عن فعلهنَّ ذاك الفظيع الى ان تخلو الخليَّة تماماً من الذكور في وقت الشتاء حتى الربيع حيث يبتدئ تناسُل جديد

٤ اليعسوب او ملكة النحل

انَّ في القفير ما خلا الاناث العاملات من النحل والذكور الموصوفين آنفاً ذبابةً اعظم شأناً وارفع قدرًا ألا وهي الملكة . قلتُ « الملكة » بالمفرد وليس الملكات لانهُ ليس في الخليَّة غير ملكة واحدة تامَّـة الخلقة . وهذه الملكة اكبر قليلًا من النحلة العسَّالة وبطنُها مستطيل فمن عاينَها مرَّة ميَّزها للحال بين جمهور النحل

وعلى هذه النحلة يتوقَّف نجاح الخليَّة كلها بل وجدانها على انها لا تضبط عنان الامر والسلطة المطلقة بل قل بالحري انها مقيَّدة تحت حكم جملة من النحل اللواتي يراقبنَ كل حركاتها وسكناتها . امَّا مقامهـا العالي في المستعمرة فلكونها امّ الجميع وقوام كلّ النسل الجديد . ويزيد نتاجها على قدر وفرة طعامهـا لاسيما من زئبر الزهور الذي يختلف على اختلاف فصول السنة . ويكون ايضاً بنسبة قوَّة المستعمرة وعمر الملكة وجنسها وعلى مقتضى احوال الجوّ والحرارة

واذا هجرت الملكة قفيرهـا سار وراءها كلّ النحل . واذا ماتت عرَضاً او عجزًا ولا تقدر النحل على تربية غيرها فنيت المستعمرة وتلاشت عاجلًا او آجلًا ما لم يتدارك عسَّال خبير ذلك الخلل ويدخل الى القفير ملكةً أخرى . وعنـد موت الملكة تقف حركة المستعمرة وتكفّ النحل عن جمع لقاح الزهور واستحضار العسل وانَّما تأكل ما في القفير من المؤنة ثمَّ تستسلم للموت

امَّا اذا ماتت الملكة وادخلتَ في الخليَّة ملكة جديدة فترضى بها كل النحل بل تستقبلها بارتياح وسرعة وتعود الحركة في المستعمرة كما كانت سابقاً . ولو ادخلتَ هذه الملكة في حياة الملكة السابقة لتواثبت كل النحل على الدخيلة وقتلتها لا محالة

وللنحل في بعض الاحيان خبرة في اقامة ملكة جديدة بدلًا من الميتة . وذلك اذا وجدت النحلات بيضاً لم يُفقس بعـد او حشرات اناثٍ عاملات عمرُها دون ثلاثة أيَّام فبفعـلٍ عجيب من الغريزة التي منحها الله تختار بعضاً من ذلك البيض او من تلك الحشرات فترشّحها للملك . ولعلمها بانَّ الملكة اكبر بدناً من الاناث العاملات

وانها تحتاج الى مكان ارحب لتنمو فتخرب النحل بيوت المختارات للملك فتصطنع لهنَّ تخاريب اوسع. ثمَّ تعدّ لهنَّ طعاماً خاصاً وغذاء لطيفاً تغتذين بهِ الى زمن يُعلَن باحداهنَّ ملكةً ومذ ذاك الحين ترى كل النحل يصرفنَ الهمَّ الى الاخدار الملكية فيراقبنَها ليلَ نهار. واذا دخل اليوم الحادي والعشرون من يوم نتاج المرشحات تسارعت النحل الى الغشاء الذي يغطي الزيزان الملكيَّة في بيوتها لتشقَّهُ فاوَّل نحلة وُجدت تامَّة البنية كانت هي الملكة وتبايعها جماعة النحل. امَّا الملكة الجديدة فانها تبادر الى تخاريب بقيَّة رصيفاتها المختارة للملك فتهلكها وتودي بحياتها كما كان يفعل بعض سلاطين الشرق باخوتهم عند جلوسهم على منصَّة الملك

ولعلَّ بعض القرَّاء يظنُّون انَّ قولنا السابق ضربٌ من الروايات الخياليَّة التي لا سند لها. والامر مع ذلك عين الحقّ لا ريب فيهِ. وسترى في كلامنا عن الخشارم كيف يستفيد العسَّالون لتوفير الخلايا الصناعيَّة من هذه الخاصَّة التي طُبعت عليها النحل لنصب ملكتهنَّ. وينتج ممَّا سبق انهُ ليس فرق البتَّة بين بيضة النحلة الملكة وبقيَّة النحل الاناث وانَّ كلَّ عاملةٍ من النحل ملكةٌ بالقوَّة فاذا جُعلت دودتُها في تخروب كبير ونالت من فضل اخواتها طعاماً دسماً قوي بدنُها واشتدَّ واتَّسعت فيها اعضاء التناسل لتوليد البيض فتصلح ان تكون امَّاً اي ملكة بخلاف بقيَّة النحل الاناث اللواتي لا يجدن في تخاريبهنَّ سعةً ولا في طعامهنَّ قوَّةً كافية ليبلغن مبلغ الملكة وانَّما قوَّتهنَّ تنصرف الى ابرتهنَّ التي تصبح لهنَّ كسلاح رهيب وهذه الحُمَة تكون في الملكة اقصر واضعف. فصحَّ بهذا قولنا السابق انَّ عُمَّال النحل اناثٌ معقَّمة او خناثى يُجرَّدن عن قوَّة التوليد ليقمن بخدمة الجماعة. ولولا ان النحل المربَّيات يجرين على مقتضى الوهم والغريزة الطبيعيَّة الحيوانيَّة لعزوناهنَّ الى الهمجيَّة والظلم

قلنا ان الملكة هي في القفير مولدة لكلّ النسل الجديد فبناء عليه ظنَّ بعض العسَّالين ان اجناس النحل يمكن تحسينها بان يُجمَع بين ذكرٍ اهلي وملكةٍ غريبة افضل جنساً كما يفعلون في توليد اجناس جديدة من الخيل والكلاب وغيرهما. ومن ثمَّ عمد العسَّالون في فرنسة الى يعاسيب من النحل الايطالي المعروف بنشاطهِ ووفرة عسله فأسفدوا عليها ذكورًا من الجنس الفرنساوي فكان للنسل خواص الجنسين وبذلك تحسَّن النحل الفرنساوي

وليس الامر صعباً فان شئت ان تحسّن النحل البلدي مثلًا وتجديهِ خواصّ النحل الايطالي فعليك ان تطلب من ايطالية ملكةً قبل تلقيحها فتُرسَل اليك بالبريد في علبةٍ ينفذ فيها الهواء ومعها بعض النحلات للقيام بطعامها في الطريق . فاذا وصلتْ نزعتَ من الخلية الملكة التي فيها بحرص ورشاقة ثم تدسّ في مكانها الملكة الجديدة التي ينزو عليها احد ذكور الخلية فلا تلبث ان تنسل نسلًا جديدًا وبعد قليل تتجدَّد الخلية بموت النسل العتيق المولود من الملكة الاولى . ولهذا النسل خواصّ تفضل على الجنس الاوَّل

٥ اعمال النحل في باطن الخلايا

انَّ نظرَنا السابق في ضروب النحل والملكة الامّ يستدعي نظرًا آخر اي الكلام في اعمال النحل في الكوارة لانَّ العمل ملازم للعامل . وكل من يذكر النحل يفكر في مصنوعَيهِ اعني شمعهُ وعسلهُ

١ ﴿ الشمع ﴾ اذا استقرّ النحل في مكانهِ سواء كان قرارهُ صندوقاً او خليَّة او تجويف شجرة او صخر اسرع الى افراز الشمع ليتخذهُ كاساس لقرصهِ الاوَّل . واذا بلغ طول هذا القرص بعض سنتميترات عمد الى اصطناع قرصٍ ثانٍ يكون موازياً للاول موازاة تامَّة حتى اذا ابتنى بعد ذلك نخاريبهُ اي بيوتهُ المسدَّسة كانت كلها متشابهة ذات عمق واحد على وجهي القرص . ثم يبتني قرصاً ثالثاً ورابعاً على حسب عدد افراد المستعمرة . وليس بين كل هذه الاقراص من المسافة الَّا مجاز ضيق كافٍ فقط لحركات النحل في ذهابهِ وايابهِ . ولا يشذّ عن هذه القاعدة الَّا عند ختام العمل فيصطنع نخاريب غير تامَّة ليسدّ بها كلّ فضاء الزوايا الفارغة

وهنا لا يتمالك الانسان من الصراخ : سبحان الله الذي اعطى هذه الحشرات الصغيرة ان تقوم باعمال هندسيَّة لا يقوى عليها احذق العملة والبنائين فانَّها بلا مقياس ولا آلة البتة تحفظ النسبة التامَّة في تركيب الاقراص وتراعي قوانين الموازاة والهندام في وضعها ثم تقيم فيها تلك المسدَّسات العجيبة لخزن طعامها وكلها على مثال واحد وعمق واحد واتقان واحد . ثم تجري النحلة ابنة اليوم على هذه الوتيرة دون معلِّم يرشدها ولا دليل يهذبها بل تصنع كل اعمال الخليَّة بمجرَّد غريزتها . افليس هذا من اسطع البراهين على وجود خالقها ومرشدها العظيم

واذا انتهت العاملات من تجهيز قسم من المسدَّسات عدل بعضها عن اصطناع الشمع لتحصيل المؤنة فتخرج الى الحقول والبساتين لتجمع من الزهور لقاحها وعسلها فتنقلهُ الى الخزائن ليكون غذاء للعشيرة. فمنهُ تغتذي الملكة والنحلات المشتغلات في بناء الاقراص. وما فضل من الطعام يُخزن لايام الشتاء. كانَّ النحلة تعرف سلفاً انَّهُ يأتي عليها فصل قارس البرد لا يمكنها في مدَّتهِ ان تخرج من الخلية فتحتاج الى طعام قريب منها. امَّا لقاح الزهور وزئبرها فانَّ النحل يلوكهُ ويجعله لَعوقاً لغذاء الصغار وهنَّ دودات

وتُبقي النحلات المجتنيات للزهور قسماً من بيوت الشمع فارغةً فاذا تمَّ عملها تجعل الملكة في كل منها بزرة كما قيل سابقاً تستحيل بعد قليل الى دودة ثم الى زيز وشرنقة ثم الى نحلة

ومن البديهي انَّ البنَّاء اذا اراد تشييد دار بناه من اسفل الى فوق والنحل يجري في بناء اقراصهِ على عكس ذلك فانهُ اذا باشر بتركيب القرص ألصقهُ في سقف الخلية فيتحدَّر الى اسفل مع مواصلة العمل. واذا رأيت النحلات متراكمات حول قرصهنَّ كالعناقيد وانت لا تكاد تميز حركتهنَّ ظننتَ انهنَّ يسترحنَ وهنَّ في الحقيقة يجهدن في الشغل فيفرزن الشمع ويلصقنهُ بالقرص ويسوّين جدران المسدَّسات لا يحدنَ في تسويتها شعرةً

والشمع نتيجة هضم النحل لعسلها لكنها لا تفرزهُ بالقناة الهضميَّة بل بغُدَد صغيرة دقيقة جدًّا موقعها تحت حلقات بطنها كما قلنا. واذا حاول خشرم من النحل ان يطير الى خارج الخليَّة منفصلًا عنها رأيت النحلات تغتذي بنهم من عسل الخلية قبل خروجهنَّ وليس ذلك شراهةً بل بفعل الغريزة فيهنَّ كأنهنَّ يعلمنَ بانهنَّ سوف يحتجن قريباً الى شمع لابتناء اقراص الكوارة التي سيحللن بها

❊ العسل ❊ ما هو العسل ؟ هو مركَّب العصارات السكَّرية المعطَّرة التي تمتصُّها النحل من الزهور ومن الاثمار النضجة المتشقِّقة بل من قشور بعض الاشجار. وللنحلة خرطوم تنفذهُ في الزهرة حتى تبلغ قعرها فتمصّ ما هناك من العصير وتجعلهُ في احد تجاويف معدتها دون ان تهضمهُ. واذا كمل حملها عادت الى القفير ومجَّت في البيوت المعدَّة لذلك ما رشفتهُ من شراب الزهور ثم تعود فتنقل حملًا آخر

وهذه العصارات لتصير عسلًا تحتاج الى استحضار خاص تقوم بهِ عاملاتٌ من النحل في باطن الخلية واذا انجزت عملها وامتلأَ البيت عسلًا اتت النحلات المشمّعات فبسطنَ عليه غلافاً من الشمع لصيانتهِ. وشغلُ النحل متواصل لا ينقطع البتة ففي الخارج يدوم النهار كلهُ وفي الداخل يتتابع ليلًا مع نهار

والعسل يختلف نوعاً وجودةً على حسب الامكنة التي فيها مقام الخلايا لانَّ لكلّ بلد زهرهُ ونباتهُ الخاصّ المختلف طيباً وعبقاً فالعسل ينال من ذلك الزهر وذاك النبات خواصهُ وميزاتهِ. وعسل الجبل يكون دائماً اطيب والذّ من عسل السهول لوجود ضروب من النباتات العطرية في الجبال

وغاية النحل من اصطناع العسل انما هي اعداد المؤونة لنفسها في فصل الشتاء كأن الطبيعة ارشدتها الى ما ستصير اليهِ من الحاجة الى الطعام في وقت البرد وهي لا تعلم انَّ الانسان سوف يحرمها قسماً من مؤنتها فيأخذها لنفسهِ. وهو يفعل بالنحل ما يفعل بالدجاج اذ ينزع عنها بيضها قبل حضانتهِ وكما يفعل ببقيَّة الحيوانات التي يستخدمها لحاجاتهِ. ولو علمت لضنَّت بعسلها وبيضها ولبنها وكفى بجهلها دليلًا على عدم ادراكها وعلى حكمة الخالق الذي سخَّر الحيوان الاعجم لخدمة الانسان ليستعين الانسان بهِ لخدمة خالقهِ

قلنا انَّ في اقراص الشمع بيوتاً فارغة معدَّة للنسل المولود فان الملكة تجعل في كل بيت بزرة تراها العين المجرَّدة ملتصقة في قعرهِ وبعد قليل تصبح البيضة دودةً او زيزًا تراها في ثقبها ملتويةً وهي تكبر مع الايام حتى تصير شرنقة يسجيها النحل بغشاء من الشمع ريثما يتمّ تكوينها وتصير نحلةً وهذا الغشاء يخالف غشاء بيوت العسل فانَّ غشاء الشرانق محدَّب اما غشاء العسل فمتساوٍ. واقراص الشمع في اوَّل تركيبها تكون بيضاء اللون وتبقى على بياضها في السنة الاولى اذ تحتوي على العسل فقط لكنها تضرب الى لون غامق بعد سنةٍ عندما تضع الامّ فيها بيضها ثم يزيد لونها قتاماً فتصبح مسودَّة بعد سنتين او ثلاث سنين

٦ خشارم النحل

ان مستعمرة الخلايا في استحالة دائمة فاذا شاخت العاملات قام بدلًا منها نسلٌ

جديد بولادة الامّ المتتالية . والملكة يكثر نسلها خصوصاً في الربيع بل لا ينقطع طول السنة ما خلا وقت البرد القارس

واذا انتهى فصل الشتاء وصبرت النحل على شدّته تراها عادت الى حركتها ونشاطها فتعمد الى اصطناع اقراص جديدة من الشمع ويشتدّ أزر الملكة فتلقي كل يوم الوفاً من البيض فتنمو المستعمرة وتهتمّ النحل العاملات بتربية ملكات جديدة وذكور تصلح لتلقيحها . والغاية من ذلك اعداد ثَول ينفصل عن الخليّة ويعيش عيشة مستقلّة . واذا رأيت ذكور القفير تخرج كل يوم للتنزّه قُلْ انّ مستعمرةً جديدةً على وشك مغادرة القفير

واذا فارق الثول قفيرهُ رافقتهُ عادةً الملكة القديمة فتقوم عوضها ملكة حديثة . والثول الاوّل يكون غالباً قويّاً وكافياً للاستعمار وهو في الوزن لا يقلّ عن كيلوغرامين ويشمل الكيلو نحو ٩,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ نحلة . واذا انفصل الثول باكرًا في اوّل الربيع كان افضل لهُ اذ ينطبق انفصالهُ مع توفُّر الزهور فتستطيع النحل ان تجمع بسرعة مؤنتها فتفرز الشمع للاقراص وتُعدّ بيوتاً تجعل فيها الملكة بيضها قريباً فيزداد بذلك عدد العاملات بخلاف الثول المنفصل في اواخر الصيف لاسيما في الاقطار الباردة فانّ نحلهُ لا يستطيع ان يذخر المؤنة قبل وقوع الشتاء فيهلك بحلول البرد

واذا انفصل الثول الاوّل ربّما حاول ثول ثانٍ وثالث ان يخرجا مع ملكاتهما . ويظنّ بعض العسّالين ان هذه الجماعات المهاجرة تغنيهم وتوفّر محصولهم من العسل ولذلك تراهم يعدّون خلايا لتلك الجالية ويزيدون عدد الخلايا . ولكنهم على رأينا مخطئون في عملهم اذ انّ هذه الاثوال اذا توالت وخرجت من خليّتها الاصليّة تكون ضعيفة قليلة النحل فلا تأتي بالمحصول المأمول اذ لا يمكنها ان تجمع المؤنة الكافية للشتاء فتهلك . والأَولى ان تعاد تلك الاثوال الى كوارتها فتأتي مع وفرة عددها بما لم تستطعهُ بقلتهِ

وليس ردُّها الى خليّتها السابقة بالامر العسير اذا كانت النحل من جنس واحد — لانهُ لا يجوز الجمع بين اجناس مختلفة من النحل لئلّا يقاتل بعضها بعضاً — فيمكنك ان تعيد الى الخليّة ثولين او ثلاثة اذا رأيت هذه الاثوال قليلة العدد ضعيفة القوّة

وخفتَ ان تسقم الخليَّة الاصليَّة بكثرة المهاجرين . ودونك الطريقة لذلك. اذا انفصل خشرم النحل وحطّ مع ملكتهِ او ملكاتهِ في مكان موافق فاجمعهُ في وعاء وعند المساء كبَّهُ بقرب القفير الذي خرج منهُ سواء كان على الارض او على قطعة من الخام فترى النحل قاقاً يتطاير الى كل صوب فابحث عن الملكات واقتلهنَّ وربَّما بلغ عددهنَّ الخمس او العشر ولا تشفق على واحدة منهنَّ ولو اثرتَ غضب النحل عليك . فاذا عاينت المهاجرات انها فقدت اميراتها عادت بعد قليل الى خليَّتها الاصليَّة

ولكن لا بأس ان تجمع في خليَّة واحدة اثوالًا متعددة خرجت في وقت واحد من خلايا مختلفة وجنس واحد فيكفيك ان تكبَّ هذه الاثوال واحدًا بعد اخر في صندوق فتختلط ببعضها وتأنس باصحابها

امَّا اذا كانت هذه الاثوال مختلفة السنّ فتقصد ان تخلطها ببعضها لتزيد قوَّتها بالعدد فانفخ اوَّلًا دخاناً في القفير الذي تريد ان تضمّ اليهِ خشرماً جديدًا ثم كبَّ في هذا القفير بخفة الثولَ الجديد ثم دخّن القفير ثانية فتختلط النحل ببعضها فكانَّ الدخان يلتصق بابدانها جميعاً فلا تعود تفرق بين اهليّ وغريب فتمتزج امتزاج الاخوات

وان سألت عن الملكات ماذا حلّ بهنّ ؟ فاطلب الجواب في غدٍ وراقب الخليَّة فتجد امام مدخلها اجسام عدَّة ملكات بطشت بهنَّ واحدة اقوى منهنَّ سواء كان الظفر للملكة القديمة او لملكة حديثة اشدّ منها . فاذا مدَّ الليل رواقهُ قامت تلك الفاتكة وقتلت كل ملكة تزاحمها في الملك. ولا تدخل بقيَّة النحل في هذا البراز الشخصي بل تقوم الى المقتولات وتنقل اجسامها الى خارجٍ . والملكة لا تلتجئ الى ابرتها القاتلة الَّا في هذه الدفعة لتستبدّ بالسلطة دون سواها

وللملكة مظهر آخر يلوح فيها عظم مقامها بين النحل وذلك في يوم مهاجرة الثول الجديد للقفير كي يباشر باستعمارة مستقلة. فان لم تخرج الملكة بقيت النحل في الخليَّة وان عادت الى القفير بعد خروجها تبعها الخشرم باجمعهِ. وحيثما تحطّ يحطّ النحل معها واذا انتقلت الى مكان آخر رافقتها جماعتها. فانها السيدة واميرة قومها

وقد سبق لنا القول انَّ الخليَّة لا يمكن ان تملك فيها غير ملكة واحدة. وهذه قاعدة لا شذوذ لها البتة. والدليل عليهِ انَّ النحلات العاملات عند تربيتها للملكات

الصغيرات لا تعرضهنَّ لغضب رئيسة الخلية بل تبقيهنَّ في بيوتهنَّ ومهادهنَّ حيث نشأن ولا تفتح لهنَّ باب حبسهنَّ اي الغشاء الشمعي الذي يغطيهنَّ وانَّما تثقب فقط لهنَّ ثقباً صغيرًا في ذلك الغشاء ومنهُ تُنفذ العاملات الغذاء للمأسورات. فاذا حان وقت خروج الثول يُفتح باب سجنهنَّ وهنَّ مذ ذاك يتصرَّفن تصرُّف الملكات

واذا طعنت ملكة القفير في السنّ وبلغت السنة الرابعة او الخامسة من عمرها عجزت عن توليد سلالة جديدة فاصبحت عبأً على المستعمرة فتسعى النحلات العاملات في استدراك الخطر وتربي ملكة جديدة فاذا بلغت هذه اشدَّها وثبت على العجوز وقتلتها واستولت على الملك بدلًا منها

وقد توفَّق ارباب الزراعة من العسالين الاوربيين الى ان يتولَّوا بنفسهم تقسيم الاثوال وتوفير الخلايا على منوال قانوني بحيث تبقى القفران بقوتها ولا تضعف بالمهاجرة وذلك بواسطة الخلايا المستحدثة التي اتخذوها على شبه جزَارات يمكنهم نقلها كما يشاؤون. وهم يدعون تلك الخشارم بالخشارم الصناعيَّة

ودونك الطريقة التي يجرون عليها . يرقبون الخليَّة في وقت نموّ نحلها عند ما تكون الاقراص عامرة بالسلالة الحديثة من بيض ودود وصغير النحل فيفتحون الخليَّة بعد تدخينها ويأخذون بعضاً من تلك الجزَارات مع اقراصها ونحلها فيجعلونها في صندوق منفرد وهكذا يقسمون المستعمرة قسمين يبقى قسم في مكانهِ وينضمّ اليهِ النحل المتفرّق في الحقول لجنى الزهور والقسم الآخر يُجعل قريباً منهُ

وان سألت عن امر الملكة كيف تُنقل الى المستعمرة الجديدة اجبنا انَّ المربّين للنحل لا يبالون بالامر كثيرًا لعلمهم بانَّ للنحل وسائل لتربية الملكات على شرط كما بيَّنَّا ان يكون في المستعمرة بيض لم يُفقَس بعد او دودات لا يتجاوز عمرها ثلاثة ايام فان رُوعي ذلك لن تخلو الخليَّة من ملكة

هذه بعض معلومات استخلصها علماء الطبيعة من درس احوال النحل وفيها لعمري عبرة لكلّ معتبر اذ يلوح لهُ ما خصَّ بهِ الخالق حشرةً صغيرة في العين كبيرة في العمل ولو فعلت ما تفعل عن فهم وادراك لاستحقت ثناء جزيلًا بين البشر لما يرونهُ من اجتهادها وانكبابها المتواصل على الشغل واهتمامها بالخير العام ودفاعها عن جماعتها حتى الموت وعنايتها بملكتها وصغارها واستعدادها لزمن الصيف وغير ذلك ممَّا

استحقت عليهِ ثواباً لولا حرمانها من العقل كما انها لا تستحقّ عقاباً فيما تأتيــه من السيئات بحقّ عجَزَتها وبحقّ المهزولين من صغارها وبحقّ ذكورهــا وملكاتها اللواتي عجزن عن التوليد

فالواجب على الانسان ان يدرس طبــاع الحيوان واخلاق العجماوات فيرتشد بها للصلاح اذا رآها حسنة ويستنكف عنها اذا وجدها سيئة فانَّ الله اعطاهُ العقل لينوب عن تلك الحيوانات العديمة النطق ويتخذ عملها بالغريزة كمثال لعملهِ بالتعقُّل ليبلغ الغاية الشريفة التي انتدبهُ الله اليهــا فينال بخدمتهِ تعالى سعادة الدارين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ الرها وملحقاتها

الرها مدينة متوسطة بيوتها مستندة الى منعطفَي جبل يشرف عليها ويُدعى طوب داغ او كاراداغ. وهي مركز قضاء لسنجق منسوب اليها وفيها يقيم المتصرف المنوط امرهُ بوالي حلب. واهلها يبلغون نحو ٤٢٠٠٠ نفس منهم ٣٠,٠٠٠ مسلم والباقون نصارى ارمن غريغوريون (٧,٠٠٠) وسريان يعاقبة (٢,٠٠٠) وبروتستان (١,٥٠٠) وكاثوليك (١,٠٠٠) ويهود (٥٠٠)

ويجري في وسطها جدول صغير يُدعى خليل الرحمان وبقرب اسوارها نهر « كارا قويون » يتحدَّر في الشتاء كالسيل الجرار ويمتزج بمياه خليل الرحمان وهو النهر الذي كان يدعوهُ السريان بدَيصان ومنهُ اشتقّ اسمُ المبتدع الشهير ابن ديصان الذي عُرف في القرن الثالث للمسيح. وكان اليونان يسمُّون نبع خليل الرحمــان بكاليروه (Καλλιῤῥόη) وهو علمٌ لاحدى الإلهات البحرية عندهم فاشتقّ السريان منهُ اسم اورهي (ܐܘܪܗܝ) ثمَّ عُرِّب بالرُّها و «تُرِّك» باورفا. وقيل انَّ اسمهــا السرياني سبق عهــد الرومان وانَّهُ مركَّب من « اور » اي حصن و « هيْ » علم المكان. وارتأى بعض الكتبة انها هي « اور » الكلدان (تكوين ١١ : ٣١) التي سكنها ابراهيم الخليل ومنها دعاهُ الله الى ارض الميعاد. ويوافق الامر تقليد اهلهــا الذين

يكرّمون خليل الله وبهِ دعوا نهرهم. وقد عُرفت الرها باسم آخر قديم لم يتفقوا في تعريف معناه وهو اذاسا « Edesse » فشاع هذا الاسم خصوصاً في الغرب (١

ومما لا يُنكر ان الرها مدينة قديمة يترقّى تاريخها الى عهد ملوك بابل ثم صارت الى اليونان بعدهم. الّا انّ اعظم شهرتها كان في زمن الاباجرة الوطنيين الذين اتّخذوها كرسيًا لدولتهم. ثم استولى عليها الرومان سنة ٢١٥ للمسيح فبقيت في ايديهم الى ان فتحها العرب وملكوها ثم عاد الروم في سنة ١٠٣١ للمسيح وانتزعوها من ايدي صاحبها نصير الدولة بن مروان وبقيت في حوزتهم الى ان سلّموها الى الصليبيين فجعلها بغدوين اخو غودفريد دي بوليون كونتيّةً ثم أقطعها الامراء من اسرة دي كورتناي (de Courteney) ومنهم الكونت جوسلين (Josselin) ثم فتحها صلاح الدين سنة ١١٨٣ وتنقّلت فصارت في حكم الايوبيين واصحاب حلب والمغول والتتر حتى ضمّها الى دولة بني عثمان السلطان سليم الاوّل سنة ١٥١٧

ولعبت الرها دورًا عظيماً في عالم الدين والآداب. فبعد توغُّل اهلها في الوثنيّة وعبادتهم للقوّات السماويّة كانت بين المُدن الاولى التي استنارت بضياء الايمان المسيحي. وقد نسب اصحابها تنصُّرهم الى مفاوضات دارت بين ملكها الابجر اوخاما اي الاسود والسيد المسيح فزعموا ان الملك ارسل الى الرب وفدًا وهو المشار اليهِ في انجيل يوحنا (١٢ : ٢٠—٢٣) حيث دعاهم « قوماً من اليونانيين صعدوا الى اورشليم ليسجدوا في يوم العيد وطلبوا من فيلبوس ان يواجهوا السيد المسيح » فيقول السريان انّ هذا الوفد كان حاملًا رسالة للابجر يطلب فيها من المسيح ان يسير اليهِ في الرها ويبرئ برصهُ وانّ الرب اجابهُ انهُ سيرسل لهُ احد تلاميذهُ بعد قيامتهِ وانهُ هكذا تمّ فذهب ادّي احد السبعين الى الرها وابرأ الابجر وعمّد الاهلين. ويزيدون على ذلك انّ حنانيًا رئيس الوفد الرهاوي حاول ان يأخذ رسم السيد المسيح فاخذ الرب منديلًا وجعلهُ على وجههِ المقدّس فطُبعت عليهِ صورتهُ الالهيّة .

فهذه القصة شاعت في الرها منذ اواسط القرن الثالث للمسيح كما ظهر من آثارها

١) اطلب في المشرق (٨ : ١٦٩) مقالة يوسف افندي غنيمة في الرها وتاريخها وآثارها وهي تغنينا عن تكرار ما جاء هناك

التي نشرت بالطبع (١ وكان اول مؤرخ الكنيسة اوسابيوس القيصري قد اطّلع عليها في خزانة سجلّات الرها فنقلها في تاريخهِ الكنسي (ك ١ ف ١٣) ثم رأتها في اواخر القرن الرابع الزائرة الاسبانيّة المسمّاة ايتيريا (Ætheria) التي اكتشف الاب غاموريني اخبـار سفرها الى الاراضي المقدّسة فنشرها تحت اسم القديسة سيلفيا (Gamurrini : *Voyage de Ste Sylvie*) وانتشرت قصة تلك الرسالة وصورة السيد المسيح في كل الكنائس الشرقيّة حتى أُقيم لها عيد تاريخه ١٨ آب .

وبقيت الصورة والمنديل في الرها الى سنة الهجرة ٣٣١ (٩٤٣) حيث ارسل الملك رومانوس وطلب من الخليفة العبّاسي المتّقي ان يرسل اليهِ تينك الذخيرتين ويعدهُ بفكّ اسرى المسلمين . قال ابن العبري في تاريخه (ص ٢٨٧) « فامر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل وارسل معهم من يتسلم الاسارى » . ويذكر المؤرخون انّ رسالة السيد المسيح تلفت في حريق حدث في القسطنطينيّة في القرن الثالث عشر . امّا المنديل فاهداه ملك الروم احد دوقة جنوة بشرط ان يرسل لهُ الدوق جندًا يسعفونهُ في ردّ غارات الترك . وهذا المنديل هو اليوم على ما يقـال في كنيسة الارمن المكيتاريين في البندقيّة

هذه خلاصة قصة تنصُّر الابجر الاسود ورسالة السيد المسيح (٢ التي يغلّب اهل النقد في عهدنا اصطناعَها . ومهما كان من امر صحتها فلا بدّ من القول انّ مدينة الرها كانت من اوّل المدن التي عرف اهلها النصرانيّة لقربها من تخوم بلاد الشام ولوجود قوم من انحائها في اورشليم يوم حلول الروح القدس على التلاميذ وقد صرّح القديس لوقا في سفر الاعمال بذكر « اهل ما بين النهرين » . هذا مع كثرة الآثار التاريخيّة الشاهدة على ذلك في القرن الثاني للمسيح (٣ فلا يقبل العقل ان الرسل وتلاميذهم الذين ذهبوا الى اقاصي العالم ليبشروا بالمسيح اهملوا البلاد المجاورة لهم المستعـدّة لقبول تعاليمهم

١) اطلب الكتاب (G. Phillips : *The doctrine Addai*) وكتاب تيكسرون عن كنيسة الرها L. J. Tixeron : *Les Origines de l'Eglise d'Édesse et la Légende d'Abgar*)

٢) اطلبها منقولة عن تاريخ ابن العبري في مجموعنا مجاني الاب (١ : ٢٧٧)

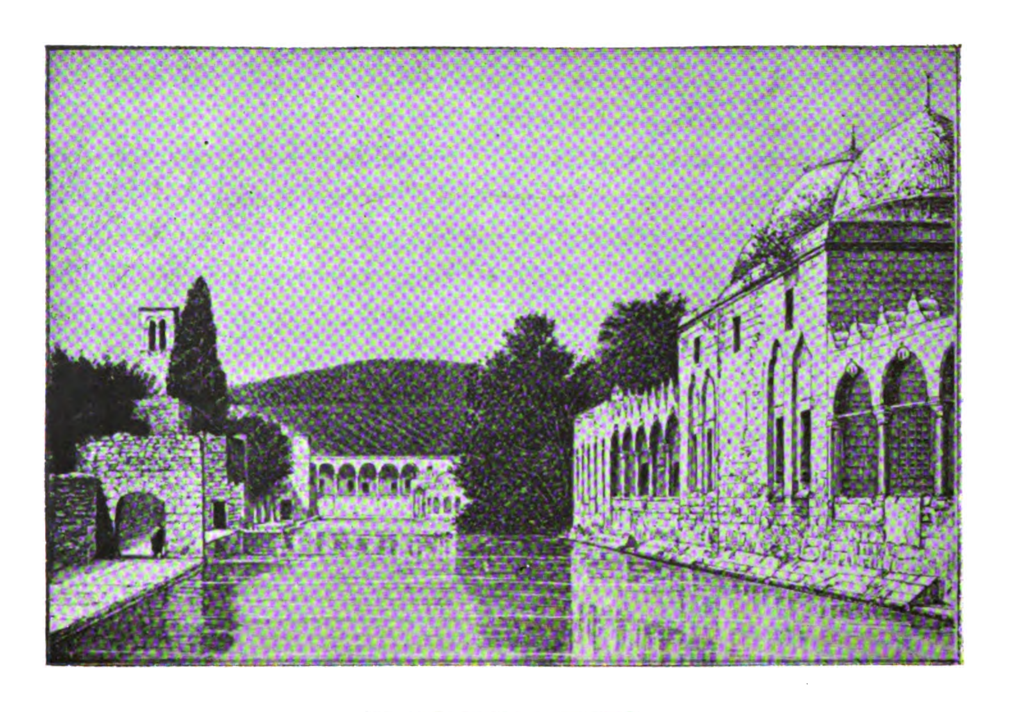
٣) راجع في العدد السابق مقالتنا عن تنصُّر عرب الجزيرة

ويطول بنا ان نتتبَّع تاريخ الدين المسيحي في الرها الَّا انهُ لا يجوز ان نسكت عن خدَمها الجليلة للآداب السريانيَّة اذ أُنشئت فيها تلك المدرسة العامرة التي اضحت موردًا للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة منذ اواسط القرن الرابع وازهرت الى اواخر القرن الخامس حيث جنح اساتذتها الى البدعة النسطوريَّة فطُردوا منها وانشأُوا عوضاً عنها مدرسة نصيبين وقد خرج من كلتا المدرستين رجال كبار لهم في التأليف والتدريس والنقل وسياسة الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة آثار استخرجها العلماء في هذه المدَّات الاخيرة من مدافنها كما وُجدت قوانين تلك المدارس التي تدلّ على حكمة اصحابها

ثم بقي الدين في الرها خاملًا بعد عهد الصليبيين وما حلّ على الرها من النوائب الى ان قام المرسلون اللاتينيُّون فانعشوهُ في القرن التاسع عشر فجاء الرهبان الكبوشيُّون الى اورفا سنة ١٨٤١ وشيَّدوا لهم ديرًا وفتحوا المدارس وقد زرنا مدرستهم فرأيناها كاحدى المدارس الثانويَّة في سوريَّة كان يتولَّى نظارتها وطنيُّنا الاخ رافائيل السمحيري. وللكبوشيين هناك كنيسة جميلة فيها قبر السيد مبارك بلانشه الذي كان دُفن بعد قتلهِ في سويرك ثم نُقلت رفاتهُ الى الرها فصلينا لاجل راحة نفس هذا السيد المفضال وهو احد الثلثة الاوَّلين الذين انشأُوا رسالتنا السوريَّة سنة ١٨٣١ فخدموها احسن خدمة

ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات افرنسيَّات من رهبنة مار فرنسيس اتين الى اورفا منذ سنة ١٨٨٠ ولهنَّ مدارس للفتيات يقصدها بنات النصارى والمسلمين لحسن تربيتهنَّ. وقد فتحن ايضاً مستوصفاً يتقاطر اليهِ المرضى ليتداووا فيهِ

وزرنا في الرها كنيستي الارمن والسريان الكاثوليك وهما صغيرتان واكبر منهما كنيسة الارمن الغريغوريين وما كنَّا لنظنّ ان هذه الكنيسة في اواخر كانون الثاني سوف تُحرق بالنار ويُقتل فيها نحو ثلاثة آلاف ارمني حرقاً وتمثيلًا بين افظع العذابات فضلًا عمَّن ذُبحوا في الاسواق فاناف مجموعهم على خمسة آلاف شخص ولولا انَّ كثيرين التجأُوا الى دير الآباء المرسلين لكان عددهم مضاعفاً فحماهم الرهبان الكبوشيُّون وآووهم ايَّاماً وافرغوا ما في ديرهم من المؤونة لسدّ جوعهم وكسوتهم وتضميد جراحهم. وكذا فعلت الراهبات بمئين من النساء فاستحققنَ وسام الشرف الذي ارسلتهُ لهنَّ الدولة الفرنسويَّة مثنيةً على شهامتهنَّ



بركة ابراهيم الخليل في اورفا

وزرنا ايضاً كنيسة اليعاقبة وهي قديمة على طرز الكنائس العتيقة وفي احد جوانبها شبه المصطبة عليها بعض الاقمشة فذاك قبر صنّاجة السريان الذي سمّاه اهل زمانهِ كنّارة الروح القدس ونبيّ السريان اعني بهِ الملفان العظيم والملسان المفوّه القديس افرام معلم وابا الكنائس السريانيّة فاخذنا العجب من اهماله في تلك الزاوية وتمنّينا ان تشاد يوماً على اسمهِ كنيسة كاتدرائيّة يحجُّ اليها كل الشرق المسيحي ولاسيما الطوائف السريانيّة التي كان شرفها وفخرها المؤبّد. وفي هذه الكنيسة اليعقوبيّة بعض مخطوطات قديمة من جملتها نسخة كاملة من تاريخ البطريرك ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر كان وقف عليها اوّلًا غبطة السيد البطريرك اغناطياس افرام الثاني الرحماني ثم نشرها بالطبع في باريس الخوري شابو (J.- B. Chabot) مع ترجمتها الى الافرنسية

ومن آثار الرها بركتها المعروفة ببركة الخليل (اطلب الصورة) يُقات فيها لوجه الله صنف من الاسماك النهريّة كالشُّبوط يُعدّ هناك بالالوف والربوات. وكنّا لحظنا مثل ذلك في بركة مجاورة لطرابلس. وعلى رأي بعض الاثريين انّ هذا بقيّة من عبادة وثنيّة (ichthyolatrie) كانت مألوفة في انحاء اليونان والشرق فيكرمون السمك تذكارًا للزُّهرة

وفي اعلى الجبل المطلّ على الرها بقايا قلعة قديمة اقامها اوّلًا اليونان ثم رمّمها العرب وقد اخذتها اليوم يد الخراب تُرى فيها اعمدة وسوارٍ وحجارة منقوشة وهناك كتابات سريانيّة بالحرف الاسطرنجلي بعضها نصرانيّة وبعضها وثنيّة وكذلك اكتشفوا في البلد على بعض كتابات وردت فيها اسماء الاباجرة وخصوصاً ابجر التاسع المتنصِّر في اواخر القرن الثاني . وقد وقفوا على مسكوكات كثيرة في الرها ترقى الى عهد الدول التي استولت عليها وقد ابتعنا منها قسماً لمتحف كليّتنا

وكذلك في انحاء هذا الجبل مغاور منحوتة في الصخر للسيّاح ومدافن قديمة عليها نقوش راقية الى عهد اليونان كانت تودع فيها نواويس الموتى

وممّا يُرى في جوار البلدة بئر يدعونهُ نبي ايوب يزعمون ان الملك الابجر اغتسل فيهِ لمّا شفي من برصه على يد ادّي تلميذ المسيح ويسمّونهُ ايضاً « جبّ المنديل » مشيرين الى المنديل الذي ارتسمت عليهِ صورة ابن الله كما سبق. ومن مزاعمهم انّ

الابجر بعد شفائهِ تنسَّك وسكن مغارة تُدعى حتى يومنا بمغارة الابجر واهل البلد من مسلمين ونصارى يزورون هذه الامكنة وينذرون لها لينالوا بركتها٠ ويقوم في حراسة الجبّ رجال برص يتعاقبون في نظارتهِ اباً عن جدّ وليس برص غيرهم في البلد

وطلبنا في اورفة الاجتماع ببعض رجال العلم فلم نستدلّ على احد منهم غير جناب مفتيها فأطلعنا على بعض مخطوطات مكتبتهِ الخاصّة فكان اكثرها من التآليف الدينيَّة والفقهيَة٠ وقد ارانا من تصنيفهِ تاريخاً لمدينة الرها كان يهتمّ بتنقيحهِ ليمثّلهُ للطبع

هذه بعض افادات حصلنا علينا في زيارتنا لتلك الحاضرة الشهيرة التي كانت في الاجيال النصرانيَّة الاولى نجماً على مفرق الدهر وفيها كانت تُقام اسواق سنوية حافلة كان يتوارد اليها جماهير الناس من اقاصي المعمور حتى الصين والتتر

● من الرها الى ماردين

قضينا في الرها يومين أرحنا النفس فيهما من مشاقّ السفر ٠ ثم استأنفنا الرحيل بُعيد الظهر يوم الثلثاء الواقع في غرَّة تشرين الاوَّل٠ فقطعنا سهولًا غاية في الخصب تسقيها مياه غزيرة متحدرة من جبل اورفا منها نهر بالق وهناك جداول عديدة تترقرق في القني وتنتهي كلها الى الفرات الذي لا يبعد كثيرًا ٠ ويستغلّ الناس من تلك البقاع ضروب الغلّات والحبوب منها القمح البالغ معدلهُ في السنة ٩٦٠,٠٠٠ كيلة توازي ١٥٨,٤٠٠,٠٠٠ كيلو وقس عليهِ بقيَّة الغلّات٠ ومن محصولات املاك اورفة السمسم والقطن والزيت والسمن بكميات بالغة لا يستطيع الاهلون تصريفها لعدم وجود طرق لنقلها الى الاساكل وانَّما ينقلون منها قسماً صغيرًا فقط على ظهر الجمال ٠ فاذا ما انتهت السكَّة الحديديَّة البغداديَّة سوف تنقل تلك الغلّات فتزيد ثروة تلك البلاد وتنمو همَّة اهلها في توسيع نطاق زراعتها

وبعد خروجنا من الرها بقليل لاحت لنا عن بُعد على يميننا اخربة مدينة حرَّان التي تكرَّر ذكرها في سفر التكوين وموقعها على مسافة ٣٥ كيلومترًا جنوبي الرُّها٠ وفيها كان مركز مهمّ لدين الصابئة وهيكل عظيم لسين إله القمر وقد روى المؤرخون انَّ كهنة حرَّان كانوا يضحون في بعض الاحيان ضحايا بشريَّة لذلك الاله٠ ومن جملة من فعل ذلك القيصر يليانوس يوم خرج لمحاربة الفرس فخدعهُ كهنة حرَّان ووعدوهُ بالنصر٠

وقد روى ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (éd. Sachau, p. 205) نقلاً عن كتاب عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني في جوابهِ عن كتاب عبدالله ابن اسمعيل الهاشمي انَّ الصابئــة كانوا يُعرَفون بذبح الناس وانَّ الخليفة المأمون لمَّا تحقَّق امرهم اخرب هيكلهم وبدَّد شملهم

ودخلت النصرانيَّة حرَّان رغماً عن مقاومة الصابئــة وصارت كرسيًّا لاساقفة كاثوليك اشتهر بينهم تاودورس ابو قرَّة صاحب الميامر الشهيرة من علماء الملكيين في اواخر القرن الثامن ومن اقدم كتبة النصارى في العربيَّة (اطلب المشرق٦ : ٦٣٢)

كانت طريقنا من الرها الى ماردين في بريَّة قفراء ليس فيها مع خصبها سوى قرى حقيرة يسكنها قوم من الاكراد والاعراب يُعنون بجنى الغلَّات او يرعون القطعان والمسافة بين المدينتين نحو ١٤٠ كيلومترًا يقطعها القفــل بخمسة أيَّام . والمكارون يفضلون السير في الليل او اطراف النهار خوفاً من وطأة الحرّ التي تثقل على الرَّكب والدوابّ معاً . غير انَّ للسفر في الليل مشاقَّةُ ايضاً فانَّ النوم يستولي على المسافر فلا يكاد يصبر عليهِ فاذا ركب خيف عليــهِ من السقوط واذا مشى عثرت رجلهُ بحجارة الطريق . وان تأخَّر عن القفل ليرقد قليلًا على حافة الطريق رصدتهُ شذَّاذ العرب وهمج الاكراد فسلبتهُ مالهُ كما عرض لاحد رفقتنا الذي لم ينجُ من رمح الاعراب الَّا باطلاق فردٍ كان في جيبهِ

كان محطّ رحالنا الاوَّل بعد خروجنا من الرها في قرية « بهيا » فلم نجد ما نبتاعهُ لطعامنا الَّا جدياً صغيرًا جزرهُ الاعرابي بائعهُ امامنا وبعد قطع رأسهِ واطرافهِ اخرج منهُ لحمهُ دون سلخ جلدهِ بكل رشاقة وابقى لنفسهِ الجلد فاصطنع منهُ ظرفاً بربط الاطراف المقطوعة . وقام احد رفقتنا فاصلح اللحم بالشواء فاستطبناه في تلك البريَّة المقفرة

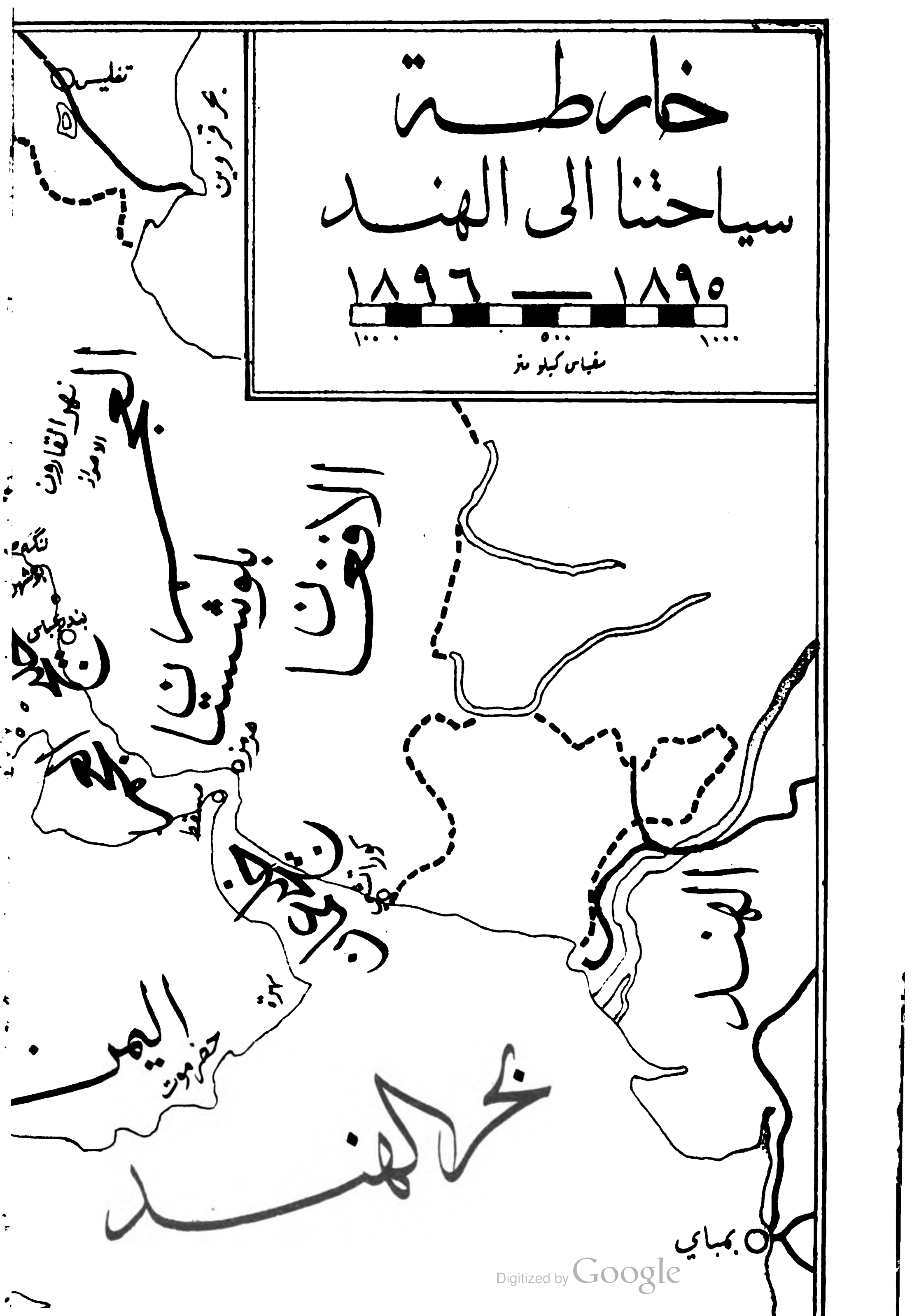
ثمَّ قمنا في منتصف الليــل لنسير سيرنا ودخلنا في ولاية ذلك الكردي المستبدّ الشهير بابراهيم باشا الذي كان زعيماً لقبيلة من الاكراد تُعرف بالمِلِّيَّة واذ عجز السلطان عبد الحميد عن ردّ غارات قومهِ اتخذهم كانصار للدولة فنظم تلك الفرق الحميديَّة التي حوَّلت جهات ما بين النهرين الى مآوي لصوص وكان ابراهيم باشــا من فرسانهم فلم يزل ينهب ويسلب حتى صارت تهابهُ كل الانحاء الواقعة بين نصيبين

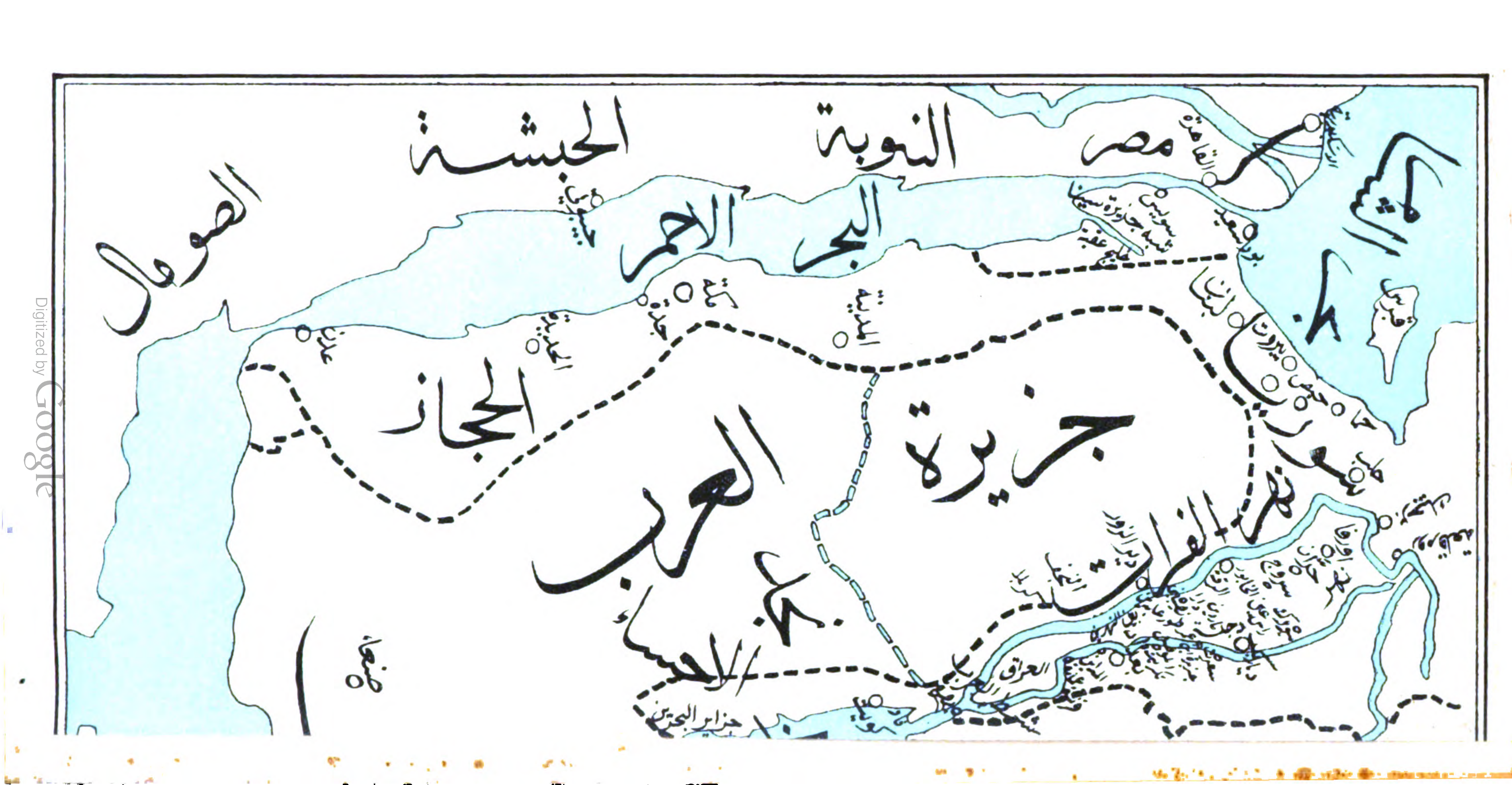
واورفا وجعل مركز حكمهِ في ويران شهر بلدة قديمة قيــل انَّها المدعوة في عهد الرومان بتغرا نوكرت (Tigranocerte) اشتهرت بواقعة عظيمة جرت بينهم وبين الارمن وفيها الى يومنا آثار جليلة تدلّ على عظمها السابق · فهذه المدينة اصبحت حاضرة ملك ابراهيم الكردي الذي جازاه عبــد الحميد عن لصوصيَّتهِ بلقب الباشا · فبقي متملكاً لتلك الانحاء قاهرًا لكلّ سلطة نظاميَّة الى خريف سنة ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور حيث أُرسلت الجنود العثمانيَّة لمحاربتهِ فكانت الدورة عليهِ وعلى اكرادهِ ومات هو قتلًا

ولمَّا مررنا في املاك ابراهيم باشــا لم يتعرّض لنا احد من اكرادهِ لانَّ اصحاب القفل كانوا امَّنوا نفوسهم بدفع شيء من المال كجزية جعلها عليهم · وممَّا شاهدناهُ من مآثرهِ في مرورنا انهُ كان بلغهُ بانَّ بعض عرب شمَّر كانوا يرعون نوقاً كريمــة عند نهر الخابور فارسل شرذمةً من اصحابهِ اغاروا عليهم واكتسحوا نوقهم ورأينا النوق المسلوبة تساق الى املاك ابراهيم باشا

وكان هذا الكردي مع ظلمهِ مسالمًا للنصارى يُحسن معاملتهم ويرغبهم في المجيء الى ويران شهر للمتاجرة · ولمَّا جرت تلك المذابح الهائلة في ديار بكر والرها وتلّ ارمن التجأ حضرة الاب دانيال الكبوشي في ماردين الى حماية ابراهيم باشا وطلب منهُ ان يردّ الاكراد عن مهاجمة ماردين ففعل واستحقّ بذلك ثناء النصــارى وجازتهُ فرنسة بوسام شرف على يد الاب دانيال · الَّا انهُ بعد ذلك تشدَّد ايضاً على النصارى واخذ اموالهم · واغتصب من السريان الكاثوليك كنيستهم فجعلها اهراء لغلَّاتهِ وبقيت تحت قبضتهِ الى ان قُتل فرُدَّت لاصحابها في ٦ ك ٢ من السنة ١٩٠٩

وفي مساء يوم الاربعاء بتنا في تلّ عبدة من القرى التابعــة لويران شهر · فيها مياه جارية الى الخابور احد سواعد الفرات كما مرّ · وفيهــا آثار خان ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٦٧) ونسبهُ الى المجد بن المهلَّب وزير الملك الاشرف موسى ابن العادل · وليس بعيدًا من تلّ عبدة عيون معدنيَّة كبريتيَّة يستحمّ بها بعض ذوي العاهات من اهل البادية وهي مهملة وفي جنوبيهــا على مسافة بضع ساعات مدينة قديمة تسمَّى رأس عين كان الرومان يدعونها مدينة ثاودوسيوس (Théodosio-polis) وقد دعيت برأس عين لعيون كثيرة تنبع فيها ثم تجتمع فتصير نهر الخابور


خارطة
سياحتنا الى الهند
١٨٩٥ ـ ١٨٩٦
١٠٠٠
٥٠٠
١٠٠٠
مقياس كيلو متر
تفليس
العجم
بلوجستان
الافغان
الهند
اليمن
بحر الهند
حضرموت
بومباي
مسقط
هرمز
بندر عباس



بحر الشام
قبرس
مصر
القاهرة
النوبة
الحبشة
الصومال
البحر الاحمر
جزيرة العرب
الحجاز
نجد
الاحساء
نهر الفرات
العراق
بورسعيد
سويس
لبنان
بيروت
حمص
حما
حلب
سوريا
اورفا
حران
سروج
دير الزور
النجف
كربلا
بغداد
كويت
جزاير البحرين
المدينة
مكة
جدة
الحديدة
جيبوتي
عدن
صنعاء

الذي يصبُّ في الفرات. ومن رأس عين هــذه كان احد مشاهير السريان في القرن السادس للميلاد ألا وهو سرجيس الرأس عيني احد نقَلة كتب اليونان الى السريانيَّة ولهُ عدَّة تآليف في الفلسفة وكان يعقوبيَّ النحلة . وفي اواسط القرن السابق اسكن السلطان عبد العزيز رأس عين قوماً من مهاجري روسيَّة من قبائل الشركس فقلَّ بهم الامان في تلك الناحية حتى غزاهم العرب فطردوهم . يبلغ اهلها اليوم ٢٠٠٠ نفس . وقد اكتشف البارون فون اوپنهيم (von Oppenheim) في رأس عين على آثار جليلة يُعنى اليوم باستخراجها من ردومها

وفي غلس يوم الخميس في ٣ من الشهر اذ رأيتُ البرد قارساً نزلت عن دابَّتي لاستدفئ بالمشي وسبقت القفل قليلًا واذا اعرابيَّان قاما في وجهي فاوقفاني بحجة الكرنتينة ولم يكن وقتئذٍ ذكر للهواء الاصفر في تلك الجهات وانما فعلا ذلك املًا بالبخشيش. لكنهما اذ سمعاني اتكلم بالعربيَّة ورأيا ان القفل ليس ببعيد لم يجسرا على أذاي فمشيت في طريقي دون معارضة. ولمَّا استوى عمود النهار رأينا واذا السماء كادت تحتجب علينا باسراب من الطيور القواطع وهي القطا من طيور البرّيَّة كانت في ابَّان انتقالها وقد ذكَّرتنا أُلوفها المؤلفة ومئات الوفها بسلوى بني اسرائيل والقطا جنس من السلوى مكتنزة اللحم كالحجل والعرب يلتقطونها ويبيعونها الواحد بفلسين

ونحن سائرون في الطريق اذ استقبلَنا قوم من الاهل والاقارب كانوا قدموا من ماردين لملاقاتنا ومرافقتنا فقضينا بقيَّة ذلك النهار بافراح الوصال والمؤانسة بالاحباب. وبتنا مساء في هلالي. وهي قرية ملتفَّة حول تلّ وفي اعلى التــلّ بيت يسكنهُ آغا المكان وهو من شيعة اليزيديَّة داخل في خدمة ابراهيم باشا. فزرناه ووجدناهُ لا يخلو من بعض المام بالتاريخ وباحوال الدولة فسرَّ بزيارتنا والقى علينا عدَّة اسئلة عن رومية العظمى. وممَّا قالهُ لنا انَّهُ وجد في كتبهِ انَّ رومية لا تصاب بعدوى منذ نُقل اليها جسم افلاطون فصار لها طلسماً . فاخذنا العجب من هذه السفاسف واذا بشيخ ضرير كان هناك اردف قائلًا: لم يعصم الله غير مدينتهِ مكَّة من كل ضلال وعُدوى. فأمَّن على قولهِ الحضور لكنَّ الآغا قاطعهُ بقولهِ: والله اعلم. امَّا نحن فقمنا مودّعين للآغا وشاكرين لطفه

واذ سنحت لنا الفرصة بذكر هؤلاء اليزيديَّة يحسن بنا ان نحيل قرَّاءنا الى مــا

كتبهُ عن هذه الشيعة واصلها وتاريخها ومذاهبها واقسامها (في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩) حضرة الاب انستاس الكرملي. وقد عدَّد هناك الامكنة التي يسكنونها وفاتهُ ذكر يزيديَّة ماردين وديار بكر وسويرك واورفا وحلب فانَّ عددهم يبلغ في تلك المدن او في جهاتها نحو ١٥,٠٠٠ نفس على انَّ عددهم الاوفر انَّما هو في جبل سنجار وفي قرى شيخان اللاحقة بولاية الموصل (١

قمنا من هلالي ساعتين بعد المغرب لنصبح في تلّ الارمن. فمشينا ثماني ساعات في ليلة مقمرة وسط سهول مخصبة تجري فيها انهار صغيرة قطعناها كنهر جرجيب ونهر زرغان من سواعد نهر الخابور وكان وصولنا الى تلّ ارمن عند طلوع الشمس. وكان اهلها — واكثرهم من الارمن الكاثوليك — في ذلك النهار مقيمين عيدًا عظيماً لرسولهم القديس غريغوريوس المنوّر وهم لابسون ثياب العيد وعلى وجوههم سمات الفرح. فاستبشروا بنا ورأوا في قدومنا مزيد افراح على العيد فاجتمعنا بهم وقدَّمنا الذبيحة المقدَّسة امام الشعب في كنيستهم المزينة بحليها الفاخرة

وقد سُررنا على الاخصّ بمقابلة كاهن تلّ ارمن بل سندها وعميدها حضرة الخوري يعقوب فرجيان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير الذي كنَّا عرفناهُ سابقاً وتواردت علينا الاخبار المنبئة بغيرتهِ فانهُ كان منذ نحو عشرين سنة لا يزال يصرف الهمَّة في تدبير رعيَّة تــلّ ارمن وتهذيب صغارها وكبارها فازدهرت بمساعيهِ ايّ ازدهار وصارت قدوة لنصارى تلك الانحاء بتقوى اهلهــا وآدابهم المشكورة. بل كان الاب يعقوب محبوباً لدى جميع اهل القرى المجاورة من نصارى ومسلمين فيقصدونهُ في حاجاتهم ويتحاكمون اليهِ في خصوماتهم ويدعونهُ لعيادة مرضاهم. فعدَّ حضرتهُ مرورنا بهِ في ذلك النهار يوماً سعيدًا كان يودّ ان يطيل فيــهِ بهجة الوصال لولا انَّ اصحاب القفل كانوا معوّلين على الوصول الى ماردين في اليوم عينهِ

كانت تلّ ارمن يوم اجتيازنا بها بلدة عامرة ينيف عدد اهلها على ٢٠٠٠ نفس لكن الاكراد بعد شهرين نهبوها واخربوا بيوتها وقتلوا بعضاً من اهلها وفرَّ الباقون

---

١) اطلب ما كتبهُ في السنة المنصرمــة الرحَّالة هوغو غروث (Hugo Grothe) في رحلتهِ التي عنوانها (Meine Vorderasienexpedition, p. 88-210)

الى ماردين ولولا الاب يعقوب الـــذي قاسى في نجاتهم اشدَّ الاهوال لذهبوا جميعاً فريسة همجيَّة الاكراد

وفي تلّ ارمن ردوم وانقاض متكوّمة تدلّ على انها كانت في قديم الزمان مدينة جليلة. والمظنون انها قامت في مكان مدينة دُنَيسِر الشهيرة في تاريخ القرون الوسطى وكان فيها كرسي للاساقفة

ماردين شمالي تلّ ارمن تعلو فوقها بنحو ٣٠٠ متر فيراها المسافر في وجهِ على مسافة يومين . واذا سار من تلّ ارمن عهدَها حصناً حصيناً حريزًا لا يُصعد اليهِ الّا بشقّ النفس او ظنها عشًا لا يأوي اليهِ سوى الغربان . فيقطع اوَّلًا سهلًا كثير المزدرعات ثمَّ يرقى شيئاً فشيئاً المعاطف المتصلة بالسهل الى ان يبلغ لحف الجبل الذي بُنيت المدينة في قمّتهِ فيتوغَّل في عقبة كؤود ومنافذ ضيقة منحوتة في الصخر ضُربت بوعورتها الامثال فيصعد فيها نحو ساعة من الزمان الى ان يؤدي بهِ المسير الى سور يكتنف المدينة وقد ثُلم قسم كبير منهُ بفعل الدهر واهمال الدولة

ثم تظهر المدينة منتشرة حول الجبل تركب بيوتها بعضاً فوق البعض كانَّها الدرج المتصاعد وفي رأس الجبل صخور عظيمة منتصبة كانَّها قلعة حصينة شيَّدتها الطبيعة لحفظ المدينة في حماها. وعلى هذه القلعة الطبيعيَّة شيَّد البشر قلعةً ثانية صناعيَّة اكلت حوازتها فائتلفت القلعتان ائتلاف المثل بالمثـــل واهل ماردين يدعون قلعتهم القرقس ويروون عنها اخبارًا عجيبة ومن رآها ظنَّ انهُ ليس قلعة احصن منها ولا احكم بنياناً ولا ابدع منظرًا. والراقي اليها يشرف على بساتينها الممتدَّة في شمالهـــا وشرقها ويكشف على عدَّة مدن وقرى في جنوبها وغربها الى مسافة بعيدة وهو منظر فتَّان لا يُحصل عليهِ في غيرها من البلدان

فالى تلك المشارف كان صعودنا بعد ظهر ذلك النهار والشمس ترسل علينـــا اشعَّتها المحرقة فتذكَّرنا بعض قُلل لبنان الشاقة رقيناها في سياحاتنا السنويَّة لكننا صبرنا على التعب ونحن نعلم بما سنجدهُ في ماردين من الراحة ورطوبة الهواء والمناظر الرائعة

وما اعتلينا فوق آخر ربوة حتى سمعنا هتاف الوافدين من المدينة لاستقبالنا من اصحاب واقارب وكهنة فنبهتنا لجلبتهم ونحن لم نكن منتظرين قدومهم فدخلنا

ماردين في موكب حافل وسرنا قبل كل الى كنيسة الكلدان لنشكر الله على تسهيل طريقنا وسلامتنا (لهُ بقيَّة)

النصرانيّة وادابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في الجزيرة (تابع)

ثم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بيَّنَّا سابقاً بنصرانيَّة بني اياد بن نزار (المشرق ١٤ : ٨٨٩) سواء قيل انَّهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر . قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥): « وكانت النصرانيَّة في ربيعة » . وقال صاحب السيرة الحلبيَّة (ج ٣ ص ٩٥) : « ومن قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام». وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلاً بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني مَعدّ وتنوخ وعقيل (١. وجاء في ترجمة ماروثا اسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة اساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس

---

١) اطلب الآثار السريانية بجموعة لند (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50) وفي منتخبات لاكرد (Lagarde: *Analecta Syriaca*, p. 108)

٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢ : ٤١٠)

الشهيد في الرُّصافة (Sergiopolis) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ٣٠٩):

لمَّا رأونا والصليب طالعا ومار سرجيسٍ وموتًا ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا خلّوا لنا راذان والمزارعا

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجِسَ تتقي شهباءَ ذات مناكبٍ جمهورا

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامنًا ويؤيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن اديرتها هناك فممَّا ذكرهُ ياقوت (في معجم البلدان ٢: ٦٤١ — ٧١٠) دير الابيض قرب الرها وهو مشرف على حرَّان. ودير أُحويشا بسعرت (قال: فيهِ ٤٠٠ راهب). ودير باثاوا بقرب جزيرة ابن عُمَر. ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر. ودير باطًّا بين الموصل وتكريت. ودير بانخايال (او مخائيل) في اعلى الموصل. ودير الرُّصافة قرب الرقَّة. ودير الرمَّان بين الرقَّة والخابور. ودير الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر. ودير الزعفران (مرَّ ذكرهُ). ودير زكَّى على باب الرها. ودير صلوبا من قرى الموصل. ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر. ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصل وباجرمي. ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهباً. ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا أُصيبوا بداء الكَلَب فيبرأون. ودير لُبَّى على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير. ودير مرتوما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدَ بينها وبين جزيرة ابن عمر. ودير مرماعوث على شاطئ الفرات. ودير مر يوحنَّا الى جانب تكريت على دجلة. ودير منصور مُطلّ على نهر الخابور. ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير انَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ اواسط القرن الخامس تشوَّهت باضاليل البدع

ولاسيا البدعة اليعقوبيَّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة واوقعتها في لُجة الضلال

قال يوحنا الافسسي في تاريخهِ السرياني انَّ ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتَّت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١). على انَّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاحرى بهم ان يلقوها على سوء تصرُّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليبثُّوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأحودمه (٥٥٩ — ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي اخبر عنهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ (٢) « انهُ لمَّا صار مفرياناً على المشرق ذهب ليدعو الى النصرانيَّة القبائل العربيَّة الساكنة في الخيم وردَّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهباناً وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنَّا والآخر دير جثَّان بقرب تكريت »

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصرهِ نقل الى السريانيَّة عدَّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو والَّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدَّس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولاء بين قبائل العرب. وميامرهُ بالسريانيَّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي اخبار الاخطل وقومهِ وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائلهِ القيسيَّة شواهد لامعة تبيّن انَّ النصرانيَّة بقيت بين عرب الفرات زمناً طويلاً بعد الاسلام في عهد بني اميَّة

الباب التاسع

النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَّة

انَّ في شمالي سوريَّا مفاوز متسعة تمتدُّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل

---

١) اطلب كتاب العلَّامة نولدك في امراء غسَّان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen Fürsten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة ابَلوس (Abbelos: *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100)

الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقاً حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت ايضاً من قديم الزمان محطًّا لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكّان المدن وهناك تسرح مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتدّ عليها القيظ تقرَّبت من الارياف او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام ديارًا لقبائل عربيّة جليلة اخصُّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتَّصل بالفرات شرقاً في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص١٢٩): «امَّا كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض الغوطة عامر بن الحصين وابن رباب المعقلي»

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها:

وان جُزْت جبل عاملة تريد قَصْد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسَّان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعتَ في ارض بهراء... ثم من ايسرِهم مّما يصل البحر تنوخ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات الى بالس في برية خُساف وهي من الدهناء. ومنهـا تخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

«وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميَّة والعاصميَّة وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منّس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حدّ وادي بطنان»

لا شكّ انَّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيهـا لم تُحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى بهِ دليلًا لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وانحاء الرها وكلها بلادٌ اصابت سهماً معلًى من الدعوة المسيحيَّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقيَّة الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الانحاء تعدَّدت في القرون النصرانيَّة الاولى الكراسي الاسقفيَّة وليس

في المدن فقط بل في القرى ايضاً حتى الصغيرة (μικροκωμίαι) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالتهِ ١٩٠ الى امفيلوخيوس (١

وورد في الآثار الكتابيَّة او التواريخ القديمة اسماء عدَّة اساقفة كانوا يسوسون الرعايا المتفرّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقَّع كثيرون منهم على اعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافسسي والخلقيدوني

وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزڤال في مقالتهِ عن زينب (المشرق السنة الاولى ص ٩٨٧ — ٩٩٠) ما كان للنصرانيَّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء. كما ظهر ذلك النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السميساطي فحضرهُ ثمانون اسقفاً وحرموهُ

وقد صرَّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيَّة تلك الاصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (٢ : « ان اقاليم سوريَّا كلها مع بلاد العرب التي تمدُّها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيَّاح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصتهُ العجيبة القديس ايرونيموس (٣ وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩ : ٦٥٨) والقديس سمعان العمودي الذي مرَّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب اليهِ. وقد افاد تاودوريطس (٤ في تاريخهِ ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون الى عمودهِ وانَّهُ نصَّر منهم الوفاً مؤلفة (Ismaelitarum millia innumerabilia). وفي حياة القديس نونوس انهُ لما كان في بعلبك عمَّد ثلاثين الفاً من العرب (٥

ويُضاف الى ما تقدَّم ما وجدهُ الاثريون في شمالي سوريَّا من الآثار النصرانيَّة

١) اطلب مجموعة مين (Migne, P. G. t. 32, col. 697)
٢) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس
٣) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)
٤) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)
٥) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)



الاثر المكتشف في زَبَد قريباً من حلب وفيهِ كتابة بثلاث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح . والكتابة العربيَّة طُبعت منفردةً

العديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانيَّة بديعة غنيت بها متاحف اوربَّا وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في المشرق ٩ : ٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفهُ رحَّالة اوربي قبل ١٢ سنة في زَبَد ليس بعيدًا عن حلب فيهِ كتابة بثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخهُ باليونانيَّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح. وهو اوَّل اثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠ سنوات قبل الهجرة. وهذا الاثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس. وهذا يثبت ما قلناه سابقاً عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد. واخبر ساويرس البطريرك الدخيـل وزعيم البدعة اليعقوبيَّة ان عرب البادية كانوا اذا تنصَّروا يطلبون المعمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا (روى ذلك في ميمرهِ السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الاوَّل سنة ٥١٤ اعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١

ومن الشواهد التاريخيَّة المثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريّا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنَّا اسقف افسس من كتبة القرن السادس انهُ لمَّا حصل الانقسام بين الملكيين واعداء المجمع الخليقدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوَّارين. وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمناً طويلًا بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليهِ ياقوت الحموي (٤ : ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ اهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريَّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهَمْداني انَّ السهول الواقعـة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكَّانها من غسَّان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى السماوة المتـدَّة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلميَّة حتى سُمّيت تلك الجهات بادية كَلْب. فهذه القبائل كلها كانت نصرانيَّة فامَّا غسَّان وتغلب وتنوخ فقـد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب. ودونك الادلَّة على تديُّنها بالدين المسيحي

---

١) اطلب مجلة الابحاث الشرقية (Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587)

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الاصل التي اجمع الكتبة على تنصُّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شرك كلب بل كثيراً ما يصرّحون بنصرانيَّة اعيانهم كبحدل بن عُنَيف من سادتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكفرافصة الكلبي ابي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفَّان

وذُكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انَّ بني كلب كلهم كانوا نصارى ». وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢١٩) انهم دخلوا في دين النصرانيَّة

ولمَّا ظهر الاسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدَر كلب اي اهل البادية فقال: « اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانيَّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص ٣١٥) فقال عنهم « انهم مسلمون في اخلاق النصارى » واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص ١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٦٢) انَّ بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيتهِ فمنحه يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ پروكوپيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخهِ انَّ هرقل « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليهِ من الاعراب وأمَّر عليهم قائدًا من قوَّادهِ يقال لهُ ماهان » (٢

فترى من هذه النصوص ان كتبة العرب ايضاً يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيَّة الى القبائل المتفرقة في شمالي سوريَة (لهُ بقيَّة)

١) اطلب (Procope, de B. P.,I, 19)

٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

كلمة في مجلّة الكلمة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿ مقدمة ﴾ في نيويرك عاصمة الولايات المتحدة « مجلّة روحيَّة ادبيَّة تاريخيَّة كنائسيَّة تصدر مرَّتين في الشهر لمنشئها الاسقف رفائيل هواويني » وهي منذ ابتداء هذا العام الجديد قد دخلت في سنتها الثامنة وترى شعارها على غلافها قول الرسول الى تلميذهِ تيموتاوس « اكرز بالكلمة واعكف على ذلك في وقتهِ وفي غير وقتهِ »

وما كنَّا لنتعرَّض لهذه المجلة في ادراك غايتها الشريفة حتى ولو كرزت بالكلمة في غير وقتها ما دامت جاريةً على خطة العدل بل نُسَرّ ايّ سرور اذ نشاهد من يعضدنا في مناصرة الدين والدفاع عن حياض الآداب سواء كان منَّا او من غيرنا اذ نعدُّ منَّا كلّ من ليس هو ضدَّنا

والحقّ يقال اننا وجدنا في « الكلمة » عدَّة مقالات اثنينا على كتبتها منها تفاسير حسنة لبعض فصول الكتب المقدَّسة ومنها شروح لبعض الطقوس البيعيَّة ومنها مباحث روحيَّة او كنسيَّة جديرة بالذكر وبينها ايضاً ردود على اهل الكفر كرينان وتلستوي وغيرهما وتزييف لاعمال مستكرهة يأتيها اصحاب الخلاعة والماسون

فكلّ ذلك ممَّا يستوجب الثناء على مجلة الكلمة لو لم يتحرَّش منشئها للدين الكاثوليكيّ في اشياء كثيرة لم يُصب في روايتها البتَّة بل اظهر من التطرُّف ما لا يليق بمقام اسقف مثلهُ . ولا يعذرهُ كونهُ نقل بعض هذه المرويّات عن منشورات غيرهِ فانَّ الرجل العاقل لا يروي شيئاً ما لم يتحقَّق صدق قائلهِ ويسبرهُ بمعيار الانتقاد والتروّي . ودونك الشواهد على قولنا ننقلها من بعض اعداد الكلمة في سنتها الاخيرة :

فمن الامور التي ابدى فيها منشئ الكلمة حقدهُ على الكنيسة الكاثوليكيَّة مسألة الاب مسكيمليان الكاهن الكاثوليكي وامير سكسونيا . وقد روت الجرائد الاوربيَّة الصادقة ما نشرهُ هذا الكاهن الشريف المغرور بصفاء نيتهِ من المزاعم الدالَّة على قلة ترويهِ في البحث اذ كتب مقالة في اوَّل عدد من مجلة جديدة اسمها

« رومية والشرق » بشحنها بالاقوال غير السديدة بل المناقضة تماماً للحقائق التاريخيَّة وتعاليم الكنيسة . فما وقف عليها قداسة الحبر الاعظم حتى نشر منشورًا فنَّد فيهِ تلك المزاعم الباطلة اجمالًا وبيَّن انَّ كاتبها لم يتحرَّ البحث في ما نشرهُ وانَّهُ انخدع بسذاجة فطرتهِ وحسن طويتهِ . ثم قام الكتبة الكاثوليك وزيَّفوا الاضاليل المتعدِّدة التي في تلك المقالة فصلًا فصلًا مع ثنائهم على فضل الكاتب وصدق سريرتهِ كما ظهر برسالة اسرع الاب مكسيمليان فقدَّمها لقداسة الحبر الاعظم معلناً بخطاءِ ومصرِّحاً بخضوعهِ وانابتهِ . فكان خضوعهُ دليلًا لامعاً على سلطة الكنيسة المقدَّسة في كل ابنائها من اي مقام كانوا حتى الامراء منهم ولم يجد احد من الكاثوليك بل ملك سكسونيا نفسهُ اخو الكاهن المذكور ان البابا بيُوس العاشر تجاوز في عملهِ حدود الحكمة

الَّا انَّ بعض اعداء الكنيسة رأوا في هذا الحادث فرصة ليتحاملوا على الديانة الكاثوليكيَّة . وكان من جملتهم صاحب الكلمة الذي لم يكتفِ بان نشر رسالة الاب مكسيمليان في اعداد مجلتهِ دون ان يروي تفنيدها تاريخيًا وعلميًا للحبر الاعظم ولكتبة الكاثوليك بل زاد عليها اقوالًا ضاعفت اغلاطها واضاليلها وبينما كنَّا نرى سموَّ الكاهن يجاهر بغلطهِ ويسترجع ما كتب كان منشئ الكلمة يستصوب ذلك الغلط ويستقبح خضوع الاب مكسيمليان لرؤسائهِ وينسب اليهِ سوء التصرف وذلك باقوال لا يقدم عليها رجل كريم مع احد امثالهِ فضلًا عن امير شريف كالاب مكسيمليان فدعا اقرارهُ بغلطهِ « مخالفة لحرِّيَّة ضميرهِ » (ص ١٤٤) و« تذلُّلًا » و « خضوعاً اعمى » و « انهُ اقدم على ندامتهِ امَّا خوفاً من تهديدات او اذعاناً لرجاوات (كذا) حتى يكون تظاهرهُ بالندامة والخضوع كحجة بيد الناتيكان على طمس نور الحقيقة الذي يسطع من خلال كل سطر من سطور مقالتهِ البديعة الخ » (ص ١٤٤) فندع الحكم للقرَّاء في هذا الكلام القارص وما اشبههُ . ولو كان منشئ الكلمة عادلًا لَروى تفنيد الحبر الاعظم وعلماء الكاثوليك لمقالة البرنس فامكن القرَّاء ان يعرفوا اين الحقيقة بالمقابلة لا بل كان يكفي السيد هواويني ان يمعن النظر في تلك المقالة ليرى اغلاط صاحبها العديدة لايرضى ببعضها الروم نفسهم

ومن عجيب صنيع الاسقف رفائيل انَّهُ روى في عددهِ السابع (ص ١٤٣) ما

كتبهُ لسموّ البرنس ذلك الراهب الجاحد ياكنتوس لويزون (H. Loyson) وجواب الكاهن الامير عليهِ حيث يحضُّهُ ان يعود هو ايضاً الى حجر الكنيسة بالتوبة الصادقة . ثم ما لبث في العدد ١١ (ص ٢١٤) وقال انَّ هذا الجواب الذي رواهُ انمَّا هو « تزوير جزويتي » ناقلًا الخبر عن مجلة « بنتينوس » الاسكندريّة . فزاد الطين بلةً وفي قدرهِ انحطاطاً اذ انَّ الجرائد العديدة التي روت تلك الرسالة (مع قطع النظر عن صحّتها) ليس بين محرريها راهب يسوعي واحد . وبتسميتهِ لنا « جزويتاً » بيَّن لقرائهِ حسن ذوقهِ ولطف طباعهِ كأنَّهُ اذا دعانا « جزويتاً » سوَّد وجهنا خزياً ونحن مهذّبو ابناء طائفتهِ واشراف ملّتهِ الاورثذكسيَّة

ثم فليسمح لنا صاحب مجلة الكلمة ان نسألهُ اين وجد في منشور قداسة الحبر الاعظم للاب مكسيمليان ما نسبهُ اليهِ (ص ١٤٢) حيث قال : « على انَّ الاغرب من هذا هو ان هذا المنشور الباباوي يحصي في عداد الهرطقات القطيعة مسحة الميرون المقدَّسة التي يتممها الكهنة الشرقيون » فيا لله اليس عار على اسقف ان يأتي بمثل هذا المدَّعى الزور وليس في منشور امام الاحبار شيءٌ من ذلك . وكفى بقولهِ برهاناً على انَّ الاسقف رفائيل كتب ما كتب دون ان يطَّلع على منشور البابا بيوس العاشر او انَّهُ لم يفهم معناهُ ودونك ما قال الحبر الاعظم :

« ومن الضلالة ايضاً قول الكاتب انَّ كل كاهن يحقّ لـهُ ان يمنح سرّ التثبيت ويكون فعلهُ صحيحاً :

فمعنى هذه العبارة انَّ سرّ مسحة الميرون كما علَّمتهُ الكنيسة في كل الاجيال لا يجوز ان يمنحهُ الكهنة (على الاقل في الكنيسة اللاتينيَّة) الَّا بتفويض من الحبر الاعظم . لان خادم الميرون انمَّا هو الاسقف كما يظهر من سفر الاعمال (٨ : ١٧) . والعادة الجارية في الكنائس الشرقيَّة ان يمنح الكاهن سرَّي المعموديّة والميرون معاً فقد تساهل الباباوات بترخيصها لكهنة الكنائس الشرقيَّة

فانظر يا رعاك الله الفرق بين قول الحبر الاعظم وما نسبهُ اليهِ الاسقف هواويني في مجلة الكلمة وليحكم المنصفون

ونزيد برهاناً آخر على عدم انصاف الكاتب انهُ نقل رسالة البرنس مكسيمليان الكاثوليكي التي كانت هفوةً منهُ ولم يُفد قرَّاءهُ بترجمة رسالة اخرى نشرها سيادة

المطران جراسيموس مسرَّة مطران بيروت على الروم الارثذكس في مجـلات اوربا واتى فيها بكلام مملوء رقَّة عن اتحاد الكنيستين . فما لهُ سكت عن هذه المؤلفة للقلوب (وان اشار اليها ص ٣٣٢) ثم اثبت تلك الباعثة للاحقاد ؟

*

وقد ظهر مرارًا اخرى بغض منشئ الكلمة للكنيسة الكاثوليكيَّة ولحبرهـا الجليل الذي اجمت كل الممالك على اكرامهِ والاقرار بفضلهِ السامي وذلك بما نقلهُ في عددهِ ١٠ (ص١٩٥) من « البابوية والحكومات الاوربيَّة » فزعم انَّ الحبر الاعظم بمناشيرهِ الجليلة في الاضاليل العصريَّة هيَّج على الكنيسة الكاثوليكيَّة الحكومات الاوربيَّة وليس هناك هيجان البتة الَّا من بعض الافراد العُصاة المستسلمين لتلك الاضاليل التي تتهدَّد الكنيسة الكاثوليكيَّة بل تتهدَّد كل دين . فيا ليت شعري اما كان احرى بالاسقف رفائيل ان يشكر قداسة البابا على وضعهِ سدًّا بازاء الكفر والفساد وهما السلّ الادبي والسلّ الديني اللذان وصفتهما الكلمة في عددها التالي (ص ٢٠٧ — ٢٠٨)

ومنها ما ذكرهُ عن تلك الحفلات الشائقة التي أُقيمت في اميركا في نسبة اليوبيل الذهبي للكردينال جيبونس حيث اتفق على اطراء ذلك الرجل العظيم كل الاميركيين على اختلاف نزعاتهم واديانهم فما كان من امر السيد هواويني الَّا ان شذَّ وحدهُ عن تلك المظاهرات ويا ليتــهُ سكت لكنهُ روى ذلك الخبر (ص ٢٧٢) تحت عنوان « سياسة التملق والمداهنة » ولام الكردينـــال جيبونس عن رضاهُ من مدح الاميركيين حتى الرئيسين روزفلت وتافت لوطنيَّتهِ . زه ! زه !

ومنها مـــا رواهُ في عددهِ ١٦ (ص ٣١١) عن منشور البابا في اختصار عدد الاعياد في الكنيسة اللاتينية . وكل يعرف انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يأتِ على مثل هذا الامر الَّا بعد الفحص عن الاسباب الموجبة لذلك ومراعاةً لاحوال الدول لكنَّ السيد هواويني على مألوف عادتهِ رأى في هذا العمل البابوي مطعناً فعاد بعد حين (في العدد ٢ من السنة الثامنــة ص ٤٧) وزعم انَّ المنشور البابوي هيَّج خواطر الاساقفة الكاثوليك « وان الحضرة البـــابوية اضطرَّت الى اصدار اوامر جديدة تزيد عدد الاعياد » وليس في كلّ هذه الروايات ذرَّة من الصحة وانما هي

اختلاقات محضة من صاحب الكلمة . ومن الدلائل التي تبيّن تطرُّفهُ الذميم انَّهُ زعم (ص ٤٨) ان البابا جعل عدد اعياد البطالة « اقلَّ باربعة من عدد التي سمحت بهِ الثورة الافرنسيَّة » وكلٌّ يعلم حتى صغار مدارسنا انَّ اعياد البطالة في فرنسة هي اربعة امَّا المنشور البابوي فجعلها ثمانية اعني انها « اكثر باربعة » من عدد تلك الاعياد لا « اقلّ » . امَّا قولهُ « بانَّ الثورة الافرنسيَّة سمحت بهذا العدد » فانَّهُ دليل جديد على خبطهِ لانَّ الثورة الفرنسويَّة كانت ابطلت كلَّ الاعياد حتى الآحاد وانمَّا الحبر الاعظم بيوس السابع بمعاهدته مع نابوليون حصر تلك الاعياد في اربعة . فانظر كم من الاغلاط في بعض اسطر . وعليهِ نرذل قول الكاتب حيث قال (ص ٤٨) « فكان عملهُ هــذا (اي عمل قداسة البابا) باعثاً على الظنّ بانَّ البابا بيوس العاشر الذي اظهر صرامة شديدة في المضايقة على المودرنستيين هو نفسه مودرنستي في الخفاء » . فما احلى هذا التهكُّم في فم السيد هواويني غير انَّ سهمهُ طاش فعاد الى نحرهِ

وفي هذه الصفحة عينها نبذة عنوانها « الاكليروس الباباوي والحرب الايطاليَّة التركيَّة » كلها طعن وثلب نقلها صاحب الكلمة عن جرائد معادية للحبر الاعظم كذَّبها المسلمون انفسهم (١ ولولا ذلك لما كان جلالة السلطان محمد الخامس من جملة الملوك المرسلين لرأس الكنيسة المنظور التهانئ بقدوم العام الجديد

وفي العدد ٢٤ (٤٦٧ — ٤٧٢) بحث طويل عنوانهُ « فصــل من الدسائس الباباويَّة لتمريق ابناء الكنيسة الارثذكسيَّة » جاء فيهِ الاسقف بالعجائب والغرائب فزعم هناك انَّ الكاثوليك ولا سيما رهابين اللاتين كما يدعوهم يتخذون في روسية « كل طرق الدسائس والمكايد ووسائل الاكراه والخــداع لتمريق الروسيين الارثوذكسيين الى الكاثوليكيَّة » بل زعم انَّ « الجزويت » في مقدَّمــة اولئك الرهابين في هــذه الاعمال المذمومة وللكاتب هناك اكثر من اربع صفحات يشنّع فيهــا اعمال اللاتين وقحة الجزويت وينادي بالويل والثبور بحيث يظنّ القارئ انَّ الكثلكة كلها قد اقتحمت على روسية الارثذكسيَّة لتستأصل شأفتها وتبيد مذهبها

١) وفي الكلمة عينها تكذيب لهذه الاشاعات في مقالة الشمَّاس عمانوئيل ابي حطب (ص ٤٢٩—٤٣٠) حيث يلوم جريدة البلاغ عن اهانتها للحضرة البابويَّة « لمجرَّد كونها الرئاسة الدينيَّة للديانة التي يدين بها الطليان » فكان حضرة الشمَّاس انصف من سيادة الاسقف

وان سألت ما في كل هذا الصراخ من الصحّة اجبنا انَّهُ لا احد يجهل مضايقات روسيَّة على البولونيين منــذ مئة سنة بنيف وكيف سعت بالف وسيلة ان تدخلهم في المذهب الارثذكسي شاؤوا او أبوا وهم لا يزالون يجاهرون بايمانهم الكاثوليكي ويقاسون لاجلهِ ضروب العذابات. وكانت روسيَّة ظنَّت في هذه الازمنة الاخيرة انَّ هؤلاء الكاثوليك نسوا دينهم واضحوا عريقين في الارثذكسيَّة فلمَّا نادى القيصر بحريَّة الاديان قبــل خمس سنوات اسرع اولئك المقهورون الى المجاهرة بالكثلكة وعددهم يبلغ نيِّفاً ومئة الف فهذا ما حرَّك بغض الارثذكس عليهم فاخذوا يندّدون بالرهبان اللاتين زاعمين انهم خدعوا اولئك الروثنيين كما نقلت الامر جميع الجرائد الحرَّة ولذلك عادت روسيَّة وألغت فعــلًا سنَّة حريَّة الاديان خوفاً من ارتداد كل الروثنيين الى الدين الكاثوليكي

امَّا نسبة صاحب الكلمة الى « الجزويت » هذه الدسائس المزعومة في روسيَّة فهو افتراء فظيع اذ كلٌّ يعلم انَّ الدولة الروسيَّة نفت اليسوعيين من بلادها منــذ ٩٠ سنة فان دخل احد منهم الى اقطارها حُكم عليهِ بالسجن المؤبَّد او بالنفي الى سيبريا. فلينظر القرَّاء مبلغ السيد هواويني من العلم والانصاف . ومثلهُ زعمــهُ (في الصفحة ٣٣٣) ان « الجزويت يتجوَّلون في مدن روسيَّة بلباس علماني » وان « الاب فرتسنسكي » هو زعيمهم فكلهُ افتراء اذ ليس في رهبانيتنا احدٌ بهذا الاسم. وان امكن الكلمة ان تأتي بالبراهين على قولها شكرنا فضلها. ولكننا لا نشكُّ في انَّ ضرباتها في الهواء لا تؤذينا

بل قل بالحري انَّ صاحب الكلمة يشرفنا اذ يضربنا بفقَّاعاتهِ كما يشرّف الكنيسة الكاثوليكيَّة فلا يدع فرصةً الَّا ويخصنا بالذكر فتارةً ينسب الينــا اسباب الثورة البرتغاليّــة (ص ١٩٣) وتارة يحدّث قراءهُ عن تزويراتنا (ص ٢١٤) ودسائسنا (ص ٣٣٣) وكأنَّهُ يدعونا الى « التساهل الديني » (ص ١٩٦) في ذكرهِ « لرواية اليهودي التائهِ في بيروت » وقد حكم في تمثيلهــا المسلمون نفسهم حكماً انصف من حكمهِ (راجع كتاب معرض الافكار الذي جمعهُ جناب يوسف افندي الغلبوني)

وتراه مع هــذا راصدًا لاحوال الكاثوليك حتى اذا وجد فيهم مغمزًا للحال صوَّب اليهِ سهام الملام وهو في الغالب غير مصيب

فمن ذلك انَّهُ استقبح مناظرات الكاثوليك والبروتستانت في اميركا الشماليَّة (ص ٦٧) كأَنَّهُ يريد ان يستسلم الكاثوليك للاضاليل البروتستانيَّة فيمترجوا معهم بالدينيَّات

ومنها أَنَّهُ انتقد (ص ٤٤ من السنة الثامنة) على السيد «أَمّت» رئيس اساقفة باريس تحريمهُ لكتاب الكاهن كلارا في «زواج الكهنة» كأَنَّهُ يريد ان يتغلّل الاكليروس الغربي بأغلال الزواج التي افقدت الاكليروس الشرقي شيئاً من شرفهِ وغيرتهِ (راجع مقالتنا في زواج الاكليروس في المشرق ٩ : ٨٠٠) . واغرب من ذلك أَنَّهُ اخبرنا (ص ٥٢) انَّ المترملين من كهنة الكنيسة الارثذكسيَّة طلبوا ان يتزوَّجوا ثانية وانَّ المسألة تحت البحث «وسيجرون بموجب قرار الاكثريَّة» . فانظر رعاك الله ما صار اليهِ جهل صاحب الكلمة بقوانين الكنيسة والمجامع !

ومنها أَنَّهُ جعل (٨ : ٣٧) الكاثوليك بمنزلة البروتستانت والماسون في معاداة الارثذكسيَّة

ومنها انهُ نسب (ص ٤٧٣) الاستياء للآباء الفرنسيسكان على قداسة الحبر الاعظم لانهُ (على قولهِ) «اصدر رقيماً بالغاء استقلال الطغمة الفرنسيسكانيَّة اعتبارًا من اوَّل تشرين الثاني الماضي وبانضمامها الى الطغمة الكبوشيَّة» وهو خبر عارٍ من كل صحة رواهُ فقط تنديدًا بالكرسي الرسولي بل خلط شعبان برمضان

وكم هناك من تسميعات وتلميحات يطول بنا ذكرها تُشعر كلها بانَّ صاحب الكلمة يُسكِت في ضميرهِ صوت الحقّ والعدل ليتشفَّى من الكنيسة الرومانيَّة امّ الكنائس وسيدتها . فان رأى في عينها قذًى أَوَ ليس الاجدر بهِ ان يفكّر في الخشبة الانجيليَّة ولا عجب ان يطعن في الكاثوليك واليسوعيين وهو يطعن في الكنائس الارثذكسيَّة وكفى شاهدًا على قولنا ما تبلّغنا الكلمة من اصداء الخصامات الواقعة بين الروم والاخطار المتعدّدة التي تتهدَّد الارثذكسيَّة . فليراجع مثلًا ما كتبهُ (ص ٢٨) عن الانشقاقات الشائنة الواقعة «بين البطريركيَّة الاورشليميَّة واعضاء اخويَّة القبر المقدّس اليونانيَّة» وعن قلاقل تلك الكنيسة واضطراباتها (ص ٣١٢ و ص ٤٣٣) وما اخبرهُ عن اولئك الرهبان الذين دعاهم «ذئاباً خاطفة في لباس حملان» (ص ٣١) وما رواهُ عن تداخل الاضاليل البروتستانيَّة

بين الارثذكس (ص ٣٠) وكذا الماسونيَّة (٨ : ٣٥–٣٧) . وما افادهُ عن تصرُّف البطريرك داميانوس باوقاف القبر المقدس (ص ٣٣) وما حصل من الخصومات بين الشعب والبطريرك فوتيوس الاسكندري (ص ٢٧٣) وبين اهل مرجعيون والبطريرك الانطاكي (ص ٤٣٥) والخلافات الواقعة في ابرشيَّات بيروت (٨ : ٨٢) وزحلة (٨٣) وحلب (٨٤) وطرابلس (٨٥) أفهذا كلهُ لا يكفي لسيادة اسقف بروكلن ليدع الكاثوليك وشأنهم ويصرف همهُ الى اصلاح ما نسبهُ من الخلل الى ذويه. ارشدهُ الله الى الصواب والانصاف

الترقي العلمي في العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نجعل هذه النبذة العلميَّة كملحق لحوادث العام الماضي التي رويناها قبلًا (ص ١ و١٢٦) وليس فكرنا ان نستقري العلوم كلها لانَّ المجلَّات العموميَّة تضيق عن وصف ما يبدعهُ العلم كل يوم من الاختراعات في ضروب الفنون والمعارف فنكتفي بلباب ما روتهُ المنشورات الخاصَّة

١ علم الهيئة

في منظر الافلاك جاذبٌ عظيم الى رصد اسرار السماء. ولذلك ترى المراصد تتوفَّر في كل انحاء العالم المتمدّن وترتبط بعضها ببعض لزيادة الفائدة بجمع الكلمة. وممَّا يساعد على ضبط الارصاد وضع خارطة عظيمة تشتغل في رسمها عدَّة جمعيَّات علميَّة دوليَّة وقد ظهر منها الى الآن عدَّة قطع كبيرة رأيناها في مرصدنا في كسارا فهي حقيقة من الاعمال الشريفة التي ستجعل للقرن العشرين ذكرًا مخلدًا. ولفرنسة في هذا العمل حصَّة كبيرة وكذلك المرصد البابوي في رومية يتولى قسماً منهُ

ثم انَّ فنَّ الفوتغرافيَّة قد افاد افادة عظيمة في كشف نجوم صغرى لم تستطع الآلات الفلكيَّة المكبّرة الوقوف عليها. فصار التصوير الفوتغرافي شقيقاً للمجهر في رصد الافلاك وفتحت اكتشافاتهُ باباً للابحاث بل اتت بمشاكل عويصة يسعى في حلّها الفلكيون ولم تخطر سابقاً على بالهم

ومما وجه اليهِ العلماء نظرهم في العام الماضي جملة من النجوم تظهر في السماء على اقدار مختلفة فعدَّدوا رصودها وبحثوا عن تعليل الاختلافات الجارية فيها

وكذلك عني الفلكيون بدرس المذنَّبات بعد ظهورها في العام السابق حيث لاحت المذنبات الجميلة كمذنبة اينِس (Innès) التي سطع ضوءها وكان ذنبها لامعاً منتظماً ثمَّ مذنبة دانيال التي جاءت على غير انتظار ثم مذنَّبة هلَّاي المنتظرة منذ ٧٠ سنة والمزيّنة للسماء ببهائها فكلّ هذه المذنَّبات وغيرها ايضاً اصغر منها تمكَّن الفلكيون من درس احوالها واخذوا منها الوفاً من الصور الفوتغرافيَّة اهتمُّوا في السنة ١٩١١ باستخلاص مكتوناتها ومعرفة خواصها فوجدوا بينها اختلافاً عظيماً من حيث نواتها ونور اذنابها وهيئات تلك الاذناب. وقد جاءت في هذا العام مذنَّبات أخرى ساعدت العلماء على مواصلة دروسهم في تلك النجوم الغريبة اخصُّها مذنَّبة بروكس التي كنَّا نراها بالعين المجرَّدة في شهري ايلول وتشرين الاوَّل وخُصَّت بريشاتها المتعدّدة. وقد ظهرت في السنة سبع مذنَّبات غيرها

ومما افادنا علماء الهيئة في العام المنصرم ضبط المسافة التي تفصل القمر عن الارض فان علماء مرصد غرينويتش كرَّروا اقيستها وضبطوا حساباتهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ سيَّارتنا تبعد عن الارض ٣٨٤,٤٤٦ كيلومترًا اعني بزيادة ٤٦ كيلومترًا عمَّا ترويهِ الكتب الفلكية. فلا يزال القمر كما ترى في جوار الارض ولو قصد احد الطيَّارين قطع هذه المسافة بطيَّارتهِ لكفاه ١٦٠ يوماً وثلاث ساعات بطيران متواصل بمعدل ١٠٠ كـ في الساعة ليبلغ الى القمر وذلك قريب بالنسبة الى بقيَّة السيَّارات وما قولك بالنجوم التي يقطع النور المسافة بين اقربها الى ارضنا ازيد من اربع سنوات وهو يقطعها بين القمر والارض باقلّ من ثانيتين بمعدَّل ٣٠٠,٠٠٠ كـ بالثانية

ومن الحوادث الفلكية المهمَّة في العام الماضي اصدار الوزارة الفرنسويَّة امرها بتطبيق ساعاتها مع هاجرة غرينويتش والعدول عن زمن باريس المتوسط فأُخرت الساعات تسع دقائق و ٢١ ثانية وبذلك تمَّ اتّفاق كل الدول على تعيين ساعة واحدة للهاجرة تدلّ على الزمن المتوسّط مع قطع النظر عن دوران الشمس والوقت الحقيقي الذي يختلف كلّ يوم ولا يمكن الاستناد اليهِ في المعاملات (راجع مقالة تقويم البشير في اليوم الشمسي والزمن المتوسّط)

٢ الطبيعيات

منذ اكتشف الطبيعيون آلتي الكينيمتغراف والفونغراف اي تصوير حركات الاشخاص وتمثيل اصواتها اخذوا في البحث عن تركيب آلة تجمع بين الحركات والاصوات معاً بحيث يمكننا مثلاً ان نرى زيداً بالعيان ونسمع صوتهُ الطبيعي كأنهُ امامنا رغماً عن بعده. وممن افرغوا الجهد في حلّ هذا المشكل المسيو غومون (Gaumont) وكان باشر بامتحاناتهِ منذ السنة ١٩٠٢ فلم يزل يكرّر تجاريبهُ ويحسّن آلاتهِ حتى امكنهُ وضع آلة يدعوها كرونفون (Chronophone) جرَّبها في العام الماضي في نادي المجمع العلمي في باريس فأتت بالنجاح التامّ . فانَّ رئيس ذلك المجمع بعد ان أُقفلت كل المنافذ المنيرة دعا الدكتور دارسونفال الى خطاب في الطبّ كان وعد بهِ فقام الدكتور وخطب كمألوف عادتهِ ولم يشكّ احدٌ انَّهُ هو بصورتهِ وصوتهِ مع انهُ كان في ذلك اليوم غائباً. وعمَّا قريب ان شاء الله ستأتينا الآلات التي تمثل امامنا جلسةً علميَّة او سياسية فترينا الاشخاص وتسمعنا اصواتهم كأنَّا بينهم بل يمكننا ان نحضر تشخيص رواية لعب ادوارها ممثلو باريس وهلمَّ جرًّا

ومن الاكتشافات المفيدة وضعُ بارومتر جديد لمعرفة تقلبات الجوّ وحدوث الانواء سلفاً بواسطة التليفون. وذلك ان يُغرس في ارض موافقة لنقل الكهرباء جُوزتان من الحديد المذاب على مسافة خمسة او ستة امتار الواحد عن الآخر وانما يكون الطرفُ المغروس عريضاً ليزيد بذلك مسيسهُ للارض. ويُمدّ بين كل جوزة سلكٌ من نحاس يوصلها بسلك التليفون المتصل بآلة مولدة للكهرباء ثمَّ يُسقى طرفا الجوزتين كل ثمانية او عشرة ايَّام بمحلول من كلوردرات الامونياك بنسبة ١٥ غراماً لمئة غرام من الماء. فاذا اراد الانسان ان يعرف التقلبات الجويَّة كفاه ان يصغي الى فوهة التليفون فيستدلّ عليها قبل وقوعها باثنتي عشرة ساعة الى خمس عشرة وذلك انَّهُ يسمع في التليفون ازيزًا كصوت البرَد عند سقوطهِ على سقف من زنك او على الزجاج وبقدر تقرُّب وقت الانواء والزوابع يزداد الصوت شدَّةً. وسبب الامر ظاهر لان الحديدتين باتصال سلكيهما مع التليفون تولِّدان مجرًى كهربائيًّا جديدًا يتأثَّر من حركات الجوّ ويرقمها على الصفيحة التليفونيَّة فيسمعها الناصت اليها

التلغراف اللاسلكي ينال كل يوم انتشارًا عظيماً وكل الممالك تسعى في تعميمهِ

في بلادها . وقد عزمت فرنسة على ان تربط كل مستعمراتها في افريقيا والهند والصين واوقيانية بحاضرتها باريس وتوصلها ببرج ايفل وقد باشرت بالامر مع السودان والكنغو وعمّا قليل سيتمّ على وفق مرامها

وممّا زاد في قوّة التلغراف بلا سلك اطلاق شرارات قوية من الباعث يدعونها بشرارات موسيقيّة تبلّغ التموّجات الهرسيّة في الهواء الى القابل فيُسمع لها رنّات يدوّنها القابل فيُستدلّ بتدوينها على معانيها

وهنا يسرّنا ان نذكر ما روتهُ الصحف الانكليزيّة عن اختراع حبيب عبد الرحمان خان للتلغراف اللاسلكي المائي والمخترع هنديّ وناظر التلغراف في الله آباد بالهند امكنهُ ان يخابر بتلغرافهِ الدارعة التي كانت تقلّ جلالة الملك جورج على بعد مسافة ٦٧ ميلًا فجازاه المجمع العلمي الملكي في لندن بان انتخبهُ كعضو شرف وكذا فعلت بقيّة الجمعيات العلميّة ونال من جمعيّة يوبيل فيكتوريا مكافأة قدرها ٤٠٠ ليرة انكليزيّة .

ولا يجوز ان نسكت هنا عن تقدّم فنّ الطيران سواء كان بركوب المناطيد والمراكب الهوائيّة او بتحريك الاجنحة الصناعيّة . فانّ السنة ١٩١١ تُعدّ كسنة انتصار الانسان على عنصر الهواء وفتح مملكة الفضاء . نعم قد جرت كالعام السابق عدّة حوادث مفجعة للطائرين الّا انّ هذه الحوادث كانت اقلّ عددًا من السنين السابقة فضلًا عن انّ عدد المحلّقين في ساحة الجوّ قد ازداد اضعافًا . ثم انّ المراكب الهوائيّة قد بلغت من الدقّة والمتانة والخفّة ما لم يكن في الحسبان وصار ركوب الهواء من الامور السهلة التي يقدم عليها النساء انفسهنّ . ولمّا رأت الدول هذه النتائج خصّت قسماً من برنامجها لتسيير المراكب الجويّة والطيّارات . ولفرنسة في هذه الامور السبق على غيرها كما انّ ذويها نالوا قصبة السبق في اختراعاتهم للمناطيد وتحسينها . وقد صار معدَّل ما يقطعهُ الطائر في الساعة مئة كيلومتر بنيف بل تجاوز بعضهم هذا المقدار حتى انافوا على ١٥٠ كيلومترًا في الساعة وقطع بعضهم ١٢٨ كيلو مترًا في ٣٥ دقيقة

٣ الجيولوجيا والجغرافية والآثار

حدث في ١٦ تشرين الثاني زلزال ارضي قوي شعرت بهِ عدّة اقطار في شرقي اوربا وحسّ اهل بلادنا وتأكد بهِ الجيولوجيون ما سبقوا ورجحوه قبلًا ان

الزلازل لم يعللها كما زعموا ثوران البراكين لان الجهات التي حدث فيها الزلزال لا بركان فيها حالًا وبراكينها القديمة لم تبدِ حراكاً . وتبين لهم على خلاف ذلك انهُ توجد علاقة بين الزلازل والتشققات الارضيَّة البالغة وكذلك بينهـا وبين الاماكن حيث القشرة الارضيَّة اخفّ واضعف

وكذلك اثبت الفلكي السويسري برون انَّ ما يُشاهد من الابخرة فوق البراكين المتقدة لم تقذفهُ تلك البراكين من باطن الارض كما ظنوا وانَّما تتكوَّن فوقها من دقائق الكلودريدرات المصهورة فاذا رماها البركان في جملة حُممهِ امتصَّت الماء الجوّي فظهرت على شكل ضباب مائي

وممَّا افادت البعثة الفرنسويَّة الى بلاد نيجر انها فحصت بكل تدقيق بحيرة تشاد فتحققت انَّ تلك البحيرة لم تكن بحرًا قديماً في وسط افريقية كما زعموا بل ثبت انَّها ليست حوضاً مائيًا ثابتاً بل هي منفذ لمياه تأتيها فتمتدّ في حوضها ثمَّ تغور في الارض وتواصل سيرها الى الجهات الشماليَّة الشرقيَّة حيث تظهر على مسافة ٤٥٠ كيلومترًا من بحيرة تشاد . والمظنون انَّ تلك المياه تجري حتى ينابيع النيل فتنصبّ فيها

افادتنا المجلَّات الايطالية ان البعثة العلمية الايطالية المرسلة مؤخرًا الى طرابلس الغرب اخذت تبحث عن اثار تلك البلاد المجهولة فممَّا توفقت اليهِ اكتشافها قريباً من عين زارة مقبرة نصرانية راقية الى القرن السادس او اواخر الخامس . فهناك عدَّة قبور نُقرت عليها فضلًا عن اسماء الموتى رسوم الصليب المقدَّس على هيئات شتى ونقوش نصرانية اخرى وشعائر دينية بالنصوص اللاتينية فبعضها مكتوب عليها التريساغيون «قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمني» وعلى بعضها ادعية من اهل الميت « فليعطك الرب الراحة الابدية ويضيء لك نورهُ الدائم » . ووجدوا على قبر آخر « فليتقبلك السيد المسيح الذي دعاك ويجعلك الملائكة في حضن ابراهيم وينتظر قريباً نشر تلك الآثار المفيدة لمعرفة احوال النصرانية في طرابلس الغرب قبل الفتح الاسلامي

٤ الكيميا

العلَّامة الانكليزي جمس ديوار (J. Dewar) اوّل من توفَّق الى تحويل غاز الاوكسيجين الى مائع سيال ضارب الى الزرقة وبفضلهِ دخل هـذا الجسم في عالم

الصناعة. وها هوذا قد تمكن في العام المنصرم من تجميد هذا المائع وذلك بالآلات المبرّدة التي تجمع بين تمديد الغاز بعد ضغطهِ وبين تبخيرهِ. وكل يعلم ما للاوكسيجين من المنافع الجمَّة لحياة الحيوان والنبات ودخولهُ في التركيبات الكيموية. ولا ريب انَّ تجميدهُ يأتي بفوائد جديدة لا تُحصى سوف تنقلهُ الينا الجرائد

وكذلك جمَّدوا بالطريقة عينها جسماً آخر وهو السيَّال الانيدريد الكربونيك فظهر على صورة قطع ثلج صوفي درجة بردهِ ٧٩ تحت الصفر من المقياس المئوي. واذا ضُغط في قالب بسرعة قبل ان يعود سيالاً بفعل الحرارة اصبح كقلم يمرُّونهُ على بثور الجلد والحبوب الناتئة فيهِ فبعد قليل يزيلها تماماً. والامل معقود على استعمال هذه الاقلام قريباً لعلاج عدَّة امراض جلديَّة

وكان الهيليوم الغاز الوحيد الذي لم يمكن الكيمويين ان يجعلوهُ سيالاً لكنهم لم يزالوا يضاعفون البحث ويجهدون النفس في ايجاد طريقة الى ذلك حتى فاز بالمرغوب العلَّامة كامرلنغ اونّس (Kamerlingh Onnes) فسيَّلهُ بعد ان انزل درجة حرارتهِ الى ٢٦٨ تحت الصفر بواسطة الادوات الضاغطة مع تجفيف الغاز وتبخيره

وهذه الآلات المبردة العجيبة قد افادت الكيمويين معرفة تركيب الاجسام فبينوا ان لدقائقها قوَّة تزداد مع زيادة الحرارة وتنقص مع نقصها حتى اذا بلغت الى الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر بلغت درجة البرد المطلق وفقدت كل قوَّة وفعل

• الطبّ والجراحة

انَّ الحمى التيفوئيديَّة من افتك الادواء بالبشريَّة ولاسيا في الجند. فكان كثيرون قد سعوا في اكتشاف لقاح واقٍ منها فاكتشف الدكتور الانكليزي جنير لقاحاً اهبط عدد الوفيات الى ثمانية في الالف. ثم وجد الدكتور رَيت لقاحاً آخر افضل من لقاح جنير ظهرت افادتهُ بتقليل عدد الاصابات. وفي العام الماضي وقف الدكتور الفرنسوي ڤنسان على لقاح ثالث يفوق على السابقين لم يكد يُصاب بالحمى التيفوئيديَّة احد ممَّن لُقح بهِ. قيل ان بين ٤٣,٠٠٠ الف جندي اميركي أُجري فيهم التلقيح لم يُصب بتلك الحمى الَّا اربعة فقط وكان شفاؤهم سهلاً جدًّا. فهذا ما حدا باميركة ان تجعل التلقيح من ذلك الداء اجباريًا في جنديتها. وقد انشأ المسيو شنتمس في باريز معهدًا للتلقيح مجَّاناً

قد تمكن الدكتوران ملتزر (Meltzer) وأور (Auer) بطريقة نفخ القصبة ان يجعلا الرئة خالية من كلّ حركة مع بلوغ الهواء اليها ففتحت هـذه الطريقة باباً جديدًا للاعمال الجراحية حتى انَّ الجراحين صار يمكنهم ان يفتحوا الصدر ويعالجوا القلب والرئة وما يتصل بهما من الشرايين والعروق دون ضرر البتة بل فتحوا الرئة واخرجوا ما فيها من الفضلات وعبيط الدم الفاسد وامكن الدكتور كارل (Carel) ان يجعل بدلًا من بعض القطع السقيمة غيرها يأخذها من الاقسام السليمة

مطبوعات شرقية جديدة

TARAFA'S MO'ALLAQA. Mit dem Kommentar des ABU BEKR MOHAMMED B. EL QASIM EL-ANBARI. Herausg. v. **O. Rescher.** *Stanbul,*1329/1911*, Impr, Nefaset*, pp.,X-140

شرح معلقة طرفة لابن الانباري

معلقة طرفة من اجود ما انتجتهُ قريحة شعراء الجاهليَّة . فلذلك عُني اللغويون بضبطها وشرحهـا . وكان المولعون من الاوربيين بالشعر العربي نشروا سابقاً اربعة شروح لهذه المعلَّقة فطبع رَيسك (Reiske) سنة ١٧٤٢ شرح الشيخ النحّاس وطبع فولّرس (J. A. Vullers) سنة ١٨٢٩ شرح الزوزني. وطبع العلّامـة شرل لايال (S. C. Lyall) سنة ١٨٩١ شرح التبريزي. وطبع الاديب مكس سَليغسون (Seligsohn) سنة ١٩٠٠ شرح الاعلم الشنتمري في جملة ديوان طرفة. فكان بقي هذا الشرح لابي بكر محمد بن القاسم الانباري احد كبار اللغويين من القرن الرابع للهجرة فوجد شرحهُ جناب الاديب ريشر في مكاتب الاستانة فنقلهُ عن ثلث نسخ هناك منها نسخة ترتقي الى السنة ٥٢٥ هـ (١١٣١م) ونشرهُ في مطبعة نفاست في الاستانة مع مقدّمات مفيدة عن اخبـار طرفة لابن الانباري وزاد في آخرها روايات واصلاحات عن كتب الادباء المطبوعة. فجاءت طبعة غاية في الضبط. وكنّا احببنا لو صدّر المؤلف هذا الشرح بنقد علميّ لهذه المعلقة لبيان صحتها وفوائدها التاريخيَّة ووصف النسخ التي تتضمنها فكانت زادت بذلك محاسنها . وكان ينبغي

ايضاً ان تُتَّخذ لطبع ابيات المعلّقة حروف اكبر واشرق لتمتاز عن الشروح الواسعة التي هناك ٠وان شاء الله يفعل بطبعة ثانية ل٠ش

A. L. M. Nicolas, Essai sur le Cheikhisme : fasc. III, La Doctrine, *Paris, Leroux*. 1911, p. 69= fasc.IV,La Science de Dieu, LI-97, *Paris, Geuthner*. 1911 = Le Béyan Persan, T. I. ibid. XXXII-148, 1911

كتابان عن مذهب الشيخية — كتاب البيان للسيد الباب

المسيو نيقولا قنصل فرنسة في تبريز قضى سنين طوالًا في بلاد العجم وتعلّم لغتهم ودرس الآراء والبدع الجديدة التي تتنازع دينهم نخصّ بالذكر الطريقة الشيخيّة التي سنّ مناهجها الشيخ احمد الاحسائي والطريقة البابيّة مع كل ما تفرّع منها٠وقد نقل الى اللغة الافرنسية كثيرًا من المقالات التي نشرها هذان المبدعان وقوم من اللائذين بهما فجاءت كتبهُ مفيدة للمنتقدين٠وها قد اتحفنا بترجمة القسم الاوّل من كتاب البيان للسيد علي محمد الملقب بالباب وهو مؤلّف غريب في بابهِ٠ ولو اردنا البحث في هذه المواضيع لاتّسع بنا المجال واشكلت علينا الحقيقة لان البساطة والصراحة ليستا من صفات هذين الكاتبين فاذا ما طالعتَ الفصول برمّتها واردت ان تَستخلص حقيقة معتقدهما لرأيت نفسك مرتبكاً متردّدًا بين الصدق والضلال فلا تدرك منهما مرادًا ولا تكشف الرغوة عن الصريح٠ وليس حضرة ناشر هذه المؤلفات باصرح من اصحابها في نتيجة ابحاثهِ٠فانهُ لم يأتنا بما كنّا نودّ الاطلاع عليهِ من خلاصة هذه الاديان وعقائدها وآدابها الى غير ذلك مما لا يزال سرًّا مخفيًّا او لغزًا مبهماً ويشتمّ منهُ رائحة مذهب الحلول ا٠ر

لهجة الابطال

للدكتور سليمان غزّاله

طبع في مطبعة الشركة العثمانية في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ (ص ٧٧)

انّ الحوادث التي جرت قبل ثلاث سنوات بالانقلاب العثماني من شأنها ان تشحذ قرائح الشعراء لكتابة رواية مفجعة تحرّك في قلوب كل ابناء الوطن ارقّ العواطف واشرف الاحساسات فيتعلّم العموم من زعماء الدستور كيف يضحّون على هيكل الخير العامّ كل المنافع الشخصيّة٠وذلك ما حدا بمواطننا الاديب والشاعر المجيد

الدكتور غزّاله من اصدق عمّال الدولة العليّة الى ان يصوّر ذلك الانقلاب ويسبكهُ في قالب رواية تمثيليّة جعلها ثلاثة فصول: اظهر في الاوّل منها حالة الدولة تحت ربقة الاستعباد معرَّضة لاصناف المصائب وكيف تألّف الاحرار لكسر نيرهـا. وشخّص في الثاني في صورة ارواح شريرة من تصدَّوا لعمـل الاحرار. وضمّن الثالث انتصار الدولة العثمانيَّة بجلوس جلالة السلطان محمد الرشاد على سدَّة الخلافة. وهذه الرواية قد اوقف المؤلف بيعها وتشخيصها لمنفعة جمعيَّة الهلال الاحمر وصدَّرها بصورة فتاة تركيَّة تشير الى الراية العثمانيَّة في وسطهِ نجم السعد فيردّد لسان حالها احد ابيات الرواية:

هلالٌ يُرجّيني ونجم يدلني الى منتهى الضرّاء عهد السعادةِ

ومن محاسن الكتاب ١٢ صورة فوتغرافيَّة تمثـل زعماء الدستور العثماني في مقدَّمتهم جلالة السلطان ل. ش

رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني

عُني بجمعها ونشرها والتعليق عليها الاديب حسن حسني عبد الوهاب التونسي

طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠هـ (١٩١١ م)

ابن شرف القيرواني احد مشاهير أُدباء القرن الخامس للهجرة في المغرب كان معاصرًا لابن الرشيق صاحب العمدة وجرت بينهما مناقضات ومهاجيات اشتهرا بها. ولابن شرف آثار قليلة صبرت على آفات الدهر لم يُنشر منهـا الَّا بعض متفرّقات كهجوهِ لدار اثبتناه في مجاني الادب (٣: ١٥٣). وممّـا وقف عليهِ من كتاباتهِ الجليلة احد ادباء تونس حسن حسني عبد الوهاب رسالة انتقادية ذات مقاصد ظريفة ومغازٍ شريفة نسبها الى ابن الريّان الصلت بن السكن بن سلامان تتناول نحو ٣٠ صفحة انتقد فيها انتقادًا لطيفاً على معظم شعراء الجاهليّـة وقرون الاسلام الاولى فمدح مـا رآه اهلًا بالمدح وزيّف اقوالًا كثيرة يتمدحها البعض دون روية. ودونك مثالًا من نقـدهِ لبيت شهير من قصيدة زُهير التي مدح بها حصن بن حذيفة

« قال ابو الريّان: وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعرهِ واملحهِ عند العامَّة وكثير من الخاصَّة فهاهنا تحفَّظْ وتأمل ولا يملك ذلك منهم (كذا) الحقّ ابلج قال:

تراهُ اذا ما جئتهُ متهللًا كانك تعطيهِ الذي انت سائلهُ

مدح بها شريفاً ايَّ شريف فجعـل سرورهُ بقاصدهِ كسرورهِ بمن يدفع شيئاً من عرض

الدنيا اليهِ. وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تتهلل وجوههم وتُسرّ نفوسهم بجبة الواهب ولشدَّة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همَّة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رُزِق مالًا عفوًا بلا منَّة منيل ولا يد معطٍ مستطيل لانهُ عند نفسهِ اكبر منهُ ولأن قدر المال يقصر عنهُ فكيف ان يُمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانَّهُ يتهلل وجههُ ويمتلئ سرورًا قلبهُ اذا اعطاهُ سائله مالًا. هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم:

ولستُ بمفراحٍ اذا الدهرُ سرَّني ولا جزعٍ من صرفهِ المتقلّبِ

واَمّا غرَّ زهيرًا وغرَّ المستحسن بيتهُ هذا ما جُبلوا عليهِ من حبّ العطاء وما جرت بهِ عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كلّ الهمم تستحسن ذلك ولا كلّ الطباع تسلك هذا المسلك »

فنعم الانتقاد وشكرًا لناشر هذه الطرفة المستطرفة ل. ش

ملقى السبيل : رسالة في الوعظ والحكم لابي العلاء المعرّي

عُني بنشرها والتعليق عليها الاديب حسن حُسني عبد الوهّاب التونسيّ

طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠ (ص ١٨)

انَّ تآليف ابي العلاء المعري ممّا يتهافت عليهِ الادباء سواء كانت شعرًا كسقط الزند ولزوم ما لا يلزم او نثرًا كرسالة الغفران وهم يطنبون في ابتكار معانيها ويبحثون عن خفي اغراضها فمنهم من يوجّه الى صاحبها سهام الملام لما يُستشفّ وراء اقوالهِ من الالحاد ومنهم من يزكيهِ (راجع مقالتنا في تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء في المشرق ٤ : ١٠٦٨) والكلّ لسان واحد في مدح بلاغتهِ. فسرَّنا انَّ الاديب حسن حسني عبد الوهاب استخرج ايضاً هذه الرسالة المعرّية من زوايا المكاتب فنشرها وعلّق عليها الحواشي المفيدة مع مقدّمة اشار فيها الى مذهب المعرّي الشبيه بمذهب التشاؤم المستمر (Pessimisme) الذي عُرف بهِ الجرماني شبنهاور (A. Schopenhauer). وهذه الرسالة منقولة عن نسخة فريدة موجودة في مكتبة الاسكوريال جمع فيها المؤلف حكماً نثرية في كل باب من حروف المعجم ألحقها بنظمها شعرًا. هذا مثال باب الباء:

«يُفتقر الى الله الارباب. وبالكافر يحلُّ التّباب. وتنقطع بالموت الاسباب. وفي الخالق تحار الالباب

نظمهُ (رجز)

دانت لربّ الفلك الالبابُ وبالكفور يلحقُ التَّبابُ
كم قُطعت لمنة اسبابُ وافترقت برغمها الاحبابُ »

وهنا يحسن بنا ان نشير الى رسالتين أُخرَيين للمعرّي نُشرتا حديثاً. فالاولى رسالة مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران زكى فيها نفسهُ عمَّا نُسب اليهِ في رسالة الغفران من التساهل وخصَّ نفسهُ بالمغفرة ودخول الجنة بسبب تلك الكتابة. طبعت هذه الرسالة في مطبعة العدل في الاستانة بهمة جامعها محمَّد صفا بك. والثانية رسالة التذكرة نشرهـا المسيو كولين (Gabriel Colin) من اساتذة مدرسة الجزائر في العام الماضي وقدَّم عليها المقدّمات المفيدة ونقلها الى الافرنسيَّة وهذه التذكرة كتبها المعرّي لابنهِ المسمى ابن زهر يذكّرهُ فيها امورًا جديرة بالطبيب من معرفة الادواء ومعالجاتها. والرسالة طبعها حديثاً في باريس الطبَّاع لورو (E. Leroux) ل. ش

مرشد الكاهن في ممارسة الرياضة الشهريَّة

طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٦٢)

جاء في سفر الخروج (١٩ : ٢٢) « ليتقدَّس الكهنة الذين يتقدَّمون الى الرب كيلا يبطش بهم » وهي نعم الوصاة ينبغي على كل الكهنة ان يعنوا فيهـا النظر ليقدّسوا كل يوم نفوسهم ويكونوا قـدوة لجميع المؤمنين. ومن الوسائل الحسنة المؤدية الى ذلك عادة محمودة يجريها الكهنة الصالحون في بلاد عديـدة ألا وهي عادة الرياضة الشهرية اذ يعتزلون يوماً معلوماً من ايام الشهر يقضونهُ بمناجـاة الله والاعمال التقويَّة والنظر في واجباتهم مع اصلاح ما يرون فيـهِ خللًا في سيرتهم فيجدّدون بذلك عزائمهم على اتمام فرائضهم بكل حرص ونشاط. فتسهيلًا لهذه الرياضة قد وضع احد مرسلي رهبانيتنا هذا الكتاب الصغير الحجم الوافي بالمقصود اذ يفصِّل الممارسات الموافقة لذلك اليوم فنحضّ سائر الكهنة على الانتفاع منهُ ل. ش

خدمة السبت العظيم

طبع بالمطبعة الادبيَّة. بيروت سنة ١٩١٠ (ص ١٢٨)

هذه الخدمة تُقام في يوم سبت النور في الكنيسة اليونانيَّـة تحتوي الطقوس الجارية في ذلك النهار لاسيما رتبة الدفن ثم التسابيح المفرحة التى تتقدَّم عيد القيامة

في الفصح العظيم. قد طبعها صاحب مكتبة التوفيق تسهيلًا لمراجعة تلك الصلوات التقويَّة المنقولة في الغالب من اقوال الكتاب المقدَّس وآباء الكنيسة المقدَّسة. ويا ليتهُ كان وسَّع نطاق عمله فطبع خدمة كل اسبوع الآلام لينال المؤمنون فوائدهُ ويجتنوا في قلوبهم تعاليمهُ السامية ل. ش

اللغة العربية

بحث تاريخي فلسفي للاستاذ جبر ضومط

طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٩١٢ (ص ٣٢)

جناب الاستاذ جبر ضومط احد القليلين الذين يبحثون في بلادنا عن اصول اللغة العربيَّة وما لها من العلاقة مع اللغات الشقيقات التي شاعت في جزيرة العرب او البلاد المجاورة لها. وهاهوذا اتحفنا بخطاب القاه في تشرين الثاني في المدرسة الكليَّة الاميركانية خاض فيهِ عباب البحث عن اللغات السامية وتشعُّبها الى فرعين قحطاني فعاديّ مع بيان نسبة العربية الى هذا دون ذاك. وقد تتبَّع كل هذه الابحاث باباً باباً سابرًا لمزاعم المستشرقين مصوّباً لبعضها ومزّيفاً لغيرها وهو يأتي لاثبات اقوالهِ بالادلة العقلية والنقلية التي ترّجح قولهُ على قولهم. ولا نشكّ في انَّ علماء اوربا يقدّرون هذا الاثر قدرهُ لاسيما اذا نُقل الى احدى اللغات الاوربية ل. ش

مطوَّل في انشاء المكاتيب

بقلم امين الخوري صاحب مكتبة مطبعة الآداب

الطبعة العاشرة (ص ٣٣٠)

كان صاحب هذا الكتاب الَّف سابقاً مختصرًا في الانشاء اصاب رواجاً فاحبَّ ان يتَّسع فيهِ ويضيف اليه رسائل جديدة. وقد زاد فيه فصولًا في العرضحالات والتحاويل والكمبيالات ثم بابًا في الفرائض وصور معاملات شتى شرعيَّة وتجاريَّة ثم نقل عدَّة رسائل لقدماء الكتَّاب والمحدثين مع مختارات من نجعة الرائد للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وختمهُ بمقاطيع نثريَّة في مواضيع ادبيَّة فجاء مجموعاً واسعاً اغنى بالموادّ منهُ بحسن الاختيار لانَّ كتاباً مدرسيًا مثل هذا لا يجوز ان يتضمَّن رسائل عشقيّة كما ترى (في الصفحة ١٠٣) واستدعاءات بازالة بكارة جبرًا (ص ١١٢) وفرائض هي احرى بكتب الشرع. ولا نعلم ماذا حمل نصرانيًا مثلهُ على ان

ينقــل في الفصول النثريَّة الاخيرة اقوال القرآن والحديث كأنهُ اراد بذلك التقرُّب من المسلمين فلن يرضي بهِ لا المسلمين ولا النصارى سامحهُ الله ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ منشور عمومي وجَّههُ غبطة السيِّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى الطائفة الكلدانيَّة بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩١٢ طبع في الموصل (ص ١٦)

٢ رسالة رعائيَّة الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جنّيني بمناسبة الصيام الاربعيني لسنة ١٩١٢ . الكاثوليكي الصادق . في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٣٢)

٣ رسالة رعائيَّة وجَّهها غبطــة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى الى ابناء الطائفة المارونيَّة . موضوعها حضُّهم على الاستمساك الدائم بدين اجدادهم القويم . في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (ص ٣٧)

شَذَرَات

محفل صنين — وردت علينا من حضرة المنسنيور بطرس حبيقة قصيدة جميلة وصف فيها جبل صنين ثم انتقل الى وصف فاجعة محفل صنين الماسوني الذي طيَّرت منعاهُ جريدة البرق كما نقلناهُ عنها فقال :

سلوا محفل الاحرار عمَّا دهاهمُ ... بصنِّين حتى بات بالقوم بَلْقعا
بغى فيهِ احلاف التفرُّق والنوى ... وهيهات بعــد اليوم ان يتجمَّعا
قضى القدَرُ الجاري عليه بحتفهِ ... فطيَّر منعــاهُ لنا البرقُ مذ نعى
كذا حالة الدنيا اجتماعٌ وفرقةٌ ... فلا تبكِ ميتاً او تعزِّ مفجَّعــا
كفى انَّ بعضاً بات بالبعض شامتاً ... فان تدْعُهم لا ينصتون لمن دعا
تبلبلت الدنيــا بهم فتبلبلوا ... فأجرت عليهم بابلُ الشرق ادمعا
فليسوا ببنَّائين فيما علمتُــهُ ... وقد ضعضعوا في برجهم فتضعضعا
اصابهمُ من رأسهم ما اصــابهُ ... فاعضاؤهُ فيهــا الفسادُ توزَّعا
ألا ان هذا الداء عزَّ دواؤهُ ... فيا سائلي بُرءا لهُ لُذْ بأنجعــا
تحكَّمَ في الشرق السقام فلا تكن ... طبيباً وكُنــهُ شعوذيًّا مرقَّعا
فما الحال الَّا ان ترقَّ لحالهِ ... وما الطبُّ الَّا في عفا الله او رعى

تولّى بهِ الاصلاحَ غيرُ رجالهِ   وراموا بهِ التفريق فافترقوا معا
ولم تُجدِهم حرّيّة غادرتهم   عبيد الهوى واستنفرتْ كل اروعا
ومن لم يكن حرًّا من الطبع ماجدًا   ولو عالجوهُ لم يكنهُ تطبُّعا
ومن لم يكن ذا حُجةٍ اصمعيّةٍ   يهون عليهِ ان يضلّ فيُخدَعا
ومن لا يواعِ الصنو يخذلهُ صُنوهُ   ومن يسعَ في مكرٍ فللعار ما سعى
ومن يتقلّب فهو صِلٌ زمانه   فحاذرهُ لا تمدُدْ الى الصلّ اصبعا
ومن حاول الايقاع بالناس اوقعوا   به فهو عندي مصرعٌ جرَّ مصرعا

جدول طلبة المدارس في الدولة العثمانية وقفنا في مجلة الابحاث على هذا الجدول المتضمن لعدد طلبة المدارس في ولايات الدولة العثمانية لسنة ١٣٢٥ فنثبتهُ هنا على علّاتهِ ليُستدلّ بهِ على حالة التعليم في تركيّا:

الولايات	عدد السكان	عدد الطلبة
ادرنة	٩٥٤,٦٣٦	١٠٥,٧٧٤
ارخبيل (سفيد)	٣٠٠,٠٠٠	٣١,٣٤٠
ارزروم	٦٤٧,٠١٠	١٩,٦٩٣
الاستانة	١,٢٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
اسمد	٢٧٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠
اشقدار	٢٠٠,٠٠٠	٥,١٦٤
آطنه	٤٢٤,٢٨١	١٧,٧٤٩
انقره	٨٥٠,٠٠٠	٣١,٠٨١
آيدين	٦٢٠,٤٠٧	١٧٩,٧٨٣
بتلين	٣٩٨,٩١١	١١,٠٩٣
بروسه	١,٥٠٠,٠٠٠	١٣٧,١٩٨
البصرة	١٥٠,٠٠٠	٣,٦٨١
بغداد	١٩٢,٠٠٦	٥,٣٢٠
بنغازي	٣٠٠,٠٠٠	١,٦٥٣
بيروت	٦٤٨,٨٠٢	٣٨,٥٧٦
جانينا	٦٥٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠
حجاز	؟	؟
حلب	٨١٧,٧٤٠	٤٢,٠٨٠
دردنيل	١٤٠,٠٠٠	١٦,٥٢٥
ديار بكر	٤٧٢,٢٤٩	١٠,٣٨٣
الزور	١٠٠,٠٠٠	٢٩٩
سالونيك	١,٠٢٨,٤٢٢	٩٨,٥٤٧
سوريّة	٥٥٩,٩٠١	٢٢,٧٤٥
سيواس	١,٠٨٧,٥٥٥	٨٢,٢٧٢
شاتلجا	٦٠,٠٠٠	٨,٣٠٠
طرابزون	١,٢٥١,٧٤١	١٢٥,٩١٧
طرابلس الغرب	٥٠٠,٠٠٠	١٢,٣٧٥
القدس الشريف	٧٠,٠٠٠	١٠,٤٩٣
قسطموني	٩٧٠,٦٩٢	٩٤,٠٨٤
قونية	٩٨٤,٠٦٢	٧٨,٩٥٣
كسوفو	٨٦٥,٤٤٥	١٥,٦٩٥
معمورة العزيز	٥٧١,٧٦٤	٢٢,٦٥٣
مناستير	٨٤٠,٤٥٤	٦٤,٠٧٦
الموصل	٣٠٠,٢٨٠	٦,٦٩٩
وان	٤٣٠,٠٠٠	٤,٠٤٢
اليمن	؟	؟
المجموع	١٩,٢٦٦,٢٥٨	١,٤٦٣,٣٧٣

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من حمص من هم الحثيون الذين يقال عنهم انهم ملكوا في جهات حمص وحماة وحلب

الحثيون

ج الحثيون امَّة عظيمة كانت اوَّلًا في جهات قبادوكية و كانت عاصمتهم في المكان المعروف اليوم ببوغازكوي حيث وجد العلَّامة ونكلر (Winckler) عدَّة آثار عجيبة راقية الى زمانهم ثم زادت قوَّتهم حتى غزوا بابل نحو ١٨٠٠ قبل المسيح وابطلوا السلالة البابليَّة الاولى. وفي القرن الخامس عشر فتحوا البلاد المجاورة لهم حتى البحر الاسود شمالًا وتجاوزوا نهر العاصي الى دجلة جنوباً وذلك في عهد ملكهم سوبيلولو. وغزاهم رعمسيس الثاني فغلبهم لكنهم بقوا في ملكهم حتى قهرهم الاشوريُّون في القرن العاشر. ولا يُعلم كيف انتهت دولتهم

س كتب احد الكهنة السريان ما نصهُ: نجد في تقويم البشير في ٢٢ من شهر شباط ذكر كرسي مار بطرس في انطاكية فهل يُعرف شيءٌ عن الكرسي المذكور

كرسي مار بطرس في انطاكية

ج للقديس بطرس هامة الرسل كرسيَّان الواحد في رومية العظمى في كنيسة مار بطرس محفوظ الى يومنا وعيدهُ في ١٨ كانون الثاني . والآخر في انطاكية ورد ذكره في التاريخ ولم يُفدنا احد عن بقائهِ الَّا يحيي بن سعيد الانطاكي صاحب الملحق لتاريخ ابن بطريق في طبعتنا الصفحة ١٢٨—١٢٩ حيث قال عن ابن مانك في تاريخ سنة ٣٥٦ (٩٦٧) انهُ بعد قتلهِ البطريرك خريصطوفورس « انفذ قوماً الى كنيسة القسيان... واخذوا الفضَّة والقماش وغيرهما ... واخذوا كرسي مار بطرس وهو كرسي من خشب النخل مصفَّح بفضَّة وحفظوه في دار احد شيوخهم يُعرف بابن عمر ولم يزل في دارهِ الى ان ملك الروم المدينة ». ولا نعلم ما جرى لهذا الكرسي بعد ذلك

س سأل احد كهنة البقاع أيجوز للكاهن الكاثوليكي ان يحضر جناز غير الكاثوليك

ج يُعدّ حضور الجنازات من الحفلات المدنيَّة التي يُسمح بحضورها للكاثوليكي. وكذلك يُسمح للكاهن الكاثوليكي ان يحضرها كالعوام دون مشاركة في صلاة او طقس دينيّ

ل. ش

السنة الخامسة عشرة　　العدد ٤　　نيسان　　١٩١٢

المشرق

الحقوق الدولية في الحرب

مقتطف من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول ببعض تصرُّف واختصار

سألنا كثيرون بنسبة الحرب الايطالية مع الدولة العليَّة ان نروي لهم خلاصة المعاهدات التي اتَّفقت عليها الدول في الحرب فلم نجد شيئًا اوفى بالمرام من ذكر بعض ما اثبتهُ احد طلبة كلّيتنا القدماء جناب الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العليَّة سابقًا في بروكسل وقنصلها في الجمهوريَّة الفضيّة حالًا في القسم الرابع من كتابهِ حقوق الملل ومعاهدات الدول وهو مختصّ بالحرب ويشتمل على معظم الابحاث المنوطة باحوال المتحاربين فنروي ما تهمّ معرفتهُ قرَّاءنا

ل . ش

﴿ تعريف الحرب ﴾ الحرب هي القتال بين قومين واختلاف بين فريقين يُفصل بقوَّة السلاح وهي قديمة كقدم الانسان . فتحدث امَّا غيرةً او منافسةً او عدوانًا او طمعًا . وامَّا غضبًا لله ولدينهِ . وامَّا اخذًا بثار اهانة او لاسباب ماليَّة او اقتصاديَّة وغير ذلك ممَّا يطول سردهُ

وقد اختلف العلماء والباحثون بهذا الفنّ في شرعيَّة الحروب وظلمها . في مدنيَّتها ووحشيتها . فنسب لها قوم جميع آفات البشر دينيًّا وادبيًّا ومادّيًّا وعارضهم آخرون بانَّهُ اذا كان للحرب مضارّ فلها فوائد وادَّعوا انَّها عنصر من عناصر التمدن والترقي

والحق يقال انَّ الحرب ويل وبلاء لكنها ملاصقة للبشريَّة . واشدّ الامم ميلًا الى السلم تحتاج احيانًا الى الحرب دفاعًا عن حقوقها وذَوْدًا عن حدودها او مساعدةً لجار او خوفًا من بطش عدوّ اوغير ذلك من الاسباب الداعية اليها وان السلم الدائم من المستحيلات

﴿ شرائع الحرب ﴾ لما كان العدوان طبيعياً في الانسان والحرب لاحقة بالبشرية والعمران وجب على المتمدنين من الاقوام وضع قوانين فرعيَّــة يُعمل بها وترتيب نظامات يُرجَع اليها تخفيفاً لويلاتها وتعديلاً لمصائبها وبلائها. نعم انَّ الحرب هي الاستنجاد بالقوَّة ولكن ليس الى قوَّة ناشزة بلا رُبُط ولا قيــد ولا شفقة ولا حَنان. ومن ثمَّ وُضعت لها قواعد مبنيَّة وقوانين مسنونة وحقوق مرعيَّــة وشرائع معروفة

وحقوق الحرب وقواعدهــا ظهرت اوَّلًا في القرون الوسطى في عهد طائفة الفرسان (Chevalerie) فاخذت تنمو بنموّ المدنيَّة والعمران عند الامم والشعوب في ذلك العهد فلمَّا وجدوا ان الحرب لا بُدَّ منها وانَّ الغاءَها من الامور المستحيلة رأوا من باب الصواب تعديل عادتها الوحشيَّة التي كانت ابادة الخصم وامحاء اثر العدوّ واستئصال شأفتهِ من الكون — والاكتفاء فقط بقهرهِ الى حــدّ ان يعجز عن المقاومة. فوضعوا لذلك قواعد تعاهدوا على احترامها وسنُّوا قوانين عملوا بموجبهــا فاخذت تلك العادات بالارتقاء وتلك القوانين بالانتظام. وتقلَّبت من طور الى آخر حتى عمَّت الدول المتمدّنة ثم صارت واجبات ثمَّ تحوَّلت الى حقوق انتهت بشرائع دوليَّة عامَّة

وشرائع الحرب الحاضرة قائمة على امرين ومرجعها الى مبدأين: الاوَّل الضرورة وهي قهر الخصم وقمعهُ حتى يعجز عن المقاومة. والمبدأ الثاني مراعاة حقوق الانسانيَّة والمدنيَّــة بأَن تُحصر الحرب بين جيشي الدولتين المتحاربتين فقط بدون ان تتناول الافراد الَّا في استثناءَات لا بُدَّ منها

وقــد عُني المؤلفون بجمع قواعد وقوانين الحرب واجتهدوا في تحديد حقوقها وواجباتهــا فلاقوا دون ذلك صعوبات جمَّة واوَّل قانون دولي للحرب سُنَّ في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ اذ اقترحت الحكومة الاميركيَّة الشماليَّة على الاستاذ ليبر وضع قانون يوزَّع على الضباط والجنود ليعملوا بهِ ويجروا بموجبهِ فوضع قانوناً لا يزال من افضل ما كُتب في هذا الموضوع واقرب ما يكون للعواطف الانسانيَّة واوفق للعمران ثم عُرض على مفوَّض خاصّ وصادقَ لينكلون رئيس الجمهوريَّة على بنودهِ. ثم وُضع في اتفاق جنيفا في ٢٢ آب ١٨٦٤ قانون مختصّ بمعاملة جرحى الحرب

والجمعيَّات المؤلفة لمساعدتهم. ثم اتفقت الدول في معاهدة بطرسبرج في ١١ دسمبر سنة ١٨٦٨ على قانون مختصّ بالقذائف المنفجرة. ثم عُقد بايعاز نقولا الثاني في ١٨ آب سنة ١٨٩٩ مؤتمر دولي في لاهـاي عاصمة هولندة تكرَّرت جلساتهُ مرارًا مذ ذاك الحين ووضع المؤتمرون عدَّة سُنن وقوانين صادق عليهـا مندوبو الدول ويبلغ مجموعها بنودًا متعدّدة يحتوي عليها كتاب المعاهدات الدوليَّة (١

﴿ اشهار الحرب ﴾ اذا حدث امر يدعو الى العدوان او رغبت احدى الدول بقطع العلائق السلميَّة مع دولة أُخرى وجب عليها اخطار الدول بذلك وهذا البلاغ واجب لازم احتراماً لمقام الدول المحايدة واعتبارًا لنفس مقامها اذ لا يخفى بانَّ من واجبات الدول العظمى صيانة حدودها واحترام تخومها فاذا اجتاز جيش منظم حدود الدولة المجاورة بدون اخطار ولا اشهار حرب حقَّ لتلك الدولة معاملة اولئك الجنود معاملة اللصوص وقطَّاع الطريق. واذا عاملت الدولةُ المهاجمةُ الدولةَ المدافعة بمثـل ذلك لم يبقَ حينئذٍ للحرب وازع ولا رادع وذهبت الشرائع ضياعاً وعادت المدنيَّة الى الهمجيَّة. وعليهِ كان من الافضل اعلان الحرب رسمياً وابلاغها الى الدولة المعادية. وكل دولة لا تجري تبعاً لهذه القاعدة العموميَّة شذَّت عن واجباتها الدوليَّة

وتبليغ اعلان الحرب يكون اشدّ حاجة واكثر ضرورة اذا كانت الحرب بحرية وسبب ذلك إعلان ارباب السفن للخروج من مياه الدولة المعادية وتحذيرًا للتجار من ارسال بضائعهم الى موانيها قال هوتفيل: «كل سفينة تُحجز قبـل اشهار الحرب يُعدُّ حجزها من الاعمال القرصانيَّة»

امَّا كيفيَّة اعلان الحرب في ايامنا فتكون امَّا رأساً الى الدولة المعادية وامَّا ان تكون بطريقة اخرى كمظاهرة او اخطار او بلاغ نهائي (Ultimatum) وهـذا البلاغ عبارة عن لائحة سياسيَّة بعبارة صريحة قاطعة نهائيَّـة تتضمَّن الاقتراحات المطلوبة محدَّدة تحديدًا جليًّا وتطلب المجاوبة عليها جواباً باتًّا بلا مَطل ولا ابهام. وقد يحدّدون مهلة الجواب فاذا مضت عُدَّ ذلك الصمت اعلاناً للحرب. والمهلة يجب ان

---

١) اطلب مقالة الاديب عبد الله رزق الله شارَ (خير) في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩ ص ٧٠٦ و٧٤٤) تحت عنوان « الحرب ومؤتمر السلم »

تكون معقولة اي لا طويلة تسمح للعدوّ بزيادة التأهُّب ولا قصيرة بنوع ان يعقبها زحف الجنود سريعاً

﴿ ابتداء القتال ﴾ انَّ الحرب بعد اشهارها تُعطي لكلّ دولة مهاجمةً كانت او مدافعةً صفة المتحاربين وحقوقهم التي تمنحها معاهدات الدول وعادات الامم لكلّ جند او جيش محارب. وحقوق الملل في ايَّامنا هذه تقول صريحًا بانَّ جنود الدولتين المتحاربتين هم وحدهم اعداء بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة واماَّ ما بقي من رعايا الدولتين غير المنخرطين في الجيش فلا يُعَدُّون اعداء وعليهِ لا يجوز الحاق الاذى بهم ولكن قد يتَّصل بهم ضرر من قبيل المعاملة بالمثل او وجوب المدافعة

ومتى أُشهرت الحرب تُقطع كل علاقة سياسيَّة بين الدول المتحاربة على انَّ هذا القطع ليس واجباً شرعيًا بل هو من قبيل العادة والاختيار اذ التاريخ يذكر حروباً كثيرة حدثت بين بعض الدول بدون ان تُقطع بينهما العلاقات السياسيَّة ممَّا يُساعد على عقد السلم سريعاً. وعليهِ اذا بقي السفراء في مراكزهم وجب المحافظة على كرامتهم وابقاء جميع حقوقهم وامتيازاتهم الممنوحة — ولكن الافضل استدعاء معتمدي السياسة خوفاً من هرج الشعب فتعطي كل دولة حينئذٍ لمعتمد الدولة الاخرى جواز مروره (باسبورت) ثم تُعلن بانها قد استرجعت براءتها التي منحتها لقناصل الدولة المعادية في جميع مملكتها فيجب حينئذٍ على القناصل تسليم سجلاتهم الى قناصل الدول المتحابّة وتكليفهم بحماية رعاياهم الذين يرغبون في البقاء بارض الدولة المعادية اثناء الحرب

والحرب كما لا يخفى تفسخ جميع المعاهدات السياسيَّة والوداديَّة المعقودة قبلها مع الدولة المعادية. امَّا المعاهدات المتعلقة بالحقوق الشخصيَّة التي لها مساس بالحقوق العموميَّة كحقوق الارث والوصاية والافلاس والحقوق المُلكيَّة عقاريةً كانت او ادبيَّة او صناعيَّة فهذه تبقى جميعها مستمرَّة ويُعمل بها تبعاً للمبدأ الاساسي بانَّ الافراد ليسوا اعداء

والقاعدة التي جرت عليها الدول في ايَّامنا بخصوص الافراد انمَّا هي وجوب اعطاء رعايا الدولة المعادية مهلةً كافية للخروج سالمين من ارض العدوّ مع ذويهم

واموالهم وقد عمّت هذه القاعدة حتى صارت نظاماً عامًّا وقانوناً متبوعاً

وقد يتفق كثيرًا انَّ بعضهم يرغبون في البقـاء ولا يودُّون الخروج من البلاد فيجب حينئذٍ على الحكومة مراعاتهم وحسن معاملتهم تبعاً للمعاهدات الدوليـة والرفق بهم مع وضعهم تحت مراقبة الشُّرَط ولكن يحقّ لها اخراجهم عنوةً عن المدن المحصنة او ابعادهم الى مكان بعيد من ساحة الحرب. وجملة القول انهُ يحقّ للحكومة اتخاذ جميع الاحتياطات التي تقتضيها امنيّتها والحركات العسكرية ولكن يجب ان يكون ذلك برفق وانسانيَّة

وان سأل السائل هل يجوز حجز اموال رعايا الدولة المعادية وعقاراتهم فالجواب انهُ في ايّامنا هذه قد اتفق السياسيُّون بوجوب احترام اموال رعايا الدولة المعادية تبعاً للقاعدة الاساسيَّة التي ذكرناها انَّ الحرب لا تكون بين الافراد. فضلًا عن انَّ تلك الاموال قد انتقلت الى الاجانب وقت السلم وتبعاً لشرائع البلاد والحرب لا تغيّر شيئاً من الحقوق الشخصيَّة

ثمَّ انَّ الحرب تقطع عنـد اشهارها جميع العلائق التجارية بين رعايا الدولتين المتحاربتين. تلك عادة قديمة العهد ولا تزال مرعيَّة الى ايَّامنا هذه

﴿ طرق اضرار العـدوّ المحرَّمة ﴾ انَّ الحرب لا تعطي المقاتل حرّيَّة الاختيار في طرق اضرار عدوّهِ فانَّ حقوق الدول قد حرَّمت الوسائل المخالفة للشرائع المدنيَّة والمنافية للعواطف الانسانيَّة

فمن هذه الطرق ما يكون بربريًّا. منها جرحُ العدوّ اذا استسلم لان الجندي اذا كفَّ عن القتال وجبت معاملتهُ كاسير حرب. ومنهـا الإجهاز على الجرحى والاعلان بعدم اعطاء الامان للعدوّ المقاتل سواء كان السبب بغضاً او انتقاماً او تهويلًا. ولا يجوز اهانة العدوّ ولا تعذيبهُ حتى لو كان ذلك في سبيل اجبـارهِ على اباحة اسرار دولتهِ ولا الفتك بهِ غيـلةً او اغراء الغير على قتلهِ او اسقاطهُ من حق حماية الشرائع والاجازة لكلّ فردٍ قتلهُ

وبعض هذه الطرق ممنوع محرَّم كاستعمال القنابل والقذائف والاسلحة التي تزيد في تعذيب الجرحى بلا فائدة او اطلاق الزجاج المسحوق او الرصاص المضوغ المشقوق المعروف باسم « دم دم». ومن اكبر المحرَّمات التسميم على اختلاف طرقهِ سواء كان

من قبيل تسميم الآبار او الانهار او الطعام او السهام. وكل من يلجأ الى استعماله اسقط نفسهُ من حقّ حماية الشرائع لهُ. وانما يجوز تحويل الانهار ومجاري المياه وتجفيف الينابيع لانَّ العدوّ متى حُرِم من الماء اضطرَّ الى اخلاء مركزهِ

وكذلك لا تجوز الطرق الغدريَّة لانهُ يجب على كل من المتحاربَين ان يكون على ثقة من استقامة عدوّهِ وشرفهِ وحفظهِ لشرائع الحرب. فلا يجوز مثلًا الإخلاف بالوعد او النكثُ بالعهد او الكذب بالقول او المهاجمة فجأة في اثناء هدنة او رفع علَم الصليب الاحمر الخاصّ بعربات الجرحى والمستشفيات على عربات الذخائر. امَّا الحيل غير الغدريَّة كالمكامن والمهاجمة فجأة او غلساً او المظاهرة بالقهقرى او التهويل فجائز ومبنيّ على المثل السائر ان الحرب خُدعة وأجمعَ المشترعون على ذلك واتَّفقوا عليهِ في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٧٤

وممَّا لم يجيزوهُ من الحيل استخدام اثواب العدوّ وازيائهم ولا اتخاذ شاراتهم ولا تقليد راياتهم

﴿ طرق إضرار العدوّ الجائزة والمحلّلة ﴾ تجري الدول في ذلك على ما جاء في تعليمات الولايات المتحدة ثم تقرَّر في بنود معاهدات لاهاي: « ان ضرورات الحرب تجيز اتلاف العدوّ المسلَّح وكل نفس وُجدت في اثناء النزال ولم يُستطَع انقاذها. ويجوز أسر كل عدوّ مسلحاً كان او اعزل اذا كان اسرهُ يعود بفائدة على الآسِر ويسوغ هدم المباني الحصينة والطرق والاقنية وقطع وسائل الاتصاليَّات وحجز المؤَن والذخائر والاستيلاء على مواقف العدوّ ومواقعهِ المحصنة ومحاصرتها برًّا وبحرًا او باطلاق القنابل

ويجوز التضييق على المحصورين وتعجيزهم حتى يضطرُّوا الى التسليم صاغرين. وكثيرًا ما يرافق الحصارَ الهجومُ على الحصون والقلاع للاستيلاء عليها عنوة واقتدارًا بدون انتظار مفاعيل المجاعة. وبالطبع يحقّ للمحاصر اطلاق القنابل على حصون العدوّ وقلاعهِ ليلًا نهارًا واحياناً على المدينة نفسها خوفاً من اطالة الحصار. وهذه الطريقة كثيرًا ما تلقي الرعب في قلوب المحصورين فيحملون قائدهم على التسليم. ولقد اوصلت الاختراعات الحديثة رمي القنابل الى درجة فائقة من الاصابة ممَّا يجعل لهذه الطريقة خطارة كبرى

وجاء في البند ١٥ من تعليمات مؤتمر بروكسل بانهُ لا يجوز اطلاق المدافع على مدينة غير محصَّنة او مدينة قد استسلمت وفتحت ابوابها للعدوّ وانَّما كلُّ مدينة تظهر ثباتاً او دفاعاً حقَّ الهجومُ عليها وجاز حصارها . وقد اجمع المشترعون بالنهي عن اطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب او الثغور التجاريَّة الغير المحصَّنة الَّا اذا كان ثمَّت ضرورة حربيَّة فوق العادة

وجرت العادة ان يُخطر المحاصرُ اربابَ السلطة بعزمهِ على رمي المدينة بالقنابل بدون وجوب تعيين الساعة لكي تتمكن النساء والاطفال والشيوخ من الالتجاء الى ملجأ امين ولكي تُصان كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حرز امين

وعلى المحاصر ان يجتنب هدم المباني التي لا يفيد تدميرها شيئاً وخصوصاً المعابد والهياكل والكليَّات والمدارس والمتاحف والمستشفيات على شرط الَّا تكون حُوّلت بطريقة ما الى ما يُعدّ من مباني الدفاع . ويجب على المحصور ان يرفع على قمَّة تلك المباني علامة ظاهرة يعرفها العدوّ المحاصر . وقد جرت العادة ان تُنصب راية بيضاء عليها رسم الصليب الاحمر فوق المستشفيات وراية بيضاء على الكنائس والمدارس . وقد تقدَّم انهُ يجب الامتناع من استعمال تلك الابنية لغاية حربيَّة والَّا فانها تخسر ثقة العدوّ وحقّ لهُ تدميرها

ولكلّ محارب الحقّ في أسر سفن عدوه وتدميرها اذا كانت حربيَّة والاستيلاء عليها بجميع ما تحتوي من الاموال والرجال او الاسلحة والذخائر . وكذلك المراكب الاجنبيَّة التي يستأجرها العدوّ لخدمتهِ وقد استثنوا السفن المستخدمة للمفاوضة في السلم او لمبادلة الاسرى او المختصة بعلاج المرضى والجرحى الناشرة اعلامها الخاصَّة بها . امَّا سُفن المحايدين فلكلّ من المحاربين حقُّ المراقبة والتفتيش عليها

❁ في المقاتلين ❁ المقاتلون هم الجند على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم من عامل او محافظ او احتياطي او رديف او غير ذلك من برّي وبحري سواء كانوا من المتطوّعة او من المنظَّمة . فالجنود المنظَّمة تُعرف من ترتيبها وطرق تدريبها وشكل البستها . ويدخل في ضمن المنظَّمة بقيَّة الموظفين كوكلاء المؤن وحافظي المال والقسس (خدَمة النفوس) والاطبَّاء والمرضين وباعة المأكول والمشروب ولا يحقّ لاحد منهم حمل السلاح لانهم لا يُعدُّون مقاتلين بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة وانَّما يجوز أسرهم ويجب تمييزهم

بالرعاية مـا عدا الاطبَّاء. فلا يجوز أسرهم عملًا بموافقة جنيفا. والفِرَق المتطوّعة تُعتبر ايضاً من المقاتلين ويحقّ لها المحاربة وتكون معاملتها عند وقوعها بالاسر تبعاً لقواعد الحرب ويشترط ان تعترف حكومتهم بهم وترخّص لهم حمل السلاح تحت رئاسة قائد معلوم وتكون لهم ألبسة خاصة او علامة ظاهرة يُعرفون بها ويحملون الاسلحة جهارًا

فهؤلاء كلهم يجوز قتلهم وجرحهم عند اشتباك القتـال وتلاحم الجيشين. فاذا كفُّوا عن القتال او امتنعوا عن الدفاع امتنع قتلُهم او جرحهم اذ كل من عجز عن الإضرار لا يجوز ضررهُ ولا فرق فيما اذا كان العجز اختيارًا كالتسليم او اضطرارًا كنزع السلاح من يدهِ غصباً فالعدوّ متى اصبح أعزل حُرم مسُّهُ

ولا فرق اليوم في كيفيَّة معاملة الجنود الوطنيَّة التي تحارب دولة عدوّة لها وبين الجنود والضبَّاط المأجورين الذين ينخرطون في صفوف العـدوّ طمعاً بمال او انتصارًا لهُ

واذا حدث أن خالف عدوّ قواعد الحرب وهتك حرمتهـا فذبح الاسرى او سكَّان مدينةٍ افتتحها عنوةً حقّ للعدوّ ان يلجأ الى المقابلة بالمثل ولا يخفى ما في هذا العمل من الظلم الفاحش والفظاعة الهائلة لأنّهـا تقع بالطبع على الابرياء. والعدالة تقضي بوجوب مجازاة الفاعلين اذا وقعوا في يد العدوّ ولكن بعـد ان يُحالوا الى مجالس الحرب لمحاكمتهم

وكذلك الجواسيس الباحثون في ارض العـدوّ للوقوف على اسرارهم واستحكاماتهم فاذا أُلقي القبض عليهم في زمن السلم عُدَّ عملهم جرماً وحوكموا في المحاكم العاديَّة ليجازوا تبعاً لشرائع البلاد واذا وقعوا في قبضة العدوّ في ابَّان الحرب أُحيلوا الى مجلس حربي فيُجازون عادةً بالإعدام

امَّا الروَّاد من ضبَّاط وغيرهم من الجند الذين يُعهد اليهم استكشاف مواقع العدوّ ومراقبة حركاتهِ وترتيب قوَّاتهِ فاذا وقعوا في ايدي العدوّ كانوا اسرى حرب لانَّ عملهم كان ظاهرًا

ثم انَّ معظم المشترعين يعدُّون راكبي المناطيد كالروَّاد والمحاربين علانيـةً فاجازوا تصويب المدافع والبنادق على المناطيد والسعي لاسقاطها فاذا افلحوا وسلم راكبوها وجبت معاملتهم كاسرى حرب

﴿ في غير المقاتلين ﴾ هم الاعداء غير المحاربين او غير العاملين من سكّان وغيرهم. فقد اجمع الشرّاع على صيانة مثل هؤلاء وعدم التعرّض لحريّتهم. ومعاهدات الدول توجب حرمة اعراض النساء وصون الاملاك وعدم التعرّض الى المعتقدات الدينيّة وغالباً يتعهّد المحاربون على ذلك عند اشهار الحرب. وبناء عليهِ لا يجوز جرح احد من السكّان او تعذيبهُ او اهانتهُ ولا معاملتهُ بقساوة واستبداد وعلى الاخصّ خرق حرمة العيال او عرض النساء. ولا يجوز حملهم على قسَم يمين الطاعة والامانة الّا اذا كان الاحتلال نهائيّاً. ولا يجوز اكراههم على مشاركة العدو في قتاله مع ابناء وطنهِ او قسرهم الى ما يؤول الى ضرر بلادهم ولا الى خيانة الاسرار فانّ مثل تلك الخيانات توجب المجازاة عند جميع الحكومات

هذا وانّما الحرب هي حرب كما يقال فقد توجب ضرورتها اموراً لا بُدّ منها أجازتها شرائع الحضارة رغماً عن قساوتها وظلمها كوضع الضرائب على سكّان المدن التي يحتلّها العدوّ والاستيلاء على ما يحتاج اليهِ المحتلّون من الادوات وتسخير الافراد بنقل المؤن والذخائر على خيولهم وعرباتهم . وجرت العادة ان يجبر الغالبُ سكّانَ المدن التي يمرّ فيها ان يدلّوه على الطريق. ومن أُجبر على هذه الامور مُكرهاً لا يُعدّ عملهُ خيانةً

﴿ واجبات المتحاربين بعد القتال ﴾ على المتحاربين بعد الاعتراك والجلاء القتال واجبات هامّة توجبها الانسانيّة وفروض مقدّسة تدعو اليها المروّة والمدنيّة نحو من خانهم الدهر وسقطوا في حومة الوغى امّا قتلى وامّا جرحى او اسرى

فالقتلى يجب صيانة جثثهم وحرمة ابدانهم واعادة ما يعثرون عليهِ في ثيابهم الى ذويهم بواسطة حكوماتهم اذا امكن . ثم يجب تحقيق شخصيّتهم بواسطة تذكرتهم وغرتهم مع كنية سجلّهم. ثم يُدفنون باكرام

امّا الجرحى والمرضى فلا شيء اولى من الاعتناء بهم وادعى الى الرأفة عليهم. ومن الواجب البديهيّ ان يعتني كل فريق بجرحاه ومرضاه ولكن قضت الشرائع الدوليّة على كل فريق من المتحاربين بالاعتناء بجرحى الفريق الآخر ومرضاه كانهم من جندهِ بلا ميزة او استثناء وقد استنبطوا لتلك الغاية مستشفيات نقّالة. وأُنشئت جمعيّة الصليب الاحمر بهمّة رجل سويسري الاصل من اهل البرّ والاحسان يُدعى هنري

ديوان ولم يزل يسعى حتى تعاهدت الدول على صيانة تلك الجمعيَّات وعدم التعرُّض لها ووضعوا لذلك قرارات صادقَ عليها معتمدو الدول. وقد ابدلت الدولة العثمانيَّة الصليب الاحمر بهلال احمر في حربها مع روسيَّة وصار الهلال من ذلك العهد علامة مستشفيات الدول الاسلاميَّة

امَّا اسرى الحرب فكان الاقدمون في سالف الزمن يعتبرونهم كعبيد لا تحميهم شرائع الانسانيَّة فكانوا يذبحونهم كالاغنام بلا شفقة ولا حنان بل كان الاشوريون وغيرهم من الامم اذا فتحوا بلدًا اعتبروا عموم اهلهِ كاسرى بلا تمييز في الاجناس والاعمار فشاع المثل: ويلٌ للمغلوبين. اما في عهدنا عند الامم المتمدّنة فالاسر عبارة عن حجز موقَّت يمنع الاسير من مساعدة قومهِ في القتال او الدفاع. ويكون تحت سلطة الحكومة وحمايتها فللظافر الحقّ في حرمانهِ من حرّيَّة الرجوع الى معسكرهِ ولكنَّهُ لا يحقّ لهُ قصاصهُ او تعذيبهُ او اهانتهُ او تشويههُ او حرمانهُ من الطعام او الشراب باعتبار كونهِ وقد وقع اسيرًا. وواجبات الاسير الرضوخ لنظام الظافر فاذا تمرَّد او عصى حقّ عليهِ الجزاء او القصاص فيُحال الى مجلس عسكري واذا ارتكب جرماً عومل بموجب ذلك النظام

ولا يجوز الاستيلاء على امتعة الاسرى او سلب ما عليهم من الحلي والدراهم فاذا دعت الضرورة الى نزعها من ايديهم وجب اعادتها حين تسريحهم. امَّا الاسلحة فهي بالطبع غنيمة الآسر وانما جرت العادة من قبيل المجاملة ان تُردَّ السيوف الى الضباط فقط. والاسرى يرسلون عادةً الى مدينة محصَّنة او معقل او معسكر ويحدّدون لهم محلًّا معلوماً لا يتعدّونهُ. ويجب معاملتهم بالرفق وعلى الحكومة الاهتمام بهم والعناية بامر معيشتهم تبعاً لشروط مقرَّرة بين المتحاربين واذا لم يكن ثمَّت شروط معروفة وجبت معاملتهم معاملة الجنود الظافرة على السواء وتبقى النفقة على الغالب حتى يقع الصلح او التبادل. وينتهي الاسر بانتهاء الحرب وعقد الصلح فلا يبقى ثمَّت الا الاتفاق على شروط التسريح المادّيَّة كالغرامة وما اشبهها

هذا وقد كتب المشترعون فصولًا ضافية في كل هذه الابواب اقتطفنا منها زبدة اقوالهم واهم آرائهم خوفاً من التطويل المملّ

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهليّ

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

لمحة تاريخية

جاء في كتاب الاغاني ما ملخَّصهُ :

« كانت جليلة اخت جسَّاس البكريّ امرأة وائل كُليب التغلبيّ. فلمَّا قتل جسَّاس وائلًا ووقعت حرب البسوس بين بكر وتغلب رجعت جليلة الى اهلها فولدت غلامًا سمَّتهُ الهجرس. فنشأ في بكر لا يعرف نسبهُ حتى وقع يومًا بينه وبين رجل من بكر كلام منهُ وقف الهجرس على حقيقة نسبه ومن ذلك الحين عقد النية على أخذ الثأر فانجز مقاصده وقتل خاله جساسًا قاتل ابيه (نحو سنة ٥٣٤ م) »

غير انهُ لمَّا كان الرواة قد اختلفوا في هذه الحادثة رأينا ان نتصرَّف فيها بما يوافق المقام التمثيليّ. من ذلك انَّا اختلقنا تزوّج الحارث بن عبَّاد سيّد بكر بجليلة بعد قتل وائل وجعلناه متبنِّيًا للهجرس فيكون هذا لا يعرف ابًا غيرهُ قبل ان يوقفهُ ثعلبة على حقيقة نسبه ويستحثّهُ على الفتك بخاله

ولم يسعنا الَّا ان نضرب صفحًا عمَّا اثبتهُ الرواة للمهلهل (الزير) وتناقلتهُ فبالغت فيهِ أَلسنة العامَّة من الانقياد للاهواء فمثَّلناهُ اشرف طبعًا واسمى منزعًا

وقد جعلنا للهجرس شقيقًا ولدته جليلة للحارث ودعوناه جليلًا فيكون هو رادعًا لاخيه عن اخذ الثأر ومصلحًا بين بكر وتغلب

واغلب الابيات تاريخيَّة من نظم الشعراء ابطال الحادثة فنقلناها مع بعض التصرُّف عن كتاب شعراء النصرانيَّة وغيرهِ

امَّا الغناء فقد ضبطهُ اخونا الخواجا جان ابيلا على النسق الافرنجي وان عربيًّا. وسننشره ان شاء الله بضوابطهِ الموسيقيَّة في ذيل الرواية

المثلون

الاسم		
الهجرس بن وائل		
عديّ المهلهل اخو وائل وامير تغلب		(تغلب)
سحبان } من فرسان تغلب صخر		
الحارث بن عبّاد سيّد ضُبيعة وامير بكر		
جليل ولده واخو الهجرس لأُمّه		
قيس صديق الهجرس		(ضُبيعة)
عمرو من اصحاب الوفد		
فاتك من فرسان ضُبيعة		
بشّار " "		
جسّاس بن مرّة سيّد شيبان وخال الهجرس		
ثعلبة } من طلائع شيبان لُكيز		(شيبان)
نويرة صديق جسّاس		
خالد من فرسان شيبان		

فرسان تغلب وبكر

ابن وائل

الفصل الاول

المشهد الاوّل

(يمثّل المرسح مضرباً لبني بكر وبقربه حصناً)

الحارث وجسّاس

الحارث بلغني يا جسّاسُ . انك ارسلتَ الى حيّ ِ تغلبَ غرسانَ وثعلبةَ كي يقتلا غدرًا عديًّا المهلهلَ . . . فعلتَ هذا على غيرِ علمٍ منّي

جساس نعم سيّدي الحارث. وقد مضى على ذَهابهما أُسبوعٌ ولا ادري ما جرى لهما... وامّا اني لم أُعلمكَ الامرَ فلِتغيُّبكَ وقتئذٍ

الحارث لو علمتُهُ في حينهِ لأنكرتُهُ عليك. ولولا حبّي ايَّاك لَسيَّرتُكَ الساعةَ الى حيِّ تغلِبَ وسلَّمتُكَ الى المهلهِلِ بجريرتِكَ لئلّا أُثير حرباً عواناً عليَّ وعلى قومي... ولكني استدركتُ الامرَ. بعثتُ الى ثعلبةَ وغرسانَ أن ارجعا حالّا

جساس ما هذا مولاي؟ أتُنكِرُ عليَّ فتكي بالمهلهِلِ. وهو اخو وائلٍ كليبٍ عدوِّنا الالدِّ؟ المهلهِلُ أسرفَ في قتل بني بكرٍ قومنا: هو قاتلُ نضلة وسيَّارٍ وسعدٍ إخوتي. هو القاتلُ يومَ اراقَ دمَ ابنك بُجيرٍ: «بُؤْ بشِسْعِ نعل كُلَيبٍ». وانت تحمي رأسه وتُنكرُ عليَّ قتلَهُ!!

الحارث نعم قد كان ذلك كلُّهُ على يدِ المهلهِل. فتكَ بنا وبدَّد شملنا وحفر المقابر لاحبابنا. فصلَ حشاشةَ قلبي عني. هدرَ دمَ بُجيرٍ حبيبي. حرَّقَ قلبي وامرَّ عيشي

قُلْ لأُمِّ الأغرِّ تبكي بُجَيرًا حيلَ بين الرجالِ والاموالِ
ولَعمري لأَبكيَنَّ بُجَيرًا ما اتى الماءُ من رؤوسِ الجبالِ
لَهفَ نفسي على بُجَيرٍ اذا ما جالتِ الخيلُ يومَ حربٍ عُضالِ
قَتَلُوهُ بشِسْعِ نَعْلِ كُلَيبٍ إنَّ قتلَ الكريمِ بالشِسعِ غالِ

...نعم قتلوهُ... انّا قتلوهُ أثناءَ الحرب وقد نجَّمَ المهلهِلُ ديات القَتلى وعَقدْنا الصلحَ مُنذ ذاك. أفيسوغُ لنا ان نخفرَ ذمَّتَهُ وتنكثَ العهدَ بان نفتكَ به ظلماً؟

جساس قد طالما كان الغدرُ دأبَ المهلهِلِ وقومهِ تغلِب

تعدَّت تغلِبٌ ظُلماً علينا بلا جُرمٍ يُعدُّ ولا جُناحِ
سوى كلبٍ عوى في بطنِ قاعٍ ليَمنعَ حِميَةَ القاعِ المُباحِ
فما ظُلماً يكونُ اذا ظلَمنا عُقابَ البغيِ رافعةَ الجَناحِ

الحارث الله يرذُلُ الظلمَ والخداعَ في كل آن

جساس ولكنَّ تغلبَ...

الحارث هذا يا جساس فضلًا عمَّا جلبتَهُ على قومك من المصائب بدسّكَ الدسائس على اميرِ تغلبَ

جساس مولاي اخذتني الحيرةُ من كلامِكَ ألستَ انتَ القائل :

يا بُجَيرِ الخيراتِ لا صُلحَ حتى نَملأَ البيدَ من رؤُوسِ الرجالِ
وتَقَرَّ العُيونُ بعدَ بُكاها حينَ تسقي الدِما صُدُورَ العوالي

ثم لا يجلب الشرَّ على قومهِ من ينتقم لهم ؟

الحارث الَّا اذا كان وراء الانتقام لهم انتقام الاعداء منهم وحروب وسفك دماء . علمتَ يا جسَّاسُ ما اوقعَت بنا حربُ البسوس منَ الخطوب . أجلْ قد كانت لنا الوقائع العظامُ كانت فيها الدولة على تغلب فافتخرَ قومنا بخيلهم ورَجلهم وابطالهم . فورَبِّ ربيعة اننا لم نخنث بيميننا اذ حلفنا بان « نملأَ البيدَ من رُؤُوسِ الرجالِ » . بيدَ أنَّ بكرًا أهلي واهلَك قد كادت تَفنى في المعامع . . . ويلاه !

كم باكياتٍ تُرى يرثين في وطني كم ثاكلاتٍ بأحزانٍ وأشجانِ
فالامُّ في هَلَعٍ والاختُ في جزَعٍ حُزنًا على فَقْدِ اولادٍ وإخوانِ

. . . والآن قد لطَفَ اللهُ بنا وخمدَت نارُ الحربِ أفتريدُ في البَلاءِ بلاء بان تعودَ فتُسعرها باثارتك بغضَ المهلهِل وقومه

جسَّاس لا . لستُ أُريدُ مُصابَ قومي إنَّما جلُّ مُرادي ان افتكَ بالمهلهِل فاني أَبيتُ مُصالحةَ نذلٍ ندَّدَ باهلي وبطشَ بهم ولا ارتاحُ إلَّا لإِهلاكهِ

ابلغْ مُهلهلَ عن بكرٍ مغلغَلةً منَّتكَ نفسُكَ من غيٍّ أَمانيها
تبكي كُليبًا وقد شالتْ نعامتُهُ حقًّا وتُضمرُ أشياء تُرجيها
فاَصبر لبكرٍ فانَّ الحربَ قد لَقَحت وعَزِّ نفسك عمَّن لا يواليها
فقد قَتَلنا كُلَيبًا لم نبالِ بهِ بنابِ جارٍ ودون القتل يكفيها

الحارث انت مخطىء

جساس انا مخطىء ؟ تذكَّر قولك :

يا بني تغلبٍ قتلتم قتيلًا ما سمعنا بمثلهِ في الخوالي

قرِّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قولي يُرادُ لكن فعالي
قربا مربطَ النعامةِ مني وأعدلا عن مقالةِ الجُهَّالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قلبي عن القتالِ بسالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لبُجَيرٍ مُفَكِّكِ الأغلالِ
قربا مربطَ النعامةِ مني لِكريمٍ مُتوَّجٍ بالجمالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لا نبيع الرجالَ بيعَ النعالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لبُجَيرٍ فداهُ عمّي وخالي

(يدخل ثعلبة)

قرّباها بمُرهفاتٍ حِدادٍ لاعتناقِ الكُماةِ يومَ القِتالِ

الحارث (سكوت هنيهة) انكَ لمخطىءٌ

المشهد الثاني

الحارث — جسّاس — ثعلبة

الحارث ثعلبة !...

جساس وحده ! (الى ثعلبة) اين غرّسانُ ؟

الحارث ورسولي عمروٌ ؟

ثعلبة بذلا النفسَ في خدمةِ الاميرِ . قتلهما الاعداء

الحارث هاتِ خبرَك

جساس وأوجز

ثعلبة بالقرب من حيّ تغلب غارٌ اليهِ كنّا نتردَّدُ وفيهِ كنّا اودعنـا اسلحتنا فبينا كنّا ثمّةَ كامنينَ للمهلهِل نترصَّدُ فرصةً لاهلاكهِ اذ وفد علينا عمروٌ رسولُ الاميرِ فهممنا بالرجوع طوعاً لامرك مولاي . ولكن ما ابتعدنا قليلًا الّا ووراءنا قومٌ من فرسان تغلب عرفونا وشنّوا الغارة علينا فقبضوا على غرّسانَ وعمروٍ وقتلوهما...

جساس لانتقمنَّ لأميني غرّسانَ

ثعلبة واماً انا...

الحارث وانتَ ؟

ثعلبة أَنقذَني اللهُ فاني ما رأيت فرسان تغلب وثبوا علينا الّا وامتطيت جواداً كان يسرحُ هناك واسرعتُ الى الحيِّ لأُعلمكَ مولاي بما جرى

الحارث وهل وجدتَ بني تغلبَ على أُهبةِ الغزو ؟

ثعلبة لو تيقَّنوا ما كنّا اضمرناهُ لهم من الشرّ لزحفوا علينا ولكن هيهاتِ ان يتيقَّنوا ذلك فذهبوا وشأنهم بعد ان قتلوا غرسان وعمرًا . وهاءَنذا بين يديك وكلُّنا على أُهبة القتال لنأخذ بثار اخوتنا

الحارث لكنَّ الرأيَ يقضي علينا بالتحفُّظ

ثعلبة (وحده) الامير على حذر ! خابت مساعيَّ

الحارث إذهب يا ثعلبةُ وأَنذر القومَ في الحصن ليأخذوا حذرهم

ثعلبة (مترددًا) سمعاً وطاعةً مولاي (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الثالث

الحارث وجساس

جساس يقضي الرأي بالتحفُّظ والتحصُّن واماَّ شرف الامير فيقضي عليهِ ان يزحفَ بجيشهِ على المهلهِل وقومهِ ويعاقبهُ على قتلهِ رجلين من بكر

الحارث لا يعاقَبُ من دافع عن نفسه فما لنا ان نطلب ديَة غرسان . . واماَّ عمرو . .

جساس نعمَ رسولك عمرو أَفيذهب دمهُ هدرًا ؟

الحارث كان لتغلبَ ان تقتلَ ثعلبة وقد بعثتَهُ انت غدرًا فافلتَ منهم بالحيلة فيكون عمروٌ عوضهُ

جساس أَفتعتزل الحربَ اذن ؟

الحارث حسبنا الآن ان نتحفَّظ ونتحصَّن كي ندفعَ العدوَّ ان تعدَّى علينا واماَّ ان انكثَ العهدَ وانقُض شروط الصلح بإثارة الحرب من نفسي بعد مصافحتنا لتغلبَ فذلك عارٌ عليَّ

جساس فأعتزلها إِذن بقومك ضُبيعةَ واماَّ انا فإني اجمعُ اليوم للحرب قومي بني شيبانَ . . . اكرُّ معهم على الاعداءِ ولا انثني عن الضرب والطعن حتى اسحقَ اهل المهلهِل عن آخرهم وأُبيدَ خضراءَهم وغضراءَهم

الحارث ذاك شأنك . انا حليف الدفاع ليس الّا . لا ابتدئ بالعداوة فأناجز من عاهدتهُ بالصلح (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الرابع

جساس وحده

جساس تمتّع تمتّع وحدك بالطمأنينة اسحب وراء قومك ذيلَ العار وتجلبب بثوب الذلّ الذي آثرتهُ على النصر والعزّ . . . واماً انا فلا اختارُ الّا القتالَ . . . القتالَ لأجرّعَ كأس الردى المهلهلَ قاتلَ اخوتي . . . القتالَ حتى لا تبقى في تغلب أمٌّ الّا ندبت ولدًا ولا أختٌ الّا بكت اخاً . . .

إني وربِّ الشاعرِ الغرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ
وعالمِ المكنون في الصدورِ لأثبنَّ وثبةَ المُغيرِ
الذئبِ او ذي اللّبدَة الهَصورِ بصارمٍ ذي فننٍ مشهورِ

نعم اني قتلت وائلًا وقد تكبّر وبغى وتجبّر وطغى . قتلت سَلَمة وعبد الله اخويه ولكن بقيَ اخوهُ عديٌّ المهلهلُ (يخفض صوته) بقيَ ولدهُ الهجرس . آه من لي بان اراهما صريعين على قدميَّ فاروي غُلّتي من دمائهما . . . امّا المهلهلُ فقتلهُ مقرَّرٌ في اوّل وقعةٍ واما الهجرس . . . آه ! (يجلس) انَّ دون قتله عقباتٍ . . . هو مقيمٌ بيننا ويحسبُ نفسهُ كانهُ واحدٌ منّا . اتت به طفلًا الينا أختي جليلة بعد قتل ابيه كليب وائل . فلا يدري الى الآن انهُ ابن عدوّنا الالدّ بل ينتمي الى الحارث بن عباد كانهُ ابوه وما الحارث الّا ابو جليل اخي الهجرس لأمهِ جليلة تزوّجها ابن عبادٍ بعد مقتل كليب . . . هذا ما يصدّني عن قتل الهجرس . فان اوقعت بهِ شرًّا قامت عليَّ اختي جليلة . قام عليَّ بنو ضُبيعة باسرهم . والحارث سيّدهم تبنّى الهجرس وهو يحبّهُ كانهُ ولدهُ من صُلبهِ (يقف) . . . لكن صبرًا يا فؤادي فلأرمينَّهم جميعاً بسهام الخداع وانصبنَّ فخًّا اصطاد بهِ الهجرس وانفي عن الارض سُلالة وائل . (يلتفت) هوذا الهجرس دعني انصب لهُ شراك المكر وأغريه بالسير معي الى الحرب . اجعلهُ رئيساً على

فئةٍ من قومي واستحثُ صديقي نويرة على قتلهِ خفيةً واذيعُ الخبرَ ان الاعداء فتكوا بهِ (يدخل الهجرس)

المشهد الخامس

جسَّاس والهجرس

الهجرس انَّا لفي خطرٍ عظيم

جساس مَهيم ؟ هل من عدوٍ مقبل ؟

الهجرس نعم قد حملت علينا تغلبُ. كنتُ على بُرج الحصن اترصَّد المقبلين فرأيت كتائبَ المهلهل زاحفةً الى الحيِّ

جساس لكنَّ ثعلبة كان سكَّن روعنا

الهجرس ثعلبة ! خرج من الحي ولا شكَّ انهُ عادَ الى بني تغلبَ. هو خائنٌ مخادع

جساس ماذا تقول ؟

الهجرس تيقَّنَ ابي الحارث خيانته إذ رأى وسمعَ عقيبَ ذهابهِ غرسانَ وعمرًا

جساس عاد غرسانُ وعمروٌ ! إذًا ما اتانا ثعلبة الَّا بالكذب والبُهتان أوضح لي الخبر

الهجرس قد ساء ثعلبةَ أن لم يرضَ ابي بقتل المهلهل غدرًا

جساس (مفتكرًا) كنت وعدتهُ بمكافأةٍ لو نجحت مساعيهِ

الهجرس فلمَّا خابت آمالهُ من نوالكَ طمعَ برُشوةٍ من بني تغلب فاخبرهم بمقاصدك فاستأسروا غرسانَ وعمرًا واشترطوا لثعلبة ان يجزلوا لهُ العطاء اذا اتى حيَّنا وتجسَّس الحصن ونشر بيننا اخبار السلم لنتقاعد عن التحصُّن

جساس تبًّا لهُ من خائن

الهجرس كل هذا والمهلهلُ غائبٌ فلمَّا عاد الى حيّهِ كرهت نفسهُ خيانة ثعلبة ولا شكَّ انهُ يطردهُ عند وصولهِ اليهِ . ثم أطلق المهلهل الاسيرين قائلًا : لا ارضى الَّا بدمِ جساس وها هو زاحف الينا بقومهِ

جساس لأُعاقبنَّ ثعلبةَ على غدرهِ

الهجرس امَّا الآن فبدارِ بدارِ وقد أرسلني ابي الحارث اليك . . .

جساس أيرغب ابوك في الحرب ؟

الهجرس نعم · يبتغي الدفاع عن الحي هو الآن في الحصن وقد اذكى العيون على الاعداء · مراده ان تذهب الساعة وتجمع قومك بني شيبان وقومهُ ضُبيعة فتأتي بهم اليهِ الى هذا المكان

جساس انا فاعلٌ (يخرج متردّداً)

الهجرس ولكن يا خالي (يعود جساس) أسالك واحدةً

جساس وما هي ؟

الهجرس أتشتبكُ الحرب وتلتحم بين قومي والاعداء ولا اقتحم غَمراتها ؟ اتكون لبكر الوقائعُ العظام وانا أُترك كالطفل مع النساء لا أُجوّد على العدوّ حساماً ولا أُصوّب رمحاً فيقال عني خسيسٌ جبان وانا اشعرُ من نفسي ما اشعر من جُرأَةِ الصدر ورباطة الجأش ومن الحب لبكر ما لا يشفى غليلهُ الّا ببذل النفس . كلّا ومبدعِ الخلق

حتى ابيدَ قبيلةً وقبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وأُذيقَ حتفًا آل تغلِبَ كلّها واهدَّ منها سَمْكها المرفوعا

جساس (وحدهُ) رميتُهُ بجحرهِ واوقعتهُ في شَصّهِ (الى الهجرس) أفتريد خوض غمرات الحرب ؟

الهجرس تلك غايةُ منيتي

جساس نعمَ المطلبُ مطلبك يا فتى · · · فابقَ هنا ريثما اعود بابطالي فاني مُقدّمك على مئة منهم (يخرج جساس من جهة الحي)

المشهد السادس

الهجرس وحدهُ

الهجرس لا · لا ارضى بالذل والعار · لا ارضى بان أُعدّ جباناً منخوب القلب · لا ارضى بالقعود وقد نهض للنزال فرسان قومي أُباةُ الذلّ وكُماة الوغى

فقِدوني مهنّدًا للنزالِ ليس قلبي عن القتال بسالِ

قلّدوني مهنّدًا للنزالِ مع رمحٍ مثقّفٍ عسّالِ
قرّبا مربطَ المشهّر مني طال ليلي واقصرت عذّالي
قرّبا مربط المشهّر مني يا لتغلب اين منكم وصالي
فخذوا حذركم وشدّوا وجدّوا واصبروا للنزالِ بعد النزالِ (يدخل جليل)

المشهد السابع

الهجرس — جليل

جليل اخي ما للقوم في حركة وانتقال تُرى هل الأُهبة لغزوٍ ام دفاع

الهجرس الأُهبة للدفاع يا اخي

جليل وايُّ عدوٍّ مُغير علينا ؟

الهجرس بنو تغلبَ . . . لكن سكِّن الروعَ أُخيَّ فاني مدافع عن الحي وعنك فلأُثبِنَّ على الاعداء ولاستأصلنَّ شأفتهم

جليل ما ذا يا اخي ؟ اتذهب الى الوغى وتتركني وحدي غائصاً في بحرٍ من الاكدار؟ أأراكَ تخاطر بالحياة وانت قُرَّة عيني ومُهجة فؤادي وحياتك اعزّ عليَّ من روحي

ألستُ أعدُّ قربي منك ربحًا اذا ما عدَّتِ الربحَ التجارُ
فإن تَبعدْ فديتُكَ يا ابن أُمي تناءى النومُ وامتنعَ القرارُ
فإن تبعد فديتُكَ يا ابن أُمي اغادرُ كلَّ ما حوت الديارُ
ولستُ بخالعٍ حبّي ووجدي الى ان يخلعَ الليلَ النهارُ

الهجرس طِبْ نفساً أُخيَّ فإنَّ اللهَ القاضي عليَّ بالدفاع عن الوطن يعضدُني ويُعيدني اليكَ سالمًا ظافرًا

جليل وأُمُّنا جليلةُ قد غذتكَ رضيعاً وأَنمتكَ غُصناً نضيرًا أفتتركني وايّاها ولا لذَّة لنا من العيش الّا بالقرب منك . كيف الفراق يا أخي ؟

قلبي بحبك مولعُ حزني بقربك يُدفعُ
كيف الفراق وفيه لي داءٌ عُضالٌ موجعُ

(يدخل الحارث)

المشهد الثامن

الحارث — الهجرس — جليل

جليل رُحماكَ ابتِ اردَع اخي عمّا نوى يريد البروز الى الوغى فيتركني وحدي

الحارث ما ذا يا هجرس ؟ أعن غير رأيي تنتظمُ بين فرسان الحرب وانا سيّدها . أبدون اذني تتناءى عن الحيّ . وانا ابوك والي مفوَّضٌ امرك

الهجرس معاذ الله اني أن أعصى لك امرًا ولكن أليس عارًا عليَّ ان تذهبَ الى الوغى ولا اسيرُ وراءك لأدفع عنك الاعداء

الحارث أبقَ هُنا وادفع الكآبةَ عن قلب ابويك واخيك

الهجرس ومن يدفع عن قلبي الكآبةَ عليك ابتاه . اقتركب الاهوالَ ولا اركبها

الحارث ان أبيت الّا الاقدامَ والبسالةَ فانا ملبٍّ طلبك . . .

جليل أبتِ ناشدتك الله ! . .

الحارث (الى جليل) لا تخف بنيَّ (الى الهجرس) ان في الحصن يا هجرس أبطالًا ابقيتهم للدفاع عن الحي كن معهم فقد جعلتك عميدهم ومَلاك امرهم

جليل ولكن يا ابي . . .

الحارث بذا نرضى جميعاً . الهجرس محاربٌ غيرُ مفارق لك يا جليل والحصن كالحيِّ والحيّ آمن لهُ من ساحةِ القتال (الى جليل) اذهب ولدي الى أُمك وسكّن روعها

جليل رعاك الله ابتِ واعادك سالمًا

(يدخل جساس ونويرة وجند شيبان وضبيعة)

المشهد التاسع

جليل — الحارث — الهجرس — جساس — نويرة — جنود

الحارث وانت يا هجرس سِرْ الى الجند الباقين في الحصن وقل لهم اني قلّدتك الرئاسة عليهم

جساس (وحده) قد اخفق مسعايَ !

جليل تزوّد بنا زادًا فديتكَ والدي فهل من وصالٍ بعد هذا التقاطعِ

الهجرس وكفكفْ باطراف الوداع تمتُّعاً جفونك من فيض الدموع الهوامعِ

الحارث ولديَّ أستودعكما اللهَ

(يخرج الهجرس من جهة الحصن وجليل من جهة الحي)

المشهد العاشر

الاشخاص انفسهم ما عدى الهجرس وجليل

جساس مولاي قد جمع الله قومي وقومك لمقاتلة العدوّ هم بَطنـان من بكر لكنّهم جيشٌ واحدٌ في حوزتك مُرنا نسرْ وراءَك ونكرّ على الاعداء كرَّ الصناديد

الجند ونفتك بهم فتك الاسود

الحارث نعماً نعماً يا فرسان لا يفشل القوم اذا تعاونوا

جساس وكي يتحققوا هذا التعاون فاني رأيت ان اقـدّم الهجرس على فئةٍ من بني شيبان

الحارث (يأخذ جساس على انفراد) لو لم يكن الهجرس تغلبيًّا وابنَ اخي المهلهل لكنت استصوبت هذا الامر

جساس هو يجهل ذلك

الحارث لكنّا نحن على بصيرةٍ من الامر . . . لا تسوغُ لنا مخالفةُ سُنّـةِ الله بان يُحمَل فتى على مُحاربة اهلهِ . ثمَّ إن الهجرس حديث السنّ لا يُحسن القتال

جساس (متهكّماً) يخشى الامير على ولده

الحارث يحقّ لي ان اضنَّ بدمهِ وقد كُلّفت بتربيتهِ وأحببتهُ كولدي أَفما كفاني ان اخاطر بدمِ ابطالي . (يعود فيخاطب جنوده) أجل يا بني بكرٍ يعزُّ عليَّ ان اراكم تركبون الاهوال وتقتحمون المهلكات ولكنَّ المهلهل اقبل بجيوشهِ الجرَّارة يبتغي النزال فلا يُنجّيكم منهم اليومَ الّا الطعن والضرب فاصدقوهم القتال وامتنعوا بسيوفكم . حقّقوا آمالي لا تأخذكم جبانةٌ ولا تعودُنَّ الّا وانتم ظافرون

الجند ورب ربيعة نحن ظافرون

الحارث ضَمِنَت لنا ارماحُنا وسُيوفُنا بهلاكِ تغلبَ آخرَ الايّامِ

الجند بهلاك تغلب آخرَ الايّامِ

جساس واذا الكرام تذاكرت ايّامها كنّا على الايّامِ خيرَ كرامِ

الجند كنّا على الايّامِ خيرَ كرامِ

جساس أفبعدَ مقتلهم بُجيرًا عنوةً يرجون ودًّا آخر الاعوامِ

فئة من الجند كلّا وربِّ الراقصات الى منًى

فئة ثانية كلّا وربّ الحلّ والاحرامِ

جساس حتى يُقيدونا النفوس بقتله ويروموا في الشحناء كلَّ مرامِ

وتجولَ ربّات الخدور حواسرًا يبكينَ كلَّ مغاورٍ ضرغام

(غناء حربي في اثنائه يفكّر جساس)

هيًّا بنا هيًّا بنا نحو العدى هيًّا بنا

ويلًا لكم اعداءنا سقيًا لكم اصحابنا

يا قومُ سُلّوا المرهَفاتْ ثم اشحَذوا حدَّ الظُّباتْ

ويحًا لقلبِ الأمهاتْ يُصبحنَ يومًا ثاكلاتْ

بسيوفنا وحرابنا

إنّا لدى الهيجا صعابْ فنَخوضُ غمْرتها غضابْ

بصدورنا نلقى الحِرابْ بسيوفنا نفري الرقابْ

مَنْ في الملا كشبابنا

(بعد الغناء يخرج الحارث مع الجند ولكن جساس يشير الى نويرة فيعودان متلصّصين)

المشهد الحادي عشر

جساس ونويرة

جساس قد اخفقَ مسعانا في قتل الهجرس يا نويرة أَمين شيبان

نويرة فهل من وسيلة سواها ؟

جساس ابقَ في الحصن واحتلْ على الهجرس حتى يقلّدكَ حواسةَ مدخلهِ

نويرة انعم بالّا مولاي

جساس وانا باعث من يستحثُّ رجلين من بني تغلبَ على قتل الهجرس وليس منهم من يعرف نسبه فاليك يأتيان

نويرة وانا أُمهّد لهما السبيلَ الى قتلهِ وانشر الخبرَ انهُ برز الى الاعداء ففتكوا بهِ

جساس سأُجزلُ لكَ العطاء على خير العمل

نويرة سيكون ما تريد

جساس انا لاحقٌ بالامير (يُرخى الستار) (لها تابع)

ميمر مفقود
للقديس انسطاسيوس السيناوي

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مشاهير الكنيسة اليونانيَّة في القرن السابع كاتب بليغ وعالم كبير يُدعى القديس انسطاسيوس ترأَّس على دير طور سينا وقاوم كمعاصرَيهِ الشهيرين القديس يوحنَّا الدمشقي وتاودورس ابي قرَّة البدعة اليعقوبيَّة وتفرُّعاتها. وربَّما اشتبه على الكتبة اسمهُ فخلطوا بينهُ وبين كاتبين آخرين سبقاهُ بزمن قليل وهما اولًا البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الذي دبَّر كرسي انطاكية من السنة ٥٥٩ الى ٥٩٨ للمسيح. وثانيًا بطريرك آخر يُدعى انسطاسيوس ايضًا خلف على كرسي انطاكية انسطاسيوس السابق من السنة ٥٩٩ الى ٦١٠ وللاوَّل كتاب في العقائد المسيحيَّة والتعليم المستقيم المطبوع في مجموعة مين (Migne, P. G. t. 89 col. 1309, seq) وللثاني ترجمة يونانيَّة لكتاب الَّفهُ القديس غريغوريوس الكبير في تدبير الرُّعاة (De cura pastorali) . امَّا انسطاسيوس السيناوي فكان فيلسوفًا كبيرًا ولاهوتيًّا محنَّكًا كما تدلُّ عليهِ الكتب الباقية لهُ منها كتاب الهداية (ὁδηγός) في المعتقدات النصرانيَّة (Migne. P. G., t. 89, col. 35-315) وكتاب واسع في حلّ مشاكل دينيَّة (Ibid. col. 311-824) وتأليف في ايَّام الخليقة (Ib. col. 854-1077) . وممَّا وجدناهُ لهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ولا ذكر لهُ في اعمالهِ اليونانيَّة ميمر جليل خصَّهُ بيوم جمعة الآلام الكبيرة ووصف فيهِ ما قاساهُ السيّد المسيح منذ اوقفهُ اليهود في بستان الزيتون الى موتهِ عزَّ وجلَّ وقد عمد في كتابة هذا الميمر الى المزمور الثاني لداود الذي بدؤهُ « لماذا ارتجَّت الامم » فبيَّن انَّ كلام النبي قد تمَّ بحرفهِ في آلام المخلّص وعرض ذلك على طريقة بليغة كما اعتادها آباء الكنيسة اليونانيَّة. فقصدنا ان نحيي هذا الاثر في مجلَّة المشرق لنفاستهِ. والكتاب الذي اخذنا عنهُ هو مجموع اقوال الآباء الذي مرَّ لنا وصفهُ (في المشرق ٨ : ٤٧١ تحت العدد ٦١) والميمر في الاصل من الصفحة ٢٨٦ الى ٣٠٦. وامَّا التعريب فهو على ما نظن لابي الفضل الانطاكي الذي سبقت ترجمتهُ في المشرق فاثبتناهُ على علَّاتهِ ولم نصلح فيهِ الَّا ما لا يُعبأ بهِ من الاغلاط الظاهرة

(286) ميمر ليوم الجمعة العظيمة

لابينا القديس انسطاسيوس رئيس دير طور سينا المقدَّس

على آلام ربّنا ومماته بالجسد وسائر ما يختص بهِ من امور الصلب وفي الطعن على اليهود القاتلي الاله . وهو تفسير (287) المزمور الثاني لداود خاصَّة المشاهد بالصلب وغير ذلك

هذا هو إلهنا خالق السماوات والارض ايسوع المسيح الذي اعدّ لنا اليوم الخلاص في وسط الارض (١ عند طلوعهِ فوق الصليب المحيي في جبل صهيون فصاح صوتاً عالياً وافزع الدنيا باسرها صاح صوتاً شديداً فحرَّك الارض وارجفها (٢ صاح فاظلمت الشمس وتمزَّقت الدنيا وتفلَّقت الصخور . صاح فانفتحت القبور وقام الاموات وارتعب الموت . صاح فهتك الستر وشقَّهُ من فوق الى اسفل (٣ . صاح صوتاً عالياً لجمع الامم وزعزع المسكونة ومن عليها

انَّ الدنيا لمَّا علمت انَّ إله الآلهة وخالق السماوات والارض ارتفع على الصليب بالجسد في طور صهيون هنالك عرفتهُ ولهُ مجَّدت ولهُ سجدت وسبَّحت واليهِ بما انَّهُ الإله للهدايا قدَّمت . فالشمس والقمر والنجوم والسماوات والملائكة والشاروبيم والسارافيم لهُ تمجد وتقدّس وتسبح . فالسماوات لمَّا عاينت ارتَّجت . والشمس اذ ابصرت اخفت ضوءها . والقمر عند ما رأى أظلم . والملائكة كلهم بُهتوا . ورؤساء الملائكة حجبوا وجوهم باجنحتهم . اساسات الدنيا ارتعدت والارض اهتزَّت . الجبال والتلال والبحار والانهار بل المسكونة ومن عليها حزنت عند طلوع مخلصنا على الصليب

اليوم قاضي القضاة للقضاء يأتي . اليوم مبدع الحياة للموت يذوق . اليوم الديَّان يتعرَّض الى الدين . اليوم اسلم ربّنا نفسهُ الى ايدي الخطأة (٤ . اليوم دفع السيد ذاتهُ الى العبيد المنافقين . اليوم اوقفوا بارئنا قدام قيافا كاحد المجرمين . اليوم بصقوا في وجه إلهنا الذي لا (288) تستطيع الشاروبيم ان تحدق اليهِ . اليوم هُزئَ بهِ من الأئمة . اليوم وضعوا اكليلًا من الشوك على هامة ملك الملوك . اليوم البسوا سخراً

١) مز ٧٣ : ١٢ ٢) مز ١٧ : ٨ و١٤ ٣) متى ٢٧ : ٥٠-٥٣

٤) متى ٢٦ : ٤٥

البرفير والارجوان ذلك الذي لا تطيق السارافيم ان تلمحهُ بطرفها . اليوم الذي لم يعمل الخطيئة (١ دِينَ من بيلاطوس. اليوم دُفع الى الموت من بموتهِ امات الموت (٢. اليوم ذُبح الحَمَلُ السماويّ

في هذا اليوم عُلِّق ظلماً المسيح إلهنـا على خشبة الصليب فاستحيت لهذا كافَّة الملائكة وخجلت جميع الامم وحزنت . وامَّـة اليهود افتضحت . الآب من السماء تطلَّع ونظر . الوفُ لا تحصى من الملائكة نظرت الى الابن كيف اقبل الى موضع القضاء وقَبِـل الدين والعذاب من اجل المؤمنين . ابليس وجنودهُ اليهود خرجوا الى حيث اراد خالق السماوات ان يُدان . اجتمعت ملوك الارض تقاطرت الكهنـة صَخِب القوَّاد والامم والخلائق . جبل صهيون اضطرب . مدينة داود أرعدت على ابن داود فهي تحـدّد اضراسها وتصرّ باسنانها . قبورها تنفتح واجساد القديسين تخرج منها وتأتي الى صهيون . يدخل ابراهيم الى موضع الجلجلة حيث قدَّم ابنـهُ اسحاق الذي رُبط للذبيحة . يدخل يعقوب الى موضع الصليب حيث ظهر لهُ القضاء . يدخل الانبياء ويعاينون يونان ملقًى في بطن الحوت . يدخل داود ويعاين ابن الوعد . يدخل الصديقون ويشعرون في صهيون بجلبة عظيمة ورهج شديد . يعاينون الملوك والكهنة والاراكنة والجماعات والسلاح الشاك . يسمعون الصيـاح العظيم والضجيج والجلبات الكثيرة والعجيج . يشاهدون الرماح والسجس والغضب والترهيب والرواجف (289) والظلمات والمجامع المظلمة المنعقـدة لدينونة المسيح . يعاينون بيلاطس وهيرودس حنَّان وقيافا الكتبة والفريسيين اجتمعوا جميعاً على المسيح . فكل هؤلاء اذ قَدِموا بُهتوا جميعاً وارتجفوا لمَّا عاينوا خالق السماوات والارض مَدِيناً عليهِ بالصليب وصاحوا مع داود وقالوا : لِمَ تسجَّست الارض والامم وكل السلاطين ولمـاذا غضبوا وتسلحوا ولماذا تجمَّعوا فتكلَّموا بالباطل قائلين عن المسيح : هذا هو الوارث فهلموا لنقتلهُ ونأخذ ميراثهُ (٣

حقًّا انَّهم تكلَّموا بالباطل وامتلأت افواههم تجديفاً قالوا : فلنربط الصديق

---

١) رسالة بطرس الاولى ٢ : ٢٢ وبو ٨ : ٤٦ ٢) ١ قور ١٥ : ٥٥ و٢ طيم ١ : ١٠
٣) لوقا ٢٠ : ١٤

لانَّهُ ليس بموافق لنــا (١. قالوا: هلموا لنبطل اعياد المسيح من الارض (٢ ونقطع ذكرهُ من الاحيــاء ولنضع عودًا في طعامهِ ونمحقهُ من وجه الارض (٣. حقًّا يقينًا تكلَّموا بالباطل لانَّهم قالوا: ان لم يمت المسيح فكافَّة امَّتنا تهلك وتبيد (٤. تكلموا بالباطل حيث قالوا لبيلاطس: ارفعهُ اصلبهُ علّقهُ وان لم تصلبهُ لست محبًّا لقيصر

حينئذٍ قامت ملوك الارض والسلاطين والاراكنة مع الرؤساء بيلاطس مع هيرودس حنَّان مع قيافا كهنتهم وكتَّابهم مع الفرّيسيين شهود الزور والظلم جلسوا هم واقاموا في وسط مجمع القضاء ايسوعَ الناصري. جلسوا هم واوقفوا مثل اللص ذلك الذي مدَّ السماء وهيَّأها مثل الخيمة (٥. جلسوا واقاموا ذلك الذي اقام الجبال بغير اساس (٦. اقاموا خالق السماوات والارض واقفاً وهم جلوس. اقاموا ذلك الذي هيَّأ هذه الاودية كلها والبحار وقال للبحر: الى هاهنــا هلمَّ وقِفْ ولا تخالف (٧ فوقف كما امرهُ (290). اقاموا اسفل مثـل انسان ساقطٍ ذلك الذي يقف بين يديهِ كل الملائكة برعدة شديدة في السماوات ولهُ تسبح الشاروبيم والساراقيم (٨. ولئن كان المسيح واقفاً اسفل بين يدي بيلاطس كرجل وضيع الَّا انَّهُ جالس فوق العرش مع الآب بما انَّهُ اله. يُلطَم في اسفل على الارض وهو فوق يبعث الرعد والبرق ويَلطم الدنيا ومن عليها. يعطش في اسفل وهو فوق يجود بالمطر ويملأُ الدنيا سرورًا. يعيا ويتعب في اسفل ومنهُ فوق ينال كلُّ شيء قوتهُ. يقبل البصاق في اسفل وهو فوق تسجد لهُ كل القوَّات وذوو السلاطين لهُ تخضع

فلذلك اقول لكم يا اخوتي بالروح: عبثاً قامت ملوك الارض والاراكنة واجتمعوا جميعاً على الرب وعلى مسيحهِ. تأمَّلوا على من اجتمعوا وعلى من اتَّفقوا وعلى من قامت ملوك الارض وكافَّة الشعوب والامم والاراكنة. قل لنا يا داود وأَخبرنا: على من اتَّفق بنو اسرائيل اليوم وعلى من تآمر سائر اليهود واجتمعوا في صهيون وعلى من تسلَّحوا في صهيون ولبسوا السلاح الشاكَّ وعلى من كانت جموعهم وحلفهم وايمانانهم الكثيرة واتفاقهم وصياحهم . هات يا داود خاصمْ جمعهم وبيعتهم وسائر امَّتهم

---

١) الحكمة ٢: ١٢ ٢) مز ٧٣: ٨ ٣) ارميا ١١: ١٩
٤) يوحنا ١١: ٥٠ ٥) اشعيا ٤٠: ٢٢ ٦) مز ١٠٣: ٥
٧) أيوب ٣٨: ١١ ٨) اشعيا ٦: ٢

واظهر لهم اعمال الصليب اي صليب المسيح الذي تشاجروا فيهِ لاتفاقهم وحملهم على الربّ وعلى مسيحهِ هات واقض وقل: ألعلّهم على رجل ضعيف قاموا او هل اتّفق كافّة اليهود على رجل خاطئ او على لصّ

يجيب داود قائلاً: بل على الرب وعلى مسيحهِ اجتمعت هذه الجموع وعليهِ تآمروا. فماذا تقول أيها النبي ؟ انهُ واحدٌ هو الذي تجسّد اعني المسيح (291) وواحدٌ هو الذي اتى الى الارض وواحد الذي صُلب إله واحد الذي دِين فكيف تسمّي اثنين بقولك: على الرب وعلى مسيحهِ اجتمع اليهود ورؤساؤهم. حقًّا قال النبيّ وان كان ذلك ليس كذلك أيها اليهوديّ فعلى من اجتمع الامم وذوو السلاطين؟ أعلى فرعون او على موسى او على هرون او على اسرائيل ؟ لكنّ الكتاب لا يقول كذلك بل على الربّ وعلى مسيحهِ اجتمعت اليهود وائتمر اراكنة عماليق اسرائيل. انهُ لم يقل على الرب وعلى اسرائيل او على الرب وعلى موسى. لم يقل الروح القدس كذلك كما قامت الامم والملوك وبنو كنعان على يشوع بن نون وكما قاموا على صموئيل النبيّ وداود قديس الله وكما قامت الامم وبختنصّر واراكنة الكلدانيين واجتمعت واتّفقت على اسرائيل واحرقوا الهيكل الذي لله وخرّبوا التابوت والمسكن والمقدس وألواحَ الله وكل مدينة القدس. ولم يقل داود لماذا ارتجّت الامم وملوك الارض تكلّموا بالباطل واتّفقوا جميعاً على الرب وهيكلهِ ولا على الرب وأمّتهِ او مقدسهِ او انبيائهِ اذ يقول في شأن ذلك: انّ الامم اتت ميراثك ونجسوا هيكل قدسك. وها هو الآن يقول: اجتمعوا على الرب ومسيحهِ واتّفقوا على خالق السماوات والارض وعلى مسيحهِ

وحقًّا تآمروا على الرب ومسيحهِ لانّ الذي لا يُكرم الابن لا يكرم الآب ومن على الابن يفتري فقد افترى على الآب والذي بصق في وجه الابن فللآب قد اهان والذين صلبوا الابن فقد جدّفوا على الآب والذين تسلّحوا على الابن فللآب قاتلوا لان مجد الآب والابن واحدٌ والتسبحة واحدة والكرامة واحدة والسيادة واحدة والقوّة واحدة. فحقًّا انّهم على الرب (292) وعلى مسيحهِ اجتمعوا. ولذلك قال المسيح عند القضاء: اني ليس انا وحدي ولكن ابي معي (1 اذ انا في الآب

1) يوحنّا ٨: ١٦

والآب فيَّ (١ فاذًا على الرب ومسيحهِ اجتمع اليهود

فما الذي عملتُهُ بكم يا بني اللعنة وبماذا احزنتكم الستُ لعميانكم انرتُ. ألستُ لصمّكم اطلقتُ السمع . الستُ لمقعديكم شدّدتُ . الستُ لناموسكم حفظت . ألست بالختان ارتضيت . ألستُ للفصح اكلتُ معكم وافصحتُ . ألستُ كما كنتم تفعلون فعلتُ . الست في هيكلكم مثل يهوديٍ صلّيتُ . فهل تركتُ لكم علّة او حجّة . او انطلقتُ الى الامم وانا القائل : اني لم آتِ الّا الى الغنم الضالّة من بني اسرائيل (٢ . فلمَ اذن تآمرتم عليَّ لماذا الزمتموني الخشبة مثل لصّ . ألم تعاينوا الشمس قد اخفت ضوءها عند ما صُلبتُ . ألم تشاهدوا القمر قد اظلم . ألم تبصروا الارض تُرعَد وتتحرّك . ألم تروا الصخور تتشقّق . ألم تنظروا الى القبور تتفتّح . ألم تلحظوا ستر الهيكل قد انشقّ فكيف لم تعتبروا عند ما عاينتم هذه الاشياء في ساعة دينونتي . كيف لم تُرعَد اقدامكم وفرائصكم عند ما عاينتم هذه العجائب كلّها . كيف لم تعلموا ولم تفكّروا في انكم لإله الحق رفعتم بالجسد على الصليب

فبمثل هذا الكلام يتكلم المسيح على اليهود برجزهِ يوم القيامة وعند ذلك يعاينون لمن طعنوا (٣ وبغضبهِ يرجفهم وهو عند ذلك يقول للملائكة : فليُرفَع ويُبعَد اسرائيل من الوسط لكي لا يعاين ملك الله الربَّ السماوي . اربطوا اليدين والرجلين للذين ربطوا يديّ ورجليّ واطرحوهم الى جهنم السابعة (٤ كمثل ما صيروني في جبّ مظلم وظلال الموت . مكّنوا الشيطان وجنودهُ من الذين اتبعوا هواه كما مكّنوا مني بيلاطس الوالي فليُدفعوا الى الجحيم مع كل الامم التي نسيت الله . وسيأخذهم الهلع عند اتيان المسيح بمجدهِ ومجد ابيهِ على سحائب السماء ليدين الخلائق عند معاينتهم السماء وهي تُطوى كالقرطاس . عند نظرهم الى الشمس والقمر وهما يحجبان نورهما . عند رؤيتهم النجوم تتساقط مثل الورق والارض تتحرك وتتزلزل والقبور تنفتح والموتى يقومون وقد عُرضت عليهم مصاحف خطاياهم . عند معاينتهم البحر مثل القدر يغلي والانهار مثل النار تجري وقوّات السماء تتزعزع والملائكة

١) يو ١١ : ١٠ و١١ ٢) متى ١٥ : ٢٤ ٣) زكريا ١٢ : ١٠

٤) جاء في الاصل : « حاشية انَّ معنى قولهِ السابعة فكأنهُ جعل جهنّم سبع طبقات على رأي البعض اي الجحيم والهاوية وسَقَر ولظى (293) وجهنّم والنار وطرطروس »

ينحدرون اجنادًا اجنادًا والوفاً الوفاً وربوات ربوات ويعجُّون ويسبحون بين يدي المسيح

فاذا اجتمعت كل الخلائق عُراةً حاملين كل اعمالهم واذا امتثلت كافَّة الامم بين يدي ملك الملوك و إله الآلهة وسجدت كل نفس حيـة بين يديهِ جميع مَن في السماوات والارض والجحيم فحينئذٍ بغضبه يكلِّمهم المسيح وبرجزهِ يُرجف اقدامهم ويهلكهم ويبيدهم وعند ذلك يريهم اماكن المسامير وموضع طعنهم جنبهُ يريهم الخدّ الذي لُطم واليدين والرجلين اللتين سُمرتا واكليل الشوك مع قرع القصبة على الرأس ويقول: ايَّ شيءٍ عملتُ بكم حتى كافيتموني بهذا ماذا اخطأت اليكم الستُ لبُرصكم طهَّرت. ألست لموتاكم اقمت واحييت. الست لمجانينكم شفيتُ ولمخلعيكم صحّحت وابرأت. الست للمرأة النزيفة الدم منكم رحمت ورثيت (294) فبالدين الذي دنتم تُدانون

وان اعترض احد من بني اللعنة اي اليهود وانكروا قائلين: انمَّا اخذنا انساناً مولودًا من امرأة وكان ساحرًا يخرج الجنّ من الانس يُسمَّى يسوع فايَّاه صلبنا. فلنسألهم: ولاي سبب اخفت الشمس شعاعها عند الصليب ولم تستر ضوءها عند قتل هابيـل وذبحهِ. ولاي سبب لم تنشقَّ الصخور عند ما نُشر اشعيا النبي. فلنسأل الهيكل ايضاً: لماذا لم ينشقّ ستره عند قتل آحاب الملك للكهنة. ولنسأل الدنيا لِمَ لَمْ تتحرَّك عند قتل اليهود لزخريَّا النبي في باطن الهيكل. ولنسأل القبور لاي سبب لم تنفتح عندما قتل شاول الخمسة والثمانين من الكهنة (اوَّل الملوك ٢٢: ١٨). ولاي سبب لم تحدث عجائب عند مجيء طيطس واسباسيانوس لمَّا قتلا مئة ربوة وعشر ربوات من بني اسرائيل. ولاي سبب لم تحصل رجفةٌ عند ما طُرح الثلثة الفتية في اتُون النار ببابل وكيف لم تظلم الشمس عند ما طُرح دانيال في جوف الجبّ وكيف لم ينشقّ ستر الهيكل عند خراب بيت المقدس والهيكل وقدس الاقداس

فلذلك اقول لبني اللعنة: ايُّها اليهود انكم لستم لرجل صغـير صلبتم ولا لنبيّ ولا لمن قد حلَّ الناموس ولكن للاله الحقّ ولابن الاله الحقّ وها هوذا داود النبي يقول: انكم على الرب وعلى مسيحـهِ تآمرتم اعني بذلك على الآب والابن وذلك لانَّ الآب والابن شيء واحد وها انَّ ابنهُ سليمان الحكيم يبكِّتكم ويشهر

اعمالكم فيقول معيّرًا لكم لانكم انتمرتم قائلين (١: « فلنربط الصديق لانهُ غير موافق لنا ويخالف اعمالنا جدًّا ويعيّرنا بخطايانا ويقول انهُ ابن العليّ فهو ثقيل في اعيننا فلا يجري على طريقنا ولا يقبل رأينا ومع هذا فانهُ يجدّف ويقول: انّ الله ابوهُ وانهُ هو ابن الله (295) ويسمّي الله اباهُ »

فقل لي الآن ايها اليهوديّ ايّ صدّيق نبيًّا كان او غير نبي مَّن قد مضى عليهم الدهر قال: « اني انا ابن الله ». ومن منهم قد ادّعى ذلك ألعلّهُ ابراهيم او اسحاق او يعقوب او موسى. ألعلّهُ ايلياس او داود او دانيال لا لعمري ليس احد منهم الّا المسيح الذي اعلن بانهُ ابن الله الحقيقيّ وأُثبتُ ذلك من قول سليمان بن داود في شأن المسيح اذ روى قولهم عنهُ: انهُ يكذب على الله فقالوا (٢: « هلمّوا لننظر ان كان ذلك حقًّا ام لا وان كان هو الصدّيق وابن الله فلينقذهُ من جميع المصائب التي تصيبهُ. فلذلك اعمى الله قلوبهم وعيونهم لئلّا يبصروا باعينهم ». فايّ شيء يكون أبيَن واوضح من هذه الآيات يا اخوتي عن المسيح. فانّ هذا الكلام هو الذي كرّروهُ لمّا كان المسيح معلّقًا على الصليب فقالوا: « ان كنتَ ابن الله فانزل من الصليب لانك قلت انك ابن الله ووضعت رجاءك عليهِ فليخلّصك ». وكذلك قال سليمان عن لسانهم: هلمّوا لنعذّبهُ وندينهُ لكيما نعرف غايتهُ ما هي ولنخرب حياتهُ بالموت لنتبيّن ما يكون منهُ ونكشفهُ عاريًا على الصليب ولنُعليهُ على رؤوس الملا لاّننا قد سمعنا منهُ كلامًا يقولهُ وهو (٣: « حلّوا هذا الهيكل وانا اقيمهُ في ثلثة ايّام ». ويقول ايضًا سليمان في كلامهِ عنهم (٤: « ضلّ اهل اللعنة فكان خطأ منهم لانّ عيونهم انطفأت بالخبث ولم يعرفوا عجائب الربّ ولا سرائر الله »

فقل لنا يا سليمان الحكيم ما هو خُبث بني اللعنة بعد ان قلتَ بالروح عن المسيح انّهُ صدّيق وانهُ ابن الله وانهُ عارف بالسرائر وذكرتَ موتهُ وقيامتهُ. فانّ اباك داود اذ ذكر مجيئهُ الثاني عند اتيانه على سحابة السماء قال عنهُ انهُ « سيكلمهم برجزهِ ويبيدهم بغضبهِ ويرجفهم » أَفترى هو محقّ (296) أَو سيحلّ باليهود ذلك العذاب لحكمهم على المسيح؟ فاسمعوا جواب سليمان حيث يقول: حقًّا يقينًا

١) سفر الحكمة الفصل ٢: ١٨ ٢) فيهِ ٢: ١٦-٢٠
٣) يوحنا ٢: ١٩ ٤) الحكمة ٢: ٢١-٢٢

سيكون ذلك لانَّ داود ابي تكلّم بالروح وانا ايضاً بالروح القدس انطق وشهادته هي شهادتي وكلامهُ هو كلامي الذي سمعتموهُ وهاءنذا ايضاً اقول: سيعاينون لمن طعنوا (١ ولذلك يضحك الرب منهم والجالس في السماء يستهزئ بهم ويقلعهم من الاساس الى الابـد (٢ ويكونون في تعب وعذاب وذكرهم يُمحق وسوف يظهر خطأهم عند دينونة المسيح لهم وتبكيتهِ اياهم باعمالهم السوء

ولئلّا يظنّ اليهود ان سليمان لا يعني بقولهِ هذا اولئك الذين صلبوا المسيح فاسمع كلام هـذا الحكيم اذ يُردف قائلًا (٣: « ان الصديق سيقوم ويأتي بالمجد العظيم بين يدي الذين احزنوهُ واسلموهُ ولم يحفظوا كلامهُ وبُهتوا من مجيئهِ ذلك المرهب الهائل الـذي يكون للابرار سلامةً ويقولون فيما بينهم وهم قد ندموا وبهم جزع شديد اذ يتنهَّدون بروح الحزن ويقولون: هذا هو الحقّ اليقين (يعنون بذلك المسيح) الذي كنَّا في القديم اتّخذناه ضحكة وهزءًا والان صار قيامةً لنـا وعارًا. ونحن القليلي الامانة ظننَّا ان حياتهُ تكون غضباً وافتراءً وها نحن نراه ابن الله وواقفاً فيما بين الصديقين أتُرانا نسينا طريق الحقّ وعمينـا عن ضوء الشمس فكيف كان قولنا على المسيح انَّ بهِ شيطاناً فسلكنا طرقاً عسرة المجاز امَّا طرق الربّ فلم نعرفها وقد تمادى بنا الكبرياء والافتخار والآن قد مضى ذلك كلهُ

فهذا هو الكلام الذي يتحدث بهِ المتكلمون في المسيح جهلًا عندما يعاينونهُ آتياً ليدين الاحياء والاموات اذ يرون ذلك الوجه الذي ملأوهُ بصاقاً يضيء مثل الشمس (297). اذا عاينوا الفم الذي قبل الخلّ والمرارة ينطق بالحكم العظيم. اذا عاينوا العينين اللتين غطَّوهما ليلطموهُ مفتوحتين ينظر بهما اليهم بهيبة اذ كل قوَّة وسلطان ينحني بين يديـهِ. اذا عاينوا الرجلين اللتين سمَّروهما يطأان رأس التنين اعني رأس ابليس اللعين وجنوده الملاعين اجمعين

عند ذلك يعاينون الشاروبيم والسارافيم اصحاب الستة الاجنحة الكثيري الاعين وسائر القوَّات واجنـاد الملائكة وقوفاً بفزع ورعدة بين يديهِ اعني بذلك يسوع المسيح الذي كان بزعمهم قد دِينَ من قبلهم بين يدي بيلاطوس الاركون . فلدى

---

١) زكريا ١٢: ١٠ ٢) مز ٢: ٤ ٣) حكمة ٤: ٢٠

منظر ذلك الديّان ينقطعون ويبيدون ويتلفون ويُمحَقون. فويلهم والويل لهم اذ يكلّمهم برجزهِ ويهلكهم ويحكم باجتياحهم عن وجه الارض ودينونتهم الى آخر الدهر والفناء ناموسهم الذي لم يحفظوهُ ولم يقوموا بهِ ويقول لهم انَّ اليهود لظنّهم عند طلوعي على الصليب انهم صلبوا انساناً ضعيفاً فلذلك كان قولهم باطلاً ولكني انا المسيح قمتُ عليهم ملكاً بموتي

أفلا ترون ايها اليهود القساة القلوب الاشقياء الارواح الهالكي النفوس انَّ داود بقولهِ قد ارتجّت الامم واجتمعت الملوك والاراكنة على الرب وعلى مسيحهِ لم يقصد ابنهُ سليمان بل اصلح الله على يدي سليمان سُننهُ كلها ولم يقم احد من الامم عليهِ. ولو قصد سليمانَ لمَا قال انَّ الربَّ الساكن في السماوات يضحك منهم اي الذين اجتمعوا عليهِ ام على غيرهِ

ثم اين قال الرب لسليمان (١: « انت ابني وانا اليوم ولدتُك سَلني فاعطيك الامم ميراثك واملكك اقطار الارض (298) ترعاهم بعصاً من حديد. وتسحقهم مثل اواني الفخّار ». فليأت اليهوديّ بحجّة اذا امكنهُ ليثبت انَّ هذا قد قيل عن سليمان. فباطلاً يخدع اليهوديّ نفسهُ وبئس ما ينقّب في الكتب لعلّهُ يجد حجّة وهو بالحقيقة لا يؤمن بالمسيح ولا بالكتب. ولمَّا الزموا المسيح الصلبوت تحقّقوا انَّ هذا ليس هو بانسان ولكنهُ خالق السماوات والارض الذي من اجلهِ قيل في الاردن « انت ابني الحبيب الذي بهِ سُررت (٢ » والشاهد في السماء صادق. ويقول الآب في مزمور آخر عن الابن (٣: « انهُ هو الذي يدعوني ابي وإلهي وحافظي في السلامة ». والابن يدعوه اباً والهاً فيدعوهُ اباً باللاهوت وإلهاً بالتجسّد. ولذلك كان يقول لتلاميذه اني صاعد الى ابي وابيكم وإلهي وإلهكم. ولاجل هذا يقول الآب: « هو يدعوني اباً وإلهاً وصخرة سلامتي وانا صيرتهُ بكرًا رفيعاً على سائر ملوك الارض الى دهر الداهرين وكرسيهُ مثل أيام السماء (٤ »

فماذا اذًا يقول اليهودي المجدّف وبماذا يجيب الربَّ الاله حيث يقول: « اصيرهُ بكري » فمعلوم ان سليمان ليس هو بكرهُ ولا داود ايضاً لان داود آخرُ اولاد يسّى

١) مز ٢: ٧-٩ ٢) متى ٣: ١٧
٣) مز ٨٨: ٢٧ ٤) مز ٨٨: ٢٧-٣٠

وسليمان آخر اولاد داود. ثم كيف يقال ان سليمان حفظ الى دهر الداهرين طريق الربّ واين اعطاه ميراثهُ وائتمنهُ عليهِ وهو تجاوز ناموس الرب لمّا تزوَّج الف امرأة من العمونيَّات والمؤابيَّات والعفرونيَّات. واين صيَّر الرب سنيهِ مثل ايَّام السماء ومثل الشمس المضيئة الى دهر الداهرين

فباطلًا تزعم اذن ايُّها اليهودي انَّ هذه النبوَّة جاءت في شأن داود وسليمان. وانَّ عنهما تكلَّمت الكتب وليس الامر كذلك ولكنَّ داود وسليمان تكلَّما عن الهنا يسوع المسيح (299) وفيهِ قيل ما ورد في بقيَّة الانبياء . وانَّما معنى قول الرب للرب « اني صيَّرتك بكري الى دهر الداهرين » انهُ اولدهُ منذ الازل فجعلهُ بكرهُ باللاهوت ثم صيَّرهُ بكرًا بين الاموات (١ وبكرًا لكل الخلائق (٢ وبكرًا لكل الاخوة (٣. ولذلك قال لهُ ايضاً: « انت ابني وانا اليوم ولدتك » لانَّ يوم الرب لا ابتداء لهُ ولا نهاية. فالابن مولود من الآب ازليًّا وباقنوم البنوَّة ولد في الجسد زمنيًّا من مريم العذراء وظهر على الارض. فلذلك قال ان الآب بعثني الى هذا العالم » والآب هو القائل لابنهِ: « سَلني فأُعطيك الامم ميراثاً واملكك جميع اقاصي الارض

فسلْ ايها المسيح اباك الحبيب ليس بشبهِ العبد بل بشبه الابن. سَلهُ ليس كالطالب بل كالسيد والامير. ليس كالغريب بل كالوارث ويعطيك الامم ميراثاً لانَّ كل ما يُرى وما لا يُرى هو لك. سَل اباك بالروح اعني باللاهوت فيهب لك كل ما اردت. ولانَّ اسرائيل لم يحفظ وصيَّتك وعليك جدَّف ولك صلب فأَحِلَّ الرجز عليهِ وخذ الامم ملكك. فهذه الامم ستعرفك وتعبدك بدلًا من اسرائيل الذي أبى ان يعرفك ويعرفني. لانَّ الذي لا يكرم الابن لا يوقّر الآب فلذلك اقول لك « أخرج بنيكَ من بينهم » اعني بذلك هيكلك المقدَّس «اطرد عنك الأَمة الملعونة وخذ الحرَّة » اعني الكنيسة (٤ . ابعد عنك بني اللعنة وخذ الوراثة المباركة . ابعد عنك الأُمَّة المرذولة الذين عرَّوك في الجلجلة. افضح الذين فضحوك على الصليب بزعمهم. اغضب وارجز على الذين سقوك الخلّ . بدّد ومزّق الذين مزّقوا ثوبك الارجوان. اربط

---

١) رؤيا ١: ٥ ٢) كول ١: ١٢
٣) روم ٨: ٢٩ ٤) غلطية ٤: ٣٠

وقيّد الذين ربطوك بالحبال . اذبح جميع الذين طعنوك وجدَّفوا عليك وعليَّ مع اراكنتهم . أبعد اسرائيل الذي لم يُرِد ان يُظهر اسمك ولا اسمي وافترى عليك وعليَّ . خذ الامم ميراثك لانك ابني الحبيب فأُملّكك اقاصي الارض بمجد وجميعُ الامم تخدمك (300) وتحفظ وصاياك بفرح وتهليل ولا يخدمون الهاً غيرك

فانظر ايها اليهودي من اقطار الارض الى اقطارها ومن البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي المسكونة فانَّ جميع الدنيا للمسيح تعبد ولهُ تصلي ولهُ تسجد وايّاه تخدم لانهُ انقذ المسكين ممَّن هو اقوى منهُ ورحم البائس اعني آدم وانقذهُ من شرّ عدوّه الالدّ اعني الشيطان فيكون اسمهُ مباركاً الى ابد الدهر ولهُ تعبد جميع الامم وفي كل يوم يقدّسون اسمهُ ويرتفع ويعلو مثل جبل لبنان وتكثر فروعهُ وتباركهُ جميع الامم ويمجدونهُ من المشرق الى المغرب ويملك الى اقاصي الارض ويرعى الشعوب بعصاً من حديد اعني بذلك الصليب المقدَّس الذي بقوَّتهِ العظيمة ينتصر على الشياطين . واماَّ اليهود بني اللعنة فانَّهُ يبيدهم ويكسرهم مثل آنية الفخار التي اذ صُبَّ فيها الخلّ الحاذق تنحلّ كذلك ينحلُّون بين يديهِ لانهم سقوه الخلّ الحاذق (١ . واماَّ الفخار فانَّما عنى بهِ حقل البستان الذي اشتروه عند صهيون (٢ ففي ذلك الموضع يكلمهم برجزهِ ويكسرهم مثل آنية الفخَّار . وفي ذلك الموضع يُمحَقون لانَّهم هناك ذبحوا المسيح

وهم ايضاً يُذبحون كما شهد اليهود وكتَّابهم عندما قتل طيطس منهم مائة الف ربوة وعشر ربوات بعد مصائب المسيح وذلك في البستان ذاتهِ الذي اشتروهُ بثلثين درهماً . فتمّ الامر على يد ملكين من الروم (اسبسيانوس وطيطس) اللذين قتلا من اليهود الف الف ومائة الف واهرقا دماءَهم مثل الماء على وجه الارض من اجل المسيح والشاهد على ذلك تاودوسيوس (٣ الذي كان في ذلك الزمان وهو الذى احصاهم (301) فتمّ الذي قالوهُ لبيلاطوس عند دينونة المسيح حيث صرخوا : « فليكن

---

١) متى ٢٧ : ٣٤ ٢) متى ٢٧ : ١٠

٣) هذا الاسم مصحَّف في الاصل يريد يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي كتب تاريخ الحرب اليهودية وسقوط اورشليم

دمهُ علينا وعلى اولادنا » . وجرى الامر في عهد طيطس واسبسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع كما شهد ثاودوسيوس (كذا)

فان قال اليهودي: ان ذلك لم يتمّ بسبب يسوع المسيح. فأُجيبهُ: كيف نسيتَ ما حدث في يوم الجمعة المقدَّسة وما جرى في موضع الجلجلة عند نصبك الصليب. تذكَّر انك عبدت في مصر آلهة المصريين فرحمك خالقك وسلَّمك من العبودية اعني عبوديَّة فرعون وشقّ لك البحر واغرق فرعون وجنودهُ في ذلك البحر وحلَّى لك الماء المرّ واستباح عمايق من بين يديك وأمطر لك المنّ والسلوى ثم اتى بك الى جبل حوريب. وهنالك عبدت العجل وقلتَ: هذا إله بني اسرائيل الذي أخرجنا من مصر (١. فمع هذا رحمك خالقك وكتب لك على اللوحين الوصايا وعمل لك الهيكل وتابوت الشهادة وعامود النار الذي كان يضيء لك ليلًا والسحابة تغطيك وتظلِّلك نهارًا. وبعد ذلك اغضبت الربّ عدَّة مرار كما يقول الكتاب وبعد ان اخرجك موسى من ارض مصر الى الارض المقدَّسة واحلَّك في مواضع الامم وشقَّ لك نهر الاردن وطرح اسوار اريحا بين يديك واخضع لك الملوك والمدائن انقلبت الى ان خدمت آلهتهم وذبحتَ بنيك وبناتك للشياطين واهرقت دماء القديسين وضحَّيتها لآلهة كنعان. ومع ذلك لم يؤاخذك إلهك باعمالك هذه الشريرة ولم يحطِّمك ولم يهدم ناموسك ولم ينزع (302) عنك تابوت الشهادة ولم يأخذ منك الواح الوصايا رجاء أن ترجع. فكان امركَ الى ان رجعت شرًّا ممَّا كنت عليهِ وتباعدت من الله

وبعد ذلك بنى لكِ هيكلًا وظهر لك فيه ودهن فيهِ ملوكك وكهنتك واقام لك صموئيل نبيًا وداود وناثان فانثنيتَ راجعاً وعبدت لفاعور وآلهة الامم وحفرت المذابح وذبحت انبياء الله ورجمتهم فأدَّبك قليلًا عند ما مكَّن منك القبائل الغريبة وهيَّأ لك ناموساً فكفرت وعبدت صنم الذهب. ثم من بعد ذلك دعاك الله واقام لك هيكلًا ثانياً واقام لك كهنةً وانبياء وعمل لك قوَّات اعظم من الأُولى واعطاك الصلح والفرح وذلك مدَّة السبعين اسبوعاً التي تنبَّأ عنها دانيال (٢ فتمَّت في ايَّام كهنتك حنَّان وقيافا فلم يؤاخذك إلهك وضرب عنك الصفح

١) الخروج ٣٢: ٤ ٢) دانيال ٩: ٢٤

ثمَّ اتيتَ اخيرًا الجلجلة ونصبتَ هناك الصليب وعلّقتَ عليهِ المسيح زاعمًا انهُ انسان وبهِ شيطان وانهُ باسم بعلزبوب يخرج الشياطين وانهُ يريد يبطل ناموسك وسُنتك. فعند ذلك فقط اي لمَّا صلبتَ المسيح نزع عنك الفرح وأفقدك الملك وخرَّب مذابحك ومزَّق امَّتــك وانشقَّ ستر قدس اقداسك وهُدم هيــكلك وغابت عنك المنارة وسكتت الانبياء وبطل منك الكهنوت وانتهت ذبائحك واعيادك. فسبحان خالق الخلائق وإله الآلهة ما اعجب هذا الامر وما اعظمهُ. فيا تُرى من الذي عاين مثل هذا قط او من سمع مثلهُ. ان اسرائيل كان يذبح بنيهِ وبناتهِ للشياطين ويعبد الحجارة والخشب والخنازير والكلاب والبهائم وكل رجس نجسٍ ويذبحون الصدّيقين والانبياء ويحتقرون مذابح الرب ولم يؤاخذهم الله ولم يطرحهم من وجهــهِ ولم يُبِدْهم ولكن هيَّأ لهم مذابح ومظلَّات واقام لهم انبياء وملوك وكهنة واعطاهم جبل صهيون والتابوت وسكينة الشهــادة ومنحهم كل خير واخضع لهم الامم ولم يطرحهم عن وجههِ (303) الَّا بعد نصبهم الصليب في الجلجلة فعنــد ذلك فقط بدَّد شملهم وابطل اعيادهم وهــدم هيكلهم ونقض مذابحهم وألغى فصحهم ولاشى ملوكهم ومحق كهنتهم وخلاصة القول انهُ لم يترك لهم شيئًا من الخير الَّا افناه

فهات أَيها اليهودي اعلمني لماذا كان هذا كلهُ وما علّة ذلك اخبرني لاي سبب احاطت بك كل هذه البلايا من كل ناحية ونُزعت عنك كلَّ هذه الخيرات ؟ افليس ذلك لانك لم تعرف المسيح الهك فها هوذا المسيح يقول عن لسان ملكك ونبيّك للآب (١ : « ان اليهود جعــلوا في طعامي مرارةً وفي عطشي سقوني خلًّا فلتكن مائدتهم بين يديهم فخًّا وجزاءً وشرَكًا ». فقول داود « مائدتهم » اراد ذبائحهم التي لعنها الله لانهم اكلوا فصح المسيح مع التلاميذ وبعد ذلك امسكوهُ واتوا بهِ الى قيافا. ولاجل ذلك يقول داود ايضاً (٢ : « فلتتظلم اعينهم لئلَّا يبصروا » لانهم في ليلة الظلمة دانوا المسيح ضوء الحقّ فانطفأت اعينهم عن نورهِ. وقال اشعيا ايضاً (٣ : « انهم يعاينون ولا يبصرون »

فهات أيها اليهودي اعلمني ما الذي تعاينهُ ولا تبصرهُ ؟ نظرت ان المسيح اضاء

---

١) مز ٦٨ : ٢٢—٢٥ ٢) مز ٦٨ : ٢٤ ٣) اشعيا ٦ : ٩

الدنيا ولا تقرّ بانّ الامم قد خلصت. تنظر الكنيسة مضيئةً ولا تبصرها بصراً محموداً. تنظر الكنيسة مؤلفةً من جميع الامم وانت مبغَضٌ منها ومن خالقها. تنظر الشعوب من مطلع الشمس الى مغربها يعبدون المسيح وانت تجحده فلذلك قال النبيّ (١: « انهم بصراً يبصرون ولا ينظرون فتظلم عيونهم وتنحني ظهورهم » وليس ذلك الى زمن يسير ولكن الى الابد يكونون عبيداً للامم. ثم من بعد ذلك يصبّ عليهم رجزهُ لانهم بالرجز كانوا يصيحون الى بيلاطوس: « ارفعهُ ارفعهُ اصلبهُ » فلذلك اقول لكم (٢: « فليكن هيكلكم خراباً ومساكنكم لا يسكنها ساكن »

فلاي شيء يا نبي الله كانت نبوّتك؟ هاتِ اعلمنا لماذا تنبَّأتَ (304) بمثل هذا على اليهود ألعلّ ذلك لاجل خطايا آبائهم او لدم الانبياء الذين قتلوهم او لاجل بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم للشياطين او لانهم عبدوا الحجارة والاوثان؟ كلّا ثم كلّا ليس لاجل ذلك. لانّ هذا كلهُ فعلوهُ ورحمهم الله حتى انهُ لم يبطل ناموسهم عند عبادتهم للعجل ولم يُفنِ ملكهم ولم يخرب هيكلهم ولم يبطل انبياءهم ولم يمحق تابوتهم ولا لاشي فصحهم. ولكن ذلك كلُّه حلّ بهم لمّا فعلوا بالمسيح ما فعلوهُ فصاروا من ثمّ لعنةً لجميع الامم ولهذا قال النبي ايضاً عن لسان المسيح: « زِدهم لعنةً على لعنتهم لانهم عملوا بي انا ابنك هذه الاشياء كلها فلا يدخلوا هيكل قدسك الى انقضاء الدنيا لانهم اخرجوني الى خارج مدينتهم وصلبوني فلذلك فَلتُمحَ اسماؤهم من سفر الحياة لانهم كتبوا على صليبي ما كلّمهم بهِ بيلاطوس فلا تُكتَب اسماؤهم مع الصدّيقين »

فاسمع يا ابن اللعنة كيف يحيط بك البلاء من كل ناحية. اسمع يا مجمع السوء كيف أفضى بك الى هوتة الهلاك ذلك الخلّ القليل والمرارة التي قدّمتها للمسيح لكيما تعلم انك لم تصلب انساناً بل انّما تجاسرتَ بذلك على الاله عالم الخفيّات لانهُ ليس يعلم الخفيّات الّا الله وحدهُ. وامّا انّ المسيح يعرف الخفَيات فاسمع قولهُ حيث نبَّهك (٣: « انهُ لا تمضي الأيام والزمان القليل حتي يأتي الروم ويأخذون مدينتكم والامانة والملك ». أفتحقّق قول المسيح ام لا؟. وقال للنسوة (٤: « انها

١) المز ٦٨ : ٢٢ ٢) المز ٦٨ : ٢٤ ٣) لوقا ١٩ : ٢٢ ٤) لوقا ٢٣ : ٣٠

ستأتي ايّام يقولون للجبال قفوا واطمرونا » أفتمّ هـذا ام لا في زمن طيطس واسباسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع ؟ وقال (١ : « انهُ سيُنزع منكم كرم الرب ويُدفع الى الامم ليعملوا بهِ ويعطي ثمرةً طيّبة » يعني بذلك انهُ يأخذ الكرم منكم ويدفعهُ الينا . أفصار ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المؤمنين بهِ (٢ : « انهم يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب في ملكوت الرب واما انتم بني الملك فتُدفعون الى جهنم النار حيث صرير الاسنان » أفصار الكرم في ايدي الامم ام لا ؟ أو كان دَفعكم لهُ بالرغم ام لا ؟ . وقال (٣ (205) : « انهُ سيكون الانجيلي هذا في كل الدنيا » افكان ذلك ام لا ؟ . وقال داود النبي في الرسل (٤ : « في كل الارض خرج منطقهم والى اقطار المسكونة انتشر كلامهم » أفظهر ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المومنين (٥ : « خذوا جسدي ودمي لمغفرة الخطايا » أفقامت كلمتهُ ام لا ؟ . وقال لهيكلنا نحن اعني الكنيسة (٦ : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » يعني بذلك انَّ جميع الامم وكل الهراطقة لا يقدرون ان يحرّكوا فيها شيئاً يعني الامانة . أفكان ذلك ام لا . أو اليس الامانة هي قائمة ؟

فانظر كم من ملوك واراكنة وسلاطين وكم من امم ومتجبرين وكم حزب ولسان وكم بلاء وامواج وكم زلزلة وبرق وكم من حَيف وظلم ارادوا ان يتسلحوا ويقوموا على كنيسة المسيح . قاتلوها طردوها حاولوا ان يبطلوا ويخربوا ويمحقوا لكنّهم عجزوا عن ذلك بل محقهم الله وابادهم وافناهم وضرب وجوههم وابطل اعمالهم وكسر جبروتهم بموجب وعد المسيح ربّنا الذي قال : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » لانَّ الله ليس بكاذب

وان كنت ايها اليهودي مقيماً على القحة فاسمع ايضاً قول المسيح (٧ : « انَّ الناموس والانبياء الى يوحنا المعمدان تنبّأوا » فان طلبت لك نبيًّا من ايام يوحنا بن زخريّا فانك لم تجد لان كلام الهنا يسوع المسيح باقٍ الى الدهر ودهر الداهرين . وقال ايضاً عن هيكلك (٨ « انه لا يبقى فيهِ حجر على حجر » ولكن يدعهُ لك

---

١) متى ٢٤ : ٤٣ ٢) لوقا ١٣ : ٢٩ ٣) متى ٢٦ : ١٣
٤) مز ١٨ : ٥ ٥) متى ٢٦ : ٢٨ ٦) متى ١٦ : ١٨
٧) لوقا ١٦ : ١٦ ٨) لوقا ١٩ : ٤٤

خراباً الى انقضاء الدنيا . افكان محقًّا في قوله ام لا ؟ . فان كنتم ايها اليهود تسمعون هذه الاشياء وتسكتون فانَّ الحجارة تنطق وتثبت لكم انكم هلكتم يوم اهرقتم دم يسوع الناصري . فلو أُعطي لك ان ترى هيكلك يقوم ثانيةً ببيت المقدس وان تعاين التابوت موضوعاً عليهِ وان تشاهد مجد الله من السماء يأْتي ويغطّي مذبحك او تنزل النار السماويَّة عليهِ وان يُدهَن فيهِ ملوكك (305) فعند ذلك تستطيع ان تحيي رجاءك . ولكن ان هيكلك صار اصطبلًا ومذودًا للبهائم وتحقَّق ان امّتك صارت الى لاشيءٌ وهيكلك صار خراباً الى انقضاء الدنيا كما قال المسيح (١ : « هاءنذا اجعل هيكلك خراباً الى آخر الدهور » فليعلم بهذا بنو المعموديَّة ويتَّخذوه سلاحاً مع اليهود بني اللعنة . ولتتمسك الكنيسة بهذه الآيَة على الذين يقاتلونا

واماَّ نحن المؤمنين فلندرس دائماً اسرار آلام ربّنا ممجّدين إفراط تنازلهِ الينا وشفقتهِ علينا وحبّهِ لنا وصبرهِ على الآلام لاجلنا وصعودهِ على الصليب لخلاصنا . ولنصلب معهُ ذواتنا متجرّدين من كافَّة الشهوات والامور الارضيَّة متشبهين بسيدنا المسيح ابن الله الوحيد الذي لهُ ينبغي الملك والمجد والتسبيح مع الآب والروح القدس الى ابد الأدهار آمين

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غَستُون دوكوسُو المنوط بقنصليَّة فرنسة الفخيمة في بيروت (٢

لا مراء في انَّ فينيقية منذ قديم الزمن كادت تحتكر كلَّ الانسجة الثمينة . وكانت الاقمشة الفينيقيَّة تُقدَّم على سواها ليس فقط لحسن نسجها واتقان حياكتها ولكن ايضاً او قل بالاحرى لصبغها بالارجوان او البرفير . وفي تقليد اهل صور انَّ إلههم مَلكَرْت كان اوحى اليهم بسرّ هذا الصبغ الذي كانوا يستخرجونهُ من صدف

١) متى ٢٣ : ٣٨

٢) معرَّب عن مقالة مطوَّلة لجنابهِ نشرها آخرًا في مجلة الحرير والانسجة الحريريَّة التي تطبع مرَّةً في الاسبوع في مدينة ليون فسمح لنا ان نقتطف منها ما شئنا لقرَّاء المشرق .
(Bulletin des Soies et des Soiries, *Novembre 1911 - Janvier 1912*)

بحريّ يُدعى بلسان العلم « Murex trunculus » وهو انواع والوانهُ تتراوح بين الازرق الناصع والبنفسجي الضارب الى اللون الوردي القانيْ وقد افاض بلينيوس في تاريخهِ الطبيعي (ك ٩ ص ٦٠) ثم پولُكس (ص ٤٥و٤٩) في وصف هذه المادَّة الصبغيَّة وافادوا انّ اهل صور وصيداء حفظوا سرّ صناعة الارجوان وضنُّوا باذاعتهِ على غيرهم حتى عهد الرومان

ومنذ القرن السادس قبل المسيح قد عدَّد حزقيال النبي (الفصل ٢٧ من سفرهِ) اصناف الموادّ النسجيَّة خاماً كانت او منسوجة التي كانت تُباع في اسواق فينيقية فذكر اصواف دمشق البيضاء وبزّ مصر الموشَّى وغارق الركوب لددان الى ان قال لصور (ع ١٦) : « وأرام (اي اهل الشام) متَّجرة معكِ في كثرة صنائعكِ وبالبهرمان والارجوان والخزّ والكتَّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ » . فقولهُ الخزّ دعاه بالاصل العبراني راموت (ראמות) وقد اختلف المفسرون في معنى هذه اللفظة فشرحوها بالنسيج الثمين وعرَّبوه في الترجمة العربيَّة بالوشي . امَّا الترجمة اللاتينيَّة للقديس ايرونيموس فصرَّحت بذكر الحرير (sericum) او الخزّ وهو المعنى الذي غلَّبهُ في ايَّامنا الشرَّاح . وفي ذلك دليل على انَّ بلاد الشام كانت تجهّز في ذلك الوقت الانسجة الحريريَّة وترسلها الى صور وصيداء . على ان سكان الشام لم يبيعوا ذلك الوشي كاحد محاصيل اقطارهم اذ كانوا يجهلون تماماً اصل الحرير وتركيبهُ وانَّما كانوا يستجلبونهُ بواسطة القوافل من تركستان الصينيَّة المدعوَّة وقتئذٍ بلاد « ميدون » فتأتي بهِ على طريق تدمر . وبقي الفينيقيُّون على دأبهم ذاك الى القرن الحادي عشر بعد المسيح فكان تجارهم يستمدُّون حاجتهم من الحرير من الباعة الصينيين في كنغ تونغ وخان سي فيقطعون الاقطار البعيدة ويدفعون لاهل فارس ضريبةً فادحة

ولمَّا انتشبت الحرب بين ملوك ماداي والرومان في عهد يستنيان لم يعد التجار يستطيعون المرور في بلاد العجم فبحث احد تجار سوريَّة المسمَّى مايس تيتانوس (Maes Titanus) عن طريق آمن تبلغهُ الى المراكز الصينيَّة ليبتاع منها الحرير فعدل الى طريق الفرات وتوغَّل في بلاد الهند حتى الصين فادرك غايتهُ وعامل الصينيين رأساً . وفي كتب الصينيين انهُ سبق مايسَ تيتانوس ودخل الصين قبلهُ وفدٌ

آخر كان وجَّههُ صاحب الدولة الرومانيَّة المدعوَّة في كتب الصينيين مملكة تاتسين واقتنى منهـا الحرير وذلك في السنة ١٦٦ للمسيح. واستأنف البعثة غير هؤلاء ايضاً في السنة ٢٢٦. هذا ما اثبتهُ المسيو بواسيه (Mr Boissier) في معجم العاديَّات

وكان تجار الشام يسمُّون الحرير الذي ينقلونهُ من ممالك الصين «حرير الحاضرة» (Serametropolis) المعروفة بسيغنان فو (Si - gnan - fou). وكان الحرير يأتيهم على ثلاث صور منهُ الخزّ اي الحرير قبل تحليلهِ ونسجهِ وهم يدعونهُ ميتاكسا (μεταξα) وكان ثمن الليبرة منهُ اي ٥٠٠ غرام يبلغ ١٢٠٠٠ درهم والدرهم وقتئذٍ يساوي من نقودنا ٦٢ سنتيماً. وكان الخزّ اغلى الاصناف قيمة وارفع شأناً وكان الفينيقيون يصبغونهُ بالارجوان الذي يساوي ثقلهُ ثمن الفضة كما افادنا المؤلف تيوپمپ وهـذا افضل الارجوان وكانوا يسمُّونهُ باسم بلَّاتا (βλαττα) واذا تمَّ صبغهُ دعوهُ ميتاكسا بلاتَّا (ματαξαβλὰττα) وباعوا الليبرة منـهُ حتى ١٦٠,٠٠٠ الى ١٧٠,٠٠٠ درهم

وكان الصينيون يبيعون حريرهم ايضاً محلَّلًا ملفوفاً على مكبَّات فكان اهـل صور وصيدا يستأجرون العملة الحاذقين لمدّ تلك الخيوط وتسويتها

وكان تجار الصين يصدرون ايضاً حريرهم بهيئة البسة شتى واثواب مختلفـة (ὀθόνια σηρικα) فيتخذونها للابسهم او ينزعون خيوطها لتركيب ملابس غيرهـا يجعلون لُحمتها حريرًا وسداهـا كتاناً او قطناً. وكان معظم باعة هذه المنسوجات من سوريين او يهود يُحسنون وصف هذه الاثواب الحرائريَّة فيرفعون قدرها ويبيعونها بمبالغ طائلة

وكان لباعة الحرير (sericarii) في رومية حيّ مخصوص ومخازن تُباع فيها الحرائر المجلوبة من سوريَّة والمصبوغة بالارجوان الفينيقي. وأعلمنا سينيكا ان قوماً من السوريين واليهود كانوا يطوفون احياء رومية ليبيعوا منسوجات الخزّ

ولمَّا صار الملك في ايدي الاباطرة البوزنطيين احتكر عمَّـال الدولة مبيع الحرائر فاصبحت مصابغ الارجوان السوري واكثر مناسجهِ في حوزة الحكومة. وكان يبلغ عملة تلك المعامل حذقاً غريباً. وقد شهد على حسن تلك المنسوجات المؤرخ الشهير تاودوريطس اسقف كورش في ميمرهِ عن العناية الالهية فاخبر ان بعض تلك

الاقمشة الحريرية كانت مطرزة تمثل حياة السيد المسيح واعماله فيلبسها الاشراف على تلك الصورة

وقد وردت في دستور المملكة البوزنطية عدة شرائع تنهى الاهلين عن تقليد الحرائر المنسوجة في المعامل الملكية. ومنذ السنة ٣٦٩ كانت النساء التابعات لبلاط ملك الروم في القسطنطينية يتولين وحدهن عمل الاقمشة المنسوجة بقصب الابريسم المزركشة بالذهب واصدر الامبراطور ارقاديوس سنة ٤٠٦ امرًا بان يجمع كل ما يوجد في الدولة من الحرير الخام او الحرير المنسوج فيعطى لهن

ولما صار الملك الى يستنيان أصيبت صناعة الحرير بأزمة شديدة ذكرها المؤرخ بروكوبيوس في تاريخ الحرب الفارسية (Procope, *de Bello Persico*) قال انه لما قامت الحرب على ساق بين الروم والعجم لم تعد تستطع القوافل السورية ان تجلب الحرير من بلاد ميدون فأصبحت المعامل الحريرية في القسطنطينية في ضيقة عظيمة لنقص المادة الحريرية فانتهز يستنيان هذه الفرصة لتحديد اسعار الحرير فامر ألَّا تباع الليبرة اكثر من ثمانية دنانير فرأى تجار فينيقية في هذا الامر بخساً لحقوقهم ولم يعودوا يرضون باستجلاب الخز بل اقفل تجار صور وصيداء وارواد وبيروت مخازنهم وهاجروا الى بلاد العجم ولم يبقَ تحت حكم الرومان غير وكلاء المعامل الملكية (Comes largitionum) الذين واصلوا الشغل لانَّ اوامر الملك لم تنلهم وكانوا يبيعون الليبرة من الحرير المصبوغ صبغاً اعتيادياً في معاملهم ٧٢ دينارًا . ومع كلّ ذلك اذ لم تحطّ الحرب عن اوزارها ما لبثت صناعة الحرير ان كسدت لقلة مادتها في ارض الرومان حتى فنيت تماماً بعد زمن قليل

وبينما كان العموم يظنون ان تجارة الحرير لن تعود الى الحياة بعد موتها اذ حدث امرٌ خطير انعشها واعادها الى زهوها بوقوف الرومان على طريقة استحضار الابريسم ودونك تحرير الخبر

احبّ الملك يستنيان ان يطلع على سرّ الحرير وكيفية صناعته لعلَّهُ يتدارك بذلك الخلل الذي لحق مالية الدولة بكساد سوقه فوكل الى راهبين مرسلين من النصارى اصلهما من العجم ان يرحلا الى الصين فيبحثا عن الامر ويتحققا صنع الخزّ

وكان الفينيقيون قبل ذلك ومنهم اليونان والرومان يجهلون حقيقة اصل الحرير

المجلوب من الشرق الاقصى فيظنون انهُ يُستحضر من النبات. قال بلينيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٢٠): انَّ للسار (وهم الصينيون) غابات غنيَّة بنابتها الصوفيَّة فينزعون ما يجدون على اوراق الاشجار من الزغب الابيض ويرشونهُ بالماء ثم تحلّ نساؤنا هذا الصوف وينسجنهُ... حتى يصير ثوباً ناعماً تلبسهُ السيدات ويتباهين بهِ». ومثلهُ زعم أميان مرقلّان في القرن الرابع حيث قال: «ان اهل الصين ينقعون اوراق اشجارهم مرارًا فيجنون عليها زئبرًا ناعماً جدًّا يغزلونهُ وهو الحرير»

تلك كانت مزاعم القدماء في الحرير حتى عاد المرسلان سنة ٥٥٢ الى القسطنطينية كما تناقلهُ تقليد المؤرخين واعلما الامبراطور يستنيان بحقيقة الخبر واطلعاهُ على فيالج (شرانق) دود الحرير وكشفا لهُ السرّ الذي كان الصينيون يتفانون على حفظهِ. وكان الراهبان جعلا تلك الشرانق في عصاة مجوَّفة بحيث لم ينتبه احد من اهل الصين الى عملهما. وقد اخبر المؤرخ پروكوپيوس انَّ الراهبين استجلبا تلك الفيالج من بلد يدعوه سيرندا الموافق على ما يُظن لبلاد خُوتن (Khoten) في آسية المتوسطة. ويؤيد ذلك ما نقلهُ بعض كتبة الصين ان صناعة الحرير كانت انتشرت في تلك المقاطعات منذ زمن مديد

وعُرف دود الحرير اوَّلًا باسم «النملة البربرّية» كما دعاه القديس بولس المعروف بالسكِّيت في وصفهِ كنيسة آجيا صوفيا فقال عن ستر مذبحها انهُ من نسيج «النملة البربرّية»

واذ كانت بلاد الشام قد اشتهرت سابقاً باستجلاب الحرير وصبغهِ اراد يستنيان ان تُنقل اليها دود الخزّ فتربى هناك لاسيا ان التوت غذاء تلك الحشرات يكثر عندهم الى ان يطعموا ورقهُ للحيوان. فما وصل الدود الى الشام حتى اقبل السوريون على تربيتهِ بكل رغبة فأُنشئت في بيروت اوَّلًا ثم في حمص وحماة معامل حريرّية راجت اسواقها

فلمَّا علم يُستنيان بما نالتهُ صناعة الحرير من النجاح حدا بهِ الطمع لتوفير ماليَّة الدولة الى ان يحتكر العمل فامر انَّ معامل الحرير تكون كلها مال الدولة وان لا يُسمح بنسجهِ ولا بصبغهِ الَّا في معامل الحكومة. وزاد على ذلك امرًا آخر لكلّ باعة الحرير بان يبيعوا لتلك المعامل وحدها شرانقهم باسعار محدودة وانَّ من يتجاوز تلك الاوامر يُقضى عليهِ قضاء مجرم جانٍ على السلطان عينهِ فيُحكم عليهِ باشدّ العقوبات.

فكانت تلك الاحكام ضربةً كادت تقضي على صناعة الحرير في انحاء الشام حتى ان العرب لمَّا فتحوا سورية وجدوا معامل الحرير في بيروت وصيداء وارواد ليس الَّا

وبقيت تلك الصناعة خاملة حتى عهد بني اميَّة الذين انهضوها من خمولها . قيل انَّ معاوية اوَّل ملوكهم انشأ سنة ٦٥٥ في قصرهِ المسمى بالخضراء في دمشق معملًا للحرير فعُرفت منسوجاتهُ بالطُّرُز وشاعت في كل الاقطار وكان الخلفاء يهدونها لعمَّالهم . وما لبثت صور وحلب ان انشأتا بدمشق وفتحتا معامل نفقت اسواق حريرها حتى غلبت طُرُزهما في عهد بني عباس على طرز دمشق . وكان تجار الفرنج من مدينة أمالفي في ايطالية يتردَّدون اليهما وينقلون منهما انسجة الحرير الى الاسواق الاوربيَّة ويفضلونها على حرائر دمشق لقرب صور من البحر ولوقوع حلب على طريق القوافل ومما رواهُ الراهب دي سان غال انَّ حاشية الامبراطور شرلمان ملك فرنسة كانوا يزدهون بملابس الحرير ولا يرضون بغيرها . وكان الامبراطور يستاء من عملهم ويحضُّهم على تفضيل ثياب أُخرى من الكتان ارخص ثمناً كما كان يلبس هو على زيّ الفرنج فلم يقنعوا بقولهِ . ومن ثم دعاهم في احد الأيام الباردة المطرة الى الصيد فعادوا عند المساء وثيابهم مبلولة والبرد قد اخذ منهم كل مأخذ فادخلهم في غرفة أُوقدت فيها نار مشبوبة ليصطلوا فأثرت النار في ثيابهم وجعَّدتها وشقَّقتها فكان عملهُ عبرةً لهم رادعة

وكانت اسواق الحرير في حلب ودمشق في القرون الوسطى كثيرة الرواج فيتقاطر اليهما تجار الفرنج في كل سنة فيتسوَّقون منها ضروب الانسجة الحريريَّة المصبوغة بالارجوان ويعودون الى بلادهم بالبرود الثمينة والفُرُش والمصادغ والثياب المطرَّزة الغالية الثمن .

وبقيت الحرائر السوريَّة في رواجها في القرن التاسع والعاشر دون ان يضايق اربابُ الامر على اصحابها مع علمهم بارباحها الى ان تملَّك الصليبيُّون على فلسطين وسوريَّة وقد وردت في شرائع دولتهم المعروفة بمجالس اورشليم (Assises de Jérusalem) عدَّة قوانين في بيع الحرير منعاً لتقليدهِ وتزويرهِ وممَّا فُرض على الباعة ان يعرضوا منسوجاتهم قبل صبغها على عمَّال معلومين ليفحصوها ويتحقَّقوا اوزانها وما يدخلها من القطن وغير موادّ غريبة . فكانت هذه القوانين المملوءَة حكمةً تزيد ثقة

الزبائن في حسن المنسوجات الشاميّة فعمّت شهرتها انحاء المعمور كما يشهد على ذلك كرستيان من طروا (Chrestien de Troyes) في احدى رواياتهِ حيث ذكر حرائر انطاكية. وكذلك شهد على حسنها الادريسي فقال: « ويُعمل بانطاكية من الثياب المصمتة الجياد والعتابي والدستواي (ويروى الدستري) والاصبهاني وما شاكلها ».
وكانت انطاكية وطرسوس تجهزان ايضاً ثياب القصب المزركشة بخيوط الفضة والذهب وكثر استعمالها في اوربّة لحلل الكهنوت وحليّ الكنائس. وتشهد على ذلك قوائم اثاث البيع الثمينة في القرون المتوسطة فكثيرًا ما تجد بينها قطع حرير انطاكية والحلل المنسوجة بالقصب المطرّزة بالديباج الانطاكي الرفيعة القيمة ذات الالوان الزاهية والتصاوير الرائعة من نباتات وطيور وعروق ذُكر بعضها في قائمة حليّ كنيسة مار بولس في لندن سنة ١٢٩٦ .

وذكر الشريف الادريسي معامل دمشق ايضاً مثنياً عليها فقال: « ومصانعها في كل ذلك عجيبة تُضاهي ديباجتُها بديعَ ديباجة الروم وتقارب ثياب دستوا (ويروى دستر) وتنافس اعمال اصبهان وتشفُّ على اعمال طُرز نيسابور من جليل ثياب الحرير المُصمتة وبدائع ثياب تَنِيس وقد احتوت طرُزها على افانين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمّة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال ». وتنِيس هذه التي ذكرها كانت ذائعة الشهرة بديباجها المعروف بابي قلمون كان طرازهُ يتلوّن بألوان شتى فتمكّن اهل دمشق من صنعهِ كاهل تنِيس كما انهم بعد ذلك بقليل احسنوا تقليد الديباج الموصلي والبغدادي

وكانت معامل صور وعكا وطرابلس تتسابق في حسن نساجة الاطلس والاقمشة الحريريّة المطرّزة بستّة اسلاك. واختصّت طرابلس بالكرْمسوت المتموّج بالوانهِ

وكان اهل سوريّة يهتمّون لتربية دود القزّ بزراعة شجر التوت وقد دعاهُ ابن العوّام من كتَبة القرن الثاني عشر في كتاب الفلاحة بالفرصاد او توت الابريسم. وكانت النساء مذ ذاك الحين يُعنَين بتربية الدود وتفقيسهِ وعلفهِ وقطف الشرانق

وبقيت صناعة الحرير زاهيةً بعد ذلك الى عهد الدولة العثمانية وترى في دمشق فوق مشهد صلاح الدين رايتين من الحرير بديعتين نُسجتا في القرن الخامس عشر. وفي القرن السادس عشر شهد كاتبان من المرسلين على انّ مدينة حلب كانت تجاري

مدينة ليون بنسج حرائرها ومثلها دمشق الَّا انَّ تربيــة دود القز كان منحصراً في بيروت وصيداء وطرابلس (لهُ بقيَّة)

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثم ان الباشا بعد قتله علي اغا في ذلك النهار نزل ودار البلد جميعها متخفي بزي دالاتي. واشهر النداء بالأمن والأمان وبعد يومين صار مناداة بكامل البلد ان بعد ثلاثة ايام كل بغدادي يوجد بالشام يُقتل . وهذه جاءت من اعظم المحن على البغاددة التجار المتوطنين وصاروا في حيرة كليَّة وقدَّموا من ترجًا فيهم وما صــار افادة . والتزموا يسافروا للسواحل وخلافها . ومنهم تخبوا بالشام . وكان عسكر المغاربة وغيرهم يكمنون بالطرقات وكل من وجدوه هاربًا يعرّوهُ وقُتل جملة انفار من حرافيش (١ البغاددة الذين كانوا بالقلعة . فانعرض للباشا عن تعدي العسكر فامر لروسائهم ان يجمعوا ناسهم ويمنعوهم من الاذى وبعد ايام قليلة تهادنت الامور وراق خاطر الوزير وبقيوا بالشام مثل عادتهم

ثم ان الوزير خلع عبد العزيز آغا القلعــة وراقت احوال الشام وكان الناس في وجل (خوف) من نهاية مادة القلعة من بعد حدوث مظالم فما حصل من ذلك شيء

ثم بعد ايام قليلة حضر معتمد من والي عكا بيده فرمان بتحصيل الف وثمانماية كيس من والي الشام وذلك عن مصروف مدة اشهر انصرف عن يد علي اغا المقتول للعساكر وهي مال سليمان باشا . فاستقام (اقام) المعتمد اياماً بالشام وصدر مراجعات واخيرًا انتهى الحال على شيءٍ يكون

ثم ثاني يوم من ولاية السيد سليمان باشا صار طاعون بالشام وبرّها سنتين اي سنة

١) الحرفوش الصعلوك من اسافل الناس

الف ومايتين وثمانية وعشرون (١٨١٣ م) وتسعة وعشرون وكان شديدًا يبالغوا انهُ مات ربع البلد

وفي سنة ثمانية وعشرون (160٧) توفي بطرك الروم انتاميوس في تموز بالطاعون او بحمى وبائيَّة. واستقام الباشا حاكمًا بالشام اربعة سنين وكسور (وبعض سنة) وفي اواخر حكمهِ اصطلح طريق الحج. ومحمد علي والي مصر بواسطة ولدهِ ابراهيم باشا ظفر في ابن مسعود الوهابي. وبعد محاربتهِ لهُ أيَّام كثيرة حاصرهُ بالدرعيَّة مقرّ حكمهِ وبالحيلة مسكهُ حيًّا وارسلهُ لابيهِ لمصر. والمذكور ارسلهُ لاسلامبول والسلطان قطع عنقهُ وريَّح الناس من شرهِ وتوجه سليمان باشا بالحاج وما صار توفيق من شيء

ثم انهُ في السنة الرابعة من حكمهِ ظهر بهِ مرض سيداوي (سويداء) وصار خلل في عقلهِ احياناً. وكان عندهُ ابراهيم باشا شراقة ومصطفى اغا وهؤلاء كانوا قساة ظلمة يعملون ما يريدون والباشا نظرًا للحال الذي هو بهِ اقتصر (امتنع) عن كل تدبير بالاحكام. وارسل اعراض للدولة يستعفي من الحكم وانهُ لا يقدر يتوجه بالحاج فالدولة ما قبلت عذرهُ بل الزموهُ يتوجه بالحاج. وتوجه وهو مريض وبحال الكرب وبرجعتهِ صادفهُ اعراض في جسمهِ ردية ومات بالطريق ودفنوه بالرمل قريب مدن (مدائن) صالح الخراب. ومسك الحاج ابرهيم باشا

وحينما وصل خبر للدولة بوفاة الباشا ارسلوا وكالة للشام الى سليمان باشا والي صيدا وحينما بلغ بالسلامة الحاج للشام ارسل المومى اليـهِ قبض على ابرهيم باشا المذكور ومصطفى اغا الـذي كان متسلماً واخذهم لعكا وبوصولهم قطع اعناقهم وارسلهم للدولة ومـا ظهر ذنبهم على الحقيقة. ثم شاع الخبر بولاية علي باشا يدبر الاحكام لحين حضوره للشام

﴿ تولي علي باشا ﴾ فحضر للشام ومعهُ زينيل اغا الكردي حاشه (قبض عليهِ) في حماة (اذ) كان هارباً. وهذا الباشا (كان) شجيعاً مهاباً وصاحب حركات. وكان بهذهِ السنة غلاء ووجود الحنطة عزيز أخفوهـا الخزَّانة فصار يفتش ويفحص وعمل (فرض) شيئاً معلوماً على اصحاب (161ʳ) الحوانيت والقرايا ومن سطوتهِ انوجد القمح وانفرجت الناس

ثم بعد ايام قتل زينيل اغا وسقا احمد واظهر لهم ذنوب انهم خازنين حنطة وغير

ذلك ايضاً . وكان سقا احمد بوقتهِ متعين عند الباشا وزينيل اغا كان فالت بالبلد ولكن عليهِ غفر (خفراء) خفيةً . وقبل قتلهم بيومين كان اظهر لهم ميلًا من نحوهم ونبه على زينيل اغا انهُ يلبسهُ دربجي بالحاج فاحضرهم قدَّامهُ حصة (نحو) الظهر من تسعة وعشرين شهر حزيران وكانوا مطمأنين منهُ ومسرورين بامل يلبسوا أخلاع (خِلَع) فاخرة . فوقفوا امامهُ بالقاعة وصار يحكي معهم ويوبخهم على خزنهم القمح . ثم اتصل الكلام . الظاهر اعطوا جواب وقدَّموا اعذارًا . حينئذٍ نفر فيهم وكان بقصد منهُ ثم شتمهم وامر بقتلهم قدامهُ فصارت القواصه والجوخدارية يضربوهم بالنُجق (١ والسيوف بحمق فقطعوهم ودمهم انطرش على الفرش . ثم ربطوا ارجلهم بحبل وجروهم لميدان السرايا . وحصل وهم (خوف) عند الناس

ثم بعدهُ صار مناداة بتسعير اللحم وخلافه . وكان المتسلم ينزل يدور مختفياً . فوجدوا واحدًا شاري لحماً فسألهُ كيف اشتريتهُ . فاخبرهُ بالحقيقة وهو زيادة عن التحديد شيءٌ جزئي . فطلب منهُ محل دكان اللحم واسمهُ فنظر خادم اللحام فاخرجهُ من الدكان . وسأله بكم بعت اللحم لهذا فجاوبهُ : انني انا خادم ومعلمي باع . وبالحال قطع عنقهُ وهكذا عمل بغيرهِ . وكان الحال مخوفاً جدًا والقاضي تعجب من هذا الافتراء وارسل نائبهُ لعند الباشا يلومهُ على قتل الخادم المذكور وهذا شيء منافي الشرايع والطرايق . ومن وقتهِ ارتفع التشديد بالامور

ثمَّ انَّ الباشا اخذ اشياء زوايد من وكيل الافرنج بالقدس وكذلك من الروم والارمن غير المعتاد . فبعد شهرين حضر معتمد فرنساوي من اسلامبول ومعهُ فرمان بان يدفع الباشا ما اخذهُ زايدًا من الافرنج وقبضهُ المعتمد من الباشا حالًا ذهب عين بمبلغ خمسة وستون الف قرش وحيث (161) قبضهُ الباشا ذهب مجر (٢ فما رضي المعتمد يقبض معاملة دارجة بل ذهب عين . واحكى مع الباشا كلام عالي وتألم منهُ جدًا

ثم بعد حضور الحاج شاع خبر عزلهِ من الشام . وجاء المنصب الى صالح باشا المسمى الكوسا وكان ذلك في ابتداء سنة الف ومايتين واثنين وثلاثين (١٨١٦م) وتولى على باشا سنة واحدة فقط

---

١) الاسهم العريضة ٢) ذهب المجر يسمَّى المجهر في اللغة الدارجة

﴿ تولي صالح باشا الكوسا ﴾ فحضر منهُ إعلام وأقام متسلماً نائباً عنهُ لحضورهِ . وفي شهر ربيع الثـاني حضر للشام وكان عادلًا حليماً فهيماً واستقام نحو سنتين وينيف والبلاد رايقة . انما صار حركة خفيفة ومخالفة من عرب فليحان . فارسل لهم حمان اغا المغاربة وفارس اغا الدلاتية وهواره (١ وقصدوا محاربة العرب . فمن خباثتهم تحصنوا في وادي اللجاه . فعسكر العسملي مغفلين لا يعلمون حال قوَّة اللجاه . فدخلوا للوادي . فداورهم العرب وقتلوهم . وما سلم منهم الَّا القليل . والاغاوات المذكورين قُتلوا وراح عسكر جابوهم من الوادي للمزيريب ودفنوهم هناك

ثم ان الباشا قتل طالب ابن محمد عقيل من جرابجة الميدان . وسببهُ ان هذا الرجل غني واسمهُ مفهوم ففي زمان حكم سليمان باشا والي صيدا بالشام في سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠ م) وجد طالب عقيل مخباية في بيته بالقاعة انشهر عليها بعلامات مخفيَّة . فوجد خابية ممتلية بذهب مصري محمودي ابو نقطة (٢ كان دافنها ابوه . فبلغ كميتها نحو الف كيس على حساب تسعير الذهب ثمانيـة غروش ونصف بوقتهِ . فلما شاع خبر ذلك قصد سليمان باشا يضبطها تماماً . ولكن حيث ان الباشا صار نسيب لبيت عقيل كان بالسابق بعد وفاة الجزَّار تزوج اخت طالب المذكور وهو ربَّى طالب عنده بعد ابوه وكان صغيراً فصار يتوسل للباشا يخلي لهُ المال فقال : اذا ابقيتُ لك هذا المال ماذا تعمل فيه . فقال لهُ : اشتري بساتين واعمر املاك وانشي اراضي . فقال لهُ الباشا : ان كنت تعمل هكذا فقوي (كثير) مناسب فترك (162r) له المال وانما وكَّل عليهِ ناظرًا . ولكن طالب مـا احتاج لذلك . وبالحال صرف الذهب بالوزن على الصياغ (الصاغة) وخلافهم . وصار ينشي رزقاً . ومن الجملة عمَّر قاعة نساء بالميدان وحمام . اشترى بساتين ورجعت دولة ابوه نظير ما كانت . ولكن هذا طالب تداخلهُ الكبر والاعجاب في نفسهِ وبعد مـا انعزل سليمان صار يتداخل مع الحكام . واخيراً لبس حكي (٣ في باب اغا الانكجارية ويقطع ويمضي موادً (قضايا) وطول النهـار بالسرايا . والمقصود لاجل العظمة

---

١) الهوارة الذين يمشون قدام العسكر

٢) جنس عملة قديمة

٣) هكذا . وربَّما كانت حاكم اي جعل نفسه حاكماً

والجاه. وحينما يركب للسرايا ومن السرايا لبيتهِ معهُ سياس وخدَم جمهور

ثم في ايام صالح هذا فاغا الانكجارية تغلظ على اثنين من جماعتهِ وحبسهم عندهُ حسب العادة. فبلغ طالب المذكور ما هان عليهِ. فتوجه لعند الآغا وترجاه يطلقهم فما رضي فكرَّر عليهِ ذلك فما قبل يطلقهم. فانحمق منهُ طالب وقام على حمية (غضب) من عند الآغا وخلع باب الحبس واطلق المحبوسين. فلما بلغ الآغا هذه الجنارة وكان حصة العصر في شهر رمضان ركب وتوجه للسرايا واشتكى للباشا على طالب. فتخلق الباشا والباين حصل التدبير بقتل المذكور ليلاً. فبعد المغرب حضر طالب للسرايا حسب عادته. وفي الساعة الرابعة حين بطلت الاحكام قصد المذكور يتوجه لبيتهِ فحاشهُ بعض القواصة في اوضة. وبعد فروغ السرايا من الناس اطلعوه من دار المتسلم وخنقوهُ قدام اوضة الصيارف. وبعدهُ سحبوهُ للدرويشية ارموه قدام الجامع. وثاني يوم غسلوهُ وقبروهُ ومضى امره

وبهذه السنة قُتل ملا اسمعيل المشهور في حماة ذبحهُ المتسلم بوجود محاربته العرب. وكسره العرب واشتبه عليهِ ان ملا اسمعيل مطابق معهم فعمل مداورة عليهِ وقتلهُ بالديوان. واستقام الباشا حاكماً سنتين وارتاحت الناس في ايامهِ. وكان عادلاً جداً وانعزل وجاء المنصب الى سليمان باشا في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين (١٨١٨ م)

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ فارسل متسلماً بامر الدولة صالح اغا. وبعد ايام حضر الباشا وكان (162v) عادلاً واثماً محبّ المال

وبهذه السنة تحرك الروم لاضطهاد الكاثوليك واتصلوا بالرداوة بالسنة الماضية في حلب وضرُّوا الطائفة بمالهم ودمهم. ثم ان البطرك ساروفيم ارسل المطران زخريا الى صيدا يتحارش بالكاثوليك الذين يصلُّوا في كنيسة واحدة هم والروم. وحصل مشاجرات كثيرة بين المطران والطايفة وانعرضت على عبدالله باشا. ومن كون اغلب الكتبة في عكا وصيدا وصور وبيروت كاثوليك فالباشا وحاييم اليهودي مالوا جهة الطايفة ومن ذلك طمعوا بالمطران. واحكى (اي الباشا) معهُ كلاماً قاسياً نظراً للتعدي الصاير منهُ والتزم ان يخرج من صيدا ممتلي غضباً ورجزاً. واعرض للبطريرك شيئاً صار وشيئاً ما صار فانحمق جداً. وهذا البطرك من طبعهِ يحبّ الاذى والضرر

ومعوّض ذلك بالتقشف والصيامات الصارمة · حتى في صيام الكبير يقولوا انهُ لا ياكل طعام بزيت · فهذا كتب للمجمع في اسلامبول طعن وشكوى بطايفة الكاثوليك وينهض همتهم في اخراج خطّ شريف في اضرار الكاثوليك بالشام ويتبعها باقي المحلّات · وانهُ يستعبد الجميع ويكونوا بطاعتهِ والصلاة معهُ والّا فيدمرهم للنهاية · وتوجه بهذه الرسالة المطران زخريا المذكور · فقبل بلوغهُ لاسلامبول غرق بالبحر وبجهدٍ كليّ حتى اخرجوهُ سالمًا · ومـا اعتبر فوصل لعند العلماء الاتقياء وبالحال باشروا في اوامر عالية والنصّ نظير ادّعاهم الفاسد · وحضر المطران للشام وبعد ايّام قليلة اعرضوا الاوامر على سليمان باشا وابتدأت الشرور والمخاصمات بين الطايفة والبطرك وجماعتهِ ايضاً · والتزمت الطايفة (١ تقدّم مـالًا كثيرًا لردّ الضرر عنهم · واقتضى يعرضوا امرهم للشرع الشريف وحصلوا على بعض شيء يريحهم · ثم صـار ديوان بحضور القاضي والافندية عند الوزير في رمضان بالليـل · وحضر البطرك وبعض من جماعتهِ وحضر وجوه طايفة الكاثوليك · وادعى البطرك بما اراد ثم بعد قراءة الفرمان قدمت الطائفة فتاوي وقرروا (163r) تعدي الروم وحجزهم الكنيسة حيث انها للطايفة عموماً وحصل مراجعات ومدافعات كثيرة بين البطرك والطايفة · اخيرًا مال القاضي لجهة الكاثوليك بوجه الحقّ واظهر للبطرك بانهُ متعدي واعراضـهُ الدولة فهو بغياً (احتيال) منهُ · ثم مضت الحصة فصدر الامر بصرف الديوان وانهُ الليلة المقبلة يصير ديوان وتنخصم هذه المادة · فذهب (ابناء) الطايفة مسرورين والبطرك وجماعتهُ مكروبين

ثم ان البطرك تعوّق بالسرايا برأي جمـاعتهِ الارديا ومنهم اروام الذين راحوا لعند صالح اغا الذي كان متسلماً · وبعد حضور الباشا ترك الخدمة واستقام في بيت ينتظر سفر الحاج يحجّ ويرجع لبـلدهِ · فهؤلاء الاروام برطلوا المذكور وانهُ يكون وسيط في امر البطرك · واستعقدوا في خمسين الف غرش خدمة (تقدمة) للوزير على يد المذكور بحيث يتأيد (ينتصر) البطرك وتنفذ اوامر الدولة وتنخذل الكاثوليك · وتدبروا واياه على عمل طريقة يتعذروا بها (يهانون بها) ظاهرًا وهو انهم في مرورهم بسوق الاروام اي البطرك وجماعتهُ مزقوا صوف البطرك وكسروا العكاز وشرمطوا

١) اي طائفة الروم الكاثوليك

اللاطية وعملوا تمام الحيلة وما احد درى ولا لحظ من الطايفة (١ عن الملعوب الذي عملوه. ولا فكروا الّا انهم في الليلة المقبلة ينتصروا على البطرك ويحصلوا على راحتهم

فثاني يوم راح صالح اغا لعند الباشا وافهمهُ عن خدمة البطرك. ثم اعرض لهُ عن تعدي الكاثوليك وانهم بالامس وهم ذاهبين مع البطرك وجماعتهِ وحيث انهم بالعدد اكثر من الروم فقاموا على البطرك وشرمطوا ثوبهُ وكسروا عكازهُ وبهدلوه وشتموه وصار ضرب ايضاً لجماعتهِ. وكل ذلك صدر من البغضة والرداوة الكلية. فلما سمع الباشا بما صار غضب ومسك غيظهُ الى المساء ميعاد عمل الديوان. فالطايفة بعد غروب الشمس مشيوا للسرايا بقلب قوي مفكرين ينتصروا ويغلبوا الروم. وذهب اناساً كثيرين بقصد الفرجة (163v) وتنظر السرايا وما يليها وقهوة الدرويشيَّة ممتلين نصارى لان ما بقي في بيوتهم غير القليل. والوجوه ينتظروا القاضي والبطرك. فما بان احد وهم متعجبين من ابطا حضورهم والّا صدر الامر بغتــة في مسك الطايفة جميعاً اي الكاثوليك وحبسوهم بالسرايا. ومن كثرتهم حبسوا اناس بالدوالك وايضاً في اوض الدفكجيه. وانفردت القواصة والجوخدارية لحارة النصارى يمسكوا كل نصراني يقع بيدهم: كاثوليك سريان ارمن روم. ولكن الروم جاءهم نذير فاختفوا. وكان تلك الليلة في ثلاثة وعشرين حزيران ليلة مولد يوحنَّا المعمدان وكان حرّ شديدٌ حتى البعض من المحبوسين كادوا يموتون من الحرّ لو ما يخرجوهم. وكانت ليلة مهولة مخيفة مفزعة وما احد عارف السبب الموجب لهذا القصاص المريع

ثم ثاني يوم الجمعة بعــد مجي الوزير من الصلاة صدر امر بضرب العصي لوجوه الطائفة. فانضرب منهم اربعة انفار وجماعة البطرك واقفين بالسرايا يتفرجوا عليهم. والبعض من الطايفة المتكلمين برطلوا بمبلغ غرش حتى لا ينضربوا. وبعد ذلك تحقق لهم كل شي صار والتزموا يقدموا خدمة وافرة للوزير لكي يترفّق بحالهم. وبواسطة جيدة استمالوا رضى الوزير. ولكن مــا عاد امكنهُ الوزير يترك خاطر البطرك للنهاية. بالاخص تلك الليلة لبسهُ فروة وارسلهُ بعراضــة من جماعتهِ. وتنظر زلاغيط النساء والضوجة في حارة الروم بنوع زائد الوصف حيث انهُ قبض الوزير الف غرش غير الكلف البرانية. وبالنتيجة ان الباشا اطلق المحبوسين واعطاهم

١) اي طائفة الروم الكاثوليك

امان . والبطرك ليس لهُ قارش (مخالطة) معهم واستكنت (سكنت) الامور نحو ستة شهور

وفي ثامن يوم من كانون الثاني انمسكت كهنة الكاثوليك . كبسوا البيوت بالليل ونصب جماعة الروم سلالم ونزلوا كل مكان بهِ كاهن . والذين انمسكوا اربعة كهنة (164r) والباقي ما وقعوا بيدهم . وثاني يوم سفَّروهم لبيروت فوصلوا للديماس ما قدروا ينفدوا بهم من الثلوج والامطار . وايضاً صار احتساب من البطرك (اي خاف البطرك) ان اهل الجبل في مرورهم لبيروت يخلصوهم من العسكر . فرجعوهم للشام واخذوهم الى طرابلس عن طريق حمص وبوصولهم لطرابلس ارسلوهم الى ارواد حسب الامر . والذي انفهم ان البطرك كتب لاسلامبول بما صار وعن ترك الباشا هذه المادَّة وانهُ ما استفاد شيئاً بهذا الجهاد . فبطرك اسلامبول اخرج مكتوب من الوزير الاعظم الى الباشا وبهِ يتعتب عليهِ من الفتور الصادر منهُ ويلزمهُ ان يتمم الامر حسب الاوامر الصادره لهُ ويلج عليهِ بذلك فاقتضى ان ينفي الكهنة

ثم انهُ صدر امر ان كهنة الافرنج لا تقارش (لا يخاطبون) الكاثوليك في امور الديانة ولا غيرها . وكذلك لباقي كهنة الطوايف موارنة سريان ارمن لا يدخلوا بيوتهم . وهكذا حصلت الطايفة في ضيق شديد . وبوقتهِ حصل تشويش وامراض وموت وهلقدر (وبهذا القدر) يصير تعب في تدبير انفسهم ويروح الكهنة خفية بالليل لان الروم دايماً مراقبين . ومات اناس من غير وجود كاهن . ثم وجوه الطايفة انوهموا من نفي الكهنة فاشاروا عليهم ينتزحوا (يبتعدوا) من الشام ليلا يحصل لهم ثقلة ومخاسر . فتوجه منهم اناس للجبل ومنهم لصيدا

والكتَّاب الذين في عكا وهم كاثوليك اعرضوا لعبدالله باشا وترجوه باحضار الكهنة من رواد . وبالحال توجه امر الى مصطفى بربر متسلم طرابلوس يطلب منهُ الكهنة . فرجع الجواب انهم في ارواد حسب الاوامر الصادرة من الشام فتخلق عبدالله باشا على بربر وكتب لهُ انك كيف تجاسرت وترسل اناس في حكمي للنفي من غير علمي . وثانياً ان الذين طابقت على نفيهم هؤلاء رعيتي من الجبل . فالمراد انك تحضرهم حالًا من رواد وترسلهم لصيدا . وكيف كان (الامر) لازم تحضرهم . فالتزم حالًا احضرهم (164v) وارسلهم حسب امر عبدالله باشا . واقتضى ايضاً ان

بري يتوجه لعكا ويقدم اعذار ويجهد حتى رضي عليهِ الباشا ورجع لطرابلس

ثم حينما وصل الخبر للشام كاد ان البطرك يفقع من الغيظ الذي شملهُ. والكاثوليك اخذوا روح نوعاً. ولكن البطرك ما هو معلوم كان يهجع من عمل شيئاً من المضرّات. لانهُ قيل عنهُ في حين هيجان الشرّ انهُ مسك ايقونة السيدة وكان يخاطبها بحرارة ان تعينهُ على اضرار الكاثوليك. وهذا صار اكيداً. والذي ظهر من هذا البطرك من الرداوة وقلة الديانة يدهش العقل. ربما ملوك القياصرة الوثنيين ما وصلوا من بغضتهم للنصارى لهذا الحدّ. ولا نعلم من اين جاز لهُ يضطهد الناس وماذا يقال عنهُ. ولكن عدل الله ينتقم منهُ بالدنيا والآخرة لانهُ اضرّ الناس بافعالهِ الردية بمقدار هكذا عظيم بمبلغ كبير ربما اربعماية الف غرش وخرب هلقدر (بهذا القدر) بيوت وجعل اسباب يدعوا عليهِ ليلًا نهارًا واهلك نفسهُ بيده لا شكّ ولا ريب. واماً جماعتهُ (فانهم) يعتبروه انهُ بارّ قديس. كدا (هكذا) غرور العالم أعمى قلوب الناس حتى صاروا ينظرون الطلاح صلاح. الله يلطف ويعين

ثم بعد حضور الباشا من الحاج شاع الخبر بعزله من ولاية الشام. وجاء خبر المنصب الى درويش باشا وكان ذلك في سنة الف ومايتين وخمسة وثلاثين (١٨١٥ م). وحصلت نكتة حينما شاع عزل الباشا المذكور وكان مقيم بالسرايا فحصة (نحو) العصر حضر ثلاثة انفار ميادنه يفتشوا على ابراهيم بجري كاتب المتسلم فوجدوهُ قام من السرايا لبيتهِ في زقاق الحمراوي صادفوه فضربوهُ بالطربة (١ فوقع للارض ثم مشى قليلًا ووقع مايتاً واخذوهُ لبيتهِ ثم قبروهُ. ومضى امرهُ ما صدر شيء من طرف الحكم

❋ تولي درويش باشا ❋ وبوقتهِ اقام متسلماً وسليمان باشا طلع للقابون. ثم (165r) حضر الباشا للشام ونادى أمن وامان. وفي ايامهِ كان رخا (رخص) عظيم حتى انباعت غرارة القمح بخمسين غرش. وبعد حضورهِ بايام قريبة شاعت أخبار بعصاوة الموره (٢. والسلطان قتل البطرك كيرللس في اسلامبول مع مطارنة وقسوس شنقهم يوم احد الفصح بجرة (بسبب) اهل الموره. ثم ورد اوامر لقبرص بقتل مطرانها

١) هي السيف القصير العريض

٢) شبه جزيرة في جنوبي بلاد اليونان

وجملة اناس. ثم انهُ جاء امر بقتل ساروفيم بطرك الشام وخلصهُ درويش باشا. ثم جاء امر بضبط سلاح من عند النصارى. وحصل ثقلة من جرى ذلك وتهديد وتهويل حيث انهُ بالصدفة يوجد سلاح عند النصارى وعملت هذه الامور شلش واوهام. ثم بعدهُ بردت وخفّ الشلش نوعاً

ثم تحرّك اليهود الصيارف سلمون وروفائيل بالانتقام من عبدالله باشا والي صيدا بسبب قتلهِ الصرّاف حاييم نسيبهم واخوهم قبل تاريخهِ بسنة. وصاروا يوسوسوا لدرويش باشا الذي كان يعتمد كلامهم. وعبدالله باشا بدى منهُ امور مغايرة مع الدولة. وبعد قتلهِ حاييم المذكور اظهر كبرًا وعظمة وصار يعمل اشياء مذمومة خالية من كل صواب. وصار اليهود ينشوا (يُحدِثوا) اشياء تهيج عبدالله باشا للشرور. ودرويش باشا يسمع لهم كل ما يقولوهُ

فاولًا صاروا بامر الباشا يفتروا على قرايا البقاع الذين بهم سوامات للامير بشير وابن جنبلاط. ويروح عسكر ينهب ويقتل ايضاً كل من يداقفهم (١ ثم الامير يعرض لعبدالله باشا والمذكور يكاتب درويش باشا بهذا الخصوص ويروح لهُ جوابات قاسية بتعليم سلمون. المقصود بذلك هيجان الشرّ. فصار عبدالله باشا يتكلم كلاماً ردياً في حق والي شام. ثم المذكور يكتب لاسلامبول ويطعن في حق والي صيدا. واتصلت الامور. وعبدالله باشا ما كان يقدّر عواقب ويفكّر كل شيءٍ يجي بعقلهِ يصير

فحسن بعقلهِ يقلّد فرمان سلطاني مضمونهُ ان (١٦٥٧) ولاية الشام لهُ وارسلهُ للامير بشير وطغاهُ واقتنع منهُ انهُ صحيح. ثم امرهُ يذهب للشام ويطرد درويش باشا. فسمع منهُ وطرح صوت بالجبل وجمع عسكر. ثم عبدالله باشا ارسل لهُ عسكر عثملي من عكا وحضروا الى سهل المزه. والتزم درويش باشا يجمع عسكر وحصلت المحاربة بينهما وقتل من الجهتين. وانتهبت المزّة والامير انتصر على عسكر الشام. وبوقتهِ حضر للشام مصطفى باشا والي حلب وصحبتهُ عسكر. (منهم) من يقول (ان) حضورهُ بامر سلطاني. ومنهم يقول درويش باشا كتب لهُ يحضر لمساعدتهِ

فبوصول مصطفى باشا للشام ارسلوا يطلبوا من الامير السبب الموجب لحضورهِ ان كان هو بامر سلطاني فيحضرهُ. ثم ان مصطفى باشا ارسل يحقق للامير اشمال

١) اي يقاومهم ويتعرّض لهم

(تغير) الدولة على عبدالله باشا وكلام نظير ذلك. فاستضاء الامير من هذه الاقوال وتحقق عنـده افتراء عبدالله باشا وان كلامهُ وافعالهُ زور وبهتان. فانغم غمًّا عظيماً وبالحال قام بالعسكر الى ارض حاصبيا. وكتب الى عبدالله باشا كلاماً كثيرًا وان الذي عملنـاه لهُ غوائل ردية. فهجع عبدالله باشا. انما الباشاوات اعرضوا للدولة بما توقع. فورد الجواب بالامر الصارم في محاصرة عكا وطرد عبدالله باشا منها. وارسل السلطان ابراهام باشا والي ادنه وتوجهوا الثلثة وزراء للبقاع ليتدبروا اولًا مع حاكم الجبل

فالامير تحسب منهم وتمسك في عبدالله باشا ولكن الشيخ بشير جنبلاط اظهر غرضهُ لناحية الوزراء وصار يشور وينصح الامير بتركهِ عبدالله باشا وذلك بمكر منهُ لعلمهِ انهُ لم يكن ينصاع (ينقاد) ولا يركن للمذكورين. فاظهر الزعل من الحكم وانهُ يطلع من البلاد. وكتب الى عبدالله باشا بما توقع. فطلبهُ يحضر عكا فما ارتضى الامير يرمي حالهُ بل انهُ يروح بيروت. فحالًا ارسل لهُ ذخيرة وافرة لبيروت وامر بتفريغ ابراج بيروت والسرايا ايضاً لاجلهِ. واماً هو (فانهُ) ما حسن (166r) عنده يدخل المدينة لتأكيدهِ ان اهل بيروت اظهروا غرضهم لدرويش باشا بالظاهر امورهم ملمعه. فحضر للحرش واهل بيروت ارسلوا لهُ خيام وذخيرة. فاستقام خمسة ايام وبلغهُ ان الشيخ بشير جنبلاط نزل للبقاع يواجه الوزراء وذهب صحبتهُ الامير عباس شهاب الذي بوصوله لبس خلعة من درويش باشا وجعلهُ حاكماً بالجبل. والدولة ولّت درويش باشا في ولاية الشام وصيدا

فالامير حسن عندهُ التوجه لمصر. فاستأجر مركب من بيروت بواسطة رجل افرنجي سرًّا بخمسة وثلاثين كيس الى دميـاط فقط. وحضر المركب لقرية الناعمة بالليل ونزل بهِ الامير ومن خدمه الذين اختارهم. ووصل دمياط ومنها لمصر وصار لهُ قبول من واليها

ثم ان الوزراء توجهوا الى عكا وعبدالله باشا سكّر البوابات واعتمد المحاصرة. ومضى ايام واشتدّ البرد وابراهام باشا تشوش ومات. وسلمون اليهودي ارتعب من تهديد مصطفى باشا الذي كان مزمع يقتلهُ لولا خاطر درويش باشا لانهُ كان متصوّر في عقلهِ ان اصل هـذا الشر كلّه كان منهُ. وحذرهُ يوماً قدام درويش باشا فارتعب

وغمي عليهِ . فاخذوهُ الى خيمتهِ فصار لهُ دور حمى صعب وفي رابع دور مات . ثم انهُ باقامة العرضى (المحاصرة) اياماً كثيرة على عكا ما ظهر ثمرة . وبعد ايام قليلة حضر امر من الدولة بعزل درويش باشا من ولاية الشام وصيدا ويتوجّه الى كوطاهيا وامر الى مصطفى باشا يقيم مكانهُ الى حضور امر ثاني . وهكذا فترت (هدأت) الامور . ثم وصل امر سلطاني بقيام الباشا المذكور ويكون وزيرًا بالشام . وعبدالله باشا جاء لهُ رضى وعفو ويبقى مكانهُ . وهذا صار من محمد علي باشا والي مصر بواسطة الامير بشير وانتهى الموكب على ولاش (ولا شيء) وما صار افادة الّا بفقد هلقدر عالم (عدد عظيم من الناس) بجرة (بسبب) هذا الشرّ قبل وبعد واخيرًا في موت سلمون منشئ هذه الامور . وايضاً طلعت في رأس درويش باشا

ثم ان (166٧) الامير من بعد مدّة قريبة حضر من مصر وطلع لعكا ثم للجبل وعزل الامير عباس وبغض الشيخ بشير للنهاية

ثم وفي مدة ولاية درويش باشا انكسرت شوكة الروم وبطركهم بسبب حادث الموره . فقدم المتغربون عرضحال لاجل حضورهم لاشغالهم مع قسوسهم . ولا بد نفد من الطايفة خدمة للوزير . فصدر لهم بيلردي بشرح مستطيل . والمضمون ان بطرك الروم ليس لهُ قارش معهم على الاطلاق ولا مع قسوسهم ولا يعترضهم اين ما ارادوا يتمموا امور ديانتهم . وتوجه لهم هذا البيلردي للجبل . فحالًا جمعوا الكهنة المرتبين بالشام وجاءوا بهم جملةً للشام باشتهار وعزازة . والروم مع بطركهم انقهروا جدًا وما استفادوا غير عمل الخطية واعطا جواب لله تعالى في ذلك الموقف العظيم . واستقام درويش باشا والي شام سنتين ومضى امرهُ وتولى الشام مصطفى باشا (لهُ بقيّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ماردين

قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً صرفناها بين الزيارات الرسميَّة للسادة الاساقفة ولوجوه الطوائف والاقارب وبين مقابلة ادباء المدينة واستعراض آثارها

ماردين مدينة قديمة ذكرها الجغرافي اليوناني بطلميوس في القرن الثاني للمسيح ثمَّ اميان مرقلان من مؤرخي القرن الرابع (في الكتاب الثامن عشر من تاريخهِ الفصل السادس . وفي الكتاب التاسع عشر من الفصل التاسع) وقد عدَّها هذا الاخير من اخصّ قلاع جبل الإزل وهو الجبل المعروف عند الرومان بماسيوس (Massius) على عطفهِ الغربي والبعض يلحقونها بجبل قرج داغ من جبال ديار بكر (١ على عطفهِ الجنوبي

وكانت ماردين في الاصل حصناً اختــارهُ كما هو المظنون ملوك الفرس لحفظ ثغورهم ثم صار الى الرومان فجعلوه من احصن قلاعهم واحرزها فاخذ اهل تلك البلاد يشيدون لهم الدور حولها ليحتموا بحماها من هجمات العدوّ وفيها الى اليوم عدَّة آثار تدلّ على انَّ المدينة كانت مأهولة منذ القرن الرابع منها نقود ونقوش وفسيفساء ومدافن . ومن اقدم ابنيتها كنيسة مار جرجس للارمن الكاثوليك وكنيسة مـــار هرمز للكلدان وكلتاهما من طرز كنائس القرن الخامس او السادس في بلاد الجزيرة

ولمَّا دخل العرب ما بين النهرين كانت ماردين من جملة المدن التي فتحها صلحاً العياض بن غنم مع نصيبين ودارا وحصن كيفا وطور عبدين السنة ١٩ هـ (٦٤١ م)

وقــد بقيت في حكم الخلفاء العبَّاسيّين الى اواخر القرن الخامس للهجرة حيث استولى عليها الملوك السلجوقيون وصارت بعد قليل في عهدة احد امرائهم المعروف بايل غازي وهو رأس الدولة الارتقيَّة سلاطين ماردين الذين تملكوها نيفاً وثلثمائة سنة فخلفهم عليها التركمان مدَّة الى ان فتحها آخرًا السلطان الغازي سليم الاوَّل سنة ١٥١٥

وقد ذكر ماردين كلّ جغرافيي العرب واطنبوا في وصف حرازتها . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) : « ماردين قلعة مشهورة على قُنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدَّامها ربض عظيم فيهِ اسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبَط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الاخرى وكلّ درب منها يشرف على ما تحتهُ من الدور ليس دون سطوحهم مانع » . وقال

(١ هذا قولهُ الحرفي (Per Izalem montem inter castella præsidiaria duo Merida et Lorne (*Amm. Marcelin* XIX, 9)

ابن حوقل (ص ١٤٣): «وبالقرب من نصيبين جبل ماردين ومن قرار الارض الى ذروتهِ نحو من فرسخين وعليهِ قلعة تُعرف بالباز الاشهب في بلد الروم لا يُستطاع فتحها عنوةً وبجبل ماردين جوهر للزجاج جيد» . وروى القزويني لبعضهم قولهُ في وصف ماردين:

في ماردين حماها الله لي سكنٌ لولا الضرورةُ ما فارقتها نفسا
لاهلها السنٌ لانَ الحديد لها وقلبهم جبلي قد قسا وعسا

امَّا اسمها فزعم كتبة العرب انَّهُ جمع «مارد» ثم روى صاحب معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) انَّ مستحدث هذه المدينة بلغهُ قول الزبَّاء «تمرَّد مارد وعزَّ الابلق» ورأى حصانة قلعتهِ وعظمها فقال «هذه ماردين كثيرة لا مارد واحد» وانَّمَا جمعهُ جمع من يعقل

غير انَّ هذا الرأي في اشتقاق اسم ماردين ضعيف واصل تسميتها «مَرْدة» كما ورد في اقدم النصوص اليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة وهي تُنسب الى المرد جيل من اجيال الفرس ذوي البطش كان الملوك يستدعونهم الى الدفاع عن الاماكن الحصينة لدربتهم على الحرب. ومعنى اسمهم «الرجال الاشدَّاء والصناديد». ومنهم المردة الذين سكنوا قيليقية وحصَّنوا درب الدروب وعُرفوا هناك بالجراجمة وهم الذين وكل اليهم ايضاً ملوك الروم تحصين لبنان في وجوه العرب في عهد بني اميَّة (١ وقد جُمع الاسم على صورة الجمع السرياني فقيل «مَرْدين» او «ماردين»

والحقّ يقال ان ماردين كانت احسن مقام للدفاع عن ثغور بلاد الجزيرة وهي على اعطاف جبل عالٍ منقطع من ثلاث جهات فلا يُدخل اليها الَّا من مَضايق ومعابر يسهل تمكين استحكاماتها في وجه العدوّ. وقد زادت الصناعة في عمل الطبيعة اذ شُيدت في قنَّة الجبل تلك القلعة المنيعة التي عجز عنها كثيرون من الابطال ومن جملتهم تيمورلنك الذي حاصرها زمناً طويلاً فلم يفلح في كسر شوكتها وذلك سنة ١٣٩٦ (انظر صورة هذه القلعة في المشرق ١٢ : ٥٩٢)

١) راجع ما كتبهُ حضرة الاب لامنس في المردة والجراجمة (المشرق ٦ : ٣٠١ ,٤٠٤) ومقالات سيادة المطران الجليل يوسف دريان في الامر عينهِ

ولماردين مع حسن موقعها صفات قلّما تجتمع في مدن الشرق كنقاوة جوّهـا ورطوبة هوائها واعتدال مناخها وخصب ارضها العجيب وحولهـا الحدائق الغنّاء والبساتين الغزيرة الخيرات الوافرة الغـلّات مع ضروب الفواكه الكثيرة الاجناس اللذيذة الطعم وقد شبَّه سيَّاح الفرنج محاسنها بمدينة كويتو عاصمة جمهوريَّة خطّ الاستواء في اميركا

وقد دخلت النصرانيَّة مدينة ماردين في قرون النصرانيَّة الاولى وعلى الاقلّ بعد تنصُّر قسطنطين الكبير اذ عمَّت النصرانيَّة تلك الانحاء ولا سيما جاراتها نصيبين وآمد ودارا. ويؤيد ذلك ما وجدوهُ بقرب القلعـة من آثار الابنية القديمة المبنيَّة بالحجارة البركانيَّة بينها البروج المستديرة والدور المتينـة. وذكر المسيو أَينسورث (Ainsworth) انَّ بينها المعابد الواسعة ومقبرة كثيرة المدافن تُرى عليها الصلبان ومعابدها على هندسة معابد النصارى وكل ذلك يثبت رأي مؤرخي الارمن الذين يرتأون انَّ ماردين هي مَرْدَة القديمة التي ملكها طِرْدات الثـاني المتولي على تلك الانحاء باسم الرومان في اواخر القرن الثالث وهو الذي نصَّرهُ القديس غريغوريوس المنوّر فتبعتهُ الرعيَّة في نصرانيَّتهِ (١

ثم كثر في جبل ماردين وملحقاتهِ عدد السيَّاح والنسَّاك والاديرة حتى دُعيت تلك الجهات بجبل القديسين او طور عابدين (او عبدين) وكان بعض هذه الاديرة يبلغ عدد رهبانهِ بضع مئات بل بضعة الوف كما تشهد عليـهِ الآثار التاريخيَّة وقد كتب حضرة الاب اسحاق ارملة في المشرق (١١ : ٧٦٠) مقالة حسنة في اديار ماردين نُحيل القرَّاء اليها

على ان معالم الدين القويم قد طُمست نوعاً في ماردين لمَّا جرت تلك المنازعات الدينيَّة التي اوقعت قسماً كبيراً من اهل الجزيرة والعراق في بدعتي النساطرة واليعاقبة فاصبحت ماردين احد مراسح خصومات البدعتين. وكان اليعاقبة فيها على فرعين فرعٌ ارمني كان ينتمي الى عنصر الارمن وفرع وطني سرياني. وصار لليعاقبة السبق على

١) روى تاوفان المؤرخ انَّ ارشك الخامس ملك العجم كان انفذ قبائل من المردة الى جبال الجزيرة وانَّ ماردين باسمهم دُعيت . وكان هؤلاء القوم يدينون بدين المجوسيَّة ثم تنصَّروا . اطلب ايضاً (Cuinet: *Turquie d'Asie*, II, 501)

النساطرة لاسيما لمَّا ابتنوا دير الزعفران وجعلوه مركزًا لبطاركتهم منذ القرن السابع فصارت ماردين حصن اليعقوبيَّة

وفي ذلك القرن السابع دخل الدين الاسلامي في ماردين فاسلم قسم من اهلها وكان بقي فيها بقايا من المجوسيَّة ومن اشياع اليزيديين عبَدة الشيطان ولم تخلُ المدينة حتى اليوم من آثار هذه الاديان · واصدق ما نعرف من احصاء اهل ماردين انَّ عددهم يبلغ ٤٠,٠٠٠ النصف منهم مسلمون والباقون نصارى وليس في ماردين اثر لليهود

واغلب هؤلاء النصارى في يومنا من الكاثوليك اذ لم يبقَ في ماردين من المبتدعين سوى ١٥٠٠ من اليعاقبة · امَّا النساطرة فقد باد جنسهم منها · ولم تنل الكنيسة الرومانيَّة بهذا الفوز الباهر الَّا بعد الجهاد الطويل بعد ان كان اسم الكثلكة مجهولًا في ماردين

والفضل في هذا التغيير العظيم انَّما هو عائد الى المرسلين اللاتين الذين منذ ثلاثة قرون افرغوا ما عندهم من وسائل الغيرة الرسوليَّة ففصلوا عن بدعتي نسطور واوطيخا شعبًا مختارًا اناروه بنور الايمان وربطوه مع مركز الوحدة بروابط شديدة جدَّدت روحهُ واثمرت كما في اوائل الكنيسة ثمار الخلاص والنعمة

وكانت ماردين بعد حلب احدى المدن التي اصابت سهمًا افوز من هذه النهضة الدينيَّة · ولعلَّ اوَّل من دخلها من المرسلين الآباء اليسوعيون سنة ١٦٨٢ وهم الابوان ميشال نو (M. Nau) ورينه بيليون (René Pillon) والاخ المساعد هيلار فاستأجروا في ماردين بيتًا واخذوا يرشدون النصارى فاجتمع اليهم كثيرون طلبوا الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة · وكان الاب نو يتعاطى الطبَّ فيقصده المرضى من كل صوب · الَّا انَّ اليعاقبة اثاروا على المرسلين اهل نحلتهم ورشوا عمَّال الدولة فألقوا المرسلين بالحبس واذاقوهم ضروب العذابات فلم ينجوا منها الَّا بعد غرامة طائلة واضطروا الى ان يخرجوا من ماردين ويعودوا الى حلب

ثم قدم بعد ذلك الى ماردين الكبوشيون والكرمليون في القرن الثامن عشر وردُّوا اكثر نساطرة ماردين بمساعدة البطاركة الكلدان الكاثوليك اليوسفيين الذين في ديار بكر (١ · وكذلك سعى هؤلاء المرسلون بردّ يعاقبة ماردين (٢ وارمنها

١) راجع تاريخ هؤلاء البطاركة في المشرق (٣ : ٨٧٨-٨٨٣) ٢) راجع في

الغريغوريين مع بعض تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومية كالسيد ملكون طاز باز والسيد اندراوس اخيجان اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

وبقي هؤلاء المرسلون في جهاد متواصل حتى اواخر القرن الثامن عشر ثم عادوا في القرن التاسع عشر واستأنفوا رسالتهم لكن الكرمليين انضمُّوا بعد ذلك الى اخوتهم في رسالة بغداد وبقيت ماردين مركزًا للرسالة الكبوشيَّة وحدها وكان يرأسها قصَّاد رسوليُّون من الرهبانيَّة عينها اوَّلهم السيد نقولا كستلس (Nic. Castells) الاسباني الذي سعى مع الاب ريمون في ردّ اليعاقبة والارمن فبارك الله مساعيهُ برجوع معظم ارمن ماردين الى الكثلكة وارتداد كثير من اليعاقبة. وكانت وفاتهُ في ماردين في ٧ ايلول سنة ١٨٧٣. وفي السنة ذاتها في ٤ تشرين الثاني توفي خلفهُ في القصادة الرسوليَّة السيد زكريَّا فانشيولي (Zach. Fanciulli)

واتفقت هذه الحركة مع اهتداء ذاك البطل المقدام السيد انطون سمحيري الشهير الذي نبذ الشيعة اليعقوبيَّة وتكثلك وتعين بطريركًا على الطائفة السريانيَّة واجتذب عددًا عديدًا من مشايعيهِ الى الاحتذاء بمثلهِ. وكانت وفاتهُ برائحة القداسة سنة ١٨٦٤

فكانت نتيجة غيرة كل هؤلاء ان ماردين لم يبق فيها في عهدنا لا نسطوري ولا ارمني غريغوري الَّا ١٥٠٠ يعقوبي كما مرَّ. وفي المدينة ثلاثة رؤساء اساقفة ارمني وسرياني وكلداني وهناك كرسي بطاركة السريان كما قرَّرهُ المجمع المقدَّس واثبتهُ مجمع الشرفة

امَّا الكبوشيون فلا يزالون مع قلَّتهم يجدُّون في خدمة نصارى ماردين وتهذيب احداثها ومعالجة مرضاها مع رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة. وبهمتهم قدمت راهبات فرنسويات منتميات الى رهبانيَّة مار فرنسيس السنة ١٨٨٢ ففتحن المدارس للاناث وازدحمت عندهنَّ الفتيات على اختلاف مللهنَّ

المشرق قصَّة اهتداء اهل ماردين اليعاقبة التي رواها الشمَّاس ايليَّا بن الكزير (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٥٨٩ الخ)

١) راجع تاريخَي الكنيسة السريانية لسادة رئيس اساقفة حلب على السريان السيّد ديونوسيوس افرام نقّاشه وللفيكنت فيليب طرَّازي

وكان يدبّر الرسالة الكبوشيَّة يوم مرورنا في ماردين حضرة الاب دانيال دي مِنوبُلو (Daniel de Menopolo) وهو لا يزال في تدبيرها حتى الآن . ومن فضلهِ على نصارى ماردين انَّهُ بعد خروجنا منها بأيَّام اذ تهدَّدتهم قبائل الأكراد بالنهب والقتل كما جرى في ديار بكر التجأ الى ابراهيم باشا ودعاه الى الدفاع عن المظلومين ففعل وردّ الأكراد عن ماردين . وفتح الاب دانيال ديرهُ للهاربين من تل ارمن والضياع المجاورة وآوى منهم ألفين بنيِّف . فشكرت فرنسة للمرسل همَّتهُ ومنحت على يده نوطاً ذهبيًّا لابراهيم باشا

رأيت في وصف الكتبة لماردين انهم يذكرون مدارسها . وما لا يُنكر انَّ تلك المدينة في عهد الدولة الارتقيَّة بلغت بعض الشهرة بآدابها ومَعارفها . وقد اشتهر فيها علماء كالسبط المارديني الواسع التآليف في علوم الهيئة والهندسة والفرائض توفي سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ م) . واشتهر الشاعر ابن مشرف المارديني وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة فريــدة من ديوانهِ . توفي في اواسط القرن التاسع للهجرة . وفي ماردين اشتهر صفي الدين الحلي في اواخر القرن السابع واوائل الثامن فمدح سلاطين ماردين وافاض في وصف محاسن حاضرتهم فممَّا قال :

حبَّذا ارضُ ماردين وبَرّ م الظلّ فيها وماؤها وهواها
بلدةٌ تنبتُ الكرام فلا م ذُقتُ فناها ولا عدمتُ فناها
فهي ارضٌ ان لم تكن هي ذاتُ م النفس منّي فانَّها مشتهاها
جمعتْ سائر المُنى فلهـذا م ما اتاها ذو الحلم الّا وتاها
كم رأينا لها وفيها ومنهـا م صورًا تُسفك الدماء دُماها
لو تمكَّنتُ ان افضّي بها م العمر جميعًا لما سكنتُ سواها

وهو القائل: لئن وهى عِقدُ السحاب الثمين فلا عدا رَبْعَك يا ماردينْ
مدينةٌ لم ترَ في جوّها جَورًا ولا في اهلها ماردينْ
كم شاهدت عيناي من اهلها اظهار معروفٍ واضمارَ دينْ
افاضلٌ في غيّهم ما رَدَوْا ونسوةٌ في مثلهِ ما رَدِينْ

وكان سبق الاخطل (ص ٢٠٩) فوصف ماردين بشعرهِ الجميل :

رأوا ثغرًا تُحيط بهِ المنايا وأكبدَ ما يغيّرهُ الغيارُ
تسامي ماردونَ بهِ الثريَّا وأيدي الناس دونهمُ قصارُ

ومع ما حلّ بماردين من خمول المعارف لا يزال بين اهلها شي من مسحة الآداب فاجتمعنا بمن اشاروا الينا بتقدُّمهم في الدروس فلقينا عندهم من اللطف والمجاملة ما زادنا لاشخاصهم اعتبارًا. على انَّ المسلمين في الغالب لم يحرزوا من العلوم الَّا قليلًا من الصرف والنحو وبعض العلوم الدينيَّة لاسيما الفقه وكذلك النصارى لم يزيدوا شيئاً على مبادئ العلوم لخلو ماردين من المدارس العصريَّة المحكمة. لكنَّ بعض ارباب الاكليروس الماردينيّ الذين تخرَّجوا في مدارس بيروت وغزير والشرفة ناشرون في وطنهم معالم الآداب جامعون بين الفضائل الكهنوتيَّة والمعارف البشريَّة. وقد فتح المرسلون الاميركيون مدارس في ماردين يبثون فيها مذهبهم البروتستاني اكثر منهم للعلوم ولذلك يأخذ الاهلون حذرهم منهم. ومعظم طلبتهم من اليعاقبة

وقد اطَّلعنا في ماردين على ما تحرزهُ بعض المكاتب من المآثر الادبيَّة ففي كنيسة الكلدان مكتبة قديمة تحتوي بضع مئات من الكتب الكلدانيَّة والعربيَّة منها بعض اناجيل راقية الى ما وراء القرن العاشر وكتب طقسيَّة فيها النقوش البديعة والتصاوير ومنها تآليف لمشاهير كتبة السريان كالقديس افرام ومار يعقوب وغريغوريوس بن العبري ومنقولات عن الآباء اليونان. ووجدنا السيد ايليا ميلوس وهو اذ ذاك رئيس اساقفة ماردين على الكلدان مغرماً بهذه التآليف القديمة وقد نشر شيئاً منها بالطبع

وفي هذه المكتبة وُجدت الترجمة الكلدانية لكتاب كليلة ودمنة السابقة لتعريب ابن المقفع بنحو ثلثمائة سنة فنشرها في المانية العلاَّمة بيكل (Bickell)

وكذلك عند السريان الكاثوليك والارمن بعض المخطوطات السريانيَّة والعربيَّة التي تستحقّ الذكر واكثرها لكتبة نصارى من مرسلين اوربيين ورهبان وطنيين ولم يخب رجاؤُنا ممَّا كنَّا نؤَملهُ من اقتناء بعض تلك الآثار

واذ كان بلغنا سابقاً انَّ في دير الزعفران مكتبة مهمَّة عوَّلنا على زيارتها بصحبة حضرة الخوري هرمز نورسو الكلداني واحد تلامذة كايَّتنا في بيروت الذي قام بخدمتنا ما امكنهُ مدَّة اقامتنا في ماردين. فركبنا الجياد في ١٢ من شهر تشرين الاوَّل وسرنا الى ذلك الدير الشهير فقطعنا بعض بساتين ماردين فبلغنا قرية « قلعة مرا » التي يعتبرها اليعاقبة كاحدى امّهات شيعتهم ولم نلبث حتى وصلنا بعد ساعة الى دير

الزعفران وهو لا يبعد عن ماردين اكثر من ثمانية كيلومترات. وهذا الدير عبارة عن ابنية ضخمة متراكمة يحدق بهِ سور كحصن. ووراء السور دهاليز معقودة يُدخَل منها الى الدير. واقدم ما فيهِ كنيستهُ المبنيَّة على طرز كنائس القرون الوسطى بهندسة بسيطة الّا انها موافقة لعبادة الرهبان وفرائضهم. وقد روى ابن العبري في تاريخهِ الكنسي طبعة لامي (Greg. Barhebræi Chronic. Eccles L. 338) انَّهُ كان قرب ماردين حصن مبني بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه حنانيًا مطران اليعاقبة وجعلهُ ديرًا وغرس فيهِ كرماً وزيتوناً وشيَّد فيهِ كنيسة ومذبحاً واجتمع اليهِ رهبان كثيرون فعُرف هذا الدير بدير حنانيًا وهو دير الزعفران

وهذا الدير في ايَّامنا يسكنهُ نحو عشرة رهبان وفيهِ منذ عدَّة قرون مقام بطاركة اليعاقبة. وكان البطَريرك لمَّا زرناه هو المسمَّى عبد المسيح. فطلبنا مواجهتهُ واستقبلنا في قاعة كبيرة هي الديوان فبعد ان دار الحديث بيننا قليلًا طلبنا اليهِ ان يرخص لنا بزيارة المكتبة فكان جوابهُ انَّ المكتبة ليست منظمة وليس فيها شيء يستحقّ الذكر فاردفنا باَنَّا لا نريد الّا الاطلاع على مضامينها مهما كانت والححنا عليهِ بالطلب فلم يمكنَّا اقناعهُ. وممَّا اخبر الرحَّالة ساخو (D[r] Ed. Sachau) انَّهُ في سنة ١٨٧٩ زار دير الزعفران في ايَّام البطريرك بطرس وانَّهُ وجد في مكتبتهِ نحو عشرين كتاباً النصف منها مكتوب على الرق وبعضها يرتقي الى القرن العاشر او التاسع. ثمَّ قال « بلغني ان مكتبة الدير نُقلت الى ديار بكر والله اعلم ». فودعنا البطريرك غير مثنين على كرمهِ بل صرَّحنا لهُ باَنَّنا اذا كتبنا يوماً تاريخ رحلتنا سوف نذكر ردَّهُ ملتمسنا

ومن غريب ما جرى للبطريرك المذكور انهُ سافر بعد ذلك الى الاستانة نحو السنة ١٩٠٥ فمرَّ في بيروت واتى الى كليَّتنا ليزورها فرحَّبت بهِ ورافقتهُ في زيارة معاهد مدرستنا وادخلتهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ثم ذكَّرتهُ كيف اقفل دوننا مكتبة دير الزعفران فاعتذر الينا ووعدنا انهُ لا يبخل علينا مرَّة اخرى بمطالعتها. لكنهُ لم يمرّ عليهِ بضعة اشهر حتى عُزل عن البطريركيَّة بامر السلطان عبد الحميد (لهُ تابع)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريّة (تابع)

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيَّة التي وصفها العلّامة رَيْت في قائمة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس للمسيح من جملتها رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء اديرة اقليم البلاد العربيَّة (ܕܥܘܡܪܐ ܕܒܝܬ ܥܪܒܝܐ) ووجَّهوها الى يعقوب البرادعيّ ليرذلوا فيها بدعة يحيي النحويّ في تثليث الجوهر الالهيّ (Trithéistes) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسنيور لامي (Mgr Lamy) رئيس كليَّة لوفان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨—١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديرًا موقعها كلُّها في اقليم العربية المتدّ شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهدًا جليلًا على انتشار النصرانيَّة بين عرب الشام وسوريَّة. على انَّ هؤلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبيَّة كما ترى. وايَّد ذلك ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ حيث قال (ج ١ ص ٢١٧): « انَّ كلَّ قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين ». فهذا القول مع ما فيهِ من المبالغة لا يخلو من الصحَّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيَّة لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

١) اطلب مقالة العلَّامة نولدك في بحثهِ الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XXIX, 419-444)

والمستشرقون في عهدنا يرتأُون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي (B. Dozy)
في مقدّمات كتابهِ عن الاسلام. الترجمة الفرنسويّة لشوفان (V. Chauvin, p. 13)
« كان عرب سوريّة يدينون بالنصرانيّة » (Les Arabes de Syrie profes-
saient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك
وغولدتسير (J. Goldziher) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض
المام بتاريخ العرب في الجاهليّة

الفصل العاشر

النصرانية في الحجاز ونجد

تتبّعنا كما رأيت آثار النصرانيّة في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا الّا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمّ ابحاثنا عن تاريخ النصرانيّة في كل انحاء جزيرة العرب

والحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن الى تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازًا لانّهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويُدعى الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيهِ اشهر مدنهم اي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنيّة ولاسيما في عبادة قوّات الطبيعة واخصّها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهَرة. على انَّ دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة اهلها الى النصرانيَّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب. وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ ص ١٥٠ من تاريخهِ) في بعثة الرسول برتلماوس « الى ارض العرب والحجاز ». وسبقهُ الى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن ج١ ص ٧٣٨) حيث قال: « وكان ممن توجه من الحواريين... ابن تلما (اي برتلماوس) الى العربيَّة وهي ارض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ,ed. Wüstenfeld):

« وبُعث من الحواريين . . . ابن تلما الى الاعرابيَّة وهي ارض الحجاز » . وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انَّهُ « نصَّر ارض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقيساريَّة والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحتها قال (١ : ٧٣٨ — ٧٣٩) :

حدَّثنا ابن حميد . . . عن ابي سُليم الانصاري ثم الزُّرَقي قال : كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجمَّاء جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرتُ معها حتى اذا استوينا على رأس الجبل اذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا ادري ما هو . فاحتملتُ الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلا عليَّ فألقيتُ احدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتهُ على اهل السريانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ . وعرضتهُ على من يكتب بالزبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمُسنَد فلم يعرفوهُ . فلمَّا لم اجد احدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت تابوت لنا فمكث سنين . ثم دخل علينا ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروى : يبيعون) الخرز فقلتُ لهم : هل لكم من كتاب . فقالوا : نعم . فاخرجتُ اليهم الحجر فاذا هم يقرأُونهُ فاذا هو بكتابهم : « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام الى اهل هذه البلاد » . فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جليلة تشير الى مجيء احد رُسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من المدينة . ومن عجيب امر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى « عيسى بن مريم » كالهِ اذ قرينة الكتابة تبين انَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من « الله عيسى »

﴿ ايلة ﴾ كما مرَّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهودًا . ولا يبعد ان النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين . وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانياً لمَّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن رؤبة صالحهُ نبيُّ الاسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار . وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد (ed. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرفهُ :

«قال وقدم يحنَّه بن رؤبة على النبي وكان ملك ايلة . . . واقبل ومعهُ اهل جرباء واذرح . فاتوهُ فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة . . . اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيهِ قال : رأيتُ على يحنه بن رؤبة يوم أتى النبيَّ صليباً من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسول الله كفَّر واومأ برأسهِ فاومأ اليهِ النبيَّ أن ارفعْ رأسك وصالحهُ يومئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يمنة . . »

﴿ دومة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق كان مبنيًّا بالجندل اي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكَيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الاسلام كلها نصرانيَّة عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب «مدينة الله انطاكية» من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة. وكان ملكها أُكيدر نصرانيًّا فبعث اليهِ محمد رسولِ الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاوَّل من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسرهُ

قال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب (ص٢٧) بعد ذكرهِ يحنَّه بن رؤبة صاحب أَيلة: «قال ورأيت أُكيدر حين قدم بهِ خالد وعليهِ صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا». وفي معجم البلدان لياقوت (٢: ٦٢٦) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسَّان. قال: «ثم انَّ النبيّ صالح اكيدر على دومة وأمَّنهُ وقرَّر عليهِ وعلى اهلهِ الجزية وكان نصرانيًّا ...». وفي فتوح البلدان للبلاذريّ (ص ٦١–٦٣) انَّهُ أَسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمَّد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمَّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل اكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام. وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منها الحِجْر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اوَّلًا ثم نزلتهُ قضاعة وهي من اثبت القبائل في النصرانيَّة ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصُّرهم

---

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليَّة لكوسان دي برسڤال (Caussin de Perceval: *Eesai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214, II, 232,265)

في الشام (١ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة (الاغاني ٧ : ١٦١) :

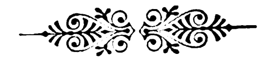
ونحن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةَ اذ نَلقى يهودًا وبَعثرا
منعناهُ من عُليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الابلق حصن السموْل . والشائع انَّ السموْل كان يهوديًا الّا انّنا لمّا طبعنا لاوّل مرَّة ديوانهُ اتينا في المقدَّمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيتهُ (٢ كاصلهُ الغسّاني وكذكرهِ في شعرهِ على بعض تلامذة المسيح بل تصريحهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميَّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

ولعلّ الصواب انَّهُ كان من احدى الشيع اليهوديّة المتنصِّرة (Judéo-chrétien)

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من الحِجر كان بهِ عين ونخلٌ . ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام . وكان اهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلًا عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩) : « وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السَّكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتَبُوك ودخلوا في دين النصرانيّة » . ثم ذكر مهاجرة كلب بعد الاسلام فقال : « وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيَّة منهم مسلمون ومنهم متنصّرون » (لهُ بقيّة)



١) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 231)
٢) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩) ص ١٦٣

مطبوعات شرقية جديدة

Das Steinbuch des Aristoteles, herausg. u. übersetzt von **Dr Julius Ruska**, *Heidelberg*, *Carl Winter's Universitaetsbuchhandlung*, 1912, VI-208

كتاب الاحجار لارسطاطاليس

في خزانة مخطوطات باريس العربيَّة كتاب موسوم بالعدد ٢٧٧٢ عنوانهُ «كتاب الاحجار لارسطاطاليس ترجمهُ لوقا بن سرابيون» فهذا الاثر لم يُعِرهُ المستشرقون حتى يومنا بالًا اذ تحقَّقوا ان نسبتَهُ الى ارسطو غير ثابتة مع ما يُعْرَف من امر هذا الكتاب المفقود. غير انَّ احد اساتذة كليَّة هيدلبرغ الدكتور «يوليوس روسكا» رأى في نشر هذا الاثر افادة اوَّلًا لقدمهِ لانَّ ترجمتهُ هذه العربيَّة راقية الى القرون الوسطى. وثانياً لما يمكن استفادتهُ من هذا الكتاب لمعرفة الآراء التي كان يتناقلهـا القدماء عن ارسطو وعن كتبهِ المفقودة. وثالثاً لبيان ما يوجد من العلاقة بين هذا الكتاب والكتب التي ألَّفها العرب في الاحجار . وقد ذكر جناب ناشره (ص٢٣) كتاب التيفاشي المدعوّ كتاب ازهار الافكار في خواصّ جواهر الحجار وكتاب جواهر نامه الفارسيّ (ص٣١) وكان يمكنهُ ان يذكر كتاباً آخر نشرناهُ في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١: ٧٥١—٧٦٥) وهو «نخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفانيّ» ثم عاد فنشرهُ في العام التالي صاحب مجلَّة المقتبس (السنة الرابعة ص٣٧٧ — ٣٨٨) وعلَّق عليهِ بعض التعليقات جناب اسكندر افندي عيسى معلوف (ص٥٨٢ و ٦٤١). ولم يخدم الدكتور روسكا العلمَ بنشره لهذا الاثر فقط بعد مقابلتهِ على نسخ أخرى بل نقلهُ ايضاً الى الالمانيَّة وروى ترجمتهُ الى اللاتينية وجدها في جملة مخطوطات ليدن .واضاف اليه عدَّة ابحاث في كتب قدمـاء اليونان عن الاحجار الكريمة كتاوفرستوس وديوسقريدس وغيرهما وفي انتشار علم الحجارة بين العرب والعجم. وخصّ بالذكر ما ورد من ذلك في كتاب اخوان الصفا وفي كتاب آثار المخلوقات للقزوينيّ. فترى من هذا النظر كيف علماء اوربَّا لا يباشرون بحثاً الَّا استوفوا كلّ اقسامهِ اثابهم الله

ل.ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'Histoire de l'Empire Ottoman par MM. **G. Auboyneau** et **A. Fevret**, Fasc. I., RELIGION, MŒURS et COUTUMES, *Paris, Leroux,* 1912, p. 84

تعريف المطبوعات الخاصة بالتاريخ العثماني

انَّ دروس الشرق العثمانيّ مع اتّساعها وكثرة مطبوعاتها اصبحت واسعة المجال حتى يضيع فيها ارباب البحث فتسهيلًا للتفتيش باشر رجلان افرنسيَّان بنشر مكتبة شرقيَّة تحتوي اخصّ المنشورات في تاريخ الدولة العثمانيَّة . والقسم الذي نجز من ذلك يحتوي وصف ٧٠٦ كُتُب ظهرت منذ اكتشاف فنّ الطباعة في الشرق والغرب في الاديان والاخلاق والعادات الشائعة في الشرق العثماني. فنحضّ كلّ من يريد الالمام بتاريخ الدولة العثمانيَّة على اقتناء هذا المجموع المفيد

THE CONFERENCE OF ORIENTALISTS including Museums and Archæology Conference, held at SIMLA July 1911. *Simla, Government Central Branch Press*, 1911, p. 146

مؤتمر المستشرقين في سملا

في تموز من السنة الماضية دعت الحكومة الهنديَّة عمدة علمائها المستشرقين ليتباحثوا في مدينة سملا بامور الدروس الشرقيَّة فدارت الابحاث على كل ما ينوط بالمدارس ودرس اللغات الشرقيَّة وتحسينها وترقيتها واصلاح ما اندسَّ اليها من الخلل ونشر آثارها المنسيَّة وتجهيز المتاحف الخاصة والمطابع في انحاء الهند. وكان للعربيَّة قسم طيب في هذه الابحاث ما يدلّ على مقامها في تلك الجهات. واعمال هذا المؤتمر مع تفاصيل مذاكراته قد جُمعت في كتاب خاص تلطَّفت الحكومة الهنديَّة واتحفتنا بنسخة منهُ فنشكر لها فضلها ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL XVIII. Histoire des Mongols de FADLALLAH RACHID ED-DIN éditée par **E. Blochet,** *Leyden, E. J. Brill,* 1911, LXXII-617

كتاب جامع التواريخ تأليف رشيد فضل الله الفازاني

كان متولي طبع هذا التاريخ الجليل جناب المستشرق « بلوشه » قدَّم عليهِ مجلدًا ضخماً كتمهيد لنشر متنهِ وصفناه قبل سنتين (المشرق ١٣ : ٥٥٠) وها هوذا اليوم قد انجز القسم الثاني منهُ الذي يحتوي اخبار امراء المغول خلفاء جينككيز خان مباشرةً

بابنهِ اوكتاي قآن ثم جوجي خان ثمَّ جغتاي خان ثمَّ تولوي خان الى قوبيلاي قآن وحفيدهِ تيمور فوصف تملكهم على تركستان والخطا وجهات الصين حتى خان بالق وهي پاكين. وقد ذيَّل المسيو بلوشه كل صفحة من صفحات هذا التاريخ بملحوظات وافية تدلّ على علم واسع. وفي الكتاب ١٦ صورة منقولة عن رسوم جميلة زاهية الالوان. ولهُ ايضاً في آخر الكتاب ملحق اصلح فيهِ بعض آرائهِ السابقة اوردها في الجزء الاوَّل. وخلاصة القول قد جاء هذا الاثر اهلًا بمنشورات جمعيَّة جيب التي اثنينا عليها غير مرَّة ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES: VI, DICTIONARY OF LEARNED MEN OF YAKUT edited by **D. S. Margoliouth,** D. L., vol. V, 1911, p. XII-520

ارشاد الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الرومي (الجزء الخامس)

عرف القرَّاء من اوصافنا السابقة ما في نشر هذا الكتاب النفيس من الفوائد لعظم مقام مؤلفهِ ولكثرة ما يتضمنهُ من تراجم الأُدباء الواسعة وفي كل ترجمة من النكت والاخبار ما يعزّ وجودهُ في تراجم كاتب آخر. وهذا الجزء الخامس يشتمل سير الأُدباء الذين اسماؤهم داخلة في حرف العين نخصّ منهم بالذكر عثمان بن الجنيّ النحوي الشهير (١٥—٣٢) وعليّ ابن احمد بن حزم « صاحب الفيصل بين اهل الآراء والنحل » (٨٦—٩٧). وعلي بن احمد الواحدي شارح المتنبيّ (٩٧ — ١٠٢) وعلي بن الحسن بن عساكر صاحب تاريخ دمشق (١٣٩ — ١٤٦) وابا الفرج علي ابن الحسين الاصفهاني مؤلف كتاب الاغاني (١٤٩ — ١٦٨) وعلي بن حمزة الكسائي اللغوي (١٨٢—٢٠٠) وابا الفتح علي بن محمد الشهير بابن العميد (٣٤٧— ٣٧٥) وغيرهم. والكتاب مطبوع بحرف مشرق قابلهُ جناب الدكتور مرجليوت على نسختي اوكسفرد وبمباي فاحسن ضبطهُ ل. ش

A. Boppe: Journal et Correspondance de GÉDOYN, CONSUL DE FRANCE A ALEP. (1623-1625) *Paris, Plon-Nourrit,* 1901, XXVIII-232 pp.

جِدْوان قنصل فرنسة في حلب (١٦٢٣ — ١٦٢٥) ومراسلاتهُ

المسيو بوپ سياسيّ محنك قدَّرت الحكومة الافرنسيَّة قدرهُ فاقامتهُ منذ سنين

مساعدًا لسفيرها في الاستانة وهو ايضاً مؤرخ ممتاز خصّص دروسهُ في الآثار الباقية من اخبار شرقنا لا سيما تاريخ السفارات لدى الدولة العليّة والقنصليّات في سوريّة. وهذا الكتاب الذي نصفهُ للقرّاء هو مجموعة مذكّرات ورسائل كتبها احد قناصل فرنسة الاولين في حلب يُدعى جدوان (Gédoyn) من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٢٥ ولم يكن عندئذٍ للافرنسيين سوى اربع قنصليّات في هذه الاطراف وهي قنصليّة الاسكندريّة وازمير وصيدا وحلب. ويلحق بحلب نوّاب او ڤيس قناصل في الاسكندرونة وطرابلس وقبرس. ولم يقم جدوان في حلب الّا مدّة قصيرة ومن ثمّ كانت اكثر الآثار المذكورة سابقة لبلوغهِ مقرّهُ او لاحقة. امّا ما يعلمنا عن احوال حلب فمفيد لندور الصكوك التاريخيَّة في تلك السنوات. فنشكر لسعادة المسيو بوپ اثره ونثني على معارفهِ
ا. ر

Premières Leçons de Catéchisme par l'Abbé **Davot**, *Paris, Bloud et C*ie, 1911, in-32. pp. 73

الدروس الاولى للتعليم المسيحي

نعم الكتاب وحبذا التأليف فهذا التعليم الصغير يوافق كل الموافقة احوال الناشئة وينطبق مع عقولهم فانَّهُ في صُحف قليلة يفيد الاحداث لُباب التعليم المسيحي على طريقة سهلة قريبة المنال ويفتح قلوبهم لامور الدين ومعرفة امور الآخرة بلا عناء كما تفعل الام بولدها. ومع ما يحتويه الكتاب من الاسئلة والاجوبة ترى في كلّ باب فوائد تاريخية شتى وآيات انجيلية يُسرّ الاطفال بالاطلاع عليها مع بعض تراتيل روحية يتغنّون بها وصلوات يتلونها صباح مساء . وقد جاء طبعهُ اللطيف وتجليدهُ الظريف كدافع جديد لاستعمالهِ
ي. ديلنسيغر

الاجنحة المتكسرة

تأليف جبران افندي خليل جبران

طبع في مطبعة جريدة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ١٤٦)

صاحب هذه الرواية شاعر يتخيَّل العواطف ويختلق الظروف الغريبة فيظهرها في قالب ظريف بعبارة عربيَّة فصيحة يُستشفّ منها المستعار الغريب. وقد جعل مدار روايتهِ على الحبّ والغرام ووصفهما بانقى واسمى واكمل الصفات وضحّى لها

كلّ عزيز ونفيس وشريف لانهُ ارتأى في فلسفتهِ الحبيَّة « انَّ النفس اذا تطهَّرت بالنار واغتسلت بالدموع تترفَّع عمَّا يدعوهُ الناس عيباً وعارًا وتتحرَّر من عبوديَّة الشرائع والنواميس التي سنَّتها التقاليد لعواطف القلب البشري وتقف برأس مرفوع امام عروش الآلهة » زه ازه !. ولمَّا كان لا بدَّ لبعض الكتَّاب من ان يهينوا الاكليروس في كل ما يخطُّهُ قلمهم فقد جعل المؤلف سبباً لانكسار الاجنحة الغراميَّة المقدَّسة مطراناً وكهنة. ولو تركهم وشأنهم لقرَّب الى المعقول موضوع روايتهِ ونزَّه ادبهُ عن قولهِ مثلًا « . . . هكذا يصبح الاسقف المسيحي والامام المسلم والكاهن البرهمي كافاعي البحار التي تقبض على الفريسة بقابض كثيرة وتمتصّ دماءها بافواه عديدة » (ص ٥٥). هذه وامثالها اقوال بذيئة ظالمة تحطّ بقدر قائليها ولا يُقدم اديب على كتابتها حتى ولو كانت صحيحة فما قولك بها وهي في الغالب اكاذيب ملفَّقة ا. ر

تحريم نقل الجنائز المتغيّرة

رسالة دينيَّة علميَّة اصلاحيَّة حُرَّة للسيد هبة الدين الشهرستانيّ

طبعت في بغداد بمطبعة الشابندر سنة ١٣٢٩ (ص ٥٠)

قد ألِف اهل الشيعة في العجم خصوصاً العادة بوصاة نقل رُفاتهم الى النجَف لتُدفن هناك في كربلاء قريباً من مشهد الحسين. وقد رأينا ذلك بالعيان يوم دخلنا بغداد في اواخر تشرين الثاني من السنة ١٨٩٥ حيث انتظرنا ثلاثة ارباع الساعة عند جسر مدينة السلام ريثما تمرّ القوافل الحاملة لموتى الشيعة المنقولة الى مدافنها. وقد رأى جناب الاستاذ هبة الدين الشهرستاني في هذا العمل شيئاً اراد ابطالهُ فبيَّن بهذه الكرَّاسة انَّ ما يستند اليهِ اهل ملَّتهِ لنقل موتاهم بدعة مستحدثة لا يمكن تأييدها بحديث ثابت بل تشتمل على كثيرٍ من المحرَّمات فضلًا عمَّا ينتج عن هذه العادة من المضرَّات بالصحة العموميَّة ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ رسالة رعائيَّة الى موارنة ابرشيَّة بيروت لسيادة المطران بطرس شبلي بمناسبة حلول الصوم المبارك ١٩١٢. في كنيسة المسيح. في المطبعة الكاثوليكية بيروت (ص ٤١)

٢ رسالة رعائيَّة اصدرها سيادة المطران انطون عريضة مطران طرابلس في فرصة الصوم المبارك سنة ١٩١٢ في محبة الله تعالى. في المطبعة الكاثوليكية بيروت (ص ٣٧)

٣ باكورة الكرم خطابان وقصيدة تُليت في احتفال جمعيَّة القراءة الوطنيَّة في بحمدون (لبنان) مطبعة الحسناء في بيروت (ص ٣٢)

٤ برنامجات: ١ً جمعية طوبيا البار لدفن الموتى لسنتها الثامنة والعشرين. ٢ً لجمعيَّة اخوة الفقراء المارونية لسنتيها الثالثة عشرة والرابعة عشرة. ٣ً للجمعيَّة الخيريَّة المارونية في راس بيروت لسنتها الثالثة. كلها في المطبعة العلميـة ليوسف صادر سنة ١٩١١. ٤ً لاخوية مأوى الغرباء المسيحيين لسنتها الثالثة ١٩١٠. ٥ً لجنة اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق لسنة ١٩١٠. في مطبعة الاصلاح سنة ١٩١١

شذرات

تحيَّة الصليب نظم الاديب سليم ابو رزق احد طلبة كليتنا هذا المخمس اكراماً للصليب المقدَّس في جمعة الآلام:

نحن الأُلى وصليبُ الربّ رايتنا شعارُنا الحبُّ والإخلاص عادتنا
وموتنا في سبيل الدين غايتنا نعمَ الممات الذي فيهِ سعادتنا
من ماتَ في حبّ من يهوى فما خَسِرا

عليك منّا سلامٌ ايها العَلَمُ يا رايةً جندُها بالحرب ما ندموا
كم ناضلوا عنك ما زلّت بهم قَدَمُ ذاقوا العذاب وما خارت لهم هِمَمُ
ماتوا وفي موتهم أَوْليتنا الظفرا

ماتوا شهودًا ويا ما اكثر الشهدا نحصي النجوم ولا نحصي لهم عددا
للّه درُّهمُ لم يرهبوا الأُسدا ولم يهابوا لهيبًا يحرق الجسدا
فكيف يرهب من في حبّكَ استعرا

لمّا بغى قهرَك العاتي وما ارتدعا ظهرتَ في الجوّ فوق الجيش مرتفعا
وصوتك الساحر الفتّان قد سُمعا « بذا انتصارك قسطنطين » فاندفعا
نحو العدى فغدا في الحرب منتصرا

وقام من بعدهِ اعداؤك العجمُ واستأسروكَ زمانًا ايها العَلَمُ
مشى هرقلٌ على الاعداء فانهزموا وخلّص الجذع منهم بعد ما غنموا
فكان عيدٌ عظيم يبهر البصرا

وقام في عصرنا الماسون واتّحدوا مواطئين على الرب الذي جحدوا
توعَّدوا شعبهُ المختار واضطهدوا قالوا لاتباعهم لا ربّ فابتعدوا
عن الصليب ابتعادًا يبعد الخطرا

قد كان جِذعك يلقي الرعب والحرَبا واليوم اصبح يولي الحبَّ والطربا
ما الفضل للجذع لكن للذي صُلبا حبًّا بنا فوقانا الشرّ والعطبا
مات المسيح فاحيا موتهُ البشرا

أيا صليب التُّقى والحبّ والأَمَلِ يا من عليك تجلَّت قوَّة الازلي
يا من صبغت شديدًا من دم الحملِ طهّر قلوب الملا من وصمَة الزللِ
ودُمْ مدى الدهر بين الناس منتشرا
لمَّا انتصرتَ على الرومان والعجمِ ركزت جذع الفدا في مركز النجمِ
اوليتنا رايةً مصبوغـةً بدمِ خرَّت لسطوتها الدنيا على القدمِ
لاح الصليب فولّى الشركُ منذعرا
حيُّوا الصليب وحيُّوا راية الظفرِ فالعزُّ لله ليس العزُّ للبشرِ
علوتَ يا جذعُ فوق الشمس والقمرِ خفقت فوق السما والانجُمِ الزُهُرِ
حيّوا الصليبَ مدى الاجيال منتصرا

اعتناق سيدتين ابيسكوباليتين الكنيسة الكاثوليكيَّة نشكر هذه المرَّة مجلة الكلمة لذكرها تحت هذا العنوان انضواء سيدتين من اشرف اهل اميركا الى الديانة الكاثوليكيَّة فقالت (ص ١٥١) :

ان الصحف الاميركيَّة الابيسكوبالية قد ملأَت احدها مؤخرًا بمقالات عن السيدة قرينة شقيق رئيس الجمهوريَّة الاميركية المستر تافت لمروقهـا من الكنيسة الابيسكوبالية (الانكليكانية) الى الكنيسة البابوية. وتحرير الخبر انهُ في اواخر شهر كانون الثاني الماضي قد حضر الخطيب الشهير الاب برنارد يونغا اليسوعي (والصواب حضرة الاب ڤون «Vaughan» اخو الكردينال ڤون رئيس اساقفة وستمنستر) لاجل القـاء سلسلة خطابات في الكاتدرائية الكاثوليكية في نيويرك عن الاشتراكية. فلدى مقابلتهِ السيدة الموما اليهـا قد تمكن بفصاحة لسانهِ وقوة جنانهِ من اقناعهـا بالمروق من كنيستها الابيسكوبالية والاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية. وهكذا في اوائل شهر شباط الماضي قد تمّ اتحادها بالكنيسة الكاثوليكيَّة رسميًّا على يد الاب الموما اليهِ في حفلة كنائسية حافلة. ثم لم تلبث ان تبعتها سيدة ابيسكوبالية أُخرى وهي مسز بوست شقيقة امراة ڤندر بلت المثري الاميركي الشهير

الحكم على غليليو يسرُّنا ان ننقل هنا ما روتهُ مجلة المقتطف في عددها الاخير الصادر في آذار (ص ٣١١) عن غليليو قالت :

خطب السر جون مكدونل استاذ مقابلة الشرائع في ١٤ فبراير الماضي في الكلية الجامعة ببلاد الانكليز وكان موضوع خطبتهِ المقابلة بين طرق المرافعات والاحكام في الازمنة المختلفة فنفى بادلة كثيرة ما يقال من ان غليليو طُرح في السجن وعُذب فيهِ ورجّح انهُ عومل بالرفق وانَّ محاكمتهُ سنة ١٦٣٣ لم تكن لانهُ خالف ما وعد بهِ في محاكمتهِ الاولى سنة ١٦١٦ بل لانهُ اُتهم بالهرطقة. واستطرد الخطيب الى القول بانَّ « كثيرين من علماء اللاهوت البروتستانت كانوا في ذلك العصر يشمئزون من مذهب كوبرنكس كما كان ديوان التفتيش يشمئز منهُ »

وكان الأَولى لو قال الخطيب ان غليليو دُعي الى المحاكمة لا لتأْييدهِ مذهب

كوبرنيك الكاهن الكاثوليكي في دوران الارض الذي لم تعارضهُ الكنيسة بل لخوضهِ في ميدان لم يكن من فرسانها اذ اراد ان يسند المذهب الكوبرنيكي الى آيات الكتاب المقدّس فأخرجها من معانيهـا. ومن اراد التفاصيل في ذلك فليراجع مقالتنا المعنونة «صواب الرأي في دعوى غليلاي» في المشرق السنة التاسعة ١٩٠٦ (ص ١٧٨) وبها جواب مقنع لكلّ من يكرّر هذه الشكوى على الكنيسة دون تروٍّ كما فعل آخرًا احد كتبة جريدة رڤيل (le Réveil) فردّ عليـهِ البشير. وكما فعل ايضاً السيد رفائيل هواويني في العدد الرابع من سنة الكلمة الحالية حيث نقل كلاماً لا يستطيع اثباتهُ في حقّ الكنيسة الكاثوليكيَّة فروى قولهُ: «ان الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرون الوسطى على الخصوص كانت تضطهـد العلم وتعيق مسير العرفان». فليتفضل الكاتب ويُفدنا ايَّ علمٍ اضطهدتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة فنبين لهُ ضعف مدَّعاه ان لم نقل تطرُّفهُ

﴿ زجليَّة على خراب طرابلس ﴾ كان حضرة الخوري ابراهيم حرفوش نشر في العام الماضي (المشرق ١٤: ٤٣٣) زجليَّة يُدعى مؤلفها سليمان من اشلوح انشدها بالشعر العامّي رثاء لخراب طرابلس لمَّا فتحها الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨٨ ﻫ الموافقة للسنة ١٢٨٩ م. وكنَّا نجهل اذ ذاك ان الزجليَّـة المذكورة سبق الى نشرها الاستاذ الروماني الشهير اغناطيوس غويدي في المجموع الذي خصَّهُ المستشرقون بيوبيل العلَّامة الاسباني كوديرا (Homenaje a D. Francisco Codera) في الصفحات ٣٤٢ — ٣٤٨ وفي مقدَّمة الزجليَّة هناك قد نسبها الدكتور غويدي لجبرائيل ابن القلاعي الاسقف الماروني الشهير المتوفى سنة ١٥١٦ وعلى ظنّنا ان هذا غلط وقع بالنسخة الخطية الواتيكانيَّة التي وردت فيها (كما في النسخة التي اخذ عنها حضرة الاب حرفوش) عدَّة زجليَّات لابن القلاعي فظنَّ الدكتور انّ هذه ايضاً منها والصواب انَّها ليست لابن القلاعي كما يُستدلّ من احد ابياتها الاخيرة في النسختين وهو قولهُ:

وقائلها شاعر من اشلوح مسكنهُ مشهور بين الورى اسمهُ سليمان

وبين نسختنا ونسخة الدكتور غويدي بعض اختلافات جزئيَّـة لا تمسّ جوهر الزجليَّة الَّا انَّ الابيات تزيد في طبعة الدكتور ثلاثة عن طبعتنا بل وقف جنابهُ على نسخة ثانية من القصيدة فاثبت في ذيل الكتاب رواياتها المختلفة

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد عن معنى هذا الشعار IHS الذي كثيرًا ما يُرى بين النقوش على هيئات مختلفة وكثيرًا ما يُجعل فوق حرفهِ الثاني صليب هكذا H̄

معنى الشعار IHS

ج انَّ هذه الحروف الثلثة من المختصرات التي كثرة فيها الاقاويل فمنهم من زعم انَّها مختصرة من ثلاثة الفاظ لاتينيَّة « Jesus Hominum Salvator» اي يسوع مخلِّص البشر ومنهم من قال انَّها الشعار الـذي رآه قسطنطين بحذف لفظتهِ الاخيرة (vinces) In hoc signo اي تظفر بهذه العلامة امَّا الاصح في ذلك ان هـذه الحروف اوَّل اسم « يسوع » باليونانيَّة IHS اي IHSOUS وباللاتينيَّة اي IESUS واصلها من الشعار الموضوع فوق صليب السيد المسيح O IHCOVC NAZAPAIOC ايّ يسوع الناصري

س سألنا احد الكهنة بنسبة موتمر المستشرقين الذي سينعقد في نيسان في مدينة اثينة كم هي موتمرات المستشرقين واين عُقدت

موتمرات المستشرقين

ج بلغت هذه الموتمرات ١٦ عدًّا عُقد اوَّلها في باريس (سنة ١٨٧٣) والثاني في لندن (١٨٧٦) والثالث في بطرسبرج (١٨٧٧ والرابع في فلورنسة (١٨٧٨) والخامس في برلين (١٨٨١) والسادس في لَيْـدن (١٨٨٣) والسابع في ڤينة (١٨٨٦) والثامن في ستوكلم (١٨٨٩) والتاسع في لُندن (١٨٩٢) والعاشر في جينيڤا (١٨٩٤) والحادي عشر في باريس (١٨٩٧) والثاني عشر في رومية (١٨٩٩) والثالث عشر في هَمبورغ (١٩٠٢) والرابع عشر في الجزائر (١٩٠٥) والخامس عشر في كوبنهاغ (١٩٠٩) والسادس عشر في اثينة (١٩١٢)

س وسألنا اوغست افندي قشوع عن معنى الكتابة الموجودة على باب الدركة

ج تجد صورتها وشرحها في مُلحق كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي طبعناه (في الصفحة ٢٧٧) ل.ش



شاهد القيامة في دياميس رومية

رواية خياليَّة لاميل كبهارت من الاكادمية الفرنساويَّة (*

نحن في مساء بعض أيَّام نيسان وموقفنا في ارباض مدينة رومية. فالطبيعة قد لبست ابهى اوشحتها ولاحت باسمى مجاليها في اصيل النهار. وان مددت البصر بعيدًا الى جهة الافق قامت في وجهك على شبه نصف دائرة رحبة جبال بلاد سابينا كأنَّها قلادة من الدراريّ العجيبة تشعّ تحت الاسهم الارجوانيَّة الذهبيَّة التي ترميها الشمس في ساعة غروبها

والطريق الممتدَّة امامنا تُعزى الى القنصل ابيوس على جانبَيها مدافن قديمة لاعيان الرومان تظلّلها اغصان الاشجار وتزينها بجليّ انوارها الزاهية الالوان. وفي هذه الساعة تتلاعب الريح البحريَّة في تلك الافنان فتُسقط ما بقي فوق رؤوسها من بقايا الثلج الشتويّ فينتثر الثلج ممتزجاً بعرف الزهور فوق صفائح القبور وعلى هام اولئك القوم الاجلَّاء المضّجعين هناك الراقدين في مدافنهم رقادًا ابديًا

ثم اخذت الطيور تأوي شيئاً فشيئاً الى اعشاشها في اكناف العوسج او في اعالي السرو فتكفّ عن زقزقتها وصفيرها. بينما كانت اسراب الخطاطيف القادمة من جهة نابولي تمرّ في لازورد السماء مرَّ السهام فتحلّق فوق مباني القني القديمة. امَّا ابنية

*) اهدانا الطبَّاع بلود نسخة من مجموع كتابات الكاتب الشهير اميل كبهارت التي ترى وصفها في اواخر هذا العدد فاقتطفنا منها هذا الفصل بنسبة عيد الفصيح المجيد وعرَّبناه ببعض تصرُّف

رومية من ابراج وقبب واسوار فكأنَّها تردَّت بستر من الغمام المنير فتلوح الارض مزدانةً بشعار سلام مقدَّس يُفرغهُ عليها السماء من كرمهِ

ففي تلك الساعة كان فارسان يسيران بتؤدة الى رومية في سكَّة آپيوس وكان احدهما ذا هيئة رزينة ووجه كاسف قد طعن في سنهِ فمن تفرَّس فيـهِ استدلَّ من زيّهِ وسحنتهِ انَّهُ بِطريق ذو حسب ونسب وانَّهُ ليس ضابطاً بسيطاً بل احد ولاة رومية او سفيرًا من قبل القيصر . امَّا الآخر فكان في مقتبل الشباب تدلّ حركاتهُ على مهنتهِ العسكريَّة فكان يمشي في رفقة عامل الدولة بوقار وانبساط الخاطر كانهُ يحنّ لهُ لما يبدو على جبهتهِ وبين حاجبَيهِ من تجعُّـد الاسرَّة وفي بصرهِ من الذبول وحول شفَتيهِ من شارة الأَنفة فكل ذلك يشهد على ما يكنُّهُ صدر الرجل الوجيه من الكآبة ولعلَّ مهماز الضمير او ذكر فقيـدٍ محبوب كان يتأَثرهُ فلم يبرح من فكرهِ بعد الزمن الطويل

وكان يتبع الفارسين كوكبة من العبيد يسيرون من ورائهما على مسافة قريبة منهما

فهم كذلك اذ ظهر لهم باب المدينة المعروف بباب كاپينا المفتوح في اسوار رومية فهتف الشابّ :

« اترى يا حضرة العم هؤلاء القوم الذين يتجوَّلون هنـا بين الحقول وكأَنهم يسيرون زرافاتٍ ووحداناً الى جهة منفذ مفتوح في بطن الارض عن شمالنا ؟ ما قولك ؟ افليس هؤلاء من المتآمرين على حياة قيصرنا نيرون كما هو الجاري في ايَّام الظلم ؟ »

فانتهر البطريق الشابَّ بقولهِ : « صَهْ يا طائش فانَّ كلاماً كهذا اذا سمعهُ العبيد رفقتنا او راصدٌ وراء هذه القبور لأَمكنهُ ان يرمينا في التهالك . فحذارِ »

*

على انَّ الفارس الشيخ بقي شاخصاً الى اشباح المتجوّلين هناك في شفق النهار . واذا بهِ شعر بقشعريرة في جسمهِ لاح اثرها على وجههِ فصرخ الى ابن اخيهِ :

« هيَّا بنا نحن ايضاً فلنسر الى هذا المدخل السرّي »

قال هذا ثم توجَّه الى المنفذ وتبعهُ رفقتهُ فاذا هم بازاء دهليز ضيّق كان مخدوداً في قعر الارض فترجَّل الشيخ والتفت الى ابن اخيهِ قائلاً :

« انتظرني يا سكستوس مع عبيدي هاهنا ومهما طال زمن انتظارك فايّاك ان تخطو خطوةً الى الداخل »

ثم تقدَّم الى الامام جارياً في معيَّة اولئك الاشباح الذين رآهم يلجون في الدهليز. وبعد قليل سَمع دمدمة قوم متجمعين ثم ميَّز اصوات رجالٍ تارةً يتغنَّون بالادعية وتارةً يتنفّسون الصعداء او يلهجون بعبارات الفرح . ثم كانت اصواتهم تهدأ فيسكتون ويخطب فيهم خطيب يرنّ صوتهُ في اعماق تلك الاغوار

فما مشى خطوات حتى ترآت لهُ انوار حمراء كان ينعكس ضوءُها في جدران الدهاليز فاشتمّ رائحة اغصان وزهور قُطعت حديثاً فعُلقت تحت الصخور المقبَّبة . واذا بالبطريق بلغ نادياً رحباً قد أُسرجت فيهِ المئون من أسرجة الخزف الصغيرة ووجد الحضيض مفروشاً بزهر السوسن والياسمين

فدخل ولم يفرزهُ احد في دخولهِ بين الجماعة الّا الرجل المتقدّم فيهم . وكان هذا جالساً على مصطبة مرتفعة ويظهر من لانحتهِ انهُ معلّم ذلك الجمهور وكاهنهُ وابوهُ . ألا وهو بطرس الصفا هامة الرسل ورئيس الكنيسة

فاذ رأى الوافدَ الشريف امتُقع لونهُ فأغمض عينيهِ كأنهُ يدحو في قلبهِ تذكاراً مؤلماً . ثم التفت الى الزائر غير المنتظر واشــار اليهِ بهيبة ان يجلس في وسط قوم من العَملة . فقعد البطريق بين احد نوتيَّة نهر التيبر وحدَّاد من جبل اسكويلين

وكانت الرتبة الدينيَة في تواصل يُصغي اليها اولئك الحضور بينهم ضعفاء الناس وفئة من الجند يجالسون بعضاً من سيدات رومية الشريفات والعبيد الاذلّاء . وقوماً من غرباء غاليا ومهاجري سورَية . وكان شمَّاس قائماً وهو يقرأ انجيل آلام السيد المسيح مع ما يليهِ من خبر قيامتهِ المجيدة فجدّد على مسامع الوافدين ذكر تلك الحوادث الجليلة التي جرت في اورشليم قبـــل بضع سنوات . وكان متولي تلك الحفلة في ذلك المساء بطرس الرسول في اعماق ديماميس حاضرة المدن والجميع ينصتون الى ما يقرأهُ الشمَّاس من رواية ضبط السيد المسيح في بستان الزيتون ثم خيانة يوداس ثم تطواف يسوع في كل احياء اورشليم ومثولهِ امام حانان وفي دار قيافا حتى وصــل الى خبر جحود بطرس لسيدهِ ثلاثاً فهيّج ذكر تلك الفاجعة في قلب الرسول عواطف الاتّضاع والخشوع فكان يذرف امام المؤمنين اسخن الدموع ويقرع صدرهُ ندامةً

*

ثم انتقل القارئ الى ذكر دار الولاية الرومانيَّــة في القدس الشريف وما خامر قلب بيلاطس من الضعف والفشل وكيف تردَّد في حكمهِ الى ان قُهر بجلبة اليهود الصارخين: ارفعهُ ! اصلبهُ ! ثم ما ولي ذلك من عذاب الجَلد وتكليل هامــة الرب بالشوك المؤلم مع وضع القصبة في يديهِ كصولجــان وإلباسهِ أسمالًا من الارجوان سخريَّةً بهِ وشراسة بني اسرائيل وإصرارهم على طلب قتل المسيح شفاء لبغضهم

ثم اندفع الشمَّاس في قراءتهِ قائلًا: اسمعوا رواية ما عاينهُ احد رسل الرب يوحنا الحبيب واثبتــهُ الانجيليُّون في كتابهم قال: « وكانوا يحيُّونهُ باسم ملك اليهود متهكمين فيلطمونهُ على وجههِ. وخرج بيلاطس ثانيةً وقال لليهود: ها انا اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لا اجدُ فيهِ اثمًا. فخرج يسوع وعليــهِ اكايل الشوك وثوب الارجوان فقال لهم بيلاطس: هوذا الرجل»

فلمَّا بلغ الشمَّاس الى هذا المكان من خبر الآلام غطَّى البطريق الروماني وجههُ بطرف ثوبهِ ثم نكَّس رأسهُ حتى كاد يمسّ ركبتيهِ. وبقي كذلك مدَّة وهو جامد لا يبدي حراكًا حتى اذا انتهى الشمَّاس من رواية الآلام فبلغ الى ذكر خبر القيامــة سُمع صوتٌ عظيمٌ في اعماق الديامس كان كهزيم الرعد او بالحري كابواق ملائكة يوم الدين فصرخوا جميعًا: هللويا ! فرفع البطريق رأسهُ كانهُ انتبه من سُبات عميق

فحينئذٍ اشار بطرس الصفا الى رجل من السامعين أن: قُم وأدِّ بشهادتك

فقام كهلٌ في وسط الجموع ثم جاء فانتصب من عن يمين اول اساقفة رومية واذا هو كلاوبا احد التلميذين اللذين تراءى لهما الرب في عمواص فروى شهادتهُ الحيَّة المنطبعة في صميم قلبهِ فذكر كيف رافقهما الربّ في طريق فلسطين في مساء كمسائهم الحاضر وسألهما: « ما بالكما كئيبين » فصرَّحا لهُ عن علَّة حزنهما بسبب موت يسوع النبي العظيم الذي اسلمهُ الكهنة الى الموت وامر والي الرومان بصلبهِ. وكيف اردفا قائلين: « كنَّا مع ذلك نؤمل انهُ يفدي اسرائيل وها هوذا قد قُتل منذ ثلثة ايَّام فقُتلت معهُ كل آمالنا. على انَّ بعض النسوة قد ادهشْنَنَا لأَنهن بكَّرنَ الى القبر فلم يجدنَ جسده فأَتينَ وقُلنَ انَّهنَّ رأَينَ مظهر ملائكة قالوا انهُ قام حيًّا »

(قال) « وبقي معنا رفيقنا في الطريق يشرح لنا الكتب من موسى والانبياء

ولمَّا بلغنا الى عمواص حيث كنَّا عوَّلنا على المبيت تظاهر كأنهُ يريد ان يسير الى مكان ابعد لكنهُ رضي بان يبيت ويأكل العشاء معنا واذا بهِ اخذ خبزًا وباركهُ وكسرهُ وناولنا فعرفنا انهُ مخلصنا الحبيب واذ خررنا لنسجد لهُ توارى عن عياننا »

*

ففي اثر هذه الرواية صدع الكلّ بصوت الفرح ثانيةً وكرَّروا « هللويا » الفصحيَّة في انحاء الدياميس. ثم قام الرسول وقال للجمع:

« فلنصلّين ايها الاخوة »

قال الجمع: آمين

ثم اردف الرسول: فلنصلّينَّ لاجل اليهود العميان الذين لم يعرفوا المسيح إلههم. فلنصلّينَّ لاجل اجدادنا تبعَة العهد العتيق عهد ابراهيم وموسى وداود. فلنصلينَّ لاجل الامم ليُقبلوا الى نور الخلاص. فلنصلّينَّ لاجل القيصر الروماني ولاجل اورشليم بل لاجل كلّ ذرّيّة آدم. صلُّوا ايضاً ايها الاخوة كي يمنحني الرب الاله مغفرة خطيئتي. فليصلِّ بعضكم لاجل البعض ليعطيكم الله قوَّةً في الايمان وثباتاً بين الاضطهادات وبسالةً بازاء الموت والاستشهاد

وكان الحضور يؤمّنون لكل قول من اقوال رسولهم حتى قال بصوت جهور مشيرًا الى البطريق الشريف ذي الملابس الفاخرة الجالس هناك:

« صلُّوا ايضاً لاجل هذا الرجل »

فحدَّق تلميذ عمواص الى وجه الغريب فعرفهُ وقال متلجلجاً: هو بيلاطس نفسه

فما سمع النصارى ذاك الاسم حتى أُغشي على بعض السيدات وترامى الصغار في حجور امَّهاتهم وبقي الكل في حيرة واضطراب

فقام حينئذٍ بيلاطس واقترب من بطرس الصفا وبينما كان السكوت سائدًا على الجمع اثبت لهم انَّهُ لم يقضِ على يسوع الناصري الَّا على رغم منهُ اذ عرف برارتهُ وقداستهُ لكنَّ الشعب ورؤساء اليهود اضطرُّوهُ على دفع البارّ الى ايديهم لئلّا يحدث شغب ضدّ رومية وقيصر. ثم اقرَّ امامهم انهُ لم يذق منذ حكم على يسوع ساعةً من الراحة وان ذكرى ضعفهِ كانت تتعقَّبهُ حيثما سار كما كان يردّد في فكرهِ شهامة يسوع في اجوبتهِ في دارهِ اذ اعلن بكونهِ ملكاً وان لا سلطة لاحد عليهِ ان

لم يُغطِّها من فوق. وذلك ما حملهُ على ان يثبت على صليبهِ عنوانهُ « يسوع الناصري ملك اليهود » فلم يرضَ بتغييرهِ بل كان لا يزال يذكر بالعجب والانذهال تواري الميت من قبرهِ المختوم بسجل الرومان واقرار الحرس بان اليهود رشوهم ليقولوا انَّ تلاميذهُ اتوا فاخذوا جثتهُ وهم نيام. (قال) فرجائي ان يقبل تلاميذهُ عذري . . .

فقاطع بطرسُ بيلاطسَ وقال لهُ: لسنا هنا مجتمعين لنلعنك اذ قد سبقنا وصلينا لاجلك ولاجل كل من اشترك في القضاء على رب السماء ويا ليت دمهُ ينزل على قلبك ليطهّرهُ ويشفي اوجاعهُ. وها نحن نتمِّم هنا سرّ الرحمة والمحبة طالبين من الله ان يُنير ذهنك ويرشدك الى طريق الخلاص

قال هذا ثم تقرَّب من الاسقف شابَّان في ايديهما سلَّة خبز فطير فتناول الرسول الخبزات وباركها وكسرها وفرَّقها على المؤمنين فسُمع ثالثةً صوت التهليل وجعل الحضور يتأَهَّبون للخروج فمرّوا بقرب بيلاطس دون بغض راثين لهُ وشاكرين الله الذي ارسل اليهم في ذلك العيد العظيم شاهدًا جديدًا على موت الفادي وقيامتهِ

ثمَّ خرج البطريق في آخرهم بكل هدوٍ وهو غائص في لجَّة الافكار لكنَّهُ متعطِّر بروائح الزهور والبخور. فلمَّا وصل الى حيث كان ينتظرهُ سكستوس وعبيدهُ امتطى جوادهُ ودخل رومية ساكتًا واجمًا دون ان يجيب كلمةً على اسئلة اصحابهِ وكأَنَّ حزنهُ كان قد ازداد ورأسهُ قد تثاقل فانحنى على صدرهِ مفكرًا في اثمهِ لاعنًا اولئك الذين الجأوهُ الى تضحية ذمّتهِ متوقّعًا للعقاب الآجل الذي طلبهُ بنو اسرائيل على ذرّيتهم في محكمتهِ صارخين: ليكن دمهُ علينا وعلى اولادنا . . .

(راجع في المشرق ١ : ٢٦٩ مقالتنا عن بيلاطس وما ورد عنهُ في التاريخ)

الخلاصة الماسونيَّة

خطاب القاه الاب لويس شيخو اليسوعي في نادي كليَّة القديس يوسف
وكانت تتخلَّلهُ التصاوير بالانوار الكهربائيَّة

قدَّم الخطيب على كلامهِ قولهُ بانَّ الغاية من خطابهِ ليست الطعن في احد او الانتقاص من قدر احد اذ يتحاشى كلَّ الشخصيَّات مع علمهِ بانَّ اكثر الداخلين في الماسونيَّة لا يعرفون من

الشيعة غير قشرها وانمَّا مقصودهُ البحث عن الماسونيَّة نظريًّا وتاريخيًّا مستندًا الى اصدق البراهين واوثق المصادر التي لا يأباها الماسون انفسهم

أيها السادة

ليس بعد اعتقاد وجود الله عزَّ وجلَّ والاقرار بقدرتهِ تعالى كخالق عالمنا هذا العجيب ومكوّن ما فيهِ من الكائنات المتنوّعة امرٌ يستحقّ اعتبار العقلاء كهذه الهيئة البشريَّة التي ركّبها الله على نظام يذهل العقل ويَسحر الجنان فترى فيها الرئيس والمرؤوس الكبير والصغير الرفيع والوضيع وكلّهم مرتبطون بروابط وثيقة عقدتها الطبيعة نفسها فلا تحلّها يد اثيمة الَّا ارتكبت في حقّ الكون جناية قبيحة ينعكس صداها في كلّ المجتمع الانسانيّ

على انَّ من سرَّح نظره في تاريخ الدول منذ نحو قرن ونصف وجد انَّ احوالها قد اختلفت اختلافاً عظيماً ان لم نقل انَّها انقلبت ظهرًا لبطن ورأساً لذَنَب. كان يسوس الأمم ملوكٌ ذوو جاه وعزّ وسلطان اذا عرضناهم على من سبقهم من الملوك لا نجد فيهم من سوء معاملة شعوبهم ما يجعلهم في طبقةٍ ادنى من سواهم. فانَّ سُلالة بوربون الكاثوليكيَّة كانت مالكة في معظم الممالك اللاتينيَّة. بعد لويس الرابع عشر المعروف بالكبير قام لويس الخامس عشر الذي مع ضعفـهِ عن تدبير الامور كان رفيقاً بالشعب ساعياً بصوالح رعاياه ثم خلفهُ لويس السادس عشر الملقَّب بابي الشعب. كانت اسبانية لا تزال في مقام رفيع في عهد ملوكها فرديناند الخامس ثم فرديناند السادس ثم كرلوس الثالث. كانت پولونية تعتزُّ بملكها اوغستوس الثالث والبرتغال بيوحنَّا الخامس . امَّا النمسة فوجدت في ملكتهـا مريم تريزا امرأة عاقلة ذات همَّة وحزم ومدارك واسعة اكسبتها شرفاً وعظمـة في اعين الملوك وحبًّا في قلوب المواطنين

فما كان ذوو العقول الثاقبة ليظنُّوا انَّ تلك الدول العظمى والممالك الجليلة قائمة على شفير هارٍ سوف تُصبح بعد قليل خراباً ودمارًا

وكذلك رؤسـاء الدين كانوا معزَّزين مكرَّمين يُسمَع كلامهم ويُصغى الى

اوامرهم . ولا تخالهم اتوا من الاستبـداد والظلم ما اوجب النفور منهم او اثار عليهم البغضاء . كفى بذكر الاحبار الرومانيين الاجلَّاء بندكتوس الثالث عشر والرابع عشر ثم اقليميس الثاني عشر والثالث عشر وكلّهم رجال فضـل عميم لا يؤخذون بلومة لائم . ومع ذلك شنَّت في عهدهم على الدين غارة شعواء كادت تطمس آثارهُ لو كان الدين مشروعاً بشرياً

فللعاقل بعد هذا الطوفان العرمرمي الذي اوشك ان يغمر الدنيا ان يتساءل ما هو سبب هذه الطامَّة العظمى وما هي علّة هـذه الشرور الفادحة التي لا نزال حتى الآن نشعر بعواقبها السيئة حتى اصبح العالم كسكران لا يثبت على قدم ؟ أفحصل ذلك على سبيل الصدفة او نقول انهُ وقع شذوذ في الكون فصدر معلول بلا علّة ؟

كلَّا فانَّ في العالم الادبيّ كما في العالم الهيوليّ من المستحيـل ان يكون مسبَّب بلا سَبَب وان يَحدث امرٌ ما دون مقدَّمات وسوابق تُفضي بهِ الى الوجود . ولا بُدَّ ان يكون بين العلّة والمعلول علائق غير منفصمة بحيث يصحُّ القول بانَّ المعلول نجم عن العلة كما تنجم الثمرة عن الزهرة والزهرة عن برعومها

والحقُّ يقال انَّنا لا نجد تعليلًا وافياً لهـذه الحوادث المستجدَّة منذ الثورة الفرنسويَّة والسنين التي سبقتها قليلًا الَّا في شيعة كانت نشأت قبـل ستين سنة في ظلّ الدولة الانكليزيَّة فتسرَّبت منها الى سائر انحاء اوربَّة ولم تزل تقوى وتشتدّ بكل الوسائل التي في وسعها مهما كانت اثيمةً حتى انفجر يوماً بركانُهـا بالثورة الفرنسويَّة ثم تبعتها الثورة الاوربيَّة العامَّة والبركان لا يزال في سعيرهِ حتى اليوم وقد القى بحُمَمهِ مؤخرًا في دولة البرتغـال كما في الدولة التركيَّة وهو اليوم يتهدّد الصين والشرق الاقصى بعد خمودهِ الوفاً من السنين

فكلَّكم سادتي قد سمَّيتم الشيعة الماسونيَّة وعليهـا يُلقي الرأي العام تبعة تلك الحوادث الهائلة . أفيا تُرى ليست هذه تهمةً باطلة والاصح ان يقـال انَّ الماسونيَّة بريئة ممَّا يُنسب اليها من الفظائع ويتجنَّون عليها من المآثم التي لا اصل لها غير الاوهام الفارغة ومخيِّلة بعض المتعصِّبين ؟ . فدَعُونا ان نتحرَّى البحث في الامر شأن المؤرخ المجرَّد من كل غرض الذي لا يستند في قولهِ الى غير الاسانيد الراهنة ولا يروي الَّا ما لا سبيل الى انكارهِ

فخطابنا في هذا المساء يتناول الماسونيَّة اوَّلاً في كُنهها ثم في غايتها ثم في الوسائل التي تتوسَّل بها لادراك تلك الغاية ثم في اصلها وتاريخها واخيرًا نتيجة اعمالها الى يومنا هذا

١ كنه الماسونيَّة

اوَّل سؤال يجب على كل عاقل ان يلقيَهُ على الماسونيَّة ان تعرّفنا بذاتها وتبيّن لنا حقيقة امرها . يخبر الانجيل الكريم عن يوحنَّا المعمدان انهُ لمَّا ظهر في عبر الاردن وجعل يكرز بعموديَّة التوبة ويعمّد ارسل اليهِ اليهود كهنةً ولاويين ليسألوهُ : من أنت ماذا تقول عن نفسك لنردّ الجواب على الذين ارسلونا ؟ . تعرفون سادتي جواب يوحنَّا المملوء حكمةً وتواضعاً

فاليوم نحن ايضاً نسأل اصحاب الشيعة الماسونيـة : من انتم ماذا تقولون عن نفسكم وعن جمعيَّتكم ؟ . فلنسمع ما كتبهُ في هذا الصدد ارباب الشيعة في مصر وبلاد الشام لنسبر غورهُ ونعرضهُ على ما كتبهُ الماسون في تآليفهم الرسميَّة . وهاك آخر ما ورد من ذلك في كتاب طبع سنة ١٩١٠ في مصر عنوانهُ « ما هي الماسونية ومن هو الماسوني » تأليف محمَّد سعيد المراغي الحاصـل على الدرجة ١٨ قال (ص ١٤) :

« الماسونيَّة طريقة انسانيَّة يراد بهـا جمع شمل العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان الكلّي الاحترام . والماسوني هو العامل على تحقيق هذه الطريقة وتدعيمها . والماسونيَّة باعتبارها وتعريفها المار ذكرهُ تقوم على اركان ثلاثة وهي الحريَّة والاخاء والمساواة » . ثم يردّد الكاتب هذا التعريف على طرائق مختلفة لا تزيدهُ ايضاحاً كقولهِ : « انَّ الماسونيَّة هي العمل الصحيح الخالص على توحيد الشعوب البشرية وضمّ العناصر الانسانيَّة حول شريعـة الولاء العامّ القائم على صلة الارحام » الى ان قال (ص ١٥) : « انَّ وظيفـة الماسونيّ هي جمع العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان الذي هو الهيولي لحقائق النشأة الصالحـة » كذا بحرفهِ . ثم قال ايضاً (ص ١٦) : « الماسونيَّة هي الطريقة المفلحة في ايصال حقوق الرحم الانساني وتوحيد الشعوب البشريَّة وجمع شمل عناصرها ضمن سياج الآدميَّة الموقَّرة » وكل ما هناك يضرب على هذا الطنبور

فلنستفتِ غيره لعلّنا نستفيد منهُ ما يروي غليلنا في معرفة الماسونيَّة. اسمعوا احد رؤساء الماسونيَّة وجهابذتها الكبار في بلادنا شاهين بك مكاريوس صاحب التآليف المتعدّدة ومنشئ عدَّة محافل وعضو شرف لغيرها والراقي الى قمة درجاتها اي الدرجة ٣٣ قال في كتابهِ المعنون بالآداب الماسونية ما حرفهُ (ص ٨) :

« الماسونيَّة جمعيَّة غرضها حمل الناس على ان يحبَّ بعضهم بعضاً وان يتَّبعوا الحكمة والفضيلة والتمسك بالآداب وممارسة عمل الخير. ولها مبدآن اساسيَّان حريَّة الضمير والتكافل البشري... ولذلك قد احبَّها كل صاحب فضل بين الانام ولم يَعِبْها الَّا من يجهل كنهها او من في عينهِ رَمَد او في قلبهِ عمهٌ فلا يحتمل رؤية نور الفضيلة » كذا بحرفهِ. ونحن نسأل الله ان يزيل عن عيوننا ذلك الرمد وعن قلوبنا ذلك العَمَه لنحتمل هذا النور الباهر الذي لا تطيقهُ ابصارنا .

وعاد شاهين بك الى تعريف الماسونية في كتبهِ العديدة ولم يستقرّ فيها على رأي بل تقلّب فيها تقلبات مختلفة. قال في كتابهِ الاسرار الخفية في الجمعيَّة الماسونيَّة (ص ٦) : « الماسونيَّة جمعيَّة ادبيَّة خيريَّة تحوي نخبة افاضل الرجال على اختلاف نِحلهم ومللهم وتبايُن نزعاتهم وآرائهم ». وممَّا قالهُ هناك انَّها لا تقبل « مَنْ لا يعتقد بالله تعالى ولا يؤمن بخلود النفس ومن لا يطيع حكومتهُ ولا يخضع لشرائعها » وغير ذلك ممَّا سترى كذبهُ

وقال في محل آخر من كتابهِ المذكور (ص ٤) : « الماسونيَّة جمعيَّة ادبيَّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانيَّة وعضد الدين بادبيّاتها واصلاح الشعوب وتنوير الاذهان »

وافادنا في كتابهِ الحقائق الاصليَّة في تاريخ الماسونيَّة العمليَّة (ص ١٧) ان « غايتها ابطال الغايات والتحزُّب في الاديان والاشكال والحِرَف والمراكز والآراء الوطنيَّة وملاشاة الاحقاد... لتجعل العالم كلهُ عائلة واحدة لا فرق بين اعضائها ولا انفصال ». وقال هناك ان من شأنها « ان تصلح ما فسد من عقائد الاديان بتعليمها المحبة » كذا

امَّا الدستور الماسونيّ المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ فانَّهُ عرَّب الدستور الماسوني الفرنساوي فقال (ص ٦) : « الفراماسونيَّة طريقة غرضها الذاتي محبة الانسانيَّة

والحكمة والفلاح وموضوعها ابتغاء الحقيقة ودراسة كليّات الأدب والعلوم والصنائع وممارسة عمل الخير »

فترى من هذه التعريفات انَّ الماسونيَّة مرتابة متذبذبة في بيان حالها فيروي عنها الواحد ما يسكت عنهُ الآخر فتارة يقولون انَّها جمعيَّة خيريَّة وتارةً انَّ غايتها نشر العلوم ونفي الجهل الى غير ذلك من الغايات الشريفة فكفى بهذا الاضطراب دليلاً على ان الماسون لا يعلمون كيف يعرّفون جماعتهم فلذلك يسعون بتبييض الجارية السوداء فينسبون اليها كل خير. افترضى باقوالهم دون رويَّة ونختم على اوصافهم بلا تمييز (وكما تقول العامَّة على العميانة) ؟

هيهات ان نسلِّم لهم بزعمهم ما لم يثبتوا اقوالهم بالبرهان. واول ما يريبنا من امر الماسونيَّة انَّها تحتجب عن اعين الناس وتتستر في زوايا الظلمات. لا يجتمع اعضاؤها الَّا في الليل الدامس وفي بيوت يحصنونها بالحرَّاس فلا يدخل الَّا من عرف كلمة الجواز السريَّة واذا دخلوا كتموا بكل حرص ما يدور بينهم من الاحاديث وان سألهم اعزّ اصدقائهم عمَّا يجري في اجتماعاتهم الخفيَّة خرسوا عن الجواب واستحلفوه الَّا يطالبهم بذلك وذكَّروهُ بالاقسام المحرّجة التي حلَّفوهُ بها يوم انضوائهِ الى الشيعة بأنَّهُ « اذا باح الى احد بهذه الاسرار يَرْضى بقطع عنقهِ واستئصال لسانهِ وتعليق جثّتهِ في محفل ماسوني ليضحي عبرة للداخلين »

فيا لله أَفيَقتضي على انسان عاقل ان يقسم هذه الاقسام لئلَّا يكشف عن اعمال جمعيَّة خيريَّة لا غاية لها كما يقولون الَّا ممارسة كل خير ؟ او يختمون فمهُ بهذه الختوم ليحفظ في قلبهِ العلوم التي يدَّعي نشرها الاخوة بين عموم البشر ؟. فهذا ما لا يمكن تصديقهُ ولا بُدَّ من القول انَّ وراء الاكمة ما وراءها

لمَّا قيد السيد المسيح في جمعة الآلام الى دار حانان وسألهُ هذا الحبر عن تعليمهِ لم يجد الرب جواباً أقنع للدفاع عن نفسهِ من ان يقول لهُ: « انا كلَّمتُ العالم علانية وعلَّمت في كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم اتكلم بشيء خفيةً فلمَ تسألني انا سل الذين سمعوا ما كلمتهم بهِ فانَّهم يعرفون ما قلتهُ »

وفي الواقع كان السيد المسيح يحضُّ تلاميذهُ على نشر ما يسمعونهُ منهُ وهو

القائل لهم: « الذي اقولهُ لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونهُ في الاذن اكرزوا بهِ على السطوح » وكذلك كان يحذّرهم من التستّر والاستخفاء بقولهِ: ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبِل الى النور لئلّا تُفضح اعمالهُ واماً الذي يعمل الحقّ فانهُ يُقبِل الى النور لكي تُظهَر اعمالهُ لانها مصنوعة في الله ». وكأن الرب سبق ورذل الماسونيَّة بقولهِ « انهم احبوا الظلمة على النور لانَّ اعمالهم كانت شريرة »

وما نقولهُ في الديانة المسيحيَّة يقال في الدين الاسلامي الذي يجاهر بمعتقداتهِ ولا يخفيها عن البشر. وكذلك تعاليم الدين اليهودي المضمونة في اسفار موسى والانبياء ليس فيها شيء يُستحيا منهُ فيُحجَب عن الابصار

وكأني اسمع هنا صوت بعض كتبة الماسونيّة الذين يعترضون عليّ بقولهم: اليس للجزويت تعاليمهم السريَّة فما بالك تبكّت الشيعة الماسونيَّة على اخفاء اسرارها

سادتي ان هـذا الاعتراض قد لاذ بهِ بعض اعداء رهبانيتنا الذين نشروا في بيروت كريرستةً تحت اسم « اسرار الجزويت الخفيَّة » وهو كتاب وضعهُ احد المنافقين قبل مائتي سنة تقلّد فيهِ قوانين منشئنا القديس اغناطيوس المقدَّسة فنسب الينا فيه ضروب الرياء. على ان الكرسي الرسولي وجميع اساقفة اوربَّة لمَّا ظهر هذا الكتاب غفلًا من اسم مزوّرهِ ضربوه بالحرم ودافعوا عن شرف رهبانيتنا بل رذلتهُ حكومتنا السنيَّة لمَّا عُرّب وطُبع سرًّا. وقد شارطنا احد الكتبة المصريين الذين قرَّفونا بهذا التأليف اننا ندفع لهُ عشرة آلاف فرنك اذا امكنهُ ان يثبت لاحد اليسوعيين تأليف هذا الكتاب وان لم يمكنهُ اشترطنا عليــهِ دفع مئة فرنك فقط لاحد المستشفيات. فافحمناهُ بذلك الرهان

ومثل هـذا في العام الماضي قد قام كل الاكليروس وجمهور العقلاء فبينوا ان رواية اليهودي التائه التي مثلها الماسون لنكاية جمعيَّتنا ليس فيــهِ حرف واحد ينطبق على اعمالنا او تعاليمنا. ومن اراد زيادة بيان فليراجع «كتاب معرض الافكار في رواية اليهودي التائه » الذي نشره احد ادبائنا

فاين الرهبانيَّة اليسوعيَّة والتستُّر. فهذه كنائسنا مفتوحة لكل المؤمنين وهــذه مدارسنا يقصدها كل الدارسين وهم يعيشون معنا ليلًا مع نهار. وهذه جمعيَّتنا يدخلها

من يشاء وربّما خرج منها من دخلها فهيهات ان يقوم واحد منهم فيأخذ على رهبانيتنا عملاً سيئاً. وكم فُتحت مكاتبنا وضُبطت اوراقنا الخصوصيّة كما فعلوا مؤخّرًا في البرتغال فما امكنهم ان يجدوا بينها ما تُستنشَق منهُ رائحة السرّ المكتوم

ويُردف صاحب تاريخ الماسونيّة العامّ جرجي افندي زيدان (ص ٢٤): « انّ الديانة المسيحيّة لم تتأيد دعوتها الّا بما اتّبعتهُ من طرق التعليم السري فقد كانت في بادئ نشأتها اشبه باحدى الجمعيّات السرّيّة ولم تكن تسلّم اسرارها الّا لمن يطلبها ويبرهن على شدة رغبتهِ في الحصول عليها »

فنجيب المعترض قائلين: « قد وهمت يا جناب الافندي واسأت الظنّ في الديانة المسيحيّة » فشتّان بين اسرار الدين المسيحي وبين اسرار الماسونيّة وشتّان بين خمر وخلّ. ان اسرار الدين المسيحي قد وُضعت للحياة واسراركم وُضعت للموت. لم تقبل الكنيسة بين اولادها احدًا ما لم يكن وقف على تعاليمها لا لكون هذه التعاليم هي خفيّة بل لانها تفوق ادراك الموعوظين فاذا عرضتها عليهم توًّا دون استعداد أُغلقت عليهم معانيها السامية وقد اوصى الرب بان لا « نُعطي القدس للكلاب ولا نلقي جواهرنا قدام الخنازير لئلّا تدوسها بارجلها ». وهذا الفعل تجري الكنيسة عليهِ حتى اليوم في كل بلاد الوثنيين الذين لا يُصبَغون بالعماد الّا بعد الارشادات والتعليم المتوالي. وكان الامر امسّ واحوج في اوائل الكنيسة حيث كان الوثنيون يضطهدون الدين المسيحي ويقودون الى العذاب والموت مَنْ لم يعبد اصنامهم او يعلّم ما يخالف خرافاتهم وارجاسهم. فكانت الفطنة تقضي على المسيحيين بألّا يعرّضوا بنفوسهم الى الاخطار دون داعٍ ومع ذلك كانوا اذا طالبوهم بدينهم امام الحكام جاهروا بمعتقدهم دون خجل. افمثل هذه هي اسرار الماسونيّة ؟

ثمّ ان للماسونيّة طقوساً ورتباً وازياء غريبة ولَمسات وخطوات واشارات وطرقات وتهويلات في درجاتها العديدة من الدرجة الاولى الى الدرجة الثلاث والثلاثين. فناشدتك الله ايّ علاقة بين كل هذه الطقوس وبين الغايات التي تدّعيها الشيعة وهي على قولها جمعيّة خيريّة فما الحاجة الى كل هذه الطقوس ؟. نعم اذا صلى الكاهن او اقام رتبة دينيّة لبس لذلك حللاً مختصة بها وانما الماسونيّة ليست جمعيّة دينيّة

وان قالوا هذه وسامات شرفيّة اجبنا ان الاوسمة الشرفيّة يعطيها من لهُ في

الدول الحقّ في منحها والماسونيَّة تدَّعي انَّها ليست جمعيَّة سياسيَّة فكيف تحوّل هذه الامتيازات. وزد عليهِ ان كثيرًا من هذه الاوسمة ترمز الى خصام وقتال وترهيب وتهديد كالخناجر والحراب والسيوف والمطارق والجماجم والحصون والابراج. واذا وُجدت فيها نقوش اخرى اشاروا بها الى معانٍ لا علاقة لها مع ظواهرها كخلايا النحل والصلبان وعامودي جاكين وبُعوز والشمس والقمر والنجوم وألسنة النار وكلها رموز شرحها المتولجون بالماسونيَّة شروحاً بعيدة عمَّا يتبادر الى الظنّ فيها بل عن كل غاية خيريَّة وادبية فتشير على قولهم الى نفي الدين والادب وتعظيم قوى الطبيعة البهيميَّة وغير ذلك ممَّا يَندى لهُ الجبين خجلًا

ثم يصحب تخويلَ هذه الاوسمة والشارات الماسونيَّة اسئلة واجوبة وتعاليم ووصايا لا تنطبق البتة مع الغايات المدعاة اي عمل خير ونشر المعارف

وإن قيل انَّ في الكنيسة ايضاً مثل هذه المذاكرات والرتب اجبنا ان الرتب الكنائسيَّة ووصاياها وتعاليمها كلها جليلة تقويَّة خشوعيَّة وضعها اعظم الرجال عقلًا واوسعهم فضلًا واعرقهم قداسةً استقوها كلها من موارد الاسفار المقدَّسة او التقاليد الرسوليَّة. وهي في الغالب ادعية ترفع القلب الى الله ومذاكرات تطبع في عقلهِ عظمة الخالق وتذكرهُ بالثواب وتنذرهُ بالعقاب وتستمطر لهُ النعم من خالقهِ وتستغفر عن آثامهِ فاين كل ذلك من رتب الماسونيَّة التي هي عادةً فصول هزليَّة لا يستطيع سماعها الرجل العاقل الَّا ازدرى باصحابها واستغرب ضحكاً من خفَّة عقولهم. ولو وكَّلنا الى بعض الممثلين ان يشخصوا امامكم دورًا واحدًا من هذه الخزعبلات لرأيتم سخافة عقول من يمارسها. وقد اثبتنا منها بعض الفصول في كتاب السرّ المصون مع قسم من التصاوير الماسونية المختصة بالدرجات الاولى وصورة محفل مع حللهِ وعموديهِ السرّيين وباطن المحفل وما فيهِ من النقوش الرمزيَّة والتعليمات السريَّة الملقاة على الطالب الى غير ذلك

وفي تكريس طالب الماسونيَّة عدَّة امتحانات يدعونها بالسياحات فيعرضونهُ لمخاطر وهميَّة فتارة يرمون بهِ في التهالك وتارة يصعدون بهِ سلَّماً درجاتهُ غير ثابتة وحيناً يُشعرونهُ على صدرهِ المعرَّى بنصل السيف او يوهمونهُ بفصد عروقهِ وطورًا يدخلونهُ غُرفاً مظلمة فيها العبارات التهويليَّة بينها هياكل موتى وغير ذلك مما يؤثر في مخيلة

الطالب ليعرف نفوذ الماسونيَّة وسلطتها عليهِ . وقد اكد لنا احد اصحابنا الدمشقيين انهُ عرف في وطنهِ احد اعيان النصارى الذي طلب الدخول في الماسونيَّة فلمَّا فُرضت عليهِ المحَن المذكورة تأثَّر منها اي تأثير فبصق الدم ومات بعد ١٥ يوماً . افترون ايها السادة ان الماسونيَّة التي اخترعت هذه الامتحانات هي جمعيَّة خيريَّة او جمعيَّة ادبيَّة اوَ ليست هي بالاحرى سليلة ذاك الذي قال عنهُ السيد المسيح « انَّهُ قتَّال الناس منذ البدء وانَّهُ كذوب » وابو الكذب (يوحنا ٨ : ٤٤)

ولو تتبعنا بعد ذلك تكريس الداخل في درجة الرفيق ثم في درجة الاستاذ لزدنا تحقُّقاً بانَّ الماسونية ليست جمعية خيرية ولا جمعية ادبية وعلمية وانَّما هي جمعية عملية لا تبغي في شيء خير الانسانية فانها لو قصدت ذلك لمَا اتخذت هذه الوسائل التي تبعد عن غايتها المزعومة مناط الثريا . فان امتحانات درجة الاستاذ تمثّل قتل رجل وهميّ يدعوه الماسون حيرام ويزعمون انَّهم دُعوا لينتقموا لهُ وهناك فصل هزلي يضحك الثكلى كنَّا نودّ لو تقوم جوقة بتشخيص ادوارهِ لسمعتم قصة ذلك القتيل المضحك ورأيتم حزن الماسون عليهِ وعاينتم حركاتهم وخزعبلاتهم حول تابوتهِ الى ان يقيموا احد الاخوة المضجع فيهِ ويُلقوا بدلًا منهُ طالب درجة الاستاذ ليذوق في ذلك التابوت طعم الموت بل ليتأكد انهُ صار في ايدي الماسونية كجثة ميتة يتلاعبون فيها كيف شاؤوا

فيا ليت شعري ايوجد في العالم جمعية خيريَّة تفرض على اعضائها مثل هذه الامتحانات لتحنّن قلوبهم على المساكين ؟ او يوجد جمعية علمية تكشف غوامض علومها على طالبيها بعد ان تطلب منهم الخضوع لمثل هذه الطقوس ؟ او ليس الاحرى بنا ان نقول ان الشيعة تكنُّ في صدرها غير ما تظهر وانَّها تراءي في اعمالها وتخدع الاغرار لتوقعهم في حبائلها

وانَّما هذا يظهر من درجات الماسونية الثلاث الاولى فكم كانت غايتها السيئة تلوح لنا بمجلى اوضح وصورة ابدع لو تتبَّعنا بقية درجاتها حتى نصل الى الدرجة الثالثة والثلاثين ورأينا كيف تُشرب اصحابها كاس سمّها نقطةً نقطة حتى يتخلَّق الماسوني باخلاقها ويتشرَّب روحها ويحيا بحياتها . وفي ما قلنا كفاية لاثبات قولنا ان الماسونيَّة ليست جمعيَّة خيريَّة ولا طائفة علميَّة

وزد على ذلك ان بين ايدينا قوانينها المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٣ ودستورها المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ والنظامات العموميَّة للطريقة الاسكتلنديَّة المترجمة الى العربيَّة بقلم «كلي الحكمة الياس بك منسى» المطبوعة في مصر سنة ١٨٩٠ ولا نجد في كل موادها ما يُستفاد منهُ انها تريد عمل الخير الَّا بعض صدقات تخصُّها بذويها المنكوبين وليس لها في ذلك فضل كبير لانها بعملها تخدم صوالحها ليس الَّا

كما أنَّنا لا نعرف للماسونيَّة في انحاء الشام ومصر مشروعاً واحدًا خيريًّا تقوم بهِ او بنفقاتهِ. وقد ارادت احدى مجلات بيروت (الكوثر ١: ١٧٣) ان تردّ علينا في ذلك فزعمت ان الماسونيَّة عضدت في بيروت مشروع المستشفى التدرُّني لتخفيف ويلات المصابين بهذا الداء. فالقينـــا السوال على كل من امكنهُ ان يفيدنا شيئاً عن هذا المشروع لنثني عليهِ فكان الجواب الاخير ان بعض الماسون فكَّروا في هـــذا الامر لكنَّ فكرهم بقي في حيز المنويَّات. أفيقاس حلم النائم مع ما نراه من العشرات بل المئـــات من الجمعيات الخيريّة الدينيَّة والمستشفيات والمياتم والمستوصفات ودور العجزة في كل مدينة من مدن الشرق التي يقوم بها الرهبان والراهبات واهل الخير من العلمانيين. واذا قصرنا النظر الى بيروت وحدها لا نجد فيها حيًّا خالياً من مثل هذه المشروعات الجليلة. ومن منَّا لا يعرف جمعيَّة مار منصور دي بول واعضاءَها الشفوقين على كل ذوي البأساء يعودونهم في اكواخهم ويسدُّون حاجاتهم ما امكنهم؟ واي امّ تقوم بمساعدة المرضى قيام راهبات المحبة اللواتي مات ثلاث منهنَّ في سبيل المطعونين من عهد قريب. وقد رأينا يوم عيد مار يوسف الاخير عددًا من شبَّان كليَّتنا يتسابقون في خدمة العجزة على مائدةٍ اعدُّوها لهم على نفقتهم. فلتقم الماسونية وتذكر لنا قيراطًا من هذه الاعمال الخيرية وان ارادت اثبتنا لها انَّها العدوَّة الالدّ لهذه المشروعات تلاشيها حيثما يتربع ذووها في دست السلطة كما فعلت في فرنسة حيث اقفلت عددًا عديدًا من مستشفيات الراهبات او سلَّمتها لايدي عمَّالهـــا فما لبثت حتى صارت في اسوأ الحالات حتى ان الاطبَّاء المعادين للدين انفسهم اخـــذوا يقدمون المعاريض لارباب الامر لاسترجاع الرهبان والراهبات. وقد تمكنت بلدية مرسيلية من اعادة مستشفى المجانين لرهبان مار يوحنا الالهي. وفي انباء البرتغال الاخيرة ان خمسين الفاً من المرضى والفقراء الذين كان يأويهم الرهبان ويعولونهم اصبحوا بفضل الحكم

الماسوني معرَّضين لآفات يرون الموت بازائها نعمةً وراحة بعد ان اقفل الماسون جبرًا المآوي والملاجئ التي كان ارباب الدين فتحوها لتلطيف اوجاعهم كما افادنا الدكتور سفران ايكار ان عشرة في المئة صاروا يدفنون في المستشفيات العلمانية في باريس قبل موتهم الطبيعي ومنهم من سُلِّمت جثتهُ للمشرحين فانتبهوا من سباتهم تحت مبضعهم

فكل هذه الشواهد لا تُبقي ريباً في ان الماسونيَّة ليست بجمعية خيريَّة وكما لا اثر لاعمالها المبرورة كذلك ليس من اثر لمعاهدها العلمية فانَّ لدينا مجموعاً رسميًّا يُدعى مينرڤا (Minerva) يحتوي وصف كل الكليات والمدارس الكبرى والمراصد الفلكية التي في العالم فلم يُذكر هناك معهد واحد علمي تقوم بهِ الماسونية ولا نعدّ منها تلك المدارس العلمانيَّة المنافية للدين التي تعضدها الماسونيَّة لأَنها لا تنفق عليها من ماليتها بل من مالية الدولة فهي كريمة بمال غيرها

٢ حقيقة الماسونية وغايتها الصحيحة

فكيف نعرّف اذن الماسونية بعد ان جرَّدناها عن اثوابها المستعارة ؟ انَّ اقرب ما يقال عنها الى الحقيقة انها عسكر وجيش منظم

والجيش كما لا يخفى يتركب من قوَّاد وضباط وجنود في درجات متوالية كسلسلة تتصل حلقاتها بعضها ببعض فينقاد الاسفل الى الاوسط والاوسط الى الاعلى على سياق محكم تقوم بهِ قوَّة الجيش. وللجيش ازياؤُهُ وشاراتهُ وامتيازات طبقاتهِ واسلحتهُ. ولهُ التمرينات التي ترشده ُالى فنّ الحرب ومعرفة ضروب الهجوم والدفاع وكافة الحركات العسكرية وبذلك تتمّ اهبتهُ لحراسة الوطن ولردّ غارات الاعداء.

فالماسونية على هذا المثل تتركب من رؤساء كبار ورؤساء ثانويين واساتذة ورفقاء وطلبة. ولكل طبقة منهم زيُّها ومميّزاتها من اوسمة ووشاحات ومآزر. يتعارفون بكلمات سريَّة كالجنود ولهم اشارات معلومة يعرف بها الماسوني رصيفهُ بين كثيرين وفي وسط جماعات الاجانب. ولهم ايضاً تمارينهم فيخطون الخطوات المنظَّمة على هندام مقرَّر. ولهم كما رأيت سيوفهم وحرابهم وخناجرهم

فيا تُرى لمن أعدَّ هذا الجيش واي عدوّ يحارب هؤلاء الجند ماذا يريدون بتجريد سيوفهم وتقلُّد اسلحتهم ؟ بديهي انهم لا يدافعون عن الوطن اذ الوطن لم يكلِّفهم بالدفاع عنهُ. فعلى من اذن يشنُّون الغارة ؟ يدعون انفسهم بالبنَّائين الاحرار فما هو البناء

الذي يحاول هؤلاء البناة بتشييدهِ واعدّوا لـهُ مآزرهم وبيكاراتهم ومثلّثاتهم وزواياهم وشواقلهم . يقولون انَّ بناءهم رمزيّ فما معنى ذلك ؟ يريدون (على قولهم) « جمع شمل العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان » فغايتهم اذن اصلاح الهيئة الاجتماعيَّة . فما هو هذا الاصلاح الذي يحتاج اليهِ المجتمع الانساني لينتدب الماسون انفسهم للقيام بهِ

تعلمون سادتي ان للهيئة الاجتماعية نواميس ثابتـة كتبها الله في قلوب البشر او اوحى بها على لسان اوليائهِ لا يجوز لهم ان يحيدوا عنهـا اذ عليها قد توطّدت دعائم أُلفتهم

وهذه النواميس مرجعها الى رُكنين متينين اذا تداعيا سقط معهمـا بناء الهيئة الاجتماعية وهما السلطة المدنيـة والدينيَّة فلا تجد حيثما سرت وايَّ بلاد حللت شعباً الَّا استند اليهما حتى ولو كان في اوطى درجات المدنية . نعم ان هذه السلطة تختلف هيئاتها فتكون ملكيَّةً مطلقة او تكون ملكيَّة مقيَّدة او جماعة شيوخ واعيان او جمهوريَّةً الَّا ان السلطة ثابتة على ايَّة هيئة كانت . وكذلك الدين يمكنهُ ان يكون طبيعيًّا فقط اي منحصرًا في بعض المعتقدات البسيطة التي يُرشدنا العقل الى معرفتها كوجود إله او آلهة او على الاقل وجود ارواح تنوط بهـا الطبيعة . وكمثل اعتقاد بقاء النفس بعد الموت ومُجازاتها على حسب اعمالهـا . ويمكن هذا الدين ان يكون اوسع واكمل ممَّا بلَّغ الله عقائدهُ الى البشر على يد انبيائهِ بالوحي . ومهما كان من امرهِ لا بُدَّ من التسليم انهُ لا يُعرَف حتى اليوم شعبٌ عـاش بلا دين . فنطلب من الماسونيَّة ان تُعرّفنا ايًّا من هذين الركنين جاءت تؤيّدهُ باصلاحها . فلنتصفح تاريخها ونروِ تعاليمها عن تينك السلطتين المدنيَّة والدينيَّة وتصرُّفها بازائهما

ولنبدأ ﴿ بالسلطة الدينيَّة ﴾ فنقول : انهُ من المعلوم المقرَّر انَّ اولئك الفلاسفة المزعومين الذين ظهروا في فرنسة وغيرهـا من البلاد في اواسط القرن الثامن عشر رموا كلَّ وحي بل كلَّ دين بمناجقهم وشحنوا كتبهم اقوالًا كفريَّة انكروا فيها وجود الخالق وايَّدوا قدم العالم ورفعوا قوَّات الطبيعة وزعموا ان السلطة الدينيَّة انَّما اولدتها شعوذةُ الكهنة وارباب الدين املًا بالارباح الخسيسة وتنفيـذًا لسطوتهم واستبدادهم . ثمَّ زرعوا هذه السفاسف في عقول الاغرار بالمذاكرات والتآليف الرائجة

السوق والخطب والمراسح ولاسيا في دائرتهم العلميَّة المعروفة بالانسيكلوپيذيا فكان ما كان من إضعاف روح الـدين في قلوب معاصريهم وكادوا يفوزون بالمرام لولا انَّ الله لا يغلبه بشرٌ

وقد ثبت اليوم بالشواهد المتعدّدة انَّ اولئك الفلاسفـة كڤولتير وروسُّو وديدرو ودالبمرت وفردريك الثاني ملك بروسية كانوا كأُهم من اشياع الماسونيَّة يعدُّون في محافلهم تلك الاسلحة القتَّالة التي حاربوا بها الدين من اكاذيب وتشنيعات وضروب الهزء والسخريَّة· اسمعوا احد كبار المسلمين في عصرنا الذي عرف الماسونيَّة وبرحها بعد ان استطلع عُجَرها وبُجرها· قال السيد جمال الدين الافغاني: عن اولئك الدهريين الماسون وخصَّ بالذكر الاوَّلَين اي ڤولتير وروسُّو

« ظهر وولتير وروسو يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبيّ واحييا ما بلي من عظام مذهب الدهريين ونبذا كلَّ تكليف ديني وغرسا بُزور الاباحة والاشتراك وزعما انَّ الآداب الالهيَّة جعليَّاتٌ خرافيَّة كما زعما انَّ الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الإنسانيّ· وجهَر كلاهما بانكار الالوهيَّة ورفع كلَّ عقيرتهُ بالتشنيع على الانبيـاء وكثيرًا ما الَّف « وولتير » من الكتب في تخطئة الانبياء والسخريَّة بهم والقَدْح في انسابهم وعيَّب ما جاؤوا بهِ فاخذت هذه الاباطيل من نفوس مواطنيـهِ ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسويَّة ونفضوا منهـا ايدَيهم وبعد ان اغلقوا ابوابها فتحوا على انفسهم أبواب الشريعة المقدَّسة كما زعموا اي شريعـة الطبيعة· وزاد بهم الهوس في بعض ايَّامهم حتى حمـلَ لفيفاً من عامَّتهم ان يتناولوا بنتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوهـا الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى القوم: أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنُّوا شيئاً من ذلك تهديدًا لكم من إله السماء··· فهذه كلها من آثار الطبيعة ··· فحلُّوا عن اعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لأنفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم فان كانت العبـادة من رغائب شهواتكم فها هي « مداموزيل » قائمـة في المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم » اه

ولا تظنّوا ايها السادة انَّ هذه التعاليم كانت فلتةً من الماسونيَّة او ظهرت في

بلد واحد على السنةِ بعض الافراد وانما نشروها في مؤتمراتهم واعلنوا بها في جرائدهم ومجلَّاتهم الرسميَّة التي كانوا سابقاً يتفانون في كتمها . ولكن ليس خفيٌّ الَّا سيظهر كما قال السيد المسيح وقد قام في فرنسة والمانيــة وبلجكة قوم من ذوي الهمَّة استخرجوا هذه الدفائن وكشفوا اوراق الماسون السرِّيَّة وعرضوها في معاهد عاميَّة يستطيع الوقوف عليها من شاء . فهنــاك النشرات الماسونيَّة الرسميَّة وقراراتهم التي يطبعونها في عدد معلوم لتبقى محجوبةً عن اعين العموم فترى نشرة الشرق الفرنساوي تقرّر في السنة ١٨٩٥ « ان العشيرة الماسونيَّة تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت » . وترى جماعة ماسون ايطالية « يعلنون باستقلال الانسان ويقرّرون ضرورة ملاشاة كل كنيسة رسميَّة » . وترى صكّ المحفل الاكبر في برلين يقرّر « بان العلم هو الاساس الوحيد لكلّ معتقد فهم يرفضون كل عقيــدة بُنيت على اساس الوحي » وتنظر في اعمال مؤتمر بروكسل الماسوني سنة ١٨٦٦ تصريحهم « بانَّ التوراة هي مجموع خرافات واكاذيب وآراء فاسدة »

وتتناول هذه التعاليم كل الاديان على سواء فانَّ نشرة ماسون المانية جاهرت بقولها سنة ١٨٦٦ بانَّهُ « يُقتضى على الماسون ان يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله ايًّا كان » . وجاء في كتب پرودون احد زعماء الماسونيَّة « ان قال الماسون بوجود الاله ارادوا بهِ الطبيعة وقواها المادّيَّة فهم يجعلون الله والانسان كشيء واحد »

ومثلهُ قول ويسهوپت منشيء الماسونية المنوَّرة : « كل شيء هو مادّي فالله والعالم ليسا الَّا شيئاً واحدًا وجميع الديانات هي خياليَّة غير ثابتــة اخترعها ذوو المطامع » . وكذلك قال مؤتمر مجمع هولندة الماسوني سنة ١٨٧٢ : « الله والانسان من جنس واحد فنحنُ الله » . بل بلغ الجنون باحدهم وهو الاخ پرودون السابق ذكرهُ فقال (والعياذ بالله) ان الله هو الشرّ (Dieu c'est le mal)

وان اعترض الماسون بانهم يكرّمون « مهندس الكون الاعظم » اجاب عليهم اخوتهم انَّ هذه خدعة ماسونيَّة التجأوا اليها لئلَّا ينفر منهم النــاس . قال رئيس المحافل الماسونيَّة الاكبر في باريس سنة ١٨٧٨ : « انَّ هذه العبارة اي مهندس الكون الاعظم لا يتأَلف منها ادنى مذهب فلسفي فهي توافق ذوق كل من يطلب الدخول في الماسونيَّة سواء كان مؤمناً او ماديًّا او كافرًا » . وقال مثلهُ الاخ الكبير هايمان في

مجلة العالم الماسوني : « انَّ الماسون اختاروا لهم شعارًا يمكن البشر جميعهم ان يقبلوه من جحدة الالوهيَّة وناكري خلود النفس » . وقال آخر: « ان اسم مهندس الكون عندنا اسمٌ بلا مسمًّى . . . فان الطبيعة هي الله »

ولا يقولنَّ الماسون انّ هذه التعاليم لا يرضى بها كل اولاد الارملة . نعم انَّنا نعرف ذلك لا بل قليل منهم بلغوا الى هذا التطرُّف لاسيا في بلادنا وانما كفاهم ان يكونوا اعضاء لشيعة يتفوَّه ذووها بهذه الالفاظ الكفرية او انهم يتفاخرون بكونهم اخوانهم لانَّ الماسونيَة واحدة تمدُّ اشراكها في كل العالم وانَّما تتجنَّس وتتلوَّن على اهواء كل بلد فهنا تذكر مهندس الكون كما تفعل في انكلترَّة واميركا وهنالك تنفيه كما فعل ماسون فرنسة وايطالية وبلجكة واسبانية والبرتغال الذين ألغوا اسم « ذاك المهندس » وجاهروا بكفرهم . وبعد ان تظاهر ماسون انكلترَّة واميركا بالاستياء من عملهم عادوا فسكتوا عنهم

وقد كرَّر ماسون بلادنا في كتبهم التي في ايدينا افتخارهم بكونهم من اعضاء الماسونيَّة العمومية التي لا تفرق بين دين وآخر وبين كافر ومؤمن قال شاهين بك مكاريوس في كتاب الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية (ص ١٧) :

« والماسونية منتشرة انتشارًا يحسدها عليه اعظم الاديان المولودة التي امتدَّت في اربعة اقطار المعمور لانَّ تلك تفرق في العالم بين الشعوب فمن عابد صنم وكافر وجاحد ومبدع ومخالف بينما ترى الماسونية فاتحة ذراعيها لقبول اولادها داعية اياهم اخوة »

وليست هذه تعاليم الماسونية في جحود الاديان نظريَّةً فقط بل تراهم حيثما فازوا بالسلطة يصوّبون سهامهم للمذاهب فيقفلون المعابد ويحبسون ارباب الدين وينفون الرهبان من بلادهم وينهون عن فتح المدارس المذهبية ويلغون من الشرائع كل ما تُشتمُّ منهُ رائحة الدين ويضطرُّون الراهبات باقفال مستشفياتهنَّ ومياتمهنَّ . فهم سنُّوا الزواج المدني وهم الغوا القسَم بالله في المحاكم ونفوا اسمهُ الكريم من نقودهم الدولية بل امروا بالَّا يتلفظ بهِ روساؤهم كما ترى في الجمهوريَّة الفرنساوية حيث لم يذكر الرؤساء منذ ١٨ سنة باسم الاله في خطبهم الرسميَّة كأنَّ الله لا وجود لهُ

وقد دخل شيء من هذا الروح الكفري في بلادنا نظريًّا وعمليًّا

امَّا نظريًّا فبما طُبع من بعض الكتب المنافية للدين كمثل كتب امين الريحاني

المختلفة ٠ منها الريحانيَّات التي بيَّنَّا في المشرق (١٣ : ٣٧٩ و ٧٠٣) ما فيها من الاقوال الكفرية الفاسدة ومنها الروايات الخلاعيَّة التي اهتمَّ بتوزيعها الماسون كاسرار رومية والمسيح في الواتيكان

واماً عمليًّا فمثل الحملات التي تحامل بها الماسون او المناقدون الى آرائهم في بيروت وزحلة وعمشيت ضدّ ارباب الدين في هذه السنين الاخيرة بحجة الاوقاف وغير ذلك ٠ وكما فعلوا لمَّا احتجوا على سيادة المطران مسرَّة اذ اخرج من الكنيسة الاكاليل المزدانة بالعلامات الماسونيَّة في جنازة الاخ جرجي نعمة (١ ٠ وترى بينهم من يصوّر التصاوير الهزليَّة لبخس شأن ارباب الدين كما يفعل جرجي حدَّاد في البرازيل في جريدة الفجر فينشر المسوخ السمجة لمناهضة الاكليروس ٠ ولمَّا نشبت الحرب بين ايطالية والدولة العليَّة صوَّر قداسة الحبر الاعظم مجرَّدًا بيمينهِ السيف وبيدهِ اليسرى الصليب كأنَّهُ يريد محاربة جلالة السلطان وانه مثير عليهِ هذه الحرب باسم الصليب

وكما فعلت ايضاً الماسونية البيروتيَّة سنة ١٩٠٢ لمَّا كتبت رسالة افرنسيَّة ممضاة باسم عمدة محفل لبنان ارسلتها مع الاخ اوليڤيه الى الشرق الاعظم في باريس تطلب من اعضائهِ المساعدة لطرد الرهبان من سورية (وقد رسمنا سابقاً صورتها الفوتغرافية)

﴿ السلطة المدنيَّة ﴾ وكما دكَّت الماسونيَّة السلطة الدينيَّة شنَّت الغارة ايضاً على الركن الثاني للمجتمع البشري اعني السلطة المدنيَّة ٠ يقول بولس الرسول في رسالتهِ الى الرومانيين (١٣ : ١—٩) : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانَّهُ لا سلطان الَّا من الله والسلاطين الكائنة انَّما رتَّبها الله فمن يقاوم السلطان فانَّما يعاند ترتيب الله ٠ ٠ ٠ افتبغي ألَّا تخاف من السلطان افعل الخير فتكون لديهِ ممدوحاً لانَّهُ خادم الله لك للخير فامَّا ان فعلتَ الشرَّ فخَفْ فانَّهُ لم يتقلَّد السيف عبثاً لانهُ خادم

١) ويا ليت سيادتهُ لم يردّ آخرًا على « محفل نور المحبة التابع الشرق العثمانيّ الاعظم » لمَّا هنَّأهُ هذا المحفل على غيرتهِ الوطنيَّة ٠ كما اننَّا نأسف على ما فعلهُ حديثًا السيد شحاده في زحلة لمَّا اقام جنَّازًا لرئيس محفل ماسوني محروم من كنيستهِ وكنيستنا ايضاً (راجع السرّ المصون في شيعة الفرمسون الكرَّاس الرابع ص ٢٣)

الله المنتقم الذي يُنفذ الغضب على من يفعل الشرّ فلذلك يلزمكم الخضوع لهُ لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً »

فهذا الكلام العسجدي يحتوي كل فلسفة الحقوق المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس وبين السلطان والرعيَّة . فان السلطان او الرئيس قائم مقام الله وان شئت قل انهُ ظلّ الله في ارضهِ فيجب عليهِ ان يرعى شعبهُ كرسول الله والمسلّط منهُ لسياسة الرعيَّة ويجب على المرؤوس ان يكرّم السلطان ويخضع لهُ في كل ما هو صالح موافق لضميرهِ . وكان السيد المسيح اختصر ذلك سابقاً بهذه الآية : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

فترى كيف امتثلت الماسونية لامر السيد المسيح ولامر الرسول بولس : فالجواب على هذا السؤال تابعٌ لما سبق مرتبط بهِ ارتباطاً غير منفصم . فبالحقيقة اذا صحّ قول الماسونية السابق ان الدينياتٌ جعليات خرافية وان الله عزّ وجلّ اسم بلا مسمًّى وانَّهُ لا يوجد في العالم غير الطبيعة المادية فينتج عن ذلك ان السلطة المدنية لا اساس لها ثابت وانَّما هي ايضاً من جملة الاختراعات البشرية التي يجوز رفعُها او وضعها على حسب ارادة البشر . وكما نصبتُ اليوم زيداً ليرأس عليَّ اخلعه غداً لاقوم انا مقامهُ اذ اني انا مصدر السلطة فأُعطيها من شئت او انزعها كما شئتُ ومتى شئتُ وعمَّن شئتُ

وفي الواقع هكذا تعتبر الماسونية السلطة المدنيــة . قال الاخ راغون من ارقى الماسون في الدرجات في كتابهِ شرح الرموز الماسونية : « لا حقّ لاحــد سواء كان ماسونيًّا او لا ان يستخرج من طبيعة الانسان شرائع وتعاليم يفرض بها على البشر وكلٌ من استعان بسلطة الهٍ ايًّا كان ليسنّ شرائع وتعاليم على النــاس فهو كاذب وخدَّاع »

ومثله روى الاخ كلاقل : « ان مسعى الماسونية العظيم بان تمحي بين البشر كل تميز يفرق بينهم كشرف الاصل والاديان والمذاهب والاوطان »

ومعظم الادوات الماسونية كالمثلث والبيكار والزاوية والحجر الاصمّ تدلُّ على كسر شوكة السلطة وطحنها بحيث لا يكون في العالم لا رئيس ولا مرؤوس . اسمع كيف يشرح احد الماسون في كتاب الخلاصة الماسونيَّة معنى البرجل :

انَّ للبرجــل معنًى يا فتى تُصبح الافكار فيــهِ حائره
سوف ينشي للورى دائرةً ويصير الكــلّ ضمن الدائره

اي الدائرة الماسونيَّة او المثلث الذي يضغط في زواياه كل طبقات البشر

ومن رموز الماسونيَّة في الدرجات العليا ذلك السلَّم السري الذي يشيرون بهِ الى جمعيتهم وهم ينصبونهُ على حيَّة مثلثة الرؤوس كانهُ يسحقها فالرأس الاوَّل مكلَّل بالتاج البابوي يريدون بهِ السلطة الدينية والرأس الثاني عليهِ الاكليل الملكي رمز السلطة المدنيَّة والرأس الثالث في فيهِ سيفٌ اشارة الى القوَّة العسكرية. فالماسونية تدَّعي انَّها مندوبة الى سحق هذه الرؤوس الثلاثة فتلاشي الدين والسلطان والعسكر وتجعل العالم كلهُ واحدًا يصنع كل انسان ما شاء وكيفما شاء وحيثما شاء كهمَل الحيوانات وضواري الغابات. وقد اختصر اولئك المتطرّفون تعاليمهم في حقوق الانسان نحو المجتمع البشري بهاتين الكلمتين « لا اله ولا سيد »

ولعلَّ البعض ينخدعون بصورة الصليب التي يرونها على شاراتهم الَّا انَّ المتقدّمين في الماسونيَّة يعلموننا انَّ الصليب الماسوني هو كالصليب المصري قبل المسيح يُشار بهِ الى القوى النسليَّة والقباحات الوثنيَّة. فهذه تعاليم الماسونيَّة وهذه آدابها

وما اكتفى الماسون بهذه التعاليم النظريَّة في السلطة البشريَّة وآداب الهيئة الاجتماعيَّة بل اسرعوا الى اخراجها الى حيز الوجود فكانت اوَّل غاراتهم على ملوك البوربون الذين كانوا يملكون في كل الدول اللاتينيَّة فأحاطوهم بمشايعيهم وابعدوا عنهم انصارهم لاسيما الرهبانية اليسوعيَّة التي كانت تهذّب الشبيبة وتعلّمها خدمة الله والطاعة الى ممثليهِ على الارض حتى اذا رأوهم بلا سند ثلُّوا عروشهم وقتلوا البعض ونفوا البعض الآخر وسفكوا دماء الوف من الابرياء لم يكن لهم ذنب آخر غير كونهم اشرافًا او كهنة لايرضون بجحود دينهم والتخلُّق باخلاق الاشياع السرية بل قتلوا حتى النساء والفقراء المتدينين. وقد بيَّن احد اساتذة باريس المسيو غوترو (Gautherot) في مذاكرات عديدة القاها في حاضرة فرنسة في هذه السنة ان الثورة الفرنسويَّة كان ضابط ازمَّتها الماسون وانَّهم هم الذين دبَّروا كل فصولها ولعبوا كافَّة ادوارها. وما كان قتلُ لويس السادس عشر سوى تنفيذ لاحد مآربهم التي كانوا اتفقوا عليها في المحافل السريَّة كما قرَّر ذلك احدهم المسمى آبل (Abel) فتاب قبل موتهِ واعلن بالامر تحت القسَم امام ابنهِ الذي دخل في الرهبانيَّة اليسوعيـة ونشر ذلك بموجب وصاة من والدهِ

وبعد ان ملأَ الماسون فرنسة دماء وفظائع اخذوا يعمّمون الثورة في كل انحاء اوربة بواسطة جيوش الجمهوريَّة. فمذ ذاك الحين الى اليوم لم نكد نرى دولة ثابتة فان الماسونية تنفخ حيثما تحلّ روح الثورة فكم ثلّت من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من ملوك فتارة تستعين بالاشتراكيين وطورًا باهل الفوضى وحينًا تدعو اليها الفحّامين والنيهيلست فلو اردنا ان نتتبع تواريخ مكايدهم دولةً دولة لا تسع بنا المجال وضاقت بنا الكتب الضخمة. وقد احصى الاختصاصيون في مدَّة مئة سنة عدد الملوك او الرؤساء الذين قُتلوا بمساعي الماسونية فاذا هو ينيف على الثلاثين هذا فضلًا عن الذين ائتمروا عليهم فلم يفلحوا بمكائدهم

وترى الماسون اذا قامت دولة اسرعوا في مدحها واطنبوا في محامدها وعظَّموا ملكها او رئيسها فاذا استظلّوا بظلّها وأمنوا نكَباتها عادوا الى مكائدهم وفكَّروا في تدميرها. وهذا قد جرى لهم حتى مع الملوك والرؤساء الذين كانوا من اعضاء الماسونية كما فعلوا مع نابوليون الثالث الذي وكلوا الى اورسيني بقتلهِ فلم يفلح

وكان اوَّل ملك دخل في الماسونية فردريك الكبير ملك بروسيا دخلها سنة ١٧٣٨ وهو وليّ العهد وصارت بينهُ وبين الماسونيَّة روابط وثيقة جدًّا فكان يعامل الماسون كاخوة ويقدّمهم في كل وظائف مملكتهِ بل انشأ في دولتهِ شرقًا اعظم وكان يظن انَّ الماسونيَّة لا تريد كما تزعم غير شمل العناصر البشريَّة الَّا انهُ ما لبث ان تأكَّد بانَّ اولئك الاخوة خوَنة. وكان بين حاشية الملك جنرال لا يخفي عنهُ شيئًا من مقدَّمي الماسونيَّة اسمهُ ڤالراف. فهذا الاخ اطَّلع على بعض اسرار الدولة بخصوص استحكامات بلاد سيلاسيا فباع الاوراق السريَّة للنمسة عدوَّة الملك فردريك. واذ وقف الملك على خيانتهِ جمع محفل برلين وترأس الحفلة وخطب عن واجبات الماسون نحو وطنهم ثم قال: « انَّ احد الاخوة هنا قد حنث بأَيمانهِ وباع اسرار وطنه فاذا اقرَّ بذنبهِ غفرتُ لهُ امَّا اذا سكت فاني لا اعود رئيسًا لهذا المحفل حيث يوجد الخائن بل بصفة كوني ملكًا ادفعهُ لايدي الحكَّام ليقضوا عليهِ »

ثم سكت الملك وانتظَر ان يبوءَ الجنرال باثمهِ فلم يفعل. فحينئذٍ أقفل المحفل وبعد ان وضع المطرقة الماسونية على الهيكل خرج وتبعهُ الاخوة فالتفت الى الخائن وطلب منهُ سيفهُ ثم امر الحرس بتوقيفهِ ليُحاكم فحُكم عليهِ بالسجن المخلَّد فمات في

قلعة مكدبورج سنة ١٧٧٦ خاملًا مجهولًا

وقد خان ايضاً فردريكَ الكبير اخوهُ بالماسونية ڤولتير مرّةً فعلم الملك بخيانتهِ وامر الجلّاد بان يضربهُ ستين جلدةً يسلّم اليهِ الوصل بقبولها فتمّ الامر فعلًا

وقد رأينا في عهدنا مثل هذه الخيانات نحو الاوطان فتذكَّروا الضابطين اليهوديين دريفوس واولمو اللذين باعا اسرار الدولة الفرنسويّة لاعدائها. تذكَّروا فرّير وخيانتهُ لمكهِ. غير انَّ في زماننا لهؤلاء الخونة انصارًا من اخوتهم يحرّكون السماء والارض ليذكّوا الأثمة ويبرّروهم كما فعلوا في دعوى دريفوس الاثيم او ليستأنفوا دعواهم كما فعلوا بعد الحكم على فرّير. وقد رأينا في نفس بيروت قوماً من الاخوان لا يعرفون فرّير لا بالسمع ولا بالنظر ينتصرون لهُ امتثالًا لاوامر رؤساء الماسونيّة

وكما فكّك الماسون عرى الهيئة الاجتماعيّة الوثقى من جانب الحكم المدني كذلك نقضوا حبل العيشة الاهليّة بسنّ شرائع الطلاق وباضعاف السلطة الوالديّة في العائلة بتحريض الاولاد على نبذ اوامر الوالدين ونشر التعليم اللاديني واكراه الابوين على وضع اولادهم في المدارس الرسميّة المنافية للمذاهب

ولا يقولنَّ احد ان هذه السُّنن قد اشترعها النوّاب. نعم ان النوّاب قد صادقوا عليها علانيةً الّا انَّهم كانوا سبقوا وقرَّروها قبلًا في المحافل الماسونيَّة التي كان هؤلاء النوّاب من اعضائها فسعت الشيعة في تعيينهم للنيابة في مجلسي الامَّة والاعيان فحلفوا في مجتمعاتهم السريّة انَّهم يتَّبعون في التصويت إرادة الشرق الاعظم واذ قيّدوا نفوسهم باوامرهِ ونواهيهِ لم ينوبوا عن الامَّة بل عن الماسونية

هذا نظر اجمالي في غايات الماسونيَّة واعمالها لا يمكنّا ان نتَّسع فيهِ فمن اراد التفاصيل أحلناه الى كتابنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » الذي لم يردّ عليهِ حتى الآن احد من الشيعة الّا بعض فقَرات ظهرت في الجريدة الماسونيـة في الاسكندريّة وفصلين قصيرين في مجلّتين مصريّة فبيروتيّة وكلُّها تثبت كلامنا فضلًا من ان تنفيهُ اذ لم تجد جواباً غير الانكار دون سند وتعظيم الماسونية دون شاهد ثابت ولا نعدّ جواباً رسائل غفلًا من اسماء اصحابها وجَّهوها الينا شتماً وترهيباً

٣ اصل الماسونية وصفوة اعمالها الى يومنا

وكان بودّنا ان نبحث امامكم عن تاريخ الماسونية لتروا بدليل حسّي مزاعم

كتبتها الباطلة او بالحري اقاويلهم المتضاربة . فالاخ ايليَّا الحاج يروي عن شيوخهِ في الماسونيَّة ان الماسون «جماعة من اليسوعيين الانكليز في بريطانيا» وروى الاخ جرجي زيدان « انَّها نشأت في القرن السابع عشر وانَّها هي جمعيَّة الصليب الوردي . ومنهم من اوصلها الى الحروب الصليبيَّة وطائفة الهيكليين وآخرون تتبَّعوها الى ايَّام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد . وفي الاسرار الخفيَّة في الجمعيَّة الماسونيَّة (ص ١٠٣) : « انَّ سليمان الحكيم هو اوَّل معلّم اعظم في الماسونية » . الى ان قال الاخ زيدان : « وبالغ آخرون في انَّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انَّ الله سبحانهُ وتعالى اسَّسها في جنَّة عدن وانَّ الجنَّة كانت اوَّل محفل ماسوني وميخائيل رئيس الملائكة كان اوَّل استاذ اعظم فيهِ »

كل هذا ننقلهُ بحرفهِ من الكتب الماسونية فما رأيكم أيها السادة الكرام بمثل هذه السفاسف أترون انَّ جماعةً يلفِّقون على الناس هذه التلفيقات يستحقُّون ان يُحلَّ كلامهم محلَّ الاعتبار ؟ لا اظنّ . والمقرَّر الثابت اليوم بعد الابحاث التي اصدرها في المانية المؤرخ الشهير هرمان غروبر انَّ الجمعيَّة الماسونية أُنشئت في ٢٤ حزيران سنة ١٧١٧ في لندن عاصمة الانكليز ثم وضعت الدستور الماسوني كما هو معروف اليوم في اواخر كانون الاوَّل سنة ١٧٢٢ فصادق عليهِ المحفل الاكبر ونُشر في شباط من السنة التالية . وبعد قليل انحاز اليها ملوك انكلترَّة اذ وجدوا في الماسونية مُساعدًا قويًّا على تنكيس الدول الكاثوليكيَّة

نعم قد سبقت هذه الجمعيَّةَ جمعيَّاتٌ سرّيَّة غيرها الَّا انهُ لا علاقة بينها وبين الشيعة الماسونية الحديثة وان وُجد بينها بعض التشابه في طرائقها بل اخذت عنها شيئاً من طقوسها وعاداتها . كذلك لا علاقة بينها وبين جمعيَّات البنَّائين الذين كانوا اتَّخذوا لهم نقابات ليساعدوا بعضهم في الاشغال فانَّ شبه الاسم بعيد عن شبه العمل وشبه الغاية لانَّ تلك الجمعيَّات كانت تحت نظارة الكنيسة فاذا دخلها احد اعلن بايمانهِ ومعتقدهِ . ولا نجد في قوانينها شيئاً سرّيًّا

ولنا دليل آخر على ان الماسونية الحالية أُنشئت في ذلك العهد وهو ان المحافل المنبثة اليوم في كل انحاء العالم كلها تنتسب الى شروق عظمى تنتهي آخرًا بالتوالي الى الشرق الانكليزي المنشأ سنة ١٧١٧

فها انهُ قد مرّ على الماسونية نحو ٢٠٠ سنة ومحافلهـا تنيف على ثلاثة وعشرين الف محفل واعضاؤها مليونان بنيف فنرجوها ان تُطلعنا على مآثرها في هـذه المدّة. تدّعي انها « وُضعت لجمع شمل العناصر البشرية ضمن سياج الانسانية » فلدينـا نشراتُها ولدينا كتابات ذويها السرّيّة فمهما تصفحناها لا نرى ذكرًا لوفاق او اشارة الى عمل اجتماعي ازالت فيـهِ الماسونية بمساعيها النفور والخصام بين الشعوب او بين الافراد او انَّها ابطلت حربًا او جبرت كسرًا. وعلى خلاف ذلك فان الشواهد المتعدّدة التي جمعها العلماء تثبت بلا مراء انَّ الماسونية فرّقت ولم تجمع زادت الصدع كسرًا ولم تجبره وذلك حتى بين اصحابها. فكلّكم سمعتم مـا جرى من المنازعات بين اعضاء المحافل الماسونية الوطنيَّة التي سُمع صداها حتى في الجرائد العمومية وكذلك طُبعت الاحتجاجات التي نشرتها محافـل الاستانة في حقّ ادريس بك راغب واصحابهِ كما طنطنت جرائد مصر كالمقطم والاهرام بذكر الانقسامات والمشاحنات التي جرت بين المحافل المصريّة

٤ نتيجة البحث

افلا يحقّ لنا بعد ذلك ان نستنتج من هذه الاعمال والاقوال ان الماسونية جماعة فاسدة في غايتها وفي تأليفهـا وفي الوسائط التي تتوسل بها لبلوغ غايتها. اولا يجب علينا ان نستحلف اهل بلادنا الذين انخدعوا بها ان ينفصلوا عنها وعلى ظننا انَّ تسعة اعشارهم دخلوها دون ان يعلموا حقيقتها ومنهم من جاهروا بلعنها بعد ان عرفوها

وقد سبقهم اكابر رجال الدين وارباب الدول المنظمة في رذل هذه الشيعة وكان في مقدَّمتهم اولئك الاحبار الاعظمون الذين اذ عرفوا شيوع هذه الجمعية الماسونية اسرعوا الى شذبها وضربوا بالحرم من ينضوي اليها وذلك بعد ظهورها بزمن قليـل فلدينا نحو عشرين براءة كتبها الاحبار الرومانيون في هذا الامر. واذ عرف المجمع المقدَّس ان الشيعة الماسونية نفثت سمها في هذه البلاد منذ ١١٥ سنة بادروا الى تنبيه نصارى الشرق الى امرها فتقدَّم المجمع بترجمة براءة البابا بندكتوس الرابع عشر في مناهضة الماسونيَّة ثمَّ عُني بنشرها في ثلث لغات اليونانية والارمنية والعربية وكفى بهِ شاهدًا على سهر الكنيسة على اولادها لئـلّا يصابوا بهذا الداء العياء.

وقد جمعنا في كتابنا السرّ المصون اقوال السادة البطاركة الاجلاء والاساقفة الجزيلي

الاحترام والكهنة الافاضل مع اقوال ائمة المسلمين والبروتستانت وغيرهم وكلهم يتفقون على كشف دسائس الماسونيَّة والتحذير من شرّها

وكما قام ارباب الدين لمناهضتها ترى ايضاً كل الدول الحريصة على بقائها حذَّرت من هذا المصاب. وقد روينا هناك سنن ٢٣ دولة من جملتها دولتنا العليَّة منذ ١٦٠ سنة تنهى رعاياها عن التشيع في الماسونيَّـة تحت طائلة العقاب وقد جدَّدت دولتنا هذا النهي لمَّا ورد في العام الماضي الامر باقفال المحافل الماسونية في انحاء تركيا. فلا يبقى لنا بعد هذا الشرح الَّا ان نكرّر على مسامعكم بعض ما ختم بهِ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر براءتهُ المفعمة حكمةً وصلاحاً التي اصدرها عن الشيعة الماسونية سنة ١٨٨٤ قال:

واما انتم ايها الاخوة المحترمون فنسألكم ونطلب اليكم ان تساعدونا وتنفقوا غاية مجهودكم في محو شأفة هذا الفساد المهلك الذي قد دبَّت عقاربهُ الى جميع عروق الاجتماع الانساني فعليكم ان تذبُّوا عن مجد الله وخلاص القريب اللذين متى قصدتم الدفاع عنهما لا ينقصكم فيهِ لا الشجاعة ولا القوة. وقد وكلنا الى حكمتكم ان تختاروا ما ترونهُ ملائماً من الوسائل الفعَّالة لازالة ما يعترضكم من الموانع — الَّا انهُ لمَّا كان يناسب سلطان وظيفتنا ان نبيّن بعض الوسائل الملائمة في هذا المقام فأوَّلاً عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة المسونيَّة ليراها الناس كما هي وان تعلّموا الشعوب وتنبهوهم بالخطَب الشفاهيـة او بالرسائل الرعائية الى مكايد مثل هذه الجمعيات في موالساتهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم وان تبينوا لهم ما أقرَّهُ سلفاؤنا غير مرةٍ من انهُ لا يباح لاحدٍ ولا لاية علَّةٍ ان يتحيَّز الى شيعة المسونيين اذا كان للدين الكاثوليكي وخلاصهِ عنده من منزلة الاعتبار والاهميَّة ما يجب ان يكون. وليحذر كلٌّ منهم ان يغترَّ بالادب الظاهريّ. فقد يظهر للبعض ان المسونيين لا يلتمسون شيئاً ممَّا يضاد بالوجه الصريح قداسة الدين والآداب الاَّ انهُ لمَّا كانت حقيقة هذه الشيعة وغايتها مبنيَّتين على الفساد والرداءة فلا يمكن ان يُباح لهم التحيُّز اليها ومظاهرتهم لها بنحوٍ من الانحاء

ثم اشار البابا الى وسائل أُخرى الى ان قال:

فعليكم ان ترشدوا الآباء والمرشدين الروحيين وكهنة الرعايا ان لا يملُّوا في اثناء شرحهم التعليم المسيحي ان ينبهوا بالطريقة الملائمة الأحداث والتلاميـذ الى فساد طبيعة هذه الجمعيَّات وان يعلموهم منذ حداثتهم ان يتحرزوا من حبائل المكر المختلفة التي اعتاد اصحابها ان ينصبوها اخذاً للناس بها

فما بقي علينا بعد هـذا الَّا ان نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت راعي رُعاة

النفوس طالبين الى الله ان يرشد كل اهل الاوطان الى ما فيهِ خير العباد وصلاح البلاد فانهُ اسمع السامعين

حلب الشهباء ومجلَّة المقتبس

لحضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

في الصيف المنقضي زار صاحب المقتبس اللوذعي حلب الشهباء فكتب في تاريخها المدني وجغرافيتها السياسيَّة والصناعية والتجاريَّة وحالتها العمرانيـة والاجتماعية والادبية فصولًا سابغة الذيول نشرهـا ولاءً تباعاً في الاجزاء الاخيرة من السنة السادسة من مجلتهِ الزاهرة فجاءت خير برهـان على وفرة ادبهِ وسعة اطلاعهِ فحُقَّ لهُ مزيد الثناء على ما عاناه من الكد والنصب في ما دبَّجهُ يراعهُ السيَّال من تلك الطرائف الرائعة والحقائق الناضرة

وقد امعن في البحث واكثر من النقول الَّا في اشياء ارسلهـا على علَّاتها واثبتها كما رآها في كتب القدماء شأن الراحل او المسافر الذي يصف ما يشاهده ويروي ما يمرّ بخاطرهِ دون ان يتسنى لهُ تمييز الغثّ من السمين وبيان الخطأ من الصواب في ما يدوّنهُ في اسفاره من الانباء والآثار تاركاً لمن خفَّت عن نفسهِ مؤونة السعي ان يتعمَّق على هينتهِ ما شاء في مثل تلك الاغراض والمباحث وما انا من يمهّد لهُ العذر فعذرهُ ظاهر ولا من يتعقبهُ فيما اتى بهِ فلعلهُ على صواب ولعلي على خطأ وانما اتلمس الحقيقة فيما اثبت وانفي والحقيقة بنت البحث كما لا يخفى

بنو حام

قال في الصفحة ٦٢٧ : « اوَّل من استوطن بقعة حلب بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر » — وقد اصاب في بعض قولهِ الاول ولكنهُ اخطأ في الثاني فان مساكن بني حام معروفة لا خلاف عليها فبنو كوش امتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر وذرية مصرائيم قد توطنت مصر ونسل فوط قد سكن شطوط افريقية الشمالية على قول البعض او بعض اليمن

والسومال على قول آخرين. وبنو كنعان اهلت بهم سهول سوريَّة الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين وهو ما يُستفاد من الكتاب الكريم

فرقة الكيتا

وفي تلك الصفحة: «قد كانت فرقة (من بني حام) فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب» — جرى الكاتب في لفظ الكيتا على التعريب الحرفي عن اللغات الافرنجيَّة والاقرب الى اللغات العبرانية والمصرية والاشوريَّة تعريبهُ لهُ بالحتا او الحيتا وهم الحثيون ابناء حثّ بن كنعان بن حام بن نوح. و كانوا (يعدُّون تخوم بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينهـا حرب على عهد رعمسيس الثاني. وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من اسيا الصغرى) على مـا رواه المقتبس نفسهُ (٦ : ٦٨٠) اقرأ ايضاً مجلة المشرق ٩ : ١١٢٦ وما يليها)

ابراهيم الخليل

وفي الصفحة نفسها: «وسكن حلب ابراهيم الخليل» — وهو ما ذهب اليهِ بعض كتبة العرب كما يذهب آخرون منهم الى انهُ عليهِ السلام قـد قطن في بعلبك وملك في دمشق الشام وسواهما وكلا المذهبين على حد ما يذهب اليهِ كتبة العرب انفسهم في مدفن النبي داود من انهُ في جبل صهيون وبيت لحم وبلاد البقاع وقرية مشحلا من اعمال حلب وفي مدفن ابنهِ سليمان من انهُ في كنيسة الجسمانية وباب الصخرة وبيت لحم وجزيرة اندمان غربي الهنـد الصينية وغير ذلك. ومهما يكُ من الامر فليس في الكتاب العزيز ما يدعم ذلك المذهب في استيطان ابراهيم في حلب ومن المحتمل ان يكون مرَّ بها عند رحيلهِ الى ارض الكنعانيين ولكنهُ غير قطعي

بنو آرام

وفيها ايضاً: «ثم جاء بعدهُ بنو ارام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك البقعة» — لا ادري الى ما يستند في قولهِ ان آرام ابنُ لوط والمشهور المتعارف ان آرامَ ابنُ سام ولوطاً ابنُ هاران . . بن ارفكشاد ابنُ سام وهو جد الموابيين والعمونيين وارامُ جد الاراميين الذين عمروا دمشق واعمالها وتغلغلوا منذ الزمن الاطول في انحاء سورية

الشمالية ومنها حلب. ولما انقرضت الدولة الحثية عادت دولة الاراميين الى الظهور في تلك الجهات الى ان تغلّب عليها اليونان في عهد الاسكندر المكدوني وهو الذي اجمع عليهِ المؤرخون القدماء والحدثاء استناداً الى اشهر الآثار القديمة وبهِ غنى لذوي الالباب

مملكة ارام

وفي صفحة ٦٢٨: «وقسموها (اي مملكة الاراميين) الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة ارام... والثانية المملكة الشامية.. والثالثة مملكة ارام صوبا» - ولا ريب في ان الكتاب العزيز سمى سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام على انهُ اضاف اسم ارام الى اعمال عديـدة فقال ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا (وهي التي سبق ذكرها) وارام معكة يراد بها فيما يظهر بلاد حاصبيا ومرجعيون وبانياس. وارام رحوب ويظهر انها كانت في محلّ الجولان الان. ذلك كل ما ذكرهُ الكتاب المقدَّس وعليه المعول عند العلماء الاثبات

ارام صوبا

وفيها ما حرفهُ: «والثالثة ارام صوبا وهي الجُبول من ضاحية حلب وما قرب منها» - والذي عليهِ العلماء انها سوريّة المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماة شمالاً وعلى ذلك ادلة. منها ان توعي ملك حماة حارب هدد ملك صوبة. ومنها ان ارامي دمشق اتوا لنجدة هدد على داود عند حربهِ لهُ ومنها ما جاء في سفر اخبار الأيام الاول ١٨: ٣) وهو بحرفهِ: (وضرب داود هدد عازا ملك صوبة في حماة) اي في جوار حماة فمجاورة مملكة هـدد لدمشق من جهة وحماة من اخرى وغزوتهُ في نواحي الفرات التي حاربهُ داود الملك بسببها يدلّ صريحاً على ان مملكتهُ كانت حيث ذُكر آنفاً فتامل

العمالقة والكيتا

وفيها ما نصهُ: «ويقولون انها (حلب) من بناء العمالقة بدليـل الكتابة التي وجدت على (جدار)... جامع القيقـان... مكتوبة بالخطّ الهيروغليفي بلغة الكيتا». والكتابة بلغة الكيتا او الحتا (اي الحثيين) لا ريب فيها ولكن من اين استولى منها بيشوف الذي اخذ عنهُ المقتبس على ان حلب من بنـاء العمالقة

والكتابات الحثية لا تزال رموزاً يعتاص حلها على العلماء حتى الآن فسقوط الدليل يسقط معهُ ما استُدلَّ بهِ عليهِ كما لا يخفى. واطلاق الحثيين على العمالقة لا يخلو من خلط ومجازفة لان الحثيين من اصل حامي هو حث بن كنعان واما العمالقة فقال فيهم لنرومان الشهير انهُ يظهر من اقدم التقليدات العربية انهم من ذرّيّة ارام ولوديم فهم من اصلين حامي وسامي. ويظهر ايضاً من الكتاب المبين انهم كانوا يعمرون جنوبي سوريّة وهو المقرَّر المعلوم

الكيتا والحماتيون

وفي تلك الصفحة: « ان كتابة . . . الحجر الاسود مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحماتيين » — ومن الثابت المؤكد ان الشعبين من اصل واحد هو كنعان ابن حام ولكن الاوَّل غير الثاني والاول هو شعب الحتا او الحثيين وقد سبق ذكرهم مراراً واما الثاني فهو قبيلة الحمثي او الحماتيين التي نزلت على ضفَّة العاصي واسست مدينة حماة وسمَّتها باسمها وهو ما يقولهُ علماء الانساب والتاريخ. والذي يلوح لي ان بيشوف الجرماني عرَّب (في تاريخ حلب ص ٣—٥) اسم الحثيين تعريباً حرفياً (بالكيتا او الحاتيتيين) فجعلها جامع كتابهِ (الكيتا او الحماتيتيين) فصحَّحها صاحب المقتبس (بالكيتا او الحماتيين) فتبصَّر وتدبر

هلبة وهلبون

وفي الصفحة نفسها: « وكان اسم حلب بلغتهم (اي بلغت الحثيين) هلبون وهلبة » — من المعروف ان الحاء والخاء لا وجود لهما في بعض اللغات الافرنجية فيستعاض عنهما بما قرب منهما مخرجاً من حروفها فلما نقلهما المصحح عن بيشوف السابق الذكر رسمهما بالهاء جرياً على عادتهِ في التعريب الحرفي المستهجن والَّا فحلب لم تُسمَّ في وقتٍ من الاوقات بمثل هذا الاسم المشوَّه المنكر وانما سماها الاراميون على رأي البعض (حلبون) وسماها المصريون القدماء (خلبو) فصحفوا المصحح (بهلبون وهلبة) كما هو ظاهر. راجع ما شئت من كتب الجغرافية والتاريخ

فراعنة مصر

وفيها ايضاً: « اتى ملوك الفراعنة . . . وحاربوهم (الحثيين) وملكوها (حلب) منهم وهم توتمس الاوَّل وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاوَّل » . (الصواب تحوتمس

الثالث وسِتي الاول ورعمسيس الثاني) وهم من ملوك الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمصر وكل خبير يعلم ان في عصر الدولة الاولى ابتداء اعنات بني اسرائيل وفي عهد الثانية كان خروجهم من مصر فلا ادري كيف يقول بعده « وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة الاف سنة » والصواب بالف وخمس مئة سنة الى الفي سنة على الكثير ولا اخال تأسيس حلب يتعدَّى الالفي سنة قبل ميلاد السيد المسيح (لهُ المجد)

ملوك بابل

وفيها بعده : « واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين (كذا) وملكوها (حلب) وذلك قبل التاريخ المسيحي بستمائة وستين سنة » — وهو يريد ملوك اشور كما هو المعروف المقرَّر وفي الآثار الاشورية ان تجلت فلاصر الاول وكان سنة ١١٣٠ او سنة ١١٢٠ ق م قد حمل على سورية فافتتحها عنوة واخضعها لسلطتهِ . وجاء بعدهُ بعض خلفائهِ على عرش نينوى مثل اشور نسربال الذي ملك سنة ٨٨٣ ق م وسلمناصر الثالث الذي استوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ق م فاغارا على سورية وامتلكا بلادها وكل هؤلاء غشوا سورية قبل الزمن الذي عينهُ الكاتب بقرون كما هو ظاهر

سلمناصر الرابع

وفيها ايضاً : وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب شلمناصر الرابع الحماتيين وملك حلب في جملة ما ملك من البلاد » — ومن هذا يظهر ان الكاتب يريد الحثيين على ما سبقت الاشارة اليهِ . ولكني لا ادري من يريد بهذا سلمناصر الذي نعتهُ بالرابع مع انهُ في التاريخ الذي عيَّنهُ الكاتب كان المالك اشور نسربال الذي ملك من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اقرَّ العلامة لنرمان في تاريخهِ (ج ٤ ص ٢١١) انهُ لم يحمل على سورية من ملوك اشور بعد سلمناصر الثالث سوى حفيدهِ رمان الثالث وخلفهُ تجلت فلاصر الثاني الذي ارتقى عرش نينوي سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ ق م

الروم واليونان

وفيها بعده : « جاء الاسكندر واخذها (حلب) . . . فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خلبه ولما حولها خلبن . . . وكانوا يقولون لها برويا . . . ولعلها

عربية من قولهم بربري» —ففي قولهِ « الروم اليونانيين » تسامُح ظاهر وهؤلاء سبقوا اولئك في امتلاك حلب كما هو معروف. واماً خلبه وخلبن فقد اتفق ناقلوها على تعريبها بكالب وكالبون ولا بأس من تعريبها خالب وخالبون وهي ترجمة (حلبون) باللغة اليونانية. واماً بروبا فالصواب فيها بروًا او بيروًا وبهذا رسمها كل من ذكرها. واماً قولهُ انها عربيَّة من البربري فهو مثل سواه من توجيهات العرب فيما حاولوا ان يجدوا لهُ اصلًا في اللغة العربية من الالفاظ الاعجمية العديدة

حلب والروم

وفيها اخيرًا: « ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سوريَّة وانطاكية » — وهو قول لا يخلو من مجازفة ومهما يكُ منهُ فان حلب كانت في عهد الروم من اعمال قورستيكا التي كانت قاعدتها قورس او قورش وهو الذي ذكرهُ الجغرافيون فاعتمدهُ

انوشروان

وفي ص ٦٣٠ : «جدد كيرويس الشرواني ما انهدم من سور حلب» —والصواب « كسرى انوشروان » وبهِ رسمهُ مؤرخو العرب وبهم يجب الاقتداء في كتابة الاعلام وسواها كما لا يخفى

اسم خاليس

وفي ص٦٣٢ : « واسم (نهر) قويق القديم شالوس. عن سالنامة ولاية حلب » — والصواب (خاليس) وقد ذكرهُ كزينفون اليوناني وبهذا عربهُ كل من ذكرهُ من الكتَّاب

اسم قويق

وفيها ما حرفهُ: « وسبب تسميتهِ (النهر) بقويق ان رجلًا من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع اسمهُ قويق اغا انشأ لهذا النهر عدَّة سدود ليجري جريةً حسنة فأُطلق اسمهُ على النهر من ذاك الحين » — وهو ما رواه البعض واعتمد عليهِ آخرون ولكني في ريب من صحَّتهِ لا لان التركمان ما استطاعوا اذ ذاك ان يتولوا حلب حتى يجروا فيها مثل هذه الاصلاحات التي هي من خصائص الهيئة الحاكمة بل لان مثل

ابن الطيب السرخسي الشهير يذكرهُ بهذا الاسم في رحلتهِ سنة ٢٧١ ﻫ (٨٨٤ م)
اي قبل القرن الرابع وعندي ان لتسمية النهر بهذا الاسم سبباً آخر واسمهُ ليس
بكردي ولا عربي فتأمل

عما لاغما

وفي ص ٧٠٣ : «كفر غما (؟) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب» — في
حين انهُ كرره ُفي ص ٨٠١ فقال : كفرعما صقع في برية خساف بين بالس وحلب ·
وهو الذي يقولهُ اصحاب الجغرافية والمعاجم

فاميا وابيفانيا

وفي ص ٧٤٣ ذكر عن حماة : « انهُ ربما كان انطوخيوس ابيفان هو الذي سماها
(ابفانيا) · · · ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة · · · بل قالوا ان فامية
هي مدينة قديمة » — قلتُ ليس صاحب المقتبس اول من شُبّه عليهِ اسم حماة اليوناني
بافامية فقد شُبه على كثيرين من قبلهِ من كتَّاب الفرنجة والعرب والسريان · واول
من كشف الغطاء عن حقيقة هذا العلَم انما هو الرحالة بورخردت الشهير فتبعهُ العلماء
الاثبات (المشرق ٦ : ٥٥٣) وهو الصواب فان فامية او افامية (قلعة المضيق)
واقعة في الشمال الشرقي من حماة وكانت في عهد العرب من كورة حمص (انظر
المقتبس نفسهُ ٦ : ٦٩٠ و٦٩١) وقد انتبه صاحبهُ لذلك في عدد مجلتهِ الاخير (٧ :
٢٢٩ فقال : « افامية غير حماة » وهو الصواب

· · ·

هذا وقد اكثر من النقول عن جغرافيي العرب في بلاد عديدة دون ان يحقق
اسماءها او يذكر من احوالها الحديثة شيئاً فبقي فيها اشياء لغوية وجغرافية لا سبيل
الى تحقيقها الان آملًا ان لا يبدو لهُ كلامي في غير لونهِ من الاخلاص وفوق كل
ذي علم عليم



من المهد الى اللحد

للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كليّتنا

على صفحات العمر خطّت يدُ الدهرِ عظاتٍ لذي الذكرى تُسطَّرُ بالتبرِ
عرفتُ بها سرَّ الحياة وكُنهَهَا وما تحتوي الدنيا من الحلو والمرِّ
فما العُمر الّا مَرحلاتٌ نَجوزهـا على الشوكِ احياناً وحيناً على الزهرِ
تَشيد لنا الآمالُ برجَ سعادةٍ فتنسفهُ الأيَّامُ بالنُّوَب الحُمرِ
هو العمرُ ادوارٌ فاوَّلهُ الحشى وآخرهُ حتفٌ يسوقُ الى القبرِ
وفي كل دورٍ للشقاوة غارةٌ تغيِّبُها الاحلامُ عن مُقلةِ الفكرِ

الطفل

ومهدٍ بهِ نام الصغيرُ مقمَّطاً كاني بهِ العصفورُ يرقد في الوكرِ
يريدُ حراكاً والقماطُ يصدُّهُ فيلبثُ مغلولَ اليدَينِ على قسرِ
وليس لهُ شكوى سوى عبَراتهِ فتنثرُها عيناهُ درًّا على النحرِ
ترى امَّهُ تهفو اليهِ اذا بكى وفي فكرها البلبالُ يلذعُ كالجمرِ
اذا هزَّ صوتُ الطفل مهجةَ امّهِ فبرقُ الهوى ما بين قلبَيهما يجري
لأنَّاتهِ في صدرها ابدًا صدًى اذا أنَّ خلتَ السهمَ أُثبتَ في الصدرِ
وان هبَّ يشدو في السرير ترنَّحت سرورًا وهزَّت عطفها سورةُ البِشرِ
تُناغيهِ نَشوى من ملامح وجههِ فيصغي الى انغامها باسمَ الثغرِ
وتُنشدهُ شعرَ الهوى فيعيدُهُ بلهجتهِ العجماء شعرًا من السحرِ
فكم ليلةٍ أَحيت الى جنب مهدهِ تنظِّمُ عقدَ الدرِّ من دمعهِ الدُّرّي
بمرآهُ يغدو السُّهْدُ اشهى من الكرى اليها وجنحُ الليل ازهى من الفجرِ
وان غابَ عن ابصارها شُقَّ قلبُها بسيفِ النَّوى شطرَينِ شطرًا على شطرِ
على انهُ في مهجة القلب نازلٌ وفي مُقلتَيها ماثلٌ ابدَ الدهرِ
تراهُ بمرآةِ الغرامِ كأنَّهُ اخو البدر او ابهى ضياء من البدرِ
وتسبحُ في جوِّ التفاؤل والمُنى فتبني لهُ برجاً على هامةِ النَّسرِ

تقول متى مـا شبَّ طفلي يجول في سماء المعالي تحت ألويةِ النَّصرِ
وطورًا تخالُ الدهرَ ينضو حُسامَهُ على غصنهِ الميَّاس في زهرة العمرِ
فينخرُ سوسُ الهمِّ جذعَ فؤادِها ويقذفُ من حوليهِ موجًا من الذُّعرِ
لذلك لا تنفكُّ ترعاهُ عينُهـا لتحرسهُ طولَ الزمانِ من الضَّرِّ
ألا ان عيشَ الامّ مُرٌّ مذاقـهُ وعيش ابنِها في المهدِ ضربٌ من الاسرِ

الصبا

اذا بلغ الطفـلُ الصِّبا مالَ قلبـهُ الى اللهو ميلَ الشَّهم للمجد والفخرِ
يُكبُّ على الالعاب طولَ نهارهِ كإكبابِ عُشَّاقِ الثراء على الصُّفرِ
وقد فاتهُ ما في كِنانةِ دهرهِ من الشؤم والأسواء والجور والغدرِ

ويوم بهِ طابت عن الناس مهجتي فلم أرَ للسلوى سبيلًا سوى القَفرِ
خرجتُ وفي صدري الهمومُ كأنَّها جبالٌ من الظلماء قامت على صدري
فمذ اشرفت عيني على زهرةِ الرُّبى وقد كلَّلتهـا بالجمانِ يدُ القطرِ
رأيتُ جيوشَ البِشرِ شدَّت على الاسى فلم تُبقِ للاتراح في الصدر من إثرِ
هنالكَ نهرٌ تعقـدُ الريحُ فوقهُ زُرودَ لُجَينٍ او سلاسلَ من درِّ
على ضفَّتَيهِ الدوحُ مدَّت ظلالهـا لها نفَحاتٌ دونها عبقُ العطرِ
تمهدتُ بُسطَ العشبِ يطرب مسمعي طيورُ الرُّبى تشدو على نغمِ النهرِ
اذا بفَراشٍ مرَّ يعـدو وراءهُ صبيٌّ ذكت في خدهِ جُذوةُ الحرِّ
فلم يرَ غـيرَ الدوح من ملجإٍ لهُ فلاذ بها عيَّانَ من شدةِ الكرِّ
وما انفـكَّ ذيَّاكَ الصبيُّ ملاحقًا طريدتَـهُ الحسرى فتركنُ للفرِّ
الى ان تولَّاهُ القنوطُ فكفَّ عن لِحاقِ فراشٍ ما جنى قطُّ من وزرِ
فلمَّا انجلى همُّ الفراش هوى على م الازاهرِ يُحيي النفسَ من عرفها العطري
لقد حان من ذاكَ الصبيِّ التفاتةٌ فابصر غلَّا ساحبًا حبَّـةَ البُرِّ
فالقى عليهِ القبضَ ظُلمًا وعَنوَةً وجرَّدهُ ممَّا حواهُ من الذُّخرِ
فقلتُ بنفسي هذهِ صورةُ الذي يُذيقُ الورى صابَ المظالمِ والقهرِ
وقد غاب عن ابصارهِ أنَّ ربَّهُ يجازيه اضعافًا على الظلمِ والشرِّ
فمن ينصبِ الاشراكَ للطير في الصبا فان شبَّ ينصبْ للورى شركَ المكرِ

وَمَن يظلمِ الانسان يوماً لضعفهِ ... يُداس عذابَ الوُرقِ في مِنسرِ الصَّقرِ
يخوض الفتى بحر اللذَّات غافـلًا ... كأني بهِ في مأمنٍ من شبا العُسرِ
ويُطلق طرفَ القلبِ في ساحة الهوى ... فيكبو بهِ في وهدةِ الذلّ والمكرِ
فيا خائضاً بحر الملاهي منعَّماً ... حذارِ من الانواء في المدّ والجزرِ
ويا وانياً قُم من سُباتك واقتبسْ ... من الطير درساً لست تلقاهُ في سِفرِ
ألستَ ترى العصفور يغـدو لقوتهِ ... ويحرزهُ بالكدّ خوفاً من الفقرِ
كذلك تلقى النمـلَ يجمع ذُخرَهُ ... ليقضيَ فصلَ العُسرِ في جنَّة اليُسرِ
وما النهر الّا صورة العمر فاعتبرْ ... حياتك مثلَ النهر يجري الى البحرِ
الّا إنَّ ايَّام الصبوَّةِ حُلوةٌ ... ولكنما العقبى امرٌّ من الصَّبرِ

الطالب

لقـد شاقني ذكر العلوم فساقني ... الى معهدٍ يسبي بآدابهِ الغُرّ
فشاهدت تلميذًا امام معلّمٍ ... يقلِّبُ كرَّاساً تلطَّخ بالحـبرِ
يديرُ بهِ الالحاظَ لكنَّ فكرَهُ ... يسابق خيلَ العُربِ في العدوِ والحضرِ
يجوبُ بلادَ اللهِ وهو مقيَّـدٌ ... فينزلُ في قُطرٍ ويرحلُ عن قُطرِ
يظنُّ مغـاني العلم سجناً لنفسهِ ... وسجَّانهُ الاستاذُ ذو النهيِ والامرِ
يحاولُ ان ينحلَّ من قيـد أسرهِ ... ويحسد طيرًا سابحًا في فضا البرّ
متى حلّ ميعادُ السباقِ رأيتـهُ ... يقلّبُ الحـاظًا لينسخَ في السرّ
فإنْ فاز في الفحص الكتابيّ بالمُنى ... فما هو في الفحص الشفاهيّ ذو قَدرِ
وإنَّ لهُ من أعيُنِ الناس أسهُماً ... من الهزء يُدمي نصلُها مهجةَ الحُرّ
ألا اصلح اللهُ الكسالى فانَّهم ... يذوقون اسواءً تندُّ عن الحصرِ
وبارِكَ في اهـل النشاط فانَّهم ... سيبدون في الاوطان كالانجم الزُّهرِ
ترى الطالبَ النهَّاضَ يُعمل فكرهُ ... ليدركَ شأوَ المجد في ساحة الخُبرِ
ولا ينثني عن باحةِ الجدّ لحظـةً ... ليكسبَ حمدًا في الملا عابقَ النَّشرِ
يؤمُّ رياضَ العلم يجني ثمارَهـا ... ويقطف زهر السعدِ من غُصنها النَّضرِ
وينكبُّ ظمآناً على مشرع الهدى ... كإكبابِ حرَّانِ الفؤادِ على الغمرِ
ألا انَّ اهل الجهل يخبث ذكرُهم ... وذا العلم عبَّاقُ المحامدِ والذكرِ

فايّاك ان ترضى لنفسك بالعمى فصاحبهُ ميتٌ وإن عاش للحشرِ
وغذِّ النُّهى بالعلمِ والقلبَ بالتُّقى فتظفرَ في الدارَينِ بالسعد والأجرِ

الشبيبة

نظرتُ الى اهل الشبيبة نظرةً تجلّت بها شمسُ الحقائق في فكري
لهم عزّةٌ قعساء تأبى صغارةً وهمّتهم من دونها همّة النسرِ
يغوصون في بحر المفاخر جُهدَهم ليستخرجوا درّ المعالي من القَعْرِ
أُسودٌ أُباةُ الضيم في ساحة الوغى تَقُدُّ مواضي عزمهم مهجة الصخرِ
وتحسبهم في السِلم وُرقًا سواجعاً على فنَنِ الاشواق في روضة الطُّهرِ
يذودون عن حَوضِ الفضائل عمرَهم ويحمون وِردَ الدين من كدَر الكفرِ
واوطانُهم ان يستباح ذمارُها يحامون عنها بالمثقّفةِ السُّمْرِ
أرى الموت في خير البلاد غنيمةً ففي عزّها عزّي وفي فخرها فخري
احاربُ عنها باليراع مناضلًا وإن مسَّت الحاجات بالقُضب البترِ
ادافع عنها ما حييتُ وان أَمُتْ فحبُّ بلادي لا يغيّبهُ قبري
عليك سلامُ اللهِ يا خيرَ موطنٍ وزانكَ ربُّ العرشِ بالحلل الخضرِ
اذا ثملت بالخمرِ أفئدةُ الورى فذكرُكَ احلى في فؤادي من الخمرِ
وان تاهتِ الدنيا بوشْيِ ربيعها فانت ربيع الروح والقلبِ والفكرِ
ألا ان ادوار الحياةِ عديدة ولكن ربيعُ العمر من غُرَرِ العمرِ

سليم ابو رزق

الكهولة

رعَى الله اعلامَ الحصافةِ والخُبرِ وصان رجالَ الحزم من عُصبِ الغدرِ
وحيًا مغاويرَ الحروب تحيّـةً تردِّدها يومَ الوغى أُسدُ الخِدرِ
هم عدّةُ الاوطان يحمون عزَّها ببأس على حدّ الظُّبى ابدًا يجري
ولا نالت الجُلَّى الكهولَ فانّهم ليَجنون زَهر الرُّشد من فنن الخُبرِ
لهم عزمةُ الفتيان لكنَّ قلبهم بصيرٌ بأخلاق الورى عاركُ الدهرِ
فلا تستفزُّ المطرباتُ قلوبَهم وليسوا اوان اللّهو كالخود في الخدرِ
فهُم بين حدّي حدّةٍ ورزانةٍ فما همُ اطوادٌ ولا ثملو خمرِ
اذا رُزق الكهلُ البنينَ غذاهمُ بآدابهِ الحسنى واخلاقه الغرِّ

يُلقّنهم في المهدِ حبَّ بلادهم ويجعلهم من معشر السَّوء في حِجْرِ
ويحجب عن اسماعهم كلَّ لفظةٍ تُؤدّي بهم يوماً الى هوّة الوزرِ
ويُبعد عن ابصارهم كلَّ مشهدٍ يثبت في الاذهان جرثومة الشرِّ
فلا تسمع الآذان الّا نصائحاً ولا تقعُ الانظارُ الّا على الطهرِ
اذا اعوجَّ خُلقٌ فيهم هبَّ مسرعاً يُثقّفهُ غضاً فينجو من الكسرِ
وإن علّةٌ شنَّت عليهم غارةً يعالجها حتى تُقَدَّ من الجَذرِ
فليس يغضّ الطَّرف عنهمُ لحظةً مخافة أن تصطادهم عصبةُ المكرِ
اذا بدرت منهم بوادرُ حدّةٍ يؤدّبهم باللحظ لا الضربِ والهُجرِ
فلحظته امضى من السيف عندهم وهيبتهُ تغني عن العنفِ والزجرِ
وان فعلوا صنعاً جميلًا جزاهمُ جزاءً يحلّي عندهم عملَ البرّ
تمرُّ الليالي بينَ نثرِ نصائحٍ ونظمِ انتصاحٍ كالقلادة في النحرِ
يدير عليهم من سُلافِ حنانهِ كؤوساً فتنسيهم معتّقةَ الخمرِ
ويطبع فوق الخدّ قُبلة حبّه فتهتزّ اعصابُ القلوب من البشرِ
فلله من مجلى يُجمِّل أفقهُ سناءُ هلالٍ بين انجمهِ الزُّهرِ
هنالك أقمارُ الهنـاء زواهرٌ تحفُّ بشمس السعدِ والانس واليسرِ
اذا كان في الدنيا نعيم فانّما ترى روضةُ الفيّاحَ في ذلك المصرِ
سقى الله صوبَ الرغدِ والخيرِ والدّا يبرُّ بأولادٍ لـهُ أيّما برِّ
يُكبُّ على الاتعاب طول حياتهِ ليجمع للانباء كنزًا من الوفرِ
مخافة ان تنتابهم نُوَبُ الشقا اذا خيَّمت في ربعهم سُحُب الفقرِ
واشرفُ ما يأتيهِ في جنبِ خيرهم إزاحةُ سترِ الجهل عن ساحة الصدرِ
فينفق في هذي السبيل نُضارَهُ ولا ريب ان العلمَ خيرٌ من الدُّرِّ
متى غادروا مغنى المعارف نُصِبت لهم في حمى الاوطان الويةُ الفخرِ
يضوعُ لهم في كل نادٍ مآثرٌ تردّدها الافواهُ عبّاقةَ النشرِ
بمثلهم تعـلو البلادُ مكانةً ألا فاقتدوا يا قومُ بالوالدِ البرِّ

الشيخ

وشيخٍ جليلٍ كلّل الشيبُ رأسهُ كتكليل غصن الروض بالنّور والزهر

لئن فلّت الايامُ حدَّ مضائهِ فآراؤهُ تغنيكَ عن رونقِ الفجر
اذا جنَّ ليلُ المشكلات تألّقت لهُ حكمةٌ أزهى من الشهبِ الغرّ
فلا تخطئُ المرمي سهامُ ظنونهِ ويقرأ طِرسَ الغيب في صفحة الفكرِ
فكم نكبةٍ جلى الشيوخ غيومها ولولاهم ضاقت بهم حِيَل القطر
وكم ازمةٍ كرّت على الناس كرَّة فرُدَّت على الاعقاب بالرأي لا السّمرِ
لقد صقلت كفُّ التجارب ذهنَهم وبالصقل يغدو الذهن أمضى من البُترِ
فباتوا على خُبرٍ بأطوار دهرهم وعلمٍ بما فيها من النفعِ والضرِّ
اذا كرَّ جيشُ الخطبِ جنَّد فكرُهم عليهِ من الآراءِ صمصامةً تبري
ألا أنَّ رأي الشيخِ أنفع للورى من العضبِ في كفِّ الفتى الباسلِ الغرّ
لهُ مطلعٌ زانتهُ هالةُ حكمةٍ كأني بها من حولهِ هالةُ البدر
ومجلسُهُ منثورةٌ في اديمهِ عقودُ جمانٍ او شذور من التبرِ
تحفُّ بهِ في كل نادٍ مهابةٌ كما حفّت الابطالُ بالمجد والنصر
على ان عمر الشيخ مرٌّ ولو غدا على عرش عزّ في سما النهي والامر
تراهُ أوان القرّ يهتزّ رعدةً وان حلَّ فصلُ القيظ ذاب من الحرّ
ينوح على عهد الشبيبة نادباً قواه وقد خانتهُ في ساحلِ العمرِ
فلا غرو إن يأسف على زمن الصبا فقد بات مثل القوس محدودبَ الظهرِ
وقد وهنت منهُ العزائم والقوى واضحى يعاني لوعة العجز والقهرِ
اذا أمِنَ الاسقامَ كان خُوارُهُ على قلبهِ نوعاً من السّقم والاسرِ
يرى حولهُ ان المنايا رواصدٌ لتُنشبَ في احشائهِ مخلب الصقرِ
وفي يدِها المِنجاتُ تنحتُ قبرهُ وتحفرهُ كفُّ الرَّدى ايَّما حفر
فليس يغيب الموتُ عن عينِ فكرهِ ولا تُصرَفُ الانظارُ عن لجة القبرِ
فيحسبُ ان الموت ناضٍ حسامَهُ يقدُّ لهُ الاضلاعَ شطرًا على شطر
فتبًّا لدنيا يغمرُ الناسَ همُّها ولذَّاتها فيها عصيرٌ من الصبرِ
اذا شئتَ ان تحيا حليفَ سعادةٍ فأعرض عن الدنيا وأقبل على البرّ
فانَّ حياة المرءِ مثلُ سحابةٍ تمرُّ مرورَ الطيفِ والمرء لا يدري
ألا فاغرسِ الاحسان وازرع عوارفًا لتحرزَ في الدارين اجرًا على اجرِ

وواظب على ورد المكارم والتقى فتغنمَ خيرَ الاجرِ مع خالدِ الذكرِ
فخيرُ الورى من زانَ ايَّامَ عُمرهِ بما يبهجُ الالبابَ في موقف الحشرِ

يوسف جرجس الخوري

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

تولَّى ❁ مصطفى باشا ❁ في سنة الف ومايتين وسبعة وثلاثين (١٨٢١ م) وحضر للشام. في زمان حكمهِ استكنت الامور وما صار حوادث ثقيلة. وكان جسورًا صارماً ولكنهُ كان عادلًا. بدا منهُ امور مغايرة مطلقاً واستقام نحو سنتين وعُزل. وجاء المنصب الى صالح باشا الذي كان متسلماً في زمان سليمان باشا وتواسط في مادة بطرك الروم والكاثوليك. وفي زمان مصطفى باشا انفتن الجبل (حصلت فيهِ فتن) وصار محاربة قوية بين الامير (بشير) وابن جنلاط وعلي عماد. وغلبهم الامير وهرب المشايخ المذكورون الى حوران. وكان الامير كتب الى عبدالله باشا عن هربهم لحكم الشام. فبالحال كتب الى مصطفى باشا ان يمسكهم ويقتل عماد ويحبس جنبلاط. وحالًا ارسل عسكر دالاتيه وهوّاره نحو ستمائة نفر وحاشوا المذكورين (ضيقوا عليهم) وبالخداع وبالمكر مسكوهم. وبعد ما لبسوهم قلابق دالاتيَّة جابوهم للشام مكتوفين. وقبل دخولهم للسرايا رفعوا القلابق عن رؤسهم (167[1]) ووصلوا حصة (نحو) العصر. فصدر الامر بقطع رأس علي عماد ووضعوه بمخلاية واخذهُ عسكري لعكا. واماَّ الشيخ بشير (جنبلاط فانهم) سجنوهُ بالقلعة مدة ايام ثم ارسلوهُ لعكا. وبعد ايام قتلهُ عبدالله باشا مع شيخ من بيت عماد وراح الجميع سحق الفخار من رداوتهم وسوء افعالهم

❁ تولي صالح باشا ❁ فحضر الباشا المذكور واظهر صرامة كليَّة بالاحكام والاعيان يداروهُ ويلاطفوهُ. ثم بعد حضورهِ بايام قريبة قبض على اليهود والصيارف وسجنهم بالخزنة روفائيل واولاده واظن ابن اخيه ايضاً. وضايقهم جدًا بطلب[؟] غرش.

وحينما كان متسلّماً في زمان سليمان باشا اطّلع على بعض امورهم ومن وقتهِ ضمر لهم السوء. واعرض للدولة واحضر امرًا عالياً بحبسهم ومحاسبتهم ثم ختم بيوتهم وحاش الدفاتر وضايقهم جدًّا واخذ منهم مبلغاً يحرز كل ما كان لهم بالقرايا من دين وشوبصه (ربع القرى) وغيره. قيل انهُ بلغ ذلك أنوَف (اكثر) من ثلاثة الاف كيس. وعمل دأبهُ ودابهم (اي جعل دأبهُ التضييق عليهم) وبقيوا منحاشين (مسجونين) اياماً كثيرة. والاوضة (اوضة السجن) انوضع بها محمد هدايا الذي هو اسكندر حمصي نصراني عدوّ لهم لانهم سعوا بقتله قبل ذلك بنحو سنتين. وكان قُتل لولا يدخل في دين الاسلام وبالنتيجة انهم قاسوا مرمتة زايدة (عذاباً عظيماً) ودفعوا مالًا غزيرًا. ثم انتقلوا من سجن السرايا لبيت المفتي تحت اليسق بكفالة المذكور

ثم حضر طلب من الدولة بالدفاتر من حين خدموا الى الان فاظهروا تسعة وعشرين دفتر مداخيل الميري كل سنة. وفي اسلامبول فحصوها وما بان خبر ان كان وجد فيها غلط ام فروقات او هي صحيحة. ومضى مدة طويلة وهم بالسجن واليسق واخيرًا اطلقهم. واماَّ روفائيل (فانهُ) صار مضطرباً جدًّا واشهر غلبهُ (عوزه) حتى انهُ باع اشياء كثيرة من بيتهِ حتى ملبوس حريمه ومصاغ وغيره بالمزاد. واخيرًا هرب لبغداد وارسل لهُ (167^٧) الباشا اماناً وبعد ايام كثيرة حضر للشام ولزم بيتهُ من بعد ما قاسى شدايد ومحن وكلف كثيرة وبراطيل وغيرها غير المدفوع للخزينة الذي ما انعرف كميتهُ على الصحيح وقيل انهُ أنوَف (اكثر) من خمسة آلاف كيس ومضى امرهم

ثم انَّ الباشا قتل عبد الرزاق واخيه اسماعيل الذين كانوا ماسكين القلعة سابقاً وعملوا ذلك الهيجان والاضطراب في زمان حكم عبدالله باشا العظم. فمسكهم نحو الظهر ياسين اغا تفكجي باشي الذي كان عدوًّا لهم وخنقوا اسماعيل اوَّلًا بالقلعة. وبعده جاؤوا بعبد الرزاق فوجدوه مات من الخوف

وهذا الباشا كان فهيم وذو حركات ولكنهُ كان بخيلًا جدًّا ويحب جمع المال. وفي زمانهِ صار طاعون سنة على سنة. ثم خرب مقام مار جرجس عند تلّ النصارى

وسببهُ انهُ يوجد مقام للاسلام قدام مقام مار جرجس وكان خربان. فبهذه السنة لاحظ (قصد) عماره بعض مشايخ وكانوا يترددوا اليهِ ويعملوا تهليلات وخلافهُ.

فمن بغضتهم للنصارى حيث يعتبرون المقـام المذكور ففكّروا ان يعدموه. فاعرضوا للباشا عنهُ وانهُ مكان صائر عثرة ويلفي اليـهِ (يجتمع فيهِ) المعترين (الاوباش) وموضوع للفحشا والمائم وانهُ لا يليق يصير ذلك قدام مقامهم المذكور. فسالهم الباشا هل ان هذا المقام عمَّره النصارى او هو من قديم. فاجابوه انهُ غير معروف زمان عمارهِ ولكنهُ قديم ليس محدث. ففكر الباشا ان ربما يوجد باطنهُ شي من ذهب او فضة. فصدر امرهُ في هدمهِ حالًا ولا احد درى الَّا بعد ما انهدم. واوصى بعض الخدم انهم يزيلوا الاساس حتى لا يعود لهُ اثار. ولكن النيَّة كانت نوع آخر. فراح الخدام بساعة غفلة قبل غروب الشمس بشي قليل واخذوا معهم اثنين فعالة وهدموا المقام وصاروا يبـالغون في حفر الاساس وتوسيع الحفر داير العمار. وموجود قبور للاموات قريب (168r) للمقام. فمن زيادة الحفر نقبوا قبرًا وطلع منهُ رائحة كريهة لزم تركوا شغلهم واخبروا الباشا بما عملوه. ثم ثاني يوم شاع الخبر فارسل البطرك اخذ الحجارة والخشب لبيتهِ. والمحفظوا مدة طويلة الى ان تجدد عمار هذا المقام في ايام حكم محمد علي باشا والي مصر. ورجعوه احسن ما كان

واستقام الباشا والي شام نحو ثلاثة سنين وعُزل وبوصولهِ الى ادنه مات بغتةً. قيل ان الدولة تغيَّرت عليـهِ وصدر الامر بضبط مالهِ وحينما بلغهُ ظنَّ الامر بقطع راسهِ ايضاً فمن الوهم مات غفـلةً. فجاء المنصب الى والي باشا في سنة الف ومايتين واثنين واربعون (١٨٢٦ م)

﴿ تولي والي باشا ﴾ فحضر المذكور للشام وهذا الباشا كان عندهُ حمق وليس لهُ تفتيش على شي. واستقام سنة واحدة وعُزل وقام والياً للشام عبد الرووف باشا سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م)

﴿ تولي عبد الرووف باشا ﴾ فحضر المذكور للشام وكان لطيفاً عادلًا يحبّ الهدوّ والسلامة. ومن عدلهِ الزايد طمعت فيهِ اهل الشام وبوقتـهِ كانت المَواصلة والكركتليه (اي اهل الموصل والكرك) متعينين (متوظفين) واحوالهم مع الناس غير مرضية وصدر منهم مطاولات واشيا مذمومة فهاجت عليهم الاهـالي وقتلوا منهم وصار شلش بالبلد حتى الباشا تحسَّب والتزم يطردهم من خدامتهِ كلياً وطلع الجميع من الشام خوفاً من اهل البلد

ولكن بهذا النوع ازداد طمع الناس بالباشا. وصار يبدا منهم امور غير مرضية حتى بوقتٍ ما قبل ان يطرد المذكورين اعتمد الاهالي مع مشايخهم يقتلون النصارى ويعملون شلش كبير. فعملوا سيارة ومعهم العلامات فحشروا نصراني قنياطي كان عمال يشتغل بالسكة والسيارة مقبلة اليهِ. فصاروا يطعنوه بالعلامات. دعواهم انهم ما كانوا يقدروا يهدوا (٧168) العلامات من سرّ صاحبهم فشكّوه كثيرًا فوقع مايتاً وحملوه على حيوان جابوه لبيتهِ ثم دفنوه. وانعرض للسرايا فارسل الباشا يفحص عن ما صار وحينما تحقق البغو والعدوان صار الاضاباشي يوبخهم ويتهددهم وهذا كان موصلي فخاف منهم. واماَّ النصارى (فانهم) ارسلوا وسايط يعرضوا للباشا. لانهُ تداخلهم خوف شديد من اتساع الامور. فالباشا اغتاظ من هـذه الاحوال. وفهمهُ الناس فرجعوا نوعاً من ضرر النصارى وصاروا يتحاشروا بالمواصلة والكركتليه

اخبرنا رجل كان بالسرايا انهُ لمَّا انعرض امر القتيـل وكيف قُتل جورًا وتعمُّدًا وان هذا ينحكى فيهِ فيما بعد فكان جواب عثمان باشا الذي هو كيخية عبد الرؤوف باشا انهُ لو كان الذي قتلوه مسلماً كان ينسئل عنهُ. واماَّ حيث هو نصراني فليس لهُ غائلة ولا ينسئل عنهُ

ثم بعد ذلك حينما هاجت البلد على المواصلة والباقي حسن عنـد الباشا طردهم من الشام حتى ما بقي احد منهم. والاحكام فلتت ما عاد امان واستقام الباشا ثلاث سنين وعزل وانقام باشا على الشام سليم باشا سنة الف ومايتين وسبعـة واربعون (١٨٣١ م)

﴿ تولي سليم باشا ﴾ فجاء خبر بوصولهِ لحلب وتعوق اياماً لحضورهِ للشام وهذا الباشا كان حالهُ مستغرب ظاهره شجيع مهاب والباطن جبان وهو متقدّم بالعمر قليلًا. فبعـد حضوره للشام اظهر مرجلة وترتيباً . وبعد ايام قليلة اشهر الاوامر التي معهُ بالديوان ومن جملتها ترتيب الصليان حكم اسلامبول. وتكلم مع الاعيان بصيرورة ذلك كيف كان. وبعدهُ تولج عدد الدكاكين والمخازن علي اغا خزنه كاتبه ودار بالمدينة ومعهُ كاتب لكي يكتب اسماء الناس

فوصل للبذورية محل العطارين والعالم ضايجة جدًا. فكل من سأله مـا اسمك فيقول لهُ: بطرس. والاخر يقول: بولس. والاخر: جرجس وذلك بنوع الازدراء. ولكن

خزنه كاتبهُ المذكور كان من غرض البلد ولا يهون عليهِ. وانما صار يراجعهم ويوبخهم على كلامهم الغير مرتب. فهاج عليهِ الناس (169r) وعملوا ضوجه بالسوق وفتشوا على الكاتب ليقتلوه او يضربوه. والتزم علي اغا يروح للسرايا يعلم الباشا بما صار

فانغمّ المذكور من ذلك وثاني يوم عمل ديوان واجتمعت كل الاعيان وصار يحكي معهم الباشا بلطافة كلية. وان هكذا خاطر السلطان وانهُ هو ما بيده شي ولا يخصهُ. ثم بدا يتملقهم ويقول لكم كل خير ونجاح والكبير فيكم هو اخي والصغير فهو ابني. ولكن لا يهون عليّ تخالفون السلطان ويثقل خاطرهُ عليكم. فجاوبوه ان هذا الصليان هو ثقيل ولا يمكن الاهالي يقبلوه ويرتبوه على انفسهم. وبعد مراجعات كثيرة ومداورات يقدموهــا لهُ وهو لا يقتنع منهم ويقول: لازم امشِي الامر. ثم نهر فيهم وحاشهم بالكلار وظهر منهُ استعداد لمقاومتهم فضاجت الناس وبتدبير الاعيان في تلك الليلة ذاتها قامت البلد وتسلَّحوا وراحوا ناحية باب الهوى فاعتمدوا يحرقوا السرايا التي فيها متحصن الباشا. وجمع خدمهُ وبعض عسكر والبعض مسك ناحية العمارة وتحصن في جامع المعلق والسكبان بالقلعة. فبدا الحريق من باب الهوى وصار يمتدّ. فلما نظر الباشا هذا الحال انوهم من هذا الشرّ بفكرهِ ان اهل الشام كثيرين وعسكره زهيد. فجاء بفكرهِ (ان) يتوجه للقلعة يتحصن بها. فمن خوف عدم نفوذه صار هو ذاتهُ يحرق السرايا لكي يشغل النـــاس ويفوز بنفسهِ. فصار حريق مهول واحترق القاعة الفوقانيـــة والتحتانية وباقي المحلات عدا محلات الخزنة داخلًا التي كان بها ما دخلتها النار. وبهذا الحال نفذ الباشا للقلعة وحينما فهم ذلك اهل البلد كفوا عن الحريق ولكن الخراب الذي صار واهي جدًا

ثم اعتمدوا على محاصرة القلعة والباشا كذلك صار يضرب مدافع على البـــلد والجماعة عملوا متاريس داير القلعـــة ثم بالحارات وحاصروا العسكر الذي في جامع المعلق. وبهذه الطوشات قتل اناس (169v) كثيرون من الاهالي وجماعة الباشا وطال الحال. والباشا كان يفتكر يجيه اسعاف من جهات وجميع الناس صاروا ضدّه. من الجملة عبدالله باشا والي عكا كان يرسل يقوي عبارة اهـــل الشام (يشجعهم) كذا شاع عنهُ. وبعد مدَّة ايام ابتدوا بحفر اللغم بجيط القلعة وصار منهُ احتساب كبير.

لانهُ موكد من طرش الحجارة من قوّة البـارود تخرب بيوت ومحلات كثيرة فبعد نجاز اللغم صح (وُجد) مَن منع امره

وبالنتيجة الذي صار في مادة سليم باشا مـا جرى نظيرها بالشام ولا في غيرها. وكل يوم يزداد الشرّ والبلد حصلت باضطراب كلي. وعُزلت الاسواق ولا عاد بيع ولا شرى وكان ينتظر القضا. اخيراً فرغت الذخاير من القلعة فهاج السكمان على الباشا وطلبوا المعاش. فجمعوا ما بقي من حنطة وخلافهُ وعملوا ترتيب يعطوا العسكر قوت (بحيث) لا يموت فخلص الجميع. واحتـار الباشا كيف يعمل. فمن شلش العسكر فكر يسلم القلعة لاهل البلد ويخرج منها فطلب بعض من الاعيان واحكى معهم عن مرغوبهِ وانما يريد يطلع بواسطة حتى لا يحصل لهُ تكدير فاخذه من العامّة المذكورون الى بيت قاضي بجانب ديوان المشوره مفروش منظوم. واستقام بالقاعة مع كتخداه وابن اخوه والخدام خارج القاعة. ثم اخرجوا السكمان من القلعة وتعين بها اغا علي عرمان من الشاغور وجماعتهُ ومضى يومان والباشا ميسّق عليـهِ بالقاعة لا يخرج منها وعليهِ غفر . ثم طلب يحضر عنـدهُ بعض من الاعيان فما حضر احد. ودخل عندهُ الوهم الى انهُ ثالث يوم حضر عندهُ سبعة انفار من قبل المتكلمين فكسروا قمرية القاعة وكانت عالية وارموا النار. وكانوا اخرجوا من عنده ابن اخيه والكيخية فمن وهج النار ضاج الباشا. ثم ضربوا عليـهِ بارود ورصاص فما اصابهُ وصار يشالش من نار الدم. وبعد حصة مات وهو يقول سليم باشا راح. سليم باشا مات. وانقطع نفسهُ. (من الناس) من يقول مات (170r) من وهج النار ومَن يقول من ضرب البارود. ثم حبسوا الكيخية وابن اخو الباشا وثاني يوم قطعوا اعناق الاثنين. وكان ذلك افتراء وعدوان لان هؤلاء ليس لهم ذنب يوجب القتل ولا غيره. حتى والباشا نفسهُ افتروا عليهِ لانهُ ما ظهر منهُ ادنى اذى لنحوهم غير حتمهِ على تتميم الاوامر التي بيدهِ. ولكن ان كان ضامر لهم ضرر آخر لا نعلم واماً بالظاهر فما لهم عذر يعتذروا بهِ سوى انهم افتروا عليهِ وعلى جماعتهِ بنوع مستغرب منافي الشرايع كلها

ثم بعد قتلهم الباشا اخذوه عريان بغاية البهدلة للقلعة مع الاثنين خاصتهُ من بعد ما داروا برؤوسهم اغاب البلد. ودفنوا الجميع داخل القلعة والشربجي الداراني ورشيد نسيب الشوملي مسكوا البلد

ثم بعده عملوا ديوان الاعيان والافندية وحصل مذاكرة في كيف يقنعوا السلطان فيما عملوه. والحال (ان) الذي عملوه لا يتدبر ولا يحوقهُ عقل بشري. وظروفهُ تحرق الدم وتهيج الغضب والرجز. ولكن حيث صار الذي صار بدهم يطلعوا بخيال اصبعهم. فقرّ الرأي ان يكتبوا عرض للسلطان ويقرروا لهُ عن رداوة نية الباشا في حقهم (انهُ) كان مبتدي في انشاء مظالم ومقاهرات. فجفلت العامة منهُ وظهر منهم بعض شيء يوجب النفور ولكن هو ذاتهُ ظهر بالقساوة المريعة وحرق السرايا وقصدهُ يحرق البلد مع ناسها. فمن الوهم الذي دخل على الناس ما قدروا يردوا قهرهم ويسلموا منهُ الّا باعدامهِ. ثم يطلبوا رواقة خاطر السلطان عليهم وانهم عبيدهُ وما شاكل ذلك

فلما وصل العرض المذكور لاسلامبول ما ظهر جواب ولا ايجاب سوى انهُ صدر امر السلطان بقيام وزير للشام حسين باشا. وقيل انهُ حضر كتابات من اسلامبول لبعض اعيان الشام من ارباب الدولة جواب كتابات راحت لهم من الشام بخصوص جلب خاطر الدولة لنحوهم وانهم طمّنوهم بعدم صيرورة شي مكدر لهم. وهذا صار تصنعاً وخداعاً (170v) لان الوقت صار قريب لسفر الحاج. فتركوا الامر لشأن (بسبب) الحاج. وهذه النادرة صارت في سنة الف ومايتين وسبعة واربعون (١٨٣١م)

❊ تولي حسين باشا ❊ ثم حضر الباشا المذكور بوجه السرعة لاجل ينظم مهمات الحاج. فبوصولهِ لحمص اعتراه مرض شديد ومات ودفن هناك. وبالحال توجه خبر وفاته للدولة فارسلوا المنصب الى علوش باشا والي ايقونية وانهُ يقوم بغاية العجلة لمداركة الحاج وكان ذلك بالسنة المذكورة

❊ تولي علوش باشا ❊ فحضر للشام بعسكر زهيد وموكب مختلف عن حال من هو وزير نظيره. وذلك خوف واحتساب حيث ان اهل الشام حصلوا بجريّة كاملة ومجاسرة بليغة. فالباشا سلك معهم بغاية اللطف ولا يقبل عليهم شكاوي ولو كانت من بعضهم. واجتهد في تدبير سفر الحج فتعسّر الامر وما راح الحاج بهذه السنة لعدم وجود السلامة

واذا بهذه الاثناء في ابتداء سنة الف ومايتين وثمانية واربعون (١٨٣٢م) تحرك محمد علي باشا والي مصر لاخذ الشام وحلب وكل بلاد الشرق وارسل ولده

ابراهيم باشا بعسكر وافر ومهمات الحرب. والتفت لاخذ عكا اوَّلًا وحاصرها بقوَّة شديدة. وبعــد اربعة شهور وينيف امكنهُ يملكها. ومسك عبدالله باشا وارسلهُ للاسكندريَّة لعند ابيه. ثم السواحل جميعها طاعتهُ. وحضر للشام وصار شلش زهيد وملكها. وعلوش باشا حين شاع خبر عكا هرب من الشام

﴿ تولي محمد علي باشا والي مصر ﴾ ثم توجه ابراهيم باشا من الشام بعد ما اعطى نظام بالشام والسواحل. توجه لحلب وادنه وتحارب مع عسكر السلطان ولحقهُ لايقونية وظفر بهِ. ومسك وزيره الاعظم وقدم لهُ كل اكرام ثم اطلقهُ. وضبط البلاد المذكورة محمد علي واولاده رغماً عن الدولة العثمانية (م١٨٣٣) وصار لهم من يسندهم. واخيرًا استقرّ الحال بينهم وبين الدولة على مالٍ معلوم كل سنة يدفعوه للدولة قيــل انهُ ستون الف كيس بعقد خمسة سنوات ويحكموا المحلات المذكورة حلب والشام وادنه ثم ما يتبع ذلك حماة وحمص وسواحل بر الشام ونابلس والقدس ويافا وحيفا وغزة بكل حريتهم والسلطان لا يسأل عنهم بشي. وجعل ابراهيم باشا مقرّه في انطاكية. (وكان) يحضر احياناً لحلب والشام وعكا في معاطاة احكام ويرجع لانطاكية

وجعل محمد علي باشا حاكماً بالشام محمــد شريف باشا وهو حكمدار عرب بستان وخلص العقــد مع السلطان وتجدد ايضاً عقد ثاني. وفي بضع (اثناء) العقد الثاني تحرَّك السلطان لاستخلاص البــلاد ورجوع المذكورين لمصر مقرّ ولايتهم. واشتدت الامور بينهما وظفر ابراهيم باشا بعسكر السلطان ورجع لحلف

وبوقتهِ تشوش السلطان محمود وتوفي وجلس عوضهُ ولدهُ عبد المجيد. ووقفت الحروب ايَّاماً

ثم جدّ حادث جديد باتفاق ملوك اوروبا مسكوب نمسا بروسيا انكليز الــذين ظهروا ضدّ الدولة المصريَّة واتفقوا مع السلطان عبد المجيد برفع يد محمد علي وولدهِ ابرهيم من حكم بلاد سوريا ورجوعهم لمصر. وصار ذلك بجمعية في لنــدرة وقرّ الرأي حيث كان وعلى اي وجه كان لازم تمام مــا اتفقوا بهِ برجوع الاماكن كلها لادارة السلطان عبد المجيد. ولكن ابراهيم باشا وابوه لم يرتضوا يتركوا ذلك وقصدوا المحاربة والجهاد بغــاية امكانهم ولكن حضور العمارة الانكليزيَّة بشالمتهم لانهم ملكوا السواحل واتفق جبل الدروز مع الانكليز والعثملي. ومع ذلك ابراهيم باشا

حضر للبقاع ثم طلع للجبـل وعزم على محاربتهم واتصل للسواحل لاجل يحارب العثملي والانـكليز. ولكن ما استفاد شيئاً سوى تلاف عسكره. ولو لا يطابق معهُ الامير بشير حاكم الجبل ما كان تورط مع عسكره بدخوله للجبل. واذ كانت الفتنة اشتدت (171[v]) بين اهل الجبل والامير بشير ونظروا التعب يزيد والخراب متصل سيما ان بمطابقة الامير خليل حرق ابراهيم باشا بعض قرايا الجبل وقتل رهبان وسبي حريم فاقتضى ان اهل الجبل جمعوا قواهم وبجرارة ومرارة نفس حاربوا عسكر ابراهيم باشا. والتزم يترك الجبل ويحضر للمعلقة قريب زحلة

وبغضون ذلك اخذ الانـكليز عكا بظرف ثلاثة ساعات الّا ربع على التدقيق. ومن ذلك دخل الوهم على ابراهيم باشا وكذلك الامير بشير

وبوقته ارسل الانـكليز كتابة باطنها خداع ومكر وبالظاهر يحسّنوا لهُ يحضر لعندهم ويطلع على الاوامر السلطانية التي حضرت بشانه. فالامير من وهمه من هيجان اهل الجبل واخذ عـكا وذهاب ابراهيم باشا حسن عنده (ان) يتوجه لصيدا او بيروت وصحبته اولاده. وكان ذلك وبالاً عليهِ. لان بوصولهِ لصيدا ثم لبيروت ومن تبليغ اهل الجبل بالردي في حقهِ حالاً صدر الامر بنفيهِ الى مالطا في مركب انكليز. وتولى الجبل حاكماً برضى الحكم والاهالي الامير بشير قاسم شهاب واستكنت امور الجبل نوعاً

ثم ان ابراهيم باشا ثبت بالمعلقة تحت زحلة وابتدأ يستجرّ العسكر من اراضي حلب وبرّها وارسل جاب طقمه ومصالحه من انطاكية. القول (يقال) ان الانـكليز كتبوا الى محمد علي بأن يرسل يطلب ولده ويفرغ البلاد من العسكر وان كان يتباطى بذلك فيضربوا اسكندرية ودمياط ويعظم الشر والخراب ولهذا كتب لولده يحضر مصر بالعسكر

ثم بعد ايام حضر ابراهيم باشا للشام وبدأت العساكر تورد للشام واجتمع بالشام عساكر كثيرة. ودخل الوهم والاحنساب على اهل الشـام وكانت ايام مكربة. والباشا اظهر قساوة كلية بهذه الكم يوم التي استقام بها بالشام. وكان على ذنب خفيف يقتل بقساوة. حتى من الجملة قتل بيده ثلاثة انفار خاصته اشتبه عليهِ ان قصدهم يهربوا. وهكذا (172[r]) انقضت الايام بالكرب والكدر. الى انهُ في

ستة ايام من شهر القعدة قام بالعسكر على طريق المزيريب قاصداً مصر وحصل على مرمتة (عناء) وتعب زايد بسبب الشتا والبرد لان سفره كان في كانون الاول. وحينئذٍ هدى اضطراب الناس

وبعد ذهابه بثلاثة ايام حضر احمد اغا اليوسف الكردي من صيدا بامر عزَّة محمد سر عسكر انهُ يكون متسلم قيمقام ويضبط البلد. وهذا هرب من الشام قبل سفر ابراهيم باشا حتى قبل حضورهِ من البقاع للشام. وراح لصيدا تداخل مع العثملي والانكليز والمذكورين جابوا لهُ نوع وظيفة قبوجيه. ثم مسك البلد. ولو تنترك مدة ايام بغير حكم لكان صار شلش عظيم

ثم بعد ايام قريبة ورد اخبار ولاية الشام الى علوش باشا سنة الف ومايتين وستة وخمسون (١٨٤٠ م). وكان ولاية محمد علي على عرب بستان نحو تسعة سنين ناقصة غير كاملة. وارتفع منها بنوع عجوبة وما جاء بفكر احد ينتهي الحال هكذا. ولكن كذا صار من قساوة الاحكام. ولو انهُ صار ضَبْط وعدم مظالم بالظاهر. وكل انسان ماشي بطريقه لا تعدّي ولا غيره. ولكن مسك عسكر نظام وعدم انصاف في امور كثيرة من الحكم ذاته ويتبعه الحاشية والعسكر الذين طمعوا في اهل البلد والحاكم لا يسمع ولا يقبل عليهم دعوى الّا بنوع قليل. وهكذا من عدم الملاحظة والتدبير حصل ما حصل بسماح الله تعالى

وفي زمان حكمهِ حصل زلزلة قوية نهار الاحد في عشرين كانون الاوَّل قبل الغروب بساعة ونصف سنة الف وثمانماية وستة وثلاثين (مسيحيَّة) استقامت اقل من دقيقة ما صار ضرر بالشام انما في صفد وساحل عكا حصل خراب وقُتل اناس كثيرون. ثم في اواخر حكمهِ قتل علي اغا خزنه كاتبي من اعيان الشام مشهور وكان صديقاً لابراهيم باشا. واماَّ شريف باشا (فانهُ) كان يبغضهُ جدًّا وكان علي اغا يفرفط في حق شريف باشا وغيره من طمعه في ابرهيم باشا فسعى شريف باشا وعمل كل الجهد في تغيير (172ᵛ) الخواطر عليهِ واثبت عليهِ خيانتهُ وقطع رأسهُ على المشاع

❁ تولي علوش باشا ثاني مرَّة ❁ حضر المذكور للشام وحصل فرح وسرور بالبلد كانَّهُ حكم جديد. ولكن هذا الباشا جامد ما هو متحرّك ومقيم بالسرايا والكتخداه هو الحاكم

وبوقتهِ ارتفعت دعاوي كثيرة (فكان) يحذفها للشرع. وكل دعوى ان كان سياسية او تجارية او عرفية يرسلها للشرع. ولكن قبل ارسالها الى المحكمة يصدر امره بخدمة وافرة يقبضها القوَّاصه والخدام. مثلًا واحد اشتكى ان لهُ عند اخر الف غرش وناكرها عليهِ. فيرسلهم الكيخية المذكور الى المحكمة ولكن يامر بخدمة وافرة ماية غرش ومايتين. حتى انهُ اتفق رجل ادعى بالف غرش فاخذ منهُ ماية وخمسون غرش وارسلهم للشرع. فما ثبتت لهُ الالف غرش وخسرها مع الخدمة التي دفعها. وغيره لهُ حساب في احدى القرايا عند واحد عاصي بدفعها ويحادف من شهر الى شهر. فقدَّم صاحبها عرضحال يترجا بتحصيلها. فصدر الامر انهُ يروح للشرع. وهكذا كل مادة مهما كانت يرسلها للشرع وكثرت الدعاوي صاغ وشرُك وكثرت الشهود المنافقين. والشرع يثبت حسب الظاهر

فضاجت الناس جدًا والباين راح تلخيص من الشام وربما من قنصل الانكليز كتب لصيدا وبيروت ومن هناك راح اعراض للدولة. وصدر الامر بعزل الباشا من ولاية الشام فصارت الى نجيب افندي جاويش السلطان. وكان ذلك في ابتدا سنة الف ومايتين وسبعة وخمسون (١٨٤١ م)

﴿ تولي محمد نجيب باشا ﴾ فمضى ايام كثيرة ولم بان حضورهُ ولا اي وقتٍ يحضر. وبقي احمد اغا اليوسف متسلمًا كما هو. وشاع خبر ان الباشا معزول واقاويل كثيرة. الى انهُ في شهر صفر حضر بالبحر الى بيروت ومنها (173r) للشام وصحبتهُ دفتردار اي مباشر الخزينة. وتصرَّف التصرف التام فمهما نظر المناسب يعملهُ. والباشا المذكور خدم السلطان محمود سنين كثيرة وكان ارسلهُ معتمد لمصر في مادة الموره وبعدهُ في مادة كريت وقبلها في مادة الوهابي. ثم قيل انهُ ارسلهُ لبلاد المسكوب. وهو خبير بكل الاشياء وجلست الامور في غاية الراحة والامل بالله تعالى يحصل حركة بالاسباب ويرتفع الغلا وتنسى الناس ما مضى

(انتهى القسم الاوَّل ويليهِ القسم الثاني)

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غَستُون دوكوسُو المنوط بقنصليَّة فرنسة الفخيمة في بيروت (تتمَّة)

وفي القرن السادس عشر دخلت تجارة الحرير الشامية في دور جديد فصار اهل صيدا وبيروت يصدرون الى الخارج محصول القزّ قبل اصلاحهِ وغزلهِ. قال الكاڤليار دارڤيو قنصل فرنسة في حلب وصيدا في كتاب مذكراتهِ (Mémoires du Chevalier d'Arvieux) سنة ١٦٦٠: « ان تجـارة الحرير في بيروت قائمة على ساق فانَّ قوافل دمشق وحلب ومصر تتردد اليها حيناً بعـد آخر ولا سيما في ابَّان قطف الحرير فيتسوَّقون منـهُ الكميَّات الوافرة لمعامل الاطلس والمخمل والاقمشة الأُخرى التي في جهاتهم.. وللفرنسويين في بيروت اربعة او خمسة من العمَّال فقط تحت نظارة تجار دولتهم في صيدا الَّا انهم يعرفون احسن من سواهم ما يختصّ بصناعة الحرير نظرًا لاقامتهم في بيروت طول السنة فيستحضرون منهُ افضل الاجناس وابدعهـا على خلاف التجار الغرباء الذين لا يستوطنون بيروت فانهم اذا حلُّوها لبثوا فيها زمناً قصيرًا وابتاعوا ما حضر من الحرائر مدَّة حلولهم الوقت لئلَّا يتأخروا عن الرحيل مع القوافل اذ لا يمكنهم الرجوع وحدهم خوفاً من شذَّاذ العربان المتلصِّصين »

وممَّا اخبرهُ هناك ان الزبائن كانوا يقبلون على حرير لبنان ويعلون قدرهُ. وكان اهل كسروان يصدرون كميات وافرة من الحرير الخام الاصفر ومنهُ شكل آخر اغلظ شبيه بلونهِ كانوا يقطفونهُ في اقليم الشوف ويتخذونهُ لصنع المخمل. امَّا حرائر طرابلس فكانت بيضاء ناصعة وراجحة الوزن فكانوا يبتاعونها بمبالغ طيبـة ويستعملونها للانسجة المزركشة بالذهب والفضة. وكان الحرير البيروتي يُعتبر خصوصاً لمتانتـهِ فيصطنعون منهُ الانسجة الدقيقة المتلوّنة للعيون (moires). وكان تجار الفرنج في بيروت اذا استحضروا حاجتهم من الحرائر جعلوها رُزماً وارسلوها الى صيداء امَّا بحرًا اذا امنوا عليها وامَّا برًّا اذا تخوَّفوا القرصان ثم تُرسل من ثمَّ الى فرنسة وكان تجارهم في بعض السنين يبتاعون منها ما يساوي ٤٠٠,٠٠٠ دينار

وكان لصيداء ايضاً معامل حريريَّة واهلهـا يغرسون حول مدينتهم اشجار

التوت الَّا ان حريرهم كان من جنس ادنى . وقد روى مُرسلان كبوشيان في صيداء في القرن السادس عشر ان حرير بيروت كان يُعدّ كالصنف الاجود ويليهِ حرير طرابلس ثم حرير صيداء . على ان الحرير الصيداوي مع دناءة جنسهِ كان كثير الرواج ولا يكفي لكلّ الطلبيَّات كما افاد الكاڤليير دارڤيو

وكان لمبيع الحرير في صيداء وطرابلس وبيروت قيصريات يقصدها الباعة فتوزن فيها الشرانق وكل اصناف القزّ الخام او المغزول والمنسوج على اوزان رسمية . لكنَّ السماسرة اخذوا مع توالي الزمان يطوفون القرى فيبتاعون محاصيل المواسم من الفلاحين ويجلبونها الى مدن السواحل . وبذلك ينجو اهل لبنان من الغرامات التي كان يفرضها عليهم عمَّال الدولة عند نزولهم لبيع حرائرهم امَّا نقدًا وامَّا عيناً . وكان قناصل فرنسا قد جعلوا ضرائب على حرير تجارهم يقضونها منهم سنويًّا وربما حصلت من جرَّاء ذلك بينهم مشاحنات ودعاوي طويلة قضى فيها ملوك فرنسا

ولمَّا كان القرن الثامن عشر زاد طمع حكَّام الدولة العثمانيَّة في تجار الحرير فاثقلوا عواتقهم بالضرائب حتى اعرض كثير منهم عن هذه التجارة الخاسرة فكسدت سوقها . ولم يعد الفرنسويُّون يتسوقون خام الحرير من بلاد الشام وانَّما اقتصروا فقط على ابتياع الانسجة الحريرية التي كان يحيكها اهل حلب ودمشق وطرابلس وحمص وحماة وبيروت كالزنانير والكفيَّات والاعبئة واجناس الاطلس والمبروم والمخامل

واصحاب الاسفار الذين كتبوا في ذلك العهد بعد وصفهم لتجارة الحرير في انحاء الجبل والسواحل الشاميَّة يبدون اسفهم على تقهقر هذه الصناعة ويعلّلون ذلك بقلَّة اشجار التوت . واذا قال احد للاهلين : ما بالكم لا تغرسون اشجارًا جديدة ؟ اجابوه : « أأنت وحدك غريب في هذه البلاد ؟ ألا تعلم انَّنا اذا بنينا دارًا او غرسنا غرساً بثَّت الحكومة علينا العيون وضربت علينا الضرائب لزعمها بأنَّنا من اصحاب الثروة . فاذا انكرنا ضربونا بالعصي على اخماص الاقدام (بالفلاق) ريثما يبلصونا مالنا . واذا اقررْنا بهِ ضربونا ايضاً زاعمين انَّنا اغنى ممَّا صدقناهم »

وكما كسدت سوق الحرير الخام في انحاء الشام اخذت ايضاً صناعة نسجهِ وصبغهِ تتأخر شيئاً فشيئاً لسوء تصرُّف العمَّال . وكان الفرنج في تلك الاثناء قد حسَّنوا معاملهم الحريريَّة واخترعوا ادوات جديدة لنسج الاجواخ والاقمشة الحريريَّة وضروب

الاكسية مع احكام صبغها حتى صاروا ينقلونها الى الشام ويبيعونها في مدنها . وقد اتّسعت خصوصاً معاملات تجار ليون مع دمشق فباعوا في الفيحاء منسوجاتهم الحريرّية

لكنَّ هذه الحرائر والمنسوجات الاوربيّة لم تنفق في غير المدن الكبرى فبقيت انحاء الدولة العثمانيّــة تطلب مقطوعيات حريرها من دمشق وحمص وحماة وحلب وصيداء وصور ودير القمر الى اوائل القرن التــاسع عشر حيث كثرت الحروب وساءت الاحوال وسقطت المعاملات فأصيبت صناعة الحرير بضربة لازبة حتى ان مدينة بيروت سنة ١٨٦٠ لم يبقَ فيها نَوْل واحد لنسج الحرير وكذلك كادت حرائر طرابلس وصيدا تتلاشى في ذلك العهد فصارت اثرًا بعد عين

لكنَّ المدن الداخليّة لم تزل في حركتها الصناعيّة فكان عدد المناسج الحريريّة في دمشق ٣٠٠٠ وفي حلب ٦٠٠٠ امّا لبنان فكان عدد انواله ٥٠٠٠ منها ٤٠٠٠ في دير القمر و٥٠ في الزوق و٢٠ في زحلة وكانت مصنوعات حلب دون مصنوعات دمشق لكنَّ الاقبال على الاولى كان اعظم لتهاود اسعارها

وبعد حوادث السنة ١٨٦٠ اذ عاد السلام الى الشام استأنف ايضاً تجار الحرير مساعيهم في ترويج هذه الصناعة فبلغ عدد عملة مناسج الحرير سنة ١٨٧٠ في ولاية دمشق ٢٠,٠٠٠ وفي ولاية حلب ٣٠,٠٠٠ وازدهرت تلك الصناعة في حمص وحماة حتى ان عدد انوال حمص كان لا يقلّ عن ٥٠٠٠ وحماة عن ١٠٠٠ فبيعت منسوجاتهما الحريريّة في السنة بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك الثلث منها نفق في سوريّة والثلثان الآخران بيعا في برّ الاناضول

على ان هذه النهضــة الصناعية بين الوطنيين لم تثبت زمناً طويلًا بل رجعت القهقرى مذ ذاك الحين الى زمننا الحاضر وذلك لاسباب: منها الازمات المالية التي حصلت في مصر فصارت طلبيّات الحرير تقلّ سنة عن سنة . ومنها مزاحمة بعض المدن التركيّة لتجارة الشام فان مدناً كثيرة كادرنة وبروسّة ولاسيا عينتاب جعلت تنسج ضروب الحرائر ولم تزل دائرة اشغالها في اتّساع حتى يومنا فانَّ عينتاب في عهدنا تشغل نيفاً و٣٠٠٠ نول

ومن اسباب تخلّف صناعة الحرير ايضاً في زماننا شيوع الملابس الاوربيــة بدلًا من الثياب الشرقيّة . فان اغنياء الشرقيين الذين كانوا يتباهون بلبس الحرائر والملابس

الفاخرة يفضّلون في القالب الازياء الفرنجيَّة مع بساطتها ورخص اسعارها

وزد على الاسباب السابقة مداومة الشرقيين على خطتهم القديمة في نسج الحرائر فلا يسَعهم ان يصنعوا منها كميَّات وافرة بينما ترى المعامل الاوربية تحسّن كل سنة ادواتها وتوسع نطاق اشغالها بحيث اضحت منسوجاتها ادقّ وامتن واجمل من مصنوعات الشام

بل دخلت في بلادنا الصناعة الاوربيَّة مع طرائقها النسجية المستحدثة. وكان اوَّل من انشأ معملًا للحرير في لبنان المسيو پرتاليس قبل سنة ١٨٤٠ فكان يشتري اقة الشرانق من ١١ الى ١٢ قرشاً ثم زادت بعد مدَّة الى ان بلغت ٢٠ الى ٣٥ ق وبقي على مواصلة العمل وتوسيعهِ وتحسينهِ الى ان غلبت الصناعة الجديدة على الصناعة الجارية سابقاً في لبنان فما مرّ عليهِ ١٥ سنة حتى بلغ وزن المنسوجات المصنوعة على الزي الجديد ٩٠٠,٠٠٠ اقَّة ولم ينسج على الطريقة القديمة سوى ٣٠٠,٠٠٠ اقَّة منها ١٠٠,٠٠٠ اقَّة لم تُنسج تماماً على الطريقة البلديَّة بل على طريقة متوسّطة

وازدادت هذه الحركة بعد حوادث سنة ١٨٦٠ بهمة راهبات المحبة فانَّ هؤلاء الفاضلات اذ انشأن الملاجئ لتربية الايتام وجدنَ في انشاء المعامل الحريريَّة وسيلة لسدّ نفقات هذا المشروع الخيري. وكنَّ في اوَّل الامر يستعملنَ المناسج البلديَّة فلمَّا كانت السنة ١٨٦٢ استحضرن من ليون منسجاً بخاريًّا ذا عشرة انوال من صنف جاكار (Jacquard) فركَّبهُ احد عُمَّال ليون وهو لا يزال ماشياً حتى اليوم وقوَّتهُ المحرّكة تبلغ اربعة احصنة بخاريَّة ويشتغل في تجهيز لوازمهِ نحو عشرة من اولاد الميتم تحت نظارة احدى الراهبات ويرافق هذه الاداة البخارية التي بها تُستحضَر خيوط الابريسم ادوات أُخَر لمدّ اسلاكها وتجهيز لحمتها ونسج سداها فيقوم على كل ذلك عددٌ من الايتام. وهناك اداة لرقامة الانسجة ثم ادوات غيرها لصبغ الحرير على الطرائق الجارية في معامل اوربة

امَّا الحرير الخام فهو من اطيب الاصناف والراهبات يجلبنهُ في معاملهنَّ الحريريَّة في طرابلس حيث تحلّل بناتهنَّ اليتيمات الشرانق التي يشترينها باسعار تتراوح بين ٣٦ فرنكاً الى ٤٠ في الاقة ويبلغ مجمل ما يخرج سنويًّا من مناسج راهبات المحبة من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ متر وكل هذه الانسجة مجهزة على طريقة جاكار فيُقبل عليها

التجار من اهل الشام وغيرهم بكل رغبة . هذا الى اصناف أُخرى تُطلب منهنَّ ايضاً

وممَّا يساعد على نجاح هذه معامل الحرير عند الراهبات انَّ ايتامهنَّ اذا تعلموا فنَّ نسج الحرير على الطريقة الاوربيَّة يداومون على العمل سنين طويلة عندهنَّ اذ لا يجدون عند غيرهنَّ ربحاً لصناعتهم ولا تجهيزاً كتجهيز معاملهنَّ فيفضّلون لزوم الشغل عند الراهبات

امَّا الكراخين الوطنيَّة فان تجهيزها غالباً على الزي القديم اي انها تدور على دواليب خشبيَّة قليلة الاتقان مختلفة الاحجام اكبرها الكسرواني ثم الداموراني ثم البتروني . والشرانق تُحلّل في مرجل كبير يُشعل تحتهُ الحطب فتبقى الحرارة على درجة واحدة

والحرير المستحضر في الكراخين السورية على صنفين صنف منهما فاخر مُختار يُدعى الاسكندراني ويُغزَل عادة على الطريقة الفرنجية وهذا الجنس تروج سوقهُ في اوربا وتغلو اسعارهُ حتى تُباع الاقة منهُ الى ٣٠٠ قرش . والصنف الآخر يستخرج من شرانق ادنى صنفاً كالمطَّخة والمثقوبة والمزدوجة (douppions) فتُطبخ ثم تُندَف بآلة الحلاجة وتجهَّز منها شلل خيطان ينسجون منها اقمشة متهاودة الاسعار وربما خلطوها بالقطن . وثمن الاقَّة من الجنس الثاني يتراوح بين ١١٥ قرشاً الى حد ١٥٠

امَّا كميَّة انسجة الحرير السنويَّة في بلاد الشام فتبلغ للصنف الاوَّل المعروف بالاسكندراني من ٣٥٠٠ اقَّة الى ٤٠٠٠ يبتاع اهل دمشق قسمها الاكبر اي ١٥٠٠ اقَّة ثم اهل حمص وحلب كلٌّ منهما ٥٠٠ اقَّة ثم حماة ٤٠٠ اقَّة . امَّا الصنف الثاني فتبلغ كميَّة مواسمهِ نحو ١٢,٠٠٠ اقَّة يُغزل نصفهُ تقريباً في بيروت ولبنان والقسم الآخر يباع في بلاد الشام والاناضول والاستانة . امَّا مجموع ما يُغزل من الحرير في معامل الشام على اختلاف مصادرهِ كبروسَّة وتفليس والعجم والهند والصين ويابان فلا يقلّ في السنة عن ١٠٠,٠٠٠ اقَّة

واعلم ان المنسوجات والمصنوعات الحريريَّة الشائعة في بلاد الشام كثيرة الانواع منها اسلاك الخياطة واصناف البريم والازرار والمناديل المخرَّمة والبرانس والمشالح والاعبئة التي يُباع الواحد منها من ٢٥ الى ٣٠ قرشاً اذا كان ساده ومن ١٢٠ الى

١٥٠ اذا كان منسوجاً بالقصب او الفضة ومنها الزنانير والعصائب واشكال المبروم ومنسوجات السروج التي يبلغ مبيعها في دمشق ١٠٠,٠٠٠ فرنك سنويًّا

وشاعت في حمص وحماة منذ نحو عشرين سنة الاقمشة المعروفة بالحميدية والمصرية والهندية والملس ويدخل في نسجها القطن الَّا صنف الملس الذي هو من الحرير الخالص فيباع الذراع من الاولى من ٤ الى ١٠ غروش والملس من ٨ الى ٢٠ غ

واشتهرت زوق ميكائيل بمنسوجاتها المعروفة باسمها (وقد مرَّ في المشرق فصل في وصفها ٤ : ٤٤١) فيصطنعون الامتعة البديعــة كالستور والبردايات والوسائد والمصادغ فيرسمون عليها الرسوم وينسجونها بالِلحم ولهم اعمال مذهلة بدقَّة الوشي والتطريز والتبرقش اكسبت اصحابها شهرة واسعة حتى انهم جاروا بتطريزهم الصور الشمسيَّة والتصاوير اليدوية

ومن مصنوعات الحرير الشائعة في بلاد الشام الكفيَّات المختلفة الكبر والتركيب يصنعون منها في السنة نحو مئة الف فيباع مــا كان منها حريرًا خالصاً الى حد ١١ فرنكاً امَّا الممتزجة بالاقطان فيباع فرنكاً واحدًا الى فرنكين

ولا تزال دمشق غالبة على سواها بالمنسوجات الحريريَّة القطنيَّة المطرَّزة بالنقوش والزهور او المزركشة بخيوط الفضة والذهب تُباع القطعة منها (في طول ستة او سبعة امتار وعرض ٧٠ سنتي) من ١٦ الى ٢٦ فرنكاً ويصدر من هذا الصنف نحو ٢٠٠,٠٠٠ من دمشق وحدها

امَّا الصنف المعروف بالمبروم فاهل مصر يبتاعون منهُ في الشام الى ٩٠,٠٠٠ قطعة تبلغ القطعة من ١٢ الى ١٦ مترًا في عرض ٥٠ سنتي والقطعة تساوي خمسة فرنكات الى سبعة والمصريون يفضِّلون هذا الصنف لخفتهِ

ومنها الأَلَجات وهي الانسجة ذات الالوان المخطَّطة يبلغ طولها من خمسة امتار ونصف وعرضها من ٥٠ الى ٥٢ سنتي على اختلاف اسعارها وقدر ما يدخلها من القطن فتباع القطعة من خمسة فرنكات ونصف الى ١٨ فرنكاً

يُضاف الى تلك المصنوعات الكُريشات التي يُنسج منها ١٥٠٠٠ في السنة تُباع الكريشة على حسب وزنها واكثر من يستعملها اهل حوران . ثم الملاءات تُغطي بها النساء رؤوسهنَّ وتُباع الملاءة من ١٨ الى ٤٥ فرنكاً ويُنسج منها في الشام ١٤٠٠٠

قطعة تتراوح القطعة بين ٤ الى ٦ امتار طولًا في عرض ٦٨ سنتي. ثم الشالات التي تقلّد فيها اهل الشام شالات الهند والعجم ثم غلبوهم في تلوين اشكالها. ويصنع منها في ايّامنا نحو ٦٠٠٠ قطعة وثمن القطعة من ٦ الى ١٠ فرنكات

واذا حسبت مجموع المنسوجات التي تُصطنع في الشام في عهدنا وجدت ان قيمتها لا تتجاوز في السنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات. ولعلّ هذه الاثمان تهبط ايضاً اذا بقيت سوريّة على طرائقها النسجية القديمة

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

يمثّل المرسح غرفةً في حصنٍ لبني بكر

المشهد الاوّل

الهجرس وحدهُ

نشيد

اظلم الكونُ ووافانا القَتَامْ وتوارى النورُ في جنح الظلامْ
بعدكم يا والدي عيشي حرامْ وعلى الدنيا ومن فيها السلامْ
والدي كالجمر اضحى كبدي مـذ نأيتم عن حمانا يا همـامْ
كيف لا ابكي وانتم سندي في قيودٍ عرضةٌ لابن اللئامْ
كيف لا ابكي وبكرٌ قُهرتْ تغلبُ السوء عليها انتصرتْ
كم رجالٍ بكرُنا قد خسِرتْ يا لبكرٍ يا لآل الانتقامْ

الهجرس (بعد النشيد)

اهاجَ قذاءَ عيني الاذِّكارُ هُدوًّا فالدموعُ لها انحدارُ
وصارَ الليلُ مشتملًا علينا كأنَّ الليلَ ليس لهُ نهارُ
وبتُّ أُراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من اوائلها انحدارُ

أُصرِّفُ مُقلتي في إثرِ قومٍ   تباينتِ البلادُ بهم فغاروا
وابكي والنجومُ مطلّعاتٌ   كأنْ لم تحوِهـا عني البحارُ
دعوتك يا ابي لِمْ لَمْ تُجبني   وكيف يُجيبني البلَدُ القفـارُ

اجل اقفرت البلاد وقد تباعد سيّدها وعمادها. اقفرت في وجهي وقد نأى ابي الحارث (يقف) أبي الحارث أسرهُ الاعداء وكبّلوهُ. آه! لا كانت ساعة اتى فيها اليَّ رسول بكر واخبرني بنصر تغلب. تغلب حال عدد رجالها دون شجاعة أبطالنا. بنو تغلب أسروا ابي وخالي جسّاساً واوقعوا بهما الضر والنكال (يجلس)... ما العمل وقد تشعّبتني الهموم وتقسّمتني الغموم. أأنهض بما بقي معي من الفرسان في الحصن فأزحف على تغلب وانقذ أبي وخالي؟ ولكن أُخيَّ جليل... جليلةُ أمي لمن اتركهما؟ ومن يُناضل عنهما ان نأيتُ؟.. بعثت الى بني يشكر أستنجدهم على العدو ولكن هيهات أن يلبُّوا طلبي وقد امتنعوا عن نجدة ابي اذ استنجدهم ... (سكوت هنيهة. — يقف) أستنهض همة قيس صديقي. أطوف معهُ أحياء العرب واثير ثائرهم على بني تغلب فلا بدَّ لي ان اخلّص الاسيرين (يحاول الخروج فيدخل عمرو الرسول ويوقفهُ)

المشهد الثاني

المجرس وعمرو

عمرو — اين المسير مولاي. أبشرْ أبشرْ بالنصر..

المجرس — النصر وأمير بكر أسيرُ تغلب!

عمرو — قد انقذناه من مخالبهم. لبّى طلبك بنو يشكر

المجرس — جازاهم الله خيراً

عمرو — أقبلوا معنا وعاضدونا فامتلأت قلوب ابطالنا آمالاً بعد الخذل والانكسار واركنت بنو تغلب الى الفرار. وما زلنا نضرب ونطعن حتى انقذنا الامير من ايدي الاعداء. واستأسرنا سيدهم المهلهل

المجرس — وخالي جساس؟

عمرو — لم نتمكن من الوصول اليهِ. فان هناك قوماً من الاعداء نجَوا من بطشنا

فاستبقوهُ وقادوهُ اسيرًا

الهجرس وما الخبر عن ثعلبة ؟

عمرو رذلهُ المهلهل . نفاه ولم يرضَ بخائن في عسكره . وقد علمت من احد الطلائع انهُ شاخص الى حيِّنا بُغيتهُ ان يستخلص ما لهُ لدينا من المال ثم يتيه في الصحارى بعيدًا عنَّا وعن تغلب

الهجرس ان اتى الحيَّ فهو ميت لا محالة . هل قريب رجوع أبي ؟

عمرو نعم وقد اوفدني اليك كي اسكن روعك ولئلَّا تنأى عن الحيِّ

الهجرس قل لهُ اني مطيع أمر ابي (يخرج الرسول بعد ان اشار اليهِ الهجرس)

المشهد الثالث

الهجرس وحدهُ

الهجرس نعمت النجدة نجدة بني يشكر . دان النصر لنا وقهرنا العدوَّ قهرًا

(يدخل لكيز وثعلبة)

المشهد الرابع

الهجرس — ثعلبة — لكيز

لكيز مولاي هاك ثعلبة . كنت مع بعض الطلائع فرأيناه متنكرًا يجول سرًّا قصد الخلوص الى الحيّ . لكنَّا عرفناه وقبضنا عليه وها هو بين يديك

الهجرس ستنال جزاءَ أَمانتك (يخرج لكيز)

المشهد الخامس

الهجرس وثعلبة

ثعلبة مولاي ارحم عبدًا مستجيرًا

الهجرس ويلك يا خائن

ثعلبة ويلاه ايرذلني القريب والغريب ايكرهني كلٌّ من بكر وتغلب ؟ سيدي الهجرس ؟ . . .

الهجرس اصمت يا ذميم

ثعلبة أَتُخيِّب من استجار بك ؟ دعني استخلص مالي من الحيّ فأنأى عنكم مدى الدهر . هذه حاجتي اليك ليس الَّا

الهجرس يا لها من وقاحة ! افبعد ما وسوس لك الشيطان فورَّطك في الغرور وخنت اميرنا تستجير بنا ؟ انت الساعي في هلاك قومي وتطلب نجدتي عليهم ؟

ثعلبة مولاي . . . (يفكِّر)

الهجرس لك اليَّ حاجة . هي مقضيَّة . مرادك ان تنأى عنَّا . انت ناءٍ ورب الخلق . وما يبعدك عنَّا مدى الدهر الاَّ حتفك الساعة (يضرب على سيفهِ)

ثعلبة (وحده) أعلن السرَّ وابثهُ الامر برمَّتهِ

الهجرس فلأَنتقمنَّ للوطن من خيانتك (يسحب سيفهُ)

ثعلبة احبس سيفك . حرام عليك دمي وقد سعيتُ في نجاح (بقوة) بني تغلب وهم قومك

الهجرس بنو تغلب قومي ! . . . (وحده) اخذتني الحيرة لكلامِ هذا السفيه . . . (الى ثعلبة) يا هذا أعقلةٌ من السحر بك أم جنون ؟ السيف يهزأ من جاهل مثلك (يغمد سيفهُ) . . . انا تغلبي والحارث بن عبَّاد والدي ؟

ثعلبة ما انت الَّا ربيبهُ

الهجرس انا تغلبي وفي قلبي من الحبِّ لبكرٍ ما لا يرضى الَّا بإبادة بني تغلب عن آخرهم !

وقد حلفتُ يمينًا لا أُصالحهم ما دامَ منَّا ومنهم في الملا احدُ
وقد حلفتُ يمينًا ان أُقتّلهم يومَ الطعانِ وقلب الناس يرتعدُ
فاليوم اصبحهم بالبيض صافيـةً عند اللقـاء وحرُّ الموت يتَّقِدُ

. . . قلت لك بك عُقلة من السحر أو جنون

ثعلبة أبيتَ اللعن لا عقلة سحرٍ بي ولا جنـــون (بقوَّة) انت تغلبي وابوك كليب وائل

الهجرس كليب وائل ! أَفي الحلم انا ام في اليقظة ؟

ثعلبة نعم ان والدك كليب وكليب وائل . . . حملَتْك طفلًا الينا أُمُّكَ جليلة يوم قُتِل ابوك ثم تزوَّجها الحارث بن عبَّاد وربَّاك وأعزَّك كولده جليل

الهجرس (متهكمًا كانهُ لا يُصدّق) وكتمني نسبي ! يا للغدر !

ثعلبة كتمك ايَّاه خوفًا من سُخط خالك

الهجرس جسَّاس ؟

ثعلبة نعم جسَّاس مُثير حرب البسوس. جسَّاسٌ قاتل ابيك اضمرَ لك البُغض وقد طالما عمل على قتلك. يخاف على روحه من ثأرك بابيك اذا علمتَ نسبك فشرط على الحارث كتمانهُ عنك والّا عمد الى قتلك... لكنَّ خالك اخو غدرٍ وخداع. هو مُصرٌّ على بغضهِ لك وان سنحت لهُ الفرصة نقض شرطهُ وقتلك لا محالة

الهجرس (وحده) لقد جاشت مني النفس...

ثعلبة فما كان اولى بكَ ان تثأر بابيك وتُغمد سيفك في نحر قاتله قبل ان تجرّدهُ عليَّ كائناً من كنت... وان شئت...

الهجرس وبرهان قولك ؟ لا اطمئنُّ الى اهل الخيانة . لا استرسل اليك وقد طالما خاتلتَ وداهنت ونصبت المكايد لقومك

ثعلبة ان شئتَ دليلًا على صحَّة قولي فهلمَّ الى امّك (يريد الخروج من جهة الحيّ)

الهجرس (يوقفهُ) ماذا ؟ تريد الفرار ؟ (وحدهُ) عليَّ بالتحفُّظ من هذا الماكر. (الى ثعلبة) إلزم مكانك (ينادي من جهة باب الحصن) نويرة !... نويرة !... ليس من مجيب !... غريبان يدخلان الحصن من غير علمي !. (يدخل صخر وسحبان)

المشهد السادس

الهجرس وثعلبة وسحبان وصخر

سحبان (الى الهجرس) على رِسلكَ

الهجرس (يضرب على سيفه)

صخر سيفَك

الهجرس (الى سحبان) ان شئتما المبارزة فتخيَّرا امَّا الصراع. امَّا الطعان. امَّا المناحفة

سحبان وصخر إنك لميتٌ إذن !

ثعلبة مهلًا يا اخوا العرب اتتعدّيان على رجل ولا تعرفان نسبهُ ؟ لئن اوقعتما بهِ شرًّا ليُقتلنَّ بهِ رجالٌ

سحبان حسبُنا انهُ بكريٌّ ونحن من بني تغلب

ثعلبة هو بكريٌّ ؟ ما اخطأ ظنَّكما ! هو الهجرس بن كليب وائل ويكون بكريًّا !

سحبان ابن كليب وائل ؟

ثعلبة نعم ابن كليب وائل ٠ كان أُخفي عليهِ نسبهُ الى اليوم ولكني اوقفتهُ على حقيقة الامر ٠٠٠ عارٌ عليكما سفكُ دمه وهو ابن سيّد تغلب

صخر قيل لنا انهُ بكريّ وانَّ بينهُ وبين جسَّاسٍ طائلة

ثعلبة (الى الهجرس) أتحققت صحَّة قولي ؟

الهجرس ومن اجل هذه الطائلة ارسلكما جساس ؟

سحبان نعم بعث الينا من يصف لنا شارتك ويستحثُّنا على قتلك وقد أجزل لنا العطاء

الهجرس قبحاً لخالي جسَّاس ٠ ما اوغرَ صدرهُ ٠٠٠ ومن اولجكما الحصن ؟

صخر قيل لنا ان ننتهز فرصة تغيُّب الحارث ونأْتي الحيَّ وإنَّ ثمَّة رجلًا يُدعى نويرة يفتح لنا الحصن ويُجيزُنا بين الجنود كأنَّا رسولان اليك ويدلّنا عليك

الهجرس نويرة فعل ذلك !

صخر فأتينا وكان كما رأيت

الهجرس (بغضب) اذًا هي دسيسة من جساس !

ثعلبة نعم انها لدسيسة ٠ قد وَضح الحقُّ وحصحَص ٠ لا حاجة لك الى دليل آخر

الهجرس تيقَّنتُ قولك يا ثعلبة ٠ جسَّاس قاتل ابي ٠ جسَّاس اكنَّ لي البغض واضمرَ قتلي ٠ آه اشعر بنار الغيظ تتوقَّد في فؤادي اشعرُ بدمِ وائل ابي يفورُ في عروقي ٠ الثأر ! الثأر ! لا راحة لي ٠ لا قرار لي او أثأرَ بأَبي ٠ لا قرار لي او افتكَ بجسَّاس عدوّي وأُجندلهُ مضرَّجاً بدمائهِ ٠ وان اخفق مسعايَ فاني أستثير بغض الانس والجنّ واهيّج على جسَّاس الارض والبحر والملا

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريقْ
حلَّت ركاب البغي في وائلٍ في رهط جساس ثقال الوثوقْ
يا ايها الجاني على قومهِ جناية ليس لها بالمطيقْ

جنايةً لم يدرِ ما كنهها جانٍ ولم يصبح لها بالخليقْ
ان كنتُ لم اثأرْ بهِ فاشحذوا شفاركم منّا لحزّ الحلوقْ
ذبحًا كذبح الشاة لا يتّقي ذابحها الّا بشخب العروقْ
غدًا نساقي فاعلموا بيننا رماحَنا من قانئ كالرحيقْ
ليس اخوكم تاركًا وترهُ وليس عن تطلابكم بالمفيقْ

ثعلبة عشت ايهـا الامير. من يشكّ انك من سلالة وائل وفيك ما فيك من النخوة وعزة النفس ؟ . من اشبه اباه فما ظلم

الهجرس ان بني شيبان وجسّاساً نذلهم يعلّلون النفس بالنصر . اتاني رسول بكر واعلمني انهم اسروا المهلهل

صخر ولكنّ جسّاساً اسيرنا

سحبان قرّ عيناً ايها الامير فإنا سننقذ المهلهل لا محالة

الهجرس سيعتقلهُ بنو بكر في سجن هذا الحصن والحصن ملك ضبيعة ليس فيهِ من شيبان الّا نويرة المنافق. وانا اعزُّ لضبيعة من جسّاسٍ واملي بهم ان ينضمّوا اليّ ويعاضدوني عليهِ

سحبان وانا سائر لاجمع تحت رايتك بني اسد احلافنا فاضمّهم الى من بقي من تغلب. ولا نكفّ عن مقاتلة شيبان

حتى نرى اوصـالهم وجماجماً منهم عليها الخامعاتُ وقوعا
ونرى سباع الطير تنقر اعيناً وتجرّ اعضاءً لهم وضلوعا

الهجرس والمشرفيّة لا تعرّج عنهمُ ضربًا يقدّ مغافرًا ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابساً يوم الكريهة ما يُردن رجوعا
قتلوا كليباً ثم قالوا إرتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا

(يسير الهجرس وصخر من جهة الحصن وثعلبة من جهة الحي. وامّا سحبان فيبقى ويوقفهما قائلًا) :

سحبان رُويدًا رويدًا ايها الامير. الأَولى بنا ان نتروّى في الامر قبلَ الذهابِ . . . انت سيدي جُزْ بالحيّ

ثعلبة من وراء الحيّ. من حيث أتيت انا

صخر ونحن ؟

ثعلبة أرى قيساً مقبلا

الهجرس (الى ثعلبة) أسرعْ الى ما أتيتَ اليهِ (يخرج ثعلبة) (الى التغلبيَّين) اختبئا في هذه الغرفة (يخرج التغلبيَّان) . . . (وحدهُ) ان قيساً صديقٌ لي وانا اطمئن اليه . لعلهُ يزيدني ايضاحاً على ما بثني ثعلبة (يدخل قيس)

المشهد السابع

الهجرس وقيس

قيس مولاي مولاي كيف سَلِمت من مخالب العدو ؟

الهجرس سكِّن روعك يا قيس . ما الخبر ؟

قيس حذارِ حذارِ من الخيانة . آه ! تبًّا لنويرة الخائن . أولج الحِصنَ رجلين من تغلب كأنهما رسولان اليك وانما هما قاتلان . ولكن . . . (يلتفت حائرًا) اين هما ؟ كيف تأَنيا عليك الآن ؟

الهجرس خفض الجأش . أخبرني وأصدقني الخبر كيف علمت ما اضمرهُ نويرة ؟

قيس وثق بي نويرة كاني مثلهُ من اهل الخيانة . أعلمني انهُ أجاز الرجلين بالحِصن وسألني ان أُعلنَ الخبرَ انك برزت من الحي الى الاعداء فقتلوك

الهجرس وماذا اجبتهُ ؟

قيس أجبتهُ بالعقاب . طعنتهُ طعنةً نجلاء أنزلت بهِ الرَدى

الهجرس وما كان قصدهُ بالخِيانة ؟

قيس طمعٌ مولاي بالعطايا والصِلات

الهجرس صلاتِ مَن ؟

قيس (متردِّدًا) . . . ثمَّةَ مولاي شرحٌ يطول

الهجرس (مُلِحًّا) أصدقني الخبر

قيس (وحده مفكِّرًا) قد طالما استحوذ الضلال على الهجرس

الهجرس (مُلحًّا) لا تُخفِ عليَّ شيئاً

قيس (وحدهُ) وقد اوشك ضلالهُ ان يؤَدي بهِ الى حتفهِ

الهجرس (بضجر) ناشدتك الله يا قيس . تكلم . اخبرني

قيس (وحدهُ) أَبثُّهُ الامرَ برمَّتـهِ . . . (الى الهجرس) مولاي كنَّا كتمناك

نسبك الى الآن طوعاً لأميرنا الحارث . لكنَّ جساساً طالما بغى وغدر . هو اصل الشرّ . . . . . .

الهجرس كفى يا قيس . انا ابن وائل وجسّاس قاتله حاقدٌ عليّ

قيس (متعجباً) كيف بلغك الامر ؟

الهجرس ساعلمك ذلك . . . اذهب الساعة . . .

قيس ولكن تيقَّظ مولاي (يلتفت) اين التغلبيان ؟ اني خائف عليك منهما (يدخل سحبان وصخر)

المشهد الثامن

الهجرس وقيس وسحبان وصخر

قيس ويلٌ لكما !

الهجرس قف يا قيس لا خوف عليّ منهما

قيس مولاي ان شئت معاضدةً فمرني . كلُّ بني ضُبيعة في قبضتك

سحبان (الى قيس) سكِّن الروع كيف نستحلُّ قتلهُ وهو ابن اميرنا

قيس اتعرفان نسبهُ إذن ؟ . .

صخر نعم وإن كنتم يا بني ضُبيعة في قبضة الامير فهلمُّوا لاعانتهِ على جسّاس وإنقاذ المهلهل اسيركم

قيس (الى الهجرس) لبيك سيدي . جساس ملَّهُ الامير الحارث . ملَّهُ قومي على مكرهِ وخداعهِ . وان اعلمتهم بمواطأتهِ مع نويرة على قتلك فهم كلهم لك حربٌ عليهِ وانت تعلم مكانتك من محبتهم . طب نفساً ايها الامير . انا احلّ اسرَ عمّك وأبثُّ في افئدة قومي روح البغض والشحناء لجسّاس

سحبان هو الآن اسيرٌ في حيّنا

الهجرس اسيرُ اليهِ وأُعاقبهُ عقاباً

صخر وان نجا جسّاس هارباً الى حيّهِ او انقذهُ الاعداء ؟

قيس فليَعُدِ الاميرُ الينا (الى الهجرس) الحصنُ بيدنا ونحن في قبضتك نعينك على بني شيبان

الهجرس (الى سحبان وصخر) سيكون لقاؤنا في الملاهي (يخرج سحبان وصخر

من جهة اليمين) (الى قيس) . اجز الرجلين بالحصن كي يخرجا (يخرج قيس من جهة اليمين) وانا امرُ من وراء الحيّ (يهمّ بالخروج من جهة الشمال فيدخل جليل)

المشهد التاسع

الهجرس وجليل

جليل اخي اخي (يقف الهجرس) قد عال الانتظار صبري وصبر امي جليلة

الهجرس (وحدهُ) أيُقعدني أخي عن الاخذ بثأر ابي

جليل ما بالُكَ تضطرب فرائصك ؟

الهجرس (وحده) ارخى عزيمتي وزعزع غيظي !

جليل هل من خبر عن ابي وخالي ؟

الهجرس دان النصر لبكرٍ يا جليل

جليل اذن ما بالك كئيباً تعلو وجهك علاماتُ الاضطراب

الهجرس (وحدهُ) لا . لا يحجزني حاجز عن انجاز مقاصدي (الى اخيهِ بعنف) دعني (يهمّ بالخروح)

جليل ماذا ؟ انت ذاهب يا اخي ؟

الهجرس (يلتفت) اذهب وقل لامك انني لا انثني عن دسّ الدسائس حتى أُدرك ثاري من قاتل ابي . قل لها . . .

جليل ابي الحارث بن عباد قُتل ؟ . . . آه ! ابي . . . ابي . . .

الهجرس آه ! لو اعلمتني من قبلُ . . . قل لها انهُ لا بُدَّ لي من سفك دم جساس اخيها (يخرج)

جليل ايكون هو قاتل ابينا الحارث ؟ ماذا ؟ تتناءى عني (يتبع شقيقهُ قليلًا) اخي اخي ناشدتك الله (يعود ويجلس)

المشهد العاشر

جليل وحدهُ

جليل آه ابي ابي !

تربع الحزن في قلبي وذُبت كما اذا ذاب الرصاص أُصلي بنيرانِ

يا عين سحّي وجودي بالدموع ولا تملَّ يا قلب ان تُبلى باشجانِ

نشيد

ركني انهدَما يا عينُ جودي دمعًا دَمـا
سعدي عُدما بين السعودِ
زالَ الفرَحُ وافى الشقاءُ
وقد غَدا رَهنَ الردى عند العدى
يا رَبِّ آه حامي الذمارِ

خالي هَضَما يالجحود حقًا سما
ظهري قسما كيدُ الحسودِ
حلَّ الترحُ زال الهناءُ
نفسي فدا من قد هدى نحو الهدى
يا ربّ آه آلَ الديارِ

كيف أملّ البكاء وقد قُتل ابي ... قتلهُ جسّاس خالي... قال اخي ان بكرًا قد انتصرت. ويلاه! بئس الانتصار انتصارها وثمنهُ دمُ ابي. ويلاه! اما كفاني ما المَّ بي من المصائب بفقد ابي حتى ارى المهجرس ينأى عني ويخاطر بحياتهِ... (يقف) اقوم واسرع اليهِ. اقول لهُ ان دون ثأرهِ خرط القتاد. استحلفهُ بحبهِ لأمنا جليلة. بحبهِ لي (يخرج) (يدخل الحارث مع جنودهِ)

المشهد الحادي عشر

الحارث والجنود

الجنود النصر النصر...

نشيد العزّ براياتِ النصرِ والمجد ترَبّع في بكرِ
النصر بسيفِ الابطالِ والفخر بنصل المسّالِ
والسكرُ باحمرَ سيـّالِ من جرحٍ دامٍ هطّالِ
كسيولٍ من وادٍ تجري

اورَدْنا الراياتِ الحـربا اتزَلْنا في الخصم الحرَبا
اشبعنـا اعدانا ضربا ورجعنا نختفُ واطرَبا
العزّ براياتِ النصرِ

الحارث هل عرفت الغداة رسماً مُحيلا دارساً بعد اهلهِ مجهولا

سفهت تغلبٌ عداة تمنّت حرب بكرٍ فقُتّلوا تقتيلا
غير انا قد احتوينا عليهم فتركناهم بقايا فلولا
اذكروا قتلنا الاراقم طرّاً يومَ اضحى لقيفها مقتولا
فاصبنا الذي اردنا وزدنا فوق اضعافٍ ما اردنا فصولا
(الى الجنود) آل بكرٍ قدانتقمنا بضربٍ يدَعُ المُرد حين يبدو كهولا
واسرنا مهلهلًا حين سرنا واذقنا العدى طعاماً وبيلا
واردنا لتغلبٍ يوم سوء فقتلنا منهم قبيلًا قبيلا
ونزلنا بواردات اليهم فتولّوا ولم يطيقوا النزولا
كل قوم نبيحهم وحمانا قد منعناه ان يباح سبيلا

ن. ط. ن. (يعيد الجند الشطر الثاني)

(يدخل جليل)

المشهد الثاني عشر

الحارث والجنود وجليل

جليل (وحدهُ) أواه! لم يُصِخ اخي الى قولي (يلحظ اباه ويلحظهُ ابوه) ابي!

الحارث بُنيَّ (يتعانقان)

جليل ابتِ من نشلك من مخالب الموت ؟

الحارث طب نفساً بني

جليل (وحده) قد اخطأ في ظنهِ الهجرس !

الحارث طب نفساً قد انتصرنا على الاعداء

الجنود وهزمناهم هزماً

الحارث نعم ان خالك جساساً اسيرٌ لدى بني تغلب ولكن المهلهل اسيرنا (الى الجنود) وهو مخيّرٌ ان رضي بان يبعث الى قومهِ كي يُخلوا سبيل جساس والّا قتلناه قتلًا (الى جليل) ابشر بني وجلِّ الهم عن قلبك

جليل ولكنَّ قلبي لا يزال مكلماً على هجرس اذ قد تولى بلا عودِ

الحارث الهجرس تباعد عن الحي ؟

فاتك ليس هو في الحصن مولاي

بشار شاع انهُ خرج لامر هام ينهب الارض نهباً ويضرب آباطها ضربا

خالد وقد راعني سيّدي امر نويرة

الحارث نويرة! كان جسّاس ابقاه هنا في الحصن

جليل ذهب اخي الى جسّاس في حي تغلب يريد قتلهُ

الحارث يريد قتلهُ ؟ ماذا تقول (وحدهُ) ايكون الهجرس وقف على حقيقة نسبهِ ؟

جليل لستُ ادري من اضلّ اخي واخبرهُ ان جساساً قتل ابانا

الحارث قد طمّ الخطب ولا قرار لنا . ما قال لك اخوك يا جليل ؟

جليل عبثاً سألتهُ . لم يُجبني الّا بهذا الكلام : قل لامك انهُ لا بدَّ لي من قتل جساس قاتل ابي

الحارث (وحدهُ) لقد وقف الهجرس على نسبهِ وهو ثائرٌ (الى جليل) اي وقت كان ذهاب اخيك ؟

جليل خرج من حينٍ من وراء الحيّ

الحارث (الى احد الجنود) اذهب في اثرهِ وقل لهُ ان يعود حالًا (يخرج الجندي من جهة الحيّ)

جليل (ينظر الى الجهة التي يخرج منها الجندي) آه من لي بان يعيدهُ اليَّ . مَن لي بان يعيدهُ الى امي سالمًا (يُرخى الستار) (لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Ad-Damîrî 's Ḥayât al-Ḥayawân (a Zoological. Lexicon) translated from the Arabic by A. S. G. JAYAKAR I. M. S., Vol. II, part 1, *London, Luzac and C°*, 1908, pp. 604

ترجمة انكليزيّة لحياة الحيوان الكبرى للدميري

وصفنا قبلًا (في المشرق ١٠ : ٧٦٥) القسم الاوَّل من هذه الترجمة وبينا خواصّها وفوائدها . ويتناول هذا القسم الثاني اوصاف الحيوانات التي تبدأ اسماؤها بحرف الزاي الى آخر حرف الفاء . وصاحب هذا النقل يكتفي غالباً في ترجمة الاصل بامانة دون ان ينتقد عليهِ في شيء . ولهُ في ذيل الكتاب ملحوظات قليلة مرجعها الى اللغة . ولنا الامل ان يضيف المترجم الى القسم الاخير التذييلات والحواشي والفهارس

التي تزيد هذه النقول منفعةً . ولا شكّ في انّ علماء الطبيعيّات يقبلون على هذه الترجمة التي توقفهم على فضل كاتب عربي دعوهُ باسم « بلينيوس العرب » ل . ش

Vies des Saints par **Paul Bedjan** P. D. L. M. Lazariste, *Paris, rue de Sèvres- Leipzig, O. Harrassowitz,* 1912, pp. 687

المنشورات العلميَّة المتعددة التي ابرزها حضرة الاب بيجان اللعازري في السريانية والكلدانية فاكسبتهُ شكر المستشرقين عموماً لم تُنسهِ مواطنيهِ الكلدان بل طبع لفائدتهم عـدَّة تآليف شاعت اليوم بينهم في جهات العراق والعجم وانعشت فيهم روح التقى . وها هوذا اليوم قد ألَّف لهم كتاباً في لهجتهم الحديثة اهدانا منهُ نسخة ألا وهو مجموع اخبار القديسين وضعهُ على طريقة سهلة وفي اللغة الكلدانيَّة العامَّة وطبعهُ طبعاً متقناً في ليبسيك فجاء كتاباً لطيفاً صغير الحجم واسع المواد وقد تبع في ترتيبهِ ابواباً معلومة فباشر بترجمة القديس يوسف البتول والحقها بترجمة القديس يوحنا المعمدان والقديس اسطفانس اوَّل الشهداء ثم الرسل والتلاميذ والشهداء والمعترفين ومنشئي الرهبانيات والعذارى . وقد اتسع على الاخصّ بذكر اولياء الله الذين اشتهروا بين الكلدان ووردت اسماؤهم في كتبهم الدينيَّة . فنخلص الشكر لحضرة المؤلف ونحث الكلدان على ورود هذا المنهل العذب ل . ش

Isis Copia : Fleurs de Rêve. *Le Caire*, 1912, pp. 137

منظومات فرنسويَّة

انَّ هـذا المجموع قد نسجت بُرْدهُ فتاة وطنية شديدة الشواعر فحاولت ان تنظم بالشعر ما احسَّ بهِ قلبها وشغل مخيّلتها بازاء مشاهد الطبيعة وتقلبات الحياة في مدرسة راهبات عنطورا ثمَّ في انحاء مصر والاسكندريَّة ثم في جهات لبنان وبلاد الجليل . وكانَّ الناظمة ارادت ان تجاري الشاعر لامرتين فقدَّمت كتابها لذكرهِ وصوَّرت شعرها على صورة شعرهِ . واحسن ما وجدنا في هذه القصائد تديُّن ناظمتها ل . تيوليه

جواهر الادب من خزائن العرب

الجزء الثالث . جمعـهُ سليم ابراهيم صادر

طُبع في المطبعة العلميَّة سنة ١٩١٢ (ص٢٨٣)

هذا الجزء كشقيقيهِ السابقين (المشرق ١٤ : ٣٩٦ و٧١٧) في سعة موادهِ وتفنن

مضامينهِ جعلهُ جامعةُ الاديب على ابواب شتى على مثال كتابنا مجاني الادب لكن دون مراعاة الطبقات وهو في الغالب مأخوذ عن الموارد عينها الّا بعض قصائد لشعراء محدثين ورسالات لكتبة عصريين . والكتاب مضبوط بالشكل ليس فيهِ ما تعثر بهِ رجل الاحداث فيحسن استعمالهُ في كل المدارس ل . ش

CORPUS SCRIPTORUM ORIENTALIUM—SCRIPTORES ARABICI : AGAPIUS EPISCOPUS MABBUGENSIS. Historia Universalis, edidit **L. Cheïkho** S. J. *Beryti,* MDCCCCXII, pp. V-429

تاريخ اغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي

اوّل من ذكر هذا التاريخ هو الامام المسعودي في كتابهِ التنبيه والاشراف (ص ٢١٢ من طبعة ليدن) في سنة ٣٣٠ ﻫ (٩٤٢ م) وعليهِ فانّهُ من اقدم الآثار النصرانيَّة وكان المؤلف معاصرًا لابن البطريق فوضع كلاهما تاريخهُ في الوقت عينهِ تقريباً ولا يظهر ان الواحد عرف الآخر اذ كان ابن البطريق بطريركاً ملكيًّا على الاسكندريَّة واغابيوس اسقفاً ملكيًّا على مدينة منبج ليس بعيدًا من الفرات. وكأنَّ الله اراد ان يحيي تاريخي هذين الكاتبين المتعاصرين على يدنا فبعد ان نشرنا تاريخ ابن البطريق اخذنا في طبع تاريخ المنبجي الذي يمتدّ كتاريخ معاصرهِ من اوّل العالم الى زمانهِ. وهذا التاريخ يُقسم قسمين قسم منهُ يبتدئ بتاريخ الخليقة وينتمي الى عهد تاودوسيوس الكبير ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان قابلناهما على نسخة ثالثة في مكتبة دير السريان في الشرفة. والقسم الآخر لا يُعرف منهُ غير نسخة وحيدة في مدينة فلورنسة من اعمال ايطالية حصلنا على صورتها الشمسيَّة بهمَّة احد آباء رهبانيتنا. على انَّ هذا القسم مع عظم شأنهِ غير كامل وهو ينتهي في خلافة المنصور العبَّاسي. فطبعنا القسمين وذيلناهما بالحواشي والاصلاحات. والظاهر انَّ المؤلف لم يكن يحسن العربيَّة في زمانهِ ففي انشائهِ ما يقرب من اللغتين الشائعتين بعدُ في نواحيهِ اي السريانيَّة واليونانية. ومن مزاياه انَّهُ يصف ما وقع من الحوادث في جهات الرها ومنبج ونواحي الفرات. وقد استعار شيئاً من تاريخ مفقود لاحد كتبة الموارنة في عهدهِ اعني بهِ تاوفيل الرهاوي الذي كان طبيباً للخليفة المهدي وهو ناقل الالياذة الى الشعر السرياني كما روى ابن العبري (اطلب المشرق ٢ : ٢١٩ و٣٥٦) . واملنا

ان يكتشف احد الشرقيين نسخة كاملة من هـذا الكتاب. فيخدم الاداب العربيّة خدمة يشكرهُ عليها كل محبيّ الآثار النصرانيّة ل. ش

Emile Gebhart : I. Petits Mémoires, VI-292 = II. Contes et Fantaisies, p. 308. Paris, Bloud et C[ie] 1912

مجموعة مذاكرات وروايات متفرّقة لمسيو كبهارت

صاحب هذين التأليفين احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة وقد اشتهر بعدّة مصنّفات تاريخيّة دينيّة ومدنيّة لاسيا في تاريخ نهضة الآداب في القرن الخامس عشر. وكان لهُ عدّة كتابات قصيرة متفرقة نشرها في الجرائد والمجلّات فلمّا توفي قبل سنين قليلة جمعها الطبّاع بلود ونشرها في هذين الكتابين اللذين اهدانا منهما نسخة. واذ لا يسعنا تتبُّع فصولهما الموجزة قد اخترنا منهما رواية اثبتناها في صـدر هذا العدد عن دياميس رومية وفصح النصارى فيها على عهد نيرون. وفي هذا المجموع فصول أخرى تستحقّ الذكر منها ما استعارهُ من العادات الشرقيّة. وهناك نبذة عن مرور رينان الكافر الشهير في مدرستنا في غزير سنة ١٨٦٦ نحيل اليها القراء ل. ت

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

الخطبة الثانية والثالثة لحضرة الخوري لويس دريان

في المطبعة العلمية سنة ١٩١١ (ص ٧٦)

اشرنا في العام المنصرم (المشرق ١٤ : ٣١٤) الى الخطب التي القاها في كنيسة مار مارون حضرة الخطيب المنوَّه بهِ وكنّا تمنَّينا لو واصل طبع تلك الخطب الجليلة فيزكو بها الزرع الجيد وتثمر في النفوس اثمار الخلاص وكأنَّ حضرتهُ اجاب ملتمسنا فنشر خطبتين اخريين الواحدة في وجود الخالق والاخرى في الالفة بين العقل والدين وكلتاهما من المواضيع التي يحبّ اهل عصرنا الخوض فيهما. فما عليهم الّا ان يتبعوا حضرة الخطيب فهو خير دليل يرشدهم الى الحقيقة باسطع البراهين واحسن الكلام وقعاً في القلوب ل. ش

كتاب زهور النفس من حديقة خوري أرس

بقلم الاب بولس سيور البولسي

بمطبعة مار بولس في حريصا (لبنان) ١٩١٢ ص ٩٦

زهور النفس تفتحت اوّلًا في مدينة أَرْس حيث غرسها ذلك الكاهن الشهير

بقداسته الطوباوي ڤياناي ففاحت هناك وعطَّرت النفوس بعبيرهـا فنشكر حضرة الاب بولس سيور الذي قرَّبها الينا بتعريبهِ ليفوح عرفها في بلادنا الشرقيَّة ويذوق اهل اوطاننا ثمارها الشهيَّة
ل٠ش

شذرات

اليوبيل الاسقفي لغبطة بطريرك السريان قد احتفل السريان الكاثوليك بتذكار السنة الخمس والعشرين لاسقفيَّة غبطة بطريركهم الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني فشاطرتهم الافراح بقيَّة الطوائف وافاضت الجرائد في وصف هذا الموسم البهيج فنتهز نحن هذه الفرصة لذكر التآليف التي وضعها صاحب العيد فخدم بها الكنيسة والآداب الشرقية٠ فمن اثار غبطتهِ اذ كان كاهناً يُدعى لويس (١) مختصر في التواريخ المقدَّسة على سبيل السؤال والجواب سنة ١٨٧٦ ولدينا طبعتهُ الرابعة ثم (٢) مختصر التواريخ القديمة سنة ١٨٧٦ ثم (٣) مختصر تاريخ القرون المتوسطة سنة ١٨٧٧٠ ومن آثارهِ لمَّا سُقف على الرها باسم رابولا (٤) كتاب الشهر المريمي يتضمن تأملات في سيرة سيدتنا مريم العذراء ومناقبها سنة ١٨٩٢ وهذه الكتب الاربعة مطبوعة في الموصل في مطبعة الدومنيكان٠ وفيها طبع (٥) سنة ١٨٩٦ وهو رئيس اساقفة حلب ترجمتهُ اللاتينيَّة لكتاب اللمعـة الشهيَّة في نحو اللغة السريانية للمطران يوسف داود٠ ولمَّا صار بطريركاً للطائفة السريانية نشر (٦) كتاب وصية الربّ (Testamentum D^ni^ N^i^ J X^i^) طبعهُ في المانية سنة ١٨٩٩ ونقلهُ الى اللاتينيَّة وعلَّق عليهِ التعليقات المهمة (اطلب المشرق ٢: ٤٩)٠ وفيها نشر (٧) اعمال القديسين الشهيدين غوريا وشامونا (المشرق ٢: ١٠٠٤) مع ترجمتهـا الى اللاتينيَّة وتذييلها٠ وفي السنة ١٩٠٤ باشر بنشر دروسهِ السريانيَّة (Studia Syriaca) التي ظهر منها ثلاثة اقسام (٨-١٠) تجمع كثيرًا من الآثار السريانيَّة الدينيَّة والعلميَّة والادبيَّـة (المشرق ١٩٠٤ ص ٣٣٦ و١٩٠٨ ص ٥٥٨ و١٩٠٩ ص ١٥٣)٠ وفي السنة ١٩٠٤ ايضاً نشر (١١) تاريخاً قديماً دينيًا ومدنيًا لمؤرخ سرياني طبعهُ في الشرفة (المشرق ١٩٠٤ ص ٧٣١)٠ وطبع في مجلة بسَّاريون (١٢) سنة ١٩٠٣ بعض ميامر



غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني
بطريرك السريان الكاثوليك الانطاكي

لمار افرام. وفي سنة ١٩٠٦ طبع (١٣) في الشرفة كتاب البتوليّة لمار افرام مع مقدّمات وشروح وترجمة لاتينيَّة (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠ : ٣٢) ثمّ طبع هناك (١٤-١٥) كتاب الشحيم سنة ١٩٠٢ وخدمة القدّاس (١٩٠٧) حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكيَّة بعد تنقيحهما وتحسينهما والزيادة عليهما وكذلك (٦) نشر بعد تنقيحهِ كتاب فصول الاناجيل . وسيُتبعهُ قريباً (١٧-٢٠) بفصول الرسائل والخدَم الكهنوتيَّة والجنازات والاحبار. ولهُ تآليف عديدة معدَّة للطبع . هذا فضلًا عمَّا نقح واصلح وضبط او نشر غفلًا من اسمهِ جازاه الله خير جزائهِ

تحية الشرق بالمكتب الفرنساوي الجديد نظم حضرة المنسنيور يوسف العلم هذه القصيدة العامرة الابيات يحيي بها مكتبنا الطبي الجديد باسم اقطارنا الشرقية مثنياً على فرنسا القائمة بنفقات هذا المشروع الجليل وعلى رئيس المكتب الذي بهمَّتهِ بلغ الى هذه الدرجة من النجاح

حيُّوا فرنسا عندَ مدخلِ ذا البنا ... وادعوا لمن بذلوا بجانبهِ العنا
نشرتْ فرنسا فوقهُ علَماً لها ... ولها نشرنا حولهُ عَلَم الثنا
ذكرى بني عثمان موصولُ الولا ... بالدولتين فانَّ عائدَهُ لنا
ها دولة الاحسان فاضَ سخاؤها ... شرقاً وغرباً والسخا شَرَفُ الغنى
ايُّ الأيادي لم تنل منها يدًا ... ايّ الاماني لم تَنل منها مُنى
ذا مكتبٌ للطبّ قام بفضلها ... وبفضله نادى الزمانُ وأعلنا
هاكم تلامذة لهُ فتبيَّنوا ... شرفَ الطبيبِ وما اسمُ مكتبهِ عنى
هاكم شهاداتٍ لهم من خطّ مَن ... بذلوا بفحصهمِ النهى والأعينا
في كل قطرٍ منهمُ من حقَّقوا ... آمالنا فيهم ذكاً وتفنُّنا
يا ايها التلميذ حسبُك رفعةً ... بمثال استاذٍ بشخصكَ بيَّنا
تلك الحديقة والصنوبرُ دَوْحُها ... بهوائهِ وظلالهِ تنفي الضنا
وهنا الحديقة من عطور زهورها ... تعطي الدوا الشافي لأدواءٍ بنا
تلكم صفوف الجند تحمينا العدى ... وهنا صفوف الطبّ تحمينا الفنا
الطبّ ما بين العلوم احبُّها ... للمرء في دنياه كي يلقى الهنا
من دون صحَّة جسمنا لا لذَّةً ... نلقى ولو ضمَّ الممالكَ كفُّنا

حيُّوا أُساةَ الروح فينا انهم بالجسم ايضاً قد عُنوا نعمَ العنا
فهناك ننظر هيكلًا ومساجدًا فيها نداوي النفس من اسقامنا
وهنا نرى للجسم احسن مكتبٍ مع كل اصنافِ العلاج لدائنا
فهنا المداوي والمداوى والشفا سبحانكَ اللهمَّ من هذا البنا
يا شخصَ كاتانَ الرؤوف تسطَّرت لك للدهور عواطف من قلبنا
يا سَعْيَ كاتان الجهيد تظلَّلت لك في البحار بواخر بجفوننا
ذا صدرك الرحب الوسيع بوسطهِ النيشان من جدوى فرنسا زيَّنا
كم سرتَ غرباً ثم شرقاً كي نرى دورانَ شمسٍ فوق منطقة الدنى
دارت تبثُّ شعاعها بين الورى والحرّ قلب الكون منها كونا
كم لمعةٍ لك في القصور تشاغلت ريحُ الصبا فيها واطيار الفنا
كم خطبة لك في المحافل ما انتهت الَّا بخطبة حبّ سامعها لنا
كم كلمةٍ لك في الجرائد سطرت منها فصولًا سُطرت في لبّنا
وكذا رجال الدين فينا فلتكن للدين والدنيا وقل « ما أحسنا »
للدين والدنيـــا تفانى غيرةً وبراعةُ الباني تبانُ بما بنى
اكرم بها جميَّةً جمعت لنـــا روحاً وجسماً خير اسباب الهنا
يسوعُ قائدها فلا تخشى الردى « والربُّ اصبعهُ هنا » لن توهنا

⁂ العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة ⁂ بلغنا ان احد المسلمين في الثغر المسمَّى محمَّد طاهر التنير نشر في مطبعة الاتحاد العثمانيّ (واسم المطبعة غير مدون) كتاباً تحت العنوان المذكور. فلمَّا علمنا بصدورهِ اجتهدنا في تحصيل نسخة منهُ لدى مظانّهِ فكان الجواب انَّ الحكومة المحليَّة منعت بيعهُ في بيروت فأُرسل الى مصر. وان شاء الله نستحضر قريباً نسخة منهُ فنبيّن لكاتبهِ انَّهُ انخدع بالسراب واخطأ الحثرة بنقلهِ الى العربيَّة مزاعم فارغة لبعض الزنادقة الملحدين

⁂ الكلمة وبطريرك القبط المستقيل ⁂ اثبت البشير في عددهِ الصادر في ١٦ نيسان الاخير القرار الذي كتبهُ بيــدهِ وارسلهُ الى المجمع المقدَّس غبطة بطريرك القبط السابق السيد كيرلوس مقار معلناً بايمانهِ الكاثوليكي « وآسفاً كل الاسف لكونهِ في ايَّام تجربة وقنوط واضطراب ادبي عظيم قد جاهر بالانضمام الى

كنيسة الروم المنفصلين دون ان يشاركهم في الافعال الدينية » فاسرع صاحب مجلة الكلمة اذ بلغه نصفُ الخبر وطنطن مبشِّراً قرَّاءهُ (في عدد ١ نيسان ١٩١٢ ص ٢٠٨ — ٢١٤) « بدخول بطريرك الاقباط الى احضان الكنيسة الارثوذكسيَّة » وانَّ فعلهُ هذا « نتيجة اعتقادهِ الخالص بصحة عقائدها » (كذا !) وهو يلوم هناك بكلام مرّ اخوتهُ اليونان الارثوذكس في الاسكندريَّة الذين لم يوافقوا السيد فوتيوس على قبول السيد مكار في طائفتهم ويدعوهم « حجر عثرة في سبيل الارثذكسيَّة ». والآن اذ قد ندم البطريرك القبطي المستقيل على فعلهِ ظهر ايضاً لكل العيان ان اليونان كانوا ادقّ نظراً واسلم ذوقاً من السيد فوتيوس الاسكندري والسيد رفائيل هواويني الاميركي. وفي هــذه النسبة يحسن بنا ان نذكرهما بكلمة قالها لوتاروس زعيم البروتستانت: « ان البابا اذا اراد ان ينظف حديقتهُ القى الينا من فوق الحائط مــا وجدهُ فيهــا من الاعشاب الباطلة » . فليفرح اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة بمثل هذه الهدايا الثمينة ويقابلوها بارتداد اعظم العلماء واكبر افاضل الناس الى الكثلكة كل يوم في كل البلاد (راجع ص ٣١٨ ما نقلناهُ عن الكلمة نفسها)

اسئلة واجوبة

س كتب لنا من دمشق احد القراء: كثيراً ما قرأنا في الكتب الاوروبية ان البابا سلفسترس الثاني الشهير بعلومهِ كان تخرَّج على العرب في قرطبة فالى اي سند يستند هؤلاء الكتبة في قولهم ؟

البابا سلفسترس الثاني والعرب

ج البابا سلفسترس كان فرنسوي الاصل واسمهُ جربرت ولد في اوريلياك نحو السنة ٩٤٠ ثم ترهب في رهبانيَّة القديس بنديكتوس وتخرَّج في العلوم اللسانيَّة والادبيَّة في موطنهِ على معلّم شهير يدعى ريمند اطنب في ذكره في تآليفهِ. وفي ابان دروسهِ مرَّ بديرهِ الكنت بورل امير برشلونة فرافقهُ جربرت الى اسبانية ودرس في مدينتي برشلونة وڤيش الرياضيَّات على معلّمين مسيحيّين فبرَّز فيها. وبعد ثلاث سنين رافق الكنت بورل الى رومية فادخلهُ على الملك اوتون الاوَّل الذي جعلهُ في خدمتهِ قبل تتويجهِ امبراطوراً ولمَّا لبس التاج الامبراطوري قدَّمهُ ثم ارسلهُ الى مدينة ريمس

في فرنسة حيث درس الفلسفة مدَّة وتولّى في اثرها التدريس فعلّم هناك العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة فتواردت اليهِ الطلبة من كل انحاء اوربَّة. ثم دعاهُ الامبراطور الى ايطالية حيث قام بعدَّة مناصب جليلة حتى صار مطربوليتاً على راڤنّا وفي سنة ٩٩٩ وقع عليهِ الاختيار لكرسي رومية فدبَّر الكنيسة جمعاء بكل حكمة وقداسة الى وفاتهِ سنة ١٠٠٣. امَّا علاقاتهُ مع العرب في اسبانية فاحدى الخرافات التي اشاعها الكتبة بلا سند وانمَّا قالوها جزافاً لرحلتهِ الى اسبانية مع الكنت بورل. ودونك ما كتبهُ آخرًا احد علماء واشنغتون وليم تُرْنر (William Turner) في عدد اذار من السنة الحالية من مجلَّة الكليَّة الكاثوليكيَّة هناك (The Catholic University Bulletin, XVIII, 241) ما تعريبهُ الحرفي: « لدينا ادلَّة مقنعة نعلم بها انَّ جربرت لم يتفقد مطلقاً جهات اسبانية الخاضعة للمسلمين وانهُ لم يأخذ قطّ عن استاذ منهم وكل ما كان يعرفهُ فانهُ اخذه من معلمين مسيحيين في برشلونة وڤيش » (١. ثم فحص هناك الرواية القائلة بدرس جربرت على فيلسوف مسلم وبيَّن انَّها لا اصل لها البتَّة

س وسأل مستفيد ماذا طبع من جغرافية الشريف الادريسي

جغرافية الادريسي

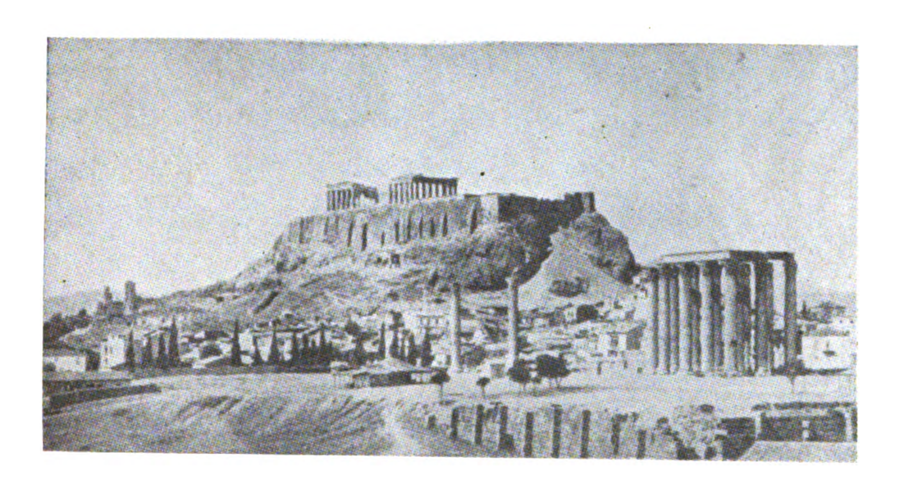
ج تُعرف هذه الجغرافية بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق وكان سعى بطبع خلاصتها العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني ويوحنَّا الحصروني سنة ١٥٩٢ في مطبعة المديشيس في رومية العظمى. وقد طبع منها العلامة دوزي (Dozy) القسم المختص بالمغرب وارض السودان ومصر والاندلس في ليدن سنة ١٨٦٤. وطبع روزن مولر (Rosenmüller) وصف الشام وفلسطين في ليبسك سنة ١٨٢٨ ثم جدَّد طبعهُ جلد ميستر (Gildmeister) في بونّة سنة ١٨٨٥ وطبع أمَاري وشياپارلّي الايطاليَّان القسم المختص بوصف بلاد ايطالية في رومية سنة ١٨٧٨ هذا فضلاً عمَّا نُقل من جغرافية الادريسي الى اللُّغات الاوربيَّة لاسيما الترجمة الافرنسيَّة لجوبرت (Jaubert)

ل. ش

---

١) وهذا قولهُ بالحرف:

« We have good reason to believe that Gerbert never visited Moorish Spain, never had a Saracen teacher, and owes whatever learning he acquired to the Christian teachers of Barcelona and Vich »



أكمة الاكروپوليس في اثينة (من جهة الجنوب)



هيكل البرثينون (كما اثبته المهندسان تيرش وسبرنغر ميكاليس)



يوبيل كليّة اثينا ومؤتمر المستشرقين

ذكرى للاب لويس رنزڤال اليسوعي ممثّل مكتبنا الشرقي

كان يوم الفصح في هذا السنة من اجلّ الاعياد وابهج المواسم لاهل اثينا فانطبع ذكرهُ على صفحات قلبهم طبعاً يقوى زمناً طويلاً على آفات الدهر. وقد دام هذا العيد اسبوعاً كاملًا (من ٧ الى ١٤ نيسان) توالت فيهِ الافراح على عاصمة اليونان والمتوافدين اليها

السنة الجارية هي السنة الخامسة والسبعون لانشاء مدرسة اثينا الجامعة المعروفة بالكليّة الوطنيّة (١ فاراد اصحابها ان يحتفلوا بيوبيلها الالماسي احتفالًا فائقاً ازداد رونقهُ بعقد مؤتمر المستشرقين السادس عشر على مقتضى اتّفاق المؤتمر السابق في كوپنهاغ (٢. فكان ازدواج حفلات الموسمَين مجلبة لجماهير الوافدين الى حاضرة اليونان (٣ وذلك ما كان يرغبهُ اهلها وان اضرّ نوعاً باعمال المؤتمر وعاق حركات المستشرقين

١) في اثينا كليّة أُخرى تُنسب الى كاپو دِستريا (Capo d'Istria) احد زعماء الاستقلال اليونانيّ واول رؤساء الجمهوريّة اليونانيّة سنة ١٨٢٧

٢) مؤتمرات المستشرقين تُعقد كل اربع سنوات فكان مؤتمر كوپنهاغ عيّن سنة ١٩٠٨ مدينة اثينا لاقامة المؤتمر التالي. وفي هذا العام لم يتّفق المؤتمرون في اثينا على اختيار المدينة للمؤتمر التالي وقد عيّنوا لجنة تتمّ بالامر

٣ ولذلك كنت ترى في شوارع اثينا كثيرين من الوفود عارضين على صدورهم وسامَين وسام المؤتمر الممثّل لإلهة الحكمة كما رسمناهُ هنا ووسام النوّاب لحضور الاعياد اليوبيليّة وهو عبارة عن نوط مستدير يمثل رأس الإلهة فقط

كلٌّ يعلم انَّ المؤتمرات تتألف من النواب الذين توفدهم رسميًّا الدول او الجمعيَّات العلميَّة ثمَّ من الخواصّ الذين يحضرون باسمهم الخاصّ جلسات المؤتمر. ففي هذه السنة كان عدد الوفود متضاعفًا ارسلت الدول بعضهم لمؤتمر المستشرقين والبعض الآخر لاعياد اليوبيل وكذلك كان انضمَّ الى المؤتمر عدد عديد من الذوات ليس رغبةً في الدروس الشرقيَّة بل توقًا للحفلات التي كانت لجنة المؤتمر وعدت بها وافاضت سلفًا في اوصافها. وكان من جملة الامتيازات الحاصل عليها اعضاء المؤتمر ان يُسمح لهم بحضور الاعياد الدينيَّة والاجتماعات المدنيَّة التي عوَّلت الكليَّة على اقامتها بل كانوا افردوا للمستشرقين امكنةً خاصَّة احتفاء بهم وذلك ما دفع كثيرين حتى السيدات والاوانس ان ينضمُّوا الى المستشرقين ويصطبغوا بصبغتهم لمدَّة ثمانية او عشرة ايَّام. ومن ثمَّ رأت اثينا القوم يتوافدون اليها منذ اوائل اسبوع الآلام ويحلُّون في أنزالها وفنادقها حتى ان الذين تأخروا عن هذا الميعاد الى جمعة الفصح لم يجدوا لهم مكانًا الَّا على شروط باهظة (١

*

وكانَّ الظروف كلها قد اجتمعت لتكسو هذه الاعياد حلَّةً من الفخر والبهجة فانَّ الكليَّة الوطنيَّة كانت قبل يوبيلها بقليل احتفلت بعرس رئيسها الذهبي المسيو

---

١) يسوءنا ان نذكر هنا ما اظهره بعض ارباب المنازل العموميَّة من الجفاء والطمع والغلوّ في الاسعار الَّا بعضهم كالسيدة ماك تاكرت (Mac Taggart, *rue du Stade*, 12) التي عيَّنت للنزَّالة في محلها راتبًا وسطًا واحسنت معاملتهم طول زمان اقامتهم عندها – وممَّن اثاروا عليهم شكاوى الوفود عمَّالُ السكك الحديديَّة والسفن البحريَّة. فانَّهم لم يقوموا بعهود لجنة المؤتمر التي كانت في اوراقها الرسميَّة تعهَّدت باسعار متهاودة على خطوطها البرّيَّة والبحرية لناقلي بطاقاتها المضاة بخاتمها فخاب امل كثيرين بهذه المواعيد وكان العمَّال لا يرضون بقطع اوراق السَّفر على حسب الشروط لاسباب يتمحَّلونها فتارةً يزعمون انَّ الشروط لا تتمّ الَّا للذاهبين والآتين معًا وتارة يطلبون مصادقة دولة الوافدين فضلًا عن لجنة المؤتمر او يميّزون بين التعاريف النظريَّة (كذا) والتعاريف الجارية. الى غير ذلك ممَّا كدَّر خواطر كثيرين من المستشرقين وكانوا قد رأوا خلاف هذه المعاملات في المؤتمرات السابقة حيث كان البلد الذي يحتلُّونهُ. والشركات التي يعاملونها تتحفَّى بهم وتُحسن وفادتهم. وقولنا هذا لا يعمّ الشعب اليونانيّ الذي آنس بالمستشرقين واستقبلهم استقبالًا شائقًا مقتديًا في ذلك بملك اليونان والاسرة الملكيَّة نفسها

لمبروس (Sp. Lambros) . ثمّ انّ الامّة اليونانية كانت خرجت من محنة الانتخابات ظافرةً بجلّ رغائبها فقرّرت رئاسة الوزارة لڤنزويلوس وذلك باغلبيّة الاصوات العظيمة ورأت في تجديد انتخابهِ ضامناً للسلام وللاصلاحات الداخليّة لما تؤمّل البلاد من حكمتهِ ودرايتهِ ومن تحقيق امانيها في وقت قريب

وضاعف هذه الافراح التوفيقُ بين عيد الفصحِ وحفلة افتتاح المؤتمر وذلك في سنة اتفق فيها وقوع الاعياد الفصحيَّة يوماً واحدًا على موجب الحسابين الشرقي والغربي فظهر الكلُّ في مجلى واحد من التقى والاتحاد ونسوا ما يفصلهم من اسباب الشقاق والنزاع الديني

ومعلوم ان الدولة اليونانيَّة تعضد الدين وتعترف بهِ رسمياً فكانت الحفلات الدينيَّة تجري باتفاق الهيئتين الدينيَّة والمدنيَّة معاً . ففي مساء جمعة الآلام كنت ترى جماهير الاثينيين خارجين من كنائس المدينة وطائفين بالنظام ومشيّعين لتمثال السيد المسيح ذكرًا لدفنهِ (τὸ ἐπιτάφιον) وكان يسير امام الشعب كوكبة من الجند يدقّون النفير او يضربون الطبول على نَغم شجيّ محزن ويتبعهم جوق المرتلين ثم الكهنة والتمثال ووراءهم يحملهُ على المناكب اربعة من وجوه المدينة بازيائهم الرسميَّة . ووراء الصورة جمهور غفير من الشعب في ايديهم المصابيح الموقدة يتغنَّون بالاغاني الروحيَّة . وكنَّا نشاهد مواكب متعددة تسير في انحاء المدينة فيؤثر منظرها في ناظريها كأنَّها تمثل ما جرى على قمَّة الجلجلة مساء يوم صلب المسيح او في دفن الشهداء الاولين بعد جهادهم وموتهم في سبيل الايمان

وكانت لجنة التدبير عيَّنت لاصيل يوم سبت النور عقد حفلةٍ اجتماعيَّة لانتخاب رؤساء يتولَّون في ايَّام المؤتمر كل فرع من فروع العلوم الشرقيَّة . وهي حفلة مهمَّة لتنسيق الدروس وتنظيم ماجريَات المؤتمر . الَّا انَّ تلك الحفلة لم تُعقد ولعلَّهم رأوا انَّ عدد المستشرقين لم يكمل بعد . فكان هذا الخللُ داعياً لبعض الاضطراب في جلسات المؤتمر التالية لعدم معرفتهم بزعماء كل قسم وكتَبة اسرارهِ

وحصل اضطراب آخر بسبب تقارب ساعات الحفلات اليوبيليَّة والجلسات العلميَّة فكانت تلك الحفلات تطول فتُزاحم الساعات المعيَّنة للمؤتمر حتى تقصر اوقاتها فلا

يكن عقدها في الازمنة المعيَّنة او الامكنة المعهودة فنتج عن هـذه التغييرات سوء تفاهم وانزعاج

وفي ليلة عيد الفصح نصف ساعة قبل منتصف الليـل أُقيمت في الكنيسة الكاتدرائيَّة رُتبة احد القيامة بحضور جلالة الملك وجماهير الشعب والمدعوّين. ومن عادة اليونان انهم يقضون تلك الليلة ساهرين متهجّدين. وفي هذه السنة زاد اقبال الاثينيين على الحفلات الليليَّة فأحيوا الليل فرحاً مع المسيح القائم من قبرهِ

*

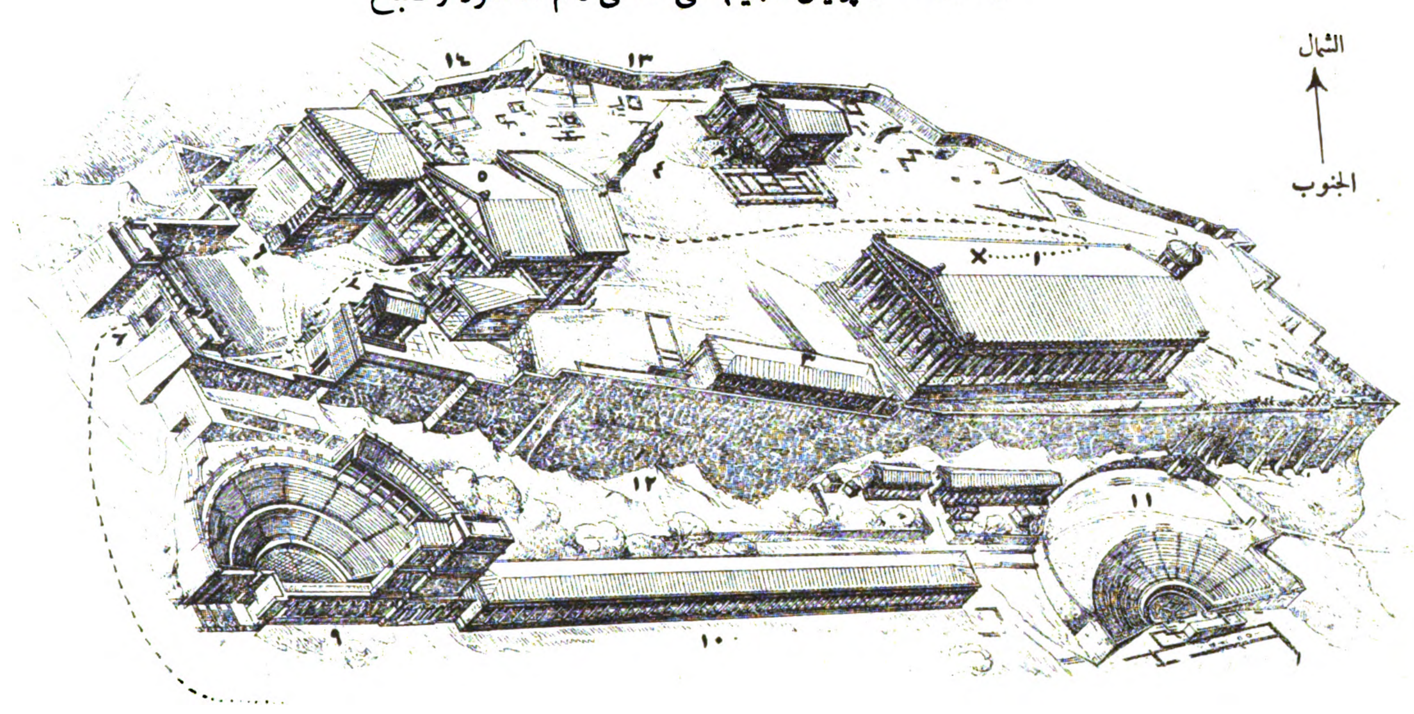
وما كانت الحفلات الموصوفة الَّا مقدَّمات سبقت افتتاح عيـد يوبيل الكلية ومؤتمر المستشرقين الذي كان موعدهُ في مساء يوم القيامـة على اكمة اكروپوليس (l'Acropole) المشرفة على المدينـة وفي نادي البرثينون (Parthénon) البديع الذي اقامهُ قدماء اليونان هيكلًا لإلهة الحكمة والفنون الجميلة مينرڤا ثم حوَّلوهُ في القرون المتوسطة الى كنيسة من الطرز البوزنطي. فما كان أحرى ذلك المعهد الشريف بان يُصبح مقاماً لافتتاح الاعياد اليوبيليَّة بحضور اكابر الناس وممثّلي الدول

فبعد الظهر بنحو ساعتين كنت ترى القوم يزدحمون كالبناء المرصوص في لحف الاكمة ليصعدوا الى قمتها. وهم كذلك اذ تقدَّم جلالة الملك راكباً عربة الاوتوموبيل وفي اثره عجلتان اخريان ركبتهما اسرة الملك وحاشيتهُ وكبار دولتهِ فاستقبلهُ الناس باصوات التهليل معلنين بتحمُّسهم الوطني وتوقّلوا الاكمة بعـدهُ. وكنَّا نحن نسير في رفقة النواب والمؤتمرين مع اثنين من الرهبان اليسوعيين قدما مثلنـا لحضور مؤتمر المستشرقين وعلى صدورنا شارة المؤتمر. فصعدنا متَّجهين الى موقع البرثينون حتى بلغنا في اواسط الاكمة الى المدخل الجليل المزدان بالاعمدة (Propylées) فلاحت لنا تلك المشاهد التي اتسع في وصفها كل من زارها من السيَّاح

وغاية ما يُقال ان البصر يمتدّ من اعالي تلك الاكمة فيشرف على مناظر فتَّانة تأخذ بمجامع الصدر وتسحر اللبّ سحرًا ويزيد بهاؤها على قدر صعود الصاعد الى مشارفها (١. واتَّفق ان صعودنا كان في احد ايَّام نيسان عليل النسيم وصافي الاديم

(١) اطلب ما كتبهُ مؤخرًا في هذا الصدد جناب الكاتب برتران: Louis Bertrand) *Paysages de Grèce et d'Orient*)

صورة ربوة الأكروبوليس وابنيتها على مقتضى رسم الدكتور لوكنباخ



١ هيكل البرثينون .— ٢ هيكل الابرختايون .— ٣ بيت المال (Chalcothèque) .— ٤ تمثال الالهة اثينا المحامية (بروبخوس) .— ٥ اروقة البروبيلِه .— ٦ تمثال اغريبا .— ٧ هيكل النصر .— ٨ مدخل البروبيلِه .— ٩ مرسح هيرودس اتيكوس (معهد الموسيقيين) .— ١٠ رواق اومانس .— ١١ مرسح ديونيسيوس .— ١٢ اسوار كيمون .— ١٣ اسوار ثمستوكليس .— ١٤ مغاور الاله پان (Pan)

+ نقطة البرثينون التي تمّ فيها افتتاح الاعياد اليوبيليّة ومؤتمر المستشرقين . - - - - - - الطريق التي مشى عليها ملك اليونان وعائلته واعضاء المؤتمر عند قدومهم

فكانت الشمس تشعُّ على الرياض وعلى معــاطف ربوتَيْ هيات (Hymette) وليكابات (Lycabette) فتصبغ بانوارها النبات الندي وتلثم الزهور المتفتحــة بحرارتها بينما كانت اشعتها تضرب صفيحة البحر اللازوردية من جهة مرفإ فاليرة (Phalère) الطافي فوق الميــاه الزرقاء كالدرة بين الزبرجد. ففهمتُ لدى ذلك المنظر البهي كم تتضاعف محاسن الاشياء اذا كانت في مواقع تليق بهــا كما يزيد رونق الحجر الكريم في خاتم جميل. فكذلك بناء البرثينون على قمّة الاكروپوليس زادهُ فخرًا على فخر

ونحن غائصون في هذه الافكار اذ بلغنا المدخل الفخيم حيث كان سبقنا جلالة الملك جورج والملكة اولغا ووليّ العهد مع قرينتهِ السيدة صوفيا اخت الامبراطور غليوم الثاني وسائر الامراء والاميرات ليستقبلوا الوفود ويرحّبوا بهم. ثم بعد عبورنا المدخل المذكور رقينا الدرجات التي تنتهي الى البرثينون من جهة الشمال. فلقينا هناك سيادة مطران اثينا تحفُّ بهِ طائفة من طلبة الكليَّة وفي يد احدهم راية جميلة عليها صورة السيد المسيح

وما لبث الموكب الملوكي ان وصل الى باب البرثينون فصدحت الموسيقى وتعالت اصوات الهاتفين لهُ بالدعاء حتى بلغت عنان السماء واذ جلس الملك في سدَّة النادي واسرتهُ حواليهِ قام على دكَّة هناك ابنهُ وليّ عهدهِ الامير قسطنطين فالقى خطاباً باليونانيَّة اعلن فيهُ رسميًّا افتتاح اليوبيل والمؤتمر واحسن التحفي بالنوَّاب واعضاء المؤتمر. وعقبهُ وزير المعارف المسيو الكسندريس ثم المسيو لمبروس رئيس الكليَّة فتلَوَا خطابين بليغين في اليونانيَّة والفرنسويَّة وزّعاهما بعد ذلك مطبوعَين عند نهاية الحفلة. ثم قام بعد خطباء اليونان مُمثلو الدول الاجنبيَّة مُطرين بمحامد اثينــة دار العلوم ومهنئين اهلها بهذه الاعياد الوطنيَّة ومؤملين خيرًا من تلك الحفلات لفخر الامَّــة وخدمة العلم. وامتاز بين الخطباء المسيو ماكس كولينيون (Max Collignon) احد اساتذة كليَّة باريس والمسيو دَلبروك (B. Delbrück) من كليَّة يانا والمسيو ماهفي (Ma' Haffy) فخطب الاوَّل بالفرنسويَّة خطاباً انيقــاً فصيح اللفظ بليغ المعنى وخطب الثاني بالالمانيَّــة بكل تحمُّس وتكلم الثالث بالانكليزيَّة برقَّة ولطف ففكَّه الحضور بعارضتهِ

وكان المصورون في اثناء ذلك يرسمون بالتصوير الشمسي كل ما يجري من الحركات لينقلوها الى آلة الكينياتغراف لان لجنة الاعياد كانت دوّنت في جملة حفلاتها جلستين لتمثيل ماجريات اليوبيل والمؤتمر بالنور الكهربائي والكينياتغراف

وفي اثر هذه الجلسة تفسّح الوفود قليلاً ثم دُعوا الساعة ٥ الى دار المعروضات المدعوّة زاپيّون (Ζάππειον) وهذه الدار في خارج المدينة على شكل نصف دائرة موقعها جنوبي الحديقة الملكيّة . فكان ارباب الكليّة وطلبتها اعدّوا هناك للمدعوّين الحلويات والمرطّبات فآنسوهم وتلطفوا في استقبالهم وضيافتهم وادخلونا في باحة الدار الرحبة فقضينا جانباً من الزمان يتعرّف بعضنا بالبعض الآخر . فكانت لعمري ساعة غاية في السعد والبهجة رأت فيها العين مشاهير الرجال الذين كان عشقهم القلب سابقاً لسمعتهم ولمطالعة تآليفهم

وكانت الموسيقي الوطنيّة في غضون ذلك تصدح بالحانها المطربة . وانّما الطرب بلغ غايتهُ اذ باشرت الجوقة بلحن شرقي (١ يشنّف الآذان وقامت لوقتها فئة من طلبة الكلية فرقصوا على ايقاع اللحن رقصةً يدعونها السَّحْب او الجَذب (σειρτό) كرقص اهالي لبنان في مواسمهم . فكان لحركاتهم احسن وقع في قلوب الحضور لاسيما الذين لم يعرفوا بعد عادات الشرقيين

وفي الساعة ٩ مساء كان ختام ذلك اليوم الجليل بحفلة عظيمة عُقدت في ديوان الكليّة الكبير . وكان الملك حاضراً مع اسرتهِ يجامل المندوبين للاعياد ويلاطفهم وحضر ايضاً كثير من اعيان الدولة في مقدّمتهم رئيس الوزارة ثنزويلوس . وكان بين الاجانب كثيرون من ذوي الشهرة نخصّ بالذكر دولة الامير فؤاد عمّ

١) لا تزال النغمات الشرقيّة شائعة في اليونان فمن قائلٍ انّها غريزة من غرائز البلاد الجنوبيّة وانحاء الشرق ومن زاعمٍ انّها موروثة عن الموسيقى البوزنطيّة . ويذهب غيرهم انّها بقايا من الالحان العثمانيّة مدّة تملّك بني عثمان على بلاد اليونان . والمرجح انّ هذه الاسباب كلها اثرت معاً في النغمات اليونانيّة . وممّا اذهلنا غاية الاندهال انّنا في مدّة اقامتنا في رومية كنّا نسمع القرويين يتغنّون باغاني مختلفة تشبه الشبه التام موالي اهل لبنان او حدو العرب . بل لحظنا ان بقيّة القوم اذا اسمعوك الحاناً من كبار الموسيقيين الايطاليين كڤردي اردفوها بلحن شرقيّ . وهو امر جدير بالاعتبار يدلّ على تأثير التمدن القديم في البلاد التي كانت تحت حكم دول مختلفة

الحضرة الخديوية. فكان جلالة الملك يرحب بالجميع ويتنقل بين فئاتهم ويصافحهم وقدمت ثانيةً المرطبات وضروب الحلويات للجميع وبقي الحديث دائرًا الى قرب منتصف الليل .

والكليَّة اليونانيَّة التي كنَّا تلك الليلة في معاهدها قد أُنشئت سنة ١٨٣٧ اي منذ ثلثة ارباع القرن وتولَّى هندستها وبناءها المهندس الدنيمركي هانسن Hansen) الذي شيَّدها على طرز الهياكل اليونانيَّة القديمة ففاقت على كلّ الابنية الحديثة في اثينة ونقشَها بالالوان الزهيَّة مع مراعاة الذوق السليم. وجعل موقعها في الساحة المعروفة اليوم بساحة الكليَّة متوسطةً بين بنايتين أُخريين جميلتين اعني المكتبة العموميَّة ودار العلوم وكلتاهما ايضاً من الطرز اليونانيّ وبالرخام البنتيلي الشهير فجاء مجموع هذه الابنية الثلثة زينة وفخرًا لمدينة اثينة

وفي داخل الكليَّة المعاهد الواسعة والحُجر المنظَّمة لالقاء الدروس بينها الديوان الفخيم الذي كنا مجتمعين فيهِ وهو مزدان بالنقوش اللطيفة. وعلى جدرانهِ مجموع صور رؤساء الكليَّة ومشاهير اساتذتها

امَّا نظام الكليَّة فعلى نظام الكليَّات الالمانيَّة (١ فلها شورى تُعنى بادارتها ورئيس يختارونهُ كل سنة ويدعونهُ پروتانيس (πρύτανις). والكليَّة على خمسة اقسام او مكاتب كبيرة يُعلّم فيها ٥٦ استاذًا يساعدهم في المراجعات والمذاكرات ٥٧ آخرون امَّا عدد التلامذة فبالغ ٢٥٠٠ ثلاثة ارباعهم يدرسون الطب والحقوق

*

وكان ثاني عيد الفصح شبيهاً بالاحد في مواسمهِ ومظاهراتهِ بل زاد عليهِ رونقاً. وفي الصباح أُطلقت المدافع ايذاناً بالحفلات المنتظرة. ولمَّا قربت الساعة العاشرة

---

١) بين اليونان والمانية علائق وثيقة منذ تولَّت تدبيرهم سلالة باڤاريَّة ثم دنمركيَّة فترى الناشئة تتوارد الى المانية لتتخرَّج في كليَّاتها. وكثير من اساتذتها درسوا هناك فيحسنون التكلم باللغة الالمانيَّة اكثر من الافرنسيَّة. امَّا اصلاح الجيش فقد عهد بهِ اليونان الى عمدة افرنسيَّة كما عهدوا باصلاح الشُرطة الى بعثة ايطاليَّة على مثال تركيَّة قبل حربها الحاليَّة. والملازم الذي يقوم بهذه المهنة يُدعى دي منداتو (de Mandato) وهو اخو حضرة رئيس الكليَّة الغريغوريَّة في رومية

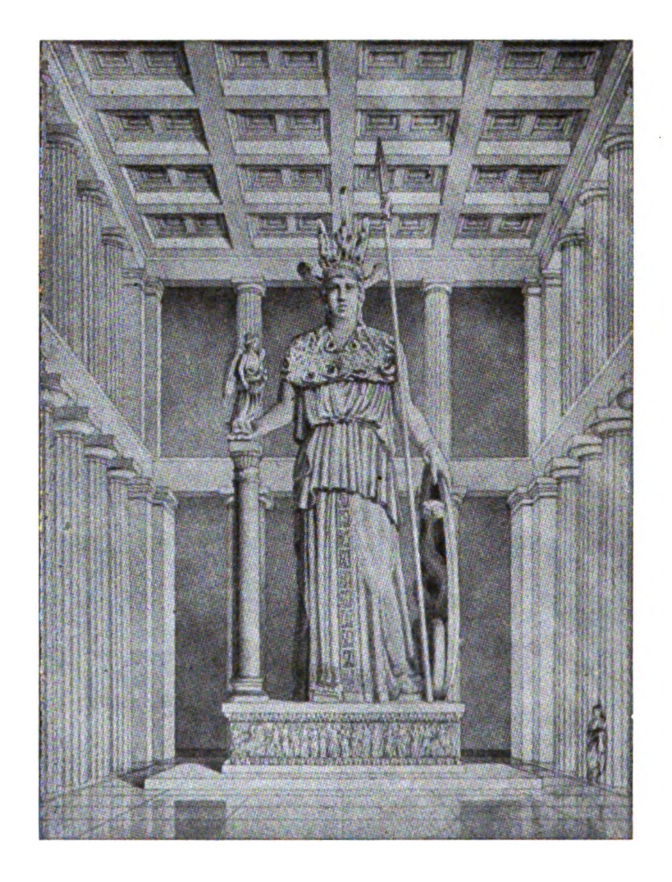
تقاطر معظم الناس الى جهات الكنيسة الكاتدرائيَّة مزدحمين على ممرّ الملك. واذا بالنفير اخذ يدقّ مُشعرًا بخروج جلالتـــهِ من قصرهِ فدوى الجوّ باصوات الهاتفين لاكرامهِ وانفتحت الطريق لموكبهِ فكان الملك والملكة راكبين مركبةً فاخرة يقلُّها اربعة من الجياد المطهَّمة وكان يتقدَّم المركبة ياوران افرنسيان وتتبعهـــا مركبات البلاط للعترة الملكيَّة بينما كانت جماهير الشعب تحيي ملكها بالسلام

ثم دخل الملك الى الكنيسة وجلس مع حاشيتهِ على يمين الهيكل فوق مرتبة أُعدَّت لهم. ودخل المطروبوليت مـــع لفيف الكهنة والاكليروس من باب الايقنستاس الكبير. وامكنَّا ان نحضر هذه الحفلة بصفة اعضاء المؤتمر. ثم ابتدأَت الرتبة الدينيَّة التي خُصت بتسبحة الشكر (Te Deum) فباشر بها المطروبوليت باليونانيَّة وغنَّاها بعدهُ جمهور المرتلين ليس على تلحين الغناء البوزنطي كما كنتُ منتظرًا ولكن على نغمة الموسيقى الحديثـــة وتوقيع الاصوات المتآلفة (١. اما تسبحة الشكر فتشبه كثيرًا تسبحتنا اللاتينيَّـــة المنسوبة الى القديس امبروسيوس وامكنني ان اتبع معانيهـــا الى التريزاغيون (Sanctus) . وقرنت بعد غناء التسبحة الدبتخات والادعية لرؤساء الدين وطبقات المؤمنين ثم عقبها التبخير المعتاد للملك واسرتهِ وكافَّة الحضور وخُتمت الرتبة بمصافحة المطروبوليت لجلالة الملك والامراء

وما انتهت هذه الحفلة الدينيَّة حتى اسرع الناس فانتقلوا الى طرف المدينة حيث الميدان والحديقة الملكيَّة ليحضروا استعراض الملك للجيش وكان الجند قد انتظموا هناك على اختلاف دوائر فِرَقهم من مشاة وفرسان وطوبجيَّة تحت نظارة اركان الحرب والضباط. ففي الساعة الحادية عشرة والربع تناقلت الافواه اسم الملك واذا بجلالتهِ مع وليّ عهدهِ قدما وكانا هذه المرَّة لابسين البزَّة العسكرية وراكبين فرسين كريمين فمرَّا امام الجيش واستعرضا الجنود ورقبا حركاتهم بايعاز قوَّادهم ثم اثنى الملك على حسن نظامهم فحيوهُ بالنصر

---

١) واليوم كادت الكنيسة الروسيَّة تهمل الغناء البوزنطيّ وتنوب عنهُ بالموسيقى الجوقيَّة وكذلك كنائس اثينة فانَّ الموسيقى البوزنطيَّة فيها على تقهقر فليس كنيسة الَّا وتُمزَج فيها البسالتيكا بالنغمات المستحدثة



تمثال اثينا الملقَّبة بالعذراء (Παρθένος)
المنصوب في هيكل البرثينون

قلنا ان الحكومة اليونانيَّة عهدت بتنظيم جيشها الى ضبَّاط افرنسيين . وقد سمعنا في اثينا غير مرَّة اهلهـا يشكرون طريقتهم في تمرين الجند على الآداب الحربيَّة . وكان البعض يرون انَّهم يبالغون في التدقيق وحفظ النظام لكنَّنا عددنا ذلك من حسن خصالهم . وما لا ينكرهُ احد ان الضباط الفرنسويين يتفانون في خدمة اليونان ويبذلون الجهد والمجهود في تقوية جيشهم وقد عرف لهم الشعب غيرتهم ويحسبهم من افضـل المساعدين على الاصلاحات التي ينويها ڤنزويلوس . وكما يشكر اليونان حسن تصرُّف الفرنسويين في تمرين الجيش ولاسيما الجنرال ايـدو (Eydoux) كذلك سمعنا الكهنة الكاثوليك في اثينا يثنون على تديُّن اولئك الضبَّاط الذين لا يهملون شيئاً من واجبات الدين فهم بتقاهم قدوة طيبة لليونان الارثذكس

وفي عصر النهار عُقدت في ديوان الكليَّة جلسة عموميَّة حضرها ايضاً الملك وذووهُ فتناوب في منبر الخطابة رئيس الكليَّة ثمَّ منتدبو الدول والجمعيَّات العلميَّة فلفظوا الخطب البليغة في تهنئة اليونان باعياد اليوبيل باسم الذين اوفدوهم لحضور هـذه الاعياد وكان لبعض هذه الخطب الوقع العظيم في قلوب السامعين فصفقوا لها التصفيق المتتالي لاسيما خطبـة المؤرخ الشهير غدفروا كورث (God. Kurth) وكان هذا الاجتماع مهيباً جدًّا لحضور اساتذة الكليَّة ببزّاتهم الرسميَّة الآخذة بالابصار

على انَّ هذه الحفلة مع حسنها طالت فتعدَّت على الوقت المعيَّن لجلسة المستشرقين حتى ان بعض اقسامها لم يمكنها ان تجتمع او قصرَ وقت اجتماعها فلم يستوفِ الخطباء كلامهم كما شاؤوا . فالقسم المختصّ بالدروس الاسلاميَّة مثلًا لم يقم بمواعيد لائحتهِ المطبوعة وفي هـذه الجلسة عيَّنوا العلّامة غلدتسير (J. Goldziher) استاذ اللغات الشرقيَّة في بودابست كرئيس هذا الفرع والمسيو سنوك هرغروني (S. Hurgronje) من علماء ليدن كنائبهِ ثم اختار الرئيس كاتباً للاسرار الشاب الاديب لويس ماسينيون (L. Massignon) . وحضر هذه الجلسة بعض علماء مصر كالشيخ احمد الاسكندري من اساتذة الازهر والشاعر احمد شوقي وسعادة احمد زكي باشا الذي خطب مرارًا في المؤتمر في اقسام شتى . وفي هذه الجلسة تلا حضرة الاب لامنس مقالة مستجادة عن المساجد وخواصّها في اوَّل الاسلام

وكان مسك ختام ذلك اليوم المناورات التي قام بها الاثينيون فانَّ طلبة الكليَّة

ساروا الساعة ٩٫٧ في شوارع المدينة بالسُّرُج الموقدة وأُنيرت مدَّة عشرين دقيقة أكمة الاكروبوليس فظهرت لاعين المشاهدين كشعلة نار لاحت لهم بين السماء والارض على هيئات عجيبة غريبة والوان رائعة بديعة كادت تسبي العقول فكنت ترى الابنية الاربعة المشيَّدة فوق الاكمة اي المدخل السابق ذكرهُ وهيكل إلهة الانتصار (Victoire Aptère) والبرثينون وهيكل الايرِختيون (Erechtheion) المبني قديماً لاكرام اله البحر نبتون تبدو كلّها بصورها الهندسيَّة الجميلة وتقاطيع بهيَّة من النور ثم كانت الوانها تختلف اختلافاً يزيدها حسناً فتظهر حيناً حمراء وحيناً بيضاء او خضراء ويظهر كل بناء على هيئة خاصة بالنسبة الى ما يليهِ . وكنَّا صعدنا الى ربوة ليكابيت لنسرّح النظر في هذا المنظر الفتَّان الذي لن يبرح من ذاكرتنا طول حياتنا

*

في صباح الثلثاء الساعة التاسعة عُقدت محاضرات علميَّة في ديوان الكليَّة تخلَّلتها الانوار الكهربائيَّة وأُجّل منها قسمٌ لئلّا تتأخر جلسات مؤتمر المستشرقين التي تمَّت في اوانها

امَّا المساء فدُعي نوَّاب الدول بحرًا واعضاء المؤتمر برًّا الى زيارة آثار مدينة الوسيس (Eleusis) الشهيرة بهيكلها حيث كان قدماء اليونان يكرمون للإلهة سارس (Cérès) بُرتب سرّية مخجلة وكان شيَّد هذا البناء زعيم الاثينين بريكلس الكبير في القرن الخامس قبل الميلاد . وموقع الوسيس على ١٨ كيلومترًا شمالي غربي اثينة فسرنا في عربات السكة الحديديَّة التي أُفردت لنا مجَّانًا ثم انقسمنا لدى وصولنا حسب بلادنا اقساماً تدلُّ عليها رايات كل دولة وكان يصحب كلَّ قسم استاذ او طالب من طلبة الكليَّة ليدلّاهُ على الآثار ويفسّرا لهُ معانيها . ولمَّا اجتمع كل الزوَّار وكان بينهم ركَّاب السفينة ايل دي فرنس (Ile de France) الراسية في مرفأ البيره انتعشت تلك البقعة وحييت في اعيننا أُلوسيس وهيكلها القديم . والوسيس اليوم بلدة صغيرة سُرَّ اهلها بمجيئنا وهناك قدَّمت لجنة الاعياد للزائرين شيئاً من المآكل والمشروبات تحفياً بهم . وكانت وعدتهم بملهاة لتمثيل الرقص الوطنيّ الذي لم يتمّ عملًا لسوء تفاهم حصل بين اصحاب اللجنة وشيخ البلد

يوم الاربعاء تمت محاضرات الكليَّة مع الانوار الكهربائية. ومما سمعناه من المقالات المستحسنة سيرةٌ لاحد أعراب حمى دارياً وصف فيها اعمال حياته فقرأ هذه النبذة اللطيفـة الاستاذ هسّ (G. Hess) ثم تلاهُ حضرة الاب اليسوعي دي جرفانيون (de Jerphanion) فعرَّف تاريخ بعض الكنائس البوزنطيَّـة التي اكتشفها في « طوقاله كليسه » في برّ الاناضول ورسم صورهـا العجيبة بالانوار الكهربائيَّة

وقامت كل اقسام المؤتمر في هذا اليوم باعمالها. فسمعنا بكل طيب الخاطر مقالة الدكتور غلدتسير عن فخر الدين الرازي ومعارفهِ في علم الكلام. ثم عقبتها مقالة الشيخ احمد الاسكندري في اللغة المصريَّة العاميَّة ثم مقالة العلامـة الالماني بكِر (C. H. Becker) عن نتيجة رحلة الارشيدوق دي مكلنبورغ الى قلب افريقية وما استفادهُ هناك لتعريف حالة المسلمين. ثم عرَّف جناب الاستاذ مرجليوث (S. D. Margoliouth) القسم السادس من كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي الذي عُني بنشرهِ ووصف المشرق اقسامهُ السابقة (ص ٣١٤ الخ). وقام في اثرهِ الاديب لويس ماسينيون وبسط للحضور شيئاً من ابحاثهِ عن احد مشاهير الخوارج الحسين بن المنصور الحلّاج

وفي مساء النهـار الساعة السادسة عُقدت حفلة موسيقيَّة في معهد الجمعيَّة المعروفة بالپرناس (Parnasse) حيث كنَّا نجتمع للمفاوضة في العلوم الاسلاميَّة فسمعنا اصواتاً رخيمة لمشاهير ارباب الغناء وعدَّة قدود موقعة على آلات الطرب منها اوربيَّة ومنها يونانيَّة

وفي الساعة ٩٫٥ مساء حضر البعض في المرسح الملكي تشخيص رواية اوديبوس الملك باليونانيَّة الحديثـة وقد اثنى الحضور على محاسن المرسح وإحكام الممثلين في تشخيص ادوارهم

ويوم الخميس حضرنا في المؤتمر جلسة عقدها الفرع المختصّ باليونانيَّة الحديثـة حيث تعرَّفنا بعدَّة علماء ممَّن اصابوا شهرةً في الدروس اليونانيَّة القديمة والحديثة من وطنيين واجانب وكنَّا وعدنا بتلاوة مقالة عن الالفاظ التركيَّة الدارجة في اللغـة اليونانيَّة العاميَّة في جهات الروملي وخصوصاً في ادرنة

فقمنا بوعدنا واختصرنا يومئذٍ درساً موسعاً كنَّا نشرناه في ثلاثة اعداد من المجلة الاسيوية الفرنسويَّة في آخر العام المنصرم فوجد الحضور لذَّة في هذا البحث وتفاوضوا في مقترحاتهِ مليًّا

وبعد الظهر بوشر في الميدان بالعاب الجامعة اليونانيَّة (Jeux Panhelléni-ques) التي تواصلت مدَّة ثلاثة ايَّام فحضرنا بعضها · والالعاب المذكورة عبارة عن رياضات بدنيَّة شتى كالسباق في العدو والوثوب والصراع ورمي الكُرَة وغير ذلك ممَّا يدلّ على حذق اللاعبين وقوَّتهم · وقد رأس هذه الالعاب ابن الملك وكانت تجري عدَّة العاب في وقت واحد· امَّا ميدان السباق في اثينا فتاريخهُ يترقى الى ليكرغس نحو السنة ٣٣٠ قبل الميلاد وكان طولهُ ٢٠٤ امتار في عرض ٣٣ مترًا· وفي السنة ١٤٠ بعد المسيح جهَّزهُ هيرودس اتيكوس بمقاعد من رخام اقتلعوها من مقالع جبل پنتيليك التي فرغت بعدهُ· ثم أُهمل هذا البناء على توالي الاجيال ونُهبت حجارتها حتى قام قبل ٢٠سنة احد المثرين اليونان في الاسكندريَّة المسيو اڤيروف فتبرَّع بمليون من الفرنكات (وقيل اضعاف ذلك) لترميم هذا الميدان كي تقام فيهِ الالعاب الاولميَّة سنة ١٨٩٦ ·وهذا البناء المستحدث تخالف هيئتهُ في اثينة الابنية القديمة الجليلة فهو مشيَّد على شكل مستدير ودرجاتهُ لا تقلّ عن ٤٤ صفًّا لكنها بلا مساند

وجرت غير ذلك من الحفلات مدَّة اسبوع الفصح قام بها بعض الخواصّ او الجمعيَّات فمساء الخميس دعا اصحاب المكتب الانكليزي الامركاني وفود اليوبيل والمؤتمر الى حدائقهم الواقعة وراء بلاط وليّ العهد الذي حضر بينهم· وكانت سبقت يوم الاثنين السيدة شليمان (Schliemann) ارملة الاثري الكبير الذي اكتشف آثار تروادة وعرَّف التمدُّن الميقيني فدعتنا الى دارها الفخيم · وكذلك اجتمع المذكورون الى مقام فاليرة (Phalère) المعروف باكتاون (L' Actaion) بدعوة خاصَّة من المسيو لمبروس رئيس الكليَّة وقرينتهِ · وكان الختام يوم السبت بدعوة المكتب الايطالي· · ·

فترى ان اليونان القائمين بهذه الاعياد الشائقة لم يألوا جهدًا في تجهيزها وانجازها على طريقة لائقة بشعب كريم· والحقّ يقال ان الذي يرى اثينا في عهدنا لا يتمالك عن الاقرار بتقدُّمها ورقيها والفضل في ذلك يعود غالباً الى رئيس وزارتها ڤنزويلوس

المعروف بلين العريكة والحكمة والحزم وتشهد لهُ اعمالهُ العظيمة اذ عرف ان يجمع بدرايتهِ كلمة اهل موطنهِ وينفي عنهم الشقاق والتحزبات كما انَّهُ سعى في حفظ السلام مع الدولة العليَّـة ولم يشأ ان يطوّح بلادهُ في حرب مشئومة كحرب ١٨٩٧ او اشأم. وقد كسب فضلاً عن ذلك ثقة اهل وطنهِ فنزع ما كان في قلوبهم من الحزازات والاملُ معقود على مواصلتهِ تلك الخطَّة مدَّة رئاستهِ الجديدة

وكان ختام المؤتمر في ١٣ نيسان فأُقيمت لذلك حفلة خاصَّة تولَّاها وزير المعارف وشكر فيها المسيو لمبروس وفودَ الاعيـاد وتكلم كثيرون من الخطباء كالمسيو بزّنبرجر (Bezzenberger) ودي غوبرناتيس (A. de Gubernatis) وافاضوا في مدح اليونان وتمنوا لهم مزيد الاقبال. امَّا تعيين المدينة للمؤتمر القادم فلم يتفقوا عليهِ بعد كما سبق وكانت الاصوات متقسمة بين القـاهرة وليبسيك وامستردام واوكسفرد او كمبردج

ثم افترقنا بعد الوداع وفي مساء ذلك النهـار ركبنا الباخرة متوجهين الى الاسكندريَّة شاكرين الله على ما انعم علينا بزيارة ارض اليونان وموطن الفنون الجميلة. امَّا النتيجة من هذا المؤتمر فكنتيجة ما سبقهُ من الاجتماعات السابقة التي لا تُنكر فائدتها لتعزيز العلوم الشرقيَّة وتوسيع دائرتهـا. ولعلّ هذه الفائدة تكون مضاعفةً لو اقتصر المندوبون على الجلسات العلميَّة دون مزجها بالاعياد والحفلات الوطنيَّة. وكذلك من الواجب اللازب ان تُعيّن ساعات الاشغال بضبط وتدقيق فتُعقد الجلسات في اوانها . وممَّا يتمنَّاهُ العقلاء ان يقصِر الخطبـاء كلامهم فلا يتجاوزون نصف الساعة في ايضاح مقاصدهم ويختاروا المواضيع الهامَّة غير المبتذلة والمعروفة سابقاً فيعرضوها بكلام قصير مُفيد لانَّ زمن المؤتمرات ثمين والعلوم واسعة فعسى هذه الاماني تتحقق في المؤتمر القادم ان شاء الله

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تتمَّة)

الفصل الثالث

يمثّل المرسح غرفةً في حصن لبني بكر

المشهد الاوّل

المهلهل وقيس

المهلهل أ للقتل ام للرقِّ اخرجتني ؟

قيس لا لذا ولا لذاك ولكن لاطلاق سبيلك . (يحلّ قيوده) سِرْ سيـدي المهلهل والحقْ بقومك تغلب

المهلهل فوّضَ اليك الحارث حراستي . (بقوة) أرجع اليَّ قيودي

قيس ولكن . . .

المهلهل اتجهل اني عديٌّ المهلهلُ ؟ لا . لا يلجأ الى الفرار سيـدُ تغلب وخلَفُ وائلٍ عليها

قيس مولاي ! . . .

المهلهل لا يُلَحَّ عليَّ بالطلب . أرجع اليَّ قيودي فاني آليت على ألَّا يحلّها لي الّا بغضُ اعدائي لأُقادَ الى الموت او بأس ابطالي فينقذوني ببسالتهم وبطشهم . . . واماَّ ان ارضى انا بالذلّ وافرّ هارباً فيا حبَّـذا الموت الزؤام ولا هذا العار

اتسألني خليلي عن فرارٍ وعزُّ النفسِ لي فيهِ شعارُ
أأنجو هاربًا فيقالَ عني جبانُ القوم أنجاهُ الفرارُ
أأنجو هاربًا وانا عديٌّ ابيُّ النفس جلبابي فخارُ
أعِد قيدي فلستُ أُريدُ امرًا أتتنيَ منهُ مخزاةٌ وعارُ

قيس (يقيده) انا أُقيِّدك طوعاً لامرك ولكن عمّا قليل يحلُّ اميرنا وثاقك ويقبل يديك

المهلهل ماذا تقول؟ اميركم الحارث بن عبّاد يحلُّ وثاقي ويقبّل يديَّ! لقد اعماك الجهل

قيس اميرنا الحارث بن عبّاد واميرنا الهجرس ابن اخيك وائل

المهلهل ابن وائل! بلغني انهُ وقف على حقيقة نسبه بعد ان كتمتموه اياه زماناً طويلاً فيهِ كان جساسٌ اذاع بيننا موته . . . اين ابن اخي؟

قيس ترك حيّنا وذهب الى تغلب حيث خالهُ اسيركم مُرادهُ الفتك بهِ انتقاماً لدمِ ابيهِ. ثم يعود لانقاذك بجيوش تغلب وأسد

المهلهل نعمَ الولد ولد وائل

قيس لكن لا حاجة الى العنف والقهر. فانَّ قومي ينقادون اليهِ طوعاً. نُولجهُ الحصن ونساعدهُ على انقاذك

المهلهل أيخون بنو بكر سيدهم؟

قيس لن نخون الحارث بن عبادٍ. هو سئمَ الحرب ويحب الصلح

المهلهل وجساس؟

قيس جساس بحث عن حتفه بظلفه. اغتنم فرصة تغيُّب الحارث فبعث يستحث تغلبيين على قتل الهجرس. لكنهما خلّيا عنهُ وقد علِما نسبهُ بل ساعداه على جمع شمل بني تغلب واسد

المهلهل قبحاً لجساسٍ من مخاتل مخادع . . .

قيس جساس قد اضجرَتنا مخاتلتهُ. اضجرنا بغيهُ وظلمهُ. فها نحن معاشر ضبيعة ننشقُّ عن بني شيبان

المهلهل الانشقاق في بكر!

قيس هو فيها ان ابت شيبان الّا معاضدة نذلها جساس. خطبتُ في بني ضبيعة واعلمتهم ما اضمرَ امير شيبان. فاضرمتُ لهُ في افئدتهم ناراً من البغض والغيظ . . . قرَّ عيناً سيدي فالحصن حصننا وانت تُحَلُّ قيودك لا محالة

المهلهل وهل الحارث عالمٌ بهذا كلهِ؟

قيس اتاه ذهاب الهجرس الى حيكم

المهلهل وتعصُّبكم لابن اخي ؟

قيس لا علم للحارث بهِ على اننا نطلعهُ على الامر . وان ابى او تردَّد . . .

المهلهل . . . (يقاطعهُ) مهلًا يا اخا العرب ان ابى الحارث محاربة جساس فاني منكرٌ على الهجرس انقاذي بمعونتكم . عارٌ عليهِ الخيانة . عارٌ عليهِ ان يبثَّ في القوم روح العصيان على اميرهم وان فعل فلا اعرفهُ ولا هو من سُلالة وائل وقد كذب دمهُ ومان . . . انا عائد الى سجني

قيس سيدي !

المهلهل هوذا اميرك مقبلٌ . قل لهُ ان عديًّا المهلهل لم يكن ليغمسَ يده في الخيانة مع اهل العصيان . انا اسيرُ الحارث فان شاء قتلَني او تعبَّدني . وان احبَّ خلَّى سربي وعقد الصلح معي . فالموت والرقّ احبّ لديَّ من المخاتلة والخداع . . .

على ان ليس عدلًا من عديٍّ إذا طلب السلامة عن غرورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ اذا ما أُوغرت ذات الصدورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ اذا ما دبَّ بغضٌ في العشيرِ

(يخرج المهلهل)

المشهد الثاني

قيس وحدهُ

قيس اكرِم بعديٍّ المهلهل اميرًا . هو عظيمٌ في الاسر كما كان عظيماً في ساحة الوغى . مثلهُ تكون الامراء والملوك فيحق لها التفاخُر بكرمِ المحتد والصولة (يدخل الحارث)

المشهد الثالث

الحارث قيس

الحارث ما الخبر عن الهجرس ؟

قيس لم يَعد بعد من ارسلتهُ في أثرهِ . ولكني اعلم علم اليقين ان الهجرس اذا

ما قصد امرًا فلا يعدلُ عن الانجاز . هو واغرُ الصدر على جساس ولا يعود الّا برأسهِ

الحارث وان اوكن خاله الى الفرار ؟

قيس (وحدهُ) الهرب خليقٌ بالنذل . (الى الحارث) ان فرَّ جساس لحق بهِ الهجرس ولو احتفر نفقاً في الارض او تسلّق سُلَّماً في الجوّ . فمع ابن وائل جيوشٌ عديدة تُنيلهُ ما يتمنَّى

الحارث أفتظن أنهم يفوزون بالنصر ؟

قيس لا اشكّ بذلك وعهدي ببني شيبان جبناء انكالا

الحارث وبنو ضبيعة ؟

قيس بنو ضبيعة . . . ثمّة مولاي أمر خطير لا اريد ان أكتمك ايّاه . فاني على علم من شواعر قومنا . هم خذلوا جسّاساً فلا يعاونونه

الحارث نعم . وقد علمت أنكم قتلتم نويرة

قيس كيف لا نقتلهُ وقد تواطأ مع جسّاس على قتل الهجرس

الحارث أيكون هذا منكم وانتم من بكر كبني شيبان

قيس بل نحن كلنا في حوزة الهجرس . كلنا في يده . كلنا على جسّاس إلبٌ واحد

الحارث ويلاه ! قد وقع الشقاق في بكر . . . ويلاه

جرَّت علينا النائبات ذيولها حطّت بنا لمواطئ الأقدامِ
يا آل بكرٍ ما الشقاقُ يُفيدكم الّا الشقاء ولوعةَ الاسقامِ
ان حلَّ هذا الخُلفُ في ساداتكم كنتم لدى الهيجاء غير كرامِ
وتُركتمُ يومَ الكريهة كُلكم ما بين مصروعٍ وآخرَ دامٍ . . .

. . . ثم كيف تستحلون معاضدة الهجرس عن غير رأيي وانا اميركم

قيس مولاي يعز علينا عصيان امرك ولكن جسّاساً قد بغى وطغى . لو لم يتبدّإ الهجرس بالشر لما بودي بمثلهِ

الحارث افلا وسيلة لاصلاح ذات البين (يفكر)

قيس لا يصلحها الّا عقاب جسّاس او كف الهجرس عن تطلب ثاره ولكن هيهات . . .

الحارث (يبتّ الرأي) حُلّ قيود المهلهل وعليّ بهِ (يخرج قيس)

المشهد الرابع

الحارث وحدهُ جالساً

تنازعت قلبي الأكدار . ووقفت عندها الافكار . أين اوجّه آمالي والخطبُ جسيم . احدق بي من كل صوب ويلاه ! (يقف) ايا ال بكر آل قومي إلى هذا الحدّ بلغ بكم التحاسد والتحزّب حتى تحيزتم وتفرقتم ؟ أما كفتنا حرب البسوس ؟ اما كفتنا اهوالها حتى توغرّت الصدور ؟ اهذه هي ثمرة تعاوننا وانتصارنا عليها ؟ . . . ولكن لا لوم على بني ضبيعة في قتلهم نويرة وقد خان . لا لوم عليهم في معاداة جسّاس . (يجلس) جسّاس اصرّ على ضلالهِ وتمادى في غيّهِ غرس الفتنة في القوم وجعل الشقاق بينهم آه

لحى الله قوماً أسعروا الحرب بيننا سقونا جا مُرًّا من الشرب آجنا
اذا قلتُ قد افلتُّ من شرّ تغلبٍ لقيت بأخرى عند بكرٍ ضغائنا
وكم مرّةٍ انذرت جساس ناصحاً وما دهره الّا يكون مطاعنا

(يدخل المهلهل)

المشهد الخامس

الحارث والمهلهل

المهلهل امرتَ بحلّ قيودي ؟

الحارث امرتُ

المهلهل ثم ماذا ؟

الحارث إنك يا عديُّ قد اسرفتَ في القتل وادركت ثأرَ وائل سوى ما قتلت من ضبيعة وشيبان

المهلهل نعم . فعلت ذلك اثناء الحرب ولا عيب على من يقتل في الهيجاء اعداء حيّهِ . امّا جسّاس فقد تمادى في جهالتهِ واصرّ على باطلهِ . اثار علينا وعليكم حرب البسوس بقتله اخي كليباً وائلًا . ولم يكتفِ بذلك فبعد ان تحالفنا

وعقدنا الصلح نكث العهدَ وبعث من يقتلني غدراً

الحارث انت تعلم اني انكرت ذلك عليهِ . . .

المهلهل ثم عمدَ الى الهجرس ابن اخي واراد قتلهُ

الحارث دع عنك ايها الامير تعداد معايب جساس . حديثك الساعةَ مع امير بكر لا معهُ (سكوت هنيهة) أتريد عقد الصلح ؟

المهلهل انا اسيرك وتسألني الصلح !

الحارث اطلقتُ اسركَ وخليت سربك ان رضيت بما أُريد

المهلهل (يفكِّر) . . . ما هي شروطكم ؟

الحارث جساس اسيرٌ في حيكم فخلُّوا عنهُ . ثم انَّ الهجرس الآن في حوزتك وقد علمَ وعلمتَ انهُ ابن اخيك فاكففهُ عن اذانا وأنهَهُ عن الزحف علينا وعن طلب الثأر بابيهِ . فقد لعمري أرقتم منَّا الى الآن اضعاف دم وائل . ومن الحيين قد مضى في هذه الحروب من كان بقاؤهم خيراً لنا ولكم

المهلهل . . . انا فاعل . . . واماَّ ان عادت الى عترها لميس وعاد جساس يغدر بها وينكث كما فعلَ

فلأوردنَّ الخيلَ ماءَ دياركم ولأقضينَّ بفعل ذاك ديوني
ولاقتلنَّ جحاجحاً من بكركم ولأبكينَّ بها جفون عيونِ
حتى تظلَّ النائحاتُ بحيِّكم يندبنكم بتفجُّعٍ وانينِ

الحارث لم اكن انا يا عديُّ لانكث العهد . وما زحفتُ عليكم آنفاً الَّا لاستدرك هجومكم

المهلهل نعم . ولكن جساس ؟

الحارث ان عاد الى غيهِ وجنح الى الغدر سلَّمتهُ اليك واعتزلت حربهُ انا وقومي . . هلمَّ للمصافحة

المهلهل اعطيتك صفقة يميني (يتصافحان)

(يدخل جساس)

الحارث اعطيتك صفقة يميني

المشهد السادس

الحارث المهلهل جسّاس

جساس ماذا ؟ اميرُ بكر يصافح اخا وائل كليب !

الحارث جساس !... كيف خلَصْتَ الى الحي ؟

جساس نجوتُ من تغلب...

المهلهل قل : فررتُ

جساس نجوت بسلاحي قبل ان يعتقلوني وأتيت لافتك بالمهلهل (يتهكم) ولم يخالجني الظن انَّ اميري يصافحهُ وهو شرّ اعدائنا

المهلهل أغدرٌ فخساسةٌ ثم وقاحة ؟ مِثلكَ يا جساس تبلغُ بهِ الدناءة الى حد الفرار . واماً انا فسل قيساً . سل قومك . يخبروك اني ابيت الهرب وذلَّهُ وقد تمَهّدت لي سبلهُ

جساس (الى الحارث) مهّدها لهُ قيس اللعين وما خلصتُ منهُ اليك الّا حيلةً

المهلهل آه ! ارعبك بأْسُ ابطال تغلب وارتعدت منهُ فرائصك ! فاركنت الى الفرار آه...

لو ان قومي ادركوك لوجدتهم مثل الليوثِ بسترِ غبِ عرينِ

...ولكن ما باليد حيلةٌ لمعاقبتك وقد صافحت الامير واخذ عليَّ العهدَ الاكيد ألّا أتبدأكم بالعداوة ... (غير مكترث) فان شئت فاعقد ما عقد

جساس (يتهكّم) حسبُكَ مصافحةُ الاميرِ

الحارث لا عيب في الصلح بعد النصر

جساس (الى الحارث) تمتّع وحدك بالصلح . واماً انا فلا اروم الّا القتال

فاني قد طَرِبْتُ وحان مني طرادُ الخيل عارضةَ الرماحِ

(الى المهلهل)

واني قد جنيت عليك حرباً تُغِصُّ الشيخَ بالماء القَراحِ

تُسعِّرُ نارها وهَجاً وجاءت اذا خمدت كنيرانِ الفصاحِ

وما تنفكُ نائحة تعزّي بما ندَبتْ وتُعلنُ بالنواحِ
فما لي همّةٌ ارجو اخاها سوى الخَطّيِ والفرس الوقاحِ

المهلهل (يتهكم) تفاخر تفاخر يا من لجأ الى الفرار خوفاً من بني تغلب !

لئن تكُ يا جبانُ جنيت حرباً تُغِصُ الشيخَ بالماء القراحِ
جمَعْتَ جما يديك على كُليبٍ فلا وكلٌ ولا رثُ السِلاحِ
ولكني الى العلّاتِ اجري الى الموت المُحيط مع الصباحِ
واني حينَ تشتجرُ العوالي اعيد الرمح في اثر الجراحِ
شديدُ البأس لستُ افرُ خوفاً نظيرك بل ابوءُ الى الرماحِ
فاجملُ من حياة الذلّ موتٌ وبعضُ العار لا يمحوه ماحِ

جساس آه تُوغرُ غيظي وتُشعل لهيب غضبي. يا هذا عليك بالكفّ عن التطاول والّا جعلتك في الحال جزرًا لسيفي (يده على سيفه)

المهلهل يحقُ لنذلٍ مثلك ان ينقضَ ما عقد اميرهُ. يحقُ لك ان تخرُق حرمة القرى وتُشهر عليّ السيف وانا ضيفكم لا اسيركم . يحقُ لك ان تقاتلني وانا أعزلُ لا سلاح لي الّا يدي

جساس على رسلك (ينظر المهلهل الى الحارث)

الحارث (بين الاثنين) قد عيل صبري ! من انت يا جساس لتحلّ وتربُطَ في القوم ؟ أليس في بكر اميرٌ ليعقد الصلح ويُشهر الحرب كيف شاء ؟ انا سيد بكر واميرك. تحالفتُ مع المهلهل. فما عليك الّا الطاعة وأيمُ الحق ان حللت ما عقدتُ واشهرت العداوة فلست فقط معتزلًا حربك ولكني مسلِمك الى اعدائك فقد طالما تحمّلنا جورك

جساس انت سيد ضبيعة واما شيبان فانما سيدها انا. فانضمّ اذن بقومك الى تغلبَ ونحن معاشر شيبان اكفاءٌ لكم ولهم :

إنّا على ما كان من حادثٍ لم نَبْدإ القوم بذات العقوقْ
قد جرّبت تغلبُ ارماحنا بالطعن اذ جاروا وحزّ الحلوقْ
لم ينههم ذلك عن بغيهم يوماً ولم يعترفوا بالحقوقْ
وأسعروا للحرب نيرانها للظُلم فينا باديًا والفُسوقْ
أليس من اردى كليباً لمَنْ دون كليبٍ منكُمُ بالمُطيقْ
مَن شرع العدوانَ في وائلٍ اقترف الظُلمَ وضلّ المضيقْ

والظلمُ حوضٌ ليس يُسقى بهِ ذو مِنعَةٍ في كل امرٍ يُطيقْ
فان اردتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروقْ

الحارث (يخفّض غيظه) مهلًا يا جساس. فانَّ ضبيعة قد استدركت سُخطك وغيَّك. ساءها ما أتيت بهِ من مخادعةِ الهجرس وهو ارقُّ شيءٍ عليها وهي عليك إلبٌ واحدٌ شِئتُ انا ام ابيتُ. الحصن بيدها وقد تواطأت عليك مع ابن وائلٍ وهو شاخص الى الحيِّ بكتائب تغلب

جساس الحصنُ بيدكم والهجرس مقبلٌ!... (يلتفت) ... ماذا؟ ... وَلَجَ الحصن بنو تغلب ... اليَّ اليَّ يا بني شيبان!
(يدخل الهجرس وجنودهُ)

المشهد السابع

. الاشخاص انفسهم والهجرس وجنوده

الجنود عليك عليك ضبيعةُ وتغلب!

الهجرس ويلٌ لكم!

المهلهل مهلًا يا هجرس فاني عقدتُ الصلح مع امير بكر

الهجرس ... لا خوف على الحارث بن عبَّاد. هو وليُّ نعمتي وقد ربَّاني وكنت منهُ مكان الابن من الاب. انا مصافح لهُ وعاقد معهُ ما عقدتَ. لكنَّ جسَّاساً الخائن لا بُدَّ ان أُريق دمهُ انتقاماً لابي

الحارث قف يا هجرس. رأس جسَّاس حرامٌ عليك

الهجرس حرامٌ عليَّ رأس جساس وهو قاتل ابي وقد دسَّ على قتلي!

الحارث قد وهبني الاميرُ (يشير الى المهلهل) دم خالك جساس (الهجرس ينظر الى المهلهل مستفيدًا)

المهلهل نعم وعلى هذا عقدنا الصلح

الهجرس (وحده) لكنَّ ذا ظلمٌ وبغي (الى المهلهل) أنت اميري ووليُّ نعمتي وخلفُ وائل عليَّ. امرك كلَّ ساعةٍ مطاع. حياتي أُضحّي بها في طاعتك. ولكن ان حال دون الطاعةِ العدلُ وسُنَّةُ الثأر...

الحارث (يقاطعهُ) أنّى يكون الثأرُ عدلًا والعفوُ مروءةً وصلاح ؟ كيف يكون الثأر سُنَّةً من الله واللهُ أرحمُ الراحمين

الهجرس انّما الرحمة لمن رحم. الرحمةُ للبشر. وما جسّاسٌ الّا ضارٍ من الجلاميد قُدَّ كبدهُ

جسّاس عجّل عليَّ. فنَصْل السيف ولا نصل الهوان

الهجرس لبّيك لبّيك (يده على سيفه ويد جساس على سيفه)

المهلهل ارعوِ بنيَّ لا تنقُضَنْ شرط اميرك

الهجرس وعدتَ مولاي ما ليس لك ان تعد. وائلٌ ابي ودمُهُ لي. ثأرهُ إرثٌ اتخذته عنهُ. لي وحدي ان اكفَّ اليد عنهُ. تريدون مصافحتي لبكر... فعلتُ. تريدون محالفتي لجساس... انا فاعل ايضاً : فورُمحي ونصليه وسيفي وغراره وفرسي واذنيه لا يترك الرجلُ قاتلَ ابيهِ وهو ينظر اليهِ

ان تحتَ الاحجار حزماً وعزماً وقتيلًا من الاراقم كهلا

(الى جساس)

ذهب الصلح او تردّوا كليباً او أذيقَ الغداةَ شيبان ثكلا

ذهب الصُلح او تردّوا كليباً او تنالَ جسّاسُ هونًا وذلّا

جسّاس ذهب الصلح او تردّوا بجيرًا او تذوقَ الوبالَ وردًا ونهلا

الهجرس ذهب الصلح او تردّوا كليباً او تموت جسّاسُ بالسيف قتلا

(يجرد الهجرس سيفه وكذلك جساس)

جساس قد عيل صبري. اليَّ يا هجرس

الهجرس ودّع حياتك

(السلام قبل المبارزة — ضربتان — ثم يدخل جليل)

المشهد الثامن

الاشخاص انفسهم وجليل

جليل اخي ! خالي ! بحقّ امي ! (يقفان) رحماك اخي أجزِ السيفَ في عنقي قبل ان تغمده في نحر جساس اخي أمنا جليلة. ويلاه اما كفى هذه الامَّ التعيسة ما قاستهُ من اهوال الحروب وقد امضّتها حزناً ومزّقت احشاءها هلعاً على اهلها. اما سمعتها تقول :

يا أبنة الاقوامِ ان لُمتِ فلا تعجلي باللومِ حتى تسألي
فاذا انتِ تبيَّنتِ الذي يُوجب اللومَ فلومي واعذلي
ان تكن اختُ امرئٍ ليمَتْ على جزعٍ منها عليهِ فافعلي

المهجرس قد قطَّع قلبي ! (ينكس سيفه)

جليل حنَّت لانينها وحوش القفار وانت خالي لم تصغِ اليها تقول :
جلَّ عندي فعل جسَّاس فيا حسرتي عمَّا أنجلي او ينجلي
فعلُ جسَّاس على وجدي بهِ قاطعٌ ظهري ومُدنٍ اجلي
(يخفض جساس سلاحه)

المهلهل نعم الولد !

الحارث قد اصلح ذات البين

(وكأنَّ كلام المهلهل والحارث اثار ثانيةً بغض المتحاربين فيعودان الى المبارزة فيحول جليل بينهما)

جليل اليَّ يا بني بكر ! اليَّ يا بني تغلب ! ألم تسمعوا عويل جليلة تنشدكم
لو بعينٍ فُقئتْ عيني سوى أختها فانفقأت لم احفلِ
تحمِلُ العينُ أذى العين كما تحملُ الامُّ اذى ما تفتلي
ليس من يبكي ليومين كمن انَّما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدركُ بالثأر وفي دركي ثأريَ ثُكل المُثكلِ
ليتهُ كان دمي فاحتلبوا دررًا منهُ دمي من اكحلي
انني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلَّ اللهَ ان يرتاح لي

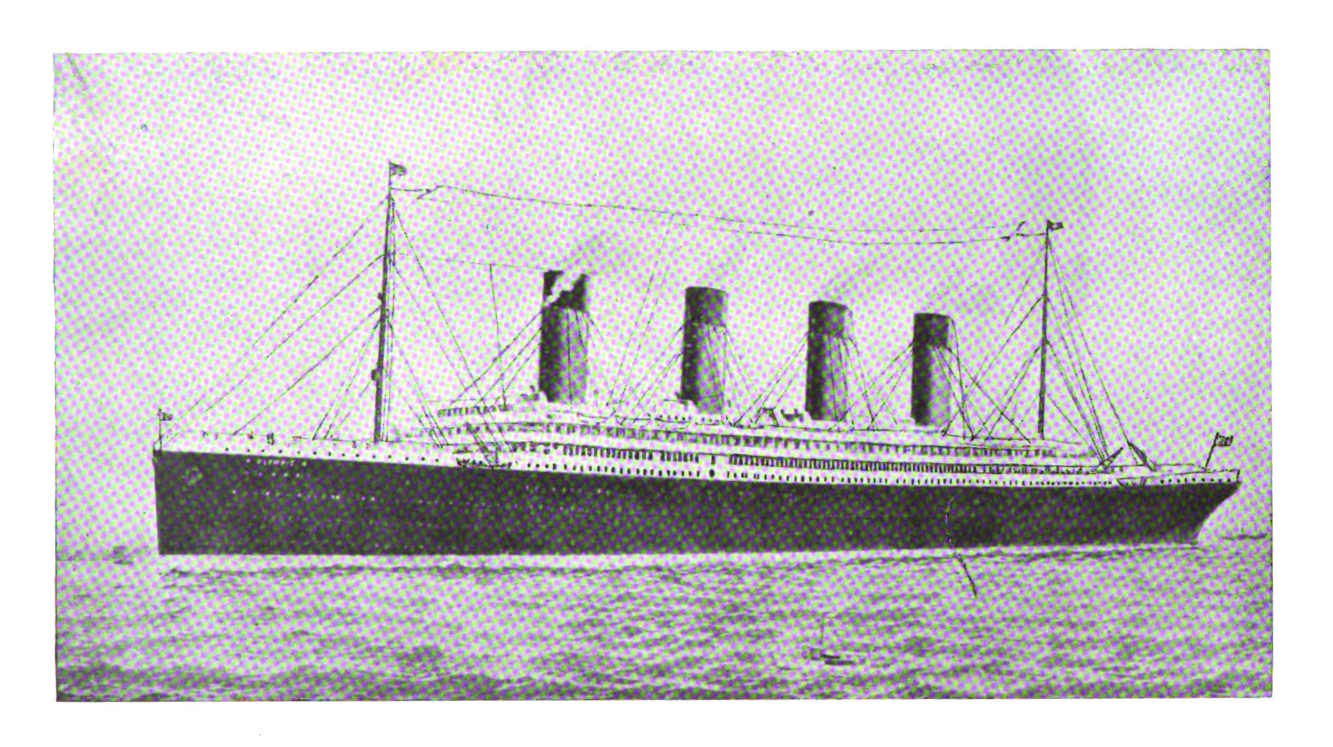
(يرجع جليل الى الوراء — يهجم المتبارزان على بعضهما — يعود جليل فيقف بينهما)

جليل اخي ! خالي ! بحق امي !

المهجرس عفوت عنك يا جساس (يرمي سيفه)

جساس كما عفت اختي جليلة (يرمي سيفه)
(يُرخى الستار ثم يرفع للنشيد الآتي)

نشيد (في اثنائه يكون بنو بكر ذات اليمين وبنو تغلب ذات اليسار . يتصدر كل فئة منهم امراؤها . وفي القلب جليل بين الحارث وجساس من جهة والمهلهل والمهجرس من اخرى وتحت قدميه سيفا المتبارزين) :



الباخرة « تيتانك »
التي غرقت في ليلة ١٥ نيسان الماضي

بنو بكر	قد كان بين جموعِنا ضغنٌ وحقدٌ في صدودِ
بنو تغلب	فتشاجروا وتحاربوا وتجاوزوا كلَّ الحدودِ
الكلُّ	واليوم اصلح بيننا ولدٌ حوى كرمَ الجدودِ
بنو تغلب	طوبى لكم يا آل بكرٍ انتمُ سعدُ السعودِ
بنو بكر	لكُمُ السلام جموعَ تغلبَ بأْسُكُمْ بأسُ الاسودِ
الكلّ	بشرى لنا حلَّ الهنا في ربعنا رغمَ الحسودِ

(يُرخى الستار) (تمت)

مَصْرَع جبّار البخار

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

قال الشاعر اللاتيني هوراس: لا مراء انَّ اوَّل من حاول ان يخوض عباب المياه ويصارع تيَّار البحر كان مدَّرعاً بدرعٍ مثلَّثة ليقوم في وجه مثلهِ سلطاناً مطلق الحكم واسع الملك. ولعلَّ لسان حالهِ كان يردّد بعد ركوبهِ الاهوال قول الشاعر:

لا اركب البحر اخشى عليَّ منهُ المعاطبْ
طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائبْ

على انَّ ابن آدم جسور مقدام لا يمكنهُ ان يرى في الكون قوَّة تناصبهُ الَّا تجرَّد لمجاراتها. وكان اوَّل سلاحهِ مجذافهُ ثم ابدلهُ بالقلوع وذلَّل الارياح لخدمتهِ حتى وجد في البخار ناصرًا ظافرًا بكل العوائق مزرياً بالانواء. ومنذ ذاك الحين لم تزل الملاحة في ترقٍّ متواصل سواء كان في تحسين ادواتها المحرّكة زيادةً في سرعتها او في تنظيم السفن وتجهيزها لئلَّا ينقصها شيء من اسباب الراحة ثم تنمو رغبة المسافرين في ركوبها. وقد تعدَّدت الاكتشافات والمخترعات حتى صار الناس يعدُّون الاسفار البحريَّة من اشهى المتنزَّهات وانفعها ولا يكادون يبالون بأَهوالها

وكانَّ في قلب البحر حزازاتٍ لا يزال يضمرها لبني البشر فيشعرهم من وقت الى آخر بحقدهِ الكامن في صدرهِ فتارةً يثور ثائرهُ فيحمل على السُّفن حملات النائم المستقتل ويحطِّم اشدَّ المراكب بنيةً وتارةً يبعث ابخرتهُ فيلبِّد السماء بغيوم كثيفة

فيسدّ الطريق في وجه السفن فتتعرَّض لاسوإ المخاطر او يحلّق فوقها الإعصارُ فيديرها كما يُدار الخذروف ويطمرها في جوف المياه

وقـد جاء غرق المركب تيتانِك (Titanic) شاهدًا جديدًا على انَّ اخطار البحر لا تزال تتهدَّد الانسان حتى في ساعة يظنّ نفسهُ في مأمن من تقحُّمها

وصف التيتانِك

لمَّا ابتنى الانكليز سنة ١٨٣٨ مركبهم غرات وسترن (Great Western) وجعلوا طولهُ ٦٤ مترًا استعظم الناس الامر وكثر فيهِ القيل والقال. الَّا انَّ القوم لم يعودا يكترثون لهُ اذ رأوا بعد خمس عشرة سنة المركب پرسيا (Persia) في طول مئة متر لكنَّ هذا الطول كان بعيدًا عن سفينة نوح البالغة ٣٠٠ ذراع (٢٢٥ مترًا) بل عن طول سفينة الملك بطليموس المحبّ ابيـهِ (١ البالغة ٤٢٠ قدماً (نحو ١٤٠ مترًا). وفي السنة ١٨٨٥ فاز بالسبق الفرنسويون فعمَّروا سفينة شمپانْن (Cham-pagne) وكان طولها لا يقلّ عن ١٥٠ مترًا. على انَّ الانكليز رأوا ان ملك البحار اولى بهم فجهَّزوا سنة ١٩٠٠ مركبهم اوشنيك (Oceanic) وطولهُ ٢٠٠ متر ثم اردفوهُ بسفينتَيْ لوزيتانيا وموريتانيا (Lusitania et Mauritania) في طول ٢٣٢ مترًا وكلتاهما لشركة كونارد (Cunard). فاخذت المنافسة شركة اخرى تدعى النجم الابيض (White Star Line) فارادت ان تغلب كل رصيفاتها فجهزت في العام المنصرم ١٩١١ سفينتين جعلتهما كملكتي البحار ودعتهما اولمپيك (Olympic) وتيتانك اشارةً الى قوَّتهما التي كادت تماثل القوَّة المنسوبة الى آلهـة السماء وجبابرة الارض وجعلت طول الواحدة ٢٧٠ مترًا فكانتا على متن البحار كمدينتين عائمتين

والحقّ يقال انَّ العقل يحير عندما يفكر في تركيب سُفن كهذه ودونك وصف تيتانك التي كلامنا عن غرقها وتشبهها تقريباً سفينة اولمپك. كانت المباشرة بعمارة تيتانك منذ نحو عشر سنوات في مصانع هرلَند وولف (Harland et Wolff) الرحبة الواسعة في بلفست من مدن ارلندة وتمت كاختها اولمپك في العام الماضي

قلنا انَ طول السفينة ٢٧٠ مترًا امَّا عرضها فكان ٢٩ مترًا ومحمولها ٤٦٣٢٨

١) اطلب وصفها في المشرق (١ : ٢٢١)

طنًا بزيادة ١٣٢٨ على اولمپك وكان قعر السفينة مصفَّحاً بصفائح طول بعضها ١١ مترًا ووزنها ٤٥٠٠ كيلو وكان مقسماً كرقعة الشطرنج فيهِ الغرف المختلفة لاشغال النوتية تفصلها معابر ضيــقة تتقاطع على خطوط مستقيمة ويُرتقَى منها الى الطبقات العليا بسلالم لطيفة من حديد. وكان فوق الطبقات السفلى ثمانية سطوح يركب بعضها فوق متن البعض تبتدئ بالاسفل ثم الاوسط ثم الاعلى ثم سطح الديوان الكبير وفوقهُ سطح خدَمة السفينة ثم سطح الركّاب وهــذه السطوح السبعة كلها في قسم السفينة المتين ذي الجوانب الصلبة يعلوها سطحان آخران اي سطح التنزه ثم السطح المختصّ بالزوارق وكلاهما خفيف البنيان

وكانت في جهات السفينة خمسة عشر حاجزًا تقطعها طولًا ولكلّ حاجز كوىً تُقفَل قفلًا محكماً اذا دخلت المياه في قلب السفينة سواء كان باليد او بازرار كهربائية يضغطها رئيس السفينة او بعوّامات تتحرّك من تلقــاء ذاتها عند دخول المياه

وكان سكّان (دفّة) السفينة المتحرّك بقوَّة الكهرباء وزنهُ ١٠٠,٠٠٠ كيلو وهو محمول على ركيزة توزن ٧٠,٠٠٠ كيلو اتّخذوا لهـا قالباً دخلهُ ٩٥,٠٠٠ من المعدن المذاب وتواصل الشغلُ لصنعها مدَّة خمسة اشهر. وكان قُطب السكّان المذكور مركّباً من الفولاذ الصلب وقطرهُ ٦٠ سنتمترًا. وكانت كل مرســاة (انجر) من المراسي يبلغ وزنها ١٥,٥٠٠ كيلو ذات حلقات يوزن بعضها ٨٠ كيلو

وكان للسفينة ثلاثة رفّاسات تحرّك ادوات متناوبة يضغطها البخار بقوَّة ١٥ كيلو فيخرج بتلك القوة وينفذ في اجنحة دولاب اسطواني كأجران الناعورة فيديرها. فاذا دارت حرّكت الرفّاس الاوسط الذي كان قطرهُ خمسة امتار ووزنهُ ٢٢٠٠٠ كيلو. وكان الدولاب المجنَّح يدور في الدقيقة ١٦٥ دورة امّا الادوات المتناوبة فكانت دوراتها ٧٥

وكانت الادوات المولِّدة للحركة اربعاً من المحرّكات الكهربائيّة (dynamos) لها غرفة خاصّة فمنها كانت تجري الحركة والنور لسائر انحاء السفينة. وكانت تنتصب فوق سطوحها اربعة مداخن. امّا نفقات هذا الجبّار البحري فكانت انافت على خمسين مليوناً من الفرنكات

وكان التيتانك يستطيع ان يقــلّ نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص وفيهِ من

الغرف والمخادع ٢٥٠٠ فينقل ٧٣٥ من ركّاب الدرجة الاولى و٦٧٤ من الثانية و١٦٤ يركبون احد سطوح السفينة . واذا اضفت الى ذلك نحو ٩٠٠ شخص من اصحاب السفينة ونوتيتها وخدمتها المتعددين تحققتَ انّها كانت بلدةً مأهولة

وكان ركاب الدرجة الاولى من ذوي الثروة الطائلة ينفق الواحد منهم ٢٥٠٠٠ فرنك على سفرتهِ البحريَّة . وكان خُصَّ بهم القسم الاوسط من المركب في سطوحهِ الخمسة العليا يصعدون اليها بالمراقي الكهربائيَّة . وكان للركاب مائدة طولها ٣٥ مترًا في عرض ٢٩ م وديوان كبير على شكلها وقاعات اخرى عديدة كالمطاعم وحُجَر التدخين والقهاوي وغرف القراءة والكتابة والحدائق المزهرة للصيف والشتاء فيستطيع المسافر ان يقضي الساعات بينها متنقلًا في وسطها ومشنِفاً لآذانهِ بين الآلات المطربة العديدة التي تتخلّلها

ومن المعاهد الغريبة التي جُهزت بها سفينة تيتانك حمَّام تركيَّة كبيرة يستطيع الاستحمام فيها كثيرون وفي جوارها حوض واسع يمكن السباحة فيهِ . وفي طبقة اخرى ملعبٌ رحب للعب الكُرَة وللالعاب الرياضيَّة المتنوعة كالعَدْو والسيف والترس وركوب الدرّاجات وغير ذلك ممّا يطول وصفهُ

غرق السفينة

تلك كانت السفينة تيتانك اذ خرجت لسفرتها الاولى من مرفأ سَوْثَمپتون الى نيويرك في اوائل شهر نيسان الماضي وكلُّ ركّابها يتباشرون بالسفر الميمون ويهنِئون نفوسهم على الحظوى بمثل هذه الرحلة على اكبر سُفن المعمور . وكان بين الركّاب ١٢٠ سوريًّا فارقَنا بعضُهم من امد قريب ولا نخالهم انهم ماشون الى حتفهم

على انّهم كانوا يستطيعون ان يذكروا رزءًا قريباً حلَّ بالسفينة اولمپك وكانت هي ايضاً خرجت لاوَّل مرَّة تمخر البحار فصدمتها في ٢٠ ايلول الماضي دارعة هوك (Hawcke) السائرة في طريقها الّا انَّ سيرها كان اسرع من اولمپك وكلتاهما على خطين متوازيين . فلمّا قربت هوك من أُلمپك فصارت على مسافة مئة متر انجذبت اليها بقوّة مجهولة فصدمتها في جانبها صدمةً كادت تكون القاضية عليها لكنَّ اولمپك أُصيبت فقط باضرار كبيرة دون ان تغرق . ولمَّا بحث العلماء عن سبب هذا الاصطدام تبيَّنت لهم حقيقة امر كانوا لم ينتبهوا اليهِ سابقاً وانَّما ظهرت آثارهُ منذ

زمن قريب وهو « ان باخرتين اذا جارت احداهما الأُخرى فعلت فيهما اوَّلًا القوَّة الدافعة فاذا تقرَّبت الثانية من الاولى موازيةً لها انقلبت تلك القوَّة الى قوَّة جاذبة تختلف على اختلاف وقوع الواحدة بالنسبة الى الأُخرى فتصطدمان وتكون الصدمة اخطر اذا اصاب رأس الثانية عرض الاولى فيبعجها »

وقد ارتأى البعض ان الصدمة التي حدثت بانجذاب السفينة هوك الى اولمپك حدثت ايضاً بانجذاب جبل من الجليد الى تيتانك ودونك خلاصة ما جرى:

كانت تيتانك في اليوم الرابع من سفرها الموافق ليوم الاحد ١٤ نيسان فبلغت ٤١°٤٦' من العرض الشمالي و٥٠°١٤' من الطول الغربي وهي سائرة سيرًا سريعاً فتقطع في الساعة ٢٠ عقدة اي ٣٧ كيلومترًا ونحو ٦٠٠ متر في الدقيقة. فلمَّا خيَّم عليها الليل وكانت السماء صافية والبحر هادياً مرَّت حيث كانت تعوم فوق المياه قطعُ جليد ضخمة يدعونها جبال جليد (iceberg) تأتي من جهات الشمال عند ذوبان الثلوج وتطفو. فاذا باحد هذه الجبال الجليديَّة ظهر طافياً وكان بوسع نظَّار المركب لصفاء الجوّ ان يرقبوهُ عن بُعد لاسيَّما ان تيتانك كانت مجهَّزة بانوار كهربائيَّة قوية والظاهر انهم لم يلحظوهُ او لم يكترثوا لهُ الَّا على مسافة ٤٠٠ متر فلم يستطع الضبَّاط ان يحيدوا عن طريقها كثيرًا فوقعت الجاذبيَّة التي اشرنا اليها وانجذبت السفينة الى جبل الجليد فصدمها في بطنها حيث هي اضعف على المقاومة وشقَّها شقًّا طويلًا عريضاً نفذ ما وراء صفائح النحاس الى الخشب فكسر قسماً منهُ وفتح فيه مجرًى للمياه

ولم تكن الصدمة قويَّة حتى ان الركاب بعد ان احسّوا بها لم يكادوا يضطربون للامر وكثيرون لم يناموا بعد اذ كانت الساعة العاشرة وربع مساء. لكنَّ السفينة لم تلبث ان وقفت وصعد بعض الركاب الى سطحها ليستعلموا عن سبب وقوفها ولم يخطر لهم على بال ان للامر شأناً او انَّ على حياتهم خطرًا وبعضهم عادوا الى العابهم وكانت في اثنائها نوبة السفينة تدقّ نغماتها المطربة

هذا ما اخبر بهِ الركاب امَّا نظَّار تيتانك الموكول اليهم تدبيرها فانَّهم بعد تلك الصدمة رأوا المياه تتفجر في اواسط السفينة حتى غمرت مواقدَها فاطفأتها وكان ذلك سبب وقوفها. فعلم الربَّان بالامر وشعر بحرج الحال فاشار الى وكيل التلغراف

اللاسلكي المدعو فيلبس ان ينبئ السفن الماخرة في جوارهم بعظم الخطب فيطلب من اصحابها نجدة فانتشر الخبر انتشار البرق. وكانت الباخرة كرپاثيا اقرب السفن من تيتانك فاسرعت الى اغاثتها لكنها لم تبلغ محلّ المصاب الّا بعد اربع ساعات من حلول النكبة

ثمَّ تقدَّم رئيس المركب الى النوتيَّة بان يُعدّوا قوارب السفينة ومناطق النجاة فاخذوا في تهيئتها. فعرف وقتئـذٍ الركاب ان الخطر ملمّ بهم لكنهم تجلّدوا واذ امر الربَّان بان تنزل النساء والاولاد في الزوارق دون الرجال اخذ هؤلاء يساعدون النوتية بكلّ شهامة ويلبسون السيدات المناطق ويدخلونهنَّ في القوارب. وقـد ابت بعض تلك الكريمات ان يفترقن عن ازواجهن ليَمُتن معهم فمُتنَ شهيـدات الحبّ والوفاء

وكان الربَّان وعَمَلة السفينة يتولَّون تدبير نجاة الركاب بكل مروءة لكن القوارب بعد مـدَّة نقصت فاحتاروا في امرهم اذ لم ينجُ الّا رُبع المسافرين واكثرهم من النساء والاولاد كما سبق ونجـا ايضاً بعض الرجال الذين وجدوا لهم مكاناً فارغاً. وحاول بعضهم ان يدخلوا في القوارب بالقوَّة واشهروا اسلحتهم لادراك غايتهم الّا انَّ اصحاب السفينة اطلقوا عليهم الرصاص فقُتلوا

ثم وزَّعوا على من بقي على ظهر تيتانك ما وُجد من ادوات السباحة والمناطق وغير ذلك ممَّا لم يستفد منهُ الّا بعض الافراد القليلين وكان غيرهم يتزاحمون على هذه الادوات وينتشها بعضهم من ايدي البعض املًا بالنجاة

وكانت نوبة المركب في اثنـاء ذلك تدقّ نغماتها لتنهض همم الركاب وكان آخر ما سمع الناجون في القوارب من الحانها لحناً شجيًّا تقويًّا اختارتهُ الجوقة يُدعى « اقرب منك اللهمَّ » كان بمثابة دعاء الغرقى الى الله في بلائهم

امَّا الراكبون في الزوارق فانَّهم سلَّموا مقاليد امرهم الى النوتية ريثما تأتي الى نجاتهم احدى السفن التي استغاثوا بها. واخبر بعضهم انهم احيوا تلك الليلة في الصلاة فكانوا على اختلاف مذاهبهم يردّدون الصلاة الربيَّـة بكل تُقىً وخشوع دون ان يملّوا. ولا غرو فانَّ الشكّ في الدين يبطل في ساعة الخطر

وقد اخبروا انّ الليلة كانت مظلمة غير مقمرة وكانت عيونهم متجهة الى السفينة

تيتانك فيرونها في كل جلالها وعظمتها والانوار تضيء في جوانبها وطبقاتها فلا يكادون يصدّقون انَّ ذلك الجبار يُصاب باذًى. وبقوا كذلك نحو ساعتين يرمقونها من بعيد. فلمَّا كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل رأوا مقدَّم المركب ينحني بسرعة حتى صار كلُّهُ في الماء وارتفع مؤخر السفينة الى السماء فانطفأت بغتةً انوار المركب وانقلب ما في قعرها من المراجل والزناجير الحديديَّة فدوى صوتها في الفضاء الى مسافة بعيدة وارتعبت كل قلوب سامعيها. وبقيت السفينة كذلك ظهرًا لبطن نحو خمس دقائق ثم قام ذَنَب السفينة عموديًّا في الهواء على ارتفاع نحو ١٥٠ قدماً وغطس في البحر بجلبةٍ عظيمة سُمعت ممتزجة بصَخَب الغَرْقى ثم توارت في اعماق البحر

تلك كانت خاتمة حياة سفينة ظنَّ بُناتها انَّها تكون شاهدًا مخلَّدًا على فتك الانسان بقوَّة الطبيعة فكفاها ثلاث ساعات حتى تبيد آثارها فتُضحي نسياً منسيًّا قبل ان تبلغ تمام سنة حياتها الاولى

امَّا اهل القوارب فبقوا خمس ساعات هائمين في وجههم حتى وصلت اليهم كرپاثيا فانقذتهم وحملتهم الى نيويرك. وكان بعض رفقتهم ممن لم يجدوا مكاناً في الزوارق القوا بنفوسهم في البحر يسبحون لابسين مناطق النجاة او حاملين الاطواف لكنَّ الماء المتجلّد مع وحشة الليل وانتهاك القوى قد اضعفت عزائمهم وازهقت ارواحهم فمات اكثرهم قبل وصول المغيثين. وبعضهم امكنهم بعد اللتيَّا والتي ان يبلغوا القوارب فركبوها لكنَّ غيرهم لم يجدوا مكاناً فبقوا يصارعون المنون وسُمع منهم مَنْ يشيّع الراكبين ويهديهم آخر سلام الوداع قبل ان يغوصوا في البحر فينقطع صوتهم ابد الدهر. فكان نصيب الموت في تلك الليلة ١٦٣٥ نفساً امَّا الناجون فعددهم ٧٤٥ النساء والاولاد منهم ٤٤٠ والباقون رجال منهم ملَّاحون وخَدَمة وضبَّاط قليلون. وكان من جملة الغرقى ربَّان السفينة سميث قيل انَّهُ انتحر ولم يثبت الخبر ومنهم احد مشاهير كتبة الانكليز وليم ستِد منشىء مجلة المجلَّات الانكليزيَّة وكثيرون من مواطنينا بينهم المأسوف عليهِ المرحوم الامير فارس شهاب من اهل الحدث رحمهم الله رحمةً واسعةً وألهم اهاهم الصبر الجميل

وودَّع الحياة في تلك الليلة كاهنان كاثوليكيَّان احدهما انكليزي من كهنة لندرة اسمهُ بَيْلس (Byles) كان مبحرًا الى بروكلين ليقرن اخاهُ بسرّ الزواج والآخر

پولوني من ليتوانية كان مرسلاً لخدمة اهل جلدتهِ المهاجرين الى الولايات المتَّحدة. واخبرت جرائد اميركة عن بعض النوتية الناجين بالسباحة انَّ الكاهنين اذ شعرا بصدمة السفينة وتحقَّقا الخطر الملمّ بها جمعا الكاثوليك في معبد المركب وقدَّما الذبيحة الطاهرة وشدَّدا عزائم الحضور بكلام موثّر ألقياهُ اليهم. واذ أُنزلت القوارب عرض البحريون مرارًا على الكاهنين ان ينجوَا بنفسهما فأبيا بكل شهامة قائلَين انهما يبقيان مع اهل السفينة حتى آخر رمق. ولمَّا حانت ساعة الغرق حرَّضا القوم المحيطين بهم على الندامة وباركاهم البركة الاخيرة فذهبا شهيدي الكهنوت الكاثوليكي كما ذهب غيرهم شهداء الكرم والايثار

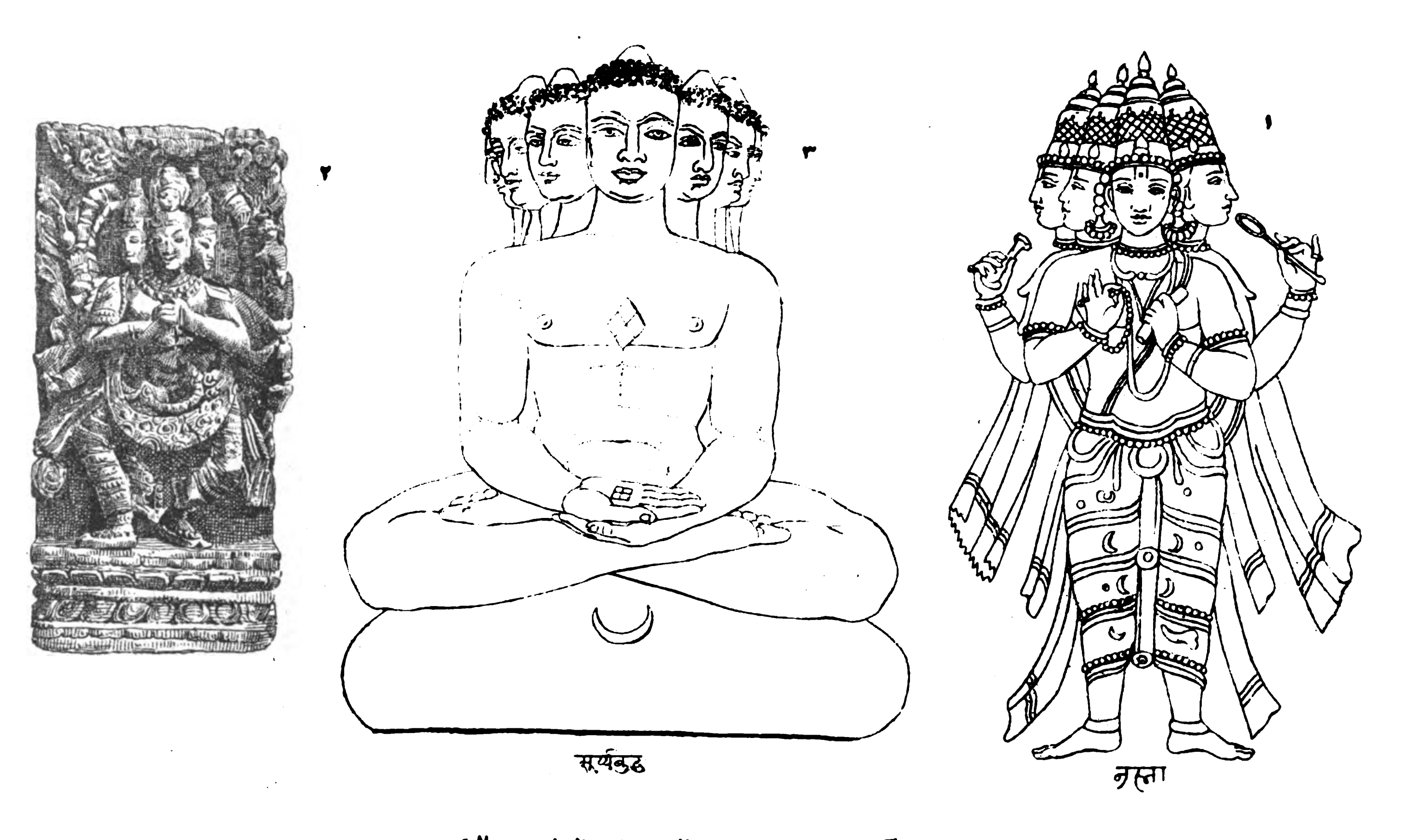
وقد جاء هذا المصاب منبّهاً لافكار كثيرين لاستدراك مخاطر السفن البحريَّة. منها كما سبق معرفة ناموس الجاذبيَّة الذي اشرنا اليهِ. ومنها نقصان الادوات المُنجية بالنسبة الى عدد المسافرين اذ لو كانت القوارب اكثر عددًا لنجا معظم ركاب تيتانك. وفي هذا الحادث تأكدوا افادة التلغراف اللاسلكي للاستغاثة بالسفن المجاورة لكنهم عرفوا ايضاً ان التلغراف المائي افضل الوسائل لنقل الانباء فتسمع اشاراتهُ عن بُعد بكل جلاء ويستدلُّ بها بكل ضبط عن مقام النائبة فيسرع السامعون الى اغاثة الملهوفين

ويا ليت هذا الرزء الاليم يزيد الناس تجرُّدًا عن الدنيا الزائلة وثقةً بالواحد الصمد الذي في حكمهِ الموت والحياة والذي يضرب ليشفي ويُميت ليحيي

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا الكتاب الذي اشرنا اليه في عددنا السابق وقلنا اننا نبدي فيهِ رأينا اذا ما وقفنا عليهِ. فاليوم وقد حصلنا على نسخة بل نسختين وثلاث منهُ وقد رآه غيرنا في ايدي القرّاء المسلمين لم يَعد يجوز لنا ان نسكت عنهُ. وهو تأليف متوسط القطع لم يُذكر مكان طبعه (لكنهُ مطبوع في بيروت في مطبعة الاتحاد العثماني) وسنة طبعهِ ١٣٣٠ هجرية يبلغ عدد صفحاتهِ ٢٠٠ ومؤلفهُ محمد طاهر التنير



صورة آلهة الهنود وخرافاتهم التي استند اليها محمد التيّر

١ صورة الاله برهما مربَّع الرؤوس (سابوع هندي) — ٢ الاله برهما مخمس الرؤوس (خاموس هندي) — ٣ الاله بوذا مسبَّع الرؤوس (سابوع هندي)

يقول المثل الفرنسوي ليس كل ما يلمع ذهباً . ويشبههُ قول العرب ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . فربَّما انخدع ناظر الصُّفر فظنَّهُ ذهباً وربَّما رأى الصياد صدفةً فظنَّها سمكة . ومثل هذا جرى لمؤلف الكتاب الذي صدَّرنا مقالتنا بعنوانهِ فانَّهُ اطَّلع على بعض كتب انكليزيَّة لكتبة اباحيّين او ملحدين عارضوا العقائد النصرانيَّة ببعض خرافات الوثنيين فزعموا ان النصرانيَّة استمدَّت معتقداتها منهم . وهو زعم غريب يكفي النظر فيهِ مليًّا ليظهر كذبهُ في اعين العميان فما ظنُّك بذوي البصائر فهذه الخزعبلات والسفاسف عرَّبها محمَّد طاهر التنير لحسبانهِ انهُ وجد منجنيقاً يرمي بهِ سور الدين المسيحي وانَّما شُبه عليه فقط فخار سهمهُ كغيرهِ . ولو شاء لاتيناه بكثير من هذه الخرافات الوثنيَّة لم يعرفها وسبق الى ذكرها كثير من اعداء النصرانيَّة فلم تُفدهم ذرَّة لِما ارادوا بيانهُ . فيا لله ولو سلَّمنا لمحمَّد طاهر التنير انهُ وُجدت عند بعض الامم الوثنية آثار التثليث وفداء البشر من الخطيئة وتجسّد الاله وولادته من عذراء بتول وازالة الخطيئة بالعماد أفذلك دليل على انَّ النصرانيَّة اخذت هذه المعتقدات من امم غريبة ؟ افيجوز القول بانَّ موسى نبيّ كاذب لوجود انبياء كذبة او لكون بعض شرائعهِ قد وُجدت في الدستور المنسوب الى حموربي ؟ ولكن هيهات ان نسلِّم لهُ بانَّ النصارى اخذوا شيئاً من عقائدهم عن الوثنيين اذ تبعُد المعتقدات المسيحيَّة عن ترَّهات الوثنيين مناط الثريَّا . فاين سرّ الثالوث الاقدس من التثليث النجس الذي قال بهِ بعض الهنود والبابليين ؟ واين تجسد الاله الكلمة من تجسد بعض آلهة الوثنيين ؟ واين صَلْب كرشنا الهندي الخرافي من صلب السيد المسيح المشهود لهُ من اعداء الدين المسيحي نفسهم ؟ واين تلك العذارى والدات الآلهة الوثنيَّة من والدة الربّ الاله مريم العذراء التي يعظّم الاسلام حبَلها الطاهر . . . واين . . واين . . فايمُ الحقّ ما كنَّا لنظنّ انّ الجهل المطبّق يؤدي بكاتب الى طبع مثل هذه الاقوال الصبيانية كأَنَّ النصارى ليس في ايديهم اناجيل صادقة اثبتَ في العام الماضي حضرة الاب انطون رباط صدقها وقدمها وسلامتها من كل تحريف منذ عهد الحواريين ولم يقم كاتب واحد ينفي من اقوالهِ حرفاً . وكأَنَّهم لم يجدوا في هذه الاناجيل اصل معتقداتهم حتى احتاجوا الى ان يطوفوا اقاصي العالم ويستعيروها من الامم الهمجية . او كأنهم لا يستطيعون ان يثبتوا تعاليمهم بالنبوات الصريحة التي تسلسلت من عهد

موسى الى التاريخ الميلادي وفيها تعددت كل تفاصيل حياة السيد المسيح منذ مولده الى صعوده الى السماء . وكأن ذاك المسيح كان كبودا الهندي عاش خاملاً مجهولاً في البراري ولم يشهد لاعماله الوف من الناس في فلسطين وبلاد الجليل وسواحل الشام وعبر الاردن بل شهد لهُ المؤرخون المعاصرون غير النصارى كيوسيفوس اليهودي وتاكيتوس الوثني . وكأن ملايين من اعقل البشر واعرقهم بالعلوم وافضلهم بالسيرة امكنهم ان يرضوا ببعض خرافات لا يُعلَم مَنْ قالها ومَتى قالها واين قالها فضحّوا لاجل ذلك حياتهم بين اشدّ العذابات وماتوا كمجانين لاجل دين كان اعمى قلوبهم وافقدهم رشدهم . وقد قام محمّد افندي التنير لينير عقولهم وهو ابن يومهِ لا يعرف من التواريخ والعلوم الدينيَّة شيئاً فيبثّ بين اهل الوطن آراء نقلها عن قوم زنادقة بلا ميزة ولا رويّة ويمسّ احساسات طوائف شتى تعتبر دينها كأثمن كنوزها

وها نحن ننفد هذه المزاعم فصلاً فصلاً ليعرف الجميع من نصارى ومسلمين انَّ المؤلف ضرب على حديد بارد فلم تُجدهِ نفعاً اهانتهُ لديننا الثابت الى الابد

جواب اجمالي

١ انَّ من اراد ان يجادل في الاديان او يقصد المقابلة بينها لبيان صحتها او كذبها لا بُدَّ لهُ من معرفة تلك الاديان التي يتكلّم عنها والّا خبط خبط عشواء . ونحن نعلم ان مؤلف كتاب « العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية » لا يعرف لا الديانة النصرانية ولا الديانات الوثنية فاقترف في جانب الحق ذنبين

امّا كونهُ لا يعرف الديانة النصرانية فهو ظاهر من كل صفحة من صفحات كتابهِ اذ يخلط الكاتب بين المعتقدات الجوهريَّة التي لا يجحدها احد الّا تبرَّأت منهُ النصرانية والآراء التي يذهب اليها بعض الافراد ولم تحدّها الكنيسة . وكذلك شطَّ في العقائد الجوهريَّة فتراه يعرضها ممزوجة بامور دقيقة تطمس حقيقتها الاصلية او يصفها وصفاً مخلًّا يخرجها عن صحتها او يكتفي بقشرتها دون ادراك معانيها كذكرهِ لسرّ العماد (في الفصل السادس عشر) ومعارضته بعماد الوثنيين . ثم تجدهُ في ذكرهِ النصرانية ينقل عن كتب ملحدين وبروتستانت وزنادقة ويحلّ اقوالهم محلّ التآليف المسيحية المبنيّة على اثبت الحجج واقوى البراهين فيشبه بذلكِ من اراد تعريف

الاسلام استنادًا الى الشيع التي ظهرت فيه والى مزاعم الخوارج

واما كونهُ لا يعرف الديانات الوثنيَّة فهو أظهر وأبين لانَّ علم هذه الديانات بحرٌ لا تُعرف سواحلهُ فانَّ الديانات اليونانية والهنديَّة والصينية والبابلية والفينيقية ليست كالديانة المسيحية التي لها تعليم يجمع في صفحات قليلة معتقد مؤمنيها في كل البلاد والازمنة بل هي مجموع خرافات واساطير خيالية تختلف اختلافًا كبيرًا من بلاد الى أخرى بل من مدينة الى مدينة كما تختلف في بلد واحد من زمن الى آخر. فلا تجد كاتبين من قدماء الكتبة يتفقان على تعريف تلك المذاهب وشرح اصولها وتقاسيمها وتاريخ آلهتها حتى ان الخطيب الروماني شيشرون كان يتعجب كيف ان كهنة الاوثان لم يستغربوا ضحكًا من دينهم اذا التقوا ببعضهم. وهذا الاختلاف العظيم لا يزال يشوّش علماء زماننا في وصف الاديان القديمة فيثبت الواحد ما يسلبهُ الآخر كما ترى في المجلدات الضخمة والمجلَّات التي تبحث عن تلك المذاهب وفي مكتبتنا الشرقية منها المئات العديدة بينها خصوصًا معاجم الآثار اليونانية والرومانية المطوَّلة التي يحرّرها اكبر علماء العصر فلو راجعها محمد طاهر التنير لاستحى من تأليفهِ في العقائد الوثنية وهو لا يعرف الَّا بعض الكتب الانكليزيَّة البروتستانية المصنفة تفكهةً للعموم

٢ وأتى صاحب العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة شططًا آخر وهو انَّهُ لم يحسن وجه المقابلة بين النصرانيَّة والوثنيَّة فلو اراد ان يثبت زعمهُ بان النصارى اخذوا عقائدهم عن الوثنيين لوجب عليهِ ان يبين ليس فقط بعض التشابه في المعتقدات ولكن ايضًا انَّ العقيدة الوثنيَّة سبقت العقيدة النصرانيَّة ليستدلّ بذلك على انَّ هذه منقولة عن تلك. ولكن هيهات ان يستطيع محمد التنير ان يبين الامر لأنَّنا يمكننا ان نتتبع سلسلة كل حقيقة من حقائق الدين المسيحي بالتواصل جيلًا بعد جيل حتى نبلغ زمن رسل المسيح دون انقطاع البتة . امَّا مزاعم اهل الهند والصين والامم الهمجيَّة التي استشهد بها صاحب العقائد الوثنيَّة فانَّها وردت في كتب الهنود والبوديين وغيرهم عدَّة اجيال بعد النصرانيَّة افليس الاحرى بان يقال كما يقرّ اليوم عدد وافر من العلماء بانَّ اصحاب هذه الكتب دوَّنوا في تآليفهم ما سمعوهُ من دُعاة النصرانيَّة. وزاد هذا القول تأييدًا ما وُجد في العشر السنوات الاخيرة من

آثار توكستان الصينيّة حيث وقفوا على مآثر لنصارى السريان والنساطرة في تلك البلاد منذ ١٤٠٠ سنة وازيد

٣ ولو صحّ قول محمد التنير انّ بعض هذه الاقوال الوثنيّة سبقت التاريخ النصراني ايجوز لهُ القول بان المسيحيين اخذوا عقائدهم عن مزاعم الوثنيين. فنسألهُ ان يفيدنا مَنْ ومَتى وأَين وكيف نقل النصارى حقائق ايمانهم عن الامم الغريبة فأشاعوها في اقاصي العالم دون ان يقوم احد ويعنّفهم لسرقتهم معتقدات غيرهم ونسبتها الى مسيحهم؟ بل ترى اليوم دعاة النصرانيّة في الصين والهند ويابان وجزائر البحر المجهولة ولا احد من كهنة اوثان تلك البلاد وعلمائها يدّعي بانّ النصارى اختلسوا تعاليمهم من اجدادهم. وهل يكفي ان يكون بعض الشبه بين شيئين ايقال ان الواحد فرعٌ من الآخر. فماذا يقول محمد التنير لو زعم الزاعم ان الاسلام اخذ عقيدة توحيد الله عن اهل جزيرة مدغسكار او جنوبي افريقية لانّ توحيد الله كان قديماً شائعاً عند قبائل تلك البلاد

٤ وزد عليهِ ان المؤرخين على اختلاف بلادهم وازمنتهم ومذاهبهم من يونان ورومان وسريان وعرب يتفقون بلا استثناء في وصف انتشار النصرانية مباشرةً من فلسطين حيث السيد المسيح ولد وبشّر ومات وقام ومنها الى الاقطار المجاورة ثم الاقطار البعيدة فكيف استطاع رسل المسيح ان يستعيروا اقوال اهل الهند والاصقاع الواقعة في الشرق الاقصى وهم «لم يعرفوا غير المسيح واياه مصلوباً» كما قال بولس الرسول وخرجوا بامر سيدهم الى انحاء المعمور ليبشروا بالحقائق التي علّمهم اياها ويدعوا كل الشعوب ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ويصطنعوا الآيات التي صنعها واعظم منها ايضاً. افهؤلاء كانوا مختلسين لخرافات الوثنيين واعتصموا بها حتى قاسوا لاجلها كل العذابات وماتوا بفرح للدفاع عنها؟

٥ ويا ليت محمد التنير قابل بين النصرانية ودين واحد من الاديان الوثنية لامكنهُ ان يثبت نوعاً حجتهُ لكنهُ اخذ نُتفاً من كل اديان العالم فركبها ليُظهر شبهها بالنصرانية فجاء هذا المجموع كتقليد صناعي ميت لهيكل الانسان الحي او بالحري كذلك الوحش الوهمي الذي وصفهُ الشاعر فزعم انّ جسمهُ يتألف من مجموع اعضاء الحيوانات كرأس انسان وصدر سبع وجناحي طائر وذنب سمك

٦ ولا تظنَّ انَّ الفتى محمد التنير راجع الكتب التي دوَّن اسماءها في اوَّل كتابهِ وانَّما نقل تلك الاسماء عن كتب قليلة وردت فيها شواهد تآليف شتى ليوهم القرَّاء ان لديهِ مكتبةً واسعةً في علم الاديان والدليل على ذلك انَّهُ لم يُحسن كتابة عَناوين الكتب ومسخ اسماء مؤَلفيها «كدوبيس ودنلاب» وقد لحظنا في جدولهِ فوق الثلثين غلطة. وبعض هذه الكتب من التآليف التي عتقت فاكل عليها الدهر وشرب فلم يأخذ عنها الَّا من كانت بضاعتهُ زهيدة جدًّا. ومنها ما هو لكتبة معادين للدين المسيحي المعروفين بتطرُّفهم ممَّن صوَّروا الاديان الوثنيَّة لا على حقيقتها بل على اهوائهم ليبخسوا بذلك شأن الدين المسيحي الشريف فالاستشهاد باقوالهم يقوّض حجة الكاتب فضلًا عن ان يثبتها. فاشبه التنير بعملهِ حاطب الليل وخالط البعرة بالتمرة

٧ واعلم انه في كتاب محمَّد طاهر التنير تصاوير آلهة وثنيَّـة سمجة قبيحة رسمها هناك رجاء ان يُقنع القرَّاء بحجتهِ الواهنة. وهذه الصور خياليَّـة كاذبة في الغالب ما عدا صورة السيد المسيح وموسى النبيّ وكنفوشيوس وزورستر (كذا ولو درى لقال زردشت). فانَّ صورة كرشنا المصلوب والثالوث الهندي ووالدات الالهة وما شاكلها امَّا مخترعات حديثة وامَّا تصاوير لخرافات وثنية ليس بينها وبين النصرانية ادنى علاقة كما سترى. ومنها ما هو بذيّ يندى لنظرهِ الجبين خجلًا فلا نعلم كيف لم يستحي بنشرهِ مع خلاعتهِ ومسيسهِ للآداب

هذا جواب اجمالي يكفي لنقض مزاعم كتاب العقائد الوثنيـة لكننا احببنا ان نستقري اخصّ فصولهُ لنبين لمؤَلفهِ انهُ اخطأ الحفرة

١ عقيدة التثليث

نبتدئُ بهذه العقيدة التي افتتح بها محمَّد طاهر التنير طعنهُ بالنصرانية

قال بطرس الرسول في رسالتهِ الثانية (١: ١٤) يخاطب النصارى الاوَّلين: «اننَّا لم نتتبَّع خرافات مصنَّعة اذ اعلمناكم قوَّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئهُ بل كنَّا معاينين جلالهُ لانهُ اخذ من الله الاب الكرامة والمجد اذ جاءهُ من المجد الفخيم صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ. وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنَّا معهُ في الجبل المقدَّس. وعندنا اثبتُ من ذلك وهو

كلام الانبياء الذي تحسنون اذا اصغيتم اليهِ كانهُ مصباح يضيء في مكان مُظلم الى ان ينفجر النهار . . .»

هذا كلام موجز قالهُ احد شهود حياة السيد المسيح العيانيين وادناهم الى شخصهِ الكريم وهو مما يجوز تكريرهُ في كل عقيدة من دستور الايمان عموماً وعقيدة التثليث خصوصاً فان رسل المسيح الذين تربَّوا في اليهوديَّة وكانوا من عامتها بل من الاميّين ما كانوا ليخترعوا عقيدة كهذه تفوق ادراك البشر لو لم يسمعوها من السيد المسيح ليس مرَّة واحدة او مرَّتين ولكن دفعات متعدّدة لا تُحصى فأثبتوها في الاناجيل المقدَّسة وفي رسائلهم المتتالية بنصوص صريحة لا يمكن تأويلها على طريقة مغايرة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة. فمن أراد ان ينقض تعليمنا في الثالوث الاقدس قُضي عليهِ ان يفعل ببيان احد هذه الامور الثلاثة: امَّا ان الاناجيل وكتب العهد الجديد ليست من تأليف رسل المسيح وتلاميذه الحواريين. وامَّا ان التعاليم المرويَّة هناك عن الثالوث الاقدس وبقيَّة اسرار الديانة المسيحيَّة قد دُسَّت فيها بفعل بعض المزوّرين. وامَّا ان المسيحيين لم يفهموا اقوال الحواريين فحملوها على غير معناها

هذه ثلاثة امور اذا بيَّنَّا بطلانها بطل معها زعم محمَّد التنير وامثالهِ بانَّ النصارى اخذوا عقيدة التثليث وبقية العقائد عن الوثنيين

فالزعم الاوَّل الذاهب الى انَّ الاناجيل ورسائل العهد الجديد ليست لرسل المسيح باطل كما اثبتهُ المشرق سابقاً في المقالة الموَّسعة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط حيث بيَّن بالادلة العقليَّة والنقليَّة انَّ الانجيل الشريف هو حقًّا للاربعة الكتبة الذين هو معنون باسمائهم وقد تتبَّع الامر جيلًا بعد جيل الى القرن الثاني بل اواخر الاوَّل للميلاد راوياً لشواهد الكتبة الذين عاشوا في القرون الاولى للمسيح وذاكرًا للآيات المتعدّدة التي نقلوها عن الاناجيل القانونيَّة حتى لو فُقد الانجيل الشريف لامكن جمعهُ من هذه المرويَّات. ويُضاف الى ذلك ادلَّة أُخرى كشواهد كنائس الشرق والغرب وكالآثار الفنيَّة من عاديَّات وتصاوير ومصنوعات صناعيَّة هي كاناجيل حيَّة كانت مطمورة في قلب الارض في دياميس روميَّة او منزوية في المكاتب والمتاحف ودور الخاصَّة ولاسيما المخطوطات الانجيليَّة الراقية الى القرن الرابع بحيث يجوز القول ان من ينكر الاناجيل القانونيَّة هو جاهل مركَّب وغبيّ لا يستحق ان يباحثهُ عاقل .

وعالم. وما يقال عن الاناجيل يحق قولهُ عن بقيَّة كتب العهد الجديد كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين كما اثبتهُ العلماء (راجع الصفحة ٢١)

ومثلهُ الزعم الثاني القائل بفساد الاناجيل وتزويرها فان المشرق خصَّ صفحات واسعة لدحضهِ دحضاً علمياً ولم يتصدَّ لمحاجَّتهِ احد مقيماً عليهِ النكير في شيءٍ من براهينهِ فلا يمكن عالماً ان يثبت انَّ عقيدة من عقائد الايمان المسيحي دُسَّت في الاناجيل او في كتب الرسل ولو اتى واحد بشيء من ذلك قام الالوف في وجههِ وافحموهُ بالبرهان وبيَّنوا انَّ تلك العقيدة مذكورة في اقدم المخطوطات الانجيليَّة وفي تآليف اقرب الكتبة من عهد الرسل حتى اواخر القرن الاوَّل للميلاد واوائل الثاني وذلك في لغات شتى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة

فيبقى للمعترض الوجه الثالث انَّ ما دوَّنهُ رسل السيد المسيح في الاناجيل المقدَّسة وبقيَّة اسفارهم لم يفهمهُ النصارى فحملوا كلام السيد المسيح على غير معناهُ الصحيح

لكنَّ هذا الوجه من القول لم يُفد المعترض ذرَّةً لان كلام السيد المسيح وكلام رُسلهِ الاطهار اضوأ من النور لا سبيل الى تأويلهِ البتَّة الَّا كما يؤوّلهُ النصارى في اربعة خوافق المعمور. ولانَّ مدار كلامنا هنا عن الثالوث الاقدس فلننقلنَّ بعض آيات الانجيل الشريف واقوال الرسل ليرى كل ذي عينين ان النصارى لم يتمسكوا بشيءٍ الَّا ما اخذوه عن الوحي الالهي

مرجع تعليم النصارى في الثالوث الاقدس الى انَّ الله عز وجل الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعرف حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد وبمعرفتهِ لها معرفةً تامة لا تخلّ في شيءٍ عن جوهرهِ يفيض على تلك الصورة مجموع كمالاتهِ كانَّهُ هي وكأنَّها هو. تلك كلمتهُ الازليَّة القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول كُنْ. ولانَّها صادرة عنهُ متولّدة منهُ عقلياً دون حركة ولا زمان ولا مكان باقية فيهِ بلا انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ أباً كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابن فكرنا او كلمتهُ. وهذه الكلمة تلفظها شفاهنا دون ان تفارق عقلنا وانَّما كلمتنا عرَض وليس في الله تعالى عرضٌ فلا بدَّ من القول ان كلمة الله اله كمصدرها. ولمَّا كان الابن يشبه الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة

وجب ان تكون علاقة بين الآب وكلمتهِ فيحبّ الآب صورتهُ وتنجذب الصورة الى مُولدها. وهذه العلاقة ليست عرضاً بل جوهرًا ايضاً وهو الروح القدس الحب المتبادل بين الآب وابنهِ المنبثق من كليهما

هذا ما يعلّمنا الايمان المسيحي وليس شيء من دقائق ذلك التعليم الّا مسطر في الاناجيل الاربعة القانونيَّة وبقيَّة اسفار الكتب المقدَّسة فليفتح المعترض اوَّل انجيل يوحنَّا حيث يهتف التلميذ الحبيب قائلًا: « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله. والله كان الكلمة... وبهِ قد كُوّن كلّ شيء... والكلمة صار جسدًا وحلّ فينا » فاي كتابَ بابلي او هندي او يوناني او عربي قال كلاماً كهذا يسحر بسموّهِ ألباب كل العلماء

ويوحنَّا هو الناقل كلام المسيح: « انا نور العالم... انا الطريق والحقّ والحياة » وقولهُ « من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديَّة واقيمهُ في اليوم الاخير » وقولهُ: « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » وقولهُ: « انَّ الآب فيَّ وانا في الآب » وقولهُ: « من رآني رأى الآب » وقولهُ: « انا والآب واحد » وقولهُ عن الروح القدس « اني ارسل اليكم من عند الآب روح الحقّ.. فهو يرشدكم الى جميع الحقّ لانهُ لا يتكلّم من عندهِ... هو يمجدني لانهُ يأخذ ممَّا لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي فمن اجل هذا قلت لكم انَّهُ يأخذ ممَّا لي ويخبركم ». افيوجد كلام اصرح من هذا في وحدانيَّة الله وتثليث اقانيمهِ فليقلّب التنير كل كتب العلماء من اوَّل العالم الى اليوم فان وجد في واحد منها كلاماً كهذا صادقنا على قولهِ بانَّ الدين المسيحي اخذ عقائدهُ عن الوثنيين. فان كلام يوحنَّا الانجيلي يقضي باحد امرين امَّا ان يقال انَّ المسيح اكبر مجدّف وُجد في العالم بل اكبر المجانين وحاشا جلالهُ ان يُحكم عليهِ بذلك وامَّا يُقال انهُ إله حقًّا كما تشهد عليهِ اعمالهُ التي فعلها ليثبت لاهوتهُ واقرَّ بها اعداء النصرانية فضلًا عن تبَعتها

وليست اناجيل متى ومرقس ولوقا مخالفة لانجيل يوحنَّا ففيها يطوّب المسيح بطرس المعترف بكونهِ ابن الله الحيّ وفيها يصرّح بانَّ الابن وحدهُ يعرف الاب كما انَّ الاب وحده يعرف الابن. وفيها يشهد السيد المسيح امام قُضاة اليهود ومجمعهم الاعظم بانَّهُ هو المسيح ابن الله مع علمهِ بانَّ اقرارهُ سيفضي الى الحكم

بموتهِ. وفيها يقول الربّ لتلاميذهِ: «اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس. . . وها انا معكم الى منتهى الدهر»

فليأتنا التنير بقيراط من هذه الاقوال لايّ إلٰه كان من آلهة الوثنيَّة الرجسة النجسة. فمهما روى الناس عنها من الاكاذيب لم يبلغ بهم الهوس الى ان ينسبوا اليها ما رواهُ رُسل المسيح عن سيدهم. وليست الاناجيل وحدها تروي ذلك بل نرى مثلها في اسفار العهد الجديد كلها كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين لبطرس وبولس ويعقوب ويهوذا ويوحنَّا. فهي توافق لاقوال الاناجيل الموافَقة التامَّة في عقيدة التثليث وبقيَّة العقائد النصرانيَّة. ففيها ورد قول بطرس لليهود: «انكرتم القدُّوس والصديق. . . وقتلتم مبدي الحياة. . . وقد عيَّنهُ الله ديَّاناً الاحياء والاموات». وفيها يقول بولس: «انَّ الله انشأ الدهور بابنهِ المسيح وهو ضياء مجده وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ. . . ولهُ وحدهُ قال منذ البدء: انت ابني وانا اليوم ولدتُك كما ورد في مزامير داود». وفيها ايضاً يقول يوحنَّا عن لسان المسيح في سفر الرؤيا: «انا الالف والياء البداءة والنهاية الاوَّل والآخِر». ومثلهُ ما رواهُ التنير عن رسالة يوحنا الاولى (٥ : ٧) في الاله الواحد والاقانيم الثلثة

فهذا برضٌ من عدّ وقطرٌ من وبل لا نزيد الاطالة فيهِ فرارًا من سأم القرّاء. وتؤيّدهُ شواهد كَتَبَة الكنيسة منذ عهد تلامذة الرُسل كهرماس في كتاب الراعي وبرنابا في رسائلهِ واغناطيوس الانطاكي في مكاتباتهِ الى الكنائس واقليميس في رسالتيهِ الى اهل قرنتية. وإن تتبعتَ الكتبة الذين تلوهم وجدت يوستينوس الشهيد وايريناوس وپوليقرپوس في القرن الثاني للمسيح ثم ترتليانوس وقبريانوس وارستدس في القرن الثالث وكتاباتهم كلها لدينا لا تشذُّ تعاليمهم في شيء عن تعاليم الاناجيل واقوال الرسل في الثالوث الاقدس وبقيَّة العقائد

ومثلها اقوال المجامع التي عُقدت في الاجيال الاولى مباشرةً بمجمع الرسل في اورشليم الى المجمع النيقاوي الكبير في عهد قسطنطين حيث حُرم كل من ينكر شيئاً من تعاليم الكنيسة وعقائد الوحي في الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح

يُضاف اليها التصاوير العجيبة التي وجدت في دياميس رومية مع الآثار العديدة

في جهات الاناضول وغالية وسوريّة ومصر تثبت العقائد ذاتها دون اختلاف البتة

ولا يقولنَّ القائل انَّ في تعليم النصارى سرًّا لا يدركهُ العقل. اجبنا انَّنا نقرّ بالسرّ ولا عجب ان يعجز عقلنا عن ادراك اسرار الوحي وهو عاجز عن ادراك اسرار الطبيعة وغاية ما ينبغي على المؤمن ان يتأكد وقوع الوحي فيذعن لله الموحي بهِ

هذه خلاصة تعليم النصارى في التثليث وليست غايتنا ان نتَّسع في الامر ومن اراد زيادة ايضاح فليراجع المقالات النفيسة التي نشرها المشرق سابقاً عن بولس الراهب اسقف صيداء ويحيى بن عدي وعبد يشوع الصوباوي وايليًّا مطران نصيبين فجُمعت في كتابٍ واحد تحت عنوان « مقالات دينيَّة قديمة »

*

فلنفحصنَّ الآن ما اتى بهِ محمَّد التنير ليؤيد زعمهُ بانَّ عقيدة التثليث عند النصارى مأخوذة عن التثليث عند الوثنيين وقد جمع في كتابهِ في ١٦ صفحة كل ما وجدهُ في كتبهِ الانكليزيَّة عن الآلهة المثلَّثة (Triades) والثالوثات فنقل سطرين او ثلثة من هنا وهنا فالقاها في كشكولهِ كما يفعل المكدّي ليسدَّ جوعهُ. فاخذ عن اقاصيص اليونان وخرافات الهنود واساطير المصريين ومزاعم الفرس والرومان وجمعها في قصعتهِ فخرجت منها « مخلوطة » تَفِهة لا يبلعها الَّا من اعتادت معدتهُ المآكل القذرة

اذا ما درسنا كل ما ورد في كتب قدماء الشعوب ونقلهُ عنهم العلماء الاثبات بخصوص آلهة الوثنيين المثلثة وثالوثاتهم المتعدّدة النجسة ثم قابلناها بذلك الثالوث العظيم الذي لا يحقّ لبشر ان يتكلم عنهُ الَّا بكل تحفُّظ ووقار بعد تطهير شفاههِ بجمرة نار كاشعيا النبي (٦ : ٦) وجدنا انَّ وجوه الاختلاف بين تُرَّهات الوثنيين والسرّ المسيحي الجليل لا تكاد تحصى والفرق بينهما كالفرق بين السماء والارض فلا تجد اتّفاقاً لا في اصل المعتقدين ولا في حقيقتهما ولا في ثباتهما ولا في معناهما ولا في انتشارهما

١ ﴿ اصل المعتقدين ﴾ رأيت انَّ المعتقد النصارى في الثالوث الاقدس مبنيّ كلهُ على اقوال الانجيل الطاهر والاسفار التي كتبها تلاميذ المسيح ممَّا لا ينكر صحتهُ الَّا الجهَّال. لا بل نجد في اسفار العهد العتيق اشارات متعدّدة الى هذا السرّ حتى في اقدم سفر كُتب بيد انسان اعني سفر التكوين لموسى النبي وذلك في تاريخ

الخليقة حيث يُخبر بانَّ الله برأ بكلمتهِ الكائنات واحياها بروحهِ المُرفَّة على وجه المياه ثم في تاريخ خلقة الانسان حيث استشار الله نفسهُ بقولهِ « فلنصنعنَّ الانسان على صورتنا » وقولهِ : « هوذا آدم كواحد منَّا » . وفي تاريخ ابراهيم الخليل حيث ترآى لهُ الربّ على صورة ثلثة اشخاص « فرأى ثلثة وسجد لواحد » كما لحظ قدماء الآباء

امَّا معتقد الوثنيين في ثالوثاتهم فلا يعلم احد اصلهُ فتجد في بعض الاثار ذكر ثلثة آلهة « كَعَمُون وراع وفتاح » عند المصريين « وانو وبيل وهيا » عند البابليين و « برهما وفشنو وسيفا » عند الهنود بل تعدَّدت الثالوثات في الأمَّة الواحدة كما سترى . غير انَّ هذه الثالوثات المركبة من آلهة مختلفة انَّما جمعها العلماء المحدثون غالباً لا لكونهم وجدوها في الآثار القديمة كاله واحد في ثلاثة اقانيم بل تسهيلًا لدروسهم واستدلالًا على ما يوجد من التقارب في الخواصّ بين بعض اولئك آلهة الزور البالغ عددهم في كل امَّة المئين والالوف او اشارةً الى انساب اولئك الاصنام كما تصوَّرهُ كل شعب من الشعوب

٢ً ﴿ حقيقة المعتقدَين ﴾ هي مختلفة اختلافاً جوهريًّا . فانَّ الثالوث الاقدس عند النصارى كلُّهُ طاهر عقلي اهلٌ بجلالهِ تعالى لا يبخس من وحدانيتهِ وكمالاتهِ الالهيَّة شيئاً . امَّا الثالوثات الوثنيَّة فهي نجسة جسديَّة تذلّل العزَّة الالهية وتنفي كل كمالاته تعالى . فانَّ الوثنيين اذ رأوا العالم واستدلُّوا بالمعلول على العلَّة تصوَّروا الله في صورة البشر واذ رأوا ان اساس العائلة البشريَّة في ثلثة اي رجل وامرأة وولد جعلوا في السماء مثل ذلك في بدء تكوين العالم فاتَّخذوا في الغالب ثالوثات تتركب من إله ذكر وإلهة انثى اولدا بالتناسل ابناً وهو الاله الثالث . واعطوا الاله الاوَّل ملك السماء وللإلهة ملك الارض ولولدهما ملك الجحيم وهم يسمون الاله « أبا الآلهة » والإلهة « امّ الآلهة » كعشتروت عند الفنيقيين وكيبال عند الرومان ونين خرساغ عند البابليين وايزيس عند المصريين . وكان للبابليين وللعرب وللأُمم الصابئيَّة ثالوث آخر مركَّب من نيّرات السماء اعني الإله او الإلهة « شمس » ثم الاله « سين » اي القمر ثم كوكب الصبح اي الزهرة وكثيرًا ما كانوا يتخذون ثالوثين ثالوثاً ذكرًا بازائهِ ثالوث انثى

امَّا بُعد هذه الثالوثات عن الكمالات الالهيَّة فيظهر من خواصّها لأنها كلها آلهة ماديَّة تتوالد بالتناسل وتتنازع السلطان وتقتسم بينها الكمالات وتشارك البشر في

كل اهوائهم وشهواتهم القبيحة كالزنا والقتل والسرقة فكفى بالاشارة الى كل ذلك حتى يتضح كضوء الشمس شطط محمد التنير في معارضتهِ سرّ الثالوث الاقدس بخرافات الوثنيين وارجاسهم

٣ ﴿ ثبات المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث كما تجدهُ مدوَّناً في كتب الوحي منذ عشرين قرناً تجدهُ اليوم ايضاً في دستور ايمان النصارى دون ادنى اختلاف والكنيسة حافظت على تلك الوديعة الثمينة بكل حرص فما كان احد يمسّ هذا المعتقد الّا اسرعت وفندت اقوالهُ فان ارعوى والّا حرمتهُ من شركتها واعتبرتهُ كوثنيّ وعشَّار

امّا الثالوثات الوثنيَّة فانّ اختلافاتها قد توفَّرت فلا تكاد تجد لها في كاتبَين وصفاً واحدًا بل تراها متباينة كل التباين من مكان الى آخر ومن زمن الى زمن ومن امَّة الى اخرى ولهذا لا يستطيع العلماء في ايَّامنا ان يقولوا شيئاً ثابتاً عن تعاليم الوثنيين في تلك الخرافات ويهدم الواحد ما زعم بناءهُ الآخر. وكما قال اولئك الشعوب بالثالوثات قالوا بالرابوعات والخاموسات والسابوعات كما ترى في الصور التي نقلناها هنا عن احدث الكتبة واصدقهم كماندرون (Maindron: *l'Art Indien*) وكروزرس (F. Creuzers: *Symbolik und Mythologie*) وكلّها مزاعم فريَّة انتجتها التخيُّلات الوهميَّة

٤ ﴿ انتشار المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث الاقدس منتشر اليوم بين ستمائة مليون من البشر اي الكاثوليك والروم والبروتستانت وهم الشعوب الارقى في التمدُّن والعقل والعلم ومع ترقّيهم لم ينبذ بينهم ذلك المعتقد الّا بعض الكفرة المعروفين بالتطرُّف والعناد بل يدافعون عنهُ ويثبتونهُ بالادلَّة التي لم يَقوَ على تفنيدها احد لوجودها في مستودع الوحي. واذا دخل مرسلوهم بلدًا اقنعوا اهلهُ ببيّنات تعليمهم في الثالوث الاقدس امّا الثالوثات الوثنيَّة فكلها بطلت اليوم واذا سألت علماء الوثنيين في الهند والصين وكهنة أُمم البرابرة عنها تلعثموا وما دروا ما يجيبون واذا رجعوا الى كتبهم القديمة لم يتفق احد منهم على شرحها وتعليلها كما يروي المرسلون كل يوم في اخبارهم عن تلك الشعوب

وكان بودّنا ان ننقل هنا اقوال العلماء الصادقين عن الثالوثات الوثنيَّة لولا ضيق

المجال. ونكتفي فقط بشاهدين عمّا يدعونهُ بالتريورتي (Trimurti) وهو الثالوث الهندي الذي طنطن بهِ بعض الملحدين وصوَّر محمد التنير صورتهُ (ص ١٨) وزعم انهُ الهٌ واحد في ثلاثة اقانيم. قال السيد لاونان في تاريخ البرهمانيَّة : Laouenan (Le Brahmanisme I, 7 et II, 178-179) : « انَّ التريورتي عند الهنود يختلف اختلافاً جوهريًا عن سرّ الثالوث عند النصارى فانَّ الهنود زعموا بانَّ الاله الاعظم خاق ثلاثة آلهة متساوين لكنهم دونهُ مرتبةً لا يمكنهم ان يبلغوا مقامهُ في العظمة وهم يمثّلون عظمتهُ في عالم الكون »

« Le Trimurti indien se compose de trois dieux inférieurs, créés par la divinité suprême . . . Ils ne sont que les représentants extérieurs de cette divinité suprême »

وقال العلّامة الفرنسويّ دلا ڤاله پوسان (De la Vallée Poussin) في كتاب معلوماتنا الحاضرة عن الديانات القديمة (Où en est l'Histoire des Religions I, 278) : « بئس ما فعل البعض اذ قابلوا بين الثالوث الاقدس ومجموع الآلهة الثلثة « برهما وڤشنو وسيڤا » لان عبَدَة ڤشنو يعتبرون سيڤا كخادم ڤشنو وعبَدَة سيڤا يعتبرون ڤشنو كصورة سيڤا وكلاهما يعدّ برهما كاسم بلا مسمى »

« On compare à tort, à la Trinité, le groupe Brahmâ, Vishnou, Çiva ; car pour les vishnouites, Çiva est un domestique ; pour les çivaïtes, Vishnou est un double de Çiva ; pour les uns et pour les antres, Brahma n'est qu'un nom »

فما ابعد محمد طاهر التنير عن الحقّ في ما كتب عن الثالوث الاقدس المسجود لهُ وما كان احراهُ ان لا يلقي بنفسهِ في ابحاث لا يعرفهـا ! وغاية ما يستطيع كل انسان ان يقولهُ بازاء سرّ كهذا ما قالهُ الرسول بولس: « يا لعُمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ وما ابعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء » او ما قالهُ احد كبار العلماء: « اننا لو استطعنا مع ضعف عقلنا ان ندرك اسرار الله لزال كون الله الهاً »

(لهُ بقيَّة)

وداع الأم لابنها المهاجر

من نظم الاديب يوسف افندي غصوب احد طلبة كليتنا سابقاً

دموعٌ على الخدَّين تنهلُّ كالقطرِ ... وفي الصدرِ وجدٌ دونهُ حُرقةُ الجمر
ترى الأمَّ في بحر الشجون غريقةً ... تخوض غمار الهمّ في المدّ والجزرِ
تئنُّ أنينَ الوالهاتِ تفجُّعاً ... على فرقةِ ابنٍ اروعٍ نابهِ الذكرِ
وتُصعدُ انفاساً يكادُ ضرامُها ... يُذوِّب من فرط الأسى مهجةَ الصخرِ
اذا حاولت حبسَ الدموع امامهُ ... عصَتها ولم تحفل بردعٍ ولا زجرِ
فتنثر درًّا فوق شاحبِ خدّها ... فيصبحُ لونُ الدرّ في صُفرة التبرِ
وتقذفُ من احشائها لَهَب الجوى ... كما تقذفُ الريحُ السَّمومُ لظى الحرّ
اذا حان ميقاتُ الوداعِ تململَتْ ... وقالت : ايا لله من ساعة الهجرِ
فتبًّا لأيَّام النَّوى مـا أمضَّها ... فانَّ لها طعماً امرَّ من الصبرِ

*

بُنيَّ رُوَيدًا انَّ بُعدك قاتلي ... فلا ترمِ عن قوس النوى والجفا صدري
لقد عيلَ صبري من نواك فلم يَعُدْ ... يطيبُ لجنبي غيرُ مضطجَعِ القبرِ
حضنتُكَ طفلًا تحت اجنحةِ الهوى ... أعاطيكَ كأس الحبّ أحلى من الخمرِ
فكم سامرت عيناي وجهك في الدُّجى ... فكنتَ الى عينيَّ أشهى من البدرِ
وكم كنتُ أزري بالجمانِ منظَّماً ... اذا لاح لي درّ ابتسامِك في الثغرِ
بُنيَّ رُوَيدًا ما الذي انتَ فاعلٌ ... ألم تدرِ أن الهجرَ يوردني قبري
ألم ترَني مشطورةَ القلب والحشى ... فلا تشطُرَنَّ القلبَ شطرًا على شطرِ
فأنتَ لروحي بلسمٌ في شدائدي ... فمن ذا يُداويني اذا خانني دهري
وأنت لقلبي زهرةُ الأنسِ في الضُّحى ... فإن بِنتَ بانَ الانسُ عنّي مدى العمرِ
يقولونَ لي صبرًا على لوعة النَّوى ... وقد نفِدت قبلَ النوى جُعبةُ الصبرِ
فكيف أطيقُ الصبرَ والبينُ ضاربٌ ... قبابَ البلايا فوق أفنيةِ الصدرِ
وكيفَ يعاني الجسمُ فرقةَ روحهِ ... وكيف يقاسي القلبُ وجدًا له يبري

حرامٌ على عينيَّ ان تُطعَما الكرى ولم يكتحل جفناهما بسنا بدري
مذهَّبُ شعرِ الرأسِ يغنيكَ وجهه اذا لاح في الظلما عن الانجُم الزُّهرِ
فكنتُ اذا استنشيتُ انفاسَ حُبّهِ كأني بهِ يُهدي اليَّ شذا الزَّهرِ
وكنت اذا ما الليـلُ مدَّ رواقَهُ أرى في محيَّاهُ الوسيمِ سنا الفجرِ
وكنت كأني في النعيم بقربهِ أُطاردُ ريبَ الدهرِ والدهرُ في إثري
اذا رعَتِ الألحاظُ بدرَ سمائها فبدري سميرُ الروح في مهجتي يسري
وإن يكُ فيها للبدور منازلٌ فما في فؤادي غيرهُ وبهِ فخري
غرستُ بـه روحَ الديانةِ والتُّقى ولقَّنتهُ روحَ العداوةِ للكفرِ
فشبَّ على حبِّ الفضيلةِ والهدى وقد أرَّجت آثارُهُ فَلَكَ الطهرِ
وكنتُ أُرَجي أن اموتَ بقربهِ وها هو يمضي خائضاً لججَ البحرِ
وربِّيَ لا اهوى الحياةَ وانَّما حييتُ لأهواهُ واخدمَهُ عُمري

*

اوالدتي كفّي النحيبَ وكفكفي دموعَ الأَسى حرصاً على عمركِ النَّضرِ
فدمعكِ يدمي مهجتي ويزيدني لدى البعدِ وجداً ينتهي عندهُ صبري
فما أنا راضٍ بالبعـادِ وانَّما بذا قد قضى دهري فآهاً من الدهرِ
على أنهُ مهما نأَتْ شقَّةُ النَّوى فإنكِ لا تنأَينَ عن ساحة الفكرِ
وانَّكِ في قلبي تجولينَ جولةً تذكّرني دومـاً بآثاركِ الغُرِّ
فأُثني على تلك العوارف منشدًا بأنديةِ العرفانِ انشودةَ الشكرِ
ليعلمَ اهـلُ الخافقَينِ بانَّني أسيرُ الثنا لا ابتغي الحلَّ من أسري

*

ألا سِرْ بعون الله يا خيرَ راحلٍ ولا زال معقودًا عليكَ لِوَا النَّصرِ
يواكبُكَ الإِقبالُ في كل خُطوةٍ ومن حولكَ التوفيقُ كالعسكرِ المَجرِ
لئن مضَّني منكَ الفراقُ فانَّما يعزّي فؤادي ذِكْرُكَ الطيّبُ النَّشرِ
الا احرص على كنزٍ ثمينٍ جمعتَه من الدين حرصَ المسكينَ على الصُّفرِ
وحافظ على الآدابِ والسُّنن التي نشأتَ عليها تغتنمْ اجزل الأجرِ
وكُنْ حيثما تنزلْ كزهرةِ زنبقٍ يضوعُ شذا ذكراكَ في الارض كالعطرِ

فانَّ حياة المرء مثلُ صفيحةٍ تُخَطُّ عليها أسطُرُ البرِّ والشرِّ
فإن يأتِ خيرًا زانَ بالخيرِ عمرهُ وإن يأتِ شرًّا شانَهُ دَنَسُ الوزرِ
ستأتي بلادًا أنتَ تجهلُ أهلها فعِش بينهم ندباً وسِرْ سِيرةَ الحُرِ
واياكَ ان تغترَّ بالحيَــل التي يُموّهها اهلُ المفاسدِ والنُكرِ
وأعرضْ عن القوم اللئام وجافِهِمْ وكُن من مُداجاةِ الغواةِ على حِذْرِ
ولا تختَلِط بالمُلحدينَ بني العَمَى فعشرتُهم تُعمي ولطفُهمُ يُغري
وجانب عُداةَ الدينِ واحذر سمومهم فهم آفةُ الدنيا وجرثومةُ الضرِّ
لاقوالهم في القلبِ أفتَنُ موقعٍ فهم يدخلونَ القلبَ عن طُرُقِ المكرِ
فلا تقترب منهم فإنَّ لسانهم يدسُّ سموماً في النفوس على غدرِ
ووَفِّ مواثيق الديانة حقَّهــا وبِرَّ الذي يرعاكَ في السرِّ والجهرِ
ولا تعتزِلْ منحى الامانةِ واعتصم بحبل التقى والصدق والعدل والبرِّ
ولا تثقَنْ بالناسِ قبلَ ابتلائهم ولا تتَّخذ منهم خليلًا بلا خُبرِ
ولا تخطبَنْ ودَّ الأُولى عبدوا الهوى لئلا تذوقَ الموتَ من حيثُ لا تدري
ولا تدنُ ممَّن كان من طبعهِ الأذى فبسمهُ يُدمي ومقولهُ يَفري
فخيرُ الورى من صدَّق الفعلُ قولَهُ وشرُّهمُ المذّاقُ ذو الخبثِ والخترِ
ولا تصرفِ الأوقات باللهوِ غافلًا فإنَّ الملاهي تُنذِرُ المرءَ بالفقرِ
ولا تغفلنْ عمَّا رحلتَ لأجلهِ لترجعَ للأوطان باليُسر والكُثرِ
ولا تُخلِقَنْ ديباجةَ الوجهِ واحتفظ بما يُكسبُ العلياءَ مع رفعة القدرِ
ولا تبتذلْ بالكدِّ مُطرَفَ صحَّةٍ فصحَّةُ جسم المرءِ خيرٌ من الدُّرِ
وايَّاكَ والحرصَ الذميمَ فانــهُ يُعرّضُ عِرضَ المرءِ للطعنةِ البِكرِ
فإن تتَّبع نصحي تَنَلْ ما تريدهُ من الخيرِ والإقبالِ في ذلك القُطرِ
والَّا دفنتَ القلبَ في حُفرةِ الأسى وخطتَ لهُ الأكفانَ من نُوَبِ الدهرِ

*

أأُمَّاهُ لا تَخشي عليَّ فانَّني لَأرعى الذي تهوَينَهُ مدَّة العمرِ
ولا أنثني عَمَّــا يزيدكِ بهجةً فبشرُكِ معقودٌ بهِ أبدًا بشري
فإن وفَّق الرحمنُ عُدتُ الى الحمى لأقضيَ عمري تحت ظلّك بالفخرِ

فأنتِ لقلبي جنّةٌ زهرُها المنا وانتِ لروحي الذُّخرُ إن فاتني ذخري
ألا مكّنيني من رضاكِ فانني بهِ اجتني ما راق من ثمرِ البِشرِ
ولا تمسكي عني بشائرَكِ التي تبدّدُ غيمَ الهمّ والغمّ عن فكري
وها انني ماضٍ وفي القلب حُرقةٌ وفي الصدر لوعاتٌ أحرُّ من الجمرِ

*

ألا قبّح اللهُ النّوى ما أشقَّها فانَّ لها عُقبى أمرَّ من المُرّ
يخوض الفتى بحر النوائب صابرًا وليس لهُ عن فرقةِ الاهل من صبرِ
فلا تسلُوا عمّا جرى ساعةَ النّوى فلا يعرف الأهوالَ الّا ذوو الخبرِ
فوالدةٌ كَلْمَى الفؤادِ تدفّقت دموعُ الجوى من مقلتَيْها على النّحرِ
يفتِّت قلبَ الصخرِ مشهدُ حزنها كأني بها الخنساء تبكي على صخرِ
واماَّ ابنها فالوجدُ ألهبَ صدرَهُ فودَّعها والدمعُ من عينهِ يجري
مضى حاملًا همًّا تنوءُ بهِ الرُّبى ولوعتُهُ لم تُطفِها لُجَجُ البحرِ
فلم يُسْلِهِ عن امّهِ في مسيرهِ مشاهدُ انسٍ تجعلُ الهمَّ في أسرِ
وما زالتِ الأشواقُ تلذَعُ قلبَهُ ويشكو غليلَ الصدرِ وهو على الغمرِ
الى ان طوى بينَ الهموم رحيلَهُ وألقى عصا الترحال في بلدِ الهجرِ
فمذ خاضَ ميدانَ التجارة سدّدت اليهِ يدُ الدنيا نبالًا من القهرِ
فأودت بأموالٍ لهُ فتضعضعتْ عزائمُهُ حتى شكا مُضض العُسرِ
فلم يلقَ في تلك البلادِ اخا ندًى يشدُّ بهِ أزرًا فباتَ بلا ازرِ
فلمّا درى خلٌّ لهُ بمصابهِ أتاهُ وفي كفَّيهِ أحبولةُ المكرِ
وقال لهُ : خلِّ الديانةَ واعتصمْ بقومٍ من الاحرارِ تبلُغْ مَدى اليُسرِ
فكان لهذا الوَعد في جوّ فكرهِ رعودٌ يكادُ القلبُ مع برقها يجري
ولو لم يقع في بالهِ نصحُ أُمّهِ لمال بهِ حبُّ النُّضارِ الى الكفرِ
فيا حبّذا تلك النصائحُ انّها أرتهُ تُرابَ الأرض خيرًا من الصُّفرِ
وقد صوّرت ذاكَ الصديقَ لنفسهِ عدوًّا يصيدُ الناسَ بالغش والختْرِ
فأسمعَهُ لومًا احدَّ من الظبى وعنّفهُ سُخطًا على قولهِ الكفري
وقال لهُ : تبًّا لقومٍ تبعتَهم فمن دأبهم ان يفسدوا معشر البرِّ

بهم قاستِ الدنيا خطوباً جسيمةً فأصبح ذو الرأيِ الحصيفِ بهم يزري
لئن نالني الموت الزؤامُ فانهُ لخيرٌ من الإثراء مع وصمة الوزرِ
فغادرهُ ذاك الخبيث ووجهُهُ عليهِ سماتُ الغيظِ والحقدِ والشرِّ
فلم يكترث ذاك الفتى لوعيدهِ وعدَّ بلايا الدهرِ من نِعَمِ الدهرِ
لذلك لم تلبثْ يدُ الله أنْ سختْ عليهِ بآلاءٍ تندُّ عن الحصرِ
فأقبلتِ الدنيا عليهِ بيُسرها فباتَ اليفَ السعد في حُلَلِ الوَفرِ
وعادَ الى اوطانهِ وشعارُهُ فضائلُ تكسو المرء بردًا من الفخرِ
فلمّا رأت تلك الأُميمةُ نجلَها على خيرِ حالٍ أهرقت دمعةَ البشرِ
وخرَّت على الأقدام تحمدُ ربَّها على نِعَمٍ جُلّى تجوزُ مدى الشكرِ
فيا قومُ ما احلى الحياةَ اذا انطوت وقد رُصعت أبرادُها بحلى الطُّهرِ
وما ابهجَ الدنيا اذا زانَها التُّقى وما أجملَ الآداب بالرجلِ المُثري

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَّة (تابع)

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤ : ٥٧١) : «هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء» وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عند مؤتة التي دعاها تاوفانوس المؤرخ (Théophane, I. 515. éd. Bonn) باسم (Μόθους) حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

المعروف بالنائب وقد روى مورخو العرب انَّ عدد الروم كان مئة الفٍ ومعهم من عرب النصارى مئة الف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء. وقيل انَّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليَّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب انَّ اوَّل من سكنها العمالقة ثم هاجر اليها اليهود في ازمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام اي المنازل المحصَّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديَّة كما هو بديهيّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أُخرى عربيَّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر اليها من اليمن بعد تفرُّق اهلهِ سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعلل أُخرى

وما لا سبيل الى انكارهِ انَّ النصرانيَّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري

وليس من المستبعد انَّ بين القبائل اليهوديَّة المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانيَّة ودانوا بها ولاسيما اولئك المتنصِّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأُوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانَّهم اذ رأوا ما حلَّ بالمدينة المقدَّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليَّة

والظاهر انَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديَّة النصرانيَّة (sectes

---

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبيّ (٢ : ٦٦) ومعجم البلدان لياقوت (٤ : ٦٨٨ و ٥٧١) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الاغاني (١٩ : ٩٥) وروايات الاغاني (٢ : ١-٥) راجع ايضاً مجلة الدروس اليهوديَّة (Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10)

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيع الناصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkésaïtes) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيّون في القرون الاولى كاوسابيوس المؤرّخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ الهرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيَّة. وقد وجد الاثريّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول انجيليَّة وطقوس ورُتب بيعيَّة

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبّحوها كالفطائريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعاً من القرابين اخصُّها اقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميَّة والبربرانيَّة فافادنا انهم كانوا يقولون « انَّ المسيح وامَّهُ الهان من دون الله ». وقد وصفهم بذلك ابن تيميَّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريمانيين او المريمانيَّة. وعلى هذا البناء شرح مفسّرو القرآن قولهُ: في سورة المائدة « أتّخذوني وامّي الهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

١) اطلب تاريخهُ (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

٢) اطلب ردّهُ على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

٣) اطلب مذاكراتهِ (Justini *Dialog*., c. IV, LXIII et LXXX)

٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., *Hæres*. XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

٥) اطلب (Hieron. *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888)

٦) كتابهُ في خرافات الامم (Theodoret, *fabul*. I, et II, 18)

٧) اطلب (Philosaphoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

٨) اطلب (Epiphan., *Hæres*. 10)

٩) راجع طبعتنا (١٢٦)

ثلثة » اي لا تقولوا الآلهة ثلثـة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرَّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليَّة فسمُّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالتهِ الى قسطنطين الملك (٢ انَّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انَّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديَّة والولادة الالهيَّة الروحية الازليَّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦ : ٦٠) بدعة أُخرى وجد منها بقـايا في العراق تُعرف بالداوُدة او الداوُديّين يعظِم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنَّهم يجعلونهُ دون رتبة داود فكلّ هذه البدع وغيرهـا التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهوديَّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوَّهت المعتقدات النصرانيَّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شطيَّة من غسان ولاسيا بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنَّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (١٩ : ٩٥) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسَّان يُدعى ابا جُبَيْلة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلُّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج مذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢ : ١٦٧ — ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

---

١) اطلب (Epiph., *Hæres.* 78)

٢) اطلب مجموعة مين X (Migne, PP. LL.,)

امَّا دين الاوس والخزرج وبقيَّة القبائل غير اليهوديَّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في اوَّل امرها الشرك وانَّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنَّها عدلت بعد ذلك الى النصرانيَّة . ولنا على الامر ادلَّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في اوَّل هـذا الباب انَّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيَّة الاولى بل روى اوَّل مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليدًا عن اهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم

ومن الادلَّة على نصرانيَّة عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسَّان . ونصرانيَّة غسَّان ثابتة لا يشكُّ فيها الَّا من كابر الحقَّ كما رأيت افليس من الصواب أن يقال انَّ الاوس والخزرج دانوا بديانة غسَّان . وزد على ذلك انَّ أبا جُبَيْـلة الغسَّاني ملك الشام المعروف بنصرانيَّتهِ ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرَّ بك لولا علمهُ انهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادلّ وهو الاسم المُطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدعون باهل الكتاب . قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن) : « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاُمّيون والاُمّي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينـة والاُمّيون بمكَّة » فينتج عن قولهِ هـذا انَّ اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانيَّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ (ص٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وانَّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وايوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في غير هذا التقويم ثم في تقويم آخر مخطوط مثلهُ لاحد اهل الموصل والله اعلم بصحَّتها

على انَّ وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره لمن الامور التي لا يمكن نكرانها . لانَّ النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم . وهذا ما اقرَّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة . قال

احد ائمتهم العلّامة ڤلهاوزن (١ : « انّ محمَّدًا وجد الطريق ممهَّدة في المدينة بواسطة اليهوديّة والنصرانيّة لانّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين ». ومثلهُ قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقيّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠ : « كان للنصرانيّة تبَعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باسقفيّات اليمن (٢ »

وبقي النصارى في يثرب حتّى بعد وفاة نبيّ الاسلام كما يدلُّ عليهِ قول حسّان ابن ثابت في داليّتهِ التي رثى بها محمَّدًا (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59) :

« فرحت نصارى يثربَ ويهودُها »

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطَّاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استنادًا الى ما رُوي في الحديث : « لاخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمَّا اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ ﻫ (٧٠٧ م) ان يجدّد عمارة المسجد الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (٢ : ١١٧) « انّ ملك الروم بعث اليهِ بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملًا من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طولهُ مائتَي ذراع في مثلها » . وقيل انّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوهُ شبيهًا بكنيسة (لهُ تابع)

---

١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب WELLHAUSEN : *Das arabische Reich und sein Sturz* (p, 4) : « In Medina war der Boden für Mohammed vorbereitet durch das Judentum und Christentum ; es gab dort viele Iuden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischen und christlich-aramaïschem Einfluss stand »

٢) ودونك قولهُ : H. DERENBOURG : *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16) « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents ; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الذكر المخلَّد

في سيرة السيد جرمانوس معقَّد

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ثلاثة اشهر بنيف مرَّت علينا منذ حلول تلك الرزيئة المؤلمة التي الجعتنا على غير انتظار فكانت لوعتها اشدّ وامرّ في القلوب نعني بها وفاة فقيد الكنيسة والوطن السيد الجليل والحبر المفضال كيريوس جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية شرفاً من امثل اساقفة طائفة الروم الكاثوليك الكريمة

ومع خمود مضض الآلام على فقدهِ قد زادت كرامتهُ في العقول وظهرت مبرَّاتهُ العظيمة في اعين القريب والبعيد حتى تمنى الجميع لو أُفردت لهُ ترجمة واسعة شاملة لاعمال حياتهِ ليبقى ذكر الصدّيق مخلّدًا ويُنصب السراج على المنارة فيضيء لجميع من يحبون الاستنارة بانوارهِ

واذ قد حظينا بمعرفة ذلك الاسقف الجزيل الفضل لم نزل منذ نُعي الينا نترصَّدُ الفرصة لندوّن على صفحات المشرق خلاصة سيرتهِ ريثما يمتّعنا ابناؤهُ المرسلون البولسيون بتفاصيل حياتهِ . وقد جمعنا ما ننشرهُ هنا عن اصدق الموارد واثبت الشهود العيانيين الذين عاشوا بجوار المثلَّث الرحمات السيد جرمانوس شاكرين لكلّ من اتانا ببعض المعلومات الآتية

ونقسم هذا النظر الاجمالي الى اربعة فصول نخصّ الاوَّل بتعريف الرجل والثاني بالكاهن والاسقف والثالث بالواعظ والكاتب والاخير بالرسول في قولهِ

١ تعريف الرجل

ولد السيد جرمانوس في دمشق الشام من ابوين صالحين عيسى معقد ومريم خيَّاطة من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك وسمي يوسف . امَّا سنة مولده فاختلفت فيها الجرائد والمجلّات فقيل ١٨٥٠ وقيل ١٨٥٢ . ولدينا ما يزيل الشك في ذلك وهو تاريخ عماد؛ المدوَّن كما افادنا عنهُ حضرة الايكونومس انطون زيادة نقلًا عن



الطيب الذكر

السيّد جرمانوس معقَّد (١٨٥٣—١٩١٢)

دفتر العماد حيث ورد ما نصهُ : « في ٤ نيسان سنة ١٨٥٣ تعمد يوسف بن عيسى معقد عمَّده الخوري انطون كسَّاب وكان الاشبين عم المولود داود معقد » . وهذا التاريخ قد روي في مجلة اصداء الشرق (٨ : ٢٣٠) كتاريخ يوم مولده ولعلّهم عدُّوا يوم ولادتهِ بالروح كيوم ولادتهِ الجسديَّة

نشأ الولد في حجر والديهِ تقيًّا مائلًا الى البرّ . واذ لم يكن آنائذٍ في دمشق غير المدارس الابتدائيّة تردَّد الى مدرسة طائفتهِ في باب المصلَّى فاتقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب على معلمَيْهِ الفاضلين الخوري متري قزح والخوري فيلبس غرَّة . وظهر كلفهُ مذ ذاك الحين بخدمة الرتب الدينيَّة

ولمَّا انهى دروسهُ الابتدائيَّة دخل بصفة كاتب في مخزن التاجرين دالاتي وجفال وعمرهُ ١٢ سنة . وكان هناك مثال النشاط والاستقامة . اخبرنا الثقة انَّ احد معلميه في المحل امرهُ ان يقيد على رجل قفَّة ارز لم يشترها فنبَّهُ الكاتب على ذلك فلم يقنع فترك حينئذٍ يوسف معقَّد المخزن واعلم الرجل المظلوم

واذ كان يوسف نشيطاً محباً للشغل لم يشأ ان يبقى باطلًا فاستخدم عند احد الصاغة وبقي مدَّة يشتغل بلا أُجرة ولكن برّهُ بوالدتهِ حملهُ على ان يقضي بعض ساعات الليل في الشغل مع اخيهِ ليقوم بمعاشها وبقي على ذلك ثلث سنوات

وكان في غضون استخدامهِ مثابرًا على اعمال التقى قدوة لعَمَلة الشبَّان يحضر كل يوم الذبيحة الإلهيَّة ويخدمها كمألوف عادتهِ وكان تقرُّبهُ من الكهنة ورهبان دير المخلّص الفضلاء يزيدهُ سأماً من الدنيا ورغبةً في الزهد بها حتى تحقَّق انَّ الله يدعوهُ الى الترهب وتبيَّن دعوتهُ مرشدُ ضميرهِ فكاشف والدتهُ بما في نفسهِ واذ رآها ممانعةً سعى غير مرَّة بالفرار من وطنهِ سرًّا فتحول الظروف دون اتمام رغبتهِ

على انَّ الشاب الحازم لم يجهل انَّ ملكوت السماء تُغتصب وانَّ الغاصبين يفوزون بها فلم يزل مصرًّا على نيتهِ وكان يكرّر لخالهِ جرجس عبيد خيَّاطة : « اني لا اجد راحةً في العالم فاتوق الى الرهبانيَّة من كل قلبي » . فثبت على عزمهِ حتى سنحت لهُ الفرصة فولَّى هارباً وواصل السير ليلًا مع نهار حتى بلغ دير المخلص في جوار صيداء . وطلب من الاب العام الذي كان وقتئذٍ الخوري الفاضل يوحنَّا كحيل ان يقبلهُ في جملة الرهبان المخلصيين . لكنَّ حضرة الرئيس تمنَّع عن قبولهِ ريثما تأتيه شهادة من

معلم ذمَّتهِ توقفهُ على حسن سلوكهِ فطمَّنهُ الطالب بقولهِ: «لا تخف يا ابانا انني لست بقاتل ولا سارق ولم اقترف ذنباً وانما اتيت حباً بالله ولخلاص نفسي» . ثم وردت على الاب العام رسائل من غبطة البطريرك يعلمهُ بحزن والدتهِ والحاحها على رجوعهِ لكنَّ الشاب الفاضل لم يكفَّ عن الجهاد في سبيل دعوتهِ بكلّ جرأة وثبات حتى فهم الرئيس انَّ دعوة هذا الشاب من الله فلا يسوغ لهُ ان يردَّ طلبتهُ ومن ثمَّ قبلهُ بين المبتدئين ودعاه اغناطيوس وسلَّمهُ لراهبَين فاضلين من اماثل رهبانهِ الاب يوسف غنَّام والاب مكاريوس شامي ليخرّجاه في الآداب الرهبانيَّة

*

وكأنَّ المبتدئ الجديد اراد ان يحقق بالفعل معنى الاسم الذي دُعي بهِ فانَّ قلبهُ اضطرم نارًا للكمال كالقديس اغناطيوس النوراني وكانت اوَّل خطواتهِ في طريق الفضيلة كخطوات الجبابرة. وكان يسكن وقتئذٍ في دير المخلص ذلك البطريرك القديس اقليمنضوس بحُوث الذي استعفى من البطركيَّة وانقطع الى ممارسة اسمى الفضائل بين اخوتهِ الرهبان فاتّخذهُ الاخ اغناطيوس كمثالهِ وجعل يقتدي بهِ في اعمالهِ المبرورة وتقشُّفاتهِ كلبس المسوح وجلد الجسد والتمنطق بزنانير الحديد والنوم على الحضيض والصوم الطويل المتواتر وهو لا يجد في كل ذلك مشقة لفرط حبهِ لصليب ربّهِ ولذلك كان كتب على جدار قلّايتهِ هذا البيت من ديوان الفارضي

اذا شئت ان تحيا سعيدًا فمُتْ بهِ شهيدًا والَّا فالغرام لهُ اهلُ

وما كانت هذه التقشفات سوى لوائح ظاهرة لفضائل باطنة اسمى وارضى في عين الله الذي ينظر الى القلب كالتواضع الرهباني والتجرُّد التـامّ عن حطام الدنيا والتفاني في خدمة القريب ولا سيما ممارسة النذور الرهبانيَّة التي ابرزهـا بعد نجازهِ لامتحانات الطلبة. وكل من عرفهُ يشهد لهُ انَّهُ كان قدوة الرهبان اخوتهِ يرون فيهِ صورة حية لقوانينهم وعيشتهم النسكيَّة

وقد شهد كل من عرفهُ انَّهُ تعشق الفَقر الرهباني الى حدّ بالغ ليس في ايَّام ترهُّبهِ فقط بل طول حياتهِ فكان شظف العيش يأنف من كلّ تأنُّق في الملبوس والمأكل والاثاث والسكنى ويرضى بما لا يكاد يقنع بهِ ابسط الرهبـان. ورُبَّما عدَّهُ من رآه كاحدهم بل كأخملهم ان لم يعرفهُ

ومحبتهُ هذه للفقر كانت تحدو بهِ الى امور غريبة كلبس الملابس الرثّة المبتذلة والزهد التامّ بالمال الى حدّ انهُ لم يحفل بهِ مطلقاً الّا كوسيلة لعمل الخير فيصرفهُ اذ ذاك بيد سخيَّة ولمَّا سيم مطراناً لم يحفظ لنفسهِ شيئاً ممَّا كان لهُ بل ردَّهُ كلهُ للدير. وكذا فعل لمَّا برح القدس الشريف ولمَّا خرج من بعلبك فانَّهُ خرج كرسل المسيح بثوب واحد وحلّة التقديس. وقد ظهر تجرُّدهُ هذا مع اهلهِ فانَّهُ صمَّم آذانهُ دون صوت اللحم والدم فلم يُحسن اليهم بشيءٍ من المال على مدى حياتهِ اذ كان يُعدّ المال الذي في يدهِ كوديعة اؤتمن عليها للمشروعات الخيريَّة فقط. بل كان اذا اتى الى دمشق لم يعلم اهلهُ سلفاً وربَّما رحل منها دون وداعهم

وكانت محبتهُ للعفة اعظم وادقّ حتى انّ البعض عزوه الى شيءٍ من الوسواس الّا انَّهُ كان لا يهمُّهُ رضى العالم ولا يكترث لاقوالهم وغاية ما يقصد ان يحصل على راحة ضميرهِ فلذلك كان يتحاشى زيارة البيوت ولا يذهب الى حمَّام بل لم يقبل استماع الاعترافات خوفاً ممَّا يترتَّب على المرشد من المسئوليَّة. وكان يصون حواسَّهُ عن كل ما يمكنهُ ان يجلب لهُ قلق الفكر ولاسيما نظرهُ فانَّهُ كان حريصاً عليهِ كل الحرص مع النساء حتى مع اخواتهِ

اخبر احد رفقتهِ انَّ اثنتين من اخواتهِ قدمتا مرَّة لزيارتهِ في دير حريصا فلم يرخّص لهما بان تناما هناك. وكذا صنع مع خالتهِ مرَّة اخرى

امَّا طاعتهُ لرؤسائهِ فكانت كطاعة الطفل لابويهِ فمن ذلك انهُ كان يجاهر بوجوب الخضوع للكرسي الرسولي ويدافع علانية عن اوامره ويبكِّت من يتردّد في الاذعان. وكان هو يتقدم الجميع في هذه الطاعة البنويَّة وكذلك السادة البطاركة الثلثة الذين عاش في زمانهم كانوا يجلُّونهُ ويرونهُ طوع بنانهم كما اطرأ ايضاً رؤساء الرهبانيَّة المخلصيَّة انقيادهُ التام لمشيئتهم. وكان مع ذلك اذا رأى خللًا في تصرف الرؤساء لا يستنكف عن اعلان فكره بجميَّة وحريَّة تامَّة ليس تعظُّماً واستكبارًا بل قياماً بالواجب

وممَّا امتاز بهِ السيد جرمانوس روح تقوى عميقة كانت تلوح على شخصه في كل حركاتهِ وسكناتهِ فكان كل من يتقرَّب منهُ يشعر بانهُ حقيقة رجل الله. وكان الامر اظهر وأبين في اعماله الدينيَّة كالصلاة والقدَّاس وزيارة القربان الاقدس

بالتواتر والتأمل بالروحيَّات وتعبُّدات الخاصَّة وخصوصاً لمريم البتول والدة الاله التي كان يلتجئ اليها في كل ضيقاته ويكرمها كأعز الامهات ويتلو كل يوم وردَّيتها وذهب الى زيارة معبدها في لورد فكتب ما نظر وسمع هناك ليزيد الشرقيين ثقةً بها

وقد عرف الفقيد منذ اوائل دخولهِ في الرهبانيَّة انَّ الراهب في زماننا لا يستطيع ان يكتفي بالسيرة الصالحة فيلزمهُ ايضاً ان يتخرَّج في العلوم فبعد ابرازهِ النذور الرهبانيّة انقطع مدَّة بضع سنوات لتحصيل العلوم فدرس العربيَّة بفنونها ثم الحقها بالدروس الفلسفيَة واللاهوتيَّة وكان احد معلميهِ الفيلسوف الغزيري يوسف حبيب باخوس الذي اثبت المشرق (٥ : ٤٥٢ و ٤٩٧) ترجمتَهُ وكان احد زملائهِ المفضال افتيموس زلحف رئيس اساقفة صور

وعقيب دروسهِ رسمهُ السيد اكليمنضوس بحُوث شمَّاساً انجيليًا ثم أُرسل الى دمشق حيث درَّس بضعة اشهر في المدرسة البطريركيَّة التي كان انشأها غبطة البطريرك الطيب الذكر غريغوريوس يوسف وباشر هناك في الوعظ للرجال وذلك في سنة ١٨٧٤ لكنهُ آثر الابتعاد عن وطنه وطلب ان يعود الى دير المخلص فاجاب السيد البطريرك الى ملتمسهِ ثم انتدبهُ رئيسهُ الى تعليم الفلسفة لاخوتهِ الرهبان فعلمها سنة او اكثر وفي اثر ذلك رقَّاه السيد بحُوث الى رتبة الكهنوت (١ فكانت هذه النعمة كمحرك جديد دفعهُ الى زيادة نشاط في حبهِ تعالى وخدمة القريب والى الائتساء بذلك الحبر الجليل والمثل الحي الذي كان يعطر باريج قداستهِ دير المخلّص

ذلك كان الرجل الذي اختارهُ الله ليكون على منارة كنيستهِ مدَّة نحو اربعين سنة سراجاً وهَّاجاً يستضيء بنورهِ اهل اوطاننا . على انَّ فضائلهُ هذه لم تنزع عنهُ بعض النقائص التي لا يخلو منها حتى كبار القديسين فيدعها الله في اوليائهِ لتكون مادَّة لجهادهم وموضوعاً لاتضاعهم . ولم تخفَ هذه الشوائب عن نظر السيد جرمانوس فكان ساعياً في كل حين بمقاومتها وضبطها تحت حكم ارادتهِ الصالحة

١) هكذا افادنا جناب اخي السيد جرمانوس وهو يوافق ما ورد في اصداء الشرق (٨ : ٢٢٣) ونظنهُ الصواب . وفي مجلّة المسرَّة (ص ٧٣٥) انهُ سيم في دمشق قسَّاً على يد غبطة السيد غريغوريوس يوسف

٢ الكاهن والاسقف

عرف البطريرك غريغوريوس يوسف ايّ كنز منح الله طائفتهُ الكريمة بالكاهن الجديد فما لبث ان استدعاه من الدير وارسلهُ الى مصر لخدمة رعيّتها فكان فيها قدوة الكهنوت لكنّ كراهتهُ لضوضاء العالم وتورُّعهُ الزائد من استماع الاعترافات ومن التصرُّف في امور الرعيَّة حدَيا بغبطتهِ الى ان يتخذهُ ككاتب لاسرارهِ مدَّة فابدى من الخبرة وحسن التدبير والتفاني في خدمة الجميع ما حبَّبهُ الى روساء طائفتهِ حتى انَّ السيد البطريرك عيَّنهُ بعد قليل كنائبهِ في القدس الشريف

كان هذا المنصب الجديد يقتضي رجلًا محنَّكاً بالمعاملات غيورًا ذا نزاهة تامَّة وعزم شديد لحرج المقام ووجود المعاكسين للكثلكة. غير انَّ المندوب اليهِ وضع اتكالهُ على الله وباشر بالعمل ولم يقصر نظرهُ على ابناء رعيَّتهِ في القدس الشريف بل اخذ يطوف في القرى التابعة لهُ واهتمَّ هناك بتعزيز طائفتهِ في وجه معاديها. فكان يجمع قطيعهُ الصغير ويعنى بتعليمهِ وتهذيبهِ وتأسيسهِ في كل الفضائل المسيحيَّة فكان ذلك داعياً لارتداد عدد وافر من الروم المنفصلين الى حجر الكنيسة في القدس ورملة ونابلس وبعض القرى فحدّث ولا حرج بما اصابهُ من جرَّاء ذلك من المشاقّ والاتعاب لغضب رؤساء المنفصلين عليهِ. لكنهُ لم يكفّ عن العمل بل بقي مدافعاً عن حريَّة المرتدّين وحقوقهم فكان هو الفائز في هذا النزاع بل اقرَّ الخصوم بفضلهِ واعتدال خطَّتهِ وجازاه السيد البطريرك غريغوريوس بترقيتهِ الى رتبة الارشمندريت

وقد خلف المرحوم مدَّة السبع السنوات التي قضاها في اورشليم ذكرًا طيباً بما انشأهُ هناك من الابنية اخصها كنيسة القديسة ڤيرونيكا حيث يجعل التقليد التقاء السيد المسيح بهذه المرأة الصالحة وهو صاعد الى الجلجلة حاملًا صليبهُ على منكبيهِ فاشترى الاب اغناطيوس ذلك المكان واذ كان اتقن في تلك الاثناء اللغة الافرنسيَّة سافر باذن الرؤساء الى فرنسة ليجمع صدقات المؤمنين ويبني هناك لاكرام هذا السرّ كنيسة جميلة فتكلَّلت مساعيه بالنجاح وان لم يتمّ البناء الَّا بعدهُ بمدَّة

وممَّا يذكرهُ لهُ بالشكر آباء مدرسة الصلاحيَّة انَّهم لما اتوا الى القدس لانشاء مدرسة اكليريكيَّة لطائفة الروم الكاثوليك وجدوا في الاب اغناطيوس معقَّد احسن

منشط فلم يضنَّ بمساعدتهم المادية والادبيَّة طاقة استطاعتهِ فاضاف الطلبة في منزله مدَّةً وعلَّمهم الطقوس وسمع اعترافاتهم ولم يزل بقيَّة حياتهِ من اصدق اعضاد هذا المشروع الخطير حتى لم يبرح عن ذكرهِ وشفاههِ قبل لفظ انفاسهِ الاخيرة

واذ فرغ وقتئذٍ كرسي بعلبك بوفاة السيد باسيليوس ناصر رأى غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف ان يكل الى نائبهِ في القدس تدبير تلك الابرشيَّة ورغماً عن تمنُّعهِ الطويل سامهُ مطراناً عليها في ١٦ آذار سنة ١٨٨٦ وسُمي جرمانوس. فتولَّى المطران الجديد عملهُ بما عُرف به من الهمة العليا متذكرًا قول الرسول بانَّ الاسقف قلدهُ الروح القدس رعاية كنيستهِ التي فداها الربّ بدمهِ. فخدم ابرشيَّة بعلبك مدَّة ثماني سنوات بغيرةٍ لا تعرف الملل فكان قاصدًا ان يجعلها في مقدَّمات ابرشيَّات طائفتهِ فافرغ لذلك كنانة جهدهِ واخذ يهتمّ بتنظيم الاوقاف واعداد لوازم كنيسة جديدة بدلًا من القديمة التي كانت جدرانها تتداعى ولا تفي لضيقها بحاجات المؤمنين فنال بعض مرغوبهِ ولا شكَّ انهُ كان حقَّق كل امانيه بالفعل لولا ما اعترضهُ في سبيلهِ من العوائق بمساعي بعض ذوي الغايات ولم تزل معاكساتهم تتعقبهُ وتفتُّ في ساعدهِ حتى رأى انهُ لا يستطيع ان يقوم بمهنتهِ كما تقضي بها ذمَّتهُ فاستعفى لئلَّا يطالبهُ الله عن ضعفهِ في الدفاع عن حقوق الكنيسة. فقبل السيد البطريرك استعفاءهُ بعد مراجعة بقيَّة الاساقفة وسمَّاه اسقف اللاذقيَّة شرفاً وذلك سنة ١٨٩٤

٣ الواعظ والكاتب

لم يجد السيد جرمانوس في اعتزالهِ لتدبير ابرشيته سبباً لان يُخلد الى الراحة بل اراد على خلاف ذلك ان يخدم النفوس خدمة اوسع واسمى دون ان يرتبك البتة بالشؤون الزمنية. وكان اذا دُعي للاشتراك في صوالح طائفتهِ العموميَّة اجاب الى ذلك كما فعل في انتخاب السيدين البطريركين بطرس جريجري وكيرلس جحا وفي غير ذلك ملازماً كما في السابق خطَّتهُ من تقديم مجد الله واصلاح الكنيسة على كل الغايات البشريَّة لا يأخذه في عمله لومة لائم. لكنهُ في ما عدا تلك الظروف كان يؤثر خدمة القريب بطرائق اخرى اعني بلسانهِ وقلمهِ

كان السيد جرمانوس مزداناً بكل صفات الخطيب المصقع سواء كان من

جهة سَحْنائهِ ووسامة هيئتهِ وشدَّة صوتهِ او من جهة طلاقة لسانهِ وعارضتهِ وفصاحة لفظه وبلاغة معانيهِ. وكان اذا تكلم حقق كلمة الانجيل انَّ لسانهُ يتدفَّق من ملءْ قلبهِ فينصت اليهِ السامع بكل ارتياح ويتأثر من كلامهِ. وكان لا يردّ طلبة داعٍ من الاساقفة والكهنة اذا استدعوهُ الى رعاياهم للوعظ وللرياضات الروحيَّة وقلَّ ما وُجد في هذه السنين الاخيرة اسقف مثلهُ بلغ في ذلك مبلغهُ. وكانت الاثمار الناتجة عن ارشاداتهِ وافرة حتى لا يكاد يبقى بعد سماعهِ من يتأخر عن مواظبة الاسرار المقدَّسة

وكان اذا انتهى من المواعظ والرياضات أمسك قلمهُ ليواصل خدمتهُ للنفوس فكان القلم في يده كآلة قديرة على نشر التقى والعبادة والتعاليم الصالحة لتبلغ كتاباتهُ حيث لم يبلغ صوتهُ. وصار لتآليفهِ شهرة كبيرة اذ لم يدَّخر وسعاً في اخراجها على صورة تلذّ وتفيد معاً. ومن امعن النظر في انشائهِ وجدهُ سهلًا منسجماً بعيداً من كل تعقيد وركاكة تظهر فيهِ مسحة من الطلاوة والمتانة الممتزجتين بحسن السبك والاتساق

وكتابات السيد معقد على ثلاثة اقسام منها طقسيَّة وتقويَّة ومنها خطابية. ومنها ادبية ولكل قسم من المزايا ما يختصّ بهِ

وقد باشر بالكتب الطقسية لما رأى من حاجة ابناء طائفتهِ اليها فنقح اوَّلًا كتاب الميناون اذ كان نائباً بطريركيًّا في القدس وسعى بطبعهِ سنة ١٨٨٣ ثم نشر في مطبعتنا بعد ذلك سنة ١٨٩٧ مختصرهُ للاعياد الممتازة وكذلك صحَّح عبارة كتاب السواعي وزاد عليهِ عدَّة فوائد وكرّر طبعهُ غير مرَّة. ولهُ في هذا المعنى كتاب رفيق العابد الجامع لكل الفرائض الروحية لذوي الطقس اليونانيّ وكتاب تفسير القدَّاس وخدمة الفصح الجليل ونشائد روحيَّة. ومما يلحق بهذا الباب كتابهُ تحقيق الاماني لذوي الطقس اليونانيّ ابدى فيهِ رأيهُ في عدَّة شؤون طقسيَّة بيَّن خللها ووجوب اصلاحها وعدم علاقتها بجوهر الطقس

وكتبهُ الخطابيَّة ليست باقلّ شأناً من كتبهِ الطقسيَّة والتقويَّة طُبع منها الكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام وهي تشتمل على مواعظ مختلفة منها ادبيَّة ومنها تعليميَّة وبعضها اجتماعيَّة وكلّها مكتوبة بلهجة حيَّة وعبارة رائقة فكثر عليها الاقبال واستحبها الادباء فضلًا عن اهل التقى

اما كتبهُ الادبيَّة فاوفر واكثر تفنُّناً . منها تاريخيَّــة محضة كأُورُد وفتاتها ومنها تاريخيَّة في قالب خيالي كرحلة الفيلسوف الروماني المتضمنة لترجمة السيد المسيح على صورة لطيفة وكحسناء بيروت وهي رواية خياليَّــة مدارها على حادثة واقعيَّة . ولهُ كتاب السلوة في جزءين ضمَّنهُ عدَّة روايات لطيفة ونوادر مستملحة وكتاب ذخيرة الاصغرين وهو مجموع من ائمة الكتبة الاقدمين والمحدثين ضبطهُ بالشكل الكامل

وللسيد جرمانوس فصول ادبيَّة متعدّدة ظهر قسم منها في مجلة المسرة التي دخلت آخرًا في سنتها الثالثة وكان هو ابن بجدتها والساعي في نشرها وتحسينها بعد ان جهَّز لها مطبعة تامَّة الادوات جعلها تحت نظرهِ على قمَّة لبنان في دير مرسليهِ البولسيين . بل كان يعدُّ لها في اوقات الفراغ فصولًا بديعة يودعها المغازي اللطيفة في صورة شريفة ولا تزال المجلة تبهج بها القرَّاء بعد وفاة كاتبها النحرير

٤ الرسول

رأيت في ما سبق انَّ صاحب الترجمة كان يتلهَّب غيرةً في نشر التعاليم الخلاصيَّة بالوعظ والقلم كأنَّ لسان حالهِ يردّد قول بولس الرسول : الويل لي ان لم أُبشر . والحقّ يقال انَّهُ قام بهذه الرسالة احسن قيــام . لكنَّ حميَّتهُ الاسقفيَّة لم تكتفِ بذلك فكان يسمع صوتاً في قلبهِ يحضُّهُ على انشاء فئة رسولية تنوب عنهُ في انحاء الوطن وتواصل عملهُ بعد وفاتهِ بين ابنــاء طائفتهِ . وكان يجد قدوة في ذلك بالرهبانيات الاوربيَّة المنتشرة في الشام ومصر والعراق كالآباء العازاريين والكبوشيين واليسوعيين الذين تراهم متحفزين لاعمال التبشر في اي زمن كان . بل وجد من سبقهُ الى مثل هذا الفكر في الملة المارونيَّة حيث ظهر قبل ٣٠ سنة الطيب الذكر السيد حنَّا حبيب فانشأ جماعة المرسلين الكريمين الذين ادَّوا خدماً لا تُعدّ لاهل طائفتهم في انحاء سوريَّة فرأى السيد جرمانوس ان يتحف طائفــة الروم الكاثوليكيَّة بجمعيَّة على شبهها يقتدون بتلامذة السيد المسيح فيتنقلون في المدن والقرى للتبشير بملكوت الله دون ان يثبطهم في ذلك عائق ما

ولم يشأ السيد جرمانوس ان تبقى هــذه النيَّات الصالحة مدفونة في اعماق القلب بل جعل يسعى في اخراجها الى حيز العمل ويعرض الامر لكل من يمكنهُ ان يسعفهُ في انجازهِ . وكان اوَّل من اثنى على قصدهِ وحضَّهُ على الاسراع في مباشرتهِ قداسة

الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يوم مثل لديهِ في رومية سنة ١٨٩٦ واستمدَّ بركتهُ لهذا المشروع وكذا فعل المجمع المقدَّس على مثال نائب المسيح. ولم يكن البطريرك غريغوريوس اقلَّ تنشيطاً للعمل كما صادق عليهِ البطريرك بطرس جريجيري بطيب الخاطر على انَّ رجل الله لم يرضَ بابتناء هذا البرج الانجيلي حتى يتأكد انَّ بناءهُ يكون متيناً فلذلك بقي يعدّ لهُ المواد الى سنة ١٩٠٣ وكانهُ تذكَّر انَّ القديس اغناطيوس منشيء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ارتبط بالنذور مع رفقتهِ على جبل مونمَرْتر في باريس يوم عيد انتقال العذراء فكذلك باشر السيد جرمانوس بانشاء جمعيَّتهِ الرسوليَّة في اليوم عينهِ حيث ابرز نذورهم بين يديهِ ثلاثة من ابناء طائفتهِ المتخرجين في مدرسة الصلاحيَّة واطلق عليهم اسم البولسيين ليكون القديس بولس شفيعهم الخاص ومثال غيرتهم المتقدة في خلاص القريب واعمال التبشير بالوعظ والكتابة. ولا حاجة ان نذكر هنا ما توارد عليهِ بنسبة هذه الحفلة من رسائل التهنئة والتشجيع من الكرسي الرسولي والمجمع المقدَّس ومن غبطة البطريرك كيرلس الثامن الكلي الطوبى وبقيَّة المطارين

وكنَّا نودّ ان نصف هنا ما اتت الجمعيَّة البولسيَّة من الاعمال المشكورة في هذا الوقت القليل الذي مرَّ على انشائها الَّا ان ضيق المجال يقضي علينا بالتنويه بهِ فقط مؤملين وجود فرصة اخرى للاتّساع في ذلك

وما يُقال بالاجمال انَّ حبَّة الخردل اخذت تنمو وتمدّ اغصانها الروحية الى البعيد فانَّ المرسلين البولسيين قد تجوَّلوا في هذه المدَّة في معظم ابرشيَّات طائفتهم حتى حوران وما وراء الاردنّ فاقاموا في مدَّة اقلّ من عشر سنين ١٦٣ رسالة او رياضة وحيثما مرُّوا لم يُسمع غير صوت الثناء العاطر على اعمالهم بارك الله مساعيهم

وكانَّ السيد جرمانوس اذ رأى جمعيَّتهُ قد تأصلت لم يبقَ لهُ مرغوب على الارض فكرَّر قول سمعان الشيخ: «أطلق يا رب عبدك بسلام لأنَّ عينيّ قد ابصرتا خلاصك» فاراد الله ان يُسرع الى مجازاتهِ على كل ماصنع لمجدهِ عزَّ وجلَّ وخير القريب فنقلهُ الى نعيم ابرارهِ في ١٣ شباط المنصرم بعد ان محَّصهُ بضعة ايام في بودقة الآلام المبرحة التي قاساها بالصبر الجميل وهو لم يَفُهْ بغير كلمة الشكر لهُ تعالى على كل آلائهِ ويَعدُّ كالرسول موتهُ كانحلال اغلالهِ من حبس الجسد حتى طارت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السرمديَّة اجزل الله ثوابهُ وطيَّب ثراهُ

مطبوعات شرقية جديدة

CHRISTUS : MANUEL D'HISTDIRE DES RELIGIONS par **Joseph Huby**. Paris, G. Beauchesne et C^ie^, 3^e^ éd. 1912, p. 1036

دليل تاريخ الاديان

علم الاديان احد العلوم المستحدثة التي دخلت في دائرة المعارف البشريَّة في عهدنا وهو يُعدّ كفرع من العلوم الاجتماعيَّة فأُنشئت في القرن الماضي عدَّة مكاتب للبحث عن الاديان البشريَّة واصولها وتفرُّعاتها العديدة ونتائجها في المجتمع الانساني بل في كل امة من الامم. وقد وُضعت لذلك المجلَّات الخاصة وعُقدت المؤتمرات العموميَّة التي دُعي اليها رؤساء اديان العالم حتى الهند والصين ومجاهل افريقية وجزائر اوقيانة. فلا تكاد ترى اثرًا دينيًا الَّا تتوفر فيهِ الكتابات لتعريف اصلهِ وفصلهِ. ومن المعلوم ان الملحدين ونكَرَة الوحي لا يرون في كل هــذه الاديان الَّا ظواهر طبيعيَّة تدلّ على ما في الانسان من الميل الى استكشاف اسرار ما وراء الطبيعة امَّا العقلاء فأنهم لا يجدون في هذه الابحاث الَّا وسيلةً لبيان الغث من السمين والدين الصادق من الاديان الكاذبة كما يُعرَف الضدّ بضدّهِ. ومن افضل ما جاء من التآليف المستحدثة ممَّا يصلح ان يسترشد بهِ الطلبة كتابٌ اجتمع في تأليفهِ نخبــة من علماء الكاثوليك الاختصاصيين فصار لهُ شهرة واسعة حتى بلغ بعد بضعة اسابيع طبعتهُ الثالثة وهي التي في ايدينــا. والكتاب في خمسة عشر باباً يبتدئ بنظر عام في تاريخ علم الاديان عموماً ثم تليه دروس في اخص اديان العالم كاديان قبائل افريقية وجزائر اميركة واوسترالية واوقيانية ثم اديان الصين ويابان وايران والهند ثمَّ ديانات اليونان والرومان والمصريين والبابليين حتى ينتهي الى الاسلام ثم اليهوديَّة ويُختَم بالنصرانيَّة والكتاب آية في حسن الطبع تنيف صفحاتهُ على الالف مع صغر حجمهِ وصفاقة ورقهِ. ومن يتصفح باباً منهُ ياخذهُ العجب من سعة معارف صاحبهِ وكثرة مطالعاتهِ للتآليف العلميَّة حتى لم يكد يفوتهُ شيءٌ منها مع حصافة الكاتب واعتداله في الاحكام المبنيَّة على اصدق الاسانيد واثبتها ثم تفنيدهِ للآراء البــاطلة الشائعة في كتب اعداء الدين او الرواة غير الموثوق بهم. ثم يُختم كل باب بتعريف اخص

المصنفات التي تُفيد مراجعتها لبيان الدين الموصوف فيه . وفي آخر الكتاب فهرس عام يسهّل مراجعة الموادّ المذكورة فيهِ . فانّا نتمنى ان يقبل اهل بلادنا على هذا التأليف اقبالهم على انفع التآليف واصدقها علماً ا . كسلتاكيس

TEXTES ARABES DE TANGER. Transcription, traduction annotée, glossaire par **W. Marçais**. *Paris, Imprimerie Nationale. E. Leroux*. 1911, pp. XVII-504

منتخبات من لغة طنجة

بيّنّا غير مرّة اهتمام الغربيين المتشرقين بتعريف اللغات العاميَّة الدارجة في انحاء الشرق لما يجدون في درسها من الفوائد سواء كان لوصف العادات الشائعة في كل بلد او لمعرفة خواصها اللغويَّة الطارئة عليها من اصليّ ودخيل وفصيح ومعرَّب ومستعار . وهذا كتاب جديد من شاكلة تلك التآليف وضعهُ احد علماء الفرنسويين الذي استوطن المغرب وعاشر اهل مراكش زمناً طويلاً حيث جمع عدَّة روايات واخبار واوصاف فاثبتها كما سمعها من اهل تلك البلاد وألحقها بلفظها بالحرف الاوربيّ ونقلها الى الافرنسيَّة وذيَّلها بالملحوظات التاريخيَّة واللغويَّة وختمها بمعجم عربيّ افرنسي مطوّل مشحون بالافادات التاريخيَّة واللسانيَّة فكنّا نودّ لو ان المجتهدين من ادبائنا يصنعون للغة لبنان ولغات الشام ما صنعهُ المسيو « مرسه » للغة مراكش فلا نشكّ انّ محبي اللهجات العاميَّة يستقبلون بالشكر تأليفهم ويثنون عليهم اطيب الثناء ل . ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'histoire de l'Empire Ottoman par MM. **G. Auboyneau** et **A. Fevret**. Fasc. 1, RELIGION — MŒURS ET COUTUMES, *Paris, E. Leroux*, 1911, pp. 84

قائمة المطبوعات المفيدة لتاريخ الدولة التركية

كان المسيو أوبوانو احد كبار عمَّال البنك العثمانيّ . فعلاقاتهُ مع الدولة العليَّة حدت بهِ الى تدوين قائمة المطبوعات المتوطة بتاريخ تركيًا وكان جمع لذلك مكتبة واسعة يشار اليها بالبنان وكان انتدب لمساعدتهِ في اتمام هذا العمل احد المستخدمين في مكتبة باريس العموميَّة المسيو فقره فلمَّا توفي « اوبوانو » بقي المسيو فقره مأملاز

للعمل وها هوذا اليوم قد نشر القسم الاوَّل من هذه القائمة التي سوف تتبعها اقسام أُخرى مثلها في موادّ مختلفة وهذا القسم الحاضر قد خُصَّ بالتآليف الدينيَّة وعادات الاتراك في مذهبهم يجمع فيهِ وصف٧٠٦ كُتُب ممَّا نُشر منذ اول اكتشاف فنّ الطباعة الى عهدنا في الشرق والغرب ولاسيا في اللغة التركيَّة . فمن يسرّح نظرهُ في هذه المؤلفات يعدّها كمعرض عامّ لكل احوال تركيَّة منذ اربعمائة سنة الى يومنا . ويا ليتهُ اثبت اسماء الكتب بحرفها الشرقي بالتركيَّة والعربيَّة والفارسيَّة لكان افادنا بذلك افادةً عظيمة . وممَّا وعدنا بهِ انهُ يضيف الى كل قسمين فهرساً موسعاً تسهيلًا لطلب المواد ومنذ الآن ننتظر بقيَّة اجزاء هذا التأليف الذي تعم فائدتهُ الشرق والغرب معاً ولولاهُ لبقيت كتب عديدة مدفونة في زوايا النسيان . ولا نشك انَّ المسيو فقره يعرّف في الاقسام التالية مطبوعات سوريَّة وخصوصاً منشورات مطبعتنا الكاثوليكيَّة ومكتبنا الشرقي الاب ل . رنزفال

SCIENCE ET RELIGION (*Paris, Bloud et C^ie^ 1912*) : I. E. A. DE POULPIQUET O. P. Le Dogme source d'Unité et de Sainteté dans l'Eglise (p. 112) = II. ABBÉ JEAN DELACROIX : Ascétique et Mystique (pp. 61) = III, W. SCHNEIDER : Preuves de l'Immortalité de l'Ame (pp. 69) adapté de l'Allemand par G. GAZAGNOL = IV : JUDAS DE COLOGNE : Récit de ma Conversion (pp. 64), Introduction et Notes par A. DE GOURLET

اربعة كتب دينيَّة فلسفيَّة تاريخيَّة

لا يزال مجموع مطبوعات « بلود » في العلم والدين تتوسَّع يوماً بعد يوم في كل ابواب المعارف النصرانيَّة . وممَّا اهدانا آخرًا اربعة تآليف : اوَّلها لحضرة الاب الدومنيكاني پولپيكه في علم الكلام اثبت فيهِ المؤلف انَّ قوَّة الدين الكاثوليكي بوحدة تعليمهِ واتّفاق اصحابهِ في العقائد فلو أُصيبت هذه الوحدة بتقسيم اصبحت الكنيسة كمجموع الشيع البروتستانيَّة تتعاورها كلّ الاضاليل حتى لم يعد يتفق اثنان على تعليم واحد . وهذا لا يمنع الكاثوليك ان يتعمَّقوا في الدروس الدينيَّة ويبحثوا عن صحتها ويؤيدوها بالحجج الراهنة . ثم بيَّن المؤلف انَّ العقائد الكاثوليكيَّة فضلًا عن وحدتها تؤدي بالمؤمنين الى اوج القداسة وممارسة اسمى الفضائل — والكتاب الثانى مدارهُ على تردُّد النفس مع الله في الطرائق الخاصَّة التى ارتقى اليها

بعض كبار القديسين بالتجرُّد التامّ عن الحواسّ. ومؤلف هذا الكتاب يدَّعي انَّ كل النفوس التائقة الى الكمال الساعية في النموّ الروحي يدعوها الله الى تلك الطرائق اذا ما سارت بامانة في رضى خالقها واتمام كلّ وصاياه على خلاف رأي غيره من الكتبة الذين يرون انَّ تلك الطرائق مختصة بنخبة من الابرار — والكتاب الثالث لاحد اساقفة الالمان السيد شنَيدر صنَّفهُ لاثبات خلود النفس على اسلوب علمي وقريب معاً فنقلهُ احد الكهنة الفرنسويين الى لغتهِ لعظم جدواهُ — امَّا الكتاب الرابع فهو يحتوي ترجمة احد اليهود المتنصّرين في القرن الثاني عشر للميلاد اسمهُ « يهوذا من كولونية » كان ارتدادهُ الى النصرانية على نوع عجيب فبعد عمادهِ تسمَّى بهرمان وترهب ثم كتب تفاصيل اخبار حياتهِ باللاتينيَّة فنقلها الى الفرنسويَّة المسيو گورله وذيَّلها بالحواشي التاريخيَّة والعلميَّة مع مقدَّمة طويلة صدَّر بها ترجمتهُ ف. ت

DIE THOMAS- LEGENDE und die aeltesten historischen Beziehungen des indischen Altertumskunde von **Jos. Dahlmann** s. J. *Freiburg i. B.,Herder,* 1912, (pp. 174)

القديس توما الرسول ومآثرهُ في الهند

انَّ صاحب هذا التأليف هو الاب دالمان احد علماء اليسوعيين الالمانيين الذي درس زمناً طويلًا اللغات الهنديَّة في برلين ثم انقطع الى درس الصينيَّة وهو اليوم في توكيو عاصمة اليابان يكتب ويخطب ويعلّم. وممَّا ألَّفهُ آخرًا كتاب انتقادي روى فيه كل ما وجدهُ من الآثار عن رسالة القديس توما الرسول في جهات الهند والشرق الأقصى. وقد فحص خصوصاً قصَّتهُ القديمة الراقية الى القرن الثالث للمسيح والمؤلفة في مدينة الرها بقلم احد تَبعة ابن دَيصان. وخلاصة هذه القصة انَّ احد ملوك الهند المسمَّى غندفار بلغهُ بواسطة احد ابناء رعاياهُ القادمين الى الرها ما كان عليه توما من الحذق في الهندسة فاستدعاه الى بلادهِ ليبني لـهُ قصرًا فلبَّى القديس دعوتهُ وركب البحر في جهات عدن فوصل الى الهند ونصَّر الملك واهل مملكتهِ ثم انتقل الى بلاد أُخرى للتبشير فاستشهد هناك. فتتبع الاب دالمان تفاصيل هذه القصة وبيَّن موافقتها لكل ما يُعرف اليوم من تاريخ الهند في القرون الاولى للمسيح تؤيّدهُ الاكتشافات الاثريَّة التي ظهرت بحفريَّات اصحاب العاديَّات. وكذلك ورد في النقود

المكتشفة حديثاً اسم الملك غندفار الذي كان يعدُّهُ البعض كشبحٍ لا صحّة لوجودهِ وكان ملكهُ على جهات الهند الشماليَّة الغربيَّـــة. وعليهِ فيجوز القول بانَّ النصرانيَّة دخلت حقيقةً الاصقاع الهنديَّة منذ عهد الرسل وانَّ البشارة الرسوليَّة بعد ان رسخ قدمها في مملكة غندفار امتدَّت من ثم الى جهات الجنوب وعلى الاخصّ في اعمال مليبار وسواحل كورمندل. وقد ساعد الرسولَ في نشرها الكلدان الذين كانوا يتاجرون هناك قادمين من انحاء فارس والعراق. واستنتج المؤلف من كل هذه الاشارات على صحة معظم رواية القديس توما ورسالتهِ واستشهادهِ في الهند. والكتاب مفعم بالملحوظات الجغرافيّة والتاريخيَّة والاثريَّة التي استلفتت اليها انظار كلّ العلماء فنشكر للاب دالمان همَّتهُ في بيان حقيقة لم تزل حتى الآن محجوبةً بالظلمة الاب ب. جوون

Die Uberliefrung der arabischen Ubersetzung des Diatesserons v. Dr Seb. Euringer. Mit einer Textbeilage: die Beiruter Fragmente. herausg. u. übersetzt v. Dr Georg Graf. *Freiburg i. B.*, 1912 pp. 71

بقايا من ترجمة عربيَّة للاناجيل المعروفة بالدياطسارون لططيانوس

وصفنا سابقاً في المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة (JA, 9e sér., X, 303) ثمَّ في المشرق سنة ١٩٠١ (٤: ١٠١) ثلثة اوراق خطّيَّة من الترجمة العربيَّة لدياطسارون ططيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد في القرن الثاني للمسيح. والاوراق المذكورة في مكتبتنا الشرقيَّة لها شأن كبير لما في آخرها من الافادات التاريخيَّة عن زمن نسخها (سنة ١٣٣٢ م) ثم عن سلسلة نُسَخها السابقة. فكان لهذا الوصف وقع عظيم في ذهن العلماء الاوربيين وفي صيف العام الماضي قدم الدكتور الالماني الخوري جورج غراف فنزل ضيفاً كريماً في كليَّتنا ودرس هـذا الاثر درساً نعماً ثم اشترك مع احد رصفائهِ الدكتور اورنغر لتأليف كتاب خاصّ في وصف نسختنا البيروتيَّة. وقد اهديانا نسخة من عملهما الذي وجدناهُ مشحوناً بالفوائد منها تعريف اسماء النسَّاخ والاعلام الشخصيَّة والمكانيَّة التي في آخر صفحة من اوراقنا. وهما يريان انَّ مـا هناك من المعلومات لا يكفي لتأييد شكّنا في صاحب هـذه الترجمة العربية الذي ذُكر اسمهُ صريحاً في النسخة الواتيكانيَّـة اي «القس ابو الفرج عبدالله بن الطيب» المتوفَّى سنة ١٠٤٣ مسيحيَّة. وقد وجدنا في ادلَّة الكاتبين ما يقنعنا بقولهما رغماً عمَّا جاء في

مخطوطنا من ذكر « نسخة عتيقة جدًّا » بعد توالي ثلاث نسخ اخرى سبقت هذه النسخة « العتيقة جدًّا » الله اعلم. ثم انَّنا كنَّا اثبتنا ريباً في تعريب ابن الطيب للدياطسارون لسبب آخر وهو عدم ذكر هذه الترجمة في جدول اعماله. وهذا الرَّيب الثاني لم يُكشف حتى الآن ل. ش

Noticia de los Manuscritos árabes del Sacro-Monte de Granada por MIGUEL ASIN PALACIOS, *Granada* 1921. p. 30,

تعريف المخطوطات العربيَّة المصونة في مكتب غرناطة المسمَّى ساكرو مونتي

نسب بعض المتطرِّفين الى الكردينال كسيمنيس الامر بحرق كل الكتب العربيَّة التي وُجدت بعد فوز النصارى بعرب الاندلس. والصحيح انَّ الكردينال لم يأمر الَّا بحرق الكتب الدينيَّة التي كان يخاف ان تكون سبباً للشغب والنزاع امَّا الكتب العلميَّة والتاريخيَّة والطبيَّة فلم يحرق منها شيئاً. والدليل على ذلك ما لا يزال حتى اليوم مصوناً من المخطوطات العربيَّة في عدَّة خزائن كتبيَّة. وممَّا وصفهُ اخيرًا من تلك الآثار المستشرق الاسباني الخوري ميكال اسين پالاسيوس مخطوطات « سكرو مونتي » في غرناطة وعددها ٢١ كتاباً منها فلسفيَّة وطبيَّة ومنها رياضيَّة ولغويَّة بينها كتاب شرح الطوسي على المائة لبطليموس في احكام النجوم وكتاب الكليَّات لابن رشد وكتاب الكافي في الطبّ وكتاب مختصر العين للزبيدي لا بل يوجد بينها ايضاً كتب دينيَّة ككتاب قصص الانبياء وكتاب المقنع في الفقه وكتاب غريب القرآن. وفيهِ دليل على انَّ كتباً دينيَّة كثيرة لم تحرق بامر الكردنيال كسيمنيس. فنشكر فضل الدكتور پالاسيوس الذي احكم وصف هذه المخطوطات على طريقة علمية كمألوف عادة كبار المستشرقين ل. ش

مبادئ الديانة

تأليف الاب يعقوب بلميس وتعريب الخورى بطرس مراد

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩١٢ (ص ٩٨)

كُتيِّب لطيف ظريف صغير الحجم كبير المغزى صنَّفهُ لاحداث المدارس إمام فلاسفة الاسبان في القرن المنصرم الاب يعقوب بلميس الذي اقام لذكر

مولده يوبيلًا مئويًا سنة ١٩١٠ مواطنوهُ الاسبانيُّون . ومن ثم سُررنا بنشر بعض مآثرهِ في لغتنا العربيَّة . وكأن ذلك الفيلسوف لم يكتفِ بتصنيف التآليف الفلسفيَّة السامية التي شرَّفت اسمهُ فاراد ان يتنازل الى عقل الاحداث بوضع هذا الكتاب الصغير الذي تعدَّدت طبعاتهُ باللغة الاسبانيَّة وبلغات أُخرى اوربيَّة فوطَّد الايمان في قلوب كثيرين من الشبَّان فأملنا انَّ هذه الترجمة العربيَّة تصنع كذلك في ناشئة بلادنا وعليهِ نتمنى لها نشرًا واسعًا ل . ش

روايات البشير: « ماسونيُّ العذراء »

رواية تاريخيَّة معرَّبة عن الافرنسيَّة بقلم الخوري يوسف العمشيتي

طُبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٢ (ص ٢٠٣)

من اراد ان يعرف دسائس الماسونيَّة في جذب النـاس الى شيعتهم وتقييدهم تحت حكمها وتصويرهم على صورتها وتكبيلهم باغلالها عليهِ بهذا الكتاب الذي يصف عملًا ما وصفناهُ بالنظر في كراريسنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » . ولا شكَّ في اقبال القرَّاء على هذه الرواية التي لم تستعر من الروايات الخياليَّـة غير هيئتها الخارجة وهي في الحقيقة رواية تاريخيَّة تمَّت بظروفهـا غير مرَّة مع اختلاف الاسماء والامكنة والازمنة . فنشكر حضرة المعرّب ونحضّ كلّ ارباب المدارس على نشر هذه الرواية اللطيفة المسبوكة بقالب عربي جميل مع اتقان طبعهـا بحيث تصلح لان تكون من انفس الجوائز المدرسيَّة ل . ش

الجواد الادهم

طبعة ثانية . طُبع في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٩١٢ (ص ١٦٦)

اهدتنا المطبعة الاميركانيَّة هذا الكتاب الذي وُضع لتعليم الاحداث الشفقةَ على الحيوان وهو لعمري نعم التعليم لانَّ الاحداث اذا رفقوا بالحيوان زادوا ايضًا رفقًا بامثالهم . والكتاب مبني على قصة خياليَّة عن لسان جواد ادهم يخبر ما حدث لهُ في عمرهِ من الاحداث مع الذين عُهدت اليهم قيادتهُ فيحسن الطاعة لمن يعاملونهُ بالرقَّة والتؤدة ويسيءُ العمل نحو من يجهلون سياستهُ . وقد سبقت الى انشاء مثل هـذا الكتاب السيدة الكنتة دي سيغور فألفت على صورة لطيفـة « مذكَّرات الحمار »

لافادة الاحداث وتهذيبهم على لسان الحيوان. فنثني على واضع هذا الكتاب ونتمنى ان يشفعهُ بكتاب اجزل فائدة يُعلم فيهِ الاحداث الشفقة نحو المحتاجين والفقراء وذوي البأساء ليس فقط حباً بالانسانيَّة ولكن حباً بالله الذي قال: «كل ما تصنعونهُ مع احد هؤلاء الصغار فبي تصنعونهُ» ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ شقاء التاج او حرس جلالتها. رواية تشخيصيَّة تأليف وليم افندي كانسفايس. طبعت في مطبعة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ٣٨)

٢ البرهان السديد في كشف الاسرار عن وجود الامير سليم عبد المجيد. وهو احد اولاد السلطان مراد الخامس. ولد ونشأ في الديار السورية (على ما يروى) لاحمد المكاري الدمشقي (ص ٣٢). يليهِ موجز تاريخ العثمانيين بقلم رشيد دعبول البعداوي (ص ٤٢). وكلاهما طُبع في مطبعة الشعب في لورنس ماس سنة ١٩١٢

٣ الحفلة الخيريَّة لاعانة منكوبي حادثة بيروت الاخيرة. نشرتها مجلَّة الزهور في مصر في مطبعة المعارف سنة ١٩١٢ (ص ١٨)

٤ امير الانسانيَّة انسانيَّة الامير. خطبة في الحادثة عينها طُبعت في المطبعة الشرقيَّة في الاسكندريَّة (ص ٨)

٥ الدمع الساجم في رثاء المرحوم نخله باصيلي سالم. طبع في المطبعة الجامعة في البترون سنة ١٩١٢ (ص ٣٠)

٦ ردّ الشتيمة على الشاتم (وهو ردٌّ على الشيخ النبهانيّ) بقلم وطنيّ حر. طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩١٢ (ص ١٦)

٧ ابن وائل. مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلَّلها شعر جاهلي بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعيّ. وهي المأساة التي أُدرجت في المشرق (ص ٤٥)

٨ موليير مصر وما يقاسيهِ. رواية تمثيليَّة هزليَّة بقلم الشيخ يعقوب صنوع المشهور بابي نظارة طبع في بيروت المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٤٠)

٩ التقرير السنوي الثاني لجمعيَّة تهذيب الفتاة السوريَّة في بيروت والشويفات. طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٧٧)

١٠ التقرير الثاني لجمعيَّة اغاثة المسلول في بيروت لسنة ١٩١١. طبع في مطبعة الحسناء (ص ١٧)

١١ حكومت عثمانيَّة طرفندن ايلك تأسيس اولنان مطبعة وبونك نشرياتى محررى و. مستا كيدس في الاستانة سنة ١٩١١ (ص ١٦)

١٢ ALOIS MUSIL: Neues aus Arabia Petræa بعض معلومات جديدة عن جهات العرب

١٣ ردّ على كتاب محمد طاهر التنير. بقلم حضرة الاب لويس دريان محرر جريدة الروضة

١٤ J. M. Est. Pereira : Homilia sobre e baptismo de N. S. Jesus Christo attribuida a S. João Chrysostomo ميمر حبشيّ منسوب الى مار يوحنّا فم الذهب في معموديّة السيّد المسيح

١٥ Idem : Homilia sobre as vodas de Cana de Galileia attribuida a S. João Chrysostomo ميمر حبشي منسوب الى مار يوحنا فم الذهب في عرس قانا الجليل

شذرات

شطط الشيخ النبهانيّ لمّا احتججنا في العام الماضي على كتابات بعض الصحافة البيروتية رفعنا ايضاً صوتنا لتقبيح ما سطّرهُ الشيخ يوسف النبهانيّ في حق الدين النصرانيّ الشريف في كتابهِ « ديوان المدائح النبويّة » فامرت الحكومة المحليّة اجابةً لدعوة الرؤساء الروحيين بان تُلغى من الكتاب الصفحات التي تمسّ كرامة الدين المسيحيّ . وقد قرأنا آخرًا في جريدة اسلاميّة مصريّة تُدعى الوطنيّة في عددها ٤٧ الصادر في ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ ما حرفهُ : « انّ كتاب النبهاني مع ما يحتويهِ من القصائد البذيئة في حقّ النصرانيّة يُباع في مصر بكثرة حتى انّ الجامع الازهر اصابهُ من هذه الاوساخ الف نسخة وُزّعت على علمائهِ مجّانًا » فساءنا هذا الامر كما ساء كل عاقل يسعى بتعزيز الوطن وجمع الكلمة . ويكفينا ان ننقل هنا بعض ما سطّرهُ في جريدة « الوطنيّة » المذكورة الشيخ المصري الاديب محمّد القلقيليّ ليرى قرّاؤنا تطرّف النبهانيّ واستياء كل نفس حرّة شريفة من عملهِ الدنيء . قال في مقالة كلها درر عنوانها « العبث بالوطنيّة الى الحكومتين العثمانيّة والمصريّة » :

« في بيروت شيخ مخرف نشأ في حجر الاستبداد وتمرّغ في احضان كبار المستبدّين فتبوأ مركزًا كبيرًا في حكومة بيروت اذ كان رئيس محكمة الحقوق فيها وامّنهُ على هذا المركز يومئذٍ قصائدهُ في مدح عبد الحميد وابي الهدى وعزّت العابد والولاة الطغاة البغاة ولم ينسَ حظّهُ من العامّة الذين يتبعون كلّ ناعق فكان ينظم لهم القصائد والاناشيد في مدح النبي صلعم ويملأ بها كتبًا يطبعها على نفقة اغنيائهم ويستعين في ترويجها بسلطة الولاة والمتصرفين والقائمقاميين الذين كانوا يحصّلون ثمنها من القرويين قبل ان يحصلوا منهم الاموال الاميريّة

« هذا الشيخ المخرف هو يوسف النبهانيّ الذي نزعهُ الدستور من مركزه والقاهُ في هوّة

عميقة حيث لا يُشار اليهِ بالبنان ولا يذكرهُ انسان فسدَّت في وجههِ ابواب كان لهُ في فتحها سعة من الرزق ورغد من العيش ومجال فسيح لبعد الصيت وكبر الجاه فحار في امره واخذ يتلمَّس الاسباب التي تُعيد اليهِ ولو بعض الشيء الذي فقدهُ فلم يجد غير التكفُّف والاستجداء والعبث بالوطنيَّة بالتفريق بين الملل والنحل اولًا وبسبّ وشتم اساطين الاصلاح ثانيًا . . .

ثم ذكر الكاتب حيَل النبهاني للارتزاق لدى عبد العزيز سلطان مراكش السابق » ولدى « عزت باشا العابد » ولدى « جناب الخديوي امير مصر » فنال منهم مالًا كثيرًا الى ان قال :

« وكنَّا ننتظر من هذا الرجل . . . ان يحفظ عهدهُ في علماء دينهِ ويراعي مبادئهُ الراقية في احتفاظهِ بشعور الملل والنحل في بلاده وعدم مسِّها بما يسوء ولكنهُ كان على النقيض من ذلك فما كاد يصل الى بيروت حتى طفق يؤلف كتابًا في سبّ النصارى واليهود سبًّا فاحشًا وينعت قسّيسيهم ورهبانهم وحاخاماتهم بافحش النعوت وينال من عرض المرحومين السيد جمال الدين الافغانيّ والاستاذ الامام الشيخ محمَّد عبده بما تستحي منهُ غلمان الازقَّة وصبيان الحارات وقد تمَّ تأليف الكتاب وطبعهُ في بيروت . . . ومن وقاحة الرجل انهُ جعل الكتاب هديَّة لجناب الخديويّ في مقابلة احسانهِ وكرمهِ على ان الامير لو علم باكثر فصول هذا الكتاب البذيئة لندم على وضع احسانهِ في غير موضعهِ . . . لانهُ حفظهُ الله يبغض المفرّقين بين العناصر ويمقت نابشي القبور وآكلي لحوم الموتى خصوصًا ان كان الموتى من كبار علماء الدين وزعماء المصلحين . . .

« ومن مصائب العثمانيين ان يظهر هذا الكتاب لشيخ معمَّم في وقت يجتهد فيهِ عقلاؤهم باصلاح ذات البين بين عناصرهم والتوفيق بين من يجمعهم وطن واحد تحت سماء واحدة بل في وقت اظهر فيهِ مطران بيروت جراسيموس مسرَّة لمواطنيهِ المسلمين كل شهامة ومروءة ووطنيَّة في منشوره الذي نشرهُ يوم حادثة الاسطول الطلياني في بيروت . بل نعدّ هذا من مصائب المسلمين فقط لانَّ هذا المخرف المنسوب اليهم قابل ذلك المنشور بهذا الكتاب البذيء فهل للحكومة العثمانيَّة الدستوريَّة ان تأخذ بخناق هذا الشيخ المفرّق بين العناصر وتصادر كتابه وتجمعهُ وتحرقهُ وهل للحكومة المصريَّة ان تعنى بمصادرة هذا الكتاب عنايتها بالكتب التي صادرتها ولم تكن تلك في ضررها العمومي اكثر من ضرر هذا الكتاب »

ثمَّ نقل جناب الشيخ القلقيلي ابياتًا تدلُّ على سفاهة النبهانيّ في طعنهِ على النصارى وختم قولهُ بهذه الالفاظ المسجديَّة :

« فهل ترضى الحكومتان العثمانيَّة والمصريَّة عن مثل هذا الكتاب القذر يوزَّع جهارًا في طول البلاد وعرضها ؟ نتحقَّق انَّ حكومة عبد الحميد لا ترضى بمثل هذه السفاهات فكيف ترضى بهِ حكومتان راقيتان . فلعلَّنا بعد هذا التنبيه نسمع انَّ الحكومة العثمانيَّة امرت بالقاء

القبض على الشيخ النبهانيّ واحالتهِ على محكمة الجزاء ليلاقي جزاء التفريق بين الملل والنحل ومصادرة كتابهِ وحرقهِ حتى لا تسري سمومهُ في جسم الشعب السوري فيحدث ما لا يحمدهُ الدستور ولا ترضاهُ مصلحة البلاد. ولعلّنا في الوقت عينهِ نرى الحكومة المصريَّة شمَّرت عن ذراعها وتعقَّبت هذا الكتاب... لنحمد لها سهرها على الآداب العموميَّة ومحافظتها على احساس وعواطف اهل الملل في بلادها من ان يمسَّها مثل هذه النفثات السامَّة.»

هذا ما كتبهُ احد ادباء المسلمين وان وجد القارئ في قولهِ حدَّة فعليهِ بمراجعة قصائد الشيخ النبهاني التي تستحقّ ما هو اشدّ من ذلك وأقسى. وقد تحرَّى مسلم آخر من المصريين الشيخ ابو المعالي السلامي تفنيد اقواله فصلًا فصلًا بتأليف ضخم دعاهُ «غاية الاماني في الردّ على النبهاني» وقام ايضاً غيرهما من الكتبة النصارى. والمسلمين لتزييف شتائم الشيخ البيروتيّ في الجرائد والكراريس المفردة. هذا فضلًا عن احتجاج روساء كل الطوائف على كتابي النبهاني والتنير انار الله ابصارهما وبصائرهما. وقد بلغنا انَّ الحكومة السنيّة مهتمَّة بمجازاتهما على فعلهما الذميم وانها ألقت القبض على الشيخ النبهاني في المدينة (يثرب) حيث كان فرَّ هارباً

التقويم الصيني لسنة ١٩١٢ يظهر هذا التقويم في مطبعة الآباء اليسوعيين في زيكاوي منذ عشر سنوات ويهتم بطبعهِ الآباء الفلكيُّون الذين يتولّون اعمال المرصد الشهير الذي هناك. وهذا التقويم يحتوي عادةً معلومات عديدة عن الشرق الاقصى فيقبل عليهِ الوطنيُّون وعلماء اوربَّا معاً. وقد وقفنا على التقويم الذي ظهر في هذه السنة فاذا هو مجموع في ٦٤١ صفحة مع ٣٤ رسماً او خارطة. وفيهِ قسم علميّ عن كلّ احوال السنة وحركاتها الفلكيَّة. وتقويم اهل الصين مبنيّ على الشهر القمري مع زيادة شهر من وقت الى آخر للتوفيق بين السنة الشمسيَّة والقمرية بموجب اصلاح فلكيَّين يسوعيَّين بشَّرا في الصين في القرن السابع عشر الاب شال (Ad. Schall) وفربست (Verbiest). وهذه السنة هي آخر مرَّة يجرون فيها على حساب الصينيين السابق لأنَّهم قد عوَّلوا منذ الآن على متابعة الحساب الغربيّ المعروف بالغريغوريّ. وقد وافقهم على ذلك القناصل الاوربيُّون حتى القنصل المسكوبيّ نفسهُ. وفي هذا التقويم افادات علميَّة عن الظواهر الجوّيَّة والمغناطيسيَّة والزلازل والجغرافية وعلم النبات. وهناك ايضاً نظرٌ عمومي في التقويم الكنسيّ واحوال الكثلكة في انحاء الصين يُستفاد منهُ انَّ عدد النيابات والوكالات الرسوليَّة مع

ابرشيَّة ماكاو كان يبلغ ٤٨ عدًا يتولَّى تدبيرهـا ٤٩ اسقفاً يساعدهم في اعمال الرسالات في كلّ انحاء الصين ٢١٧٦ كاهناً منهم ١٤٢٦ مرسلًا اوربيًا و٧٥٠ كاهناً وطنيًا امَّا عدد الكاثوليك فبلغ في آخر السنة المنصرمة ١,٣٦٣,٦٩٧ واذا اضفتَ اليهم نيّفاً ومئة الف من المرتشدين الذين يستعدُّن لقبول المعموديَّة ناهز العدد مليوناً ونصف والامل معقود على ازديادهم اذا ما مُنحت الحريَّة الدينيَّة التامَّة في تلك الممالك الواسعة الذي يبلغ عدد اهلها قريباً من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اي ثلث سكان المعمور

دليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ هذا دليل آخر يُطبع كلّ سنة في الهند وقد اثبت في عدده الاخير نظرًا عموميًا عن الرسالات الكاثوليكيَّة في انحاء الهند لسنة ١٩١١ فننقل عنهُ المعلومات الآتية. كان عدد الكاثوليك في الهند الانكليزيَّة سنة ١٨٩١ : ١,٦٢٥,٩٤٣ فبلغ سنة ١٩١١ : ٢,١٠٣,٦٣٦ بزيادة ٤٧٧,٦٩٣ في عشرين سنة . وكان عددهم في برمانية ٣٣,٣٠٠ فبلغ ٨٨,٤٤٧ وكانوا في جزيرة سيلان (سرنديب) ٢٣٣,٨٥٦ فاضحوا ٣٢٢,١٦٣. وكذلك زاد عدد الكهنة في الهند البريطانيَّة من ٢,٢٤١ الى ٢,٥٥٤ وفي برمانية من ٥٠ الى ١٠٥ وفي سيلان من ١١٣ الى ٢٢٩ امَّا الكنائس والمصلّيات فكانت في الهند البريطانيَّة ٣,٦١١ وفي برمانية ١٠٧ وفي سيلان ٥١٤ فبلغت سنة ١٩١١ ٤,٩١٤ ثم ٤٧٨ ثم ٧١٢. ويستفاد من الدليل المذكور انَّ في الهند ست رسالات للكبوشيين كان عدد المؤمنين فيهـا سنة ١٩١٠ ٢٩,١٠٧ فاضحوا سنة ١٩١١ ٤,٨٣٨ بزيادة ١١,٦٣٠ ولليسوعيين خمس رسالات كان عدد مؤمنيها سنة ١٩٠١ ٤٨٠,١٩٤ فصار عددهم سنة ١٩١١ ٥٧٩,٨٨٣ بزيادة ٩٩,٢٣٩ ولرسالات باريس الاجنبيَّة اربع رسالات كان الكاثوليك فيها ٣٠٨,٤١٢ فصاروا اليوم بعد عشر سنوات ٣٢٨,٤١٦ بزيادة ٢٠,٠٠٤ وللرسالات البرتغاليَّة في الهند اربع رسالات ارتقى عددها من ٥٤٦,٩٦٤ الى ٥٠١ ٥٨٤ بزيادة ٢٧,٥٣٧ ويؤخذ من هذا الدليل ايضاً الجدول الآتي :

	الهند الانكليزيّة	برمانية	سيلان	المجموع
المرسلون الاوربيُّون	٩٥٨	٩١	١٦٧	١,٢١٦
الكهنة الوطنيُّون	١,٥٩٦	١٤	٦٦	١,٦٧٦
المساعدون من الرجال	٦,٢٨٤	٥٧٥	٨٨٨	٧,٧٤٧
« من الراهبات	٣,٧٩٩	٣٢٧	٨٣٠	٤,٩٤٦
المدارس	٣,١٥٣	١٤٠	٧٠٦	٣,٩٩٨
الطلبة في المدارس	١٨٦,١٦١	٣,٠٣٠	٥٩,٨٦٣	٢٤٩,٠٥٣
المتنصِّرون سنة ١٩١١	١١,٤٣٦	٨٨٥	١,٧٧١	١٤,٠٩٢

انتقاد انتقدت علينا مجلة البصائر في عددها الخامس ص ١٧٢ سهوًا وقع في قراءة الكتابتين اللتين رسمناهما بالفوتغراف عن جامع دير القمر المبني في القرن التاسع للهجرة (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٧٩٦) فطُبع هناك « إقَامَة الصلوة وايتاء الذكوة » والصواب « إقَام الصلوة وايتاء الزكوة » بجذف التاء من « إقَامِ » وهي مصدر كاقامة ثم كتابة « الزكوة » بالزاي. فنشكر للرصيفة تنبيهنا الى هذا السهو. امَّا قولها التالي: « والآيَة ذاتها منقوشة مكرَّرة على الواجهة المذكورة وفيها نقصان الخ » فانَّنا اشرنا الى هذا النقصان في المشرق حيث قلنا (ص ٧٩٧) « ان الكاتب اضرب عن الاربعة الالفاظ المذكورة آنفًا ولعلَّهُ صنع اختصارًا لضيق المكان » امَّا صاحب البصائر فيظنّ انَّ الامر « وقع سهوًا او لعدم حفظ الكاتب للقرآن» والله اعلم

سيدة لبنان قد تكرَّرت في هذا العام كما في العام السابق زيارة النصارى لسيدة لبنان فاقاموا الرياضات التقويَّة عند ذلك التمثال المهيب الذي يعلو مشارف الجبل ويبسط على اهلهِ حماية مريم العذراء لكننا نؤمل من غيرة اللبنانيين فوق ذلك فنتمنى ان يخصُّوا في كل سنةٍ يومًا يقصد فيهِ جماهيرهم ذلك المزار من كل انحاء الجبل فيشاركهم في تعبدهم نصارى الساحل من جهات صور وصيداء الى جهات طرابلس. لعمري لو رأينا مشهدًا كهذا يجمع عند اقدام سيدة لبنان الالوف المؤلفة من المؤمنين المنتمين الى عبادتها لكان لهذا المنظر احسن موقع في الصدور ولأحيا في قلوب الجميع كل شواعر الايمان ولعل هذا الموسم العمومي يبطل كل ما يضعف قوى اللبنانيين من التحزبات ويزيل اسباب النفور ويربطهم باوثق عُرى

الوحدة والوفاق في ظلّ « ارزة لبنان » و « معونة النصارى ». وليس في تحقيق هذه الرغبــة كبير امر اذا اتّفق عليهِ رؤساء الدين الاجلّاء فعيَّنوا احدًا من آحاد السنة لاسيما في شهر ايّار كموعد لهذا الموسم او يختاروا لذلك عيدًا من اعياد البتول كعيد انتقال العذراء الى السماء في منتصف آب او مولدهـا الشريف في ٨ ايلول. فتقام الذبيحة الالهيَّة صباحاً قبل احتدام الحرّ ويُكرَّس لبنان لسيدتهِ لتحفظهُ من كوارث الدهر وتصون في قلوب اهلهِ وديعة الايمان

أسئلة وأجوبة

س سألَ مستفيد ما السبب لعدم وجود وزن فَعِلَ يَفعُلُ في العربيَّة وزن فَعِلَ يَفعُلُ

ج السبب هو بُعد مخرج الضمَّة عن الكسرة. على انَّ العرب ذكروا افعالاً قليلة من هذا الوزن. وقد وجدنا في شرح المفضَّليات لابن الانباري في شرح بيت من عينيَّة عبدة بن الطبيب

فَضِلت عداوتُهُمُ على احلامهم وأبت ضبابُ صدورهم لا تُنزعُ

ما حرفهُ: « فَضِل بكسر الضاد يَفضُلُ بضمّ الضاد وليس في الكلام على فَعِلَ يَفعُلُ غيره ... قال ابو عمرو: قد جاء نَعِمَ يَنعُمُ وحَضِرَ يَحضُرُ وهذا في السالم. وفي المعتلّ دامَ يدومُ ومات يَموتُ ». كذا قال والعجب انَّ لا احد من النحويّين ينصُّ على ذلك. وقد ضبط في المفضليَّات (ص٣٠١ ed. Lyall) « مِتُّ » بكسر الميم كأنَّ اصل مات « مَيِتَ » كما في السريانية (ܡܝܬ ܢܡܘܬ)

س وسأل آخر من اين اخذوا قولهم « قارة » آسية واميركا وكيف تُضبَط أبالراء المشدَّدة (قارَّة) او الخفيفة (قارَة) ؟

القارة

ج هذه اللفظــة بالمعنى الجاري اليوم اي لاحد اقسام الدنيا الخمسة المأهولة مستحدثة لم نجدها في كتب وصف البلدان. والبعض يشدّدونها من القَرار اى الثبات وعندنا انَّ الاصحّ « القارَة » بالتخفيف ومعناهــا بالعربية « ما صَلُبَ من الارض وارتفع » وكذلك شرحها مفسرو المفضليَّات (ص ٣٠٠ ed. Lyall)

س سألنا ج. ح. احد تلامذتنا المسلمين في البلد أيجوز لمسلم ان يدخل الماسونية ؟

دخول المسلم في الماسونيَّة

ج استفتينا بعض افاضل المسلمين فكان جوابهم سلبيًّا. ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد صاحب المنار الاسلامي (ج ١٤ ص ٤٣٠):

لا يجوز للمسلم ان يدخل في جمعية يتحالف مع اهلها ويتعاهد على امر مخالف للشرع. ومنهُ ان يطيعهم فيما يأمرونهُ بهِ بقرار الجمعية كائنًا ما كان اي ولو مخالفًا للشرع كاعطاء الشيء الى غير اهلهِ وقتل من لا يجوز قتالهُ شرعًا كما هو شان بعض الجمعيات السياسية السريَّة ولا ينبغي لهُ ان يدخل في جمعيَّة لا يعرف مقصدها لانَّهُ ربَّما كان مقصدها محرَّمًا ولانهُ لا يليق بالعاقل ان يلتزم القيام بما يجهل حقيقتهُ وعاقبتهُ. فان دخل في جمعية على انهُ ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثمَّ ظهر لهُ فيها ما يخالفهُ ولم يستطع ازالتهُ وجب عليهِ ان يتركها ويتبرَّأ منها

س وسأل مستفيد اصحيح انَّ العذراء پترونيلّا كانت ابنة بالجسد للقديس بطرس الرسول ؟

پترونيلّا ابنة القديس بطرس

ج كانت ابنتهُ الروحيَّة لانَّ پترونيلّا المذكورة رومانية الاصل من أُسرة فلاڤيوس فنصَّرها القديس بطرس مع غيرها من اهلها لمَّا دخل رومية وقد اكتشف المسيو دي روسيّ سنة ١٨٧٤ الباسيليكا القديمة المشيَّدة لذكرها

س وسأل احد افاضل الكهنة من لبنان لو تنصَّر رجل وامرأته . ١ً: هل يحسن ان يُعطَيا سريّ التوبة والقربان الاقدس على اثر التعميد. ٢: هل خطاياهما الماضية مادة كافية للحلة السريَّة . ٣: هل يلزم تجديد رضاهما ليصير عقد زواجها سرًّا

المتنصر حديثًا

ج اذا تنصر الرجل البالغ سنّ التميز ينبغي أن يُحرَّض على التوبة عن جميع خطاياهُ ويقصد ألَّا يعود اليها ولا حاجة الى ان يعترف بها لانَّ العماد باب الاسرار. ثمَّ يُمنَح سرّ العماد الذي يمحو فضلًا عن الخطيَّة الاصليَّة الخطايا الفعليَّة بشرط الندامة عليها. وليس من مانع بعد ذلك ان يقتبل سرّ القربان الاقدس لحصولهِ على البرارة الاصليَّة ولأنَّ الخطايا الفعليَّة قبل العماد ليست مادَّة لسرّ التوبة. امَّا اذا كان المعتمد متزوجًا وكان زواجهُ قانونيًّا قبل العماد ويرضى الزوجان ان يعيشا معًا بالوفاق فلا حاجة الى تجديد الرضى واستئناف عقد الزواج لانَّ الزواج السابق ثابت الَّا اذا كان احد الزوجين مؤمنًا فاقترنا اقترانًا غير شرعي فحينئذ يطلب استئناف الرضى ويتزوجان زواجًا قانونيًّا ل. ش



غاية الهناء
بفتح مملكة الهواء

مختصر محاضرة القاها حضرة الاب كلاوديوس بجاسون مدرس الطبيعيّات في نادي كليَّة القديس يوسف تخالتها الانوار الكهربائيَّة

اقام الله آدم يوم تكوينهِ ملكاً على الطبيعة فلم يشاء ابناؤهُ ان تكون تلك الرتبة اسماً بلا جسم ولذلك تراهم لا يدَّخرون وسعاً في بسط سيطرتهم على كلّ ممالك الكون فمهَّدوا الرحاب وذلّلوا الصعاب وقرَّبوا الابعاد وعلوا اشهق الاطواد لولا ان الانسان كان يلقي النظر في القبة الزرقاء فيرى فيها الطيور تحلّق باجنحتها وتتلاعب بالفضاء كأنَّها تضحك منهُ في ارجاء السماء فلم يرضَ بهذا الازدراء والهوان فحاول ان يخضع لحكمهِ العقبان كما ترهب سطوتهُ النينان

الوف من السنين مرَّت على الانسان وهو يحرق الأُرَّم على طيور السماء كيف يجاريها في طيرانها فقام في توالي الاجيال لتحقيق امانيهِ رجال بأسٍ واقدام سعوا بعض السعي في ادراك هذه الغاية فكانت مساعيهم موضوعاً لإعجاب مَن عرفهم وربَّما هوَّرتهم في التهالك فعلّلت الاسف على فقدهم

اخفّ من الهواء

وبقي الامر في النظريّات حتى دخلت السنة ١٧٨٣ وفيها اتَّخذ الأَخوان منغلفيار (Mongolfier) نفاخةً كبيرة من الخام ملأاها بالهواء الحار واذ كانت اخفّ من جسم الهواء الذي تخلّلتهُ ارتفعت بهما الى الفضاء حتى اذا برد ذلك الهواء

في طبقات الجوّ العليا اخذت تتحدَّر الى اسفل الى ان بلغت الحضيض. فكان هذا الامتحان مفتتح فنّ الطيران

وبعد ذلك بايام قليلة اتّخذ الطبيعي شرل مع الاخوين روبرت بدلًا من الهواء المحمى غازًا كان اكتُشف حديثًا اي غاز الهيدروجين ساعدهم كثيرًا في الصعود الى طبقات الجوّ. الَّا انَّ تلك النفَّاخات التي دعيت «بالونًا» اي كُرين منفوخة كانت في الفضاء العوبةً للرياح فتصعد الى الاعالي وتثبت مدَّة ثم تنزل على رحمة الرياح التي تتناوبها. وهي مع خللها قد ادَّت بعض الخدم كمراقبة حركات العدوّ او الافلات من حصاره. فان انتصار الفرنسويين في فلورُس على النمسويين وخروج غمبيتًا وقت حصار باريس قد تمَّا بفضل تلك المركبات الهوائيَّة وكذلك امكن العلماء ان يدرسوا بواسطتها المظاهر الجوّيَّة من حرارة وثقل الهواء ونواميس الارياح

على انَّ هذا الفوز الزهيد لم يروِ غليل الانسان فاخذ يوجه بنظرهِ الى ما هو اثبت واجدى نفعًا اعني ايجاد طريقة اكيدة لتدبير المراكب الهوائيَّة وتسييرها في انحاء الجوّ لكنَّ الامتحانات التي اجراها البعض للفوز بتلك الغاية لم تأتِ بنتيجة فصار الناس يعدُّون الامر من جملة المشاريع غير الممكنة. وقد صوَّر بعضهم في اواخر القرن الثامن عشر صورةً هزليَّة دلالة على ذلك فمثَّل مركبة هوائيَّة وشدَّها بذنب فرس وكتب تحتها: «هذهِ الطريقة المثلى لتوجيه حركة المناطيد»

لكنَّ المزح لا يحيك في صدور العقلاء واذا صمَّموا النيَّة على امر لا يثبط عزمهم عائق لاسيما ان كان عذَّالهم ليسوا من اهل البصيرة بالعلوم. ومع ذلك بقي امر المناطيد مهملًا دون تقدّم نحو مئة سنة حتى الربع الاخير من القرن الماضي حيث عاد العلماء الى ابحاثهم في ركوب الهواء

وكان اوَّل من بيَّن على طريقة علميَّة إمكان الطيران وتوجيه حركات المراكب الهوائيَّة القبطان الفرنساوي شرل رينار (Ch. Renard) مدير المركز المختصّ بالامتحانات العسكريَّة الهوائيَّة في شاله مودون (Chalais Meudon) وذلك في سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ فكان منطادهُ «لا فرانس» مجهَّزًا برفَّاس تحرّكهُ آلة كهربائيَّة وبطاريَّة مولّدة للقوَّة فحلّق به في الجوّ سبع مرَّات ووصل الى قرب بولوني (Boulogne) المجاورة لباريس فكان يطير مدفوعًا بقوَّة المحرّك ثمَّ يعود بعد

طيرانهِ الى مجثمهِ بل دخل بحركتهِ الخاصّة خمس مرّات تحت المسقَّف المعدّ لهُ

على انَّ سُرعة هذا المركب الهوائي لم تتجاوز ستّة امتــار ونصف في الثانية ٠ وهي سرعة قليلة بالنسبة الى الارياح الجويَّة التي تزيد سرعتها على ذلك في اكثر من ٣٠٠ يوم في كل سنة ٠ فكان اذن عمل المناطيد منحصراً في نحو ٥٠ يوماً فقط في العام ٠ فهذه النتيجة كما ترى لم تُخب آمال العلماء لكنَّها كانت تحتــاج الى تحسين وترقٍ لاسيما باكتشاف محرّك يجمع بين القوَّة والخفة معاً

فبعد ٢٠ سنة اكتُشف المحرّك المعروف بالانفجاري الذي اتّخــذهُ اصحاب الاوتوميل لتسيير عَجلاتهم واجتهدوا في تحسينهِ حتى بلّغوهُ غاية القوَّة والخفَّة ٠ ففكَّر ارباب المراكب الجويَّة في استعمالهِ تخفيفاً لحركتها لكنَّهم خافوا من الخطر العظيم اللاحق بالركّاب لسبب وضع هذا المحرّك قريباً من غاز البالون السريع الالتهاب

غير انَّ بين الناس رجالًا تضرم الاخطار صدورهم غيرةً وبأساً فقدم باريس شاب برازيلي الجنس يدعى سانطوس دومون من تلامذة الآباء اليسوعيين وركب منطاداً جهزهُ بمساعيهِ كما شاء وجعل فيهِ ذاك المحرّك الانفجاري وارتفع الى الجوّ في وسط باريس ودار حول برج ايفــل على مرأى كل الاهلين وعاد سالماً صحيحاً الى موقع مقامهِ فربح جائزة ١٠٠,٠٠٠ فرنك كان جعلها المسيو دونشْ ديلامُرتْ (Deutch de la Meurthe) سباقاً لمن يقوم بهذا العمــل ٠ وقد عزا سانطوس دومون هذا النجاح الى عناية خاصّة من الله والى شفاعــة القديس مبارك الذي كانت الكُنتة إو (Comtesse d'Eu) ابنة الامبراطور دون بدرو البستهُ ايقونتهُ العجائبيَّة

فكان مثَل ذاك الرجل المقدام كباعث جديد على استئناف الهمم في اقتحام اعالي الجوّ وتسيير المراكب الهوائيَّة ٠ حتى عُدَّت السنة ١٩٠٧ كسنة فتح المملكة الجويَّة

وتركيب هــذه المناطيد هو اليوم على ثلثة اشكال يُخيِّر بينها راكبوها سواء كانوا من ارباب الجيش او من افراد السائحين

فالشكل الاوَّل يُعرف بالمنطاد المتوسّط الصلابة (semi-rigide) اخترعهُ ليبودي (Lebaudy) وهو على شكل مستطيل طرفهُ الاغلظ الى الامــام تخفيفاً لمقاومة الهواء لهُ سطح صلب مركب من اساطين الفولاذ ينوط بهِ البالون مع زورقهِ ٠ وملحقاتهُ العموديَّة والافقيَّة هي من الاسلاك المغطّاة بالمشمَّعات تساعدها في

سيرها كزعانف السمكة وذنبها او كاجنحة الطائر وزِمكّاهُ وتمنع عنها الحركات غير المنظَّمة على جوانبها او في طرفيها

والشكل الثاني يُدعى بالمَرِن (le souple) على شبه المنطــاد المسمَّى « مدينة باريس » او « كليمان بيّار ». وهذا المنطاد لا سطح لهُ كالسابق وانَّما زورقهُ طويل جدًّا وهو معلَّق باسفل المنطاد بواسطة رُجاحة مثلَّثة الزوايا متصلبة. وللجيش الفرنسوي عدَّة مناطيد من هذين الشكلين

والشكل الثالث يُعرف بالصَّلب (le rigide) اخترعهُ زبلين (Zeppelin) في المانية فشاع في بلادهِ. وقعر هذا المنطاد ذو هيكل كثير الزوايا يمتدُّ طولهُ من ١٢٨ الى ١٤٠ مترًا فيهِ مشبَّكات الالومينيوم بينها ١٧ تجويفاً في كل جوف منها نفَّاخة غاز. والجهاز كلهُ مغطًّى بالنسيج المتين

ولكلّ هــذه الاشكال محرّكات قويّة وخفيفة معاً تحرّك رفّاساً او رفّاسات تبلغ سرعتها من ١٥ مترًا الى ١٨ في الثانية. ومن ثمَّ تستطيع ان تجاري الارياح الشديدة في اغلب الانواء

فهذه المراكب الجويَّة كما ترى قد فازت بالغاية المرغوبة وجعلت الفضاء تبعاً لحكمها ولكن بعد النفقات الطائلة والمشقَّات المتواترة. وقد اصبحت هذه المناطيد شبيهة في كبرها بالبوارج البحريَّة فانَّ المنطاد زِبلين تبلغ سعتهُ ١٨,٠٠٠ متر مكعَّب فيحتاج الى كميَّات وافرة من الغاز ليستطيع الطيران مدَّة في الهواء. امَّا المناطيــد الفرنسويّة كليبودي وكليمان بيَّار فألطف جرماً لكنَّها ايضاً عظيمة فانَّ سعة الاوَّل ٥٠٠٠ متر مكعَّب والثاني ٣٠٠٠ هذا الى خطر عظيم يتهدَّد الركاب ابدًا وهو خطر التهاب الغاز الذي يعلو فوق رؤوسهم اذا طارت اليهِ شرارة المحرّك المتفجّر

اثقل من الهواء

المناطيد المذكورة آنفاً مبنيَّة كلها على مبــدأ الغازات الاخفّ من الهواء فانَّها تتصاعد الى اعالي السحاب لخفَّتها وبصعودها تنقل معها المناطيد المنفوخة بها

ولكن يا تُرى ألَا يستطيع الانسان ان يجد طريقةً اخرى للطيران ؟ ألم ترشده الطبيعة الى رَفع الاثقال الى الفضاء ؟ فما لهذه الطيور ترتفع الى طبقات الجوّ وتتناقل

في انحائهِ دون ان تُصاب باذًى وهي مع ذلك اثقل من الهواء . ومن هذه الطيور ما يوازي الانسان بثقلهِ او تفوقهُ كالكندر وبعض النسور والعقبان

فان قيل انَّ الانسان يجد في معارضة الهواء قوَّة لا يمكنهُ ان يغلبها أجبنا انّ هذه المعارضة نفسها إن شاء اضحت لهُ قوة دافعة يمكنهُ ان يستند اليها ليحلّق في الجوّ

ألا ترى كيف اصحاب الملاحة حوَّلوا قوَّة الريح المعارضة لهم في البحر الى قوَّة دافعة فمدُّوا الشرع على سفنهم وصارت الريح مساعدة لمخر عُباب المياه بعد ان كانت تعيقها في مسيرها

وكذلك الطيور اذا حلّقت في الجوّ نشرت اجنحتها وسندتها في طيرانها الى الريح الجوّيَّة فصارت الريح حاملةً لها كما يحملُ الماء السابح في سباحتهِ

ومنذ القرون الاولى فقه الانسان هذا الامر ونظر الى المجنحات بعين الحسد بل حاول مرارًا ان يقتفي آثار الطائر فلا يكاد يوجد شعب الَّا يذكر شيئاً من امتحانات بعض افرادهِ للطيران

على انَّ العلماء في هذه القرون الاخيرة كليونار دي ڤنسي ونيوتون وشرل رينار ارادوا ان يدقّقوا النظر في خواصّ قوَّة الريح الدفاعيَّة فوجدوا انَّها تختلف باختلاف تخلُّل الهواء واختلاف سرعتهِ واختلاف المساحة التي تعترضهُ فانَّ الهواء يختلف كثافةً في طبقات الجوّ الشتى وعلى حسب احوالهِ من يبوسة او رطوبة . من ثقل او خفَّة

ومثلها المساحة التي تواجه الريح فانَّها على قدر اتّساعها تزيد في قوة الريح الدافعة . ألا ترى كيف النوتي اذا اراد زيادة سرعة لتسيير قاربهِ زاد ايضاً واجهة الشُّرع فاذا ضاعفها تضاعف ضغطُ الهواء عليها ودفع السفينة الى الامام

كذلك الهواء يزيد قوَّة بزيادة سرعتهِ وهذه القوَّة اذا تضاعفت اصبحت السرعة مربَّعة . فان كانت قوَّة الريح مثلًا تبلغ عشرة امتار في الثانيــة ثمَّ تضاعفت قوَّتها بلغت سرعتها ٤٠ مترًا

فترى انَّ الهواء اذا كان في بعض المواقع عائقاً للطيران الصناعي يصبح في مواقع أُخرى مساعدًا عليهِ بقوَّتهِ الدافعة . وهذا مــا بيَّنهُ احد الطائرين المسيو غرنرين (Garnerin) الذي اخترع مظلَّة لوقاية الساقطين من الجوّ (parachute) وهذه المظلَّة كقبعة كبيرة تمتدُّ من حولها عدَّة حبال ينوط بها شبه زورق صغير فاذا أُصيب

راكب المنطاد بخطر السقوط التجأ اليها ورمى بنفسهِ فيها الى الارض فتنفتح المظلّة في الهواء من تلقاء ذاتها ثم تهوي الى الارض مستندة الى ضغط الريح على باطنها . ويكون السقوط اوّلًا شديد السرعة لكنهُ يخفّ شيئاً فشيئاً ويبلغ الناجي فيها الى الحضيض دون خطر ولكن الويل لهُ ان تكسَّرت المظلّة او لم تنفتح في وقتها فانَّ الموت ينتظرهُ لا محالة بعد تحطُّم كلّ اعضائهِ

ولتحقيق الانسان امانيهِ في الطيران قد جعل نظرهُ في الطائر ودرس حركاتهِ فوجد طيرانه على ثلثة طرق . فمن الطيور ما يستعين باجنحتهِ كالمجذاف فيضرب بها الهواء كما يضرب النوتي بمجذافه الماء فيتحرَّك فلذلك سُمي هـذا الطيران بالطيران الجذفي (vol ramé) . ومنها مـا يتمّ للطائر ببسط جناحيهِ المنتشرين فيبقى في الهواء ما شاء دون حراك وتارة يتقدَّم او يتأخر او يرتفع او ينحدر او يحلّق على هواه كما ترى الطيور البحريَّة التي تراقب السمك فوق وجه البحر وهذا الطيران دُعي بالطيران المنبسط (vol plané) . . ومنهـا اذا طارت نشرت اجنحتها كشُرُع المراكب (vol á la voile) وهذا النوع يعود الى الصنف السابق .

فسعى الكثيرون اوّلًا بان يحذوا حذو الطيور في طيرانها الجذفي كما هو شائع في بعضها لا سيما الصغيرة الاجرام كالعصافير والسلوى والحجل ولا سيما البطّ البرّي الذي هو مثالٌ تامّ لهذا الطيران فانهُ يضرب الهواء من فوق الى تحت ثمَّ من الامام الى الخلف بجناحيهِ اذ يضمهما بشدَّةٍ فالهواء ينضغط بذلك وينعكس فعلهُ على جسم الطائر فيرفعهُ من اسفل الى فوق ومن المؤَخر الى الامـام فيستطيع الطائر ان يثبت في الهواء ويندفع الى حيث يشاء

ولو افترضنا ان الطـائر يبقى في الهواء دون حراك وان ريحاً شديدة مساوية لسرعة اجنحتهِ تدفعهُ من اسفل الى فوق ومن خلف الى قدام لكان المفعول واحداً لانك رأيت سابقاً انَّ مقاومة الريح ومن ثمَّ قوَّتها الدافعة هي بنسبة مربَّع سرعتها . فان كانت السرعة كافيةً غلبت قوَّتها ثقل الطائر ورفعتهُ الى اعالي الجوّ . هذا اذا بقي الطائر ناشراً لجناحيهِ امَّا اذا ضمَّهما فخفَّت قوَّة الريح عن دفعهِ سقط لا محالة ما لم يضرب الريح ثانية بنشر جناحيهِ بعد رفعهما وطيّهما لتخفيف مقاومـة الريح . وهكذا لا يزال الطير يرتفع في الجوّ باشواط مختلفة وثباً واندفاعاً . امَّا رأسهُ

وذنبهُ فيساعدنهِ على موازنة حركاتهِ وثباتها وتوجيهها الى جهات شتى

وقد جرَّب ارباب المناطيد تجهيز آلات ترتفع في الجوّ على شبه هذه الطيور فتطير طيراناً جَذْفيًّا فوضعوا آلة دعوها المنطاد المجنَّح كالطير (ornithoptère) وجعلوا فيها الاجنحة المرفرفة على اشكال متعددة منها على شبه المظلّات تنفتح في الهبوط وتُقفل في الصعود وغيرها على اشباه الكُوَى والمنافذ ذات صمامات او حواجز تنتشر افقيًّا في الهبوط وتنسدّ في الصعود وكل ذلك تشبُّهاً بحركات اجنحة الطيور وجرَّب غيرهم الرفَّاس المجنَّح (hélicoptère) فيدير الهواء وينقلهُ بتحريك جهازهِ الّا ان كل هذه الاختراعات لم تأت بفائدة تذكر فأُهملت بعد قليل

امَّا شكل الطيران الثاني المعروف بالمنبسط فان العلماء رأوا فيهِ بعد قليل الحلّ الصحيح لهذا المشكل. قلنا انهُ متوقف على بسط الطائر لاجنحتهِ منتشرةً انتشارًا افقيًّا واسعاً بحيث يثبت دون حراك زمناً طويلاً في مكانهِ او يتقدَّم الى الامام ويستدير حائماً او ينحدر الى اسفل بكل هدوّ كما ترى الطيور الغوَّاصة تفعل فوق المياه . فانك اذا رقبتها رأيتها تلقي نفسها واثبةً بضرب اجنحتها حتى اذا بلغت سرعةً كافيةً اتمَّت قَطع طريقها بنشر اجنحتها دون رفرفتها وتبقى على ذلك الى ان تهدأ سرعتها فتعود ثانيةً الى ضَرب الاجنحة لاستئناف السرعة الواجبة

فهذا الطيران اسهل من السابق لأنَّ غاية ما يحتاج اليهِ الطائر لذلك وجهٌ سطحي ثابت فهذا المسطَّح هو جناحهُ المنتشر فوق الهواء امَّا قوَّتهُ الدافعة فانَّما تقوم بضرب جناحه للهواء وبقيَّة حركات ذلك الجناح اذ يعطفهُ ويمدُّهُ الى الامام او يحوم بهِ. ورأسهُ وذنبهُ كالدفَّة لتوجيه حركاتهِ

فالانسان يمكنهُ ان يجاري الطائر بتجهيز المسطَّح الّا انّ الصعوبة في اتّخاذ دافع يدفع ذلك الجهاز ويضبط سرعتهُ وحركاتهِ اذ ان الادوات الميكانيكيَّة كلها صلبة لا تسهل معها تلك الحركات كاجنحة الطير. غير انَّ للانسان قوَّةً دافعة لم يحصل عليها الطائر وهي الحركة الدورية كحركة رفَّاس يدور ابدًا من جهة واحدة. فالرفَّاس لهُ ايضاً اجنحة ميكانيكيَّة تضرب الهواء كجناح الطائر ولكن ضرباً مستديرًا

وعليهِ افرغ ارباب المناطيد كنانة جهدهم في وضع أدوات تجمع هذه الشروط الثلاثة حتى وضعوا الطيَّارة الهوائيَّة (aéroplane). ولعمري ان الانسان منذ

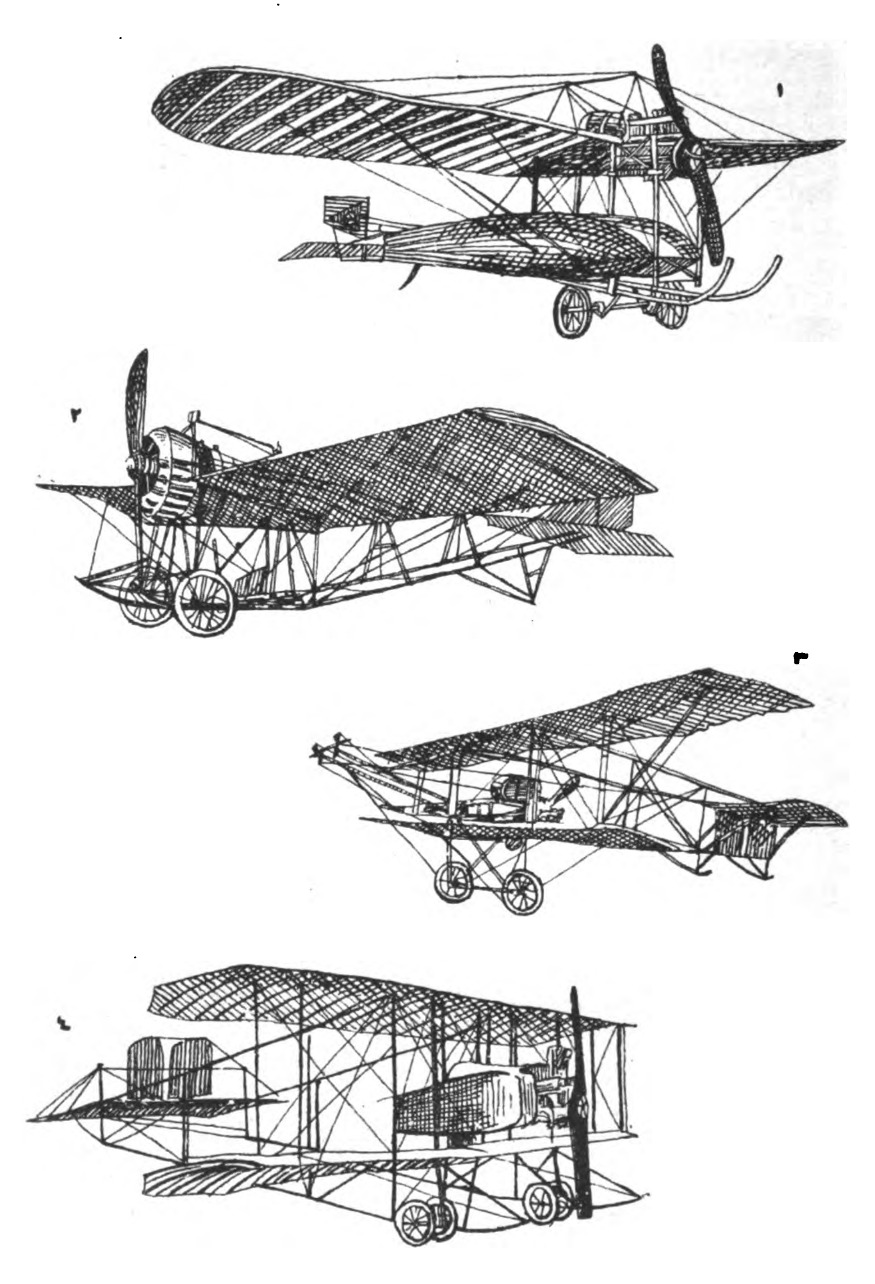
قديم الزمان كان يجد قريباً منهُ مثالًا يرشدهُ الى ذلك نريد بهِ الطيَّارات التي يلعب بها الاحداث فيطيرونها في الجوّ. فهذه اللعبة لا بُدّ لها من ريح ترفعها واذا اشتدّت عليهــا الريح فحاولت ان تُخرجها عن مركزها ضبطها خيطُ الولد. والهواء الذي يدفعها من اسفل يرفعها الى فوق فان كانت الريح كافيــةً ارتفعت الطيَّارة وبقيت متوازنةً في الجوّ واذا زادت الريح قوَّة زاد ارتفاع الطيَّارة. واذا خفَّت انحدرت بها الى تحت واذا ضعفت الريح تماماً سقطت الطيَّارة على الحضيض

ويمكن الولد ان يطير طيَّارتهُ ولو كانت الريح خفيفة غير كافية وذلك بان يعدو بطيَّارتهِ راكضاً فسرعة عدوهِ تنوب عن سرعة الريح بضغط الهواء

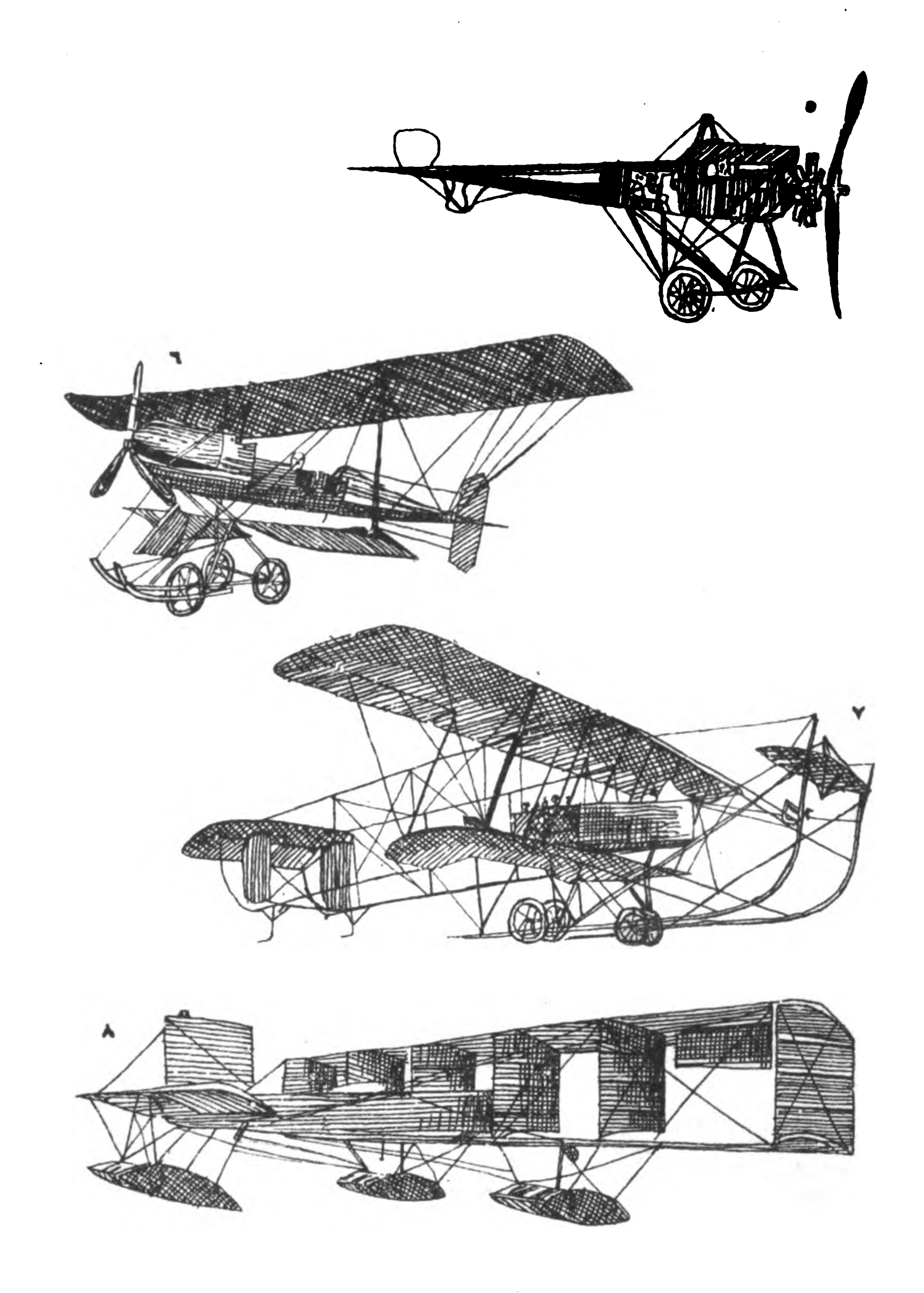
فالطيَّارات التي يركبها اليوم اصحاب الطيران تُشبه طيَّارات الاولاد في خواصّها الَّا انَّها مطلقة غير مقيَّدة فهذه كالمراكب المربوطة بمرساتها وتلك كالمراكب الماخرة لعُباب المياه

ثم انَّ الطيَّارات التي يُصعَد بها الاعالي تتركب من جهازين مختلفين كلاهما تحت حكم الرفَّاس الذي يدفعهما الى انحاء شتى. فاحد الجهازين يتألف من وجه سطحي ثابت منبسط مع بعض انحناء الى الافق يمكنهُ ان يقبل ضغط الريح فاذا زاد هذا الضغط — وفي الواقع يزيد مع زيادة حركة الدافع — اضحى ثقل الطيارة خفيفاً حتى يرتفع بها الهواء . وهذا الجرم المسطَّح اشبه شيء بجناحي الطائر وهو الذي يُثبت الطيَّارة في الجوّ بدلًا من الغــاز المستعمل في المناطيد. امَّا الجهاز الآخر فهو المحرّك الذي لهُ فعلان: الاوَّل تنظيم حركات اجنحة الطيَّارة وموازنة اطرافها وهــذا الفعل خاصّ بالطيَّارات دون المناطيد. والثاني دفعُها الى جهات معلومة وهو عمل يشترك بين الطيَّارات والمناطيد

وان طلب منَّا طالب ان نفسّر لهُ علميًّا حركة الطيَّارات والمبدأ الذي يستند اليهِ العلماء في تطييرها عرضنا لهُ الامر على هذه الصورة. هَبْ الوجه السطحي ب ب المنتقل بسرعة معلومة فالهواء يقاومهُ فيضغط عليهِ ويجري الامر كانَّ ذلك السطح لا يتحرَّك وكانَّ مجرًى من الهواء ذا سرعة مساوية لسرعة ذاك المسطَّح يضغطهُ ضغطاً ما. وهذا الضغط عموديٌّ على التقريب فندعو قوَّتهُ ن و. وهذه القوَّة العموديَّة يمكن تحليلها الى قوَّتين اخريين الواحدة عموديَّة و ق والثانية افقيَّة و ر فهذه القوَّة الافقيَّــة انَّما هي



١ طيّارة ڤينه (Vinet) ذات السطح المفرد مع تخفيض مركز الثقل
٢ طيّارة تران (Train) باسلاك معدنيّة
٣ طيّارة سوّمر (Sommer) ذات السطح المضاعف
٤ طيّارة كودرون (Caudron) المضاعفة السطح



٥ طيّارة بليريو (Blériot) المغزليّة الشكل
٦ طيّارة بريغه (Bréguet) المضاعفة السطح مع رفّاس مثلّث المقاطيع
٧ طيّارة فرمان (Farman)
٨ طيّارة مسطّحة تعوم على المياه وتقطعها (hydroplane)



طيارة الفرنسوي مويلار مكتشف الاداة المثبتة للطيران

Dans l'aéroplane de Massia. Biot, j'avai employé un autre moyen pour arriver au même résultat: la déformation de l'aile qui doit rester en retard. Le gauchissement était aussi produit.

Il s'agit pour se diriger horizontalement, pour gêner la translation d'une aile, pour qu'en un mot elle aille moins vite que l'autre, de gauchir par une traction opérée au point cette portion de la surface portante afin de lui procurer un retard de glissement. Une simple corde courant dans de petits anneaux produit cet effet. Cette corde vient aboutir à portée des mains dont le nouvage presque spécial sera d'avoir à fournir à ce genre de direction. La direction verticale

Mouillard

صورة الرسالة التي كتبها مويلار مشيرًا فيها الى اكتشافه لملحقات الجوانح لتحسين توجيه الطيارة

شكل رياضي لبيان شروط الطيران

ن ق ب جا و ر ف ب ث

مجرى الهوا

جا زاوية الارتفاع

ب ب الوجه السطحي

ث الثقل = س السرعة

ق قوة التوازن في الهوا

ر القوة المعارضة للسير

ف قوة الرفاس

ن = ه ط س ٢ جا

ق = ه ط س ٢ جاها

ف تساوى تقريبًا ن

اذا ث = ق تبت الطائر في مكانه

اذا ث > ق بقي في الارض او انحدر

اذا ث < ق صعد الى العلو

فالصعود يتم بزيادة س او جا والهبوط بنقصها

جدول مسافات الطيران في السنين

١٩٠٨

فارمان من شالون الى ريمس
بليريو من طوري الى ارتناي

١٩٠٩

بليريو من اتامب الى اورليان
فارمان من دوكس الى شرتر

١٩١٠

دوبونه من جقيار الى سانت اوبان ري
بولهان . . . .
" " من لندن الى شستر
لوبلان دائرة بجانب الشرق

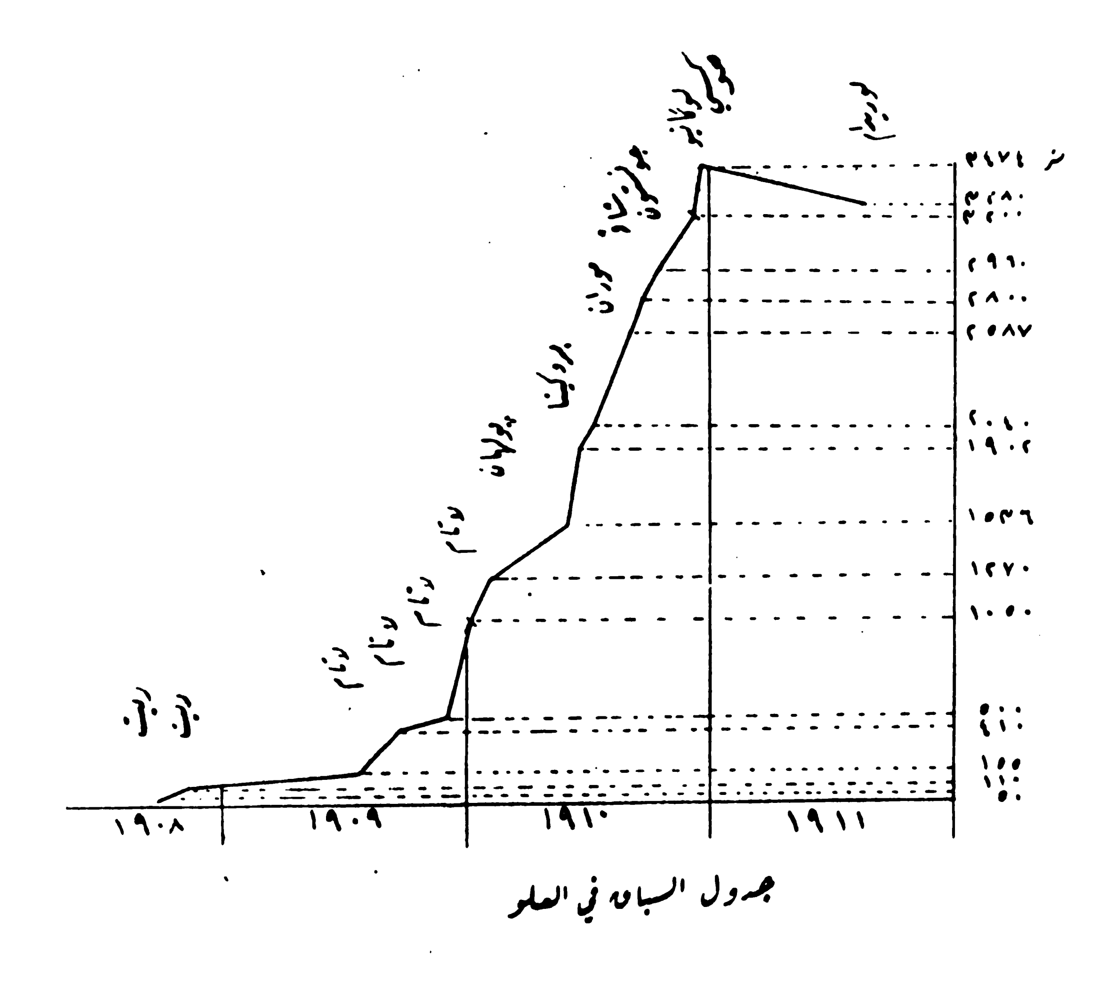
١٩١١

بلنجار من باريس الى بوردو
قندرين من باريس الى مدريد
بومنت من باريس الى روميه
" " دائرة اوروبية
" " انكلترة
اتوود

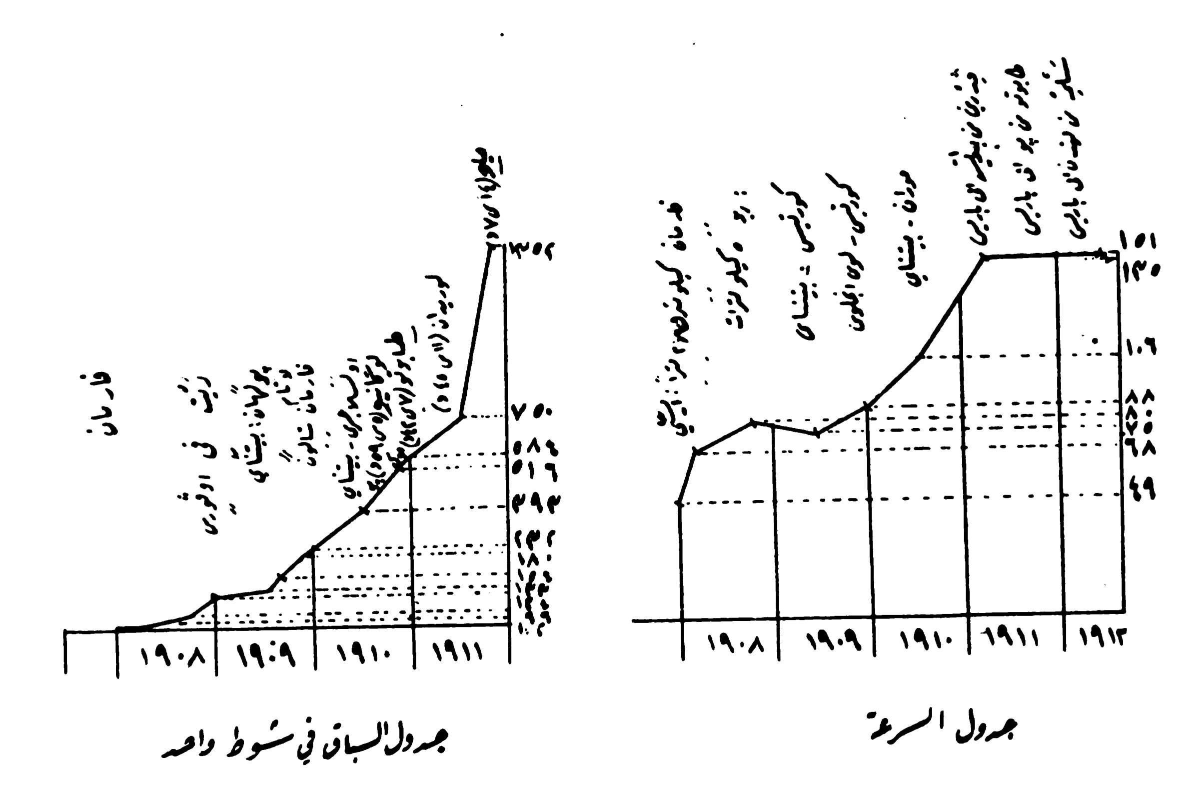
١٩١٢

سافره ٥ بونتو

[illegible]



جدول السباق في العلو



جدول السباق في شوط واحد

جدول السرعة

معارضة لسير الوجه المسطح [١] ولكن قد تعادلها قوَّة الرفاس الدافعة (ف). اماَّ القوَّة و ق فهي تخفف حركة ذلك المسطح لمعاكستها لجهة الثقل فاذا زدنا قوَّة و ق بحيث تعادل ث اي ثقل الطيَّارة حصلت الموازنة وثبتت الطيَّارة في الهواء واذا زدنا قوّة الثقـل ث ارتفعت الطيَّارة الى علٍ اماَّ اذا ضعفت تلك القوَّة دون ث تحدَّرت الطيَّارة

وان قال قائل وهل يمكنَّا ان نزيد قوَّة و ق ؟ الجواب انَّ ذلك ممكن لانَّ القوَّة الضاغطة و ن مساوية لمعاكسة الهواء (ر) ولسطح الطيَّـارة (ط) ولجذر السرعة (س) والجيب ا (جا) فتحصل المساواة : و ن = ر ط س٢ جا. اماَّ قوَّة و ق العموديَّة فمساوية تقريباً قوَّة و ن الضاغطة لانَّ قياس الجيب (جا) لا يتجاوز ابدًا عشر درجات فسَهْمُ ا (سها) ايضاً قريب من العدد ١ فتحصل المساواة ق = ر ط س٢ جا سها (اطلب الشكل الموسوم)

فترى من هذه الاعمال الجبريَّة انك بقدر زيادة سرعة المحرّك تزيد ايضاً قوَّة و ق فترجح على الثقل ث. وهذه السرعة منوطة بالمحرّك ولذلك ينبغي ان يكون المحرّك خفيفاً وقويًا ليقوى على دفع الطيَّارة بسرعة ٤٠ كيلومترًا في الساعة فيمكنها ان تحلّق في الهواء

والطيَّارات التي تُجهز اليوم كلها ترتفع عن الحضيض بقوَّة دافعة تبلغ تقريباً ٤٠ كيلومترًا. وعلى عكس ذلك ينبغي تخفيض هذه القوَّة عند هبوط الطيَّارة فتصبح قوة و ق دون الثقل ث فتكون الزاوية ا أَفرَجَ في التصاعد منها في الهبوط

فهذا العمل الجبريّ يبين جليًا كيف انَّ وسائل الطيران ممكنة بل اضحت في زماننا قريبة المنال حتى توفَّر عدد ركاب الهواء بعد ان كان منحصرًا في بعض الافراد

تاريخ علم الطيران

ليس كلامنا هنا على الذين سعوا بحلّ هذا المشكل علميًا ولعلّ العلّامة ليونار دي ڤنسي (Léonard de Vinci) كان اوَّل من ادرك ذلك واشار اليهِ في كتاباتهِ وذلك في القرن الخامس عشر

---

١) هذه المعاكسة التي دللنا عليها بحرف ر تختلف باختلاف شكل السطح وكثافة الهواء والرياضيُّون الاروبيُّون اتَّسعوا في الكلام عنها وسمَّوها K

واوضح من كلامهِ ما نشرهُ سنة ١٨٠٩ احد علماء الانكليز جرج كيلي (G. Cayley) في مجلّة نيكلسون حيث شرح شرحاً مدقّقاً كل الشروط الواجبة للطيران. وفي سنة ١٨٤٢ اصطنع وطنيّهُ هنسون (Henson) طيّارة مفردة الاجنحة لكنهُ لم يمكنهُ الطيران لعدم وجود محرّك لطيّارتهِ

ولم يخرج فنّ الطيران الى حيز العمل الصحيح الّا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. فالاميركي لانكّلي (Langley) نحو السنة ١٨٨٦ جهز طيّارة جعل لها سطحين متواليين فاقطعها ١٢٠٠ متر فوق نهر پوتوماك. لكنهُ هو لم يركبها. وكان رفّاس هذه الطيّارة يدفعهُ محرّك بخاري قوّتهُ حصان واحد

ثمّ سعى بعد ذلك السيد الانكليزي « حيرام مكسيم » مخترع المدافع المنسوبة اليهِ بتجهيز آلة للطيران لكنّ ثقلها البالغ ٢٦٠٠ كيلو حال دون ارتفاعها في الجوّ وكان ذلك بين السنتين ١٨٨٩ و ١٨٩١

واوّل من اصطنع طيّارة ركبها في الهواء بشر انّما هو احد ارباب الكهرباء العلّامة الفرنسوي كليان ادير (Cl. Ader) وكانت هذه الطيّارة على شبه خفّاش طارت بهِ على مسافة خمسين مترًا سنة ١٨٩٠ وكان اصطنع لها محرّكاً خفيفاً قوّتهُ ٥٠ حصاناً بخاريًا يحرّك رفّاسَين لكلّ رفاس ٤ اجنحة. ثمّ حسّن اختراعهُ فاصطنع طيّارة اخرى قطعت بهِ في ١٤ ت ١ سنة ١٨٩٧ مسافة ٣٠٠ متر لكنّ الطيّارة سقطت فتكسرت. وكان وزير الحربيّة اذ ذاك فريسينه وكان ينشطهُ على مواصلة ابحاثهِ ليستطيع ان يحصن بها الوطن في وجه العدوّ. لكن خلَفهُ الجنرال بيليو قطع عنهُ المساعدات الماليّة لتتمّة ابحاثهِ

وكان في اثناء ذلك الالماني ليليانتال (Lilienthal) يمتحن الامتحانات المتوالية من السنة ١٨٩١ الى ١٨٩٦ فكان يثب في وجه الريح وهو حامل على عاتقهِ طيّارتهُ فاذا بلغت سرعةُ ركضهِ عشرة امتار في الثانية طار بها في الهواء وسيّرها بحركات ساقيهِ فامكنهُ ان يقطع الى ٢٥٠ مترًا. لكنهُ سقط في بعض امتحاناتهِ فذهب شهيد فنّ الطيران

واشتهر وقتئذٍ الفرنساويّان لويس موليار (L. P. Mouillard) وتلميذهُ شانوت (Chanute) فموليار تعمّق في درس فنّ الطيران وجعل دأبهُ الشخوص الى

الطيور ومراقبة ادقّ حركاتها مع كل احوال الريح لا سيما الشحارير فلحظ انّها تقوى على معاكسة الريح حتى وقت هبوبها بسرعة ١٥ مترًا في الثانية فرأى انّ الشحرور اذا عدلت بهِ الريح عن طريقهِ ثنى طرف آخِر اجنحتهِ فسندها الى الريح وعاد الى طريقهِ المثلى وان زاد طيَّها امكنهُ ان يقف في سيرها بغتةً لئلّا يصدم في عثرةٍ وان شاء دار على نفسهِ . فكلّ ذلك درسهُ موليار وكتب فيهِ مدقّقاً

وعنهُ اخذ الاخوان الاميركيّان ريت (Wright) واسم احدهما ويلبنر والآخر اورڤيل فاصطنعا سنة ١٩٠٠ طيّارةً استفادا فيهـا من معلومات موليار وجعلاها مضاعفتي الاجنحة (biplan) وتوغّلا في بعض مقاطعات الولايات المتحدة ولم يزالا يكرّرا الامتحانات سرًّا حتى صارت طيّارتهما طوع امرهمـا وانتشر خبرهما في كل الجهات بل قدما فرنسة بعد ذلك وطارا غير مرّةٍ بازاء اهل باريس وكانا ليس فقط يضنّان بسرّهما بل حاولا ايضاً ان يمنعا شرعاً غيرهما عن مجاراتهما مدَّعيَين بانّ لهما حقوق الاختراع وليس لغيرهما ان يجاريهما في الطيران فكان هذا العمل داعياً لأن ينهض ذوو الهمّة في فرنسة ويجهزوا الطيّـارات كما شاؤوا وغلبوا الاخوين في تحسين ادواتهم ولاسيما بعد ان قـام المسيو كوانّيه (H. Couannier) فنشر كتابات موليار بعد وفاتهِ فاثبت انّ الاخوين رَيت اختلسا اسرارهما من المذكور

وما يقال اجمالًا انّ فنّ الطيران دخل منذ السنة ١٩٠٨ في طور جديد وكان لفرنسة السّهم الافوز في هذا الامر بعد اختبارات الاخوين ريت والبرازيلي سنطوس دومون الذي اشتهر في فنّ الطيران كما اشتهر في تجهيز المناطيـد وقطع في باريس على طيّارتهِ الموسومة بالعدد ١٤ مائتين وعشرين مترًا في الدقيقة وكانت قوّة محرّكهِ المسمّى انطوانت خمسين حصاناً بخارياً

فعقبهُ الطيّار غبريال ڤوازان (G. Voisin) وحسّن ادواتهِ وكرّر الامتحانات في ايسي (Issy) قرية مجاورة لباريس في السنتين ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وربح عـدّة جوائز كان ذوو الثروة عيّنوها لاهل السباق لاشواط معلومة حتى امكنهُ في اواسط كانون الثاني من السنة ١٩٠٨ ان يقطع ١٢٠٠ متر في دقيقة واحدة و٢٩ ثانية

وفي تلك السنة اشتهر ديلاغرنج (Delgrange) الذي بعد النجاح المتوالي ذهب ضحيّة الطيران . ثم فارمان (H. Farman) الذي كان اوّل من باشر رحلة

هوائيَّة فسافر من باريس الى ريمس قاطعاً ٧٢ كيلومترًا في الساعة ٠ ومن مخترعاته آلة لطيفة لتخفيف هبوط الطيَّارات على الحضيض

وكان كلّ هؤلاء قد اتَّخذوا الطيَّارات المضاعفة الاجنحة ففي السنة ١٩٠٨ دخل في ذلك الميدان الجوّي لويس بليريو (L. Blériot) فركب الطيَّارة المفردة السطح (monoplan) على جانبيها جناحان صغيران كان يحرّكهما كما يشاء طيًّا ونشرًا ٠ فأتى بالعجائب والغرائب حتى لم يبق احد مرتاباً في اكتشاف فنّ الطيران نهائيًّا

ولو اردنا ان نتتبَّع بعد ذلك ما جرى من السباقات المختلفة والرحل الشتى في فرنسا وفي المانية وفي انكلترة وفي اميركة لطال بنا الكلام وافضى الامر الى كتابة عدَّة مجلدات ٠ فمن اراد الاطلاع على التقدُّم العظيم الذي نالهُ الطيران في هذه السنين من حيث السرعة وبُعد المسافات والارتفاع في اعالي الجوّ فعليهِ بالاشكال التي الحقناها بهذه المقالات فانَّها تبيّن الامر باجلى طريقة وتغنينا عن الاطالة والتفاصيل العديدة لا سيما انَّ المشرق في كل سنة من سنيهِ الاخيرة ذكر ذلك (راجع السنة ١٠ (١٩٠٧) ص ٧٥٦ والسنة ١١ (١٩٠٨) ص ٢٤٦ والسنة ١٣ (١٩١٠) ص ٢١٢ والسنة ١٤ (١٩١١) ص ١٦٣

فنختم بوصف ما تمتاز بهِ الطيَّارات التي تتهادى اليوم في الفضاء وتقطع البلاد بلا عائق يحول دون رغائبها رغماً عمَّا اصاب بعض راكبيها من الاذى فماتوا في سبيل العلم ليفتحوا لبني جلدتهم مملكة الهواء واستحقُّوا شكر اوطانهم فيبقى ذكرهم مسطَّرًا على صفحات التاريخ الى آخر الدهر

اعلم انَّ كل طيَّارة يركبها ارباب الطيران تتركَّب من اربع ادوات اصليَّة : ١ً الآلة الداعمة او الجهاز السطحيّ المرتفع في الهواء (sustentateur) ٠ ٢ً الرفَّاس المدار بآلة محرّكة ٠ ٣ً الدفَّة او السكَّان لتوجيه الطيَّارة ٠ ٤ً الجهاز الممكِّن لحركات الطيَّارة

١ (دعامة المركبة الهوائيَّة) هي الجهاز الذي يقوم لها مقام اجنحة الطائر للطيران وهي عبارة عن مسطَّحات واسعة ممكَّنة باساطين من الفولاذ المرتبطة باسلاك من المعدن عينهِ على شبه المغزل ٠ ولا بُدَّ من اطالة هذه المسطحات حتى يبلغ

طولها الى ١٠ امتار او ١٢ م ويمكن كلّ متر مربّع ان يحمل من عشرة كيلوغرامات الى ١٥ بحيث يبلغ ثقل الطيّارة مع ادواتها من ٣٠٠ الى ٦٠٠ كيلو . وهذه المسطّحات على شكلين منها موحّدة السطح ومنها مثنّاتهُ فالأُولى اجمل صورة واشبه بالطائر وهي اخفّ . امّا الثانية فاثبت وهي تسمح بتقصير الاجنحة . ولكلا الشكلين انصار يفضّلون الواحد على الآخر

٢ (الرفّاس والمحرّك) الرفّاس يكون من الفولاذ او من الخشب والخشب اليوم يفضّل لانّهُ لا ينكسر كالفولاذ . والرفّاس في المركبة الهوائيَّة كالقلب في الجسم لانّهُ بحركتهِ يُصعد الطيّارة الى الاعالي ويثبتها في الهواء ويوجّه سيرها . ودورانهُ لا يقلّ عن الف دورة في الدقيقة . وهذا الدوران منوط بالمحرّك . والمحرّك هو من جنس المحرّكات المعروفة بالمتفجرة الماشية على روح الغازات اشتهر منها اشكال مختلفة بينها محرّك غنوم (Gnôme) الاسطواني البالغة قوّتهُ ٥٠ حصاناً بخاريًا مع انّ ثقلهُ لا يتجاوز عشرين كيلو . ويجوز وضع الرفّاس أمام المحرّك او وراءهُ

٤ (الدفّة) هي آلة التوجيه كالسكّان في المراكب البحريّة . وهي عبارة عن اطار من القماش يوضع افقيًا ويدور حول قطب افقي سواء كان في مقدّمة الطيّارة او في مؤخّرها فاذا نُصب هذا الاطار قليلًا او كثيرًا زاد عليهِ ضغط الريح قليلًا او كثيرًا فتنحدر الطيّارة اذا خُفض واذا نُصب انفرجت الزاوية وارتفعت الطيّارة بزيادة ضغط الريح . وهذا الجهاز لا بُدَّ من حسن ادارتهِ والّا اضحى خطرًا على الركّاب وربّما قُتل بعضهم لعدم مراعاة حركاتهِ

٥ (الاداة الممكِنة لحركات الطيّارة) هذه الاداة غايتها حفظ التوازن بين جهات الطيّارة اعني بها راسها وذنبها ثم بين جانبَيها كالطائر الذي يستعين برأسهِ وذنبهِ واطراف اجنحتهِ لئلّا تعبث بهِ الريح ويبلغ غايتهُ المبتغاة . فكذلك جعلوا للطيّارات ذنباً يستطيع راكبها ان يحرّكهُ كما يشاء ليبقى مركز الثقل في نقطة واحدة فلا تنقلب الطيّارة رأساً لذنب . امّا الحركة على الجانبين فيتداركها ركّاب الطيّارات بتنظيم اجنحة الطيّارات وتدويرها على مقتضى رغبتهم . وقد رأيت انّهم زادوا على طرفي الاجنحة ملحقاً مجنحاً او جُنَيحاً (aileron) يلين حركات الطير ويسهلها وهذه الملحقات الجناحية تُنظَّم بالاجنحة الكبرى بحيث يُصبح سير الطيّارات ثابتاً

منظّماً سهل القياد. والفضل في ذلك كما رأيت خصوصاً لموليار الفرنسوي

فسبحان الله الذي ذلّل في وجه الانسان تلك المصاعب التي كان أيس من غلبتها فوجب عليهِ الشكر الحميم لخالقهِ صارخاً مع النبي داود: «ما اعظم اسمك يا ربّ في كل الارض.. ما الانسان حتى تذكرهُ وابن البشر حتى تفتقدهُ... سلّطتهُ على اعمال يديك واخضعت كلّ شيء تحت قدميهِ... طير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار»

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

علم الوقايع والحوادث التي جرت بالجبل والساحل

قد قررنا باطن كتابنا هـذا عن احوال عكا وتولي احمد باشا الجزّار على صيدا وجعل مقرّ حكمهِ في عكا ورفع يد بيت شهاب عن حكم بيروت. وكان بوقتهِ حاكماً بالجبل الامير يوسف الشهابي ابن ملحم الذي كان بعد وفاة ابيه متسلطاً على بيروت ولكن إقامتهُ دايماً بدير القمر. وبعد اقامته حاكماً بزمان قليل حكم الجزار واستوثق على بيروت. وكان وزيرًا ظالماً قاسياً واصلهُ من بلاد الترك جاء لمصر وخدم عند علي بيك وعمله كاشف. وحين قُتل علي بيك في محاربته شراقه محمد بيك ابو الذهب وتسلط بعده المذكور على مصر فهرب الجزار الى سواحل برّ الشام والشام ثم راح لاسلامبول وصادفهُ توفيق وارسلوه (رجال الدولة) وزيرًا لصيدا وبقي حاكماً سنين كثيرة وانشأ مظالم لا وصف لها

واما الامير يوسف فكان حاكماً صارماً مهاباً بالجبل ولهُ مواقع كثيرة وكان الجزار يحبهُ نظرًا لشجاعتهِ وبطشهِ في بلاد المتاولي في اراضي صيدا وبلاد جبيل الذين

كانوا يربطوا الطرقات ويصدر منهم مفاسد كثيرة. وارتاحت الناس والجبل جداً في زمان الامير المذكور. ولكن حيث الجبل مقسوم حلفين يزبكي وجنبلاطي وهذه العلة التي جعلت العثملي يطمع بهم ويكدر عيشهم كما ياتي الشرح فيما بعد من المواقع والحوادث. اولاً في سنة الف ومائة وسبعة وتسعين (١٧٨٢ م) تحرك قاسم جنبلاط وابتدأ بحركات ردية ضد الامير يوسف الذي غرضهُ مع اليزبكية اي بيت عماد وتلحوق ونصف امارة المتن في قاطع بكفيا. فابن جنبلاط ومن هو (من) غرضه اعرضوا للجزار الذي من طبعه يحب الشرور والغرش وعنده ميل كلي للاذى والضرر. فصار المذكورين يطعنوا بالامير ويوسوسوا للجزار من نحوه ويحسّنوا لهُ عزلهُ من الجبل ويقيم عوضه خالهُ الامير (174) اسمعيل شهاب القاطن في حاصبيا وراشيا. وتمَّ ذلك وارسل الباشا لمساعدتهِ وطرد الامير يوسف. فالمذكور لمَّا راى قوة الغرض قام من الدير وتوجه نواحي شمال حتى قالوا وصل لبلاد الكلبيَّة. وحكم الامير اسمعيل بكل طمأنينة

فالامير يوسف ضاق بهِ الفضا وانقهر قهراً شديداً فتحسن عنده وعند المشيرين لهُ انهُ يذهب لعكا ويرمي روحهُ عند الجزار. فلما وصل لعكا اختلى مع الباشا ساعتين وبعده اظهر غضبه لنحوه بمكر وامر عليه بالحبس. واذ كانوا الجماعة بالجبل تحسَّبوا جداً من ذهاب الامير يوسف لعكا الذي صار عدوهم وخافوا من سطوته ليئلا يجلب الباشا لناحيته بدفع الغرش فبالحال ارسلوا اناساً لعكا يكشفوا الخبر فوجدوا الامير مسجون ومغضوب عليه. فاطمأنوا ورجعوا يخبروا بما سمعوا وعاينوا

واماً فارس الخوري الذي هو كيخية الامير يوسف (فانَّه) جاء معهُ لبيروت وبقي في بيروت. فلمَّا بلغهُ ان الامير محبوس ركب حالّاً وراح لعكا ومعهُ جماعة ايضاً من خواصّ الامير. والظاهر ان الامير ارسل لهم خبراً سرّاً يحضروا عنده لان بوصولهم صار التدبير ان الباشا لبَّس الامير حاكماً وتولّف لهُ عسكر وقر الرأي انهم يطلعوا من عكا بعجلة كلية يكبسوا الامير اسمعيل ويمسكوه ويقتلوه

ومع التوفيق صار المرغوب. لان مع طلوع الضو والامير يوسف في دير القمر. مسك خاله وحبسهُ في اوضة لنهاية الهيج. وقتل ايوب مطر الذي هو كيخية الامير

اسمعيل وقتل غيره ايضاً. وبعده دخل الامير لعند خالهُ وتحلق عليه ثم قتلهُ وضبط الحكم وقاصص كل من كان ضده وراقت الاحوال جملة سنين. وفارس الخوري مات ووقف عوضهُ كيخية ولده غندور الخوري. والمذكور كان سلوكهُ ليس بجيد مع الناس سيما مع المشايخ وخلافهم وكانهُ هو الامير والحاكم

ثم بعده لاجل يرتاح فيما هو فيه ويأمن غاية الجزار ولعلمهِ حال الجبل والتقلبات التي تحدث فيهِ ففكر انهُ يدخل تحت حماية الافرنج واشاروا عليهِ يلتجي لدولة فرنسا ويترجا قنصلية (174[v]) بيروت. ولو انهُ ما سكن في بيروت يكفي الاشاعة انهُ قنصل. والذي سعى بذلك من يثق بهِ وراح الى باريس مصحوباً بكتابات وشهادات في اصل الشيخ ونسبهُ وعلو مرتبتهِ. فخرج فرمان من دولة فرنسا بان الدولة انعمت عليهِ في قنصلية بيروت وتوجه كتابات من دولة فرنسا للالجي في اسلامبول بان يخرج فرمان من دولة العثملي حسب العادة. فلمَّا بلغ الباشا امر القنصلية من ابتداها فحالاً كتب الى من يعتمده من ارباب الدولة يمنع كتابة الفرمان. وما طلع لهُ كليًّا وانما اشتهر بالسواحل والجبل انهُ صار المذكور قنصل. وصاروا يهنُّوه بهدايا وخدم الكبار والصغار ومن المدن ايضاً. وبلغ الباشا ذلك وما حرك ساكناً انما كما تقدم الشرح عن حال غندور وعدم اعتباره مشايخ وامارة الجبل وبالاخص حينما صار قنصل ازداد عمَّا هو فيه ولا يفكر الَّا في نظامهِ وعلو شانهِ. وما عاد قدَّر عواقب في كل الاشياء. حتى قالوا انهُ حضر لعنده قاسم جنبلاط في غرض لهُ فبقي بالمنزول نحو اربعة ساعات وغندور داخلاً في بيتهِ في سرور وانشراح والشيخ قاسم خارجاً مع الخدامين. اخيراً طلع لعنده كلّمه برهة وجيزة وتركه ودخل لداره. فالشيخ قاسم انغمَّ غمًّا عظيماً وذهب بغاية القهر

ثم وكان موجود في مقاطعة المتن الامير اسمعيل يدعونه المشولح وهو درزي من بيت قايد بيك. وهذا الامير كان فهيماً جسوراً ذو حركات قوية ويهابهُ كل الامارة الذين بالجبل والمشايخ يعتبروه وربما يخافوا من حركاته الشيطانية التي ينشيها. حتى الامير يوسف يداريه. ولكن بوجود غندور المذكور وتدبيره السيء ما خلّى لاحد كلمة ولا اعتبار. والامير اسماعيل المذكور هو يزبكي من غرض الامير يوسف ولكن بسبب احوال غندور الغير مرضية مال الامير المذكور لناحية اضداده بيت

جنبلاط وابتدأ يشتغل بحركاتهِ الشيطانيَّة في ابادة الامير يوسف لشأن خذل غندور. ويروح مكاتبات بالسر الى الباشا. والمذكور (اي الباشا) غاية رغبتهِ خراب الجبل. ولكن كان يميل الى (175r) الامير يوسف الذي كان ينفذ اوامره بكل شيء يطلبهُ وانما على شأن غندور بغضهُ جدًا وصار يريد عزلهُ من الجبل وابادتهُ

فاشتغل التدبير لذلك ولحظ الامير يوسف وغندور على ذلك وقصدوا يداووا الامور بالاصلاح. فما كان يتمّ الامر معهم لان النار اضطرمت جدًّا. واخيرًا بعد الجهد صدر الرضى من الباشا بان يبقى الامير يوسف بالجبل في محلهِ وتطلع خلاع الحكم لاحد من بيت شهاب بالذي ينتخبهُ الامير يوسف. ذلك لاجل اليمين الذي حلفهُ الباشا ان بهذه السنة لا يمكن يرسل الخلاع باسم الامير يوسف ولا عاد يمكنهُ يخالف يمينهُ

فالامير يوسف عنده الامير بشير ابن قاسم. فهذا من صغر سنهِ اخذه لعنده ورباه مع اخيه وهولاء فقراء ما ترك لهم ابوهم شيئًا لا رزق ولا خلافهُ ونسابتهم للامير يوسف بعيدة ولو كانوا من بيت شهاب. وهذا بشير كان شجيعًا جدًّا ويرسلهُ الامير يوسف في مواقع وينجح بها و كان يعتمده ويركن فيهِ. ووضعهُ في بتدين الذي هو بيت دين الدروز. وهي قرية حقيرة سكانها جميعهم دروز عقَّال وهي قريبة لدير القمر. فوضعهُ هناك واخيهُ حسن جعلهُ في جبيل. ولكن حبهُ وميلهُ الى بشير المذكور. فحاربهم وقتل من هو ضدٌّ للامير يوسف وهو امير اسمهُ بشير ورجع ظافرًا. ففكر الامير بان يرسل بشير لعكا ويلبس خلعة الحكم. وعلى كل حال هو مثل ابنهِ ويركن فيهِ

فاحضره وافهمهُ المتوقع من الباشا وانهُ ينزل لعكا ويلبس الخلاع. وابدًا ما جاء في بال الامير بشيء ردي من طرف بشير لانهُ مربيه وفاهم سريرتهِ. ولكن ما فكر فيما يقال: الظلم كمين بالنفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ. وثانيًا حب الرياسة للطبع مايل. وهذا الامير حين وصل لعكا وكان بعمر خمسة وعشرين سنة او زايد قليلًا فحين مواجهة الباشا نوى الردي على استاذه (175v) وحينما الباشا يكلمهُ كيف يكون سلوكهُ بالاحكام وبعض شيء فكان جوابهُ ان افندم اذا كنت تريد تحكمني وتجعلني شراق لسعادتك يقتضي احكم بحريتي ولا يكون يد احد

فوق يدي وانا خادم نصوح والتجربة تكشف. وربما انهُ احكى للباشا اشياء غامضة وطعن في استاذه وخلافهِ والمقصود اظهر رغبتهُ انهُ يريد يكون حاكماً متسلطاً منفرداً ليس لهُ شريك ولا مشير

فالباشا انحظ منهُ جداً وأمّلهُ ثم اتفق معهُ انهُ يمسك استاذه وغندور الخوري ويرسلهم لعكا. وفوض لهُ الحكم للنهاية. وهكذا لبس خلعة وطلع للجبل وصحبتهُ عسكر وافر

فبوصولهِ اول قناق ارسل كتابة للامير يعلمهُ ان الباشا نيته ردية من نحوك وانني انا اكون حاكماً مفوضاً وما صار الّا كذا. فالشور (فالرأي) الموافق انك تقوم من الدير لئلّا العسكر يفعل بك شيئاً ردياً. فلمّا سمع الامير ذلك وكيف صار هذا الانقلاب العظيم والمخالفة المشومة من هذا الانسان العديم الوفا اقتضى من الخوف يقوم من الدير وصحبتهُ من اماره ومشايخ حسب العوايد والقناق الذي يقوم منهُ ثاني يوم ينام فيهِ الامير بشير. وبدا ينتقل من مكان لغيره والامير بشير وراه حتى بلغ اراضي الضنّية

ثم رجع الامير بشير لدير القمر ولبّس كيخية فارس ناصيف رجل خارجي ظالم قاسي وهو نصراني من الجبل واحدث مظالم ردية وطلب غرش من غير رابطة. يطلب من واحد الف غرش وهو لا يملك ماية غرش اخيراً ينهوها معهُ بخدمة الحوالي والمقصود نفع الخدّامين. امّا انهم اخذوا من اصحاب الاموال مبالغ لاجل يرضوا الباشا وصار الجبل جوف حمار. وانضامت الناس جدّاً والامير بشير جاهل وما يفتش على شيء والامر والنهي لفارس ناصيف

ثم ركز الحكم مدّة طويلة والامير يوسف ضاقت روحهُ من الغربة البعيدة فجاء الى قرية منين محتمياً عند اظن ابراهيم باشا والي الشام. وكان بينهُ وبين والي عكا بغضة جسيمة فاستقام (176ʳ) في منين اياماً كثيرة ومعهُ غندور الخوري وخدامهم والباقي رجعوا لمحلّاتهم وهذا التغيير وقيام الامير بشير كان في سنة الف ومايتين واثنين (١٧٨٧م). وفي سنة الف ومايتين واربعة (١٧٨٩م) حسن عند الامير يوسف يكاتب لعكا ويطلب مواجهة الباشا وقصد يرمي نفسهُ بخطر الهلاك من الضجر الذي استحوذ عليهِ فجاء الجواب بالايجاب وعليهِ امان الله وقام من يومهِ

من منين وتوجه لعكا وقبلهُ الباشا بكل اكرام

اماَّ غندور فخاف يذهب لعكا فراح لبر طرابلس وكان الباشا يريد حضور غندور فصار يبالغ باكرام الامير لتطمين غندور . ثم ان الباشا قال للامير : لماذا غندور متوقف عن الحضور وامره يرسل يطلبهُ حتى يصير التدبير . فكتب لهُ الامير بان يحضر ولاجل التخلي حسن عنده يرمي نفسهُ بالتهلكة . وهذا شي مفهوم ومتأكد لان الباشا مألوم منهُ جدًّا بسبب القنصليَّة بنوع خصوصي . حتى انهُ ولو رضى الباشا على الامير وحكَّمهُ بالجبل ولكن غندور ما يمكن يطاقهُ من عنده . والغاية راح غندور لعكا وما اظهر لهُ شي الباشـا . ثم كانت المكاتبة متصلة من الامير يوسف لاصحابهِ ومن هو غرضهُ بالجبل . ولكن الامير اسمعيل المشولح كان مات قبل تولي الامير بشير . فطبخ الطبخة وما اكل منها وترك ابن عمه الامير فارس عوضه بالتدبير . وهو نبيه جدًّا والسرّ بقي مطرحهُ وبالنتيجة اشتغلت المكاتبة من الجهتين

واخيرًا ظهر من الباشا قبول في تولي الامير يوسف وشاع الخبر بذلك . فحينما بلغ الامير بشير بالحال ذهب لعكا ودخل على الباشا بحال الوهم . فتعجب من حضوره بغتة من غير طلب . فاعرض لهُ الامير عن سبب مجيئهِ مما بلغهُ عن المشروع الصاير وانهُ حيث ذلك فانا جيت لاخدم عندك حيث ما بقي لي حياة بالجبل . وثانيـاً ايش بدا مني واي وقت خالفت سعادتك في شي من الاشيـاء . وصار يشرح لهُ عن حال المضادين واصحاب (176ᵛ) الاغراض يريدوا تنفيذ مآربهم وكلهُ عكس وتعب لسعادتك . وبالنتيجة اني انا بين يديك اماَّ اثبت كما انا ام ابقى عندك والامر امرك . وربما ايضاً قدَّم للباشا مبلغ مال . الى انهُ استمال لهُ وتغير عمَّا كان بهِ وطيَّب خاطره ولبس وراح من عنده بغاية الحظ والانشراح . وقبل ذهابهِ من عكا امر الباشا في وضع الامير يوسف وغندور في السجن وبقي الحال هكذا اياماً

ثم بهذه الاثناء هاجت المماليك على سيدهم الباشا وكان قصدهم يقتلوه لولا حسن وعيه لهم . واخيرًا تحصنوا في برج داخل عكا والباشا تداخلهُ الوهم

وبغضون ذلك تحرك سليم باشا وسليمان باشا وهما من مماليك الجزار وكانوا في صيدا فجمعوا عسكر وتوجهوا الى صور نهبوها تماماً ومرادهم يتوجهوا لعكـا من بعد ما يكونوا فهموا ما جرى من المـماليك . وكانت طبخة ردية جدًّا . ولكن

الباشا ضايق على المماليك الذين بالبرج وجعلهم يطلبوا الامان وانهم يخرجوا من البرج ويطلعوا من المدينة . فاعطاهم الامان وخرجوا تماماً وقيل ان البعض يحبهم الباشا فرجعهم لخدمتهِ وهماً (ظنًّا منهُ) ان عصاوتهم كانت غصباً عنهم وخوفاً من ارفاقهم

ثم ان الباشا ارسل عسكر لمحاربة سليم وسليمان ومسكهم . وهما كبر عليهم الوهم من خيانة المماليك في عكا . فسليم باشا هرب وما انعرف اين راح . واما سليمان باشا فانهُ سلم نفسهُ وراح لعكا بخاطره واعتذر للباشا وقبل عذره وارسلهُ لصيدا متسلماً وبقي زماناً معتبرًا في صيدا

ثم بعد ذلك تحقق عند الباشا ان خيانة المماليك هي بمطابقة بعض من السراري الذين خاصتهُ فغضب عليهم جميعاً وخنقهم في الماء الحارّ وهذه كانت قساوة منهُ

ثم بعد ايام ظهر مخالفة وعصيان من يوسف الجزار بنابلس وتحصن في قلعة سانور واقتضى ان الباشا يذهب بنفسهِ ويحاصر (١٧٧٢) القلعة وما امكنهُ يملكها ورجع خايباً . وكانهُ بهذا الحال طمعت اهالي نابلوس وصار يبدا منهم تعدي فذهب اليهم الباشا ونهب بعض قرايا وقتل منهم كثيرين . ثم عزم على محاصرة قلعة سانور ثانياً ومسك يوسف جزار وطرده منها . فاستقام اياماً وهو يجاهد وما امكنهُ اخذها . وحصل مطاولة زايدة من الجزار واتباعهِ وشتم وقذف بحق الباشا وتالم منهُ جدًّا وحيث عُدم الحيلة في ملك أربه فقصد القيام عن القلعة . وبوقتهِ صار يتفشش فالتفت الى المزارع وقرايا نابلوس الطايعين والعاصيين وعمل معهم مساوئ كثيرة ايضاً . ثم ارسل امر الى متسلمهِ في عكا عبدالله اغا ان يطلع غندور الخوري من الحبس ويضربهُ خمساية كرباج وبعده يشنقهُ وتم ذلك ثم بعد ايام قريبة ارسل امر ثاني للاغا بان يشنق الامير يوسف ويبقيهِ معلق ثلاثة ايَّام وبالحال تمَّ الامر . وقيل انهُ بعد شنق الامير بساعتين ورد امر ثاني بعدم قتلهِ وكان السهم نفذ . ولكن الباشا ندم جدًّا على قتل الامير وحصل لهُ اتعاب كثيرة من نحو الجبل فيما بعد

ثم حضر لعكا وما استفاد شيئاً ونابلوس وبرها عادمة النظام والراحة . والتزم الباشا بدخول الوسايط يرتضي غصباً بمصالحة الجزار . ولكن الجزار بقي محترص من غدر الباشا كل حياتهِ الى ان مات

ثم ان الامير بشير انفرد بالاحكام وانشا مظالم كثيرة لكي يرضي الجزّار ويجمع لنفسهِ ايضاً. وبدأ ينشئ عمار سرايا في بتدين وصار يتاكد الدروز ساكنين القرية المذكورة ويشتري منهم اراضي وبيوت. ومع اطالة الايام فرغت من الدروز وصارت ملكاً للامير تماماً. فبعد ما قُتل الامير يوسف بايام ليست بكثيرة قامت عامة الجبل دروز ونصارى وطردوا الامير بشير واخيهِ حسن وبشير جنبلاط. واماً قاسم جنبلاط ابو بشير (فانهُ) في حين طلوع الامير يوسف حاكماً بعد قتل خاله الامير اسمعيل (١٧٧٢) ثم بحكومة الامير ثاني مرة وابتداء التدبير بعزلهِ من الجبل فقاسم جنبلاط تحسَّب من الامير فهرب لعكا في زمان حكمهِ وبقي في عكا ومات هناك بعد ما قُتل الامير يوسف. وقيل ان الباشا دسَّ لهُ سماً ومات ودفن في عكا وقام ولدهُ بشير عوضهُ. فالان من هيجان العامة ضد الحكم فما حسن عند بشير (جنبلاط) يطابق معهم مثل غير مشايخ فاتحد مع الامير بشير واخيهِ وذهب معهم الى بيروت مطرودين. فارسلوا اعلموا الباشا فارسل لهم عساكر كثيرة ليحاربوا اهل الجبل وصار مواقع بينهم. ولكن اذ كانوا اتحدوا مع بعضهم بقلب واحد ما قدر عليهم احد فعجز الامير من مقاومتهم. وهما بهذا الحال اذا على حين غفلة ورد امر من الباشا لقواد العساكر بان يرموا القبض على الامير بشير واخيه وجنبلاط ويحضروهم لعكا وبوصولهم وضعوهم بالسجن والجنزير بارقابهم. والعسكر قام من بيروت ووزعهُ الباشا وبطل الحرب والقتال. والعامة أقاموا حكام عليهم الامير قعدان شهاب والامير حيدر شهاب وظهروا بالمخالفة والعصيان ومسكوا مال الميري وخلافه. والباشا تركهم من بالهِ ما عاد حرَّك ساكن

ثم بهذه الاثناء حاش الباشا حاكم يافا التي تخص والدة سلطان من سلاطين العثملي. مسكهُ عسكر وهو داخل من بوابة القدس وجاؤوا بهِ لعكا مع كاتبهِ ابن جحشان نصراني وسجنهم. وكان بوقتهِ الامير بشير وجماعته محبوسين. فمضى نحو اربعين يوماً جاء مركب من اسلامبول خصوصي لكي يأخذ اغا يافا بامر الدولة. فلماً فهم الباشا ذلك ارسل بكباشي للحبس وخنق الاغا وكاتبهُ ودفنوهم في الوقت. فحينما اطلع الباشا على الاوامر أظهر غماً قدام المعتمد وقال لهُ: انني قتلتهم قبل حضورك وما ظننت ان الاغا عليهِ مال للدولة وانهُ مطلوب لاجل المحاسبة. لان

خطاب الفرمان (178٢) الى الباشا ان فلاناً متصرف في مال الميري وعليهِ دعاوي من يافا وبلغنا انك حايشه عندك فالمراد انك ترسلهُ حالاً صحبة المركب الواصل. وهذا الشرح فهو تصنُّع لان اغا يافـا من بيت مفهوم وابوه متحقق عنده احوال الباشا وغدره. فعمل هذه الحيلة لنفوده. ولكن الباشا ما عليهِ كسور. فلحظ على اللعوب وقضى مرغوبهُ. القول (يقال) ان الاغا المذكور كان يتكلم في حق الباشا ويذم من احوالهِ وقساوتهِ وظلمه الواهي. فبلغ الباشا ذلك فقاصره لحد القتل

ثم انهُ ارسل جواب للدولة وارسل مبلغ مال واكرم المعتمد ومضى الامر

ثم حين قتل الاغا المذكور كبر الوهم على الامير بشير والباقي. وفكروا انهُ يجيهم الدور. فالامير حسن وبشير جنبلاط صاروا يتباكوا وأيسوا من الحياة واما الامير بشير فهو اشجع منهم وصار يرطبهم ويسليهم. والامير حسن قصد التوبة عن عملهِ الخبيث الذي صدر منهُ حين حكومة اخيه. وعاهد الله انهُ ان طلع سالماً فيغير تلك العادات المذمومة. ثم نذر نذورات كثيرة انهُ يمتنع عن بعض مأكول ومشروب كان. ولع بهم وغير اشياء.

ثم ان الجبل بقي فالت الحكم واهله طمعانين بالامارة الذين اقاموهم. وبكل مدة يظهر مفاسد بالجبل ويقتلون بعضاً ويظلمون بعضاً وما من ينصف ولا يقاصر. فاصحاب الادراك احتاروا كيف يهمدوا هذه الشرور. وبيت جنبلاط دائماً ساعيين بالتدبير بخلاص عقيدهم (او عميدهم) بشير من حبس الجزار. ومن الشلش الذي صار بالجبل تحسَّن الراي من اصحاب الرأي انهم يعرضوا للباشا ويطلبوا الامير بشير حاكم عليهم بعد مـا اخذوا عهود ومواثيق من الامير في ابطال الحوادث والكوارث ويريحهم بكلما يكون

فالباشا اظهر رضاه واخرج الامير واخيهِ جنبلاط من السجن وخلع على الامير وطلعوا لدير القمر (178٧) بعد ما اخذ الباشا رهينة على المال ابنهِ قاسم وابراهيم ابن حسن. وارتاحت البلاد نوعاً (لهُ بقيَّة)

نظر انتقادي
في حكايات بعض شهداء الفرس

على عهد الملك شابور (٣٠٩—٣٧٩ م)

لسيادة المطران ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني

انَّ عدد الشهداء الذين قُتِلوا في سبيل الايمان المسيحي على عهد شابور الملك في زمن اضطهادهِ لنصارى مملكتهِ لا يكاد يفي بهِ احصاء. ومن جملة الذين اهتمُّوا في جمع معظم اخبارهم وتراجمهم الصحيحة مار ماروثا اسقف ميافرقين الشهير الذي اقبل مرارًا بسفارة جليلة من قبل ملوك الرومَ الى يزدجرد الاول ملك الفرس وذلك في السنة ٣٩٩ م ثم في ٤٠٨ واخيرًا سنة ٤١٨ وقد فاق هذا المؤلِف كتبة اليونان واللاتين في دقَّة وصفهِ للوقائع وفي حيادهِ عن الاطناب والمبالغة في الكلام (١ وقد طبع الاب بيجان الكلداني اللعازري كل ما وصل الينا من هذه الاخبار واستخرج كثيرًا منها من زوايا النسيان جازاه الله خيرًا

وما عدا هذه التواريخ التي كتبها ماروثا او غيرهُ من العلماء الموثوق بهم يوجد حكايات اخرى كثيرة قد طبعها ايضاً على علّاتها حضرة الاب بيجان . واشهرها حكايات گوبولاها واختهِ قازو ثم حكاية اذرپروا واختهِ ماهدوخت وبَهنام واختهِ سارا وباسوس واختهِ سوسان وحكاية مار سابا. لكن هيهات ان يكون لهذه القصص الاخيرة ما للاولى من الصحة والثقة. وقبل ان نحكم بصدق هذه الحكايات او كذبها دَعنا نذكر خلاصتها نقلًا عن كتاب حضرة الاب بيجان

كان گوبولاها (وقيل گوبرلاها) ابناً لشابور الملك ثم تنصَّر على يد دادو احد اقاربهِ. وتنصرت ايضاً معهُ اختهُ قازو. فامر الملك بقتل دادو فقُطع ارباً ارباً.

---

١) اطلب كتاب لابورت النصرانية في دولة الفرس (Labourt: *Le Christianisme dans l'Empire Perse*, p. 59)

ونكل بابنهِ گوبولاها وابنتهِ قازو تنكيلًا شديدًا رجاء ان يحملهما على نبذ ديانتهما الجديدة. وكان جهادهما في ٢٢ ايلول سنة ٣٣٢ (١

امَّا اذرپروا فكان ابن الملك بولار في ارض لورساس في بيت گرماي. وكان لهُ اخت اسمها ماهدوخت واخ اسمهُ مِهْرنرسا وكان بولار مِن نسل اريوخ الذي ذهب بصحبة كدرلاعومر لمقاتلة ملك سَدُوم في زمان ابراهيم الخليل. ولمَّا ابرز شابور الملك امرًا بقتل النصارى وذلك السنة التاسعة من ملكهِ (٣١٧ م) قبض بولار الملك على الذين في ارضهِ وساقهم الى كرخ سلوخ (كركوك) وذهب ايضاً باولادهِ الى هناك لكي يراهم مؤتمن شابور الملك. وفي رجوعهم الى ارضهم وقع مِهْرنرسا عن حصانهِ بقرب قرية احوان وانكسرت فخذه. لكنهُ شُفيَ باعجوبة صنعها مار عبدا اسقف حربات كندول فتنصَّر هو واختهُ واخوه. وللحال خطفتهم روح الرب الى كهفٍ كان بقرب القرية. فطلبهم ابوهم ولم يجد لهم اثرًا الى ان افلت ذات يوم حصانهُ فذهب عادياً الى حيث كان اذرپروا وبذلك اكتشف ابوهم على امرهم. واذ لم يقدر ان يحملهم على اعتناق ديانتهِ اخبر شابور الملك بامرهم. فحكم شابور عليهم بالقتل فاستشهدوا في ١٢ كانون الثاني سنة ٣٢٨ (٢

وهذه حكاية بهنام واختهِ سارا. كان بهنام ابن سنحاريب ملك اثور. ولهُ اخت اسمها سارا وكان جسمها مضروباً ببرص. واتفق ذات يوم ان بهنام خرج الى الصيد فاصاب أيلًا. فسار في اثرهِ الى لحف جبل القاف وهو المسمَّى اليوم بالجبل المقاوب. فصادف في الجبل مار متى احد تلاميذ مار اوجين الشهير كان هرب من اطراف آمد في اضطهاد يوليانوس الملك فاتى وسكن هناك. فتنصر بهنام على يد مار متى ثمَّ اتاه باختهِ سارا فشفاها من مرضها فاعتمدت هي ايضاً. فغضب ابوهما ونادى في المدينة بعيد للآلهة رجاء ان يجبر ولديهِ الى السجود لها. لكن القديسين هربا مع رفقتهما قاصدين مغارة مار متى ليتزوَّدا ببركتهِ قبل مماتهما. فارسل سنحاريب جندًا عليهما

---

١) راجع بيجان سيرة الشهداء والقديسين (Bedjan: *Acta Martyrum et Sanctorum*, IV 141-163)

٢) فيهِ ايضاً (Idem: *ibidem*, II, 1-39)

فقتلوهما مع جميع رفاقهما في ١٠ كانون الاوَّل سنة ٣٥٢ وبُني دير في محلّ قتلهما وهو المعروف اليوم بدير مار بهنام (١

واماَّ قصَّتا باسوس وسابا فمرتبطتان ارتباطاً وثيقاً وخلاصتهما انَّهُ لما عُقد الصلح بين يوڤيانوس ملك الروم وشابور ملك الفرس سنة ٣٦٠ وسُلّمت نصيبين بيد الفرس اقــام شابور زميسب واذورپرزگرد عاملين على بيت عربايا وكانا اخوين من قرابة الملك شابور (٢. هذا ما ورد في قصة سابا. واماَّ في حكاية باسوس فقــد ذُكر انَّ زميسب كان اخا شابور الملك وحاكماً على نصيبين وارسل من قبلهِ عاملاً على بيت عربايا وبيت زبدا رجلاً اسمهُ ابورزد (٣

فلماَّ كانت السنة ٦٧٤ لليونان (٣٦٣ م) وهي السنة ٥٣ لشابور الملك من بعد وفاة يوڤيانوس ملك الروم حمل شابور على تخوم الروم وحاصر قصر بيت زبدا وافتتحهُ وقتل فيهِ خلقاً كثيراً واجلى منهم الى ارض الاهواز نحو ٩٠٠٠ نفر (٤

فذهب زميسب بكثير منهم الى ارضهِ فبنوا فيهــا قرية. ثمّ انَّ شابور امر باولئــك النصارى ان يدينوا بدين المجوسيَّة فاذ ابوا ان يتمجَّسوا امر بقتلهم جميعاً وأُلقيت جثثُهم قدام قصر رجل من النصارى اسمهُ تاديق. لكن واحداً من الشهداء اسمهُ ايث ألاها وُجد فيهِ رمق يسير فاخذهُ تاديق الى دارهِ فعالجهُ وشفي وكان لزميسب ابن اسمهُ پير كوشنسب. فتنصَّر هذا على يد خادم لهُ يُدعى انسطاس وسمي بالعماد سابا. فأُخبر شابور الملك بتنصر ابن زميسب فغضب وامر بقتلهِ وارسل رجلاً من حاشيتهِ اسمهُ ابورزد للوقوف على اجراء امرهِ. فعَذّب سابا عذاباً شديداً ودام عذابه ٤٩٠ يوماً وقتل مع خادمه انسطاس في ٦ آب ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة. وانمَّا أُصيب قاتلهُ كوبي بداء عُضال فانتفخت ذراعاه فمات اشنع ميتة (٥

---

١) مجموع اعمال الشهداء في بيجان (Idem, *II*, 397-441)

٢) فيهِ (Idem, *IV* 223-224)

٣) في المجموع ذاتهِ (Idem, *IV*, 475)

٤) في بيجان (id. l. c., 224, 474-475)

٥) فيهِ (id. *l. c.* 222-249)

واما باسوس فكان ابن ابورزد حاكم بازبدا المارّ الذكر. وتتلمذ هو واختهُ سوسان لعبد من عبيد ابيهما اسمهُ اسطيفان. وكان نصرانياً. فذات يوم رأيا صيداً فسعيا في طلبهِ واذا بمغارة في الجبل وجدا فيهـا ناسكاً يقال لهُ لونجينا. فعمدهما. ولما عرف ذلك ابوهما اراد قتلهما. وجعل عيداً للآلهة بغيـة ان يُجبرهما على السجود لها معهُ. فهرب باسوس وسوسان وخادمهما اسطيفان قاصدين مغارة معلّمهم لونجينا لكي يأخذوا بركتهُ. لكن ابورزد تأثرهم فادركهم وقتلهم. وكان ذلك في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨ م) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك. وكان لكلّ من باسوس وسوسان من العمر اثنتا عشرة سنة

*

ترى من هذه الخلاصة ان قصص گوبولاها اذرپروا ثم بهنام وباسوس متشابهة الشبه التامّ. فان گوبولاها كان ابن الملك بولار وبهنام ابن الملك سنحاريب وباسوس ابن ابورزد حاكم بيت عربايا. وكانوا كلهم مجوساً ثم تنصّر كلّ واحد منهم مع اخت لهُ وقُتل ايضاً معها بامر ابيهِ الملك

هذا واما المشابهة الموجودة بين حكايتيْ بهنام وباسوس فاعظم من ذلك ايضاً فانّ بهنام بواسطة أيل التقى بمار متى في جبل القاف واعتمد منهُ هو واختهُ سارة. كذلك بواسطة أيل ايضاً صادف باسوس مار لونجينا في جبل راجولا واعتمد على يدهِ هو واخته سوسان. ثمَّ انَّ سنحاريب لكي يحمل ابنهُ وابنتهُ على نبذ الديانة المسيحيَّة جعل عيداً لآلهتهِ ودعا ولديهِ ليسجدا لها معهُ ولما امتنعا اراد قتلهما. كذلك ايضاً عمل ابورزد ابو باسوس وسوسان. ثمَّ انَّ بهنام وسارة لمّا رأيا ما هو عليهِ ابوهما من الغضب بادرا الى الجبل عند مار متى لكي يتبرّكا منهُ. كذلك باسوس وسوسان ايضاً تسارعا الى الجبل عند مار لونجينا لكي يأخذا بركتهُ. ثم انَّ بهنام في الطريق استشهد مع اختهِ وخدامهِ كذلك باسوس وسوسان في الطريق ايضاً قُتِلا مع خادمها. وكما بُني هيكل في محلّ استشهاد مار بهنام كذلك شُيد ايضاً دير في المكان الذي قُتل فيهِ مار باسوس

وزد على ذلك ان حكاية مار باسوس وحكاية مار سابا. فضـلاً عن علاقتهما

بعضهما هما ايضاً متعلّقـان بجهاد البازبديين المرويّة على الصورة الآتيـة: ان شابور الملك في السنة ٥٣ لملكهِ (٣٦٢) حمـل على قصر بيت زبدا وفتحهُ واجلى منهُ رجالًا ونساء نحو ٩٠٠٠ نفس وتوجه بهم الى ارض الاهواز. وكان فيما بينهم هليودوروس الاسقف ودَوْسا ويَهب الكاهنان. وتوفي هليودوروس في الطريق. وقبل وفاتهِ وضع يده على دوسا ورسمهُ اسقفاً. ولمّا بلغ الفرس بالمسبيين الى دوساخ في ارض الراديين قتـلوا منهم باغراء اذربر رئيس العمّال ٢٧٥ نفراً لامتناعهم عن السجود للشمس. واماً المسبيون الأُخر فاقاموا في القرى التي هناك. وان واحداً من المجروحين اسمهُ عبـد يشوع لم يمت من جرحهِ لانهُ كان خفيفاً فشفي وهو الذي دفن الشهداء ثم تكلّل بعد ذلك ايضاً على يد رئيس قرية هناك. فانتفخت بطن الرئيس ومات ميتة شنيعة (١

فترى انَّ ما قيل عن المسبيين البازبديين في قصتي سـابا وباسوس هو نفس ما ذُكر في جهاد هؤلاء الشهداء مع هذا الفرق ان قصة سابا تجعل استشهادهم في بيت زبدا او بيت عربايا بَيْـد ان قصتهم تروي وقوع استشهادهم في بلاد ماداي. وان اذوربرزكرد المذكور في حكاية مار سابا هو نفس اذربر رئيس العمّال الذي قتـل الشهداء المسبيين. والنبذة المسطورة عن ايث الاها في قصة مار سابا هي نفس النبذة المكتوبة عن مار عبد يشوع في جهاد المسبيين بخصوص رئيس القرية الذي قتـل عبد يشوع

فان من يعمل نظر الانتقاد في هـذه الحكايات لا يلبث ان يتأكّد ان هناك رواية واحدة تناقلها الناس فتصرّفوا فيها ورووها بتغيير بعض احوالها

ونتيجة الكلام ان في زمن الملك شابور ملك الملوك الذي حكم منذ سنة ٣٠٩ الى سنة ٣٧٩ واضطهد كلّ ايام حياتهِ النصارى الذين في مملكتهِ وقتل منهم خلقاً لا يُحصى عديدهم نال ايضاً اكليل الاستشهاد احد اولادهِ او احد اولاد الملوك الذين في حكمهِ. ثمَّ بعد مرور جيلَين فثلاثة على هـذه الحادثة نشأ عنها عدَّة تقاليد في بلدان مختلفة مع زيادات وتخيّـلات كثيرة وتبديل اسماء المواقع والاشخاص.

---

١) اعمال الشهداء لبيجان (Idem, II, 316-324)

فارادت كلّ بلدة ان تنسب هذا الشرف الى نفسها . فجعل تقليد ماداي والاهواز هذا الامير الشهيد ابناً لشابور الملك نفسهِ . وروى تقليد بيت گرماي انهُ كان ابن بولار الملك . وزعم تقليد اثور اليعقوبي انهُ كان ابن سنحاريب الملك . وجعلهُ تقليد بيت زبدا ابناً لابورزد الحاكم . فترى ان نور الحقيقة مستور في غيوم هذه التقاليد الكثيرة وان كشفها لصعب جدًّا . ومع كوني مقرًّا اني لا اتجاسر ان اتحزّب لاحد هذه التقاليد دون الآخر لا أرى بُدًّا من نفي صحّة حكايات باسوس وسابا وبهنام لما فيها من الاغلاط التاريخيَّة وذلك ان كاتب (او كاتبي) اخبار مار سابا ومار باسوس يرتكب علانية اثمًا تاريخيًّا . فانهُ يقول انَّ شابور الملك بعد وفاة يوڤيانوس (سنة ٣٦٤) افتتح بيت زبدا (١ والحالة هذه انَّ استيلاء شابور على هذه البلاد كان في سنة ٣٦٠ (٢ وجلاء اهلها الى فارس في سنة ٣٦٢ كما ترى في تاريخ سوزمين المؤرخ الكنسي وفي اعمال القديسين نفسها (٣ اى قبل جلوس يوبنيانوس على سرير مملكة الروم . وقال ايضاً كاتب قصة مار باسوس (٣ انَّ هذا القديس نال اكليل الاستشهاد في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك . وكل يعلم ان شابور الملك لم يملك سوى سبعين سنة وتوفي سنة ٣٧٩ اي تسع سنين قبل استشهاد باسوس ثم ان ابوزرد المرسل من قبل شابور الملك لكي يقتل مار سابا ابن زميسب هو ابو باسوس وسوسان . ومما يوجب الاستغراب ايضاً انَّ كلًّا من سابا وباسوس وسوسان كان لهُ اثنتا عشرة سنة حين نوالهِ اكليل الاستشهاد

هذا وانَّ التناقضات التاريخيَّة التي في قصة بهنام لأوفر ايضاً وافظع فترى (اوّلًا) كاتب القصة يقول انَّ هذا القديس تنصَّر سنة ٣٥٢ على يد مار متى ونال اكليل الاستشهاد بينما هو يزعم انَّ متى في زمان يوليانوس (٣٦٠ — ٣٦٣) اتى من آمد وسكن في اثور اي عشرة سنين بعد قتل مار بهنام . (ثانياً) انَّ القصة تجعل سنحاريب الملك متسلطاً على كل مملكة فارس (ܡܠܟܐ ܚܣܝܢܐ ܐܢܫܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܦܪܣܝܐ) (٤ فترى من هو سنحاريب هذا ملك

(١) بيجان (Idem IV '224)
(٢) فيهِ (Idem II, 316) وتاريخ سوزومين (ك ٢ عدد ١٣)
(٣) بيجان (Idem IV, 474) (٤) بيجان (Idem II, 405)

الفرس ؟. (ثالثاً) ان سنحاريب الملك كان جالساً في مدينة اثور ويعلمنا التاريخ انّ هذه المدينة كانت خربة ستمائة سنة قبل المسيح. (رابعاً) لا ذكر ابداً في القصة عن اضطهاد شابور الملك للنصارى ولا عن ديانة الفرس ولا عن عوائدهم بل يمثّل الامور على عكس ذلك كانّ النصارى كانوا في ذلك الوقت راتعين في الراحة في مملكة الفرس (١ . والظاهر انّ كاتب القصة كان يعقوبي النحلة وعاش بعد الجيل السادس وان زكّى الذي خلف مار متى في رياسة الدير (٥ هو نفس زكى الذي بواسطة جبرائيل السنجاري المعاصر لمار سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤) ضبط هذا دير مار متى من النساطرة (٢

فيُستنتج ممّا سبق ان اخبار هؤلاء الشهداء مصبوغة غالباً فلا يجوز لذوي البصيرة ان يركنوا اليها دون ميزة وتروٍّ

ومنها يلوح ايضاً ضرورة الانتقاد في رواية قصص القديسين والشهداء كما يفعل الآباء البولنديّون في مجموعهم الشهير اعمال القديسين (Acta Sanctorum) فانّهم اذا نقلوا خبرًا ما قدّموا عليهِ المقدّمات وسبروا غورهُ وميزوا غثّهُ من سمينهِ وعرضوهُ على محكّ البحث العلمي الصحيح لئلّا يعيرهُ العموم بالًا فينشروا الروايات الخياليّة وينزلوها منزلة التاريخ الصادق والسلام

تاريخ قصر الحَضْر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

لا مراء بانّ قرّاءنا الكرام يُسرُّون لعلمهم بما اجراهُ المهندسون الالمان من الحفريّات في قلعة شرقاط حيث كانت حاضرة اشور القديمة. وقد تمكنوا من درس آثار مدينة أُخرى عظيمة موقعها على مسافة ٥٠ كيلومترًا من اشور في شماليها الغربيّ ألا وهي مدينة الحضر الشهيرة حيث اخذوا رسوماً شتى تثبت خطر تلك العاصمة

١) في اعمال الشهداء لبيجان (Idem II . 400 et 430)

٢) راجع ترجمة مار عبدا

التي ليس في شرقنـا العزيز بعد بعلبك وتدمر ما يشبهها هندسةً ورونقاً . وكان الاثريون كروس (Ross) وأينسورث (Ainsworth) منذ اوائل القرن التاسع عشر تفقَّدوا بقايا تلك المدينة لكنَّ الاحوال لم تسمح لهم بدرسها ووصفها لوقوعها في صحاري مقفرة يسرح فيهـا شذَّاذ عرب البادية وتشتدُّ عليها صيفاً حمارَّة القيظ وشتاء قرسُ البرد

وقد توفَّقت البعثة الالمانيَّة المرخَّصة بحفريات اشور الى سدّ هذه الثلمة وعادوا غير مرَّة الى الحضر فبحثوا عن آثارها في السنتين ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ثم نشروا سنة ١٩٠٨ كتاباً اول في تعريف مدينة الحضر اجمالًا (١ ثمَّ عادوا اليها سبع مرَّات أُخرى من كانون الاول السنة ١٩٠٧ الى آذار ١٩١١ فتجوَّلوا فيها مليًّا بضعة ايَّام وكان في صحبتهم مرَّةً الفيلق المرسل لمحـاربة عرب شمَّر . فكانت نتيجة هذه الزيارات تتمَّة وصف الحضر في كتاب جديد أنجزوهُ آخرًا (٢

وهذا لباب الكتابين: كانت الحضر مدينةً حصينة لم يستطع فتحها القيصران طرايان سنة ١١٧ للمسيح وسپتيميوس ساويرس سنة ٢٠٠ — ٢٠١ وكانت هـذه المدينة مبنيةً كغيرها من مدن الشرق على شكل بيضويّ يزيد قطبهُ الطويل على كيلومترين . وكان يحيط بالبلد سور منيع فيهِ المداخل الكبيرة والدعائم المتينة امَّا المدينة فكانت حسنت البناء فيها الطرق الرحبة والشوارع والساحات والمدافن والهياكل ولاسيا القصر الملكي الذي كان موقعهُ على التقريب في الوسط . وكان للمدينة فضلًا عن سورها سور آخر يطيف بها ويبعد عن السور الداخلي نحو ٤٠٠ متر مبنيًّا على شكلهِ . فكان مجمل مدينة الحضر يأخذ بمجامع القلب بحسنهِ وحصانتهِ

وقد وجَّهت البعثة الالمانيَّة معظم اهتمامها الى درس آثار البلاط الملكي وكان مبنيًّا على شكل مربَّع مستطيل واجهتهُ من الشرق الى الغرب طولهُ ٤٥٠ مترًا في عرض نحو ٣٢٠ م . وكان البنـاء يتألَّف من قسمين اكبر فاصغر . فالقسم الأكبر كان

---

١) اطلب (W. ANDRAE: HATRA, I Teil. Allgemeine Beschreibung d. Ruinen. (Hinrichs) 1908 .DOG .Veroeffentlich. d .Wissenschaftl 9)

٢) ظهر مع هذا العنوان: (HATRA, II Teil. Einzelbeschreibung der Ruinen. 21 Wissensch. Veroeff. d. DOG, 1912)

يتركَّب من باحة كبيرة يُدخل اليها من باب فخيم شرقاً امامهُ من الخارج مذبح كبير. امَّا القسم الصغير فكان يفصلهُ عن القسم السابق حائط وابنية شتى وفيهِ قصران قصر عظيم كان يسكنهُ عادة الملك ثم قصر صغير يرجَّح انهُ كان يقضي فيهِ فصل الصيف. وكان هناك ايضاً بركتان كبيرتان ومبانٍ اخرى وكان للقصر الكبير واجهة بديعة تمتدُّ على طول مئة متر وفيها سبعة مداخل مقوَّسة الشكل جليلة تزينها التماثيل التامَّة او النصفيَّة بارزةً. وكان داخل البلاط مقسماً الى اربعة اقسام واسعة. وكان خلف هذا القصر بناء آخر مربَّع يرجّحون كونهُ هيكلاً لإلهم الشمس. هذا الى ابنية أُخرى لا يسعنا وصفها ونحيل القرَّاء الى نظر اوصافها وتصاويرها الشمسيَّة في كتابي البعثة الالمانيَّة

وانَّما نقصر الآن كلامنا على الكتابات التي وجدوها هنالك لعظم شأنها. وهذه الكتابات نُشرت دون شرح والظاهر انَّ اصحاب البعثة الالمانيَّة ليسوا من الاختصاصيين القديرين على قراءة مثل هذه الكتابات ومن المحتمل انهم عرضوها على بعض علماء المانية الذين لم يحسنوا تفسيرها ولعلَّ عذرهم انَّ صور هذه الكتابات ورسومها المأخوذة عنها قليلة الوضوح سيئة التصوير بحيث يصعب ادراكها. على انَّهم لو اجهدوا انفسهم واطالوا النظر فيها لامكنهم ان يفكّوا بعض اسرارها. فسدًّا لهذا الخلل كتبتُ هذه العُجالة بعد وصول الجلد الثاني الى كليتنا في اواسط هذا الشهر حزيران لا سيما اذ قرأنا في مقدّمتهِ انَّ اهل البعثة يقدّرون كون ابنية ذلك القصر راقية الى الدولة الرومانية وانَّ الكتابات لو قُرئت كشفت عن قناع هذه الحقيقة

فدعنا ننظر ما تفيدنا الكتابات لادراك هذه الغاية فنقول انَّ بين تلك الكتابات ما يسهل شرحهُ ومنها ما لم يبقَ منهُ سوى بعض حروفهِ ونحن نباشر بتفسير الكتابة الكبرى التي تُرى على واجهة البلاط عند باب الايوان الشمالي حيث يوجد بقايا مركزين لتمثالين كانا قديماً منتصبين عليهما. امَّا الكتابة فآراميَّة شبيهة بكتابة نقود الدولة الارشكيَّة مع بعض الامتيازات الخاصَّة بها كما سترى. وهذه صورة الكتابة بالحرف العبراني مع شرحها بالعربية

١ דח צלמא די כפריחב בר נוהרא

٢ בר סנטרוק מלכא די אקים

٣ לה מזי .... [נ]חירתא על חיא

٤ סנטרוק מלכא ועל חיא .. דנ . ף

١ هذا تمثال كفريحب بن نوهرا
٢ بن سنطروق الملك الذي اقامهُ
٣ لهُ م زي . . الماجدة لسلام
٤ سنطروق الملك ولسلام . . دن . ف

كلُّ ما نقلتُهُ وفسَّرتهُ هنا موافق للاصل كما يلوح من صور الكتابات الشمسية ورسومها اليدويَّة والحجريَّة المطبوعة في كتاب البعثة الالمانيَّة مع الدلالة بخُطَيط تحت الاحرف المشتبه بها. امَّا الباقي الذي لم ادوّنهُ هنا فانَّ صورهُ الشمسية ورسومهُ المختلفة غير واضحة وهي تختلف بينها بعض الاختلاف

فيستفاد من هذه الكتابة ان باب هذا الايوان قد بُني على عهد الملك سنطروق اكراماً لحفيدهِ كفريهب بن نوهرا (١). فمن هو يا تُرى هــذا الملك سنطروق ومتى عاش ؟ امَّا الكتابة فلا تروي تاريخ زمانهِ وسنسعى بُعَيد هذا بتعريفهِ

يتَّضح من العمود السادس في جدولنا للاقلام الآرامية انَّ الكتابة آرامية ممتازة ببعض خواصّ منها ان حرف « ي » على عكس صورتهِ في بقية الكتابات الارامية الَّا المندائية التي فيها صورة الياء كصورة كتابتنا — وحرف « س » الشبيه بحرف « ت » ورد في هذه الصورة نفسها في الكتابات البهلويَّة القديمة ولولا تلك الآثار البهلوية لما استطعتُ ان احلَّ رمزها وأستخلص منها اسم الملك » سنطروق » — ثم انَّ صورة الحرف « ه » في كتابتنا فريدة في بابها وظننتها باديْ بدء حاء او الفاً لكنَّ لهــذا الحرف الاخير صورةً معلومةً وردت في آثار سبقت المسيح قرنين او ثلاثة قرون — واغرب منها حرف « ف » على صورة مثلَّث ورد في الكتابات النقوديَّة. امَّا بقية الحروف فلا إشكال في قراءتها الَّا حرف ص الشبيه بصورتهِ القديمة لكني لم اتحقّق

---

١) حروف هذا الاسم غير واضحة ومن الممكن ان يُقرأ العَلَم (חולדא) من اصل شبه « خُلْد » النبطيَّة او « חלדא » التدمريَّة و « خالد » العربيَّة

شكلهُ مضبوطاً لصغر الصورة الشمسيَّة ولعدَم وضوح الرسم الحجري المنقول على الورق. وعلى كل حال لا مراء في القول بانَّ الكتابة آراميَّة مع ما فيها من الخواص المتقاربة لعهد الدولة الساسانيَّة (طالع الجدول)

دعنا الآن نذكر بقيَّة الكتابات . واوَّل ما يلوح امامنا قريباً من الكتابة الكبيرة السابق وصفها كتابةٌ رُقمت على حجر آخر بين مقام التمثالين تحتوي على سطرين كاد يندثر رسمهما والمرَّجح انَّ هناك اسم المهندس او النقَّاش الذي اصطنع التمثالين. وهذا ما بقي من الكتابة :

(الكتابة الثانية)

١ דכ[יר] · ב · נ · · סדיריה

٢ לטב מרת בר מרון

١ ليُذكَر. ب. ن. . س ك ي د ي ه

٢ للخير (او لخير) مُرَّة بن مَرون (او مروان)

السطر الاوَّل لا يمكن قراءَتهُ. ولعلَّ آخر كلمة فيهِ « يَداهُ » ثمَّ يتبعهُ السطر الثاني بادئاً بكلمة دعاء كأنَّهُ يقول: بارك الله يدي المهندس او النقَّاش مرَّة بن مارون او مروان

(الكتابة الثالثة) اطول من الاولى موقعها عند باب حجرة قريبة من المدخل المذكور في واجهة القصر الَّا انها عالية جدًّا . وهي ايضاً على قسمين قسم ممحوّ ومندثر وقسم واضح. فالقسم الاوَّل عليهِ كتابة في ستة اسطر . والقسم الثاني مرقوم على حجر منفرد ليس عليهِ سوى سطر واحد . وتحت الكتابتين بسافَين مركز متهدّم لمقام تمثال وهذا ما يستخلص من الكتابة الاولى:

١ . . . . כמרינכ . . .

٢ . . . . יבאנ . .

٣ . . . . דאכולהדר

٤ . . . . ולאקרביכול·

٥ דמחיל [חיא] . . . . מן די רחים

٦ די לטבא . . . . חרימזדך

١ في هذا السطر نقرأ كلمة כמרין اي كَهَنَة

٢ السطر الثاني لا يستخرج منهُ معنًى

٣ قبل آخر كلمة هي « كلّه » ثم « الذي »

٤ لا يتّضح معنى من هذا السطر ولعلّ في آخره حرفًا محوًّا فلو افترضنا ان هذا الحرف الف وانَّ الحرف السابق للحرفين الاخيرين هو « ن » لا « ك » وجدنا هذه العبارة « لا مقرّبين ولا »

٥ الكلمتان יגד חדא حدس وتخمين . اما آخر السطر فواضح ويتّصل بهِ السطر السادس فيمكن ان يُقرأ معهُ هكذا « الذي يحب الذي للخير »

٦ بقيّة هذا السطر حروفهُ واضحة ولعلّ معنى الكلمتين الاخريين « القائد مزدك » فان חדר تشبه السريانيّة ܗܕܝܐ اي الدليل والقائد

فهذه الكتابة كما ترى ليست بمقروءة وانّما يرجّح انّها كانت تتضمّن ذكر تمثال نُصب لاحد الوجوه ولعلَّ الناصبين هم سَدَنةُ الهيكل والشخص المكرَّم هو القائد مزدك

(الكتابة الرابعة) هي القسم الثاني من السابقة ممتازة عنها وشبيهة بالكتابة الثانية وهذه صورتها

דכיר עבדאלהא ת

ليُذْكر عبد الله ت

آخر الكتابة « ت » والممكن انهُ « س » وليس بعدهُ شيء آخر ولعلّ الحرف مقطوع عن كلمة تدلّ على نسبة النقّاش « عبدالله » او يكون هذا الحرف منوطاً بكتابة اخرى على حجر قريب من هذا الحجر لكنها مطموسة بالتمام

(الكتابة الخامسة) هذه الكتابة تكرَّرت مرارًا على حجارة القصر وهي جليّة واضحة فيها كما هو المرجّح اسم متولي البناء

ורוד מרוא

ورود مروا

وفي احدى هذه الكتابات أُلحق بالاسم حرف شبيه بحرف « ه » القديمة وعلى رأينا انّها علامة من علامات البنائين . لانَّ هذا الحرف ورد مرّة وحدهُ دون الاسم .

وقد وجد الالمان علامات أُخرى غير هذه في هـذا القصر وكلُّها اصطلاحات للبنائين كما هو جارٍ في كل البلاد وكل الازمنة (١

وبديهيّ ان اسم « ورود » من الاسماء الايرانيَّة المعروفة. امَّا « مروا » فظننتهُ اولًا מריא (مَرْيا) الموافقة للسريانيَّة ܡܪܝܐ اي ربّ الَّا انَّ حرف « ي » في كتابات الحضرْ معكوسة الشكل فينبغي قراءتها « مروا » ويشبهها في السريانيَّة اسم ܡܪܘܐ ويجوز ان تُقرأ ايضاً « مدوا » بالدال لتشابه حرفي ר و ד في هذه الكتابات وجاء مثلهُ في التواريخ اليونانيَّة Μάδυις

(الكتابة السادسة) هي في القصر عينـهِ فوق باب داخلي مع الكتابتين التاليتين كانت مطليَّة بالحمرة فيصعب قراءتها. فهذه صورة الواحدة

١ דכיר בר פזל

٢ ל בר נלו ·

١ ليُذْكر ابن فزل

٢ بن نلو.

الحرف الاخير غير واضح. واسم فزل معروف ورد سابقاً في كتابـة تدمريَّة (cfr. M FO. t. IV. 756) امَّا اسم العلم الاخير فغير اكيد

(الكتابتان السابعة والثامنة) قلنا الكتابتان لانَّهُ محتمل ان السطر الثاني كتابة مستقلَّة وهما

דכיר רבן בר סין בר בלבז

ليُذكر ربان بن سين بن بلبز

ורד תמרן

ورد تمران

الكتابة الثانية صعبة القراءة ويمكن ايرادها على صورة اخرى اعني « وردت مران » او « سمان » وكلها اسماء ايرانيَّة

---

١) قد رسم اينسورث الانكليزي المذكور في بدء هـذه المجالة معظم تلك العلامات فنشرها في مجلة العاديات الكتابية (Proceedings of the Society of biblical Archaeology, 1892, p. 256)

والكتابات السابقة (اي ٦ و ٧ و ٨ كلها بخطّ يناسب الخطّ البهلوي الشائع في عهد دولة بني ساسان لكنهُ مع ذلك لهُ علاقة وثيقة مع خطوط كتابات الحضر السابق وصفها

وفي جدول الحروف الارامية التي اثبتناها مع المقالة عمود خاصّ بكلّ حروف كتابات الحضر

(الكتابة التاسعة) وقد بقي علينا ذكر كتابة أخرى حروفها غاية في الضبط والاتّساق حيث ورد الحرفان « ي , و » قائمين ومتشابهي الصورة وقراءتها واضحة

דכיר מקימו
ليذكر مقيمو

فالعلم « مقيمو » شائع في الكتابات التدمرية . هذا واضرب صفحاً عن كتابتين أخريين طُمست صورتهما فلا يمكن حلّ رموزهما

هذا ما جمعهُ الالمان من كتابات الحضر . ولا شكّ انهم لم ينقلوها كلها والدليل على ذلك انّ المسيو جاكيره (Mr Jacquerez, R. A., 1897, II, 351) المهندس الذي وُجد في الموصل سنة ١٨٩٧ كان نشر كتابةً اخرى وجدها في اعلى احد ابواب القصر الداخلية ولم يُحسن رسمها ولذا لا نقدر على قراءتها . وكذلك المسيو فوسة (M. Fossey) كان اخذ صورة كتابتين اخريين نشرهما المسيو هالوي (J. Halévy, *Rev. Sémit.* 1902, p. 192) دون رسمهما فالثانية منهما هي هي الكتابة الاولى التي شرحناها في مقالتنا وقد شرحها هو شرحاً مغلوطاً فقرأ الكلمتين סנטרוק מלכא (سنطروق الملك) على هذه الصورة « חוטריא מלדא » اي « حوطريا (ابن) ملدا » وهو تصحيف واضح

*

ولا شكّ انّ القارئ يسألنا ومن هو هذا « سنطروق الملك » فنجيب انّ هذا الاسم أطلق على كثيرين . واليونان يكتبونهُ غالباً على هذه الصورة Σι(α)νατρούκης اما السريان فكتبوهُ ܣܢܛܪܘܩ واختصروهُ بحذف آخره فقالوا ܣܢܛܪܘ . والظاهر انّ عرب الجاهلية في شعرهم اشتقّوا اسمهُ من السريانيّة

وقلبوا مكان النون للقافية فقالوا « ساطرون » ولعلّهم قرأوا الاسم بالحرف الكوفي فقرأوا « ساطرون » بدلاً من سناطروق او سنطروق وفي كتابة الاسمين بالكوفي تشابه كبير. ومما لا ينكر انّ الاسمين لمسمّى واحد. قال ابو دؤاد الايادي

اين ذو التاج والسرير قباذٌ خبّنتهُ فباد احدى الجنونِ
ولقد عاش آمنًا للدواهي ذا عتادٍ وجوهرٍ مخزونِ
وارى الموت قد تولى من الحضر على ربّ اهلهِ الساطرونِ (١

وما لا شبهة فيهِ ان « ساطرون » العرب هو هو « سنطروق » السريان واليونان

واوّل من عُرف بهذا الاسم كان من ملوك الدولة الارشكيَّة ويؤخذ من نقودهِ المضروبة باسمهِ على رأي الاثريين الجدد انَّهُ ملك بين ٧٧ الى ٧٠ قبل المسيح (٢. ومما يُخبر عنهُ انَّهُ جلس على سدَّة الملك وعمرهُ ٨٠ سنة بعد ان عاش مدَّة في اقطار الاسقيثيين وملك سبع سنوات وكان مقيماً في بلاد فاه او ماداي

وذكر السريان في اقاصيصهم رجلًا آخر باسم سنطروق زعموا انهُ كان ابًا لاحد المجوس الذين قدموا ليسجدوا للطفل يسوع المولود في بيت لحم (٣

وعُرف سنطروق ثالث تملّك على حادياب بين السنة ٩١ و ١٠٩ للمسيح. ومما يُروى عنهُ انهُ قتل الرسولين تادّاوس وبرتلماوس. ومن المرجَّح انهُ استولى على بلاد الرها وسكن في نصيبين المعدودة وقتئذٍ من مملكة حادياب (٤

---

١) هكذا وردت الابيات في حماسة البحتري (éd. Cheikho, p 87 et XXXII) ورُوي البيت الاخير لعديّ بن زيد على هذه الصورة :

وارى الموت قد تدلى من الحضر م على ربّ ملكهِ الساطرونِ

٢) اطلب مصكوكات ملوك الفرس (W. Wroth: *Catalogue of the Coins of Parthia* (1903) p. XXXI)

٣) المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ٣١٦) وكتاب النحلة (Budge: *The book of the bee*, p. 84). وقد ورد الاسم هناك في بعض النسخ مصحَّفًا « بسيطروق وسيطروج » ܣܝܛܪܘܩ و ܣܝܛܪܘܓ

٤) اطلب غوتشميد في تاريخ مملكة الرها (Gutschmid: *Untersuchungen über d. Gesch. d. Konigreichs Osroëne*, p. 27) .

وروى السريان انَّ ملكاً جبَّارًا (ܓܢܒܪܐ) يدعى سنطروق بنى مدينة الحضر التي نحن في صددها (١ واذ وجدت مدن اخرى بهذا الاسم (٢ دُعيت هكذا تمييزًا لها « حضر سنطروق » (ܚܛܪܐ ܕܣܢܛܪܘܩ) فسنطروق هـذا صاحب الحضر هو الذي عرفهُ العرب ورووا عنهُ الروايات العجيبة (٣ والخرافات المنقولة عن روايات شتى قديمة وحديثة لم يقدروا على تمييز غثّها من سمينها

وعاش في عهد القيصر طرايان سنطروق خامس لم تطل مدَّتهُ ذكرهُ المؤرخ مالالا (Malala, P. G. t. 97 , 270) وروى ان الامبراطور ترايان مشى لمحاربتهِ في السنة ١١٦ م فغلبهُ لخيانة اصحابهِ فمات في تلك السنة

وملك على البحرين سنطروق سادس في زمن الملك اردشير الاول . هـذا الى بعض من سُمّي بسنطروق ممن لا علاقة لهم مع الحضر (٤

فترى ايُّ ملك من هؤلاء هو المذكور في كتابة الحضر التي قدَّمناها على سواها . لا ريب انهُ ليس بالسادس ولا الخامس ولا بابي احد المجوس الذي سـار الى بيت لحم للسُجود للطفـل الالهي . فبقي ثلاثة اي الاوَّل والثالث والرابع فامَّا الرابع المعروف بالجبَّار فلا نعرف من امرهِ شيئاً سوى انَّ العرب دعوهُ بالساطرون ونسبوا اليهِ تشييد مدينة الحضر (٥ وعلى الاقلّ تزيينها بالمباني الجليـلة وتحصينها

---

١) اطلب معجم بر بهلول ܚܛܪܐ Bar Bahlul, *éd. Duval.* s. v.

٢) الحَضَر في العربيَّة خلاف البدو . والسريان كانوا يكتبون هـذا ܚܛܪܐ وفي بعض الاحيان ܚܬܪܐ . وربَّما كتبوهُ بالجمع ܚܛܪ̈ܐ فنقلهُ المؤرخ اريان على صورة Ἄτραι

٣) اطلب شيئاً من ذلك في كتاب الطبري لنلدك (Noeldeke, *Tabari*, p. 34 seq.)

٤) اطلب كتاب الاعلام الايرانيَّة (F. Justi, *Iranisches Namenbuch*, *p. 282-283*)

٥) لا يُعرف زمن بناء الحضر والحفريَّات التي اجروها هناك ليست بكافية للدلالة على تاريخها وما لا يُنكر انَّ مدينة كهذه كثيرة المباني ذات اسوار وقصور لم تُشيَّد دفعةً واحدة بل نستطيع ان نؤكد انَّها وُجدت قبل المسيح بقرون عديدة فكانت لحسن موقعها بين دجلة والفرات محطًّا للقفول المارَّة فيها كما كانت تدمر مقاماً وسطًا لتجارة الشام وما بين النهرين والعرب . وعلى رأي حضرة الاب شيل (Annales de Tukulti-Ninip II, p. 34) انَّ الحَضَر بُنيت على عهد تغلتفلاصر في اواسط القرن الثامن قبل المسيح . وفي بعض روايات العرب ما يشير الى قدمها . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٨٤) : « يقال انَّ الحضر بناه

بالحصون المنيعة التي جعلتها من اقوى المُدن واحرزها حتى في وجه الرومان. وجاء في روايات العرب ان الساطرون المذكور كان على عهد سابور الاوّل وذلك في اواسط القرن الثالث. لكنّ تحصينات المدينة كانت سبقت هذا العهد ولولاها لما امكن اهلها ان يردُّوا مرّتين غارات الرومان في أيّام الامبراطورين طرايان سنة ١١٧ ثمّ سپتيميوس ساويرس سنة ٢٠١. ومن ثمّ لا بُدّ من القول انّ باني المدينة او بالحري مزيّنها سبق زمن سابور بمدّة طويلة (١

فبعد هذه الملحوظات لم يبقَ لنا الآن إلّا ان نختار احد الملكين المدعوين بسنطروق اي سنطروق الملك الارشكيّ الذي عاش من السنة ٧٧ الى ٧٠ قبل المسيح او سنطروق ملك حادياب من سنة ٩١ الى ١٠٩ بعد المسيح

ولا نظنّ انّ المراد بسنطروق هو الملك السابق للمسيح لأنّنا كما قلنا لم يملك الّا في سنّ الثمانين بعد المنفى الطويل فلا يقبل العقل انّهُ فكَّر في اواخر عمرهِ ان يحصن مدينتهُ بتحصينات عظيمة ويزينها بالقصور الشاهقة والاغلب انهُ لم يوجه اهتمامهِ الى هذه الاصقاع من مملكتهِ. ولنا دليل آخر على انّ سنطروق هذا هو غير المقصود بالكتابة لان هندسة ابنية الحضر ونقوشهُ تدلّ على زمن اقرب الينا من زمانهِ كما اشار اليهِ المهندسون الالمان الذين ارتأوا انّ هذه الآثار من عهد الرومان بعد المسيح

وعليهِ لم يبقَ الّا القول بانّ سنطروق المرويّ اسمهُ في الكتابة انّما هو الذي عيّنا ملكهُ من السنة ٩١ الى ١٠٩ للمسيح المالك على بلاد الرها وحادياب. امّا

الساطرون بن اسطيرون الجرمقي وانهُ غزا بني اسرائيل في اربعمائة الف فدعا عليهِ ارميا النبي عم فهلك هو وجميع اصحابهِ الخ ». فهذه الرواية مع غرابتها تُشير الى معتقد العرب بقدم الحضر

١) والعرب كثيرًا ما يدعون الساطرون باسم الضيزن وعلى رأينا انّهُ لا يمكن توحيدهما. فان كان الضيزن قد وُجد حقيقةً فلا بُدّ من القول انهُ كان غير الساطرون. والمرجَّح انّ الضيزن كان عربيّ الاصل كما ذكر هشام بن الكلبيّ في تاريخ الطبريّ فعاش في ايام سابور ونسب اليهِ العرب آثر سنطروق او ساطرون سلفهِ وقد ميّز البكري في معجم ما استعجم (éd. Wüstenfeld, p. 17) بين الضيزن والساطرون قال: « هزمهم (اي العباد) سابور فسار معظمهم ومن فيهِ نحوض الى الحَضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخيّ حتى نزلوا الحضر وهو بناء بناهُ الساطرون الجرمقانيّ فاقاموا بهِ مع الزبّاء الخ »

اخبارهُ فورد منها شيء قليل في تواريخ الارمن لجاء هناك انَّهُ ابن اخت ملك الرها الابجر المعروف باوخاما اي الاسود المتوفَّى نحو السنة خمسين للمسيح. ومن ثمَّ يرجح انَّ اصلهُ كان آراميًا فيكون اتَّخذ اسم سنطروق العجمي عند جلوسهِ على عرش مملكة الحَضر. والظاهر انَّهُ اصاب بعض الشهرة بدليل نسبة استشهاد الرسولين تدَّاوس وبرتلماوس اليهِ. وكان ملكهُ على بلاد آراميَّة محضة. ويؤيد قولنا في اصلهِ الآرامي ان مؤرخي العهد الروماني لم يذكروا الَّا ملكًا واحدًا على الحَضر انتصر لفشِنيوس نيجر لمَّا عصى على الامبراطور سبتيموس ساويرس السنة ٢٠٠ م وهم يدعون هذا الملك باسم آرامي بَرسيميا (Βαρσημίας) (١

ولنا تأييد آخر ادلّ واقرب وذلك بورود اسم ابن سنطروق وحفيدهِ في كتابتنا وكلاهما آرامي. ومن هذا يلوح انَّ الملوك الذين تولَّوا على الحضر كانوا من دولة واحدة. ثمَّ انَّ مدَّة ملك سنطروق هذا كافية لبناء قصر الحَضر اذ ملك ١٨ سنة كما قلنا وليس بمستبعد انهُ سكنهُ زمنًا بذاتهِ ومن الممكن ايضًا انَّ ملوك الرها زاحموهُ فألجأوه ان يخرج من نصيبين فسكن مدينة محصَّنة كالحضر مع ما كان يتهدَّدهُ من غارات الرومان في ذلك الوقت وهم يترصَّدون مملكة الارشكيين المتداعية. فلذلك فضَّل ان يسكن في وسط مملكتهِ بعيدًا عن قلاقل مملكة الفرس وعن حملات الرومان فوطَّد كرسيهُ في الحضر وخلفهُ لاولادهِ من بعدهِ. وكأنَّ كتبة السريان بنسبتهم مدينة الحضر اليهِ (ܡܠܟܐ ܕܣܢܛܪܘܩ) اثبتوا كتابتنا الى هذا الملك دون غيرهِ كما اشاروا الى نسبة استشهاد الرسولين تدَّاوس وبرتلماوس على يدهِ ومهدوا الطريق لاقوال العرب في الساطرون

وممَّا يزيد ملحوظاتنا قوَّةً امران آخران: الاوَّل انَّنا بنسبتنا بناء قصر الحَضر

(١) ظنَّ العلَّامة نلدك (Noeldeke, *Tabari*, p. 35) انَّ هذا الاسم هو شبيه باسم ܒܪ ܣܡܝܐ المذكور في كتاب تعليم اديّ (Cureton, *Anc. Doc.* p. 14, 63 seq) وان معناهُ « ابن الاعمى » الَّا ان هذا الاشتقاق ليس باكيد والارجح انَّ اشتقاقهُ من بَرْ سيمي (Sîmî) اي ابن الالهة سيمي. راجع ما كتبناهُ سابقًا في ذلك (Rev. Arch. 1903, II, p. 32 seq) وقد وجد اصحاب البعثة الاميركية في انحاء الشام مرَّتين هذا الاسم على صورة (Βασσίμας و βαρσῆμος) اطلب كتاب آثارهم (Americ. Expedit. to Syria, III, n^os 263, 310)

جدول

لمقابلة قلم كتابات الحضر مع الاقلام الآرامية المشابهة لها (ص ٥٢٢

الحرف
ا
ب
ج
د
ه
و
ز
ح
ط
ي
ك
ل
م
ن
س
ع
ف
ص
ق
ر
ش
ت

١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤



رسم مدينة الحضر

وتحصينات المدينة لسنطروق المذكور نبين بوجه اقرب الى الصواب كيف امكن هذه المدينة ان تقوم في وجه الامبراطور طرايان بعد وفاته بسنين قليلة. والثاني (ولعلَّهُ دليل اثبت واقنع) صورة الكتابة الآراميَّة التي لا تُشبه كتابة النقود السابقة لعهد المسيح بل هي اقرب عهدًا ومع ذلك تجدها مختلفة عن القلم البهلوي الذي شاع على نقود آخر ملوك بني ارشك. وبياناً لذلك رسمنا جدول الاقلام الآراميَّة

فلا يبقى الَّا دليل الهندسة ونقوش الحضر فانَّ الالمان ارتأوا انَّ اصلها راقٍ الى القرن الثاني او الثالث للمسيح. لكنَّ تردُّدهم في حكمهم يضعف حجَّتهم ويبين انَّهم لا يفصلون الامر فصلًا تامًّا . وعلى رأينا انَّ في طرز ابنية الحضر ما يثبت كونها اقدم من القرن الثالث لما فيها من المسحة اليونانيَّة الظاهرة وان كانت تلك المسحة ممترجة فيها شيء من الرسوم المستحدثة ولكن ترى هناك من النقوش ما لا تراهُ لا في آثار بعلبك ولا في تدمر. ولو سمح لي المقام لاتَّسعت في ذلك. على اني لا اشك في قولي ولو درس الالمان تلك الهندسة واستضاؤوا بانوار التاريخ وبفحص الكتابات كما فعلنا لحكموا معنا بانَّهُ لا مانع من ترقية عهد قصر الحضر الى اوائل القرن الثاني

وهنا نمسك عنان القلم لئلَّا يتجاوز كلامنا حدود العجالة التي قصدناها. وقد ذكَّرتنا مدينة الحَضر مدينة أخرى اي تدمر اتَّسعنا سابقاً في وصفها (اطلب السنة الاولى للمشرق) ووصف ملكتها زينب او الزبَّاء فانَّ بين المدينتين شبهاً كبيرًا (١ اذ انَّ موقع كلتيهما على حدود البرّيَّة وتحصنت كلتاهما مدَّة فقامتا في وجه الرومان ولم يلبث ان حُجب نورهما وتوارى مجدهما (٢ فتناولتهما الالسنة وبنت عليهما الروايات الخياليَّة وضُربت فيهما الامثال ولله وحدهُ البقاء

بيروت في ١٣ حزيران ١٩١٢

١) من اراد تاريخًا حسنًا لمدينة الحضر يجدهُ في الدائرة الالمانية (Pauly-Wissowa, Realencyklopaedie) وهذه المقالة للاثري الشهير ستريك (M. Streck)

٢) يستفاد من التاريخ انَّ مدينة الحضر كانت اصبحت خرابًا منذ عهد القيصر يوفيان سنة ٣٦٣ م

شرح الجداول حسب الاعداد المرقومة في اسفلها

١ شكل حروف كتابات أَرَبْسون (او أرابسون) في الاناضول قريباً من مدينة قيصريَّة راقية الى القرن الثالث او الثاني قبل المسيح
٢ شكل حروف النقود المكتشفة في برسيبوليس من القرن الثاني والاوَّل قبل المسيح
٣ حروف النقود المكتشفة بين آثار ألمائيد من القرن الاول بعد المسيح
٤ القلم التدمري وقد اشرنا فقط الى الحروف التي قلمها من الطور الراقي من السنة ٩ قبل المسيح الى القرن الثالث بعده
٥ قلم بلاد الرها وحادياب بين القرنين الاوَّل والثاني بعد المسيح
٦-١١ هذه الجداول كلها لاقلام كتابات الحضر

٦ فيهِ قلم حروف الكتابتين الاوليتين في مقالتنا
٧ « « « الثالثة والرابعة
٨ « « الكتابة الخامسة
٩ « « « السادسة
١٠ « « الكتابتين السابعة والثامنة
١١ « « الكتابة التاسعة

١٢ قلم كتابات نقود الدولة الارشكيَّة : القرن الثاني للمسيح
١٣-١٤ قلم كتابات الساسانيَّة الموجودة في حاجي آباد قريباً من برسيبوليس من القرن الثالث للمسيح فالعدد ١٣ يحتوي القلم الكلدانيّ البهلوي والعدد ١٤ القلم البهلوي الساسانيّ

فترى من هذه الجداول انَّ قلم الحضر شبيه باقلام كتابات اوائل القرن الثاني للمسيح وانَّهُ لا يجوز ان يقدَّم عهدهُ او يؤخَّر كثيراً على انَّ كتابات الحضر عينها تحتوي على قلمين القلم الواحد ادقّ واتقن (كالاعداد ٨ و١١ واقلّ منها ٦ و ٧) والآخر اقرب الى الكتابة العاديَّة (كالعددين ٩ و١٠) والقلمان على تباينهما من قرن واحد بلا مراء

تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي

فَعِلَ يَفعُلُ . فَعُلَ يَفعَلُ . فَعُلَ يَفعِلُ

بقلم حضرة الخوري دون حنا مرتا قانوني القبر المقدّس

تداخُل اللغتين (ويقال لهُ ايضاً الجمع بين اللغتين) في الفعل الثلاثي هو أن يُوخذ الماضي من لغةٍ والمضارع من أخرى فتتركب منهما لغة ثالثة كقولهم فَضِلَ يَفضُلُ على وزن فَعِلَ يَفعُلُ فاصحاب هذه اللغة قد اخذوا الماضي من لغة مَنْ يقول فَضِلَ يَفضَلُ والمضارع من لغة من يقول فَضَلَ يَفضُلُ

قال الشيخ بجدق اليمنيّ : « والظاهر ان ذلك مقيس غير مقصور على السماع » كما نقلهُ عنهُ الشيخ الرفاعي في حاشيتهِ لاميَّة الافعال . واما جمهور النحاة واهل اللغة فقد جعلوا ذلك من باب النادر والشاذ . ثم انهم قد ذكروا عدَّة افعال من هذا الباب على وزني فَعِلَ يفعُلُ , فَعُلَ يَفعَلُ ثم فعلاً واحدًا على وزن فَعُلَ يفعِل فقصدُنا ان نجمعها في هذه المقالة افادةً لقرَّاء المشرق

فَعِلَ يَفعُلُ

١ فَضِلَ يَفضُلُ . هو اشهر الافعال التي وردت على فَعِلَ يَفعُلُ . نقلهُ عن العرب سيبويه وغيرهُ من النحاة والجوهري وصاحب المختار وغيرهما من اصحاب المعاجم (راجع الصفحة ٤٧٩) . وصرَّح بعضهم بانهُ لا نظير لهُ » او لا نظير لهُ في الفعل السالم . والصحيح ان لهُ نظراء في السالم والصحيح والمعتلّ وها نحن ذاكروها

٢ نَعِمَ يَنعُمُ . ذكرهُ ابن القوطيَّة في مقدَّمة كتاب الافعال وابن الحاجب في الشافية . وقال ابن قتيبة الدينوري في كتاب أدب الكاتب : « قال سيبويهِ بلغنا ان بعض العرب يقول نَعِمَ يَنعُمُ » . ونقلهُ ايضاً الصحاح والمختار والمصباح والتاج في ترجمة نعم وفضل وركن

٣ حَضِرَ يَحضُرُ . قال الرضي في شرح الشافية : « حكى ابو زيد حَضِرَ يحضُرُ » . وحكاهُ ايضاً الصحاح والمختار عن الفرَّاء ونقلهُ اللسان والمصباح والتاج في مادَّة حضر وركن ودوم

٤ شَمِسَ يَشْمُسُ. ورد في اللسان والتاج في مظنَّتهِ. وانكرهُ ابن سيده ومع ذلك فقد نسبهُ الى اهل اللغة

٥ نَجِدَ يَنْجُدُ. أوردهُ السيوطي في كتاب المزهر والرضيّ في شرح الشافية واللسان والتاج في نجد

٦ نَكِلَ يَنكِلُ. ذكرهُ صاحب المزهر وصاحب المصباح في مادَّة فضل. ونقلهُ التاج في ترجمة نعم وقال الرضي في شرح الشافية: « حكى ابو عبيدة نَكِلَ ينكُلُ وانكرهُ الأَصمعيّ »

٧ شَمِلَ يَشْمُلُ: نقلهُ السيوطي في المزهر (١: ١٢٣) وصاحب التاج في ترجمة نعم عن ابن درستويه

٨ رَكِنَ يَرْكُنُ ذكرهُ صاحب المزهر وقال صاحب اللسان: قال كُراع رَكِنَ يَرْكُنُ وهو نادر » واستدركهُ التاج في ركن

٩ فَرِغَ يَفرُغُ. نقلهُ صاحب التاج في ترجمة فرغ عن الصاغاني وفي ترجمة نعم عن ابن عديس وغيره

١٠ قَنِطَ يَقْنُطُ. اغفلتهُ كتب اللغة ولكن نقلهُ صاحب المزهر (٢: ٢١) حيث قال: « وقالوا فَضِلَ ونَعِمَ وحَفِر (تحريف حَضِرَ) ونَكِلَ وشَمِل ونجِدَ وقَنِطَ ورَكِن ولَبِثَ بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع وفي المعتلّ مِتَّ ودِمْتَ وجِدْتَ كِدْتَ كذلك ». وعليهِ فيكون في قنطَ سبع لغات على وزن ضرب ونصر وعلم وفتح وكَرُمَ وحَسِبَ وفَعِلَ يَفعُلُ وهو من الغرائب

١١ لَبِثَ تَلُبُّ. ذكرهُ صاحب المزهر كما رأيت ونقلهُ صاحب التاج عن اليزيدي

١٢ بَرِئَ يَبْرُؤُ. نقلهُ ابن منظور وصاحب القاموس

١٣ مِتَّ تَمُوتُ. نقلهُ سيبويهِ في الكتاب (٢: ٢٤٠) وأُمَّهات اللغة في مادة فضل ومات (راجع الصفحة ٤٧٩)

١٤ كِدْتَ تَكُودُ. نقلهُ في المزهر كما رأيت. وحكاهُ الجوهري وابن منظور عن سيبويهِ في ترجمة فضل وصاحب المصباح وصاحب التاج عن ابن القطَّاع في ترجمة مات

٥ دِمْتَ تَدُومُ. ذكرهُ ابن قتيبة في أدب الكاتب وصاحب كتاب المراح وصاحب المزهر ونقلوهُ في اللسان والقاموس والمصباح والتاج في ترجمة دام ومات

١٦ جِدْتَ تَجُودُ. نقلهُ في المزهر. وقال صاحب المصباح في مات: « ومِتُّ أَمُوتُ لغة ثالثة وهي من باب تداخل اللغتين ومثلهُ من المعتلّ دِمْتَ تَدُومُ وزاد ابن القطّاع كِدْتَ تَكُودُ وجِدْتَ تجُودُ ». ونقل كل ذلك صاحب التاج في ترجمة مات

فَعُلَ يَفْعَلُ

١ كُدْتَ تَكادُ. هو أشهر الافعال في هذا الباب. قال سيبويهِ في الكتاب (٢ : ٢٤٠): « وقد قال بعض العرب كُدتَ تَكادُ فقال فَعُلْتَ تفعَلُ.. وهو شاذّ من بابهِ كما انَّ فَضِلَ يَفضُلُ شاذٌّ من بابه » ونقلهُ ايضاً الصحاح وغيرهُ من كتب اللغة

٢ لَبُبْتَ تلَبُّ. نقلهُ صاحب المزهر واللسان والقاموس والتاج في لبَّ

٣ دَمُمْتَ تَدَمُّ. ذكرهُ صاحب المزهر وصاحب التاج في لبَّ

٤ شَرُرْتَ تَشَرُّ. نقلها صاحب التاج في لبَّ

٥ دُمْتَ تَدامُ. ذكرهُ في المزهر واشار اليهِ اللسان في مادَّة دوم ونقلهُ التاج في لبَّ

٦ مُتَّ تَمَاتُ. نقلهُ في المزهر وصاحب التاج في لبَّ

٧ جُدْتَ تَجادُ. قال ابن مالك: فَعُلَ لا يَرِدُ « غير مضموم عين مضارعه الّا في قول بعض العرب كُدْتَ تَكادُ حكاهُ سيبويه.. وحكي غيرهُ دُمْتَ تَدامُ ومُتَّ تَماتُ وجُدْتَ تَجادُ ولَبُبْتَ تَلَبُّ ودَمُمْتَ تَدَمُّ » كما جاء في المزهر (٢ : ٢٠) وقال صاحب التاج في لبَّ: « قال ابن القطاع في كتاب الأَبنية.. وحكى غيرهُ (اي غير سيبويه) دُمْتَ تَدامُ ومُتَّ تَماتُ وحُدْتَ تَحادُ » والظاهر ان هذا الاخير تصحيف جُدْتَ تَجادُ

فَعُلَ يَفْعِلُ

وَحُدَ يَحِدُ. قال صاحب القاموس: « وَحِدَ كعَلِمَ وكَرُمَ يَحِدُ فيهما ». وقال صاحب التاج في شرحهِ: أمّا فَعُلَ بالضمّ يكون مضارعهُ يَفعِلُ بالكسر فهذا من

الغرائب التي لم يقلها قائل ولا نقلها ناقل » غير انَّ صاحب التاج قد قال في ترجمة عنق : « لكنَّ المصنِّف (صاحب القاموس) ثقةٌ فيما نقلهُ فينبغي انْ يكون ما يأتي بهِ مقبولًا » ولو اغفلهُ سائر اللغويين

الأَرْق واسبابه ومعالجته

للدكتور كامل سليمان الخوري

الأَرق عرض من الاعراض المُزعجة التي ترافق كثيرًا من العلل الحمَّوية والجلديَّة ومدار هـذه المقالة على الأَرق بحدّ ذاتهِ دون ان يكون مربوطاً بحالة مرَضيَّة معروفة . ولا يبرحنَّ عن البال ان الارق كثيرًا ما يكون ظاهريًا وليس حقيقيًا فيخال للمريض المبتلى بهِ انهُ لم ينمْ مع انهُ يكون قد نام نوماً متقطّعاً انما يسود عليهِ الوهم بانهُ لا ينام

ومن اكبر دواعي الارق تعب الجسم المرهق وانشغال البال الزائد . فكثيرون يعروهم الارق لاقلّ نصَب يعانونهُ . واحسن واسطة تُعمل لإراحتهم حمَّام فاتر على ٣٤ْ او ٣٥ْ مع غلاية الزيزفون مقدار خمسمائة گرام من الزهر مدة ربع ساعة فقط . وان زاد التعب يكرَّر هـذا الحمام كل يومين . كما ان تغطيس الرجلين او اليدين في ماء حرارتهُ على ٤٠ْ مدَّة نصف ساعة يولي المأروق راحة تُذكر عند ما يأوي الى الفراش . بيد ان العرق الغزير الذي يرافق ذلك يفقد هذه الواسطة شيئاً من خواصها المفيدة ولذلك قد وصف « هوشار » تغطيس الرجلين او اليدين مُناوبةً في ماء حارّ وماء بارد بان يوضع امام الشخص وعاآن الواحد يحتوي ماء على ٤٠ْ والآخر على ٢٠ْ تُغطس الرجلان لحدّ نصف الساق في الماء الذي على ٤٠ْ مدَّة ثلاث دقائق ثم في الماء الذي على ٢٠ْ مدَّة نصف دقيقة يكرَّر هذا العمل ثلاث مرات بالتتابع . يعمل هذا المغطس عند النوم اي بعد اخذ طعام العشاء خفيفاً وسهل الهضم

ولا بُدَّ من مراقبة الانبوب الهضمي باعتناء تامّ لان تلبُّك وظيفة الهضم كثيرًا ما يساعد على الارق وحصول الكابوس وتوهم الادواء والعلل واحسن ما قيل في

هذا قول الدكتور ڤانديك في باثولوجيَّتهِ على سبيل الهزل: « تأَخَّر زيد في عشائهِ ثم أكل كبيبة وسمكاً ورزًّا وجانباً من التوابل والمخلَّلات وشرب كاساً من الخمر الصفراء ثم اكل كنافة وبقلاوة وبعض المربَّيات وشرب كاساً من الخمر السوداء ثم اكل فاكهة مختلفة الانواع من موز وتفَّاح وبرتقال وشرب قنينة من الشمبانيا وطلب النوم بعد حين فركبهُ الكابوس وشاهد الشياطين والابالسة وقام في الصباح قلقاً مغموماً. التقيتُ بهِ وهو نازل الى مخزنهِ وسالتهُ عن سلامتهِ فقال: ان صبر عليَّ اصحاب الديون في هذا النهار بعتُ املاكي واوفيتُ ما عليَّ واقفلتُ محلي لانني على حافة الافلاس. وزد على ذلك اني اخشى على صحَّة عائلتي فانا مضطرٌّ الى ان اخرجها الى خارج المدينة سريعاً لئلَّا يموت احد اولادي. ولمَّا سألتهُ عمَّا اكل البارحة واخبرني سكتُّ وقلتُ في نفسي: الكابوس من الكبيبة. والابالسة والشياطين من السمك والتوابل. والإفلاس وخراب المحل من الخمور. وفساد صحة العائلة من الفواكه والحالي. ثمَّ التقيت به بعدما صار لمعدتهِ فرصة لتعزيل تلك البالوعة التي ملأَها بها. فوجدت المحلَّ ناجحاً لا دين عليهِ والنفقات معتدلة. وصحَّة العائلة جيدة. ولا خوف من الافلاس ولا من خراب البيت وقد عدل عن بيع الأَملاك وعن الذهاب من المدينة... وكم من مشاجرة سببها طعام غير مهضوم وكم من امرءٍ حمله سوء الهضم على قتل نفسهِ » اه

وعليهِ فاذا كان هضم المأروق سيئاً مِمَّا يُعرف من وسخ اللسان واكتسائهِ طبقةً بيضاء غليظة ومن الدوار الخ وجب عليهِ ان يأْخذ ملْ ملعقة قهوة من المزيج الآتي في قدح من الماء السخن:

كبريتات الصودا	٤٠ گراماً
فوسفات « «	٢٠ «
بيكربونات « «	١٠ گرامات

تُنقص الجرعة حينما تستطلق الباطنة وتُزاد في حالة القبض. واذا كانت مواد البراز جافةً بنوع ان يعجز الملين المارّ ذكرهُ عن التأثير يؤْخذ قبل الطعام حبَّة تحتوي على الصبر. ويجب على المداوي جسّ بطن مثل هؤلاء المرضى جيدًا لانهم كثيرًا ما يكونون عرضةً لحالة قبضٍ مجهولة عندهم فان جُدُر امعائهم المكسوَّة موادّ برازيَّة

قديمة وملتصقة يُشعَر بها من الخارج مثل قطع مقانق مسترخية امَّا بقيَّة الغائط السائل فيخرج بواسطة مجرى مركزيّ. واعلم انَّ مثل هؤلاء المرضى لو سألتهم عن حالة امعائهم اجابوك بانَّها ليست قابضة وسبب ذلك تغوُّطهم من وقت الى آخر ولكن هذا التغوط يصحُّ تسميتهُ باندفاقي لان المعا لا يعود يستطيع سعة ما ترسلهُ لهُ المعدة ولذا يتوجب تفريغ محتوياتهِ ليعود النوم واحسن الوسائط للوصول الى ذلك استعمال مستحضرات الصبر والحقن الملينة السخنة .

ولما كان الضجر والقلق من اعظم مسبّبات التعب وجب والحالة تلك تطمين المريض بالكلام اللطيف المقنع بان هذا الارق ليس مؤدياً الى الدرجة التي يتصوَّرها هو وانهُ ينام نوماً كافياً بدليل انهُ كثيرًا ما فوجئ شاخرًا حال كونه كان يتصوَّر بانهُ لم ينم ومع ذلك فاذا لم ينم هذه الليلة سينام في غيرها ويكفي انهُ باضّجاعهِ ليلاً قد جدَّد قواه وهكذا يجب ملاطفة المريض بما امكن من الطرق لاقناعهِ بعدم خطورة الحال حتى تهدأ افكارهُ ويستريح ضميرهُ فلا يعتم من ثمَّ ان يعاودهُ النوم الذي كان قد فارقهِ اياماً بل اسابيع

امَّا المنوّمات فلا يسوغ استعمالها الَّا في الدرجة القصوى فهي اذا قاومتْ النتيجة اي التهيُّج تزيد في قوَّة السبب اي التعب . ومع هذا فاقل المنوّمات ضررًا هي فوَّات النشادر والايثير على هذا الترتيب:

فوات النشادر	گرامان
ماء النعنع	٩٠ گرامات
صبغة الواليريانا الايثريَّة	١٠ گرامات

يؤخذ منه ملعقة قهوة عند النوم في نصف قدح ماء.

ويجوز استعمال ماء زهر البرتقال ٠ائة كرام عند النوم او جُرَع خفيفة من « الكودهئين » (codéine) ممزوجة مع الايثير اذا كان الضجر زائدًا:

شراب الكودهئين	٦٠ كراماً
ايثير كبريتي	٠٥ كرامات
ماء الواليريانا	٦٠ كراماً

يؤخذ ملعقة طعام عند النوم في قليل من الماء . امَّا استحضارات البروم فلا يسوغ

الاستمرار على استعمالها زمناً طويلًا لأَنها سيّئة التأثير في الافكار والذاكرة ويمكن استعمال الترتيب الآتي مدة من الزمان :

برومور البوتاسيوم	١٠ كرامات
شراب قشر البرتقال المرّ	١٠٠ كرام

ويُوخذ منهُ ملعقة شوربه عند طعام المساء في قليل من الماء . امّا السلفونال فيجب استعمالهُ بمزيد الحذر لانَّ لهُ تأثيرًا سامًا وخصوصاً في الكليتين . ويوثّر عليهِ « الفيرونال » بجرعة ثلاثين سنتكراماً في برشانٍ يكرّر ذلك ليلتين متواليتين . امّا اذا زيدت هذه الجرعة لحدّ خمسين سنتكراماً فيخشى حصول عوارض انسمام . ويجوز أيضاً استعمال « التريونال » بجرعة خمسين الى خمسة وسبعين سنتكراماً في برشانةٍ عند النوم . وهناك عقاقير عديدة لا أرى لزوماً لتعدادها والأمر المهم هو عدم الاستمرار مدة طويلة فلا يجوز استعمال العلاج اكثر من يومين الى ثلاثة . ثمّ يُعاد الى استعمال الفوّات وماء الزهر

اتذكّر انهُ كان اعتراني أرق خفيف في صيف حارّ فافادني كثيرًا استعمال الحمّام المتشلشل قبل النوم فكنت اجد راحةً عظمى فليجرّب اذًا من أُصيب بالأرق . هذا وكثيرًا ما يأرق المرء لسبب لسع البقّ او الناموس او البراغيث وتلك علّة لا تبرأ الّا بالنظافة والاعتناء بازالة هذه الحشرات الموذية

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

٢ السيد المسيح وبقية المعتقدات النصرانية

عرف القرّاء من مقالتنا السابقة خسّة بضاعة محمّد طاهر التنير بنقلهِ اقوال بعض الزنادقة في حقّ النصرانيّة ولا يعذرهُ كونهُ اخذ منقولاتهِ عن كتب انكليزيّة بل رأى البعض عذرهُ اقبح من ذنب وكلُّنا يعرف ان « البضاعة الانكليزيّة » ترادف البضاعة السيّئة

وألحق التنير فصلهُ الاوّل عن الثالوث الاقدس ومزاعمــه الغريبة عن هذا السر بفصول أخرى ليست دونهُ عنتاً وجهلًا وهذه الفصول لا تقلّ عن ١٧ فصلًا مرجعها الى سرّ تجسد ابن الله واخبار حياتهِ وموتهِ وقيامتهِ مع ذكر والدتهِ الطاهرة جمع في كلّ فصلٍ منها نُتفاً من اقاويل صحيحة او كاذبة تناقلَها الملحدون من اقاصيص الوثنيين في ازمنة وامكنة شتى وهــم في الغالب قد انتقوها من كتب مطوَّلة وانتزعوها من قرائنها فتشوَّهت معانيها ودلَّت على مدلولات مخالفة لاصولها. وهي طريقة من التزوير اقبح من الكذب لا يلتجئ اليها الّا ذوو الغايات ولعلّ محمَّدًا طاهرًا التنير لم ينتبه الى تلك الغايات فروى ما نقلهُ عن كتبهِ كمــا يردّد الصدى صوت الصارخ او بالحري كما تكرّر الببغاء ما تسمعهُ دون ان تفقههُ ومن ثمَّ اخذنا العجب من صاحب « المنار » الاسلاميّ في مصر اذ نعت كتاب العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة في عدده الاخير (٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٠ ص ٤٠٠) «بانفع كتاب في بابهِ» ثمَّ قال « ان مؤلفهُ التزم النزاهــة في القول والمجادلة بالتي احسن » (كذا) فللّه درُّها من نزاهة وأنعم بالتي احسن !!

فلنعرضنَّ اذًا سفاسف محمَّد طاهر التنير على محكّ الانتقاد ونمحصها في بوتقة العقل الصائب ولا نظنّ انَّ القارئ ينتظر منَّا ردًا على كل ما جاء في كتاب التنير من الخرافات والمزاعم الفارغة الَّا انَّنا لا نضنُّ عليهِ بالملحوظات التي تميط القناع عن صحَّة الامر وتبيّن لكل ذي عينين انَّ سهم مؤلف كتاب العقائد الوثنيَّة طاش عن الهدف او بالحري انعكس عليهِ فجرحهُ

وهنا لا بُدَّ من تكرار الملحوظات الاجماليَة التي قدَّمناها سابقاً على مقالتنا الاولى والتي تقوّض كل اقوال التنير فتنزع عنها قوَّتها الجدليَّة وهي كافية بذاتها ان تنفي حجَّة كل الخصوم وتزكيّ النصرانيَّة عمَّا نُسب اليها من اتّباع آثار الوثنيين ونقل معتقداتها عنهم

ولكن دعنا نستبطن الفصول التنيريَّة لنستطعم لبابها

١ بعض المستحيلات في اقوال التنير

زعمتَ يا صاح انَّ ما يخبرهُ النصارى عن السيد المسيح من حيث مولدهِ وعجائبهِ

وحياتهِ وافتدائهِ للبشر بموتهِ ثم قيامتهِ وصعودهِ الى السماء كل ذلك منقول عن معتقدات وثنيَّة باطلة فان ثبت قولك نتج عنهُ انَّ السيد المسيح شخصٌ وهميٌّ لا صحَّة لوجودهِ كالآلهة المزعومة التي سبقتهُ ونُسبت اليهِ اخبارها الخياليَّة زورًا فنسأل التنير: ما قولك بشواهد التاريخ المتسلسل منذ ايَّام المسيح الى عهدنا وكلها تروي بلا انقطاع اخبارهُ كما رواها رسلهُ وتلاميذهُ ودوَّنوها في كتبهم الباقية الى زماننا التي يشهد لصحَّتها اكبر علماء عصرنا حتى الذين لا يدينون بديانتنا او جحدوها كهرناك وستروس ورينان. فلو عرضتَ عليهم مكتشفاتك في بعض الكتب الانكليزيَّة لضحكوا منك وازدروا بك مدبرين

وهَبْ انَّ هؤلاء الكتبة النصارى أغوَتهم الاغراض او أعمت بصائرهم الأمانيّ فما قولك بشواهد التواريخ التي كتبها غير النصارى المعاصرين للسيد المسيح او القريبين من زمانهِ كفلاڤيوس يوسيفوس اليهودي الذي سعى الكفرة ان يبطلوا شهادتهُ فخاب سعيُهم. وكتاكيتوس المؤرخ الرومانيّ الوثني وكبلينيوس حاكم بيثينية على عهد طرايان وكساويتونيوس الكاتب وغيرهم ممن تؤيد شهادتهم رواية الانجيل في حقيقة مجيءِ المسيح وكرازتهِ وموتهِ صلبًا ومرويَّات تلامذتهِ عنهُ

ومن هؤلاء الكتبة مَن قام لمعاداة النصرانيَّة ودَحض معتقداتها في القرون الاولى للنصرانيَّة منهم وثنيُّون كقِلسوس الفيلسوف وبرفيريوس الصوريّ ومنهم مبتدعون للبدع المختلفة. فهؤلاء بطعنهم في النصرانيَّة يشهدون لاصلها التاريخي ولمنشئها الالهيّ السيد المسيح ولا ترى واحدًا منهم مع قربهم من اوائل العهد النصراني يلتجئ الى برهان تَفِه كهذا فيفحم انصار الدين المسيحيّ بقولهِ انَّ مسيحهم شخص خيالي لا وجود لهُ وانَّ ما يحكونهُ عن حياتهِ وموتهِ وقيامتهِ انَّما هو اختراع فَرِيّ نقلوهُ عن اساطير الهنود والوثنيين. فيا لله احتاج العالم الى مرور ١٦٠٠ سنة حتى يقوم في عهدنا بعض المتشدّقين فيزعمون انَّ النصارى لبَّسوا مَسيحهم باثواب استعاروها من امم شتى فأبصروا في حياتهِ وموتهِ ما لم يبصرهُ احد قبلهم. فلا شك أنَّهم اكتشفوا نظَّارة تُريهم عن بعد ما لم يَرَهُ غيرهم عن قُرب

وما لي التجئ الى كتبة غرباء ولي في كتبة المسلمين احسن شاهد على تاريخ المسيح وحياتهِ ومعجزاتهِ فانَّهم كلَّهم دون استثناء اذا كتبوا تاريخًا عموميًّا ذكروا

كالنصارى مولد السيد المسيح وانحداره الى مصر في وجه هيرودس وعيشته في الناصرة وتبشيره في انحاء الجليل واليهوديَّة واتخاذه لاثني عشر تلميذًا وحكم اليهود عليه بالموت وصعوده الى السماء. وان خالفوا تاريخ النصارى في شيء اشاروا اليه. راجع هذه التواريخ مباشرةً باوّلهم ابي جرير الطبري ثمَّ المسعودي والبيروني والمقدّسي وابن الاثير وابن خلدون والمقريزي وابي الفداء. فهؤلاء كلهم وهم فوق طبقة التنير كالثريَّا فوق الثرى جهلوا النسبة بين المسيح وأصنام الهند والصين مع انَّ بعضهم كالبيروني وصفوا وصفاً حسناً خرافات تلك البلاد القاصية

ولو شئتُ لبيَّنت للتنير انَّهُ بطعنهِ في شخص السيد المسيح يطعنُ في دينهِ لانهُ يجد في كتابهِ تعظيم «كلمة الله» عيسى بن مريم وخلاصة حياتهِ منذ مولدهِ دون زرع بشر وعجائبهِ في مهدهِ حتى صعودهِ الى السماء ومعجزاتهِ المتعددة كشفاء المرضى وانارة ابصار العميان وفتح آذان الصمّ واتخاذهِ المبشرين لدعوة الناس الى الانجيل المحتوي للنور والهدى وذكر مجيئهِ يوم الدين مع اصطفاء والدتهِ الطاهرة التي لم يمسَّها الشيطان بخطيئة. فهذه وغيرها لا نعلم كيف أضرب الصفح عنها محمَّد التنير ليعدل الى اقاويل اوهن من نسج العنكبوت زاعماً بانَّ حياة السيد المسيح ووالدتهِ ليست غير سلسلة خرافات فجرح دينهُ قبل ان يجرح ديننا

واثبتُ من هذه الادلَّة التاريخيَّة دليل الآثار النصرانيَّة من تصاوير ونقوش وكتابات وجدها الأثريون في انحاء الشرق والغرب ولاسيا في دياميس رومية ومنها ما يرتقي الى زمن قريب من ظهور الدعوة النصرانيَّة حتى اواخر القرن الاول للميلاد. فهناك معظم اسرار حياة السيد المسيح في بيت لحم والناصرة واورشليم والجليل واليهوديَّة منذ ولادتهِ الى صلبهِ وقيامتهِ وصعودهِ ما يقوم بلسان حالهِ مقام الروايات الانجيليَّة ويثبت انَّ ما اعتقدهُ النصارى قبل تسعة عشر قرناً يعتقدونهُ اليوم بلا اختلاف ولا فرق. فليأتِنا التنير بحياة اي إله كان مدوَّنةً هكذا على الصخور متتابعةً متواصلةً من مولدهِ حتى وفاتهِ فان لم يستطع وهيهات ان يستطيع فليقرَّ انهُ بطعنهِ في شخص المسيح الكريم أتى مُنكرًا واثمًا فظيعاً

وينفي كلَّ مزاعم التنيِّر في السيد المسيح شهادةُ رسلهِ وتلاميذهِ عنهُ فانَّهُ اوعز اليهم ان يجوبوا العالم كلهُ بلا فضَّة ولا مزود ولا ثوبين وان يبشروا باسمهِ امام

الملوك وتهدَّدهم بانَّهُ ينكرهم امام ابيهِ الذي في السماوات اذا نكروهُ امام البشر وطوبهم اذا لعنوهم وشتموهم وقتلوهم لاجل اسمهِ فطافوا المعمور واتمُّوا وصيَّة سيدهم وماتوا بفرح لتأييد شهادتهم. فليذكر لنا التنير الهاً او بشرًا مات لاجل اسمهِ نحو عشرة ملايين من كلّ طبقات الناس لا في القتال بل امام الحكَّام والملوك مفضّلين ضروب الموت على ان يجحدوا ايمانهم. وهـذه شهادة الدم كما قال احد كبار الفلاسفة كافية لأن يطأطئ كلُّ بشر رأسهُ منحنياً امام المسيح الاله وقد ادَّاها في ازمنتنا الاخيرة نيّف ومئة الف من النصارى في الصين وطنكين وبلاد افريقية والشام وارمينية فرأوا في الموت حياةً

فترى كم وكم من المستحيلات ازدردها التنير ليثبت زعمهُ بان حيـاة المسيح وموتهُ ومعجزاتهِ انَّما هي ترَّهات واقوال خرافيَّة

٢ نظر في الديانات التي زعم التنير ان النصرانية اخذت عنها معتقداتها

ولكن هلمَّ بنا نُعمل النظر وان قليلًا في الديانات الوثنيَّـة التي زعم التنير مستندًا الى بعض الملحدين انَّ النصرانيَّة اخذت عنها معتقداتها. فممَّا ذكر هناك ديانات البابليين والمصريين والفرس واليونان والرومان والصينيين وخصوصاً ديانة الهند. فلو اردنا ان نتتبع كل دين من هذه الاديان لما كفتنا المجلدات الضخمة وعاذ القرَّاء بالله من فظائعها وارجاسها. ونحن نذكر شيئاً منها ليعرفوا في ايّ حمأةٍ رمى التنير بنفسهِ رجاء ان يدنّس النصرانيَّة الطاهرة ونستند في ما نقول الى آخر مـا كتبهُ العلماء في ذلك وان طلب منَّا احد القرَّاء زيادة ايضاحٍ عن كل ما نرويهِ فلا نتأخر عن اجابـة طلبتهِ

(الديانة البابليَّة) خلاصة ما اطلعتنا عليها الآثار المكتشفة منذ ٧٠ سنة الى اليوم ان الديانة البابليَّة كانت في اوَّل الامر تختلف اختلافًا كبيرًا فكان لكلّ مدينة إلهها الأكبر تحت حكمهِ آلهة متعدّدة خاضعة لهُ. ولمَّا غلبت بابل على بقيَّـة المدن قدَّمت الهها مردوك على سائر الآلهة ثمَّ اتَّخذوا ثلثة آلهة كان احدهم وهو أَنو على السماء ويدعى أبا الآلهة. والثاني على الارض يُدعى إنليل ثم عُرف باسم بيل. والثالث إيا وهو اله البحر. ولمَّا غلب الاشوريون البابليين رفعوا إلههم اشور على بقيَّة

الآلهة وخلطوا آلهتهم مع آلهة بابل . وكانت من عاداتهم تأليه ملوكهم . امَّا ادابهم الدينيَّة فكانت الذبائح والتقادم المختلفة لارضاء الآلهة وردّ غضبها وكان للتنجيم بينهم مقام عظيم . امَّا الحياة الآخرة فمع اقرارهم بوجودها كانوا يرونها محجوبة بظلمات لا يستطاع كشفها

(ديانة اليونان) انَّ الاكتشافات الحديثة في تروادة (حسارلك) وفي كريت وافسس وغيرها بيَّنت ما كان عليهِ اليونان من الدين قبل هوميروس شاعر الالياذة واوَّل كتبة اليونان . فظهر للاثريين انَّ اليونان باشروا اوَّلًا بعبادة مواليد الطبيعة كالحجارة لاسيما الرجوم الساقطة من السماء ثمَّ النبات ثمَّ الحيوان كالحيَّة والنسر والحمامة والبوم ثمَّ أَلَّهوا البشر وجعلوا السماء والارض والجحيم مأواهم فقسَّموهم ونظَّموهم وتصوَّروهم ذكورًا واناثاً ورؤوساً ومرؤوسين واعاروهم كل فضائل البشر وآثامهم حتى جعلوا الهةً للسكر والخلاعة والسرقة والانتقام . ولم تزل الوثنيَّة تزيد وتنقص حتى اضحى تاريخ آلهة اليونان اعقد من ذَنَب الضبّ .

(ديانة الرومان) كانت محصورةً اوَّلًا في قوى الطبيعة لاسيما السيَّارات السبع ثمَّ اضافوا اليها كثيرًا من مزاعم اليونان في دينهم ثمَّ اخذوا اشياء من ديانات الشرق فخلطوها بديانتهم واقاموا الهياكل للقياصرة وقرَّبوا لهم القرابين حتى قبل وفاتهم . ومجمل القول انَّ كل شيء صار عندهم الهاً الَّا الاله الحقّ كما قال عنهم احد الفلاسفة . وكان لكلّ هذه الآلهة اعياد تُقترف في بعضها ضروبُ الفحشاء جهارًا كاعياد باخوس واعياد زُحل واعياد الزُّهرة . وكان لليونان والرومان مذاهب دينيَّة سريَّة لا تُكشف الَّا لمن يترشَّح لها وتجري في ظلماتها ما يندى لهُ الجبين خجلًا او ما يسوّد وجه تلك الاديان كافتراع العذارى وذبح الاطفال

(ديانة المصريين) مبنيَّة ايضاً على مظاهر الطبيعة وكانت لكلّ مدينة ديانتها ومعبوداتها تتجارى فتتوالى بالحكم على حسب الدول الظافرة واهواء الفراعنة . واشهر مذاهب المصريين الدينيَّة ان كبير الهتهم المدعو « اتوم » خرج من البحر على صورة الشمس فصار « اتوم راع » واولد اربعة ذكور واربع اناث امتلأ الكون بازدواجهم . واشهر هؤلاء المواليد الهُ النيل اوزيريس واختهُ وزوجتهُ معاً ايزيس إلهة ارض مصر . فلمَّا ملك اوزيريس ائتمر عليهِ اخوهُ سيت ابن اتوم وقتلَهُ وقطَّع اعضاءه

ارباً القاها في بلاد شتى لكنَّ ايزيس تتبعت تلك البقايا فجمعتها وحنَّطها الالهُ انوبيس واحياها أتوم في عالم الاموات وجعل اوزيريس ملكاً وقاضياً على الموتى . اماَّ سيت فانتقم منهُ هورس ابن اوزيريس وايزيس . وقد تخيَّل قدماء المصريين انَّ اذلَّ الحيوانات كالهرَرة والكلاب والحيَّات والتيوس والتماسيح انَّما هي تصاوير آلهتهم الحيَّة فكانوا يكرمونها ويقيمون لها الهياكل ويخدمها الكهنة ويحنطونها بعد موتها وقد وُجد من جثثها مئات الوف

(ديانة الفرس) عبد الفرس اوَّلًا قوَّات السماء ولا سيما السيَّارات ثمَّ تمجَّسوا على يد زرادشت وخصُّوا باكرامهم الشمس فألَّهوها وعبدوها كمعبود خاصّ دعوهُ ميترا واتخذوا النار كصورة ذلك المعبود وجعلوا لها هياكل عموميَّة وخصوصيَّة . وشاعت عندهم المزدكيَّة القائلة بالثنويَّة اي بالهين متناقضين صالح فشرّير اسمهما هرمزد واهريمان هما في نزاع متواصل . أماَّ آدابهم فتشوَّهت بكثير من الارجاس

(ديانة الصينيين) كان الصينيون في اوَّل امرهم موحّدين واتَّخذوا السماء كالههم الاعلى فاعتبروا ملكهم كالوسيط بين ذلك الاله والبشر . وكانوا يعظّمون الموتى فيبالغون في ذلك الى حدّ العبادة . ثمَّ قام بينهم رجلان « لاوتسي » و « كونفوشيوس » قبل المسيح بستة اجيال . فوضع الاوَّل مذهباً اشبه بمذهب الحلول بناهُ على بعض مبادئ فلسفيَّة قريبة من مبادئ ابيقور الكلبيّ وقال بتناسخ الارواح وعلَّم انَّ احسن طريقة لسياسة الشعب ان يُستعبَد بالجهل والملذَّات . اماَّ كونفوشيوس فجرى في تعليمهِ الديني على مذهب قدماء الصينيين واجتهد خصوصاً في وضع دستور ادبي شاع من بعدهِ بين كثيرين من مواطنيهِ وغلَّب فيهِ مبدأ الطريقة الوسطى والسلوك بمقتضى تقلبات الاحوال . ثم انقسم الصينيون بين هذين المذهبين الفلسفيين وجرت بسببهما الحروب ثمَّ دخلت الديانة البوذيَّة وانتشرت وادخلت كلّ خرافاتها بين اهل الصين . ثمَّ قام بينهم احد ناكري وجود اللاهوت اسمهُ تشوهي نشر في القرن الثالث عشر الزندقة ومذهب الماديين . وقد مال الى هذا المذهب معظم المتفقهين في الصين . اماَّ الشعب فغائص في مجاهل الشرك وحمأة الخرافات المضحكة

(ديانة اهل الهند) نقل التنير في كتابهِ اشياء كثيرة من ديانة الهنود فكاد

يموّه على بعض الجهلاء فيقنعهم بانَّ الديانة النصرانية مشتقة من الديانات الهنـدية.
فلتزييف هذه الخزعبلات نختصر هنا ما يعرفهُ العلماء عن اديان اهل الهند. كانت اقدم ديانة الهنود البيديّة (Védisme) مرجعها الى تأليه مظاهر الطبيعة وعبادة العناصر الاربعة لاسيما النـار اصل ومصدر معظم قوى الطبيعة. ثمَّ تعدَّدت تلك القوى وتقسَّمت وجُعلت اقسامها في ايدي آلهة لا يزالون في قتال ونزاع فتنعكس شرورهم على البشر فليس للبشر نجاة من اضرارهم الَّا بالذبائح والقرابين اليوميَّة

ثمَّ خلفت الديانة البيـديّة ديانة أُخرى تُعرَف بالبرهمانية (Brahmanisme) لانَّها عبدت الهاً اعظم دعتهُ بَرْهما هو جوهر كل الكائنات. فبرهما هـذا في اوَّل العالم كوَّن بيضة من ذهب جعلها فوق مياه البحر ثم اودعها بزرةً من جوهره. فلمَّا فلق البيضة الى فلقين صار احد فلقيهـا سماء والآخر ارضاً وخرج من بزرة البيضة اله ذكر دُعي ايضاً برهما وهو خالق الآلهة ومبـدع الابالسة ومكوّن البشر جعلوا لهُ رفيقاً إِندرا. وكل هذه الكائنات في دوَران متوالٍ وتناسخ متعدّد وهي تنتهي آخرًا الى جوهر اللاهوت الكلي بعـد ان تتطهر من اوساخها بالذبائح التي يقيمها البراهمة. والبراهمة يدَّعون انَّهم من نسل الاله برهما خرجوا من فيهِ ونالوا من الشرف والحقوق ما ليس لسواهم وانَّهم بعد وفاتهم يعودون الى ابيهم

وهذه الديانة البرهمانيَّة مع معايبها الظاهرة زادت فسادًا واستفحل فيها الشرك قبل المسيح بمائتي سنة فاختلطت فيها مذاهب دينيَّة لشيع مستجدَّة بقيت مذ ذاك اليوم الى عهدنا منتشرة في قسم كبير من الهند ودُعيت بالدين الهندي (Hindouisme).
وخلاصة هذا الدين انَّ للطبيعة القديمة ثلاث قوَّات: قوَّة خالقة وهو الاله برهما وقوَّة حافظة وهو الاله ڤشنو وقوَّة مهلكة وهو الاله سيڤا. ومجموع هؤلاء الثلاثة يُدعى «تريمورتي» وهو الثالوث الهندي. وقد سبق ذكر برهما. امَّا ڤشنو فكان معدودًا في اوَّل امرهِ كاله النار ودون برهما رتبةً ثمَّ عظَّمهُ اهل الهنـد حتى رفعوهُ فوق برهما وزعموا انَّهُ تجسد عشر مرَّات وظهر أَوَّلًا في زمن الطوفان على شكل سمكة ثمَّ على شكل سلحفاة بُني عليهـا احد جبال الهند ثمَّ على شكل خنزير برّي. وكان تجسدهُ السابع على صورة انسان فدُعي كِرِشْنا. وكرشنا هذا عُرف بالاسود ابن ديڤاكي أُخت الملك كمسا الجائر. فكان كمسا اغضبَ الآلهة بآثامهِ فتوعَّده ڤشنو بالعقاب على يد ولد



٣



٢



١



٥



٤

١ خرافات الثالوث الهندي المعروف بالتريمورتي
٢ الاله الهندي ڤشنو ذو التجسُّدات المتوالية الغريبة
٣ الاله الهندي إِندرا اله السماء ورفيق برهما
٤ الاله الهندي سيڤا وصورتهُ القبيحة
٥ الاله بوذا ونزولهُ من السماء على هيئة فيل

تلدهُ اختهُ ديفاكي فاسرع كمسا وقتل اولادها الستّة والقاهـا في الحبس مع زوجها فاسوديفا. وهي في الحبس تجسد فيها فشنو فسلّمتهُ امُّهُ الى راعٍ يُدعى نَندا فربّاه ولما ترعرع حارب كمسا فغلبهُ لكن جارَسَندا صهر كمسا غلب كرشنا وانتقم منهُ لكمسا ثم هرب كرشنا الى بعض بلاد الهند وتملكها وحارب اعداءهُ حتى قُتل اخيرًا بسهم رشقهُ بهِ الراعي جاراس في الصيد وهو يظنهُ ظبياً. امَّا سيفا ثالث الثالوث الهنـدي فعُدَّ اوَّلًا كالاله المبيد المهلك غير انّ عبَّادهُ في الهنـد قدَّموهُ على الإلهَين السابقين وجعلوا لهُ خواصّ بقيَّة الآلهة وهم يصوّرونهُ براس واحد او بثلثة رؤوس او بخمسة ويجعلون لهُ عيناً ثالثة في وسط جبهتهِ وكثيرًا ما يجعلونهُ في دائرة من النار يرقص في وسطهـا وجسمهُ مشطور الى قسمين ذكر فانثى. ومن صورهِ صورة اللنك النجسة الممثلة لعضو التناسل الذي يعبدهُ الهنود بلا حياء

ومن ديانات اهل الهنـد الديانة البوذيَّة (Bouddhisme) نسبة الى صاحبها المدعوّ ساكياموني وعُرف ببوذا اي العاقل. وفي سيرتهِ من الخرافات ما يُضحك منهُ قيل انَّهُ نزل من السماء على صورة فيـل (انظر الصورة) وكان ابوهُ ملكاً اسمهُ سودهودانا. ولمَّا ولد سجدت لهُ كلّ آلهة السماء وسقط على الارض مطر من الزهور. ثم تزوَّج وعمرهُ ١٦ سنة فعاش في الترفُّه واسترسل في اللذَّات الباطلة الى السنة ٢٩ من عمرهِ حيث ادرك بطلان الدنيا فزهد بها وعاش في البراري. ثمَّ خرج فطاف بلاد الهند ودعا اهلها الى التجرُّد عن الزمنيَّات ليدخلوا بزهدهم في النعيم الابدي المدعو نيرڤانا حيث يتلاشون في اللاهوت الكلي. وعادى بوذا ديانة البراهمة فتبعهُ كثيرون. والعلماء لم يتفقوا على زمان وفاته فقيل سنة ٥٤٣ قبل المسيح وقيل بل سنة ٤٧٨ وبعـد وفاتهِ ألَّهـهُ انصارهُ وادخلوا في تعاليمهِ كلّ خرافات المشركين. والبوذيَّة اليوم من الديانات الهنديَّة الاشدّ فسادًا. ومن اراد الزيادة على ما ذكرنا من ديانات الهند فعليهِ بكتاب ابن الريحان محمَّد البيروني المعنون «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة» فيعلم شناعات الديانة الهنديَّة. وكلامهُ احرى باليقين من كلام غيرهِ لحسن معرفتهِ باحوال الهند ولقدم عهدهِ في القرن الرابع للهجرة

فهذه خلاصة الاديان الوثنيَّة التي زعم التنير انَّ النصارى اخذوا عنها معتقداتهم. فيا لله كيف يُقابل النور بالظلمة والحقّ بالباطل ؟ واي علاقة بين الله وباعال وبين

النصرانيَّة والوثنيَّة وهما على طرفي نقيض ؟ فما ظهرت الأُولى حتى دحضت الثانية حيثما حلَّت . فليراجع المنصف تاريخ الامم وينظر كيف ألغى الدينُ المسيحي الشركَ في كل البلاد . فاين آلهة رومية وأثينة ؟ اين اوثان الجرمانيين والغاليين ؟ اين اصنام المصريين والفينيقيين ؟ اين نيران المجوس ؟ اين زُهَرة العرب وذو شراهم ؟ وماذا بقي في اميركا من معبودات الهنود ؟ فانَّ النصرانيَّة نفذت في تلك البلاد ولم تلبث دون سيف ولا قوَّة جبريَّة بل بقوَّتها الادبيَّة فقط ان ابادت تلك الارجاس فزهق الباطل امامها بظهور راية صليب المسيح

٣ التمويهات التنيريَّة

وان سأل السائل وكيف تفسر ما اورده التنير من النصوص والتصاوير دلالة على التشابه بين النصرانيَّة وسواها من الاديان الوثنيَّة

اجبنا (اوَّلًا) انَّ قسماً من تلك النصوص والتصاوير مرويَّة زورًا تخالف اصحَّ ما نعرفُ من تاريخ الاديان الاجنبيَّة . وبالخصوص نكذّب صريحاً ما رواهُ التنير عن الاله كرشنا المصلوب . وقد رأيت تاريخهُ عن اصحّ الموارد الموثوق بها . وان جاء في احدى الروايات الضعيفة انهُ مات صلباً فليس لصلبهِ ادنى علاقة بفداء البشر . ووَضعُ صورتهِ في كتاب التنير (ص ٤٨) بازاء صليب المخلِّص من اقبح المآثم التي لا يمكن الحكومة المنصفة ان تسكت عنها . وكذلك اساء التنير صنعاً بمقابلتهِ بين العذراء مريم التي تنبَّأ عن ولادة ابنها مع بقائها بتولًا اشعيا النبي ستة قرون قبل وقوع الامر(١ وبين والدات الإله المزعومات « كبهامايا » (ص ٦٠) « وديفاكي » (ص ٦٤) اذ ليس هناك حقيقةً عذارى والدات بل نساء بسيطات ذوات ازواج معروفين . فترى كيف حجبت الاغراضُ الحقيقةَ عن نظر التنير فاوقعتهُ في اغلاط لا يُحصى عديدها

نجيب (ثانياً) انَّ قسماً آخر من النصوص التنيريَّة قد روي في غير معناهُ لسوء فهم الناقل كالذي ذكرهُ عن « الكلمة » فقابَلَ بين السيد المسيح كلمة الله الحيّ والكلمة التي ورد ذكرها في بعض تآليف الفلاسفة او في آثار بعض الامم لكنَّ

---

١) راجع في المشرق (٤ : ٥٠١) مقالة الخوري الفاضل بطرس عزيز في دوام بتولية العذراء

العلماء الذين درسوا انجيل يوحنا اقرّوا كلهم بانَّ بينهُ وبين اقوال الذين سبقوهُ فرقاً عظيماً فانَّ يوحنا الحبيب وحدهُ وصف المسيح كلمة الله كشخص قائم بذاتـهِ ازلي مثل الله بل اله كامل مقيم في الله منذ الابد ومكوّن كل شيء في الزمان فهذا قد شاء في الوقت المعين ان يصير جسداً ويحلّ بين البشر فيظهر لهم مجدَهُ مجد وحيدٍ من الآب مملوء نعمةً وحقّاً . امّا الكلمة التي ورد ذكرهـا في كتب الفلاسفة او آثار بعض الاديان فلا تتجاوز التوهّمات العقليّة وان استفتيتهم في معناها اجابوك اجوبةً تزيدك ارتياباً فتارةً يجعلونها النفس المحيية للعالم وتارةً يريدون بها مبدأ الحياة والقوّة المادّية فقام يوحنا الحبيب وكشف تلك الاوهـام بفاتحة انجيلهِ . امّا منقولات التنير عن « دوان » وبعض ملاحيد الانكليز فهي محرّفة عن معناها الاصلي لا توافق حقيقة الواقع

نجيب (ثالثاً) انَّ قسماً آخر من النصوص التنيريّة وان صحَّ نقلهُ لا يدلُّ مطلقاً على ما يزعم محمّد التنير اعني انَّ النصارى اخذوا معتقداتهم عن الوثنيين بل يدلُّ فقط على انَّ بعض المعتقدات كانت شائعة عند الشعوب فاخذوها من الوحي الاوَّل للابوين الاوَّلين والابوان الاوَّلان اورثا تلك التعاليم ابنـاءهما وهؤلاء اشاعوها بين الشعوب التي خرجت من صلبهم . فمن ذلك خلقـةُ الانسان في جنة عدن في حالة البرارة والسعـادة ثمَّ تجاوُزُهُ وصيَّة الله وغضب الربّ عليهِ لعصيانهِ اذ طردهُ من الجنَّة لكنهُ رحمهُ ووعد نسلهُ بمخلص ينقذهُ من تبعة الخطيَّة فهذه الحقائق الواردة في سفر التكوين تجدها منتشرة عند شعوب كثيرة وانتشارها يدلُّ على صحتها فهي اذن تؤيد صحة الديانة النصرانيَّة فضلاً عن ان تمسّها بأذيَّة مـا . ولعمري انَّ مجرَّد تقدمة القرابين والذبائح بين جميع الامم لدليل باهر على انَّ الانسان كان يعدُّ نفسهُ مجرماً نحو اللاهوت فيحتاج ان يخمد غضبهُ تعالى باهراق دماء الحيوانات بدلاً من دمهِ الاثيم وتكفيراً عن ذنبهِ . بل كثيراً ما كان يهرق دمهُ كما كان يفعل كهنة البعل اذ يجرّحون اجسامهم بالمدى لاكرام الههم ومنهم من كان يذبح الاسرى او الاطفال في الهياكل الوثنيَّة . وليس الختان الّا شاهداً على ذلك فيُختن الطفل ليطهر والطفل مع ذلك بارٌ لم يقترف اثماً . أفمـا يجب القول انَّ الانسان يولد خاطئاً بخطيئة اصليَّة ورثها من اجدادهِ وهذا ما اقرَّ بهِ العرب حيث رووا الحديث الآتي . قال الثعلبيّ في قصص

الانبياء المعروف بالعرائس (ص ٣٢٧ من طبعة مصر سنة ١٢٩٨): «ما من مولود الّا والشيطان يمسّهُ حتى يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الّا مريم وابنها». فما مسُّ الشيطان الّا كناية عن الخطيئة الاصليَّة التي لم يستطع احد ان يفكّ ربقتها غير السيد المسيح الاله القائم في طبيعتين انسانيَّة والهيَّة فمن حيث هو انسان كفَّر عن خطايا البشر بحياتهِ ومماتهِ ومن حيث هو اله خوَّل تلك الاعمال البشريَّة قيمةً غير متناهية كافية لوفاء ديون كل الخلائق الى الله والتعويض عن آثامهم ولاستمطار كل نعمهِ عليهم اذا التجأوا الى الفادي وجروا على وصاياه. امَّا امهُ فطهّرها بنعمة خاصّة

ولا نتتبَّع التنير في بقيَّة منقولاتهِ اذ عرف القارئ بطلانها من وجوه مختلفة. ولكن هَبْ انَّنا نسلِم لهُ بانَّ النصرانيَّة اخذت معتقداتها عن الديانات السابقة ألَا يكفيها فخرًا انَّها حيثما حلَّت ابطلت تلك الاديان وقامت هي في مقامها. وها قد مرَّ عليها ١٩ جيلًا دون ان يقوى عليها الجحيم بل تراها كلّ يوم في نموّ وازدياد عددًا وفضلًا

٤ مفاخر النصرانيَّة

وكم من عقائد للنصرانيَّة تميّزها عن بقيَّة الاديان فلم يستطع لا التنير ولا غيرهُ ان يجد لها شبهاً في الاديان السابقة واللاحقة. فليعلمنا اذا امكنهُ ايّ دين اقنع البشر باعظم الاسرار واشرفها؟ ايّ دين استطاع ان يحني رؤوس ارقى الشعوب تمدُّناً واكبر الملوك سطوةً لرجل مصلوب جعلوا صليبهُ آية الانتصار وعلامة الفخر حتى زيَّنوا بهِ تيجانهم وحلّوا بهِ صدورهم؟ ايّ صاحب دين امكنهُ ان يستند جهارًا الى نبوات سبقتهُ اجيالًا متعدّدة ولم يترك منها حرفاً الّا تمَّمهُ. فانّ حياة المسيح كلها مسطرة في كتب موسى والانبياء. والمسيح غير مرَّة كان يشير اليها ويصرّح بذكر آياتها ولا احد يستطيع ان يكذبهُ

اي دين ابطل الذبائح الدموية في العالم اجمع؟ اي دين قال صاحبهُ لاتباعهِ: خذوا هذا الخبز فكلوهُ واشربوا هذا الخمر فانّ ذاك جسدي وهذا دمي؟ اي دين قال منشئهُ لتلاميذهِ: ما تربطونهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء وما تحلّونهُ على الارض يكون محلولًا في السماء والخطايا تُغفر لمن تغفرونها وتُمسك على من تمسكونها؟ اي دين وعد صاحبهُ ذويهِ انهُ يبقى معهم الى منتهى الاجيال وانّ السماء والارض يزولان وكلامهُ لا يزول؟

وهـذه المعتقدات وغيرها كثير امتازت بهـا النصرانيَّة على سواها. وانَّما امتيازاتها اعظم واسمى بتعاليمها. فليفدنا التنير عن احد الاديان المعروفة التي قال صاحبها: «طوبى للفقراء.. طوبى للجياع.. طوبى للذين يبكون.. طوبى للمظلومين». في اي دين ورد مثـل قول المسيح: «طوبى لكم اذا عيَّروكم وشتموكم وقتلوكم لاجل اسمي فانَّ اجركم عظيم في السماوات». اي صاحب دين ارسل اتباعهُ كالحملان بين الذئاب وأمرهم ان يقدّموا خدّهم الايسر لمن ضربهم على الايمن ويعطوا قميصهم لمن اغتصبهم رداءهم؟ اي دين ردَّ الزواج الى شرفهِ كما كان في اوَّل الخليقـة وأبطل الطلاق وحرَّم الزواج بالمطلَّقة وجعل نظر الانسان الى المرأة ليشتهيها في قلبهِ بمنزلة الزنا؟ اي دين امر بالصفح عن اساءة القريب والغريب وبالاحسان الى العدوّ والصلاة لاجل المضطهدين؟ تجوَّل يا محمَّـد التنيّر في انحاء المعمور واطاب لك ايّ ديانةٍ شئت لن تجد كالنصرانيَّة عزًّا وقداسةً وثباتاً فانَّها وحدها لا تخاف اعتراضات المعترضين وتفحم بالبرهان كلَّ الملحدين وتزيد قوَّة وازدهارًا على قدر ما ينالها من المعاكسات وتقاسيهِ من الشدائد. ألا ترى شيخ الفاتيكان وسجين ايطالية الحبر الروماني فمن كان نفوذهُ اعظم وسلطتهُ اوسع وهو اليوم لا ملك له ولا جيوش ولا قوَّة مادّيَّة ومع ذلك ترنو اليهِ انظار الملوك والسلاطين لمقامهِ الادبي الفريد في العالم. وان راجعت تواريخ اسلافهِ ال ٢٦٤ وجدت بينهم ٤٠ شهيدًا في سبيل دينهم ٦٨ قديساً اثبتوا قداستهم بالمعجزات. وللباقين من الفضل مبرارة الحياة بالسهر على وديعة الايمان بمقاومة الاضاليل بالغيرة الرسوليَّة وسائر الاعمال الشريفة مـا يقرُّ لهُ كلّ منصف منزَّه عن الغرض. اقرأ يا رعاك الله ما كتبهُ في المنار العلَّامة محمَّد افندي عبده عند وفاة البابا السابق لاون الثالث عشر تعلم مقام الباباويَّة في الدنيا

ولكن ما لي اذكر المعتقدات والتعاليم ومقام النصرانيَّة في العالم دَعْنا ننظر الى اعمال النصرانيَّة فانَّ الشجرة تُعرَف من اثمارها. راجع تاريخ الدين المسيحي واستقرِ مآثرهُ التي لا تُحصى فانك تجد لهُ من المبرّات في سنة واحدة بل في اسبوع واحد وفي بلد واحد ما لا تجد مثلهُ في تاريخ شعوب عديدة راقية التمدُّن في عدَّة قرون. فايَّ صنف من الخير اهملتهُ النصرانيَّة واي عمل صالح لم تباشرهُ؟ سرِّح بصرك في مدينتنا بيروت وعدَّ ان امكنك المشروعات الخيريَّة التي تتولَّاها النصرانيَّة. فمن

يا تُرى يهتمُّ بالرضعان واللقطاء ؟ من يربّي الصغار ؟ من يُعنى بالايتام ؟ من يعول الفقراء ؟ من يتفانى في تمريض المرضى ؟ مَن يخدم العجَزَة ؟ من يقدّس حياة الاماء والفعَلة ؟ من يفتح الكليَّات والمدارس والكتاتيب المختلفة لتثقيف الناشئة من كل طبقات الامَّة ؟ من يعزّز العلوم وينشئ المراصد الفلكيَّة ودور الصناعة ؟ أليس للنصرانيَّة في كلّ ذلك السهم الافوز والحظ الاوفى ؟ وما نقولهُ عن بيروت قُله عن كلّ انحاء الشام وما بين النهرين والعجم ومصر حتى مجاهل افريقية وكلّ ذلك لوجه الله وحبًّا بالقريب دون امل بشريّ او غاية زمنيّة . وان كانت هذه الاعمال بالغة تلك الوفرة في خارج بلاد النصرانيَّة فما قولك بالبلاد والمدن النصرانيَّة ؟ فاننا قد اطَّلعنا على قائمة الاعمال الخيريَّة في باريس وحدها فاذا بجدولها يقارب الف صفحة من القطع الوسط . واكثر تلك المشروعات يقوم بنفقاتها ارباب البرّ ورجال الدين

فهذه اعمال النصرانيَّة اليوم وما ادراك ما كانت قبلًا منذ اشرق نور هذا الدين الى عهدنا ؟ استفتِ التواريخ الصادقة تُجبك على السنة جميع الشعوب انَّ النصرانيَّة حيثما دخلت ازهرت بها الفضائل ازهرت الآداب ازهرت العلوم . ليت شعري ايُّ داء لم تعالجهُ ؟ اي سُقم لم تسعَ بتلطيفهِ ؟ انشأت الرهبانيَّات لخدمة المطعونين لشفاء البرْص لتربية العميان والصمّ والخُرْس . سار ابناؤها الى البلاد الاجنبيَّة لفكّ اغلال الاسرى وكثيرًا ما قدَّموا نفوسهم للعبوديَّة بدلًا منهم . خصّ كثيرون حياتهم لخدمة المجانين واقاموا لهم المستشفيات الخاصَّة . . .

أتريد شاهدًا آخر على اعمال النصرانيَّة ؟ افتح معاجم مشاهير الرجال وعُدَّ بينهم افاضل النصارى فانَّ عددهم يفوق على عدد نجوم السماء . بينهم القديسون الكبار الذين حيَّروا العالم بمآثرهم وفضائلهم التي لا تسعها المجلدات الضخمة . بينهم المعلّمون والملافنة الذين تدهشنا علومهم وتآليفهم الباقية الى زماننا كاوريجانس واوغسطينوس . بينهم الخطباء البلغاء كيوحنَّا فم الذهب وكيرلس . بينهم الملوك العظام الذين كانوا قدوةً لشعوبهم ونعمةً لرعاياهم كالقديس لويس والقديس هنريكوس الثاني . بينهم المكتشفون للبلاد مثل كريستوف كولمبوس . بينهم المرسلون الداعون الى الدين والتمدُّن الامم الوثنيَّة كفرنسيس كسافاريوس والوف غيره . اذكر فقط المستعمرات التي انشأها اليسوعيون لتهذيب همج البراغواي فقال عنها ولتير « انها اعظم مشروع قلم بهِ البشر »

وكم من هذه الاعمال ما تأيَّد بالعجائب المثبتة للدين المسيحي. اذهب الى لورد وانظر ما يجري كلّ يوم من المعجزات التي اقرّ بصحتها اكثر من ٤٠٠ طبيب من كلّ الطوائف والملل والنزعات فحصوها فحصاً مدقّقاً.

وكم من الاعمال غير هذه لا يسعني ذكرها لضيق المقامْ وان شئت أضِف اليها ما صنعتهُ النصرانيَّة في سبيل الآداب والفنون الجميلة فانَّ كنائسها اجمل كل هيا كل الدنيا. نقوشها وتماثيلها وصورها تُعدّ من ألطف وابدع ما رسمتهُ ايدي البشر. انسجتها وحليها وآنيتها الدينيَّة تفتن كلّ الابصار. ادخل احد متاحف اوربَّا كالواتيكان او لندن او باريس لا تتمالك من تعظيم الديانة التي انتجت كل تلك المصنوعات فتقرّ شئتَ ام ابيت ان الدين المسيحيّ دين الهيّ صارخاً « ان اصبع الله لها هنا » ومتأكِّداً قول الرب في انجيلهِ (يوحنَّا ١٧ : ٣) : «هذه هي الحياة الابديَّة ان يعرفوك انت الاله الحقيقيّ وحدك والذي ارسلتهُ يسوع المسيح » فالبركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوَّة لالهنا الى دهر الداهرين امين

النَّصرانيَّة وآدابها
بين
عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

﴿ مكَّة ﴾ كما عُرفت النصرانيَّة في يثرب في عهد الجاهليَّة كذلك نالت مكَّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواهُ قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي

قدَّمنا في اوَّل هذا الفصل ما اثبتهُ المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانيَّة في الحجاز اجمالاً. ومكَّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان

يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مكّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتى اقصاها . قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي في القرن الخامس للمسيح عن القيصر ڤالنس (١ انَّهُ لمّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيريين في اقاصي تخوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

واقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحاً عن النصرانيَّة في مكة ما ورد في اثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. امَّا زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢ وغيرهم انَّ سادس ملوك جرهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم . فمنهُ يتعيَّن انَّ النصرانيَّة دخلت مكة قبل بني الازد وتغلُّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٣ : ١٠٩) انَّ بيت الحرام كان لهُ في عهد بني جرهم « خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيهِ الحُلى والمتاع الذي يُهدى لهُ يومئذ لاسقف عليهِ » . فقولهُ « اسقف » يريد بهِ حبر النصارى المعروف. وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ « كتاب اخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقي » المطبوع في

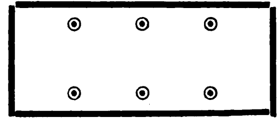
---

١) راجع تاريخهُ في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. *82* col. *1158*)

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليَّة لكوسان دي برسفال (C. de Perceval : *Essai sur. l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme* I, 199)

ليسيك (éd Wüstenfeld. 110 — 112) انهُ كانت في دعائم الكعبة « صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم » ثمَّ قال ما حرفهُ (ص ١١١) :

« فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ امر بثوب فبُلَّ بالماء وامر بطمس تلك الصور فطُمست. قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال: امحوا جميع الصور الَّا ما تحت يديَّ فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ... وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال: سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع: أدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم ادركتُ فيها (كذا) تمثال (ص ١١٢) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوَّقًا. وكانت في البيت اعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع



قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب: قال ابن جريج فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر ابن الزُّبير. ..قال ابن جريج: ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حين فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال: تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تَلينَ الباب الذي يلينا اذا دخلنا.. (ص ١١٣). اخبرني محمَّد ابن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن اسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيرهِ من اهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام. قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر. ان امرأة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت: بابي انتِ وامي إنَّكِ لعربية. فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الَّا ما كان من صورة عيسى ومريم »

وما رواهُ هنا الازرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي. وفيهِ شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة. ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ : ٢٩٨) حيث قال « : امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيش من بني اسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد وورقة بن نوفل بن اسد »

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّةَ والصليب

وقال الاعشى :

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيّ والمضاضُ بن جُرهمِ

ولعلَّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب الى ان يعظِّموا الكعبة في الجاهليَّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيَّة فضلًا عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكرَم هناك مع ابنهِ اسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لأمّهِ هاجر (تكوين ٢١ : ١٧) في هذا المكان . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٦٢٢) « وليست امَّة في الارض ألّا وهم يعظمون البيت . . . وانهُ من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى »

وممَّا يدلُّ على آثار النصرانيَّة في مكة او قربها المكان المعروف بموقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس . وكذلك مقبرة النصارى . قال الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١) : « مقبرة النصارى دُبر المَقلع على طريق بئر عنبسة بذيَ طوى » والمقلع « الجبل الذي باسفل مكة على يمين الخارج الى المدينة » . ونظنّ انَّ « مسجد مريم » الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيَّتهِ (ص ٧٧) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثر دينيّ كان هناك في عهد الجاهليَّة

وممَّا يثبت نفوذ النصرانيَّة في مكة على عهد الجاهليَّة نهضة الحنيفيَّة هناك فانَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر (Sprenger) (١ وولهوزن (Wellhausen) (٢ وكوسّان دي پرسڤال (C. de Perceval) (٣ وغيرهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة كانت شيعة نصرانيَّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما اراد بها شعراء الجاهليَّة والكتبة القدماء النصرانيَّة بعينها . قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11) :

كأنَّ تواليَهُ بالملا نصارى يساقون لاقوا حنيفا

اراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاتهِ . وروى صاحب الاغاني (ك ١٦

١) اطلب كتاب (Sprenger: *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad*)

٢) اطلب (Wellhausen: *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq.*)

٣) كتابهُ (Essai sur l'Hist. des Arabes I, *321*)

ص ٤٥) وياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١) لأيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة:

وصَهْباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تَنفر (١ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيمن نارَها طَرُوقًا ولا صلَّى (٢ على طَبْخها حَبْرُ

اراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلا شكّ الراهب بدليل ذكرهِ في البيت الثاني القسّ والحَبْر. ولعلَّ ابا ذؤيب قصد ايضاً الراهب حيث قال مشيرًا الى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩):

اقامت بهِ كمقام الحنيفِ م شهرَي جمادى وشهرَي صَفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيَّة الحنفاء انَّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم انهم تنصَّروا. واشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزَّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمَّها اخا ابيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. ١٥٣) : «وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٣». وقال الاسحاقي في تاريخهِ الاكبر (٤ : «كان ورقة امرءًا قد تنصَّر في الجاهليَّة وكان يكتب الكتاب العربيّ فكتب بالعربيَّة من الانجيل ما شاء ان يكتب»

ومنهم عبيد الله بن جَحش بن رئاب. قال ابن هشام (ص ١٤٣—١٤٤):
«هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ امّ حبيبة ابنة ابي سفيان مسلمةً فلمَّا قدماها تنصَّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيًا. قال ابن اسحاق: فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن الزبير قال: كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرُّ باصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول: فقَّحنا وصَأْصأْتم اي أَبصرنا وانتم تلتمسون البصَر ولم تُبصروا بعد»

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيَّتهُ اليعقوبيّ . روى ابن هشام

١) روى ياقوت: ولم ينفر
٢) في ياقوت: ولم يحصر (يحضر ؟)
٣) اطلب كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٦١٦)
٤) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88)

(ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قولهُ (١ : « واماً عثمان بن الحوَيْرث فقدم على قيصر وتنصَّر وحَسُنت منزلتهُ عندهُ » . كانت وفاتهُ في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نُفَيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردُّدهُ في دينهِ واجتماعه باحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزالهِ الاوثان

ومنهم اميَّة بن ابي الصلت الذي ترى ديوانهُ مشحوناً بتعاليم النصارى مع منقولات متعدّدة عن الاسفار المقدَّسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاوَّلين باغراء الحيَّة والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذى روى عنهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٣ : ١٨) انه «كان ترهَّب في الجاهليَّة ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانيًّا ثمَّ اسلم

وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥ : ٢) نصرانيَّة عتبة بن ابي لهب صهر نبيّ الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكَّة صهرًا لبشر اخي أُكَيدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانيًّا وبشر هو الذي علَّم اهل مكَّة الخطَّ العربيَّ

وممَّا يفيد تاريخ النصرانيَّة في مكة ذكر المعاملات التجاريَّة التي كانت متواصلةً بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فانَّ اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثَّر فيهم تأثيرًا عظيماً واجتذب كثيرين منهم الى الدين المسيحي (لهُ بقيَّة)

١) اطلب مقالتنا المعنونة الاحداث الكتابيَّة في شعراء الجاهليَّة (ص ٢٠ — ٢١)
٢) اطلب مقالاتنا « الاحداث الكتابية والتشابيه النصرانيــة في شعراء الجاهليَّة » (ص ٢٠-٢١)

مطبوعات شرقية جديدة

١ لباب البراهين الجليَّة عن حقيقة امر الطائفة المارونية

درس تاريخي انتقادي للمطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في القطر المصري

طبع في مصر سنة ١٩١٢ ص ٣٦٠

٢ BULLARIUM MARONITARUM complectens Bullas, Brevia, Epistolas, Constitutiones aliaque Documenta a Romanis Pontificibus ad Patriarchas Antiochenos Syro-Maronitarum missa. Excerpta cura et studio **Tobiæ Anaissi Abbatis.** *Romæ, Max Bretschneider,* 1911, pp. VIII-576

مجموع البراءات والرسائل التي منحها الاحبار الرومانيون لبطاركة الطائفة المارونية

سُررنا اي سرور بنشر هذين الكتابين النفيسين المنشورين آخرًا عن الطائفة المارونيَّة الكريمة ولولا ضيق المكان لخصصنا لوصفهما مقالة بل اكثر ونحن نكتفي الان بان نستلفت اليهما خواطر مواطنينا اجمالًا والموارنة خصوصاً

١ الكتاب الاوَّل لسيادة الكاتب النبيل والمطران الجليل يوسف دريان يحتوي « درساً تاريخيًّا انتقاديًّا في اصل الطائفة المارونيَّة واسمها وديانتها واحوالها منذ اوَّل القرن الخامس الى اوائل القرن الثالث عشر من القرون المسيحيَّة » فجاء ان شاء الله كمسك الختام لجدال خاض عبابهُ مشاهير كتبة الموارنة منذ نحو ٣٠٠ عام مع قوم من جلَّة العلماء. وكانت نار هذا الجدال كادت ان يهدأ سعيرها في اواسط القرن الماضي اذ حمي ثانيةً وطيسها في بلاد الشام فتعدَّدت للمنشورات من الفريقين حتى كان آخرها كتاب السيد العديد المآثر اقليميس داود المعنون « بجامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوي الموارنة » الذي طُبع بعد وفاة مؤلفهِ بزمن طويل على يد من لم يُبح باسمهِ وفيهِ من الشواهد على انفصال الطائفة المارونيَّة عن الكنيسة الرومانيَّة بالبدعة المنوثليَّة ما ليس في غيرهِ حتى كاد القرَّاء يقولون قد قضي الامر وظهر الحقّ رغماً عمَّا ارتآهُ البعض لابطال تلك الحجج امَّا بنكرانها وامَّا بنسبتها الى قسم من الموارنة غير اهل لبنان. امَّا سيادة المطران يوسف دريان فلتضلُّعهِ بالتاريخ واستقامتهِ في آداب

البحث لم يَخفَ من التسليم بمعظم تلك الشواهد لكنهُ رأى وجهاً آخر لحلّ المشكل وتبيان ثبات الكنيسة المارونيَّة في اتحادها مع الكرسي الرسولي فأتى بادلَّة قريبة الى العقل يؤخذ منها ان قول الموارنة بالمشيئة الواحدة انما كان عن سلامة نيَّة وسوء تفاهم ظنًّا منهم ان القول بالمشيئتين في المسيح ملازمٌ للقول في تناقضهما وتعاكسهما وذلك مما لا يقبل بهِ العقل الصائب ويردّهُ التقليد الرسولي مع الآباء والمجامع. فلا شكَّ انَّ هذا الحلّ يزيل كثيرًا من العقبات التي كان يلقاها في طريقهِ دارس تاريخ الموارنة فلا يستطيع ان يطابق بينها وبين اقوال اوثق المؤرخين كاخبار المَرَدة وزمن بطريركيَّة مار يوحنَّا مارون ومنوثليتيَّة قسطنطين اللحياني وغير ذلك مما كان جعل التاريخ كلغز لا يُحلّ. فنتقدَّم لسيادة المؤلف بشكرنا الحميم على هذا التأليف ونتمنى ان يردفهُ بتأليف آخر اجدى نفعاً وهو تاريخ موسَّع للطائفة المارونيَّة من القرن الثالث عشر الى زماننا حيث لا يبقى جدال في صحة ايمان الموارنة وتوفّر مآثرهم التي لا يزال معظمها مجهولاً. وفي الكتاب الثاني الذي نوَّهنا بهِ ما يُساعد على كتابة هذا التاريخ كما سترى

٢ والحقّ يقال ان هذا الكتاب اي مجموع البراءات والرسائل والتبليغات التي وجَّهها الاحبار الرومانيون الى الطائفة المارونيَّة وبطاركتها الاجلَّاء من اجلّ الآثار وارفعها قدرًا وهي في هذا المجموع تناهز ال٢٢٠ عدًّا ولو امكن حضرة المؤلف الاباتي طوبيًّا العنيسي ان يزور مكاتب اوربَّة وبعض خزائن الخاصَّة فراجع مخطوطاتها ومطبوعاتها لوجد غير ذلك ايضاً. وعلى كل حال نثني الثناء الطيب على همَّة حضرة الجامع الذي قرَّب من علماء التاريخ الكنسي كل هذه الآثر المدفونة. وان سمح لنا ابدينا لهُ بعض الملحوظات ليحسِّن الطبعة الثانيَّة من هذا الكتاب. اوَّلًا لا بُدَّ من مقدَّمة طويلة لتعريف المظانّ التي نقل عنها حضرة الجامع. ثانياً تلزم مقدَّمة ثانية لبيان فوائد تلك الآثار وما يُستنتج منها لتاريخ الطائفة. ثالثًا تحتاج كلٌّ من البراءات والرسائل الى توطئة مختصرة لذكر فحواها وظروفها. رابعاً كان ينبغي مراجعة المسوّدات بكل حرص لأنَّهُ قد وقع في اثبات النصوص اغلاط طبعيَّة عديدة تكاد تذهب بالمعنى. خامساً انَّ الفهارس للاعلام والامكنة والموادّ مما لا يستغنى عنهُ وكلها ناقصة في الكتاب. سادساً انَّ جدول بطاركة انطاكية (ص ٥٥٣ — ٥٥٦) لا

يوثق بهِ في اشياء كثيرة. فليُراجع كتاب لباب البراهين الجليّة الذي سبق وصفهُ. هذا ما بدا لنا من الخواطر عند مراجعة ذاك التأليف الخطير الذي نتمنى لهُ كل رواج كما يستحقّ ونقترح على احد ذوي الهمّة تعريبَهُ ل. ش

LEHRBUCH, die Arabische Sprache durch Selbstunterricht schnell und leicht zu erlernen, von **B. Manassewitsch,** 4[te] *neu bearb. Auflage, Wien, A. Hart leben's Verlag,* 1912, pp. 186

كتاب تعلم العربيّة بطريقة سهلة

افدنا القرّاء سابقاً عمّا باشرهُ محل « هرتلابن » في ڤيِنّـة وليبسيك من وضع الكتب التعليميَّة السهلة لمعظم اللغات القديمة والحديثة. وهذا الكتاب هو خصوصاً لتعلُّم العربيَّة مضمونهُ مختصر جيد من صرف العربيَّة وتراكيبها مع بعض المنتخبات ومعجم صغير وذلك في اللغة الالمانيَّة. وعلى رأينا انَّ طلبة العربيَّة في المانيَّة والنمسة يُسَرُّون بهِ لوضوحهِ وقرب منالهِ وتصوير الفاظهِ العربيَّة بالحرف الاوربّي. على انَّهُ قد وقع في طبعهِ بعض اغلاط لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة اخرى ل. ش

GRAMÁTICA ESPAÑOLA EN IDIOMA ÁRABE por **Clemente Cerdeira,** *Beirut, Imprenta Católica,* 1912, p. XXXVII-199

كتاب نهج الاذهان في تعليم لسان الاسبان

ان امتزاج العناصر الشرقيَّة بالدول الاوربيَّة صار يقتضي توفير التآليف المدرسيَّة ليتعلم اهل الشرق اللغات الغربيَّة. وكانت الألسنة الرائجة حتى اليوم بين الشرقيين الفرنسويَّةَ والانكليزيَّةَ والطليانيَّة فوُضعت لدرسها عدَّة مطبوعات راج سوقها. وكان طلبة الاسبانيَّة حتى اليوم قليلي العدد لقلَّة المواصلات بين الشرق واسبانية. امَّا اليوم وقد دخلت اسبانيـة في شمالي مراكش وكثر عدد المهاجرين الشرقيين الى اميركة الجنوبيَّة حيث اللغة الاسبانيَّة هي اللغـة الدارجة فقد اصبحت الحاجة ماسَّة لوضع تأليف واسع يسدّ هذا الخلل. فذلك ما قصدهُ الشاب الاديب اكليمنضوس ثَرْدَيْرَى الاسباني الاندلسي احد تراجمة سفير دولة اسبانية في مراكش الـذي قدم بلادنا منذ ثلاث سنوات فدرس العربيَّة في مدرسة الحكمة الزاهرة ثم باشر بتصنيف هـذا الكتاب على طريقة السؤَال والجواب فاودعهُ خلاصة قواعد اللغة الاسبانيَّة

مشروحة باللسان العربي مباشرةً بحروفها الهجائيَّة الى دقائقها الصرفيَّـة والنحويَّة .
وزيادةً في الافادة قد اضاف الى كلّ باب تمارينَ عديدة ومُعَيجماً ضمَّنهُ مجمـل
الالفاظ التي يحتاج اليها الكاتب والمتكلم ليستطيعا باقرب وقت ان يستفيدا من
دروسهما ويقرأا التآليف الاسبانيَّة ويختلطا باهلها . والكتاب متقن الطبع في
مطبعتنا يزينهُ غلاف منقوش بواجهة قصر الحمراء في الاندلس . والمؤلف قد اهـدى
كتابهُ الى سعادة دون الفونس مري دلقال شقيق وزير الدولة البابويَّة . فنشكر
صاحب هذا التأليف على حُسن عملهِ ونتمنَّى لكتابهِ رواجاً عظيماً ل . ش

ABU HANIFA AD-DINAWERI. Kitâb al-Ahbâr at Tiwâl Préface, Variantes et Index publiés par. I. **Kratchkovsky,** *Leide, Brill,* 1912, pp. 82-٩٢

فهارس كتاب الاخبار الطوال

كرَّرنا غير مرَّة الثناء على علماء اوربَّة الذين لا ينشرون كتاباً مهماً الَّا ألحقوهُ
بفهارس واسعة تقرّب فوائدهُ للطالبين . فدونك مثـالًا جديدًا على همَّتهم من هذا
القبيل . كان المستشرق الروسيّ ڤلاديمير جرجاس قبل ٢٥ سنة اعدَّ لينشرهُ في ليدن
تاريخاً عزيز الوجود ذا شأن عظيم ألا وهـو كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة
الدينوري من كتبة القرن الثـالث للهجرة لكنَّ موتهُ في ٢٦ شباط سنة١٨٨٧
حال دون رغبتهِ فقام العلَّامة فون روزن الشهير وطبع الكتاب عاجلًا لئلَّا تفوت
فوائدهُ المستشرقين ووعد بان يُلحقهُ بمقدَّمة وفهـارس لولا ان اشغالهُ المتعدّدة لم
تسمح لهُ بذلك . وكان تلاميذهُ باغرائهِ اشتغلوا بذلك فبقي شغلهم غير كامل وها
قد اتاح الله للدروس الشرقيَّة رجلًا هماماً عرفنا نشاطهُ بيننا مدَّة سنتين اعني
الدكتور اغناطيوس كرتشكوفسكي احد تلامذة البارون ڤون روزن ومذ رجع الى
بطرسبُرج اخذ يؤدي للعلم خدماً مشكورة . من جملتها اتمام فهارس تاريخ ابي
حنيفة الدينوري المذكور مع المقدَّمات العلميَّة على الكتاب ونسخهِ وتعريف مؤلفهِ
وعظم شأن تأليفهِ المذكور مع وصف بقيَّة مصنَّفاتهِ . وهو لعمري شغـل شاقّ لا
يعرفهُ غير الذي عاناهُ . فنشكر صديقنا الدكتور كل الشكر على عملهِ ونتمنى ان
ينفعنا الله زمناً طويلًا بمنشوراتهِ العلميَّة ل . ش

Frédéric Ozanam, par **Mgr. Alf. Baudrillart**. Paris, Bloud et C^ie^. p. 63

فردريك اوزانام منشئ شركة مار منصور دي بول

افاد المشرق (١٣ (١٩١٠): ٤٨١-٤٩٣) في المقالة المعنونة « نظر تاريخي في شركة مار منصور » كيف انشأ ذلك الفرنسويّ المقدام فردريك اوزانام تلك الشركة التي امتدَّت اليوم في كلّ انحاء العالم المسيحيّ ويسعى اعضاؤها العلمانيُّون لوجه الله في تلطيف كافة الاسقام البشريَّة. ولم يكن فردريك اوزانام فقط رجلَ الخير ولكن عُرِف ايضاً كرجل التقى ورجل الوطنيَّة الصحيحة وكشاعر مفلق وكاتب بليغ ومؤرخ محقّق. فكلّ ذلك حدا بسيادة المنسنيور بودريليار رئيس مكتب باريس الكاثوليكي الى ان يخصّ قسماً من وقتهِ الثمين لكتابة هذه السيرة الجليلة فيقدّم لشبَّان العصر مثالًا حيًّا يقتدون بهِ في خدمة الله ومساعدة القريب وبذل النفس في حبّ الوطن ورسالة الكتابة والتأليف. وقد دبَّج ذلك بقلم يسيل رقَّة وجعلهُ من المرشَّحين لعضويَّة الاكادمية الفرنسويَّة. فأملنا وطيد بانَّهُ ينال قريباً ذلك الامتياز الذي استحقَّهُ من وجوه عديدة

الاب ج. نيرون

A. Brou s. j : Saint François-Xavier. 2 vol. in-8 avec cartes, XVI-446 et 448, *Paris, Beauchesne et C^ie^*, 1912

القديس فرنسيس كسفاريوس

انَّ الطبَّاع بوشان في باريس الذي اتحفنا في الشهر الماضي بكتابهِ الجميل المُعنوَن « المسيح او دليل تاريخ الاديان » اهدانا هذه المرَّة كتاباً آخر ذا مجلدين ضخمين يحتوي ترجمة رسول الهند واليابان في اواسط القرن السادس عشر. نعم انَّ حياة فرنسيس كسفاريوس معروفة منذ زمن طويل الَّا انَّ عصرنا هذا هو عصر الانتقاد فلا يكتفي بما سبق اليهِ الكتبة الاوَّلون بل الكتبة المحدثون ايضاً. ومن ثمَّ رأى حضرة الاب برو اليسوعيّ ان يستأنف عمل اسلافهِ ويجعلهُ ليس فقط مطابقاً للذوق الحديث بل موافقاً لمقتضيات النقد العصري. لادراك هذه الغاية اعاد النظر في كل ما كُتب عن ذلك الرجل العظيم والمرسل الكريم بل بحث في عدَّة مكاتب عن آثارهِ لاسيا رسائلهُ المتدفقة فضلًا وشهامة ثمَّ جمع شواهد معاصريهِ المرسلة الى رومية

لاثبات قداستهِ وتصفّح الاوراق السريّة التي بنى عليها المجمع المقدَّس ثم الحبر الاعظم حكمَهما لادراجهِ في سجلّ القديسين . وغير ذلك مما ساعدهُ على تسطير سيرة جديدة للقديس المذكور تمثّل للعيان اعمال ذلك البطل المغوار ورسول السلام الذي بشر بالانجيل في عدَّة ممالك وعمَّد اكثر من مليون من البشر واقترف من المعجزات ما جعلهُ شبيهاً بالرسل الاوَّلين من جملتها احياء عشرة اموات والتكلُّم بعدَّة لغات لم يتعلمها واشياء أُخر كثيرة شهد في صحتها عدد لا يحصى من الشهود العيانيين. فنحضّ محبي التاريخ المسيحي واخبار مشاهير الكنيسة ان يغذوا نفوسهم بمطالعة هذا الكتاب الذي هو كافٍ لاثبات حجة الدين المسيحي. بازاء ناكريهِ ل.ر

كتاب الفلسفة النظريّة

تأليف الكردينال مرسيه رئيس اساقفة مالين

عُني بنقلهِ الى اللغة العربيّة وتعليق حواشيهِ حضرة الخور اسقف نعمة الله ابي كرم رئيس المدرسة المارونيّة برومة العظمى طُبع في المطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩١٢ المجلد الثاني في العلم الكلي العام (ص ٤٨٠)

عرَّفنا في عامنا الماضي المشرق ١٩١١ ص ٧٦) مؤلف هذا الكتاب وبيّنّا ما وجدهُ تأليفهُ من الاستحسان في مدارس اوربّة وكليَّاتها وشكرنا لمعرّبهِ خدمتهُ للوطن بنقلهِ الى لغتنا مع تعليق حواشيهِ. وها هوذا لم يلبث ان اتحفنا بجزئهِ الثاني الذي يحتوي اجلّ المباحث النظريَّة وارفعها شأناً في الفلسفة اعني علم المتافسيقي المعروف عند العرب بما وراء الطبيعة لبحثهِ عن اعمّ المعلومات وارقاها في المعارف العقليَّة كالكلي العامّ والخاصّ والموجود والجوهر والذات والماهيَّة والممكن والواجب والبسيط والمركَّب والوحدة والعدد والحقّ والبطل والخير والشرّ والاعراض والسكون والحركة والمادَّة والصورة والعلل الاربع والنظام والكمال والجمال. وهي لعمري ابحاث لا تكاد تخطر على بال العامَّة بل اساء في تعريفها اصحاب الظهور والماديون فانخدع باقوالهم من ركن اليها دون رويَّة. الَّا انَّ الكردينال مرسيه دليل حاذق خرّيت لا يفوتهُ شيءٌ من غوامض المشاكل التي درسها درساً مدققاً مع فكرهِ الثاقب ومعرفتهِ التامَّة لآراء قدماء الفلاسفة والمتفلسفين المحدثين فتراهُ اذا تعرَّض لبحث مهَّد طرقهُ ووطَّأ وعوراتهِ ودلّ على شُعَبهِ واثبت بالدليل العقلي ما يراهُ صواباً

كما يفنّد بالبرهان ما لا يستصوبهُ من آراء غيرهِ. وقد استحسنّا تعريب الكتاب فان سيادة الخوراسقف أحسن في اختيار الالفاظ الدالّة في العربيّة لأدقّ وأعوص الاصطلاحات الفلسفيّة عند الاوربيين وزاد الكتاب نفعاً بتعليقاتهِ المنبئة بتعمقهِ في الدروس النظريّة. حفظهُ الله وافادنا بتآليفهِ التي نتمنى لها انتشارًا واسعاً في كل انحاء الشرق العربيّ

ل. ش

ألرهبان: من هم؟ ماذا يعملون؟ ماذا ينفعون؟

بقلم الاديب نجيب ملحم الشعلاني

المطبعة الكاثوليكيّة. بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٩٤)

منذ قامت الجمعيّات السريّة لمعاكسة الدين جعلت الرهبان هدفاً لسهامها فضربت الصفح عن كل اعمالهم منـذ مئين من السنين للتشنيع عليهم وتصوّرهم على خلاف الحقيقة وربّما عظّم اصحابها القذاة فجعلوهـا خشبة للتهويل على السذّج من القوم وليست الخشبة الّا في عيون اولئك المموّهين. فمن ثمّ نشكر جنـاب الاستاذ نجيب افندي ملحم الشعلاني لنشره هذا الكتاب الذي مع صغر حجمهِ يفيد كل القرّاء المنصفين عن عظم مقام الدعوة الرهبانيّة وعن الخدم اليوميّة التي يؤدّيها الرهبان للمجتمع البشري في كل اطوار حياتهم كخدَمـة الدين ووعّاظ ومرشدين وكتبة ومحسنين الى الفقراء وعائدين للمرضى وزائرين للمحبوسين وغير ذلك. وقد خصّ المؤلف قسماً من تأليفهِ لذكر الرهبان الوطنيين الموارنة والملكيين ونعم ما فعل لقربهم منّا وكثرة حسناتهم فنحضّ الكاثوليك على قراءة هذا الكتاب ونشرهِ بين مواطنيهم

ل. ش

مصر وسوريا

بحث سياسي انتقادي في تاريخ العلائق بينهما قديماً بقلم بولس مسعد

طُبع في مصر «نيسان» سنة ١٩١٢ (ص ٣٦)

هذه الكريريسة جعلهـا صاحبها الاديب هديّة الى ادباء المصريين والسوريين والى اللجنة المؤلّفة لمساعدة المنكوبين في حريق دمشق. فترى من عنوانها انها عجالة لم يُقصد بوضعها التعمُّق في العلاقات التاريخيّة التي تجمع بين القطرين السوري والمصري ولولا ذلك لما كفتهُ المجلدات الضخمة لكتابة تاريخ كهذا. وعليهِ لا حاجة الى ان

نتتبع اقوال المؤلف لنقدها وانَّما نثني على همَّتهِ لجعله تلك العلاقات كرابط وثيق بين المصريين والسوريين فيوحّدوا قواهم لكلّ ما يؤول لخير القطرين الشقيقين

ل . ش

رنّات الأَسى

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ٤٣)

هي كرَّاسة تتضمن اهمّ الرسالات التي وردت على الجمعيَّـــة البولسيَّة على اثر فجعها بوفاة مؤسسها ورئيسها الحبر العالم الهمام المثلث الرحمة المطران جرمانوس معقد . ومن يتلو هذه الرسالة يتأكد كم كان رفيعاً موقع فقيد الطائفة والكنيسة في قلوب غبطة السيد البطريرك والسادة الاجلّاء واماثل اهل سوريَّة ومصر . فعسى هـــذه الكتابات تلطّف حزن ابنائهِ البولسيين وتنعش في نفوسهم ذكر حياتهِ الصالحة ليحقّقوا من بعده كل آمالهِ في تمجيد الله وخدمة القريب ل . ش

مناجاة النفس

للخوري جرجس فرج صفير

طبع بالمطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٤٨)

يحبّ الشعر المواضيع الخياليَّة والادبيَّات المفكِهة لكنهُ لا يأنف من المواضيع العلميَّـــة او النظريَّة فيكسوها نظمهُ ثوباً قشيباً يحببها الى من ينقبض ليبوستها . فكأن الوزن الشعريّ يرسخ في ذهن القارئ فيشحذ فكرتهُ وينبّه قلبهُ الى استخراج المعاني المكنونة تحت قشرة الالفاظ فهذا مـــا قصدهُ حضرة الخوري جرجس فرج صفير الذي اغنى سابقاً مكاتبنا الشرقيَّة بتآليفهِ الفلسفيَّة فرأى هذه المرة ان يوشّح المبادئ الفلسفيَّة في الانسان واصلهِ ومعادهِ ببردة الشعر فنظم الفاً وخمسين بيتاً منهُ تراها تسيل من قريحتهِ سيل الميـــاه المتدفقة فتروي على صورة رمزيَّة اسمى الحقائق النظريَّة التي يتباحث بها الفلاسفة كجوهر النفس واتّصالها بالجسد وقواها واعمالها المختلفة في الجسم وبمعزل عنهُ . ومن لهُ المام بالفلسفة يأخذهُ العجب من قدرة الشاعر على اخراجهِ كل هذه المعلومات في قالب من النظم الجيد . ويا ليتهُ فصَّل هذه الصفحات ابواباً ولخص في رأس كل باب مضامينهُ لكانت زادت بذلك رغبة القاري في كشف تلك المكنونات الجليلة . ولعلّ حضرة المؤلف يتبع قصيدتهُ قريباً بشروح مستوفية

تقرّب تلك التعاليم السامية الى عقول الجمهور فيستوجب شكرنا عودًا وبدءًا

ل٠ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفهِ سليمان مصوبع المحامي

طُبع في صيدا في مطبعة العرفان سنة ١٣٣٠–١٩١٢ (صفحاته ١٢٠)

كنَّا استبشرنا خيرًا لمَّا نشر جناب المؤلف اعلانهُ بطبع هذا القاموس. والجزء الاوَّل الذي بلغنا منهُ آخرًا لم يُخيِّب ظنَّنا فيهِ فان المؤلِّف يتتبَّع الموادّ الشرعيَّة بابًا بابًا على نسق المعاجم فيحدّها ثمَّ يُلحقها بالاحكام الشرعيَّة والقانونيَّة المتعلقة بها. فيرى القرَّاء ايّ ثلمةٍ يسدّها جناب المؤلف بوضعهِ هذا القاموس الذي نودّ تعميمه في كلّ انحاء الممالك العثمانيَّة

ل٠ش

شذرات

في عرين الماسونيَّة في مساء السبت ٢٥ ايار الماضي دعا احد زعماء الفوضويين الماسوني سبستيان فور (Seb. Faure) جمهورًا كبيرًا من اهل باريس في نادٍ واسع فالقى امامهم محاضرةً عن الماسونيَّة هذا عنوانها «لاي سبب دخلتُ الماسونيَّة وما علَّة وجودي فيها الآن وماذا يدفعني على البقاء فيها» فكرر هناك اكاذيب الماسون المألوفة : انَّ الماسونيَّة جمعيَّة خيريَّة لا تداخل لها بالسياسة وانَّها تحترم كل الاديان» فلمَّا انهى خطابهُ قام احد الحضور المسمَّى اندره ديلوز (André Deloze) احد اعضاء مجلس الاستئناف وامام كل الحضور اعلن بقرار كان يتضمَّن حُرم خطيب الماسونيَّة «سبستيان فور» في ١ اذار سنة ١٨٩٤ بامر الشرق الاعظم لسوء تصرفهِ مع اخوتهِ في الشيعة فكان لهذا الاعلان تأثير عظيم في الحضور أفحم بهِ محامي الماسونيَّة . ثمَّ اردف المسيو ديلوز قولهُ بخطاب بليغ فنَّد فيهِ كل مزاعم سبستيان فور في الماسونيَّة وبيَّن انَّها عدوة لكل سلطة دينيَّة ومدنيَّة وان محافلها آلة كلها لتأييد سياستها الخاصَّة ومعاكسة صوالح الوطن . فما سمع الجمع هذا الكلام حتى اخذ كثيرون يصرخون ويضجون ويقاطعون المسيو ديلوز الَّا ان ذلك

الشهم لم ينقطع من كلامه البتة ولم يزل يفند كل المعترضين ويؤيد حججهُ بالبراهين القطعيَّة مدَّة ساعة كاملة وانهى خطابهُ بالمقابلة بين اعمال الكنيسة وفظائع الماسونيَّة وبين بنيان تلك للهيئة الاجتماعيَّة ومعاكسة هذه لكل مشروع صالح حتى ختم بتمجيد السيد المسيح « الطريق والحقّ والحياة » الذى ليس دونهُ الَّا الخراب والهلاك . واذ كان الحضور يضاعفون جلبتهم دون ان يجسر واحد منهم ان يفنّد قولهُ قال الخطيب : انني لست بخائف منكم ولو كنت وحدي بين الف عدوّ . وها انا اصرخ رغماً عنكم وبازاء اشياع الماسونيَّة كلها « فليحيَ المسيح » . واذا بصوت آخر خرج من وسط الجمع مردداً معهُ « فليحيَ المسيح » . وكذا ارفضَّ ذلك الجمهور وكثيرون منهم يثنون على شهامة ذلك الخطيب الذي دخل عرين الماسونيَّة وافحم اصحابها بلا وجل

﴿ لغط الكلمة ﴾ لا تدع الكلمة عدداً من اعدادها الَّا تنفث فيهِ شيئاً من سمّها في حق الكاثوليك ورئيسهم الاعظم وخصوصاً في حقّ الكاثوليك وهي تستند في ذلك الى اقوال رجال لا يعبأ لكلامهم ولمجلّات يكتب فيها من تعمي الاغراض بصائرهم ودونك شاهداً على ذلك ننتزعهُ من عددها الاخير (١ حزيران ١٩١٢ ص ٤٤٥ فهناك فصل « في اعمال مرسلي الغرب التمريقيَّة » كذا يدعى فيهِ نقلًا عن مجلة اناطولي « انَّ الرهابين اللاتين العديدي الازياء والاسماء واليسوعيين منهم خصوصاً يفسدون اخلاق اولاد الارثوذكسيين اليونان « في البلاد والجزائر اليونانيَّة » ويتاجرون ببساطة الساذج ليلقوا في قلبهِ البغض نحو كنيستهِ الوطنيَّة بطمعهم الجزويتي . فترى ما اجمل هذا الكلام وما الطفهُ من فم احد الاساقفة الارثذكسيّين ولا ينقص من كمالهِ شيء . الَّا صحّتهُ . وكل يعلم انَّ اليسوعيين لا مدارس لهم « في بلاد وجزائر اليونان » وعليهِ سقطت كلّ حجة المطران رفائيل هواويني فتأمَّل

﴿ كتابات قبطيَّة قديمة في النوبة ﴾ في هذه السنين الاخيرة قد وجد الاثريون عدَّة كتابات نصرانيَّة في بلاد النوبة بين مصر والسودان . منها في اللغة النوبيَّة ومنها في اللغة القبطيَّة . ولكلها خطر لبيان نفوذ النصرانيَّة في النوبة .

واقدم هذه الكتابات هي القبطيَّة وجدوا منها نحو اربعين على ضفاف النيـل بين كلابشة ووادي الغزال تتضمَّن كتابات ضريحيَّة وتقادم وآيات مختلفة من الاسفار المقدَّسة وبينهـا رسالة السيد المسيح للابجر ملك الرها واسماء الاربعين شاهدًا في سيواس. وفي احدى هذه الكتابات تاريخ بناء كنيسة في النوبة على عهـد يستنيان سنة ٥٧٧ للمسيح شيدها ابراهام الكاهن في ٢٧ طوبة ودوَّن ذكر بنائها في هـذه الكتابة التي تحتوي عدَّة اعلام اسم ملك النوبة المتنصر (واسمهُ «أيرپانومي» واسم يوسف اكسرخوس مدينة تلميس واسم تاودورس اسقف جزيرة فيله. وهذه الكتابة اقدم الكتابات القبطيَّة المكتشفة حتى الآن. وقد وجدوا في بقيَّة الكتابات اسماء اساقفة آخرين في النوبة كتامر اسقف بجراش سنة ٦٩٣ م والانبا توما سنة ٨٦٢ والانبا جرجس اسقف قرطه نحو السنة ١٠٢٩ والانبا يسوع اسقف ساي سنة ١٠٥٤ (راجع مقالةً حسنة في هذا الصدد نشرها الاب الكسيس مالون في مجموعة مكتبنا الشرقي ج ٦ ص ١٢١)

شهادة ياباني للكثلكة عاد الى اليابان الدكتور انيزاكي استاذ اللاهوت في كليَّة طوكيو وكان قد ذهب الى اوربة لدرس الاديان المسيحيَّة فيها ولدى رجوعهِ الى بلادهِ اخذ يلقي المحاضرات في قومهِ ويطلعهم على ما شاهدهُ وتحققهُ وقد قال في احدى محاضراتهِ ان الديانة الكاثوليكيَّة توطد وتؤيد اكثر من سواها مبدأ السلطة وتسهل رغد العيش للشعب وتخدم مصالح البلاد الحقيقيَّة ومما قالهُ امام قومهِ الوثنيين ان القداسة ضروريَّة جدًّا للتقـدُّم والتمدُّن وقد اعجب بما شاهدهُ في الرهبانيَّات من آثارها الباهرة فانَّـهُ زار اللعازريين والفرنسيسكيين والدومينيكيين والبندكتيين ودهش من فضائل الحياة الروحيَّة التي يمارسها اولئك الذين رذلوا اباطيـل العالم حبًّا لله وتقرُّبًا من جلالهِ بتفانيهم في خدمة الانفس واصلاحها ومما اعجب بهِ خاصة السذاجة والفرح الظاهران على اولئك الرهبـان وقال ان الخير الذي يعملونهُ في سبيل الهيئة الاجتماعيَّة لا يوصف ولا يُقدر

كتاب الكهنوت لمَّا وصفنا هـذا الكتاب سابقًا في المشرق (ص ١٥٧) صرَّحنا عن ريبنا في نسبة هذا الكتاب لمار يوحنَّا مارون واسندنا رأينا الى اقوال المدققين من العلماء. الَّا انَّ حضرة ناشر الكاتب ومعرّبهِ كتب فصلًا في

اثبات رأيهِ فلا نرى حاجة الى متابعــة البحث ويا ليت حضرتهُ يُقنع بذلك العلماء المحقّقين !

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاب قسطنطين باشا ب م ١ انعرف شيئاً عن كتاب معــالم الكتابة ومغانم الاصابة لعبد الرحيم بن علي القرشي . ٢ من هو سنان باشا الذي يروى عنهُ انهُ فتح طرابلس الغرب من فرسان مالطة سنة ١٥٥١

معالم الكتابة — سنان باشا

نجيب على (الاوّل) انَّ كتاب معالم الكتابة لعبــد الرحيم القرشيّ لم يُعرَف حتى اليوم الّا من ورود ذكرهِ في كتاب الصبح الاعشى للقلقشندي . ولم يذكرهُ الحاج خليفــة في كشف الظنون وكذلك لا وجود لهُ في احدى مكاتب اوربّة . فوجود حضرة السائل نسخة منــهُ حظوى ونعمة . نجيب على (الثاني) انَّ فاتح طرابلس هو السنجقبك طورغود وكان تحت امر سنان باشا سرّ عسكر السلطان . وكلاهما كان نصراني الاصل وقد اسلما ليترقّيــا في الرتب العسكريّة (راجع تاريخ هامّر (de Hammer: *Hist. de l'Empire Ottoman* VI, 166-180)

س سألنا من مالطة حضرة القسّ جرجس السبعلاني ايجوز ان تُنصب فوق الهيكل صورة المصلوب على ورق او قماش ؟

صورة المصلوب على الهيكل

ج كلّا فانَّ صورة المصلوب التي تُقــام الذبيحة امامها يجب ان تــكون من مادَّة صلبة كالمعدن او الخشب

ل . ش

المشرق

العقائد المسيحية في الدياميس الرومانيّة

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

رومية ! تلك المدينة العظيمة التي انتشر ذكرها في العالم انتشار النهار لما جمعت في ربوعها من رفيع التذكار وجليل الآثار وما كانت عليهِ من الحضارة والعمران ايام القياصرة الرومانيين والباباوات العظام الذين اقاموا فيها من انواع الزيَن وفنون البهاء ما كفل لهم ثناء التاريخ على توالي الادهار لم تزل مهوى افئدة الناس اجمع ومطمح ابصار البشر على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واميالهم

يمرّ فيها المؤرخ فيقف في متاحفها ومكاتبها ويتأمل في رفيع مبانيها وما وعاه الدهر من بقايا الازمنة الخالية ويجيء في خاطرهِ تاريخ نشأتها وتقدُّمها في جميع اطوارها فيتمثَّل قوَّادها وابطالها وامراءَها وملوكها وشعراءَها وخطباءَها كشيشرون وڤرجيل ومن جاراهم في مضمار الآداب فيناجيهم على تنائي عهدهم ويحدثهم برقيق شعوره وتأثيرهِ... يمرُّ فيها الناقشون والمصوّرون وارباب الفنون الجميلة فيتعهَّدون بابصارهم تلك التماثيل البديعة التي نقشتها يد الكبراء كميكال انج وغيرهِ من امراء الناقشين ويرسمون في محفوظهم ما رسمتهُ على النسيج انامل رفايل ومن ضارعهُ من نخبة الراسمين. هناك يعاينون تلك الاعضاء المنظمة ويستقصون كل حركة واشارة من تلك المصنوعات الجليلة ويدوّنونها في خواطرهم لأيام العمل — يمرّ فيها المؤمن وقد نالتهُ عواطف الحبّ والابتهاج فلا يخطو خطوة الَّا يرى فيها حياة

الكنيسة الكاثوليكيَّة. وكأنَّ الدهر الغائب ينبعث من لحدهِ فيروي لهُ تعاذيب العذارى والشهداء في مواضي الاجيال. وكأن الاحبار الرومانيين يُنشَرون من مدافنهم ويتراءون له بعزّهم وفخرهم. هنــاك يجثو بالقرب من قبر الرسولين بطرس وبولس فيجري دمعهُ وينقطع صوتهُ عن الكلام وتلتصق شفاههُ على الرخام ساعةً وهو يصلي ببكاء واحترام. هناك يتجلَّى لهُ حبر الاحبار بعظمتهِ وسلطانهِ فيعاين بعين الايمان من وراء ذاك الجسم الانساني ما نالهُ من القدرة الالهيَّة فيقف امامهُ وقد عجز اللسان عن الكلام لما تولَّاه من المهابة والوقار فتسيل عبراتهُ ناطقة بافصح بيان عما يعزُّ في قلبهِ من عواطف الورع والاكرام

تلك المدينة غدت في عصرنا الحاضر مرمى ابصار العلماء يتواردون اليها ويتعهَّدون ما فيها من البقايا والآثار وكأن الله اعدَّها لتكون كمجتمع البراهين في عصر تفرَّد عن غيرهِ بالالحاد والنكران. وحسبُ الناظر ان يسرّح الطرف فيما تركهُ الدهر الغابر وما اورثنا اباؤنا من جليل الميراث ويستنطق الاحجار وما رُسم عليها من الكتابات الوفيرة ويعاين تلك التصاوير البديعة التي اصبحت كسلاح جديد للمدافعة عن الدين وارباب‌ه. ولقد استغنَّا بما سطَّرهُ العالم دي روسي في مجلَّتهِ المسماة رومية الديامس (Roma Sotterranea) وما رسمهُ السيد ڤيلپر (Mgr Wilpert) في كتاباتهِ الشهيرة. وقبل ذلك نأتي في مقالتنا ببعض الوصف للديامس في دهرنا الحاضر وما كانت عليهِ في مواضي الازمان (١

*

الديامس هي مقابر عظيمة نُقرت تحت الارض في الربوع الرومانيَّة طلباً لحاجات المسيحيين الاقدمين في مدافنهم وهي كثيرة الشعاب تتعارض من كل الانحاء ويخترق بعضها بعضاً وهي واقعة غالب الاحيان خارجاً عن اسوار المدينــة على مقربة من الشوارع الرومانيَّة الشهيرة. وقد عثر الاثريون على خمسين مقبرة من هذه المقابر المخفيَّة ويقال انَّ مساحتها تنيف على مئتين وخمسين هكتارًا وطولها كلها يزيــد على الف كيلومتر. وقد حفَر القدماء يميناً وشمالًا نواويس صغيرة كانوا يكفِّنون الجثث ويضعونها

١) فليراجع القرَّاء المقالة الجميلة التي اقتطفناها في المشرق (١٣ (١٩١٠) : ١٦١-١٧١) عن خطاب لحضرة الاب دي لاروه اليسوعي في ديامس رومية

فيها. وكثيرًا ما وَجد الاثريون بالقرب من تلك العظام قنينة جميلة بديعة الرسم مملوءة عطرًا طيباً. وربما وقفوا على غير ذلك من الآثار. فان كان المدفون شهيدًا وضعوا في تلك الزجاجات شيئاً من دمـهِ الطاهر واقاموا بالقرب من عظامهِ مصباحاً زيّنوهُ بالكتابات والازهار. فقد سطروا على بعض المصابيح هذه الكلمات (Φῶς Χριστοῦ φαίνει πᾶσι) اي ان نور المسيح يضيء للكافة وفقاً لما قال السيد لهُ المجد: «ليضيءْ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السماوات». وكانوا يسدّون القبور بالرخام او الفخّار ويدوّنون عليهـا اسم المَيْت ويوم رحيلهِ الى الديار الخالدة. وربما اثنوا عليهِ بمديح رقيق نشروا فيهِ مآثرهُ وختموا قولهم بصلاة الى المولى كي يُدخلهُ جنّات السعادة والسلام

ولو رام القارئ ان يعرف صورة الاجداث في تلك الدياميس قلنا انها تشبه القناة الصغيرة كانوا يدخلون فيها الجثث ويوارونها عن العيان. بيد ان اهل الثروة منهم كانوا يدفنون امواتهم في محل ارحب واوسع يشيّدون بالقرب منهُ مخدعاً كبيرًا تنساب اليهِ الانوار من فوهة كفوهة الآبار فترسل اشعّة ضئيلة تثير في القلب عواطف التقوى والاحترام

ولقد وصف المؤرخون حالة المؤمنين في هاتيك الازمـان بما يورث الحزن والاكتئاب فكنت ترى المسيحيين ايّام الاضطهـادات نازلين جماعات جماعات حاملين المصابيح في تلك الظلمات فيكاد الرعب يغشاهم. على انهم بين اشجانهم كانوا يترنّمون ترانيم الحمد والثناء. فما اعذب ما كانت تلك الالحان الصادحة في الليل لتختلط بانغام الجنّة وسكان السماء! ويا حبّذا لو رقم لنا الدهر تلك الاناشيد وهي صاعدة من اسافل الارض من نفس خائفة مكلومة! هناك كانوا يرتلون اناشيد صهيون على انهار بابل بعيدين عن اوطانهم وسمائهم (مز ١٣٦: ١). وكانوا يستخدمون تلك المخادع لاعضاء الأُسرة الواحدة وربما اشترك فيها بعض الاخلّاء مشيرين الى انَّ مَن جمعتهم على الارض علائق الوداد والحبّ لا بدَّ من ان تربطهم روابط القبر واللحد حتى اذا تفتّتتْ عظامهم اختلط رمادهم واتّحدت بقاياهم. هناك في تلك الكهوف كانوا يلتئمون لاقامة المواسم يوم عيد الشهيد او بعد سنة مضت لدفنهِ فيحتفلون بالذبيحة الطاهرة وكسر الخبز. وقد بقيت تلك المخادع اللحدية وما يجاورها بزينتها

ورسومها وصورها الكثيرة الالوان وما رُقش على جدرانها من الكتابات. فاخذ العلماء ومحبّو الآثار يرسمونها ويصورونها قبل ان تفنى وتغيب عن الوجود لما يطرأ عليها من عوامل الايام وحوادث الازمان كالهواء والرطوبة والانوار (١

فبعد ان قدمنا تلك الملحوظات نقول: بدء الحقائق واساسها هي وجود الله ووحدانيَّتهُ فان الفلاسفة الوثنيين انفسهم ادركوا تلك العقيدة بتوقّد ذهنهم وإعمال الفكرة وآلُ اسرائيل ورثوها عن ابائهم عصرًا بعد عصر بالوحي الالهي. على ان السيد المسيح زاد بان الله ابٌ رحيم شفوق يحبّ الخطأة ويرحم البائسين وعلّمنا بان ندعوه ابًا محبوبًا ولذلك نرى الكتابات تسمي الله الاهًا رؤوفًا وشفيقًا وصالحًا (ἀγαθός, ἐλεήμων, φιλάνθρωπος) يتبعنا من يوم نزولنا على ضفاف الحياة الى يوم وصولنا الى ابواب النعيم وهو يتقدَّمنا بانعامهِ ويتلونا براحمهِ والطافهِ. هناك الهتافات الكثيرة نحو العلي كقولهم: «لِتَعش في الله» (Vivas in Deo, ἐν Θεῷ) ولربما سطروا ما كان عليهِ المائت من الايمان فانّا نتلو على ضريح احدهم: آمنَ بالله الواحد (in unum Deum credidit) او آمن باسم الله (In nomine Dei) (٢

وكثير من الكتابات القديمة تقرُّ بلاهوت المسيح الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. ودونك بعض النصوص فقد كتبوا على قبر احدهم هذه العبارة: لمرقس الذي يستريح بسلام في اسم المسيح (Marco, in pace in nomine ☧ quiescit)

١) ومع كون الدهر قد لعب بتلك التصاوير الجداريَّة ومحا عنها بعض الرسم قد توصل السيد ڤيلپر (Wilpert) بالطرائق الكيموية الحاليَّة الى نقل رسومها في كتاب لهُ مشهور قرَن فيهِ واسع العلم الى توقُّد الذكاء فجاء كتابهُ حافلًا بالتصاوير البديعة بالوانها وليّاتها وعطفاتها. ولقد قام من بعدهِ نفرٌ كبير من ارباب العاديات واصحاب الآثار في عصرنا فعكفوا على درس تلك الخبايا وعادوا مذهولين ممَّا هنالك من انواع التصاوير والكتابات. وقد اتت تلك الآثار بما هي عليهِ من الرقة والدقة من اوضح الشواهد على انَّ الكنيسة في اول عهدها ربَّت ما بين مؤمنيها مشاهير رجال ونخبة راسمين ومصوّرين ممَّن احبُّوا البديع فقضوا حياتهم يسطرون ما رأوهُ من محاسن الطبيعة وجمالها

٢) ولم نسطِّر ما كانوا يسمونهُ (Graffiti) وهي كتابات كان يكتبها الزائرون في مواضع زيارتهم وبقيت هذه العادة بين الشرقيين الى يومنا فان زار احد كنيسة او محلًا مقدَّسًا دوَّن اسمهُ بالفحم او بقلم الرصاص قائلًا: اذكر يا رب عبدك فلانًا

ونجد في مقبرة كيرياكوس تلك الكلمات: انهُ يستريح في السيد المسيح (In Domino Christo). وربما طاروا بالفكر والقلب الى السماء فوضعوا هناك في تلك الديار رجاءهم وافراحهم ومن ذلك قولهم: يا ريجينا ليتكِ تعيشين في السيد يسوع (Regina, vibas in Domino Iesu). ولدينا بعض الكتابات اليونانيَّة وهي اقدم عهدًا من قسطنطين الملك حيث يعترف المؤمنون ويقرُّون بجلي البيان بلاهوت المسيح قائلين: رقد في المسيح الالاه: ☧ Ἐν Θεῷ (١ او في السيد الالاه Ἐν Θεῷ Κυρίῳ وهذه الكلمة «كيريوس» مأخوذة من رسائل القديس بولس وانجيل القديس لوقا وهما يوردان تلك الكلمة بمعنى السيد المسيح الالاه المتجسد. وفي المتحف البندقي (Venise) نجد قطعة رخام سُطرت عليها هذه الكلمات: In Do - mi - no nostro D. C. T. اي نؤمن بسيدنا المسيح الالاه. وفي مقبرة پرسلًا كُتبت هذه العبارة: آمن بالله يسوع المسيح ابن الله المخلص. وقد وضعوا صورة السمكة لان كلمة سمكة باليونانيَّة Ἰχθύς وكل حرف منها مطلع اسم من اسماء المسيح اي Ἰησοῦς Χριστὸς Θεοῦ Υἱὸς Σωτήρ اي يسوع المسيح ابن الله المخلِّص

واما لاهوت الروح القدس فقد ذكرتهُ الكتابات كما نجدهُ في مدفن القديس كاليستوس حيث يقول ابٌ لابنهِ العزيز كيرياكوس: ليتك تعيش في الروح القدس (Kuriaco filio dulcissmo vibas in Spiritu Sancto). وفي تلك المقبرة عينها نشاهد عماد السيد المسيح والروح القدس نازلًا على الابن بشبه حمامة بينما الماء يجري بالتؤدة والوقار والاشجار تهتزّ طرباً على شواطئ الاردن والحمامة ترفرف باجنحتها فوق المياه وصوت الله على المياه ينساب كاللجج ويقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا... وفي متحف كيرشر نجد هذه الكتابة Ἐν ἁγίῳ Πνεύματι θεῷ اي بروح الله القدوس

ولنا عدد وافر من الكتابات تُنبئنا عن ايمانهم بالثالوث الاقدس وما كانوا يُودّون لهُ من فرائض العبادة والسجود وقد حفظ لنا الدهر كتابةً قديمة في مدفن پرسلًا وفيها تمجيد للثالوث الاقدس قال كاتبها: «يا ابَ الذين انشأتهم وخلقتهم امنح السلام لمركلُس. لك المجد في المسيح المصلوب»

١) ان هذا الرسم يدل على الكلمة اليونانيَّة Χριστός اي المسيح

Ὁ Πάτηρ τῶν πάντων οὓς ἐποίησες K.παρέλαβης εἰρήνην, ζωὴν K. Μαρκέλλον. Σοὶ δόξα XP ἐνκαὶ Ἁγίῳ Πνεύματι.

وان قابلنا تلك الكتابة بما نرنمهُ في صلاتنا اليونانيَّة اتَّضح لنا جليًّا انَّ الاعلانات في آخر الطلبات (Ἐκφώνησις) هي قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الاولى لأنَّا نتلوها في ليتورجيا القديس يعقوب وفي تعليم الرسل الاثني عشر (διδαχὴ τῶν δώδεκα Ἀποστόλων) . وهذه كتابة اخرى وُجدت في مقبرة دوميتلَّا حيث يمدحون يوكوديانس ويقولون عنهُ انهُ « آمن بالمسيح يسوع وعاش في الآب والابن والروح القدس » (vixit in Patre et Filio et Spiritu Sancto)

وتجد في دياميس رومية صور الخليقة جمعاء من الانسان الى الجماد . ففي بعض التصاوير نعاين السماء مصوَّرة بالنجوم السواطع والارض في ربيعها متسربلة حلَّة بديعة من ضروب الزهر وانواع الخضرة والاشجار تتمايل باغصانها والجداول تتراكض بين الصخور والاحجار او في السهول على الاعشاب وكاني بهم قد دعوا الخلائق باسرها لتمجيد الباري جلَّ جلالهُ . وقد صوَّروا ايضاً فصول السنة الاربعة وزيَّنوا الجدران بالاطيار كالحمامة والطاووس والعنقاء . والحمامة رمزًا الى النفس الطاهرة . والطاووس يمثل القيامة لان ريشــهُ يتجدد كل سنة مع تقادم الايَّام . ولدينـــا رسم بديع من النجوم السماوية في مغارة الاشيليين (Acilii) حيث نرى السماء بكواكبها اللوامع تزينها كتابة صغيرة رآها قسطنطين الملك وهي Τοῦτῳ νικᾷς اي بهذا تظفر

وقد صوَّروا في الدياميس سقوط آدم وحوَّاء في الفردوس . وقد نالت تلك العقيدة حظًّا وافرًا فيما بين الشعوب القدماء حتى رسموها في معابدهم وهياكلهم ودونوها في كتبهم . ولقد الفى اهل العلم تلك الحقيقة عنــد المصريين والبابليين والاشوريين واليونانيين والرومانيين واهل الشرق الاقصى كالصينيين والهنديين . على ان المسيحيين قد اصلحوا بما عرفوهُ بالوحي ما دخل فيهـــا من الحكايات والاوهام الباطلة . وقد صوروا آدم وحواء قبل السقطة وبعدها فهما طورًا بالقرب من الشجرة في الجنة يقطفان الثمرة المحرَّمة وطورًا تراهما بعيدين منها ويد متصاعدة من وراء السحاب تطردهما من الجنة . والحيَّة ملتفَّة على الاغصان

وقد مثـلوا السيد المسيح كملك على عرشهِ والناس بين يديهِ خاشعين مذعورين

وربما احاطوا بهِ وسجدوا لهُ مقدمين لهُ فرائض السيادة والعبادة. وقد توفرت منذ القديم تصاويرهم في الربّ يسوع ولطالما اعملوا الفكرة لاستنباط اجمل الوجوه وابدع الحركات والاشارات فلذلك تراهم يتفننون في رسومهم ولم يملّوا في توفير عددها. واقدم رسم للمسيح ما كان رمزًا لاورفي (Orphée) وهو نادر الوجود نجدهُ ثلاث مرات ومعناه لا يخفى على من عرف الاساطير والحكايات الوثنيــة. فكما ان اورفي سحر الوحوش على زعمهم بانغام عوده والحــان كنارتهِ هكذا الرب يسوع ذاك المرنم الالهي قد غيّر طباع الوثنيين وما كانوا عليهِ من التوحش في عباداتهم البربريَّة بما اتاه من رفيع التعاليم وسامي العقائد. ولقد مثلهُ المصورون سائرًا بين السهول والاعلام حاملًا عودًا جميلًا يرنم ترانيم الربوع والجنات او جالساً على شواطئ المياه ينشد انغاماً سماويَّة فاذا سمعتهُ وحوش البراري والحيوانات الضارية سكن غضبها وانقادت الى غنائهِ المطرب. فيا حبذا ذاك الرمز وتلك الصورة التي تنطبق حق المطابقة على الرب يسوع وهو يجول في ربوع الجليل بين اشجار الناصرة او على شواطئ بحيرة طبرية او بين سفوح الكرمل او في اودية اليهوديَّة. هناك على جبل التطويبات ترنو اليــهِ الجموع الكثيرة. هناك الشيوخ البيض النواصي يصغون لهُ باحترام ووقار. هنــاك الشبان يُسحَرون بعذب كلامهِ. هناك القوم كالبحر الساكن لا يبدون حراكاً امام ذاك الخطيب المصقع والشاعر المطرب امام ذاك المعلم الالهي

بيــد ان صورة الراعي الصالح قد توفرت منذ الاجيال الاولى وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم حيث قال الربّ: انا الراعي الصالح وانا عارف برعيتي ورعيتي تعرفني. من رأى يوماً في جبال فلسطين ايام الربيع راعياً واغنامهُ تسرح مــا بين الاعشاب والازهار يخال لهُ ان مصوري الدياميس جالوا في ربوع الشرق قبل العمل ورعوا تلك المشاهد بجمالها ورونقها ثم مثَّلوها على الجدران. هناك في تلك التصاوير تعاين الحملان ترقص بين الزروع الخضراء. هنــاك الخراف راتعات والاغنام جاثلات على الصخور حانيات رؤوسها بين الكلاِ او صاعدات في الجبل والراعي يقرن الى صوت الطبيعة انغام مزمارهُ فتدوي طورًا مالئة الفضاء يتردد صداها في الجبال والاوداء ثمَّ يغيب شيئاً فشيئاً في هدوّ القفر وسكونهِ. وطورًا يندفع هو نفسهُ في الغناء ليسلو عن وحدتهِ في تلك الانحاء. هناك ترى الراعي الصالح يترك التسعة والتسعين خوفاً وينشد عن ضالّتهِ

حتى اذا وجدها حملها على اكتافهِ واتى بها فرحاً مسرورًا ولذلك نعاينهُ دائمًا في تلك الصور حاملًا حملًا ناعم الصوف ساكن البال. وربما مثلوا جداول الماء والاغنام منحدرات من اعلى الجبال لترتوي من تلك المياه. وربما وضعوا الى جانبهِ اناء حليب رمزًا الى الافخارستيا (١. وكانوا يرتلون في اناشيدهم: «يا ربّ نسألك انت الراعي الصالح ان تحمل نفس المائت على اكتافك الالهيَّة وتدخلها في ربوعك الازلية»

وقد رسموا المسيح على صورة السمكة لان السمكة هي رمز الافخارستيا. ومما يثبت قولنا كتابة شهيرة يرتقي عهدها الى القرن الثاني سطرها ابرقيوس اسقف هيرابوليس من اعمال افريجية حيث قال: «كان الايمان يهيّئ لي طعاماً اينما نزلت سمكةً من الينبوع عظيمة طاهرة اصطادتها عذراء نقيَّة وهي توزّعها على الاحباب طول الايام ليقتاتوا بها». وقرنوا الى هذه الصورة رسم الحمَل الاقدس وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم: هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم. ويا حبّذا ما اتوا بهِ من المعاني والرموز البديعة فانك ترى انهار الجنَّة الاربعة وعليها حملٌ ناصع البياض فالانهار تشير الى الاناجيل الاربعة التي انتشرت في اقطار العالم من تلك التعاليم السامية الالهيَّة. وكثيرًا ما رسموا الحمَل تحت المرساة. والمرساة هي رمز الى الصليب الذي عُلّق عليهِ الحمل السماوي. وقد مثَّلوا الحمل وحمامة بيضاء تُقبل اليهِ بفرح وسرور حاملة عرق زيتون دلالةً على انَّ النفس المحزونة السائرة في ارض الشقاء اذا وفدت الى الرب في سرّ محبتهِ تجد حينئذٍ سلام النفس وسكون الضمير. وربما اقبلت الحمامة تستند الى صدر الحمل لانهُ كما ان القديس يوحنَّا الحبيب اسند رأسهُ الى صدر الرب في العشاء السريّ كذلك النفس الطاهرة تستند الى قلب السيد يوم تتناولهُ في احشائها

ولو رمنا تسطير كل ما رسموهُ لوصف المسيح لطال بنا الكلام ولم ننل ما تصبو اليهِ الرغائب والآمال. ولقد اخترنا بعض التصاوير من حياتهِ المقدَّسة. فانَّ المسيحيين قد تتبعوا السيد لهُ المجد في اطوار حياتهِ فصوَّروهُ وهو طفل رضيع يرنو الى امهِ الطاهرة فيبسم لها ابتساماً ذا لطف ورقَّة يعجز القلم عن وصفهِ وايرادهِ. او ينظر الى

١) راجع مقالة حضرة الخوري جرجس مزيز «الافخارستيا في العاديات المسيحية» (المشرق ٤: ٦٧٤)

المجوس وهو يفتح لهم يديهِ الصغيرتين ويتعهَّد مـا يُقدم لهُ من الهدايا والتقادم. ولمَّا ترعرع وبدا كالشاب الرطب مثَّلوهُ على تلك الهيئة وعليـهِ حلَّة خفيفة كثياب الرومانيين الاقدمين. وعلى هذه الصورة مثلوهُ وهو يصنع العجائب والآيات. وعقيب الجيل الثالث حسَّن المصوّرون ليَّات وجه المسيح وعطفاتهِ حتى غدت صورهُ تقارب الكمال. فجعلوا لهُ من ثمَّ غديرتين تسيلان على كتفيهِ وصوَّروا عينيهِ على افضل ما رسمتهما يد الانسان والقوا عليهِ مطرفاً واسع الاهداب

واذا نزل الزائر الى دياميس برسلَّا يرى الملاك جبرائيـل مرفرفاً باجنحة قاطعة الفضاء الى ان يصل الى مريم العذراء فيقف امامها بالخشية والاحترام ويهديها التحيَّة والسلام ثم يبشِّرها بالمخلص الموعود بهِ من نشأة الادهـار. هناك يشاهد المرء فتاة تأسر الطرف حسناً وبهاء تحني رأسها وبلسان حالها تقول: «ليكن لي كقولك» ولقد اعيد رسمها في مقبرة كاليستوس. وقد رسموا عن يمين العذراء الملاكَ جبرائيل قائلًا: ها انك تحبلين وتلدين ابناً ويدعى اسمهُ عمانوئيل. وعلى شمالها النبي اشعيا ينظر في اسرار الغيب مسطرًا تلك الكلمات نفسهـا. وفي مقبرة القديس سبَسْتيان صوَّروا الطفل يسوع في احضان البتول مريم ودوَّنوا هذه الكلمات: عرف الثورُ صاحبهُ والحمار معلفهُ وامَّا اسرائيل فلم يعرف خالقهُ. ومما يجمل ذكرهُ مـا رسم هناك من المناظر الجميلة حيث نعاين المجوس قادمين من بلادهم حاملين ذهباً ولباناً ومرًّا والنجم يلمع في كبد السماء. وقد البسوهم العمامة والقلنسوة الفارسيَّة. وكثيرًا ما طار بهم طائر الفكر الى شواطئ الاردن فمثَّلوا عماد المسيح كما سطرهُ الانجيليون. وقـد صوَّروا اعجوبة المخلَّع (١ وهي رمز الى غفران الخطايا لان السيد قال لهُ فيها: مغفورة لك خطاياك. وقال ايضاً: لكي تعلموا انَّ ابن البشر له سلطان على مغفرة الخطايا فانا اقول للمخلع لك اقول: قم احمل سريرك وامضِ الى بيتك. ومثلوا تكثير الخبزات (٢ وقيامة لعازر من بين الاموات مرات عديدة (٣ وتحويل الماء خمرًا في عرس قانا. وهذه الصورة من ابدع ما رسمهُ الراسمون: هناك ترى الاعمدة الرفيعة تكاد تلتصق بالسماء

---

١) قد صوَّروا هذه الصورة عشرين مرة في الدياميس

٢) عُدَّت تصاويرها ثلاثين مرة ٣) مصوَّرة خمسين مرة

هناك الموائد الكثيرة والمدعوُّون جالسون على المقاعد المزينة والخدَم يذهبون من كل الجهات فيتقدمون بترتيب ونظام انواع الاطعمة وضروب المآكل. وقد اكثروا من رسم صورة يونان النبي في الدياميس اشارةً الى قول الربّ كما انَّ يونان بقي في بطن الحوت ثلاثة ايام هكذا المسيح يلبث ثلاثة ايام في بطن الارض ثمَّ يقوم ظافرًا على الموت والجحيم

*

فبعد ان جثونا امام الابن صارخين مع الرسول: انت ربي والهي. هلمَّ نعاين طلعة الامّ ونشاهد تلك الفتاة الالهيَّة ونستدلّ بالتصاوير عمَّا كان لها من الاكرام والاجلال في الاجيال الاولى. هلمَّ فتأمل بتلك الملكة العظيمة الجالسة على عرشها بثوب مذهَّب موشًّى. فقد سبقت القديسين في الاكرام منذ الجيل الثاني ليس كما يزعم الملحدون انَّ المجمع الافسسي اوَّل من اخترع اكرامها. ففي مدفن پرسلّا نجدها جالسة تارة بالقرب من ابنها على عرشها واخرى حاملة الطفل يسوع والناس يكرمونها. وقد وجد الاثريون في مقبرة پرسلّا ايضاً صورة يرتقي عهدها الى الرسل كما اقرَّ بهِ الجاحدون انفسهم. نشاهد النبيَّ اشعيا متردّياً برداء طويل حاملاً بيدهِ الشمال درج الكتاب واليد الثانية تشير الى نجم يسطع في السماء اشارة الى قول يعقوب: وها انَّ نجماً يخرج من اسرائيل. والطفل الرضيع يدير الطرف الى النبي بلطف وحنوٍ. وممَّا يدلّ على اكرامهم للعذراء مريم ما نراه في المقبرة نفسها فانَّا نعاين شيخاً عن يمين فتاةٍ تصلِّي وبالقرب منهُ فتاة اخرى مكشوفة الراس وفي يدها درج. وعلى شمال المصلّية شابة جالسة على عرشها وقد ارتأى السيد ڤيلپر في شرحه لتلك الآية ان المسيحيين الاقدمين اشاروا بذلك الى تكريس عفتهم وطهارتهم للبتول مريم كما نشاهد في عصرنا الحاضر. فانَّ تلك الفتاة تكرّس عفتها للتي هي اعلى من الشاروبيم واكرم من الساروفيم. وقد رسموا صورة البتول مغطاة الراس او مكشوفة وكثيرًا ما رسموها على الزجاج وعلى النواويس بما لا يحصى لهُ عدد. وقد وجدوا اسم العذراء مريم على كاس مذهَّب محفوظ في المتحف اللاتراني

بيد انَّ الكنيسة كانت ايضاً موضوع رسوماتهم فتلك المصلّيات تمثل الكنيسة قاطبة تتضرَّع لاجل العالم اجمع. ولقد مثلوها كسفينة نوح تكدّها الامواج في بحر

العالم سائرة بين الصخور آمنة من غوائــل العواصف والزوابع وكأن الراسم اراد ان ينبئ المؤمنين بتلك الصور انهُ خارجاً عن الكنيسة نجد الهلاك والبوار. وربما وجدنا المسيح نفسهُ يصلي باسطاً يديهِ على شكل صليب دلالة على انَّ الكنيسة لا ينتقض منها حجر ولا تخشى ابواب الجحيم ما دام الرب معها الى منتهى الاجيال يتضرَّع من اجلها

ولم ينسَ المؤمنون ان يرسموا بطرس الهامة في الدياميس وفي رسومهِ دليل باهر على ان الرئاسة البطرسيَّة لم تنشأ عن حبّ الترفُّع والطمع في حبّ المراتب كما زعم المنفصلون عن البيعة وارباب الضلال. ولقد جاءت الاكتشافات برهاناً ساطعاً على انَّ البابا هو راس الكنيسة (١ ولهُ قال السيد المسيح في شخص بطرس: ارعَ خرافي ارعَ نعاجي. واذا نزل الزائر الى تلك الدياميس او مدخــل الواتيكان وتبصَّر في تلك الآثار عجب كل العجب من وفرة ما يرى هناك من التصاوير القديمة التي تمثل الرسول بطرس فانَّ هذا العدد الوافر ينبئ عما كان عليهِ هذا الرسول من الرفعة والاكرام في الادهار الاولى فضلًا عمَّا محاه الدهر من الآثار. ومن غريب مــا يُرى ان تلك الصورة ليست مبتكرة خياليَّة كصور المسيح بل تجري على رسم محدود وصورة معروفة معهودة والسبب بديهيّ وهو ان القديس بطرس عاش فيما بينهم مبشرًا وكارزًا فانطبقت صورتهُ في محفوظهم فرسموها كما عهدوهــا ودون ان يلحقوا بها تغييرًا واصلاحاً. وكثيرًا ما رسموا بطرس الرسول على الاقداح والكؤوس وذلك في طبقتين من الزجاج الملوَّن وزيَّنوهــا بالذهب الخفيف على غاية الاتقان وزخرفوها بالزهر والورد وربما سطروا عليهــا بعض كلمات كقولهم بطرس (Petrus). ولقد كثرت صورة الرسول بصحبة النبي موسى كليم الله فكما كان موسى في البرّيَّة قائدًا ومرشدًا لشعب الله الى ارض الميعاد كذلك اقيم بطرس رئيساً واماماً للامم المسيحيَّة. وكثيرًا ما رسموهُ يصطاد سمكاً من بحر هذا العالم كما في مدفن كاليستوس وفقاً لما قال المسيح وساجعلك صيَّادًا للناس. فتراه طورًا يضرب

١) راجع المقالة النفيسة التي كتبهــا الاب لويس جلابرت في المشرق (٦ (١٩٠٣): ٥٧٧) وعنوانها الرئاسة البطرسية في ديامس رومية» وهناك عدَّة تصاوير نُقلت عن رسوم الدياميس

الصخرة فتتفجّر المياه كالانهار واخرى يلقي الشبكة على شواطئ البحار وتارة يسقي الشعوب من مياه الصخرة العذبة اي المسيح. وفضلًا عن ذلك رُسم مرارًا امام معلّمهِ الالهي. فنعاين الربّ غير مرّة مقدّماً لهُ العهد دلالة على انهُ هو موسى الجديد للشعب المسيحي. وكثيرًا ما ترى المسيح يسلمهُ المفاتيح طبقاً لما قال لهُ: وساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما حللتـهُ على الارض يكون محلولًا في السماوات وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات. وما اجمل ما نعاينهُ في المتحف اللاتراني من بديع الرسم حيث نرى بطرس حاملًا الدرج اي التعاليم الخلاصيَّة كما نشاهد ذلك في ناووس سُطرت عليه هذه الكلمات: السيد يمنح شريعتهُ. لكنَّ الرسول لا يرث السلطان الالهي ألّا يرث ايضاً الوعد بانهُ سيحتمل الآلام لاجل سيّده ولذلك قد رسموهُ حاملًا صليبهُ سائرًا وراء الرب يسوع. وفي صورة اخرى بينما الربّ يسلمهُ عصا الرعاية نجد الديك امامهُ اشارةً الى انَّهُ انكر المسيح ومع ذلك لم تُنزع عنهُ سلطتهُ

ولقد جمعهُ المصورون مع الرسل الكرام ولكنهم اقاموا لهُ بعض الدلائل تميّزهُ عنهم كتاج العظمة والرفعة وعصا الرعاية او هالة مذهَّبة وضعوها حول رأسهِ لان الرب طوَّبهُ وبينما هو مكلّل باكليل الفخر والمجد نعاين بقيَّة الرسل مكشوفي الرأس كما نجد ذلك في جرن العماد المحفوظ في راڤنَّة. واذا قرنوا اليهِ صورة الرسول بولس رمزوا ايضاً الى قدرتهِ وسلطانهِ وقد ميّزوهُ بطرف طويل والقديس بولس ينظر اليهِ رهبةً ووقارًا فطورًا يخطب امام الشعوب والاناء المصطفى يصغي الى اقوالهِ وطورًا يمنحهُ درج الناموس الالهي

وممَّا امتازوا بهِ في الاجيال الاولى الصلاة لاجل الاموات. فهم يتضرَّعون الى القديسين بكلام رقيق كي يُدخلوا الى السماء من يعزّ عليهم. فكانوا يضعون موتاهم تحت حماية الشهداء والمعترفين كما تقرّ بهِ كتابات عديدة من الجيل الثاني. قال احدهم: ايتها القديسة باسيلًا انا نكل اليك ابنتنا مسينا التي عاشت عشرة اشهر: (Domina Basilla, commendamus tibi Mecinen filiam nostram quae vixit menses x.) . وكانوا يرددون في محفوظهم ذكر موتاهم ويصلون دون انقطاع من اجل نفوسهم ويطلبون لهم من المولى الرحيم الراحة الابديّة والسلام التامّ ومحل هناء ومكان نور حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء بل حياة لا تفنى . ودونكم

كتابة جميلة قال كاتبها : (Ipsis , Domine, et omnibus in Christo quiescentibus, locum refrigerii, lucis et pacis ut indulgeas deprecamur) اي نسألك يا ربّ لهم ولكلّ الذين رقدوا في المسيح ان تمنحهم محل ندًى ونور وسلام . ولقد حفظت الليتورجيَّات اليونانيَّة والرومانيَّة تلك الصلوات البديعة وهي ترنمها في صلواتها لاجل الاموات

هذا قليل ما اتينا بهِ من الآثار ولو رمنا ذكرها بطويل المقال لمضى الزمان ولم ننل ما تصبو اليهِ الاماني والاوطار . ولقد صحّ ان ندعوها براهين الجوامد والاحجار وفقاً لما قال الرب في انجيلهِ الطاهر : ولو سكتت الانام عن الكلام نطق الجماد وغنَّت الاحجار

مؤلّف الدلالة اللامعة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

الدلالة اللامعة كتاب جدلي جليـــل مدار ابحاثهِ عن وحدة الكنيسة الجامعة الرسوليَّة فحقيقة الرئاسة البطرسيَّة العامَّة وما تتفق بهِ الكنيسة الغربيَّة والشرقيَّة في المعتقد كالانبثاق والمطهر وما تفترق بهِ هذه عن تلك في الطقوس كالليتورجيَّة والفطير والخمير وما يتَّصل بذلك ممَّا يخالف بهِ المنفصلون المتحدين من الطائفة الملكيَّة الكريمة . وقد طبعتهُ المطبعة الواتيكانيَّة بنفقة افتيميوس مطران صور المشهور في سنة ١٧١٠ فبقي غفلًا لا يُعرف مؤلفهُ

بل جرى على الالسن وتناقلــهُ الخلف عن السلف ان المطران افتيميوس هو مؤلّف شتاتهِ ومنضّد بيّناتهِ ورواه نفرٌ من الخاصَّة على علّاتهِ من مثـــل المطران غريغوريوس عطا في مختصرهِ التاريخي (ص ٢٤) ونقلهُ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي في المشرق الاغرّ (٥ : ٧١) وحضرة الفاضل الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي في مجلة المسرَّة (١ : ٤٦٠ , ٣ : ١٨) الى غير هؤلاء من رجال هـــذا العصر المعروف بعصر التنقيب والاستقراء

فرأيت من الواجب ان انبه خواطر العلماء الى حقيقة مؤلفهِ على ما عثرتُ عليهِ اتفاقاً في اثناء مطالعاتي الطويلة معتمداً فيهِ على رواية المعاصر وهو خير ما يُركن اليهِ في مثل هذه التحقيقات. وليس من قصدي الغضّ من قدر المطران او الازراء على احدٍ من هؤلاء الافاضل بل مجرَّد تمحيص الحقيقة ممَّا علق بها فما هو باوَّل كتاب عُزي الى غير مؤلفهِ بل له اشباه ونظائر على ما يعلمهُ كل من وقف على كتب الاوائل والاواخر

. . .

لا يجهل الخبير ان المطران افتيميوس الصيفي قد كانت غيرتهُ تحملهُ على ان يجهر بالحقّ دون خوف وان يتصدَّى لكل مناوئ لهُ يحاور هذا ويناظر ذاك بلا توقُّف ولا تحذُّر. فمن هذه صفتهُ لا يضرب عن اسمهِ في صدر كتاب مثل الدلالة اللامعة

وكان — رحمهُ الله — من اقوى انصار الارتداد او الاتحاد في عصرهِ لا يدَّخر وسعاً ولاسعياً في سبيل الحضّ عليهِ والترغيب فيهِ كما ذكر عنهُ العلّامة فرحات. فكان تصريحهُ باسمهِ في الكتاب على منزلتهِ المعروفة بين قومهِ ادعى الى الثقة والاعتبار كما هو ظاهر. وكل ما تركهُ من آثاره الادبيَّة ذكر فيهِ اسمهُ صريحاً فلا يخلو من سرّ اغفالهُ صدورَ الكتاب من قلمهِ بعد تصريحهِ فيهِ بطبعهِ لهُ على نفقتهِ وذاك اولى بالذكر من هذا. فمهما كان السبب الذي اضطرَّهُ الى التكتُّم في الاوَّل فانهُ كان يدعوهُ الى التكتم في الثاني ايضاً كما لا يغرب عن ذوي الالباب

وقد جاء في مقدَّمة الكتاب ما نصهُ «. . . وليس من «رتبتي» النظر الصائب. . . ولا مندوحة لي بان امدَّ يدي التي لم تطل الى ما يتعلَّق بالديانة المسيحيَّة والامانة الارثوذكسيَّة» ممَّا يشعر بان قائلهُ عاميّ لا اسقف مثل افتيميوس الذي كان في عهدهِ كلًّا في الكلّ ينادي على رؤوس الاشهاد: «بان الطقوس والعوائد صنم الروم فيلزمني كسر هذا الصنم»

بل انَّ من عارض هذا الكتاب بما تركهُ المطران افتيميوس من الرسائل والتآليف واعتبرهما بعضهما ببعض يجد بينهما فروقاً ظاهرة في اللغة والسياقة والاسلوب الجدلي. وبالنتيجة ان كتاب الدلالة اللامعة اعلى طبقة واسمى تعبيراً من كتابات افتيميوس

نفسهِ وقد كانت لا تخلو من هجنة العامي التي تدلّ على قلة ضلاعتهِ من اللغة ووقوفهِ على اسرار البلاغة

وزد عليهِ انَّ مثل العلّامة جرمانوس فرحات الذي ترجمَ افتيميوس باسهاب في كتابهِ ديوان البدع لا يذكر لهُ هذا الكتاب في جملة ما ذكرهُ من اعمالهِ وآثارهِ . فالذي يبدو لخاطري ان ارتداد الياس فخر الطرابلسي عن الكثلكة وكون الكتاب ليس لهُ في الحقيقة من جهة واعتناء افتيميوس بطبعهِ لهُ على نفقتهِ من جهة اخرى هو الذي جعل العامّة ان يعزوا الكتاب للثاني لا للاول كما لا يخفى

. . .

اجل قد ذكر المطران غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم (ص ٢٤) ان كتاب الدلالة اللامعة التأليف المشهور هو لافتيميوس لا لالياس فخر الطرابلسي . ولكني لا ادري على ما يعتمد والى ما يستند في تحكّمهِ هذا الظاهر في نسبة الكتاب لهُ في حين انَّ كل الادلّة متضافرة متظاهرة على مخالفتهِ مخالفةً صريحة كما يبدو لك من اضعاف هذه الفقرة الوجزة

فقد اومأ العلامة الشماس عبدالله زاخر من طرفٍ خفيٍ الى نسبة الكتاب الى الياس فخر في ردّهِ عليهِ بقولهِ فيهِ : « انهُ اعترف سابقاً بحقيقة هذا الايمان اظهاراً لنفسهِ انهُ على الحقّ اليقين من معرفة الاقوال الابوية وصحّة التعليم المستقيم—متحلّياً باثواب غريبة — رغبةً في المجد والشرف عند كثيرين » اه عن مقدّمة زاخر على كتابهِ المحاورة الجدليّة على الكلمات الربيَّة

واجلى منهُ ما وجههُ العلامة الاب بطرس فروماج اليسوعي الى ابن فخر في ردّهِ عليه حيث قال : « أمّا انهُ اتخذ كتاب البادره ميخائيل نو اليسوعي الذي بهِ يبرهن بدلائل كثيرة مقنعة رئاسة البابا المطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه مرفوضة من الروم واصلحَ إعراب هذا الكتاب ونسبهُ الى نفسهِ كأنهُ هو مصنفهُ ومؤلفهُ من كتب الكنيسة الشرقيّة ليقنع بهِ ابناء جنسهِ المنكرين هذه الحقائق . . . » اه

الى ان خاطبهُ بما حرفهُ : « فاتلُ الكتاب المتقدم ذكرهُ الذي نسبتهُ لنفسك—متحلّياً باثواب غريبة — كما ذكر عنك ابن زاخر اي اتلُ كتاب « الدلالة اللامعة » الذي بهِ

اعترفت ظاهرًا بما قبلتهُ من تعليم المرسلين المؤَيد بشهادات آبائك القديسين. . . » اه عن مقدّمة الاب فروماج على رسالتهِ الجدليَّة التي دحض بها مزاعم ابن الفخر في تقديس الاسرار الالهيَّة

فلو ان الاب فروماج والشماس عبد الله زاخر القيا كلاهما على عواهنهِ لنهض حينذاك عليهما ابن الفخر وزيَّف قولهما فيهِ وكذَّبهما في ما افتأتا بهِ عليهِ ولكنهُ جرَّ ذيل الصمت على ذلك كلهِ كأنهُ لم يكن شيئاً مذكورًا خوفَ الفضيحة والعار فكان بهذا وذاك الدليل الكافي والشاهد المقنع

. . .

فالبنتيجة اللازمة ان كتاب الدلالة اللامعة هو من تأليف الاب ميخائيل نو سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة الجليلة وقد اشتهر (رحمهُ الله) في اواخر القرن السابع عشر بما بذلهُ في حلب من جليل المساعي والخدم في جنب الدين والعلم ولديَّ فقرٌ من حياتهِ واعمالهِ ارجئها الى فرصة اخرى ان شاء الله

واماَّ مهذّب عبارتهِ فهو الياس فخر الطرابلسي ترجمان قنصليَّة انكلترة بحلب وقد رأيت انهُ نكَّب عن العقيدة الكاثوليكيَّة بعد ان دان بها مدَّة من حياتهِ مناضلاً عن اراء نقيلاوس كباسيلا وساوسطس الدرابزوني في كلمات التقديس والافشين اي دعوة الروح القدس ففنَّدها العلامة الشماس عبدالله زاخر اشدَّ تفنيد. ولي في ابن فخر مقالة ضافية تظهر قريباً ان وفق الله تعالى

واماَّ المطران افتيميوس فلهُ الفضل الاظهر لطبعهِ الدلالة ونشرها بين ايدي طائفتهِ الجليلة فقد افاد هذا الكتاب جزيل الافادة في حركة الارتدادات التي جرت في اوائل القرن الثامن عشر رحم الله مؤلفهُ وجزى ناشرهُ خير جزاء انهُ سبحانهُ ولي الرحمة والاحسان

المشرق — نشكر كل الشكر حضرة القسّ جرجس منش على ايضاح حقيقة كنَّا التمحناها سابقًا في ابحاثنا عن قدماء المرسلين اليسوعيين في حلب لكنَّنا عدلنا عن الاعلان بها خوفًا من ان نبخس حقّ الطيب الذكر المطران افتيميوس صيفي. بيد ان الادلة التي استند اليها حضرة الكاتب تميط اللثام عن وجه اليقين. ولدينا برهان آخر قاطع على صحة مقالهِ وهو الكتاب الاصلي الذي وضعهُ الاب ميخائيل نو لدحض الروم المنفصلين بخصوص القضايا الخمس

التي ذكروها . ففي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة قد سقط منها بعض اوراقها الاولى . ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب هو الذي اشار اليهِ الشماس عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج في ردّهما على الياس فخر الطرابلسي . فقد قابلناهُ بكتاب الدلالة اللامعة المطبوع في رومية ثمَّ في القدس فاذا الكتابان واحد الَّا انَّهما على ترتيب مختلف من تقديم فصول وتأخيرها وتقسيم ابواب مع اختلاف في اللهجة والتعبير فنقح الياس فخر انشاء الاب ميخائيل نو وغيَّر ترتيب الكتاب فظنَّ انَّ ذلك كافٍ لينسبهُ الى نفسهِ زورًا . واهمّ ما في كتاب الدلالة اللامعة الشواهد العديدة المقتطفة من تآليف آباء الكنيسة اليونانيَّة باصلها اليوناني وتعريبها . وهي كلها في نسختنا باللغتين اليونانيَّة والعربيَّة فنقلها الياس فخر بحرفها . فنكرّر شكرنا لحضرة القسّ الفاضل المدقق ونتمنَّى ان يتحفنا قريباً بما وعدنا بنشرهِ من ترجمتي الاب ميخائيل نو والياس فخر ل . ش

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

فبعد مدَّة ايام ظهر ابنا الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز ونزلوا لعكا بمطابقة سيمتهم اليزبكيَّة فلبسهم الباشا حكام بالجبل وهما حسين وسعد الدين وطلعوا للجبل وطردوا الامير بشير واخيه حسن وبشير جنبلاط واستقاموا حكاماً اياماً . ومن طمع الباشا رتَّب عليهم مالًا كثيرًا وقبلوا فيهِ غصباً وصار طلب الغرش من الناس بما يفوق الاحتمال . فمن اتصال الطلب هاجت العامة وطردوا اولاد الامير يوسف ورجَّعوا الامير بشير

ثم ان المذكورين حضروا الى منيِّن واستقاموا بها اياماً كثيرة وكان والي الشام عبدالله باشا العضم . وبعد مدَّة قدموا اعراض للجزار وجاهم الطلب وتوجهوا من منين لعكا

وتحكم بتلك السنة حضروا الفرنسويَّة لمصر في ابتداء سنة الف ومايتين وثلاثة عشر (١٧٩٨ م) ثم حضر الفرنسويَّة وحاصروا عكا والاماره المذكورين كانوا في عكا واحتملوا شدَّة الحصار وقاسوا خوف ورعب واضطراب

وراقت الاحوال وبقيوا الاماره بحالهم بالوعد بغير نجاز الى انهُ في سنة الف

ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) بعد ذهاب وزير الاعظم من الشام بشهرين لبس الباشا اولاد الامير يوسف حكام بالجبل وارسل معهم نحو سبعة الاف نفر عسكري وظهر الغرض. وقام الامير بشير واخيه وجنبلاط وراحوا برّ طرابلس وحكّموا اولاد الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز تحت مال معلوم ووضعوا رهينــة الامير سليم وحومة جرجس باز في عكا. وابتــدا جرجس باز يفرض مال على الناس من مشايخ وعامّة ومطارنة ورهبان حتى ما بقي احد سالم من دفع غرش حتى من الغربيه (الاجانب) وكل مدّة يجدّ طلب وشيء ما لهُ نهاية

فمضى قريب سنتين وما عاد احتمل الاهالي (179٢) كذا مظالم. فقاموا بغتة بشراسة كليّة على الحاكم وراح اناس جابوا الامير بشير والباقي وكبر الوهم على الاماره وكيخيتهم. فاقتضى انهم نزلوا لحرش السنوبر لبيروت واعلموا الباشا بما صار. فارسل عساكر وافرة والاماره راحوا الجبيــل ومعهم عسكر قليل. ثم ان الامير بشير عمل ديوان بالشويفات وحضروا الاماره ومشايخ البــلاد نصارى ودروز واتفقوا انهم يكونون راي واحد وروح واحدة ليس كما صار قبلًا. واذا كان يتمّ هذا فيتحد معهم على مدافعة الباشــا والّا فلا يقارشهم بشي. فصرخوا جميعاً بصوت واحد انهم على قولهم ثم حلفوا الاماره والمشايخ على كنيسة السيدة بالشويفات انهم لا يخونون ولا يصدر منهم اشياء مغايره كليًا. وهكذا جمهروا واستعدوا لمحاربة الاماره وعسكر الباشا

فحصل مواقع بين الجهتين وراح قتل (قتلى) والعسكر نهب الاماكن بالساحل. وظهر ان عسكر الباشا متقوي على عسكر الجبل. وبعدهُ انفهمت القضيّة: هو ان جهجاه عماد ظهر منهُ انحراف خفي ولما يصير حرب يعطي كسيره ويومي للعسكر انهُ يهجم ولا يخاف وهذه رابطة بينهُ وبين جرجس باز. فلحظ البعض عن جهجاه ولاموه على عملهِ. فيصير يحلف ويلعن انهُ ما هو بادي منهُ ما يظنونهُ فيهِ. اخيرًا صار وقعة مشومة وعسكر الباشا وصل للشويفات واشتدّ القتال حتى عسكر الدروز ترفع للجبل والعسكر دقّر (توقف) بالشويفات ونظروا خيّال درزي وهو هارب من قدامهم تقنطر عند كنيسة السيدة الذين كانوا حلفوا عليها. فركضوا عليهِ وقطعوا راسهُ وهم فرحانين انهم قتلوا رجل كبير ويصير لهم بخشيش وافر. فرجع العسكر للحرش لمقرّه ومعهم

جملة روس. ومن الجملة الرأس المذكور. فرموهم قدام جرجس باز فوكّدهم (حدّق اليهم) نظر بينهم راس صاحبه جهجاه عماد. فانغمّ غمًّا عظيماً وشتم الذي قتلهُ. وكان معذورًا لانهُ لا يعرفهُ. ومن وقتهِ ارتخت (179٧) عزائم جرجس باز ونظر انهُ ما بقي نتيجة الَّا بالوفق والصلح ان امكنهُ ذلك. فارسل معتمدًا سرًّا للامارة والمشايخ يعرض لهم امر الصالح تحت شروط. فقبل الجميع ذلك وارسلوا لهُ رضاهم الوثيق. وبالحال كتب للاماره لجبيل يتركوا العسكر ويترفعوا من الساحل

وحينما فهم ارتفاعهم هرب من بين العسكر ليلًا وطلع لعند الجماعة المقيمين فوق الشويفات. فاصبح العسكر ما وجدوا قائدهم وتحققوا انهُ هرب للجبل. فخافوا خوفاً عظيماً ونزلوا الى المدينة يتحصنوا بها. فارسلوا علم للباشا بما حصل فكان الجواب يحضروا حالًا لعكا. وحالًا توجهوا برًّا وبحرًّا

ثمَّ انَّ الاماره والمشايخ راحوا لدير القمر وصار ديوان غفير وتصالحوا وتسالموا مع بعض. ثمَّ جددوا القسم ما بينهم على كنيسة سيدة التلّة المشهورة بالدير انهم يكونوا حال واحد ورأي واحد والخاين يخونهُ الله

ثمَّ حصل التدبير كيف يكون حال الاحكام. فصار الوفق والرضى ان الامير بشير يضبط حكم دير القمر الى حدود بلاد جبيل وابنا الامير يوسف يضبطوا حكم جبيل. ولكن بتدبير الحوادث وخلافها التي تجدّ بالبلاد كلها فيكونون يتعاطوا بتدبيرها الجهتين. وانتهى الحال هكذا. واذا طلب الباشا منهم مال الميري المعتاد فيرسلوا لهُ ما ينحاش لوقتهِ. ومضى تلك السنة ما انطلب منهم شيء والباشا ما سأل عنهم ولا بدا منهُ شيءٌ لنحوهم. وجرجس باز استقام في جبيل مع الاماره والبلاد راقت واستكنت نوعاً لعدم المظالم وطلب الغرش حيث عدم وجود السبب. وكان ذلك في سنة الف ومايتين وسبعة عشر (١٨٠٢ م) واستقام الحال هكذا ايام كثيرة

وفي باطن (اثناء) سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣م) حسن عند الامير بشير يصالح الباشا ويخلص من الغوايل ولكن لا بُدَّ جدّ مقتضى لذلك: اوَّلًا لعدم حرية الامير بالاحكام وكأن الرايات صارت كثيرة. وجرجس باز مقبول بالبلاد اكثر. والامير حسن اخو الامير بشير طبعهُ (180٢) ردي وحسود والامير بشير صاحب شهامة ويحب الغرش واعتاد على السطوة ونفوذ الامر في كل الاشياء. والشيخ بشير جنبلاط عدوٌ

للجهتين اي الامير بشير ولاولاد الامير يوسف ويرغب ان كل امر يجدّ يكون بشوره واطلاعه. ولكن ميلهُ وغرضهُ مع الامير بشير اكثر. والمذكور يلزم يداري الجميع وهذا يصعب عليهِ جدًّا. فاعتمد على مصالحة الباشا وبالمداورة ارضى جنبلاط وجرجس باز بذلك وارسلوا واسطة لعكا الذي يحسن تدبيرهُ جلب خاطر الباشا لنحوهم. وبوقتهِ كان مبتدئ بهِ تشويش الباشا فرضي عليهم وارسل خلعة للامير بشير فقط. ولكن هما بقيوا على اتفاقهم الاصلي مع بعضهم وابتدا الامير يرسل اموال الميرة

وانما الحال ما طال لان الباشا زاد مرضهُ وهو علة الاستسقا وقاسى اوجاع كثيرة وهو بهذهِ الشدَّة ومنهمك في امور كثيرة بامور الاحكام: (اوَّلًا) انهُ كان بيدهِ منصب الشام بهذه السنة. ثمَّ جاء لهُ منصب مصر وزينت ضياط (دمياط) من فرحهم بحكومتهِ والمتولج بالتدبير والاحكام الشيخ طاها الكردي الذي كان يتعمدهُ جدًّا وحاييم اليهودي والذي صدر من المظالم والعدوان بالشام ما سبق نظيرهُ. وفي كل زمان حكمهِ وكله من تدبير طاها المذكور. والباشا عيان من مرضهِ ومسلم الامر لغيرهِ. والاحوال بهذا الاضطراب. فقضى نحبهُ الباشا مات في ابتداء شهر محرَّم سنة الف ومايتين وتسعة عشر (١٨٠٤م) وذهب من الدنيا وما استفاد سوى الوبال. وقبروهُ ضمن الجامع الذي بناه

ثمَّ انَّ العسكر الموجود بعكا ظهر منهُ عين غدر وطاها الكردي والواقفين في باب الحكم تحسبوا جدًّا. وبالحال اخرجوا اسماعيل باشا من السجن وهذا كان حاشه الباشا وغضب عليهِ. ولا نعلم امرهُ وقاموه (180۷) حاكمًا ومسك البلد وهديت العساكر والاهالي من الشلش بوقتهِ

وقد زعم قوم ان مدَّة حياة الباشا لحين وفاتهِ نحو ثلاثة وسبعون سنة منها تسعة وعشرون سنة حاكمًا. واصل منشاه من بلاد البشناق. حضر لمصر وخدم عند علي بيك حاكم مصر وتقدَّم عندهُ نظير كاشف واعلى من ذلك. وحينما قتل علي بيك هرب لبرّ الشام ثم توجه لاسلامبول. صادفهُ توفيق وبسماح الله تعالى صار واليًا على صيدا. والذي صدر من هذا الباشا من المظالم والمساوي والقساوة المريعة ما سُمع بمثلهِ منذ دهور عديدة. واذا اردنا نشرح اعماله كلها يقتضي مجلدات. اوَّلًا انهُ اتصل

لقتل وزراء وافنديه ومفتيه وقبوجيه واغاوات · ويرضي السلطان بالمال والمداورات ويتغاضوا عنهُ · ثم خرب هلقدر بيوت مستورة بسلب مالهم ظلماً · ومنهم عدمهم الحياة عدواناً · وما كان عندهُ حنيه ولا شفقة · وكل من يخدمهُ آخرتهُ العدم كمثل بيت السكروج مخايل وبطرس خدموهُ زماناً وتركوا ذمتهم لكي يرضوهُ وكان يميل اليهم جداً · وفيما بعد عمل عليهم ذنوب كاذبة فخنقهم ورماهم بالبحر · والامير يوسف شهاب الذي كان يحبهُ وحينما هرب من مصر لدير القمر واكرمهُ الامير كثيراً واسعفهُ باشياء كثيرة وخلافهُ حينما راح لاسلامبول · وبعد ما صار وزيرًا خدمهُ بالمال وغيره ويمشي كل امر يطلبهُ · اخيرًا انتهى الحال بعد تلك الصحبة والمعروف اماتهُ مشنوقاً وبقي معلّق ثلاثة ايام خلاف العوايد

ثم عادى طايفة الفرنسويّة وطردهم مع قناصلهم من يافا وصيدا وعكا · وخرب نظام الناس وحين حضروا الفرنسويّة لمصر ضبط مبالغ رز وغير اشياء للتجار بكل الساحل واكل حقه · ثم كل مركب يحضر من البرّ المصري هارباً من وهم (181٢) الفرنسوية يضبطهُ ويقتل البحريّة والركاب · والذي جرى من هذا الباشا من المساوي والاضرار بالناس ما يمكن وصفهُ ولا تقديرهُ · ولو لا تقصر تلك الايام ما خلص كل ذي جسد كما قال السيد بالانجيل · وهكذا لو يدوم هذا الانسان مدة اخرى كان الناس كمل تلافها بالمال والحياة ايضاً · فسبحان من ازالهُ وكفى الناس شرهُ

وانّما الاغرب من هذا والاعجب كيف يموت على فراشه مع حال افتراه وبغيه ومساويهِ الفايقة · ولكن لله غايات في احكامهِ

ثمَّ انهُ بهذه الفرصة هاج المتاولة في بلاد بشارة وملكوا صور بنوع السلطة · واماً اسلام بيروت (فانّهم) تحسّبوا جدًا من حكام الجبل لئلّا يملكوا المدينة او يأذوهم · فتسلحوا واستعدّوا للقتال وسببهُ انهم اعرضوا للامير حسن يحضر لعندهم لاجل المحافظة من جور عامة الدروز الذي تكرّر في ساحل بيروت · فما قبل رجاهم مع اخيهِ الامير بشير وصاروا باضطراب لحين حضور الاوامر السلطانيَّة باثبات حكم عكا

ثم ظهر عصاوة بين اهالي وادي التيم وحاصبيا وبين اسماعيل باشا وهي كانت بغوًا وافتراء منهم · فارسل الباشا مبلغ عسكر وكبس القرايا المذكورة وقتل أنوف

من مايتين نفر واخذوا اسرى نحو ستين نفراً · وكانت وقعة مشومة جداً · فوصل الخبر الى الشيخ بشير جنبلاط · فجمع عسكر دروز ومتاولة وتوجهوا لناحيــة بلاد صفد ولكن بعدهُ فترت الامور وما حصل شيء مكدر

ثم ان الطرقات تلخبطت من عدم ركز الحكومة · فاتفق ان قفل حجاج قادم من الشام لبيروت وصل قريب قرية فالوغة · فحصـــل مشاجرة بين الركاب واحد المكاريه · فضربهُ الحجاج وقيـــل انهُ مات فانطرح الصوت فاجتمع دروز ونصارى وصار قتل ونهب من القفل فوصل الخبر لبيروت · ظنوا انهُ مع القفـــل بيارتة من جماعتهم وان الدروز قتلوهم · فحالًا حاشوا جملة جبليَّة وجدوهم بالمدينة (181٧) وسكروا البوابات · فبعدهُ حضر كتابة من الامير بشير الى متسلم بيروت باطلاق المحبوسين وكان ظهر حقيقة ما حصل ومضى الامر

ومما وجدناه تأليف شعر بتاريخ موت الجزار عند الذين خرَّب ديارهم في اواخر حكمهِ :

وافا السرور وصحَّ ترجيحُ الاملْ بهلاك غاشم لا يعادلهُ مثَلْ
عين الظـــالم والمآثم والردى شرّ العوالم ان تفكَّرْ او عملْ
احمد ولكن ليس يُحمد بالورى مغضوب في ثوب المساوئ قد دخلْ
جزَّار لكن للفضائل جازرٌ مهدي ولكن بالرذايل قد حفلْ
بحيــاتهِ كان الغـــلا ثم الوبا والقحط والجور الذي لا يحتملْ
وبموتهِ زال العنـــا يا حبذا هذا المنى غاب التعدي والوجلْ
جاز المقدَّر عند ملكٍ يجتدي فيض المهالك في جحيم لم يزلْ
لله درُّك يا منون فقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدلْ
فـــاز الانام وارَّخوهُ بمقصدٍ هلك الشقي والى جهنم قد رحلْ

١٢١٩

ثمَّ في اوايـــل ربيع اول السنة المذكورة جاء المنصب الى ابرهيم باشا والي شام بولاية صيدا وطرابلوس · وحضر منهُ اعلام الى امراء الجبـــل يحرضهم على محافظة البلاد ويكونوا مطمأنين وما يصدر منهُ الَّا ما يسرُّهم · وطلب حضور جرجس باز للشام لمواجهتهِ · وحضر المذكور واطلع على الاوامر الشريفة الواردة للامير بشير من

السلطان ومكتوب من الوزير الاعظم مضمونهُ الامر ان يكون بطاعة ابراهيم باشا ويتمم امره ُ ويسعف في اصلاح برّ صيدا وبيروت وصورة الفرمان محررة باطن هذا الكتاب في ولاية ابراهيم باشا على الشام. واماً هنـا فنشرح صورة مكتوب الوزير الواردة للامير بشير وهو هذا :

(182r) قدوة الاماثل والاقران ساكن ايالة صيدا الامير بشير زيد قدرهُ

« بعد السلام المنهى اليك انّ في هذا الاثنا جزار احمد باشا والي صيدا ارتحل لدار البقا وايالة الشام وصيدا وطرابلوس شام واميريَّة الحاج توجَّهت لعهدة سعادة ابراهيم باشا. وسعادة المومى اليـهِ حسب المأموريَّة يقوم حالًا لمنصب صيدا لاجل ضبط وربط المملكة ورفع شرور ارباب الفساد. وانت يا ايها الامير المومى اليـهِ تظهر حسن الصداقة وتكون برأي وامر وتحرير المشار اليهِ بكمال السعي وحسن الخدامات المرضيَّة والصداقة والغيرة بموجب الامر العالي شأن الوارد اليك. انشا الله في وصولهِ تظهر كمال الغيرة والسعي وتكون عاملًا بموجب الاوامر من غير خلاف والسلام »

وكذلك صورة هذه الفرمانات حضرت الى يوسف جرار بنابلوس والمضمون جميعهُ لاجل ضبط البلاد. وبالباطن ان لا احدًا يلتفت لناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد العصاوة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابراهيم باشا وصار عندهُ عساكر وافرة

وفي شهر صفر حينما نظر الباشا المذكور ان الشيخ طاها الكردي عمال يوزع من خزينة الجزار خفية لخارج البلد وقصده يهرب الى بلادهِ وقيل الذي اخذهُ انوف من الف كيس فعمل الباشا حيلة لقتلهِ بطريقة قاسية. وهي انهُ اخرج امعاه من بطنهِ وهو حيّ الى انهُ مـات. وجماعة الكراد هربوا من عكا حالًا والباشا تحصن جدًا وارسل الفين عسكري لصيدا والف الى جسر بنات يعقوب لانهُ صار باحتساب من ابراهيم باشا المزمع يحضر نحوه بعساكر وافرة لطردهِ من عكا

وبغضون ذلك ورد مراكب باليك من اسلامبول ليافا والعمارة العثمانيَّة توزعت بالجزر مثـل قبرص ورودس. ومعهم اوامر ان كل مركب موسوق من سواحل برّ الشام فيقع عليـهِ الضبط ويدوم اليسق هكذا الى ان يصلهم علم (182v) ثاني. والمضمون حسب الواقع انهم خاشين من توزيع شيئاً من مال الجزار

وجاء منصب صيدا الى سليمان باشا مملوك الجزار وهذا كان ارسلهُ الجزار العام الماضي امير حاج. فحضر للشام بالحاج. وبلغهُ موت الجزار فاستقام بالشام وحصل لهُ مودة كليَّة مع ابراهيم باشا

ثم بهذه الفرصة لحكام جبيل تحرك الامير حسن اخو الامير بشير على اخذ الكورة ناحية طرابلس. وحيث ان مصطفى بربر لا يتركها للامير حسن فتوجه الامير المذكور بعسكر لمحاربة بربر. وحصل الكون (القتال) بينهما وعسكر الامير قتل ابن عمّ بربر وقتل كم نفر من المتاولة. واشتدت الامور وانطرح الصوت بالجبل وكان يصير شرّ عظيم. وما هو وقت كذا شرور نظرًا لتوقيف امور عكا

فابراهيم باشا ارسل علم الى بربر يرفع القتال ويلزم القلعة. ثم ارسل الخلاع للامير بشير بحكم الجبل. ثمَّ خلاع الى ابناء الامير يوسف بحكومة جبيل. وانتركت مادة الكورة وهديت الاحوال. وجرجس باز حصل لهُ عزازة واكرام زايد من ابراهيم باشا

وبهذا الغضون وصل يوسف الجرار من نابلوس للشام لمواجهة الباشا. المذكور وجرجس باز اعتمد الوزير ياخذهم معهُ لصيدا. وعين عساكر كثيرة ومهمات الحرب. ثم في ربيع اول وصل اغاي الانكجاريَّة حضر من اسلامبول لبيروت. واخبر انهُ قادم العمارة الكبيرة لعكا واسماعيل باشا لا زال يعين عسكر وارسل مبلغ لصيدا وبيروت ومدافع ويحرضهم على الحصار

ثمَّ في احد عشر تموز موافق ستة عشر ربيع الثاني قام ابراهيم باشا لصيدا بعساكر وافرة. وقبل بيوم ارسل سليمان باشا لصيدا ايضاً وجرجس باز والجرار توجهوا مع ابراهيم باشا. ولكن الجرار يذهب لنابلوس لجمع عسكر وفي صيدا يصير التدبير في كيف يكون في مادَّة عكا. فبوصول الباشا الى صيدا سلموا من غير حرب وكذلك بيروت ولكن قبلًا كانوا مستعدين للحرب. حتى حين وصل سليمان باشا (1832) لصيدا ونظروا العسكر الذي معهُ قليل فابوا التسليم وقصدوا يحاربوهُ. لكن بوقتهِ تكاثر العسكر البراني لزم سلموا. وابراهيم باشا ارسل متسلم الى بيروت وطلب المفتي وبعض الوجوه يحضروا صيدا. والامير بشير توجه بعسكر استقام في جسر الاولي في صيدا لحين حضور الوزر واستلموا صيدا. رجع لجون من غير ان يواجه الوزر. وانما ابراهيم باشا طلب من الامير مال لاجل

مصروف العسكر وفرض بالجبل مبلغ وارسلهُ . ثمَّ انَّ الباشا قام على عكا بالبرّ وسليمان باشا توجه بالبحر بقصد يصل حالًا ويحكي مع اسمعيل باشا

ثمَّ انَّ بشير جنبلاط عين عسكر دروز وكبس بعض قرايا نواحي عكا وقتل من عسكر ابراهيم باشا مبلغ ورجع لمحلهِ . ومن خصوص مفتي بيروت والباقي بقيوا في صيدا مدَّة ايام لان الباشا طلب ثلاثماية كيس دفعوا مايتين باقي عليهم ماية كيس . والمبلغ المذكور قرض يستوفوه من ديوان بيروت

وفي هذه الايام لما نظر الشيخ بشاره الخازن الذي زوق مكاييل تبعهُ والتجار نزحوا منهُ لجونية بسبب ميزان الحرير هناك الذي كان مدخولهُ للامير حسن شهاب اخو الحاكم وقبلًا ميزان الحرير كان بالزوق واخذهُ الامير غصباً فالشيخ بلغ جهده في رجوعهِ للزوق فلم ينال فايدة . فتوجه لصيدا لعند جرجس باز وترجاه بامر الميزان . فاخرج لهُ امر من الامير بشير لاخيهِ بابطال الميزان من جونية ورجوعهِ للزوق . فما قبل الامير حسن وثبت الميزان في جونيه والشيخ بشاره ما استفاد من كل سعيهِ

وبهذا الاثناء صدر مناداة على المعاملة : المشخص بتسعة غروش ونصف . والمفرشخ ثمانية ونصف . وربع الفندقلي قديم بثمانية وربع . والسليمة بسبعة ونصف . وربع ريال فرنجي باربعة غروش . وعملة عثملية البياض في الماية خمسة . وصار بذلك راحة للناس حيث بهذه المناداة تساوت الاسعار بحلب والشام وما عاد خسارة

ثم انَّ ابراهيم باشا بوصولهِ لعكا سكر اسمعيل باشا البوابات واعتمد الحصار داخلًا وعسكر ابراهيم باشا متحاوطة (183٧) عكا برًّا وعساكر البحريَّة بحرًا . والباشا ترك العسكر وتوجه (الى) نابلوس والقدس يجمع مال الدوره وجرجس باز حضر لدير القمر وسليمان باشا بقي مع العسكر في حصار عكا . ثم صح من اشار على اسمعيل باشا يكبس العسكر ويرجع لعكا بعد ان يكون ارمى وهماً . واكد لهُ انهُ بذلك يحصل لهُ خير عظيم . فسمع منهُ وطلع مع قوة عسكرهِ فكان الذي اشار على اسمعيل باشا هو نفسهُ اخبر سليمان باشا بما صار . فاستعدَّ جيدًا وحصلت المعركة بينهم وقتل من عسكر عكا نحو تسعماية نفر ومسك بعض من الاغاوات والباقي شردوا بالبراري والذي بقي ودخل عكا قليلين جدًّا . وضعف سعي اسمعيل باشا واعتمد على التسليم على يد قبطان باشي الذي اشار عليهِ وشركاهُ بهذه الموقعة . وكان

متخذه اميناً وصاحباً . وبعد ايام قريبة انخاش اسمعيل باشا . من يقول (يقال انهُ) كان هارباً من عكا وقالوا انهُ سلّم حالهُ . ودخل سليمان باشا لعكا وبعد ايام حضر امر من الدولة بطلب اسمعيل باشا وارسلوهُ بالبحر مقيَّداً . وبوصولهِ لاسلامبول قيل ان الوزير الاعظم رثى لهُ وصدر الامر بنفيهِ لقلعة وبعدهُ صح الخبر انهم قتلوه . وتحقق المنصب باسم سليمان باشا . وابراهيم باشا انعزل حتى من ولاية الشام وراح لبرّ حلب

ثم انَّ سليمان باشا وراغب افندي الذي كان حضر من طرف الدولة صاروا يبحثوا عن مال الجزار فما وجدوا شيئاً يحرز خلاف الذي كان ارسلهُ اسمعيل باشا للدولة مع القبطان باشي في اوَّل الحال من مال وتحف . يقولوا انهُ كان تبلغ ثمانيـة الاف كيس . غير ان اسماعيل باشا اصرف مالاً كثيراً على العساكر والاغاوات قبـل الحصار وبعدهُ . فهذا ما جرى من وجود الجزار وبعده في جرتهِ (اي بسببه) والحمد لله من محى ذكرهُ واسمهُ

ثم ثبت حكم صيدا وعكا الى سليمان باشا . وكان عندهُ جملة من مماليك الجزار . من الجملة علي اغا ابو عبدالله باشا . فهذا صار كتخداه وجاب لهُ منصب طرابلوس . ولكن استقام في عكا ما خرج منها (184r) كل حياتهِ . وباقي المماليك مثل محمد اغا ابو نبوت وغيره فجعلهم متسلمين في حكمهِ . وحاييم الصراف بيدهِ الحلّ والربط وبالجبل الاحكام كما هي

ثم بعد ايام اجتهد الامير بشير وجرجس باز في اخراج الامير قاسم والامير سليم الذين كانوا رهينة بزمان الجزار . وبعد جملة رجاوات سمح سليمان باشا بطلوعهم لعند اهاليهم وبكلفة وافرة

ثم بوقتـهِ طلعت اخلاع الحكم للامير بشير بحكم دير القمر واخلاع حكم جبيل من طرابلوس لابناء الامير يوسف واستكنت احوال الجبل للنهاية . وسليمان باشا يحب السلامة ومشايخ البلاد متفقين مع بعضهم

فثـاني سنة الف ومايتين وعشرين ظهر من دروز المتن مطاولة على امراؤهم . وتسلطوا على اراضي البقاع يزرعوا ويفلحوا . وصارت الفلاحين بارض البقاع وبعلبك مثل عبيد لهم . وربما ياكلوا الميري على اصحابها ولا يهابوا حكامهم . وهذا الغصب بادي

منهم من زمان من اختلاف الاحكام من الجزار والامير بشير مـا كان يلاحظ بوقته وا تّصلوا بالوقاحة والفجور لهذا الحد . والآن اقتضى يفرض الحكم فرض وزيادة ميري لاجل وفا المطلوب منهم من طرف عكا اوّلًا لشان طلوع الامارا الذين كانوا مرهونين ثم مال الميري وعوايد وخلافهُ . فالجميع امتثلوا للامر عدا دروز المتن ما قبلوا يدفعوا غرش واحد . مع ان الذي يخصهم شيء جزئي . فعزموا على العصاوة واظهروا رداوة بليغة لنحو الحاكم وطردوا الحواليه . فانحمق منهم الحاكم من جورهم ورداوتهم ليس في حقهِ فقط بل في حقّ حكامهم الذين يأكلوا منهم نفع كل سنة حتى اتّصل أذاهم الى العامة ايضاً في قرايا البقاع وبعلبك وزحلة والجبل نفسه . وما كانوا يرتدُّوا عن شيء مهما لاح لهم من ضرر ونهب وقتل ايضاً فلا شيء يمنعهم حتى اتعبوا بيت الحرفوش ايضاً واختلسوا اراضي قرية الكرك وجمعوا غرش يحرز (184^٧) من مدخول الغـلال وغيرهِ . ويوجد منهم طايفتين بيت القنطار وبيت حاطون ازدادوا بالبشاعة والرداوة ابلغ من غيرهم وصاروا في زحلة يجرمون الناس ويعملون الفحشاء وما من احد يقدر يمنعهم . ولهم ظروف عديمة الاحتمال . وهو انهم طلقوا امرأة من زوجها وزوجوها لغيرهِ وبعـدهُ رجعوها للاول . وهم من اسلام زحلة وكلهُ من البراطيل . واحدهم خطف امرأة من جانب زوجها وعمل معها الردي ورجعها . وبالنتيجة صدر اشياء كثيرة من هؤلاء الارديا المغاضيب ظاهر ومخفي وضيعوا الناس ومـا احد يقدر يراجع ويشتكي حتى ولو اشتكى لا يستفيد شيئاً . ثم قتلوا رجلًا غريباً نصرانيًّا كان خارج من زحله . لحظوا ان معهُ دراهم فقتلوه . وجاوا لزحلة يحكوا قدام الناس انهم قتلوه من دون خوف ولا استحيا

والحاكم صار مقهور من هذه الاحوال ويكاتب امراء المتن بعمل طريقة لطاعة هولاء الارديا ومقاصرتهم فالاماره المذكورين حيث هؤلاء القوم خدّامهم فلا يهون عليهم ابادتهم فيطمعوا بهم سيمة بيت جنبلاط وتتلاشى حريتهم ويخفّ مقامهم . ولكن حيث انَّ هؤلاء المنـاحيس ظهروا بالرداوة مع الجميع حتى مع حكامهم بالمتن ولا عادوا هـابوهم ولا يسمعوا لهم كلام حتى اتصلوا انهم صاروا يتطاولوا ويمنعوا غيرهم من الاطاعة ويخربوا في اراضي الامراء والمشايخ وما عاد شيء يحتمل . فامراء المتن منصور وفارس انحرفوا لجهـة الحاكم وقبلوا في مقاصرة ناسهم حتى هم

ساعدوا بذلك. ثم صدر امر من الحاكم برفع طلب الغرش المفروض ورفع الحواليه من كامل المتن

ثم شاع خبر حضور عساكر عثملي لجسر الاولي في صيدا. وطلع منهُ لدير القمر واهالي المتن المغفلين ظنوا انهُ واقع حادث جديد بين الحكام في بعضهم

واذ كانوا مطمئنين في اشغالهم وافتراهم على الناس واذ شاع حضور الامير بشير وبشير جنبلاط والامير سليم وجرجس باز. وصلوا لحمانا والامير بشير قاسم مع العسكر (١٨٥٢) دروز ونصارى من الشوف. كبسوا قوايا البقاع بالتفتيش على الدروز الارديا من بيت القنطار وحاطون. ومسكوا منهم والباقي هربوا. وكذلك الدروز الذين في بيوتهم لما فهموا الغضب واقع عليهم فهربوا للشام ومنهم احتموا بوجاق الدالاتيه. وهكذا صاروا مرتعشين ومضطربين. والذي انمسك حمزه حاطون ونفرين من بيت القنطار قيدوهم وارسلوهم لحمانا وابن حاطون عمل حيلة وهرب. وبقي اولاد القنطار نفرين اخذوهم لدير القمر وسجنوهم هناك

وبتلك الليلة ذاتها التي وصلت الكبسة للكرك كان وصل جانب عسكر دروز مع الشيخ حسن جنبلاط والامير حيدر شهاب الى قرية كفر سلوان المختصة في بيت الحاطون وبيت المغربي وكبسوا القرية ليلًا. فهربت رجال حاطون. فدخل العسكر ونهب كامل رزقهم ومواشيهم. واماً بيوت المغربي فما قارشوهم لان الغضب واقع على حاطون والقنطار بنوع خصوصي. ثم توجه العسكر لقرية المتين. فهرب رجال القنطار. فنهبوا بيوتهم وصارت نساهم تضرب بالحجارة وهاج الشرّ وقتل درزي من بيت برداس ووقع مجاريح نصارى. وارتدّ العسكر بعد نهب القرية تماماً. وبعد يومين جاء امر بهدم بعض بيوت بيت القنطار وحرقها بالنار. واماً في كفرسلوان فما قام العسكر منها حتى حرق كامل بيوت حاطون وهدمها للارض. ثم حضر امر بحرق بيوت القناطرة التي بالكرك وفي زحلة وبضبط اغلالهم وارزاقهم. وصدر مناداة في زحلة كل من عندهُ امانة او شيء من الاشياء الى حاطون والقنطار يظهرهُ حالًا. وما ظهر شيء. والحاكم ما صدقهم. فاخيرًا قدموا خدمة خمسون غرارة شعير من عندهم. وبغضون ذلك حضر نحو ماية خيَّال من الشام للكرك لاجل المحافظة واستقاموا هناك

ثم بعد مقاصرة هؤلاء الطائفتين (185ᵛ) التفت الحاكم لمقاصرة باقي الطوائف وفرض عليهم منهم ثلاثين كيس ومنهم اقلّ بتدبير الاماره منصور وفارس . وانضاف لذلك بعض قرايا نصارى . فصار طلب منهم غرش وذخاير . القول انهُ بالسابق كان طلب منهم فريضة وما قبلوها وطردوا الحواليه حين كان الجبل عاصي على الجزار . فقصد الآن الحاكم يقاصرهم . وحاطون والقنطار تواقعوا على ضاهر التلّ شيخ الزيداني وبشير جنبلاط بان يصالحوهم مع الحاكم وما صار نتيجة

ثم بهذا الاثنا حضر امر لزحلة في ضبط كامل بيوت الدروز وذلك العمار فقط والذي لهُ بيت ملك من اباه وجده يثمنوه ويأخذ ثمنهُ من البكليك . وصدر امر لكلّ الجبل ان لا احد يقبل في بيتهِ من هؤلاء الطائفتين قنطار وحاطون ولا يطعموهم ولا يسقوهم

ثم حضر حسن جنبلاط الى بسكنتا من طرف الحاكم بطلب غرش مفرد هذا عدا عن المبلغ انوف من ثلاثين كيس مأخوذة منهم قبلًا . فهاجت الناس وبالجهد حتى فرضوا المطلوب عمومي . وايضاً صار طلب غرش من اهالي الشوف . وكان البلاد ساوت بعضها . الّا ان مقاطعة المتن اقوى واكثر بدفع الغرش لانهم هما سبب الشرور كلها . والطوايف ذلّوا للنهاية وندموا بما صار منهم . ولكن تلف حال الناس بجرتهم (بسببهم) . ثم صدر امر بطرد حريم الطوايف واولادهم من كل الجبل ولا من يشفع ولا يدفع . وامراهم ضدّهم والعامة طمعت فيهم وانقطعت قلوبهم من الهمّ والخوف . كما جرى لهم من البلوكباشي كان قادم من بسكنتا وصحبتهُ المال الماخوذ من القرية المذكورة ومتوجه الى حمانا مع نفرين من جماعته . فصادفه في وادي الجماجم تحت عين القبو اربعة خياله فتحسّب منهم . فانفرد من خدمهِ زلمه لنحوهم وضرب في وجههم بارود من بعدٍ . فبالحال نزلوا عن خيلهم وهربوا بالوادي مثل الارانب اذا نظروا (186ʳ) العقاب في كبد السماء وتركوا خيلهم . فاخذ البلوكباشي الخيل وجاء بهم للحاكم وحصل لهُ ولاتباعهِ انعام وافر . وبالنتيجة حال هؤلاء الطوايف اضمحلّ جدًا

وفي ثمانية وعشرين تشرين الثاني قام الامير بشير الحاكم من حمّانا لدير القمر . وكذلك باقي الامارا والمشايخ كل راح لمحلهِ . وتوكل في زحله عن الامير بشير قاسم

نعمان بلوكباشي درزي واتباعهُ · وعسكر الهواره والدالاتيه الذين من الشام قاموا من الكرك في احدى وعشرين كانون الثاني ومعهم امر من الامير بشير انهُ حين قيامهم يحرقوا كامل البيوت الذين لبيت القنطار بالحوش قريب لزحله· فحرقوهم تمام وفرح اهالي زحله في ابادة هذه البيوت الذين هم شر وضرر· وكانوا اربعة وعشرين بيت وما عاد بقي لهم اثر (لهُ بقية)

العسل

نظر صناعي اقتصاديّ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انَّ مقالتنا في النحل (ص ٣٥ و١٩٠) تستدعي تتمة البحث في وصف العسل وخواصهِ وانواعهِ وفوائدهِ (١ بعد ان ذكرناه اجمالاً في وصفنا للهوامّ المعسِّلة

ممَّا افادتنا الاسفار المقدَّسة انَّ الله عزَّ وجلّ لمَّا تجلَّى لموسى الكليم في مصر وانتدبهُ لخلاص شعبه من نير المصريين وعدهُ بانَّهُ يجعل بني اسرائيل في بلاد نامية الخيرات· واذ اراد الربّ ان يبين لهُ خصبها وصفها بكونها « بلاداً تدرُّ اللبن والعسل » (خروج ١٣ : ٥و٣٣ : ٣ وتثنية ٦ : ٣)

واثبت قولهُ تعالى اولئك الجواسيسُ الذين ارسلهم موسى ليجسُّوا ارض الميعاد فلمَّا عادوا الى محلَّة العبرانيين قاموا شهوداً على صدق وعود الله قائلين لموسى (عدد ١٣ : ٢٨) : « قد صرنا الى الارض التي بعثتنا اليها فاذا هي بالحقيقة تدرُّ لبناً وعسلاً »

وقد تكرَّر هذا الوصف لبلاد فلسطين وسواحل الشام في سفري العدد وتثنية الاشتراع نيِّفاً وعشر مرَّات وكذلك ورد في بقيَّة الاسفار المنزلة

وان قال قائل انَّما هذه عبارة مجازية لا يُراد بها غير وصف جودة ارض الميعاد ووفرة مرافقها· اجبنا اننا نسلم بذلك ولكن يستفاد ايضاً من تكرارها انَّ العسل كان متوفِّراً في تلك الجهات الشرقيَّة

١) اطلب بحثاً مختصرًا في ذلك مرَّ في السنة الثانية للمشرق (ص٧٩١ — ٧٩٤)

وفي كتب العهد القديم التاريخيَّة ما يؤيد توفُّر العسل في الاراضي المقدَّسة فمن ذلك ما اخبر بهِ صاحب الكتاب الاوَّل لسفر الملوك (١٤ : ٢٥) حيث روى ما حدث ليوناتان في ابَّان الحرب مع الفلسطينيين فدخل غاباً مع الشعب ووجد العسل يسيل من شجر الغاب فغمس فيهِ طرف عصاتهِ واكل منهُ دون ان يعلم بحلف ابيه الذي جعل اللعنة على من يذوق طعاماً قبل مساء ذلك اليوم

وفي سفر القضاة (١٤ : ٨ — ٩) حادث آخر يـدلُّ على وفرة العسل في تخوم بني اسرائيل وذلك خشرم النحل الذي وجدهُ شمشون في جوف اسد كان قتلهُ قبلها بأيَّام فاشتار عسل الخشرم واكل منهُ

وفي جملة الهـدايا التي اوصى يعقوب بنيه (تكوين ٤٣ : ١١) ان يأخذوها ليستعطفوا وجه يوسف قبل ان ينزلوا ثانيةً الى مصر ليمتاروا قمحاً قد كان العَسل

فهذه الشواهد وغيرها ايضاً نضرب عنهـا تثبت قولنا السابق في كثرة العسل في اقطارنا وذلك منذ عهد الآباء من نسل ابراهيم. ولا بأْس اذا كانت تلك النحل برّيَّة وعسلها بريًّا اذ لا فرق بين النحل الاهلي والبرّي

ولست ادري ايوجد اليوم ايضاً في انحاء فلسطين خشارم من النحل تحلُّ وتتوالد في تجاويف الشجر او نخاريب الصخور. وما لا يسعنا انكارهُ انَّ في اعالي لبنان من الجرد لا يزال الرعاة يجدون خزائن العسل ممَّـا عسَّلتهُ نحل الجبل البرّيَّة. وكذلك رأينا بالعيان في مشارف جبال عكَّار هوامّ النحل كانت تنفذ في الصخور وتخرج ما استدللنا بهِ الى وجود النحل والعسل في تلك الجهات

وروى لنا الثقة انهم رأوا قبل ٢٥ سنة طوائف من النحـل طارت فوق قرية صليا ثم حطَّت غير بعيد عنها. فاسرع الاهلون واتوا بالاوعيـة كصناديق الخشب والجرار فنقلها كلّ منهم الى ارضهِ ولم تقلّ على عشرين كوارة وقد رجَّحوا انَّ تلك النحل كانت انفصلت عن طوائف اصليَّة مأواهـا في اعماق الاودية وبين صخور الجبل

فلا شكّ انَّ تجريد لبنان عن غاباتهِ بتوالي الازمان أثَّر ايضاً في احوال النحل فقلَّت مستعمراتها مع نقصان غذائها ولكن يمكننا ان نتتبع آثارها حتى في اوائل تاريخ الميلاد فانَّ الانجيل الطاهر يروي عن يوحنَّا المعمدان (متى ٣ : ٤) انَّ طعامهُ كان

« الجراد وعسل البرّ ». وروى القديس لوقا (٢٤ : ٤٢) انّ الرسل لمّا ظهر لهم الرب بعد قيامتهِ قدّموا لهُ « قطعة من سمك مشوي وشهد عسل » وبذلك دلّونا على ان العسل كان من طعام العامّة في ذلك العهد اذ نرى قوماً من الصيّادين يأكلونهُ كقوتهم اليومي سواء كان ممّا اذخروهُ لسنتهم او ممّا اشتاروهُ من بعض خلايا النحل البرّيَّة وليس من الكوائر التي لا يشتار عسلها في الربيع وهو الفصل الذي جرى فيهِ ظهور الربّ لتلاميذهِ

وعلى كل حال يؤخذ من هذه الروايات انّ العموم كان يُقبل على أكل العسل وناهيك بذلك دليلًا على اهتمام اهل الشام وفلسطين بل كافّة المشرق بتربية النحل. وكان لاهل ذلك الزمان داعٍ آخر يحدو بهم الى العناية بالنحل وهو انّ العسل كان يقوم في كثيرٍ من اطعمتهم وادويتهم مقام السكّر الذي يغني اليوم عن العسل وكان اذ ذاك استحضار السكّر مجهولًا فلم يشع في اوربّة الّا بعد اكتشاف العالم الجديد لمّا عمّ استنبات قصب السكر فصاروا يعصرونهُ ثم يصفّون عصيرهُ ويعقدونهُ (١ فكثر السكر وأُهمل العسل نوعاً. وزاد هذا التغاضي في القرن الاخير لمّا صاروا يستخرجون السكّر من الشمندر فيعقدون عصيرهُ كعصير قصب السكر وبذلك راجت سوق السكّر رواجاً كاد ينسي جنى النحل

وممّا كان يرغّب الناس قديماً في تربية النحل الشمع المصفّى من اشهادها. وقلّما كان الناس ولاسيما وجوههم يستصبح بغيرهِ. امّا اليوم وقد اكتشفوا الشمع الشحمي (stéarine) والپارفين (paraffine) وصاروا يستصبحون بالغازات والكهرباء فكسدت سوق الشمع العسلي لندرته وارتفاع اسعارهِ

*

ولكن ايا تُرى هل استحقّ العسل ان يُعرَض عنهُ هذا الإعراض أليس فيهِ من الخواصّ ما من شأنهِ أن يحدو بالعموم الى استعمالهِ؟ دَعْنا نبحث عن بعض فوائدهِ

---

١ راجع في المشرق ١٠ (١٩٠٧) :٦٥٦ و١٣ (١٩٠٩) ١٧٩) مقالتين حسنتين في السكّر وقصب السكّر للاب يوسف مونجين وللاديب ميشال الياس سماحه

واوّل ما يلوح للكيموي من تحليلهِ انهُ جامع لخواصّ الاطعمة المغذية لانّهُ مقوّ مري٠ موافق للصحة منظف للامعاء

فكونهُ مقوّياً انّما استمدَّ ذلك من سكّريتهِ ٠ وقد اثبت العلماء اليوم بالادلّة المتعدّدة ان الاطعمة التي مبناها السكر هي اصلح من سواها لتقوية الجسم٠ وممّا ثبت لهم بالاختبار انَّ الخيل والبغال والبقر وما سواها من حيوانات النقل والشغل اذا خُلط علوفها بمقادير معلومة من السكر كالادباس الغليظة وافضال تصفية السكّر قويت بنيتها وامكنها ان تثبت على الشغل زمناً اطول فتؤدي خدماً اعظم لاصحابها ٠ وكذلك زادوا في طعام الجند كمّيَّة من السكر ليقووا على اتمام مهنتهم الشاقَّة في ايّام الحرب وغيرها

فترى من هذه الامتحانات ان علماء العصر عادوا فاكتشفوا ما كان يعرفهُ من قبلهم القدماء من تعزيز قوى الجسم باكل العسل٠ وكان المصارعون قبل نزولهم الى ميدان الصراع يغتذون بالعسل لعلمهم بانَّهُ مصدر قوّة عظيمة وانهُ يجدي الاعصاب ثباتاً على العمل وصبرًا على الاتعاب

وقد قرأتُ في بعض كتب السيّاح الى شمالي اوربّة انَّ اهل اسوج ونروج اذا مدَّ عليهم الشتاء رواقهُ وتراكمت فوقهم الثلوج فلزموا بيوتهم ضعفت امزجة شبّانهم واحداثهم حتى كادوا يضنَون بالسلّ فلم يرَ الاطبّاء طريقة اقرب لاصلاح قواهم من اغذائهم بالعسل وبحساء القرّاص الذي منهُ يُستخرج الحامض النملي (١

ولعلّ ما رواهُ الكتاب الكريم (١ ملوك ١٤: ٢٧, ٢٩) عن يوناتان في الخبر السابق ذكرهُ من انَّهُ لمّا ذاق عسل الغاب « انجلت عيناهُ » هو من هذا القبيل فيكون العسل ردَّ لهُ قواه فازال ما اصاب عينيهِ من الغشاء لتعبهِ

وليس العسل قوتاً مغذياً مقوّياً فقط بل هو ايضاً هني مري٠٠ وكيف لا يكون ناجعاً للصحة مع ما يحتويهِ من صفوة النبات ولباب الزهور وعطر الاعشاب ممّا تمتصّهُ النحل وتفرزهُ بخبرة وتلوكهُ بدقّة ثمَّ تمجُّهُ في نخاريب اشهادها ليبقى فيها كمؤونة للشتاء٠ فتجد في ذلك العسل كل خواصّ الزهور وعرفها الطيب وجوهر حياتها

١) راجع في المشرق (٧: ٥٥٢) مقالة الدكتور گيك في هذا الحامض النافع لتقوية الاعصاب

النباتيَّة مع ما امتزج فيها من نور الشمس المحيي وحرارتها المنعشة . وذلك ما حمل ميشله (Michelet) الكاتب الافرنسي على ان ينعت العسل بروح الزهر يريد انَّ النحل تأخذ خلاصة الزهور وتجبلها جبلًا عجيباً يحفظ لها خاصيَّاتها الاصليَّة . والدليل على ذلك انَّ للعسل من التكييف ما يختلف على اختلاف الامكنة والحدائق والحقول فانَّ النحل تصون بكل حرص ما في زهرها من الخواصّ الطيبة ليزيد عسلها ذكاء ولذَّة فيتميَّز كل جنس من العسل عن الآخر كالعسل الصعتريّ والعسل الوردي

امَّا كون العسل منظفاً فلسهولة هضمهِ . وان ابدى معترضٌ ريباً في الامر وذكر انهُ اثقل نوعاً من الماء بحجم متساوٍ اجبناهُ انَّ الثقل النوعي في بعض الاطعمة ليس برهاناً على ثقلها في المعدة . فالامر على خلاف ذلك لانَّ العسل مريٌ نجيع تهضمهُ المعدة دون عناء وهو مع هذا مبرّدٌ للمعدة والاحشاء مصفٍّ للدم ولذلك قد اعتبرهُ القدماء كمنعش للصحة بل كمطوّل للحياة . قيل انَّ بقراط رئيس حكماء اليونان كان يصف استعمالهُ لمن يرغبون في اطالة حياتهم

وممَّا يجدر بالنظر انَّ للعسل كل خواصّ السكر دون مضارّهِ . نعم ان السكر يصلح لتقوية الجسم اذا دخل منهُ كميَّة في الطعام لكن الافراط منهُ ضارّ . فاذا بالغ احد في اكلهِ قطع شهوة الطعام واضنك المعدة وهيَّج الاحشاء واثار في الاعضاء حرارةً بل حرقة . هذا فضلًا عمَّا يجلبهُ للاحداث من فساد الاسنان اذا اكثروا من الحلويات . امَّا العسل فخالٍ عن كل هذه الآفات لأنَّ تركيبهُ من ضروب السكر ويدخلهُ اقسام بالغة من مسهل خفيف يدعونهُ لاڤولوز (lévulose) ممَّا لا اثر لهُ في السكر المستخرج من القصب وبذلك يُضحي كدواء ناجع يُفضَّل استعمالهُ ممزوجاً في الاشربة بدلًا من السكر بل يداوى بهِ القبض والارق والامراض الناتجة عن اذى الاعصاب ومن منافعهِ الشهيرة تليينهُ للحنجرة اذا تغرغر بها المصاب بجسأة اللوزتين وتقرّحهما فانَّ حلاوتهُ الملينة تزيل تلك الجسأة وتبرئ تلك القروح

ولا يظنَّن القارئ انَّ هذه الموادّ السكرية المختلفة هي مخزونة في الاثمار فقط . كلَّا فانَّ منها كميَّات وافرة ايضاً في الزهور وفي اوراق النباتات وقشور الشجر حيث لا يستطيع ارباب الزراعة استخراجها

امَّا النحل فانَّها لا تخيم عن ذلك بل تمتصّ ذلك العسل المكنون ولئلَّا يصيبهُ

الاختمار فيتلف تراهنَّ يعرضنهُ للهواء فيتبخر الماء الزائد فيهِ ثمَّ يأكلنهُ فيهيّئن لنا ذلك القوت اللذيذ الذي وصفنا منافعهُ لتقوية الاعصاب وتبريد المعدة وتصفية الدم

والعسل كما هو معلوم يدخل في تركيب اصناف الاطعمة ولا سيما الحلويات والربوب والجوارشات والقطائف والمعاجين ولكلها طرائق ومقادير يتفنن فيها ارباب الطباخة وصنَعة الحلويات

ولا يسعنا ان ننسى الاشربة التي تنال من العسل بعض خواصها المرغوبة (١ منها الخمر العسلي (hydromel) الذي كان يُقبل عليهِ الاقدمون ايّ اقبال ولا يأنف من شربهِ اهل زماننا وانَّما يتخذون لتهيئتهِ ضروب العسل الادنى جنساً كالعسل الذي تجتنيه النحل من زهور القمح الاسود (sarrazin) ثم (يخلطون العسل بالماء ويخمرونهُ بخميرة الجعة (البيرة) . وهذا الخمر يحوّلونهُ الى مُسكر كالعرق بتقطيرهِ في الانبيق كبقيَّة الخمور المتخذة من الاثمار كالعنب والاجاص والقراصيا . ولهذا العرق ذوق لذيذ خاصّ بهِ كبقيَّة اصناف العرق الاخرى . وكذلك تُستخرج منهُ الكحول التي تُشرب او صرفةً كالكونياك او ممزوجة لتهيئة مشروبات اخرى يصلحونها بها ويزيدون عليها السكر

وعرف العرب كثيرًا من خواصّ العسل قال ابن بيطار في مفرداتهِ (٣ : ١٢١) نقلًا عن قدماء الحكماء : «قوَّة العسل جالية مفتِحة لافواه العروق بجذب الرطوبات . . . وهو يجلو ظلمة البصر واذا تُحنِّك بهِ او تُغرغر بهِ ابرأ اورام الحلق واورام العضل التي عن جنبتي اللسان والحنك واللوزتين والخناق ويدرّ البول ويوقف السعال اذا شُرب سخناً بدهن الورد . . واماَّ العسل الغير المطبوخ فصالح للمعدة الباردة والامعاء الوارمة ووجع المعدة الكائن من البلغم وهو مُشهٍّ للطعام ويغذو غذاء جيدًا »

وقد شاع عند العرب شراب العسل . قال نجم الدين الشيرازي في كتاب الحاوي في علم التداوي (éd. Guigues. 11) : «شراب العسل المسخن للمعدة والكبد . وصفتهُ : يؤخذ من عسل النحل عشرة ارطال ومن السكر عشرة ارطال ومن السنبل والمصطكى والدارصيني والقاقلّة والعود الهندي والهيل وجوز بوا من كل واحد وزن درهمين وقرنفل درهم يُدقّ الادوية جريشاً ويلقى في طنجير ويُصبّ عليهِ ستة

١) راجع المشرق ٢ (١٨٩٩) : ٧٩٣ — ٧٩٤

ارطال من ماء عذب ويطبخ الى ان يرجع الى اربعة ارطال ويصفّى بخرقة صفيقة. ثمَّ يُصبّ على ذلك الماء السكر والعسل ويُغلى ويؤخذ رغوتهُ اوَّلًا فاوَّلًا حتى يصير لهُ قوام ويُنزل عن النار ويُصفى ويرفع الى اناء ويستعمل بسهولة »

ومن المشروبات العسليَّة الشهيرة ما دعاهُ العرب بالسكنجبين (oxymel) اي مزيج العسل والخلّ او الخلّ العسلي كان يستطيبهُ اهل الشرق

ومجمل القول انَّ العسل من اصلح الاقوات وانجعها للصحة. ولنا في مثال الخالق نفسهِ اثبات على الامر فانَّهُ تعالى لمَّا اراد ان يقيت شعبهُ في البرّيَّة مدَّة اربعين سنة لم يجد لهم افضل من المنّ الذي كان طعمهُ « كقطائف بعسل » (خروج ١٦ : ٣١)

وقد سبق ان تركيب العسل يختلف على اختلاف النبات الذي يجني النحل زهورهُ. وانمَّا يُقال بالاجمال انهُ يتألف من الموادّ الآتية: يدخلهُ من ٢٠ الى ٢٣ قسماً في المئة من الماء. ثمَّ من ٤ الى ٧ اقسام من السكر الطبيعي. ثم من ٦٥ الى ٧٠ قسماً من مادتي الغلوكوز (glucose) واللاڤولوز (lévulose) واخيرًا من قسمين الى اربعة اقسام عناصر مختلفة. امَّا الكيمويُّون الذين يحلِّلون العسل الى آخر اركانهِ فانهم يميزون انواعاً كثيرة من الموادّ السكريَّة التي اخصها السكر الطبيعي المستخرج من القصب والشمندر ويوجد منهُ كميَّات وافرة في الجزر والذرة وغيرهما. وكذلك يميزون انواعاً من مادة الغلوكوز الحلوة فمنها الطبيعيَّة التي يدعونها سكر العنب لوجودها بوفرة في العنب كما في غيرهِ ايضاً من الثمار كالخوخ والتين — ومثلها مادَّة اللاڤولوز السكريَّة المستخرجة من القراصيا والتوت الفرنجي. فمن هذا التركيب واصناف الموادّ السكريَّة يلوح للناظر سبب الفرق الموجود بين العسل والسكر فيفضَّل الاوَّل على الثاني من وجوه عديدة

هذه نبذة وجيزة من شأنها ان ترشد الشرقيين الى ان يستنتجوا ما للعسل من الفوائد وما يستطيعون ان ينالوهُ من الارباح لو انقطع قوم منهم الى تربية النحل وترويج جناه. فانّ لبنان يصلح لذلك اكثر من بلاد اخرى لاختلاف مناطقهِ حيث تختلف اصناف الزهور وباختلافها يمكن استحضار اصناف من العسل بحيث يدرُّ في الجبل جنى النحل كما كان يدرُّ في عهد بني اسرائيل في انحاء ارض الميعاد

تاريخ آداب اللغة العربية

نقد الجزء الثاني منهُ للاب لويس شيخو اليسوعي

في مثل هذا الشهر من عامنا الماضي (المشرق ١٤ : ٥٨٢) كتبنا فصلًا في انتقاد الجزء الاوَّل من هذا التاريخ فاثنينا على همَّة صاحبهِ وأفضنا في مزايا الكتاب وابدينا ما خطر على بالنا من الملحوظات رجاء ان يستفيد منها جناب المؤلف في اقسامهِ التالية او عند استئناف طبعهِ. وكنَّا تمنينا لو يحظينا المؤلف سريعاً بتتمَّتهِ فما خاب املنا وها هوذا قد اتحفنا بالجزء الثاني من تأليفهِ النفيس ويختمهُ قريباً ان شاء الله فيصبح كدستور في ايدي ادباء اهل الوطن

وقد قرأنا في مقدَّمة هذا الجزء الثاني كلاماً للمؤلف الاديب رواه في « موقع الجزء الاوَّل » وخصَّ حقارتنا بالذكر (ص ٧) مثنياً على اعتدال خطتنا في النقد شاكرًا لحسن ظننا واهتمامنا في البحث والتنقيب وابدائنا للاحظاتنا وانتقادنا بتعقُّل واخلاص. والحقُّ يقال انَّنا في كتابتنا لذلك الفصل المطوَّل لم نقصد غير خدمة الآداب العربيَّة وتنشيط الذين يسعون في استخراج مكنوناتها ونشر دفائنها لا يزعهم في ادراك غايتهم وازع ولا يثبطهم مانع كجناب منشئ الهلال الذي نهض بين ادباء بلادنا نهضةً قلَّما جاراهُ غيرهُ في مثلها. فاذا وفيناهُ حقَّهُ من الشكر قمنا بالواجب ودعونا امثالهُ الى مباراتهِ في سباق كثرت اكاليلهُ وقلَّت فرسانهُ

هذا ومع ثنائنا على صاحب تاريخ آداب اللغة العربيَّة كنَّا عرضنا عليهِ بعض الآراء تحسيناً لعملهِ اذ نعلم حقَّ العلم انَّ تاريخاً مثل هذا يكاد ينوء تحت عبئهِ عاتق الجهابذة. لكنَّ ذوي الهمَّة تزداد عزائمهم مع ازدياد الآمال المنوطة بهم والاثقال الموكولة الى اهتمامهم

وعليهِ قد رأينا ان نستأنف الانتقاد لهذا القسم الثاني من الكتاب فنبيّن محاسنهُ ونلحقهُ بالملحوظات التي دارت على خلدنا عند مطالعتهِ. فان شاء الله ينظر اليها المؤلف كما وعدنا بعين الاهتمام ولا يعدها هذه المرة « في غير مكانها او قبل اوانها »

*

يتناول هذا القسم من تاريخ الآداب العربيَّة معظم العصر العبَّاسي منذ صارت ازمَّة الخلافة في ايدي بني عبَّاس بانتصار السفَّاح الى ان انتقض حبل دولتهم وتضعضعت اركانها بفوز الدولة البويهيَّة وتدبيرها للامور حتى زمن الدولة السلجوقيَّة. وقد قسم الكاتب هذه المدَّة الى ثلاثة اطوار يشمل كل طور نحو مئة سنة بنيف قليل يبلغ مجموعها ثلثمائة سنة وقد جرى في ذلك أدراج الاستاذ الالماني كرل بروكلمان في كتابهِ تاريخ الآداب العربيَّة (C. Brockelmann: *Geschichte d. arab. Litteratur*) بل كثيرًا ما نقل فصولهُ عنهُ حتى كدنا ندعو كلامهُ غير مرَّة تعريباً لا تأليفاً وكان العدل يقضي بان يشير اليهِ مرارًا في اسانيدهِ التي رواها في ذيل الكتاب وانَّما ذكرهُ فقط في جدول التآليف التي سرد اسماءها في فاتحة الجزء الاوَّل من كتابهِ. وهذا قليل بالنسبة الى المنقولات عنهُ

وقد افتتح جرجي افندي هذا الجزء الثاني بشبه المقدَّمات على العصر العبَّاسي ونهضتهِ الادبيَّة. فالمقدَّمة الاولى (ص ١٠) عنوانها القرآن وآداب اللغة العربيَّة زعم فيها « انَّ العلوم والآداب في ابَّان التمدُّن الاسلامي تكاثرت حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم.. واكثرها نشأ من القرآن او تولَّد خدمة لهُ » وهو قول ذهب اليهِ المؤلف تزلُّفاً الى بعض القرَّاء المسلمين لكنهُ لا يروق في اعين الادباء من ايّ طائفةٍ كانوا حتى المنصفين من المسلمين وقد روينا شيئاً من كلامهم في مقالتنا عن العلوم العربيَّة في اوَّل الاسلام (المشرق ١٤: ٢٩٩ — ٣٠٦)

ولا يفيدهُ الفصل الذي افردهُ لذلك فانَّ مزاعم كثيرة هناك تنقض الحقيقة التاريخيَّة ولا تنطبق على ما ذكرهُ جرجي افندي في كتبهِ فكيف يقنعنا بانَّ التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضيَّة والفلسفيَّة وغيرها نشأت من القرآن وقد ذكر هو نفسهُ كما ذكرنا مع كل اصحاب الآثار انَّ هذه العلوم لم تظهر الَّا في اواسط او اواخر القرن الثاني للهجرة. فيا ليتهُ اكتفى ببيان تأثير القرآن في اللغة العربية وفي آداب قومهِ الاجتماعية ولعلَّهُ كان الاوفق لو قدَّم الكلام في هذا الموضوع عند ذكرهِ القرآن في الجزء الاول من كتابهِ

ثم اردف هذه المقدَّمة بمقدَّمة ثانية جعلها كذكر اجمالي للعصر العبَّاسي الاوَّل

وهو بحث جليل كان يقتضي نظرًا دقيقاً في مميّزات ذلك العصر الذى دعاهُ بعصر الاسلام الذهبيّ . فشدَّ ما كان عجبنا اذ نظرنا هذا الباب ملخَّصاً في اربع صفحات لم يكد المؤلف يمسُّ فيها موضوعهُ . فانهُ بعد ذكرِهِ الانقلاب السياسيّ الذي حصل بانتصار بني عبَّاس على بني اميَّة انتقل الى وصف الخلفاء الاوَّلين فوصفهم بما لا يروي غليلًا . فهنا كان ينبغي على الكاتب ان يبيّن كَلَف الخلفاء بالعلوم القديمة والحديثة وما صنعوهُ لذلك امَّا بمساعيهم الخاصَّة واماَّ بتنشيط العلماء وتقريب الوسائط لذوي الهمم فيعدّد مآثرهم في انشاء المكاتب وفتح المدارس في عاصمة دار السلام وغيرها وتجهيز المعاهد العلميَّة المختلفة ودعوتهم للادباء في قصورهم للمذاكرات والمحاضرات واقتراحهم على ذوي المقدرة وضع التآليف في العلوم . فكل ذلك ممَّا لا غنى عن ذكرهِ في باب مثل هذا فاهملهُ واجتزأ بكلامٍ عام يعرف الأُدباء اكثر منهُ بكثير

وقد جعل المؤلف بين مميّزات ذاك العصر الذهبي (ص ١٩) حرّيَّة الدين فاتى لاثبات قولهِ بدليلين خفيفين لا يقنعان احدًا اعني تشيُّع المأمون وقوله بخَلْق القرآن ثم مثَّل اولاد ابي جعد . ولا يخفى ما يستوجب من البراهين والبيّنات بحثٌ مثل هذا أفما كان الاولى بالكاتب ان يضرب الصفح عن الامر فلا ينبِه الافكار الى ما لا يسعهُ اثباتهُ ؟

وختم هذا الباب (ص ٢٠) بذكر وزراء الفرس والموالي اي المسلمين غير العرب كآل برمك وآل الفضل وتأثيرهم في النهضة الادبيَّة . حسن ولكن ما بالهُ ألحق بهم الجواري والغلمان فقال : « ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري . . . وتكاثر الغلمان . . . وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء (١ » . افهذا يا اصلحك الله ما رأيت من « ثمار الحضارة » ومن مميزات « عصر الاسلام الذهبي » ! !

ويلي هذا الباب في مميزات العصر العبَّاسي باب آخر (٢١ — ٣٧) في ما دعاهُ « العلوم الدخيلة » اي العلوم القديمة التي شاعت عند اليونان والفرس والقبط والهنود

١) قد اشار المؤلف في ذيل الصفحة الى نكتة ذكرها صاحب الاغاني (٦ : ٢٠٨) لحسين بن الضحَّاك فانزلها منزلة الامور العمومية في ذلك العصر . فهذا ليس بتاريخ بل مسخ التاريخ

قبل العرب فجاء العرب ووكلوا نقلها الى الذمّيين لاسيما نصارى السريان (١ والفرس فعرّبوا منها شيئاً كثيرًا لاسيما كتب الفلسفة والطبّ والنجوم. فالكثير من هذا الباب مع فائدتهِ قليل العلاقة بآداب اللغة العربيَّة فيا ليتهُ ابدلهُ من مواضيع أُخرى اعظم شأناً وامسّ حاجة كتاريخ مدارس البصرة والكوفة وما كان ما يمتاز بهِ اصحابهما في الآراء اللغوية المتباينة فانَّ ما كتبهُ في ذلك عن السيوطي (ص ١٨٤) لا يشفي عليلًا. ولو اراد دليلًا يرشدهُ الى هذا البحث الخطير لوجدهُ في احد المستشرقين الالمانيين وهو غستاڤ فلوغل ودونك اسم كتابهِ *Die gramm. Schulen* (G. Flügel: *der Araber*) طبعهُ في ليبسيغ سنة ١٨٦٢ وهو مشحون بالمعلومات عن ارباب الكوفة والبصرة ومناظراتهم اللغويَّة. فسكوت جرجي افندي في « تاريخ آداب اللغة العربيَّة » عن مسألة كهذهِ تُعدّ خللًا عظيماً

وما نقولهُ عن مدارس الكوفة يصحُّ ايضاً في مدارس بقيَّة مدن الدولة العبّاسيَّة كالمدرسة النظاميَّة في بغداد ومدارس اخرى اسلاميَّة او نصرانيَّة في دمشق وانطاكية وحلب ومصر كنَّا نحبّ ان نطلع على شيء من تعليمها وطرائقها في التدريس وكتبها المعوَّل عليها. فان شاء الله يسدُّ هذا الخلل في الجزء الثالث من كتابهِ فيراجع كتاب الدارس في المدارس للنعيمي (اطلب المقتبس ٦ : ٢٢٤) الذي نُشر مختصرًا باللغة الفرنسويَّة بهمَّة المسيو سوڤار (H. Sauvaire) في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة. وفصولًا حسنة عن مدارس مصر وحلب في تاريخ المقريزي وتاريخ ابن ابي شحنة وغير ذلك ممَّا يوقفنا على احوال مدارس العرب التي كانوا يستقون من مواردها حياة علومهم

فبعد هذه المقدَّمات التي تستغرق ٤٠ صفحة دخل المؤلف اخيرًا في موضوعهِ اي العلوم العربيَّة الاصليَّة فبحث تباعاً في الشعر والشعراء ثمَّ في الأدب والأدباء ثمَّ في النحو وعلماء اللغة ثمَّ في الانشاء والمنشئين ثمَّ في العلوم الاسلاميَّة من فقه

---

٢) وعليهِ فانَّ في قول جرجي افندي (ص ٣٤) « انَّ المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان من العلم والفلسفة والطبّ والنجوم والرياضيات عند سائر الامم المتمدّنة في ذلك العهد » نظرًا لانَّ اولئك النقلة كانوا من النصارى غالبًا او من اليهود والصابئين. امَّا المسلمون فنقلهم منها قليل

وحديث وتفسير وختم الطور العبَّاسي الاوَّل بالتاريخ والمؤرخين وذلك في ١١٥ صفحة

وقد قدَّم على باب الشعر نظرًا في اللغة (ص ٣٧ — ٤٠) كان الافضل ان يجمعهُ مع فصل آخر شبيه بهِ وهو علم اللغة (ص ١١٩ — ١١١) فانَّ الفصلين في موضوع واحد يلزم احدهما الآخر فيتداخلان

ثمَّ جعل لباب الشعر المذكور تمهيدًا في خواصّ الشعر العباسي ففضل شعر هذا الطور على الشعر الجاهلي. فقال (ص ٤١) : « انتقل الشعر في الدولة العبَّاسيَّة انتقالًا كبيرًا مثل انتقال الأُمَّة العربيَّة من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة » وقال (ص ٤٣) : « انَّ كلام الاسلاميين يُعدّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين منثورهم ومنظومهم »

فهذا الحكم كما ترى يناقض حكم ائمة اللغة القدماء الذين اطنبوا في مزايا الشعر الجاهلي وفضَّلوهُ على شعر المولَّدين من وجوه متعدّدة فروينا سابقًا اقوالهم. وان امتاز شعر هؤلاء بشيءٍ من الطلاوة والزخرف فكم يفوق عليهِ شعر اولئك بمتانتهِ وطبعيَّتهِ وبلاغة معانيهِ وحرّ الفاظهِ وان كان لا يخلو ايضًا من مسحة البهاء والرونق كشعر زُهير والنابغة وغيرهما كما ترى في مجموع حماسة البحتري الذي نشرناهُ حديثًا. وكذا يُقال عن النثر الذي نقل لنا منهُ امثلةً صالحة صاحب كتاب الاغاني. نعم انَّنا لا ننكر انَّ ادباء العصر العبَّاسي لتولُّجهم في الحضارة اتَّسعوا في الابحاث اللغويَّة وتفنَّنوا في اساليب الانشاء وانَّما المقابلة بين الطور الجاهلي والطور الاسلامي من حيث البلاغة ورصانة الكتابة فترى الشعر الجاهلي ونثرهُ تكسوهما حلَّة البيان لا يشينهما حشو ولا تطويل يبدوان خاليين من عيب التكلُّف سالمين من التشابيه البعيدة والاستعارات المتعقّرة. فهيهات ان يبلغ المولّدون شأو الجاهليين وليست الامثال التي ضربها جرجي افندي (ص ٤٣ — ٤٨) لتعدل بنا عن هذا الرأي لا بل من شأنها ان تزيدنا رسوخًا فيهِ. وبعض ما عدَّهُ هناك من المحاسن اولى ان يُعدّ انحطاطًا وتقهقرًا كوصف الغلمان والشعر المجوني. وزاد الشعر العبَّاسي شَينًا ما ذكرهُ كاتبنا بعد ذلك (ص ٤٩) من الاستجداء بالشعر ثمَّ (ص ٥٠) التهتك والخلاعة. وقد اشار هناك الى وقائع لا تصلح الَّا لنتن المواخير

ويتلو ذلك سياق مشاهير الشعراء والادباء في نحو مئة صفحة روى المؤلف

تراجمهم نقلًا عن كتاب الاغاني وتراجم ابن خلكان المعروف بوفيات الاعيان وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ويتيمة الثعالبي وكتاب الفرسهت لابن النديم وهو يدلّ على ما بقي من آثارهم مطبوعاً او مخطوطاً معرَّباً عن بروكلمان كما قلنا

ثمَّ انتقل الكاتب بعد ذلك (ص ١٥٣ — ٢٢٠) الى العصر العبَّاسي الثاني من السنة ٢٣٢ الى ٣٣٤ (٨٤٧ — ٩٤٦) وقدَّم عليهِ بعض مقدَّمات كما فعل في ذكر العصر الاوَّل لتعريف مميزات ذلك القرن من حيث التاريخ والشعر والادب. وهي ناقصة كما هناك لا تدلُّ على تعمُّق كافٍ في الموضوع وقد قفَّاها بتراجم الشعراء والادباء والنحويين والمؤرخين وذوي العلوم الاسلاميَّة والعلوم الداخليَّة اي الفلسفة والطبّ والرياضيَّات. وذلك على طريقتهِ في القسم الاوَّل وزاد على فصولهِ فصل الجغرافية والجغرافيين (٢٠١ — ٢٠٥)

وهكذا فعل في وصف العصر العبَّاسي الثَّالث (من ص ٢٣١ الى آخر الكتاب) حيث قدَّم عليه المقدَّمات في مميزات العصر المذكور واسباب النهضة التي جرت فيهِ بتعدُّد الدول الاسلاميَّة التي اقتسمت الدولة العبَّاسيَّة ومزايا شعرهِ وآدابهِ. ثم تتبع تراجم اهلهِ كما فعل في العصرين الاولين من مشاهير الشعراء والادباء واللغويين والجغرافيين والمؤرخين مع العلوم الاسلاميَّة والدخيلة وزاد على هذا القسم باب الروايات والقصص كالف ليلة وليلة وقصَّة عنتر

*

فيلوح من هذه الخلاصة انَّ مؤلف تاريخ آداب اللغة العربيَّة قصد ان يضمَّ في كتابهِ مجمل اخبار كتبة العرب. ولعلَّ اتساع نطاق هذه الابحاث اخرج عن دائرة فكرهِ اشياء نراها اهمّ واخطر من بعض ما ذكرهُ فكنَّا احببنا مثلًا ان يروي لنا ما كان للنصارى من السهم المعلَّى في نشر الآداب العربيَّة بتآليفهم العديدة في كل الفنون وتعليمم في مدارسهم فان هذا كان افادنا اكثر من بحثهِ في آداب اللغة اليونانيَّة (٢٢ — ٢٨) الخارج عن موضوعهِ ومن استطرادهِ الى الادب والانشاء عند الفرنج (ص ٢٧٧) ووصفهِ لبعض خرافات الفرنج (ص ٢٩٧)

وممَّا كنَّا وددنا الوقوف عليهِ الاصول التي نقل عنها بعض تصاويرهِ الشرقيَّة

كصورة ابن سينا (ص ٣٣٧) مثلًا التي هي اشبه بصورة راهب منها بصورة شيخ عربي ومثلها صورة يوحنَّا بن ماسويه (ص ٣٣)

ومن ملحوظاتنا في رواياتهِ لاخبار الكتبة انهُ يتَّسع في تراجم من لا تفيدنا كثيرًا معرفتهُ لفقدان مآثرهِ ويختصر في اسطر قليلة سير بعض مشاهير الادب كما يجد المادَّة حاضرة في الكتب التي ينقل عنها

امَّا الفصول الخاصَّة التي ذكرها جرجي افندي عن كل واحدٍ من أُدباء العرب وتآليفهِ فانَّا نروي لهُ بعض ما فاتهُ منها اجابةً الى ملتمسهِ (ص ٥) وخدمةً للآداب. ولو تتبعنا كتابهُ صفحةً صفحةً لامكننا الاتّساع في هذا الباب. وقد اثبتنا فقط ما لاح لنا من اوَّل وهلة

(ص ٦١) كلامهُ عن السيد الحميري لا يفي بالمقصود. وللمستشرق الفرنسوي بربيه دي مينار (Barbier de Meynard: *Le Seïd Himyarite*) كرَّاسة في مئة صفحة جمع فيها اخبارهُ وشعرهُ عن اوثق المصادر طُبعت في باريس سنة ١٨٧٥ فلو راجعها لاستفاد منها كثيرًا لمعرفة شعراء ذلك العصر وانتقاد اعمالهم

(ص ٧١) في ذكرهِ لحماسة ابي تمَّام وشرحها للتبريزي كان الواجب تقديم طبعة فريتاغ التي سبقت الطبعة المصريَّة وتفوق عليها من وجوه متعدّدة والعلماء الاوربيون لا يعوّلون على غيرها فضلًا عمَّا فيها من الفهارس المختلفة. وممَّا نُشر آخرًا في موسكو بالروسيَّة كتاب حماسة ابي تمَّام للاستاذ المستشرق كريمسكي (A. Krimski) جمع فيهِ ما ينوط بهذا المجموع من المعلومات

(ص ٨٠ — ٨١) لا نعلم سبب تقديمهِ للشاعرين عليّ بن الجهم المتوفي سنة ٢٤٩ وحسين ابن الضحَّاك المتوفَّى سنة ٢٥٠ وقد نبَّه سابقًا ان هذا العصر الاوَّل ينتهي في السنة ٢٣٢ فكان الاولى اذن تاخيرهما الى العصر الثاني. وكذلك يقال في ديك الجنّ المتوفَّى سنة ٢٣٥ (ص ٧٥)

(ص ١٠١) كتاب طبقات الشعراء الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ليس هو لابي عبيدة كما ظنَّ وانَّما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة الشهير مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى

(ص ١٠٢) قد خُدع الكاتب في ما رواهُ عن كتاب الغريب للاصمعي

فانَّ هذا الكتاب ليس هو في مكتبة ڤينَّة وانَّما يوجد فيهـا غريب الحديث لابن الاثير. وللاصمعي غير ما ذكرهُ هناك كتاب الاضداد تحت الطبع في مطبعتنا. ولهُ كتابان في الابل طبعناهما ليس كتاب واحد كما روى

(ص ١٠٣) امكنهُ ان يزيد على ما بقي من تآليف ابي زيد الانصاري كتاب الهمز الذي سعينا بطبعهِ في المشرق في العام الماضي ثم طبعناه على حدة مع فهارس. وكذلك كتاب اللبأ واللبن قد طبعناه عن نسخة المكتبة الخديويَّة (راجع كتابنا البلغة في شذور اللغة ص ١٤١ — ١٤٥). امَّا كتاب المطر لابي زيد فكان سبقنا الى طبعهِ دون علمنا المستشرق الاميركي غوتْيل (G. H. Gottheil)

(ص ١٠٤) غريب المصنف لابي عُبيد قد نشر منهُ كتاب النعم حضرة الاب بويج اليسوعي في الجزء الثالث من مجموعة مكتبنا الشرقيّ (Mélanges de la Fac. Orientale, t. III, p. 1-144) فطبعهُ طبعاً غاية في الاحكام ١٤٤ صفحة. ثمَّ انَّ امثال ابي عبيد التي طبعها برتو (Bertheau) في غوتنجن لا تحتوي غير قسم منها. وانَّما طُبعت في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ في اوَّل كتاب التحفة البهيَّة

(ص ١٠٦) المفضليَّات لم يطبع منها العلَّامة توربك (H. Thorbecke) في ليبسيك سوى الثلث منها مع شروح قليـلة. وكذلك طُبع منها قسم في دار الخلافة العليَّة سنة ١٣٠٨ مع شروح قليـلة. ثمَّ طُبعت في مصر. واليوم ساعٍ في نشرها في مطبعتنا على احسن طريقة مع شروح ابن الانباري العـلَّامة السر شرل لايال (Sir Ch. Lyall)

(ص ١١٥) انَّ طبعة المستشرق ديرنبورج لكتاب سيبويهِ ليس فيهـا من التعاليق المفيدة غير روايات النسخ المختلفة. امَّا الترجمة الالمانيَّة للدكتور ياهن فانَّها غنيَّة بالتعاليق والشروح المنقولة عن ابي سعيـد السيرافي وغيرهِ. وكذلك الطبعة المصريَّة روت تقريرات السيرافي على هامش الكتاب وزيَّنت ذيلـهُ بشرح شواهد سيبويه للشارح الشهير يوسف الشنتمري. والطبعات الثلث ينقصها الفهارس الواسعة

(ص ١١٨) لم ننشر بعد كتاب اصلاح المنطق لابن السكّيت كما روى وانَّما طُبع الكتاب في مصر دون اتقان كعادتهم في الطبع. ونسختنا المخطوطة تحتوي

شروح التبريزي كَكتاب الالفاظ الـذي سبقنا الى نشرهِ . ولابن السكيت كتاب القلب والابدال طبعهُ جناب الاستاذ اوغست هفنر في كنزهِ اللغوي (في مطبعتنا سنة ١٩٠٣ ص ١ — ٦٥) فنسيَهُ . وكذلك فاتهُ ذكر كتاب الاضـداد لابن السكيت وهو تحت الطبع في مطبعتنا

(ص ١٢٦) في باب الانشاء والمنشئين كان يحسن بهِ ذكر ما نُشر لعبد الحميد ابن يحيي الكاتب وسكت عنهُ في ترجمتهِ وهي اربع رسائل بديعة نشرها الاديب محمَّد افندي كرد علي في المقتبس ثم طبعها على حدة . فتعجبنا كيف نسيها جرجي افندي وهي اولى بالذكر من كثير ممَّا وصفهُ

(ص ١٣١) كذلك سها عن ذكر رسائل ابن المقفع التي طبع منهـا قسماً الاديبان الشيخ طاهر افندي الجزائري ومحمَّد افندي كرد علي ونشراها على حدة مع رسائل عبد الحميد بن يحيي المذكورة . وكان يحسن بهِ ايضاً ان يذكر طبعتنا لكليلة ودمنة وهي منقولة عن اقدم نسخة مؤرخة تمتاز عن كل الطبعات السابقة بمحاسنها ومقدَّماتها العلميَّة

(ص ١٤٦) من الآثر المنسوبة للواقدي التي فاتهُ نشرها كتاب فتح الجزيرة طبعهُ نيبوهر (Niebuhr) في همبورج سنة ١٨٤٧ وفتوح البهنساء المطبوع في مصر . امَّا كتاب المغازي فكان طبعهُ في كلكتة سنة ١٨٥٦

(ص ١٦١) حماسة البحتري التي نشرناهـا في مطبعتنا مع تذييلات مطوَّلة وفهارس هي منقولة عن نسخة ليدن الفريدة التي أُخذ بعد ذلك رسمها بالفوتغراف وطُبعت على هذه الصورة لافادة العلماء

(ص ١٦٨) طُبع ايضاً للجاحظ مجموعة رسائل وهي احـدى عشرة رسالة نشرتها مطبعة التقدُّم في مصر سنة ١٣٢٤ من جملتهـا رسالة طبقات المغنِين . وبين هذه الرسائل ما كان طبعهُ سابقاً فقيد الادب المستشرق الهولندي ڤان ڤلوتن في ليدن سنة ١٩٠٣ وهي الثلث الآتية : رسالة مناقب الترك ورسـالة فخر السودان على البيضان ورسالة التربيع والتدوير

(ص ١٧١) ادب الكاتب لابن قتيبة طُبع منهُ نُتف فقط في ليبسيك ثم طُبع طبعاً متقناً مع الفهـارس الجميلة في ليدن سنة ١٩٠٠ بسعي الدكتور مكس

غرونرت (Max Grünert) — امّا كتاب الشراب والاشربة فطبعهُ اوّلًا احد المستشرقين (ي·د) في مجلّة المقتبس (السنة الثانية)· وكذلك كتاب الامامة والسياسة كان سبق الى نشر قسم منهُ في برلين المانيان اسمهما بترسون واندرسون سنة ١٨٥٩ — وممّا نشرناه نحن في المشرق كتاب لابن قتيبة لم يذكرهُ جرجي افندي اعني كتاب اللبأ واللبن· وقد نُشر على حدةٍ في كتابنا « البلغة في شذور اللغة » مع كتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة ايضاً واللبإ واللبن لابي زيد

(ص ١٨٢) كتاب ابن ولّاد المعروف بالمقصور والممدود سبق الى نشرهِ قبل المصريين الدكتور پول برونل (P. Bronnle) فطبعهُ في ليدن سنة ١٩٠٠

(ص ١٨٥) لابي حاتم السجستاني كتاب في الاضداد يطبعهُ الآن في مطبعتنا الدكتور اوغست هفنر مع كتابي اضداد الاصمعي واضداد ابن السكيت السابق ذكرها· وابو حاتم هو ايضاً الراوي لكتاب الشجر والنبات للاصمعي

(ص١٨٨) قد فات المؤلف في ذكرهِ لمقصورة ابن دريد طبعة الجوائب في الاستانة سنة ١٣٠٠ مع شرح مطوَّل عليها وطُبعت ايضاً في طهران مشروحة سنة ١٨٥٩

(ص ١٨٩) كتاب الالفاظ الكتابيَّة الذي عُنينا بطبعهِ سنة ١٨٨٥ طبعهُ بعد ذلك السيد نعمان الالوسي في القسطنطينيَّة سنة ١٣٠٢ غفلًا من الشكل وقد دعاه بالغلط « كتاب الفاظ الاشباه والنظائر » ونسبه سهوًا لعبد الرحمان الانباري· والصواب انهُ لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني بدليل الطبعة القسطنطينيَّة نفسها في عنوان مقدَّمتها (ص ٤)

(ص ١٩٩) كتاب البدء والتاريخ ليس هو لابن زيد البلخي فانَّ الاستاذ هوار (M^r Huart) بعد طبعهِ للجزئين الاوَّلين منهُ تحقَّق انَّ الكتاب نُسب زورًا لابي زيد وانَّهُ تأليف المطهَّر بن طاهر المقدسي الذي عاش بعد ابي زيد البلخيّ بنحو خمسين سنة· وقد نبَّه المسيو هوار على ذلك في مقدَّمة الجزء الثالث

(٢٠٠ ص) انَّ تاريخ سعيد بن بطريق الذي ذكرهُ هناك قد جدَّدنا طبعهُ قبل ستّ سنوات عن نسخة خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة· وأضفنا اليهِ بمساعدة الاديب حبيب افندي الزيَّات والمستشرق كارا دي ڤو تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي الذي ذيّل بهِ تاريخ ابن بطريق

وهنا كان يجدر بهِ ان يذكر تاريخاً آخر نصرانياً مهماً لاحد معاصري ابن بطريق انجزنا طبعهُ في مطبعتنا وهو كتاب العنوان لاغابيوس (محبوب) بن قسطنطين الرومي المنبجي وكان طبع منهُ قبلنا قسماً احد المستشرقين الروسيين في باريس

(ص ٢٠٤) ابن الحائك صاحب وصف جزيرة العرب وكتاب الاكليل لهُ ترجمة مطوَّلة في كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي الذي نشرناه آخرًا (ص ٥٨— ٥٩)

(ص٢٢٢) إسنادهُ نهضة العصر العبَّاسي الثالث الى « ناموس النشوء والارتقاء » ليس بثابت كضعف ذلك الناموس الكاذب. وقد ناقض الكاتب نفسهُ بما نقلهُ سابقاً في تقهقر الكتابة وانحطاط الآداب عن ابن قتيبة (ص ١٧٨) . فلو صحَّ ناموس النشوء لما حصل ذلك التأخر كما حصل ثانيةً بعد العصر الثالث مدَّة اجيال عديدة الى عصرنا والناموس الصحيح هو قول النبيِّ : ليس شيءٌ ثابت على الارض

(ص ٢٤٨) امكنهُ ان يزيد في ذكرهِ لديوان المتنبي انَّ شرح العكبري أُعيد طبعهُ سنة ١٣٠٨ في مصر وعلى هامشهِ كتاب الصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي للشيخ يوسف البديعي — وكذلك نقل ديوان المتنبي برمَّتهِ الى الالمانيَّة وقد نظمهُ شعرًا الوجيه البارون يوسف ڤون هامر وطبعهُ في ڤينة سنة ١٨٢٤ . كما طبعت مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ رسالة الحاتمي في موافقة شعر المتنبي لكلام ارسطاطاليس

(ص ٢٥١) كتاب ادب النديم لكشاجم كان طبعهُ في مصر سنة ١٢٩٨

(ص ٢٥٨) ديوان السيد الشريف الملقب بالرضيِّ الموسويِّ بعد طبعتهِ الهنديَّة طُبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة في جزئين وقد نقحهُ وعلَّق عليهِ شروحاً الشيخ احمد عبَّاس الازهريّ

(ص ٢٥٩) وكذلك سها الكاتب عن ذكر ما طُبع في بيروت من ديوان مهيار الديلمي اي الجزء الاوَّل منهُ سنة ١٣١٤ في المطبعة الانسيَّة

(ص ٢٦٣) لابي العلاء المعرّي رسالة التذكرة التي نشرها المسيو كولن (G. Colin) فوصفناها في المشرق (ص ٢٣٦). واذ روى هناك ما قُرف بهِ ابو العلاء المعرّي من قلَّة الدين كان يمكنهُ ان يشير الى مقالتنا في المشرق (٤ : ١٠٦٨) التي عنوانها « تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء »

(ص ٢٧٦) تعجبنا من قول الكاتب انَّ مقامات بديع الزمان « مشروحة في بيروت شرحاً مختصرًا للشيخ محمد عبده » وكل من لهُ معرفة بالكتاب يقرّ بان الشرح مستوفٍ يدلُّ على براعة الشارح. وزاد اندهاشنا لقولهِ « وهو غير عبد الرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابيَّة » فخاف ان لا يميز القرَّاء بين فقيد الآداب الشيخ محمَّد عبده وعبد الرحمان الهمذاني وبينهما مدَّة نحو الف سنة. وان قال انهُ اراد بديع الزمان الهمذاني قلنا انَّ الفرق بينهما اظهر من الشمس ولا يتفقان في شيء الَّا كونهما من همذان فما الحاجة الى هـذا اللحوظ المشتبه. ومما كان يحقّ لهُ ذكرهُ انَّ رسائل بديع الزمـان طُبعت في مطبعتنا مشروحة شرحاً مطوَّلًا بقلم الشيخ ابراهيم الاحدب. وكذلك فاتهُ ذكر المقامات المطبوعة في الهند سنة ١٢٩٦ مع شرح خفيف على الهامش

(ص ٢٨٢) من غريب ما روى صديقنا عن طبعة الاغاني لابي الفرج الاصفهاني قولهُ « وقد طُبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءا سنة ١٢٨٥ ثمَّ عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربَّا فطبعوهُ في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءا ». فزاد في خارطة اوربَّة مدينة جديدة لم تُعرف والصحيح انَّ العلَّامة الشهير والاثري الكبير « رودلف برونو » (R. E. Brünnow) هو المهتمّ بنشر الكتاب نقـلًا عن عدَّة نسخ مخطوطة من الاغاني — وقد نسي جرجي افندي كتاباً آخر عظيم الشأن لابي الفرج طُبع في طهران سنة ١٣٠٧ وهو كتاب مقاتل الطالبيّين واخبارهم وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة وجدناها في الهند وهو عزيز الوجود

(ص ٢٨٤ — ٢٨٧) في مرويَّاتهِ عن ابي منصور الثعالبي فاتهُ ذكر طبع الشيخ رشيد الدحداح لفقه اللغة اوَّلًا في باريس سنة ١٨٦١. وفي آخر طبعة مصر كتاب سرّ العربيَّة للثعالبي اغفل ايضاً ذكرهُ — وكتاب الاعجاز والايجاز طُبع في مصر ليس في بيروت سنة ١٨٩٧ مع شروح شتى لاسكندر افندي آصاف — كتاب خاصّ الخاصّ سبق طبعهُ في تونس سنة ١٢٩٣ وكان اوَّل طبع كتاب نثر النظم وحلّ العقد في دمشق سنة ١٣٠٠ — وكتاب مكارم الاخلاق طبعناه في المشرق (ج ٣ ص ٢٨) كذلك اقتصر في ذكر « غرر ملوك الفرس » وهو من اجلّ الكتب وانفسها ولم يُشِر الى ترجمتهِ الفرنسويَّة للعلَّامة زوتنبرج سنة ١٩٠٠ — كتاب الثعالبي غار

القلوب في المضاف والمنسوب صفحاتهُ ٥٥٩ ليس ٦٠٠ وقد بخس حقَّهُ متولّي طبعهِ بنشرهِ دون فهارس ولا ضبط — كتاب الكناية والتعريض طبع في مصر سنة ١٣٢٦ في مطبعة السعادة — كتاب من غاب عنهُ المطرب طبعهُ على حدة في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٩ الاديب محمَّد اللبابيدي — كتاب النهاية في الكناية هو غير كتابهِ النهاية في التعريض والكناية المطبوع في مكة سنة ١٣٠١ — وقد طُبع ايضاً تحت نظر محمَّد افندي صادق عنبر في مصر في مطبعة الجمهور سنة ١٣٢٤ كتاب الثعالبي احسن ما سُمع — ونسي من مطبوعات الثعالبي كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات طُبع سنة ١٨٢٩ في ڤينة مع ترجمة المانيَّة . ثمَّ كتاب الامثال المسمَّى بالفرائد والقلائد الذي طُبع في مصر بمطبعة دار الكتب العربيَّة سنة ١٣٢٧ . وطُبع قبلهُ في مطبعة الترقي كتاب مرآت (كذا) المروَّات سنة ١٨٩٨

(ص ٢٨٩) كتاب العمدة لابن رشيق طُبع نصفها الاوَّل في تونس قبل الطبعة المصريَّة بزمان — امَّا كتاب زهر الاداب للحصري فقد طُبع على هامش العقد الفريد لابن عبد ربهِ في مصر مرَّتين

(ص ٢٩١) في باب الروايات لم يذكر بعض الروايات العربيَّة القديمة كقصة حيقار الحكيم (فليراجع ملحق حضرة الاب صالحاني على طبعتهِ الف ليلة وليلة) . وللاستاذ مرتين هرتمان بحث حسن في كثير من هذه الروايات العربية

(ص ٣٠١) كتاب الشجر لابن خالويهِ طبعهُ في برلين الدكتور صمويل ناغلبرغ (S. Nagelberg) سنة ١٩٠٩—امَّا كتاب «ليس» فطُبع في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ بتصحيح وضبط الشيخ احمد الشنقيطي

(ص ٣٠٣) كتاب ابن جني الذي طبعهُ في ليبسيك وترجمهُ الى اللاتينيَّة الدكتور هوبرج اسمهُ « مختصر التصريف الملوكي » ليس «التعريف»

(ص ٣٠٩) كتاب الاتباع والمزاوجة لابن فارس نشرهُ نشراً جميلًا العلَّامة رودلف برونُّو (غير المدينة !) وطبعهُ في غيسّن سنة ١٩٠٦ وعلَّق عليهِ الملحوظات العديدة وختمهُ بالفهارس المفيدة

(ص ٣١٥) كتاب التنبيه والاشراف للمسعوديّ الذي طُبع في ليدن نقلهُ الى الفرنسويَّة العلَّامة كارا دي ڤو (Carra de Vaux) وذيَّلهُ بالحواشي وختمهُ

بالفهارس المتقنة — امَّا تاريخ حمزة الاصفهاني فطُبع ايضاً في كلكتة سنة ١٨٦٦

(ص ٣١٨) يُضاف الى تآليف ابن مسكويه رسالة في دفع الخوف من الموت المنسوبة الى ابن سينا والاصحّ انها لابن مسكويهِ وقد نشرناها في المشرق سنة ١٩٠٨

(ص ٣١٩) انَّ كتابَيْ ابي عمر الكندي تاريخ مصر وولاتها وتاريخ القضاة الذين تولَّوا قضاء مصر قد نجز طبعهما في مطبعتنا قبل شهرين بهمَّة المستشرق رفن گست (R. Guest) مع حواشٍ واسعة وفهارس على حساب لجنة تذكار جيب (Gibb)

(ص ٣٢٠) تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطيَّة القرطبي نُشر اوَّلًا في مجريط (مدريد) سنة ١٨٦٨

(ص ٣٢٣) تاريخ الوزراء لهلال الصابي المطبوع في مطبعتنا بهمَّة العلَّامة امدروز يحتوي ايضاً الجزء الثامن من تاريخ آخر موسَّع لهلال في ١١٨ صفحة. امَّا ترجمتا القضاعي وابي بكر الخطابي (ص ٣٢٤) فكان حقُّهما ان يُؤخَّرا الى الجزء الثالث وكلاهما توفي بعد السنة ٤٤٧ التي جعلها حدًّا للطور العبَّاسي الثالث

(ص ٣٣٧) كتاب الشفاء لابن سينا طُبع طبعة سيئة على الحجر في طهران في مجلَّدين سنة ١٣٠٣ — كتاب الاشارات طُبع جزؤهُ الاوَّل في ليدن سنة ١٨٩٢ بعناية الاب فورجه (J. Forget) — كتاب النجاة ما هو الَّا مختصر الشفاء فليس لهُ ثلاثة مجلدات كما ظنّ وهو كلهُ في آخر قانون ابن سينا المطبوع في رومية سنة ١٥٩٢ ولا يتجاوز ٨٥ صفحة — وقد طبع العلَّامة مهرن (Mehren) عدَّة رسائل لابن سينا ونقلها الى الافرنسيَّة وكذلك نشر حضرة الاب معلوف في المشرق رسالتهُ البديعة في السياسة

هذا ما سمح لنا الوقت بتسطيرهِ على جناح السرعة وفي تاريخ اداب اللغة العربية اشياء اخرى كثيرة تستدعي النظر والانتقاد لعلَّنا نعود اليها عند سنوح الفرصة. وكفى بما سبق دليلًا على رغبتنا في تحسين هذا الكتاب فيفوق على سواه بغنى موادّه ودقَّة تحقيقاتهِ

استعمال المُنفّطات في الطبّ

بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الخوري

سبحان الله كأنّ اتّباع الزيّ امر ملازم للمرء في كافّة شؤونهِ حتى في تعاليمهِ الفلسفيَّة والطبيَّة. فمن راجع تاريخ الطبّ يرَ جليًّا ما كان للفصد من الاهميَّة قبل نصف قرن او اكثر فكم عقب ذلك ردُّ فعلٍ مدهش بالانكفاف عن اخذ الدم باي صورة كانت حتى صار من يجرأ على ذكر الفصد من الاطبَّاء يعرض نفسهُ للهزء والسخريَّة إلى ان آب الأُساة منذ بضع عشرة سنة الى الالتجاء الى الفصد في حين اللزوم. وقد كنتُ انشأت مقالًا في هذا المعنى نشرَتهُ مجلَّة الطبيب الأغرّ في عددين تحت عنوان «معالجة الامس ومداواة اليوم»

وما اعترى الفصد سابقاً من الهجران قد نزل ايضاً باستعمال المنفّطات اذ أعرض السواد الاعظم من الأُساة عن استعمالها

وقد كنتُ انا كاتب هذه السطور من جملة من تبع «الموضة» في الاعراض عن المنفطات مدّة من الزمن. بيد ان اعراضي هذا لم يستمرّ طويلًا — ولحسن الحظّ — اذ ما عتمتُ ان شعرتُ بغلطي في حرمان مرضاي من هذه الواسطة الجليلة الفائدة وذلك انني عرضت يوماً على شاب مصاب بالجُناب الحادّ عمليَّة بطّ الصدر فاعترضتني أمهُ وايَّما اعتراض لانَّ مجرَّد سماع العمليَّة هالها. ورغماً عن كل ما بذلتهُ من البراهين لاقناعها بوجوب البطّ لم انجح وتوسَّلتْ اليَّ ان اداوي ولدها بطريقة اخرى اقرب مأخذًا. فرأيتني اذ ذاك مضطرًّا لمجاراتها نظرًا لإلحاحها وتوسُّلها. واعتمدتُ في معالجتي اياهُ على تكرار وضع المنفّطات على خاصرتهِ الى حد عشرين مرة ونجحت في مداواتهِ

واتذكَّر ايضاً انني داويت امرأة وصبيَّة كانتا في الدرجة الثانية من التدرُّن بوضع ثماني عشرة حرَّاقة للأُولى وست عشرة للثانية وقد مضى على ابلالهما كلتَيْهما من دائهما بضع عشرة سنة وهما بغاية الصحَّة الآن. والصبية منهما تزوجت بعد شفائها بسنة وهي لا تزال تتمتعُ بكمال الصحة وتمام العافية. نعم انهُ لا يسوغ ان اعزو

كلّ ما حزتهُ من النجاح في هاتين الحادثتين الى استعمال المنفطات وحدها . بل انني اشرتُ الى المريضتين استعمال الادوية المرممـة والمضادَّة لباشلس الدرني وشرب زيت كبد الحوت حتى ان المرأة منهما شربت في اثناء المعالجة لا اقلّ من عشرة ليترات من هذا الجوهر المغذي

واليك الآن ما ذكرهُ لي احد الاطبَّاء عن نفسهِ وكلامهُ يؤيد رأيي السابق قال :

« قد كان اساتذتنا اشربونا بُغض المنفطات واياً بغض حتى قــال احدهم عن اعتقادٍ ثابت : «انَّ استعمالها يُعدّ ليس فقط غلطاً بل جرماً وجناية» ! . . . قال الراوي : ثم قضت الظروف بان اختبر فائدة التنفيط على نفسي شخصياً وذلك انهُ اعتراني الم شديد في القفص الصدري . وبينما كنت تحت ساطة نوبة سعال اشتدَّت وطأة الأَلم عليَّ بهذا المقدار حتى اصبح التنفس متعذرًا عليَّ وكانت جهة صدري اليمنى تقف بلا حركة مدة ساعات متوالية ثم يتناقص هذا العارض ويعود في اليوم التالي او الذي يليهِ على اثر نوبة سعال او تحريك الذراع فقط

قال : وكنت قد استعملت على غير جدوى النُقَط الناريَّة والخردليات والمورفين بيد انَّ الالم لم يسكن إلَّا عندما وضعت بوقت واحد ثلاث منفِطات مختلفة الاتساع : واحدة بعشرة سنتات طولًا وعشرة عرضاً . وثانية بثمانية على ثمانية . وثالثة خمسة على خمسة

ثمَّ اردف كلامهُ قائلًا : وبعد ذلك وصفتُ مئات من المنفطات ولم اشاهد قط حصول التهاب الكليتين الذرَّاحي . انمَّا كان يحصل للبعض احياناً التهاب خفيف في المثانة . وكان هــذا العرض يزول حالًا باستعمال لبخة من الكرَّاث (الركل) » اه تلخيصاً

وها أنا ذا انقل للقارئ ما قالهُ طبيب آخر : قد شاهدتُ حوادث ُجناب عديدة وداويتُها كلّها باستعمال الحرَّاقات وكلها شفيَت . وانا على يقين تامّ بان الالتجاء الى استعمال الحراقات قد انقذ عددًا ليس بالقليــل من الذين كادوا ان يُحسَبوا في عدد الموتى . وبعكس ذلك يمكنني ان اذكر عــدة حوادث موت عقبت استعمال البطّ الصدري واني اذكر حادثة ُجنــاب مزدوج عولجت باربع عشرة حراقة ونالت شفاء مدهشاً . وحادثة ثانية اقتضى التخلُّص منها اثنتي عشرة حراقة . فما يخشى حصولهُ من

استعمال الحراقات هو التهاب الكليتين. اذن دائماً قبل ان تصف لمريضك حراقةً افحص بولهُ. واذا ما تحققت سلامة الكلى جاز لك استعمال الحراقة بلا محذور. فقد ذكروا من جملة المؤثرات في احداث التهاب الكليتين الذرّاحي ما يأتي: اوّلاً ان توضع الحراقة اسفل ممَّا يجب او تتساقط من جرَّاء ارتخاء الرباط. ثانياً الافراط في استعمال الحراقات. على ان الطبيب يعلم وَشْك حصول التهاب الكليتين الذَّراحي من حصول المٍ خفيف واذ ذاك فيجب الاسراع باعطاء المريض ماء ڤيشي المعدني وجُرَع من ثاني كربونات الصودا يُزاد مقدارها تدريجاً . فعلى الطبيب اذن اذا امر بوضع حراقة ان يراقب الأَلم الكلوي وحالة البول

وعند ما يشاهد الطبيب ارتشاحاً بلوريًّا بطيءَ التحلل ويخشى منهُ ان يسبب التحامات في الرئة يحسن صنعاً باستعمال المنفِطات

ويكفي ان يستفيد المرء من الحراقة زوال الم الخاصرة المتعنّد الذي يحرم العليل الوسن فيصبح جسمهُ بعد هذه الراحة قادرًا على مكافحة الداء المهدد حياتهُ

هذا وقد ثبت اليوم فعل المنفطات المفيد في كل الاحوال الاحتقانيَّة وفي حوادث ذات الرئة الشُعَبيَّة وفي بدء التدرُّن اذ ان افراز الُمصالة التي تسببها يكون مساعدًا على ازالة الاحتقان بعكس غير وسائط مثل التحويل او التصريف الجافّ بالنقط الناريَّة الطيَّارة واليود والخردليات. فانَّ هذه الأَخيرة كثيرًا ما تكون سبباً في زيادة الاحتقان بدلًا من ان تكون وسيلة ازالتهِ وانقاصهِ. وقد اخبر الاستاذ الشهير الدكتور «كرانشه» (Dr Grancher) انهُ عالج بالحراريق متدرناً في القمة في بدء الدرجة الثانية فوضع على صدر ذلك الشخص اثنتين وثلاثين حراقة في مدة سنة وحصل الشفاء بعد ذلك

وقد جاء في جريدة «بوردو الطبية» بقلم الدكتور «داڤيزاك» (Dr Dave-zac): «انا اعتقد انَّ التنفيط بالحراريق كليّ الفائدة في الآلام الناشئة عن التهاب الرئة والبلورا. ويؤثر استعمالها على كل انواع المصرّفات بشرط ان يكون ثمَّ داعٍ يستدعي استعمالها. وينبغي رفع المنفطة نصف ساعة بعد ظهور الحرق ثم يصير بَزْل الفقاعات ووضع لبخة محلّها مع كل وسائل التطهير ثم يوضع زيت او «فازه لين مكوفر (vaseline camphrée)»

وافاد الدكتور « ميشيلو » وهو من المتحزبين ايضاً لاستعمال المنفطات انهُ اتفق لهُ المشاهدة الآتية قال:

«كنتُ قد عقدتُ العزم في حادثة انسكاب پلوري على اجراء عملية البطّ الصدري ثاني يوم. فاتفق ان اهل المريض وضعوا لهُ منفطة ومن غريب التوفيق ان الانصباب تناقص بهذا المقدار وبكذا سرعة حتى لم يبق الغد من لزوم لاجراء عمليَّة البطّ ! . . . »

وقال الدكتور « فريكي » في جريدة « بوردو الطبيَّة »: ان اكثر الاطباء الشبَّان وطلبة الطبّ يضحكون بهزء عند ما يسمعون من يتكلم عن المنفطات. وقد فاتهم انَّ للتصريف بالحراريق فوائد كليَّة جليلة عند ما يبطئ الانسكاب الپلوري بالتحلل اذ انها (اي الحراريق) تعاون كثيرًا على ازالة السائل وتستدرك حصول الالتصاقات. قال: ولا شيء انجع من منفطة لإزالة وجع الخاصرة المتعنِد. فان وضع ذبابات ميلان (١ الصغيرة على صدور الاطفال المصابين بذات الرئة الشعبيَّة توليهم فوائد جزيلة. فلو فُرض وجود بؤرتي التهاب متناسبتي المركز وصار وضع نفَّاطة (ذبانة) ميلان على محاذاة احداهما لزالت بعد يومين او ثلاثة بينا ان البؤرة الثانية تلبث في ملءُ دورانها

وتأثير المنفطات كلّي النفع لتهدئة الدُفَع الاحتقانيَّة المرتكزة في الپلورا عند المتدرنين او القوبائيين: كالآلام المستقرة في محلٍ واحد والاحتكاك والحزاحز. والزئير النفخي الخفيف. وقد سبقنا فذكرنا حادثة الشفاء التي توفق اليها الاستاذ « كرانشه » بوضع اثنتين وثلاثين منفطة على قمة رئة متدرنٍ في بحر سنة كاملة

هذا وانَّ كثيرًا من الامراض العصبيَّة بين الاضلاع التي تستعصي على المورفين تذعن للحراريق سواء صار استعمال المورفين معها ام لا. كما انهُ في كثير من الآفات تحت الحادة المستقرة على الاغشية المصليَّة يُجتنى كبير فائدة من المنفطات: كمثل

---

١) لصقة مؤلفة من: زفت. وراتينج. وشمع اصفر. وشحم ومسحوق الذرّاح من كل ٦٠ وتربنتينا ١٥. وعطر اللاوندا وعطر الصعتر واحد من كل. وهذه اللصقة هي الطف فعلًا من المنفطات الذراحية الاعتياديَّة واكثر ما تستعمل للأَطفال

الالتهابات المفصليَّة التي يطول امرها والتهاب المفاصل الدرني والتهاب ما حول البوق الخ

ولمعترض ان المنفطات تضني الجسم. ألا فليعلم المعترض ان فعل الحرَّاقة اقل ازعاجاً للعليل بكثير من وخز الخاصرة واذا خيف من اصداد محلّ المنفطة فيُعمَد الى غسل الجلد بالصابون والكحول ثمَّ يُضمد المحلّ المنفط بقطعة قماش نظيفة معقمة او بورق « يوسف » نظيف

واذا أوجسَ الطبيب خيفةً من حصول عوارض ذُرَّاحيَّة فيكتفي بان تكون المنفطة صغيرة وتكرَّر مرارًا. ويجب رفعها بعد وضعها بخمس او ست ساعات وبوضع موضعها لبخة سخنة مركبة من ارز قد طُبخ في ماء الحامض البوريكي. فهذه اللبخة تعجل حصول الفقّاعة. وهكذا يُوفَّر على البدن امتصاص قسم من المادَّة الذراحيَّة التي يخشى من تأثيرها على سلامة الكليتين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع).

كان في فكرنا لو سمح لنا الوقت ان نتجوَّل في الانحاء المجاورة لماردين لنبحث عن الآثار الكتابيَّة المفقودة لاسيا في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة مع ما كانت عليهِ تلك البلاد من الرقي والعمران على عهد الرومان كما يشهد عليهِ تاريخ نصيبين حاضرة ما بين النهرين وحصنها الحصين التي طالما تنازع في امتلاكها الرومان والفرس وتاريخ دارا التي رمَّمها وحصَّنها الملك انستاس فعُرفت باسمهِ (Anastasiopolis) وآثارها الجليلة الباقية تشبه آثار تدمر وبعلبك. الَّا انَّ الزمان كان قصيرًا وفي نيتنا ان نعود الى بيروت قبل اشتداد الشتاء.

فعدلنا عن نصيبين ودارا لنرحل الى ديار بكر وهي مركز الولاية واحدى امَّهات مدن الدولة العلية مؤملين بانَّنا نجد فيها ما لا نجدهُ في غيرها من المخطوطات

فيوم الاثنين الواقع في ٢١ تشرين الاوَّل قمنا باكرًا وبعد تقدمة الذبيحة الطاهرة سرنا مع قفل صغير في وجهة ديار بكر. وهذه المدينــة موقعها شمالي غربي ماردين على ٧٣ كيلومترًا منها والطريق تقطعها اليوم عرَبات قليلة لكنها لم تصلح لذلك وقت سفرنا. وهي تمرّ بين حدائق وغابات. ثم تتوقل في رُبًى وآكام الى ان تنحدر في السهول المجاورة لدجلة حيث بُنيت ديار بكر على ضفَّة ذلك النهر الجليل احد الانهر الاربعة المذكورة في وصف جنَّة عدن في سفر التكوين

وكان النهار معتدل الحرارة واديم السماء صافياً والهواء عليلًا فسرنا نحو ساعتين حتى قربنا من عين شيخان في بطحاء هناك ذات مياه واشجار واذا باصوات تتناوب وراءنا وبقوم يصرخون الينا أن: قفوا في مكانكم

فالتفتنا فابصرنا شرذمة من الجند في عدد عشرة او خمسة عشر معهم بعض ضباط وهم يسرعون الينا. فلمَّا رأيناهم وقفنا عن المسير ننتظرهم لنعلم ماذا يريدون منَّا واخذت انا كتاب صلاتي متنحِّياً عن القفل ببعض الخطوات

ونحن كذلك اذ سبق الجنــدَ احدُ رفقتهم كان بينهم كالدليل لابساً لبس الشرط فادركنــا واذ رآني معتزلًا عن الآخرين اقترب منّي ليرصدني. فساءني عملهُ وسألتهُ: ماذا تريد مني ؟ قال: اريــد تفتيشك. قلت: دعني الآن اصلي صلاتي حتى يأتي رفقتك فسننظر في مرادكم

فكأنَّ كلامي هذا امعضهُ فاخذ يدمدم ويزمجر ولعلَّ الامر كان تفاقم بيننا لولا انَّ الجند والضباط كانوا اقتربوا منَّا فاسكنوا غضبهُ

ثم تقدَّم احد الضبَّاط وامرنا بان نُنزل احمالنا. فسألتهُ: ما معنى هذا الخروج وراءنا أنحن لصوص فارُّون من الدولة وقــد قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً نتردَّد على رؤساء الطوائف النصرانيَّة وادباء المسلمين وعمَّال الحكومة فلم يتعرَّض لنا احد فلو طلَبَنا المتصرف لَما تأخَّرنا عن اجابتهِ

فكان جواب الضابط على كلامي انَّهم مأمورون وعلى المأمور ان يقوم بما أُمر بهِ. فقلنا: ان كان الامر كذلك فلا بأس

وكان اوَّل ما طلبوهُ منَّا تذاكرنا فقدَّمناها لهم وهي ممضاة بختم ولاية بيروت

فاحتفظوها ثم جعلوا يفتّشون كل خروجنا واوعيتنا واذ رأى الجند زاد طريقنا اخذوا يقتسمونهُ بينهم كأَنَّهُ غنيمة باردة

ولمّا انتهوا من تفتيش اثقالنا ارادوا تفتيشنا رغماً عن احتجاجنا على عملهم. فعاد اليَّ ذاك الشرطي الذي زجرتهُ فهمَّ ان يجسَّ ثيابي واطراف جسمي بنوع لا يليق فدعوت الضابط الاكبر وقلت لهُ: اني لا ارضى مطلقاً بان يمسَّني هذا الخبيث

فلمّا سمع المفتش كلامي تنمَّر غيظاً ومدَّ شمالهُ الى لحيتي ورفع يمينهُ ليضربني فاسرع منصور احد اخوتي الذي كان مرافقاً لنا في سفرنا ليمسكهُ. امّا انا فالتفتُ الى الجمع قائلًا: كلّكم شهود على هذا الانسان وتطاولهِ عليَّ فاذا وصلنا الى ديار بكر رفعت دعواي عليهِ الى سعادة قنصل فرنسة

فلمّا سمع الضابط اسم قنصل فرنسة ردَّ عني الشرطيَّ واخذ يراضيني بقولهِ: انكم لستم بجريم حتى تنفروا من التفتيش. فاجبتهُ انَّنا رهبان واكرم من حريم فان ارادوا ان يفتشونا اريناهم كل ما في جيوبنا دون ان يمسونا بايديهم

وفي اثناء ذلك حاول واحد آخر ان يجسَّ رفيقي حضرة الاب يوسف شلفون فلم ينتظرهُ بل كشف لهُ صدرهِ قائلًا: فتش هنا لعلّك تلقى اشياء خفيَّة. فضحك وارتدَّ عنهُ

وبعد ان فحصوا اوراقنا وكتبنا واخذوا منها ما راق لهم ومن جملتها كتاب صلاتي وغير ذلك سألونا عن اصلنا ومقامنا. واذ اعلمهم حضرة رفيقي انهُ ماروني الجنس ظنوهُ ارمنياً فانكر بتاتاً. ففهمنا من سؤالهم انهم اعتبرونا كجواسيس الارمن واَنّنا متنكرون تحت زيّ الاجانب

والحقّ يقال انَّنا لم نكن نعرف وقتئذٍ ما كان جارياً في اطراف الدولة من النهضة على الارمن وما كان السلطان عبد الحميد وانصارهُ يعدُّونهُ من المذابح والمجازر لطمس آثار العنصر الارمني. وانمَّا انكشف لنا السرّ بعد ذلك بثلثة اشهر عند عودتنا الى بيروت

فعقيب هذا التفتيش غادرَنا الجند فساروا الى جهة ديار بكر قبلنا كأَنَّهم يريدون ان يفيدوا الوالي عن نتيجة مأموريتهم. وكان الوالي اذ ذاك انيس باشا من ألدّ اعداء النصارى واحد خواصّ الدولة الحميديَّة وكان اهل ماردين رأوا من آثار جورهِ

مدَّة متصرفيَّتهِ ما جعلهم يسترحمون الدولة ويطلبون تغييرهُ ٠ ومن مظالمهِ انَّهُ كان دسَّ بعض اصحابهِ ليحرقوا اسواق النصارى فخسروا من جرَّاء ذلك ما ينيف على ٢٥,٠٠٠ ليرة٠ واضطرَّهم بعد ذلك الى ان يوقّعوا تقريرًا يعلنون فيهِ انَّ الحريق حصل على طريق الصدفة٠ فكان جواب الدولة لدعوة المظلومين انَّها رقَّت المتصرّف الى منصب الولاية فزاد شرُّهُ وعمَّ كل سناجق ولاية ديار بكر

فلمَّا رأى ارمن ديار بكر اعمالهُ وعلموا بانهُ استدعى رؤساء الدين والزمهم بان يُمضوا معروضًا للدولة يتشكرون فيهِ من حسن معاملتهِ لهم اقفلوا حوانيتهم واخذوا يتحصنون في بيوتهم ليردُّوا غارات من يناوئهم ٠ فوقف دولاب الاعمال وخاف الوالي من ان يكتب ممثلو الدول في حقهِ فاخذ يطيّب قلوب اعيان النصارى ويعدهم خيرًا اذا اقنعوا اهل دينهم بمواصلة اشغالهم كألوف عادتهم٠ فاجاب الاعيان الى طلبهِ وعادت بسعيهم المياه الى مجاريها٠ وكان ذلك جرى عشرة ايَّام قبل سفرنا الى ديار بكر

امَّا نحن فاستأنفنا المسير في طريقنا بينما كنَّا نتذاكر ما جرى لنا ولا نعلم ماذا حدا بعمَّال الدولة الى هذه المعاملة الغريبة مع وجود التذاكر في ايدينا وسهولة الوقوف على امرنا من المراجع الرسميَّة في بيروت٠ وكنَّا مع ذلك في غاية الاطمئنان ننسب ما وقع في حقنا الى سوء تفاهم٠ ومشينا بقيَّة يومنا دون شيءٍ يكدّر خاطرنا

وبعد ان قضينا الليل في خان موقعهُ في منتصف الطريق سرنا قبل فجر اليوم التالي بين آكام متوسطة الارتفاع ثمَّ تحدَّرنا الى سهول واسعة قفراء حتى اشرفنا على دجلة فلاح لنا ذلك النهر العظيم الذي يخرج في وسط صخور مرتفعة يزيد علوّها عن ١١٠٠ متر على مسافة ١١٥ كيلومترًا شمالي غربي ديار بكر فينحدر كالسيول بقوَّة شديدة وتنصبُّ فيهِ سواعد عديدة حتى اذا بلغ ديار بكر اصبح نهرًا زاخرًا يصعب قطعهُ الَّا في وقت الصيف

واهل ديار بكر يستمدُّون من مياههِ حاجتهم لسقي اراضيهم فتخصب بها ايَّ خصب فترى حدائق المدينة تأتي بضروب الاثمار العجيبة المنظر الشهيَّة الذوق٠ منها البطيخ (ويدعونهُ الزبش وهو الجبس) الذي يبلغ ثقلهُ من ٤٥ الى ٥٠ كيلو والبطيخ الاصفر البالغ من ٢٥ الى ٣٠ كيلو ولكليهما الذُّ طعم٠ وقس عليهما بقيَّة

اصناف الفواكه فانَّها تفوق كثيرًا على فواكه بلاد الشام الَّا اثمار الجهات الجنوبيَّة كالليمون والتمر فانَّها لا تثمر هناك

وهم يزرعون ايضاً كمّيات وافرة من التوت ويربُّون دود الحرير ولهم الكروم الواسعة واصناف من العنب الطيب يصطنعون منهُ خمرًا قليـلًا لعدم رواج الخمر وعرقًا طيباً. وكذلك تبغهم غاية في الجودة

اماَّ غلَّاتهم من قمح وشعير وذرة فكلُّها متوفرة لكنهم يكتفون منها بحاجاتهم لصعوبة نقلها وكُلَف ترويجهـا في الخارج. واذا مرَّت عندهم السكَّة الحديديَّة البغداديَّة فأملهم ان تنتعش الهمم ويحيا الموات لاسيما اذا حصل لهم بعض الامان من قبائل العرب وشذَّاذ الاكراد

قطعنا دجلة على دوابّنا قبل الظهر بقليل. واذا مدينة ديار بكر بازائنا تُشرف على النهر بنحو مئتي متر فوق تلّ تزينـهُ الكروم. لكنَّ المكارين اذ علموا انَّ الحكومة تضبط الدوابّ لخدمة عسكرها على سبيل السُّخرة لم يشاءوا ان يدخلوا البلد فساروا بنا الى قرية في غربي ديار بكر تُدعى علي پوار على مسافـة ثلاثة كيلومترات منها فنزلوا هناك ينتظروننا الى صباح السبت ريثما نتمّ شغلنا فنعود معهم الى ماردين فتركنا حوائجنا في علي پوار تحت حفظ اخي منصور وسرنا الى المدينة ماشين

فما لبثنا ان بلغنا اسوارها المحدقة بها وطولها سبعة كيلومترات وهي اسوار عاديَّة مبنيَّة بالحجارة البركانيَّة الضخمة السوداء يرقي البعض بناءها الى عهد الرومان بل الى عهد الفرس ويكاد علوّها يبلغ ٣٠ مترًا ولهـذا السور ٧٢ برجاً يدعمهُ. ووراءهُ سور آخر دونهُ يحمي المدينة مع قلعة حريزة في داخلها على انَّ الخراب قد استولى على قسم من تلك المحصنات بتوالي الزمان وتغاضي الحكام

وكان دخولنا المدينة من بابها الغربي فلم يتعرَّض لنا احد. ثمَّ علمنا انَّ الوالي كان امر الشرط بان يوقفونا عند الباب الجنوبي حيث كانوا لنا بالمرصاد. فوقع الامر على خلاف انتظارهم بسبب السخرة كما رأيت. وسرنا نحن الى دير الآباء الكبوشيين فاستقبلنا بالترحاب والحفاوة حضرة رئيسهم الجليـل الاب يوحنَّا الذي كنَّا اجتمعنا بهِ سابقاً ورأينا الكثير من فضلهِ

وبعد ان تبادلنا عبارات الوداد اخبرنا الآباء المرسلين ما جرى لنا في الطريق وكيف اوقفونا على غير داعٍ واخذوا بعض اوراقنا بل تهدَّدونا بالاهانة . فما سمع حضرة الرئيس هذا الخبر حتى قام من وقتهِ واخذنا الى دار قنصل فرنسة لنبلّغهُ تفاصيل هذا الحادث . وكان القنصل اذ ذاك المسيو ميريه (Mr Meyrier) من ذوي الفضل والدين والهمَّة القعساء . فلمَّا وقف على واقع الحال اشار الى ترجمانهِ بان يرافقنا عند الوالي لترفع اليهِ شكوانا . فسرنا الى مجلس الحكومة حيث كان انيس باشا . فاخذهُ العجب اذ رآنا مع ترجمان القنصليَّة بعد ان كان تقدَّم بتوقيفنا الَّا انَّهُ سكت . فجعلنا نفصل لهُ ما اصابنا من الاهانة ونحن مرسلون في حماية فرنسة ومعنا تذاكرنا المسجَّلة في احدى ولايات الدولة ولم نأتِ ادنى عمل يوجب المعاملة غير القانونيَّة التي جرت في حقّنا

فتلعثم الوالي في جوابهِ ولم يدرِ ما يقول لكنهُ اخذ تذاكرنا التي كان الجند اتوهُ بها فبعد نظرهِ فيها مليًّا قال : في تذكرتكم انكم مسافرون الى بغداد فما بالكم قصدتم ديار بكر ؟ اجبنا انَّ غاية سفرنا هي بغداد لكنَّ طريقنا على كل مدينة نؤمل فيها وجود الآثار الادبيَّة التي نسعى في طلبها فما كان يمكن ان نعدّد كل اسماء البلاد التي نمرّ فيها . فسكت

فبعد هذا طلبنا منهُ ان يردّ لنا حوائجنا المضبوطة ويقاصّ الجندي الذي تهدَّدني بالضرب . فاجاب انَّهُ يفعل ثم صرفنا . فرجعنا الى الدار القنصليَّة واعلمنا سعادة القنصل بما جرى بيننا وبين الوالي . فاوعز الينا ان نقدّم لهُ معروضاً نودعهُ شكوانا ففعلنا . ثم نقل القنصل هذا المعروض الى التركيَّة وارسلهُ الى الوالي مصحوباً بكتاب منهُ حيث شدَّد النكير على ما صنعوا بنا والحّ على الوالي بان تُردّ لنا كلّ المسلوبات وان يجازى الشُرطي على سوءُ معاملتهِ وان نُعطى اخيرًا بيولرديًّا ليخفرنا من مدينة الى اخرى جنديّان يقيمان في خدمتنا كلّما احتجنا اليهما . ففي صباح اليوم التالي اعادوا لنا كل اوراقنا وكتبنا على يد سعادة القنصل ثم أُرسل لنا البيولردي قبل خروجنا من ديار بكر

اقمنا في ديار بكر ثلاثة ايّام فقط فزرنا في اثنائها رؤساءِ الدين ووجوه الطوائف

وعلمنا ما كان يجول في خاطرهم من الهواجس فكأنهم يشيمون برق الزوبعة ويسمعون عن بُعد هزيم الرعد

وعند زيارتنا لطائفة الارمن وجدنا في ديوانها اسقفاً يعقوبيًّا كان محتمياً في جوارهم. فاخبرونا انَّ اسمهُ عبدالله الصددي وانهُ وقع بينهُ وبين بطركهِ عبد المسيح خلاف كبير فاراد البطريرك ان يستعين بالدولة ليلقيهُ في الحبس. فلمَّا استروح المطران عبدالله ذلك النبأ فرَّ هارباً من دير الزعفران واتى ديار بكر مجاهرًا بارتدادهِ الى الكثلكة. واذ اراد انيس باشا توقيفهُ اسرع السيد عبدالله فالتجأ الى حماية قنصل فرنسة بصفة كاثوليكي مرتدّ عن اليعقوبية وبقي ايَّاماً في الدار القنصليَّة حتى نُقل مخفورًا الى دار اسقفيَّة الارمن الكاثوليك. وكل يعرف ما صنع بعد ذلك الاسقف عبدالله اذ انتمى الى الكثلكة وبقي في خدمة الكنيسة السريانيَّة الى ان اغواهُ شيطانُ الطمع ثانيةً بعد ان عزلت الدولة البطريرك عبد المسيح قبل خمس سنوات فطلب لنفسهِ البطريركيَّة اليعقوبيَّة واظهر بذلك انَّ ارتدادهُ الى الكثلكة لم يكن عن سلامة نيَّة بل لغايات زمنيَّة اناره ُ الله

وزرنا كنائس ديار بكر كنيسة مار فثيون للكلدان وكنيسة مار سرجيوس للارمن الكاثوليك وكنيستي الروم واليعاقبة وكلتاهما على الطرز القديم لعلَّهما ترتقيان الى ما بعد الفتح الاسلامي بقليل. امَّا الكنيسة الكاتدرائيَّة الكبرى السابقة لعهد العرب فاتَّخذها المسلمون كجامع لصلاتهم وهي باقية الى يومنا مع ما طُمس من محاسنها على كرور الدهور

وفي جوار الكنيسة الكلدانيَّة في الابنية اللاحقة بها من الدار الاسقفيَّة مكتبة قديمة يبلغ عدد كتبها بين مطبوعة وخطيَّة نحو ٥٠٠٠ كتاب وجدنا فيها آثار حسنة كلدانيَّة وعربيَّة من جملتها مجموع شعر نرساي وديوان ورده الشاعر الشهير وتاريخ عربي لاحد نساطرة القرن الثالث عشر وقد باشر بطبعهِ اليوم سيادة مطران سعرت السيد ادي شير فظهر قسمهُ الاوَّل مترجماً الى الافرنسيّة (راجع المشرق ١٢ : ٧١٢) ومنها كتاب في الديانة النصرانيَّة وتعاليمها وآدابها لابن التلميذ وغير ذلك ممَّا يعزّ وجوده ُ كبعض المطبوعات القديمة

وممَّا رأينا في كنيسة الارمن ذخيرة ثمينة تُصان بكلّ اكرام وهي على حسب

تقليدهم احد المسامير التي سُمر بها السيد المسيح على صليبهِ. فهذه الذخيرة مودعة في صوان من بلّور مثلث الزوايا طولهُ ١٥ سنتيمترًا وعلى الصوان كتابة ارمنيَّة هذه ترجمتها في السنة ١٠٩٨ من تاريخنا (الارمني) الموافقة للسنة المسيحيَّة ١٦٥٠ ظهر في هذه كنيسة القديس سركيس المسمار الذي سُمِّر بهِ الربّ في صلبوتهِ »

وللصوان قاعدة تُعرض فوقها الذخيرة وهي ذات ثلاثة وجوه. فعلى الوجه الاوَّل ثلاث كتابات لاتينيَّة: الاولى فحواها: خاتم سمعان دي سنت اندره فارس ماغوصا (Famagouste) من قبرس. والثانية معناها: هذا مسمار السيد المسيح. والثالثة هي رسم شعار سمعان السابق ذكرهُ. وفي اثرهِ: اننا نسجد للربّ الذي يكافئنا امين »

والوجه الثاني عليهِ رسم صورة السيد المسيح مع تلامذتهِ بعد قيامتهِ وتوما امامهُ ساجدًا لهُ وجاعلًا اصبعهُ في جنبهِ. امَّا الوجه الثالث فعليهِ رسم الصليب وعلى جانبي الصليب ملائكة تحدق بهِ

نقلنا هذه المعلومات عن مقالة كتبها في ذلك حضرة الاب يوحنَّا رئيس الرسالة الكبوشية في ديار بكر ثم نشرها في مجلة الارض المقدَّسة (La Terre S[te]. 1897- pp. 49 - 55) وعنهُ اخذنا رسم الذخيرة كما تراها (ص٦٢٥). وقد روينا خلاصة قولهِ دون ان نقطع بصحة الذخيرة والمظنون انَّ هذا الاثر المقدَّس حصل عليهِ احد ملوك الارمن في القرون الوسطى فاهداهُ الى ملوك الفرنج في قبرس فلمَّا خرج الفرنج من تلك الجزيرة اخذوا معهم تلك الذخيرة حتى صارت في ملك الفارس سمعان دي سنت اندره. وعلى كل حال نحيل القرَّاء الى ما كتبهُ العلَّامة روهو دي فلوري في ذخائر الآلام عمومًا وفي المسامير المقدَّسة خصوصًا (Rohault de Fleury: *Les Instruments de la Passion*. pp, 172 - 181)

ومن غريب ما جرى لهذه الذخيرة بعد خروجنا من ديار بكر ببضعة ايَّام انَّ الاكراد نهبوا الكنائس فسلبوا تلك الذخيرة وباعوها مع قاعدتها. فاشتراها مسلم اسمهُ علي ثمَّ باع القاعدة بثقلها فضة امَّا المسمار فعالجتهُ امرأة علي فكسرت الاسطوانة البلوريَّة ورمتها مع المسمار في قامة الدار. وكان الارمن في اثناء ذلك يبحثون عن الذخيرة فسألوا عليًا عن امرها وسأل هذا امرأتهُ فاخبرتهُ بالامر فجاء الارمن ولم

يزالوا يفتشون عن الذخيرة حتى وجدوها وتحققوا صحتها ثمَّ اتحفوا علياً بهبة عوضاً عنها. وردُّوا الذخيرة الى كنيستهم وزادوا اكراماً لها

وبنسبة زيارتنا لديار بكر رأينا من اللائق درس تاريخها فهذه خلاصة ما استفدنا من بحثنا نثبتهُ هنا لفائدة القرَّاء الذين لا يسمعون الَّا القليل عن مدن بلاد ما بين النهرين

ديار بكر اسم حديث لمدينة يرتقي عهدها الى مئين من السنين قبل التاريخ النصراني وكان اسمها القديم آمد وبهذا الاسم ورد ذكرها في الكتابات الاشوريَّة ويقال ايضاً أميد وأميدوس. وسمَّاها الترك قرا آمد اي آمد السوداء لسواد حجارتها البركانيَّة وسمَّاها قدماء الفرس « كركتيو سرتا » اي مدينة الكركتيين احدى امم الفرس

واوَّل ما ورد ذكرها التاريخ في كتابة للملك الاشوريين المسمَّى « اشور نزير هبال » حيث يفتخر بفتح آمد وذلك بين السنتين ٨٦٠ و٨٧٠ قبل المسيح. ويروي موسى الخوريني مؤرخ الارمن في الفصل الثلاثين من تاريخهِ ان دقران او تغران احد ملوك الارمن رمَّم آمد وزخرفها فجعلها مقاماً لاختهِ قرينة الملك استياج المادي وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد

ثمَّ بقيت آمد خاملة الى القرن الرابع بعد المسيح فحصَّنها قسطنطين الكبير وقيل قنسطنس ابنهُ فدُعيت مدَّة باسمهِ قنسطنسية. واشتهرت آمد بعد ذلك بمقاومتها لملكي الفرس سابور الثاني في القسم الآخر من القرن الرابع ولقباذ في القرن السادس فلم يستطيعا فتحها الَّا بعد الجهد الجهيد وبواسطة الخوَنة. فافرغ الفاتحان غضبهما على اهلها بالقتل والنهب والدمار

الَّا انَّ المدينة كانت لا تلبث ان تقوم من خرابها وتعود الى عزّها السابق لاسيما في عهد يستنيان الملك الذي ضاعف الهمَّة في مناعتها. وجدَّد الملك هرقل بناء كنيستها الكبرى المعروفة اليوم باوس جامع. وكان فتحها في عهد العرب على يد العياض بن غنم سنة ٢٠ للهجرة. وعُرفت في العهد العربي بديار بكر. لأنَّ بني بكر وتغلب كانوا احتلوا الانحاء المجاورة لها. فاطلقوا اسم ديار بكر على الجهة الغربيَّة من

الجزيرة واسم ديار تغلب على الجهة الشرقيَّة عند جزيرة بني عمر. ثمَّ اختصوا مدينة آمد باسم ديار بكر لانها حاضرة تلك البلاد

وفي ايَّام الدولة العبَّاسيَّة تنقلت آمد فصارت في حكم بني بويه ثم الروم ثم المردانيين والفاطميين والارتقيين فتتبع غالباً اصحاب ماردين وحصن كيفا. ولمَّا فتح الصليبيون مدينة الرها اضافوا ديار بكر الى مملكتهم ثم عادت الى حكم المسلمين. وفتحها المغول في اواخر القرن الرابع عشر فبقيت في عهدتهم حتى ملكها شاه اسماعيل في اوائل القرن السادس عشر فلم يحكموا عليها الَّا عشر سنوات فدعا امراء الأكراد السلطان سليماً فولَّوه عليها سنة ١٥١٥ وبقيت مذ ذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية

ودخلت النصرانيَّة في ديار بكر في القرون الاولى للميلاد حتى ان التقليد ينسب تنصرها الى المرسولين توما وتدَّاوس والدليل على نجاحها انها كانت مقاماً لرئيس اساقفة تنوط بها اسقفيات عديدة كسنجار ودارا ونصيبين وبيت زبدا. وكان مطرانها سمعان من جملة الذين حضروا المجمع النيقاوي الاوَّل سنة ٣٢٥. واشتهر في القرن الخامس اسقفها اقاقيوس بمحبتهِ للفقراء وافتدائهِ للاسرى

وفي القرن الخامس نفث النساطرة ولاسيما اليعاقبة فيها سمَّهم لا بل اتَّخذها اليعاقبة ككرسي بطاركتهم الى زمن ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر فانتقل منها الى ماردين. وكنيسة اليعاقبة من اقدم كنائس ديار بكر. وكان للملكيين ايضاً اساقفة في ديار بكر عُرف منهم ابراهيم الثاني في عهد فوطيوس. لا بل لا يزال حتى يومنا كرسي ديار بكر من كراسي الطائفتين الملكيَّتَين الكاثوليكيَّة والارثذكسيَّة وان بقي مرارًا الكرسي فارغاً. وكنيسة الروم قديمة ترتقي الى القرن الثامن وكانت في ايدي الكاثوليك الى اواسط القرن الماضي

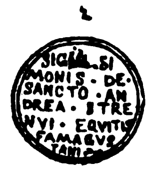
امَّا الكثلكة فان كوارث الزمان كانت تعدَّت عليها فطمستها البدع في آمد الى ان قام في اواسط القرن السادس عشر يوحنَّا سولاقا الكلداني فخضع للكرسي الرسولي اتمَّ الخضوع فاقامهُ البابا بولس الثالث بطريركاً على طائفتهِ وجعل كرسيَّهُ في آمد سنة ١٥٥٣ فردَّ كثيرين من اهلها الى الايمان الكاثوليكي وخلفهُ عبد يشوع مطران الجزيرة بعد موتهِ شهيدًا سنة ١٥٥٥ فتتقفَّى آثارهُ لكنَّ النساطرة اثاروا عليهِ وعلى

١

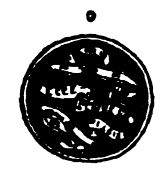
٢

٣

٤



٥



٦



ذخيرة المسمار المقدَّس في ديار بكر

١ صورة الصوان الذي يُحفظ فيهِ ذخيرة المسمار المقدَّس في ديار بكر
٢ صورة المسمار المقدَّس دون رأسهِ المفقود
٣ القاعدة الفضيَّة التي تُعرض عليها ذخيرة المسمار المقدَّس
٤-٦ تصاوير وجوه القاعدة ورسومها

رعيَّته اضطهاداً عظيماً وحرَّكوا عليهِ عمَّال الدولة فصارت كنيسة آمد في حالة حرجة لاسيما بعد موتهِ سنة ١٥٦٥

وفي اوائل القرن السابع عشر عادت الكثلكة الى بعض الازدهـار في آمد برجوع ايليَّا السادس البطريرك النسطوري فهذا نبذ التعليم النساطرة ونال من الحبر الاعظم درع الرئاسة وعقد في آمد سنة ١٦١٦ مجمعاً حضرهُ كقاصد رسولي رئيس الآباء الفرنسيسيين في حلب الاب توما دي نوڤار (Thomas Obicini de Novarre) الَّا انَّ الدين الكاثوليكي تعرَّض لعدَّة اضطهادات بعد وفاتهِ سنة ١٦٢٧ وفي ايَّام خلفهِ ايليَّا السابع المتوفَّى سنة ١٦٦٠

وفي تلك الاثناء عهد الكرسي الرسولي الى الآباء الكبوشيين رسالة ما بين النهرين فعزَّز مجيئهم الكثلكة وادخلها في طور جديد وذلك سنة ١٦٦٧ اذ ارسل المجمع المقدَّس الاب يوحنَّا دي سنت اينيان (J - B. de St Aignan) مع راهبين آخرين الى آمد فابتدأوا ينشرون العقائد الكاثوليكيَّة بغيرة عظيمة وما لبث عدد كبير من النساطرة واليعاقبة والروم ان نبذوا اضاليلهم وتبعوا الايمان الكاثوليكي

وزادت هذه الحركة لمَّا جعل الكرسي الرسولي مدينة ديار بكر كمركز البطاركة الكلدان الكاثوليكيين المعروفين باليوسفيين (١ فضمُّوا قواهم الى قوى المرسلين من السنة ١٦٧٠ الى السنة ١٨٢٧ حيث جُعل الكرسي البطريركي للكلدان في الموصل وكانوا في غضون ذلك ردُّوا كل النساطرة الى حجر الكنيسة

وقد قاسى المرسلون والبطاركة في آمد من الاضطهادات والمشقَّات ما يطول ذكرهُ الَّا انَّ مساعي الكبوشيين الرسوليَّة واعمالهم الخيريَّة من تمريض المرضى واعالة الفقراء على اختلاف اديانهم بكل الاخلاص والنزاهة جلبت اليهم محبَّة الاهلين عموماً من مسلمين ونصارى وكبار وصغار حتى انَّ الولاة وامراء الاكراد اخذوا يعزُّونهم ويكرمونهم

وما لبث اليعاقبة والارمن الغريغوريُّون ان تبعوا مثال الكلدان فاهتدى منهم

١) راجع في المشرق (٣ : ٨٧٨) مقالة السيد ادي شير والقس بطرس نصري التي عنوانها « طائفة الكلدان الكاثوليك »

عدد وافر في آمد والقرى المجاورة لها واقام لهم الكرسي الرسولي اساقفة الى يومنا وعدد الكاثوليك اليوم في ديار بكر ونواحيها يبلغ نحو ٦٠٠٠ منهم ٢٥٠٠ كلدان و ١٨٠٠ ارمن كاثوليك و ١٢٠٠ سريان. و ١٥٠ روم كاثوليك والبقيَّة من اللاتين

امَّا الغريغوريُّون فكان عددهم عند مرورنا نحو ١٢٠٠٠ واليعاقبة ١٥٠٠ والروم الارثذكس ١١٠٠ والبروتستانت نحو ١٠٠٠ فالنصارى نحو ثلث اهل ديار بكر وتوابعها والباقون مسلمون واكراد وشركس. ولطوائف الكاثوليك في ديار بكر مدارس. امَّا المرسلون الكبوشيون فيهذّبون الذكور والبنات معاً تساعدهم في عملهم راهبات افرنسيسيَّات من فرنسا. لا بل صارت الرسالة الكبوشيَّة كلها اليوم في عهدة الكبوشيين الفرنسويين بعد ان كان يديرها رهبانهم الايطاليون

وقد تجوَّلنا مدة اقامتنا في ديار بكر في اسواقها واحيائها فرأيناها كثيرة الاقذار قد استولى الخراب على قسم من ابنيتها. وبين هذه الابنية ما تلوح فيهِ مسحة من البهاء القديم ومنها ما هو على الطرز الفارسي. وقد شيَّد بعض الاعيان بيوتاً حسنة في هذه السنين الاخيرة. وبين مساجدها ما هو محكم البناء ولا سيما جامعها الكبير الذي مرَّ ذكرهُ وفي داخلهِ السواري الضخمة والنقوش البهيَّة. ومن ابنيتها التي تستحقُّ الذكر قلعتها القديمة الراقية الى عهد الروم كانت فيها كنيستان الواحدة على اسم مار يوحنَّا المعمدان هي الآن مسجد لصلاة الجند والاخرى اتخذوها كمستودع للاسلحة. ويسقي ديار بكر مياه غزيرة طيبة تأتيها بالاقنية من الجبال المجاورة

وما كنَّا لنظنَّ انَّ ديار بكر بعد خروجنا منها بأيَّام قليلة ستضحي منقعاً للدم اذ فتح الوالي ابوابها للاكراد فحدثت تلك المذابح التي قُتل فيها ١٢٠٠ نصراني اكثرهم من الارمن وأُحرقت مخازنهم ونُهبت بيوتهم. على انَّ الآباء المرسلين اظهروا وقتئذٍ من المروَّة ما لا يفي بشكرهِ لسان فانقذوا نحو ٥٠٠٠ شخص في ديرهم وعالوهم مدَّة اسبوعين وكذا فعل قنصل فرنسة في دارهِ. وكانت قرينتهُ الفاضلة تهتمُّ بالفقراء والجرحى اهتمام الام وبعد ايَّام خرجت من ديار بكر مع ٢٠٠٠ منهم ورافقتهم الى حلب ولم تشأ ان تنفصل عنهم حتى قطعوا الفرات وصاروا في امان. فقدَّرت الحكومة الفرنسويَّة شهامتها واهدتها جائزة فاخرة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ وعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النسطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليه سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم:

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ ... اذا هضبَتْهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت ... ضُحًى او سرت جِنْحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع ممراعٍ كأنَّ رياحهُ ... سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً ... وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيّء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيّءٍ قرب جوّ من ديارهم

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

امّا نصرانيّة قبائل نجد فلنا عليها عدّة شواهد. قال السائح الانكليزي بالغراف في كتاب رحلتهِ الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوْف: «ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الّا القليل لكن التقاليد المحليّة تزعم انّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيّة وانّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرُّوا الى استعمال اقطع الادلّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١»

وقال في محلّ آخر (ص ١١١): «قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة راتعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيّة بل يرجَّح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميّة عليها (٢»

وخصّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيّ. وقد لقي ذاك السائح هناك عدّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شكيك الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذه الرحالة حديثَ خرافة بل تؤيد روايتَهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولَّوا على بني معدّ في انحاء نجد واوَّلهم حجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

---

١) هذا نصّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave: *Voyage dans l'Arabie Centrale.* p. 61)

٢) وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Ommiades. » (Id. I, 111)

امَّا نصرانيَّة كندة فلا شكَّ فيها وقد اثبتنــا ذلك في مقالة خصوصيَّة حيث رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيَّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ — ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديَّة حيث تفتخر بكونها « أَمة المسيح وام عبدهِ (اي عمرو بن هند) وبنت عبيدهِ » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). وروينا ايضاً النصوص اليونانيَّة التي نقلها فوتيوس في مكتبتهِ (Migne- P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في ايَّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيَّــة كندة لما تسامحوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد ذلك عبد المسيح الكندي في رسالتهِ الى الهاشميّ في ايَّام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠) :

« ولسنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربيــة وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لابائنا واجدادنا . فقــد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنَّنا نقول ما قالهُ رسول الحقّ بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصــالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر بهِ الَّا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبهِ نهتدي الى العمــل الصالح ونعرف الله حقَّ معرفتهِ ونتقرَّب اليهِ وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجدادهِ :

« ولولا انَّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت. . . لكنّي رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرَّف بهِ وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو بهِ الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيهــا بفضلهِ واحسانهِ وسعة رحمتهِ »

فصحَّ اذن انَّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيَّة انحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرَّينا فيهِ تاريخ النصرانيَّة في جميع جهات العرب (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

R. P. Scheil : La Chronologie rectifiée du règne de Hammourabi (Extrait des Mémoires de l'Acad. d. Inscr., t. 39) *Paris, Klincksieck,* 1912, p. 12, 4°, 1 Pl

تصحيح تاريخ ملك حمّورابي

انّ الشهرة العظيمة التي نالها ملك بابل حمّورابي بعد اكتشاف دستوره الخطير قد استلفتت اليهِ كل الانظار. الّا انّ الآثار المستخرجة من اعماق الارض لم تفدنا تاريخاً مدقّقاً لاعمالهِ مدّة ملكه الطويل في اواخر القرن الحادي والعشرين قبل المسيح. على انّ حضرة الاثري الجليل الاب شيل الدومنيكي امكنهُ ان يسدّ هذا الخلل بوصف عدّة صكوك وعقود كُتبت في عهد الملك المذكور ومصدَّرة بتواريخ مضبوطة ومن جملتها كتابة اكتشفها حضرة الاب فجمع تلك الآثار ونظّم كل معلوماتها ورتّب تواريخها حتى استخرج منها توالي الاحداث التي جرت على عهدهِ وذلك مدّة ما ينيف على ٤٣ سنة. وعلى رأي الاب شيل انّهُ دوّن دستورهُ في اواخر حياتهِ ل. ش

Daremberg - Saglio-Pottier : Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, 46 fasc. (TABELLA — TEXTRINUM), *Paris, Hachette,* 1912

معجم العاديات اليونانيّة والرومانيّة

هو القسم السادس والاربعون من هـذا التأليف النفيس وبهِ يبتدئ حرف T والمجلد الخامس وممّا يحتويهِ من الموادّ الجديرة بالاعتبار لحسن سبكها ووفرة معلوماتها وشهرة كاتبيها مادّة ذبيحـة الثيران (Taurobolium) للاثريّ اسبراندي (Espérandieu) ومادّة الارض كامّ الاحياء (Tellus) للاستاذ هيلد (Hild) ومادّة الهياكل (Templum) للعلّامة سورلين دوريني (Sorlin-Dorigny) هذه في الدينيّات. وممّا هناك في الرسوم والحقوق مادّة السجلّات (Tabularium) بقلم لافاي (Lafaye) ومادّة المسجّل (Tabellio) ثم الشهادة (Testimonium) وكلتاهما لمسيو لاكريڤان (Lécrivain) ومادّة الوصاة (Testamentum) للعالمين (Beauchet et Cuq). وممّا نُشر في الاثريّات مادّة الخيـام (Tentorium)

للعلّامة شاپو (Chapot) ومادة السطح (TECTUM) للاستاذ جارده (Jardé) ومادّة لوح (TABELLA) ثمّ زهر اللعب (TESSERA) من تأليف لافاي. وخصوصاً مادّة مثقال (TALENTUM) للكاتب الشهير بابلون (Babelon) وغير ذلك مما لا يسعنا تعداده. وقد سرّنا ما ضموه الى هذا الجزء كملحق ألا وهي ترجمة حياة اوّل من باشر بهذا المعجم الفريد اعني المرحوم ادمون ساغليو (Ed. Saglio) مع صورته والترجمة بقلم المسيو پوتيه رصيفه في هذا العمل ومنجز مشروعه بهمّته مع مساعدة المسيو جرج لافاي. وقد اضافوا الى هذه الترجمة الخطاب الذي القاه المسيو اومون (M. H. Omont) رئيس مكتب الاثريّات والفنون الجميلة تأبيناً للمسيو ساغليو س. رنزڤال

ELEMENTA GRAMMATICÆ ARABICÆ cum **Chrestomathia, Lexico Variisque Notis** auctoribus PP. A. DURAND ET L. CHEIKHO S. J. Editio altera emendata. *Beryti., Typogr. PP. Societatis Jesu,* 1912, IV-488, in-4

اصول اللغة العربية وعروضها مع منتخبات نثرية وشعريّة ومعجم وتذييلات

نشرنا هذا الكتاب قبل خمس عشرة سنة وما كنّا لنظنّ ان سيعاد طبعهُ وهو مصنَّف في اللاتينيَّة لكليَّات اوربَّة خصوصاً وعددها محصور فراج الكتاب رواجاً اضطرّنا الى اعادة طبعه بعد اصلاحهِ وتحسينهِ فلنا الامل الطيب انَّ المستشرقين يلمحونهُ كما في السابق بنظرهم . وفي ما ورد علينا في الشهرين الاخيرين من رسائلهم ضامن على اصابتنا المرمى ل. ش

THE ARABIC AND TURKISH MANUSCRIPTS in the Newberry Library, described by **D. B. Macdonald D. D.**

قائمة المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيوبري

اهدتنا ادارة مكتبة نيوبري في شيكاغو قائمة مخطوطاتها العربيَّة والتركيَّة التي تزين خزائنها وهي عبارة عن ٢١ كتاباً وصفها احد اساتذة كليَّتها المستشرق مكدونلد. واحسن ما وجدناه في تلك الآثار مختصر المجسطي لبطلميوس اختصرهُ نصر الدين الطوسي ودعاهُ تحرير المجسطي وكتاب المصباح في النحو لابي الفتح ناصر المطرزي شارح مقامات الحريري وبعض رسائل السيوطي كرسالة في اصحاب

الحديث ورسالة البدور السافرة في امور الآخرة. فنشكر للمهدين هديّتهم ونطلب لمكتبتهم اقبالًا ونجاحاً
ل. ش

كتاب الرسالة البرهانية في تبرير الديانة النصرانية

للطيب الذكر كيريو كير مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك

طبعة ثانية . في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩١٢ (ص ٤٥)

هذه ١٨ سؤالًا القاهـا احد شيوخ المسلمين على غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم ضمَّنها مجمل مـا يطرأ على خاطر قومهِ من المشاكل بحقّ الدين المسيحي واسرارهِ . فكان جوابهُ اسرع من الصدى برسالة اثبت فيها صحة معتقدات النصارى نافياً عنها ما يتوهمهُ البعض في اسرارها من المناقضة للعقل والبعد من التصديق . والمؤلف في اجوبتهِ على كل سؤَال يضرب الصفح عن شواهد الوحي ويكتفي بما يرضى بهِ العقل الصائب من الادلَّة المقنعة . فانتشرت هذه الرسالة ونالت الحظوى لدى معاصري كاتبها وطُبعت وقتئذٍ على الحجر . وقد اقترح علينا آخرًا احد الافاضل تكرار طبعها ففعلنا واصلحنا الطبعة القديمة على نسختين خطيَّتين وذيَّلناهـا ببعض الشروح دفعاً للالتباس وقفَّيناها برسالة أُخرى هي كخلاصة المعتقد النصراني كان سطَّرها اسقف ملكي في القرن الثالث عشر وهو بولس الراهب وارسلها الى احد ادباء المسلمين في عصرهِ . فنؤمل لهذا الكتيب انتشارًا عظيماً لاسيا بين اهل الاسلام الذين كثيرًا ما يعرضون علينا مثل هذه الاسئلة
ل. ش

كتاب منهج المعرفة في علم الفلسفة

وضعهُ الخوري يوحنَّا ابي مارون معتوق الماروني اللبناني على مختصر الفيلسوف العصري العلَّامة جاك بلمس الكاهن الاسباني

المجلد الاول طبع في المطبعة الانطونية في بعبدا (لبنان) ١٩١٢ (ص ٥٢٨)

قد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة التآليف الفلسفيَّة المدرسيَّة . ولا بأْس في ذلك فان زيادة الخير خير . ولعلَّ كثيرين يقبلون على هذا الكتاب الجديد لسهولة مأخذهِ وكثرة ايضاحاتهِ والاصل الذي استند اليهِ صاحبهُ في تأليفهِ ألا وهو ذلك الكاتب

الاسباني الذي شرَّف وطنهُ بتآليفهِ الكاهن جاك بلمس. فانَّ مصنفاتهِ لم تُفد فقط مواطنيهِ بل نُقلت الى اكثر الالسنة الاوربيَّة فعمَّ نفعها كل طبقات المجتمع المتمدّن. وقد امتازت تآليفهُ الفلسفيَّة على غيرها لبُعد غورها وسداد تعاليمها. فشكرًا اذن لحضرة مؤلف منهج المعرفة في علم الفلسفة على تعقُّبهِ آثار ذلك الاستاذ وتقريب افكارهِ الى اهل الشرق وهذا المجلد الاوَّل يتناول علم المنطق بمقدَّماتهِ وفروعهِ واقسامهِ وملحقاتهِ في كتابين يليهِ كتابٌ ثالث في الطريقة الفلسفيَّة لاستخراج الادلة ومعرفة مواردها. وكل كتاب ينقسم الى رؤوس ومطالب وللمطالب صدور ومتون واذيال بحيث لا يبقى بحث دون ايضاح مستوفٍ في كل اقسامهِ. وفي آخرهِ عشر صفحات لاصلاح اغلاط الكتاب

ل. ش

ܟܬܒܐ ܕܡܟܬܫܢܘܬܐ ܘܕܘܚܝܐ ܕܠܘܩܒܠ ܦܪܘܛܣܛܢܛܐ
ܣܝܡܐ ܕܐܒܐ ܫܡܘܐܝܠ ܓܡܝܠ ܪܝܫܕܝܪܝܐ ܕܕܝܪܝܐ ܕܟܠܕܝܐ

تفنيد الاضاليل البروتستانية

طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠–١٩١٢

انَّ الجمعيَّات البروتستانيَّة اذ رأت الطوائف الكاثوليكيَّة في الشرق لا تنقاد لاضاليل تَبعتها افرغت كنانة الجهد في اغواء الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة لعلَّها تنال منها ما لم تُصبهُ من الطوائف المتحدة مع رومية بالايمان لعلمها بانَّ اولئك المنفصلين اشبه بقطعان لا راعي لها. ومِمَّن سعى البروتستانت في تضليلهم النساطرة فدخلوا جبالهم وبثوا بينهم تعاليمهم الباطلة حتى اجتذبوا منهم عددًا وافرًا بمدارسهم ودراهمهم. على انَّ قسماً كبيرًا منهم انتبهوا لفعل المضلّين ورجعوا الى حجر الكنيسة منذ نحو عشر سنوات وهم لا يزالون ثابتين على ايمانهم. فلتمكين عزيمة هؤلاء المرتدّين وهداية الضالين اراد حضرة الاب شمويل جميل رئيس الرهبان الكلدان في الموصل ان يؤلف كتاباً في الكلدانيَّة يجمع فيهِ البراهين القاطعة على ضلال البروتستانت وصحة الايمان الكاثوليكي فانجز مشروعهُ وجاء كتابهُ حافلًا بالبينات النظريَّة والشواهد التاريخيَّة المثبتة لقولهِ. وممَّا يمتاز بهِ هذا الكتاب انَّ مؤلفهُ قد اوعبهُ بالنصوص المنقولة من كتب النساطرة وتآليف علمائهم وكلُّها تُزيّف

المدَّعيات البروتستانيَّة وتؤيــد تعاليم الكنيسة البطرسيَّة. وطُبع الكتاب احسن طبع على مطبعتنا الحجريَّة بخطّ يُعدُّ من ابدع خطوط العصر. فنشكر حضرة الاب على هذا العمل الجليل الذي اضافهُ الى خدماتهِ السابقة للعلم والدين ونتمنى لكتابهِ الرواج التامّ ونحضّ المستشرقين على اقتنائهِ لمضامينهِ الاثريَّة ل. ش

كتاب

الاقتداء بالمسيح

ترجمةُ الاب فرنيه الراهب اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٣٦٥)

يسرُّنا ايَّ سرور اقبال اهل الشرق على هــذا التأليف البديع الذي يُعدّ بعد الاسفار المنزلة افضل كتاب تتداولهُ ايدي البشر. فلا عجب والحالة هذه ان يسعى محبُّو الدينيَّــات في نقلهِ وتقريب مناهلهِ وترويج منافعهِ الجمة. وان خصصنا لغتنا العربيَّة بالذكر وجدنا لهذا الكتاب عدَّة تعريبــات عُني اصحابها باخراجهِ على انماط مختلفة فمنهم من تحرَّى السذاجة والسهولة كالاب الكرمليتاني شلستينو دي سنتا ليدوينا الذي عرَّبهُ لاوَّل مرَّة سنة ١٦٦٣ فطبعهُ في رومية بمصادقة العلَّامة الماروني ابراهيم الحاقلاني ثمَّ تكرَّر مرارًا طبعهُ بالعربيَّة والكرشونيَّة في روميــة وبيروت وغيرهمــا مع اصلاحات شتى. ومنهم من فضَّل الرقَّة والطلاوة مع الضبط والتنقيح كحضرة الاب فرنسيس ماريًا الفرَّاء الحلبي الفرنسيسي الذي نشر ترجمتهُ في القدس الشريف سنة ١٨٩٩ على صورة بهيَّة والحقّ كل باب باعتبــارات تقويَّة. وكانَّ حضرة الاب فرنيه اليسوعي عمد الى هذه الترجمة الجديدة ليزين ذلك الكتاب بسحة من العربيَّة الفصحى مؤملًا بهذا الترويق ان تروج سوقهُ لدى الادباء ومحبي التعابير المزخوفة والالفاظ المنمَّقة. وها نحن نورد مثالًا من الترجمات الثلث ننقلهُ عن الفصل الثاني من الكتاب الاوَّل (العدد ٢ و ٣) دلالة على خواصّ كل منها

ترجمة الاب شلستينو

٢ كفَّ عن الرغبة الزايدة في تحصيل العلوم لان قد يوجد هناك تشويش عظيم وخداع جسيم . لان اصحاب العلوم يستحسنون نظر الناس اليهم و يبتغون ان يسمّوهم حكماء . اشياء كثيرة التي معرفتها تفيد النفس منفعة قليلة او لا تحصل منها منفعة البتّة . فهو احمق غاية الحمق من عزم على امر سوى ما يفيده خلاص نفسه . فكثرة الكلام لا تشبع النفس بل العيشة الصالحه تقرّ الذهن . والضمير الطاهر يزيد ثقةً بالله

٣ بقدر ما كثر علمك ورسختَ فيه تدان اشدّ دينونةً ان لم تعش ازكى عيشةً فاذًا لا تتعظّم بصناعة من الصنائع ولا تفتخر بعلم من العلوم . ولكن الاجدر ان ترهب من المعرفة الموهوبة لك . وان ظهر لك انك كثير المعرفة وغزير الفطنة فحينئذٍ اعلم ان توجد اشيا كثيرة لا تعرفها . لا تتساما (كذا) بعلمك بل الاولى ان تعترف بجهلك . لماذا تطلب تفضيل نفسك على احد اذ توجد عدَّة من الناس اكثر علماً منك واوفر فقاهةً ومهارةً في الشريعة . فان قصدت علماً مفيدًا وتعليماً حسناً ارغب ان تكون مجهولًا محسوباً كلا شي

ترجمة الاب ف. الفرّاء

٢ كُفَّ عن الرغبة الزائدة في تحصيل العلوم . لانَّ هناك تشتيت البال العظيم والغرور الجسيم . انَّ أهلَ العلم كلَّ مسرّتهم في ان يُظهروا انفسهم للناس ويُدعَوا حكماء . أشياءُ كثيرة قلَّما تفيد النفس وقد لا تُفيدها البتَّة . وانهُ لأحمَق الحمقى مَن عُني بغير ما هو عائد لأمر خلاصهِ . كثرةُ الكلام لا تُشبع النفس بل العيشة الصالحة تُريح القلب والضمير الصالح يوليهِ ثِقَةً بالله عظيمة

٣ بقدر غوّك وتعمُّقك في العلم تكون دينونتَك اشدَّ صرامةً اذا لم تكُن سيرتك أفضل قداسةً . فاذن لا تتعظَّم ولا تفتخر بصناعة من الصنائع او بعلمٍ من العلوم بل كُنْ على وجَلٍ من المعرفة التي أُوتيتها وان خُيِّل لك انَّك واسعُ العلم سريعُ الفهمِ فاعلم انَّ ما تجهلهُ لهو أكثر ممَّا تعرفهُ بكثير . لا تتكبَّر بل بالأولى أقرر بجهلك . لِمَ تُريد ان تفضِّل نفسك على غيرك ويوجد كثيرون احذق منك في المعارف وأفقَهُ في علم الشرائع ان ابتغيتَ علماً ومعرفةً يجديانكَ نفعًا فارغب في ان تكون مجهولًا ومحسوباً كلا شيء

ترجمة الاب ڤرنيه

٢ دع عنك الافراط في الحرص على طلب العلم اذ يورث من الاغترار وشرود العقل شتات شتات ما يعظم . الذين تعلَّموا تطيب نفسهم باظهار ما تعلَّموا وبان يُعدّوا في الحكماء . امورٌ كثيرة الاطلاع عليها قليل الجداء للنفس او لا يُحلى منهُ بطائل . ولقد تفاقم سفه من صرف غايته الى سوى ما يُفضي بهِ الى الخلاص . انَّ النفس لا تشبع من كثرة الكلام لكن من سار سيرةً مرضيةً ثلج صدرهُ ومن طهُر قلبهُ وجد في نفسهِ ثقة بالله عظيمة

٣ كلَّما ازددت علماً وفيهِ تعمُّقاً ازدادت دينونتك هولًا ما لم يزدد سلوكك قداسةً ولذلك لا تتكبَّرنَّ ممَّا اقتبست من علم وفنّ بل الأولى ان تخاف خوفاً اذا حصَّلت معرفةً من المعارف . وان خيِّل اليك ان تعلَّمت اشياء شتى عرفتها كُنه معرفتها فاعلم ان الامور التي تجهلها لا يحصى عددها . لا تستكبر بل الاجدر أن تُقرّ بجهالتك . فما بالك تترفع على غيرك وقد كثر من برعك علماً وبالشريعة خبرةً واذا اردت ان التعلّم والعلم يفيدانك فعليك ان تطيب نفساً بكونك خامل الذكر ونسياً منسياً

فترى انَّ لكل ترجمة من المزايا ما يرغب فيهِ قوم دون غيرهم فليختر كل ما يشاء والاختيار موكول لحسن الذوق ل٠ش

دعاة الضلال

بحث نقديّ اجتماعي عصري بقلم الخوري يوسف الصائغ البولسي

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ١٢٠)

هذا كتاب نودّ لو رأيناهُ في ايدي كلّ شبَّان العصر الذين يتباهون بالانتماء الى اولئك الزنادقة الضالّين والمضلّين اعني ڤولتير وجان جاك روسو وديدرو٠ فانَّ مؤلفهُ الفاضل جمع فيهِ من شواهد كبار الرجال من كاثوليك وبروتستانت ونكَرة الوحي وزعماء الكفر ما يسوّد وجه ذاك المثلّث الجهنمي الذي لم يعرف غير الفساد والخراب ونشر على الارض من الشرور والآفات ما اربى على كل طوفان عرمرم وكلّ وباء فتَّاك٠ وما من احد يمكنهُ ان ينسب حضرة الكاتب الى الاغراض وهو يدعم كل اقوالهِ بنصوص ينقلها عن اوثق المصادر واصدق المؤرخين والشهود العيانيين٠ وقد سُررنا خصوصاً بفصلهِ الثاني حيث وصف بضاعة دعاة الضلال وكشف جهلهم المطبّق٠ فهيَّا أيها الشبَّان المتفرنجون اشخصوا الى اجدادكم وافتخروا بهم او أقوئوهم الوداع الى ابد الدهر ل٠ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفهِ سليمان مصوبع المحامي

الكرَّاس الثاني طُبع في صيداء (ص ١٢١ —٣٤٠)

افدنا القرَّاء في عددنا الاخير عن صدور هذا القاموس الفريد في لغتنا٠ والشغل قائم على ساق فها قد اتانا منهُ الكرَّاس الثاني الذي لا يقلّ عن ٢٢٠ صفحة فيتناول المواد الداخلة في آخر حرف الالف ثم الحروف الثلاثة التابعة الى مـادَّة « الثمن » فنهنّئ جناب المؤلف على عملهِ ونحضّ كل محبي الحقوق على اقتناء معجمهِ ل٠ش

الضرران الاكبران المسكر والدخان

رسالة الدكتور كامل سليمان الخوري عيسى من حمص

بمطبعة حمص سنة ١٩١٢ (ص ٤٨)

يرى الطبيب بخبرتهِ اضرارًا لا يراها غيرهُ٠ فكأن جناب طبيبنا الحمصيّ

الدكتور كامل وجّه نظرهُ خصوصاً الى السكارى والمدخنين فرأى من تأثير الكحول والدخان في من يتعاطوهما ما حملهُ على تعريف مضارّهما والتحذير من آفاتها فتمنّى انّ المصابين بهذين الدائين يطالعون هذه الرسالة ويقتنعون بما يقدّم لهم الكاتب من البراهين على سوء عقبى هاتين العادتين ويتعالجون بما يصف لهم من الادوية للكفّ عنهما ل٠ش

امثال الشرق والغرب

جمعهُ يوسف توما البستاني

طُبع في مصر في المطبعة اليوسفيّة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٨)

امثال او بالحري حكم نطق بها اماثل النـاس في الشرق والغرب جمعها احد الادباء وقسمها اربعة وعشرين فصلًا على مقتضى المعاني مباشرةً بالعلم ثمَّ العمل ثمَّ الكسل ثم الصبر وهلمَّ جرًّا٠ وقد الحقها في آخرها ببعض امثال او حكم عموميَّة لاهل الصين ومرّاكش ولبعض الحكماء والفلاسفة وجدَّد طبع الرسالة الحاتميَّة في الامثال التي استعارها المتنبي من اقوال ارسطوطاليس وختمها بوصايا مفيدة عرّبها الدكتور ورتبـات في المقتطف او ابراهيم افندي رمزي في كتابهِ الذي عنوانهُ « أَيّاكِ »٠ وليست هذه الحكم في درجة واحدة من الصدق والذكاء بل كان بعضها يستدعي تنبيهاً من الجامع في ذيل الكتاب وعلى كل حال فالمجموع حسن لتفكهة الخواطر وتهذيب العقول ل٠ش

شذرات

آثار بابليَّة قديمة ❊ نشر العلّامة الانكليزي لنغدون (S. Langdon) في مجلّـة العاديّات (S. Bibl. Arch., XXXIII, p. 221) كتابةً من اقـدم الكتابات الاشوريَّة وهي رسالة للملك « ريم سين » ملك لارسة احد معاصري الملكين حمورَبي (٢١٣٠ — ٢٠٨٨ ق م) وسَمسوايلونا (٢٠٨٧ — ٢٠٥٠) مدارها على محاربة بابل في اواخر عهد حموربي — واثبت العلّامة ڤيذ نر

(E. Weidner) سندًا الى كتابة قديمة انَّ قدماء الكلدان كانوا يقيسون بالدرجات المسافة بين نجمين من النجوم الثوابت وان قياساتهم بلغت ضبطاً عجيباً (Or. Lit. XIV, p. 345) — وممَّا توفّق الى اكتشافهِ الاستاذ انغناد (A. Ungnad) اثر كتابي يثبت قتل الملك سنَّاحريب بمكيدة ولديهِ كما ورد في سفر الملوك الرابع (٤ مل ١٩ : ٣٦و٣٧) وبهِ تزول المشاكل التي كانت تريب العلماء في صحَّة هذا الخبر بل جاء الاكتشاف كشاهد جديد على حقيقة الاسفار المقدَّسة (S.S. Times, LIII, p. 395) — ويقرب من هذا ما اثبتهُ الاستاذ ديشس (S. Daiches) بخصوص ما ورد في سفر اشعيا النبي (٣ : ١٨ — ٢٣) عن حليّ نساء بني اسرائيل فهناك ذُكرت الخلاخل والاهداب والاهلَّة واجناس المصاغات فبيَّن الكاتب ان تلك الحلي كلها مذكورة في اناشيد الإلهة عشتار البابليَّة وفي قصة انحدارها الى الجحيم فاستنتج من ذلك اوَّلًا انَّ نساء العبرانيَّات كنَّ يتزيَّنَّ بحليّ نساء بابل في ذلك الزمان وثانياً انَّ وصف النبي اشعيا لتلك الحليّ شاهد باهر على قدم سفرهِ وصحَّتهِ

حديث خرافة نقلت جريدة جون ترك في عددها ١٩٨ (٣ شعبان ١٣٣٠) خبرًا غريباً نرويهِ تفكهةً للقرَّاء. قالت ما ملخَّصهُ: شاع انهُ وجد عند اليسوعيين لمَّا نُفوا من بلاد بيرو سنة ١٧٧٠ كنز من النقود والجواهر كانت تبلغ قيمتهُ ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة فهذا الكنز نقلتهُ الى اوربَّة سفن اسبانية خرج في مسيرها قرصان فسلبوهُ منها وانزلوهُ في جزائر كوكوس حيث جعلوهُ في مأمن واخفوهُ ثمَّ مات القرصان وبقي الكنز مدفوناً. فهذا الكنز الدفين قد اجتمع لتفتيش عنهُ قوم من الانكليز في مقدَّمتهم شقيقتان السيدة بارّي تيل (Mrs Barry-Till) ومس دافيس (Miss Davis) وقد نالوا من حكومة كوستا ريكا الرخصة في التفتيش على الخزينة. وعمَّا قليل سيخرج من بليموث مركب يُدعى مِلمور (Melmore) في وجهة تلك الجزائر لطلب الكنز — قلنا هذه من الاكاذيب العديدة التي تناقلها الرواة القصصيون عن « الجزويت » ونحن نتمنى ان يصحّ خبر الرحلة المذكورة لعلَّ بها تبطل احدى الاشاعات الخرافيَّة في الرهبانية اليسوعيَّة كما بطل غيرها كثير ممَّا روَّجهُ اعداء الدين وفنَّدهُ الف مرَّة العلماء المنصفون ولكن لا سماع لمن تنادي !

السيف القاطع لعنق الغرّ الخادع بل قُلْ سيف كهام جرَّدهُ من غمدهِ من لا يعرف من آداب الجدال شيئاً. وكفى الدليـل عليه انَّ صاحبهُ لم يجسر ان يُعلن باسمهِ. وايمُ الحقّ انهُ حسناً صنع اذ لا يُقدم على الدفاع عن الشيخ النبهاني الّا من يستر نفسهُ تحت قُترة. اما مـا دسّهُ الكاتب في تلك الوريقات من دعوى تحريف النصارى للكتب المقدَّسة فقد شممنا منهُ رائحة التلفيقات التنيريَّة التي عرفت نَتْنها من تفنيـدنا لكتابهِ المزوَّر الذي عنونهُ « العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة » فليُغِدْ سيفهُ الى غمدهِ فانَّهُ من مخاريف الصبيان ليس صمصامةً ذكرًا

تكذيب اشاعة روت مجلَّة الكلمة في العام الماضي (٧: ٣٠٨) خبرًا هذا مؤدَّاه قالت ان جنرالًا اسبانيًا كاثوليكيًا اسمـهُ « فيكنديوس غارسيا ريوي بيريس » رفض جميع ضلالات كنيستهِ اللاتينيَّة واعترف بجميع عقائد وتعاليم كنيسة المسيح القويمة الراي الارثوذكسيَّة » وذلك في مدينـة بياريتسا في ٦ — ١٩ نيسان من السنة ١٩١١ على يد الاب نيقولاوس بابوف. واتّسعت الكلمة في وصف الجنرال وتعريف علمهِ وفضلـهِ واسباب ارتدادهِ الحالية من كلّ غرض. فلمَّا قرأنا هذه الاسطر ارتبنا في صحَّة الخبر وسألنا الاب « ماير » احد الاساتذة الاسبانيين في كليتنا عمَّا يعرفهُ من امر الجنرال. فاجابنـا انَّهُ لم يسمع قطّ باسمهِ وكتب للحال الى احد آباء مدرستنا الكبرى في مدريد فاجابهُ بعد مراجعـة التقويم العسكري انَّهُ لا يُعرف جنرال بهذا الاسم في بياريتسا ولا في غيرها وانَّ خبر هذا الارتداد كذب محض. فلم نكتفِ بهذا الجواب بل طلبنا من الشاب الاديب أكليمنضوس تَرْدَيْرى في قنصلاتو دولة اسبانيـا ان يكتب الى المراجع الرسميَّة ليتبين صدق الرواية فاتاه كتابان رسميَّان يؤيدان رسالة استـاذ مدريد. فعلمنا بذلك انَّ هذا الخبر كاذب رواهُ السيد هواويني كما روى الخبر الذي زيَّفناهُ في عددنا السابق عن مدارس اليسوعيين في جزائر اليونان. ولا نشكّ انّ مـا رواه ايضاً السيد الموما اليهِ (في الصفحة ٤٠٩ من السنة عينها) عن ارتداد اربع راهبـات كاثوليكيات الى الارثذكسيَّة » في نيويرك خارج من المعمل عينهِ اي انهُ اختراع واشاعة كاذبة. فتأمَّل !

اسئلة واجوبة

س كتب لنا احد الكهنة مستفيدًا: جاء في الفصل ٣٦ من سفر اخبار الايَّام الثاني (عدد ١) انَّ يوآحاز بن يوشيَّا أُقيم ملكاً بعد ابيهِ. وفي العدد ١٠ منهُ انَّ ملك بابل جعل صدقيا ملكاً بدلًا من يوياكين. امَّا سفر ارميا (٢٢ :١١) فيجعل ملكاً على جوذا بعد يوشيَّا شلُّوم لا يواحاز. وسفر الملوك الرابع (٢٤ :١٧) يروي ان خلف يوياكين هو متَّنيا. فكيف التطبيق بين هذه الآيات

مشكلان كتابيان

ج الجواب على هذين المشكلين انَّ الملك الواحد عُرف باسمين مختلفين كما جرت العادة في عدَّة بلاد ان يدعى الرجل باسمٍ جديد عند جلوسهِ على عرش الملك. فابن يوشيَّا المالك بعد ابيه المدعو يواحاز في سفر اخبار الأيَّام هو هو المدعو شلُّوم في سفر ارميا والامر بديهيّ وان لم ينبه عليهِ الكتاب الكريم. وانَّما صرَّح بالامر في المشكل الثاني حيث قال كاتب سفر الملوك الرابع (عدد ١٧) «واقام ملك بابل متَّنيا عمَّ يوياكين ملكاً مكانهُ وغيَّر اسمهُ صدقيًا». ومثلهما الياقيم اخو يواحاز (المدعو شلُّوم) فان ملك مصر دعاهُ يوياقيم وبهذا الاسم عُرف في التاريخ. وكذلك ابن الياقيم (المدعو يوياقيم) تسمَّى باسم ابيهِ يوياقيم بعد ان عُرف باسم يكنيا (٢ اخبار ٣٦: ٨ — ٩ و١ اخبار ٣: ١٦) الاب ي. د

س اعترض احد الكهنة على جوابنا في العدد السابق حيث قلنا انَّ صورة المصلوب التي تُقام الذبيحة امامها يجب ان تكون من مادَّة صلبة كالمعدن والخشب. فقال المعترض ان المجمع المقدَّس والقديس ليغوري اوجبا ما نفيناهُ

صورة المصلوب على الهيكل

ج ليس كلامنا عمَّا يجوز ان يُعرض في حنيَّة الكنيسة فوق الهيكل من صليب منقوش او منحوت لكن على ما يُنصب على المذبح فوق القربان الاقدس فيجب ان يكون صليباً من معدن او مادَّة صلبة. ويُستغنى عن صليب المذبح اذا وجد ذاك الصليب مصوَّرًا او منحوتاً في صدر الكنيسة او على الجدار فوق المذبح ل. ش

المشرق

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنبيز اليسوعي

كان العالم النصراني بعد تقرير الاتّحاد بين الشرقيين واللاتين في فلورنسة سنة ١٤٣٩ استبشر بعصر ذهبي جديد يأتلف فيه الشرق والغرب معاً لصون حوزة النصرانية من المخاطر التي كانت تتهدَّدها ولرفع شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة. كيف لا وكان آباء الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بعد الجلسات المتناوبة والابحاث المدقَّقة ومراجعة اعمال الآباء والتقاليد القديمة الراقية حتى مهد النصرانية اتَّفقوا على صكّ نهائي قرَّروا فيهِ كل عقائد الكنيسة اللاتينيَّة وامضوهُ بجمتهم. وكان البطريرك القسطنطيني يوسف الثاني قبل صدور ذلك الصكّ بستَّة وعشرين يوماً توفي لكنّهُ اعلن برقيم كتبهُ بخطّ يدهِ قبل موتهِ ببضع ساعات أنَّهُ « خاضع لكل ما تعلّمهُ كنيسة يسوع المسيح الرسولية التي هي كنيسة رومية القديمة ». وجاهر خلفهُ مطروفانس بقبولهِ لكل تعاليم المجمع موقّعاً على الصكّ كرئيس اساقفة كيزيك ثم بعد رجوعهِ الى القسطنطينيَّة كبطريرك. وقبل تعاليمَ المجمع بطريرك الاسكندريَّة فيلوثاوس برسالة انفذها الى البابا اوجانيوس الرابع فضلًا عن توقيع نائبهِ مطران هيرقلية وتوقيع دوسيتاوس نائب بطريرك اورشليم. وقبل المجمع ايضاً البطاركة الانطاكيون دوسيتاوس (وان ارتدّ بعد ذلك لاغراض) وخلفاهُ البطريرك ميخائيل الثالث مع اساقفة الكرسي الانطاكي وثاودورس الخامس وكلهم من بطاركة القرن

الخامس عشر. وكذلك وردت من بطاركة الاقباط والارمن واليعاقبة رسائل خضوع للمجمع (١

فكل هذه التوقيعات وغيرها كثير كتوقيع ايزيدورس الروسي رئيس اساقفة كياف وداميانوس رئيس اساقفة الفلاخ والبغدان وموسى كبير رؤساء جبل اثوس كانت في اعين العقلاء كفاتحة عصر سلام ووفاق لولا انَّ شيطان الخلاف توجس خوفاً على ملكهِ فسوَّل لبعض ذوي الغايات والاغراض ان يدمّروا ما بناه المجمع ويدكّوا اركانهُ فصار ما صار من تضعضع امور مملكة الروم وسقوط القسطنطينيَّة في ايدي الاتراك وأُصيبت بذلك الكثلكة في الشرق بجرحٍ أليم كاد يكون القاضي عليها بين الطوائف النصرانيَّة الَّا الشعب الماروني الذي انتصر للحقّ وبقي ثابتاً على اعتصامهِ بحبل الكنيسة الرومانية فاستقى من ينابيعها المحيية ما انعشهُ وزانهُ بجلباب الفخر

١ ابتداء الرسالات الفرنسوية في حلب

بقي الشرق المسيحيّ نحو قرنين متسكعاً بظلام الخمول والجهل يئنّ تحت نير عبوديتهِ كجريح اريحا لا يشفق احد على آلامهِ حتى مرَّ بهِ ذاك السامري المرموز بهِ الى السيد المسيح وخلفائهِ الاحبار الرومانيين فرقّوا لحالهِ وفكّروا في علاجهِ.. فأخذ الباباوت ينفذون الى رؤساء الكنائس الشرقيَّة وفوداً وسفراء يسعون لديهم في اثبات العقائد الكاثوليكيَّة ويعرضون عليهم الاتحاد مع الكرسي الرسوليّ منهم رهبان ومنهم اساقفة وقصَّاد رسوليُّون كفرا غريفون وفرا سوريانو وغيرهما من السلالة الفرنسيسيَّة والابوين يوحنَّا اليانو ودنديني اليسوعيين والسيّد ليونرد دي ابيلا اسقف صيداء شرفاً غير انَّ هذه السفارات كانت موقّتة فلم تأت بخير ثابت. نعم انَّ الرهبان الفرنسيسيين كانوا في الشرق منذ عهد قديم الَّا انَّ همّهم الكبير كان حفظ الاراضي المقدَّسة والدفاع عنها بما لديهم من الوسائل حتى اهراق دمائهم

على انَّ الله بعنايتهِ الصمدانيَّة أَلهم رؤساء الكنيسة بان ينفخوا في تلك الكنائس البائسة روحاً جديدة تعيدها الى رونقها المفقود منذ انفصالها عن الدوحة

١) فليراجع كتاب «كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم» واعمال المجامع لمانسي ج ٣٩

البطرسيَّة ومركز الوحدة الكاثوليكيَّة فلم يروا وسيلةً اقرب لبلوغ غايتهم من انشاء ارساليات ثابتة تسكن في انحاء الشرق وتمتزج امتزاج الماء بالراح مع اهله فتبعثهم من سِنتهم

وكانت وقتئذٍ فرنسة ماشية في مقدَّمة الشعوب الكاثوليكيَّة تسعى جهدها بنشر نفوذها وتجارتها ودينها في اقاصي البلاد ولا سيما في الممالك العثمانيَّة لما كان بينها وبين سلاطين آل عثمان من المعاهدات الوثيقة والمعاملات الوديَّة. وكان ملوكها عيَّنوا لهم سفراء في الاستانة وقناصل في الاساكل كالاسكندريَّة وصيداء وفي بعض المدن الداخليَّة كحلب ودمشق فرأى الحبر الاعظم اوربانوس الثامن انَّهُ لا يستطيع ان يخدم الكنيسة الكاثوليكية في الشرق خدمةً اعظم من ان يرسل الى انحاء الدولة العليَّة مرسلين فرنسويين. واتفق على الامر مع مجمع انتشار الايمان ومع ملك فرنسة لويس الثالث عشر ورؤساء ثلث رهبانيات عامين اي اليسوعيين والكرمليين والكبوشيين فصدرت اوامر الكرسي الرسوليّ المؤذنة بذلك في اوائل سنة ١٦٢٥ وكتب ملك فرنسا الى سفيره الكنت دي سيزي (de Cézy) في الاستانة في تاريخ ١٤ شباط بان يعضد المرسلين ما امكنهُ في مهمَّتهم لدى الكنائس الشرقيَّة واوصاه خاصَّة باليسوعيين

كان اول من ندبهُ الرؤساء الى هذه الرسالة الابوان غسپار مانيليه (G. Magnilier) وجان ستيلًا (J. Stella) وكلاهما يسوعيّ من اقليم ليون ابحرا من مرسيلية في ٢٢ حزيران سنة ١٣٢٥ وبلغا الاسكندرونة في ١٨ تموز ثم دخلا حلب في ٣ آب من السنة

وكانت حلب في ذاك العهد احدى امَّهات مدن تركيا تكاد تكون الرابعة او الخامسة من حواضرها وكان عدد سكَّانها ينيف على ٢٠٠,٠٠٠ يُحسب النصارى الربعَ منهم والباقون مسلمون ويهود ويزيديون وهي تُعدّ كسوق الشرق ومحطّ رحال القوافل التي كانت تمرُّ فيها ذهاباً واياباً بين الشام والعراق وارمينية وما بين النهرين فعرفت الدول ما يبنى على امتلاكها من الامال فتناوبت عليها منذ عهد البابليين الذين كانوا يسمونها حلبون ثم المصريين ودعوها خلبو ثمَّ رمَّمها سلوقوس نيكانور (٣١١–٢٨٨) فدعاها بيرية (Βέροια و Βερόη) ثمَّ صارت من بعد

الرومان الى البوزنطيين ثمَّ الى العرب اشتهر بينهم بنو حمدان ثمَّ بنو مرداس ثمَّ السلجوقيون والأيوبيُّون وتولاَّها المغول ثم مماليك مصر حتى فتحها السلطان سليم بعد واقعة عين دابق سنة ١٥١٦

ولمَّا احتلَّها اليسوعيَّان كانت امورها عادت الى الانتظام بعد الحروب المتوالية فراجت تجارتها واقبل اليها كل طلاَّب الثروة وكان تجار الاوروبيين قصدوها ايضاً لترويج مرافق بلادهم واستبدالها بمحصولات الشرق الواردة الى حلب. كان سبقهم الى ذلك البنادقة ثم تبعهم الهولنديّون ثمَّ الانكليز. امَّا الفرنسويّون فـاتوا في اثر الجميع في اواخر القرن السادس عشر. وكان لاولئك الاجانب قناصل مفوَّضون من قبل دولهم لتدبير امور الرعايا وللمفاوضات الرسميَّة مع عمَّال الحكومة العثمانيَّة وكان الكاثوليك من اولئك الفرنج قد استقدموا بعض المرسلين الفرنسيسكان نحو سنة ١٥٦٠ فقلَّدوهم تدبير امورهم الروحيَّة

امَّا النصارى الشرقيون فكان معظمهم عددًا الروم يبلغون عشرة آلاف ثمَّ الارمن الغريغوريون نحو ٩٠٠٠ ثمَّ السريان اليعاقبة ٦٠٠٠ واقلّ منهم الموارنة ثمَّ الكلدان. وكان للروم والارمن والسريان اساقفة يُعنون بامورهم. امَّا الموارنة فاوَّل اساقفتهم في حلب تعيَّن بعد ذلك باثنتي عشرة سنة. وامَّا الكلدان فكانوا من تبعة نسطور. ولم يكن بين نصارى حلب من الكاثوليك سوى بضع مئات من الموارنة كان يُعني بامـورهم كهنة قليلون ولهم كنيسة صغيرة في الجديدة على اسم النبيّ الياس. وكانت بقيَّة الطوائف منفصلةً الَّا افراد منهم اخذوا يقتربون من الكنيسة الرومانيَّة بمساعي الرهبان الفرنسيسيين اخصّهم مطران الروم ملاتيوس كرمه الحموي فهذا سُقف على حلب نحو السنة ١٦١٠ وكان رجلا عالمًا تقيًّا محبًّا للالفة والاتحاد مع الكرسي الرسولي وفي سنة ١٦٢٤ طلب بوسـاطة المرسلين ان يُطبع في رومية الكتاب المقدَّس فلبَّى المجمع المقدّس الى طلبتهِ وبُوشر بالامر الذي لم يتم الَّا بعد ٥٠ سنة بمساعي تلامذة رومية الموارنة

فلما وصل اليسوعيَّان الى حلب وعرف ذوو الغايات نيَّتهما بان يستوطنا المدينة ليخدما النصارى فيها اجتمعوا وتآمروا عليهما فسُدّت في وجههما كلّ الابواب حتى لم يجدا مذبحاً يقدمـان عليهِ الذبيحة الطاهرة الَّا عند الموارنة وكان من جملة الذين

عارضوهما قنصلا البندقية والانكليز وبعض تجـار الفرنج واعيان الروم فسعوا بهما لدى حاكم المدينة قوه قاش محمّد باشـا (١٦١٧—١٦٣٠) وخدعوهُ بقولهم انَّ اليسوعيَّين قدما الى الشهباء كجواسيس اسبانية ليبوحا الى الاسبانيين باسرار الدولة. فتنمّر الحـاكم غيظاً على المرسلين واوقفهما ثمَّ تهدَّدهما بالقتل ان لم يخرجا من حلب في ظرف ثلثة ايام. وكان من واجبات القنصل الفرنسوي في حلب واسمهُ وقتئذٍ دوليڤيه (Pierre d'Olivier) ان يدافع عن المرسلين الفرنسويين فكأنَّهُ خاف معاداة رصيفَيهِ البندقيّ والانكليزي وخشي بغض اعـداء اليسوعيين فاهملهما وشأنهما كما ورد في رسالة لاحد تجّار الفرنسويين يدعى فيليب كون (Philippe Caune) نشرها حضرة الاب رباط في كتابهِ الاثار الخطيَّة لتاريخ الشرق المسيحيّ (١). فاضطرَّ المرسلان الى الخروج من حلب وعادا الى الاسكندرونة مخفورين وبقيـا هناك محبوسَين مكبَّلين بالحديد الى ان اقلع مركب انكليزي الى اوربَّة فأُنزلا فيهِ قهرًا وركبا البحر الى فرنسة. غير انَّهُ حدث نوء شديد لم يستطع النوتيُّون النجاة منهُ الَّا بان عدلوا في سيرهم الى مالطـة وكان الاب مانيليه في اثناء ذلك بُلي بمرض عضال فرَّق لحالهِ رئيس المركب وانزلهُ مع رفيقهِ في الجزيرة وواصـل سيرهُ بعد ايَّام الى فرنسة دونهما

فكان ذلك بعناية خاصَّة من الله لخير بلاد الشرق فانَّ الاب مانيليه شفي بعد زمن قليل واذ وجد مركباً آخر متوجّهاً الى الاستانة ابحر الى دار السلطنة مع الاب ستيلًا ليواجها هناك السفير الفرنسوي الكنت دي سيزي وينـالا بواسطتهِ رقيماً شاهانيًّا مرخّصاً لهما بالسكنى في الشهباء. وكان وصولهما الى الاستانـة في اواخر السنة ١٦٢٥

فرحّب بهما السفير وسعى طاقة جهدهِ في ازالة العقبات التي تحول دون رغبتهما ثم طلب من الوزير كرجي محمد باشا بان ينال من الباب العالي فرماناً للمرسلين. لكنَّ الوزير ابى الامر قطعيًّا وبقي اليسوعيَّان كذلك الى اواسط تموز حيث شغب العسكر

---

١) هذا اسم كتابهِ (Rabbath: *Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient*, I, p. 375-379) قد ظهر منهُ المجلد الاوَّل وجزءان من المجلد الثاني. وعنهُ اخذنا عدَّة معلومات في هذه المقالة

على الوزير وطلب الينكشريَّة من السلطان مُراد الرابع رأس كرجي باشا فلم يرَ السلطان بدًّا من اجابة طلبتهم فقطع رأس الوزير وقلّد الوزارة بدلًا منهُ صهرهُ رجب باشا . فهذا كان لين الجانب محبًّا للسفير الفرنسوي فمنحهُ طلبهُ وسلمهُ فرمانًا تاريخهُ ١٨ تشرين الاوَّل سنة ١٦٢٦ مضمونهُ الرخصة لليسوعيَّين بان يستوطنا حلب لخدمة الطوائف النصرانيَّة . فلمَّا بلغ الخبر مسامع الاب الاقدس سرَّ لهذا النبأ ايَّ سرور وارسل يشكر السفير الفرنسوي في الاستانة على همتهِ

امَّا اليسوعيَّان فتأهبا من وقتهما للرجوع الى حلب وكتب في اثناء ذلك الملك لويس الثالث عشر الى قنصلهِ فيها ليبذل وسعهُ في مساعدة المرسلين في كل حاجاتهما . فتمَّ رجوعهما في اوائل سنة ١٦٢٧

وكان حدث في مدَّة سفر اليسوعيين بعض التغيير في احوال المرسلين الفرنسويين فانَّ الحبر الاعظم اجابةً الى التماس ملك فرنسة كان منح للكبوشيين الفرنسويين وللكرمليين الفرنسويين ان يفتحوا لهم رسالات في انحاء الشام . ففكروا ان يذهبوا الى حلب كما فعل اليسوعيون مؤملين فيها خيرًا لكثرة اهلها النصارى فضلًا عن الفرنج المتاجرين هناك

وسبق الكبوشيون الذين ارسلهم رئيسهم الشهير في فرنسة الاب جوزف الباريسي (Joseph de Paris) احد كبار رجال عصرهِ ومرشد الملك . واوَّل من دخل حلب منهم الاب پاسيفيك (Pacifique de Provins) سنة ١٦٢٦ . وفي السنة التالية (١٦٢٧) اتى الكرمليون تحت قيادة الاب پروسپار (Prosper - du St. Esprit) . وبهم حظي الحلبيون بثلث رهبانيَّات جديدة كان الله اختارها لحصاد زرع ربّ البيت

على ان الكبوشيين ورهبان الكرمل لقوا كلهم عدَّة مشاكل وعوائق كادت تحول دونهم والسكنى في حلب كما جرى لليسوعيين قبلهم . وقد اخبر الاب پروسپار الكرملي (١ انَّ آباء رهبانيتهم عاكسهم الترك وبعض الفرنج في اتمام مهمَّتهم لكنهم ربحوا الاوَّلين بحسن سلوكهم وكبحوا جماح الآخرين بقوَّة رسائل الملك

١) اطلب رحلة الشرق للاب فيليب الكرملي P. Philippe de la Ste Trinité : *Voyage d'Orient*, 1648, p. 468)

لويس. وكذلك الكبوشيون فان البنادقة ارادوا ان يمنعوهم عن استيطان حلب بل طمع فيهم القنصل دوليقيه رغماً عن اوامر الملك (١ لكن رئيسهم الاب پاسيفيك انتصر على كل المعادين

امَّا اليسوعيَّان الاب مانيليه والاب ستيلّا فأستأنف اعداؤهما عليهما الحملة اذ رأوهما عادا الى حلب. فقام ثانيةً قنصلا البنادقة والانكليز مع قنصل هولندة وهيجوا عليهما ارباب الدولة باغراء ذلك العدوّ الالد الذي كان سعى اوَّلًا بطردهما. وكادوا ايضاً يفوزون بالمرام كالمرَّة الاولى رغماً عن الفرمان الشاهاني الذي بايديهما لولا انهُ حضر في غضون ذلك الى حلب المشير خليل باشا سائرًا مع جيشهِ لمحاربة العجم في بغداد فهذا كان عرف اليسوعيين في الاستانة وصادق على الفرمان الممنوح لهما فلمَّا علم بما يكمن لهما اعداؤهما من المكايد استحضرهم امامهُ وقال لهم جهارًا: «انكم كلكم قوم كذبة خوَنة فاني اعرف هذين الراهبين وقد رأيتهما في عاصمة الدولة بل اني وقَّعت على الفرمان الذي اعطي لهما فان كان احدكم يتعرَّض لهما زجّيتهُ في الحبس وكبلتهُ بالقيود». ثم التفت الى الراهبين وقال: «امَّا انتما فلا بأس عليكما فاني ابسط عليكما كنف حمايتي»

فخزي اعداء المرسلين خجلًا وأُصيب بعد ايَّام اكبرهم عداوة بداء عُضال فمات ولم يحضر احد جنازتهُ. امَّا المرسلان فخرجا مطمئنين واتخذا لهما مسكناً في الخان الكبير الذي كان نزل فيهِ قبلهما الكبوشيون والكرمليون

٢ اعمال المرسلين الفرنسويين من السنة ١٦٢٧ الى ١٦٥٠

ابتدأ المرسلون الفرنسويون بفلاحة كرم الربّ بما عُهدوا عليهِ من النشاط والغيرة لكنهم في اوَّل امرهم لم يمكنهم الاختلاط بالاهلين فقصروا عملهم الى ابناء جلدتهم من الفرنج بالوعظ وتوزيع الاسرار وتهذيب الاحداث واخذوا يدرسون اللغة العربيَّة على بعض الاساتذة الوطنيين ليستطيعوا بمعرفتها ان يخالطوا النصارى الشرقيين فيخدمونهم في الروحيَّات ويوسّعون نطاق اعمالهم الرسوليَّة فبارك الله مساعيهم حتى تمكَّنوا بعد زمن قليل من مباشرة خدمهم الروحيَّة بلغة الوطنيين. وسترى انهم لم

١) اطلب الآثار الخطيَّة للاب رباط (Rabbath: *Documents*, I, 368,)

يكتفوا بالتبشير والتعليم لكنهم سعوا بالكتابة ايضاً ونشر الكتب الدينيَّة امَّا تعريباً وامَّا تأليفاً

وقد لقي المرسلون الاوَّلون في بدء رسالتهم في حلب محناً عديدة ذكروها في كتاباتهم . فمن ذلك انَّ اعداءهم كانوا يمنعون عنهم الحسنات لمعاشهم ليجبروهم على مبارحة البلد . فلم يرَ الاب مانيليه بُدًّا من ان يرسل رفيقهُ الاب ستيلًا الى فرنسة ليأتيهما ببعض الصدقات ليسدًّا بها عوزهما . فبقي هو وحدهُ في حالة يُرثى لها وكان مع ذلك لا يكفّ عن خدمة النفوس وتهذيب الناشئة . غير انَّ قواه كانت تخور يوماً بعد يوم فبلغ خبرهُ مسامع الاب جيروم كويرو (Jerôme Quéyrot) وهو يومئذٍ في ازمير فانتقل الى حلب سنة ١٦٢٩ وجعل يساعد الاب مانيليه في اشغالهِ العديدة فكان لهُ اكبر مُعين وافضل تعزية

وقد قاسى الكبوشيون مثل هذه البلايا حتى انَّ رئيسهم الاب باسيفيك احتجّ على ظالميهِ فنجا من شرّهم وسافر بعد حين الى اصفهان حيث انشأ رسالة جديدة لرهبانهِ فقام عوضهُ باعمال الرسالة في حلب الاب بوناونتورا دي لود (Bonaventure-de Lude) . وكذلك الاب پروسپر الكرملي خرج من حلب الى العجم لمثل هذه الغاية ثم رجع الى الشهباء بعد بضع سنوات

وبينما كان المرسلون في ضنك عيشهم ينتظرون من الله فرجاً لضيقهم اذ فشا في حلب داء الطاعون وانتشر ايّ انتشار حتى بلغ عدد المطعونين عدَّة آلاف في ايَّام قليلة . فرأى المرسلون من اقدس واجباتهم ان يخدموا البائسين ويلطِّفوا اوجاعهم ويعدُّوهم لآخرتهم لا يكترثون لاشقّ الاتعاب واعظم الاخطار . فكان مثلهم يعمل في قلوب الجميع حتى انطلقت الالسن دون استثناء في مديح تفانيهم واقرّ اعداؤهم بسوء معاملتهم لاهل الفضل والبرّ بل صاروا يعتبرونهم كرجال الله ويتبرَّعون عليهم بمالهم للمشاريع الخيريَّة . وبلغ اليسوعيين انَّ رفيقهما الاب جان ستيلًا مات بذلك الطاعون عينهِ في مدينة اڤينيون وهو يخدم المطعونين فجازاه الله بموت شهداء المحبة

ولمَّا سكنت العدوى وهدأ روع السكان عاد اليسوعيَّان الى اعمالهما الرسوليَّة بغيرة اعظم من ذي قبل وكان الاب كويرو رجلًا عميم الفضل واسع العلم كبير الهمَّة فعرض نفسهُ على مطران الروم السيد ملاطيوس كرمه ليعلم ابناء طائفتهِ اللغات

الافرنسيَّة والايطاليَّة والروميَّة فسرَّ المطران بذلك ودعا احداث طائفتهِ الى مدرسة الاب المذكور في حي الجديدة فما لبثوا ان اجابوا الى دعوتهِ وكثر عددهم وزاد اقبالهم على الدروس وشاع اسم الاب كويرو بين اهل حلب بل علم بامرهِ بطريرك الفنار فارسل الى مطران حلب يحذرهُ من اليسوعيين فلم يبالِ السيد كرمه لقولهِ فبقي الاب مداوماً على عملهِ بكل نشاط (١

واذ رأى المرسلون انَّ احوالهم تحسَّنت نوعاً وانَّ الاهلين اخذوا يقصدونهم بملء الثقة عزَّزوا رسالتهم بمرسلين جدد اتوها من اوربَّة حتى بلغ سنة ١٦٣١ عدد الكبوشيين الفرنسويين ستة منهم خمسة كهنة واصبح عدد الكرمليين اربعة ثلاثة منهم كهنة. وبقي اليسوعيَّان وحدهما دون مساعد يخدمها في امور الدير المادّيَّة

وكان كل هؤلاء المرسلين يسكنون في خان الفرنج لكلّ رهبنة منهم غرفتان او ثلاث غرف وذلك خوفاً من اوباش المسلمين وعمَّال الحكومة الذين ما كانوا ليدَعوا فرصةً الَّا يسومون المرسلين خسفاً ويضربونهم ويفرضون عليهم الجمالات والضرائب ولو نقلنا هنا بالتفصيل ما يروونهُ في رسائلهم من ضروب المظالم الفظيعة في حقهم وحقّ نصارى حلب لما صدَّقها القرَّاء. وكانت تلك الغرف التي يأوون اليها ضيقة لا يأتيها النور في الغالب الَّا من سقوفها فكان المرسلون يقاسون من ذلك الامرَّين. امَّا خدمهم الدينيَّة كالقدَّاس والارشادات فما كان يجوز لهم ان يقيموها الَّا في المعبد القنصلي فيجدون في ذلك ايضاً ضيقة وعسفاً

وبقي المرسلون على ذلك عدَّة سنين حتى رأى اكثرهم انَّ الحالة لا تُطاق فاستأجروا لهم بيوتاً في احياء النصارى ليس بعيدًا من خان الفرنج واتخذوا لهم هياكل نقَّالة كانوا ينصبونها صباح كل يوم لاقامة الذبيحة الطاهرة ثم يوارونها في النهار وكان عمَّال الدولة اذا بلغهم عن المرسلين انهم نصبوا في تلك البيوت هيكلًا كبسوا المحلّ وغرَّموا الرهبان اموالًا طائلة حتى اضطرُّوهم الى ان يعودوا الى سكنى الخان غير مرَّةٍ

وممَّا اخبر الاب بسون في تاريخهِ انَّ روساء اليسوعيين ارسلوا الى حلب اخاً مساعدًا اسمهُ فلوري بشان (Fleury Bechesne) نحو السنة ١٦٣٣ فوكل اليهِ

---

(١) اطلب تاريخ الاب بسُّون (Besson : *Syrie Sainte*, 24)

الاب مانيليه ان ينقش غرفةً صغيرة في بيت كانوا استأجروهُ وينصب فيها صورة تقويّة ليصلُّوا امامها فوشى بهم احد المبغضين الى الحكومة فارسلت شرطاً اوقفوا الاب كويرو والاخ المهندس وزجّوهما في الحبس واثقلوهما بالحديد واوسعوهما ضرباً حتى أُصيب الاخ بمرض شديد وكان الاسيران يشكران الله كرسل المسيح ان أُعطي لهما ان يحتملا الآلام لاجل دينهم وبقيا كذلك اياماً حتى اخرجهما تاجر افرنسي اسمهُ كونتور من السجن بدفع مبلغ وافر عنهما

ومن عجيب ما جرى للمرسلين بعد ذلك انّ الله اعلن برارتهم في اعين الحكومة وكان قدم الى حلب حاكم جديد وهو مرتضى نوغاي باشا كان التاجر كونتور من اصحابهِ فتبيَّن فضل المرسلين وخباثة اعدائهم وكان القنصلان الانكليزي والهولندي قد تحقَّقا ايضاً حسن اعمالهم فشهدا لهم عند الحاكم فامر هذا بان يُعامل المرسلون بكل اكرام وحفاوة. امّا الواشي الذي كان سعى بهم فمات بعد قليل اسوأ ميتة مسموماً بفعل احد اعدائهِ ولم يتأسف عليهِ غير المرسلين الذين كانوا صفحوا لهُ عن سوء فعلهِ بهم

فكانت كل النكبات التي حلَّت بالمرسلين كالريح الزعزع التي توصل في الارض جذور الشجرة فتزيدها قوّة ونموًّا. ومن ثم شرع المرسلون يتعاطون بنشاط جديد كل المشروعات الخيريَّة. وكان الاب كويرو يعظ في كنيستي الروم والموارنة بالعربيَّة واليونانيَّة الحديثة وفي المعبد القنصلي بالفرنسويّة والايطاليَّة وكان الاب مانيليه يعود المرضى ويزور المسجونين في رفقة الاخ بيشان الذي كان يدعوهُ الحلبيون رجل الله ويطرنون فضائلهُ ويستمدُّون بركتهُ وقد خدمهم خدمة نصوحاً بكل نزاهة وتفانٍ ومات بعد ذلك في خدمة المطعونين سنة ١٦٥٢

ورجع الاب كويرو الى تدريس الاحداث لكنَّ بعض الحسَّاد من الروم انكروا على مطرانهم الرخصة المعطاة للمرسل لتعليم اولادهم زاعمين بانَّهُ يجعلهم فرنجاً مثلهُ. فصعب الامر على السيد الاسقف وحامى عن الاب المرسل واطنب في مديح فضائلهِ لكنَّ الراهب لم يشأ ان يكون سبباً للخصام بين الراعي ورعيَّتهِ فطلب من المطران ملاطيوس ان يقيلهُ من وظيفتهِ التي كان بذل نفسهُ للقيام بها

واذ حصل لهُ بذلك وقت من الفراغ اخذ بتصنيف معجم واسع جمع فيهِ

مفردات ست لغـات اي العربيَّة والفرنسويَّة والطليانية والروميَّة القديمة والحديثة والتركية فدعاه كنز اللغات واضـاف اليه كل ما يحتاج اليهِ الاجنبيّ لمعاملاته مع الاهلين فكان اوَّل كتاب أَلَّفهُ مرسل من هذا الصنف ولم يزل مخطوطاً

وفي تلك المدَّة اطلق المرسلون العنـان الى غيرتهم لانارة الاخوة المنفصلين وردّهم الى الحظيرة البطرسيَّة. ولعلَّ اوَّل من ارتـدَّ منهم النساطرة وكان لهم في حلب كاهن يخدمهم يدعى شمعون وقـد اخبر الاب كوارزميوس الفرنسيسي المعتمد الرسولي في كتابهِ «كشف الاراضي المقدّسة» انهُ توفق في حلب سنة ١٦٢٧ الى ردّ الكاهن المذكور الى حجر الكنيسة فقرّر صورة ايمانهِ عن نفسهِ وعن طائفتهِ (راجع المشرق ٦:٦٥٨) ولعلَّ هذا الكاهن خضع للبطريرك الكلداني ايليَّا السادس (١٥٩١ — ١٦٢٧) الذي كان متحداً مع الكرسي الرسولي (المشرق ٣:٨٢٦) على انَّ هؤلاء النساطرة الحلبيين لم ينبذوا كلهم اضاليلهم. وقـد افاد الاب بسون (Syrie Sainte, 46) عن حالتهم وشتات كلمتهم في زمـانهِ اعني في اواسط القرن السابع عشر وما كان يبذلهُ اليسوعيون من المجهود في خدمتهم

وقد رأيت اعتبار السيد ملاطيوس كرمه الحموي للاب كويرو الذي اثار كثيرين من الروم في حلب بمواعظهِ وتآليفهِ. وفي سنة ١٦٣٥ وقع اختيار اساقفة طائفتهِ عليهِ لكرسي دمشق البطريركي فدُعي افتيميوس والحَّ على الاب كويرو ان يرافقهُ الى الفيحاء فرضي اليسوعي وخدم الكنيسة اليونانيَّة هناك نحو ٢٠ سنة بغيرة لم تعرف السأم وفتح لاحداث الروم بدمشق مدرسة ازهرت بعد وقت قريب كمدرسة حلب واتت باثمار شهيَّة. وقد اخبر الاب جان اميو اليسوعي في احدى رسالاتهِ (١ ان البطريرك افتيميوس الحموي مات بين يدي الاب كويرو ميتة الابرار متحداً مع رومية الاتّحاد التامّ. وجاس بعـدهُ على الكرسي الانطاكي افتيميوس الساقزلي ودعي افتيشيوس وكان كسلفـهِ محبًّا لليسوعيين الذين كان اختبر فضلهم في حلب وكانوا شفوهُ من مرض المَّ بهِ

وخلف السيدَ كرمه على كرسي حلب سميُّهُ ملاطيوس الزَّعيمي ودبَّر كرسي حلب من ١٦٣٦ الى ١٦٤٨ وكان ايضاً مماثلاً للّاتين لا يمنعهم عن ارشاد ابناء طائفتهِ

١) اطلب الآثار الخطيَّة للاب ا. ربَّاط (ج ١ ص ٤٠١ — ٤٠٢)

في المعتقدات الكاثوليكيَّة وهو الذي صار بعد ذلك بطريركاً انطاكيًّا واشتهر باسم مكاريوس وقد ذكر المشرق غير مرَّة تآليفهُ وخبر رحلتهِ الى القسطنطينيَّة وبلغارية وروسيَّة وترييفهُ للتعاليم البروتستانيَّة (المشرق ٥ :١٠٠٩ و٧ :٧٦٦ و١١ : ٥٤١) ونشر لهُ الاب انطون ربَّاط في كتابهِ الآثار الخطيَّة (ج ١ :٤٦٨) رسالتهُ الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر. ففي مدَّة اسقفيَّتهِ في حلب نما عدد الكاثوليك من الروم بمساعي الرهبان اللاتين وخصوصاً اليسوعيين. وكان خلف الابَ كويرو رجلان من اماثل الرهبان واعظمهم فضلاً وهما الاب حبيب شيزو (Aimé Chezaud) وجان اميو (Jean Amieu) فهذان اليسوعيَّان جريا على آثار الاب كويرو واشباه بكلّ اعمالهِ الرسوليَّة فاخذ عدد المنحازين الى الوحدة الكاثوليكيَّة يزداد يوماً بعد آخر بحيث يجوز القول انَّ حلب كانت المهد الاوَّل لطائفة الروم الكاثوليك

وكذلك يحقّ للسريان ان يعتبروا الشهباء كالمركز الاوَّل لطائفتهم الكاثوليكيَّة. وكان رجوعهم في ذلك الزمان عينهِ على يد المرسلين. جاء في سجل الآباء الكبوشيين في حلب انهم اهدوا الى الايمان في حلب بطريرك اليعاقبة شمعون الاوَّل فارسل على يدهم صورة ايمانهِ في ١٢ آذار سنة ١٦٤١ الى اوربانوس الثامن (١

وكان لليعاقبة مطران في حلب اسمهُ ديونيسيوس قسطنطين كان يرعى ابناء طائفتهِ منذ السنة ١٥٩٩ فبقي في تدبيرهم خمسين سنة وتوفي سنة ١٦٤٩ بعد ان اتاح لهُ الله ان يرتدّ الى الايمان الكاثوليكي وذلك على يدِ مرسل يسوعي يُدعى غليوم غوده (G. Godet) الذي قضى في حلب ست سنوات ومات برائحة القداسة بعد ان قدَّم نفسهُ كضحيَّة عن اثم احد كهنة الفرنج الذي جحد ايمانهُ فصار عثرةً في سبيل المؤمنين (٢ وجاء في ترجمة حياتهِ انَّ الله كان منحهُ ان لا يمرّ عليهِ اسبوع واحد دون ان يردّ للكنيسة الكاثوليكيَّة ثلاثة من الضالّين على الاقلّ

وفي هذا الوقت كان ارتداد « اخيجان بن عبد الغال مرتّي » الى الكثلكة وهو الذي عُرف بعد ذلك باسم اندراوس وكان اوَّل بطريرك كاثوليكي لطائفتهِ.

---

١) راجع السلاسل التاريخيَّة للفيكنت فيليب دي طرَّازي (ص ١٧٦) وكتاب عناية الرحمان في هداية السريان للسيد ديونيسيوس افرام نقّاشه (ص ٣٥)

٢) اطلب الآثار الخطيَّة (ص ٣٩٨ — ٤٠٠ و٤١٧ — ٤٢١)

امَّا رجوعهُ فكان على يد الاب جان اميو اليسوعي كما ورد ذلك في تاريخ الاب بسُّون (Besson: *Syrie Sainte*, p. 45) قال ما تعريبهُ : « ان الاب جان اميو كان مصادقاً لاحد ادباء السريان اسمهُ اخيجان وكان هذا شماساً في كنيسته (اليعقوبيَّة) فاهداهُ المرسل يوماً صورة من صور السيدة البتول مريم فاضحت لهُ مبدأ سعادتهِ لأَنَّهُ ما كان ينظر اليها الَّا يشعر في قلبهِ نفورًا من البدعة اليعقوبيَّة وتقرُّباً الى الكنيسة الكاثوليكيَّة. فكانت هذه الافكار تشغلهُ ليلًا مع نهار فاخذ يتردَّد على الاب اميو ويعرض عليهِ مشاكلهُ حتى اكتسبهُ للكنيسة الرومانيَّة ». والظاهر من كتابات المرسلين ان الاب الكبوشي سلفستر دي سنت انيان (Sylv. de S^t. Aignan) والاب برونو دي سنت ايف (Bruno de S^t Yves) ساعدا الاب اميو في ارتداد اندراوس اخيجان ثم أُرسل الى مدرسة الموارنة في رومية حيث درس تحت نظارة الآباء اليسوعيين وبعد نهاية دروسهِ سامهُ البطريرك اسطفان الدويهي مطراناً وتولى تدبير الكنيسة السريانيَّة في حلب وتألفت مذ ذاك الحين الطائفة الكاثوليكيَّة السريانيَّة

ولحلب الفضل ايضاً في رجوع الارمن واتحادهم بالكرسي الرسوليّ. وتمَّ الامر فيها على يد المرسلين كبقيَّة الطوائف وقد ربح الاب حبيب شيزو شكر الارمن لغيرتهِ في خدمتهم اكثر من سواه. وممَّا ورد في تقرير للاب نيقولا پوارسون سنة ١٦٥٣ انَّ الاب شيزو كان يتفانى في خدمة الارمن واذ لم يكن للكاثوليك منهم راعٍ غيرهُ جعل يتمّم لديهم كلّ الفرائض الرعويَّة. وكان اصل هؤلاء الكاثوليك من نخشيوان في العجم واسقفهم اسمهُ اوغسطين من رهبانيَّة مار عبد الاحد فهذا علم بهمة الاب شيزو وعنايتهِ بابنائهِ الروحيين فكتب لهُ يشكره ويفوّضهُ بكل الانعامات الخاصة بشخصهِ. امَّا المنفصلون من الارمن فكان اسقفهم مبغضاً للكاثوليك الَّا ان الاب شيزو لم يكفّ عن ارشاد رعيَّته حتى ردّ كثيرين منهم

وفي غضون ذلك مرَّ بحلب كبير بطاركة الارمن جاثليق اشميازين فرأى رأي العيان ثمار غيرة الاب شيزو واثنى عليهِ الثناء الطيب امام اهل طائفتهِ. فكان هذا الثناء داعياً لارمن حلب كي يقبلوا على تعاليم رسولهم فاخذوا يطلبون منهُ ان يرشدهم واولادهم في امور الدين. ثم تعين على ارمن حلب اسقف جديد كان

يتودَّد للاب المذكور ويدعوهُ ليلقي على شعبهِ الوعظ ويحضر طقوس الارمن في كنيسة الاربعين شاهدًا وكنيسة السيّدة في حيّ الجديدة. فرأى الاب شيزو انَّ الله قد مهَّد لهُ السبيل لبذر الايمان الكاثوليكي في قلوب هؤلاء الارمن ولاسيما اذ بلغهُ انَّ قداسة الحبر الاعظم اوربانوس الثامن كان ارسل سنة ١٦٤٠ وفدًا الى جاثليقهم فيلبُّوس اغاپاد (١٦٣٣—١٦٥٥). فاخذ يدرس الارمنيَّة وأوعز اليهِ مطران حلب ان يفتح مدرسة يعلّم فيها بالعربيَّة العلوم الفلسفيَّة والدينيَّة والادبيَّة فاجاب الاب الى سؤالهِ وكان المطران مع كهنتهِ ووجوه رعيَّتهِ يحضرون دروسهُ ولمَّا اتقن الارمنيَّة انشأ للارمن اخويَّة كان يعظ لهم فيها بلغتهم. وبقي الاب شيزو يتفانى في خدمة الارمن حتى طلب ان يذهب الى العجم حيث عددهم اوفر فرحل الى اصفهان وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٦٦١ وكان اتقن اللغة الفارسيَّة حتى الَّف فيها معجماً ووضع عدَّة تآليف لايضاح المعتقدات النصرانيَّة والدفاع عن تعليمها

ولم يهمل المرسلون الموارنة بل كانوا كلّهم يتردَّدون الى كنيستهم ويعلمون فيها الصغار ويرشدون المؤمنين وكان الاب جان اميو ممن تخصصوا بهذه الطائفة فافرغ كنانة جهده في خيرها ثمَّ انتقل الى لبنان وسواحل الشام فادَّى للموارنة ايضاً خدماً عديدة وكانت وفاتهُ في دير الاباء الكبوشيين في بيروت في ٦ تشرين الثاني سنة ١٦٥٣ ودُفن امام باب كنيسة الموارنة فيها

ومن الوسائل الفعَّالة التي توسَّل بها المرسلون في حلب لنموّ الايمان الاخويَّات التقوية. فلمَّا رسخ قدم الآباء اليسوعيين في الشهباء انشأوا منها ما امكنهم. فالاب حبيب شيزو كان قبل اخوية الارمن انشاء اخويَّة للموارنة في كنيستهم تقاطر اليها ابناء تلك الطائفة بكل رغبة. وانشأ الاب جلبرت ريغو (Gilbert Rigault) اخويَّة للتجار الفرنج غيرت بعد زمن قليل هيئة جاليتهم بما نفختهُ في قلوبهم من عواطف التقى والهمتهم من الاعمال الصالحة. وانشئت ايضاً اخويَّة للاحداث بمساعي الاب غوده المارّ ذكرهُ كان الصغار ينشأون فيها على كل آداب الشبيبة الصالحة

فكلّ هذه الاعمال تمَّت في مدَّة ٢٥ سنة الاولى التي قضاها المرسلون في حلب. ومنها ترى انَّ الزرع كان سقط في تربة صالحة فاتى بالستين والمئة . وفي عدد آخر نتبع ان شاء الله آثار المرسلين فنروي مآثرهم في بقيَّة القرن السابع عشر (لهُ بقيَّة)

معالجة طنين الأُذنين

للدكتور كامل سليمان الخوري من حمص

ان طنين الأُذنين هو عرض مزعج وكثيرًا ما يحمل المصاب بهِ الى الوقوع في اشدّ حالات الضنك واليأس وينشأ هذا العرض غالباً عن تهيج يعتري العصب السمعي في تشعباتهِ الاخيرة في التيه او في مسيره او في نقطة منشاهِ المركزيَّة. وقد يحصل طنين الاذن بدون وجود آفة في الجهاز السمعي وذلك في احوال فقر الدم وضعف الاعصاب او بعد تجرّع بعض عقاقير مثل سليسيلات الصودا وكبريتات الكينين او بالحري املاح الكينين عموماً الخ. هذا وقد تختلف ظواهر طنين الاذن طبيعة ونغمةً وشدة ومدَّة. واحياناً تظهر بدون وجود اقلّ طرش او انها تسبق حصول هذا الاخير. لكن الطنين يطرأ عادة عند حصول الطرش ويذهب متزايدًا معهُ

يحصل الطنين في الاذنين اوَّلًا: في الآفات الالتهابيَّة والجرحيَّة التي تطرأ على الاذن الخارجيَّة والاذن الوسطى

ثانياً: في التهاب الأُذن الوسطى اليابس او الجافّ

ثالثاً: في تعفنات الأُذن الداخليَّة. فالطنين الذي ينشأ عنهُ المجرى يحصل من وجود جسم غريب فيهِ او تجمُّع سدادة صملاخيَّة أَو في التهاب الاذن الخارجيَة او في دمّل المجرى

والعلاج الذي يوصف لمقاومة العلَّة المسبَّبة يزيل هذا الطنين. وكذا القول عن علل الاذن الوسطى الحادَّة اي علل الصندوقة او الطبلة. واماَّ اذا استمرّ الطنين بعد شفاء العلة الاوليَّة فلا احسن من استعمال الحمَّام الهوائي المتسلسل حسب طريقة « پوليتزر » مع تمسيد الطبل. وعرض الطنين هذا يرافق اغلب الحوادث ان لم نقل كلها التي تُشاهد في التهاب الاذن الجافّ. ويقتضي توجيه العلاج اولًا الى ازالة تهيج المراكز العصبيَّة بالمعالجة الداخليَّة التي قوامها التصريف. ثم الى مقاومة الالتصاق المفصلي

المتهدد عُظَيمات الاذن كنحو التحام الركاب مع الشباك البيضيّ . وانقاص الضغط داخل التيه

امّا المعالجة الداخليّة والتصريف فيقومان بدهن جلد المجرى وباستعمال سدادات من القطن المُشرَب موادّ علاجيّة وبغسل الاذن بالمحاليل المسكنة الحاوية شيئاً من المورفين والكوكاين والبنج الخ . ويُتعمد التصريف على النتوّ الحلمي الشكل بوضع صبغة اليود والفرك ببلسم « فيوراڤانتي » ومنفطات صغيرة طيارة وخصوصاً نفط ناريّة . وبين العلاجات الممدوحة من الداخل لا شيء يفضل يودور الپوتاسيوم وڤاليريانات النشادر . امّا في التهاب الاذن الجاف فيستحسن اضافة برومور الپوتاسيوم الى يودوره كما ان استحضارات الكينين هي ذات فائدة كليّة في الطنين والدوار الناشئين عن آفات الاذن الداخلية . واذا كان الطنين انعكاسيًّا مثل الذي يرافق علل المعدة والرحم ونقد الاسنان الخ فيوجَّه علاجه الى السبب الاصلي

وقد اطرأ بعضهم استعمال الكهربائيّة بمجارٍ متواترة بوضع القطب الايجابي على النتوّ الحلمي الشكل او المجرى والقطب السلبي على النقرة . انما يجب مزيد الانتباه نظرًا لجوار الدماغ

العلاج الميكانيكي : ان نوع هذا العلاج هو كبير الاهميّة لانقاص الضغط في التيه الناشيْ عن انفراز الركاب في الشباك البيضي : فيجب قنطرة بوق اوستاخيوس مرةً كل يومين مع نفخ الهواء في الصندوق . وامّا اذا كان الطنين شديدًا جدًّا فلا بأس من تحميل الهواء المنفوخ ابخرة إثير او كلوروفرم او برومور الايتيل . امّا اذا كان وقت الربض لا يسمح لهُ بمقابلة الطبيب بنوع منتظم قانوني فيستعمل لهُ الهواء المتشلشل بحسب طريقة پولتزر . امّا نفخ الهواء ببوق اوستاخيوس فيجب قرنهُ بتمسيد الطبل وتمديد الهواء في مجرى السمع الخارجي . وهكذا يتصل الى تحريك العظيمات هذا ولا يبرحنَّ عن البال ان هذه العلة تكون عادة متفندة ولا ميل لها البتة الى الزوال او التناقص من تلقاء نفسها وعليه فيقتضى في معالجتها الداخلية والخارجية التمسك بالصبر والثبات وحينذاك يُرجى التخلص منها

هذا وكثيرًا ما يُشاهد حصول طنين مزعج ناشيْ عن تراكم الاوساخ والموادّ الصملاخية في الاذن وللتخلص منها يجب تطرية الكتلة بوضع بضع قطرات من

من زيت الزيتون النقي في الاذن يكرّر ذلك على عدة دفعات. ثم تُحقن الاذن بماء أُذيب فيهِ شيء من الصابون بمحقن كبير مضبوط ويكرر ذلك على عدة جلسات. يُحقن في كل جلسة لا اقلّ من خمسمائة كرام. وغالباً في الجلسة الثانية تبدأ الكتلة تتفتَّت او تخرج قطعةً واحدةً. هـذا وقد يتفق ان يعرو المريض دوار من تأثير الحقن سيما اذا كان المحقن كبيراً. فيقتضي اخذ الحيطة عندما ينهض المريض من محلهِ لئلّا يسقط على الحضيض. وقد تكون الكتلة احياناً متصلبة فتستدعي عدة جلسات متوالية

صورة ايمان

الكاثوليكيين من طائفة الروم

توطئة

بين المجاميع النصرانية التي في مكتبتنا الشرقية مجموعة خالية من التاريخ يلوح من ورقها وخطّها انها كُتبت منذ نحو ١٥٠ سنة وهي عبارة عن فرائض تقويَّة شتى جمعها احد الروم الكاثوليك في حلب لفائدتهِ الروحية وضمَّنها الصلوات الطقسيَّة والكلندارات السنويَّة وتأملات مختلفة مع نبذتين حسنتين في ثوب سيّدة الكرمل وفي صلاة الورديَّة وما ينوط بهما. واحسن ما في هذا الكتاب البالغ ٢٥٩ صفحة من قطع الثمن صورة دستور الايمان الكاثوليكي الذي يعتقدهُ الروم الملكيُّون جمع فيهِ صاحبهُ المجهول خلاصة العقائد الكاثوليكية التي يخالف فيها الروم المتَّحدون بالكرسي الرسوليّ اخوتهم المنفصلين عنهُ مع خلاصة البراهين على صدقها. فرأينا في نشر هذا الاثر افادة وهو في الاصل من الصفحة ١١٩ الى ١٤٧ وقد تركناهُ على بساطتهِ لم نصلح منهُ غير اغلاط نحويَّة قليلة جدًّا. ولعلَّ مؤَلف هذه الخلاصة الاعتقادية هو الشماس عبد الله زاخر والله اعلم ل . ش

(119) صورة اعتراف ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم المتمسكين بتعليم الكنيسة الجامعة المقدَّسة الرسوليَّة مثبتاً بشهادات كتب الله المقدَّسة ورسوم المجامع المسكونيَّة وايضاحات آباء الكنيسة الشرقية القديسين وذلك بوجه الاختصار لدفع شكوك الذين لجهلهم يظنون انَّ الاعتقاد بهذه الحقائق محدَث وان تلك المعتقدات

ليست مقلّدة لنا من آبائنا الاطهار الذين نرجو ان يثبّتنا الله على صخرة اعترافهم آمين
انّنا نحن الكاثوليكيين اولاد بيعة الله المقدّسة البطرسية نؤمن مصدّقين ونقرّ معترفين :

١ الرئاسة البطرسية

﴿ اوّلًا ﴾ برئاسة واحدة عامّة مطلقة في بيعــة الله (120) الواحدة المقدّسة الرسولية وهذه الرئاسة هي التي قلّدها سيدنا يسوع المسيح لمار بطرس رسولهِ اذ اقامــهُ صخرة كنيستهِ بالمساهمة والاشتراك ليسند جميع المؤمنين ويثبتهم بحقيقة الايمان بهِ . وهذا اشار اليهِ سيد الكلّ :

١ً بدعوتهِ رسولهُ هذا ماري بطرس الذي تأويلهُ صخرة لانهُ بهذا تقدّم فانبأه عن الحظّ المنتظرهِ اي انهُ عتيد ان يبني بيعتهُ عليه كما قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ التاسعة عشرة من تفسيرهِ لانجيل ماري يوحنا

٢ً أعلن ذلك بوعدهِ لهُ ببناء البيعة عليهِ وذلك بقوله لهُ (متى ١٦ : ١٧ — ٢٠) : « انت صخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي » اي وعليك انت يا بطرس ابني بيعتي . فمن ثم قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ الرابعة والخمسين من تفسيرهِ انجيل ماري متى : « ستُمنَع عن الكنيسة (121) الامواج الشديدة وهي مستندة على قاعدة واحدة اعني صيادًا واحدًا الذي جعلهُ المسيح اثبت من الصخرة »

٣ً حقّق ذلك بمنحهِ لهُ هذا الرئاسة بقولهِ لهُ بعد القيامة ثلثًا (يوحنًا ٢١ : ١٥ — ١٨) : « يا بطرس أتحبني ؟ ارع خرافي . ارع كباشي . ارع نعاجي » لانهُ تعالى بهذا الخطاب منحهُ سلطان الرعاية المطلق وسلّم بيدهِ كنيستهُ كلها . كما قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ الثامنة والثانين من تفسيرهِ لانجيــل ماري يوحنًا : « انّ سيد الكلّ اوضح لبطرس بهذا الخطاب انّ سبيلهُ ان يطمئن ويتقلّد التقدُّم على اخوتهِ وكأنهُ يقول لهُ : انت تحبني فتقدّم على اخوتك . فالمسيح اذن اذ نهى تلاميذهُ عن محبة الترأُّس ألّا يتخذوا لهم معلماً ومدبرًا على الارض لم ينفِ الترأُّس من كنيسته مطلقاً بل محبة الترأُّس وألّا يتخذ تلاميذهُ لهم معلمين بالنوع الذي كان (122) يتقدّم بهِ الفريسيون على تلاميذهم بل يخضعوا الذي يقيمهُ هو نفسهُ رئيساً عليهم ونائباً لهُ على الارض ليكون معلماً لبيعته لا من تلقاء نفسهِ بل من قبل معلمهِ السماوي الذي هو معلّم البيعة

ومدبرها الوحيد. فمن ثمَّ نعترف نحن خلوًّا من شكّ وريب :

١ً انَّ ماري بطرس رأس التلاميذ وزعيمهم حسبما يدعوهُ الذهبيّ فمهُ في مقالتهِ الثانية والثمانين من تفسيرهِ لماري متى

٢ً نعتقد انهُ الرقيب الناظر على جميع كنائس المسكونة حسبما يدعوهُ هـذا القديس الجليل في المقالة الثامنة والعشرين من الدرّ (١ قائلًا : « انَّ بطرس بعد تلك السقطة الصعبة اصعدهُ المسيح الى درجة كرامتهِ الاولى ومنحهُ ان يكون رقيباً وناظرًا على كنائس المسكونة باسرها

٣ً نعترف انهُ رئيس رُعاة بيعة المسيح التي سلّمها بيدهِ وانهُ صخرة الايمان التي بنى المسيح بيعتهُ (123) عليها وذلك حسبما يدعوه في مقالتهِ الرابعة والثلثين من الكتاب المقدَّم ذكرهُ حيث يخاطبهُ هكذا : « هاتِ الآن يا بطرس فقل لي انت الذي طوَّبك الربّ يسوع المسيح من اجل هؤلاء المضلين العتيدين ان يُضلُّوا رعية المسيح التي سلمها بيدك واقامك عليها رئيساً للرعاة ورقيباً على انفسنا » ثم انهُ يقول بعـد ذلك « حقًّا انَّ بطرس صخرة الايمان التي بنى المسيح عليها بيعتهُ »

٤ً نشهد انهُ المتقدّم بالسياسة على المسكونة اجمع كما يدعوهُ في المقالة الثامنة والثمانين من تفسيرهِ انجيل ماري يوحنّا قائـلًا : « انهُ وان كان يعقوب نال كرسي اورشليم الّا انَّ بطرس تقلّد سياسة المسكونة كلّها »

٥ً فنشهد انهُ رئيس التلاميذ وراعي العالم حسبما شهـد القديس غريغوريوس نيصص في النوع الخامس من الباب السادس من كتابهِ المشهور (124) « بالفردوس العقليّ » حيث يقول : « انَّ ربنا خوَّل بطرس رئاسة التلاميـذ ورعاية العالم والتقدُّم عليهم ». وهكذا ماري كيرلس الاورشليمي يدعوه في المقالة الثانيـة من كتابة الشهير « بوعظ البيت المقدَّس » وفي عظتهِ السابعة عشر من هذا الكتاب ايضاً قائلًا : « انهُ راس التلاميذ ورئيسهم وصاحب مفاتيح السماء »

٦ً نعترف انهُ رئيس الرعاة للاغنام الناطقة حسبما تنشدهُ كنيسة الله في يوم عيدهِ في قانون السحر قائلة : « انت بالاستحقاق دُعيت صخرة واذ ثبَّت المسيح ايمان بيعتهِ

١ يريد كتاب الدرّ المنتخب من مقالات القديس يوحنّا فم الذهب الذي طُبع اولًا في حلب سنة ١٧٠٧

متوطدًا جعلك رئيس الاغنام الناطقة ولذلك اعطاك مفاتيح ملكوت السماوات »

٢ رئاسة الحبر الروماني خليفة هامة الرسل

﴿ ثانياً ﴾ نعترف بالنتيجة انَّ الحبر الروماني لهُ هـذا التقدُّم نفسهُ في كنيسة الله بما انَّهُ خليفة الجالس في كرسيهِ لانهُ كما يقول الذهبي فمهُ في كتابهِ الثاني على الكهنوت: «ان الربَّ (125) مخلصنا يسوع المسيح محبَّ الانفس ما سلَّم الرئاسة للقديس بطرس وحدهُ بل لخلفائهِ ايضاً لاجل اتحاد رعيتهِ اي لتكون جميع اعضاء الكنيسة متحدين برأس واحد حسب مراد المسيح ان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد ». وهذا نتحقَّقهُ بتسليم المجامع المقدَّسة المسكونيَّة كافَّة:

١ً يتَّضح لنا ذلك من القانون السادس من المجمع النيقاوي الذي تشهد بهِ آباء هذا المجمع المقدَّس انَّ الكنيسة الرومانيَّة كان لها التقدُّم دائماً حيث يقولون: « فليكن اذًا للاسقف الاسكندري سلطان على مصر وليبية وبنتابولي لان الاسقف الروماني لهُ مثل هذه العادة » اي ليكن لاسقف الاسكندريَّة التقدُّم على اساقفة هذه البلاد المذكورة كما انَّ اسقف رومية لهُ التقدُّم منذ القديم على جميع المسكونة. وهذا نفسهُ تحقَّقهُ آباء هذا المجمع برسالتهم المرسلة الى (126) سلفسترس البابا التي بها يعترفون بوجوب الانقياد الى حكمهِ قائلين: «اننَّا نعترف بأننا نكتب الى كرسيكم الروماني ما فسَّرناه ونقلناه من اليوناني ساعين جملةً الى حكم كرسيكم لاجل التثبيت ». ويتاكد ذلك ايضاً من القانون السابع والثلثين والرابع والاربعين من الاربعة والثمانين رسماً المنسوبة لهـذا المجمع والموجودة في كتاب الناموس المقدَّس لانهُ يذكر في القانون السابع والثلثين: « انهُ يجب ان تكون البطاركة اربعة لا غير وان يكون الرئيس والمقدَّم فيهم صاحب كرسي ماري بطرس السليح برومية ». وفي القانون الرابع والاربعين يذكر انهُ « كما انَّ البطريرك امرُهُ وسلطانُهُ على من هم تحت يدهِ هكذا لصاحب رومية سلطان على جميع النصرانيَّة لانهُ خليفة المسيح ربّنا على شعبهِ وكنائسهِ كلها ومن خالف ذلك فجماعة السينودس تحرمهُ » (127)

٢ً يتحقَّق ذلك من القانونين الرابع والخامس من المجمع السرديكي اللذين يحقق بهما هذا المجمع «وجوب تسلط الحبر الروماني بالسيادة والسلطان على جميع الاساقفة حتى انهُ يستطيع وحده ان يغيّر احكامهم ويبطلها كما يشاء » . وهذان

القانونان ما عدا وجودهما في اعمال المجمع نراهما ايضاً في كتاب الناموس العربي. ثمَّ يتأكد ذلك من رسالة هذا المجمع نفسهِ الى يوليوس اسقف رومية التي يعترف بها المجمع المقدَّس « انهُ واضح جدًّا ولائق ان تُقاد سائر كهنة الربّ من جميع الابرشيات الى الرأس اي الى كرسي ماري بطرس الرسول »

٣ نتحقق ذلك من المجمع الافسوسي الذي نرى فيهِ البابا سلستينوس يمنح اعظم البطاركة اي ماري كيرلس صاحب الكرسي الاسكندري سلطاناً لان يحرم البطريرك القسطنطيني اعني بهِ نسطور موضحاً لهُ انّ هذا الامر يختصّ بالكرسي الروماني وحدهُ بقولهِ لهُ: « انّنا نخصّك بسلطان كرسيّنا لتستعمل وظيفتنا وتتمّ القضاء على مثل هذا بشدَّة ان كان لا يجحد تعليمهُ ويحرمهُ ». وهكذا ارسل فحرم نسطور بسلطانهِ المطلق من غير توقُّف على حكم مجمع. وايضاً يتضح لنا هذا الامر من الكلام المحرَّر في العمل الثالث والذي قَبِلهُ هذا المجمع المقدَّس وهو قول القسّ فيلبس: « انهُ لا ريب عند احد وهو معلوم في جميع الدهور انَّ القديس بطرس الجزيل الطوبى مقدام الرسل ورأسهم وعمود الايمان واساس البيعة قد تسلم من المسيح مفاتيح ملكوت السموات وهو يحيا ويحكم الى الآن ودائماً باشخاص خلفائهِ » (128)

٤ نتبيّن ذلك من اصوات المجمع الخلقيدوني المقدَّس الذي لا يدعو الحبر الروماني الّا « الرئيس المسكوني العام صخرة الايمان وخليفة ماري بطرس الرسول وراس الكنائس كلّها » كما يوجد ذلك محرَّرًا في جميع اعمال هذا المجمع المقدَّس وغيرهِ من المجامع المسكونيَّة المقدَّسة (129)

٥ يتوكَّد عندنا ذلك من قبول المجمع السادس بغاية التقوى والاحترام رسالة البابا اغاتون المحرَّرة في المجلس السادس من هذا المجمع وبها يوضح هذا الحبر القديس الذي تذكرهُ كنيستنا في عشرين من شباط « انَّ الكنيسة الرومانية ما زاغت عن التقليدات الرسولية قطّ وانهُ مختصٌّ باساقفتها تثبيت جميع اساقفة المسكونة لانهُ قد قيل لبطرس: انا طلبتُ من اجلك لئلّا ينقص ايمانك فارجع انت وثبّت اخوتك. فهناك وعد الربّ لبطرس انَّ ايمانهُ لا ينقص وحرَّضهُ على تثبيت الاخوة. وقد تحقق عند الكلّ انّ رؤساء الكرسي الرسولي قاموا بذلك دائماً بالشجاعة التامَّة »

٦ نتحقق هذا ايضاً من قبول المجمع السابع لرسالة ادريانوس البابا الى

تلاسيوس البطريرك القسطنطيني التي عندما قُرئت في المجمع المقدَّس هتف جميع الآباء (130) بفمٍ واحد: «انَّنا نقبل هذه الرسالة ونزيدها حسب تقليد آبائنا القديسين».
وفي هذه الرسالة يخاطب البابا ادريانوس آباء المجمع قائلًا: «اننا قد حرمنا الهراطقة وجمعهم الزور امام قصَّادنا المرسلين اليكم لكي يُقلَع كلّ زؤان من الكنيسة ويكمل قول سيدنا يسوع المسيح عنها: وابواب الجحيم لا تقوى عليها. وقولهُ لبطرس: انت الصخرة وعلى هـذه الصخرة ابني بيعتي. ذاك الذي كرسيُّهُ في المسكونة كلها صاحب الرئاسة ورأس جميع كنائس الله. وقد اقتبل الرئاسة في كل مكان ولم يزل يقتبلها فلذلك ينبغي لكم ان تلتصقوا بصحة النيَّة وبكمال القلب بكرسيِّنا الرسولي الذي هو رأس الكنائس باسرها»

وهذه الحقيقة عينها نتعلمها ايضاً من كنيسة المسيح فانَّهـا تثبتها لنا بتسابيحها في تذكارات الاحبـار الرومانيين في مدار السنة جميعها لانَّها تدعو سلفسترس «هامة مراتب الكهنوت الذي جمَّل كرسي هامة الرسل» وتدعو لاون «وارث كرسي ماري بطرس وصاحب (131) غيرتهِ» وتدعو مرتينوس «سلَم الراي القويم وهامة الاعتقادات الالهية» وغير هؤلاء البابوات الذين تعيّد لتذكارهم

٣ انبثاق الروح القدس من الاب والابن

❊ ثالثاً ❊ نعترف محققين انَّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن وان كنَّا لسنا بملتزمين ان نتلو ذلك بقانون الايمان مفسَّرًا (١ لانَّ اعترافنا بالايمان يتضمَّن ذلك. لانَّنا بقولنـا انَّ الروح القدس ينبثق من الآب نفهم انهُ ينبثق من جوهر الآب وطبيعتهِ. والحال انّ جوهر الآب والابن واحد كما نعترف بذلك فينتج اذن بالضرورة انهُ ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب اذ كان ينبوع انبثاقهِ الذي هو الجوهر الالهي هو للآب وللابن معاً. وهذا محقق عندنا:

١ً من قول سيدنا يسوع المسيح في الاصحاح السادس عشر من ماري يوحنَّا «انَّ كل ما للآب هو لي وانَّ الروح القدس يأخذ ممَّا لي ويخبركم» ومن قولهِ: «اني

---

١) قد جرت العادة اليوم بين الروم الكاثوليك بان يصرّحوا بانبثاق الروح القدس من الآب والابن في دستور الايمان النيقاوي

اذا انطلقتُ (132) ارسلتُ الروح القدس اليكم ». فهذه النصوص جميعها تحقق عندنا انبثاق الروح القدس من الابن لانهُ ان كان الروح يأخذ ممَّا للابن فليس يأخذ الَّا الطبيعة الالهيَّة بصدوره منهُ كما يصدر من الآب. وان كان الابن يرسل الروح القدس فلا يرسلهُ الَّا بصدوره منهُ لانهُ لا يُرسَل اقنوم من اقنوم آخر بطريق الامر ولا بطريق المشورة بل بطريق الصدور حسبما علَّمت جميع الآباء القديسين وان كان كل ما هو للآب هو للابن فيكون بَثْقُ الروح القدس للابن ايضاً لانَّنا نتفلسف هكذا: « انَّ كلَّ ما للآب هو للابن والحال انَّ بثق روح القدس هو للآب فهو اذًا للابن ». وقد اعترف بهذه النتيجة الصادقة ماري اثناسيوس الرسولي بقولهِ في كتابهِ البرهان: « انَّ كل ما للآب هو للابن غير الابوَّة والحال انَّ بَثق روح القدس هو غير الابوَّة فهو اذًا للابن ». ومثلهُ هذه العبارة نفسها يقولها الدمشقي في مقالتهِ الثامنة من المائة. فمن ثمَّ نحن نعترف (133) ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ولا بأس من قول سيدنا يسوع المسيح «انهُ من الآب ينبثق» لانَّ قولهُ هذا لا ينفي انهُ ينبثق منهُ. لأَنَّهُ ان كان قولهُ « انَّ لا احد يعرف الآب الَّا الابن » لا ينفي عن الروح القدس معرفة الآب فمن بابٍ اولى قولهُ « انَّ الروح القدس من الآب ينبثق » لا ينفي انَّهُ ينبثق من الابن بل يشير الى انَّ الابن يردّ المجد للآب بما انَّهُ بدء الثالوث الاقدس

٢ً وقد شهدت بصحَّة هذا المعتقد آباؤُنا القديسون منهم:

١ً ماري اثناسيوس بقانون ايمانهِ الذي يعترف فيهِ مصرِّحاً انَّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن

٢ً ماري كيرللس في الرأس الثالث من المجمع الافسوسي المقدس في كتابهِ المرسل الى الملك ثاودوسيوس في الرأس السادس والثلثين منهُ حيث يقول هكذا: « انَّ الروح القدس الذي يرسلهُ المسيح على المعتمدين ليس هو روحاً غريباً منهُ بل الروح الذي هو منهُ وهو خاصَّتهُ » . ويقول ايضاً (134) في رسالتهِ الى نسطور المحرَّرة في الرأس السادس والعشرين من المجمع المذكور « انهُ وان كان الروح القدس قائماً باقنومهِ واعتُبر في ذاتهِ بما انَّهُ روح وليس بابن الَّا انهُ مع ذلك ليس هو غريباً من الابن لكونهِ يُدعى روح الحقّ . والمسيح هو الحقّ وينبثق منهُ مثلما ينبثق من

الاب ». وفي الرأس السابع والثلثين من كتابهِ الى ثاودوسيوس الملك المحرَّر في الرأس الثالث من المجمع المذكور يقول: « ان الذين يلتصقون بالمسيح يمنحهم حالًا روحهُ الذي يرسلهُ الكلمة من حيث انهُ يخرج من الآب ويفيضهُ علينا من طبيعتهِ كأنهُ من ينبوع ». ويقول ايضاً في هذا الرأس نفسهِ: « انَّ المسيح نفخ في رسلهِ قائلًا: « اقبلوا روح القدس » حسب قول يوحنَّا دلالةً منهُ الى كونهِ يفيضهُ من ذاتهِ مثل الآب ». وهكذا يبرهن في الخطاب الثاني المنفذ الى الملكين في الرأس الحادي والخمسين منهُ « انَّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن ». ومثل ذلك في الرأس (135) الثالث والخمسين. وغير ذلك كثير من قول هذا القديس في المجمع الثالث

٣ً يتأكد ذلك من قول القديس يوحنَّا فم الذهب القائل في المقالة الخامسة والسبعين من تفسير انجيل ماري يوحنَّا « انَّ الروح القدس يطير من جوهر الابن نفسهِ ». وايضاً في مقالتهِ السابعة والسبعين من تفسيرهِ المذكور « انَّ ليس الآب فقط يرسل الروح القدس بل الابن ايضاً ». وقد فهم هذا القديس جيّدًا انَّ المفهوم بالارسال ليس هو الَّا علة الصدور وذلك في مقالتهِ التاسعة والثلثين من تفسيرهِ لانجيل ماري يوحنَّا

٤ الوفاء في المطهر عن تبعة الخطيئة والذنوب الخفيفة

❁ رابعاً ❁ نؤمن معترفين انَّ الانفس بعد انفصالها من الاجساد اذا كانت غير متممة قوانين خطاياها وعليها بعض خطايا ليست هي للموت كما يقول ماري يوحنَّا الرسول اي لا توجب هلاكاً ابدياً بل عقاباً زمنياً فلا بُدَّ من ان تفي ذلك للعدل الالهي في النار المنظِّفة في المكان الذي يُدعى (136) مطهرًا وقد تحقَّق عندنا ذلك:

١ً من قول الرسول الالهي في الاصحاح الثالث من رسالتهِ الى اهل قورنثية حيث يقول: « انهُ ان بنى احدٌ على هذا الاساس اي على الايمان بيسوع المسيح ذهباً او فضَّة او حجارة كريمة او خشباً او حشيشاً فالنار تختبر عمل كل احد مهما كان فمن يبقَ عملهُ يأخذ ثواباً ومن يحترق عملهُ يخسرْ . واماَّ هو فيخلص كمن يخلص بالنار »

فهاهوذا الرسول يوضح لنا انَّ من بنى على ايمان المسيح خشباً او قشّاً الذي هو كناية عن الخطايا العرضية فهذا يختبر الرب عملهُ بالنار المطهِّرة فيحترق عملهُ ذاك واماَّ هو فينجو كمن ينجو بالنار اي كالفضَّة المنقَّاة بالنار التي تحرق النار ما فيها من الادناس وتخلص هي صافيةً منقَّاة. هكذا فهم هذا النصّ آباؤنا القديسون واستنتجوا منهُ انهُ توجد نار يطهرنا الربُّ بها من بعض ادناس عرضية لا توجب الهلاك الابدي بل القصاص الزمني وهذه هي غير النار (137) الجهنميَّة لانَّ تلك لا خلاص منها واماَّ هذه فيقول الرسول اننا نخلص منها مطهَّرين. هكذا اجاب القديس غريغوريوس بطرسَ تلميذهُ اذ سألهُ قائلاً: ألتمس منك ان اعرف اذا كان توجد نار منظِّفة؟ فاجابهُ القديس قائلاً: «نعم انهُ يجب ان نصدّق انهُ توجد نار منظفة من خطايا خفيفة قبل الدينونة مثل كلمة بطَّالة وضحك سمج وغير ذلك لانَّ عمل كل احد مهما كان تختبرهُ النار». وهذا الخبر اوردهُ الاب نيكن في المقالة الثانية والخمسين من كتاب الحاوي الكبير

٢ نتحقَّق ذلك من تقليد بيعة الله القديم الدائم لانها لم تزل تقدّم الطلبات والتضرُّعات بجميع صلواتها عن انفس الراقدين ملتمسة من الله ان يخلصهم من العذابات والاعتقال وينزع من وجوههم كل دمعة ويصعدهم الى مقرّ الراحة والنعيم وهذا جليّ كالشمس في جميع صلواتها. وعلى الخصوص ما تبتهل بهِ في افاشين السجدة يوم احد العنصرة (138) قائلةً: «انت المؤهل ايَّانا لقبول ما نسألك في هذا العيد بالاستعطاف فاستمع منَّا توسُّلنا نحن الخطأة الذليلين وارسل للمعتقلين المأسورين من المتوفَّين راحةً من لَدُنك ونيِّح عبيدك الراقدين وأسكنهم في مكان نيّر في مقرّ الراحة حيث يُعدم كل حزن وغمّ وتنهُّد ورتّب ارواحهم في مظالّ القديسين. الخ». ولا تشهد كنيستنا بذلك في صلواتها فقط بل تحقق ذلك بترتيبها الحسن حيث لا تبرح تقدّم الذبائح الالهيَّة مبتهلةً «بان يخلص اولئك المعتقلون من عذاباتهم المؤلمة وينتقلوا الى النياح الابدي». وهذا ظاهر لكلّ احد

٣ نتحقَّق ذلك بايضاحات آبائنا القديسين منهم الذهبي فمهُ الذي يقول في مقالتهِ الحادية والعشرين من كتاب الدرّ «انهُ لا يكفيك ان تبكي المنتقل عنك فقط بل يجب ان تتضرَّع الى الله من اجلهِ بالصلوات وتعطي الصدقات وتقدّم عنهُ القدَّاسات

الالهية كما امر الرسل الاطهار في تذكارات (139) الاموات ليطهروا بذلك كما طهَّرت ضحايا أيوب اولادهُ ». ويقول ايضاً في العظة الحادية والثلثين من تفسيره انجيل مار متى: « ارسل مع ابنك المتوفَّى ما تريد ان يكون لهُ لكي يحصل لهُ شرف اعظم هناك. وان كان ذهب من هذه الدنيا خاطئاً فلكي تُحَلّ خطاياهُ ». ويقول في عظتهِ الحادية والاربعين على تفسير الرسالة الاولى لاهل قورنتية: « فلنساعد اذًا الذين انتقلوا ولنعمل تذكارهم لانهُ اذا كان ابناء أيوب تطهّرهم ذبيحة ابيهم فكيف تشكّ في انَّ الذين ماتو ينالون تسليةً اذا نحن قرَّبنا لاجلهم القرابين ». ولهُ غير ذلك في مواضع كثيرة ممَّا لا يمكن هنا ايرادهُ

• مشاهدة النفوس للعزَّة الالهيَّة قبل الدينونة العامَّة

﴿ خامساً ﴾ نعترف بالنتيجة انَّ هذه النفوس اذا وفت ما يجب عليها للعدل الالهي والنفوس القديسة ايضاً التي لا يجب عليها شيء. تنتقل الى السموات وتتمتَّع بالمشاهدة الالهيَّة حسب وعد سيدنا يسوع المسيح بقولهِ (يوحنَّا ١٢ : ٢٦) « من يخدمني (140) فليتبعني وحيث اكون انا فهناك يكون خادمي ». والحال انَّ سيدنا يسوع المسيح هو في السماء فالذي يخدمهُ اذًا في هذه الحياة يحفظ وصاياه اذا ما مات بالربّ فانهُ يكون في السموات حيث يكون سيدهُ ورأسهُ ولا تتاخر مجازاتهُ الى يوم النشور لانَّ الله امر ألَّا تؤَخر اجرة الفاعل الى الغد. وهذا يتأكد:

١ً من قول الرسول الالهي الذي يوضح لنا بهِ انَّنا متغرّبون عن الربّ طالما نحن في الجسد فنُحظَر على الربّ فيقول في الاصحاح الخامس من رسالتهِ الثانية الى قورنتية (٢ كور ٥ : ٦) : « انَّنا نحن نعلم انَّنا حينما نحن في الجسد فنحن غرباء عن الربّ فلذلك نحن مستمرُّون وتائقون بارادة صالحة ان نتغرَّب من الجسد ونحضر عند الربّ ». ويقول في الاصحاح الاوَّل من رسالتهِ الى اهل فيلبس: « اني اهوى ان أُحلّ من هذا الجسد واكون مع المسيح ». وكذلك يُخبرنا مار يوحنَّا في الاصحاح السابع من جليانهِ انهُ (141) أبصر جمعاً كبيرًا من القديسين امام العرش الالهي عليهم لباس ابيض وبايديهم سَعَف النخل. فلذلك نحن نعترف انَّ اولئك الآباء الاوَّلين الذين يذكرهم الرسول حقَّاً انهم لم ينالوا المواعيد ولم يكملوا قبل مجيء

المسيح لان الطريق الى الاقداس لم يكن مطروقاً حيث ان الله نظر في بابنا نظراً افضل لكي لا يكمل اولئك الآباء اصحاب العهد العتيق خلواً منّا نحن ذوي العهد الجديد. واما الآن فاذ نهج لنا المسيح طريق الاقداس بدمهِ فصار لنا وجوه مسفرة بالدخول الى السموات كما يقول الرسول (عبر ١٢ : ٢٢) : « واقتربنا من جبل صهيون ومن مدينة الله الحيّ اورشليم السماويّة ومن جماعة ربوات الملئكة ومن بيعة الابكار في السماء ومن ارواح الابرار الذين كملوا » كما يشهد الرسول اي الذين كانوا بنيل المواعيد التي لم يكملوا بها قبل المسيح كما اوضح ذلك الذهبي فمهُ ايضاحاً جليًّا في مقالتهِ الخامسة والستين (142) والسادسة والستين من تفسيرهِ سفر الخليقة

٢ً وقد حقق لنا ذلك اباؤنا القديسون منهم الذهبي فمهُ في مقالتهِ الحادية والعشرين من كتاب الدرّ حيث يقول : « ان اردت يا هذا ان تحصل لك تعزية فتفكّر بذلك الميت كيف ان الله اخذهُ الى ملكوته وهو الآن يمرح بابتهاج ». ويقول في هذه المقالة نفسها : « لا تظنّ انّ ابنك مفقود حاشا بل هو محفوظ فهو الآن في يد الله العزيزة وها فمهُ الآن يتكلّم بكلام اعظم بهاء وفصاحةً وعيناهُ تنظران البعد المستغرق والاشياء المستغربة وقدماه تجولان فوق السحب مع الملئكة ». وما احسن ما قالهُ في افتتاح المقالة الرابعة والثلثين من الكتاب المقدّم ذكرهُ التي قالها عند اقترابه من الموت معرّضاً بقضية الرسول قائلًا : « انّ هذا القول لمحزن الّا انني مملوءٌ سروراً . امّا وجه حزني فلانني لم اعد بعد اخاطبكم ووجه فرحي (143) وسروري هو انّ زماني قد حضر لانحلّ من جسدي واكون مع المسيح »

٣ً وهكذا كنيسة الله تتنهّد لنا بذلك حيث انها لم تزل تعلن بتراتيلها « انّ القديسين بأسرهم استحقوا معاينة وادي النعيم وانتظموا مع الملئكة فانهم الآن يشاهدون الله وجهاً لوجه » كما تهتف نحو القديس يوحنا الرسول في اليوم السادس والعشرين من شهر ايلول . وكذا تهتف نحو رهط الشهداء بكتابها المعزّي : « انّ السماء اقتبلكم أيها الشهداء وفُتح لكم الفردوس القديم وصرتم داخلهُ متمتعين بعُود الحياة ». ومثل ذلك تهتف نحو القديس استفانوس في اليوم السابع والعشرين من كانون الاوّل قائلةً : « بما انك ماثل لدى عرش المسيح ». ونحو القديس جاورجيوس : « بما انك مستوطن مساكن ربك مع القوّات العلويّة ». ونحو القديس

الشهيد (144) يعقوب الفارسي في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني قائلةً: « يا يعقوب المعظم لقد حصلتَ حيث محافل الشهداء وحيث المكان الاقدس الذي استقرَّت فيهِ جماهير القديسين مع ارواح القديسين في السماء في كنيسة الابكار حيث الآن قد صرت حالًا فيهِ وقاطناً »

واما الانفس الشريرة فنعترف بالنتيجة انَّها تمضي الى العذاب الابدي حسب شهادة سيدنا يسوع المسيح بايرادهِ خبر ذلك الغني الذي « مات وقُبر في الجحيم » . ومثل ذلك اخبار كثيرة وبراهين متعددة وردت في الكتب المقدسة لا نطيل اعترافنا بايرادها

٦ تقديس جسد الرب بكلام السيد المسيح

❊ سادساً ❊ نقرّ معترفين ان تقديس جسد سيدنا يسوع المسيح يتمّ بكلام الربّ لانهُ لا سبيل لنا ان نقدّس بخلاف ما قدَّس المسيح . والحال انَّ المسيح لم يقدّس الَّا بكلامهِ . هكذا اعتقد (145) الآباء القديسون قاطبةً منهم الذهبي فمه الذي يشهد بصحة هذا المعتقد في العظة المرتّبة يوم خميس الاسرار قائلًا : « انَّ الذي يحوّل الاسرار المقدَّسة ويجعلها جسدًا ودماً للمسيح ما هو بشر على الاطلاق بل هو المصلوب لاجلنا والكاهن ينوب عنهُ . نحن ننطق بما نطق بهِ ذاك واما النعمة والقدرة فهي لله لانهُ قال : هذا هو جسدي . فهذه اللفظة تغير الموضوعات » . ويقول ايضاً في عظتهِ الثانية على رسالة ماري بولس الثانية الى تيموتاوس : « انَّ هذه التقدمة لا يقدّمها الناس بل المسيح لانَّهُ كما انَّ الكلمات التي تكلَّم بها المسيح هي عينها التي يلفظها الكاهن الآن هكذا ايضاً التقدمة هي هي عينها » . فمن ثمَّ نعترف باستقامة انَّ تحويل جوهر الخبز والخمر الى جسد سيدنا يسوع ودمهِ انَّما يتمّ بقوَّة كلام الرب الملفوظ بفم الكاهن نيابةً عن المسيح لا بغيره واننا ندعو الروح (146) القدس بعد ذلك لا ليحيلَ الموضوعات ويقدّسها كأَنها لم تكن حصلت على ذلك من قبل بل ليجعلها ان تكون لمغفرة خطايا الذين يتناولونها اي ليظهرها ويوضحها كما يقول ماري باسيليوس واكليمنضوس الالهي في خدمتيها فيكون جسد المسيح ودمهُ بالفعل السرّي في نفوس مقتبليهما بالتناول تطهيرًا لانفسهم واجسادهم ومغفرة لخطاياهم وشركةً للروح القدس

٧ التقديس على الفطير والخمير

﴿ سابعاً ﴾ ثمَّ نعتقـد انَّ التقديس في بيعة الله يتمّ بالخمير والفطير على حدّ سواء من غير فرق وتفضيل كما كان من البدء غير انَّ كل طائفة ملتزمة بطقسها وعادتها الجارية حتى ان كل من خالف ذلك يخطئ خطأً مميتاً . فهكذا نحن نعتقـد وهكذا نؤمن كما سلّمت الينا آباؤنا القديسون ونرجو ان نموت على هذا الايمان ولا نحيد عن رشده اصلاً . ويا ليتنا نسفك دمنـا الى آخر نقطة ولا نحيد (147) عن السنن الابويّة ونخالف بذلك الروح القـدس الهاتف نحو كلٍّ منّا بفم الحكيم في الاصحاح الثـاني والعشرين من سفر الامثال قائلاً : « لا تتعدَّ حدود الاوَّلين التي رسمها آباؤك »

(تمَّ)

(حاشية) هنا في الاصل تنبيه هذا حرفهُ : « اعلم ايها المسيحي انّنا ملتزمون ان نتمسك بتقليدات الكنيسة المقدَّسة التي سُلمت الينا امَّا بالكتابة وامَّا بالعادة حتى ان الذي لا يتمسك بها او يضادّها يسقط في الحرم البيعي كما حدَّد المجمع السابع في ختامهِ : انّ كل من لا يقبل تقليدات الكنيسة المقدَّسة التي تثبت امَّا بالكتابة وامَّا بالعادة فليكن محروماً ومن لم نسمع من البيعة فليكن عندك كوثني وعشار » . ثم الحق الكاتب هذا بثلاث آيات من رسائل الرسل : ١ً « ان بشَّركم ملاك من السماء بخلاف مـا بشرنا كم فليكن مفروزًا » (رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (١ : ٨) . ٢ً « من جاءكم بغير هذا التعليم فلا تقبلوه في منازلكم ولا تسلموا عليهِ سلاماً » (رسالة يوحنَّا الثانية ١ : ١٢) . ٣ً « كونوا مستعدين لمجاوبة من يسألكم عن الكلام من اجل الرجاء الذي فيكم » (رسالة بطرس الاولى ٣ : ١٥)

نصيحة الزهور

موشح

لحضرة الخوري يوسف سماحه ق . ب

جـاء الربيع فمرحباً بزهورهِ وبعرفها الذاكي وشدوِ طيورهِ
وبَليل ريحِهِ مع شذا كافورهِ يجلو همومَ الصدر طيبُ عبيرهِ
شهرُ الربيع يفوق كل شهورِ

عرِّج على الروض النضير صباحا فلقد كستهُ يدُ الورودِ وشاحا
مرَّ النسيم على الزهورِ ففاحا أرَجٌ شهيٌّ يُنعشُ الارواحا
ويزيل حقًّا علّةَ الصدورِ

كحلَ البنفسجُ مقلةً نجلاء ورنا الشقيقُ باعينٍ سوداء
والياسمين بمقلةٍ بيضاء وعيون سَوْسننا غدت زرقاء
من حين مُدَّت إِصبعُ المنثورِ

يا حبذا المنظوم كلّلهُ الندى والجلّنار حكى بنَوْرهِ فرقدا
وكذا البهارُ بلون تبرٍ قد غدا والزنبقُ المعطارُ قام ممجّدًا
حمدًا لربٍ خالقٍ وقديرِ

يا ما أُحيلي البلبلَ الصدَّاحا بشجيّ صوتهِ قد نفى الاتراحا
قم عاطني كأس الشَّمول طِفاحا وذرِ الكآبة واغنمِ الافراحا
إِنَّ الزمان أتى بكلّ سرورِ

. . . .

أُمَّاه ما اشهى الرياضَ عليًّا ! أُماه ما احلى الزهور لديًّا
أُمَّاهُ اهوى قطفها بيديًّا ! (ينظر الى الزهور)
فلسوف اقطفكنَّ شيًّا شيًّا
أَدَعُ الزهورَ بحسرةٍ وزفيرِ

قصدي انضدُ باقةً لأُميمتي فتكون عندي خيرَ خيرَ هديَّتي
(يلتفت الى زهرة المنثور النابتة في الحائط)
يا زهرَةَ المنثورِ اجملَ زهرةٍ فلقد نبتِّ بوسط حائط اوضتي
ولكم سقيتكِ في المسا وبُكورِ

(زهرة المنثور)

إِني بأَمنٍ وسطَ هذا الحائطِ لا اختشي من ساقطٍ او لاقطِ
إِني ارى مسعاكَ مسعى حابطٍ ولو ارتقيتَ اراكَ مثل الهابطِ
رُحْ يا صبيُّ فانت كالمغرورِ

الولد: قد جاء في الامثال أنكِ حامضهْ حقًّا وصورتكِ البهيَّة عارضهْ

ضربَتْكِ ريحٌ مع بروق وامضهْ وبُليتِ في حشراتِ سمٍّ قارضهْ
حتى تصيري كالغفى المنثورِ

(يلتفت الى زهرة الفلّ)

يا زهرة الفلِّ البهيَّةَ مرحبا وسقيتِ من ذا النهرِ ماء طيبا
إني اخافُ عليكِ موجةُ غاضبا لو كنتِ عاقلةً فعلتِ الواجبا
تبقينَ عندي في هنًا وحبورِ

(زهرة الفلّ)

الماء غمرٌ والطريقُ كؤود وكذا الشواطئُ كلهنَّ جليدُ
فاذا طمعتَ حقيقةً مفقودُ تبكي عليك ألأمُّ يا مولودُ
اسفاً لجسمك في الثرى مقبورِ

الولد: إبقي مكانكِ لا أبا لكِ واقفهْ تقضينَ عمركِ في البلايا عاسفه
وظللتِ من هول الغوائل واجفهْ بعث الالهُ لكِ السيول الجارفهْ
وطغت عليك مياهُ كل بحورِ

(يلتفت الى الوردة)

يا وردةً يا ربَّة الأزهارِ حاكى جمالُكِ طلعةَ الاقمارِ
لي فيك سرٌّ ليس كالاسرار تدرينَ سرّي دون ما إشعار
أنتِ العليمةُ بالذي بضميري

كم قد سقيتكِ بكرةً واصيلا عهدي بانك تحفظين جميلا
إني سألتك فاستجيبي السُّولا حاشاكِ ألا تنجزي المأمولا
تقضين أطيب عيشةٍ في دوري

الوردة: قد جاء في الامثال كل مملّقِ يقتات من صاغيهِ لا تتملّقِ
فالشوك حولي فيلقٌ في فيلقِ تقضي حياتك في ممات أزرقِ
ويداك ناعمتان مثل حريرِ

الولد: عهدي قديماً فيكِ انك جاهلهْ من اين جاءكِ ذا الذكا يا غافلهْ
تأتي بامثالٍ كمثل العاقلهْ او ما دريتِ الحقَّ انك خاملهْ
ريّاكِ منتنةٌ كريح قبور

(يلتفت نحو زهرة البنفسج)

يا زهرةً نبتت بوسط الطُّحابِ أفدي بنفسجتي بأُمي مع ابي
يا ربَّة الحسنِ البهي لا ترهبي فلأنتِ فخر هديتي فتغرَّبي
مني ولا تتظاهري بنفورِ

البنفسجة: اني نبتُّ بفضل ربِّ خالقِ بين الصخور بقرب نهرٍ دافقِ
لو أن حشدتَ فيالقاً بفيالقٍ زلَّت بكم اقدامكم بخنادقِ
وانا بأمنٍ من وراء صخورِ

(الولد يقف حائرًا وقد اخذه القنوط)

ربَّاهُ قد ضاقت بيَ الاحوالُ ربَّاه خابت منيَ الآمالُ
وعلَّك القلبَ الكئيبَ مـلالُ أأعودُ صفرًا ؟ إنَّ ذا لَضلالُ
يا خيبةَ المسعى ويا لقصوري !!!

(يهمّ باعادة الكرَّة على الزهور فتجيبهُ الزهور)

الزهور: رحماك دعنا في هنًا وسلامِ يعطيكَ ربُّ العرش كل مرامِ
ان الحيـاةَ قصيرةُ الأيامِ لا تُعجل الآجالَ يا ابن كرامِ
لا تنزلنَّ بنا اشرَّ نكيرِ

لا يطمعنك ما بنا من نُضرةٍ فلسوف يعقبها قبيحُ جهومةٍ
أرأيت اقصر من حياة الزهرة حالًا يعاجلهـا الذبولُ بفترةِ
ولأنتَ في ذا الامر خيرُ خبيرِ

الولد: أأعودُ صفرَ الكفِّ ! ماذا أعملُ ؟ واذا رأتني الامُّ صفرًا اخجلُ
لو كنتُ اعرف زهرةً لا تذبلُ لقصدتُهـا حـالًا ولم اتمهَّلُ
لو انَّ حوليها الوفَ غديرِ

الزهور: هي وسط صدرك يا صغيرًا نابتهْ تلك المحبةُ والارادة ثابتهْ
وبصيرةٌ وقَّادةٌ لا خابتـه تسعى الى سبلِ الهدى لا خابطه
لا تستوي ظلماتها بالنورِ

قـدِّم لامك ان تشا اكرامها فعـلًا حميـدًا وأثمنَّ سُلامها

وافكرْ بانك لا تفي إعظامها ان لم تقف بتهيُّبٍ قدّامها
وتقول: أمي. ذاكَ نصحُ زهورِ

شركة انتشار الايمان

ومُنشئتها المكرَّمة ماري پولين جاريكو

بنسبة السنة الخمسين لوفاتها

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت آخر وصيَّة فاه بها السيد المسيح عند وداعهِ لتلاميذهِ ليعود الى ابيهِ صاعدًا الى السماء أن: «كما ارسلني الآب كذلك انا ارسلكم وها اني قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء والارض اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل لكلّ الخليقة وتلمذوا كل الامم معمدين ايَّاهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ وها انا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر»

فهذا الكلام الالهيُّ كان في الكنيسة بمثابة تلك الكلمة الخالقة التي لفظ بها عزَّ وجلَّ في اوَّل العالم اذ انَّهُ «قال فبرزت الموجودات من العدم أمرَ فلبَّت الكائنات لامره المطاع». قال مرقس الانجيليّ: «فخرج اولئك وكرزوا في كل مكان والربّ يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات المقارنة لهُ»

وقد ورثت الكنيسة الكاثوليكيَّة من رسل المسيح روح غيرتهم لنشر معتقداتها في اربع خوافق العالم لعلمها بان احدى سماتها المميزة لها من بقيَّة الاديان ومن سائر الكنائس المنفصلة كونُها جامعةً اي منبثَّة في العالم كلهِ. وترى آباء الكنيسة ومعلميها في كل كرور الاجيال اذا ما تجادلوا مع اهل البدع الخموهم بذكر هذه الصفة الخاصة

انَّ الكنيسة البطرسيَّة فضلًا عن أُلفتها واتفاق اعضائها في المعتقدات واتصال سلسلتها بالرسل هي وحدها كاثوليكيَّة اي جامعة لا تخلو منها الاقطار الاجنبيَّة مها كان بعدها وذلك منذ عهد الحواريين فان بولس الاناء المصطفى اوّل ما يشكر

عليهِ إلههُ في رسالتهِ الى الرومانيين « انَّ ايمانهم يبشَّر بهِ في العالم كلهِ »

ومن المستحيل ان نتتبع هنا رسالات الكنيسة الى دولة دولة وامَّة امَّة ونفصِل ما أتاه المرسلون من الاعمال العجيبة ليخضعوا الى نير المسيح اعزَّ الملوك شأناً وآبى الشعوب أنفة واعرق العشائر في الهمجيَّة . وانما نكتفي بذكر الرسالات التي قام بها رسل الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرن التاسع عشر وما اجراه الله من الاعمال السامية في كل انحاء المعمور على يد فتاة افرنسيّة خاملة لتوطيد اركان تلك الرسالات ومساعدة اصحابها في اتمام مهمَّتهم الشريفة

*

كانت الرسالات الكاثوليكيَّة منذ اكتشاف العالم الجديد قد دخلت في طور منظَّم فيلتجئ الاحبار الرومانيون وملوك الفرنج الى الرهبانيَّات ويطلبون من رؤسائها بعض رهبانهم ليفتحوا في البلاد الاجنبيَّة والمستعمرات الدوليَّة رسالات كان اولئك الملوك يقومون عادةً بنفقاتها فيسعى الرهبان بتعليم تلك الامم وتهذيب اخلاقهم واستئصال الخرافات الجارية عندهم ريثما يجعلونهم رجالًا جددًا وشعوباً راقية كبقيَّة الشعوب المتمدّنة بفضل الدين النصراني . وقد شهد كل الشهود العيانيين الذين زاروا البلاد التي احتلَّها المرسلون انهم ادركوا ما لم يستطع بشر الفوز بهِ بهمَّتهم وفضائلهم السامية وكثيرًا ما اهرقوا دماءهم في سبيل تبشير اولئك الامم حتى انتزعوا من قلوبهم كل قبائحهم الغريزيَّة واشربوهم روح التقى والتمدُّن الصحيح

تلك كانت حالة الرسالات الكاثوليكيَّة مزدهرةً ايَّ ازدهار اذ هبَّ ذاك الإعصار الهائل الذي قلب اوربَّة ظهرًا لبطن نريد بهِ الثورة الفرنسويَّة التي نفخها الروح الشرير في اعظم الدول رونقاً وبهاء فقوَّض اركانها وكاد يطمس آثارها

فكان لهذه الثورة صدى انعكاس في كل الاقطار الاجنبيَّة حيث كان المرسلون يضحُّون نفوسهم لتنوير الامم المتسكعة في ظلام الجهل والهمجيَّة فأُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولم يعد بقيَّة المرسلين ينالون من مواطنهم المساعدات الماليَّة التي كانوا يستعينون بها لتهذيب الوثنيين ولتشييد الكنائس وفتح المدارس وبقيَّة المشروعات الخيريَّة . فما لبث أن قلَّ عددهم وصارت تلك الرسالات الى حالة مشنومة حتى عُدَّت اثرًا بعد عين

ولمّا خمدت الفتن ورجعت اوربّة الى سكينتها وعـاد للدين مقامهُ في النفوس واستأنفت الرهبانيَّات اعمالها المبرورة لم ينسَ الاحبار الرومانيون الرسالات الاجنبيَّة قياماً بامر السيد المسيح ان يُكرَز بالانجيل في العالم كلهِ . فاخذ مجمع انتشار الايمان في طلب الوسائل لتجديد تلك الرسالات ودعوة الامم الى الدين المستقيم

غير انَّ عَمَلًا كهذا كان يستدعي من المبالغ مـا لا يسع الكرسي الرسولي والرهبانيَّات وحدها ان تقوم بكلفهِ الباهظة . لكنَّ عين الله لم تقصر وهو الذي وعـد ان يكون مع كنيستهِ الى منتهى الدهر فاراد سبحانهُ وتعالى ان يظهر قوَّتهُ على يد فتاةٍ ضعيفة انتدبها الى هذا المشروع الذي ينوء تحت عبئهِ الجبـابرة وذلك لانَّ اعمال الله تلوح خاصة بضعف الآلات التي يتوسّل بها لانجازها وفقاً لقول الرسول (١ كور ١ : ٢٧) : « اختار الله الضعيف من العالم ليخزي القوي واختار الله الخسيس من العالم والحقير وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يفتخر ذو جسدٍ امامهُ »

وهذه خلاصة ترجمة تلك الآنسة الشهمة وخادمة الله :

پولين ماري جاريكو (Pauline- Marie Jaricot) رأت النور في مدينـة ليون في ٢٢ تموز سنة ١٧٩٩ وكان اصلها من عائلة صالحة سكب الله عليها غزير نعمهِ وافاض عليها سجال فضلهِ مادّيًّا وادبيًّا فجمعت بين خيرات الدنيا والكنوز الروحيَّة . وما كان غنى والديها بالاموال الّا ثمرة مساعيهما وكدّهما في الشغل . فان اباها انطون جاريكو كان الثالث عشر من اولاد رجل زراعي فاضل دخل بعد وفاة ابيهِ في احد معامل الحرير في ليون فتقدَّم وتوفَّق باعمالهِ الى ان فتح معملًا على حسابهِ اداره بهمَّة وحكمة ونال ثروة واسعة . ولمَّا حان وقت زواجهِ لحظ يوماً في كنيسة من كنائس ليون فتاة لم يعرفها كانت تلوح على محيَّاها لوائح التقى والطهارة واذ سأل عنها وعرف انها ابنـة فريدة الآداب من اسرة شريفة فاضلة لكنها قليلة المال طلب ان يقترن بها مفضّلًا الادب والتقى على كل حطام الارض . وكان اسم الفتاة جان لاتيه (Jeanne Lattier) فكان هذا الزواج المسيحي مورداً لنعم الله الوافرة على الزوجين الفاضلين فاخذا يتسابقان كخيل الرهان في اعمال البرّ

وهما مع ذلك يُعنيان في تنمية ثروتهما بتحسين الادوات الحريريَّة وتوفير الوسائل الاقتصاديَّة

وما لبث ان ابتهج قلب الابوين بولادة ثلاثة اولاد صبي فبنتين اجتهدا في تربيتهم بكل حرص وتقى. وبينما كانا يرشفان من العيش ارغده اذ بُليت فرنسة بتلك الثورة العظمى التي حوَّلت البلاد الى منقع من الدم. وكان اصحابها يتعقَّبون خصوصاً ارباب الدين فيحبسونهم ويوسعونهم هواناً ويقتلونهم باسم الحريَّة فاضطرَّ اكثرهم الى ان يهاجروا الى البلاد الاجنبيَّة او يختفوا في منازل الخاصة. وكان المسيو جاريكو وقرينتهُ ممن اسرعوا الى مساعدة الكهنة المنكوبين بمالهم ونفوذهم. واذ بلغ ذاك الوطنيّ الحرّ انَّ زعماء الثورة اتوا لفتح مدينة ليون انتظم في سلك جنودها الامناء ليردّ غاراتهم. الَّا انَّ الفوضويين استولوا على تلك الحاضرة واخذوا يسفكون دماء من لا يجاريهم على اعمالهم القبيحة وجعلوا لمن يأتيهم برأس المسيو جاريكو جزاء كبيرًا. فلم يبق له وسيلة للنجاة سوى الفرار من وجه اولئك الوحوش الكاسرة. فولى هارباً ثم تبعتهُ امرأتهُ مع اولادها الثلاث الحديثي السنّ فنجت بعون الله ولقيت زوجها فعاشا في العزلة مستخفيين حتى عاد للوطن شيءٌ من الهدوء فامكنهما ان يؤوبا الى دارهما

وولد لهما في تلك الايام الصعبة ثلاثة اولاد آخرين كانت بولين خاتمتهم. وقد لحظت أُمها منذ نعومة اظفارها رقَّة طباعها وحنوّها على الفقراء ورسوخها في التقى والصلاح فشكرت الوالدة ربَّها على كونه منحها ابنةً مثلها فلم تدَّخر وسعاً في تهذيب عقلها وتثقيف اخلاقها ولمَّا بلغت اشدَّها جعلت تأخذها رفيقةً في صلواتها وصدقاتها وكل مبرَّاتها. وكثيرًا ما كانت تناجيها وتصف لها عجائب الخالق وتحبب اليها كل المشروعات الخيريَّة واعمال الغيرة الرسوليَّة لخلاص القريب

فترعرعت الفتاة وقلبها يتلهب حبًّا لله ورأفة على البائسين فما كانت تجد راحة وسلواناً الَّا في الصلاة او في خدمة الفقراء. وكانت اذا رافقت أُمها الى الكنيسة وانتهت هذه من صلاتها فدعتها الى البيت استقصرت الزمان وطلبت من والدتها ان تسمح لها بمناجاة الله امام القربان الاقدس قائلة: « ارجوكِ يا امي ان تتركيني بعد بجوار يسوع الهي لاني اراني سعيدة بقربهِ ولا ترسلي احدًا يرافقني الَّا بعد زمن

طويل ». وقد كتبت فيما بعد عن نفسها: « اني كنت حينئذٍ اتكلم مع يسوع ربي كما اتكلم مع امّي فاكشف لهُ افراحي واحزاني الصغيرة وابوح لهُ بنقائصي واعرض عليهِ رغبتي الشديدة في ارضائهِ »

امَّا حنانها على المساكين فكانت تتفنن في ان تظهرهُ لهم في كل حين فلا تدع واحدًا منهم يعود فارغ اليدين فتارةً تقاسمهم طعامها وتارة تجود عليهم بما أُعطي لها من الدراهم لحاجاتها او تلحّ على اهلها لتنال منهم صدقةً لمساعدتهم صغارًا وكبارًا

واذ رأت يوماً وهي لم تبلغ عشر سنوات من العمر السُقاةَ يستقون من بئر في بيت ابيها ماء والماء لا يقلّ سألت امها: كيف لا تُنزح البئر ولا ينفد ماؤها مع كثرة الماء المستخرج منها ؟ فقالت لها امّها: « لانَّ الينبوع الذي يجري الى البئر لا يُنزح ابدًا ولا يقلّ » فاردفت پولين: يا ليت لي يا امّي بئرًا من ذهب لا ينفد لكي اقدر ان اسعف كل الفقراء ولا يعود احد يبكي ». فشرعت الام الحكيمة تبين لابنتها الصغيرة انَّ الصدقات المادّية تنفد كلها لكنَّ للانسان صدقةً اخرى لا تفرغ ابدًا وهي الصلاة الى الله كي يلهم الفقراء صبرًا على اوجاعهم وتسليماً لارادتهِ تعالى وان يمنحهم عزَّ وجلّ ما لا نستطيع نحن ان نجود بهِ لتلطيف بؤسهم

وكما كانت پولين تفكّر في المساكين لتسعفهم في ضروريّات العيش كانت ايضاً ترغب في خلاص النفوس. ولمَّا سمعت يوماً اخاها المدعو فيلياس يخبرها بانَّهُ يوجد في الاقطار القاصية وثنيون وشعوب لا يعرفون الله خالقهم وانَّهُ هو يريد ان يذهب الى تلك البلاد ليبشرهم بالايمان ويموت شهيدًا فينمو باستشهادهِ عدد المؤمنين. صرخت پولين انَّها تريد ان تسير معهُ لتعتني بالمرضى وتعلم الاولاد الصغار وتهتمّ بتزيين الكنائس وتموت مثلهُ. واذ اجابها اخوها انَّها لا يمكنها السفر الى تلك الاصقاع لضعفها اغرورقت عيناها بالدموع ولم تتعزَّ الى أن افهمها انَّها تستطيع ان تريح نفوساً كثيرةً بصلواتها وبالحسنات التي تجمعها فترسلها لهُ وهو يصرفها في خير البلاد الاجنبيَّة لانقاذ الاولاد الصغار من الموت

وكان المسيو جاريكو في تلك الاثناء قد اصبح من اعظم تجَّار الحرير في مدينة ليون معدودًا بين اعيانها وافاضلها ولوفرة ثروته وعموم فضلهِ ودينهِ اقبلت عليهِ

اشرف العيال طالبةً ان ترتبط مع اسرتهِ بالزواج. فزوَّج بنيهِ وبناتهِ الَّا فيلياس الذي دخل في مدرسة سان سولبيس ليعدَّ نفسهُ للكهنوت وبولين التي كانت افكارها منصرفةً الى اعمال الخير. وقد سرَّها ما سمعتهُ يوماً من والدها: « ان مستقبل بولين لا يقلقني فانَّ الله على ما يظهر قد اختصَّها لخدمتهِ». واذ ارادت امها يوماً ان تختبرها وتسبر غور افكارها جعلت تصف لها ما ينتظرها في العالم من رغد العيش والهناء التامّ اذا ما اقترنت بالزواج مع احد شبَّان ليون المعتبرين المشهورين بالثروة والدين. لكنَّ بولين قاطعت امَّها قائلة: « او لعلَّك يا امَّاه تريدين ان تمنعيني عن تلبية دعوة الله. فهيهات ان اختار لي غير الرب حصة فهو حسبي ولن ارضى بكل زخارف العالم». فكان جواب الامّ بدموعها الى ان قالت لكريمتها: « معاذ الله يا ابنتي ان احول دونك والله قرين نفسكِ. فان كان هو اختاركِ لخدمتهِ فكوني اهلًا بختنكِ الالهي»

وكانَّ كلام الام هذا اصبح كوصاتها الاخيرة لابنتها لأنَّها توفيت بعد قليل وفاة الابرار. فبكتها بولين وكانت تتذكر امثالها الصالحة فتنتعش نفسها بذكرها

وكانت بولين جامعة في شخصها كل ما يجتذب القلوب من الجمال الفتَّان وخلابة اللسان ورشاقة الحركات ولين العريكة والرزانة فكانت تسمع النـاس يطرئون محاسنها ويثنون على اخلاقها ولعلَّ هذه المدائح كانت عملت في قلبها لولا انَّها حضرت يوماً عظة لاحد الكهنة الصالحين يُدعى ڤورتس (Wurtz) كانت اختها المتزوجة ترتاح الى مشورتهِ وارشادهِ فسمعتهُ بولين مرَّةً وهو يسترسل في الكلام عن اباطيل العالم وغرورهِ واخطارهِ التي تتهدَّد النفوس وتوقعها في فخاخهِ القتَّالة. فكان لهذا الخطاب وقعٌ عظيم في قلب بولين فما نزل الواعظ من منبر الخطابة حتى طلبت مواجهتهُ واعترفت اليهِ بكلّ خطايا حياتها وكشفت لهُ نعم الله اليها واتَّخذتــهُ كمرشدها الروحي. ولمَّا انكفأت راجعة الى البيت نزعت عنها كل الثياب العالميَّــة وارتدَت باثواب خشنة بنفسجيَّة قاتمة واستغفرت جهارًا من كل الاهل والاقارب عمَّا صدر عنها من امثالها الرديَّة وطياشتها. فتأثر الحضور من كلامها وقبَّلها ابوها قائلًا: « اننا لم نعرف لك غير الاعمال المشكورة فباركك الله وارشدك الى كل صلاح»

والحقّ يقال انَّ سيرة بولين اضحت مذ ذاك الحين وهي في بيت والدها اشبه بسيرة النسَّاك او الراهبات الاشظف عيشاً والاشدّ زهدًا فنزعت عنها كل ما كان لها

من الحلي والمصاغات فقدَّمتها للمصلوب ثمَّ باعتها ووزَّعت قيمتها على الفقراء وكذلك فساطينها اصطنعت منها حللًا للكنائس كما انَّها اخذت تزين الهياكل بالزهور التي كانت تزدان بها قبلًا

ولم تكتفِ ابنة جاريكو بان تخدم الله وتعيش بالزهد والصلاح بل ارادت ان تكون لاهل البيت ولمن يقترب اليها قدوة حيَّة لكلّ اعمال البرّ. وكان ارتداد اخيها فيلياس على يدها فبعد ان استسلم مدّة الاهواء. زهد في الدنيا وانتظم في سلك الاكليروس وصار يجاري اختهُ في كل فضائلها وكانا يتراسلان بالتواتر ورسائلهما كلها مفعمة بروح التقى والغيرة في حب الله وخلاص النفوس وكان اخوها قاصدًا بعد دروسهِ الكهنوتيَّة ان يذهب الى الرسالات الاجنبيَّة لكنَّ الموت حال دون رغائبهِ فمات موت اولياء الله

وكانت بولين تهتمُّ في اثناء ذلك بتربية اولاد اخوتها واخواتها وتسعى ان تطبع في قلوبهم منذ حداثة سنهم العواطف الدينيَّة والفضائل المسيحيَّة . وكذلك خدَّام البيت وعمَّالهُ فانَّها افرغت مجهودها في اصلاح سلوكهم وتسييرهم على مقتضى الواجبات الدينيَّة

ثمَّ اخذت تجمع في بيتها بنات من العاملات والإماء. كانت تقضي زمانها في ارشادهنَّ والصلاة معهنَّ. ثمَّ اختارت بينهنَّ اعظمهنَّ غيرة وانشأت لهنَّ شركة دعتها « شركة المعوّضات لقلب يسوع عن الاهانات اللاحقة بهِ » كانت غايتهنَّ التكفير عن ذنوب البشر وآثام الخطأة الذين يجرحون قلب الله بما يقترفونهُ من المآثم. فنمت هذه الشركة بعد قليل وكانت اعضاؤها يأتين من اعمال التقشف والاماتات ما يقضي منهنَّ العجب

وكان في مدينة سان ڤاليه (Saint - Valliez) لاحدى اخواتها مادام شرترون (Mme Chartron) معمل كبير تُصطنع فيهِ الاقمشة المعروفة بالبرنجك تشتغل فيهِ نحو مائتي عاملة من فتيات النواحي. الَّا انَّ اكثرهنَّ كنَّ منقادات الى الفساد ومنهمكات في اباطيل العالم لا يعرفن من الدين اصولهُ ومبادئهُ الاولى. فكان المسيو شرترون وامرأتهُ يتأسفان على هذه الحالة التعيسة ويرغبان في تهذيب اولئك البنات فحاولت بولين ان تهديهنَّ الى الصلاح فلازمتهنَّ واخذت تؤدي لهنَّ كل الخدم

التي بوسعها وتستعلم عن اشغالهنَّ وعيالهنَّ وتعودهنَّ في امراضهنَّ. فكان مثلها يؤثر فيهنَّ لاسيما اذ رأين ابنةً شريفة لابسة بكلّ احتشام وسائرة معهنَّ بكل لطف وانس. فتقرَّبن منها واخذن يصغينَ لكلامها ولرشاداتها حتى امكنها بعد قليل ان تسنَّ للمعمل نظاماً قانونيًا صارماً اوجبت على الجميع ان يسيروا بمقتضاه وكان من قوانينهِ انّ العاملات يبتنَ في المعمل ولا يخرجنَ منهُ الَّا برخصة خاصَّة. ثمَّ دعت كاهناً غيورًا اسمهُ بلوتون (Bloton) ألقى عليهنَّ الارشادات التي زرعت في قلوبهنَّ بذور التقى والعيشة الصالحة فصارت الفتيات يستقبحنَ طياشتهنَّ الماضية وامسكنَ عن كل كلمة سمجة وجعلن لبسهنَّ مطابقاً لحياتهنَّ بل اخذن يثابرنَ على الاسرار ويعكفنَ على كل الفرائض الدينيَّة ونفينَ من جماعتهنَّ كل فتاة لا تقتدي بهنَّ

فصار ذلك المعمل بعد قليل اشبه بدير تُقام فيه كل الرياضات التقويَّة وتُمارس كل الفضائل المسيحيَّة. وكانت بولين في مقدَّمة الجميع تبعث الهمم وتنشط القوى بمثلها وكلامها. فكان يكفيها كلمة بل اشارة لتتسارع الفتيات العاملات الى سؤْلها. وكنَّ في وقت الفراغ على مثالها يزرنَ القربان الاقدس في معبدٍ كانت بولين عُنيت بتشييدهِ قريباً من معامل اختها

ولمَّا عرضت عليهنَّ ان يشتركنَ في شركة التعويض التي كانت انشأتها في ليون اجاب اكثرهنَّ الى طلبها فجعلن يقدّمن للقلب الهي اعمالهنَّ واتعابهنَّ تكفيرًا عن اهانات البشر لعزَّتهِ تعالى. ومن الادلَّة على غيرتهنَّ انَّهُ لما حدثت في فرنسة ثورة عظيمة ارتعبت لها القلوب طلبت بولين ان يختاروا من الفتيات اربعين بنتاً ليصمن يوماً كاملاً على الخبز والماء لردّ غضب العدل الالهي عن الوطن. فسألت جميع العاملات دون استثناء ان تُدوَّن اسماؤهنَّ لاتمام هذا العمل البارّ فصُمنَ وداومت بعضهنَّ على هذا الصوم القشف مدَّة اربعين يوماً

وطلبت منهنَّ يوماً آخر ان يعملنَ تساعية للغاية ذاتها يتلونَ فيها الصلاة الربيَّة والسلام الملائكي خمس مرَّات بتصليب ايديهنَّ لاكرام آلام المسيح فقمنَ كلهنَّ بهذه العبادة بل واظبنَ عليها بعد نهاية التساعيَّة فجرت كعادة بين العاملات

*

فهذه المشروعات التقوية وغيرها اَهلت بولين الى عمل آخر رسولي أَلهمها الله ايَّاهُ

في اثناء ذلك. كان قلب بولين جاريكو متقدًا بحب الخالق كأتون النار لا تجد راحةً الَّا بتمجيد اسمهِ تعالى وبالسعي الدائم في نشر محبتهِ. وقد ألّفت السنة الثالثة والعشرين من عمرها كتاباً تقوياً في سرّ القربان وعبادة قلب يسوع طبعتهُ في ليون سنة ١٨٢٢ وضمنتهُ شواعر قلبها المضطرم بالحبّ الالهي وهي تصرّح هناك بانّها مستعدّة لان تُكابد كل عذابات العالم لتنال امنيتها في نشر ملك المسيح وبَعْث الغيرة الرسوليَّة في قلوب الكهنة

وكان فيلياس اخوها في مدَّة دروسهِ الاكليريكيَّة يراسل بعضاً من المرسلين الفرنسويين في الشرق الاقصى فيصفون لهُ احوال البلاد التي يبشرون فيها وحاجات اهلها فيسرّ بكتاباتهم ويسعى بجمع بعض الصدقات يرسلها اليهم ليساعدهم في تنصير الوثنيين. لكنه رأى بعد قليل انَّ هذه الحسنات الموقتة لا تفي بالمقصود فعرض على اختهِ بولين لما يعرف من غيرتها الملتهبة بان تسعفهُ وتحرّض بعض اهل الكرم على مساعدة المرسلين في مهمّتهم لانقاذ اولئك المتسكعين في ظلام الوثنيَّة

فاخذت بولين تهتم بمطلوب اخيها فتجرَّدت عمَّا كان في يدها من المال او ما كان يعطيها ابوها من الدراهم. وكانت لا تعرف السأم حتى تجمع من معارفها وصديقاتها ما تستطيع لاسعاف المرسلين وتطلعهنَّ على رسالاتهم لتحرك قلوبهنَّ على الجود والكرم. ومن العجب العجاب ان العاملات الفقيرات كنَّ يسبقنَ السيدات الغنيَّات في مساعدتهم وكانت فتيات معمل اختها اوَّل من اجاب الى طلبها فكنَّ في كل اسبوع يفرزنَ شيئاً من اجرتهنَّ للمرسلين في البلاد القاصية

لكنَّ هذه المبالغ التي كانت تجمعها بولين وترسلها الى المبشرين على يد اخيها ما كانت مع وفرتها لتأتي بفائدة كبرى اذ لا تسدّ غير حاجات بعض المرسلين لوقت قصير فكانت ليلًا مع نهار تفكر في الوسائط لتوسيع نطاق اعمالهم الرسوليَّة ومساعدتهم على طريقة منتظمة لينشروا الدعوة المسيحيَّة بانشاء المشروعات الدينيَّة كتشييد الكنائس وفتح المدارس وانشاء المعاهد الخيريَّة كالميائم والملاجئ والمستوصفات وفكّ اغلال العبيد وانقاذ الاسرى. وكل ذلك لا يقوم بهِ المرسلون الَّا بالقناطير المقنطرة من المال فكيف العمل لسدّ مثل هذا الخلل ؟ فكان هذا المشكل يشغل نفس بولين فتطلب من الله ان يلهمها حلًّا مرضياً لهُ

ففي بعض ايَّام الشتاء من السنة ١٨١٩ اجتمعت افراد عائلتها في نادي الدار ليصطلوا حول النار ويتلهَّوا ببعض الالعاب. امَّا بولين فكانت جالسة وحدها في احدى الزوايا اذ عنَّ لها فكر كاللمع البارق ارتكض لهُ جنانها فنظرت على بغتة مشروع شركة انتشار الايمان بصورتهِ الحقيقيَّة والسهلة معاً وذلك بان تعيّن بعض معارفها واصحابها فتؤلف كل واحدة مجموع عشرة اشخاص وتجمع من كل واحد من فرقتهم عشر بارات في الاسبوع اي فرنكين و٦٠ سنتيماً في السنة ثم تجعل لكلّ عشر عشرات روساء مئات يستلمون حسنات العشرات . وكذلك روساء الالوف يجمعون صدقات روساء المئات فيبلغون الدراهم المجموعة الى مركز واحد حيث تُقام لجنة لتوزيع تلك المبالغ على رسالات المرسلين في كل انحاء المعمور

فما لاح لبولين هذا الفكر حتى عرضتهُ على مرشدها الذي علم انَّ اصبع الله هناك فحضّها على اخراجهِ الى حيز العمل فبدأت بنشاط عظيم واقبل كثيرون لينتظموا في سلك الشركة. لكنَّ الشيطان ادرك ما سيصيبهُ من جرَّاء هذا المشروع من الخذلان والخزي فسوَّل لكثيرين ان يتصدوا لهُ فاخذوا ينسبون مشروع الفتاة بولين الى غايات بشرية كحبّ الذات والفخفخة والتفرُّد في الرأي فسلقوها بألسنة حداد لكنَّ الله لم يهملها فواصلت العمل دون سأم شاكرةً لهُ تعالى على ما نالها من تعيير الناس وسوء ظنهم فيها . وزادها نشاطاً انَّ بعض الاساقفة والحبر الاعظم بيوس السابع بلغهم خبر هذه الشركة فأثنوا على بولين وآزروها ببركتهم وتمنَّوا لو تنتشر شركتها في كل الانحاء. وفي ٣ أيَّار من السنة ١٨٢٢ اجتمع اثنا عشر رجلًا من كاثوليك ليون تحت نظارة كاهن غيور ودوَّنوا قوانين الشركة كما سبقت اليها بولين جاريكو واتخذوا الوسائل لتوطيد اركانها وتوسيع نطاقها في كل العالم الكاثوليكي . والشركة تعتبر ذلك اليوم كمنشأها وتحتفل كل سنة بذكرهِ فتعقد فيهِ حفلة دينيَّة يتولَّاها رؤساء الشركة واحبار الكنيسة ومشاهير الرجال

وقد امتدت هذه الشركة مذ ذاك الحين امتدادًا عجيباً في خمسة اقطار العالم ولاسيما بعد ان صدرت عدَّة براءات للاحبار الرومانيين لخصُّها لغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر الذين اثنوا على هذه الشركة وحضُّوا المؤمنين على الانتظام فيها واغنوها بالغفارين العديدة مع سهولة فرائضها وهي ثلاث

لا غير : ١ً ان يدوّن المشترك اسمهُ في سجلّ احد روّساء الجمعيَّة. ٢ً ان يتلو كل يوم مرَّة واحدة الصلاة الربيَّة مع السلام الملائكي والنافذة الآتية الى شفيع الرسالات الاجنبيَّة: يا مار فرنسيس كسفاريوس تضرَّع لاجلنا. ٣ً ان يعطي كل اسبوع عشر بارات لرئيس فرقة العشرة الذي هو من جملتها

وهنا لا نرى بدًّا من القاء النظر على هذه الجمعية التي منذ تسعين سنة افاضت على الامم الاجنبيَّة من ثمار الخلاص والرقيّ ما لا يعلم بهِ غير الله ودونك نظرًا عامًا عن مدخولات ومصروفات هذه الشركة في السنة المنصرمة. كان مجموع حسنات شركة انتشار الايمان في السنة ١٩١١ بالغًا ٧,٢٧٤,٢٢٦ فرنكًا بزيادة ٢٨٧,٥٤٨ فرنكًا على السنة السابقة ١٩١٠ جمع من هذه المبالغ في فرنسا ٣,٠٢٥,٧٨٨ وفي الولايات المتحدّة ١,٤٠١,٦٧٥ ف ثمَّ في المانية ٥٣٧,٦١٢ ف يُضاف اليها ٣٩٢,٩٥٠ في مقاطعتي الزاس ولورين. ثمَّ في بلجكة ٣٥٩,٩٥٢ ف ثمَّ في ايطالية ٢٥٣,٢٥٧ ثمَّ في اسبانيـة ٢٢٠,٩٤٧ ثمَّ في انكلترة ٨٢,٩٧١ ثمَّ في النمسة ٥٤,٥٧٥ الخ وقد وزّعت هذه المبالغ على اكثر من ٣٠٠ رسالة اجنبيَّة في جهات العالم حيث يشتغل نيف و٢٥٠ اسقفًا و١٣,٠٠٠ كاهن والوف موّلفة من الاخوة والمعلمين والراهبات . وفي هـذه الرسالات قد شُيدت ٢٠,٠٠٠ كنيسة و١٥٠ مدرسة اكليريكيَّة يستعدّ فيها للكهنوت الوف من الكهنة الوطنيين. وهناك ١٥٠٠٠ مدرسة ومئات الوف من الدارسين هذا فضلًا عن عـدد لا يُحصى من المشروعات الخيريَّة كالمستشفيات والمياتم والملاجئ. وعدد المتنصرين الجدد البالغين في كل سنة ينيف على ١٥٠,٠٠٠ ما عدا المعمَّدين من ابناء النصارى وصغار الوثنيين

ثمَّ لشركة انتشار الايمان منشورات اخصها نشرة « الرسالات الكاثوليكيَّة » (Missions Catholiques) التي تصدر مرَّة في الاسبوع وهي تطبع مصوَّرة في ثماني لغات في الفرنسويَّة والايطاليَّة والالمانيَّة والهولنديَّة والاسبانيَّة والانكليزيَّة والبولونيَّة والمجريَّة. وللشركة نشرة اخرى تظهر مرَّة كل شهرين تحتوي اخبـار الرسالات الكاثوليكيَّة (Annales de la Propagation de la Foi) يبلغ عدد نسخها ٣٠٠,٠٠٠ ويُنشر مثلها في ١٢ لغة

فترى من هذه اللائحة الموجزة مـا تجري من الاعمال الرسولية في كل اصقاع

العالم بمساعي شركة انتشار الايمان وما يعود لبولين جاريكو من الفضل بانشائها . ويا ليت هذه الشركة تنتشر في كل مدن الشرق بين جميع الكاثوليك فيشتركون بكل النعم والبركات التي تجري على ايدي المرسلين في كل انحاء المعمور

*

ولنعودنَّ الآن الى ترجمة بولين جاريكو ولنقل انّ هذه الشهمة الفاضلة لم تجتزئ بذلك العمل الجبَّاري السابق وصفهُ ايّ شركة انتشار الايمان بل انشأت عملين آخرين كادا يوازيانها نفعاً وخطرًا اوَّلهما عبادة « الوردَّية الحيَّة » (le Rosaire Vivant) والآخر شركة العامل المسيحيَّة (L'Usine chrétienne)

فباشرت بعبادة الوردَّية الحيَّة سنة ١٨٢٦ رغبةً منها ان تنشر اكرام البتول الطاهرة على طريقة سهلة في البلاد المسيحيَّة وخصوصاً بين طبقات الشعب . فكان المشتركون في هذه الجمعيَّة يقتسمون فرقاً كل فرقة خمسة عشر شخصاً على عدد اسرار الوردَّية الخمسة عشر فيقترعون عليها في اوَّل الشهر فاي سرّ وقعت القرعة عليه لاحدهم تلاه كلَّ يوم بيتاً من الوردَّية متأملًا في ذاك السرّ . واذا انتهى الشهر عادوا الى القاء القرعة وهلمَّ جرًّا . ويتولى تدبير كل فرقة واحد يُدعى غيورًا

فهذه العبادة القريبة المنال المنعشة لروح الدين انتشرت في كافة بلاد اوربَّة واثبتها البابا غريغوريوس السادس عشر في رقيم تاريخهُ ٢٧ كانون الاوَّل سنة ١٨٣٢ ومنح اعضاءها النعم الروحيَّة وجعل لها كردينالًا يراعي امورها ثمَّ قلَّد البابا بيوس التاسع تدبيرها رؤساء الرهبانيَّة الدومنيكانيَّة العامّين فهم متولون اليوم ادارتها

وكان الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر يعزُّ بولين جاريكو ويثني على همتها ويشكر الله الذي اقام في فرنسة فتاة مثلها تنعش في القلوب عواطف البرّ والتقى

على انَّ هذه الاعمال التي كانت بولين خصت بها حياتها انهكت قواها واضعفت مزاجها فقضي عليها ان تلزم الفراش . وفي تلك الاثناء في نيسان من السنة ١٨٣٤ حدثت في ليون فتنة عظيمة اثارها الجمهوريُّون والفوضويون فالتحم القتال بينهم وبين المحافظين وضُربت المدافع وانتشر الاوباش في البلد يقتلون وينهبون . وصرخ بعض الغوغاء : هلمَّ بنا الى تلّ فورڤيار لنحارب سيدّة الكاثوليك وشفيعتهم

وكانت بولين والبنات اللواتي تهتمّ بأمورهن يسكنّ في دار قريبة من كنيسة فورڤيار فبلغهنّ امر الثوّار وشملهنّ الخوف جميعهنّ ولم يرين وسيلة للخلاص الّا ان يلتجئن الى الاسراب الواسعة التي تحت معبد فورڤيار لكنهنّ خفن ان يزعجن امهنّ في مرضها الثقيل. امّا هي فلمّا علمت بالخطر اشارت اليهنّ بان ينقذن القربان الاقدس قبل كلّ. فخرجن والقربان يتقدّمهن وفي ايدهنّ الشمع وحملن بولين على فراشها وكان رصاص العدوّ يدوي حولهنّ فلم يُصَبن باذًى حتى بلغن تلك الاسراب وفيها اختفين مدّة خمسة ايام في رُعب متواصل الى ان انتصر المحافظون وصعدوا الى تلّ فورڤيار مترنمين بتسابيح مريم البتول التي نجّت المدينة

فرجعت بولين مع بناتها الروحيّات الى دارها ونُقل اليها القربان بحفلة حافلة حضرها قوم غفير بكل خشوع واكرام. لكنّ المرض قد تثاقل على بولين حتى ظنّ كثيرون انّها تموت لا محالة بعد قليل فتزوّدت باسرار الكنيسة واعدّت نفسها بكلّ حرارة لآخرتها

وهي كذلك اذ نقلت الجرائد انّ الاثريين اكتشفوا في ديامس رومية جسد احدى العذارى الشهيدات المدعوّة فيلومينا وانّ ذخائرها نُقلت الى مدينة موغنانو (Mugnano) حيث جرت عدّة معجزات باهرة بشفاعتها. فشعرت المريضة برغبة عظيمة الى ان تسافر الى ايطالية لتستمدّ من الشهيدة شفاءها وطلبت ان يُسمح لها بالسفر لكنّ الطبيب مع اهلها ومعارفها رأوا ان سفرها ضربٌ من الجنون وهي مدنفة على الموت لكنها لم تزل تلحّ عليهم حتى أيسوا من اقناعها فرخّصوا لها بالسفر وهم متاكدون انّها تموت في الطريق اوّل يوم رحلتها فسافرت ومعها الكاهن مرشد بناتها وامرأتان من اصحابها وكلهم في عربة اذ لم يكن في ذاك الوقت سكك حديديّة. وكان السفر يجري بهدوّ حتى وصلوا الى قمة جبل الالب فهناك اتى يوماً ولد بهي المنظر وتقرّب من العربة وقدّم للمريضة وردةً ذات عرف وشكل غريبين ثمّ توارى عن العيان من ساعتهِ فعدّه رفقة بولين ملاكاً من الرب ارسلتهُ العذراء شكرًا لتلك التي انشأت شركة الورديّة الحيّة

وبعد ايّام وصلت بولين الى رومية على آخر رمق لكنها واثقة بشفائها فطلبت من البابا غريغوريوس السادس عشر ان يسمح لها بزيارتهِ وطلب بركتهِ فسرّ الحبر

الاعظم لمرآها سرورًا عظيماً واثنى على مشاريعها الشريفة في خدمة الكنيسة وباركها ثمَّ طلب منها ان لا تنسى ان تصلي لاجلهِ « عند دخولها في السماء » قال هذا وهو يرى انها ميتة لا محالة. فاجابتهُ بولين انها تفعل لكنها اردفت قائلة: « وان شفتني القديسة فيلومينا الشهيدة أتسمح أيها الاب الاقدس باكرامها في الكنيسة ». فاجاب امام الاحبار « لا شكَّ في ذلك لانَّ شفاءك اعجوبة من اكبر العجائب »

ثم استأنفت بولين سيرها وانتشر خبر وصولها فاقبلت الجموع لتنظرها. وكان دخولها الى موغنانو اشبه بنقل جنازة الى المدفن. فدخل القوم الى الكنيسة معها ووضعوها بقرب قبر الشهيدة. واذا بها شهقت شهقةً ظنوها حشرجتها الاخيرة وصرخوا طالبين بان تُنقل الى المستشفى. لكنَّ بولين اشارت بان يتركوها تموت هناك فبقيت ساعة بين حيَّة وميْتة واذا بعرقٍ اخذ يسيل على وجهها والدموع تترقرق من عيونها فقامت معافاة واقبل الجموع يصرخون: فلتحيَ الشهيدة! شكرًا للقديسة فيلومينا! وبعد أيام عادت بولين الى رومية وذكّرت الحبر الاعظم بوعدهِ. وكان البابا يشكّ انها هي التي رآها قبل اسبوع فشكر الله على شفائها ورأى انَّ هذه المعجزة انمَّا كانت جزاء الربّ لتلك التي وقفت نفسها لخدمة الكنيسة بانشاء شركتي انتشار الايمان والورديَّة الحيَّة

ثمَّ رجعت بولين الى ليون وعدَّت شفاءها كفريضة جديدة تقضي عليها بتضحية حياتها في خدمة الله فتضاعفت غيرتها واجتهدت في توسيع نطاق مشروعيها السابقين فكانت تقضي الساعات الطويلة في مكاتبة مراسليها في انحاء اوربَّة وكان بينهم المطارين والاساقفة والاعيان وكل رجال الخير فيتلقون كلهم كلامها كضرب من الوحي

وفي تلك المدَّة افتكرت في انشاء شركة اخرى لمنفعة الفعلة. فانَّها كانت ترى العمَّال والفعلة محاطين بضروب من المخاطر والاشتراكيون مع الفوضويين يسعون بتضليلهم وتهييج مطامعهم واستئصال روح الدين من قلوبهم ليحملوهم على الفتن وقلب الهيئة الاجتماعيَّة. فكان قلب بولين يكاد ينفطر لهذا المنظر مع علمها بان الفعلة مجبولون على السذاجة والاستقامة وحبّ الدين والفضائل الاهليَّة ففكرت في طريقة تعالج بها هذا الداء فلم ترَ وسيلةً افضل من ان تنشئ معامل مسيحيَّة مبنيَّة

على اصول الدين والوفاق بين اصحاب المعامل وعمّالهِ لا يُقبل فيها غير الفعلة الحسني السلوك

وابتدأت بانشاء معمل كبير على حسابها كلّفها مبالغ كبيرة من خلفة والدها. فظهر هذا العمل بعد زمان كمشروع ملهم من الله لقمع روح الفوضى ونال في اوَّل امرهِ نجاحاً كبيرًا واثنى عليها الاساقفة وافاضل الرجال الَّا انَّ بعض الذين كانت الآنسة بولين وثقت باستقامتهم معها في تدبير المعمل خانوها واوقعوها في مشاكل امرَّت بقيَّة حياتها واذاقتها كأساً من الاوجاع رشفتهُ بالصبر الجميل في السنين الاخيرة من حياتها

وكان معظم همّهـا ان لا يُصاب احد بخسارة لسببها فكانت تقضي ايَّامها ولياليها في الاشغال الشاقَّة لتفي لكل ذي حقٍ حقهُ. ورأت في تلك السنين كثيرين من اصحابها معرضين عنها كانهم لم يعرفوها

لكنَّ خادمة الله لم تقنط بل اعتزلت عن الناس وعاشت منفردة تصرف زمانها في الشغل والصلاة وممارسة اسمى الفضائل وكانت اتخذت الاب دي راڤنيان الواعظ الفرنسوي واليسوعي الشهير كمرشدها فكان يسندها في اوجاعها ويعزّيها في كل الاعمال التقويَّة ولا سيما في حمل الصليب مع ابن الله المتألم لاجل البشر. فـاضحت تحت ادارتهِ اشبه بمحرقة كان الله يتنسمها برائحة الرضى ويفيض عليها اغزر هباتهِ السماويَّة. وكانت في تلك حالة الخمول والاوجاع لا تفكّر الّا في الكنيسة ورأسها المنظور وخلاص النفوس فكان الحبّ الالهيّ يضرم قلبها ويطهّر روحها كما يمحّص الذهب في البوتقة. وفي آخر سنة ١٨٦١ أُصيبت بمرض عُضال دام عليها نحو شهرين وصبرت على مضضهِ صبر الملائكة دون ان يخرج من فيها كلمة واحدة تدلّ على سأم او تمرمر. وغاية مـا كانت تفوه بهِ ان يقبل الله اوجاعها لينصر الكنيسة على اعدائها ويلطّف اكدار ابي المؤمنين بيوس التاسع. وكانت آخر كلمة لفظت بها شفاهها: « فليكن قلب يسوع معروفاً ومحبوباً وممجّدًا في كل العالم الى الابد » ثمَّ انطفأت كما ينطفئ السراج بهدوّ وسكينة. فكان يلوح على محيّاها سلام الله. وكان موتها في ٨ كانون الثاني من السنة ١٨٦٢ ولم يشيّع جنازتها الّا بعض الاصحاب

وجُعل على ضريحها صفيحة بسيطة مع هذه الكلمات: « هنا قبر بولين ماري جاريكو منشئة شركتي انتشار الايمان والوردية الحيَّة »

لكنَّ الله الذي يبتلي اولياءه في هذا العالم كثيرًا ما يعظم اسمهم ويرفع ذكرهم بعد مماتهم. وهذا ما حدث لبولين جاريكو فانَّهُ تعالى منح نعماً غزيرة لمن التمسوا شفاعتها من جملة ذلك شفاء امراض وازالة عاهات ونجاة من بلايا استدعت السلطة الكنسيَّة بان تهتمّ بتثبيت قداستها. فنشروا ترجمة حياتها وجمعوا الشواهد على النعم الملتمسة على يدها وارسلوا كل التعليمات الى رومية لتفحص هناك فحصاً مدقّقاً. وقد جاء من رومية في تاريخ ٣١ آذار من السنة الحاليَّة ١٩١٢ انَّ مجمع الطقوس باشر بامر تطويبها ووكل الى نيافة الكردينال فرَّاتا الاهتمام بهذه الدعوى

فلا مراء انَّ ادراج اسم المكرَّمة ماري بولين في سجلّ الابرار سيبعث في النفوس غيرةً جديدة لمساعدة شركة انتشار الايمان والوردية الحيَّة. وقد بين الله بعد وفاتها انَّهُ هو الذي الهمها ايضاً انشاء المعامل المسيحيَّة فانَّ رجالًا من ذوي الهمة ادركوا ما في هذا المشروع من المنافع لردّ غارات الاشتراكيين والفوضويين ونشر روح الدين بين العملة فانشئت معامل متعددة على شبه المعمل الذي انشأتهُ خادمة الله بولين جاريكو وقد اضحت منذ اربعين سنة هذه المعامل من اشرف واعظم المشروعات الاجتماعيَّة التي تفتخر بها الكنيسة الكاثوليكيَّة وتشهد لحسن نظر منشئتها الاولى جازاها الله الف خير واقام في شرقنا العزيز من يقتدي بصلاحها وغيرتها لمجد الله وفائدة الوطن

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ في ثمانية ايَّام من شهر شباط مات الامير فارس بهذه السنة صباح الخميس بداء الاستسقاء واستقام بالمرض ثلاثة شهور واخذوه للساحل لدير البشاره بالزوق.

وتعالج كثيرًا وما صار افادة لان جسمهُ عيَّان للغاية من داء الربو الذي كان بهِ منذ زمان. وتاسفت عليهِ الناس واناساً كثيرين انضروا بموتهِ كما يأتي الشرح. وقالوا ان عمرهُ خمسة وخمسون سنة. وحالًا حملوه من دير البشاره الى صليما مقرّ وطنهِ ودفنوه بتربة اباه واجداده. وقيل انهُ اعتمد وصار مسيحيًا حين موتهِ. واماَّ اصلهُ فكان درزيًا ومات شهيد خدامة طوايف الدروز لانهم قهروهُ كثيرًا وما فكروا بالعواقب. والان بدهم يتعبوا في معيشتهم لعدم وجود واحد في ارضهم مثل هذا الامير. لان اذا كان يطول عمرهُ كان يرجعهم لحريتهم. ولكن النحس يلحق بعضهُ والنيَّة تسبق العمل

وفي هذا الاثناء حصل محامره (مشاجرة) بين الامير سليمان شهاب وبين الامير بشير ابن مراد واتَّصل الشر بينهم وهدموا (186٧) بعض املاك لهم بالسواحل مثل دكاكين وبيوت كل منهم يهدم للآخر. والامير سلمان توجه الى جبيل شاكيًا على بشير وجرجس باز مغرض مع سلمان. وانعرض ذلك للحاكم. وبغضون ذلك مات الامير فارس فصار توقيف الامر بينهما

ثمَّ صار طوشه كبيره في جبة بشري وهاجت الناس على بعضها وقتل رجال ونساء ومجاريح. والتزم عبد الاحد باز يتوجه هناك لمقاصرة المذنبين. فحين لحظوا على ذلك هاجوا على الشيخ المذكور واتباعهِ وجرحوا يوسف الخوري من خاصة جرجس باز ومن ذلك انحمق المذكور وطرح الصوت في جبيل وجمع جانب عسكر لمقاصرة المذكورين العصاة. وفيما بعد تداورت الامور وانتهى هذا الشلش على سلامة

ثمَّ انَّهُ بهذه الايام ابناء الامير يوسف حكَّام جبيل قتلوا الشيخ حسين متوالي شيخ الهرمل وهذا هو غني وردي وعدو للامير جهجاه الحرفوش. فهذا جاء يواجه الاماره المذكورين استقام يومين وقصد الرجوع لمحلهِ. فمسكوه وخنقوه وارموه في جبّ وضبطوا اموالهُ التى اغلبها مواشي واسلحة وامتعة واماَّ غرش فهو قليل. وسبب قتلهُ انهم مسكوا كتابة منهُ الى مصطفى بربر طلب منهُ حكومة جبيل وانهُ حالًا يقتل جرجس باز واخيه ويمسك الامراء ويرسلهم لطرابلس بالقيد. فبربر ارسل المكتوب ذاتهُ للامراء المذكورين واعرضوه على الامير بشير فاذن لهم يعدموه متى وقع بيدهم

فوقع واكل جزاه لانهُ ردي جدًّا ولهُ عزوة (حزب) كبيرة بالهرمل ودايماً يرغب تلاف النصارى في جبيل

ثمَّ في شهر شباط حضر الامير بشير الحاكم والامير سليم حاكم جبيل وباقي المشايخ الى قرية .صليما يأخذوا بخاطر ابنا الامير اسمعيل من جهة وفاة عمهم الامير فارس حسب العوايد. واخلعوا عليهم وصار فرصة لبيت (187٢) الحاطون الذين هم اتباع الاماره المذكورين وترجوا بهم وواجهوا الامير بشير والامير سليم واشهروا خاطرهم عليهم بحيث يكونوا منقادين لحكامهم ويحسنوا سلوكهم مع النـــاس. فصدر الامر برجوعهم لمحلاتهم

ثم دخلت سنة الف وثمانمائة وستة موافقة الف ومايتين واحدى وعشرون

اعلم ان بهذه السنة حصل اشياء كثيرة بالجبل من الحكام في بعضهم

اوَّلًا انهُ حصل مخالفة وتعدي في بلاد الضنيه واقتضى انهُ يتوجه جرجس باز وعسكر جبــلي لمحاربتهم. فظفر بهم ورجع ومر على بعلبك بعزيمة من جهجاه الحرفوش. وحصل لهُ اكرام واحتفال كلي. ثمَّ توجّــه لدير القمر ودخل في موكب عظيم. وهذا الانسان حظي على عزّ وجاه ما سبق لغيرهِ قبل وبعد. وكان بينهُ وبين حاييم اليهودي صداقة ومحبة وافرة حسب الظاهر. وكذلك في خطرتهِ بالضنيه جرى مودة كليَّة بينهُ وبين مصطفى بربر بطرابلس حتى كان يدعوهُ اخاه. ومن هــذه الاحوال ما عاد فكر في عواقب الزمان. واعتمد الاقامة بالدير وزيَّن البيت الذي كان اشتراه وصار المتكلِم في امور البــلاد جميعها. وكل مادَّة مع امير وشيخ وخلافهم تحصل فترفع اليهِ اولًا والذي يقولهُ يصير

غير انَّ الامير بشير كان بحال القهر من عدم اعتبار الشيخ لهُ ولا سيما بمداخلتهِ بما لا يخصهُ. حيث ان حكم الجبــل يخصّ الامير. وحده وحكم جبيل تبع الشيخ المذكور. وصار كل مدخول برَّاني من هــدايا وغيرهِ يشارك بهم الشيخ حتى ربع المدخول ما كان يصل للامير. والسبب كل مادَّة تنعرض على الشيخ منها يقضيها هو بنفسه ومنها يعرضها على الامير. وعلى كل حال الــذي يريدهُ الشيخ يصير. وصار بيدهِ الحلّ والربط. والامير لهُ الاسم فقط في حكمهِ. وهو صابر على هذا الحال ويقدم لهُ كل اكرام واغلب الايام يستعمل الطعــام (187٧) معهُ ودايماً يظهر لهُ بشاشة

ويقبل منهُ كلما يقولهُ . والشيخ كان يطمع في مودة الامير لهُ ويحتسبها صاغ . واطمأن من كل شيء يحدث من نحوه وكان متحد مع الشيخ بشير جنبلاط ومركن بهِ اغا اركانهُ بالامير اكثر

ومع ذلك ما كان يجيءُ بفكرهِ ان احدًا يغدر بهِ من اماره او مشايخ وذلك من ثلاثة وجوه : اوَّلًا من محبة العشملي له . ثانياً من انقسام البلاد . ثالثاً كان سلوكهُ حسن مع الجميع يرضي الجميع ونيتهُ صافية . وصحيح ان هـذه الثلثة اشياء كافية لمنع الضرر عنهُ غير انهُ غلط في تغيير خاطر سميتهِ اليزبكيَّة المختصة في ابناء الامير يوسف من زمان والدهم . وهم بيت عماد وبيت تلحوق وعبد الملك ومن يتبعهم . ومن كون المذكورين ضدًّا للامير بشير وجنبلاط فجرجس باز تركهم وتعلَّق في اضدادهم حتى صار مساعد في اهانة المذكورين ولا يلتفت اليهم البتة حتى بغضوه جدًّا وما يطلع من يدهم شيء بسبب ان العشملي لا يسمع لهم . وحصلوا في ضيق كلي من المال والجاه . ودايماً طالعين وراهم بطلب غرش حتى ما خلوا لهم . حال يسليهم . وهـذا ما كان رأي صالح من الشيخ المذكور . ونصحهُ جملة من اصحاب الفن انهُ لا يرخي من سميتهِ (اي لا يتركهم) خشية من عواقب الدهر الخؤون . الَّا انهُ انغرَّ في صحبتهِ اولايك وهذا غلط لان المذكورين اعداء لهُ من قديم . وكان اضرَّهم جدًا منذ سبعة سنوات خصوصاً حينما لبس من الجزار حاكمًا وطرد المذكورين ونهب بيوتهم العسكر وضبط رزقهم واهان سميتهم واتباعهم . الَّا انهُ بعد ما صار الوفقيه بينهم رغماً عن الجزار تداخل معهم بالحبِّ والصداقه . وهم ايضاً اظهروا له مودة زايدة بالظاهر . فتعلق في مودتهم واركن الاركان الكلي . وبقي هكذا بهذه السنين . وكان اغلب اقامتهِ في جبيل بمقاطعة أمراه ويتردَّد قليـلًا لدير القمر يستقيم اياماً ويرجع . الى انهُ بهذه السنتين (188) تحسن عنـدهُ الاقامة دائمًا بدير القمر ونقل اعيالهُ من جبيل

وقيل انَّ الامير بشير كان يرغب اقامـة الشيخ بدير القمر حتى لما كان يتوجه لجبيل في غرض فيصير الامير يواصل لهُ الطلب ويلح عليهِ بالرجوع . وذلك احتساباً اذا كان بعيد عنهُ يلعب في عقلهِ اصحاب الادراك ويبدأ منهُ غير امور . مع انهُ ابدًا ما يجيءُ في عقلهِ بداية شيء مخالف . كيف لا والحال الحاصل فيه من العزّ والجاه ممَّا

لا يصير لاحد حتى وما صار للذين تقدموه. وبالنتيجة حصل هــذا الانسان بالغرور وقصر العقل بنوع لا يوصف

ثم انهُ بهذهِ السنة في شهر رمضــان جاء طلب من سليمان باشا للامير بشير بان يرسل جرجس باز لعكا حالًا لاجل امر ضروري لازم. فبالحال توجه المذكور لصيدا اوَّلًا وهناك كان حاييم اليهودي ينتظرهُ. واخذ معهُ هدايا معتبرة منــهُ ومن الامير وصورة خطرته (سفرته) هذه بموجب تعريف الشيخ باز الى احد احبابهِ وقفنا عليهِ وهذا فحواه

« انهُ نهار الاثنين حضرنا لدير القمر بكل سلامة وعما صار من التوفيق والاقبال بهذه الخطرة يفوق الوصف عن شرحهِ. على انهُ حين وصلنــا لصيدا طلع دالي باش والاغاوات يلاقونا لجسر الاولي. واخذونا بالآلاي. وبوصولنا الى باب المدينــة وجدنا متسلم اغا والمعلم حاييم وبعض الاعيان. فسلموا علينا بغاية الترحيب واستقمنا يومين بكل صفا. ثم توجهنا لصور وجدنا ملاقية عند جسر القاسميه دالي باش والمتسلم والاعيان نحو ثلاثمائة خيال. ودخلنا لصور بجال العز. ثم توجهنا لمحروسة عكا فوجدنا خيل الدالاتية مع قني عمر ملاقين لنا الى المفشوخ. وحين دخلنا للمدينــة انضرب مدافع كثيرة. وبعده تشرفنا بلثم اتك (رداء) سعادة الوزير المعظم وشاهدنا جناب علي اغا كتخداه بيك وحصل لنا اكرام ومجابرة لا توصف . واستقمنا ثلاثة ايام وتشرفنا بخلعة وافرة وكذلك بخلعة للامير بشير وخلعة للشيخ بشير جنبلاط. وبحمد الله جميع الامور (188[٧]) فوق المرغوب

وكذلك برجوعهِ لدير القمر دخل بموكب عظيم ابلغ ممَّا تقدَّم في خطرة بعلبك وصار شنك عظيم. والناس ماشيين قدامهُ للسرايا. وحين نزولهُ تلقــاه الامير بشير بالحبّ والاكرام. وبعدهُ حضر الشيخ بشير جنبلاط سلم عليهِ. وصار الشيخ باز يوصف لهم ما صــار وجرى في خطرتهِ. هذا ظنًّا منهُ انهم ينسروا لسرورهِ. وصحيح صار هكذا ظاهرًا

ثم اظهر الكتابات التي معهُ من الباشا التى تعني حكومة الامير بشير بالبلاد وذلك دايم ابــدي يكون حاكمًا. ثم والشيخ بشير يكون شيخ المشايخ لا يتغير وانهُ هو

نفسهُ جرجس باز يكون مناظر بالبلاد. ولا يتمّ شيء الا باطلاعه. وكان كل املهِ ان هذه الانعامات تمشي بالجبل

والحال صارت سبب لقصر اجلهِ. لان من هذا الحين تغيرت الخواطر عليهِ. وان قلت لاي سبب ذلك هو ان سليمان باشا قـادم لهُ منصب الشام وطرابلوس من طرف الدولة. ويومئذٍ حاكم طرابلوس مصطفى بربر وعاصي بطرابلوس وضابط القلعة ضد خاطر الدولة. وسليمان باشا متى جاءه المنصب يرغب رفع بربر المذكور من طرابلس كليًّا. وحيث فهم الباشا اتحاد باز مع بربر في خطرة محاربتـهِ بلاد الضنية وكان باز دخل لطرابلوس بعزيمة من بربر واختلا وايّاه واظهر لهُ بعض شيء مرتاب منهُ فاوعدهُ باز انهُ يكون لهُ من اكبر المساعدين. وبلغ الباشا المودّة الزايـدة الصايرة بينهما. لزم احضر باز لعنـدهُ في عكا وكلمهُ سرًّا عن خاطر الدولة بارسال المنصب وطلب منهُ ان يغير خاطرهُ من جهة بربر ولا يسعفهُ بشيء اذا تمّ الحصار عليهِ او غير ذلك. وانهُ يكون عليه ليس معهُ

فاجاب جرجس باز للباشا انهُ مـا يمكنهُ يطلع ضدًّا لبربر حيث اوعدهُ وعدًا صادقاً مربوط بالقسم. انمّا لا يكون معهُ ولا عليهِ. ولا يتعارض الامر بكافة الاشياء ولو طلب بربر اسعاف ما ينالهُ من وجه الجبـل (189r). فلهذا كان جلّ السبب بالطلب لذهابهِ لعكا. وبعدهُ ما جاء المنصب الى سليمان باشا. والقول (ويقال) انهُ راجع الدولة بمنع ذلك حيث دخل عندهُ الوهم من جهة الوهابي الـذي خرب اقلاع الحاج وربط الطرقات وملك اراضي الحجاز بالتمام. فالباين اعتذر وقبلوا عذرهُ

ثم بعد حضور باز من عكا وكبر مقامهُ وشأنهُ ازداد غرورًا واطمأن مما جميعهُ. وبهذا الغضون وقبـل ذلك اظهر عداوة شنيعة مع الامير حسن اخو الحاكم وصار يكايدهُ ويقهرهُ في امور: اوّلًا منذ ثلاث سنوات ابطل ميزان الحرير من جونيـه ورجوعهِ للزوق كما كان اوّلًا وذلك لاجل صالح الشيخ بشاره الخازن ثانياً انهُ قصد بهذه السنة برفع يد الامير حسن من تسلطهِ على مقاطعة كسروان برجا بيت الخازن الذي الامير المذكور يبغضهم جدًّا ودايمًا ينقب عليهم اشياء مقهرة ومضرة. فوقعت لهم الآن فرصة بالعزّ الذي به جرجس باز فصاروا يسرسوا عليهِ نحو الامير. والمذكور يبغض الامير والامير يبغضهُ. فصار يسعى في قهر الامير كيف كان. واطباع الامير

غير مرضيَّة لاحد حتى ولا لاخيه الحاكم. وكان الحاكم يتمرمر من احوال اخيه مع الناس ويذم منهُ. وجرجس باز ملاحظ ذلك. فطمع فيهِ وصار يفرد فيهِ بكلام ردي يسمع الحاكم والحاكم ينقهر من الكلام بحقّ اخيه ويحفظهُ في قلبهِ وما يحكي مع باز شيئاً. وحينما عزم باز بان يرفع يد الامير حسن عن كسروان جعل الواسطة الشيخ بشير جنبلاط ظنًّا منهُ انهُ محبّ ويحفظ سره. وبالنتيجة امور مضحكة للغاية لانهُ صار يلقنهُ كلاماً يحكيهِ للامير بشير والامير يقول وجب

واخيرًا توجه امر للامير حسن برفع قارشه (برفع يده) عن كسروان. ويظهر جرجس باز قدام الناس ان ليس لهُ خاطر ورضي بذلك. والحال ان الشيخ بشير كلما يصير من الكلام من باز يحكيهِ للامير ويبلغ اخيه حسن. وصار بيت الخازن يظهروا سرورهم انهم قهروا الامير حسن ويسمع المذكور ويتألم ومن غمهِ وعدم استملاكهِ (189[٧]) طبعهِ باخذه الامور بالوسعة فتوجه في شهر شباط لدير القمر بزعمهِ انهُ يقتل جرجس باز. وكيف ما صار يصير

فبوصوله للدير كان الامير بشير في بتدين. فحضر اعندهُ حالًا للدير وصار يأْخذ بخاطرهِ ويهمد اخلاقه. واختلا واَياه سرًّا وقال حيث انّ الطبيخ مشتغل وانشاء الله يستوي قريباً فايش مقتضى لهذه العجلة الذي ربما ينتج منها اتعاب واضرار. فاذًا الصبر واجب. وبعد كلام كثير وقليل حتى همد غيظهُ ورجع لمحلهِ في غزير. وابتدا يستعجل ويحرك النار ويزيدها اضطرام حتى تستوي الطبخة قبل بوقت

وحال هذه الطبخة هو هذا: اي ان بيت عماد وما يتبعهم من كون عزمهم صار ضعيف وحالهم ورايهم مضمحل والامير بشير وجنبلاط يبغضوهم جدًّا بسبب رداوتهم ودلاعتهم وعدم استقامتهم والتزموا قبل هذه الايام اتحدوا مع الامير سلمان شهاب واجتهدوا بتغيير الحكم. وما طلع بيدهم. لان جرجس باز تاركهم من بالهِ ومتحد مع الامير بشير والشيخ بشير. ونظروا لا فايدة من مسعاهم فلزموا بيوتهم

ففي هذه الأيام صار عليهم طلب غرش من الحاكم بمطابقة جرجس باز. واشتدّ الحال عليهم وراح جماعة منهم وقعوا على الامير حسن في غزير. وهي كانت ملعوب والطبخة ذاتها. وطلب الغرش والمضايقة هي مرتبة على تمام التدبير. وصار

الامير حسن يكاتب اخيه بشأنهم والمذكور يتفاوض مع جرجس باز ويبغضهُ فيهم . وصار الجهتين الامير وباز يواصلوا الحواليه لبيوتهم بالطلب والاستعجالات بايراد الغرش . والامير حسن يدفع عنهم سرًّا مصروف الحواليه والاستعجالات وطال المصراع ايَّاماً كثيرة حتى الطبيخ قارب استواه

وفي شهر نيسان توجَّه بيت عماد مع جمهور من اتباعهم لدير القمر بجرفة منهم ليتواقعوا على الامير بشير برفع هذه الثقلة الحاصلين بها . فما ارتضى الامير بان يواجهوه (190r) فرجعوا لمحلاتهم خايبين الامل . حتى ولا جرجس باز ارتضى يواجهوهُ . ثمَّ قصدوا يتوجهوا الجبيل لعند الاماره وجميع ذلك ملاعيب شيطانيَّة . وقليل من الناس لحظوا عليها . وصار البعض من احباء جرجس باز يحذرونهُ من امر يأْتي وما كان يلتفت لكلامهم لان الغرور داخل عليهِ . وقيل انَّ اشياء كثيرة نظير هذه بلغوها للمذكور حتى من بيت عماد . وهو لا يعطي بالهُ ويقول ان الناس قصدها ان ترمي الفتنة بيني وبين الامير والشيخ . وبقي مطمأن على نفسهِ حتى اتت عليه المقادير

فراح المشايخ اليزبكيَّة المعلومين الى جبيل . وكان الامير حسن بتلك اليومين مواظب الصيد على نهر ابراهيم القريب لجبيل وهو طريق لبلاد جبيل . فحضر لعنده بعض من المشايخ بعسكر قليل من اتباعهم والباقي قادمين وراهم يبلغ الجميع نحو خمسمائة نفر . ووصل الخبر عن مجيهم فما احتسبوا منهم لسبب ان الامير بشير كان يلزم جرجس باز بان يحرر الى اخيهِ عبد الاحد ويحذرهُ ان لا يقبل بيت عماد ولا يعطيهم وجه بالكليَّة . غير ان بعض من الحواشي الذي لهُ دراية وعقل حذر عبد الاحد باز ان يكون واعي لشغلهِ . الامور ما هي صاغ . فما اعطى بالهُ لكلامهم بسبب المكاتيب المتصلة من اخيهِ . حتى بيت عماد وتلحوق ارسلوا كتابة لعبد الاحد يعلموهُ بقدومهم ليتواقعوا على الاماره

الى انهُ في رابع يوم من شهر ايار وصلوا المشايخ وعسكرهم الى جبيل والامير حسن خلفهم . ودخلوا اجواق اجواق للمدينة قريب الظهر . والامارا وعبد الاحد يعاينوهم بالنضاره . وامروا للخدم يؤلفوا لهم قناقات . فالذي دخل اوَّلًا شرذمة من النفر وصاروا يركضوا على العيش والفاكهة ويخطفوا بعجلة ويظهروا للناس انهم

مشحوتين وبحال الجوع. وحضر طابور ثاني ومعهم المشايخ ثم لحقهم الباقي. وحينئذٍ امتلات المدينة من العساكر. وصاروا يخطفوا عمايم الناس (190ᵛ) وينهبوا الدكاكين والاسواق وهجموا على البيوت واشتغلوا بالنهب

امَّا المشايخ فانهم راحوا لبيت عبد الاحد مع اتباعهم وقتلوا البواب ودخلوا الدار. فنزل اليهم عبد الاحد من بعد ما قوصوه وهو يتطلع عليهم من الشباك وحكم الرصاص في كفهِ. وتحقق عين الغدر فاخذ سلاحهُ ونزل بالدرج وهم هاجمين عليهِ. فقوص شيخ درزي من بيت مصطفى وقتل حالًا وغار على المشايخ بالسيف. فانجرح علي تلحوق. فهجم العسكر بقوَّة فولى راجعاً وهم يتبعوه. فارمى نفسهُ من مكان عالي فلحقوه من وراء السور وضربوه بالسيوف ومات. وباقي العسكر ملتهي بالنهب داخل البيوت وخارجها. نهبوا الجميع وشلحوا الرجال والنساء والاولاد. ثم نهبوا بيت عبد الاحد وعروا حرمتهُ لحدّ القميص. وهذا الحادث هو مهول جدًّا

وهم بهذا الغضب وصل الامير حسن وطلب الاماره الذين تحصنوا بالقلعة فما ارتضوا الَّا بعد مراجعات كثيرة وبالخداع والتمليق حتى سلموا حالهم فاخذوا سلاحهم منهم وحاشهم في مكان تحت الحفظ

ثم نرجع الى جرجس باز وما جرى فيهِ هو انهُ نهار هذا الجمعة صباحاً حضر بشير جنبلاط للدير وصحبتهُ اتباعهُ متسلحين السلاح الكامل. ومنهم دخلوا ليلًا لاجل رفع الوهم. والامير كان مظهر غم لشان بيت عماد. ويظهر للشيخ جرجس باز انك مطابق معهم وعمال تحرر لاخيك يقبلهم وكلام نظير ذلك. فاماَّ المذكور فانهُ كان يحلف ويلعن انهُ ابدًا ما هو بادي منهُ خون في شي. وكان الامير يتحارف عليهِ بالكلام وكان منتظر اعلام تحضر من اخيه حسن بما صار

فبعد الظهر بساعة وصل خيَّال من جبيل وكان الشيخ باز ساعتها مزمع ان ينام حسب عادتهِ. فارسل الامير تابعهُ حنا الدحداح يدعو باز لعند الامير فراح المذكور لعنده وصار يقول للشيخ ان الامير مغموم جدًّا بسبب توجه المشايخ لجبيل. وانك ابدًا ما حررت لاخيك يطردهم وكلام نظير ذلك (191ʳ). وقال لهُ ان الامير يريد تحضر لعندهُ بهذه الساعة. فانغم الشيخ لغمّ الامير وقام حالًا وحضر لعند الامير وكان جالس وحدهُ بالاوضة الجوانيَّة محل منامتهِ فامر لهُ بالجلوس ثم تكلموا مع بعضهم

قليلًا وصار الامير يظهر زعل بكلامهِ والشيخ يبرهن لهُ ويبرر نفسهُ مما تهم بهِ ويستعطف بخاطر الامير . اخيرًا قام الامير مغبون واراد الشيخ يقوم . فقال لهُ الامير اقعد مكانك وخرج بسرعة واغلق الباب وقفلهُ . وطلب حسن زين الدين بلوك باشي فحضر ومعهُ ثلاثة انفار وحبل ففتح الباب وقال لهم ادخلوا اخنقوا هذا الكلب واغلق الباب وبقي واقف برهة وساحب السيف . ثمَّ بعد حين طلب الشيخ بشير جنبلاط ليقف مكانهُ وطلع الامير من السرايا لبيت جرجس باز وطرد الحريم منهُ وختم كامل المحلات ورجع للسرايا كان الغرض انقضى . وسحبوا القتيل عريان ما عليهِ غير السترة وجروهُ من باب السرّ الى انطوش الموارنه ارموه هنـاك وريس الانطوش غطاه في حصيره مقطعة

ثمَّ احضر يوسف الترك المختص بجرجس باز وسجنهُ وبعد برهة امر بقتلهِ . فقطعوه بالسيوف ودفنوه حالًا . وبعد ثلاث ساعات صدر الامر بدفن باز في قبرهِ . وهم حاملينهُ الى المقبرة عريان ارمى عليه احد الناس عباةً مقطعة بوز وحين دفنهُ قاموا عنهُ العباة وارموه بالقبر عريان . حال محزن مكرب . وحين بلغ الامير امر العباية فجاب صاحبها وتهددوهُ بالعذاب فتشفعوا فيهِ وخرج سالمًا

ولمَّا انتهى حال هذه الموقعة تحكمت بوقت واحد فحضر الامير للسرايا وعزم على المسير لجبيل . فركب هو والشيخ بشير قرب غياب الشمس الى قرية عنبال وهناك حضر لعندهم بعض امراء بيت شهاب وباتوا في عنبال . وفي ثاني يوم السبت رحلوا مع عسكر غفير دروز ونصارى . وبوقتهِ جاء علم ثاني من الامير حسن واقتضى ان الامير يذهب للشويفات وهناك (191 ٧) حضر لعندهُ اماره وغيرهم واستقام كم يوم . القول انهُ ارسل كتابة لاخيهِ ان يعمي اولاد الامير يوسف وما ارتضى . لزم ان الامير قام من الشويفات لجبيل هو وجنبلاط والامير ابن قعدان شهاب . وحين وصولهِ لجبيل اخرج الاماره الثلاثة حسين وسعد الدين وسليم وركبهم على الكدش وارسلهم الى قرية عشقوت قريب قرية عجلتون . وارسل معهم الامير حسن قعدان والامير بشير قاسم وبشير جنبلاط . ودخل بلوكباشي ومعهُ جملة انفار كتفوا الاماره واحموا اشيش حديد واعموهم تمامًا وتركوهم هكذا . وعينوا لهم خرج يكفيهم ورجع جنبلاط للزوق . وثاني يوم توجه لقرية المتين ليعزي الامير منصور مراد في ولده المتوفى وبعده توجه الى محلة

المختاره . وكذلك الاماره والمشايخ رجعوا لمحلاتهم والامير بشير بعدما رتب الاحكام في جبيل حضر للزوق ينتظر اخلاع جبيل من طرابلوس . فحضروا وهو بالزوق فلبسها ثمَّ لبسها لاخيهِ حسن وجعلهُ ناظرًا على جبيل وكسروان . ثمَّ فرضوا مبلغ غرش على بيت الخازن الذين هما كانوا سبب العداوة ما بين حسن وباز او من جملة الاسباب . وبعد ما قاسوا بهدلة ورزالة من الحواليه دفعوا ينيف عن خمسة وسبعون الف غرش . ثمَّ انَّ الامير وصل مقرّ حكمهِ وطرد كل من هو خادماً عند اولاد الامير يوسف وجرجس باز من دروز ونصارى واخذ منهم جانب مال . وانتهت الامور وما راحت الّا على من راح . وكلهُ من سوء التدبير وعدم الوعي

ثم كامل عملات الاماره وباز واخيه ما استفادوا شيئاً من مالهم التي هي مقارضة دين ذمة انوف من مايتين الف غرش لاسلام ونصارى ودروز وغربيـــة . وتحكم حدوث هذا الزوال في باب موسم الحرير . وهذه المادة بظروفها ما جرت بالجبل بكل الزمان . وهي تخلي من الله واحكام الرب لا تدرك . وبيت عماد (192r) صاروا خاصة الامير حسن ولبسوا اكبرهم الشيخ فارس من الامير بشير وصار لهم انعـــام وافر واعطي لهم ولبيت تلحوق جانب من رزق اولاد الامير يوسف . واستقرّوا في بيوتهم ونظامهم . وصار الجبل رأي واحد وارسل الحاكم عرض لعكا مع احمد القاضي يشرح عن مفاسد جرجس باز واخيه وانهم كاتبوا الانكليز ومرادهم يجيبوهم للساحل . وكلام منشي اضرار وخراب لزم قتلناه مع اخيـــهِ . فجا الجواب من الباشا ان كان جرى ما تقول فما صار الّا الخير . ومن يقول ان قتل جرجس باز كان برضى حايم سرًّا ما بينهُ وبين الامير . والله اعلم بالخفايا . وشي مضى . وصاحب الانتقام حاضر وهو ينتقم من كل معتدي ولو بعد حين

ثمَّ بعد نهاية هذه الاحوال ظهر من الامير بشير واخيه حرصاً زايدًا . حيث ان الدروز بهذه الموقعة تمردوا وكان النصارى حطّ شانهم وعدموا حريتهم والدروز يحكوا ما يريدوه . والامير عين عندهُ خدم كثيرين . وحصن بيت جرجس باز . وجعل بوابين وحراس كحال المدن وترك السرايا المعلومـــة واستقام بالبيت المذكور . وايضاً جنبلاط كثر رجالهُ ودخل بعقل العامة ان الشيخ متحسب من غدر الامير . والحال

هذا بعيد جدًّا. وانما صوت الجهتين من رأسهم ليس لهم كواخي ولا مشيرين بل كتبة وخدامين

ثم اجتهد الامير في مواساة حاييم اليهودي ودوام رضى الباشا عليهِ . فصار يرسل اموال الميريه والمتوجب على البلاد من غير طلب. وتسهل وجود ذلك بسبب الظلم الـذي انشاه على خاصة المقتولين بيت باز واخذ منهم مالًا غزيرًا. وسكنت الامور ما بينهم. وكذلك مصطفى بربر الذي انقهر جدًّا من قتل جرجس باز الذي كان صاحبهُ. ولكن ما يطلع من اليد شي وارسل الخلاع للامير غصباً واظهر محبة ومودة وهي غصباً وقهرًا ثمَّ انهُ توجه لعنـدهُ (192v) لطرابلس الياس باز ابن اخو اعمامهِ المقتولين وكان هرب من جبيل حين المعركة والتجأ لبربر واكرمهُ وعين لهُ مصروف يكفيه. وبقي عنده اياماً وانتها هذا الحادث اي قتل اولاد باز تعمدًا وعدواناً واعماء اولاد الامير يوسف بغضةً وافتراء في ابتدا سنة الف ومايتين واثنين وعشرين (١٨٠٧ م) ومضى الحال ويا لهُ من حال مكرب . مخوف وحال الطبيعة البشريَّة ورداوتها فهي اردى من الوحوش الضارية اذا كانت تقصد الردي وهذا الامير بشير ظاهره لطيف وما جاء في بال احدًا يتصل لكذا قساوة مريعة وبعملهِ هذا انفهمت احوالهُ انهُ عديم الوفا ولا امان لهُ ولا يركن بهِ. وبالاخص نقضهُ القسم الذي حلفهُ على كنيسة السيدة بدير القمر باتحاده مع جرجس باز وانهُ لا يبدا منهُ شيئاً مغايرًا لنحوه وقد خالف عهده هذا بنوع مهول ولا يعذر بهِ قدَّام الله. حيث على التحقيق جرجس باز ما صدر منهُ في حقهِ ما يوجب هذه القساوة. وانما كل هذا صار من الامير من حبهِ المال والجاه وارما نفسهُ بهذه التهلكة الذي الله يعلم كيف تكون عاقبتها لهُ ولاولاده من بعده. واما اخيه حسن فانهُ اكل جزاه باقرب الايَّام ومات بمرض اصعب واشدّ من ضرب السيف ويأتي الشرح عنهُ (لها بقيَّة)



النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

في قبائل العرب المتنصِّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليَّة مع الادلَّة على نصرانيَّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريَّة نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ . ونصرانيَّتهم مثبتة بنصرانيَّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم . وممن صرَّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٩٨ ed. Houtsma) قال : « وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة » . والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول :

ولكنَّ اهل امرئ القيس معشر يحلُّ لهم اكل الخنازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الاوَّل (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانيَّة الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من اقدم القبائل العربيَّة المتنصرة . نقل السيوطي في المزهر (١ : ١٠٥) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربيَّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ

لفسادٍ لحق بأُلغتها: « ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاعة وغسَّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيَّة » يريد اللغة الآراميَّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨ ed. Wüstenfeld): « دانت اياد لغسَّان وتنصَّروا ». وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ id.): « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوَّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليها نُسبت ديار بكر. امَّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيَّة (٣: ٩٥): « من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيَّة كما رأيت آنفاً بنصّ السيرة الحلبيَّة. وقال اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٨): « تنصر من اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليم وتنوخ وغسَّان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ed. de Goeje,): « انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان: « تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثلهُ الفيروزابادي حيث قال: « كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيْ » . فترى انَّ نصرانيَّة بهراء شائعة في التاريخ

٧ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المعدّيَّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليَّة مقاماً قلما ادركتهُ قبيلة عربيَّة اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: « كانت تغلب بن وائل من اشدّ الناس في الجاهليَّة وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلًا لأكلت بنو تغلب الناس (١) ». وكانت تغلب مع شدَّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ يفتخر بشرف ودين نساء قومهِ:

ظعائن من بني جُشَم بن بكر   خلطنَ بميسم شرفًا ودينا

١) اطلب شرح التبريزي لمعلَّقة عمر بن كلثوم (ed. Lyall, p. 108)

امَّا هـذا الدين فكان دين النصرانيَّة كما هو مشهور · والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزابادي وابن خلكان. وزد عليها قول ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨): «نزلوا (اي العرب) على خفارة فارس والروم حتى انَّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام». وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تؤيد الامر ولا تدع ريباً لمستريب. قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراء انَّ رماحنا رماحُ نصارى لا تخوض الى الدَّمِ . . .

بل لدينا ادلَّة واضحة على ثبوت النصرانيَّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩) انَّ بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٨ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرَّة بن ادّ من بني مضر العدنانيين وكانوا عـدَّة قبائل ودخلت النصرانيَّة في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيوب ابن قلَّام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد. وجاء في التـذكرة الحمدونيَّة (ص ١٧ و١٨ من نسخة برلين) في وصاة الحرث بن كعب لبنيـهِ انَّهُ «بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ واسد بن خزيمة» فجعل النصرانيَّة في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمَّا وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبرقان بن بـدر وممَّا افتخر بهِ البيَعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٥):

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنـا منَّا الملوك وفينـا تُنصَب البيَعُ

ومن تميم في الجاهليَّة كان اسقف نصراني يُدعى محمدًا وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

٩ ﴿ تنوخ ﴾ احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فانَّ اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان

١) اطلب حياة محمد لسبرنغر (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, I, 161)

(ص ٤٢١) والفيروزابادي في معجمهِ يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لاسقف التنوخيين (١

١٠ ﴿ ثعلبة ﴾ بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيّ وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعاء يقال لهم ثعالب طيّ. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكروهم غير مرَّة. واخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال: « رُوي انَّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا: يا امير المؤمنين انَّا قوم من العرب افرضْ لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا اليَّ حجَّاماً. ففعلوا فجزَّ نواصيهم . . . » . ويوجد غير هؤلاء ايضاً عُرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١١ ﴿ جذام ﴾ بن مالك بن نصر قبيلة يمنيَّة من الازد كانت تدين بالنصرانيَّة قال صاحب السيرة الحلبيَّة (٣ : ٩٥) : « من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام » . وكذلك الفارابي في المزهر (١ : ١٠٥) يجعل جذام من النصارى الذين « يقرأُون بالعبرانيَّة » . وفي الفتوحات الاسلاميــة للبلاذري (٥٩ و ١٣٥) والطبري (١ : ٢٠١٧) وفي تاريخ ابن بطريق (طبعتنا ج ٢ ص ١٣) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسَّان وكلب ولخم

١٢ ﴿ جَرْم ﴾ بن ريَّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتــة كنصرانيَّة قضاعة. وقد مرَّ بك في الباب الثامن من الفصل الاوَّل ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانيَّة في جرم منذ زمن قديم فانَّ السريان ذكروا ديراً ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٢. وقد روى قزما الرحَّالة الهندي في سفرهِ الى الهند انَّ بين الدائنين بالنصرانيَّة في زمانهِ اي القرن الســادس للمسيح كان النبط وبنو جرم (٣

١٣ ﴿ جرهم ﴾ نقلنــا في جملة آثار النصرانيَّة في مكَّة ما رواه كتبة

١) اطلب النخب السريانية (Lagarde: *Analecle Syriaca* p. 128)

٢) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani: BO, II, 41)

٣) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)

العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة. فليراجع

١٤ ﴿ الحدَّاء والسِّمط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها. قال طُخيم بن ابي الطَّخماء الاسدي يمدحهم (الكامل للمبرَّد ص ٢٦ ed. Wright):

بنو السمط والحدَّاء كلُّ سميدعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أُحبّهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٥ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيَّة كبيرة تنتسب الى مذحج الى كهلان احتلَّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر انَّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانيًّا فانَّنا قد وجدنا في النسخة الخطيَّة من التذكرة الحمدونيَّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, nos 8359 et 60 ff. 17) ما حرفهُ (١:

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال: يا بنيَّ قد اتت عليَّ مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلَّة فاجر ولا بحتُ لصديق بسرّ ولا طرحتْ عندي مومسة قناعًا ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة. فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي والهكم فاتَّقوا يكفكم المهمَّ من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار. . فانّ لزوم الخطيَّة تعقد البلية»

وهناك حاشية رواها ابن حمدون: « انَّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمَّا قصدها ذو نوءاس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على جحود الدين. وبعد ظفر الحبش بذي نوءاس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في الباب المختصّ بنصرانيَّة اهل اليمن . وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد Wellhausen, *Skizze*, IV, ٨) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدَّدها هناك ولم ينبذوا

---

١) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

دينهم. ومما رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم:

ألا اننا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحسنى فعوفوا من الجهلِ
ولم ينظروا يوماً الى ذات محرمٍ ولا عرفوا الَّا التقيَّةَ في الفعلِ
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناهُ والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المجلي
ونعلمُ ما كنَّا ومن اين بدؤنا وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وانَّا وان كنَّا على مركبة الثرى فارماحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدتْ لم تختبره وانما رأت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقاماً فاثرت حقيقةَ ممثولٍ وجلَّت عن المثلِ

١٦ ﴿ حمير ﴾ اخبار تنصرُّها مرّت في باب النصرانيَّة في اليمن فعليك بها. وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي: « انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

١٧ ﴿ حنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرَّ ذكر تنصُّرهم في اثناء ذكر « النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين » وفنَّدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلًا على نصرانيَّتهم لاشارته الى القربان الاقدس. ومثلهُ قول الآخر:

أكلت ربَّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوْذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرَّ ذكرهُ. ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمَّداً وتبعهُ اهل اليمامة واستفحل امرهُ وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبهُ وقتلهُ. ومما يدلُّ على نصرانيَّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمَّد الى ان قال: « اعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيهِ فضل طهوره فقال: اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتَّخذوا مكانها مسجدًا ففعلوا ». ثمَّ يذكر انَّ « راهب البيعة هرب فكان آخر العهد بهِ ». فذكرُهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيَّتهم

١٨ ﴿ الخزرج ﴾ بنو الخزرج كبني الاوس كانوا يسكنون المدينة

ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانيَّة في المدينة)

١٩ ✿ (ربيعة) هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن نزار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانيَّة الاربع اعني انمار واياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيَّة في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمَّ كتبة العرب اذا ذكروا النصرانيَّة في الجاهليَّة جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروزابادي: «وكانت النصرانيَّة في ربيعة». وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون. فقولهم «انَّ النصرانيَّة كانت في ربيعة» باطلاقهِ يدلُّ على انَّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيَّة اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فناهيك بذلك شاهداً على شيوع النصرانيَّة بين العرب (لهُ بقيَّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ طور عبدين

لم نُطل الاقامة في ماردين بعد رجوعنا من ديار بكر فاخذنا نستعدّ لسفرنا الى الموصل واذ لم نجد قفلًا اليها على طريق المدن المأهولة اتَّفقنا مع احد المكارين الأكراد ليعدّ لنا الدواب اللازمة فتعهَّد ان يرافقنا الى الموصل. وهؤلاء الأكراد اذا استوثقوا بعهد ثبتوا عليهِ ولم يحنثوا بأَيمانهم. وكان سيرنا مع هذا الكردي مأمناً لطريقنا لانَّ شذَّاذ الأكراد ولصوصهم لا يتعرَّضون عادةً لمن كانوا في عهدة الواحد منهم. ثم اجدانا هذا المكاري نفعاً اعظم بملازمة خدمتنا في مدَّة تلك المذابح التي كان باشر بها هؤلاء الأكراد باغراء السلطان عبد الحميد

فكان وداعنا لماردين في صباح يوم الخميس ٣١ تشرين الاوَّل. فارقنا المعارف والاقارب رغماً عمَّا كان يبلغنا من الاخبار المزعجة فكانت الالسنة تتناقل الانباء

المتناقضة فلا نعلم ما فيها من الصدق او الكذب فجعلنا الامل على الله الذي لا يخيب رجاء المعتصمين بحبلهِ. وكان اخي الذي صحبنا الى ديار بكر اراد ايضاً ان يمشي في خدمتنا الى بغداد فكان لنا في هذا السفر كلاكنا الحارس المنظور فلم يقتصد شيئاً من اتعابهِ وتفانيهِ ليجعل سفرنا هنيئاً ولا يُبقي لنا همًّا من جهة كل الماديّات. وكنَّا ايضاً قدَّمنا لمتصرف ماردين البيولردي الذي ناله لنا قنصل فرنسة في ديار بكر فعيَّن لنا جنديًّا يسير معنا فيردّ نظرهُ كل المعادين

كان مسيرنا شمالي شرقيّ ماردين على طريق قضاء مِديات. فقطعنا التلال المتصلة بجبل ماردين بين حدائقها الغنَّاء ثم غاباتها الوارفة الظلّ حيث ينمو خصوصاً العفص والبلُّوط الحلو. وعلى هذه الاشجار يتكوَّن المنّ في الربيع فيجمعهُ اكراد القرى المجاورة ويبيعونهُ في ماردين وديار بكر والموصل. وهذا المنّ لذيذ الطعم واذا جُني حديثاً كان كالكزبرة يأتدمهُ الناس مع خبزهم. ومنهم من يحفظهُ السنين الطويلة بان يجعلهُ في دقيق الحنطة ويخزنهُ في امكنة باردة فيصلب كالحجر ويبقى على طعمهِ. وكثيرًا ما يكون المنّ ممتزجاً بدقائق من ورق العفص التي تُفقدهُ شيئاً من لذَّتهِ فيغلونهُ في الماء ويطفو الورق على الوجه فيُنزع ويصفَّى المنّ وتُصطنع منهُ القطائف والحلويات (١

ثمَّ بلغنا الى رُبًى مكشوفة للشمس فيها الكروم الشهيرة بأثمارها الطيبة. وعنب ماردين كبقيَّة الفواكه النامية فيها غاية في الجودة. وكان اهل تلك الانحاء يقطفون عنبهم فكانوا يأتوننا بسلال منها لنباركها. وهذا العنبُ غالباً يؤكل على حالتهِ او يزبَّب فيُرسل الى جهات تركيا واوربَّة وقلَّما يصنعون منهُ خمرًا لصعوبة انفاقها عندهم. وخمر ماردين مع ذلك شهيرة ورد ذكرها في كتابات اليونان والرومان

حللنا عند المساء في قرية تُدعى قلّث تحتوي على نحو ٥٠٠ نفس نصفهم سريان كاثوليك والنصف الآخر يعاقبة. فنزلنا عند كاهن السريان وكان ذلك المساء بيرمون عيد جميع القديسين وكان قد اتى القرية قبل وصولنا ناس هربوا من قرى ديار بكر فاخبروا انَّ الاكراد هجموا على نواحي آمد وشرعوا يقتلون وينهبون ويحرقون ضياع النصارى. فاقلق هذا الخبر اهل قلّث فجعلنا نطمن بالهم ونهدّي روعهم بذكر

١) راجع في المشرق (١ : ١٠٧٨) مقالتنا عن « منّ بني اسرائيل »

عدل الحكومة السنيَّة التي تزجر اولئك الاشقياء وتجازيهم قريباً على سوء فعلهم وما كنَّا لنظنّ انَّ الدولة هي التي دفعتهم الى اقتراف تلك الاعمال الفظيعة انتقاماً من الارمن على زعمها . وفي تلك الليلة بلغنا ان الاكراد احاطوا بماردين

وقلّث هذه كانت قديماً حصناً منيعاً وبجوارها كان دير لقدماء الرهبان ينسب لمار آبا احد السيَّاح من تلامذة القديس اوجين والسريان الكاثوليك فيها اصلهم من اليعاقبة المرتدّين وكنيستهم حديثة واسعة لكنها فقيرة جداً . امَّا اليعاقبة فلهم هناك كنيسة عتيقة على طرز الكنائس الراقية الى القرن الخامس او السادس للمسيح وهي الآن كسرب يُنزل اليها في قلب الارض وهي ثلثة اسواق تسندها السواري وتزينها بعض التصاوير المطموسة وقد ارانا الكاهن خادمها انجيلًا قديماً على رقّ ذا نقوش وصور جميلة وهو مكتوب بالحرف الاسطرنجلي . وقد وجدنا في احدى زوايا الكنيسة نسخة اخرى مثلها مهملة قد اتلفها العثّ والرطوبة . فعرضنا على الكاهن ان يبيعها او يعتني بامرها لئلّا تُفقد فكان جوابهُ انهُ يبيعها لاحد الانكليز بثمن غالٍ . وهؤلاء اليعاقبة باسوأ حال لا يعرفون غالباً من امور دينهم شيئاً وقد دخل البروتستان بينهم منذ نحو خمسين سنة فاشربوا صغارهم اضاليلهم وافسدوا معتقداتهم

قمنا صباح الجمعة باكرًا وهو يوافق لغرَّة تشرين الثاني فقدَّمنا الذبيحة الالهيَّة على ذكر جميع القديسين . وكان لهذا العيد الشريف وقع موثّر في قلبنا ونحن قد دخلنا في ذاك الجبل الذي تقدَّس فيهِ الوفّ من النسَّاك الذين اخذوا الطريقة الرهبانيَّة عن مار اوجين تلميذ مار انطونيوس فعمَّروا الاديرة وسكنوا المغاور والكهوف ومارسوا اسمى الفضائل وازالوا ما كان في تلك البلاد من آثار الوثنيَّة حتى صار ذلك القطر كصعيد مصر اشبه بفردوس عدن لصلاح اهلهِ فدُعي لذلك بطور عبدين اي جبل القديسين

سرنا في ذاك النهار متوغلين في طور عبدين فكنَّا نرى عن بعد آثار اديرة قديمة ومناسك مختلفة ولا نكاد نلقى في طريقنا حيًّا الَّا بعض القرى الحقيرة يسكنها قوم من الاكراد او العرب . ونزلنا عند العصر في احدى تلك القرى تدعى خلدة اهلها كلُّها مسلمون فاضافنا شيخها وبتنا ليلتنا في دارهِ

وخلدة هذه محاطة بمغاور منقورة في الصخر كان النسَّاك يسكنونها في سالف

الزمان. فخرجتُ لاتفقّدها وانا اتلو كتاب الفرض القانوني فتوهّم بعض شبّان المحلّ اني سائر للتفتيش عن كنوز مخفية هناك بجرى لي معهم كما جرى لي سابقاً مع غيرهم في خان السبل (اطلب المشرق ٨ : ٩٢١—٩٢٢) واخذت افسّر لهم انّ تلك الكهوف كانت مأوى للزهاد الذين جعلوا كنوزهم في السماء حيث لا يقرض عثّ ولا يسرق سارق على خلاف الكنوز المادّية التي تنفد وتفنى

ولمّا عدتُ الى بيت الشيخ اجتمع عندهُ اهل القرية فاخذوا يلقون علينا الاسئلة في امور شتى كانت تشغل افكارهم عن تاريخ تلك البلاد واهلها والدول التي تقلبت عليها ودينها القديم وغير ذلك حتى غلب علينا النوم بعد تعب الطريق. فطلبنا منهم ان يسمحوا لنا بان نصلي صلاتنا ثمّ نرقد لا سيما ان رفيقي حضرة الاب شلفون كان اصيب بعد خروجنا من ماردين بضنك وحمّى فكان محتاجاً الى الراحة

ثمّ واصلنا سيرنا حثيثاً قبل السحر لنبلغ الى مدياث في ضحى يوم السبت وكان فيهِ تذكار الموتى لاقدّس هناك لراحة نفوسهم في كنيسة السريان الكاثوليك. ولم نلقَ في طريقنا ما يستحقّ الذكر الّا انّنا كنّا نسمع من ابناء السبيل والمكارين النصارى انّ اخبار ديار بكر سيئة وانّ اكرادها قاموا على النصارى. فكنّا ننسب هذه الاقوال الى الاوهام فلا نعيرها بالاً

مِدْياث او مدياد مدينة قديمة سبقت عهد المسيح وهي حاضرة طور عبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار المثمرة وتسيل فيها العيون امّا اهل البلد فشربهم من الآبار وهي مركز قضاء يحكم فيها قائمقام تحت امر متصرّف ماردين ووالي ديار بكر. واهلها يبلغون من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة نصفهم مسلمون واكراد والنصف الآخر يعاقبة وارمن غريغوريون وسريان كاثوليك

ومدياث تُعدّ كمعقل اليعاقبة منذ دخلت بدعتهم ما بين النهرين فحوّلوا طور عبدين بعد ازدهارهِ بالفضائل ووفرة مشاهير رجالهِ ذوي البرّ والاعمال العظيمة الى قفر لم يبقَ فيهِ للدين الّا آثار بعد عين. وكثيراً ما جرت بين اهل الطور واكراد هذه النواحي حروب ومنازعات كانت الدولة تسعف فيها الاكراد على خصومهم سرّاً وجهاراً. ويعاقبة طور عبدين مشهورون بالغلظة وفظاظة الطباع والجهل ولهم لغةٌ

تعرف بالطورانيَّة وهي السريانيَّة طرأ عليها بعض الفساد وقد ألَّف الاب باريزو (Parisot) وغيره كتباً في لهجتهم وخواصّها (١

كان مقامنا في مدياث في دار السريان الكاثوليك حيث كان يقيم سيادة المطران يوحنَّا معمار باشي من قدماء تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير والنائب البطريركي على ماردين فتلطف سيادتهُ واستقبلنا بمزيد الحفاوة فعددنا يومي اقامتنا عندهُ كيومي عيد وجد فيهما حضرة الاب شلفون راحةً ومعافاة من مرضهِ

وانتهزنا هذه الفرصة لنزور المدينة ونبحث عن آثارها الدينيَّة والادبيَّة. وللبعاقبة في مدياث كنيسة قديمة كانت كرسيًّا لمفريان وبقربها دير يسكنهُ بعض رهبانهم ولهم حول المدينة كنائس واديرة منها كنيسة على اسم مار فيلوكسين احد مشاهير كتبة اليعاقبة وانصار يعقوب البرادعي وهي قديمة قد استولى عليها الخراب

امَّا المخطوطات فلم نجد منها في مدياث لدى اليعاقبة سوى تآليف ابن العبري السريانيَّة كتواريخه وكتبهِ اللاهوتية والفلسفيّة وكلها معروفة منها عدَّة نسخ في مكاتب اوربَّة. وكذلك أرونا بعض مخطوطات من الكتب المقدَّسة من الترجمة البسيطة يرتقي بعضها الى القرن العاشر والحادي عشر. واطلعونا ايضاً على بعض اعمال مجامع وكتب طقسيَّة وميامر للآباء لم نجد بينها ما فات امرهُ علماء اوربة

امَّا السريان الكاثوليك فحديثو العهد في مدياث. كان اوَّل اهتدائهم سنة ١٨٤٦ حيث جرت مجادلة بينهم وبين السيد انطون سمحيري مطران ماردين على السريان الكاثوليك فاقنع بالحقيقة ثلاثة من اساقفتهم: زيتون چلمه مطران طور عبدين واسطفان مطران الجزيرة وغريغوريوس مطران حمص وحماة فانضمُّوا الى الكثلكة وتبعهم قوم من رعاياهم. لكنَّ اليعاقبة اثاروا على هؤلاء المرتدّين انواع الاضطهادات وهيَّجوا عليهم عمَّال الدولة وصوَّروهم كتبعة الفرنج واعداء الوطن. وكان حينئذٍ مدبِّرًا لقصادة ما بين النهرين السيد مبارك بلانشه رئيس الرسالة السوريَّة على اليسوعيين سابقاً فلما علم بامر اولئك الكاثوليك وما اصابهم من الظلم ارسل رفيقهُ الاب يوسف لابورد ليهتمّ بامورهم فقدم مدياث وتعلَّم السريانيَّة وجاهد الجهاد الطيب في سبيل الكثلكة ففتح المدارس للصغار وابتنى كنيسة للكاثوليك فرجع على يدهِ كثيرون.

(١) المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة (JA, 9e Série, XIII, p. 167)

الّا انَّ اليعاقبة سعوا بنفيـــهِ واخرجوه مرَّتين بالقوَّة من مديات وهو لم يزل يناصب اعداء الكنيسة وبقي على ذلك ست سنوات حتى وقعت في طور عبدين فتن جديدة وتهدَّدوا الاب لابورد بالقتل فالحّ عليـهِ كاثوليك مديات بان يرحل الى ماردين ريثما تهدأ الامور وعلم السيد پلانشه بما يدسّه اليعاقبة لرفيقهِ فامره بان يعود الى الموصل وهكذا بقيت رسالة مديات معرَّضة من جديد للاخطار فقلّ الكاثوليك فيها حتى استأنفها مرسلو دير مار افرام في ماردين فكانوا في يوم مرورنا يصرفون جهدهم في ردّ اليعاقبة. وقد روى لنا بعض الذين عرفوا الاب لابورد عدَّة اخبار تثبت قداسة هذا المرسل الذي عطَّر بفضائلهِ الرسوليَّة انحاء بلاد سوريَّة حيث كان قدوةً للرهبان اخوتـهِ ولجمهور المؤمنين. وكان طبيباً نطاسيًّا يهتمّ بكل المرضى على اختلاف اديانهم مجَّاناً وقد ساعدتهُ هذه المعارف الطبيَّة في رسالة ما بين النهرين وبلاد الشام على اكتساب ثقة كل من كان يلتجئ اليهِ. وكانت وفاتهُ في بيروت برائحة القداسة في ٢٠ شباط ١٨٨٤

وكان يوم الاحد ٣ تشرين الثـاني يوماً مشهودًا في مديات لانَّ السيد حنَّا معمار باشي كان جعلهُ موعدًا لسيامة شماس كان ارتدّ من اليعقوبيَّة فعُقدت حفلة كبيرة غصَّت الكنيسة بالحضور لمشاهدتها فاغتنم سيـادتهُ الفرصة ليلقي عليهم عظة نفيسة بيَّن فيها رئاسة الاحبـار الرومانيين بشواهد الآباء السريان وعدَّد مآثر الكنيسة الرومانيَّة نحو الشرقيين وان كانوا بعيدين عنها. فكان لكلام الخطيب احسن وقع في النفوس. وفي غد ذلك النهار ركبنا الى دير العمر ونيتنا ان نسير منهُ الى سعرت

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ARABES par CL. HUART, tome I. *Paris*, *Paul Geuthner*, 1912, in-8°, p. IV-381.

تاريخ العرب للمسيو كليمان هوارت

انَّ التآليف الفرنسويَّة في تاريخ العرب قليلة. وآخر مـا نُشر من ذلك تاريخ

سديليو الذي طُبع دفعتين غير انَّ هذا التأليف كان بعيدًا عن الكمال كتبهُ صاحبهُ قبل نصف قرن اذ كان معظم المصنفات التاريخيَّة مدفونًا في زوايا المكاتب ولم تنشر تلك التآليف القديمة التي كشفت لنا القناع عن حوادث كثيرة كانت او مجهولة او مرويَّة عن روايات ضعيفــة فانخدع سديليو بمحبتهِ المفرطة للعرب فرغبةً برفع قدرهم بخس حقوق غيرهم. ومن ثمَّ رأينا بملء السرور احد ادباء الفرنسويين المسيو كليمان هوارت الذي قضى سنين طويلة في الشرق بصفة قنصل دولتهِ وتقلَّب في عدَّة مناصب والَّف كتاباً في الآداب العربيَّة وهو اليوم من اساتذة العربيَّــة في مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في باريس عمد الى تأليف جديد في تاريخ العرب. وقد اهــدانا القسم الاوَّل منهُ وهو يتناول اخبار العرب مباشرةً بأقدم آثارهم الى اواخر الدولة العبَّاسيَّة. ولم يقصد المؤلف بوضع هذا التاريخ الاتّساع في تفاصيل الحوادث وانَّما جعل غايتهُ نظرًا اجماليًّا في الامور التي جرت على ايدي العرب مستندًا في رواياتها الى التآليف القديمة والحديثة التي نُشرت في هذه الحقبة الاخيرة. وقد قسم هــذا القسم الاوَّل ثمانيــة عشر باباً افتتحها بوصف جزيرة العرب وتعريف اقسامها ثمَّ تخطى الى بيان احوال العرب في انسابهم وتأليف قبائلهم وعشائرهم ثم عاداتهم الاهليَّــة في الزواج والوراثة والقضاء والحرب والسلم والمهاجرات المتواليــة والسكن في البادية والحضر ورعية المواشي ولهُ كلام هناك في اديانهم القديمة كنَّا وددنا لو اختصر فيهِ ما رويناه عن نفوذ النصرانيَّة في جزيرة العرب استنادًا الى روايات اصدق المؤرخين. والباب الثالث يشمل خلاصة اخبار العرب العرباء خصوصاً في اليمن منذ القرن الثامن قبل المسيح الى ظهور الاسلام. وقد تعجبنا انَّهُ لم يستند في شيء الى ما ورد عن العرب في الاسفار المقدَّسة وهي اقدم واوثق ما يُستند اليهِ في ذلك. وقد اضرب الصفح ايضاً عمَّا جاء في تآليف اليونان والرومان عن العرب وفيها معلومات مفيدة من كتبة معاصرين. ويلي هــذا الباب بابان الواحد خاصّ بملوك غسَّان والحيرة والآخر بتاريخ مكة قبل الاسلام والمؤلف في كل ذلك لا يكاد يستند الى غير سيرة الرسول لابن هشام وتاريخي الطبري وابن الاثير. واوسع من ذلك الابواب الثلاثة التابعة المختصة بمحمَّد نبيّ المسلمين قبــل هجرتهِ وبعد الهجرة مع نظر عامّ في الاسلام وسننهِ وفرائضهِ والمسيو هوارت قد لزم هنا في كلامهِ جانب الاعتدال ولعلَّهُ بالغ في ذلك

حتى جار عن الحقّ لثقتــهِ الزائدة في بعض كتبة العرب. والابواب العشرة الاخيرة تحتوي على تاريخ الخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم العبَّاسيين والدول التي نشأت في زمــانهم كالسلجوقيين والاغلبيين والطولونيين والحمدانيين والفاطميين وختم ذلك بنظر في الشرع الاسلامي. وفي آخر كل باب جداول شتى للتآليف التي استند اليهــا الكاتب ولاسيما الملوك الذين ورد ذكرهم. هــذه خلاصة القسم الاوَّل من تاريخ العرب. ونحن ننتظر بذاهب الصبر القسم الثاني فاذا ما ظهر نقدنا الجزئين نقدًا علميًا مطوَّلًا ان شاء الله ل. ش

K. T. Khairallah : La Syrie. Territoire, Origines ethniques et politiques, évolutiou, esquisses : la vie politique en Syrie et au Liban. *Paris, E. Leroux*, 1912, p. 146.

سوريَّة: نظر في تخومها وعناصرها واحوالها الاجتماعيَّة والادبيَّة

ليس هذا الكتاب تأليفًا علميًّا وانَّما هو على مــا يظهر مجموع مقالات شتى نُشرت في جرائد باريس نقَّحها كاتبها وطنيُّنا « خير الله ت. خير الله » وابرزها على صورة تأليف مستقلّ. ومن سرَّح النظر فيها وجدها متصفة بصفة العجالات التي تُدرج في الجرائد ليلتذّ بها القرَّاء ساعةً دون ان يبحثوا عن تدقيقها فالفائدة من جمعها قليــلة وهي لا تصلح ان تُتَّخذ حجَّةً بل ربَّما ضلَّلت القرَّاء بما فيهــا من المعلومات غير المضبوطة. وفي كتاب « سوريَّة » اشياء كثيرة من هذا الصنف لو تتبعناها لاتَّسع بنــا الكلام دون جدوى. فاي كاتب موثوق بهِ زعم « انَّ سوريَّة مشتقة من اسم صور » (ص ٣) او ان « الشام » « من الشامة » . وتُرى ايُّ فائدة من ذكر « النَّوَر » بين شعوب سوريَّة وهم من شذَّاذ الناس لا يخلو بلد من بعض افرادهم. وايّ مسلم يرضى بان يجعلهم من السنِّيين (ص ٩). وكيف يزعم (ص ١٣) انَّ عدد اليهود في سوريَّة وفلسطين « مئة الف » ولو ضاعفتَ هذا العدد لَما بالغت. ثم لا يرتقي اصل الموارنة (ص ١٣ الى القرن الخامس بل الى السابع. وكم للمؤلف في الباب الثالث من الاقوال التي يرميها على عواهنها. ايجوز لهُ مثلًا أن يقول (ص ٢٠) « انَّ العرب لم يلقوا في سوريَّة اعداء بل اخوةً بالدم اخذوا يجاهدون تحت راية واحدة لغاية واحدة ». وهو يضادّ نفسهُ بعد هذا بقليل فيقول (ص ٢٠) « انَّ اهل سوريَّة

كانوا بقايا من امم شتى » ثم عاد المؤلف (ص ٢٤) الى زعم البعض بانَّ المردة هم الموارنة فنسي ما كتبهُ سيادة المطران يوسف دريان وغيره في تفنيد هذا القول. والعلماء يشتقون اسم « المردة» لا من التمرُّد بل من لفظة فارسيَّة قديمة معناها الرجال الاقوياء لانَّ اصل المردة من بلاد فارس كما اثبت العلَّامة انكتيل دوپارُّون (Anquetil-Duperron). ثمَّ انَّ روايتهُ (ص ٣٣) لانشاء مدرسة الموارنة في رومية مخلةٌ جدًّا ولم ينسَ هناك الَّا ذكر اليسوعيين الذين تفانوا مائتي سنة في تهذيب الاكليروس الماروني. هذا وللمؤلف اقاويل اخرى عديدة لا يسمح لنا الوقت بتفنيدها سواء كانت عن سوريَّة القديمة او الحديثة. وعمًّا لم ندرك معناه قول المؤلف (ص ٥٥) انَّ كليتنا البيروتيَّة واعمال رسالتنا انَّما « هي اوَّلًا يسوعيَّة ثمَّ كاثوليكيَّة (L'œuvre est avant tout *jésuite*. puis *catholique*) فهذا قول تشمّ منهُ رائحة مشتبهة فلا نعلم كيف الكاتب استجاز تدوين مثل هذا الكلام والكلّ يعرفون (وهو المأخذ الوحيد لاعدائنا علينا) انَّ اليسوعي كاثوليكيّ قبل كل شيء وليس له غاية اخرى سوى خدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة. وفي الختام نعود الى قولنا انَّ هذا الكتاب مجموع مقالات جرائد ليس تحتهُ كبير طائل لمعرفة سوريَّة ل. ش

طبقات الامم او السلائل البشريَّة

كتاب علميّ طبيعيّ اجتماعي تأليف جرجي زيدان منشئ الهلال

طبع في مطبعة الهلال في بمصر سنة ١٩١٢ (ص ٩٨٢)

يخوض جناب رصيفنا جرجي افندي زيدان في كل الابحاث التي يتعاطاها علماء زمانها ويفضّل عليها المواضيع التي لم يسبق اليها غيرهُ في الشرق فاذا رأى كتاباً جديدًا من ذلك في اللغات الاوربيَّة تسارع الى تقليده لا سيما اذا كان في شيء من المواضيع الغريبة التي يحبّ الشرقيون مطالعتها « ولكلّ جديد رهجة ». الَّا ان في ذلك خطرًا ظاهرًا لانهُ « قد يكون مع المستعجل الزللُ ». وهذا كتاب طبقات الامم شاهد على قولنا فانَّ المؤلف جمع فيهِ او نقل مئين من الاخبار عن كل شعوب الكون حتى أوغلِهم في الهمجيَّة فذكر شيئاً من اخلاقهم وعاداتهم وخصائصهم البدنيَّة والعقليَّة والادبيَّة ومنشأ كل امة منهم ودار هجرتهم ومقرّهم ودينهم وخرافاتهم فهي لعمري ابحاث يكلّ عن القسم الصغير منها اوسع الرجال علماً فاستقراها

جرجي افندي امَّة امَّة وذكر اوصافها ورسم صورها كأنَّهُ تعمَّق في درس كل واحدة منها وهو يجري في كلامهِ فيها بثبات الجوَّال في النوم الذي لا يخاف خطر السقوط ولو مشى على حافـة الهاوية. والاغرب من ذلك انَّهُ اراد يدخل في ابحاث جيولوجيَّة عن اصل الانسان وقدمهِ وعارض (ص ١٢) بين الاسفار الالهيَّة واقوال العلماء واشار الى انَّ تعاليم الدين لا تنطبق مع اكتشافات العلماء ولاسيا اقوال دروين ومشائعيه اصحاب النشوء والارتقاء (ص ١٣ — ١٤) فتراه اذا ذكر اصل الانسان يقطع النظر عن الوحي الاوَّل ويجعل ظهورهُ منذ مئات الوف من السنين ويرجّح كونهُ وُجد اولاً في جزائر الهند الشرقيَّة (ص ١٥) ومزاعم أُخرى كثيرة يرويها جرجي افندي عن بعض العلماء غير الاثبـات ولو كان منصفاً لأتى باقوال غيرهم كثيرين ممن يخالفونهم تماماً وهم ارقى علماً منهم كالعلَّامة كوفيه (Cuvier) والعلَّامة كاترفاج (de Quatre-fages) والعلَّامة الجيولوجي العصري دي لاپاران (de Lapparent) وغيرهم. وخلاصة القول انَّنا لا نعتبر هذا الكتاب كتأليف « علمي » بل كلهاة للجمهور الذين لا يهمُّهم التدقيق في حقـائق الامور وانَّما يريدون ان يصرفوا ساعات من زمانهم في التفكهة الخاطر وترويح البال لا غير ل.ش

شذرات

اليسوعيون والعلم انَّ اهتمام اليسوعيين بكل ضروب العلوم البشريَّة يلوح في كلّ سنة بعدد لا يُحصى من المطبوعات الخاصَّة التي ينشرونها في كل اقطار العالم. فمنها كتب ضخمة في معظم لغات اوربَّة ومنها مقالات واسعة في المجلّات العلميَّة التي يتولَّون نشرها او في المجلّات العموميَّة. ومن اثارهم في العام الماضي انهم يوم وقوع كسوف القمر في ١٧ نيسان اختاروا مدينة نامور في بلجكة لرصودهم. فاجتمع تسعة من علمائهم من مراصدهم الاوربيَّـة واتَّفقوا مع وزير المعارف في بلجكة وبقيَّة الفلكيين على ان يتبادلوا ملحوظاتهم في وقت الكسوف فكانوا يخابرون المرصد الملكي في بروكسل بالتلفون وبواسطتهِ يبلّغون نتيجة ابحاثهم الى برج ايفل ومنهُ الى بقيَّة انحاء اوربَّة. وقـد اخذوا عدَّة تصاوير متقنة افادت المنجمين لضبط معارفهم عن النيّرين العظيمين — ومنها ما نشرهُ الابوان المرسلان

في عباي الاب ستيخن (Steichen) وسيرب (Sierp) عن الينابيع المعدنيَّة الحارَّة في معاملات عباي الغنيَّة بدقائق الراديوم ومركباتهِ وخواصهِ فكان لكتابها احسن موقع لدى المكاتب العلميَّة —ومما يشهد ايضاً لليسوعيين بالنشاط العلمي انَّ الحكومة البريطانيَّة بواسطة سفيرها في بطرسبورج نالت الرخصة لاحد علماء اليسوعيين ان يدخل روسيَّة رغماً عن الشريعة النافية لرهبانيتهم ويجتمع بالبرنس غالتسين مدير مرصد پولكوڤو لدرس الزلازل وحركاتها والاب المذكور هو الاب پيغوت (Pigot) الشهير بمعارفهِ الجيولوجيَّة والمغناطيسيَّة — ومنها ايضا المكتب الاعداديّ الذي فتحوه في طوكيو عاصمة اليابان لترشيح الشبان بعد نهاية دروسهم الثانويَّة لمباشرة الدروس العليا . وقد اقتنوا في وسط المدينة محلًّا رحباً حيث يشيدون عمَّا قليلًا ابنية واسعة لكليَّة جامعة . وهم في كل اسبوع يلقون المحاضرات في موادّ ادبيَّة وعلميَّة ودينيَّة يتزاحم علية اليابانيين لاستماعها — ومن ذلك ايضاً مآثر علميَّة جديدة سعى بنشرها الاب اليسوعي الغه (J. Algué) في جزائر فيليبين اكسبتهُ شهرة عظيمة في انحاء اميركا حتى انَّ كليَّة مانيلَّا منحتهُ اكبر امتيـاز لديها لاجل اكتشافاتهِ المتعدّدة في الجوّيات والعلوم الكهربائيَّة وخوَّلهُ رئيس الكليَّة المستر برتليت (Bartlett) رتبة ملفان شرف بحضور كل الاساتذة والطلبة — وفي احدى جلسات جمعيَّة فرنسة الاثريَّة خطب رئيسها واثنى الثناء الطيب على الاب كاميل دي لاكروا (C. de la Croix) معظماً الخَطْب الاليم الذي اصاب العلم بوفاتهِ وهو الذي مدَّة ثلاثين سنة بنيف اخرج من بطن الارض آثار مدينة پوتيه القديمة والقرى المجاورة لها فبيَّن للعلماء ما كانت عليهِ تلك المدينة من الحضارة والترقي في ايَّام تملُّك الرومان على بلاد غاليا . وانشأ المتاحف وصنَّف التآليف المتوالية حتى انَّ الحكومة الفرنسويَّة سنة ١٨٩٧ اهدتهُ وسام جوقة الشرف (اللجيون دونور) . امَّا الجمعيَّة الاثريَّة فانَّها اقامت لليسوعي بعد وفاتهِ تمثالًا جميلًا نصبتهُ مؤخرًا واحتفلت لتدشينهِ احتفالًا عظيماً

اوَّل سائح في بلاد تيبت في العام الماضي شيَّد اهل كلكتة في مدينتهم اثرًا لاحد السيَّاح المجريين اسمهُ اسكندر كسوما كورس (Al. Csoma-Koros) (١٧٨٤ — ١٨٤٢) زعماً منهم انَّهُ اوَّل اوربّي دخل بلاد تيبت وزار عاصمتها لاصّا . فحضر الحفلة مرسلون كبوشيون وعرضوا على المحفل كتابةً من

زعيم التيبتيين المعروف بدالاي لاما يمنح مرسلين من رهبانيتهم الطافاً وهدايا منذ القرن السابع عشر اعني قبل كورس بنحو ١٧٠ سنة. واصل هذه الكتابة مكتوب على شقّة حرير هي اليوم في الواتيكان. ونحن ايضاً في مقالتنا عن « عجائب تيبت » (المشرق ١١ (١٩٠٨): ٥٢٢ — ٥٣٦) ذكرنا دخول مُرسلين آخرين الى تيبت اوّلهم الراهب الفرنسيسكاني اودريك دي پاردينوني في اوائل القرن الرابع عشر ثم انطون دي اندرادا اليسوعي سنة ١٦٢٤ ثمَّ اليسوعيَّان غروبر ودورڤيل سنة ١٦٦١ وغيرهم ايضاً ذكرناهم هناك. ومنهُ يتَّضح ما للمرسلين من الخدم المتعددة في سبيل العلم والدين معاً قبل مشاهير السيَّاح المحدثين

المتاحف الفوتوغرافيَّة منذ اكتشاف الفونغراف وتدوين الاصوات على اساطينهِ ادرك العلماء ما في هذه الآلة من الفوائد لجمع الاغاني الشائعة في انحاء المعمور ودرس العلاقات التي بين انغامها ومعرفة اصول الموسيقى العموميَّة. واوَّل متحف أُنشئ لذلك كان انشاؤه في الولايات المتحدة نحو السنة ١٨٩٠ بمساعدة الاساتذة جيلمان (Gilemann) وفيوكس (Fewkes) وغيرهما. ثمَّ قام الاستاذ المجري بيلا ڤيكار (Bela Vikar) وانشأ في بودابست سنة ١٨٩٧ متحفاً دوَّن في آلاتهِ الفونغرافيَّة ٥٠٠ نغمة مجريَّة اضاف اليها النغمات التركيَّة — ثمَّ وسَّع نطاق هذه الدروس علماء ڤينة (١٨٩٩) ثمَّ فرنسة (١٩٠٠) ثمَّ انكلترة (١٩٠١) ثمَّ المانية (١٩٠٤) وفي كل هذه العواصم معاهد واسعة للدروس الموسيقيَّة العموميَّة فتسمع هناك كل انغام الشعوب من العالمين القديم والحديث بينها اغاني القبائل الافريقيَّة واهل جزائر اوقيانية وهمج هنود اميركا فيستطيع العلماء ان يدرسوها درساً محكماً بالمقابلة فيتبيَّنون سياقها وعلائقها واصولها وفروعها — وكما يدرسون الانغام كذلك دوَّنوا لهجات الشعوب المختلفة والامم والقبائل والعشائر لاستثبات خواصّ لغاتهم ولفظهم ونبراتهم وبذلك تقدَّمت الدروس اللغويَّة تقدُّماً عظيماً. فترى كيف الاوربيون يستفيدون من الاختراعات الجديدة وصار الفونغراف الذي نتلهَّى نحن بنغماتهِ مرقاةً للمعارف وتقدُّم الفنون

ما اشرفك ايها الدين اخبرنا ما كان للدين من السهم الفائز في حادثة غرق تيتانك وكيف ان نوبة المركب عزفت بلحن ديني عنوانهُ « اليك

يا ربّ اقرب ». وفي هذه النسبة كتب رصيفنا منشئ الهدى فصلًا جميلًا في مقام الدين وشرفهِ نقتطف منهُ بعض اقوالهِ العسجديَّة :

« ما اشرفكِ ايتها الامانة وما اسماك ايها النظام. فتح الموت شدقيهِ اذ انفلق البحر ليبتلع التيتانك فلم يذعر العازفون والموظفون في الباخرة ولا خانوا واجباتهم. سبحوا الله بالزمور والدفوف والابواق والطبول والقيثارات والصنوج وصرخوا جميعاً كمن فمٍ واحد « اليك يا ربّ اقربُ فاقربْ » ما اوسخك في القلوب ايها الدين. يُنسي الفرح الانسانَ دينَهُ وتُنسيهِ ايَّاه الشهوات والملاذّ لوقت وانما لا تتجلى عظمة الدين الّا في النكبات والفواجع

« اتريدون ان تقولوا لنا ان العلم ينفي الدين. ان الدين وهمٌ. انهُ خوف وخَورْ. انهُ تقليد او من ذخائر الخرافات لان الدين مثل النفس لا نعرف ما هي او اين هي. كذب الدهريون والملحدون كما كذب الدجَّالون والمراؤون. اليس الدين الذي اوجد الامانة حتى الموت في الزوجين المتعانقين قبل ان يعانقهما الموت ؟ اليس الدين الذي اوجد المروءة في اصحاب الملايين الذين آثروا الموت على النجاة وحولهم العذارى والزوجات والاطفال ؟ اليس الدين الذي خشع بهِ المعدّون للموت فجثوا يصلون بحرارة وايمان ورجاء بالرحمة ؟ كل قلب لا دين فيـه لا ضمير لصاحبهِ وكل من لا ضمير لهُ عدو الانسانيَّـة والرقي لانه يكون حيواناً فقط والحيوان لا يرتقي ولا يُرقي

« ما اشرفك ايها الدين ! ما اشرف مبادئك وتعاليمك انت باسط اليد بالتبرعات انت مالىء العيون بعبرات الشعور. انت مالئْ البيوت بعواطف المحبة والغيرة والشفقة انت مالئْ المستشفيات بالانسانيَّة. بالاطباء. بالممرضات. بالادوية. بالاسرَّة وبحسان الحسنات. انت مالئْ الجرائد بالبحث والتحريض والاخلاص والتضحية. انت مالئْ الكنائس والمعابد بالصلوات والابتهالات والتضرعات والترحمات. انت مالئْ عيون رجال الدين قطرات حارة تنبعث من قلوب ملتهبة بنـار المحبة وانت ملجأ الارملة واليتيم والمكتئب والمضطرب فما اشرفك ايها الدين ». نعم القول وحبذا القائل !

شطط مجلة المنار المصريَّة

كنَّا نعدّ مجلة المنار كنشرة معتدلة تدافع عن صوالح المسلمين دون ان ترمي بنبالها الدين الكاثوليكي ومنذ امد قريب لا نكاد نرى عددًا من اعدادها الّا ترشق ديننا المستقيم بسهامها وذلك امرٌ لا يمكننا

السكوت عنهُ ونحن نعتبر الدين فوق كل الكنوز والخيرات الزمنيَّة. ولعلَّها تعتذر بقولها انَّ بعض نصارى البروتستانت يتحاملون على الدين الاسلامي. فجوابنا انَّها ينبغي عليها في اجوبتها ان تختصَّ البدع البروتستانيَّة دون ان تمسَّ كرامة الكثلكة وبين هذه وتلك بون عظيم. وان ابت الَّا التطاول على ديننا فنطلب من اخوتنا المسلمين ان لا يشمئزُّوا اذا قابلناها بالمثل فننزل في ميدان الجدال مع مراعاة كل شروطهِ اعني (اوَّلًا) البحث عن قضية قضية ومتابعة الكلام الى ان يحكم الحكَم المتَّفق عليهِ من الفريقين بانَّ احد المجادلين مصيب والآخر مخطئ. (ثانياً) العدول عن كل الشخصيَّات اذ لا دخل لها في الجدال. (ثالثاً) المساواة التامَّة في حقوق الجدال. فان رضيتْ فبهِ والَّا كفَّت عن مناهضة ديننا. فما لها والنبوَّات عن المسيح وهناك من المباحث ما لا يخوض عبابهُ الَّا علماء الاسفار المقدَّسة وكتبة المنار لا يدركون منها ظواهرها فضلًا عن بواطنها. وما لها والزعم بتحريفنا للكتب الالهيَّة فان احبَّت الخوض في هذا البحث فلتجب على مقالات الاب انطون ربَّاط في الانجيل الشريف ولا تخلط كل المسائل ببعضها. فان مقالة «بشائر عيسى ومحمَّد» للدكتور محمَّد توفيق صدقي لو اردنا تفنيدها لما كفتنا اعداد عديدة من المشرق. فلتعمد المنار الى سؤال منها نثبت لها بطلان قولها فيهِ. وما لها ومديح لوتر زعيم البروتستانت الذين تردُّ عليهم المنار في صفحاتها افلا ترى المناقضة بين الامرين. نقلت المنار (ص ٥٤٢) مقال مجلَّة شورا عن لوتر حيث مُدح ذاك المبتدع لمناصبتهِ الدين الكاثوليكي. ولو عرفت مجلَّة شورا او مجلَّة المنار من هو لوتر وما هي اعمالهُ وكتاباتهُ لنبذتهُ كلتاهما ابد الدهر ولم ترضيا بتدنيس صفحاتها باسمهِ بعد ما كشفهُ من احوالهِ اعظم كتبة العصر واستخرجوهُ من دفائن المكاتب كالمسيو ڤيس (Weiss) والدكتور پاستور (Pastor) والاب الدومنيكي دينفل (Denifle) والاب اليسوعي غريزار (Grisar) حتى صار كثير من البروتستانت يخجلون من ذكر اسم ذاك الراهب الخالع الذي قضى حياتهُ بعد عصيانهِ على رؤسائهِ بالسكر والخلاعة وضروب التهتك والكذب والتزوير. فأنعم بمجلة المنار التي تتحرَّى للدفاع عن هذا الزعيم الشريف!!

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من الكهنة عن عمود نسب السيد المسيح الذي رواه القديس متى في اوَّل

انجيلهِ أهو تاريخي ثابت وما سبب اختلافهِ عن سياق الانساب الواردة في اسفار العهد القديم ؟

عمود نسب السيد المسيح في انجيل متى

ج لا شكَّ في انَّ هذا جدول النسب تاريخي ثابت الَّا انهُ اصطناعي فالقديس متى على مثال كثيرين من النسَّابين اختار لهُ طريقة سهلة لطبع هذه الشجرة النسبيَّة في عقول القرَّاء فاتخذ لهُ عددًا رمزيًّا وهو السبعة فضاعفهُ ٢ × ٧ = ١٤ ثمَّ قسم الزمان بين ابراهيم والمسيح الى ثلاثة اقسام (والثلاثة ايضاً من الاعداد الرمزيَّة) اعني من ابراهيم الى داود وهو الزمن السابق للملكيَّة في اسرائيل ثمَّ من داود الى زربابل اي الزمن السابق لجلاء بابل ثمَّ من زربابل الى السيد المسيح بعد الجلاء المذكور . ولعلَّ القديس متى بنى هذا التقسيم باربعة عشر على ما ورد في سفر اخبار الايَّام الاوَّل (٢ : ١ — ١٢) حيث ذُكر عدد نسل ابراهيم الى داود اربعة عشر واذ لم يطرأ على بني اسرائيل امرٌ جلل كجلاء بابل اتَّخذه متى كقسمهِ الثاني فوجد عدد الملوك من داود الى زروبابل يزيد عن اربعة عشر بثلاثة فاهمل ذكر ثلثة ملوك من ذريَّة آحاب وعتليا لأنَّ الله كان لعن آحاب وابناءهُ واللعنة في الاسفار المقدَّسة تتناول الاولاد الى النسل الثالث وعليهِ اهمل متى احزيا ويواش واماسيا . امَّا القسم الثالث الذي يبتدئ باسم يكنيا وهو آخر اسم من القسم الثاني فالمرجح انهُ مصحَّف وان الانجيلي كان كتب في آخر القسم الثاني يواكيم لا يكنيا وبين الاسمين في العبرانيَّة تشابه وهما يهويكين (יהויכין) ويهويقيم (יהויקים) فشُبّه على الناسخ وجعلهما واحدًا ي . د

س سألنا احد الأُدباء من بغداد ايجوز استبدال ثوب سيدة الكرمل بايقونة معدنيَّة وهل تكسب الغفارين الممنوحة لحاملي الثوب بحمل الايقونة

الايقونة القائمة مقام ثوب الكرمل

ج اصدر المجمع المقدَّس قبل سنتين رقيماً اجاز فيهِ استبدال ثوب سيدة الكرمل بايقونة معدنيَّة . ويشترط لاكتساب الغفارين كما في السابق ان يُشرك المؤمن بالثوب على يد كاهن مرخَّص بذلك . فاذا اشترك جاز لهُ ان يحمل بدلًا من الثوب ايقونة معدنيَّة تمثل على احد وجهيها السيد المسيح مظهرًا قلبهُ وعلى الآخر صورة السيدة البتول . وهذه الايقونة يباركها الكاهن المفوَّض بوضع الثوب . وان كان المؤمن مشتركاً بأثواب غير ثوب الكرمل كثوب الحبل بلا دنس وثوب الآلام تُبارك الايقونة ذاتها على عدد الاثواب بواسطة كهنة مرخَّصين بذلك ل . ش



الملائكة بازاء العلم والدين

نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلندارهـا السنوي تذكر غير مرَّة الطغمة الملائكيَّة اجمالًا او افرادًا بتخصيص احد الزعماء الثلثة المبرَّزين بينهم اعني ميخائيل وجبرائيل ورافائيل فتكرمهم اكراماً عاماً او خاصًّا وتقيم الاعياد لذكرهم وتحضُّ ابناءَها على الالتجاء الى شفاعتهم. لكنَّ الشهر الذي دخلنا فيهِ اي تشرين الاوَّل قد أُفرز لهذه العبادة ولاسيما لتكريم الملائكة الحرَّاس الذين عهد الله اليهم حراسة بني البشر ليرشدوهم الى كل خير ويصونوهم نفساً وجسماً من كل ضير

فرأينا ان ننتهز هذه الفرصة لنكتب فصلًا في هذا الصدد نجمع فيهِ خلاصة ما يستفاد من العلوم العقلية والدينيَّة بخصوص الملائكة اذ قـد قرأنا في بعض المجلَّات والجرائد الوطنيَّة والمصريَّة التي صدرت في هذه المدَّة الاخيرة كلاماً ينافي حقيقة الواقع وينظم في سلك الخرافات ما يرويهِ ارباب الاديان عن هؤلاء الملائكة فنذكر في قسم اوَّل ما يُستدلُّ بهِ على هذا الامر من العلم الصحيح والعقل الصائب ثم نتخطى في قسم ثانٍ الى ما افادنا الوحي في هذا الشأن

ودفعاً للالتباس نقدّم على كلامنا ما نفهمهُ بالملائكة مع جمهور العلماء وعموم الناس فنقول: انَّ الملائكة ارواح منزهـة عن المادة والاجسام الهيوليَّة ذات فهم وارادة خلقها الله لخدمتهِ وتنفيذ اوامرهِ . وسنعود الى هذا التحديد في غضون ابحاثنا

١ الملائكة بازاء العلم

إن استفتينا العلوم البشرية سواء كانت في دائرة الطبيعة المحسوسة او في نطاق ما وراء الطبيعة بقي عقل الانسان متحيرًا متذبذباً في الجواب عن وجود الملائكة وتعريف احوالهم . امَّا العلوم الوضعيَّة الطبيعيَّة فسبب سكوتها ظاهر لأنَّها لا تتجاوز حيز المحسوسات والملائكة كما قلنا مجرَّدون عن المادَّة فلا تمسُّهم يد ولا تبصرهم عين ولا تسمع ركزَهم اذن وقس عليهِ بقية الحواس التي لا تحكم في غير المادة ذات الاقدار المحسوسة من طول وعرض وسمك وعمق الخ . امَّا سكوت العلوم التي موضوعها ما وراء الطبيعة فلأنَّ هذه تبني حكمها على حقائق اوَلَيَّة او ثانويَّة يثبت العقل صحتها بالمقابلة او بالتخطّي من المفعول الى الفاعل . وبديهي انَّ قضيَّـــة وجود الملائكة لا تُنال بالمقابلة ويمكن نسبة كثير من المفاعيل الظاهرة في الكون الى الله توًّا دون توسط الملائكة والارواح

افنقول اذن ان قضيَّـــة الملائكة خارجة عن حيز العلوم وانَّها من القضايا التي يجوز للعلم ان يتغاضى عنها ولا يكترث لها ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا

فان كان العلم قاصرًا عن اثبات وجود الملائكة والارواح بنورهِ الخاصّ يمكنهُ ان يستضيْ بانوار قريبة منهُ ترشدهُ الى معرفة الحقيقة

واوَّل ما يلوح للعقل السليم اذا اعتبر العالم وطبقات الكون انهُ يرى في المخلوقات سياقاً عجيباً يوصل بين كل حلقة منها حتى تكاد تلتحم ببعضها وتشتبك بتواصل تامّ فيرتقي النظر في كل مواليد الطبيعة من الجماد الى النبات الى الحيوان الاعجم الى الناطق دون عناء . فيـــا ترى ألا يوجد بين الانسان المركَّب من قوى مدركة وجسم حيواني وبين خالقهِ الاله ذي الجلال والكمال المالئ الكون بجبروتهِ الابدي الازلي وعلّة كل معلول مكانٌ لحلقة أخرى توصل بين هذه الخليقة ملكة العالم المنظور وربّها الواجب الوجود

فالجواب الذي يتبادر اليهِ العقل برويَّتـــهِ وافرازهِ انَّ بين الكائنات المنظورة وخالقهـــا الاعلى وسطاً اعني الارواح المخلوقة المجرَّدة عن الهيولي فتكون بطبيعتها المنزهة عن المادة اقرب الى الله ممثّلةً لكمالاتهِ في كيانها الشبيه بكيانهِ على قدر مـــا

يمكن المخلوق المتناهي ان يمثّل صورة الخالق غير المتناهي. وهكذا تملأ نوعاً تلك الهاوية العظيمة التي بين الله عزَّ وجلَّ ومخلوقاته المشوبة بكدورة المادة وظلمة الشهوة

وهذا الدليل سبق اليه ائمّة الفلاسفة فاختصر القديس توما اللاهوتي رأيهم بقوله: «لا بُدَّ من اثبات جواهر مجرَّدة عن الجسم هي واسطة بين الله والمخلوقات الجسميَّة. وذلك لانَّ الله بتكوينه المخلوقات انَّما يقصد الخير والخيرُ يتوقَّف على التشبُّه بالله. وهذا التشبه يكون اتمّ واكمل اذا ماثل المعلولُ علّتهُ في ما به تُصدر العلّةُ المعلولَ ولمَّا كان الله يصدر المخلوقات بالعقل والارادة اقتضى كمالُ العالم وجودَ مخلوقات مجرَّدة عن الجسم لا تُدرك الَّا بالعقل فقط»

وقد انتبه فلاسفة العرب الى ذلك فنقل القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) قول واحد منهم فقال:

قال بعض الحكماء ان لم يكن في فضاء الافلاك وسعة السماوات خلائق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغةً خاوية مع شرف جوهرها وانهُ لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً حتى خلق فيه اجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جوّ الهواء الرقيق حتى خلق لهُ انواع الطير تسبح فيها كما تسبح السمك في الماء ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى خلق فيها اجناس السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب حتى خلق فيها اجناس الهوامّ والحشرات.... فبالملائكة صلاح العالم وتمام الموجودات وكمال الاشياء بتقدير العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرَّة في الارض ولا في السماء

ولنا على وجود الملائكة دليل آخر قريب الى العقل مبني على هذا المبدأ الفلسفي وهو انَّ ما اتفقت عليه كافَّة الشعوب والامم لا بُدَّ من الحكم بصدقه وصحته اذ انَّ في ذلك الوفاق دليلًا على انَّ الحقيقة طبعها في عقل الانسان مكوّنُ الطبيعة نفسهُ. والحال انَّ القول بوجود الملائكة والارواح حقيقةٌ ثابتة شائعة عند كل الامم بلا استثناء كما تشهد عليه جميع آثارهم وتواريخهم بل كثير من الطوائف الهمجيَّة تعتبر تلك الارواح كآلهة دونهُ تعالى او برفقته عزَّ وجلّ

ولنا في شهادة التاريخ دليل ثالث يجب على العقل ان يرضخ لهُ ويقرُّ به خانعاً. فان اعتبرنا الاسفار المقدَّسة كتآليف تاريخيَّة فقط حرَّرها رجال ذوو فضل وعلم يوثق برواياتهم كما يُستند الى روايات كتبة صادقين لا غاية لهم تحملهم على الخداع ثمّ

عالمين محققين لا يسمحون لاحد بان يموّه عليهم بالتدليس والكذب وجب علينا الاقرار بوجود الملائكة اذ لا يخلو سفر من الكتب المنزلة عن ذكرهم مباشرةً بسفر التكوين (٣ : ٢٤) الذي ذكر الكَرُوبين الحارس لجنَّة عدن بعد طرد الابوين الاوَّلين منها . وذكر الملائكة الثلثة الذين نزلوا ضيوفاً مكرَّمين على ابراهيم الخليل (تك ١٨) ثم الملاكين اللذين انذرا لوط واسرتهُ بحلول غضب الربّ على سدوم (تك ١٩) ثمَّ الملاك الذي افرج كربة هاجر واسماعيل في البرِّية (تك ٢١) ثمَّ الملاك الذي اوقف يمين ابراهيم عن ضرب ابنه اسحاق (تك ٢٢) ثمَّ الملائكة الذين رآهم يعقوب يرقون سلَّماً سرّيًّا وينحدرون منهُ (تك ٢٨) . ثم الملاك المتقدّم في طريق بني اسرائيل ليرشدهم الى ارض الميعاد (خروج ١٤ : ١٩ و ٢٣ : ٢٠) ثم الملاك المصرّح ليشوع بن نون بانهُ قائد جيش الربّ (سفر يشوع ٥ : ١٣) . ثمَّ الملاك الداعي جدعون الى خلاص امتهِ (قضاة ٦) . ثمَّ الملاك المبشر بمولد شمشون وبدعوتهِ (قضاة ١٣)

ولو تتبَّعنا بقيَّة تاريخ بني اسرائيل في عهد الملوك رأينا ملاكاً يقوت اليَّا النبي في البرِّية (٣ ملوك ١٩ : ٥ — ٧) وعايناً الملائكة ينقذون السامرة من ايدي ملك الشام (٤ ملوك ٦ : ١٥) وشهدنا ملاكاً يعمل سيفهُ في جيش سنحاريب فيبدّد شمل الاشوريين (٤ ملوك ١٩) . ومن منَّا يجهل قصة طوبيًّا البارّ والملاك رافائيل رفيق ابنهِ الى بلاد ماداي وظهور السرافيم ليطهر شفاه اشعيا النبي (اشعيا ٦ : ٢—٧) وكشف الملاك جبرائيل لدانيال النبي (٨ : ١٦) عن زمن مجيء المسيح

والعهد الجديد لا يحيد ذرَّةً في هذا الصدد عن مرويَّات العهد القديم . افليس الملاك جبرائيل الذي انبأ زكريا بميلاد يوحنَّا وبشر مريم العذراء بالسيد المسيح ؟ اليس الملائكة الذين اوعزوا الى يوسف بان يذهب الى مصر ليخلص الطفل الالهي من غضب هيرودس ثمَّ تقدَّم اليهِ بالرجوع عند وفاتهِ وبسكنى الناصرة ؟ ألسنا نراهم بعد ذلك في آلام السيد المسيح اذ ظهر واحد منهم للربّ في بستان الزيتون ليقوّيهُ (لوقا ٢٢ : ٤٣) ثمَّ في قيامة المسيح يبشرون تلاميذهُ بهذا الخبر المبهج . ونراهم بعد صعود الربّ يعزُّون التلاميذ (اعمال ١) ويكسرون اغلال بطرس ويفتحون ابواب سجنهِ (اعمال ١٢) ويعهدون اليهِ معموديَّة الامم (اعمال ٨) وينشطون قوى

بولس في غضون سفرهِ بحرًا (اعمال ٢٧) ويميطون ستر الغيب عن اعين يوحنَّا الحبيب (سفر الرؤيا)

فترى انَّ شهادة اصدق المؤرخين متواترة منذ خلقة الابوين الاوَّلين الى زمن الحواريين في اثبات وجود الملائكة . فجاءَت شواهدهم مؤيدة لما يتبادر الى حكم العقل السليم ولمَّا اتفق عليهِ رأي كل الشعوب . فهي اصوات ثلثة توافقت على هذه القضية البينة والحقيقة الراهنة لا يستطيع ارباب العلم الاضراب عنها وتصميم سمعهم دونها . ومنها تتضح سخافة اولئك الكتبة العصريين المتشدّقين الذين يسخرون باهل الدين لاعتقادهم وجود الملائكة وينسبون عملهم الى الخرافات

٢ الملائكة بازاء الدين

فان كان العقل النيّر والذهن الصائب لا يجد في حقيقة وجود الملائكة ما يُستغرب دَعْنا نتخطى الآن الى ما يُعلمنا الدين المستقيم من امر اولئك الارواح وصفاتهم واحوالهم المختلفة . فترى كم يفيدنا الوحي الالهي الذي يوسع المعارف البشريَّة ويهدي الامم الخانعة لهُ الى حقائق ما كانت لتدور على خلدهم وتخطر على بالهم فيعقلها الانسان بعلم اصدق واثبت من العلوم الطبيعيَّة نفسها

١ ❊ اسماء الملائكة ❊ قد دعا الكتاب الكريم الملائكة باسماء مختلفة تدلُّ كلها على عظم شأنهم وسموّ مقامهم . فسمَّاهم بالارواح حيث قال داود في مزاميرهِ (١٠٣ : ٦) : « باركي يا نفسي الربَّ . الصانع ملائكتهُ ارواحاً » وكذلك قال بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (١ : ١٤) : « اليس الملائكة جميعهم ارواحاً تُرسل للخدمة » . وقد دعاهم أيوب (١ : ٦ و٢ : ١) « بني الله الماثلين امام الله » : ويُدعون في انجيل متى (١٨ : ١٠) « بسكَّان السماء » كما يدعوهم النبي داود (مز ١٠٢ : ٢١ و١٤٨ : ٢) « بقوَّات الربّ « وجنود العلي » . وكذلك يدعوهم سفر اخبار الأيام الثاني ١٨ : ١٨ وسفر نحميا (٩ : ٦) « بجند السماء » . وكل هذه الاسماء تشير الى رفعة قدرهم وخواصهم الراقية فوق البشريَّة . وانَّما اسمهم الشائع انما هو « الملاك » ومعناه في العربيَّة وبقيَّة اللغات السامية « المُرسَل » دلالةً الى مهنتهم الخاصَّة بان يكونوا رُسُلًا للعلي ينفذهم الى كل الخدم المنوطة بجلالهِ تعالى

ولم يُذكر من اسماء أعلام هؤلاء الملائكة غير ثلاثة اعني ميخائيل كرئيس جند السماء » (دانيال ١٠ : ١٣ ورؤيا ١٢ : ٧) ومعنى اسمهِ « مَن كالله » . ثم جبرائيل اي قوَّة الله (دانيال ٩ : ٢١ ولوقا ١ : ١٩ و٢٦) . ثم رفائيل اي شفاء الله (طوبيَّا ١٢ : ١٣) وقد وردت اسماء غيرهم من الملائكة في الكتب غير القانونيَّة والاسفار الموضوعة واناجيل الزور كجرمئيل واوروئيل وغير ذلك ممَّا ليس تحتهُ كبير امر

٢ ﴿ تكوينهم ﴾ ارتأى بعض قدماء الفلاسفة الوثنيين او المبتدعين ومن جملتهم ابن رشد انَّ الملائكة متَّصفون بالقِدَم موجودون منذ الازل امَّا مستقلين بالوجود عن الله سبحانهُ وتعالى واماَّ صادرين عنهُ منذ الازل . وكلا القولين باطل لانَّ الله عزَّ وجلَّ هو وحدهُ واجب الوجود موجود بذاتهِ وكل ما سواه مُحدث والمحدث معلول لا بُدَّ لهُ من علَّة تخرجهُ من العدم الى الكون . فالملائكة اذن خلائق الله أبدعهم بمشيئتهِ وخوَّلهم جوهرهم وكيانهم . امَّا الزمن الذي جرى فيهِ تكوين الملائكة فالآراء فيهِ متباينة والاسفار الالهيَّة لم تصرّح بهِ وانَّما تشير الى انَّ ذلك الامر حصل قبل خلقة الانسان في بدء تكوين العالم ويرجح مفسرو الكتب المقدَّسة كون موسى نوَّه بخلقة الملائكة في مفتتح سفر التكوين حيث قال : « في البدء خلق الله السماء والارض » فقولهُ « السماء » يشمل الملائكة سكان السماء وزينتها . وزاد دستور الايمان في نيقية تصريحاً بقولهِ : « نؤمن باله واحد . . . خالق السماء والارض جميع الذي يُرى وما لا يرى » فنظم الملائكة في عداد الامور الخارجة عن دائرة عالم الحسّ . وقد اثبت ذلك المجمع اللاتراني الثالث سنة ١٢١٥ فحرم البابا لوقيوس الثالث الذين ينكرون « انَّ الله في بدء الزمان خلق من العدم كلَّ الكائنات المنظورة وغير المنظورة والخلائق الروحيَّة اي الملائكة والجسديَّة اي العالم الهيولي والخلائق الناطقة المشتركة بينهما اي الطبيعة البشريَّة » وقد نقل المجمع الفاتيكاني قول المجمع اللاتراني واثبتهُ سنة ١٨٧٠

٣ ﴿ عددهم ﴾ لم تذكر الاسفار الالهيَّة عدد الملائكة وما يمكن العقل ان يرتئيهُ بالاجمال انَّ هذا العدد لا يحيط بهِ احصاء بشر فلا بُدَّ ان يكون وافرًا جدًّا . وذلك انَّنا نرى اعمال الله متناسبة اذ صنع كلَّ شيءٍ على قول سفر الحكمة (١١ : ٢١) « بمقدار ووزن وعدد » فان كان عالم الاجساد المادّي المنظور قد توفَّرت فيهِ

المخلوقات المتنوعة التي لا يحصيها غيرهُ تعالى أفليس الاحرى ان يكون عالم الارواح وهو اشرف من العالم الهيولي ممتازًا بوفرة العدد والانواع التي تنطق بعظمة الخالق وقدرتهِ غير المتناهية. وفي الواقع قد رمز في الكتب المنزلة الى هذا العدد البالغ. فانَّ السيد المسيح ذكر في انجيل متى (٢٦ : ٥٣) انهُ يستطيع ان ينال من ابيهِ « اكثر من اثنتي عشرة جوقة من الملائكة». ورأى منهم يوحنَّا الرسول في جليانهِ (٥ : ١١) « رِبوات ربوات والوفَ الوف » وكان دانيال (٧ : ١٠) قبل ذلك رأى في خدمة الربّ الالهِ « الوف الوفٍ يخدمونهُ وربوات ربوات واقفين بين يديهِ ». ومن هــذا يتضح انَّ عدد الملائكة يفوق كلّ احصاء وانَّ الله وحدهُ يحيط بعددهم

٤ ﴿ طبيعة الملائكة ﴾ قد غُرَّ بعض الكتبة الاقدمين بزاعم افلاطون وباقوال كتب دينيَّــة ظنُّوها منزلةً كسفر اخنوخ ورؤيا آدم فجعلوا الملائكة مع تجرُّدها عن الجسم غير مجرَّدة عن المادة فزعموا أنَّها حاصلة على مادة هوائيَّة او جوهر هيولي لطيف تستعين بهِ على العمل وبلغ التطرُّف ببعضهم الى ان نسب الى اولئك الارواح معظم الافعال البشريَّة من اكل وشرب وزواج مستندين في ذلك الى بعض آيات الكتاب المقدَّس التي اساؤوا فهمها او حملوها على غير معانيها. ومـا اجمع عليهِ علماء الكنيسة الكاثوليكيَّة منــذ مئين من السنين انَّ الملائكة ارواح صرفة لا يخالطها شيءٌ من كدورة المادة. ومن ثمَّ ينكرون انَّ هــذه الارواح مركبة من صورة ومادَّة كمواليد الكون وأنَّها تعمل اعمالًا حيويَّة في الاجسام وأنَّها تحلّ في المكان بمماسَّة اجزائهِ او تتَّصف بالقوى الشهوانيَّــة والغضبيَّة لان كل ذلك خاصّ بالمادَّة والارواحُ العلويَّة مجرَّدة من كل مادَّة. وتجرُّدها هذا لا يجعلهــا في رتبة الله سبحانهُ وتعالى لانها بعيدة عن كمالهِ من وجوه متعدّدة فانَّ قواهــا محدودة مُحدَثة مقيَّدة بخلاف الخالق الذي لا يحدُّهُ زمان ولا مكان. وكذلك في جوهر الملائكة نوعٌ من التركيب بما فيها من الفعل والقوَّة المتعاقبين امَّا الله عزَّ وجل فهو وحده فعلٌ محض

امَّا نصوص الكتب المقدَّسة التي تنسب بعض الاعمال المــاديَّة الى الملائكة ففيها نظر فمنهــا ما لا يعني الملائكة كقول سفر التكوين (٦ : ٢) « انَّ بني الله دخلوا على بنــات الناس » فليس المراد ببني الله الملائكةَ كما ظنَّ البعض ولكن

ابناء شيث الذين كانوا صالحين ثم استسلموا للشهوات امَّا الملائكة فيعلون فوق هذه الشهوات علوًّا كبيرًا وسوف يشبههم الابرار في القيامة كما قال السيد المسيح (متى ٢٢ : ٣٠) : « انهم في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوَّجون ولكن يكونون كملائكة الله » — ومن هذه النصوص الكتابيَّة ما يصحّ عن الملائكة على طريقة المجاز اذ اتخذ بعضهم باذن الله اجساماً مستعارة لمَّا ظهروا للبشر كرافائيل الملاك الذي رافق طوبيًّا متقمّصاً بصورة جسديَّة فاظهر في كل حركاتهِ وسكناتهِ واكلهِ وشربهِ انهُ انسان مثلهُ لكنهُ صرَّح لهُ بعدئذٍ (طوبيا ١٢ : ١٩) انَّ ذلك انَّما كان مجازًا وتعطُّفاً فقال : « لمَّا كنتُ معكم كان يظهر لكم اني آكل واشرب وانَّما انا اتخذ طعاماً غير منظور وشراباً لا يبصرهُ بشر »

فروحانيَّة الملائكة تلوح من هذه الآيات وغيرها كالشمس في رائعة النهار . وبثبوت هذه الحقيقة تثبت حقائق اخرى هي كنتائج لاحقة بها . من ذلك خلود تلك الارواح اذ لا يطرأ عليها فساد يستطيع ان يشوّهها والروح من ذاتها ثابتة الوجود لا يقدر ان يلاشيها غير الله وان كان الله لا يلاشي ذرَّة من عالم المادَّة مع فساد المادة وتحوُّلاتها فما قولك بالارواح غير القابلة للفساد

ثم انَّ هذه الارواح مخلَّدة كما هي روحانيَّة فلا بُدَّ ان تحيا حياةً جديرة بها اعني حياة شبيهة بالروح الخالق وذلك بعقلها وارادتها . وانَّما عقلُها يفوق العقل البشري من حيث كمالهِ وسرعة ادراكهِ وطريقة معرفتهِ وهي لا تحتاج الى ان تستقي معارفها عن المحسوسات فتُجرّدها مثلنا عن المادَّة بل تعقلها في ذاتها دون تدريج ودون توسط وتدرك ماهيَّات كلّ الاشياء بلا تركيب ولا تفصيل ولا انخداع باعراضها . وكذلك ارادتها تميل طبعاً الى ما يدركهُ عقلها من الخير الكلي ميلًا كاملًا لا يمتزج بكدورة الشهوة كارادة البشر مع حرّيَّة الملائكة للاختيار بين الامور المتباينة . على انَّ عقولهم تختلف وفقاً لطبقاتهم فيعقل بعضهم من الحقائق ما لا يعقلهُ غيرهم وكذلك تختلف قوَّة ميلهم الى المعقولات على مقتضى ادراكهم لماهيَّاتها

٦ ❊ حالة الملائكة من النعمة ❊ انَّ الملائكة مع شرف طبيعتهم فوق الطبيعة البشريَّة هم بعيدون عن الله بعدًا غير متناهٍ فطبيعتهم رغماً عن خلوصها من كدورة المادَّة لا تؤهلهم الَّا لمعرفة الله ومحبتهِ من حيث هو مبدأ لوجودهم

٢



١



٣



٤



١ صورة السيّد المسيح بين ملاكين في كنيسة القديسة اغاثا في رافنّا (نحو السنة ٤٠٠ م)

٢ صورة ميخائيل رئيس الملائكة في كنيسة رافنّا من القرن السادس

٣ صورة ملاك الانتصار في ديماس رومية

٤ ملاك في يده صليب متوَّج عن كتاب مخطوط في القرن السادس

الطبيعي وذلك ملائم لطبعهم . امّا معرفة الملائكة لله وتوجّه ارادتهم اليهِ من حيث هو موضوع سعادتهم الابديَّة فذلك يفوق طبيعتهم ومن ثمَّ يحتاجون الى نعمة خاصّة من الله لتؤهلهم لرؤيتهِ تعالى بالذات ويحصلوا بذلك على سعادتهم القصوى

على انَّه تعالى لم يخوّل تلك النعمة ملائكتهُ الَّا بعد امتحانهم لينالوا السعادة الابديَّة بوجه الاستحقاق فجعلهم بعد خلقهم في حالة يمكنهم فيها ادراك سعادتهم باختيارهم الشخصي وعملهم الخاصّ مع النعمة الالهيَّة . ولمَّا بلّغهم الله بعضَ اوامره ليمتحن طاعتهم خام بعضهم عن الخضوع لمشيئتهِ تعالى ونشروا راية العصيان وكان زعيمهم ابليس خزاه الله خُدع بحسن صفاتهِ ونسي انَّ محاسنهُ من كرمهِ عزَّ وجلَّ فنسبها الى نفسهِ وبخس حقوقهُ تعالى . ثمَّ تبعهُ في تمرّدهِ قسم من مشايعيهِ على خلاف ميخائيل وغيرهِ من الملائكة الصالحين الذين انتصروا لله وخنعوا لمشيئتهِ وقاوموا الارواح المتمرّدة وجرت تلك الوقائع التي وصفها يوحنَّا الحبيب حيث قال (الرؤيا ١٢ : ٧ — ١١) : « حدث قتال في السماء ميخائيل وملائكتهُ كانوا يقاتلون التنين وكان التنين وملائكتهُ يقاتلون فلم يقووا ولا وُجد لهم موضعٌ بعد في السماء فطُرح التنين العظيم الحيَّة القديمة المسمَّى ابليس والشيطان الذي يضلّ المسكونة طُرح الى الارض وطُرحت ملائكتهُ معهُ » . وقال السيد المسيح مشيرًا الى سقوط ابليس (لوقا ١٠ : ٨) : « اني رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق »

فمذ ذاك الحين نال الملائكة الابرار سعادتهم القصوى برؤية الذات الالهيَّة كثواب امانتهم في خدمة الله التي لم يعودوا يستطيعون الحياد عنها الى ابد الدهر ونال الشيطان مع حزبهِ العقاب الذي استحقَّهُ بعصيانهِ ففُصل عن شركة الله بل زُجَّ في الهاوية وجحيم النار الذي خلقهُ الله لجزاء معصيتهِ فعوقب بالنار المادّيَّة وهو روح فوق المادَّة . على انَّ طبيعة الشيطان لم تتغيَّر مع ذلك فبقي روحاً مجرَّدًا عن الهيولي لم يحرمهُ الله قوى عقلهِ وارادتهِ وان كان منذ سقوطهِ يوجّهها الى الشرّ والأذى الى الطبيعة البشريَّة التي يريد اجتذابها الى عصيانه ليكون نصيبها كنصيبهِ . الَّا انهُ لا يستطيع ان يأتي بضرر بدون اذنهِ تعالى فمن لاذ بهِ وعاذ برحمتهِ نجا من مكايد ابليس خزاهُ الله

هذا ما افادنا بهِ الوحي الشريف عن حقيقة الملائكة الصالحين والاشرار وهو

مطابق لأحكام العقل الصائب وللآثار الاجتماعيَّة بين ارقى الامم تمدُّناً وحضارةً فيزيل كثيرًا من المشاكل التي لا يحلُّها الملحدون في تاريخ البشريَّة شاؤوا ام ابوا

ولا بأس هنا من الاستطراد في القول لتزييف مزاعم الذين ينكرون وجود الابالسة وينسبون الى الخرافة ما رواه عنهم كتبة الاسفار الالهيَّة . فان آثار اعمال الشياطين ظاهرة بين كل الشعوب الوثنيَّة حتى يومنا . ولا يمرّ علينا سنة دون ان نطَّلع على شيءٍ كثير من ذلك في كتابات المرسلين في الصين والهند ومجاهل افريقية ممَّا تبيِّنهُ اوثق الشهود بالعيان . هذا فضلًا عن تاريخ كل الامم بلا استثناء وان اختلفوا في اوصافهم وتعريف طبائعهم وتبيان خواصهم وجعلوهم في عداد الجانّ والمخلوقات الوهميَّة . ولو لم يوجد في زماننا غير خوارق السپرتسم لكانت كافيةً لإثبات وجود الارواح النجسة وتأثيرها في العالم البشري

٧ ❊ مراتب الملائكة ❊ سبق انَّ الله يصنع كل شيءٍ بوزن ومقدار . فمن المحال ان يكون خلق ذلك العدد العديد من الارواح الذي نوَّهنا بهِ دون ان يجعل فيهِ نظاماً وترتيباً . والى ذلك تُشير الآيات التي مرَّ ايرادها . فانَّ الملائكة يُدعَون بجيش السماء وبجند الله وبفرق سماويَّة وكل ذلك يثبت وجود نظام تامّ بين الملائكة وفي كل فئة من فئاتهم

ولكن يا تُرى ما هو هذا النظام وهل كشف الله القناع عنهُ نوعاً ليقف الانسان على بعض محاسنهِ . فالجواب على ذلك انَّ الوحي افادنا شيئاً من ذلك ايضاً فان استقرينا آيات العهد القديم والعهد الحديث وجدنا ذكرًا لتسع طغمات من الملائكة فذُكر الكروبين في سفر التكوين (٣ : ٢٤) وغيرهِ من الاسفار المقدَّسة . وذكر اشعيا النبي السرافيم (٦ : ٢ و ٦) . واورد بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس (١ : ٢١) اسماء اربع طبقات اخرى وهم الرئاسات والسلاطين والقوَّات والسيادات فقال ان السيد المسيح جلس من عن يمين الآب فوق كل هذه الطغمات الملائكيَّة . وكرَّر ذلك في رسالتهِ الى اهل كولسِّي (١ : ١٦) وزاد على تلك الفئات فئة خامسة وهم العروش فقال : « انَّ بهِ (اي السيد المسيح ابن الله) خُلق جميع ما في السماوات وعلى الارض ما يُرى وما لا يُرى عروشاً كان او سيادات او رئاسات او سلاطين » . وصرَّح يهوذا الرسول (ع ٩) وبولس الاناء المصطفى (في رسالتهِ الاولى الى تسالونيقي

١:١٣٤) باسم رؤساء الملائكة. اما الملائكة فاسمهم في كل الاسفار المقدَّسة ورد أُطلق هذا الاسم على كل طبقات الملائكة عموماً وان كان خاصاً بادنى طبقاتهم

وهذه الطغمات التسع لها مراتب معلومة يقسمها بعض الآباء واللاهوتيين الى ثلاثة اقسام: قسم اعلى وهم الكروبين والسرافيم والعروش الذين يقربون من جلالهِ تعالى ويقومون بخدمتهِ الخاصَّة. وقسم اوسط وهم السيادات والقوَّات والسلاطين الذين يبلِّغون اوامرهُ تعالى الى الفئات التي دونهم ويُظهرون قوَّة الله في اعمالهِ الخفيَّة والعلنيَّة. وقسم ادنى وهم الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة الذين عُهد اليهم خصوصاً امر العالم الهيولي ولا سيما تدبير الانسان الناطق

وهذا القليل الذي نعرفهُ عن الملائكة ورتبهم لا يكاد يبلُّ الغليل حتى انَّ ائمة علماء الكنيسة عدُّوا معرفتنا للملائكة ورتبهم احرى ان تُدعى جهلًا. وترى الآباء نفسهم لا يتفقون في عدد مراتب الملائكة واقسامها وترتيبها وخواصّها. قال اكبرهم واثبتهم علماً واسماهم عقلًا القديس اوغسطينوس في رسالة كتبها الى اوروسيوس(١: « لا شكَّ انَّ في السماء عروشاً وسيادات ورئاسات وقوَّات وانا اؤمن بذلك ايماناً حقًّا وكذلك لا ريب في انَّ بينهم فروقاً ولكن ان سألتني ما هي وباي شيءٍ يختلف بعضها عن بعض اقررتُ بجهلي مهما أدَّى اقراري الى ازدرائك بي بعد ان دعوتني بالملفان الكبير »

٨ ﴿ اعمالهم ﴾ انَّ جهلنا بمراتب الملائكة يتناول ايضاً اعمالهم فلا يمكنَّا القطع بما يقلّدهم الله من المهن لخدمتهِ او لخدمة الكائنات. وغاية ما يقال عنهم انهم منقطعون الى تسبيح الله واتمام اوامرهِ. قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) : « انَّ الملائكة . . . لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يُؤمرون طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وانسهم بذكر الله وفَرَحهم بعبادتهِ خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاتهِ واسكان سماواتهِ »

وقد سعى مع هذا بعض الكتبة ان يعدّدوا اعمال الملائكة ويميّزوا بين مِهَنهم فميَّزوا بينهم حمَلة العرش الالهي والعاكفين على حضرة القدس المستغرقين بجمال الربوبيَّة

---

١) اطلب مجموع الاباء اللاتينيين لمين (Migne P. L. XLII, 678)

والمداومين على التقديس والتسبيح والتهليل والمبلّغين لاوامر العلي والموحين باسرارهِ الى اوليائهِ والموكلين بالامم والشعوب والجماعات الدينية والكنائس ورؤسا الدين والنازلين بالبركات على الخلائق والصاعدين الى الله بمبرَّات البشر وحسناتهم وصدقاتهم وصلواتهم والمهتمين خصوصاً بالمختارين وخدَمَة سرّ الفداء والمعهود اليهم حفظ نظام العالم والافلاك

فهذه وما اشبهها من الاعمال الشريفة قد اسندها اولئك الكتبة الى آيات شتى وردت في الاسفار الالهيَّة كرؤى الانبياء اشعيا وحزقيال ودانيال وكتاب طوبيا وجليان مار يوحنَّا الحبيب

٩ ﴿ الملائكة الحرَّاس ﴾ واخصّ هؤلاء الارواح بالذكر الملائكةُ الموكلون ببني آدم المعروفون بالملائكة الحرَّاس. ففي الكتب المنزلة ما يثبت وجودهم قال النبي داود (مز ٩٠) « انَّ الرب يوصي ملائكته بكَ ليحفظوك في جميع طرقك على ايديهم يحملونك لئلّا تصدم بحجر رجلك. . . انجّيه لانهُ تعلّق بي ». وأصرح من ذلك قول متى الرسول عن ملائكة الاحداث (١٨ : ١٠): « احذروا ان تحتقروا احد هؤلاء الصغار فاني اقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه ابي الذي في السماوات ». ومعظم الآباء في شرحهم لهذه الآية يستنتجون منها حقيقة وجود الملائكة الحرَّاس لكافة البشر ولكل من افرادهم نخصّ منهم بالذكر اوريجانس المعلم والقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس غريغوريوس نيصص والقديس امبروسيوس. قال القديس ايرونيموس في تفسيرهِ (Migne, P. L, XXVI, 130) : « ما اعظم شرف النفوس التي خوَّل الله كل واحدة منها ان يقوم ملاك بحراستها من اوَّل حياتنا الى ختامها »

والحقُّ يقال انَّ الله ذا الجود والرحمة لا يذر خليقةً ايَّة كانت دون ان يشملها بعنايتهِ وعناية ملائكتهِ أفيمكنهُ ان يحرم من هذه النعمة اشرف خلائقهِ الجسديَّة المدعو بملك الكون المحسوس مع ما يتهدَّد جسدهُ ونفسهُ من المخاطر في كل اطوار حياتهِ. وليس هذا مقصورًا على المؤمنين بل يعمّ كل فرد من افراد البشر. وهذه الحقيقة وان لم تكن من عقائد الايمان الَّا انها شائعة بين اللاهوتيين ومعلمي الكنيسة حتى انَّ ناكرها لا يسلم من الملام. فشكرًا لذاك الاله الجواد الذي انعم علينا بنعمة

كهذه ان يصحب كلَّ فرد منَّا احدُ امراء بلاطهِ السماوي ليرشدنا الى الخلاص وينير عقولنا ويحيد بنا عن الاثم وينشطنا على عمل الخير ويحرّك قلوبنا على الانابة الى الله ويسعفنا في كل حاجاتنا نفساً وجسماً ويرافق روحنا امام الديَّان ساعة موتنا

١٠ ﴿ هيئة الملائكة وصورهم ﴾ الملاك كما سبق جوهر مقدّس عن كثافة المادَّة الَّا انَّ الانسان مركب من جسد ونفس لا يستطيع ان يُدرك الغير المنظور الَّا مجسماً على صورة منظور حسّي . فلمَّا اراد ان يمثل لعينيهِ صورة الملائكة فكَّر اوَّلًا في طبيعتهم المجرَّدة عن الهيوليَّـة فسعى المصوّرون بالاشارة الى برارتهم فتارة البسوهم ثياباً بيضاء كالثلج وهكذا ظهروا بعد قيامة المسيح (متى ٢٨ : ٣) وتارة جرَّدوهم عن كلّ ثوب دلالـةً الى جوهرهم اللطيف المنزَّه عن الماديَّات والشهوات

ثمَّ افتكر الانسان في حالتهم من المجد ورفعة المقـام فرمز عن ذلك برموز مختلفة فصوَّرهم في مقتبل الشباب دلالةً على خلودهم وجعـل اكليلًا من النور حول هامتهم او الحفهم النورَ اشارةً الى كونهم ارواحاً نورانيَّة او اقامهم في وَقود النار تنويهاً باضطرامهم بحبّ الاله او البسهم الارجوان الفاخر معلناً بسعادتهم ورفعة شأنهم في ملكوت الله

واحياناً كثيرًا تأمَّل المرء اعمالَ الملائكة فاراد ان يخرجها بصورة محسوسة . فمثَّل الملائكة سجودًا ركوعاً امـام الحضرة القدسيَّة او صوَّرهم باجنحة تنويهاً بسرعة انجازهم للاوامر العلويَّة . وهكذا ظهروا لاشعيا النبي وحزقيال وليوحنَّا الحبيب . وكثيرًا ما يحتجبون باجنحتهم امـام عرش الله هيبة ووقارًا . ومنهم من صوَّرهم وبايديهم آلات الطرب يدلُّ بذلك الى تسابيحهم المتواصلة لجلالهِ تعالى . ويصوّرون الحرَّاسَ منهم ممسكين بايـدي الاحداث ليصونوهم من كل الآفات او يمشون في رفقة الموتى ليدخلوا بارواحهم الى النعيم بعد وفاتهم . وربَّما صوَّروا المـلاك جبرائيل مبشرًا للبتول وبيدهِ سوسنةٌ بهيَّة وصوّروا ميخائيل بهيئة قائد جند يدوس تحت رجلهِ الملاك المارد . وصوَّروا رفائيل مرشدًا لطوبيًا في طريقهِ

فترى انَّ كل هـذه التصاوير كاعلان البشر بمعتقداتهم في وجود الملائكة وكاقرار بصفاتهم الجليلة وخواصهم الفريدة

١١ ﴿ اكرام الملائكة ﴾ تقرَّر في ما سبق انَّ الارواح الملائكيَّة مقدَّسة ومتصفة بكل الصفات السامية التي تجعلها مرضيَّةً في اعين الله عزيزةً على قلبهِ وانَّها في رتبة اوليائهِ القديسين. وكلُّ من كان في هذا المقام يستحقُّ الاكرام ويستوجب العبادة كأَنَّ الملائكة خلائق مستقلَّة بل كاصدقاء الله واصحاب معيَّتهِ ولا يقولنَّ القائل انّ تلك العبادة تبخس حقوق الخالق. فحاشا وكلَّا لانَّ اكرام تلك الارواح والتعبد لها والالتجاء الى شفاعتها في ضيقات الحياة انَّما هو عائد اليهِ تعالى الذي خلقها وخوَّلها تلك الصفات الجليلة. افيقال انَّ اكرام نائب الملك اهانةٌ للملك؟ او ليس هو بالحري واجب نظرًا الى علاقة النائب بملكهِ؟ وقد قال الربّ غير مرَّة ان كل ما نصنع باحد رُسُلهِ ونوَّابهِ فبهِ نصنعهُ. وزد على ذلك ان للملائكة فضلًا آخر على البشر وذلك حراستهم لهم والاهتمام بشؤونهم الروحيَّة والجسديَّة. فكيف يتغاضى الانسان عن شكرهم وطلب حمايتهم والمجاهرة باكرامهم. افلا يكون تغاضيهِ نكرانًا للجميل؟

وان اعترض المعترض بقولهِ ان الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل كولسي (٢: ١٨) نهى عن عبادة الملائكة اجبنا ان كلامهُ هناك عن اكرامهم كآلهــة كما كان يفعل الوثنيُّون وبعض المبتدعين من اللاأدريين. وعلى هذا المنوال نهى الملاكُ يوحنَّا الرسولَ عن السجود لهُ في سفر الرؤيا (١٩: ١٠) وقس عليهِ بقيَّة الاعتراضات التي اوردها بعض البروتستانت وهم لم يدركوا معنى العبادة والاكرام كأنَّنا لا نفرق بين واجباتنا الاوَّليَّة للخالق والاكرام الثانويّ للقديسين والملائكة وشتَّان ما بينهما. قال اوسابيوس القيصري في كتاب الايضاح الانجيلي (Migne, P. G., XXII. 553): « انَّ لله خدَّاماً مقتدرين وقوَّاتٍ قائمة في انجاز اوامره فهؤلاء نحن نكرمهم الاكرام اللائق (κατὰ προσῆκον τιμῶντες) ولكنَّا نسجد لله وحدهُ ». وكرَّر ذلك القول في محلّ آخر (ibid., XXII, 193) بكل صراحة: « اننا قد تعلَّمنا ان نوقّر هذه الارواح السماويَّة لاجل شرفها ورفعة مقامها دون ان نخلّ بواجبات عبوديَّتنا لله وحده »

١٢ ﴿ اتّفاق الكنائس الشرقيَّة والغربيَّـــة بخصوص الملائكة ﴾ انَّ الخلاف الواقع بين البيع الشرقيَّة والغربيَّـــة في بعض حقائق الايمان لم يمسّ في شيْ معتقدهما في اخصّ القضايا المنوطة بالملائكة فلو لستقرينا كل الطوائف النصرانيَّة

من يونان وسريان وقبط وارمن وجدنا تعاليمهم في هذا الصدد متشابهة كما يظهر من نصوص طقوسهم واقوال معلميهم . فكلهم يتفقون في الاقرار بوجود الملائكة وبحقيقة جوهرهم المجرَّد عن الهيولي وكذلك يعتقدون وفرة عددهم واختلاف مراتبهم وسقوط بعضهم ونفيهم من السماء ويقرُّون بكون الآخرين قائمين بخدمة الله ومتممين لاوامرهِ في كل ما يُعهَد بهِ اليهم ويصرّحون بوجوب اكرامهم بالنسبة الى الربّ سيدهم ويخصُّون بعض الاعياد لهذه الغاية . فكلٌّ هذه المعتقدات لا تختلف فيها كنائس الشرق عن الغرب مع وجود بعض اختلاف في امور ثانويَّة تعدَّدت فيها الآراء بين العلماء دون ان تحكم الكنيسة فيها الحكم الفصل . ودونك بعض شواهد من هذه الطوائف تدلُّ على قولنا

فانَّ الكنيسة اليونانيَّة تذكر كل يوم اثنين الملائكة وتطلب معونتهم وفي السواعي دعاء للملائكة وصلاة للملاك الحارس . وفي القدَّاس صلاة الى الله تطلب منهُ ان يرسل « ملاك السلام والدليل الامين وحارس النفس والجسد » هذا فضلًا عن عدَّة اعياد في كلندارها لذكر الملائكة

انَّ اقدم الآثار السريانيَّة منذ القرن الرابع مباشرةً بالحكيم افرهط ثم مار افرام وبقيَّة الآباء وكذلك الطقوس في الكنائس الكلدانية والسريانيَّة والمارونية ومثلها كتب الكنائس النسطوريَّة واليعقوبيَّة مشحونة بذكر الملائكة وامتيازاتها وطغماتهم واعمالها . قال افرهط في ميمرهِ الثامن عشر (طبعة باريس ص ٨٢٧) : « انَّ لله من الخدَمة العلويين الوف الوفٍ الذين يمجدون اسمهُ ويعظمونهُ ويصعدون وينحدرون لاتمام اوامرهِ في سرعة البرق . مقامهم في اعلى علّيين وكلهم بفم واحد يعلنون بجبروت الله . كلهم مختارون كلهم محبوبون كلهم اقوياء وهم ينجزون مع ذلك اوامرهُ تعالى بخوف وارتعاد . . . كلهم يرددون تسبحة التقديس هاتفين : قدُّوس قدُّوس قدُّوس الرب اله الصباؤوت الارض كلها مملوءة من مجدهِ »

وقد نقل اغاتنج اوَّل مؤرخي الارمن في تاريخهِ كلام القديس غريغوريوس المنوّر عن الملائكة قال : « خلق الله الملائكة في البدء من النور وحلّاهم بالضياء الساطعة وخوَّلهم العقل والفهم واتخذهم كخدمتهِ ليبلغوا اوامرهُ عزَّ وجلَّ الى الخلائق الناطقة » . ومثلهُ إزنيك الاسقف في القرن الخامس قد وصف الملائكة كارواح

مجرَّدة عن الجسد وخصهم بكلّ خواصّ الارواح نافياً عنهم كل فساد وتغيير وتوالد وغوّ الخ. والكنيسة الارمنيَّة كبقيَّة الكنائس تستشفع بالملائكة وتكرمهم على حسب مقامهم في صلواتها الطقسيَّة

فناهيك بهذا الاتّفاق دليلًا قاطعاً على حقيقة تعاليم الكنيسة عن الملائكة وفي الآثار القديمة ما يؤيد هذا التعليم فانَّ العلّامة البندكتي دون لوكلارك (H. Le - clercq) جمع في معجم الآثار النصرانيَّة (Dictionnaire d'Archéologie chrétienne) كتابات قديمة وتصاوير مختلفة يرقى بعضها الى القرن الثاني او الثالث وُجدت في ديامیس رومية وبلاد لا تدع شكًّا في معتقد قدماء النصارى بوجود الملائكة وسائر امتيازاتهم فعليك بها

وفي الختام نكرّر ما افتتحنا بهِ مقالتنا انَّ نكران بعض الكتبة الحقائق المنوطة بالملائكة ونسبتها الى الاختراعات والخرافات ادلّ دليل على سخافة عقل اولئك المتحذلقين وجهلهم المطبق اذ لا يتجاوز عقلهم دائرة المادَّة فيحصرون العالم كلهُ مع عقلهم في هذا النطاق الضيق انارهم الله

مقالتان قديمتان في قوس قزح

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انَّ العرب الذين تعقَّبوا آثار اليونان والسريان في علم الهيئة ووصف الكواكب وحركات الافلاك لم يخلفوا لنا الّا شيئًا قليلًا عن الظاهر الجوّيَّة كالحرارة والبرد وثقل الهواء والامطار والثلوج. ولعلَّ السبب انَّهم لم يعرفوا تلك الآلات اللطيفة التي وضعها علماء القرون الاخيرة كالترومتر والبارومتر ومقاييس الامطار والاهوية. ومن ذلك قوس الغمام المعروف بقوس قزح فانهم لم يكتبوا فيهِ الّا النزر الزهيد وذلك غالبًا في اثناء كلامهم عن المناظر والبصريَّات وقد راجعنا قوائم المخطوطات العربيَّة في المكاتب الاوربيَّة وغيرها فلم نجد بينها ذكرًا لقوس قزح

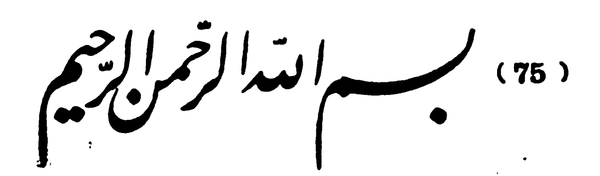
الّا فصلًا للحسن بن الحسن بن هيثم في مناظره نقلهُ الى الالمانيَّة احد ائمَّة العلوم الطبيعيَّة الاستاذ ڤيدمان (Eilhard Wiedemann) (١ . وكذلك وجدنا في ترجمة ابن الهيثم لابن ابي اصيبعة (٢: ٩٠) وفي تاريخ الحكماء لابن القبطي (ص ١٦٧) ذكر رسالة في الهالة وقوس قزح يظهر انها اليوم مفقودة

وعليهِ سرَّنا انَّنا وقفنا في كتابين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة على رسالتين عن قوس قزح . فالرسالة الاولى تحتوي على سبع مقدَّمات لتعريف قوس قزح تاريخ كتابتها في احدى النسختين سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م) والاخرى لا تاريخ لها ولكنَّها اقدم عهدًا كما يُرى من مجموع رسائل هناك في الحساب والهندسة وهي الرابعة في الرتبة (ص ٨٠ – ٨٣) . وفي كلتيهما لم يُذكر اسم المؤلف ولعلهُ هو ابن هيثم عينهُ المتوفَّى سنة ٤٣٠ ﻫ (١٠٣٩م)

امَّا الرسالة الثانية فهي تابعة للرسالة الاولى في المجموع المذكور (ص ٨٣–٨٥) وهي ايضًا غفل من التاريخ ومن اسم المؤلف . وفي آخرها « لمولانا حسام الدين » دون زيادة في التعريف . وفي كل من الرسالتين شكل مصور نقلناهما هنا واحدًا من كل نسخة

ومن يطلع على هاتين الرسالتين يتحقق انَّ العرب احسنوا في شرح وقوع قوس قزح وسببهِ وكانوا يجهلون وقتئذٍ ما اثبتهُ العلامة نيوتن سنة ١٦٧٠ انَّ نور الشمس الابيض يتركب من سبعة ألوان يمكن تحليلها بالموشور وانَّ هذه الالوان تتحلَّل في قطرات السحاب . ومن اراد تفصيل ذلك فعليهِ بمقالتين مطوَّلتين نشرهما سابقًا في المشرق (٣ (١٩٠٠) : ٢٤١, ٢٩٩) حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعيّ

وقد اتبعنا في نشر المقالتين اقدم النسختين المكتوبة منذ نحو ٣٠٠ سنة ونقلنا في ذيل المشرق روايات المقالة الاولى عن النسخة الثانية التي وسمناها بحرف « ن » . وفي عجائب المخلوقات للامام زكريا القزويني (ص ٩٨–١٠١) فصل حسن في الهالة وقوس قزح يشبه في بعض اشياء المقالتين التاليتين فليراجع

(75) 

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيه وآلهِ اجمعين

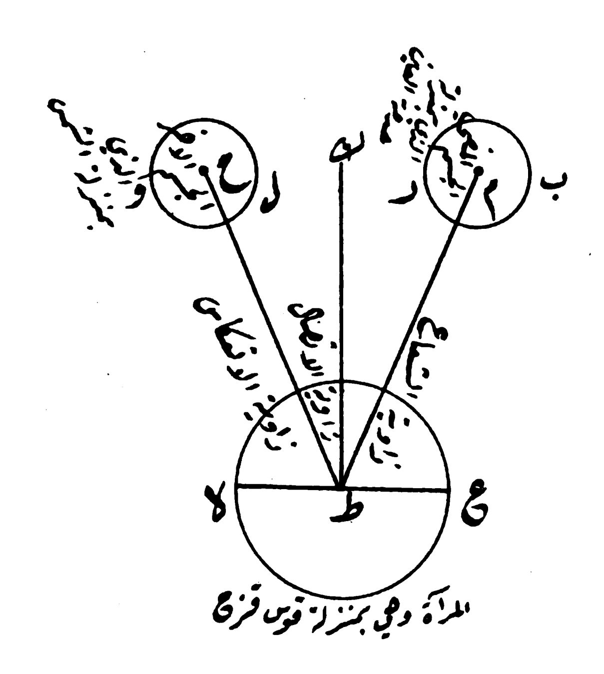
امَّا بعد فهذه مقدَّمات (٢ يُحتاج اليها في معرفة قوس قزح (٣

(١ اطلب نشرة العلوم الطبيعيَّة والطبيَّة في ارلنغن — Sitzungsberichten d. phys. mediz. Sozietaet in Erlangen, b. XLII, 1910, p. 49-57)

روايات عن نسخة (ن)

٢) مقدّمات سبع ٣) زادت ن : الى معرفتها

﴿ المقدَّمة الاولى ﴾ منها في بيان الانعكاس . وهي انهُ اذا وقع الضوء من جسم مضيءٍ على جسم صقيل (١ انعكس ذلك الضوء] من ذلك الجسم الصقيل الى جسم آخر (٢ وَضعُهُ من ذلك الجسم الصقيل (١ كوضع الجسم المضيءِ من ذلك الجسم الصقيل (١ بشرط ان لا يكون جهتهُ مخالفة لجهة الجسم المضيءِ (٣



المرآة وهي بمنزلة قوس قزح

ويلزم ان يكون زاوية الانعكاس مساوية لزاوية الشعاع . ولنعمل لذلك شكلًا يتصوَّر منهُ (٤ : وليكن (٥ دائرة ب ر هي الجسم المضيءُ ودائرة ع ه هي المرآة و ع ط ه وَتَرَها (٦ و ل و (٧] هي الجسم الآخر (٨ والخطّ الشعاعي الواقع من الجسم المضيءِ على سطح المرآة وهو خطّ م ط والشعاع المنعكس من

روايات عن نسخة (ن)

١) صيقل (كذا)

٢) منهُ الى جسم آخر يكون

٣) زادت ن : و ح

٤) زادت ن : وهو هذا

٥) وليكون (كذا)

٦) وتر فيها

٧) ودائرة ح

٨) هي الجسم الذي وضعهُ كوضع الجسم المضيءِ

سطح المرآة الى الجسم الـذي وضعهُ من المرآة كوضع الجسم المضيء من المرآة هو خط ط ح فتكون زاوية م ط ح زاوية الاتصال وزاوية م ط ع زاوية الشعاع و ح ط ه زاوية الانعكاس والامام يسمّى زاوية الاتصال بزاوية الشعاع. وقد عُلم بالاستقراء انّ زاوية الاتصال تساوي (١ لزاوية الانعكاس . هـذا اذا كان الخطّ الشعاعي الواقع من الجسم المضيء على سطح المرآة غير قائم عليهِ واما اذا كان قائماً عليهِ كخطّ ك ط فان انعكاس الشعاع ايضاً يكون على ذلك الخطّ بعينهِ

﴿ المقدّمة الثانية ﴾ في بيـان انعكاس شعاع البصر (٢ الحالّ في انعكاس الشعاع ايضاً كالحالّ في انعكاس الضوء لانّا اذا فرضنا خروج خطّ شعاعي من وسط الحـدقة الى المرآة فلا يخلو اماً ان يكون ذلك الخطّ الشعاعي قائماً على المرآة او لم يكن. فان كان قائماً عليهـا انعكس الخطّ الشعاعي على الرآني وان لم يكن قائماً عليهِ انعكس الخطّ الشعاعي الى كل شيء وضعهُ من المرآة كوضع الحدقة منها ورُؤي كلّ ما بين الخطين اعني الخطّ الشعاعي والخطّ المنعكس في المرآة وما لا يكون بينهما فلا يُرى البتة وفي الشكل المسطور (٣ في المقدّمـة الاولى يتصوّر على ان يكون دائرة ب ر هي الحدقة والبواقي (٤ بحالها (71)

﴿ المقدّمة الثالثة ﴾ انّ المرآة اذا كانت صغيرة لم يظهر فيهـا أشكال المرئيّات بل الوانها لانّ الجسم لا يُرى مشكلًا (٥ الّا وهو بحيث يقسمهُ الحسّ (٦ واذا كان كذلك فكيف يُرى مشكلًا ما (٧ لم ينقسم في الحسّ. واذا عرفت هذا فاعلم انّ المرآة الصغيرة اماً ان يكون (تكون) مفردة اي واحدة او اكثر (٨ فان كانت مفردة فربّما لا يُرى ما تؤديه من اللون (٩ ايضاً. وان كانت كثيرة متلاقية ادّت كل واحدة منها اللون (١٠ ولم يؤدِ واحدٌ (١١ منها الشكل. وقولهُ في الملخص (١٢

روايات عن نسخة (ن)

١) متساوية ٢) الشعاع البصري
٣) المذكور ٤) فالبوافي
٥) متشكلًا ٦) الحس (كذا) ٧) فيما
٨) كثيرة ٩) تؤذايهِ (كذا) من الوان
١٠) شيئاً من اللون ١١) واحدة ١٢) الملخّص كتاب في علم الهيئة

« فاتّصل (١ من جملتها من تأدية (٢ اللون ما لو كانت متصلة متحدّدة (٣ لأدّت الشكل مع ذلك » معناه انـهُ [لو حصلت (٤ من مجموعة (٥ المرايا الكثيرة المتلاقية التي كل واحد (٦ منها صغيرة مؤدية اللون (٧ المرئيّ دون الشكل (٨ جملة [متصلة ومتجدّدة (٩ اتصالًا حقيقيًا لأدّت مع ذلك الاتصال الشكل واللون معاً

﴿ المقدّمة الرابعة ﴾ المرآة اذا كانت ملوّنـة لا يؤدي (تؤدي) لون المرئيّات كما هو بل لوناً متوسطاً بين اللونين اعني لون المرآة ولون المرئيّ . مثلًا [انّ لون الكافور اذا كان في الزجاج (١٠ الاخضر فانهُ لا يُرى (١١ بياضهُ بل [يُرى على لون متوسط (١٢ بين الخضرة والبياض

﴿ المقدّمة الخامسة ﴾ صور (١٣ المرئيّات غير منطبعة في المرآة والّا لكان لتلك الصور (١٣ مقدار معلوم (١٤ في المرآة ولما كانت تنتقل (١٥ في المرآة بانتقال النـاظر والمرآة ساكنة وكل واحد من اللازمَين باطل (١٦ بل ادراكها على سبيل الخيال . ومعنى الخيال هو ان تجد (١٧ شبح شيء مع صورة شيء آخر كما تجد (١٨ صورة الانسان مع صورة المرآة ثم لا يكون لتلك الصورة انطباع حقيقي في مـادة الشيء الثاني الذي يؤدي تلك الصورة ويرى (١٩ منها كما انّ صورة الانسان غير منطبعة في المرآة لِما بيّنا في الوجهين

﴿ المقدّمة السادسة ﴾ الجسم الصقيل (٢٠ الذي يقع عليهِ شعاع البصر اذا كان شفّافاً ورؤي (٢١ مشفًّا بالفعل لم يمكن ان يُرى عليهِ هذا الخيال وان رُؤي

روايات عن نسخة (ن)

١) فما حصل ٢) ممّا تؤديه ٣) ومتّحدة (صواب)
٤) انهُ حصلت ٥) مجموع ٦) واحدة
٧) للّون ٨) شكلهِ ٩) لو كانت متّصلة متّحدة (صواب)
١٠) ان ارى لو كان الكافون في الزجاج ١١) لا يؤدي
١٢) يؤدي لوناً متوسطاً ١٣) صورة
١٤) مقرة معلومة (كذا) ١٥) ينتقل
١٦) بطه (؟) ١٧) انّ الحسّ يحسّ
١٨) تجمع ١٩) وترى ٢٠) الصقيل
٢١) فأري

عليهِ هذا الخيال لم يبقَ مشفًّا بالقياس الى ما وراءهُ وان كان وراء الجسم الشفّاف الصقيل (١ جسم آخر ذو لون أدّى اللون وان لم يكن وراءهُ جسم لم يؤدّهِ (٢

﴿ المقدّمة السابعة ﴾ اذا كانت النسبة بين الرائي واجزاء المرآة في الوضع نسبة (72) واحدة وكذلك النسبـــة بين كل واحدة (٣ من اجزاء المرآة وبين المرئي في الوضع واحدة كانت الزوايا التي تحدث من خطوط شعاعيّة تُتوهَّم خارجة من البصر الى المرآة [ومنعكسة من المرآة (٤ الى شيءْ (٥ ذي الشبح زوايا متساويةً ويكون بمثل (٦ الشكل المرتسم من زوايا الشبح الى المرتسم من الخطوط الشعاعيّة الخارجة من البصر الى المرآة المنعكسة منها الى المرئي مستدير كأَنَّ (٧ هــذا الشكل أُدير على نفسهِ بان يحيط الخطّ الــذي بين (٨ الشيءْ ذي الشبح [والرائي ثانياً الوضع (٩ ويدار عليهِ الشكل لأنَّ التجربة [انمّا تقع فيما نسبتهُ كنسبة المرئي الى المرآة فقط (١٠ وامّا كل واحد (١١ من الرائي والمرئي فكشيءْ واحد غير منقسم فيكون كل واحد (١١ منهما مكان طرف المحور [على المرآة (١٢

فهذه جملة مــا يحتاج اليها من المقدّمات [وبراهينها (١٣ مذكورة في علم المناظر (١٤ وشرح الملخص (١٥ (تمّ)

روايات عن نسخة (ن)

١) الصيقل (كذا) ٢) لم يؤدي (كذا) ٣) واحد

٤) هاتان الكلمتان سقطتا من نسختنا وهما في نسخة ن

٥) الشيءْ ٦) تمثيل

٧) مستديرًا وكانَّ ٨) من

٩) هذا سقط من نسخة ن

١٠) كذا في النسخة ن. امّا النسخة الاصليّة فغلوطة وهي تروى: انما يقع فيها كسلة على المرآة فقط ١١) واحدة ١٢) للدائرة

١٣) لم تُروَ في النسخة الاصليّة

١٤) المتاظرة (غلط)

١٥) في آخر نسخة ن: تمّت الرسالة سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م)

المقالة الثانية في قوس قزح

(73) بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انَّ الاحساس بقوس قُزح على ما قالوا يتوقَّف على امور كوقوع الاجزاء الرشيَّة (كذا) الشفَّافة فوق الافق في مقابلة الشمس قريبة من الافق وكونها متقاربة تُرى متصلة وغير متصلة لئلَّا ينزل (١. وكونها قدَّام جسم كثيف ينعكس عنها الاشعة الواقعة عليها. وكونها (٢ بحيث ينعكس الشعاع البصري من كل واحد من تلك الاجزاء الى الشمس بحيث يتساوى زاوية الشعاع والانعكاس. وهذه الامور كلها يُعلم (تُعلم) بادنى تأَمُّل بل بدونهِ الَّا هذا والامر الذي سنذكرهُ فانهما امران يحتاجان الى بيان ونحن بعون الله وحسن توفيقهِ نبين كلًّا منهما على وجه لا يبقى منهُ للناظرين حجاب ولا للمبصرين نقاب (٣

اعلم انَّ الناظر اذا نظر الى كل واحد من تلك الاجزاء ووصل قسم (٤ الشعاع البصري الى جزء منهُ يحصل هناك زاوية اذ كل جسم وان كان قطرةً كان فيهِ نقطة فاذا وصل طرفُ الخطّ اليهِ لا بُدَّ ان ينطبق على نقطة فيهِ وبقي نُقطٌ (٥أُخر فوقهُ وتحتهُ فيحصل زاوية لا محالة تحتهُ منهما احد ضلعيها هذا الخطّ والآخر نقطة الجسم فهذه الزاوية الحاصلة هي زاوية الشعاع. وكذا بين كل جزء ايضاً وبين الشمس خطّ مستقيم ضرورة تقابلهما. فلا شكَّ في وقوع زاوية بين هذا (٦ الخطّ وبين ذلك الجزء فوقهُ وفي وقوع زاوية اخرى بينهُ وبين الخطّ البصري وهذه لا حاجة هنا اليها .

واذا عرفتَ ما ذكرنا فاعلم انَّ الشعاع البصري الواقع على كل جزء من تلك

---

١) كذا الاصل والظاهر وقوع تصحيف

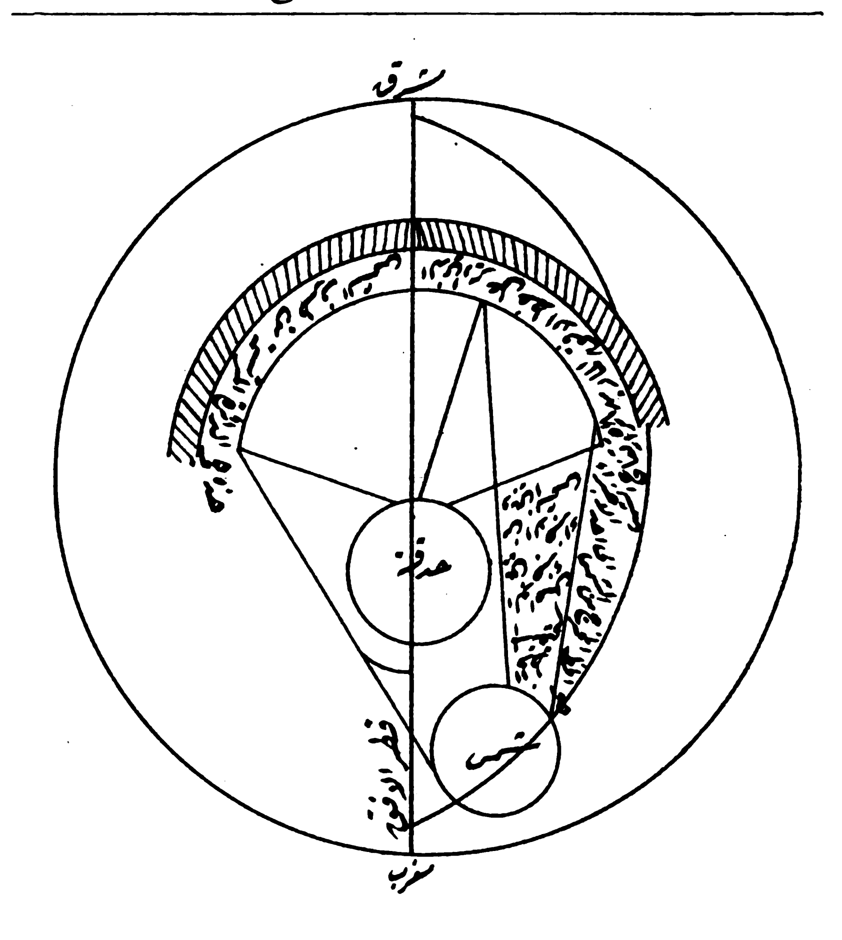
٢) لعلَّهُ سقط شيء من الاصل نحو قولهِ: « وكونها كثيرة الاجزاء »

٣) وزاد هنا في الاصل: وامَّا الذي سنذكر فسنذكرهُ اما هذا فاعلم . . .

٤) في الاصل تصحفت الكلمة فروى « نفسهم »

٥) في الاصل: نقطة

٦) وفي الاصل: هذه



الاجزاء اذا انعكس الى الشمس فعلى قياس ما عرفت يلزم حصول زاوية بين الخطّ المنعكس وبين نقطة ذلك الجزء بلا شبهة . فهذه زاوية الانعكاس . فيجب ان ينطبق الخطّ المنعكس على الخطّ المستقيم الشمسي وزاويتهُ على زاويتهِ وأن تُساوي هـذه الزاويةُ زاويةَ الشعاع البصري وكونها واقعة على هيئة الاستدارة بحيث لو أدَرْنا الخطّ الشمسي الواصل الى واحد منها على قطر الافق المارّ بدائرة (74) ارتفاع الشمس لَوقع طرفهُ على جميعها . ومعرفتهُ موقوفة على معرفة دائرة ارتفـاع الشمسيّ والافق وقطرها ومرورها بدائرة الارتفاع . فالافق دائرة عظيمة تفصل بين ما يُرى من الفلك وبين ما لا يُرى وقطباها سمتي (سَمتَا) الراس والقدم . ودائرة ارتفاع الشمس وتسمّى

الدائرة الشمسيَّة ايضاً (هي) دائرة عظيمة تمرّ بسَمْتي الرأس والقدم وطرف الخطّ الخارج من مركز العالم الى سطح الفلك الاعلى مـارًّا بمركز الشمس. فما بين طرف الخطّ والافق هاهنا يسمى ارتفاع الشمس اذا كانت فوق الافق وانحطاطها اذا كانت تحتها (تحتهُ) ولذا تسمَّى دائرةَ الارتفاع وتقطع هذه الدائرةُ دائرةَ الافق بنقطتين متقابلتين حسب انتقال الشمس تسمَّى كل منهما بنقطة السَّمت. وما بينهما وبين احدى نقطتي المشرق والمغرب من الافق يسمى قوس السَّمت ولظهورها بها يُسمى الدائرة السَّمتيَّة. والقطر خطّ ينصف الدائرة. وما يقسمها مُنصفاً او لا فهو وَتَرُها. فقطر الافق المارّ بدائرة ارتفاع الشمس (هو) الخطّ الواصل من نقطة السمت الى نقطة السمت

واذا عرفتَ هذا عرفتَ ما قلنا « بحيث لو أدَرنا الخطّ ... الخ (١» فاذا تمّت الامور ونظر الانسان الى تلك الاجزاء انعكست الاشعة منهـا الى الشمس ويؤدي كل منها ضوْها دون شكلها لصغرها فيرى قوساً قريبـة من نصف دائرة مختلفـة الالوان لاختلاف ضوء الشمس مع اللون الظاهر من تلك الاجزاء كما هو معلوم من النظر الى المرآة الملوَّنة

فهذا هو البيـان الاجمالي الكافي المناسب لما التمس الاخوان ومن اراد الزيادة فعليهِ بممارسة الكتب. وان اردت ان ترى ما ذكرنا رأي العين فعليك بمطالعة هـذه الصورة (ص ٧٤٣) تقف عليها بقدر ما يمكن ان يتصوَّر في السطح. وأدِم النظر اليها فانك كلما زدتَ نظرًا وامعاناً زدت (زادت) حسناً واحسناناً (واستحساناً). هذا ما قالهُ الحكماء على ما اشرنا اليهِ. وامَّا نحن فالاولى بنا ايها المتشرّعة (؟) ان نضرب (75) عن امثال ذلك صفحاً مع انهم قالوا (٢: « لا ينبغي ان يقال لقوس السماء قوس قزح فان قزح اسم الشيطان » . والله الهـادي الى سداد الطريق لمولانا حسام الدين انعم الله عليهِ

---

١) هنا المؤلف يشير الى قولهِ السابق (ص ٧٤٣ س ٤-٦)

٢) يروى هذا في كتب الحديث الاسلاميّ

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ ﻫ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ بهذا الغضون تحرَّك الامير بشير على حاكم بعلبك الامير جهجاه وقصد يأخذ منهُ قرية الكرك القريبة لقرية زحله. والكرك المذكورة كان اخذهـا الامير يوسف شهاب وعمرّها. وكان يصل لهُ منها نفع كبير. فحينما انعزل المذكور ثمَّ قتلهُ الجزار استخلصها الامير جهجاه وهدم منهـا كل الاماكن التي بناها الامير يوسف وبعده تركوها بيت شهاب لعدم استقرارهم بالحكم بزمـان الجزار. ثم حينما اتحد اهل البلاد واظهروا العصاوة على الجزار وطال الامر الى حين مات فكانت هذه القرية التي هي الكرك دايماً متصورة في عقل الامير (193r) بشير ويجي في باله اخذها. وانما جرجس باز مـا كان يملّكهُ اربه ويمنعهُ عنها لان جهجاه بينهُ وبين جرجس باز صداقة كبيرة. فالان حيث قتل فما عاد مانع

فتحرك الامير لنـوال مرغوبه. فاوّلًا كتب الى امراء بيت مراد يجمعوا عسكر وينهبوا قرية تمنين من حكم بعلبك. فنهبوها تماماً. وهؤلاء بيت مراد بينهم وبين جهجاه عفونه (عداوة) قديمة. وبغضون ذلك ارسل الامير حسن اخو الحاكم الى بيت حماده متاولة في جبيل وهم اعداء جهجاه لينهبوا بعض مزارع شمال بعلبك ورأس بعلبك ايضاً. ولهذا دخل الوهم على جهجاه وشـاف عين الغدر من الامير بشير. وبوقتهِ انعزل ابراهيم باشا من ولاية الشام وتولى كنج يوسف. وحاصل توفيق من المذكور بارسال خلاع حكم بعلبك لجهجاه وصار المذكور في حيرة زايدة ووجل واضطراب. وفكر ان يرضي الباشا كيف كان نوعاً ويأمن على نفسه

وهو بهذا الفكر ومقدم للباشا واسطـة اذ شاع وصول مراسيل الامير بشير للشام واعراض للباشا بطلب حكم بعلبك. وبعد ان الوزير ارتضى بارسال الخلاع لجهجاه تغير خاطره وتوقف. فحينما بلغ جهجاه ذلك كبر الوهم عليهِ وصار في حيرةٍ ما لها مصرف. وحالًا نقل هو واخيهِ واعيالهم الى بقعةٍ بسهل البقاع في اراضي بعلبك

وجمع رجاله وصار يشالش من نار الدم. وكتب الى معتمده بالشام بان يدفع للوزير مهما طلب. وارسل عرضحال للوزير يعلمهُ بما عمله الدروز من النهب والسبي وزاد بالكلام. وارسل حرم واولاد ولطخ ثيابهم بدماء الحيوانات. دعواه ان الدروز وبيت حماده شلحوهم وجرحوهم وعلّمهم ان يبالغوا للباشا بما حلّ بهم

فلمّا نظر الباشا بهذه الاحوال غضب وتغير خاطره على الامير وارسل يتهدده ان لم يرجع كلما انتهب والّا يحضر بنفسهِ لزحله يحرق ويخرب ويقتل ويصير شيءٌ لا خير فيه. وانهُ يرفع قارشه (193[٧]) عن بلاد بعلبك تاماً

فلمّا وصل البلردي الى الامير تحسب من حدوث شرّ بينه وبين الباشا وبالاخص ان الباشا معين عساكر كثيرة لاجل مصالحه. فخاف الامير على اراضيه بالبقاع من دعس خيل العسكر. فحالًا حرر الجواب بالايجاب وكتب الى امراء بيت مراد يرجعوا كلما نهبوه من ثمنين وكذلك يحرر لاخيهِ يامر بيت حماده برجوع النهب الذي نهبوه. وتمّ ذلك بالممكن

وحينئذٍ ارسل الباشا خلعة الحكم للامير جهجاه واخذ ووح نوعاً. غير ان المذكور ما لهُ اركان بالعشلي وحالهُ ضعيف لا يقدر على مقاومة جبل الدروز. فقصد يأخذ رضى الامير بشير وهكذا لا يمكن يتم الا باعطاه الكرك. وبعد مراسلات كثيرة وكلام كثير وقليل ما امكن يرتضي بالصلح الّا بقرية الكرك تكون لهُ ملكاً. واقتضى ان جهجاه سمح بها غصباً وقهراً وكتب حجتها وارسلها للامير بيعاً شرعيًّا صحيحاً وتحررت باسم ابناء الامير قاسم وخليل وامين. ووكل فيها نعمان بلوكباشي وصارت يد الامير جهجاه مرفوعة عن هذه القرية كليًّا ومضى امرها

ثمّ بهذه الايام تغلظ الامير على امراء صليما وسببهُ بلغ الحاكم ان احدهم حسن جاء لهُ مكاتيب من اليــاس باز الذي حضر من طرابلوس للشام. فارسل الحاكم يطلب المكتوب لينظر مضمونهُ . فنكر ان بها فيهِ شي بل شرح براني. واعتذر انهُ حين قراه شرمطه . فتزاول الحاكم (اخذه الريب) من ذلك وارسل ولده الامير قاسم مع خيل وزلم نحو خمسين نفر. فقبل وصولهم هرب الامير حسن لقاطع بكفيا فتواسط المادة امراء للتن وبعد الجهد انقطع الجرم على المذكور واخوته مبلغ ربما مع الكلف يبلغ خمسين كيس

وبعد ايام مسك الحاكم احمد العيزير متوالي كان شوباصي على قرية شمسطار من قرايا بعلبك تخص اولاد الامير يوسف وضبطهـا الامير بشير وجاب (194ʳ) الشوباصي ووكله بالقرية كما كان. ففي هذه المدة حصل على المذكور وشاية انهُ عمال يكاتب الياس باز وانحاش كتابة من المذكور الى المتوالي شرحهُ مفسدة وعبارات ردية تخصّ البلاد. فبالحال احضره الحاكم وقصد يقتله فتشفعوا فيهِ انما ضبط جميع ارزاقه. ثم ان الحاكم قصد يقتل اليـاس باز ولو كان بالشام. ولكن دخل واسطة بجلب رضى الامير عليهِ وتم ذلك. وحضر المذكور لدير القمر واجه الحاكم واشهر خاطره عليهِ وعين لهُ مصروف يكفيه. وكذلك حضر عرب الشلفون والياس اده اصدقاء بيت باز واشهر رضاه عليهم وطمنهم وذهبوا لبيوتهم

ثم بهذه السنة بعد نهاية مادة بيت باز والاماراء بايام قليلة ابتلي الامير حسن اخو الحاكم بمرضٍ ردي وهو داء الرية وانما في ابتداه بواسطة علاج الحكماء والمداراة كانت اعراضه خفيفة. ولكن فيما بعـد اشتد عليهِ وقاسى الاهوال لان مرض الرية مخوف ونقدر نقول ان الذي صار لهُ فهو قصاص من الله تعالى. لان الذي عمله فهو غير مرضي للرب. وبالنتيجة انهُ استقام بالتشويش نحو ثمانية شهور وقاسى اوجاع شديدة حتى انهُ كان يتمنى الموت. وفي شهر اذار تلف حاله وطلب اخيهِ الامير بشير فحضر لعنده لجبيل لان الحكماء شاروا بذهاب المريض لجبيل المناخ اوفق من غزير سيما بوجود الايام الباردة. وهـذا صار لامر يقع منهُ اعتبار ان الناس تخاف الله وتخشى قدرته الالهيَّة وانتقامه بنوع العمل. لان هذا الامير حضر لجبيل واستقام بالبرج الذي كان قطن فيه عبـد الاحد باز. وحين قرب موته صباح الاربعا في ثمانية عشر اذار سنة ١٨٠٨ موافق شهر صفر سنة ١٢٢٣ فمن الضيق صار يشالش وقام من فراشه وانحدف للطاقة الذي كان ارمى حاله منها عبد الاحد باز . وقصد يرمي نفسه . فركض الغلمان منعوه . وبعد برهة وجيزة مات وذهب للاخرة . وكان ذلك بعد عشرة شهور واربعة عشر يوماً من قتل جرجس باز واخيه فما كمل السنة. وانغم عليهِ الامير بشير غمًّا عظيماً. ثمَّ نقلوه لغزير وعمل لهُ (194ᵛ) مناحة عظيمة ودفنوه في تربة ابائه. ثمَّ اعطى نظـام وجعل ناظرًا الامير قاسم عوض عمه لان اولاد المائت كانوا صغار والمدبرين معهُ اولاد الدحداح. ثم ذهب لدير القمر مقرّ حكمه وقيل ان

حسن اوصى اخيه قبل وفاتهِ بان يرجع لابناء الامير يوسف رزقهم المظبوط ورجع بعض الرزق للمذكورين ليس كلهُ

ثم في سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) ابتدا بالمناكدة يوسف باشا والي الشام بعد رجوعه من حصار القلعة واخذها وطرد مصطفى بربر في طرابلس. وكانهُ صار مستعز في نفسه ومقتدر فقصد يعطي نظام في اراضي حكمه. من الجملة يرجع المالكانات والاراضي بالبقاع الواضعين يدهم عليهم الامير بشير وجنبلاط. واتصلت الامور بينهُ وبينهم وسليمان باشا تواسط بينهم وحصل مراجعات كثيرة وهو لا يهجع من مشروعه. وطال الحال واقتضى ان سليمان باشا يشكوه للدولة. واخيرًا انقضت معهُ الامور بعزلهِ من ولاية الشام وجاء المنصب الى سليمان باشا المذكور في سنة ١٢٢٥ (١٨١٠ م) وصورة ما صار مقرّر باطن كتابنا هذا

وراقت الاحوال وصار الامير وجنبلاط يعملوا كل ما يريدوه واحكام الجبل استكنت والامير حصل في حرية كاملة ما من يناكف ولا يراجع. ومضى ايام كثيرة الى سنة ١٢٣٤ (١٨١٨ م) مات سليمان باشا والي عكا ودفنوه بالجامع فوق احمد باشا الجزار. وصار وهم عظيم عند حاييم وخواص الباشا بسبب مماليك الجزار الذين هم متسلمين في صور وصيدا وبيروت وغيرهم. واما محمد اغا ابو نبوت فانهُ كان في يافا متسلم وحين تلف سليمان باشا عمل حيلة عليه حاييم وطرده من يافا. وكذلك علي اغا انفاه من بيروت لقبرص. وبدا حاييم المذكور يجتهد بالكتابات لاسلامبول في احضار منصب عكا الى عبدالله بك ابن (195r) علي باشا. وبعناء وتعب حتى رضيت الدولة بقيام المذكور. وهذا كان حدث السنّ ولكن فهيماً جسورًا وحاييم اعتنى فيه جدًّا. وكان يحبهُ كحب ابوه لهُ وظن انهُ يسود ويعيش مطمأنًّا ويحكم بالناس مثلما يريد ابلغ من زمان سليمان باشا. وهكذا باقرب الايام ورد المنصب وتولى عبدالله باشا الحكم بكل حرية وراحة. وحال الجبل بقي كما هو بالاحكام وغيرها لكون الباشا المذكور محجوز ما يمكنهُ يبتّ امرًا او يعمل شيئاً من دون ارادة ورضا حاييم المذكور

ثم دخلت سنة ١٢٣٥ (١٨١٩ م). ففي اواخرها ظهر من عبدالله باشا امور مغايرة وبغضة لنحو حاييم ومداقفة بجملة اشياء في ابطال ورفض امور بالاحكام

تصدر من حاييم. وكان ملازمين الباشا مسعود الماضي شيخ ضيعه رجل ردي صاحب حركات وملاعيب. وكذلك غيره اناس ارديا. وهم يبغضوا حاييم. وصاروا يفهموا للباشا امورًا يتوسوس منها ويهونوا عليهِ امور الاحكام ويبعدوه عن حاييم. والباشا من كونه حدث جاهل سمع كلامهم وحسن عنده اشوارهم. وصار يداقف حاييم ويراجعهُ بكل مادة. واتصل للمطاولة معهُ بكلام قبيح ومهين. وحاييم انوهم ما هذا التغير وجاهد كثيرًا حتى يتلايم عليهِ بتركهِ هذا الحمق. وما كان يصير فايدة لا بل يزداد شرًّا ورداوةً في حقهِ. اخيرًا لما اشتدت البغضة بينهما صار المعلومين يزيدوا النار

ثم حسنوا للباشا ان يقتل حاييم حيث انهُ ما كان يرتد عن الحضور للخزنة ولا هو مفتكر في عزارة الباشا لهُ. ويفكر انهُ عرض ويزول حيث انهُ مربيه ويعرف سريرته. وثانياً لا بد يرجع لعقله بتصوره النعمة التي هو فيها ولولا سعي حاييم ما حصل عليها. وهذا شيءٌ اكيد ما فيهِ ريب. ولكن على ما يبان ان هذا صار بسماح الله تعالى وهو لغايات من الله تعالى لا ندركها. وبالنتيجة ان الامور تزيد يوماً بيوماً الَّا انهُ يوماً بعد (195[٧]) العصر حضر الكيخية مع جماعة من خدام الباشا الى خان الافرنج الساكن بهِ حاييم واحدروه باهانة لدهليز الخان وبالحال خنقوه وحملوه لجهة البحر ووضعوه في قارب ورموه في ناحية معلومة بالبحر. وثاني يوم قدفه البحر وجدوه على حافة الشط. فصدر الامر يرجعوه ثانياً بالقارب الى ما هو ابعد ويعلقوا في رقبته حجرًا ثقيلًا. ورموه واكلهُ السمك وما عاد ظهر ابدًا ولا الاثار الى يومنا هذا. ثم من بعد قتل حاييم المذكور انفرد الباشا بالاحكام وصار يعمل بعقله ما يريد. اولًا حسن عنده ينشي عدل وسمعة جيدة. فاصدر امر برجوع كل رزق وملك الذي كان ضبطه الجزار بنوع الظلم وذلك في عكا وصيدا وبيروت وكل جهة في حكمه. وبعض الناس استولوا على بيوتهم. ولكن ما طال هذا المشروع لان الباشا ابطل ذلك وابتدأ ينشي المظالم ويفرض مال على اسلام ونصارى وما من يشفع ولا يدفع وضاجت الناس جدًّا. ثم التفت الى الجبل وطلب من الامير بشير مبلغ مال بخطاب قاسي ممتلي تهكم وكلام جبر. ولما راجع واعتذر الامير اظهر الباشا غضبهُ الشديد وصار يتكلم بحق الامير كلام ردي موجع. وطاشت الامور بينهما وحينما فهم

عامة الجبل انحراف الباشا على الامير قاموا جميعاً ضد الامير مما قاسوا من ظلمه بالمدة السابقة. وبلغ الباشا هيجانهم فما غث عليهِ. لا بل انهُ ارسل لهم كلاماً مع واسطة الذي جعلهم يطمعوا اكثر . ومالوا الى ناحية الامير سلمان شهاب ومرادهم يولوه عليهم حاكماً

ولمّا فهم الامير والشيخ بشير جنبلاط قوّة هذا الشر وبغضة الباشا لهم قاموا من البلاد وراحوا لحوران. واقتضى ان الباشا ارسل خلعة الحكم للامير سلمان وايضاً للامير حسن شهاب بن علي

ثم ان الباشا استولى بعض اماكن بالسواحل وهم تبعاً لمقاطعة الجبل. رفعهم من دفتر الجبل وهما اقليم الخرنوب لحد دير المخلص وكامل القرايا التي هناك. ثم وغير محلات في بر صيدا. وولج يوسف اغا من اتباعه (196r) يحكم بهم ويستولي الميري وخلافه. وحيث ان اهل الجبل شاكيين من المظالم التي سبقت وان حالهم صار مضمحل والباشا مراده مال لان الدولة طلبها متصل والتدبير عاجز في عكا لان الباشا احمق وولد وتدبيره خايس وكل يوم يطلب مال من الاماره والمذكورين ما هم عارفين كيف يتدرّفوا في حكمهم. وطالت الايام والامير بشير والشيخ بشير ذاقوا مراير الصبر في خطرتهم هذه ومقدمين وسايط للباشا. وبعده نظر الباشا انهُ لا يرتاح مع الجبل فارسل لهُ كتابة انهُ يحضر. فحضر حالًا وضبط حكم الجبل والاماره المذكورين لزموا بيوتهم وراق حال الجبل عن الاول

ثم دخلت سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠ م) تحركوا اليهود بالشام اخوة حاييم وابن عمهم سلمون بالانتقام من عبدالله باشا والي عكا بسبب قتله حاييم

وبغضونها كان والياً بالشام درويش باشا فابتدوا يحركوا الشرور واعرضوا للباشا عن اختلاس مالكانات بالبقاع وظبطهم الامير بشير والشيخ بشير. وحسنوا للباشا يباشر امر رجوعهم لاصحابهم. فصار انهُ ارسل عسكر وكبس القرايا المختصين بالامير والشيخ ونهبوا الفلاحين وصار قتل ايضاً. فاعرض المذكورون لعبدالله باشا والمذكور كتب لدرويش باشا بخصوص ذلك ويرفع قارشه عن هذه الاماكن . وانهُ يتدبر مع الدولة. فدرويش باشا ما اقتنع بل زاد بالانتقام والشر. اخيرًا حسن برأي عبدالله باشا انهُ يحارب درويش باشا ويطرده من الشام. ونظرًا

الى ملازمته الى حايم منذ حداثته وكان يتطلع على كتابات الدولة وامور الاحكام فالّف فرمان مصطنع بظروفهِ الكاملة عنوانهُ انهُ منصب الشام جاء لهُ ودرويش باشا معزول . واحضر عبدالله باشا الامير بشير وافهمه مضمون الفرمان انهُ جاء لهُ من الدولة على التحقيق وامره بان يقوم للشام ويحارب درويش باشا ويطرده من الشام . وعين لهُ عسكر عثملي وكالته عسكر جبلي . فانطغى الامير من كلامه وصدّق (196ᵛ) مقالهُ وقام بالعسكر وجاء لارض المزه ودرويش تعجب من ذلك لعدم علمه عن شيء من طرف الدولة . لا بل اعلام الدولة متصلة لهُ . ولكن اقتضى على انهُ يعين عسكر لمحاربة الامير ومن العجلة ما امكنهُ يجمع عسكر كثير فالذي قدر جمعهُ بوقتهِ واطلعهُ للمزه وحصل الحرب بينهم وظفر بهم عسكر عكا والجبل وقتل مبلغ من الجهتين

وبغضون ذلك وصل مصطفى باشا للشام والي حلب . (منهم) من يقول ان حضوره بطلب درويش باشا وغيرهم يقول بامر من الدولة لان في ابتدا الشر اعرض درويش باشا للدولة عن تعدي عبدالله باشا وكلامه الغير مرتب . وانما الوقت قصير كيف كان . والغاية حين وصل مصطفى باشا للشام ونظر الموقعة الردية التى حصلت والامير وعسكر العثملي لا زال باقين بالمزه بعد الوقعة ولكن قرية المزه انتهبت من فلتة العسكر . فحسن عنده يراسل الامير بشير ويسألهُ عن حضوره على اي صورة وان كان معهُ اوامر من الدولة يظهرها عياناً . ثم صار يبرهن ويحقق ان الدولة راضية جدًّا عن درويش باشا وقدم لهُ شواهد كثيرة . فتوجه الواسطة واختلى مع الامير ومن بعد ما افهمه كلام الباشا ثم كلمهُ سرًّا ان الدولة متغيرة جدًّا من نحو عبدالله باشا من ظروف وشواهد كثيرة . فانتبه الامير وصار في دهدار كبير . وثانياً ان مصطفى باشا جاب معهُ عسكر وبسبب الوقعة صدر كتابات لكل جهة باحضار عساكر . والامير دخل عنده شبهة ومزاولة لئلا تكون احوال عبدالله باشا فارغة فبالحال قام الامير بالعسكرية من المزه وراح نواحي حاصبيا واعرض الى عبدالله باشا بما صار وعمّا سمعهُ من مصطفى باشا . فجاء الجواب انهُ يقوم للجبل . وما عاد بان شيء عن طرف عكا ولا من درويش باشا . وانما المذكور اعرض للدولة واخبرهم بكلما صار من (197ʳ) التعدي وعن خراب قرية المزه . وحينئذٍ اشتهر

غضب الدولة على عبدالله باشا وصدر الامر بعزلهِ من ولاية صيدا. وجاء امر الى مصطفى باشا يكون مساعد والي الشام

ثم أمر الى ابراهيم باشا والي ادنه يقوم للشام مساعد ايضاً. وجمعوا عسكر كفاية وتوجهوا للبقاع وعبدالله باشا ما هو مفتكر كثير ولا هو مبالي فتحصن في عكا واعتمد الحصار. ويكتب للامير يحافظ بالجبل ويمسك الطرقات واعتمد ذلك انهُ يكون متحد مع عبدالله باشا غصباً لشأن تعديه في وقعة المزه. ولكن الشيخ بشير جنبلاط حسب حساب كبير اذا كان يخالف امر الدولة. فصار يشور على الامير يترك عبدالله باشا ويتحد مع الوزراء ويعملوا طرايق مريحة. فالامير ما سمع منهُ ومصرّ على عزمه مع انَّ بوقتهِ كان يرتاح بكل ما يرغبهُ. لان درويش باشا داخل عليهِ الوهم من حال الجبل. واذ كان الشيخ بشير عمل كل جهده مع الامير وما افاد لزم اظهر لهُ خاطره انهُ يقدم الطاعة للعشملي ولا يمكنهُ يضادد

فلما شاف الامير هذا الحال خاف من تعرض الاهالي عليهِ فكتب لعكا وطلب انهُ يحضر بيروت لجاه الجواب لا بأس. وارسل لهُ مركب ذخيرة لبيروت وامرهم باكرامه ويفرغوا لهُ القناق الذي يريده. وقام الامير من دير القمر برضى مشايخ البلاد ما احد تعارضه وذهب معهُ نحو ستون سبعون نفراً من خواصه وخدمه. ونزل بحرش الصنوبر خارج بيروت. لانهُ حسب خيانة اهل بيروت. لان درويش باشا ارسل لهم اناس خفية يعلمهم اوامر الدولة وانهم يكونوا خاضعين. وهم يرغبون ذلك ولكن خايفين من عبدالله باشا ومنتظرين النهاية. فالامير تحسب منهم فاستقام بالحرش وصار يستجرّ الذخيرة من المدينة

ثم ان الشيخ بشير بشَوْر ورضى مشايخ البلاد انتخبوا الامير عباس شهاب ليكون حاكماً عوض الأمير بشير. وذهبوا جميعاً للبقاع لمواجهة درويش باشا الذي ترحّب فيهم واكرمهم ولبس خلعة فاخرة للامير عباس يكون حاكم الجبل ويكونوا مطمانين من ساير الوجوه. ورجعوا مسرورين (197)

فلما بلغ الامير بشير بما حصل عزم على الذهاب لمصر وولّج رجل افرنجي اسمهُ اوبين يستأجر لهُ مركب افرنجي لدمياط من بيروت سرّاً. وبالحال قاولوا مركب بخمسة عشر الف غرش وارسله لقرية الناعمة ليلاً وقام الامير للناعمة. وقبل طلوع

الضوّ نزل بالمركب واخذ الذي اراده من جماعته والباقي رجعوا لمحلّاتهم. وبوصوله لدمياط راح العلم لوالي مصر. فجاء امر انهُ يذهب الى قرية معلومة لحين يطلبهُ ومضى الامر

ثم ان الوزراء الملعونين قاموا بالعسكر لعكا وعبدالله باشا سكّر بوابات المدينة وصار مراسلات كثيرة بان يسلم لعكا ولم يصر فايدة. وبقي العرض ايام كثيرة ودخلت الايام الباردة وابراهام باشا مرض وتوفي. ومصطفى باشا انكرب جدًّا من قذارة المكان الذي هو فيهِ. ونظر عدم الافادة باخذ عكا. الّا انهُ كان في مدة ايام طويلة ومن ضجره وصغر نفسه كان يشكي من ضجره لبعض من يلفي لعنده من اهالي تلك الاماكن. فصح من قرر لهُ ان كل الذي صاير ويصير هو بسعاية سلمون اليهودي وتدبيره الملعون. والقصد بذلك يأخذ تاره من عبدالله باشا في قتله حاييم وهذا هو السبب لا غيره. ويريد خراب البلاد والعباد لشأن تنفيذ مرامه

فالباشا انغم غمًّا شديدًا وكبر عليهِ الوهم من موت ابراهام باشا وعن الكدر والقرف الذي هو فيهِ بالاراضي فقام على حمية وراح لعند درويش باشا في صيوانه وصار يتفاوض معهُ بهذه الامور. وربما اظهر ملامه على سلمون والباشا يبرره لانهُ كان يحبه ويميل لتدبيره. فطلبه مصطفى باشا وصار يعاتبه ويسألهُ عن اصول هذا الشر وكيف حتى وصلت الامور لهذه الحالة العسرة المكربة. فصار سلمون يظهر انهُ ليس لهُ علم عن شيء ولا اشار بشيء بل شراسة عبدالله باشا ولدت كل هذه المساوي. واما هو فبري من كل تهمة. فراجعه مصطفى باشا واظهر لهُ براهين وشهادات كثيرة التي تؤكد ان كل ما جرى هو بتدبيره . ودرويش (198r) باشا صامت ما تكلم كلمة واحدة. اخيرًا انحمق مصطفى باشا وما امكنهُ يحتمل مداورة سلمون. فقام ومسك بصدر سلمون وقال لهُ : ان كل الغضب منك وعمال تتلاعب بالوزراء ولولا خاطر الذي قاعد لاضربك بهذا الخنجر ارمي مصارينك للارض. شتمهُ كثيرًا وارماه للارض وخرج لمكانهُ. ودرويش باشا ما احكى شيئًا بل امر يحملوا سلمون الى خيمتهِ الذي كان غمي عليهِ من الوهم. وثاني يوم وقع في حمى ردية وجابوا لهُ حكيم يهودي من ابو عتبه وحكم بالفصاده. فما ارتضى واشتدت الحمى وفي ليلة الاسبوع

مات ودفنوه في ابو عتبه وراح من الدنيا وما استفاد شيئاً غير الاثم والخطا وقصر الأَجل

ثم ان الباشا والي الشام ارسل احضر روفاييل فارحي الصرّاف من الشام لاجل التدبير عوض سلمون. فبعد ايام قليلة ورد فرمــان بعزل درويش باشا من ولاية الشام وذهابه لاكطاهيا. وان مصطفى باشا يكون مقيماً بالاراضي لامر ثاني يحضر لهُ من غير حرب ولا قتال. وبعد ايام حضر امر من الدولة بقيامهِ من حصار عكا ويحضر للشام والياً بها. وشاع الخبر ان الدولة رضيت على عبدالله باشا بواسطة محمد علي وجاء لهُ استقرار بولاية صيدا. واصلاح حال هــذا الباشا كان بوسيلة الامير بشير لان ذهابهُ لمصر كان توفيق عظيم ومحمد علي دائماً يفتش على صالحه. واذ كان حصل على غاية العز والجاه والذي حصل فيهِ ما صار لخلافه فوجود الامير بشير عنده صار منهُ نفع كثير لمحمد علي. وربما عمل معهُ رابطة سرية في اخذ بلاد سوريه وانهُ يكون مساعداً لهُ. واذا كنت تعترض وتقول ان بعد حضور الامير من مصر بزمان حتى بدا امر اخذ سوريا. والحال انهُ بوقتهِ كان ابراهيم باشا بالمورا ومشغول الفكر من اشياء كثيرة. وبالنتيجة ان الامير حصل لهُ كرامة زايده من والي مصر وبواسطته انتهت مادة عبدالله باشا

وحضر الامير لعكا في شهر رمضان بحرية الكاملة. حتى ان الباشا ما كان يراجعهُ عن شيء. ومهما اراد يتمّ من غير مانع وطلع للجبل بموكب عظيم. والامير عباس ترك الحكم وتوجه لبيته (198[٧]) بكل سلامة. امَّا الشيخ (فانهُ) يرغب يلازم الامير بشير حكم القديم ظنًّا منهُ ان الامير عذره فيما عملهُ. والحال ان الامير خلاف لان الامير مشمول منهُ جدًّا. وحين قابلهُ اخذ يده ليقبلها فنفر منهُ

ثم حين وصل لدير القمر وجاءت الناس تسلم عليهِ وجنبلاط من جملتهم فمــا اعطاه وجه كلياً. وبعد كم يوم ارسل طلب منهُ مال حسب امر عبدالله باشا. ويوصي لحواليهِ يعملوا ثقلة وظهر الغبن والانشمال وشيء ليس لهُ مداواة القلوب نفرت. واقتضى الشيخ نزح من البــلاد. غاب اياماً ورجع فات على امارة المتن وطلب منهم يتحدوا معهُ في محاربة الامير ويطردوه من البلاد. فنهم رضيوا معهُ. ثم وصل الى المختاره والتف اليهِ الامير عباس والامير سلمان والامير فارس شهاب وعلي عماد وما

يتبعهم وجملة دروز ونصارى حتى صاروا جمعاً غفيرًا . ومن المتن جاء الامير عساف وغيرهُ ايضاً والامير بشير حصل باضطراب كلي . فارسل طلب من عبدالله باشا عسكر وطرح صوت بالجبل . فحضر جانب عسكر وحضر الامير حيدر من صليما وايضاً باقي الامارة وعسكر من قاطع بكفيا ومن بيت شباب . وطلع الحاكم الى سهل السمقانيَّة وابتدا الحرب فيما بينهم

وكانت حروب مشومة جدًّا وكان الوقت باردًا في عز ايام الشتاء . اخيرًا اشتدت الامور بينهما ووقع الحيف على عسكر المختارة . وحيث النيَّة ردية فطردهم عسكر الامير ولحقهم بقوَّة . اناس يقولون بالنهار (ومنهم) من يقول ليلًا . وظفروا بهم ويتراكدوا من قدامهم حين الوقعة الاخيرة . ومنهم ارموا حالهم بالنهر الذي كان طايف بوقتهِ وماتوا

فلما نظر الشيخ والاماره هذا الحال ايقنوا بالهلاك فهرب الاماره لجهة كسروان وجبيل وبشير جنبلاط وعلي عماد وجماعتهم هربوا لجهة حوران والثلج نازل عليهم . وبالحال كتب الامير لعكا صورة ما توقع وترجى الباشا ان يكتب لوزير الشام مصطفى باشا بان يمسك المشايخ في حوران . والعجب انهُ كيف صارت العجلة بتنفيذ المقدور لان المشايخ لما (199r) ما بلغوا حوران والكتابات وصلت لعكا وللشام . وحالًا توجه عسكر من الشام نحو ستماية نفر خيالة لحوران وصادفوا المشايخ وتحارفوا في مسكهم من غير شلش وطلبوا يدخلوا بوجاق الدالاتية ولبسوهم ألبق وجابوهم للشام . وقبل دخولهم رفعوا الالبق عن روُسهم

وبوصولهم للصرايا قبل غروب الشمس بساعتين نظرهم مصطفى باشا فصدر امره بقطع راس علي عماد وارسلهُ مع خيال لعكا . الباين ان التدبير هكذا . ثم اخذوا الشيخ بشير لعند الباشا وهو بحال الخوف فوبخهُ عن عملهِ وبعده سجنهُ بالقلعة وحصل في كرب شديد . وبعد ايام طلبهُ عبدالله باشا والامير بشير صار مضطرب جدًّا من وجود الشيخ في عكا . فكتب الامير الى محمد علي والي مصر ان يلاحظ هذا الامر المهم ويترجى الرجا الكلي ان يكتب لعبدالله باشا يعدم الشيخ . وهكذا تم بوصول العلم من مصر خنق الشيخ بشير وشيخ من بيت عماد ورماهم خارج البوابة . وثاني يوم نظرهم الناس بحال العري طبّ على وجوهم بحال مهين . وبعد حين امر

بدفنهم. وزال مجدهم وشرفهم والباغي تدور عليهِ الدواير وكل لهُ دور يصلهُ ولو بعد حين

ثم علي جنبلاط ابن حسن فهذا حين الكون (القتال) حكمهُ رصاص هايف. فاخذوه جماعتهُ الى قرية ليداووه فمات والاماره الهاربين ضاق بهم الفضا فجاوزوا البلاد والحاكم يفتش عليهم. فنظروهم في قاطع المتن فمسكوهم واخذوهم لدير القمر. وهم الامير عباس وسلمان وفارس من بيت شهاب فحاشهم الامير في اوضة. ثم مساءً ارسل لهم بلوكباشي وجماعتهُ كتفوهم واعموا اعينهم بشيش حديد محمي بالنار. ثم بعد عماهم مــا شفي قلب الامير بشير منهم بل امر بقطع السنتهم ايضاً. وهذه انعدَّت قساوة وحشيَّة. لان القتل اهون من هذا العذاب. فبعد ما قطعوا السنتهم طلب ينظر ذلك فجابوهم لهُ في صحن فوجد منهم لسان قصير قطعهُ مــا هو كامل. فتخلق على البلوكباشي وامره بان صاحب هذا اللسان يقطعهُ مليح. وهكذا تم الحال في هؤلاء المساكين وباتوا بالسجن تلك الليلة (199[٧]) يا لها من ليلة سودا. وثاني يوم اخذوهم لبيوتهم وهم عميان خرسان. وكان الناقص يُسكب رصــاص في اذانهم فيصيروا طرشان ايضاً. وهذا الذي صار بسماح الله تعالى وهذه الحادثة صارت في سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م)

ومن بعد ذلك حصل الامير بغاية الراحة وضبط رزق الشيخ بشير جنبلاط. ثم هدم بيتهُ المعتبر ونقل جميع الرخام والبلاط والاخشاب وكل الآلات الموجودة بالعمار وصار البيت خراب. وربما متكلف عليهِ انوف من الف كيس. واولاده وحريمهُ هربوا لحوران. وبعده الاولاد الكبار حاشهم الباشا في عكا وبعــده ماتوا في عكا. قيل بالطاعون والاثنين الباقين احدهم راح لاسلامبول والثاني تعين في دولة مصر

تاريخ هجو في موت الشيخ بشير جنبلاط

ان المهيمن باستقامة امره	بالعدل جازى من تفاقم شرهُ
واماتهُ الموت المريع لبغيهِ	قتلاً بحدّ السيف ومحى ذكره
في حيث والده موسد جسمهُ	في ترب عكا التحق في اثره
ما زال دايم الدهور مخلدا	ابو ناكر ونكير ساكن قبره

في شهر شوال المبارك قد اتى خير المسرَّة في نهاية عمره
وهلاكه نفساً وجسماً مؤرخاً بجفير نار للعباد وحشره

١٢٤٠ (لهُ بقية)

ميمر
لتادرس ابي قرَّة
في وجود الخالق والدين القويم

توطئة

بين مخطوطات دير الرهبانيَّة الحلبيَّة الفاضلة للروم الملكيين الكاثوليك في دير الشير نسخة من ميامر اي مقالات « تادرس » او ثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان الشهير الذي تولى طبعها حضرة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلِّصي في مطبعة الفوائد سنة ١٩٠٥ بعد نشره في المشرق (٦ (١٩٠٣) : ٣٣٢) ذاك الميمر الفريد الذي عنوانهُ صحَّة الدين المسيحي. وكان حضرتهُ استند في طبع هذه الاثار الجليلة الى نسخة مخطوطة تُصان في دير المخلِّص تاريخها سنة ١٧٣٥ منقولة عن نسخة قديمة في دير مار سابا السيق قريباً من القدس الشريف كُتبت سنة ٦٥٥٩ لآدم اعني ١٠٥١ للمسيح في جبل اللكام فوق انطاكية

وفي سنة ١٩٠٨ اذ زرنا في دير الشير تلطَّف حضرة رئيسهِ المفضال وسمح لنا بمطالعة مخطوطات مكتبة ذلك الدير القديم فوجدنا بينها كتاباً يشتمل مجموعاً لميامر ابي قرَّة فنقلنا فهرس تلك الميامر لنعارضها بالميامر المطبوعة لعلَّنا نجد بينها ما لم يُنشر بالطبع. فلم يخب املنا. ودونك نتيجة هذه المقابلة

هذه النسخة المباركة خالية من التاريخ وانَّما يُستدلّ من ورقها ومدادها وكتابتها انها من القرن الثامن عشر. وفي اخرها ان الكتاب كان في « استعمال الاب الخوري مخائيل جربوع وقفاً مؤبدًا للرهبنة الحلبيَّة ». وعدد صفحاتها ١٦٦ صفحة. من قطع الربع تحتوي على خمسة ميامر اوَّلها (من الصفحة ٣ الى ٥٩) الميمر الذي نتولى نشرهُ في هذا العدد من المجلَّة ولا اثر لهُ في النسخة المطبوعة. ثمَّ يليهِ (ص٥٩–٩٩) ميمر « تحقيق ناموس موسى » المنشور في المشرق (وفي طبعة الاب ق. الباشا ص ١٤٠ – ١٨٠). ثمَّ يليها (ص ٩٩–١٢٨) ميمر ثالث جليل في بيان التثليث والتوحيد (في النسخة المطبوعة ٢٣–٤٨). والميمر الرابع (ص ١٢٨–١٥٦) موضوعهُ

موت المسيح (يوافق في النسخة المطبوعة ص ٤٨-٧١) . والميمر الخامس وهو الاخير (١٥٧-١٦٥) عنوانهُ « انهُ لا تُغفر لاحد خطيئة الّا باوجاع المسيح » (يوافق طبعة الاب ق . الباشا ٨٣- ٩١) فمن هذه المقابلة يظهر انَّ في النسخة المخلّصيَّة المطبوعة ما لا يوجد في نسخة دير الشير اعني الميمر الثاني في حرّيَة الانسان (٩ - ٦٢) ثمَّ الميمر الخامس في تحقيق الانجيل (٧١-٨٣) ثم السابع في « انَّ لله ابنًا هو عدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ » (٩١ -١٠٣) وفي اثر الميامر رسالة كتبها ابو قرّة الى صديق لهُ يعقوبيّ صار اورثذكيًّا (١٠٤-١٤٠) ثمَّ ردّ على من ينكر لله التجسُّد (١٨٠ -١٨٣)

فالاثر الذي ننشرهُ هنا يشبهُ كل تآليف ثاودورس ابي قرَّة بقوَّة برهانهِ وبلاغة كتابتهِ وبحسن اسلوبهِ في البحث وسياق ادلَّتهِ مقرّبًا للعقول المطالب العويصة فتتناولها دون عناء . امَّا لغتهُ ففيها شيء من خشونة ذاك الزمان الذي كُتبت فيهِ وكانت العربيَّة حديثة الانتشار بين نصارى هذه البلاد وهي مع ذلك لا تخلو من المزايا الحسنة كالوضوح والضبط وحسن الدلالة على المعاني

ولا حاجة هنا الى تعريف المؤلف وقد اثبتنا في المشرق (٦ : ٦٣٣ و ٨ : ٢٣٠)ما امكننا جمعهُ عن احوالهِ . وممَّا ثبت بعد ذلك بالتحقيق انَّ ابا قرَّة كان اسقفًا على الملكيين الكاثوليك في مدينة حرَّان المجاورة لِالرها في ما بين النهرين في القرن التاسع للمسيح وقد ذكرهُ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر (Hist. de Michel le Syrien, *ed. Chabot,* III, 29-34) ودعاهُ هناك « ثاودوريكوس فوجلا » ولعلَّهُ ترجم في السريانيَّة « ابا قرَّة » بالفجل (ܦܘܓܠܐ) تهكُّمًا لانَّ ابا قرّة كان من الدّ اعداء البدعتين اليعقوبيَّة والمنوثليَّة ولهُ اعمال كثيرة في اليونانيَّة في مجموعة مين (Migne, P. G. XCVII, col. 1468-1609) وغيرها في العربيَّة في خزانة الكتب الشرقية في لندن نشر منها أَرَنْدزن مقالةً في عبادة الصور وحضرة الاب لويس معلوف « مقالة في تأنس الله الكلمة » (راجع المشرق ٦ : ١٠١١-١٠٢٢)

وهنا نكرّر شكرنا لحضرة رئيس دير الشير الذي رخَّص لنا بنسخ هذا الاثر ولحضرة الاب يوسف خليل رئيس الاباء اليسوعيين في زحلة ولحضرة الاخ بوليكربوس الراهب الحلبي اللذين ساعدانا في نسخ هذا الميمر ل . ش

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

١ في وجود الخالق

اقول ان لنا عقولًا باطنةً واحواساً (وحواسَّ) خارجة اعني نظرًا بالعين وسمعاً بالاذن وشمًّا بالانف ومذاقاً بالفم وجسَّة باليد وفي غيرها من الاعضاء الجسدانيَّة . واقول انَّ العقل بهذه الحواس يدرك معرفة اجزاء طبائع هذه الدنيا التي تُرى

و تُجسّ اوَّلًا بمنزلة أني لم اكن عاينتُ البحر قطّ لجّتهُ ورأيتـهُ بعيني وسمعتُ صوتهُ باذني وشممتُ رائحتهُ بانفي وذقتهُ بفمي وجسستهُ بيدي ثمَّ ابعدتُ عنهُ فصار الذي ابصرتُ منهُ وسمعتُ وحسستُ بيّناً في عقلي من داخل راسخاً مطبوعاً فيهِ

ومعروف ان احواسي (حواسّي) لم توْدي (توْدّ ِ) الى عقلي من معرفة البحر الَّا جزءًا الانَّ بصري لم يوْدي (يوْدّ ِ) اليَّ منظره كلهُ ولا سمعي صوتهُ جميعهُ ولا شمّي ولا جسّي ولا مذاقي الَّا كذلك. وكلُّ ما نال عقلي بحواسهِ معرفة اجزاء البحر التي وصفنا. وكذلك رأيتُ انَّ عقلي ينال بها معرفة جميع الاشياء التي أُعاين اجزاءها من السماء والارض وما بينهما من الهواء والسحاب والامطار والثلوج ما يشبه ذلك والجبال واصناف الطير والبهائم ودبّابات الارض والاشجار والنباتات وذوات البحر وسائر ذلك من جميع الاشياء التي تقع الحواس (3) عليها

كذلك على هذه الجهة عاينتُ يوماً شجرة من شجر البلوط فيها قضيبان احدهما راكباً (راكب) على صاحبـهِ والريح يحرّكهما ويحتكّ احدهما بالآخر فاحتكّا حتى برزت منهما نار فاشتعلت فيهما. ورأيت عند ذلك ماء وبخارًا يخرجان منهما سوى النار التي رأيت فاحترقا وصارا رمادًا وتراباً فعرف عقلي بما عاينتُ انهُ كان في الغصنين نار وماء وهواء وتراب (١. وعرفتُ ايضاً انهما منها جُمعا وركّبا. وكذلك ايضاً رأيت حديدًا احتكّ بحجر فخرج بينهما نار فاحببتُ ان اجرّبهما فادخلتهما النـــار فرأيت كلّ واحد منهما عرق ماء وبخارًا واخيرًا بادا وصارا رمادًا وتراباً فعرفتُ انَّ هذين ايضاً مثل القضيبين من هذه الاربعة الاشياء رُكبا وجُمعا (١

هكذا على هـــذه الجهة اقول انَّ العقل الباطن لا يعرف اوَّلًا الطبائع باحواسهِ (بحواسهِ) الخارجة كالجهة الاولى لكن من دلالةِ اجزائها التي نال بمعرفتها من قبل باحواسهِ. بمنزلة اني عطشتُ يوماً وتناولتُ من ماء البحر جرعة لاشرب فلمَّا ذقتها ولم توافقني القيتها فنزلتْ منحدرةً حتى وقعت على الارض وعلمتُ من اني لا اقوى على شربها ومن اني ادخلتها فمي فاحتوى عليها ومن حيث القيتُها فنزلتْ حتى ادركتْ الارض ووقعت عليها انَّ جميع ماء البحر الذي عاينتُ والذي لم اعاين مثل

١) هذا محمول على زعم القدماء في العناصر الاربعة المعروفة بالامهات

هذه الجرعة لا اقوى على شربهِ وانَّ كلهُ (4) محدود محتوًى عليهِ وانـهُ نازل لا يقف حتى يجد شيئاً يحملهُ ويثبت عليهِ

كذلك جعتُ وتنـاولتُ طعامي من تراب لا اعلم ان كان يصلح لطعامي فأدنيتهُ من فمي فلمَّا لم يوافقني القيتهُ فلم يزل نازلًا حتى ادرك الارض فوقع عليهـا فعلمتُ من هذا الكيف انَّ الارض كلها ليست تصلح لطعامي وانَّها كلها محدودة محتوًى عليها وانَّها في طبيعتها منحدرة ابدًا حتى تجد شيئاً يحملها وتقوم عليهِ. هكذا استدلَّ عقلي على معرفة كمال الاشياء العظيمة التي لا تدركها الاحواس (الحواس) بكمالها من اجزائها

ولذلك ايضاً اقول انَّ العقل يدرك معرفة كمال كل نوع من انواع الحيوان من الجزء الواحد من النوع وايضاً من بعض الانواع معرفة جماعتها بمنزلة أني لم اكن رأيت قطّ ميتاً فرأيت جماعة اناس كثيرين ورأيت ميتاً فسألتهم: ما هذا. فقالوا: ميت. فحيث رايتهم يشبهونهُ في الطبيعـة اجمعين وقد حلَّ بهِ الموت استدلَّ عقلي من هذا الواحد انَّ الموت نازل بجميع الناس وهذا ليس من بصر عيني معرفتـهُ لاني لم ابصر جميع الناس موتى ولكن من الواحد منهم الذي استدللتُ بذلك منـهُ عليهم

وكذلك استدللتُ من غراب رأيتهُ ميتاً على الغربان اجمعين ومن عقاب واحد على العقبـان. وكذلك في البهائم من فرس وثور وكلب واحد على جميع الافراس والبقر والكلاب. وايضاً من هذه الانواع التي (5) ذكرت اعني من الانسان والعقاب والغراب والفرس والثور والكلب عرف عقلي انَّ الطير كلهُ والبهائم كلها ودوابّ البحر كلها وجماعة كلّ حيّ الذين لم اعاينهم ببصري موتى

على هذه الجهة عرفت ايضاً جميع الانواع النفسانيَّة وغير النفسانيَّة اعني الاشجار والنبات جميعاً والمعدنيَّة والحجارة التي لا تنبت انَّها من الاربع طبائع رُكِّبتْ لانَّ عقلي حيث عاين الشجرة الواحدة من البلوط عرف انها من النار والهواء والماء والتراب جُمعتْ استدلَّ منها على جميع شجر نوع البلوط انَّها من هذه جُمعت. ومن هذا النوع ايضاً استدلَّ على شجر نوع الأَرز والصفصاف واللوز والتين وعلى جميع الاشجـار والانبات النفسانيَّة انَّها من هذه الاربع طبائع رُكبت. كذلك استدلَّ من الحديدة

الواحدة على جميع نوع الحديد ومن نوع الحديد على جميع الانواع المعدنيّة ومن الحجر الواحد على جميع انواع الحجارة. وعلى هـذه الجهة من اجسام الاشجار النفسانيّة واجسام المعـادن والحجارة الغير النفسانيّة كلها استدلّ وعرف انَّ جميع اجسام اصناف الطير وانواع البهائم ودواب البحر واجساد الناس وكل جسد مركب انـهُ من الاربع طبائع جُمع وركِّب من النار والهوا والماء والتراب. الى هذا الموضع قد وصفتُ كيف نال (6) عقلي باحواسهِ (بحواسّهِ) معرفـة اجزاء الطبائع التي تُجَسّ وكيف نال من جزء كل نوع من الطبيعة معرفتهُ كلهُ وكيف نال من بعض الطبائع المعرفة على كلها

وبعد هذا رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ايضاً ان يعرف اشياء باطنة لم يحسّ منها بعينهِ شيئاً بتَّة جزءا ولا غير جزء ولكنهُ يستدلُّ عليها من آثارها ويعرف صفتها من فعلها بمنزلة أنني مررتُ على شطّ النيل يوماً ورأيت خشباً كثيرًا قـد قُطع من غيضتهِ ونُقل وصُيّر على شطهِ ولم اكن رأيتُ قطّ خشبة قطعت من موضعها النابتة فيه وقال عقلي: « انَّ هذه على غير طبيعتها وُضعت هاهنا لانهُ ليس لها في طبيعتها ان تقطع نفسها وتنتقل من موضع الى موضع » وعرفتُ من أني رأيتها على غير طبيعتها انَّ شيئاً اقوى منها قطعها بقوّتهِ ونقلها الى ذلك الموضع وان كنتُ لم اعاين ذلك الشيءَ. وبعد ايَّام ايضاً مررتُ بها فرأيتها قد نُشرت وعُمل منها سفينة فعرفتُ انَّ ذلك القوّي الذي جرَّها الى ذلك الموضع وعمل من صنعتهِ السفينة هو ايضاً حكيم

ومررتُ يوماً آخر بعد ذلك فرأيت السفينة في النهر مملوءة طعاماً فعرفتُ انَّ صاحبها القوي الحكيم ايضاً محتاج خبزًا لانهُ يخدم حيـاة اناس في البعيد فأنشأها هكذا. (ومن ثمَّ) رايتُ انهُ يمكن لعقلي ان يعرف من الاشياء الصنَّاعَ لها الذين لم اعاينهم بشيءٍ من الحواس (7) وانَّما عرفهم من اثارهم وفعلهم

فلمَّا علمتُ انهُ يُمكن الامر الذي لم يُبصر بالحواس بتَّة ان ينال معرفتَهُ من لا يراه وصنَّاعهُ على ما وصفتُ عرفتُ ايضاً انهُ يمكن للعقل من مثل معرفة هذا الوجه معرفةُ ما عُلم من كمال انواع الاشياء اي معرفة الخالق بمنزلة اننَّا علمنا ان الارض اجمع بكمالها محدودة من جميع نواحيها محتوًى عليها منصبَّة في الانحدار الى اسفل وهي من طبيعتها لا تنصبّ ولا تتحرّك فأمْرُها على احد وجهين امَّا ان تكون قائمة على جسدٍ

يحملها على ما يوافق طبيعتها واماً لا. فان كانت قائمة على جسد يوافق طبيعتها وجب ان يقوم ذاك الجسد على شيءٌ اخر والآخر على آخر وكذلك واحدٌ على واحد حتى يبلغ الف الف واكثر من ذلك. وليس لها بدٌّ من ان تنتهي الى واحد ليس تحتهُ شيء يحملهُ فتصير هي وما حملَهــا على غير طبيعتها قائمةً الساعة. فعلى اي الامرين حوّلت امرها اعني كان تحتها شيء او لم يكن فهي على غير طبيعتها قائمة. والآن كل شيء يوجد على غير طبيعتهِ فشيء آخر اقوى منــهُ قهرهُ وصيّرهُ بقوّتهِ على غير طبيعتهِ. ولمّا رأينا الارض قائمة على غير طبيعتها عرفنا انَّ شيئاً اقوى منها بقوّتهِ يحملهــا بلا محالة ونحن نرى قوّة هذا الشيء الحامل لها فوق الصفة لانَّ قوّتهُ تقدر تحمل الارض بكمالها وما عليها من البحار (8) والجبال وغير ذلك وهو لا يضعف ولأنها قامت كذلك ازماناً ودهورًا كثيرة لا تحصى ولا تفنى فهذا الشيء الحامل لها لا انتهاء لهُ

وايضاً على مثل ذلك عرفنا انَّ عظم قوّة هذا القوي من جهة اخرى اعظم من هذه. نقول انهُ عرفنا ايضاً ان كل ما على الارض وفي البحار من الانواع جميعاً بمنزلة الاشجار والانبات والحيوان والجبال وغير ذلك من المركّبين من الاربع طبائع جمع وركّب من الهواء والنار والماء والتراب. وكل مـا رُكب فأجزاؤهُ اسبق منهُ في الطبيعة وربّما كانت مع ذلك اسبق منهُ في الزمان ايضاً بمنزلة تركيب البيت المجموع من حجارة وطين وخشب ومسامير وغير ذلك التي هي اسبق منهُ في الطبيعة والزمان. ونحن نعلم انَّ الارض والماء على ما لزمتهما طبيعتهما قبل تركيبهما ان ينحدرا الى اسفل السافلين بلا ارتفاع . وعلى خلاف ذلك النار والهواء تلزمهما طبيعتهما ان يرتفعا الى اعلى العلاء بلا انحدار على غير تلاقٍ يكون بين هــذين وذينك الآخرين. فلمّا رأينا انَّ هذه العناصر الاربعة قــد ارتفعت الى الوسط واشتبكت ووجدنا انّ هذين قد انحدرا من اعلى العلو وذينك قد ارتفعا من اسفل السافلين على غير طبائعهما عرفنا انَّ هذا القويّ الذي لا توصف قوّتهُ امتــدّ بقوتهِ الى فوق فقهر المرتفعَين واحدرهما الى اسفــل وقهر ايضاً (9) السفلانيين واصعدهما وشبكهما في الوسط . فان قال قائل انّها لم تزل في الوسط فانّنــا نؤاتيه ونقول فان كان الامر على ما وصفت فهي مضبوطة من هذا القويّ على غير طبائعها

في الوسط ذانك لا يرتفعان وهذان لا ينحدران فعلى اي جهة اخذت امرها فالقوّة واحدة اعني التي حسبتها في الوسط والتي احدرتْ تلك من فوق واصعدت هذه من اسفل. اذاً قوّة هذا القوي في هذا الوجه اعظم من الاوّل ايضاً

وتُعرف على مثل ذلك قوّة هذا القوي وعظمُها وعدّتها من وجه آخر نقول انهُ لا يخفى انّ النار والهواء والماء والارض متضادّة في الطبيعة تأكل بعضها بعضاً وها نحن نراها مجتمعة في هذه الطبائع المركّبة على غير طبيعتها مصطلحة وعداوتُها فارّةٌ من ان نراها هكذا فعلمنا انّ هذا الشيء القوي هو الضابط لها بقوّتهِ والقاهر لها في كل شيء هي فيه من الجبال والاشجار والانبات والطير والبهائم والدبّابات ودوابّ البحر والناس ونحن نرى اذ نسرّحها ادنى طرفة عين انّها تضادّ بعضها بعضاً فيرتفع ذانك الى اعلى العلوّ والآخران ينزلان الى اسفل السافلين فتهلك الدنيا على ما ذكرنا في طرفة عين. فمن هذا الذي وصفنا من ثبات وصلح هذه الاربعة اجزاء في الاشياء وهبوط المرتفعين وارتفاع المنهبطين واشتباكها في الوسط (10) وقرارها وذلك كلهُ على غير الطبيعة عرفنا انّ هذا القوي الذي لا تُحصى قوّتهُ ولا توصف قدرتهُ انّهُ هو الضابط للكلّ

وايضاً ممّا راينا من هذا القوي انهُ جمع وركّب من هذه الاربعة اجزاء فوق الارض ما لا يُحصى ولا يُعدّ من كثرة انواع الاشجار والانبات والجبال والمعادن والطير والبهائم والدبّابات التي تدبُّ على الارض وفي البحار عرفنا انهُ حكيم لا تحصى حكمتهُ مثل قوّتهِ

وايضاً ممّا رأينا ورأيت من هذه الانواع التي ذكرنا ومن انّ السماء والارض والهواء والشمس والقمر والكواكب ومياه البحار والانهار والعيون وكل ما يرى هو خادم حياة هذا الانسان عرفنا انّ هذا القوي الحكيم ايضاً فيّاض خيّر لا يُحصى خيرهُ على قدر حكمتهِ وقوّتهِ

وايضاً لاننا راينا تسعة اعشار الناس اشرارًا لا يبيدهم ولا يؤاخذهم بل قد اوسعهم من خيرهِ مثلما اوسع الصالحين عرفنا انهُ فاضل بلا انتهاء

ومن انّنا رايناهُ قد امهل الاشرار لا يهلكهم بل يحتملهم عرفنا انهُ رحيم طويل الروح وان ذلك لِمَا يُرجى من عطفهم وتوبتهم. ولاننا راينا فيهم كفّارًا يفترون

عليهِ ولا يؤاخذهم عرفنا انهُ حَمول وصبور حليم لانهُ يترجاهم . ولاننا رأينا مَن كثُر شرُّهُ قد تغيَّر عليهِ واباد ذكرهُ من الارض عرفنا انهُ عادل ومعاقب كلًّا بسوء عملهِ

ولاننا راينا اشرارًا كثيرين انقلبوا من الدنيا في نعمة كثيرة لم يصبهم فيها سوء ولا مجازاة (11) شيء من عقوبة ما استوجبوا وراينا ايضاً صالحين انقلبوا من الدنيا باحزان ولم يروا فيها خيرًا ولا مكافأة باحسانهم ونحن نعلم انهُ عادل غير ظالم علمنا انهُ سيحشر الخلق ويبعثهم من الموت ويثيب الصالحين على قدر صلاحهم ويعاقب الطالحين على قدر ما استوجبوا

كذلك استدللنا على هذا الصانع وعلى صفاتهِ هذه التي ذكرنا من آثارهِ وافعالهِ

ونقول ايضاً انَّ هذا الصانع ليس من شيء قد كان عندهُ لم يزل معـهُ فوُجد صُنع هذه الاشياء بمنزلة النجار الذي لا يقدر يظهر صنعتهُ ان لم يجد خشباً او الحدَّاد حديدًا ولكن من لا شيء انشأهــا وابتدعها . فمن اجل ذلك ليس هو صانعاً فقط ولكن خالق . وبيــان ذلك من قياس الشيء الازلي والمحدث وخلافهما لانَّ الشيء الذي لم يزل لا يقبل تغييرًا ولا يفسد ولا يتلاشى ومن اجل ذلك هو دائم ابدًا . والشيء المحدث على خلاف هذا لانَّ اوَّل امرهِ واوسطهُ وآخرهُ على التغيير والفساد يجري اعني انه لم تكن فكان وهذا اوَّل تغيير وحيث كان فهو يقبل تغييرًا وفسادًا في انتقالهِ من شيء الى شيءٍ في حالاتهِ كلها واخيرًا يتغيَّر ويتلاشى ويصير لا شيئاً ويعود الى الحالة الاولى التي لم تكن . ومن ذلك عرفنا ان الذي لا يقبل تغييرًا ولا فسادًا في شيء هو ازلي والذي يقبل تغييرًا فهو محدث . ولانَّا رأينا هذه الاشياء كلها التي تُرى تتغيَّر من شيء الى شيء وتفسد (12) عرفنا انها محدثة مبتدعة لم تكن فكانت . وايضاً ممَّا نراها بمعاينة انها تُبيد بعضها بعضاً وتتلاشى وخاصَّة نعرف ذلك من اجتماع النار والماء لانَّ الماء القليل اذا أُلقي في النار الكثيرة يحترق ويبيد ويتلاشى فعلمنا من انَّهُ يتلاشى انَّ ملاشياً اتى بهِ وكذلك الماء والنــار والهواء والتراب وكل ما يقبل تغييرًا . كذلك اذن ذلك الصانع القوي الحكيم هو ايضاً خالق ومن لا شيء ابدع الاشياء وانشأها

فلما فرغ العقل من امر الخليقة وعرفها انها مبتدعة وعرف صانعها وخالقها منها كانهُ رفع نفسهُ الى خالقهِ فقال : قد عرفتهُ انهُ خالق فلعلهُ مع انهُ خالق هو ايضاً

مخلوق فاراد ان يعلم أمخلوق هو ام غير مخلوق فقال: ان كان مخلوقاً فمن آخر خُلق. والآخر يقع عليهِ الشكّ انهُ من اخر والآخر من آخر وهكذا واحد من واحد حتى يبلغ الالف الف واكثر من ذلك. ولا بدّ من ان نقف على واحد خالق غير مخلوق. فلمّا وُجد خالقٌ غير مخلوق احبّ ان يعلم اهو هذا الذي خلقنا او غير الخالق لنا فقال: ان كان بعد الخالق الاعلى (13) مخلوقون يخلقون ليس لهؤلاء ايضاً ان ينتهوا الى مخلوقين لا يُخلقون بمنزلة الناس. فراى انهُ قد ادرك بمعرفتنا الخالق الغير مخلوق الاعلى ومعرفة المخلوق الغير خالق الاسفل يتعين لا شكّ فيها

فاراد ان يعلم ان كان المخلوقون الخالقون الذين ادخلهم الشكّ في الوسط موجودين او غير موجودين فعرف انهم غير موجودين لانهُ لا شيء مخلوق وخالق معاً. وذلك انهم لو كانوا موجودين قد كان كل واحد منهم خلَق مثلهُ اعني كل واحد منهم قد كان مخلوقاً وخالقاً. ولانهُ لاشيْ من الاشياء بتّةً يخلق مثلهُ فليس اولئك موجودين. وبيان ذلك انهُ لا شيء يخلق مثلهُ فالانسان المخلوق لا يستطيع يخلق مثلهُ والله الذي يستطيع كل شيْ لا يستقيم ان يخلق مثلهُ فان كان الانسان والله اللذان نعرفهما (ومنهما الله الذي يستطيع كلًّا) لا يخلقان مثلَهما فلا شيء يستطيع يخلق مثلهُ. والّا فقد صار اعظم قدرةً من الله. فاذ لم يكن شيء يقدر يخلق مثلهُ فالمخلوقون الخالقون لمثلهم الذين كان الشكّ ادخلهم في الوسط ليسوا بموجودين. اذ ليس الّا خالق غير مخلوق ومخلوق غير خالق. وكلاهما ليس في وسطهما شيء اخر

والخالق منهما فهو هذا الذي خلق الدنيا ونحن خلقتُهُ وقد عرفنا انهُ الاهٌ لم يزل غير مخلوق وخالق كل شيْ من لا شيْ لا خالق غيرهُ. قويٌّ ليس لقوّتهِ انتها. حكيم فيّاض جواد فاضل رحيم طويل الروح صبور حمول عليم عادل باعث الموتى محيي مُجزئ الصالحين بصلاحهم والطالحين بطلاحهم

فان قال قائل انك قلت انهُ لا يأْتي شيْ من الاشياء بمثلهِ. وها نرى الانسان يأْتي بمثلهِ. فانّنا نجيبهُ اننا لم نقل انهُ لا يأْتي الشيْ بمثلهِ (14) ولكنّا قلنا انهُ لا شيْ من الاشياء يخلق مثلهُ فامّا الانسان فقد علمنا انهُ يأْتي بمثلهِ في الميلاد ان احبّ. وامّا ان يخلق فقد علمنا انهُ لا يستقيم لهُ. وان كنّا تركنا الفحص عن ذلك ها هنا. لان هذا الموضع ليس بموضعهِ. لان ارادتنا ليس الّا التثبيت ان الله موجود من غير خلائقهِ

فقط. وانَّ على هذا الاله وعلى صفاتهِ هذه دلّت طبائع عقولنا من آثارهِ وافعالهِ

فلمّا عرفتُ ذلك منها احببتُ ان نعلم ايضاً وجهاً آخر أهذا الخالق هو واحد او اكثر من واحد او هل في هذه الطبائع دلالة الى شيءٍ من ذلك. فالتمستُ إن نجدهُ لانها لا تدلّ على شيءٍ من ذلك. وبمنزلة انّنا كنّا جماعةً نسير في طريق انتهينا الى كرم ورأينا رجلًا يجمع حجارة ويسيّج الكرم وقد اسرع في بنيانهِ. وتقدّمنا قليلًا ورأينا كرماً آخر وابصرنا رجلين متفقين يسيّجانهِ ايضاً احدهما يجمع حجارة ويناول صاحبهُ والآخر يبني وقد اسرعا فيهِ. وتقدَّمنا ايضاً قليلًا فلقينا كرماً آخر فيه عشرة رجال قد اتفقوا في بناءِ سياجهِ فمنهم من ينقل حجارة ومنهم من يناول ومنهم من يبني وقد اسرعوا فيهِ. وتقدمنا قليلًا آخر. فاصبنا كرماً قد سُيّج وفُرغ منهُ. وليس عندهُ احد فسأل بعضنا الجماعة: كم ترون رجلًا بنوا هذا السياج . فاجابهُ رجل شيخ منّا وهو رجل حكيم (15) وقال لهُ: امّا ان تكون تعلم ان لهذا السياج صُنّاعاً بلا شكّ وانهُ يحيط هذا الكرمَ بناء فنحن نعلم ذلك لان بناءهُ يدلّ على ذلك وامّا كم من رجل بناه فليس فيهِ اثر ولا دلالة على ذلك لانهُ يستقيم ان يبنيه واحد او اثنان او عشرة اذا اتفقوا على ما قد رأيناهُ في الكرم الذي مررنا بهِ . كذلك اذًا تعرف عقولنا من هذا الخلق ان لهُ خالقاً مع صفاتهِ تلك التي وصفنا لان اثر ذلك فيهِ على ما قد اثبتنا. فأمّا ان يكون الخالق واحدًا او اثنين او اكثر من ذلك فليس في الخلائق من وجه الآثار والافعال الدلالة على ذلك على ما جرى عليهِ مثال سياج الكرم. اذًا ليس تدلّ الخلائق على الخالق انهُ وجه واحد فَرْد من هذا الوجه

٢ً في الدين القويم

ثم انّ طبيعتنا تعلمنا آية رسل الله وكتبهِ الحقّ التي جاءت من عند الله وأيهم دينهُ الحقّ الذي يجب ان يُعبد عليهِ مع صفاته الكاملة وايّهم امرهُ ونهيهُ وثوابهُ وعقابهُ

الحق اقول اني نشأتُ في جبل لم اعلم ما من الناس فيهِ. فنزلتُ يوماً لحاجة عرضت لي الى المدائن وجماعة الناس فرايتهم في اديان مختلفة فدعتني منهم فرقة هي على دين الحنفاء الاولين الى الدخول معهم فزعموا انهم يعبدون السبعة الكواكب الشمس والقمر وزحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة والاثني عشر برجاً لانهم

هم الذين يخلقون ويدبرون هذا الخلق ويعطوهُ (ويعطونهُ) البخت الصالح والنعيم في الدنيا (16) والبخت السوء والشقاء وان نبيّهم في ذلك هرمس الحكيم

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المجوس فقالوا: دع هؤلاء ليس هم على شيء ولكن هلمّ الينا لان ما في ايدينا هو الصواب . وذكروا ان الههم الكبير يقال لهُ ذروان وان ذروان هو البخت وانهُ قبل ما يخلق الدنيا ضحّى الف سنة ليولد لهُ ولد وان امرأتهُ حبلت بابن يقال لهُ هرمزد وانّهُ لمّا حُبل بهِ سبعمائة سنة كان ذروان ابوه شكّ انهُ لم يُحبَل بهِ وانّ شكّهُ ذلك صيّر في بطن امرأتهِ ولدًا اخر هو الشيطان. وان ذروان علم بهِ فقال: ايُّ اولادي يبصر اوّلًا وجهي ايّاه اعطي الملك. وان هرمزد علم بذلك وهو في بطن امّهِ واخبر بهِ الشيطان وان الشيطان لمّا علم ذلك ثقب بطن امّهِ وخرج من جنبها فجاء حتى وقف بين يدي ابيـهِ وهو ظلمة اسود الوجه سمج فقال لهُ ابوه: من انت. فقال لهُ: انا ابنك الشيطان الذي صار لك من الشكّ فأعطني الملك على ما قلت. فحزن ذروان ولانهُ لم يحب ان يرجع عن كلمتهِ اعطاه الملك على هذه الدنيا سبعة الاف سنة. وان هرمزد ولدتهُ امـهُ الى تمام الف سنة فخرج ضوءًا حسناً جميلًا وانهُ خلق السماء والارض وما بينهما من انواع الطبائع على ما نرى الدنيا عليهِ من الحسن والبهاء الّا انّها كانت مظلمة ليس فيها نور فحزن واستشار الشيطان في (17) ذلك فاشار عليهِ ان ينكح امّهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت الشمس لضوء النهار وايضاً ان ينكح اختهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت القمر لضوء الليل وان المجوس لذلك ينكحون امّهاتهم واخواتهم وبناتهم ليلدن بنين مثل الشمس والقمر مثل هرمزد الاههم هذه صفتة آلهتهم وان مثل هرمزد قد اذن لهم ان يتناولوا جميع ما طاب لهم من شهوات الدنيا لانهُ من اجلها خلقهم. وزعموا ان نبيّهم الذي اتاهم بهذا الحقّ زَرَدَشت

وفارقتُ هؤلاء فلقيني قوم من السامرة وقالوا لي: لا تلتفت الى هؤلاء ولكن تعال الينا فانهُ لا احد على الحقّ غيرنا نحن اولاد ابراهيم واسحاق ويعقوب احبّاء الله الاه السماء والارض وقد كان اوعد (وعد) اباءنا ان يخلّص زرعهم من ارض مصر ويورثهم ارض فلسطين ففعل وذلك على يدي موسى النبي فانهُ بعثهُ الى فرعون فضربهُ واهلَ مصر بتلك الاعاجيب والآيات فاخرج اباءنا من يديهِ قسرًا وشقّ لهم البحر وغرق

فرعون واجناده واخرج اباءنا الى البرية واطعمهم المنّ والسلوى وفجر لهم المياه من الصخرة واعطاهم ناموس الله يحلّ عليهم الحلال ويحرم الحرام عليهم واهلك فلسطين ودفع اليهم اراضيهم ونحن اولادهم حتى اليوم فما دمنا لهُ نحفظ الناموس فهو يحسن الينا واذا خالفناه عاقبَنا واشقانا في الدنيا فللمحسنين منّاً حياة (18) صالحة في الدنيا وللمسيء الشقاء. فاذا ما فارقنا الدنيا فهو الهلاك الى الابد فلا قيامة

ففارقت هؤلاء. فلقيني قوم من اليهود فقالوا: لا تلتفت الى هؤلاء ولا تدخل معهم لانهم على ضلال فاماً ما خبّروك بهِ من ان الله الاه ابراهيم واسحق ويعقوب وانهُ وعدهم في زرعهم ما وعدهم وبَعْثهُ موسى واخراجهم من مصر وادخالهم ارض كنعان فالذي خبروك من ذلك فهو الحقّ قد كان ومضى واماً قولهم انهم زرع ابراهيم واسرائيل فهم في ذلك كذَبة بل هم قوم من المجوس واماً زرع ابراهيم واسرائيل فنحن. وحقًّا انَّ الله ورَّث اباءنا ارض اسرائيل ومكثوا فيها الفاً وخمسمائة سنة ملوكاً في نعمة لا يشبهها نعمة وانهم اخطوا (اخطأوا) فغضب الله عليهم ودفعهم الى ايدي الامم واجالوهم (وجلوْهم) عنها ولكن قد وعد اباءنا ان يبعث الينا المسيح فيجمعنا من اطراف الارض الى ارض اسرائيل ويشرّفنا على ما كنّا عليهِ في الامر الاول وان يسلطنا على الامم ويقيم موتانا ويجمعهم ايضاً الينا ويامر الارض فتخرج لنا الخبز المخبوز والاثمار الطيبة بغير عناء ولا شقاء وعملٍ مع كل نعمة وشهوة نشتهيها الى الابد والله لا يكذب وهذا الامر كائن ونحن منتظروهُ فلا تدخلنَّ مع احد الّا معنا لانهُ لا دين غير ديننا

ففارقتهم ولقيني قوم من النصارى فقالوا : لا يظلنك (يضلّنك) قول اليهود لان الله قد بعث (19) المسيح الذي يذكرون فلم يقبلوه وقد غضب الله عليهم وبدَّدهم في جميع آفاق الارض وهم هالكون الى الابد ورجاؤهم باطل. ولكن عليك بدين المسيح وتعليمهِ وذلك ان الله آب وابن وروح قدس الاه واحد ثلاثة وجوه وجوهر واحد وفي هذا الجوهر الاه واحد وهذا الدين الحقّ الذي اعطانا المسيح ابن الله في الانجيل وقد حلّل لنا الحلال وحرم الحرام ووعد انهُ يبعث الموتى ويكافئ المحسنين بملك السماء ويجزي المسيئين جهنم فلا دين حقّ الّا ديننا فلا يغرَّنكَ احد

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المنانيين وهم الذين يقال لهم الزنادقة فقالوا: اياك

ان تتبع النصارى او تسمع قول انجيلهم لان انجيل الحقّ في ايدينا قد كتبهُ الاثناعشر السلّيحيون ولا دين الّا ما في يدنا ولا احد نصراني غيرنا ولا احد يعرف تفسير الانجيل غير ماني صاحبنا. فقد علمنا انهُ قبل ان تُخلق الدنيا كان إلاهان مختلفان في جوهرين احدهما نور خيّر وهو الاه الخير والآخر شرير ظلمة وهو الشيطان. وقد كان في البدء كل واحد منهما في بلادهِ فنظر الظلمة الى النور والى بهائهِ وحسنهِ فاشتهاهُ فوثب عليهِ فقاتلهُ يريد يسبيه واذا النور جاهده في القتال فاشرف الظلمة على غلبة النور. فلما خشي النور على نفسهِ قطع منهُ قطعة فالقاها اليهِ واذا الظلمة ابتلعها (20). وان السماء والارض وما بينهما من الخلق من طبيعة الظلمة ومن القطعة التي القاها اليهِ النور من طبيعتهِ تكوّنت على وجه الاشتراك بمنزلة ان الانسان مخلوق من نفس باطنة وجسد ظاهر وزعموا ان النفس من طبيعة النور والجسد من طبيعة الشيطان المظلمة وكذلك حال الاشياء كل ما فيها طيباً منعماً فهو من طبيعة النور وما ليس بطيب او ضارّ فهو من طبيعة الظلمة بمنزلة أنّ الماء يغرق من انغمس فيهِ ويحيي من شربهُ وينعمهُ فالجزء الذي يحيي منهُ فهو من النور وما يحرق ويهلك فمن الظلمة. فاماً الحيات والعقارب والاسود والنمورة والدبّابات وما يشبه ذلك فتلك جميعها من الظلمة. هذا اصل الدين وصفة الهتهم. فاماً في الحلال والحرام فانهم يقرّرون شهوات الدنيا لمن يشاء فينعم فيها على ما يشاء ولا يأمرون بتزويج بل من اشتهى امرأة فهي لهُ وكذلك المراة للرجل. ويفسرون الانجيل على مثل هذا التفسير ويزعمون ان قول المسيح: « من سألك فاعطهِ ومن سألك من المساكين صدقة فتصدق عليهِ » ليس هذا هكذا لان الذي قد اشقاه الله من المساكين في الدنيا لا يحلّ لاحد ان يصلهُ بشي ولا يتصدّق عليهِ والّا فقد خالف الله الذي يريد ان يشقيهُ وهو يريد ان ينعمهُ لان الله لو شاء ان ينعمهُ لكان قد اعطاهُ مالاً مثلهُ ولم يحوجهُ اليهِ ولكن تفسير (21) كلمة المسيح « من سألك فاعطهِ » فهو الرجال والنساء يقول للمرأة: كل من سألكِ نفسكِ من الرجال فلا تمنعيه وكذلك للرجل من سألك من النساء نفسكَ فاعطِها اياها. هذا ومثلهُ تعليمهم في الحلال والحرام وفي امر اللاهوت

وفارقت هؤلاء فلقيني قوم من المركيونيين فقالوا: لا تلحق هؤلاء لانهم في اثم كبير بل تعال الينا لان انجيل الحقّ في يدنا وصاحبنا مركيون هو كان اعظم الناس بهِ

وبتفسيرهِ وقد وصف لنا وعلّمنا امر اللاهوت وذكر ان الالهة ثلاثة: واحد منهم غيور عادل في الحقّ لا يحتمل الخطأ ولا لمن عملهُ عنـدهُ رخصة او رحمة دون العقوبة بما استوجب وهو الاه العتيقة الذي بعث موسى وصنع بمصر ما صنع. والثاني إله طيّب رحوم خيّر يفيض بخيرهِ ولا يعاقب احدًا وهو المسيح. والثالث ظالم شرير غاية كل خبث وهو الشيطان

وفارقت هؤلاء ولقيت بَرْديصان فقـال لي: لا تسمع قول قوم ليس هم على شيءٍ تعال اليَّ الآن لاني انا ما في يدي هو الحقّ. أُخبرك ان الالهة خمسة ازليّة. اربعة منها غير عقلية والخامس عاقل وان هذا العاقل قوي بعقلهِ على الاربعة فقهرها وخلق منها الخلائق. يعني بالاربعة الغير عقليّة النار والهواء والماء والتراب. والعاقل هو الذي انشأ منها طبائع الدنيا بحكمته

وفارقت هؤلاء ولقيني اخيرًا (22) قوم من المسلمين فقالوا: لا تسمع قول احد ممَّن لقيتَهُ لانهم اجمعين كفّار مشركون بالله ولا دين الّا دين الاسلام بعثـهُ الله الى الناس كافّة على يدي محمّد نبيهِ وهو يدعوك ان تعبد الله وحدهُ ولا تشرك بهِ شيئًا ويأمرك بالحلال وعمل الخير وينهاك عن الحرام وعمل السوء وقد وعد ان يبعث الموتى وثوابُ المحسنين جنّة يجري من تحتها انهار من ماء ولبن وعسل وخمر لذّة للشاربين ونساء حور عِين لم يطأهنَّ الجنّ والانس للنعمـة معا يشتهي الانسان من الطيبات كلها في قصور من زمرّد وياقوت وذهب وفضة وغير ذلك من مثلهِ الى الابد ووعد للمسيئين جهنم لا تُطفأ نارها

فلما لقيوني (لقيني) هؤلاء كلهم بحيث تفكّرتُ بقول كل واحد منهم ورأيت جملتهم متفقين في ثلاثة اشياء ومختلفين ايضاً فيها. فامّا اتفاقهم فكلّ واحد يدّعي انَّ لهُ الاهاً وانَّ لهُ حلالًا وحراماً وايضاً ثواباً وعقاباً الّا ما كان من او احد واثنين. واماّ خلافُهم فانهُ يختلفون في صفات الهتهم وفي حلالهم وحرامهم وفي ثوابهم وعقابهم فاعدتُ النظر ايضاً وقلتُ انهُ يشبه الله في طيبهِ وفضلهِ حيث رأى خلقهُ قد زاغ عن عبادة الحقّ ان يبعث اليهم رسلًا وكتاباً يبصِرهم ذلك ويردّهم اليهِ عن خطاياهم وقد جاء من جاء من كثرة الرسل والكتب واختلافها وامرُهم على احد وجهين: اماّ ألّا يكون فيهم ولا (23) واحد جاء من عند الله واماّ ان كان فيهم احد فهو واحد.

ويشبه ان يكون فيهم واحد مما يعرف من فضل الله وعنايتهِ بامر خلقهِ . ولكن كيف الحيلة الى معرفة هذا الواحد ؟

فرايتُ ان امري يشبه امر ابن ملكٍ قد كان لهُ اب ملك وكان ابوه محزوناً محتجباً لم يبصرهُ احد قط الّا اهل المودّة والخاصّة بهِ فأتتهُ حاجة في بعض البلدان فبعث ابنهُ فيها وهو حدَثٌ وبعث معهُ طبيباً كان لهُ ليحافظهُ من العاهات العارضة وصيَّر لهُ ايضاً وزيرًا لم يكن ابنهُ عاينهُ قط ولا الطبيب . فسار حتى انتهى الى تلك البلاد فضيَّع الطبيب وتهاون الغلام بنفسهِ فمرض وسقم وعرف ابوه ذلك فلم تدَعْهُ مودتهُ ترك ابنهِ ولا تضييعهُ فكتب الى ابنهِ كتاباً فيه ثلاثة اوجه واحد منها يصف فيهِ صفة نفسهِ . والثاني يصف للغلام صفة مرضهِ ومن اي العاهات دخل عليهِ المرض وينهاهُ عنها الّا يتناولها . والثالث يصف لهُ دواء ويعلمهُ كيف الشفاء وكيف ينبغي لهُ ان يدبر نفسهُ في صحّة نعيم لا يزول فلا يصيبهُ سقم ولا عاهة ابدًا . وامرهُ بشربهِ بعد الصحّة . ودعا الملك بعض رسلهِ ودفع اليهِ كتابهُ وامرهُ بالمسير الى ابنهِ ودَفعهُ اليهِ . فقبض الرسول الكتاب وسار بهِ الى الغلام . وكان للملك اعداء وحسَدة كثيرون لم يكونوا (24) يقدرون على ضرّه في شيءٍ لحال عزّه فلما عرفوا ان ابنهُ قد مرض وان اباه اهتمَّ بهِ وانهُ بعث اليهِ في ذلك رسولًا وكتاباً وجدوا فرصةً ان يقرصوا الملك ان قدروا في ابنهِ فعجّل كل واحد فهي (فهيَّأ) رسولًا واختلق كتاباً مبهرجاً على لسان الملك يعلمهُ فيهِ صفة الملك اي صفتهُ كذباً وينهاهُ عمَّا ينفعهُ ويامرهُ بما يضرّهُ وبعث اليهِ دواء اذا شربهُ قتلهُ . فقبض رسلُهم كتبَهم وساروا فوافوا قبل ان يدفع رسول الملك الحق كتابهُ . فتوافوا عند ابن الملك اجمعين ودفعوا كتبهم فقرأها فاذا هي مختلفة كلها في صفات الملك وفيما امرهُ ابوهُ ونهاه عنهُ وفي الادوية ايضاً . فدعاهم واجتمعوا عندهُ فبدر واحد منهم وقال : انا رسول الملك اليك بهذا الذي دفعت اليك . فقال الاخر لابن الملك : كذب ما هذا رسول الملك ولكني انا رسولهُ بكتابه الذي دفعت اليك . فقال آخر : قد كذب هذا وهذا انا رسول الملك . وصار كل واحد منهم يكذّب صاحبهُ ويكذبهم اجمعين ويثبت نفسهُ . ورسول الحقّ بينهم يكذبهم ويكذبونهُ وقد صار كواحد منهم . فقال لهُ الطبيب : سرّحهم الآن وانا افرز لك امرهم لاني طبيب واعرف هذه الاشياء لانها صناعتي واذا

اختلفت فليس فيها من الملك ان كان الّا كتابٌ واحد وقد اتوا اجمعين في كتبهم بثلاثة اوجه: الواحد إعلام الملك اياك صفاته. والثاني اعلامهُ اياك العاهات التي مرضت منها ونهاك عنها وارشادك الى الحال التي تُصحّك. والثالث الدواء الذي يصحّك وينعمك في حياة دائمة بلا مرض ولا سقم ابدًا. وانا على ما ذكرتُ لك طبيب واعرف ايضاً عاهات الامراض التي تسقم والحالات التي تصحّ واعرف صفات ابيك من شبهك لانك ابنهُ وان كنت لم تره. فهلمّ بنا اوّلًا لننظر في ادوية هؤلاء الرسل وفيما ينهاك عنهُ الملك ويأمرك بهِ في كتبهِ وصفاتهِ نفسه فالذي معهُ الدواء المنعم الى الابد وفي كتابهِ صفات العاهات التي اعرفها تمرّض فنهاك عنهـا والتي تُصحّ فأُمرت بها وصفات ابيك التي اذا قسناها وافقتْ شبهك فهو رسول ابيك الحق قبلناه والذي خالف ذلك رمحناه. فجمعوا الادوية فنظر الطبيب فيها فاذا كلها مختلفة وجماعة تنهي ابن الملك عما ينفعهُ وتأمره بما يمرّضهُ ويسقمهُ الّا ذلك الكتاب الواحد الذي كان معهُ الدواء المنعم الذي كان ينهاه عما يمرضهُ ويامرهُ بما يصححهُ. وايضاً فيما كان وصف الملك نفسهُ فيها فقاس الصفات كلها الى صفات الغلام فاذا ليس فيها صفة تشبههُ الّا الواحدة التي كانت في الكتاب الذي فيهِ صفة امراضهِ الحقّ والدواء المُنعِم. فاتخذ هذا الكتاب والدواء وعمل بهِ واقام عليهِ ودعا صاحبهُ واعلمهُ انهُ رسول الملك الحقّ واظهر كذب اولئك ودفعهم اجدَّ الدفع واقصاهم عنهُ

فالملك المحزون الله تبارك وتعالى وابنهُ آدم وذريتهُ الذين خلقهم والطبيب العقل الذي أُعطيهِ ليعرف بهِ الله وبهِ يعرف الخير ويعمل بهِ ويعرف الشرّ وينتهي عنهُ. وتضييع الابن للطبيب ووقوعهُ في المرض تضييع آدم نفسهُ للعقل ووقوعهُ في الخطيئة وخروجهُ من الجنة الى الارض وتصييرهُ مائلًا الى حياة الدنيا مثل البهائم. وبعثهُ اليه رسولًا اي بعث الله رسولًا بحق الى خلقهِ بكتابٍ يعلمهم فيهِ صفتهُ الحقيقيّة التي يجب ان يُعبَد عليها ونهيهُ اياهم عن كل سوء وقبيح وامره اياهم بعمل الخير في الدنيا وسعادة الصالحين في الاخرة نعيمهُ الذي لا يزول ووعد الطالحين جهنم التي لا تُطفأُ نارها فذلك الدين الواحد الحقّ

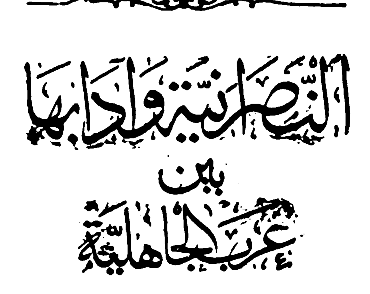
واعداء الملك الذين ارادوا ان يغيظوا الملك بابنهِ وهيّأوا رسلًا وكتباً وبعثوا اليهِ يهلكوهُ فهم الشياطين قد فعلوا ذلك وقد جاء رسول الله وكتابهُ الحق الى

الدنيا فاجتمعوا على الانسان كل واحد يكذّب اصحابهُ ويدعو الى نفسهِ. وفيهم رسول الحقّ وهو الى (27) الساعة كواحد منهم غير معروف وهم الذين وصفتُهم فوق اي الذين لقوني واحدًا واحدًا حيث انحدرت من الجبل يدعوني كل واحد منهم الى نفسهِ اعني الحنفاء والمجوس والسمرة واليهود والنصارى والمنانيـة والمركيونيَّة والديصانيَّة واديان اخر اكثر من هذه واختلاف كثير في الدنيا الّا انّنا اختصرنا على هذه الثمانية اديان او التسعة التي ذكرنا واخبرنا الى ماذا دعا كل واحد منها من صفات الله والحلال والحرام والثواب والعقاب. والان ينبغي لنا ان نصنع كما صنع الطبيب الحكيم وندع الكتب ناحيةً ونسأل العقـل: كيف عرفتَ صفات الله التي لا تبصرهـا الحواس ولا تدركها العقول من شبه طبيعة الانسان وكيف منها ايضاً الخير والشرّ والقبيح والجميل والثواب الذي ينعمها الى الابـد وخيرها وشقاوتها الدائم. واذا اخبرنا بذلك وعرفناه قسنا هذه الكتب التي علمنا فالكتاب الذي نجد فيهِ ذلك عرفناهُ انهُ من الله واقررنا بهِ وقبلناهُ ورمحنا ما سواه

نقول ان عقولنا تستطيع ان تُبصر الله الذي لا يُبصر مع صفاته الذي يجب ان يُعبد عليها من شبه فواضل طبيعتنا بالارتفاع عنها على الخلاف. وذلك على مثل هذه الشبهة نقول بانهُ ليس احد من الناس يقدر ينظر الى وجه نفسهِ بعينهِ الّا من شبههِ بمنزلة الرجل الذي ينظر (28) الى المرآة فيبصر وجههُ من شبههِ الذي فيها. ومعروف انهُ اذا فعل فقد ابصر الشيءَ الذي لا يُبصَر في جميع صفاتهِ بشبههِ فالوجهان يشتبهان فيها بمنزلة لو انهُ جاءنا رجلان غريبـان احدهما يعرف الرجل الذي نظر في المرآة والاخر لا يعرفهُ ونظر الى الوجه الذي في المرآة قد كان الذي يعرفهُ يستبين ويعرف ان هذا وجه فلان والذي لا يعرفهُ اذا رآه عرف انهُ الوجه الذي كان في المرآة. اذن يستدلّ العقل بذلك في ذلك وبذلك على ذلك وبكل واحد منهما على صاحبهِ لا يشتبهان والحالة التي فيها لان وجه الرجل بعينهِ يرتفع عن الشبه الـذي في المرآة بالخلاف لانهُ موجود وذلك على الخلاف لانهُ موجود وهو ايضاً يبصر ويسمع ويشمّ ولا يفعل شيئاً من افعـال ذلك الوجه اذ يبصر شيئاً لا يبصر من شبههِ وان كان يرتفع من شبههِ بالخلاف

كذلك نقول اذا اطّلعنا بعقلنا في طبيعة آدم ورأينـا فواضلها رأينا الله منها

وعرفناه بحقّ لانهُ شبههُ الّا انّ الله يرتفع عنها بالخلاف لوجه الرجل بعينهِ في الشبه.
وذلك هكذا نقول لطبيعة آدم فواضل ومناقص بمنزلة ادم في طبيعتهِ اليوم موجود
وغدًا ليس بموجود وايضاً حيّ وميت عالم وجاهل حكيم وغير حكيم قوي وضعيف
وكذلك جميع صفاتهِ زوجاً زوجاً تلك فواضل وتلك مناقص نقول انهُ في مناقص
طبيعتهِ لا يُدرِك (29) الله ولا الله شبههُ واما في فواضلها فهو يشبه الله ليس فيهِ
فضيلة الّا وانك ترى الله فيها وتراها في الله لانها من الله جرت اليهِ بمنزلة الشبه الذي
كان في المرآة اذ لم يكن فيها شجة وهي شبه الرجل لانهُ من وجه الرجل جرى اليها
كل ما فيها وهكذا ننظر الله في فواضل طبيعة آدم (التتمة لعدد آخر)



للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصِّرة (تابع)

٢٠-٢١ ﴿ السكاسك والسَّكُون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١)
« ومن قبائلهم السكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن
كندي (١)». ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرَّ ذكر نصرانيتها
ونصرانيَّة صاحبها أُكيدر السكوني. وقد صرَّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩)
بنصرانيَّة السكون قال: « وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وَبَرة يتداولونهُ مع
السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيَّة
وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون ».
وكان السكون والسكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت محالفين لبني الحرث بن

١) والصواب ما قالهُ ابن دريد سابقاً (ص ٢١٨) « كندة هو كندي واسمهُ ثور »

كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولمّا ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبيّ الاسلام كان السكون والسكاسك من انصارهِ (١ وكذلك نراهم يحاربون خالدًا مع بني كلب وغسّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيّة قال المطهَّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (éd. Huart, III, p 208): « واوَّل من دخل الشام سليح وهم من غسّان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيّة وملّك عليها ملك الروم رجلًا يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك ». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣:٢١٦): « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فملّكها الروم على العرب الذين بالشام ». وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١:٢٩٨): « تنصَّر... من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم». وقبلهم الطبري في تاريخه (١:٢٠٨١) جعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون ايضاً بالضجاعم او الضجاعمة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨:٣٧٣): « ضجعم ابو بطن من العرب وهو ضجعم بنْ سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران ». وقد ذكر الطبري (١:٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبولة المعروف باللثق وكان نصرانيًّا (٢ وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩): « يضاف اليهِ دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل.. قال في التاج (١:٣٢٨): « هما شيبانان: احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ. وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ ». ونصرانيّة القبيلتين شائعة كنصرانيّة جذرهما بكر بن وائل. وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانيّة انتشارًا تامًّا. وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٣-٢٠٠٤

٢) اطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 251-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة) . ومن شيبان كان حارث بن عبَّاد سيّد شيبان في حرب البسوس وقرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط ومحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربهِ في العقد الفريد (٣:٨٨–٨٩) وابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٥٠) . وقد صرَّح ابن عبد ربهِ هناك بنصرانيَّة بسطام ويدعوهُ ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانيَّة الحنفاء . ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن . وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) نصرانيتهُ . وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : «كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانيًّا وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة» .

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم . ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلقة

٢٥ ﴿ طيّ ﴾ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارةً واثبتها على خطوب الزمان . اصلهم من اليمن ينسبون الى طيّ بن ادد بن كهلان . وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيّ وهما أجا وسلما وكانوا يسكنون في اطراف اليامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون اولًا بالوثنية . وقد ذكروا لهُ صنماً كانوا يعبدونهُ يسمى الفُلُس او الفَلْس لم يتفقوا في تعريفهِ . وما لا يُنكر انَّ النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم . قال ابن واضح اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب ... من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » فجعل طيّئاً في مقدَّمة القبائل المتنصرة . وقد اخبر ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسي (Barhebræi Chronicon Eccl. III, 100) انَّ « احودما » المفريان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردَّ كثيرًا منهم . وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون بهِ بني طيّ ايضاً ويذكرون نصرانيتهم . ومن آثار النصرانية في طيّ اديرة للرهبان في انحائهم مرَّ لنا ذكرها . كدير عمرو في جبال طيّ (ياقوت ٢ : ٦٨٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠) . ومن مآثر نصارى الطائيين

انَّ قوماً منهم وضعوا الخطّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق: ٤(١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرَّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من النصارى كحنظلة الطائي باني دير حنظلة (ياقوت ٢: ٦٥٥) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الغريين. وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدّةً بالحيرة. وكابي زُبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١): «عديّ بن حاتم كان على النصرانية» ومثلهُ ياقوت (٣: ٩١٣) والمستشرقون اليوم مجمعون على نصرانيَّة طيّ. وقد مرَّ بك قول الرحَّالة بلغراف (ص ٦٢٨). وكذلك العلَّامة ڤلهوسن (١ خصَّ طيّ بالعلائق القديمة مع النصرانيَّة وختم قولهُ بهذه الالفاظ «لو لم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانيَّة (٢»

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثمَّ انتقلوا الى جهات الشام واليهم تنتسب جبال عاملة. وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام. وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك رسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام. وكذلك الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٣٤٦) نظم عاملة في جملة احلاف الروم. قال في تاريخ سنة ١٤: «لمَّا اضافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسَّان بشر كثير»

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98): «العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن اديان العرب Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231

٢) وهذا نصّهُ الاصلي: « In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a-Tamim hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen, so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze nordlich Arabien, vom Rotem bis zum Persischem Meerbusen, christlich gewesen. »

عديّ بن زيد العبادي الشاعر *. وقد روى هشام بن الكلبيّ (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦٩ — ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاعة . . . وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويغموخا غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البريّة . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واوطنوها . والثالثة الاحلاف الذين نزلوا جم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الناكثين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا جم فلك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ . . .

امَّا تسميتهم بالعباد فانَّ أبا الفرج في الاغاني (١١ : ١٦٢) علَّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتَّخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فسُمّوا العباد »

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعاً من لخم وسكنوا مدَّةً مكَّة وكانت لهم فيها الرفادة والسقاية . ثمَّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في بلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانياً (٢ . ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣ والرئاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٧) : « وكان (الرئاب) على دين عيسى عليهِ السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي : ألا انَّ خير الناس رئاب الشنّيّ »

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤ . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتهما وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن ذلك تنصُّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في ايام داحس والغبراء .

١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثم (Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108)

٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠١) ثم Sprenger III, 372 و Wellhausen, *ibid.* 155)

٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٢٥٧)

٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠٥ — ٣٠٦)

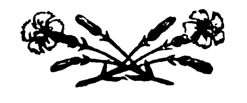
قال ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٤٢ — ٢٤٣) انهُ تلب الى ربهِ « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهّب بهِ ».وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانيًّا وسرجون ايضاً نصراني رومي (١ فلا يُحتمل ان يكون الربيع بن زياد من عبدة الاصنام . وادلّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبيًا . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٧٠) : « ذُكر عن النبي صلعم انهُ قال (عن خالد بن سنان) : ذاك نبيّ ضيعهُ قومهُ » .قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (٢ : « روي انّ خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيتهُ من عابر سبيل »

وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبيًّا آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة بن صفوان (ص ٦٩) قال انهُ دعا قومهُ الى الله تعالى وصنع المعجزات ثمَّ قتلهُ قومهُ

امَّا ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية . وما لا ينكر انَّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانيًّا بشهادة تاج العروس (١ : ٣٣٧) نقلًا عن الصغاني والاصمعي قال في جملة ترجمة « الصليب » : « والصليب العلَم قال النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

...وقيل سمّي النابغة العلَمَ صليباً لأنَّهُ كان نصرانيًّا » (لهُ بقيَّة)



١) اطلب الاغاني (١٤ : ٩٤ و ١٦ : ٣٢) ثمَّ شعراء النصرانيَّة (ص ٧٨٩)

٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٦٩)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ طور عبدين – الجزيرة – زاخو (تابع)

كنَّا قبل خروجنا من مديات ابرقنا الى السيد عمنويل يوسف رئيس اساقفة سعرت ليفيدنا هل الطريق امينة فلم يأْتنا جوابهُ وذلك ما حدا بنا الى ان نقدّم سفرنا الى الجزيرة. ثم علمنا بعد ذلك بان الجواب كان سلبيًّا الَّا انَّ ادارة البريد ضبطتهُ لئلَّا ينتشر خبر ثورة الأكراد على النصارى

يوم الاثنين الواقع في ٤ تشرين الثاني سرنا في وسط طور عبدين قاطعين حزونهُ وبطونهُ بين اشجاره من العفص والبلوط والبطم وكانت الطريق مقفرة لم نعاين فيها من وقت الى آخر غير افراد من الحطَّابين او بعض المكارين من الأكراد. ولقينا غير مرَّة ايضاً في تلك الجهات الى الموصل بعض النفر اليزيديين المعروفين بعبَدة الشيطان وهم قوم يسكنون في جنوبيّ طور عبدين في جبل سنجار من ولاية الموصل ولهم من العادات الغريبة والتقاليد الخرافيَّة المستترة ما كشف عنهُ القناع علماء زماننا. وقد سبق حضرة الاب انستاس الكرملي سنة ١٨٩٩ ودوَّن في المشرق (٢ : ٣٢ الخ) من الفصول المسهبة في تعريفهم واوصاف احوالهم ما يغنينا عن التكرار

حللنا في مساء النهار في دير لليعاقبة يُعرف بدير العُمر وهو دير كبير ذو ابنية قديمة محصَّن في وجه شذّاذ الأكراد ولهُ كنيسة قديمة على طرز كنائس القرن الخامس او السادس للمسيح يُنزل اليها بالدرج وتسندها السواري الضخمة. وكانت هذه الكنيسة غنيَّة بحليّها وآنيتها فمرّ بها تيمورلنك في اواخر القرن الخامس عشر واخذ مصاغاتها

ورهبان دير العمر قليلون يقضون معظم نهارهم في استثمار املاكهم ولا يكادون يعرفون غير القراءة البسيطة في العربية والسريانية وليس عندهم مكتبة. وكان اسقف مديات يوم مرورنا نازلًا بينهم ليتقاضى منهم الاعشار فلم نجده ارقى كثيرًا من رهبان الدير وباعنا بنفسهِ علوفة دوابنا ولم يجد ما يباحثنا فيهِ غير اموره المادّيَّة

وفي هذا الدير سربٌ مظلم تحت الارض في جدرانهِ وجوانبهِ اجران مكلسة

يزعمون انَّ فيها عظاماً للشهداء. لم يستطع الرهبان ان يفيدونا شيئاً ثابتاً من اخبارهم وهم يدعونهم شهداء المصريين

وفي غدٍ توجهنا الى جهة الشرق قاصدين أزَخ ومررنا عند الظهيرة بقرية يسكنها اليعاقبة وحدهم تدعى باسبرَينا موقعها على تلّ وفيها ايضاً كنيسة قديمة وبعض كتب طقسية ثمينة تضعضعت فابتاعها الاميركيون. وكانت نواحي باسبرينا في سالف الأيام حافلة بالاديرة والنسّاك وكلّها اليوم اثر بعد عين وربّما بقي من تلك الاديرة بعض اطلالها او قسم من ابنيتها كدير مار اوگين وفي الغالب لا يسكنها الَّا راهب واحد لنظارة ارزاقها. وفي جنوبي دير العمر آثار قصور شاهقة وابنية نخصّ منها بالذكر قصرًا يُعرف بقصر حاتم الطائي والتقليد عند الاهلين انَّ بني طيْ كانوا يسكنون تلك الجهات وانّ حاتماً سيدهم ابتنى لهُ ذلك القصر

ثم خرجنا من طور عبدين وانحدرنا الى البطائح التي يسقيها نهر دجلة وبعض سواعدهِ وهناك تبتدئ المعاملة التي كان يدعوها قدماء السريان بازَبدى او بيت زبدا الشهيرة بخصبها

أزَخ بلدة صغيرة ذات ٤٠٠ بيت كانوا سابقاً يعاقبة دون استثناء. فلمَّا جاء عمر باشا نحو سنة ١٨٤٠ لمحاربة الأكراد في جهات الجزيرة حالفهُ اهل ازخ وحاربوا معهُ اعداء الدولة لكن الأكراد اضمروا لهُ الشرّ وانتهزوا الفرصة بعد حين للغارة على ازخ تحت قيادة اميرهم بدرخان فنهبوا وحرقوا واستاقوا الى السبي النساء والاطفال. وصرخ الازخيون الى الدولة فلم يكن من مجيب فطلبوا من المرسلين الكاثوليك ان يساعدوهم على فكّ اسراهم ووعدوهم بالانتماء الى الكثلكة اذا توفقوا في مساعيهم. فصار الاب ريكدُنّا اليسوعي في صحبة المسيو بوره (Mr E. Boré) المنوط بسفارة فرنسة في الاستانة (وهو الذي بعد ذلك دخل في الاخوية اللعازريّة وصار عليها رئيساً عامًا) ودخل كلاهما على بدرخان امير الأكراد وبحسن سياستهما ادركا غايتهما وكسرا اغلال اسرى أزَخ. امَّا اهل أزَخ فلم يقوموا بوعدهم الَّا نحو ٣٠ عائلة ارتدُّوا الى حجر الكنيسة بهمّة الآباء الدومنكيين نحو سنة ١٨٨٠ فابتنى لهم الآباء معبدًا صغيرًا وفتحوا لهم مدرسة وهم اليوم متمسكون بدينهم يزورهم المرسلون حيناً بعد حين. فنزلنا هناك تلك الليلة واتانا احد رهبان اليعاقبة

ببعض مخطوطات سريانية فابتعناها منها كتاب لغة سرياني بتصاوير ملوَّنة وكتاب ايروتلوس تلميذ بولس الرسول وتعاليمهِ الموهومة

المسافة من أزخ الى الجزيرة خمس ساعات في ارض سويَّة ذات تربة حسنة ومزارع نامية قطعناها في صباح النهار فبلغنا الجزيرة ساعةً قبل الظهر وحططنا الرحال في دير الاباء الدومنيكيين وكان يومئذٍ رئيسهم هناك حضرة الاب غلَّان الذي كنَّا اجتمعنا بهِ سابقاً في فرنسة في دير فلاڤيني سنة ١٨٧٥ وهو اليوم احد الزوَّار الرسوليين في الرهبانيات المارونية الكريمة في لبنان. فاستقبلنا بكل لطف متحفياً بنا واخذ بمعالجة الاب يوسف شلفون رفيقي الذي كان عاودهُ المرض بعد خمودهِ فنال الشفاء التامّ على يد حضرة رئيس الجزيرة

قضينا ثلاثة ايام في الجزيرة وكانت نيتي ان نسافر منها الى سعرت لانَّ الاخبار الواردة منها ومن ديار بكر وماردين كانت لا تزال متناقضة. فمنها ما يقلق البال ويزعج الافكار ويروي نهباً وسلباً وقتلاً وضرباً ومنها ما كان على خلاف ذلك مطمّناً للقلوب نافياً لكلّ خطر. فاحببتُ ان أَطَّلع على صدق الخبر وصحَّة الامر فذهبت مع اخي الى زيارة القائمقام وطلبت منهُ ان يرسل ضابطين في رفقتنا الى سعرت حسب منطوق بيولردي والي دياربكر. فبقي القائمقام واجماً ثمَّ اقبل عليَّ ليردَّني عن هذا السفر الشاقّ دون ان يقرّ بما كان هناك من الفتن والمشاغب فالححت عليهِ حتى صرَّح لي قائلاً: «ان كان لا مناص من هذا السفر فانتم وشأنكم امَّا انا فلا اقبل عليَّ المسؤلية في ذلك» فاتضحت لي حينئذٍ صحة الاخبار الواردة عن المذابح وغارات الاكراد في تلك الجهات. ومن ثمَّ عدلنا عن السفر الى سعرت وكتبت الى سيادة مطرانها معتذرًا لهُ عن اهمال زيارتهِ

وكانت سعرت في تلك المدَّة اضحت في حالة حرجة فانَّ الأكراد كانوا نهبوا ضواحيها وقتلوا فيها بعض الفلَّاحين النصارى ودخلوا دير مار يعقوب للكلدان الكاثوليك وسلبوا اموالهُ وحاصروا سعرت طالبين قتل المسيحيين الذين فيها. وكان الامر تمَّ لولا قرينة الفريق التى كانت نصرانيَّة فرنجية فالتجأ اليها السيد عمنويل يوسف توما فانقذت النصارى من ايدي اولئك الوحوش الضراة بعد ان قضى المسيحيون ثلاثة اسابيع قاسوا فيها امرّ الاهوال

وبينما كنّا نحن ساعين في الحجاز مقاصدنا كان رؤساؤنا في بلاد الشام في غاية الهمّ وانشغال البال بسببنا فانَّ مكاتيبنا التي كنّا نحرّرها لهم في كل اسبوع لنوقفهم على احوالنا كانت انقطعت عنهم فتضبطها البوسطة المحلية. واذ كانت اخبار مذابح اورفا وديار بكر وملطية ومرعش قد انتشرت في جرائد اوربّا غلب الظنّ على اخوتنا في الشام انّنا ايضاً ذهبنا ضحايا تلك المشاغب فخابر رؤساؤنا السفارة الفرنسوية في استنبول ليعلموا ما حلّ بنا فسعت السفارة بالامر وراجعت المقامات الايجابية دون ان تنال بصددنا المعلومات الشافية. فشاع الخبر اننا قُتلنا وقرأنا ذلك في الجرائد الاوربيَّة عند وصولنا الى الهند. امّا نحن فكنّا في الاطمئنان التام لم نَجِد شعرةً عن الخطّة التي سبقنا الى تحديدها ما عدا سفرنا الى الجزيرة كما رأيت

ثم صرفنا مدَّة اقامتنا في الجزيرة لنتفقد آثارها وزيارة ارباب طوائفها

الجزيرة مدينة وسطى مركز قضاء لاحقة بسنجق ماردين في لحف جبل الجودي الذي يزعم العرب انهُ الجبل الذي فوقهُ قرَّت سفينة نوح بعد نهاية الطوفان. وقد دُعيت بالجزيرة لانَّ نهر دجلة يحدق بقسم منها على شبه الهلال وهي في وسط رستاق مخصب واسع الخيرات. والعرب يدعونها جزيرة ابن عُمر وهو احد بني تغلب واسمهُ حسن بن عمر بن خطّاب التغلبيّ على ما روى ياقوت في معجم البلدان (٢: ٧٩). فهذا كان يملكها فعمل لها خندقاً اجرى فيهِ الماء ونصب عليهِ الرحى فاحاط الماء بها من جميع جوانبها فنُسبت اليهِ. وكانت الجزيرة تسمَّى ايضاً بازَبدى اشتقوا اسمها من السريانيَّة بيت زبدى (ܒܝܬ ܙܒܕܝ) او (ܓܙܪܬܐ ܙܒܕܝܬܐ)

ودعوها ايضاً باقِرْدَى (ܒܝܬ ܩܪܕܘ) نسبةً الى جبل قردو وهو الجوديّ. وقال البعض انَّ بازبدى وباقِرَدى قريتان كانتا متقابلتين الاولى في غربي دجلة والثانية في شرقيهِ. وروى ياقوت لشاعر فيهما قولهُ يفضلهما على بغداد:

بِقَرْدَى وبازَبْدَى مصيفٌ ومربعٌ وعذبٌ يحاكي السلسبيل بَرُودُ
وبَغْدَادُ ما بغدادُ امَّا تراُبها فحمًّى وامَّا بَرْدُها فشديدُ

والجزيرة سبقت تاريخ الميلاد ورد ذكرها في جغرافية بطلميوس وهو يدعوها صفا. وكذلك تكرّر ذكرها في تاريخ النصرانية الاولى فانّها كانت في مقدَّمة

المدن المتنصرة وكان لها اسقف على كورتها وبعد ان ملكها الرومان مدَّة صارت في حوزة الفرس حتى فتحها العرب . امَّا اهلها فبعد ان كابدوا لاجل الايمان اشدّ العذابات واستشهد كثيرون منهم في سبيل الدين انتموا في القرن الخامس الى البدعة اليعقوبية وبقوا على ذلك الى القرون المتأخرة حيث عادت الكثلكة وانارت قسماً من اهل تلك البلاد . واهل الجزيرة اليوم مع القرى المجاورة التابعة لها نحو ١٢٠٠٠ نفس يقسمون ثلاثة اقسام ثلث منهم مسلمون وثلث ارمن غريغوريُّون ويعاقبة وبروتستانت وثلث كاثوليك من الكلدان ثمَّ من الارمن واقلّ منهم السريان . وللآباء الدومنيكان في الجزيرة رسالة فتحوها سنة ١٨٨٤ سنتين بعد فتحهم لدير سعرت ولهم هناك مدارس عامرة للصبيان والبنات وكان يعلم في مدرسة الصبيان وقت سفرنا احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في بيروت

وفي الجزيرة عدَّة مآثر قديمة دينيَّة ومدنيَّة . فمن ابنيتها القديمة قلعتها المشيَّدة بالحجارة العاديَّة السوداء البركانيَّة والبيضاء الصلبة . لها مدخل فخيم يعلوهُ اسدان منقوران في الصخر . وهي اليوم خراب . وكذلك خرب سورها الحصين الذي كان محدقاً بها واستولى الدمار على جسر كبير كان ممتدًّا فوق النهر ترى على جوانبهِ تمثال اسدين آخرين مع صورة منطقة البروج وكتابات عربيَّة راقية على ما يظهر الى اواخر القرن الثالث عشر كما ترى في قلعة حلب التي سبق وصفها في المشرق (٢ : ١٨-٢٠) وللمسلمين في الجزيرة جامع قديم بُني قسمٌ منهُ بأنقاض ابنية عاديَّة . وفي ضواحي الجزيرة آثار اخرى منها ما يرتقي الى عهد ملوك الفرس ومنها ما هو اقدم زمناً خلَّفهُ ملوك اشور كبعض كتابات بالقلم المسماري . امَّا الآثار الدينيَّة فمنها كنيستا الكلدان الكاثوليك واليعاقبة وكلتاهما من طرز الكنائس السابقة لعهد الاسلام يُنزل اليها في بطن الارض كالاسراب وفيها النقوش القديمة والسواري الضخمة . والكلدان في هذه السنين الاخيرة قد رمَّموا الكنيسة وفتحوا لها النوافذ وزيَّنوها بآنية التقديس . وزرنا سيادة اسقفهم هناك السيّد يعقوب اوراهام الذي يرعى ابناء طائفته بالتقى منذ سنة ١٨٨١ ولا يزال مواصلاً لهمَّته حتى اليوم

امَّا السريان الكاثوليك فقد ابتنوا لهم كنيسةً صغيرةً في عهد اوَّل اساقفتهم هناك السيد فلابيانوس بطرس متاح سنة ١٨٦٥ . وكان اسقفهم عند مرورنا السيد

يعقوب متى احمر دقنه الطيب الذكر تشرَّفنـا بزيارتهِ في ماردين حيث تواعدنا على الاجتماع في الجزيرة وهو في اهبة الرجوع اليها لكنَّ الاضطرابات التي حصلت وقتئذٍ اضطرَّتهُ الى البقاء في ماردين وفيها استأثر الله بهِ سنة ١٩٠٨ بعـد ان تولَّى نيابتها البطريركيَّة نحو ٣٠ سنة

وللارمن ايضاً في الجزيرة كنيستان الواحدة للغريغوريين والأُخرى للكاثوليك وهما متوسطتان في الكبر حسنتان

امَّا الآباء الدومنيكان فهتمون بكل الاعمال الرسوليَّـة في الجزيرة والقرى المجاورة ففي عهد رئيسهم المفضـال الاب غنزالس دوقال اتَّسعت الرسالة الدومنيكانية الى سعرت والجزيرة وطور عبدين. وفتح بمساعيهِ المشكورة هناك عدَّة مدارس للاحداث. ويساعد المرسلين راهبات دومنيكيات لتهذيب الفتيات والاهتمام باليتامى ولهنَّ مستوصف في الجزيرة يؤدين فيهِ خدماً عظيمةً لاهـل تلك الانحاء المحرومين من الاطباء والصيادلة لاسيما ان الجزيرة تكثر فيها الحمّيات لاستنقاع مياه دجلة في بعض جهاتها. فهذه الخدم المتنوّعة قـد اثَّرت في قلوب كثيرين من اليعاقبة والغريغوريين وبهمَّة المرسلين قد نما عدد الكاثوليك

بُعيد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٨ تشرين الثاني شكرنا الآباء الدومنيكيين على ضيافتهم ثم سرنا في وجهة الموصل فقطعنا دجلة على جسر من القوارب المتلاصقة ورقينا في الجبال المشرفة على وادي دجلة فكنَّا نسرّح النظر في تلك المزارع المخصبة والحدائق الغناء والاشجار الوارفة الظلال. وبعد خمس ساعات حللنـا عند غروب الشمس في قرية نهروان فبتنا في منزل احد سكانها. ونهروان هذه كثيرة المياه نامية الخيرات. فيها نصارى من السريان الكاثوليك واليعاقبة. وقـد وجدوا في جوارها مناجم من الفحم الحجري فاستثمرتها شركةٌ وطنيَّة مدَّةً ونقلوا الفحم الى بغداد ثمَّ اهملوها لكلف نقل الفحم وتعدينهِ

وفي غلس يوم السبت بعد صلاتنا سرنا في سهول واسعة وعلى شمالنـا تنتصب جبال كردستان الآهلة بجيل الأكراد وكان يمتاز بينها جبـل يرى عن بُعد كانهُ شبه سفينة فذاك الجودي او جودي داغ الذي يرتأي العرب انَّ عليهِ نزلت سفينة نوح. والثلج يغطيه في اكثر شهور السنة. وكان هناك قديماً دير للنساطرة تُرى حتى اليوم

بقايا من ابنيتهِ كان يدعى دير السفينة ورد ذكرُ حريقهِ سنة ٧٦٦ للميلاد في التاريخ المنسوب لديونيسيوس التلمحري (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني ج ٢ ص ١١٣) ولعلَّ الآثار التي توجد هناك الى يومنا هي من الدير المذكور فيزعم مكتشفوها انها من بقايا سفينة نوح. وفي معاطف الجبل قصر كان يدعى قديمًا قصر ثمان او ثمانين (Θομανῶν) فزعم بعض الكتبة انهُ دُعي بذلك لان الثمانية الناجين من الطوفان احتاوه بعد خروجهم من السفينة

وفي ذلك اليوم دخلنا في ولاية الموصل التي كان اهلها حاصلين على الامان بينما كانت دماء النصارى تهراق سيولًا في الولايات الغربيَّة والشماليَّة كحلب وديار بكر ومعمورة العزيز ووان وبتليس فاستحقَّ عبد الحميد ان يُدعى لاجلها بالسلطان الدموي

وولاية الموصل متسعة يبلغ تكسير مساحتها ٧٥,٧٠٠ كيلومتر مربَّع يحدُّها في الشمال ولايتا وان وديار بكر وفي الجنوب ولاية بغداد وفي الغرب متصرفيَّة الزور. امَّا في شرقها فتخوم العجم. يبلغ عدد اهلها نحو ٣٥٠,٠٠٠ النصارى منهم نحو ٥٠,٠٠٠ والباقون مسلمون ونحو ٢٠,٠٠٠ من اليزيديَّة والشبك والباجوران والصارليَّة الذين ذكرهم المشرق (٥ (١٩٠٢): ٥٧٧)

عند هاجرة النهار اشرفنا على مدينة زاخو الواقعة بقرب نهر الخابور المعروف بالخبور الصغير من سواعد دجلة وهو المذكور في نبوَّة حزقيال فالنهر هناك ينقسم قسمين على شبه حلقة كبيرة وزاخو في وسط الحلقة اي في جزيرة الَّا بيوت النصارى منها فهي مبنية على ضفة النهر الشماليَّة حيث كنيسة الكلدان الكاثوليك وهناك نزلنا في ضيافة مطران زاخو السيد تيموطاوس المقدسي المعروف بفضلهِ وسعة معارفهِ وهو احد المتخرجين في مدرسة انتشار الايمان الشهيرة. قضينا في دارهِ الاسقفيَّة ليلةً عددناها من اسعد ساعات سفرنا. وقد اطلعَنا سيادتهُ على بعض المآثر الادبية التي امكنهُ الحصول عليها عند النساطرة وافادنا اشياء كثيرة عن تاريخ تلك الجهات واحوال اهلها وسيادتهُ مولود في القوش وطن كثيرين من مشاهير الكلدان وكان تولى رعاية ابرشية زاخو قبل وصولنا بثلاث سنوات وهو الى اليوم يتفانى في خدمة اهلها

الكلدان البالغ عددهم في زاخو وضواحيها نحو ٤٠٠٠ نسمة ليس نصارى غيرهم الّا قليل من السريان الكاثوليك

زاخو مدينة قديمة كما يظهر من بقايا حصن قديم يحدق بهِ القسم الايمن من الخابور وقد بقي من الحصن برج مثمن الزوايا متين البناء. قد استولى الخراب على داخلهِ. ومن المحتمل انهُ من عمل الفرس. وهناك ايضاً نادٍ واسع ذو نوافذ واعمدة ونقوش منقورة على جوانبهِ قد اتّخذتهُ الحكومة كمقام لفرقة من جنودها

ومع قدم مدينة زاخو لا تجد لها ذكرًا في التاريخ ولا في معاجم البلدان وقد ظنّ البعض انها هي بلدة الحسنيَّة المجاورة التي اشار اليها المقدسي وياقوت لكنَّ رأيهم ليس راهناً. واسم «زاخو» كلداني معناه الانتصار وفيهِ دليل على موقعة جرت هناك فدعاها الحزب المنتصر بهذا الاسم

والكلدان الكاثوليك في زاخو كانوا قديماً نساطرة فارتدُّوا على ايدي المرسلين الدومنيكان وفي زاخو مدفن احدهم الاب سولديني المتوفى سنة ١٧٧٩

امَّا ابرشية زاخو فحديثة العهد كما اثبتهُ سابقاً حضرة القسّ بطرس نصري (في المشرق ٩ (١٩٠٦):٦٨٩) وعدَّ هناك الاساقفة الخمسة الذين نُصبوا على هذا الكرسي منذ السنة ١٨٥٩

وفي صباح اليوم التالي الموافق ليوم الاحد جاء اهل زاخو ليسلِّموا علينا وحضر كثيرون منهم قدَّاسنا ثمَّ ودعناهم في ضحى النهار قاصدين قرية مار يعقوب وديرها للآباء الدومنيكان (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Die Weisen Narren des Naisaburi. Inaugural-Dissertation z. Erlangung d. Doktorwürde von **Paul Loosen**. *Strassburg, K. J. Trübner*, 1912, p. 47

كتاب اخبار عقلاء المجانين

كثيرًا ما تجد في كتب أُدباء العرب فصولًا في حِكم وردت على ألسنة المجانين واخبارًا من سيرهم من شأنها ان تكون عبرةً للعقلاء. بل صنَّف بعضهم كتباً في هذا الصدد منها كتابان صبرا على آفات الدهر الواحد منسوب لابي الازهر محمَّد بن

زيد (ويروى مزيد) النحوي المتوفَّى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) في مكتبة مدريد المعروفة بالاسكوريال والآخر في برلين منسوب الى ابي القسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوريّ معاصر ابي الازهر المذكور وكلاهما يُدعى باسم واحد الّا انَّ الكتابين يختلفان في الابواب والمواضيع فعمد الاديب پول لوزن من طلبة كليّة بون في المانية الى درس هذين الكتابين واثبات ما يوجد من العلاقة بينهما وبين مؤلفيهما مع مقابلة ابوابهما واخبارهما وذكر ما نقلهُ عنهما الأُدباء في تآليفهم فجاء كتابهُ نقدًا حسنًا لهذا الاثر القديم قدَّمهُ للجنة علماء بون ليرشحوه بهِ الى رتبة الدكتوريَّة. فاعجبنا هذا الانتقاد العلمي وتمنينا لو جارى مواطنونا المؤلف في تدقيقهِ وتحقيقهِ ل. ش

Précis d'Allographie assyro-babylonienne par **J. Halévy.** Paris, E. Leroux. 1912 pp. XXIX-472

الخطّ الرمزيّ الاشوريّ البابليّ

لَمّا بسط الملك « اور انكور » سيطرتهُ على تخوم بابل جنوبها وشمالها تسمَّى بملك « شومر واكَّاد » اي المالك على ناحيتي بلاد بابل الجنوبيَّة المدعوَّة بشومر لِما كان يجري فيها من الانهار والشماليَّة المعروفة باكاد اي الصلبة لصلابة ارضها. فظنَّ قوم من العلماء انَّ هذين الاسمين يدلَّان على عنصرين مختلفين احدهما ساميّ اي عنصر اكَّاد والثاني غير سامي اي عنصر شومر وزعموا ان كلًّا من العنصرين كانت لهُ لغتهُ الخاصة وكتابتهُ المنفردة. فقام بعض المستشرقين وانكروا هذا الاختلاف ومن جملتهم الاستاذ الفرنسوي الشهير ج. هالوي الذي كتب الفصول المسهبة في المجلَّات العلميَّة ليثبت ان شومر واكَّاد امَّة واحدة من اصل واحد وان لغتها لم تختلف الّا في بعض العرضيَّات. واذ كان العلماء المخالفون يسندون رأيهم الى كتابات تختلف صورتها الخطِّية جعل المسيو هالوي بدروس متواصلة يبين انَّ الخطّ الشومري هو رمزي كالخط الهيروغليفي بخلاف الخطّ الاكَّادي الذي يدلّ على اصوات معلومة مشتقة بالاصطلاح من القلم الرمزي الاصلي كما يدلّ الخطّ الديموتيكي على الاصوات عند المصريين. فقام جدال طويل بين الفريقين وكل منهما يدافع عن رأيهِ بالادلة التي يراها الصواب غير انَّ رأي المسيو هالوي قد اجتذب اليهِ القسم الاكبر من المستشرقين. ولتأييدهِ وتوسيع نطاقهِ قد جمع الاستاذ المشار اليهِ كتاباتهِ المتفرّقة في ذلك وعرضها على

صورة جديدة قريبة المنال تثبت مزاعمهُ وتنفي اقوال مناظريهِ. فجاء منها كتاب واسع ضمَّنهُ ملحوظاتهِ اللغويَّة المتواصلة في توحيد لغتيْ اكَّاد وشومر. ولا شكَّ ان هذا التأليف بوفرة ادلَّتهِ يزيل المشاكل ويثبت وجه الحقّ. ونحن نتمنَّى لهُ رواجاً كبيرًا بين كلّ من يهمُّهُ درس اللغة الاشوريَّة ل. ش

O. Rescher : I. Arabische Handschriften der Koprülü - Bibliothek (*Sonderabdruck aus den Mitteil. d. Semin. f. orient. Sprachen z. Berlin*) = II Idem. Arabische Handschriften des Top Kapu Seraj (*Estr. d. Rivista degli. Studi Orientali*, Roma, 1912, vol. IV. 695-733 =III M-Y Bitar. Catalogue des Manuscrits précieux et Livres rares arabes du Comte Rochaid Dahdah. *Paris*, 1912, p. 94

مكاتب كوبريلي وطوب قپو سراي والكنت رشيد دحداح

بعد اعلان الدستور اضحت مكاتب الاستانة المقفلة قريبة المنال بحيث يمكن الادباء ان يتصفحوا مخطوطاتها ويستفيدوا من كنوزها الادبيَّة. فرأى بعض المستشرقين انَّ احسن خدمة يقدّمونها للعلماء ان يدوّنوا اسماء مآثر كل مكتبة ويعرّفوا مضامينها. وللدكتور ريشر في هذا الامر فضلٌ مشكور فانَّهُ وصف عدَّة خزائن كتبيَّة من خزانات حاضرة السلطنة. وممَّا نشرهُ حديثاً وصف خزانتي كوپريلي وطوب قپو سراي فعرَّف اخصّ مخطوطاتها ووصف من الاولى ١٢٢ كتاباً ومن الثانية ١٣٨ ك وقد اختصّ منها كتب الادب والتاريخ والعلوم. وذلك على الطريقة الجارية عند العلماء بتعريف خواصّ كل كتاب ومؤلفهِ وزمانهِ وبقيَّة فوائدهِ — ونضيف الى ذكر هذين الكرَّاسين قائمة ثالثة وضعها احد تلامذة كليَّتنا الادباء نزيل باريس ميشال افندي بيطار وصف فيها ما خلفهُ من المطبوعات والمخطوطات فقيد العلوم الشرقيَّة الكنت رشيد دحداح. وهي عبارة عن ٧٢٦ كتاباً بينها نحو ٣٠٠ من المخطوطات التي كان جمعها الكنت في بلاد الشام ومصر وتونس ومنها الكتب النادرة نخصّ منها بالذكر تأليفاً جليلًا صنفهُ الكنت في تاريخ العرب وآدابهم دعاهُ «السيَّار المُشرق في بوار المشرق» خصَّ جزءًا منهُ بتاريخ النصرانيَّة بين العرب. فأملنا انَّ هذه الخلفة الثمينة لا تتضعضع فيحصل عليها من يعرف قدرها ويفيد العموم بنشر بعض كنوزها الادبيَّة ل. ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفهِ سليمان مصوبع المحامي. الجزء الثالث

في مطبعة العرفان في صيداء (ص ٢٤٣ — ٣٦٠

هذا المعجم المفيد جارٍ طبعهُ بسرعة مشكورة تدلّ على انَّ مؤلفهُ قد استكمل كل موادّه ولن يتأخر عن نشرهِ تماماً. وهذا الجزء الثالث يتناول مظانّ حرف الجيم كلهِ وقسم كبير من حرف الحاء الى « المستحقّ ». وهو في كل مادَّة يذكر القانون الصادر بخصوصها مشيرًا الى مضمونهِ الخاصّ في جدول منفرد لذلك والى اسانيدهِ في ذيل الكتاب. ومن الموادّ المهمَّة في هـذا الجزء مادَّة « الجمعيَّة » (٢٧٥ — ٢٨١) و « الاجانب » (٢٨٢ — ٢٩٠) ففي باب الجمعيَّات قرأنا (ص ٢٧٦) انهُ « ممنوع بتاتاً تأليف الجمعيَّات السريَّة » والماسونيَّة كما هو معلوم داخلة في سلكها ل. ش

اطرب الشعر واطيب النثر

من آثار قدماء الادباء واهل العصر

القسم الاوَّل اطرب الشعر . الطبعـة الثانية

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٤١٥)

نشرنا قبل خمس سنوات هذا المجموع اللطيف الذي اقتطفناه من حدائق مجلَّة المشرق ترويحاً لنفوس الادباء ولاسيما طلبة المدارس فراق الكتاب في اعينهم واقبلوا عليهِ برغبة لوفرة موادّه الادبيَّـة وفنونهِ الكتابيَّة حتى نفد بوقت قليل طبعهُ. وكانت في اثناء ذلك زادت في المشرق المواضيع الرائقـة النثريَّة والشعريَّة فرأينا ان نجعل هذه الطبعة قسمين نخصّ الاوَّل منها بالمنظومات والمقاطيع الشعريَّة ونفرد الثاني للآداب النثريَّة . فهذا القسم الاوَّل « اطرب الشعر » يحتوي على نيف ومئة قصيدة او قطعة من النظم ظهرت في السنين الخمس عشرة من مجلَّة المشرق. وقد قسمناها تسهيلًا للمراجعة ابواباً شتى مباشرةً بالعزَّة الالهيَّـة والسيد المسيح ثمَّ مريم العذراء واسرار حياتها ثمَّ الكنيسة ورأسها واسرارهـا المحيية ثمَّ القصائد الدينيَّة والزهديَّة ثمَّ المنظومات الاجتاعيَّة ثمَّ القصائد التاريخيَّة وادبيات شتى . وفي اخرها بعض الاناشيد العاميَّة من اقوال مشاهير القوَّالين في لبنان. فبلغ هذا

القسم ٤١٦ صفحة يجد فيهِ عموم الادباء وعلى الأخص احداث المدارس ما يفكِهُ البابهم ويشحذ قرائحهم وينهج لهم اساليب النظم. ولا نشكّ انهم يتلقّونهُ بمزيد الاقبال ويزينون بمنظوماتهِ ذاكرتهم فيتناشدونها في مجتمعاتهم ويتلونها على مسامع اهلهم وفيها كلُّ معنى شريف وكل لفظ لطيف ظريف فضلًا عن موافقتها للاحوال العصريّة وللذوق الجديد. بارك الله في قائليها ومنشديها وانمى عدد ارباب الاقلام الذين يورون زناد الافكار لخدمة المبادئ الدينيَّة والآداب الاجتماعيَّة وينزهونها عن كل ما يشين النفوس البارَّة او يجعلها عثرة في سبيل الخير العامّ. اماً القسم الثاني من هذا المجموع « اطيب النثر » فقد سبق وصفهُ العام الماضي اذ تقدَّم طبعهُ على القسم الاوَّل (راجع المشرق ١٩١١ ص ٥٥٥) ل. ش

امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية

للصحافي الكبير ستاڤروس فوتيراس عرَّبهُ عن اليونانيَّة الاستاذ غطَّاس افندي قندلفت

طُبع في المطبعة الوطنيَّة في طرابلس الشام سنة ١٩١٢ (ص ٥٧)

لا ريب ان المسلمين لمَّا فتحوا مملكة الروم وادخلوا في حوزتهم الشعوب النصرانيَّة منحوا لرعاياهم النصارى امتيازات لا تقوم لهم قائمةٌ دونها. اخصُّها تدبير رؤساء النصرانيَّة لامور مرؤوسيهم في كل الدينيَّات واحوال الشرع. وقد سعى كثيرون في تعريف هذه الامتيازات وبيان حدودها فمن ذلك مقالات كتبها صحافيّ يوناني شهير يُدعى ستاڤروس فوتيراس في جريدة نيولوغس اليونانيَّة فاحبّ حضرة الاستاذ غطاس افندي قندلفت مدير المدرسة الاكايريكيَّة في البلمند ان ينقلها الى العربيَّة تعميماً لفائدتها فنشرها في كرَّاس اهدانا منهُ نسخة. فنشكر لحضرة المعرّب ونفيدهُ انَّ كثيرين سبقوا الصحافيَّ ستاڤروس فوتيراس واتوا بما هو اوسع واثبت منهُ لاسيما الكنت دي جيهاي (le Comte F. van den Steen de Jehay) في كتاب جليل هذا عنوانهُ (de la Situation légale des Sujets Ottomans non-Musulmans) طبعهُ في بروكسل سنة ١٩٠٦ في ٥٥٥ صفحة والمؤلف لا يدع بحثاً الَّا خاض فيهِ واسندهُ الى اثبت الاسانيد. وفي كتاب الامتيازات للمسيو ستاڤروس اشياء لا يجوز قبولها دون دليل مقنع فمن ذلك العهدة

الممنوحة من عمر بن الخطّاب للبطريرك صوفرونيوس الاورشليمي (ص ٥ — ٧) فانّنا سبقنا وانكرنا صحة هـذه العهدة في المشرق (١٢ (١٩٠٩) ص ٦٢٩ — ٦٨٠ مع عهود اخرى شبهها تناقلها النساطرة واليعاقبة والارمن وكلها موضوعة. ومهما كان من امر هذه العهود لا شكّ ان للنصارى امتيازات قديمة وحقوقاً مرعيَّة لا يجوز انتهاكها لاسيما بعد ان قرّرتها الدولة العثمانية غير مرَّة. امّا المعاهدات الدولية بخصوص حماية نصارى الشرق فكان لفرنسة السبق في ابرامها ولم تحصل بقية الدول على امتيازات فرنسة الّا بعدها بزمن طويل. وكان الأولى بالمؤلف ان لا يخلط بين الامتيازات القديمة التي للبطاركة الشرقيين والامتيازات الدوليـة فيتتبع في التاريخ اصول كل منها وشروطها واحكامهما ليس لليونان فقط ولكن لبقية الكنائس ايضاً. ويا ليته امكنهُ ان يكتشف العهدة المعطاة للبطريرك جناديوس من محمَّـد الثاني او يثبت لنا مضامينها. ومن ثمَّ لا نعدّ هذه العجالة كتأليف موطد الاركان ودستور يمكن الرجوع اليهِ في تلك المسائل العويصة ل. ش

مدخل دروس القراءة

تأليف محيي الدين الخيَّاط والتزام محمَّد شاكر ياسين

طُبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ (ص ٤٨)

يمتاز هـذا المدخل بحسن التنسيق وسهولة الاسلوب والتفنن في الموادّ بحيث يقوى الطالب على تعلُّم القراءة في وقت قصير مع وجودهِ لذَّة في التعليم. وقد وقع في الكتاب مع هذا عدَّة أغلاط طبعيَّة يجب اصلاحها في طبعة ثانية. فهو الرَّصاص لا الرِصاص (ص ٣٤ و٣٥) والدَّرْج لا الدُرْج (فيها) والجُلَّنار لا الجُلُنار (٣٦) والبِطِّيخ (٣٧ و٣٨) والتِمس (٣٩) والِاثنين (٤٠ و٤٢) والرائحة الذكيَّـة بالذال (٣٦) والأَرْبعاء (٤٢) وتِشرين وحَزيران (٤٣) والِابن والِابنة (٤٧). وكان الأولى في كتاب للاحداث ان تُنزع منهُ عبارة حيض الارانب (ص ٣٩)

برنامج جمعية اخوة التعليم المسيحي الكاثوليكي بحلب

للسنة الحادية والعشرين من تأسيسها سنة ١٩١١ (ص ٣٥)

نهنئ اعضاء هذه الجمعية ومدبريها ونشكرهم على نشاطهم وثباتهم في تأدية خدمتهم الصالحة لنفوس الاحداث. فـان كان اصحاب الجمعيات الخيريَّة يستحقون

الثناء لشفقتهم على ذوي البأساء فكم يكون احرى بالمديح اولئك الذين يتفانون في تهذيب عقول الناشئة بطبع اصول الدين في قلوبهم. فانها لعمري صدقة تفوق الصدقة المادّية على قدر ما تفضل النفس على الجسد. وفي هذا البرنامج دليل على انّ اخوة التعليم المسيحي في الشهباء لا يضنّون ايضاً بدراهمهم ليؤلفوا قلوب الصغار ويجتذبوهم الى حضور الاجتماعات بما يوزّعونهُ على المجتهدين من المساعدات المادّية. فتضاعف بذلك اجرُهم جازاهم الله خيرًا وألهم في كلّ مدن الشام شبّانًا مثلهم يقتفون آثارهم ل. ش

شذرات

قصر بيت الدين هي قصيدة نظمها حضرة المعلم منصور ابي رزق بعد انفجار الذخيرة اللبنانيّة وقد وقف على تلك الاطلال وقرأها علينا فاخترنا منها ما يلي :

قَصرَ الشهابي قصرَ بيتِ الدينِ ... كم فيكَ من درسٍ ومن تلقينِ
يقفُ التصوُّر عند مجدكَ لمحةً ... تغني المفكِر عن دروس سنينِ
ويُهيج ذكرُ علاك غمًّا محزنًا ... ويُسَرُّ في مرآك كل حزينِ
ولكم يحومُ على جمالك شاعرٌ ... فيفيض منك الوحيُ فيضَ معينِ
حجّت اليك خواطري وعواطفي ... فنظمتُ نوحي او نثرتُ حنيني
ووقفتُ عند القصر وقفةَ حائرٍ ... ارعى الجمالَ بمقلة المفتونِ
فتجلّتِ الآثارُ افخمَ عبرةٍ ... تُجري من العبرات كلَّ سخينِ
وعجبتُ للاتقانِ في البنيان والإ ... م بداع في التصوير والتلوينِ
وسجدتُ للعزّ المكفَّن في الثرى ... وبكيتُ فوق الموطن المدفونِ
ووقفتُ عند قصورهم وقصورنا ... أرثي العلى بتلهُّفي وأنيني
وشهدتُ كيف تزول امجاد الورى ... وتخلّف الآثارَ للتدوينِ

*

رفعَ الشهابيُّ البناءَ مجمّلًا ... ومعزّزًا بالرَّسم والتحصينِ

عالي الجدار كما تعالى قدرهُ عن منتحى ذلٍّ ومضجعِ هُونِ
داران: دارُ الحكم قامَ وراءها الحرمُ الاميري للظباء العِينِ
وتقومُ بينهما المشاهد فتنةً للناظرين وطرفةً لعيونِ
احواضُ ماءٍ ماضخات الماء رشّاشاً كتبرٍ قد ذررتَ ثمينِ
ومداخلٌ ومعاطف ومواقفٌ وجنائنٌ توليكَ مسَّ جنونِ
تلك المنازه كم افاء ظلالُها رهطَ السرور مسهِّدًا لجفونِ
فيها مجالٌ للسرور ومعرضٌ وبها محالُ الكيف والتدخينِ
وتنوّعت غُرف الحكومة عِدّةً توحي المهابة لا تضنّ بلينِ
يا قاعة العامود كم من دهشةٍ بك للمريع وسجدةٍ لرصينِ
فلأنتِ تمثال الجبالِ مشخَّصاً وفسيفساؤكِ غايةُ التزيينِ
والنقشُ اعجبُ ما يقومُ كشاهدٍ للمعتني بصناعةٍ وفنونِ
رحمتُ لابن كرامةٍ وشآكِ في شعرٍ على وَتَرِ العلى موزونِ
في كل بابٍ آيةٌ من نظمه تحيا وتحيي ذكر خير دفينِ
فكأنّهُ واميرهُ في مجده يحكي ابنَ برمكَ في ذُرى هارونِ
ولدانهُ ذكرُ المشاهيرَ الأُلى بهم تباهت باحةُ المأمونِ
عهدَ الامير المنقضي المرجوَّ عُدْ نحن الكرام وانت غيرُ ضنينِ

*

قد جئتُ بيتَ الدين بعد خرابها وهتفتُ واجزَعي لبيت الدينِ
حلَّت بساحتها الخطوبُ فزعزعت ركنَ الجنوبْ فباتَ غير ركينِ
ودهى الشمالَ على الجنوب تخوّفٌ من كيد خصم للبلاد كمينِ
وارتاعَ لبنانُ الاشمُّ لحادثٍ كالسرِّ في صدرِ الزمان مصونِ
ذاك انفجارٌ بالذخيرة مرعبٌ هال الجوار بضربة المجنونِ
فرواق غيمٍ من دخانٍ قاتمٍ ودويُّ رعدٍ هدَّ كلَّ حصينِ
وسماء بيت الدين تمطرُ ارضها بَرَدًا من « الخرطوش والكبسون »
كالمدفع الرشّاش اذ يرمي حكت سربَ الطيور يحُمن فوق عيونِ
نسفت كما هدمت وقد قتلت من الشبّان كلَّ مروّعٍ مسكينِ

وأرتنيَ الايتام عند قبورهم كبلابل ٍ يندبنَ فوق غصونِ
متثاقلينَ من المصاب وثوبهم للعين يشرحُ آية التأبينِ
لا كانَ تاسع عشر تموزٍ ولا ذاق الوليدُ اليُتمَ كالغسلينِ
أثلاثةَ الشهداء ان رموسكم ستُزان بالريحان والنسرينِ . . .

سراية التدرن اي السلّ بالعرَق افادنا من حمص جناب الدكتور كامل افندي سليمان الخوري بما يلي :

«كان الاقدمون يعتقدون بسراية التدرُّن بواسطة الإفرازات العرَقية قبلما قرَّر الشهير « ڤيلمان » وبعدهُ العلّامة كوخ وجود الباشلس الدرني النوعي . ولكن بعد هذا الاكتشاف قلَّ اعتقاد القوم بسراية هذا الداء بواسطة مفرزات العرق وصاروا يوصون اهل المرضى باخذ الحذر خصوصاً من بصاق المسلولين ومفرزاتهم المعدية الخ . اما اليوم فقد عاد العلماء الى ترجيح سراية التدرُّن بواسطة العرق وهكذا فقد قرَّر العلّامتان « پونسه وپيري » في الاكادمية الفرنسويَّة الطبيَّة في جلسة نيسان من هذه السنة اي ١٩١٢ القضايا الآتية : (اوَّلًا) . انَّ عرق المتدرّنين من ذاته بدون ان تطرأ اليهِ مادَّة ما سارية من الخارج هو سامّ اي يحتوي مادة تسمَّى بعرف العلماء « جرثومة التدرُّن » (Virus) ويحتوي على باشلُس التدرّن . وقد تحققنا وجود المادَّة السامة في ٧٦،٣٠ من مائة من الحوادث اي ما يقارب اربع حوادث من تسع من المتدرنين المصابين بآفات جراحيَّة او بالحدار الدرني او بالتهاب الصفاق الدرني الخ اي في آفات مغلقة تماماً وخفيفة الدوران والسير . (ثانياً) ان عرق المتدرنين يمكن ان يكون هو الحاصل والناقل لباشلُس كوخ في اكثر من ٦٥،٤١ من مائة من الحوادث . (ثالثاً) : ان اطراح باشلس التدرن بواسطة العرق يكون مرتبطاً بالتعفن التدرني من حيث تعممهِ في الدم وذلك متواتر الحصول وهذا الاطراح يبرهن على صحة هذا الفكر . وعليهِ فان ما يعرو المتدرنين من نوب العرق يجوز تنزيلهُ منزلة بحارين من شأنها افراز واطراح الباشلُسات الدرنيَّة . (رابعاً) ان عرق المسلولين هو عامل من عوامل العدوى ومخطر بحدّ ذاتهِ إمَّا بطريق مستقيم : اي ان تكون العدوى حصلت رأساً بدخول المادَّة السارية على طريق الجلد عند الشخص المنتقلة اليهِ . وامَّا بطريق غير مستقيم : اي بتلويث قطع النسيج والشراشف والثياب والفرش الخ . (خامساً) :

ينتج ممَّا سبق ان قوَّة العرق المُعدية عند المتدرنين توجب التمسك بالتدابير والذرائع الخصوصية للوقاية تجاه كل شخص متدرن وان كانت آفاتهُ جراحية مسدودة اي غير مكشوفة وسليمة السير والاعراض ومدفونة . (سادساً) : ان هذه التدابير تقوم اوَّلًا بالتطهير الدائم المستمر لكلّ المواد والامتعة المتلوّثة بعرق المتدرنين مثل الانسجة والشراشف والثياب والفرش الخ . ثم يتمّم عزل المتدرّن الحقيقي في فراشٍ على حدة اقلَّهُ في بدء المرض . ثم عندما يتقدَّم الداء يجب ان يكون ساكناً في غرفة على حدة . ولا بُدَّ من مقاومة فكرة انشاء البيوت الرخيصة الاجرة التي يزدحم فيها السكان الفقراء فان ذلك هو من اكبر دواعي انتشار هذا الداء الوخيم

اضطهادات البابويين للارثذكسيين — كنَّا نسمع ولا نزال بما تأتيهِ حكومة روسية المطلقة من اضطهادات الكاثوليك في بلادها . ولنا على ذلك من الشواهد المنقولة عن الشهود العيانيين ما يملأ كتباً ضخمة الَّا انَّ لمجلَّة الكلمة نظارات ملوَّنة تبدي لها المرئيَّات على عكس ما هي فانَّها في عدَّة اعداد من مجلَّتها منها مقالة في عددها ١٢ من السنة الحاليَّة عنوانها « قليل من كثير من اضطهادات البابويين للارثذكسيين » زعمت فيها انَّ الحكومة النمسويَّة تظلم الارثوذكس لسبب دينهم فتجبرهم على دفع الغرامات المالية وانها القت في السجن بعضاً منهم واقفلت كنائسهم وانها تعمل ذلك « لمجد البابا والبابويَّة » هكذا روت الكلمة . ونحن نعلن هذه المرَّة ايضاً بكذبها كما فعلنا في اعدادنا السابقة ولم تفنِّد حتى الآن نسبتنا اليها التزوير والمماحكة . وما نشهد بهِ امام الله انَّنا قد عشنا زمناً في بلاد النمسا وعرفنا كثيرين ممَّن سكنوا پولونيا حيث يوجد الارثذكس وكلهم بلسان واحد يشهدون لحسن معاملة الدولة لكلّ المذاهب بلا تمييز ولم نجد في المجلّات والجرائد المتعدّدة التي تأتينا من كل انحاء اوربَّة حتى روسيا وپولونيا والمانية من يشير الى هذه الاضطهادات المزعومة فان كانت الكلمة لا تكذب كمألوف عادتها فلتذكر لنا كل حادث اضطهاد بظروفهِ لكي نستطيع ان نتبين صحتهُ . وما احرى بنا ان نعدّد نحن ما يصيب الكاثوليك لاسيما الروثان من انواع العذابات بسبب دينهم . فانَّ الجرائد على اختلاف نزعاتها تأتينا بتفاصيل جديدة من ذلك في كل بريد . ومن اراد الوقوف على شيءٍ منها عليهِ بالعددين ٦ و ٧ من مجلة الجسمانيَّة

(ص ٢٥٢ و ٣١٠) حيث نقل منشئها الفاضل اخبارًا لا تدع ريباً في الامر. ولمَّا نشرت مجلَّة « التمدُّن الكاثوليكي » في رومية اخبـار اضطهادات حديثة للكاثوليك وناقضتها « المجلة الروسية العصريَّة » باسم الحكومة عادت « التمدُّن الكاثوليكي » في عددها الصادر في ٢٠ تمُّوز ١٩١٢ وايَّدت اقوالها بالادلة التي لا تُنقض وتتبَّعت مساوئ الحكومة وعمَّالها مع الكاثوليك واساقفتهم وكهنتهم وذلك رغماً عن صدور حكم القيصر المـانح الحرَّية للاديان فبقي المنشور الملكي حبرًا على ورق. وكفانا شاهدًا على ذلك انَّ مجلس الدولة حكم في ١١ نيسان من السنة المنصرمة على السيـد ساجكوفسكي (Sajkowsky) اسقف سندومير الكاثوليكي بان يُحبس مدَّة ثلاثة اسابيع لانهُ في وعظهِ حذَّر المؤمنين من الشيعة اللاسونيَّة وكذلك لم يسمح المجلس عينـهُ للسيد شيپلاك (Cieplak) بان يزور كاثوليك ابرشيتهِ ومنهـا ان خمسة من اساقفة الكاثوليك يعيشون اليوم في المنفى لانهم فضَّلوا طاعة الحبر الاعظم على الخضوع لقوانين جائرة في حقّ رعاياهم واشياء كثيرة يمكننا ان نعدّدها لمجلَّة الكلمة. وان لم ترض بهذه الدلائل الواضحة نقلنا اقوال كثيرين من السياح الفرنج في روسية يستفظعون معاملة الحكومة للكاثوليك في هاتين السنتين

⁂ نظـام الكنيسة الكاثوليكيَّة ⁂ الكنيسة الكاثوليكيَّة ملكيَّةٌ محضة تمتدُّ في كل اقطار العالم رأسها المنظور في عهـدنا بيوس العاشر نائب السيد المسيح والخليفة المائتان والثامن والخمسون لبطرس الرسول هامة الرسل لـهُ. مجلس امراء فخيم يتوقف من الكرادلة وهم اليوم ٦٤ واحد منهم اقامـهُ بيوس التاسع و٣٠ لاون الثالث عشر و٣٣ بيوس العاشر وهم تابعون لاثنتي عشرة دولة. ثمَّ للكنيسة الكاثوليكيَّة ١٦٧٨ بطركاً او مطراناً او اسقفاً. فلها من الكراسي اللاتينيَّة الثابتـة ٩٦٦ كرسيًّا منها ٩٠٥ كراسي في اوربَّة و٤٣ في آسية (اي في الهند ويابان والعجم وتركيا) و١٣ في افريقيـة و٢٥١ في جهات اميركا و٣٩ في اوقيانية — ولهـا من الكراسي الشرقيَّة ٨٣ اعني ٢٠ للارمن و٣ للاقباط و١٤ للروم الروثنيين والصقالبـة و١٣ للروم الكاثوليك الملكيين و٩ للسريان و١٣ للكلدان و١١ للموارنة — ولها من الكراسي الشرَفيَّة ٤٥٧ كرسيًّا ومن القصادات

الرسوليَّة ١٢ ومن النيابات الرسوليَّة ١٦٠ اي ١١ في اوربَّة و٦٣ في آسية (الصين وكورية والصين الهنديَّة ومليبار وتركيَّة) و٥٤ في افريقيَّة و٢٣ في اميركة و١٨ في اوقيانية . هذا فضلًا عن ٦٢ وكالة رسوليَّة في جهات مختلفة — وللكنيسة الكاثوليكيَّة رهبانيَّات متعدّدة كان يبلغ مجموع رهبانها سنة ١٩١٠ نحو ١٢٠,٠٠٠ اكثرهم عددًا الرهبان الفرنسيسيون كانوا ١٦,٩٦٨ ثمَّ يليهم اليسوعيون كانوا ١٦,٢٩٣ ثم اخوة المدارس المسيحيَّة ١٤,٦٣٠ ثم الكبوشيون ١٠,٠٥٦ ثمَّ البندكتيون ٦,٧٧٩ ثمَّ الاخوة المريميون ٥٠٠٠ ثمَّ اللعازريون ٣,٠٠٠ ثمَّ الكرمليون ٢,٨٠٠ ثم الترابستيون ٢,٤٧٢ الخ . هذا دون الراهبات البالغ عددهنَّ نيفًا ومايتي الف

الدكتور شبلي شميل والمقتطف — كل يعرف الآراء الغريبة التي يدافع عنها الدكتور شميل في مصر فانهُ لا ينتصر فقط لدروين ولتعاليمهِ الواهنة لكنهُ نشر ايضًا راية الزندقة والالحاد وزعم

« ان العلم اليوم يرى ان المواد والقوى الموجودة في الطبيعة والمشتركة بين سائر كائناتها كافية وحدها لتفسير جميع تحولاتها وافعالها البسيطة والمركَّبة الراقية . . . وليس لنا اقلّ دليل علمي كذلك على وجود شيءٍ غير منظور ما دام كلّ شيءٍ تقوم بهِ مواليد الطبيعة موجودًا في العالم المنظور ينشأ فيهِ ويعود اليهِ حتى ولا دليل فلسفي كذلك يستقي مصادرهُ من العلم . . . »

فترى الى اي درجة من الجهل المركَّب يبلغ الكفر باصحابهِ حتى انهم ينسبون الى العلم سفاسف عقلهم وسخافة آرائهم . وقد سرَّنا ان المقتطف في عدد سبتمبر الاخير (ص ٢٩٩ — ٣٠٠) ردّ على الدكتور شميل بقولهِ عن مدَّعاه

انهُ « فرضٌ لا يقوم عليهِ دليل اذا اراد بالطبيعة ما هو منظور كما يظهر من سياق كلامهِ لانَّ كل هذا المنظور لا يكفي في ما نعلم حتى الآن لتعليل الظواهر الطبيعية . . . وان كان تموُّج النور قد اضطرَّنا الى فرض وجود الاثير فوجود المخلوقات يضطرُّنا الى فرض وجود الواضع لها . وعدم معرفتنا كنه هذا الواضع يضطرُّنا الى الاعتراف بجهلنا وبانَّ ما لا نعلمهُ الآن قد يكون اكثر كثيرًا ممَّا نعلمهُ »

فهذا القول كافٍ ليفحم الدكتور شبلي وامثالهُ . ويا ليت صاحب المقتطف الاديب تحاشى في ردّهِ بعض الفاظ تمسُّ الاديان كان في غنى عنها

الاله المجهول — روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١٧ : ٢٣) انَّ بولس الرسول شاهد في اثينة هيكلًا كُتب عليهِ « للاله المجهول » فاتخذ ذلك وسيلة ليبشر بين علماء تلك المدينة بلاهوت السيد المسيح . وحتى الآن لم يجد الاثريون

ذكرًا في الآثار القديمة لهذا الاله المجهول. الَّا انَّ البعثة العلميَّة التي نالت الرخصة بحفر مدينة برغامة قد وجدت في العام ١٩١٠ لاوَّل مرَّة هيكلًا عليهِ في صدرهِ هذه الكتابة «للآلهة المجهولة» فجاء هذا الاكتشاف دليلًا جديدًا على صحة سفر اعمال الرسل وقدمهِ كما نصَّ عليهِ رئيس البعثة المسيو دورپفلد (M. Dorpfeld) في مجلة الآثار اليونانيَّة (Ath. Mitt., XXXV, 1910, 524—526)

رسالة برقيَّة حول الارض لمَّا نجز سنة ١٩٠١ الحبل التلغرافي القاطع للاقيانوس الهادي اتَّفق ارباب التلغراف على ارسال نبأ برقي يطوف حول الكرة كلها ويعود الى مكان ارساله. فكانت نتيجة ذلك الاختبار ان الرسالة عادت الى مصدرها بعد الطواف بتسع دقائق ونصف. فهذه السنة ارادت جريدة التيمس في نيويرك ان تعيد ذلك الاختبار ولكن دون اتفاق مع احد فارسلت نبأ تلغرافياً باسمها في تسع كلمات يقطع شمالًا مراكز التلغراف على طريق جزائر هونولولو ثمَّ الفيليبين ثم هونغ كنغ فسينغابور ثم بماي فسويس فجبل طارق الى فيَّال ثمَّ نيويرك حيث وصل بعد ١٦ دقيقة ونصف. فكفى به شاهدًا على رقي النظام التلغرافي في الدول المتمدنة

اكتشافات برديَّة انَّ الاكتشافات المتعدّدة التي اجراها العلماء في مصر تأتينا كلَّ يوم بمعلومات غير منتظرة. كان الاثريُّون يرون سابقاً انَّ ترجمة الاسفار المقدَّسة الى القبطيَّة لم تسبق القرن الخامس او السادس. وقد وقفوا موُخرًا على قطع من البابير المصري عليها عدَّة نصوص من العهدين القديم والحديث كسفر تثنية الاشتراع ونبوَّة يونان وسفر اعمال الرسل مكتوبة بلهجة اقباط الصعيد التيبيَّة بالقلم الراقي الى اواسط القرن الرابع وقد نشرها العلَّامة بودج (W. Budge) وبيَّن في مقدَّمة كتابهِ انَّ هذه الاكتشافات وغيرها توجب بالاقرار انَّ الاسفار المقدَّسة قد نُقلت الى القبطيَّة منذ اوائل القرن الثالث وانَّ ترجمتها كانت تمَّت قبل اواخر ذلك القرن ومن هذا ينتج ايضاً انَّ النصرانيَّة كانت انتشرت في مصر والصعيد انتشارًا عظيماً فتتأيد بهِ رواية المؤرخين الكنسيين التي شكَّ البعض بصحتها

مكاتب نقَّالة اعظم همٍّ للعلماء اذا انتقلوا من مكان الى آخر ان يجدوا مكتبةً واسعة يستفيدون منها الَّا انَّ الامر يعتاص عليهم وكثيرًا ما

يتمنَّون لو ينقل احد معهم مكتبتهم التي اعتادوا مراجعتها . فهذه الرغبة قد حقَّقها اليوم العلم فانَّ بعض ذوي الثروة عمدوا الى رسم كتب ضخمة بالتصوير الشمسي على قطع صغير جدًّا بحيث لا يزيد حجم الكتاب على ٣ او ٤ سنتيمترات طولًا وسنتيمترين عرضاً وسنتيمتر ونصف سمكاً فيمكن ان يُجعل من هذه الكتب مئات بل الوف في صندوق واحد يسهل نقلهُ فاذا وصل العالم او الكاتب الى بلد امكنهُ بواسطة الفانوس السحري او المجهر تكبير صفحات هذه الكتب المصغَّرة والاستفادة منها ما شاء

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء الدمشقيين ايلتزم ذمةً الكاهن الذي قبل حسنة القدَّاس ان يقدم الذبيحة على نية المحسن وان لم يفعل أيحرم المحسن من ثمرة الذبيحة

حسنة القداس وثمرها

ج محتوم على الكاهن الذي قبل حسنة القداس ان يقدّم الذبيحة على نيَّة المحسن وان لم يفعل يخطئ خطيئةً ثقيلة ويلتزم من باب العدل ان يعيد الحسنة الى صاحبها . اماَّ ثمرة الذبيحة فلا تُنال لعدم وفاء الكاهن بوعدهِ وانما ينال المحسن فقط ثواب صدقتهِ كما لو احسن الى فقير محتاج او ماكر لوجه الله

وسأل احد قرَّائنا ايوجد خطر لانتشار بعض الامراض اذا غُمس الاصبع في اجران الماء المقدَّس

اجران الماء المقدَّس وانتشار الامراض

ج زعم البعض انَّ حمَّى التيفوس والهيضة تنتشران بغمس الاصبع في اجران الماء المقدَّس . لكنَّ هذا من الممكن البعيد لا يحصل الَّا بوقوع عدَّة شروط لا تجتمع الَّا نادرًا جدًّا . فالخوف اذن وهميٌّ اكثر منهُ واقعي وكم بالقهاوي والبيوت والنوادي العمومية من الاسباب التي هي اقرب كثيرًا لوقوع الوباء من اجران الماء المقدَّس والعجب انَّ المنتقدين يسكتون عنها ليوجّهوا نظرهم الى امور فضوليَّة فليطمئن الذين لا يكادون يدخلون الكنائس فضلًا عن كون الكنيسة لا تفرض على احد بالتبرُّك من الماء المصلَّى عليهِ . وعلى كل حال لا بُدَّ من تنظيف الاجران من وقت الى آخر كما تأمر بهِ القوانين البيعيَّة ل . ش



البانية

نظر جغرافيّ تاريخي اجتماعيّ

للاب لويس شيخو اليسوعي

قلّما تجد في بلاد الدولة العثمانيَّة قطرًا شغل افكار اربابها كالولايات الواقعة في حدود تركيَّة اوربَّة الشاملة لبلاد البانية. فانَّ سلاطين بني عثمان منذ تربَّعوا في دست السلطنة في حاضرة البوزنطيين صرفوا همَّتهم الى تلك الجهات ليكسروا نخوة اهلها ويوطدوا فيها سيطرتهم. الّا انَّهم لم يبلغوا منها غايتهم كما شاؤوا فكان ذلك البركان لا يخمد مدَّة الّا ريثما يجمع قواه فيقذف حُممهُ المصهورة ويلتهم بنيرانهِ ما تعرَّض لثورانهِ. وكأنَّ الالبان في هذه المدة الاخيرة عادت اليهم نوبة الهيجان فتهدَّدوا الدولة بنشر معالم الفتن واصلاء الحروب في ثغور الممالك العثمانيَّة فسُمع زئيرهم حتى اقاصي البلاد وكان لزمجرتهم وقعٌ سيّئٌ في القلوب. فلهجت الالسن في امورهم وكثر القال والقيل في احوالهم. فرأينا ان نحرّر هنا فصلًا جامعاً يوقف قرّاءنا على صحيح اخبارهم ليكونوا على بصيرة من يقينها ويميّزوا بين غثها وسمينها

١ جغرافيَّة البانية

﴿ اسمها ﴾ عُرفت البانية في العهد القديم باسم ابيروس وكان يدخل فيها قسم من بلاد ايلّيرية ودلماطية. اما اسمها البانية فلم يشع قبل القرون الوسطى قيل ان معناهُ البلاد الجبليَّة وبهِ دُعيت بلاد اخرى لوفرة جبالها. والاسم الذي اطلقهُ

عليها الاتراك هو ارنا وطلك اي بلاد الارناؤوط وقد زعم البعض انهم اشتقوه من لفظ الارغونوط احد شعوب اليونان القديمة. والصواب انَّ هذا الاسم مشتقٌ من لفظة يونانيَّـة حديثة ارڤنيتيس (Αρβανιτις) التي هي البانية (Albanitis) بعينها فقالوا « أرْوَنوط » ثمَّ قدَّموا النون على حرف العلة فقالوا ارناؤوط. امَّا الالبانيون فيدعون أنفسهم باسم شكيپيتار ومعناه في لغتهم «حاملو النسر» او «ابناء العُقاب» وليس كما زعم البعض « ابناء الصخور » وانتسابهم الى العقبان انَّما كان لسكناهم بين الجبال ولذلك اتَّخذوا في سالف الاعصار النسر كشعارهم فرسموهُ على راياتهم. وبموجبهِ دعوا ايضاً اوطانهم شكيپيريا

﴿ موقعها وحدودها ﴾ موقع البانية في تركيَّة اوربَّـة بين الدرجة ٣٩° و٤٣° من العرض الشمالي وبين ١٩° و٢١° ,٣٠' من الطول الشرقي. تحدُّها شمالًا بلاد البشناق والجبل الاسود وجنوباً بلاد اليونان ويتصل بها غرباً بحر الادرياتيك وبحر اليونان وتُتاخمها شرقاً ولاية الروملّي ومقدونية فيبلغ طول بلاد البانية نحو ٥٠٠ كيلومتر وعرضها نحو ٢٨٠ ك

﴿ وصفها ﴾ بلاد الالبان اوفر بلاد تركية اوربَّة جبالًا وصخورًا تقوم في وسطها الاطواد كحواجز طبيعيَّة لا يقوى احد على قطعها. وقد ورد في خرافاتهم انَّ ابليس في قديم الزمان كان يطوف سهول الارض وعلى ظهرهِ جرابٌ كبير فيهِ الجبال ليقسمها بين جهات المعمور فلمَّا وصل الى نواحي الالبان انشقَّ الجراب فصار نصيب البانية من الجبال والصخور اوفر من سواها. وما يثبت بالنظر الى خارطة البانية انَّ جبالًا عديدة تقطعها على خطوط متساوية من شمالها الشرقيّ الى جنوبها الغربي حتى تكاد تتصل بسواحلها البحريَّة كلبنان. وهذه الجبال لاحقة بجبال الالب المتفرّعة في انحاء اوربَّة الوسطى والجنوبيَّة. وهي تتركب في شمال البانية واوساطها من كربونات الكلس والطباشير وفي جنوبها من عناصر بركانيَّة. ومن هذه الجبال ما يبلغ ٢,٣٠٠ متر علوًّا فيتعمَّم بالثلوج الغرَّاء

وتكثر هناك الامطار في الاودية لاسيما في تشرين وكانون وتجري فيها الانهار الزاخرة كنهر دَرِين ونهر موراڤا ونهر ڤولوتسا وصخار وغيرها. وهذه الانهار اشبه بسيول جارفة في فصل الشتاء فاذا جاء الصيف نضبت وكادت تيبس فلا تصلح للمراكب

والقوارب الّا نهر ارتا في حدود اليونان ونهر بوجانا قريباً من اشقودره . وفي البانية بُحيرات واسعة كبحيرات سويسرة اخصُّها بحيرة اوخريدة وبحيرة پرسبا وبحيرة ڤنتروك وبحيرة اشقودره

اما المناخ فيختلف اختلافاً كبيرًا على حسب مواقع البلاد فالهواء معتدل في السواحل في فصل الشتاء بينما يقرس البرد في داخل البلاد على قدر ابتعادها من البحر . وفي اعالي الجبال ربّما هبطت درجات الحرارة الى ٢٠ و٢٥ تحت الصفر من المقياس المئوي حتى انّ الانهار عينها تجمد . امّا الربيع والصيف فيطيب فيهما الهواء في الجهات العليا على خلاف السواحل التي تغلب عليها الرطوبة والحمّيات لما يبقى من المستنقعات الوخمة في جوارها . وترتفع درجة الحرارة الى ٢٨ و٣٠ فوق الصفر

﴿ حاصلاتها ﴾ حاصلات البانية تتنوَّع مع اختلاف طبقات علوّها . فترى في سواحلها وسهولها واوديتها ضروب الغلّات كالحنطة والشعير ولا سيما الذُّرَة التي يغتذي بها عموم الاهلين وكذلك صنوف الخضر والبقول والقطن والكتان والقرمز والتبغ الجيد . اما التربة فكثيرة الخصب حتى ان الفلّاح يستغلّ منها في بعض نواحيها غلتين في السنة . وعلى معاطف تلالها الكروم الحسنة ويصطنعون الخمر المستطابة . وتكثر عندهم الاشجار المثمرة بانواعها لاسيما الزيتون ويزرعون شجر التوت لتربية دود القزّ . وعلى جبالها الغابات المتسعة من الصنوبر والشربين والدلب يستحضرون منها الاخشاب والراتينج

وفي جبالهم الذئاب والدببة والخنازير البرّيّة والنمورة ويصطادون الايائل . وهناك تحلّق النسور وكواسر الطير . وهم يربُّون الخيل الجياد ومنها صنف بلدي معتدل القوام قويّ البنيَّة . واكثر اشتغالهم بتربية المواشي فلهم القطعان التي لا يفي بها احصاء من الغنم والبقر والماعز وهم ينسجون من اصوافها المنسوجات المطرَّزة وسواها التي يُقبل عليها الزبائن وتباع في الخارج

ولا تخلو البانية من المعادن المختلفة كالرصاص والحديد والفحم المعدني والقير الّا ان الاهلين لم يكادوا حتى اليوم يستثمرونها

﴿ اقسامها واخصّ مدنها ﴾ يقسم الجغرافيون البانية ثلاثة اقسام: البانية العليا او الشماليَّة والبانية الوسطى او المركزية والبانية الجنوبيَّة . امَّا الدولة العثمانيَّة

فانها جعلت البانية اربع ولايات: قوصوه ومناستر شرقاً ثمّ اشقودره ويانيه غرباً. فلقوصوه ستة سناجق: اسكوب وپرشتنه ويكي بازار وايپك وطاشليجه وپرزرين تُقسم الى ٢١ قضاء و١٦ ناحية ويربي قراها على ٣١٠٠ قرية. ولمناستر خمس سناجق: مناستر وسرفيجه ودبره وايلبصان وكوريجة تبلغ اقضيتها ٢٢ قضاء ونواحيها ٣٤ ويلحق بها نيف و١٩٠٠ قرية. ولاشقودره سنجقان: اشقودره ودراج مع ثمانيـة اقضية وعشر نواحي يتبعها ٤٧٦ قرية. امّا يانيه فسناجقها اربعة: يانيه وارگري وپروزه وبرات فيها ١٥ قضاء و١٠ نواحي ونحو ١٦٠٠ قرية. فاخصُّ مدنها الشمالية قوصوه واسكوب من اسواق التجارة المهمّة وپرشتنه احد المراكز الحربيّة الحصينة ويكي بازار او نوڤي بازار في موقع راتشا حاضرة الصرب القديمة وايپك واشقودره التي لها فرضتان على بحر الادرياتيك اي بار ودراج الشهيرة قديماً باسم دورازُّو ودير اكيوم احدى المدن التجاريّة الكثيرة المعاملات مع ايطالية. واشهر مدن البانية المتوسطة مناستر التي يدعوها الترك ايضاً بطاليه وهي مدينة وافرة الخيرات فيها بقايا اديرة قديمة اشتقوا منها اسمها ومعناهُ الدير. امّا البانية الجنوبيّة فاكبر حواضرها يانية او يانينة التي موقعهـا في جوار دودون الشهيرة في تاريخ اليونان بهيكلها حيث كان يُعبد المشتري ثمّ دعاها النصارى يوهانينا اكراماً للقديس يوحنّا الرسول ومنها اشتقّ المحدثون اسم يانينة. وهناك ايضاً مدينة اركِرى وهي ارجيروكسترو ليست بعيـدة عن البحر حيث الفرضة الفاصلة بين البانية وايطالية

﴿ اهلها وعناصرها ﴾ انّ الاحصاءات في تعريف عدد الالبانيين تختلف كثيراً اذ كلها مبنيّة على الحدس والتخمين. والمرجح ان الالبانيين في الولايات الاربع يبلغون مليوناً ونصف مليون. وهم ينقسمون الى اسباط او عشائر يدعونها فيس او فراس لكل منها زعيم او امير يساعدهُ بعض الشيوخ في تدبير السبط. فالى هـذه الشورى يرجعون في امورهم. والالبانيون على اختلاف اسباطهم يرتقون الى شعب قديم يُدعى بيلاسج (Pélasges) هاجر قسم منهُ الى ايطالية واليونان وهم ينقسمون اليوم الى عنصرين كبيرين هما في نزاع وخصام ابد الدهر العنصر الشمالي المعروف باسم غاغ (Guègues) والعنصر الجنوبي المسمى توسك (Toskes) يفصل بينهما نهر شكومب. وللعنصرين اخلاق الجبليين الذين يفضلون الاستقلال والحرية على مـا

سواهما وهم مطبوعون على شظف العيش والقناعة وكلهم من ذوي الفراسة والتحمُّس يرون في الحروب والقتال لذَّة وارتياحاً . ولهم نفوس ابيَّة فلا يصبرون على ذلّ ولا يغضون على ضيم فاذا سُفك دم احدهم لا يدعهُ اهلهُ مطلولًا فلا يزالون يرصدون القاتل حتى يقتلوهُ او واحدًا من ذويهِ ولو كان اعزّ من عُقـاب . والارناؤطي شاكٍ بالسلاح ابدًا لا تفارقهُ بندقيَّتهُ ليلًا مع نهار ومن امثالهم : من نزع عني بندقيتي نزع عني اخي وسندي . وترى الاحداث والفتيَات لا يسيرون الّا وفي اوساطهم الخناجر او الفرود . وان دعاهم الشيوخ الى الحرب لبَّوا دعوتهم من ساعتهم فساروا الى مقاتلة العدو كسيرهم الى وليمة يتغنَّون باغانيهم الوطنيَّة ويتناشدن القدود الحماسيَّة ولا يبالون بالموت . وبينهم التضامن والتحالف فيعدُّ كل منهم ابن عشيرتهِ كنفسهِ فيبذل ذاتهُ دونهُ . ولربّ البيت في العائلة المقام الارفع والسلطة التامة لا يأْتي احد امرًا الّا باذنهِ . واولادهُ اطوع لديهِ من خنصرهِ . امَّا المرأة فهي في حالة حرجة تراها مقصورة في بيت ابيها وهي فتاة وفي بيت زوجها بعد اقترانها بشاب لم تعرفهُ على حسب رضى والدها . واذا اتت امرًا مريباً قُتلت قتلًا شنيعاً بحكم اهلها الادنين وعليها في البيت الاشغال الشاقَّة فعيشتها اشبه بعيشة العبيد . ومع هذا ترى النساء في امان تامّ لو شئن لطُفن كل نواحي وطنهنَّ دون ان يتعرض احد لنفوسهنَّ او ينتهك حرمتهنَّ . والنساء عادةً قويَّات البنية طويلات القامة . ومع ما خُصَّ به الالبانيون من الفظاظة والخشونة قد اشتهروا ايضاً بالاستقامة وصدق المعاملة والامانة في الخدمة

وبين الالبانيين عناصر اخرى اختلطت بهم اخصُّها امَّة الزنزار وهم من الفلاخيين واصلهم من قدماء الداقيين الذين كانوا في خدمة الرومان وهم يمتازون عن الالبانيين بسحنتهم واخلاقهم وهم يشتغلون بالزراعة وابنية البيوت ورعاية المواشي

❊ لغاتهم وآدابهم ❊ للالبانيين لغة خاصة يرتقي اصلها الى السنسكريتيَّة فلها علاقة مع اللغات الاوربيَّة القديمة الّا انها امتزجت بتوالي الاعصار بكثير من الالفاظ الصقلبيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والتركيَّة . وبين لغة الغاغ ولغة التوسك اختلاف يُذكر حتى لا يكاد بعضهم يفهم البعض الآخر . ولهم كتب لدرس لغتهم سعى المرسلون الكاثوليك في نشرها منذ القرن السابع عشر في روميـة بالحرف اللاتيني . وكذلك شاعت بينهم الروايات الوطنيَّة والاناشيد . ومن شعرائهم في القرن الثامن عشر يوليو

باريبوبا قصد القصائد الدينيَّة واشتهر بعدهُ في القرن التاسع عشر الكاثوليكي دي راد والمسلم نسيم بك . ولهم اليوم بعض جرائد ومطبوعات ادبيَّة. وكانت مدارسهم قليلةً جدًّا. وسعت الدولة العثمانيَّة بنشر الحروف العربيَّة بينهم فكان ذلك من اقوى الاسباب لاهمال التخرُّج بالآداب الوطنيَّة. لكنَّ الكاثوليك كألوف عادتهم قد فتحوا المدارس لاحداثهم وهذَّبوهم على قدر ما سمحت بهِ الاحوال

❊ اديانهم ❊ كان للدين الكاثوليكي التقدُّم على سواه قبل فتح الاتراك لبلاد البانية: ولمَّا بسطوا عليها سيطرتهم هاجر كثيرون الى ايطاليا واستفزَّ الطمع بقسم كبير فدانوا بالاسلام ليحصلوا على املاك المهاجرين وعلى الامان والحرّيَّة. وقد اكد كثيرون من الذين عرفوهم انهم لم يأخذوا من الدين الاسلامي سوى قشرتهِ قال اليزه روكلو في جغرافيَّتهِ العامَّة (Elisée Reclus, *Géographie Universelle*):

« ليس للالبان المسلمين غيرة كبيرة على الدين وقد حفظوا كثيرًا من عادات النصارى القديمة فارتدُّوا دون ايمان صادق ومن امثالهم قولهم: حيث السيف فهناك الايمان ». والمسلمون اليوم في البانية نحو الف الفٍ واكثرهم في ولايتي قوصوه ومناستر لقربهم من الاتراك

وفي البانية ايضاً ١٢٥,٠٠٠ من الروم التابعين لكنيسة الفنار لهم اساقفة يهتمون بتدبيرهم الروحي. واكثرهم في ولاية يانية. وكثير منهم في جهات اليونان

امَّا الكاثوليك فارقى اهل البانية حضارةً واكثرهم في ولاية اشقودره. ومنهم قبائل المردة والماليسور والماتية. يبلغ عددهم الرسميّ ١٣٠,٠٠٠ لهم في البانية ست ابرشيَّات . منها ابرشيتان منوطتان بالكرسي الرسولي توًّا وهما ابرشيَّة دراج وابرشيَّة سكوب. والابرشيَّات الثلث الاخر يرعاها ثلاثة اساقفة من النمسويين كراسيهم في ولاية اشقودره في مدن سابا وألِسيو وبولاتي تحت رئاسة مطران مركزهُ في حاضرة اشقودره واسمهُ في يومنا السيد سيريجي (Mgr G. Sereggi) منذ سنة ١٩١٠

٢ نظر تاريخي

كانت البانية في القرون السابقة لعهد الرومان موطناً لقبائل مستقلَّة تتنقَّل في جبالها وهي ترعى المواشي. فلما قويت شوكة المقدونيين في القرن الرابع قبل المسيح

ساروا الى القسم الجنوبي من البانية وهو المعروف بابيروس ففتحهُ فيلبوس ابو الاسكندر ذي القرنين وضمَّهُ الى بلادهِ فصار لاحقاً بدولة اليونان ومشى كثيرون من اهلهِ في جيوش الاسكندر فامتازوا بشجاعتهم وبعد موت ذي القرنين استقلَّ بعض ملوكهم اشهرهم پيرُّوس في القرن الثالث قبل المسيح فانهُ نزع الملك من ايدي مغتصبيهِ وفتح الفتوحات العديدة وحارب الرومان وانتصر عليهم ومصَّر بلادهُ التي لعبت اخبارها دورًا عظيماً في اساطير اليونان فجعلوا فيها مقام آلهتهم وكسوا جبالها واوديتها وينابيعها وغاباتها ثوباً قشيباً من خرافاتهم التي لم تزل تتناقلها عنهم اخلافهم فشاعت شيوعاً عظيماً

وكانت جهات البانية الشماليَّة والشرقيَّة المعروفة ببلاد إلّيريَّة وميزيا اخذت ايضاً تنتبهُ من سِنتها وتنضو عنها ثوب الهمجيَّة فجمع اهلها كلمتهم تحت رئاسة ملوك وطنيين. الَّا ان الجبَّار الروماني لم يلبث ان يتطالَّ للبلاد الواقعة ما وراء بحر الادرياتيك طامحاً نحوها ببصرهِ ففي السنتين ١٦٧ — ١٦٨ ق م زحف پول اميل بجنود رومية الى تلك البلاد وابطل دولها والغى سلالة ملوكها والحقها بالجمهوريَّة الرومانيَّة فصارت ادارتها في ايدي ولاة وحكَّام من قبل الدولة وبقيت تحت سيطرة الرومان اجيالًا عديدة الى ان خلفهم الروم البوزنطيون في القرن التاسع

وكانت النصرانيَّة دخلت في جبال البلقان وبين الامم ساكنة في وسطها بعد المسيح بزمن قليل نفذت اليها من مقدونية ومن نواحي اليونان حيث بشر بولس الرسول ثم تبعة الرسل. وقد ذكرت التواريخ الكنسيَّة اساقفة لبعض مدن البانية منذ القرن الثالث كما انها روت اخبار عدد من الشهداء ماتوا هناك في سبيل دينهم قبل قسطنطين

ولمَّا ضعفت دولة البوزنطيين انقضَّ الصقالبة والبلغار على البانية ولواحقها وصارت قسماً من بلغارية الكبرى فبقيت خاضعة لملوك البلغار ثلاثة اجيال حتى انتقض حبل الدولة البلغاريَّة فعاد ملوك الروم سنة ١٢٠٤ م واستولوا على البانية وانشأوا فيها دولة دامت مئة سنة بنيف واقطعوها امراء من قرابتهم من سلالة كومنين لكن ملوك نابولي والبنادقة جعلوا يرمون بطرفهم الى نواحيها فتملَّك الدوق حنًّا ثاني ابناء ملك نابولي على أَلِبِسيو وضبط البنادقة اشقودره وارتا وبعض

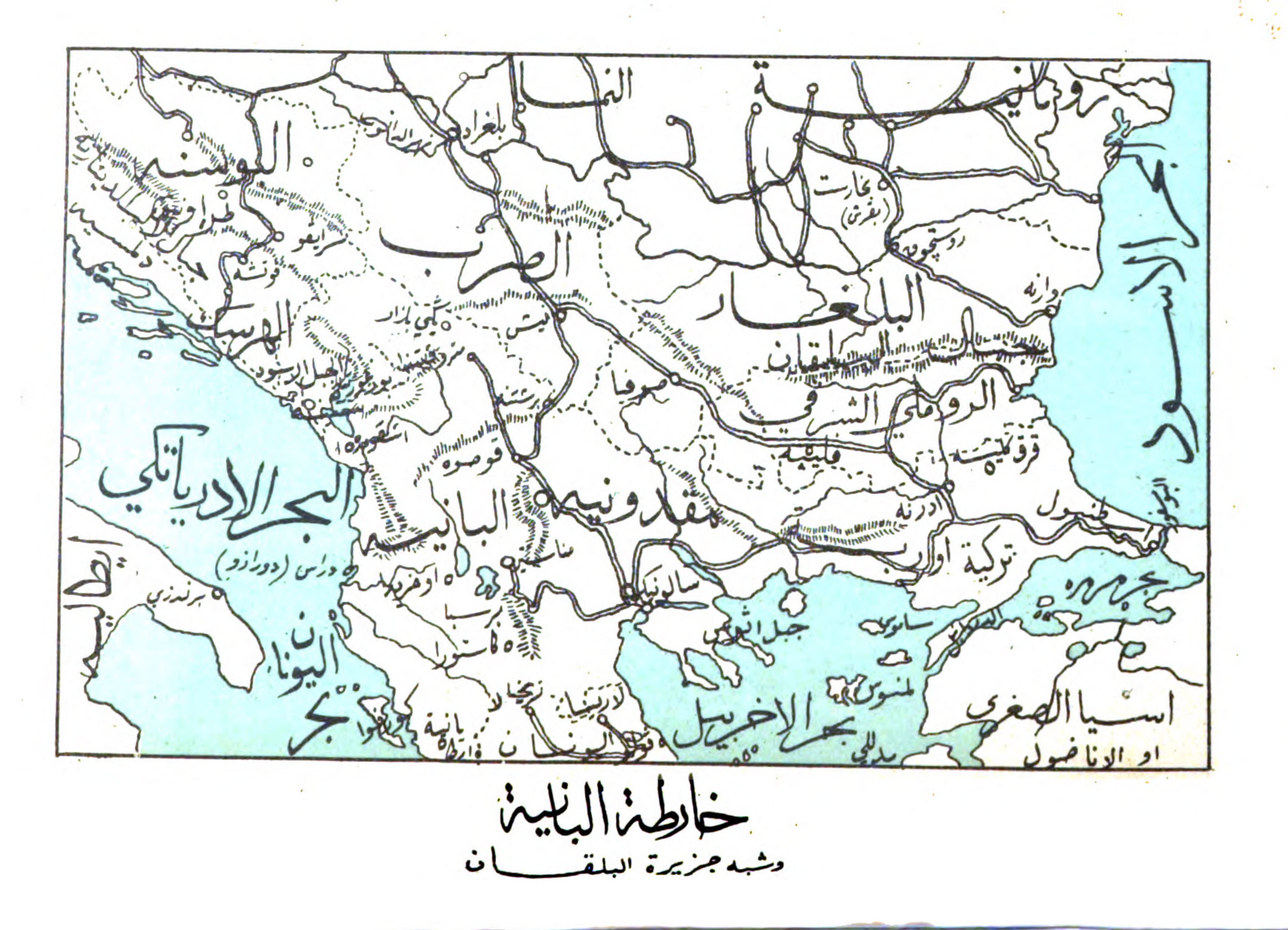
المدن الساحليّة كدراج واستقلّ القسم الآخر تحت حكم امرائها

ثمّ ظهرت دولة بني عثمان فامتدت في القرن الرابع عشر والخامس عشر الى جهات البلقان وانتشبت تلك الحروب الهائلة التي شابت لها رؤوس الاطفال ففتح الاتراك مقدونية ورومانية والبلغار والصرب والبشناق فلم يقم في وجههم قائم معابذلهُ بعض ملوك النصارى من الهمّة والبسالة الغريبة كجان هونياد (Jean Hunyade) ومتياس كورڤين (Mathias Corvin) وغيرهما. وكانت البانية تتوقع غزوات الاتراك الذين عرفوا نخوة اهلها فامتنعوا مدّة عن محاربتها ورضوا باداء الجزية من اميرها جان كستريوتا الذي ارسل ابنهُ جرج كرهينةٍ للسلطان مراد الثاني. فبقي جرج في حوزة بني عثمان الذين غصبوهُ على دينهِ ودعوه اسكندر بك (Scanderbeg)

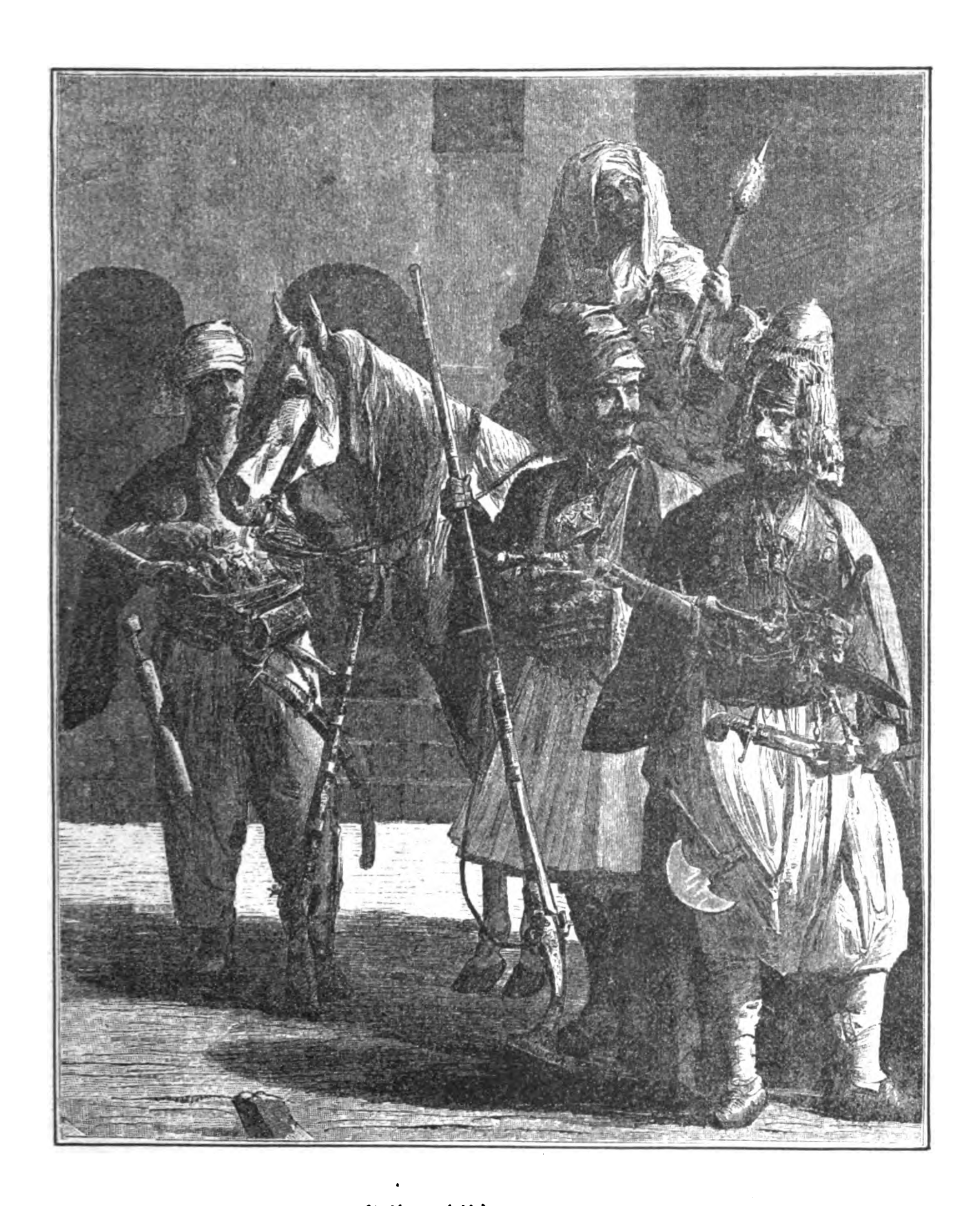
فلما مات ابوه طلب ان يُطلق سراحهُ فلم يُجب السلطان الى دعوتهِ فساءهُ ذلك وانتهز فرصة واقعةٍ جرت في نيساً سنة ١٤٤٣ ففرّ هارباً بعد ان حصل على صكّ امضاه لهُ كاتب اسرار الدولة مؤداه ان تُفتح لهُ قلعة كرويا في البانية. فلما وصل الى وطنهِ اعلن بدينهِ النصراني وضبط القلعة ونادى بالحرب بين مواطنيهِ فتبعهُ الارناؤوط وسكّان الجبل الاسود وسار بهم الى محاربة الاتراك وانكى فيهم النكايات المتوالية حتى صار اسمهُ مرادفاً للبطل المغوار وللفارس الظافر قيل انهُ غلب الجيوش العثمانيّة في ٢٢ موقعة كبيرة وبقيت البانية طول حياتهِ حائزة لحرّيتها التامة

ولعلّ البانية لم تكن لتفقد استقلالها بعد وفاة اسكندر بك سنة ١٤٦٧ لولا ان شيطان التفريق والتقسيم دخل بين زعمائها وصدع شملهم فعاد اليها الاتراك وضمّوها الى ممالكهم. وفي سنة ١٤٧٨ تخلّى البنادقة للدولة عن اشقودره على انّ هذا الخضوع للدولة العثمانية كان قليل الثبوت سريع العطب بالنظر اكثر منهُ بالفعل. وكان السلاطين اذا حاولوا الضغط على البانية قام اهلها في جبالهم وشقّوا عصا الطاعة الى ان تعدل الدولة الى الرفق وتؤثر غضّ النظر

وكثيراً ما دعا بعض امراء الالبان الوطنيين الى نفوسهم كالاميرين الالبانيين محمود مصطفى بوشتلي في اواخر القرن الثامن عشر فعصيا مدّة على الدولة. وقام في اوائل القرن التاسع عشر علي باشا المعروف بالتبه دلني والي يانية فهذا اقترن بابنة احد رؤساء الالبانيين وجيّش الجيوش وعاهد انكلترة ثمّ استقلّ في الحكم



خارطة البانية
وشبه جزيرة البلقان



صورة بعض الالبان وازيائهم

وجعل يانية قصبة ملكهِ فحصَّنها وزانها وانشأ فيها المدارس وجهَّز لها المكاتب متقفياً آثار الامم المتمدنة. وبقي كذلك الى السنة ١٨٢٢ حيث خانهُ خورشيد باشا فقتلهُ غيلةً بمساعدة اليونان

على ان الالبان لم يبرحوا عن طلب الاستقلال فاوقدوا نار الحرب سنة ١٨٣٠ ثمَّ سنة ١٨٤٣ ثم سنة ١٨٧٩ لمَّا قصد مندوبو معاهدة برلين ان ينزعوا قسماً من البانية ليضمُّوها الى الدول المجاورة ثم اخيرًا السنة ١٨٨٧ فكانت كل هذه الثورات دليلًا باهرًا على اباء الالبانيين وتفانيهم في سبيل وطنهم وتفضيلهم المنيَّة على فقدان الحريَّة

٣ نظر اجتماعي

عرف الباب العالي ما في قلوب الالبانيين من الثبات ورباط الجأش والارتياح الى معامع القتال فاراد تأليف خواطرهم بأن منحهم بعض الامتيازات وعافاهم من أداء الجزية وتركهم في جبالهم يجرون على عاداتهم التي أَلِفوها منذ سالف الزمان في التشريع والمحاكمات وعقاب الجناة اذ يرفعون دعاويهم الى شيوخهم ولا يسمحون لعمَّال الدولة بان يتداخلوا في امورهم الَّا في بعض القضايا المعلومة. وكان المسلمون منهم ملتزمين بالخدمة العسكرية الَّا انَّ كثيرين بينهم كانوا لا يؤدونها لقلَّة ضبط الاحصاءات

امَّا النصارى فكانوا معافين من الخدمة وربما انتظموا في سلك جيوش الدولة متطوّعين فكان المَردة يؤلفون فرقةً ممتازة لهم قائد من دينهم وراية خاصة تمثل الشمس حمراء تشعُّ على نسيج ابيض ذي اطار احمر. وفوق الشمس صورة الهلال وفوق الهلال صليب. وكان يسير بصحبتهم كاهن كاثوليكي يخدمهم في الروحيَّات. وقد اعترفت الدولة العلية بفضل هؤلاء النصارى وجازتهم على بأسهم بان منحتهم في كل عام مئة حمل ذُرَة من اعشارها او ما يوازي ثمنها

وان سألت من هم هؤلاء المَرَدَة او المِريديت كما هو الشائع. اجبنا انَّ البعض يقولون انهم من نسل اولئك المردة الذين كانوا في قيليقية وانتدبهم ملوك بوزنطية الى الدفاع عن لبنان على عهد بني اميَّة فحاربوا المسلمين مدَّة الى ان وقع الصلح بين ملوك الروم والخلفاء فعادوا الى قيليقية. فمن المحتمل ان فرعاً منهم اعتصم بعد ذلك

بجبال البلقان فتناسلوا وكثروا وحفظوا عاداتهم واستقلوا في حفظ دينهم. ولهم امراء من جنسهم واميرهم منذ بضع سنوات البرنك (البرنس) بيد دودا وهو حفيد رجل شهير كان اسمهُ بيب دودا من صناديد قومهِ كان قصد ان يحرّر بلادهُ من سيادة الاتراك لولا انهُ عوجل بالقتل مسموماً. امّا بيد دودا حفيده فاحتالت عليهِ الدولة وسعت باستقدامهِ الى الاستانة ثمَّ نفتهُ الى قسطموني. فكان نفيهُ موجباً لثورة جديدة في البانية. وقد سبق ان عدد الكاثوليك في البانية ١٣٠,٠٠٠ لكنَّ بعض السيّاح قد ضاعفوا هذا العدد حتى ان الرحّالة بوجاد (Poujade) الذي سكن بينهم مدّة قد جعل عدد المردة وحدهم ١٤٧,٠٠٠

ويجاري المردة في بسالتهم الماليسور الذي هم ايضاً من الكاثوليك ولعلهم اكثر عدداً من المَرَدَة. وهؤلاء الكاثوليك ولا سيما المردة محبّون لفرنسة التجأوا غير مرّة الى حمايتها منذ القرن السابع عشر والثامن عشر

وكل هذه القبائل النصرانيّة منها والاسلاميّة معاً تائقة الا الاستقلال وتطلب وسيلة لتنال مرغوبها

وكان عبد الحميد قد سعى جهدهُ في ان يؤلف قلوب الارنأوط فاتّخذ منهم فرقةً لحراسة شخصهِ وخوّلهم منحاً متعدّدة ورقّاهم الى مناصب رفيعة الّا انَّ كلّ هذه الامتيازات لم تُنسهم حرّيّة جبالهم. فلمّا حدث الانقلاب الاخير على يد تركيّة الفتاة كان لقسم من الالبانيين فيهِ حصة مذكورة فلولا انتصارهم للدستوريين في ٢٠ تموز سنة ١٩٠٨ في قوصوه وفريسوفتش لما تمَّ الامر بسهولة. كذلك لمّا حاول الارتجاعيون في نيسان سنة ١٩٠٩ بان يضبطوا زمام الحكم ثانية كان سقوط عبد الحميد بفضل عسكر الالبانيين

فهذه الخدم التي ادّاها جنود البانية للدستور كان من حقهم ان يُجازَوا عليها ببعض الاختصاصات فكان الامر على خلاف ما ظنّوا فان ارباب الدستور ارادوا ان ينزعوا عنهم امتيازاتهم القديمة وينظموهم في سلك بقيّة العناصر العثمانيّة فأحفظتهم هذه المعاملة ونقموا على الدولة ونشروا لواء العصيان في مواطنهم. فارسل وزير الحربيّة بعثةً عسكريّة لمحاربتهم تحت قيادة طورغود باشا فساروا الى بلادهم وتشدّدوا عليهم ونهبوا قراهم وصادروا اهلهم فكانت نتيجة هذه المعاملة ان قام

الالبانيون وتألّبوا من كل صوب وأوب وشنوا الغارة على جيوش الدولة وحمّلوهم خسائر كثيرة وتفاقم الامر حتى صار ذلك داعياً لسقوط الوزارة وجعلوا يسترضون الالبان. بل سار جلالة السلطان بعينهِ الى بلادهم لجبر خاطرهم ومنحهم العفو التامّ وتبرَّع عليهم بنحو ٧٠٠,٠٠٠ فرنك تعويضاً عن مالهم المفقود وكَدِية عن دمهم المسفوك

على انَّ هذه الهبات والصلات الملكيَّة لم تكن لتشفي غليل الالبانيين انَّهم طلبوا اثبات امتيازاتهم القديمة بل ارادوا زيادة على ذلك ان توضع لالبانية حدود سياسيَّة ممتازة وان تُجعَل لها راية خاصة وان يكون ولاتها وعمَّالها من الالبان فقط وان تُعرف لغتهم الالبانيَّة كلغة رسميَّة وان تتعهَّد الدول بتنفيذ هذه الاصلاحات. وقد كتب الالبانيون على اختلاف اديانهم قرارًا للعمل بهذه البنود وقام مبعوثوهم في نادي العموم ليطلبوا الاعتراف بها محتجين على سوء معاملة جمعيَّة الاتحاد والترقي لمواطنيهم بعد ان تفانى الالبانيون في صالح تركيَّة. فكان لكلام هؤلاء المندوبين صدى استحسان في الوزارة وفي قلوب كل العثمانيين ولم يكن تأثيرهُ قليلًا في حلّ ندوة المبعوثين الاتحاديين. واصحاب الوزارة الجديدة لا يألون جهدًا في اخماد لظى الالبانيين والكلّ في انتظار الانتخابات المقبلة ليروا ما سيكون من امرهم. فان هناك مشكلًا عظيماً لا يمكن حلّهُ الَّا باخطار عظيمة على الدولة فان منحوا الالبانيين مطلوبهم فذلك اشبه باستقلال سوف يطلبهُ غيرهم ايضاً وان رفضوا عليهم طلبتهم اثاروا ذلك العنصر القويّ وعاد الالبانيون الى تهديد ثغور الدولة ولا سيما انهم في جوار الجبل الاسود والصرب والبلغار والمقدونيين وكل هذه العناصر في غليان متواصل اذا فار فائرهم لن يخمد الَّا بعد الجهد الجهيد ووقوع الاهوال وبينما نحن نكتب هذه الاسطر تدوي في آذاننا أنباء الحرب التي سُمع هزيها في اطراف البلقان والله يعلم ما سيكون من امرها وقد سرّنا انَّ الالبانيين الكاثوليك عرضوا نفوسهم على الحكومة السنيَّة متطوّعين في خدمتها بل كتب المهاجرون منهم الى اميركا الى جلالة السلطان باستعدادهم للدفاع عن الدولة. لطف الله بعبادهِ ونجّى الوطن العزيز ممَّا يتهدَّدهُ من اسباب الخراب فهو اللطيف الرحيم

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ انَّ الامير طرد من خدمتهِ منصور الدحداح ولزم بيتهُ وهذا كان معتمد عندهُ وابوه قبلهُ وبيده الحلّ والربط ويقضي مصالح للناس والامير يسمع منهُ

ثمَّ انهُ عند الامير رجل حمصي اسمهُ بطرس كرامه فهذا (كان) شاعرًا لبيباً . فمن مدة سنين حضر لدير القمر يتردَّد على الامير فانحظ منهُ واستقام عندهُ يتسلَّى بهِ فقط . وحينما توجه لمصر اخذه معهُ وكان يساعدهُ بالتدبير مع حنًّا بحري . ومن كونه فهيم كان يقضي ("200") غرض وصار بيت سره وزاد ميلهُ لهُ جدًّا . وحينما رجع الامير من مصر للجبل تعلق فيهِ بزيادة وقدمه على منصور . وبعده مسك المغلق وصار بيدهِ حل وربط لزم ان الامير ترك منصور كليًّا وراح بيتهُ وصار بطرس المذكور يفعل ما يريد : واموره مـا هي مقبولة وصار بدهُ يسعد باقرب وقت وانشا امور غير جائزة ولا هي مرضيَّة . وطمع بالامير واولاده ومهما عمـل ما يراجعوه وجمع مالًا غزيرًا وثبت الحكم للامير بكل راحة جملة سنين

ولا بُدّ حصل حوادث خفيفة بالجبل قد غبي عنا معرفتها لعدم سؤالنا من بُعد المكان . الى انهُ دخلت سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م) وبهذه السنة عزم والي مصر باخذ بلاد سوريّا . وحضر ولدهُ ابراهيم باشا بعساكر وافرة الى يافا وملكها وعبدالله باشا تحصن في عكا وحاصرهُ ابرهيم باشا . واخيرًا ملكها ومسك عبدالله باشا وارسلهُ الى الاسكندريّة لعند ابيه . وحاشه ايّاماً ثم اطلق سبيلهُ وراح لاسلامبول وباقي في برّ الترك الى يومنا هذا

ثم جاء ابرهيم باشا واستولى بلاد الشرق والشمال الى حدود آدنه . والامير بشير كان مطابق مع والي مصر في اخذ هذه الاماكن . وساد في حكم الجبل ويعمل ما يريد وبالمحارفات والمداورات جمع مالًا غزيرًا بسبب انشاء مال الفردة الذي دعوها اعانة خيريّة وزيادات في مال الميري وغير اشياء . وما من يفتش ولا يراجع . وبطرس

كرامة صاحب الشور والتدبير. وهكذا مضت جملة سنين على هذا الحال والناس مقهورة جدًّا. الى انهُ في سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) انطلب من الامير مال الاعانة والسلاح ورجال ايضاً تروح لعكا للمحافظة. والجبل بحال الضيق والناس افتقرت جدًّا من المخاسر والغلا. وما بقي لهم صبر للاحتمال وكبر عليهم الوهم من امر السلاح وتعيين عسكر منهم لعكا. فهاجوا على حين غفلة في ابتدا سنة الف ومايتين وستة وخمسين (١٨٤٠م) وحصل اتفاق صاغ لا يتغير بين الدروز والنصارى وجميعهم يكونوا برأس واحد وصوت (200٧) واحد. وظهروا الجميع ضدّ ابراهيم باشا والامير بشير. واعطوا جواب لا يدفعوا مال ولا سلاح ولا غيره

فارسل ابراهيم باشا عسكر للبقاع فهجموا عليهِ الجبليَّة بغير تمييز فقتل جانب منهم ومن النظام. ولكن عسكر الباشا ظفر بهم وجابوا منهم مرابيط فحبسوهم بالشام. ومنهم قتلهم شريف باشا بالشام. واهل الجبل هاجوا جدًّا وكل يوم يزيد الحال اكثر. فخاف الامير من هذا الشرّ وقصد يداور الامور بالنوع الممكن. فصار يلتفت لناحية الدروز ويأملهم ويطمنهم وربما رشاهم بالمال على يد وسايط حتى جلبهم لناحيته وصاروا ضدّ النصارى. وبهذا النوع بردت تلك الحمية التي كانت حاصلة من النصارى في قاطع بكفيا وكسروان وجبيل ووقفت الامور. وحرَّر الامير الى ابراهيم باشا برفع محاربته الجبل وان الاحوال تنتهي على سلامة

وصار الامير يتحارف في كيف يملك المقاطعات. فعمل حيل كثيرة وخداع حتى امكنهُ يحوش بعض اماره من بيت شهاب ومن امراء اللمن. فمسك سبعة اماره ويتبعهم نحو خمسين نفرًا من خواصهم واتباعهم. والاماره قيَّدهم وارسلهم لعكا ومن هناك ارسلوهم للاسكندريَّة. والباشا هناك ارسلهم لبلاد السودان المضمون قصده يعدمهم لا محال. ومن جرى ذلك حصل وهم عند الاهالي وهديت الامور نوعاً ولكن القلوب شاعلة بنار والامير لازال يسعى بتدبير آخر وكل رغبتهُ يزيح كل متكلم بالجبل من امير وشيخ ويملك الجبل هو واولاده والكيخية بطرس كرامه الذي سلب مقتنى الفلاحين في حركات محرمة شيطانيَّة

كذا انهوا عنهُ ولكن الله لا يريد البغي والجبر كما قال الله عن لسان اشعيا

النبي : كل رأي رأيتموه يشتته الله وكل قول قلتموه لا يثبت فيكم. الامير افتكر انهُ يملك الجبل اكيدًا ولكن الله لا يريد

ففي الوقت الذي بهِ عامل جهده ُ في ملك اربهِ واذ نفد لبيروت مراكب انكليز حربيَّة وشاع الخبر اتفاق اربعة ملوك اروبا على رفع محمد علي باشا والي مصر من حكم بلاد الشرق والباقي. وحضر ابراهيم باشا من انطاكية واتفق مع الامير بشير واهالي كسروان (201r) اظهروا الغرض واتحدوا مع الانكليز الذي جاب عسكر عثملي وطلعوا الى جونية واتفقوا جملةً على محاربة ابراهيم باشا والامير بشير. وصار محاربة في ساحل كسروان وقتل من الجهتين وابراهيم باشا. نصب اورديه (معسكره) في عين صنين ومعهُ الامير خليل ابن الامير بشير وغيره ُ مع عسكر من بلاد الشوف . واشتدَّت الامور. وشرح الذى صار وكيف الانكليز ملكوا عكا وبيروت وصيدا وكيف طردوا عسكر ابراهيم باشا وعسكر الامير بشير اهالي الجبل فقد حررنا ذلك باطن كتابنا هذا

انما نقول هنا كيف انتهى حال الامير بشير وفروغ املهِ وصدق قول الشاعر « اذا كان يريد الله زوال نعمة عن قوم ففي الابتدا يعدمهم التدبير »

فهذا الامير من حين بداية الشرّ بالجبل صار يظهر شراسة ومقاهرة وقصد قهر الاهالي واطاعتهم بواسطة قوة دولة مصر الذي كان مستغرًا بها جدًا. ثم وحسن عنده ُ يفرق البلاد عن بعضها واخيرًا يدمس الجميع جملة. وقد ملك اربهُ بوقته حيث بسكون ذاك الهيج الذي كان حاش الامارا الذين هم ذوو حركات ويتعبوه فبالحيل والخداع حاشهم ولو يمكنهُ عدمهم ما كان توقف. ولكن حسب حساب ان الدروز المتفقين معهُ ينوهموا من فكّ الرباط الذي مربوط منذ القديم ان الحاكم لا يقدر يدمي في ارباب المقاطعات من تلقا نفسهِ الا باسباب قوية وبمطابقة اصحاب المقاطعات على بعضهم والذين متفقين الان مع الامير ليس هم من ذوي القوات المشهورين بل رعايا ومتقدمين. فجاء في فكرهِ يرسل الذين مسكهم لمصر وكتب انهم ينفوا لبلاد بعيدة ويبادوا هناك. ومفتكر في عدم ما بقي بالجبل كما هو الملحوظ. فجد هذا الحادث ومع ذلك كان متأمل بقوة دولة مصر يخذل مسعى الانكليز ويصير مداوره.

وذات الانكليز والعثملي من عجزهم يعودوا يتفقوا مع الامير ويحكم الجبل غصباً عنهم. ولو كان ترتفع يد محمد علي من بلاد سوريا

وان قلت ان ظنهُ هذا كان تم بسبب كتابة الانكليز وتأميلهم لهُ ان يترك دولة مصر ويتفق معهم وان يكون حاكماً الى الابد بكل طمأنينة. والحال (٢٠١) صحيح صدر هذه الكتابات من الانكليز والعثملي ولكن لو يرضى يسمع الامير كان يبان شيء آخر الذي بهِ يتوفر تلك المشالشه والخراب الذي صار في قاطع بكفيا من ابراهيم باشا. ولو ينزل الامير حين طلبوه كان ابراهيم باشا من الوهم ارتفع عن محاربة الجبل. ولكن الامير لا يمكن انهم يحكموه نظير وعدهم لهُ لان الاهالي قلوبهم شاعله بنار ومقهورين والعثملي والانكليز راغبين راحتهم من شكواهم الصحيح من ظلم الامير وبطرس كرامه. ولو انهُ بوقتهِ ما قبل هذا الطلب ونجا من الفخ المنصوب لهُ غير ان الله سامح بالتاكيد في زوال هذا الامير من الحكم وراحة اهل الجبل المظلومين

فمع اشتداد الامور باخذ الساحل وعكا ومحاربة ابراهيم باشا بقوّة وذهابهِ من الجبل للبقاع وطردهم العساكر من كل الجبل جددوا كتابة ثانية الانكليز والعثملي للامير بالطلب ولكن بشرح مقتصر عن الشرح الاول. ويطلبوهُ يحضر يطَّلع على مضمون الفرمان السلطاني بشرح ما يخصهُ. فظن ان الاوامر ابلغ من الاوَّل. وحيث ان امور ابراهيم باشا ضعفت عن الاوّل والامل بدولة مصر صار فارغ ففكر انهُ ينزل لصيدا وبوصولهِ يحصل على غاية المجد والاعتبار وعزم على المسير حالًا بتدبير بطرس كرامه واخذ اولادهُ الثلاثة لمعرفته عداوة اهل الجبل. ولكن اذا كان يطلع منصوراً فيجيب معهُ عساكر كثيرة عثملي وبعض عساكر جبلي المتفقين معهُ وحينئذٍ يكون مطمأن على اولادهِ اذا كان يقوم عليهم الاهالي في غيبتهِ والى حين ينظم امورهُ

فكل هذا الامل والظنون طلع خايباً . لانهُ بانتزاحهِ من الدير اضطرب اهل الجبل وبلغوا اموراً كثيرة للانكليز. ولكن الامور مقرره بالتفصيل من قبل ايام كثيرة ومنتظرين وقوع الامير عندهم حتى يدبروا شغلهم. ولكن احياناً يصدر اشياء من الوهم رعانةً وعجلةً بغير معنى. وبالنتيجة حين وصل الامير لعندهم لصيدا

حصل التدبير ببعده عن الجبل. ومن كون صدر منهم الامان ونزل لعندهم برضاه فما سمحوا يهينوه بشيءٍ بل اعرضوا عليهِ ان كان يرسلوه لاسلامبول (202r) او لبلاد الافرنج عدا بلاد فرنسا فانهم لا يسمحوا لهُ التوجه لها مطلقاً. فعاد قرّ الراي انهم يرسلوه الى مالطا بالمركب الذى جاء بهِ من صيدا. وصدر الامر باقامتهِ بمالطا بعيدًا عن المدينة في مكان منفرد وباقي هناك الى يومنا هذا

والظاهر حين فهم سفره لمالطا احضر سرّيته وسرّية ابنهِ قاسم واخذهم معهُ وبقي حريم اولادهِ بالجبل. واماً كامل الاولاد واولادهم (فانهم) توجهوا مع جدهم. والارزاق التي لهم بالجبل والسرايا التي في بتدين انقام لهم وكلاء بحفظهم وملاحظتهم

ثم انهُ ثبت حكم الجبل بامر سلطاني للامير بشير قاسم وحصل الناس في حرية وارتفعت تلك المظالم والعوايد الردية لا زال يعتنوا لنظامهم والحكم ملاحظهم. واذا كان هذا الحال معهم والامير بشير واولادهُ بعيدين عنهم فتحصل الناس في راحة اذا لا يختلفون في بعضهم كما هي عوايدهم

ولكن الان الذي صار فهو عناية من الله تعالى ومجازاة حسب العمل وربنا لا يترك شيءٌ من الاشياء التي تكون افتراء وعدواناً. يجازي الانسان على عملهِ. كما جرى بالايام السابقة من افتراء الامير حسن اخو الامير بشير بقتل جرجس باز واخوه واعماء اولاد الامير يوسف. ولو كان حصل ذلك بامر الامير بشير لكن بسعي ومطابقة الامير حسن الذي كان تأكد بوقتهِ لولا رداوة حسن المذكور وتدبيره الملعون الذي عمله بجلب طايفة اليزبكيَّة بيت عماد وما يتبعهم. واجتهد كثيرًا بغليان هذه الطبخة الردية وكان يسعى ليل ونهار وربما اذا كان اخوه الحاكم يداور الامور بابطالها فكان حسن يعطب اخوه كما انهُ قصد ذلك وراح لدير القمر يريد يقتل جرجس باز واذا منعهُ اخيه فقتل اخاه بقدر ما كان ردي وحب السلطه ونفوذ الامر. والامير بشير اجتهد كثيرًا حتى ابطل عزمه وعاهدهُ بقسم في عجلة الطبخة الذي عمالين يطبخوها. وبالنتيجة ان نيَّة حسن فهي رديَّة جدًا وعمله خبيث غير مرضي لله تعالى. وبيان لك بعد قتل الجماعة لبيت باز نحو عشرين يوماً حصل لهُ مرض مؤلم ردي وصار كمثل شيطان يعذبهُ ليلًا ونهارًا. وبقي عشرة شهور بهذا العذاب والاطباء

عجزوا عن مداواتهِ. اخيرًا شاروا عليهِ ينتقل (202v) لجبيل كون هوائها اوفق من غزير. واستقام في بيت عبد الاحد باز

وحينما اشتدَّ عليهِ المرض وما بقي يمكنهُ يحتمل اعراضهُ فقصد يقتل نفسهُ ليستريح من اوجاعهِ. فقام من فراشه على حميَّة الى النافذة المطلة على البحر يريد يرمي حالهُ كمثل ما ارمى نفسهُ عبد الاحد باز حينما لحقهُ العسكر ليقتلهُ. وهذا من قساوة الاوجاع والاعراض المؤلمة التي هي امرّ من ضرب السيف. قصد يرمي نفسهُ ويموت قتيلًا نظير عبد الاحد. ولكن الغلمان مسكوهُ بقوة وتألم من مسكهم اياه وكان كمن يضربهُ سيف. لان بعد برهة وجيزة مات وكان جوزي حسب العمل

ثمَّ ان الامير بشير بعد ما ركز حال الحكم بالجبل قدم اهالي الامارا المنفيين اعراض للانكليز في احضار ناسهم من المنفى. وحين بلغ العسكر المصري لمصر وراقت الامور نوعًا توجه من طرف الحكم معتمد خصوصي بامر الى بلاد السودان واحضر الامارا المذكورين واتباعهم الى بيروت. وجاءت الاهالي اخذوهم لحلاتهم بفرح وسرور. ولكن منهم امير مات بالمنفى من القهر والستة امارا حضروا سالمين. ووجدوا الذين نفوهم منغصين بما لطا. المجازاة حسب العمل. وهكذا تنظر اغلب الامور يحصل جزاها من نوعها. واذا رايت ان بعضها لا يجازى بنوعها فلا تعجب لان حكم الله غير مدروك وغاياتهِ لا تقدر تفحصها. بل خاف وكن على حذر من وعيد الله وامتنع عن كل شرّ وافتراء

ثم ان هذا الامير بشير جلس في حكم الجبل في سنة الف ومايتين وثلاثة (١٧٨٨ م) وانتفى في سنة الف ومايتين وستة وخمسين (١٨٤٠ م) كانه حكم ثلاثة وخمسين سنة وهذا ما صار لخلافهِ ابدًا. ولو انهُ انعزل من الحكم مرتين وثلاثة واكثر ولكن يغيب ايام قليلة ويرجع كما كان. وكان من خواصه يحب السلطة والمال ويرغب جمع المال باي نوع اتفق لهُ. وعلى اي ذنب خفيف وثقيل المقاصرة تكون بسلب القرش ان كان من اماره او مشايخ او اساقفة او رهبان او عوام. وكل على قدر ما يستطيع يأخذ منهُ. وزاد اموال الميري عن المعتاد. وكل مدة يزيد مبلغ ويدّعي لكي يرضى الوزير (203r) في عكا ويمنع الضرر عن البلاد. وكلهُ اعذار غير مقبولة. لانهُ يتخذ مالًا لهُ لاجل عمار السرايا في بتدين الذي اشتغل

بها سنين كثيرة بغير فتور. ثم واشترى ارزاق كثيرة واملاك ومن اطالة اقامته بالحكم جمع مالاً غزيراً. ولا يوجد غنياً نظيره بالجبل حتى ولا بيت جنبلاط المشهور غناهم فالامير فاق عليهم. انما كان بـه خصلة جيدة: اذا كان يستدين من احد مالاً او غير اشياء فيرجعهُ لهُ بالوقت المعين من غير طلب وزيادة قليلاً لعطل المال

ثم لا ننكر حسن ملاحظة الحكم ووجود الامان من التعدي والاختباطات التي كانت تحدث بالسابق من سطوة مشايخ الدروز واختلافهم مع بعضهم وهم جنبلاط وعماد وغيرهم. وحيث ان الامير قتل اغلبهم ومنهم انفاهم فصار يلاحظ الامور واستكن الحال بتملك الدولة المصريَّة. ولكن انشاء المظالم والطمع بطلب المال المستديم اضعف كل الملايح التي كانت بالامير لانهُ افقر الناس وقهرهم للنهاية. حتى من عدم الاحتمال هاجوا جميعاً بشراسة كليَّة حتى وصات الامور لتلاف حال الامير وصار الذي صار

ثم انهُ صدر امر سلطاني برجوع كل ما ضبطهُ الامير من سابق ولاحق من ارزاق واملاك الى مشايخ وامرا وخلافهم فيرجع لاصحابهِ. وايضاً الذي اوهبهُ للناس من مال غيرهِ. فرجع كل شيء لاربابهِ مثل اولاد جنبلاط وبيت عماد وبيت ابو نكد وخلافهم. فالجميع استولوا الذي لهم والامير وكل في بيتهِ ورزقهِ من يثق بهِ. ولكن الرزق خفَّ كثيراً بسبب (كون) اغلبـه مضبوط من مال غيرهِ بالقوة والاقتدار وهكذا جلست الاحوال على هذا المنوال. انتهى

الباب الثالث [١]

(203ᵛ) اخبار جزئيَّة ونوادر حصلت بالجبل وبيروت في زمان قريب

— خبر قتل مشايخ يدعون ابو نكد في دير القمر —

انهُ في ابتداء ولاية الامير بشير بعد طرد الامير يوسف ووقوعه عند الجزار في عكا وهي كانت الاخيرة من حياتهِ كان موجود طايفة دروز بدير القمر من سميَّة

١) جاء في هذا القسم الثالث بعض حكايات ليس لها علاقة بالتاريخ ولا في اثباتها من فائدة فاغفلناها

بيت جنبلاط وهم مشايخ يسمون ابو نكد وليس هم معدودين من مشايخ العهدة بل تبع غيرهم. فهؤلاء خدموا عند الامير يوسف حينما كان حاكمًا وجعل نظرهُ عليهم وقدمهم عندهُ حتى صاروا من خواصهِ يسمع شورهم وكلامهم نافذ. والامير قصد بذلك لتصغير جنبلاط بنوع خصوصي. لا بدّ حصل منهم تعدي ومطاولة لابن جنبلاط وباقي المشايخ

فلما انعزل الامير يوسف ونزح من البلاد ذهبوا معهُ. ومن اطالة الغربة والمرمته (والعذاب) فكّروا يرجعوا لمحلّاتهم بعد استعطاف خاطر الامير عليهم. فقدموا وسايط لاصلاح حالهم. وقيل ان جنبلاط والباقي سعوا باحضارهم وصاروا يداوروهم للنهاية حتى ارموا حالهم بشرّ اعمالهم وحضروا بكل طمأنينة. وثاني يوم وصولهم صار ديوان بالسرايا واجتمع كامل مشايخ البلاد وكانوا جمعاً غفيرًا ثم حضر الامير بشير للديوان وطلبهم كانوا نحو احد عشر نفرًا وبقي نفرين منهم ما حضروا واولادهم في بيوتهم

فلما دخلوا للديوان قاموا لهم الجميع وكل منهم مسك واحد واجلسهُ بجانبهِ باظهارهم لهم الحب والمودة. وبدأ الامير يعاتبهم ويوبخهم عن افعالهم وهم يعتذرون وطال الخطاب بينهم والامير يداورهم بالكلام. ثم بغتة اشهر حمقهُ منهم وشتمهم وصرخ: دونكم هؤلاء الكلاب. فبالحال تنظر ضرب الخناجر في صدورهم من المشايخ فقط كل منهم قتل الذي بجانبهِ. وكانت (204) ساعة مرعبة. وبوقتهِ قام الامير والمشايخ من الديوان الى جهة اخرى وجرّوا القتلى احد عشر نفرًا باهانة وارموهم في بير وهو معروف بدير القمر. وباقي الطايفة هربوا. ومن وقتهِ صغرت هذه الطايفة وما عاد لها اعتبار الى اليوم

فهذه الاية الاولى التي عملها الامير بشير في اول حكمهِ بعد الامان الصادر وهؤلاء ليس هم مشكورين كثير ومحدثين نعمة ولكن هذا الذي صار. انتهى

— نادرة صارت معجبة —

انهُ في قرية تدعى برمانا فوق انطلياس وهي من قرايا المتن صاحبها الامير بشير درزي وهو من بيت قايدبيه وكان شجيع وصاحب تدبير. وبهذه القرية طايفة دروز يقال لهم بيت منذر مختصين بالامير وخدامينه حين يطلبهم ولهم عليهِ نفع كل

واحد شيٌ معلوم يدفعهُ لهم. فظهر منهم عصاوة وجفا في حقّ حاكمهم الامير المذكور وزادوا بالرداوة حتى ما عاد امكنهُ يحتملهم

فاخيرًا حفر لهم حفرة شنيعة واباد اغلبهم. وهو انهُ جاب مبلغ بارود ووضعهُ في اسطبل الذي يدعونهُ بالجبل مراح. وفي ضهر هذا المراح بيت متسع وهو منزول لدار الامير لضيف يفاجيه. وكان بوقتــه مشمول خاطرهُ ومظهر غضبهُ على الطايفة المذكورة فرتب واسطة تدخل بينهما بالصلح . فالواسطــة (تصرَّف) بكل دربة وتصنع حتى تمم الوفق واقتضى لذلك انهم يواجهوا الامير. فحضر اغلبهم الى المنزول الذي تحتهُ البارود وعمل لهم وليمة. وهم مجتمعين للغدا انفذ الامير رجل من اتباعه واعطا النار بالمراح المذكور فاشتعل البارود بالبيت الاسفل والاعلى وقتل كل من كان موجود. ومنهم طاروا بالجو وما خلص منهم ولا واحد . حتى الذي اعطا النار احترق بجملتهم ومات وقيل انهم نظروا واحد من الطايرين وهو اقوى الطائفة هابط للارض وماسك بيدهِ خنجرهُ كانهُ يريد يضرب به عدوه

وبعد ذلك ما بقي احد من الطايفة حينما سمع ما صار الَّا هرب. وضعف حال هذه الطايفة جدًّا وبعد سنين كثيرة حتى ابتــدوا ينموا ومع ذلك لا زالوا للان اضعف عن غير طوايف دروز المتن وغيرها

. . . .

— نادرة حصلت بالشويفات معجبة —

انهُ توفي بالشويفات الامير موسى شهاب وحضر جملة اماره للفرض حسب العادة وقرية الشويفات المذكورة اغلبها دروز وهي مختصة بامارا دروز يسمّوا بيت رسلان يدعوهم اماره الزيت لان رزق هذه القرية اغلــبهُ زيتون. وكان لاحد الاماره المذكورين ابنة شريرة اسمها حبّوس امراة احدهم. وهذه صايرة خصيصة للشيخ بشير جنبلاط ويحبها بطريق العشق الشيطاني. وصارت في غنــاء وجاه ويعدّوا خاطرها الكبار والصغار لشان الشيخ المذكور. فالان بموت هذا الامير قعدت تعمل فتنة كبيرة وتهيج الدروز على النصارى والشيخ بشير ما يغت عليــهِ (لا يستكره) كذا امر ويرغب من كل قلبهِ يبيد النصارى من الجبل ويعدم بيت شهاب المشاع عنهم انهم نصارى

والغاية علّمت بعض دروز وقاموا على غفلة وهم اخذين الميت للقبر صاروا يرجموا بيت شهاب بالحجارة ومنهم يضربوه بالبارود بجسارة ملعونة. وكانت ساعة مهولة حيث ما في استعداد من الامارا وما معهم سلاح. وقتلت فرس الامير حسن شهاب وتجرَّح رجل (205r) وامرأة وقيل انهم ماتوا. وانجرح ايضاً بعض امارا ومنهم توجهوا لدير القمر يعلموا الحاكم ويجيبوا امر بهدم الشويفات وحرقها بالنار مع اهلها. وامراء بيت رسلان قاسم وعباس هربوا لجبيل وطردوهم فنزلوا لبيروت

ثم ان الامير بشير الحاكم انغمّ جدًّا من هذا الفصل المريع. انما البـاين ان بشير جنبلاط ترجا جرجس باز يكون واسطة بهذه المادَّة وتصدَّر لتدبيرها وحضر للشويفات وهمد الشرّ واصلحهم في بعض. ورفع بيت شهاب من القرية ونقـلوا لغير جهات وسكنت الامور. وما صار مفتشه في شيْ وما احد فهم باطن هـذه المادة والذي صادف البهدلة وقصد الدروز يعدموه هو الامير بشير قاسم لانهُ كان قاطن بالشويفات والملعوب كان عليهِ بنوع خصوصي. ومع ذلك انتهت المصلحة على طلوعهِ من القرية المذكورة وترك بيتهُ الـذي عمرهُ من مالهِ وقطن في عنطورة مدة طويلة وكان مقهور جدًّا. وبالاخصّ من حبُّوس الشريرة

فانظر ما جرى من انتقام الله على المفترين: انهُ بعد مضي سنين كثيرة على رجوع الامير بشير من مصر ومقاصرتهُ للشيخ بشير جنبلاط من الجملة افتكر في مقاصرة حبّوس الردية. فارسل عليها حواله بطلب مال من دون تعيين وريس الحواله الامير بشير المذكور اعلاه. فلما نظرت حبّوس ان المذكور حواله عليها ايقنت بالهلاك. واماً الامير (فانهُ) ما جفاها كما تستحق ولكن هي كبر الوهم عليها بما سلف منها معهُ وبحقـه فعزمت على الهرب

ويومئذٍ كانت مقيمة في قرية بشامون قريبة للشويفات والامير متحول هناك. فثالث يوم ذهب الامير للصيد في احدى الجبال القريبة وترك واحد من اتبـاعهِ مراقب. واما هي فانها اتفقت مع ابنها التي كانت ارسلتهُ لدير القمر بالرجا ورجع خايب مما جميعهُ وربمـا استشار الشيخ بشير وزاده وهمًا بتصعيب الامور وان الراي الهرب. فساعة وصول ابنها لعندها بالحال ذهبت من باب ثاني وصارت تمشي بطرقات عسرة غير مسلوكة. وارسل لها ابنها مركوب الى مكان بعيد عن القرية تلاقيهِ لهناك

(205ᵛ) فالرجل المراقب فكر انهُ يسأل عنها فما وجدها بالبيت فطار عقلهُ . وبالحال ارسل علم للامير فحضر حالًا وصار شلش عظيم وكل من الخدام راح لجهات بالتفتيش والامير ايضاً . فصادفها بمحل منفرد بين الشجر فحال ما نظرتهُ كادت تموت من الخوف فشتمها ورجعها للبيت . فبوصولها وقعت للارض وغمي عليها ثم صحيت فاخذها الخدامين الى محل فوقاني كل ما طلعت درجتين تغمى وتفيق . وحين وصلت الى مقرها غميت الغمو المهلك وماتت . فلما تحقق الامير موتها اعرض للحاكم لجاه الجواب يرتفع . والمرغوب هو هلاكها . واولادها تشتتوا وبعد زمان حتى رجعوا الى محلاتهم . انتهى

. . . .

– خبرية عن سكة زغل في قرية بيت شباب بالجبل –

ان بهذه القرية كانوا جماعة يسكوا معاملة زغل وخامر معهم حكام المقاطعة وطال الامر وامتدّت هذه المعاملة بكل بلاد العثملي وترتب لها اناس يحضروا من بلاد شمال مثل أُرفا وخلافها كل سنة ويعملوا بازار مع اصحاب السكة المائة صاغ باربعماية من العملة الملعونة ويصرفوها في بلادهم حكم السعر السلطاني . وبالجبل صار العملة غشّ وبعد حين يظهر الغشّ وتخسر الناس

فمن اطالة الأيام انكشف هذا السرّ الخبيث لان الذين فاتحين هذه الكرخانة عيلة كبيرة وتفرقوا الى جهات وانمسك احدهم بالشام في سنة ١٢١٤ (١٧٩٩م) وشنقهُ الوزير . مسكهُ بعملتهِ لانهُ اتفق مع واحد نصراني وواحد مسلم واستأجروا قبو في خان سليمان باشا . وكانت السكة ذهب اسلامبول سليمي وفي برهة خمسة شهور صارت معاملة الشام الذهب المذكور . ومن كونهِ خايس قيراط عن السكة القديمة فكان يصير بلبله وتوقيف ومشاجرات اذا كان يزيد او يخس قمحة عن القيراط . فصدر مناداة من الوزير عبدالله باشا ان هذا الصنف تقبضهُ الناس من غير وزن . فاصحاب السكة طمعوا وصاروا يجعلوه ناقص قيراطين (207ᵛ) واكثر ولكن الذهب عياره جيداً فظهر امره بواسطة المسلم الذي كان يصرف الذهب وكذلك النصراني يرسل الذهب للخارج . فانمسك النصراني واصحاب السكة وقتلهم الوزير مع غيرهم راحوا تهمه .

وقيل انهم وجدوا في بيت النصراني جواب كبير ممتلي ذهب مجر مفرشخ جمعهُ في ايام قريبة

ثم انهُ في طرابلوس مسكوا واحد منهم وشنقهُ مصطفى بربر ثم راح منهم واحد لمصر ودخل في خدامة محمد علي باشا في ابتداء حكمهِ حينما كان مجتهد في سكة المصاري واخيرًا شنق المذكور بالاسكندريّة

ثمَّ ان الامير بشير لاحظ هذا الامر وابطل عملية السكة في بيت شباب وخلافها وارتاحت الناس من هذه الجهة

ثم انهُ في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين (١٨١٨ م) اظهر غضب شديد الامير بشير على بعض اناس من بيت شباب بسبب انهم قتلوا ولد خفية من اقرباهم بقصد يرثوه. وهو وهم من العيلة المغضوبة الذين كانوا يدقوا السكة او شركاهم. فبعد قتل الولد المذكور تجسم الشر بين الورثة وحصل تفتيش بليغ بوجود مال ابا الولد المقتول . وظهر لهُ اموال غزيرة عند انفار بالقرية وذلك بامر الحاكم وصار يحول على كل من عندهُ مال للمقتول والذي دخل لخزينة الحاكم مع الكلف والمصاريف من هذه الفتنة انوف من مايتين كيس . والنهاية ختمت في قتل نفرين الذين قتلوا الولد . جابوهم لدير القمر فطلب منهم الحاكم مبلغ مال فعجزوا عن وفاه فخنقهم وتحقق وجود هذه الاموال عند ابا الولد المقتول من السكة الزغل التي كانت تشتغل بالسابق بهذه القرية . وكان هذا الرجل شريك اصحاب السكة . وحيث المال حرام فانتزع من اصحابهِ ومثلما جاءَ راح

. . . .

— خبر الامير يوسف وكيف عمل في اخوتهِ المساوئ —

ان الامير يوسف شهاب في اواخر حكمهِ بالجبل كان لهُ اخوة احدهم اسمهُ الامير سيد احمد والباقي اسمائهم قاسم وافندي ونظنّ حيدر ايضاً . ولكن الذي مضادد لهُ بامر الحكم سيد احمد ودايماً الامير يوسف مضطرب من نحو اخيهِ المذكور . فاخيرًا حسن عندهُ يعمي عيناه حتي يرتاح من غايلتهِ . فعلى حين غفلة والامير احمد مطمأن ارسل جماعة دروز فعموه بكلّ قساوة

فاخوتهُ تقمقموا من هذا الصنيع ولكن لا فايدة لهم . اما الامير افندي الباين

كان يتكلَّم في حقّ اخيهِ الامير يوسف. وصار المبغضين يوسوسون لهُ عنهُ. فاحضرهُ في وقت وصار يوبخهُ ويحكي معهُ كلاماً قاسياً وبعد حين زجرهُ وقتلهُ. فقتل بغواً من غير ذنب يوجب ذلك. مع انهُ كان اميرًا عاقلًا محبوباً عند كل من يعرفهُ. حتى ذات اخيهِ فيما بعد ندم على قتلهِ ولكن شيءٌ صار

ولكن الله تمجد اسمهُ تمهل باجراء القصاص ولكن ما فات شيءٌ. الامير يوسف قتلهُ الجزار في عكا بعد ايام من قتل اخيهِ. واولاده بعد حين اعماهم الامير بشير كما تنظر باطن هذا الكتاب في واقعة جرجس باز واخيهِ. وهكذا القرضة انوفت مع ربحها. لان اولاد الامير يوسف هم ثلاثة والذي اعماه ابوهم عمهم وهو واحد. ولكن الانتقام صار مضاعف. والبغي والافتراء والتهوين بعمل الردي لا يحتملهُ الله. ومجازاتهُ تصير بغير تحديد. انتهى

اذ كنَّا قد انهينا حوادث الجبل واحكامه كل اوان باوانه مع احكام (209ᵛ) الشام على قدر الامكان بما هو نقلًا صحيحاً ومنهُ ما شاهدناه عياناً والقصد بذلك كي يعلم اصحاب الدراية ومن يريد يطلع على ما حدث في كل زمان وعن تعلق ابن ادم بالدنيا ولا يعتبر زوالها وما حدث لغيره قبلهُ من وبالها ويا لهُ من غرور بشيع وامل ردي شنيع. ولكن لا فايدة بالنصيحة ولو آل الامر للفضيحة فالصبر بالله تعالى على سماجة الطبيعة البشرية واستمرارها على العنا والامل الفارغ

وكانت نساخة كتابنا عن خطّ مؤلفهِ في شهر تشرين اول سنة ١٨٤٣ مسيحيَّة موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية ونسألهُ تعالى حسن الختام ويعفي عنَّا بالتمام. تمّ

(المشرق) اجابة الى ملتمس كثيرين من القرَّاء قد طبعنا هذا الكتاب على حدة لما فيهِ من المعلومات الواسعة عن بلاد الشام وامور لبنان مدَّة نحو ستين سنة. وقد اضفنا اليهِ فهارس وملحوظات زيادةً للافادة



ميمر
لتادرس ابي قرَّة
في وجود الخالق والدين القويم

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

نقول حيث اننا اطَّلعنا بعقولنا في طبيعة آدم ورأيناه موجودًا قلنا ان كان آدم موجودًا فانَّ مَن صيَّرهُ موجودًا بلا شكّ موجود. ومن وجود آدم ايضاً ابصرنا وجود الله ليس كوجود آدم لانَّ وجود الله يترفَّع عن وجود آدم على الخلاف. لانَّ وجود آدم وجود قد كان لهُ بدوٌ وصار لهُ فنــاء واماً وجود الله على الخلاف لم يكن لهُ بدوٌ ولا يصير لهُ فناء

كذلك رأينا آدم حيًّا فقلنا ان كان ادم حيًّا عرفنا ان الله حيٌّ ولكن حياة الله ليست كحياة آدم بالخلاف. لان حيــاة ادم بائدة تحتاج لثباتها اولًا الى لبن ثمَّ الى اكل وشرب وهي تَشُبُّ قليلًا قليلًا فيصير الانسان مرَّة غلاماً ومرَّة شابًا ومرَّة شيخاً ثمَّ يصير امرهُ الى الهرم والموت والفناء وغير ذلك مما يلحق حياة الناس. فاماَّ حياة الله فتترفَّع على الخلاف لانها لم تبــدأ ولا تحتاج ولا تشبُّ ولا تنتقل من حال الى حال ولا تهرم ولا تموت ولا تفنى

وكذلك رأينــا ايضاً آدم عالمًا فقلنا ان (30) كان آدم عالمًا فالذي صيَّره عالمًا هو بلا شكّ عالمٌ. ومن انَّ آدم عالم عرفنا ان الله عالم ولكن علم الله ليس كعلم آدم بل يرتفع عنهُ بالخلاف. لان علم ادم من حواسّهِ استقاهُ او من غيرهِ من الناس تعلَّمهُ ولا يعلم ما وراءَهُ ولا ما كان قبلهُ ولا كثيرًا مما بين يديهِ. فاما علم الله فانهُ يرتفع على الخلاف لانهُ لم يستقهِ من حواسهِ ولا تعلّمهُ من احد ولا يخفى عنهُ شيءٌ مما كان او يكون منذ الازل الى الابد

كذلك على هذه الجهة حيث رأينا حكمة ادم وبصرهُ وسمعهُ وقوَّتهُ وفيض خيرهِ وفضلهُ وبرّهُ وصبرهُ ورحمتهُ وتجاوزهُ وعفوهُ وعدلهُ وجميع فواضلهِ قلنا: «ان كان ادم على هذه الفواضل فالذي صيَّره اليها هو بلا شكّ حكيم قويّ بصير سميع

جواد فاضل بارٌ صبور رحيم متجاوز عادل . ومن ان آدم هكذا علمنا ان الله هكذا ايضاً ولكنَّ الله يرتفع فيها عن آدم بالخلاف على حال ما وصفنا فوقُ من الوجود والخير والعلم . اذن آدم فيهِ فواضل طبيعة تُشبه الله ومنها تُبصر عقولُنا الله في صفاتهِ . ومن انَّنا رأيناها في ادم عرفنا انها في الله وان كانت صفات الله ترتفع بالخلاف على ما ذكرنا

كذلك في آدم فواضل أُخر اكرم يشبه الله فيها على مثل ما يشبههُ في الفواضل التي ذكرنا انَّنا نرى الله بعقولنا منها . اعني الولادة والانبثاق والرئاسة . لأنَّا (31) راينا آدم قد ولد وانبثق منهُ ما يشبههُ في الطبيعة ورأيناه رئيساً على من هو منهُ . فلما كان آدم والدًا ورئيساً على من هو منهُ فالذي صيره والدًا ورئيساً فهو والد ورئيس على من يشبههُ بلا محالة ولكن بالارتفاع على الخلاف . لانَّ ولادة ادم لابنهِ تمَّت بأُنثى وجماع وتربية . وانبثاق حواسهِ ايضاً من عضو من اعضائهِ بالانتقاص من جسدهِ وهو ايضاً اسبق منهما . ورئاستهُ ايضاً عليهما وان كان طباعهُ طباعهم ولكن ليست توافق اهواؤُهم اهواءهُ في كل ما هوى . فاما ولادة الله لابنهِ منهُ وانبثاق روح قدسهِ فعلى الخلاف بالارتفاع ليس بانثى ولا جماع ولا حَمل ولا تربيـة ولا سَبَق ولكنها معاً . ورئاستهُ ايضاً على اللذَين منهُ ليست مخالفة بل هما متفقان لهُ في الطبيعة والازلية والمشيئة والهوى ليس بينهم خلاف شيءٌ البتة الَّا انَّ هذا والدٌ وذاك مولود والآخر منبثق والوالد منهم رئيس

فان انكر احد ان آدم شبه الله وانَّ الله شبهُ آدم في الولادة والرئاسة كمثل ما هو شبههُ في سائر فواضلهِ فاننا نجيبهُ انهُ ما ينبغي لهُ ان ينكر ذلك لانـهُ ليس في آدم فضلٌ اكرم ولا ارفع من الولادة . والرئاسة لانهُ لو لم يلد لم يكن لهُ نعيم عيش ولا رئاسةٌ ولا منطق ولا فضل ولا شي من الفواضل التي نُسبت اليهِ بل صارت نعمة حياتهِ (32) مع الخنازير والحمير وجماعة البهائم التي ليست الرئاسة عليها رئاسةً بل هواناً ومحقرةً إذ يُقال لهُ رئيس القرود والخنازير والخنافس والدود . ولكان منطقهُ ايضاً باطلًا لا يحتاجهُ لانهُ لم يكن معهُ من يعقل عنهُ ولا من يجيبهُ . وكذلك جميع فواضلهِ لم تكن تُعدّ فواضل اذ لم يكن معهُ من يشبههُ . فان كانت جميع فواضل آدم التي هي انقص من الولادة بما لا يحصى موجودة في الله وهو شبه الله فيها

ولا يُنكر لله ذلك فالولادة التي هي افضلها هي احقّ ان تكون في الله ولا تُنكر له والّا لَفَضَلَ آدم على الله وصار فيهِ فضلان من افضل الفواضل ليسا هما في الله اعني الولادة والرئاسة وهذا ما لا يقبلهُ العقل الصحيح . فمن المحال اذن ان يكون في آدم فواضل ليست في الله اذ هو من المحال ان لا يكون آدم رئيس من هو مثلهُ ولكن رئيس الخلائق وقد سبق انَّ آدم لا يرضى ان يكون رئيس الخلائق ولا احدنا ايضاً يرضى ان يكون رئيس الخنازير والحمير والدبّابات والبق والبراغيث والخنافس والدود . وان كان آدم ونحن لا نرضى بهذا فكيف نصف الله بما لا نرضى بهِ لانفسنا

وان قلنا ان الله رئيس ولكنهُ على الملائكة والناس فهذا ايضاً هوان لأنَّ الملائكة والناس ابعد من الله في طبيعتهِ بكثيرٍ من بُعد الخنازير والقمل (33) والخنافس عن طبيعتنا لاننا نحن نوافقها في طبيعة الحياة فامَّا الملائكة والناس فلا توافق الله في شيءٍ بتَّةً والبعد فيما بينهم ابعد من السماء عن الارض بما لا يُحصى . اذن من يصف الله برئاسة ويزعم ان رئاستهُ على الخلائق فقد وصفهُ بالفسخ والهوان وبأمرٍ لم يكن يرضى بهِ لنفسهِ ان يوصف بهِ . امَّا اذا وُصف آدم او واحد منَّا بالرئاسة على مَنْ هو منهُ او مثلهُ من الناس فلا يرى ذلك هواناً بل فخرًا ورفعةً ومجدًا والله تبارك وتعالى هو رأس بلا محالة فليس هو رأس الخلائق ولكنهُ رأس من هو مثلهُ فان كان رأس من هو مثلهُ وهو كذلك فقد ولد ابناً وانبثق منهُ روح وهو شبيه آدم وآدم شبههُ في الولادة والرئاسة

اذن ممَّا استخرج العقل من شبه طبيعة آدم ثبت القول بانَّ الله ثلاثة وجوه والد ومولود ومنبثق وقد تحققت كلمة القائل الذي لا كذب في قوله حيث قال : « خلقَ الله الانسان وعلى شبه الله خلقهُ » هذا كذلك من صفة الله

ويقول ايضاً انهُ كما استطاعت عقولنا ان تستخرج لنا صفات الله التي لا تُبصَر من شبه طبيعتنا كذلك من طبيعتنا نستخرج لنــا علم الحلال والحرام والجميل والقبيح والخير والشرّ الذي يصلحنا ويفيدنا والامر الذي نقوى على فعلهِ (34) بهِ . نقول ان كلًا منَّا من نفسه يفكر ويعرف الامر القبيح الفاسد الذي يرتكبهُ صاحبهُ . بمنزلة ان كذَّبنا أحد وأهاننا احد وسخر بنا او خدعنا او نفانا او شتمنا او ضربنا او

ظلمنا او ارتكب مكروهاً او قهرنا على شيءٍ من امورنا او ما يشبه ذلك من انفسنا نكره ذلك ونعرف ان هذا امر فاسد قبيح وشرير وحرام. اذن الامر الفاسد القبيح الشرّير الحرام هو ألّا تأتي الى صاحبك ما تكرهُ ان يصنعهُ هو بك من الأذى. والقوّةُ على فعلهِ ألّا تشتهي شيئاً ممّا يملكهُ صاحبك

نقول: وكل واحد منا من نفسهِ يحب ويعرف الامر الحسن الصالح الخير الحلال. بمنزلة انّ كل واحد منا يحبّ ان يكرمهُ صاحبهُ ويفضلهُ ويقضي حوائجهُ ويحلم عنهُ ان سفه عليهِ ويعفو عنهُ ان اساء اليهِ ويبذل لهُ المشورة التي هي غاية كل خير. اذن الامر الحسن الصالح الحلال ان تصنع بصاحبك الامر الجيد الجميل الذي تُحبُّ ان يصنعهُ بك. والقوة على فعلهِ ان تلقي عنك شهوة الدنيا راساً ممّا تملكهُ انت وغيرك

هذا وقد اعلمتنا طبيعتنا ان الشرّ والحرام ألّا تصنع بصاحبك ما تكره ان يصنعهُ بك من القبيح فكيف تنال ذلك الخير والحلال؟ تنالهُ بان تصنع بصاحبك ما تحبّ ان يصنعهُ بك من الاحسان. وغاية ذلك كلهُ للحبّ (35) والحبّ بان يوثر الانسان مَن يحبهُ على نفسهِ بمنزلة حبّ ملك لابنٍ لهُ وحيد قد وُلد لهُ على كبر سنهِ يريد ان يورثهُ ملكهُ لانهُ قرّة عينهِ ومهجة نفسهِ لا يقدر يضرّهُ بشيءٍ ولا يحزنهُ بل هو وملكهُ وما يملكهُ فدى لهُ. كذلك الرجل الفاضل الكامل بجميع الناس فانّ الذي يفعل ذلك هو شبيه بالله لان الله تبارك لا يحبّ شيئاً من الدنيا لنفسهِ وليس لاحد عندهُ ضرورة ولا حزن البتة بل يتجاوز عمّن اساء اليهِ ويحلم عمّن يفتري عليهِ ويفيض خيرهُ على من لا يستوجبهُ ويبذل كل شيءٍ في الدنيا لعامّة الناس ويخدم حياتهم بملائكتهِ وسمائهِ وارضهِ وما بينهما من انواع الطبائع جوداً وفضلاً منهُ لا يوثر الصالح على الطالح ولا الخير على الشرير لكنّ خيرهُ على الكلّ جارٍ بالسويّة اذن غايتهُ هو الله في إنهائهِ عن عمل السوء والشرّ وفي امرهِ بان يصنع الخير وان يصير الانسان فيما بينهُ وبين الناس في كمال الخير على شبه الله وهذا ممّا علمتنا طبيعتنا الحلال والحرام في الدنيا كذلك تعلمت منها ما الثواب والعقاب في الآخرة

نقول انّ عقولنا تعرف ما نعمة طبيعتنا وما شقاؤها في الدنيا وبنعمة كيانها في الدنيا وشقائها بها نستدلُّ على نعيمها وشقائها في الآخرة. من اجل ذلك قبل ان نصف تلك ينبغي ان نصف هذه ثمّ نستدلُّ بها على تلك فنقول: ان حياة كل مخلوق

لا تثبت لهُ في الدنيا الّا من شيءٍ سواه يمدّها بهِ من خارج منهُ لقوامها بمنزلة أنَّ حياة الانسان لا تدوم لهُ ولا تثبت ان لم يمدَّها بأكل وشرب واستنشاق الهواء من خارج منهُ وما يشبههُ ذلك لان لا شيءٌ يعيش من نفسهِ بلا حاجة الى شيءٍ من غيرهِ تقوم بهِ حياتهُ الّا الله وحدهُ فامّا ما سواه من الاحياء فمن غيرهم تثبت لهم الحياة على ما قد اعلمنا

ونقول ان كل حيٍّ من المخلوقين قد صيَّره الله فيهِ شهوة الامر الذي تقوم وتثبت بهِ حياته والحركة اليهِ والطلب له فصيَّر معادن وقد هيَّأها له ليستفيد منها فاذا نالها نَعِم واذا لم ينلها شقي بمنزلة ان الامر الذي تقوم به حياة طبيعتنا تمتدّ اليهِ شهواتها كأكل الطعام وشرب الماء واستنشاق الهواء ولباس الثياب التي تدفع البرد وسكنى البيوت التي فيها نكنّ ونستقر من الشمس والامطار والثلوج والجليد وغير ذلك ممَّا يشبهه وممَّا تحتاجه طبيعة حياتنا وايضاً المعادن التي تتحرَّك اليها شهواتنا اذ تنال بها هذه الاشياء اذا احتاجت اليها فهي بمنزلة الارض التي تنبت لنا طعاماً والعيون التي تخرج لنا شراباً والهواء المنتشر لاستنشاقنا والاغنام لاخراج الصوف والارض للقطن والكتَّان لكسوتنا والجبال والغياض والحجارة والخشب لبناء منازلنا وغير ذلك مما نحتاج اليهِ (37) من المعادن التي اذا تناولت شهواتنا منها قوام حياتنا نعمتْ واذا عدمت ذلك ولم تتناوله شقيتْ . بمنزلة انَّ رجلًا يسير في قفر ويدركه الحرّ والسَّموم فيعطش ويلتمس الماء ولا يجدهُ فيحترق جوفه وييبس لسانه ويشقى الشقاء الذي لا اشدّ منه وان تهيَّأ له الماء البارد فتناوله برد جوفه ورطب لسانه ولذّ بهِ واستراح اليهِ ونعم النعمة التي لا وراءها شيءٌ وكذلك في الجوع وفي غير ذلك من حوائج طبيعتنا . اذن نعمة الانسان في الدنيا الوجود والتناول للاشياء من معادنها التي هيَّأها الله له لقوام حياتهِ وغرس فيهِ شهواتها وشقاء عوزها ان عدمها . هكذا على ما تعلمتْ عقولنا مما غرس الله في طبيعتنا من الشهوات التي تحرَّك الى حالتها التي تقوم بها حياتنا وهيَّأها معادن تنال ذلك منها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت علمتْ عقولنا ان في طبيعتنا شهوات اخر مغروسة ليست من الدنيا هي ايضاً كمال النعمة وغاية المنية ولها معادن قد هيأها الله بها لمتناوليها لتنعم بها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت وهي هذه:

ونقول ان كل واحد منا يشتهي ان يعيش الى الابد ولا يموت وان يصير بدنهُ الى حالة لا تنالهُ عاهة ولا ضرورة ولا تغيير ولا فساد بمنزلة انهُ اذا أُلقي في النار لا يحترق (38) او في ماء لا يغرق او وقعت عليهِ صخرة لا تفدغه او ضُرب بسيف لا يجرحه او لُسع من حيَّـة لا تضرّهُ او غير ذلك من المصائب والعاهات التي تضرّهُ في هذه الدنيا . وايضاً يشتهي اذا مدَّ بصرهُ الى مدينة من المدائن او بلد من البلدان ان يبصرهُ بما فيهِ ولا يحجز بين بصرهِ وبين ما اراد بُعدٌ ولا جبل ولا حائط ولا بيت ولا سترة ولا يخفى عنه منه خافية . وايضاً ان يعلم العلم كلَّهُ اعني علم كل الخير والشر والحلال والحرام وغير ذلك من العلم على صوابهِ بلا خطأ . ويشتهي ان يقوى على دفع كل شرّ ولا يضعف عن عمل خير وبرّ وصلاح وان يكون له غُنمٌ لا ينفد ليفيض بهِ على جميع النـاس . ويشتهي ان يكون رحيماً حليماً عفيفاً طيباً عادلًا وغاية كل فضل فيحب كلًّا ويحبُّه كل ويصير في حياتهِ في نعمة لا زوال لها ولا يغمُّهُ فيها تقصير وغير ذلك مما يشبهه

ونقول انَّ معدن هذه الشهوات التي ذكرنا هو الله تبارك وتعالى بعينـهِ لانه حي ولا يموت ولا يتغيَّر ولا يفسد ولا تصيبه عاهة الذي يبصر كلًّا ولا يخفى عنه خافيـة مما كان او يكون ويعلم العلم كلَّه من علم الخير والشرّ والحلال والحرام ويقوى على دفع الشرّ وعمل الخير بكمالهِ ذو غنًى لا ينفد غنـاه ويجود بهِ على كل وهو حليم رحيم طيب عفيف عادل يحب كلًّا وكلٌّ يحبه وهو في حيـاة نعيمٍ لا يزول عنه

فاذ قد عرفنا هذه الشهوات الفائقة المغروسة فينا وعرفنا معدنها ينبغي ان نعلم انه كما غرس الله فينا شهوات الدنيا وهيَّأها معادن ننال منها وننعم ولم يمنعنا ايَّاها لئلَّا نشقى لانه لم يكن يشبهه ذلك بل جاء لنا بها التنعم قوام حياتنا بها على ما يشبهه . كذلك نعلم انه اذا غرس فينا هذه الشهوات الفائقة وهو معدنهـا تبارك وتعالى انه لا يمنعنا نفسه لئلَّا يشقينا لانه لا يشبهه ذلك بل يجود لنا بنفسهِ لنساكنهُ ونلامسه وننال لذَّتهُ ونعمته لهذه الشهوة التي تتوق انفسنا اليها التي هي غاية كل نعمة وكمال كل منية فنصير بهِ آلهة ننعم بهِ الى الابد

اذن غاية نعيم طبيعتنا ان نصير آلهـة وننعم بالله ولسنا نقول اننا نتغير عن

طبيعتنا الانسية فنصير في الطبيعة آلهة لان هذا محال ولا يستقيم ان يكون مخلوقٌ غيرَ مخلوق ولكنّا نبقى على ما نحن فيهِ من طبيعتنا الانسية ونشمل طبيعة الله ونصير بها آلهة من غير تغيير بمنزلة حديدةٍ نُدخلها النار فتحمى ونخرجها منها وقد صارت نارًا ولم تتغير عن طبيعتها بل هي حديدة مشتملة بنار تعمل عمل طبيعة النار لانها تحرق وتضيء وتسخن. كذلك الله تبارك وتعالى يشمل طبيعتنا ويخالطها من غير تغيير ولذلك تستفيد من ملامستهِ الحياة الدائمة بلا موت ولا تغيير ولا فساد ولا عاهة من فواضلهِ جميعاً التي ذكرنا انه غرس فينا شهواتها

هذه فواضل الله الـذي كنّا ذكرناها (40) فوقُ حينَ كنا نقيسها بفواضل طبيعة آدم. وترفُّع الله فيها على آدم بالخلاف حيث وصفنا ان آدم موجود لكنهُ غير باق وقلنا ان الله موجود. لكن يترفَّع عن الذي لآدم على الخلاف لانهُ باقٍ غير فانٍ. فهذا الفضل وجميع فواضلهِ التي كان يرتفع بها عن طبيعة آدم على الخلاف هي التي غرس الله شهواتها فينا لان من رأيهِ ان يجود بها علينا وينعِم طبيعتنا فيها الى الابد على ما ذكرنا وهذه هي النعمة التي علَّمتنا طبيعتنا ان تنعيمها ليس وراءه شيء

ونقول كما ان ذلك العطشان الـذي وصفنا فوق حيث وجد ماء باردًا وشربهُ نَعِم بهِ وحيث اعوزَهُ شقي كذلك تنعم طبيعتنا بالله ولكن ليس وجود نعمةِ الله ووجود شرب الماء سواء ولا شقاء عوز وجود النعمة وعوز الماء سواء بل شرف وعلو نعمة الله على الماء كشرف الانسان وعلوّهِ على الماء كذلك شدة شقاء عوزهِ اعظم من شدة شقاء عوز الماء . هـذه النعمة ثواب الله لأحبَّائهِ وهذا الشقاء عقاب لمخالفيهِ على ما علَّمتنا طبيعتنا

فالان اذ عرفنا ذلك ينبغي لنا ان نصنع مثلما صنع ذلك الطبيب الحكيم ان نقدّم جميع الاديان التي لقينا فننظر في قول كل واحد منهم فيما يصف الله وفيما يصف ايضاً من رأيهِ الحلالَ والحرام والثواب والعقاب فالذي نجدهُ موافقاً لما علَّمتنا طبيعتنا من ذلك علمنا بيقين انهُ الحقّ الذي جاء من عند الله والذي يجب ان يُعبَد بهِ وحدهُ ولا بغيرهِ فنقبلهُ ونتخذهُ ونقيم عليهِ (41) ونعبـد الله بهِ ونرمح غيرهُ ونبعدهُ ونبغضهُ

فقد نظرنا في ذلك فلم نجد فيها من وصف الذي نعرف الّا الانجيل وذلك

انه وصف الله على مــا عَلِمنا ثلاثة وجوه آب وابن وروح قدس في قول المسيح لتلاميذهِ في اخر انجيل متى حيث قال: «كما بعثني ابي فقدبعثتكم اخرجوا الى الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلّموهم ان يفعلوا كلّ ما اوصيتكم به وها انا معكم الى آخر الدهر امين». هذا ما علّمتنا طبيعتنا من شبهها بالله سواء.. فامّا غير الانجيل من الاديان فلم يهتدِ واحد منهم الى شيء من ذلك ولكن وصفوا آلهتهم على ما استحسنت عقولُهم الانسيَّة الارضيَّة. فمنهم من كان قال ان اللاهوتَ كواكبُ. ومنهم من قال ان الله يجبّ اثنين احدهمــا الشيطان والآخر هرمزد الناكح لامهِ. واخرون قالوا انهُ وجهٌ واحد فرد. واخرون قالوا انهما الاهان في طبيعتين مختلفتين خيّرًا وشرّيرًا والخيّر الله والشرّير الشيطان. واخرون قالوا ثلاثة واحد عادل وآخر طيب وآخر شيطان شرير. وآخرون قالوا خمسة آلهة اربعة منها غير عقليَّة والخامس عاقل. واخرون قالوا واحد صمد لم يلد ولم يولد. هكذا وصف هؤلاء الله ولكنهم لم يصيبوا صفتهُ

نقول ان صفاتهم من الارض وليست من الله وصفة الانجيل وحدهُ من عنــد الله وذلك لانه اتانا بما علّمتنا بهِ طبيعتنا من شبهها بالله على ما وصفنا من فوق. كذلك ايضاً وصف الانجيل ان المسيح امر تلاميذهُ من عمل (42) الحلال وترك الحرام وعمل الخير واجتناب الشر وكمال الصلاح على ما علمتنا بهِ طبيعتنا ايضاً من اجتناب الشرّ وعمل الخير. انظروا الامر الذي تكرهونه ان يصنعه الناس بكم فلا تصنعوهُ بهم انتم والامر الذي تحبُّون ان يصنعه الناس بكم فاصنعوه بهم

وعلّم الانجيل كيف يقوى الانسان على اجتناب الشرّ وكمال الصلاح فوصف ذلك في اربعة اوجه: الاول منها ترك ما في الدنيا والزهد فيها . والثاني الحبّ لله والايثار له عليها. والثالث الحب للناس ايضاً والايثار لهم. الرابع ترك القصاص والاخذ بالعفو والمكافأة بالخير بدل الشرّ والتشبُّه بالله. وهذا كما قال المسيح: «بِعْ كل ما تملكه وأعطهِ للمساكين فيصير لك كنز في السماء وخذ صليبك واتبعني». وايضاً: «لا تتخذ في الدنيا خبزًا ليومين ولا ثوبين ولا مخلاة ولا نحاساً في منطقتك». وفي حبهِ والايثار له على الدنيا قال: «من احبّ من الدنيا اباً او امّاً او امرأة او ولدًا او قرابةً او مالًا افضل مني فليس هو لي باهل». وفي الحبّ لبعضنا بعضاً قال: «وصيَّة جديدة

اوصيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً وبهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا احببتم بعضكم بعضاً وهـذا الحبّ ان يؤثر الانسان من يحبه على نفسهِ مثلما احببتكم انا وفديتكم بنفسي » . وفي العفو والمكافأة بالخير والتشبه بالله قال: « قد قيـل للاوّلين عين بعين وسنّ بسنّ ولكني انا اقول لكم لا تكافئوا الشرّ بالشرّ بـل من (43) ضربك على خدّك الايمن فحوّل له الايسر ومن اخذ ثوبك فزِده ُكساءك ومن سخَّرك ميلًا فتسخَّر له ميلين ومن استوهبك فهَبْه ومن استقرضك فلا تمنعه . ولا تبغض عدوك ولكن أحبَّهُ وبارك من لعنك وأحسن الى من يقصيك وصلِّ على من قهرك وعسفك لكيما تصير ولد ابيك الذي في السماء الـذي يطلع شمسهُ على الاخيار والاشرار والصالح والطالح »

اذن بكمال الصلاح الذي علَّمتنا طبيعتنا قد امرنا الانجيل وفي هذا النَّصْف لان من رضي للناس بما يرضى لنفسهِ والقى حب الدنيا من نفسهِ وزهد فيها وآثر حبّ الله عليها وعلى نفسهِ وترك القصاص وعفا وكافأ الشرّ بالخير واحب عدوهُ تشبَّه بالله الذي هو غاية كل خير وفضـل وصار لهُ ولدًا فهو العالي من الناس وهو الذي نفى عن الطبيعة امراضها وصيرها في منتهى صحتها . وبهذه الصحة ايضاً علَّمتنا طبيعتنا

وفي هذا النوع الثاني لم نرَ احدًا من اصحاب تلك الاديان عرفهـا ولا امر بها ولكن على الخلاف انهم رخَّصوا لاصحابهم اتخاذ الدنيا وفرشوا لهم شهواتها والتمتُّع في لذَّاتها بامرٍ قد قتلوا فيهِ الطبيعة وامرضوها بهِ وحالوا بينها وبين حب الباريْ وبين بعضهم بعضاً . ولم يامروا ايضاً بشيءٍ من الفضل ولكن باخذ القصاص والانتقام كالسباع . لانهم لم يرضوا بالقصاص ولكن بالزيادة عليهِ وهم يشتمون ولا يقبلون الشتم وان شُتموا ضربوا وان ضُربوا قتلوا ولا يقتصرون على هـذا (44) ايضاً ولكنهم ياخذون سيوفهم ويخرجون الى من لم يؤذِهم فيقتـلونهُ ويستبيحونهُ

وهـذا رأي جميع الاديان والعجب منهم انهم يزعمون ان الله امرهم بهِ وان كان هذا فساد الطبيعة كما انهُ فسادها والله تبارك وتعالى لا يحب فسادها بل صلاحها لانهٔ امر ان يُبْعَد بينها وبينه فامَّا ما يورثها جهنم فلم يأمر بهِ ولا بفساد الطبيعة وبالامر الذي يحول بينها وبين الله . فمن زعم اذن ان انفساد الطبيعة هو من عند الله

فقد اخطأ بقولهِ انهُ جاءَ من عند الله وكل من اتى بصلاحها وصحتها وبالامر الذي يقرّبها بهِ الى الله فهو من عند الله . فالانجيل الطاهر اذن الذي اتى بذلك هو وحدهُ جاء من عند الله لا محالة

وكذلك في امر الثواب والعقاب نقول ان الامر الذي علّمتنا طبيعتنا وعدَ بهِ ايضاً المسيح في الانجيل الصالحين والطالحين اعني الصالحين سكنى اللاهوت والكينونة معه فيهِ واحداً في الحياة الدائمة التي لا يزول نعيمها والطالحين العزلة عنها في جهنم الى الابد وهذا قول المسيح في الانجيل لتلاميذه في ذلك: « ان من يحبني يحفظ وصاياي والاب يحبه وانا والاب نأتيه وسكنانا معه يصير » . وايضاً : « ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وانا اسأل الاب ان يعطيكم معزّياً اخر يكون معكم الى الابد روح الحقّ الذي لم يُرَ في الدنيا ولم يعرفه احد ولم يقدر يقبله . فامّا انتم فتعرفونه لانه معكم يسكن وفيكم هو» . اذن الذي يحفظ وصايا (45) المسيح فهو مسكن الآب والابن والروح القدس الى الابد والمحبوب منهم . وحيث اراد المسيح يعلّمهم ان ذلك ليس في الارض يكون فقط ولكن في السماء ايضاً قال : « الاب يحبكم لانكم احببتموني وآمنتم اني من عند الآب خرجت وجئت الى الدنيا وانا اترك الدنيا وارجع الى الآب . ثمّ آمِنوا بالله وبي فآمنوا . ما اكثر منازل بيت ابي ولولا ذلك لقلت لكم اني انما انطلقت لاهيئ لكم المنازل » . وقال ايضاً : « أرجع واضمّكم اليَّ لكيما تكونوا حيث اكون »

اذن من السماء من عند الاب جاء المسيح الى الدنيا والى الاب الى السماء عاد وهو مهيئ للمؤمنين بهِ في السماء عند ابيه المنازل ليكونوا معه حيث يكون . ومعروف ان ذلك عند الآب وفيه ايضاً لان المسيح كان منطلقاً الى ابيه في السماء ومخلفهم في الدنيا يطلب الى ابيه فيهم ليحفظهم حتى يجيئ الحين الذي يضمّهم فيه معه ومع ابيه واحداً . ويقول هكذا : « يا ابتاه قبلوني وعرفوني بحق اني من عندك خرجتُ وآمنوا انك انت بعثتني والآن فانا اسألك من اجلهم وليس من اجل اهل الدنيا اسألك ولكن من اجل الذين اعطيتني الذين كانوا لك لان كل شيءٍ لي فهو لك وكل شيءٍ لك فهو لي وانا فيهم مُمجَّد ومن الآن لست في الدنيا وهؤلاء في الدنيا يبقون وانا اليك اجيء . يا ابتاه القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتني لكيما يكونوا واحداً

كما نحن (46) واحد. حيث كنت معهم في الدنيا انا كنت احفظهم باسمك والذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم احد الّا ابن الهلاك. يا ابتاه ليس عن هؤلاء اسالك فقط ولكن عن الذين يؤمنون بي بكلامهم لكيما يكونوا اجمعين واحدًا كما انك يا ابتاه فيَّ وانا فيك ان يكونوا هم فينا واحدًا ليصدّق العالم انك بعثتني وان المجد الذي اعطيتني فقد اعطيتُهم اياه ليكونوا واحدًا كما نحن واحد. انا فيهم وانت فيَّ لكيما نكون اجمعين تامّين كواحد ليعلم العالم انك انت الذي بعثتني واني احببتهم كما احببتني. يا ابتاه انا احبّ ان يكونوا معي حيث اكون لينظروا الى مجدي الذي اعطيتني واحببتني قبل ان تنشئ العالم »

اذن المسيح ايضاً من عند الاب جاء الى الدنيا واليهِ عاد وهو في ابيهِ وابوه فيهِ وهو فيهم وابوه ايضاً فيهم. وايضاً كذا صيَّرهم حيث يكون وهو كما قال في ابيهِ ومعهُ واحد. اذن من قول المسيح في الانجيل مسكن الصالحين هو الاب والابن والروح القدس في السماء ومسكن الابن والروح القدس ايضاً في الصالحين ومسكن الصالحين في الله فهم واحد معهُ في الحياة الدائمة بلا موت ولا فناء ومثلهُ على ما قال الانجيل ايضاً: « ان الله الاب يحبّ ابنهُ وكل شيء قد سلَّمهُ اليهِ. فمن آمن بالابن (47) فلهُ الحياة الدائمة ومن لا يخضع للابن فلا يرى الحياة ولكن غضب الله يحلّ بهِ ». وايضاً قال يوحنا البشير انه « حتى الان لم نكن نعرف لاي شيء خلقنا فمن الآن قد عرفنا اننا نبصر الله كما هو ونصير مثله »

اذن ما علّمتنا طبيعتنا انها تشتهي الله وتتوق الى ان تبصرهُ وتسكنه وتصير مثله الاهاً في حياتهِ الدائمة ونعيمهِ الذي لا يزول هو علمُ الانجيل ووعدهُ. فمن هذا عرفنا ايضاً انه من قِبَل الله بحق لانهُ لم يخلقنا الّا لذلك لينعمنا بنفسهِ مع ملائكتهِ القديسين وليس لينعمنا في الاكل والشرب والفساد للنساء. لانَّ هذه نعمة قد اعطاها للحمير والخنازير وغير ذلك من الدواب على ما قال الانجيل المقدس ان المسيح اجاب الذين سألوه عن التزويج في الآخرة فقال لهم: « انكم قد ضللتم اذ تقرأون الكتب ولم تعرفوا قوّة الله انما يتزوج الرجال النساء والنساء يصرنَ للرجال في هذه الدنيا واما في الآخرة فلا الرجال يتزوجون النساء ولا النساء يتخذن الرجال ولكنهم كمثل ملائكة الله » يقومون اجمعين ويصيرون اولاد الله لانهم صاروا اولاد

القيامة والهةً معهُ في الحياة الدائمة ليس في الطبيعة ولكن في شركة الحياة على ما كنّا ضربنا عليهِ فوق مثلَ الحديدة التي صارت نارًا من غير ان تكون اهلكت طبيعتها وتحوّلت عنها وهذا امر لا يخطر (48) على بال احد من اصحاب بقيّة الاديان ولم يطلع على فكرهم البتّة لانَّ فكرهم كلهُ في الارض في الاكل والشرب والسفاح ونعيم الجسد لا يعرفون غيره ولا تتوق انفسهم الى سواه كالدواب التي ليس لها همة غيره

اذن الانجيل دين الله الحقّ الذي يجب ان يُعبد بهِ على صفة الثلاثة الانواع التي كنّا ذكرنا انّ طبيعتنا علّمتنا اياها اعني ان الله آب وابن وروح قدس. وفي الحلال والحرام ان نرضى لغيرنا مـا نرضى لانفسنا من ترك الشرّ وعمل الخير والثبات في المودة الصالحة والتشبه بالله. وفي الثواب والعقـاب ان يبصر الصالح الله ويساكنهُ ويشاركهُ في نعيم حياتهِ ويصير مثلهُ الاهاً الى الابـد من غير ان تتغير طبيعتهُ. فامّا الطالحون الذين لم يؤمنوا بالمسيح فيُبعَدون عنه ويصيرون في عزلة عن حياتهِ في شقاء الى الابد. ولذلك نؤمن بهذا الدين ونتخـذهُ ونتمسك بهِ ونعيش بهِ ونصبر على البلايا في الدنيا من اجلهِ للرجاء الذي وعد ونموت على ذلك ونؤمل انّنا نلقى وجه الله عليهِ ونرمح ما سواه ونبعدهُ ونقصيه ولا نعدّهُ شيئاً

فان قال قائل انك حيث لم تقبل ديناً الّا الذي اتى بهِ الانجيل لِما ذكرت من تمام ما فيهِ من صفة الله والحلال والحرام والثواب والعقاب الامر الذي زعمت انَّ الطبيعة علّمتك ايّاه وامنت ليس من الله غيرهُ (49) ونزّهت الله ورفعته من ان يكون بعث الى الناس شيئاً وصفتهُ الاديان الاخر لحال خطاياها ونقصانها فقـد انكرت ان يكون موسى النبي مبعوثاً وجعلتَ ما جاء بهِ خطأً ونقصاناً لانهُ لم يأتِ بما اتى به الانجيـل بالخلاف والنقصان الكثير فموسى اذن ليس عندك من الله بُعث

فانّا نجيب هذا القائل ان قصدنا من كتابنا هذا ان نثبت ديننا من العقل وليس من الكتب ونقول انه من قبَل تثبيت العقل لم يكن عندنا موسى مقبولًا انه من عند الله ولا ما جاء بهِ غيرهُ وذلك لما اتوا بهِ من النقصان والخلاف لما علّمتنا طبيعتنا فلسنا نقبل من وجه العقل ديناً الّا الانجيل وحده لما ذكرنا من التمام والصواب الذي اتى بهِ. فامّا من وجه آخر فانا نقبل موسى والانبياء وحدهم انهم من الله وذلك حيث

عرفنا ان الانجيل من الله وقبلناه وصدّقنا جميع ما فيهِ . والانجيل يخبرنا ان موسى والانبياء المسمَّين في العتيقة بُعثوا من الله فصدقناه وقبلناهم . وكذلك حيث سألنا الانجيل : ولاي سببٍ بعث الله موسى بهذا النقصان اذ لم يُظهر في صفتهِ اللاهوت الَّا الاب وحدهُ ولم يَدعُ الَّا اليهِ . وايضاً لاي حال لم يأت بالامر الكامل من الحلال والحرام ولِمَ رخص اشياء كثيرة ولم يذكر الثواب الكامل الذي من اجلهِ خُلق الانسان ولا العقاب . فاخبرنا الانجيل انهُ اضعف (50) القوم كان ذالك . امَّا في صفة امر اللاهوت لان القوم كانوا يعبدون الشياطين واوثاناً لا تحصى فامرهم موسى قائلًا : « دعوا عنكم كثرة الآلهة التي لا تحصى واعبدوا الله وحدهُ » رجاءَ انهم اذا تركوا آلهتهم وعبدوا الله كشف الله ابنهُ وروحهُ في الحين الذي ينبغي ان يعبدوه على التمام ومن اجل ذلك امر بكشفهِ لهم اذ ذلك الآب وحدهُ . وايضاً في امر الحلال والحرام مثل ذلك كان القوم في اعمال الامم في القتل والنهب والزنا والسرقة وشهادة الزور وغير ذلك من انواع الشرّ فلم يقووا على ان يتركوا الشرّ ويميلوا الى الخير بمرّة ومن اجل ذلك وضع لهم ناموساً في ترك الشرّ ورخَّص لهم في اشياء كثيرة وترك لهم عمل الخير حتى يجيءَ حينهُ . وايضاً في امر الثواب والعقاب لم يقدر القوم ان يخرجوا من نعيم الدنيا رأساً ويقيموا على خير رجاء الله كي يأخذوا ثوابهُ بعد الموت لان قلوبهم كانت منغمسة في شهوات الدنيا لا يعرفون غيرها ولا يلتمسون الَّا الامر العاجل فاعطاهم ارض فلسطين الامر الذي كانوا يؤملونهُ ويعلم انهُ يجذبهم اليه بهِ

بهذا اخبرنا الانجيل وصدقناه في كل ما اعلمنا من امر موسى انهُ من الله بُعث وانَّ ما جاء بهِ مع وجوه النقصان من الله ولولا الانجيل لم نصدّق موسى انهُ من الله ولكنا من قبل الفكر كنَّا نزحهُ اشدّ الزمح . كذلك صدَّقنا الانبيا انهم من عند الله من قبل الانجيل وليس من العقل لاننا حيث اخبرنا المسيح انهم انبياء صدقناهم وحيث عرفنا جميع تدبير المسيح وقرأنا في كتبهم فوجدناهم قد كانوا سبقوا فوصفوا جميع تدبيرهِ على ما فعلهُ صدقناهم ايضاً انهم انبياء . فنحن الآن ليس من قبل كتب الانبياء نصدق بالمسيح وباموره ولكن من قبل قول المسيح انهم انبياء . ومن قِبَل انَّنا راينا تدبيرهُ مكتوباً في كتبهم صدقناهم

فنحن على هذا فصَّلنا امور الاديان وعرفنا منها مــا هو من الله وما ليس من الله من علم الطبيعة

نخبر ايضاً من وجه آخر استدلَّت بهِ عقولنا ان دين النصرانيَّة من عند الله وذلك ان الامم بقوة الله انقادت الى تلاميذ المسيح وقبلت هذا الدين منهم وليس بقوَّة الناس ولا قهرهم ولا حِيَلهم ولا مطامعهم كغيرهِ من الاديان. لان الوجوه التي تنقاد الناس فيها بعضهم الى بعض في الدنيــا على ما يرى العقل كثيرة. فربما انقاد الناس الى رجل شريف لشرفهِ والى رجل غني لعطيتهِ او ايضاً الى سلطان وهذا انقياد الناس اليهِ لوجوه شتَّى منهم لان السلطان يقهرهُ ومنهم لانهُ يتقي شرَّهُ ومنهم لانهُ يرجو الاصابة بلزومهِ (52) ومنهم لانهُ يعتزُّ بهِ. وايضاً ربما انقادوا الى حُكم حكيم لحكمتهِ وايضاً الى من يفرّشهم شهواتهم ويوسعهم اهواءهم والميل الى ما يُنعمون بهِ طبيعتهم. وايضاً ربما انقادوا الى تعليم الله الذي يستحسنهُ والى غير هذه الوجوه التي ذكرنا ما يشبهها

ونقول انهُ ان خرج رجل يدعو الى الله على مثل هــذه الحالات سيما ان كان رجلًا شريفاً ملكاً يقهر الناس بالسيف ويبذل لهم العطايا والعزّ والشرف في الدنيا ويفرشهم شهواتها ونعيمها ويأتيهم من صفات الله ما هو سهل ممَّا تستحسنهُ عقول العامَّة ولعلَّها من الصفات التي قد سبقهُ اليها غيرهُ قبلهُ وعرفتهــا العامة فليس بعجب إن انقادت لهُ الناس واتبعتهُ عليهِ وليس لهُ مع هذا حجَّة مقبولة ان اراد ان يثبت لهُ دينهُ انهُ من عند الله لاتباع الناس اياه على مثل هذه الوجوه لانهُ لم يزل هذا ومثلهُ يكون في الدنيا من قديم الدهور وحديثها

والشاهد على ما ذكرنا دانيــال النبي قال ان بختنصَّر ملك بابل صنع الاهاً من ذهب اي صنماً طولهُ ستون ذراعاً في ستة عرضاً وانهُ اقامهُ في بابل وامر بان يُسجد له وأعلم ان من لم يسجد له فهو ملقيهِ في الاتون ومحرقه بالنار فاجتمع جميع الناس وسجدوا لهُ الَّا الثلثة الفتية حنانياً وعزاريَّا وميصائيل فالقاهم في الاتون

كذلك لم (53) تزل العامة تنقاد الى ملوكها بالقهر اذن ليس بعجب ان تنقاد الناس الى من خرج يدعو الى دين فمن لم يتبعــهُ ضربه بسيفهِ ومن تبعه عزَّه وافرشه فرش الدنيا وفخرها واموالها وسعة شهواتها ولذتها ونعيمها وسيما ان كان

قبل ذلك شقيًّا لم يرَ خيرًا قطّ ولم يسمع خبرهُ وعامه من صفات الله ما تستحسنه عقول الناس السوقية امرٌ قد جاء به غيرهُ من قبله وعبدت الدنيا الله عليه دهورًا كثيرة على ما جرى عليه امر بختنصّر لان الملوك تقهر مَن تحتها الى ما تحب والناس ايضاً تنقاد من اجل حياتهم ومن اجل شهواتهم ومطامعهم وعزّهم الى غير الحقّ ومن اجل ذلك اذن لا يثبت له امر انه من عند الله

فالذي يدعو الى الله على خلاف هذه الحالات مثل تلاميذ المسيح قوم كانوا اثني عشر رجلًا من اليهود واليهود كانت اسقط امّة في الدنيا عند الامم وابغضها اليهم وكانوا هم اذلّ مَن في امّتهم واسفلها لا حسب ولا نسب لهم في الدنيا يطمع فيهِ احد وينقاد اليهم من اجله. وايضاً لم يكن لهم في الدنيا مال ولا منزل ولا مأوى ولا ثوبان ولا طعام يومين ولا مخلاة لينقاد اليهم التماساً لعطيتهم. وايضاً لم يكن لهم ملك ولا سلطان ولا سبب في الدنيا ولا قهر ولا عزّ لينقاد (54) اليهم احد لقهرهم او لخوفهم او التماساً للعزّ بهم بل قد كانوا على خلاف ذلك كل يقهرهم ويهينهم ويُفسلهم. وايضاً لم يكن فيهم من يفهم كتاباً ولا من عرف شيئاً من الحكمة الدنيويَّة لينقاد الناس اليهم من اجلها. وكانوا يدعون الى دين النصرانيَّة ولا يرخصون للناس في تناول شيءٍ من شهوات الدنيا ولا كثرة نسائها ولا لذّاتها ولا فخرها لينقاد الناس اليهم بل على خلاف ذلك كله يعلّمون ترك ما فيها راساً. وايضاً لا يدعون الى الايمان بامر سمعوا بهِ قطّ ولا بما تستحسنه عقولهم البشريَّة ولا بما كان احد قبلهم دعا اليهِ احدًا ولكن بامر جديد غريب لانهم قالوا: ان الله بعث ابنه من السماء واتى امراةً عذراء فتجسَّد منها وولد منها الاهاً وانساناً ونشأ في الدنيا كواحد من الناس. ولمَّا دعا اليهود الى الايمان بهِ لم يطيعوهُ بل خالفوه واجترأوا عليهِ فضربوهُ وصلبوهُ وقتلوهُ ودفنوه وقام من الموتى بعد ثلاثة ايام وصعد الى السماء. ولا خلاص لاحد من الخطيَّة ولا من جهنم الَّا بهِ ولا الدخول الى ملك السماء الَّا بالايمان بهِ وانهُ الاه ابن الاه وبعثنا نكرز بين الناس بهذا ليحيوا

فهذا الايمان لا تقبلهُ عقول حكماء الناس ولا جهَّالهم ولا اواسطهم وهو جدير ايضاً الَّا يقبلهم احد لاجلهِ وفي سواء ذلك الخلاف الذي ذكرنا انهم كانوا في الدنيا من السفالة بتَّة (55). فنحن نرى الامم اجمعين قد قبلوهم على هذا الايمان وعلى هذه

الحالات التي ذكرنا وحوّلهم التلاميذ عن عبادة شياطينهم الطفسة النجسة التي كانوا نشأوا عليها هم واباؤهم واجدادهم واجداد اجدادهم حتى ملأوا الدنيا من هذا الدين في اربع زواياها الى يومنا هذا. ومعروف ان هذا كله الذي كان ما شركتهُ قوة انسية ولا حيلتها ولا ترخيص لاحد ولا شهوة جماع تطلق في هذا كلهِ بل بقوة الله كان اجمع وباعاجيبهِ وانما قبلتهُ الامم لانهُ لم تشركهُ قوة ولا حيلة انسيّة بتة

وتصديق قولنا ان المسيح قال في الانجيل الطاهر للتلاميذ : « كما بعثني ابي اليكم انطلقوا الى جميع الامم وتلمذوهم وعمّدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم بهِ وهاءنذا معكم جميع الايام الى تمام العالم فمن آمن عاش ومن لم يؤمن فهو مخصوم ومحجوج. وبعد ان كلمهم يسوع صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وخرجوا هم وكرزوا في كل مكان والربّ كان يعينهم ويحقق كلامهم بالآيات والعجائب التي كانوا يعملونها وبها قبلهم جميع الامم ». فقد تحقق كلامنا انهُ بقوّة الله قُبل هذا الدين في الامم ولم يشترك فيهِ قوّة انسيّة ولا حيلة ولا ترخيص ولا طمع فمن اجل ذلك هو من الله بلا محالة ولا دين غيره

فان قال قائل ان النصرانيّة ليس (59) بقوّة الله قبلَتها الامم ولا باعاجيب ولكن اضلّهم بولس واصحابهُ. فنقول : كيف ذلك وقد كانت الامم تعبد الشياطين وتسجد للاوثان الحجارة والخشب فردّت النصرانيّة عبادتهم وسَجدَتهم الى الله. وايضاً قد كانت الامم في طفاسة الدنيا ونجاستها في هوتةٍ لم ينزلها احد ولا يستطيع ان يخرجها منها فغسّلتهم واطلقتهم عن ذلك كلهِ ونقّتهم. اعني ان الامم كانت في نعيم طيب من طعام الدنيا وشربها وسكرها فانقذتهم من ذلك وألزمتهم الصيام الشديد والاقتصار على الخبز والماء

وقد كانت الامم تتمادى على ترويج النساء الكثيرة واتخاذ الجواري كالخيل مع الزنا الفاحش القبيح الذي لا يحلّ ذكره فحسمَتهم عن ذلك كلهِ والزمتهم العفة والاقتصار لمن اراد الدنيا على امرأة واحدة الى يومنا هذا. وقد كانت الامم ايضاً تلبس ثياب الملوك المنسوجة بالذهب اصنافاً لا تحصى وتنام على اصناف فرش مثل

ذلك لا ثمن لها فبغَّضت ذلك اليهم واقتصروا على ثياب الصوف والرقاد على الحصر وعلى الارض

وقد كانت الامم تغصب وتنهب مال كلّ وتقهر كلًّا على شبه ذلك فكفَّتهم عن ذلك وصيَّرتهم يوزّعون مالهم ومتاعهم على اهل الفقر والحاجة. وكانت الامم تسكن قصورًا وبيوتًا مموَّهـة مغشَّاة بالذهب والفضة فبغَّضت ذلك اليهم والزمتهم السياحة (57) في البراري والسكنى في المغاور والكهوف كالوحش. وكانت الامم سباعًا لا تُرام تبتلع الناس وتسحق عظامهم وتأكل لحومهم بلا رحمة ولا مرثيـة فصرفتهم عن ذلك وصيّرتهم كالخراف بين الذئاب يُشتَمون فيحتملون ويُضربون فيعفون يُلطمون على الخد الايمن فيحوّلون الايسر توخذ ثيابهم فيجودون بأكسيتهم يُسخَّرون ميلًا فيتسخرون ميلين يستوهبون فيهبون يُستقرَضون فلا يمنعون يُلعنون فيباركون يُبغَضون فيحبّون وغير ذلك مما كانت الامم على مثلـهِ من قبل والى هذا صيَّرهم بولس واصحابهُ

فان كان هذا يا هذا عندك ضلال فلا اشكّ ان الهدى عندك خلافُهُ ان تَشتُم ولا تُشتَم وتَضرِب ولا تُضرَب وان شُتمت أن تضرب وان ضُربت ان تقتـل هكذا عندك ذلك وجميع تلك الاشياء التي وصفناها على الخلاف. فلا اظنهُ يوافقك على هذا اهل الحكمة والمعرفة بصواب الحقّ. لانك قد قلبتَ الاشياء الى ورائها وصيَّرت الهدى ضلالةً والضلالة هدى وقد خشيتُ عليك ان دمتَ على هذا ان تلزمك لعنة اشعيا النبي حيث قال: « ملعون من صيَّر الحلو مرًّا والمرّ حلوًا والنورَ ظلمةً والظلمةَ نورًا والخير شرًّا والشرّ خيرًا » . اذن لم يُضلّ بولس واصحابهِ الامم ولكنهم هدوهم الى هذا الهدى

وايضاً نجيبك على ما ذكرت ان تلاميذ المسيح ليس بالاعاجيب اخضعت الامم الى دين النصرانيّة (58) فنقول : انك وفي هذا الوجه ايضاً بالضلال قلت. وان اردت ان يستبين لك ذلك انهُ بآيات الله واعاجيبـهِ اخضعوهم وليس بالضلال على ما وصفت فهاتِ قرّب لنا رجلًا من قبلك فعلّمهُ دين النصرانية وصيّره اعقل الخلق واكيسهُ عندك وامضِ وابعث بهِ الى السنـد والهند والى اهل الصين الذين يعبدون الاوثان فيكرز لهم بهذا الدين ويدعوهم اليهِ ويلتمس منهم الدخول فيهِ

حتى تنظر هل يقبلهُ احد من حكمائهم او اواسطهم او يقدر يضلّ بهِ منهم احدًا. فان لم يكن هؤلاء يقبلون من رجلك وهو اعقل الخلق فكيف قبلت الامم اولائك وقد كانوا اهل سكون ودعة ليس عندهم من مكر الدنيا ولا حكمتها شيء؟ اذن بقوّة الله واعاجيبهِ قبلتهُ هي

وان انكرت ذلك ايضًا فهاتِ رجلك هذا وليدفع اليهِ الله حفظهُ وقوة اعاجيبهِ مثلما كان دفعها الى بعض تلاميذهِ وكان يحفظهُ وليأتِ الهند مثلما اتاها توما تلميذًا لهُ اذ ذاك حتى ننظر ان كان يعجز ان يفعل فعل توما وصنيعهُ لان توما على ما تحدّث قصتهُ حين اتى الهند كرز لهم دين النصرانية فقال: ان الله بعث ابنهُ من السماء الى الدنيا فتجسَّد من امرأة عذراء وولد منها انسانًا وان اليهود صلبتهُ فمات وبعد ثلاثة ايام قام من الموتى وصعد الى السماء وجلس (59) عن يمين الآب وانهُ الاه وابن الاه وهو الذي يبعث الموتى ويدينهم ويجازي كل انسان كما استوجب من خير او شرّ ولا خلاص لاحد الّا بالايمان بهِ. فلما سمعت ملوك الهند كلامهُ هذا قالت: ويحك انت رجل تهذي. فقال لهم: لستُ اهذي ولكن على تحقيق ذلك هاتوا لي رجلًا ميتًا حتى اريكم ذلك. فاتوه بميت فقال لهم: هل يستطيع يحيي هذا الّا من هو الاه؟ قالوا لهُ: لا. فقال للميت: باسم يسوع المسيح المصلوب ببيت المقدس قُمْ. فقام الميت فحينئذٍ امن بالمسيح الملوك وغيرهم من الناس

فمن عاين ذلك من رجلك اذ كان يحفظهُ المسيح وكان معهُ هذه القوّة بأن يصنع هذا الصنيع ولا يعجز عنهُ بعد ان رآه العقل في اول مرة حين لم يكن معهُ هذه القوّة ولا هذا الحفظ الذي افادهُ المسيح لتلاميذهِ خضع لهُ الامم في هذا الدين ليس بقوّة الناس ولا حِيَلهم ولا عزهم ولا مطامعهم ولا ضلالهم. كذلك اعلم وتيقن ولا تشكّ ان هذا الدين من الله لا شكّ فيهِ وليس منهُ غيرهُ ولا دين يرضى بهِ الّاهُ له الشكر والمجد وللابن والروح القدس الان ودائمًا والى دهر الداهرين امين وعلينا رحمتهُ اجمعين

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تتمَّة)

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلّهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم. وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (١ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيَّار العجليّ وكان على شيبان هانئ بن قبيصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص ٢١٦).وقد روى ابو الريحان البيرونيّ في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « انَّ العذارى النصرانيَّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » وهو اصل صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج ١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك انَّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة ». ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرَّح بنصرانية سيّد بني عجل أَبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص٣٤٦٠) .وبقي ابنهُ حجَّار على دينهِ يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجَّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣ : ٤٦ — ٤٧) :

سليلَ النصارى سُدْت عِجلًا ومن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ

---

١) اطلب الاغاني ج ٢٠ ص ١٣٢ — ١٤٠

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدْتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقلِ
وكيف بعجل ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي
وعندك قسّيس النصارى وصُلْبها وغانيــة صهباء مثل جنى النحلِ

وهو القائل لمّا تهدَّدتهُ بنو العجل بالقتل لهجوهِ سيدهم:

تُهدّدني عجلٌ وما خلتُ انني خلاةٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ..

يريد اكرام بني عجل للصليب على مالوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقَيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعــة بن عامر بن صعصعة من غطفان. كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيَّة. وقد خصّوا بالذكر عُقيلًا وذكروا لهم اساقفة. ولمّا ظهر الاســلام دانوا بهِ مدة حتى وفاة محمد ثم ارتــدُّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم

٣٣ ﴿ غسّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيَّة غسّان وقد مرَّ لنا كلام مُسهب في ذلك. وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائــل المتنصرة الَّا ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed: Wellhausen, Skizzen, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

بجلّتهم ذات الالــه ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرَسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليــل (٢: «من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس... ويحملون التجار الى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمُّ اليهم كثير

١) وممّن اتّسعوا في تاريخ غسّان العلّامة نُلْدك في كتابهِ (Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Ǵafnas) وكذلك الرحّالة دوسُّو وصفهم بالتحمُّس الديني في النصرانية (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.*) فقال عنهم: (Les Ghassanides . . : fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٣–٨٧٤)

من الناس ونُسَّاب حمير يقولون انَّهم من حمير ». وفي تاج العروس (٤ : ٣٠٦)
« انَّ فَرَسان لقب عمران ابن عمرو . . . بن تغلب قيل لقب بهِ لجبل بالشام اجتاز فيهِ
وسكن ولدهُ بهِ ثمَّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هـذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمَّا اجدبت
نزلوا الى وادي مَوزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك . ومن الفرَسانيين جماعة يقال لهم
التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية
في قُرَيش مع الشواهد على ذلك . فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيَّة هذه القبيلة التي كانت تُعد
من امَّهات القبائل والى نصرانيَّة بطونها كجرم بن ريَّان وسليح وكلب بن وَبَرة
وتيم اللات . وممن صرَّحوا بدينهـا النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ قال
(١ : ٢٣٤) : « كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب . . . فدخلوا في دين
النصرانية فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب » . وقـد مرَّ قول
الفارابي (اطلب المزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاعة . ومثلهما الفيروزابادي حيث
قال : « كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيءٍ » وقد افادنا
ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) انَّ دير خِندِف في نواحي خوزستان قد بنتـهُ
ليلى القضاعيَّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلقين هم بطن من قضـاعة بنو القين بن جسر بن
الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٣٤٧)
عن هرقل انَّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل
النصرانيَّة المستعربة « لخم وجذام وبَلقين وبَليّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة »
وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

---

١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاعة العلَّامة ڤلهوزن فقال : « كل قبيلة قضاعة كانت متنصِّرة في القرن السابق للاسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231)

٢) اطلب (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, III. 292,293) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١ : ١٨٧٢)

٣٨ ❁ كَلْب ❁ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدَّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهدًا فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (١ وقد عُرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهَير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بَجدل بن أُنيف النصراني حمو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): «هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا)». ومنهم فرافصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بمريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الاسلام الَّا بعضهم وفي المقتضب لياقوت (٢: اسلمت كلب غير مدره كانوا نصارى». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢). انَّ محمدًا دعا الى الاسلام قوماً من كلب يُعرفون ببني عبدالله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٩٩):

« البقاع.. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة واكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (٣».

٣٦ ❁ كندة ❁ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه». ومن رجال كندة عبدُ المسيح عاقبُ نجران في اوَّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضاً جُحيَّة بن المضرّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١: ١٦)

٣٧ ❁ لخم ❁ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣: ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام».

---

١) اطلب الباب التاسع من الفصل الاوَّل ثم راجع ايضاً تاريخ ابن خلدون (٢: ٢٤٩)

٢) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

٣) لعلَّهُ يشير بذلك الى « قب الياس» لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانهُ

وكذلك اليعقوبي (١ : ٢٩٨) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن . ومثلها السيوطي في المزهر (١ : ١٥) . وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسّان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١) . ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم . ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ (راجع طبعتنا ص ٢٠٤) . وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الذُّميك اللخمي (ياقوت ١ : ٧٩٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة . وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ (ص ٢٨١) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان . ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) مع القبائل المتنصرة فقال : « تنصَّر من اليمن طيّ ومذحج الخ » . ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيَّة . ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق . وكثيرًا ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين (ܡܥܕܝܐ ܕܒܢܝ ܟܠܒ) ومثلهم بنو عقيل (ܡܥܕܝܐ ܕܡܢ ܒܢܝ ܥܩܝܠ) (٢

٤١ ﴿ مَهَرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور

(١ اطلب (Land, *Anecdota Syrirca*, I, 47) (٢ Smith: *Thesaurus Syr.*

الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عِقَال قوم الفرزدق ينتهي نسبهم الى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليَّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدَّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ:

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليٌّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال فاتهينا اليهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال اميرنا لفرقة منهم: ما انتم. قالوا: نحنُ قومٌ نصارى لم نرَ ديناً افضل من ديننا فثبتنا عليهِ. فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقة الأخرى: ما انتم. قالوا كنّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم: اعتزلوا. ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة ما انتم. قالوا: نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نرَ ديناً هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم: أَسلموا. فابوا فقال لاصحابهِ اذا مسحتُ راسي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية فجيءَ بالذرَّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ: الّا تأخذ الذريّة. فقال: لا. فلم يعرِض لهم

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر.. وتديُّنهم بالنصرانيَّة قديم تشهد عليهِ عدَّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب رويناها في الفصل الاوَّل الباب الثالث. وقد صرَّح بذلك قزما الرحَّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون. وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ:

بمُجَــدة عنسٍ كأن سَراتَــا فدَنٌ تُطيف بهِ النبيط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخَع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم. كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران. ومنهم كان بنو عبد المدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن. وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم. قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, Skizzen, IV, ٦٩): « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عــدّاء وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب

وبني بكر . وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة انّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغمر وكلب ثلاثتهم اخوة » . وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة . وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

٤٦ ❊ يشكر ❊ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر . وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار . وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلًا على دينهم

هذا ما امكنَّا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير ممَّا لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا . ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهمّ وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالبًا ليكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم . وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريبًا على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تعييرها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي . تمَّ الجزء الاول . (ويليهِ الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠ مار يعقوب – القوش – ربَّان هرمز

تمرُّ طريق زاخو الى مار يعقوب بين جبال تُدعى بها « زاخو داغ » تفصل قضاء زاخو عن سهول الموصل . فلمَّا قطعناها احببتُ ان اتقدَّم امام القفل ماشيًا لاصلي صلاتي في عزلة كمألوف عادتي . فوجدت في تلك الاودية من مشاهد الطبيعة ما كان يرفع قلبي الى الله . ولم يخطر على بالي ان اللصوص ربما كمنوا في تلك القفار يسلبوا ابناء السبيل

وانا كذلك اذ واجهتُ في مضيقٍ من الطريق نفرًا من اجلاف الاكراد المدَّججين بالاسلحة كانوا متجهين الى زاخو. فلمَّا رأوني منفردًا ماشياً نظروا اليَّ شزرًا وتهامسوا سرًّا امَّا انا فلم ابالِ بل سلَّمتُ عليهم وسرتُ في طريقي دون ان انسب اليهم فكرًا سيئاً لكنهم بعد قليل استقبلوا رفقتي فسمعوهم يقولون في لغتهم: «ما لنا لا نقتل هؤلاء الكفَّار كما يفعل اخوتنا في سعرت وديار بكر» فاستدلُّوا من كلامهم على سوء نيتهم واسرعوا اليَّ طالبين ألَّا ابتعد عن القفل لاسيما اخي الذي اوقف نفسهُ لحراستنا في هذا السفر

والحقّ يقال انَّ هؤلاء الاكراد كانوا خلعوا العذار وقلبوا ولايات ديار بكر ومعمورة العزيز ووان ظهرًا لبطن. وهم عدَّة قبائل كالهماوند والكوتشك والحكّاريين يبلغ عددهم في جبال كردستان وسهول العراق والجزيرة نحو مليونين وهم مسلمون شيعيون لغتهم فرع من الفارسيَّة وكثير منهم يرتزقون بالفلاحة الَّا انَّ قسماً كبيرًا يفضلون قطع الطرق ولا تقوى الدولة على كبح جماحهم الَّا بالجهد الجهيد. فلمَّا اطلق السلطان عبد الحميد يدهم على الارمن في خريف سنة ١٨٩٥ اندفعوا كالسيل الجحاف الى كل الجهات حيثما يؤملون غنيمة باردة. على انَّ الله انقذ ولاية الموصل من شرهم

وبعد ان قطعنا جبال زاخو انتصبت امامنا جبال اخر تتصل شرقاً بجبال عمَّادية وكوتشانس حيث يقيم النساطرة. ففي مدخل تلك الجبال قرية صغيرة لا ينيف بيوتها على ٣٠ بيتاً تُدعى مار يعقوب. واسمها مشتقّ من اسم دير قديم كان هناك يرتقي الى قرون الميلاد الاولى. كان يسكنهُ كثير من الرهبان فخرب الدير وبقي في مكانهِ قوم من الفلاحين النساطرة. فلمَّا كانت اوائل القرن التاسع عشر سعى المرسلون الدومنيكان في ردّ تبعة نسطور الى حجر الكنيسة فبارك الله اتعابهم وارتدَّ منهم اهل بعض القرى ومن جملتهم مار يعقوب. ثمَّ في السنة ١٨٤٥ اختار احد رؤسائهم الاب مركي قرية مار يعقوب ليجعل فيها مقامهُ ليكون هو ورهبانهُ اقرب الى منازل النساطرة ليدعوهم الى الايمان الكاثوليكي. ثمَّ عمروا هناك ديرًا وانشأوا فيهِ مدرسةً سنة ١٨٧٥ لتهذيب بعض الاحداث الذين يرشحونهم للتعليم في مدارسهم القروية لاسيا في جبال النساطرة. وفي هذا الدير سكن مدَّة السيد پلانشه (Mgr.

Planchet) مدَّة قصادتهِ الرسوليَّة في ما بين النهرين (١٨٥١ — ١٨٥٩) مع الاب يوسف لابورد رفيقهِ

ولا حاجة الى ذكر ما لقينا في مار يعقوب من التحفي فانَّ رهبانهُ الافاضل استقبلونا على الرحب والسعة وأنسونا بلطفهم كل مشاقّ الطريق. فكانت ليلتنا بينهم من ابهج أوان سفرنا. وقد رأينا مدرستهم التعليمية الذي يبلغ عدد طلبتها نحو الثلثين تلوح على وجوههم لوائح النجابة والغيرة في خدمة مواطنيهم. ولا شكّ انَّ هؤلاء المعلمين اسعفوا المرسلين في مهآمهم الرسوليَّة بين النساطرة واكسبوهم ثقة الاهلين الذين ارتدّ منهم الى الكثلكة نيف وعشرون الفًا

وفي صباح اليوم التالي قدَّمنا الذبيحة المقدَّسة في كنيسة الدير التي هي حسنة الهندسة بديعة النقوش مع صغرها ثم زرنا القرية القريبة من الدير ومنها يكشف النظر على بلاد نينوى ومزارعها المخصبة. وفي هذه القرية بناء يدعونهُ قبر الاسد فيروى ان الاسود كانت تأوي في الزمن القديم الى هذه الجبال فلمَّا سكن الرهبان القدماء هذا المكان ظهر فيهِ اسد رئبال كاد يفرّق شملهم فامر رئيسهم احد مرؤوسيه بان يذهب الى الاسد ويقودهُ اليه فاطاع الراهب من وقتهِ وجازاه الله عن طاعتهِ بان ذلّل امامهُ ذاك الوحش الضاري وجعلهُ داجنًا ألوفًا يخدم الرهبان في حاجاتهم. وبقي في خدمتهم سنين طويلة حتى مات فاسف عليه الجميع وحفروا لهُ قبرًا بين اربعة اشجار من السنديان تُرى الى اليوم واهالوا الحجارة على جثة الحيوان. ومن عجيب الامور ان الربيع كسى هذه الحجارة خضرة فصارت كالقبة الخضراء

انحدرنا يوم الاثنين من دير مار يعقوب الى بقاع الموصل ولم نسر اليها توًّا بل عدلنا الى الشمال لنزور مدينة القوش ودير رهبانها الكلدان. وبعد ساعتين بلغنا قرية معلثاي ومعناها في الكلدانيَّة المدخل. قيل انَّ هناك كان مدخل مدينة نينوى التي ذكر سفر يونان (٣:٣) انها كانت « تمتدّ على مسيرة ثلاثة ايَّام ». وقد باشر الاثريون الاوربيون قريبًا من معَلثاي حفريَّات اوقفتهم على جملة آثار من كتابات على الآجر وابنية وتماثيل تتراوح بين القرن السابع والعاشر قبل المسيح

ثمَّ قطعنا على ظهر الخيل نهر دهوك الجاري هناك فناخت الدابَّة الحاملة لحوائجنا كأنَّها تريد ان تغتسل بالماء فبلّلت قسمًا منها ولو لم يُسرع صاحبها الى

زوجها لكان الخطبُ اعظم واتلفت كل لوازم سفرنا . وبعد ان تناولنا طعام الغداء على ضفة النهر سرنا حثيثاً الى القوش فبلغناها بُعيد العصر ولم ننزل فيها بل توجهنا الى دير على مسافة نصف ساعة منها وهو دير السيدة لرهبان مار هرمز الكلدان حيث نزلنا ضيوفاً مكرَّمين فاستقبلنا حضرة رئيسهم العام الاب بطرس كأعزّ الاخوان

ولا غروَ فانَّ رهبان دير السيدة بحسن استقبالهم ارادوا ان يبدوا بشكرهم للرهبانيَّة اليسوعيَّة على فضلهما نحوهم في انشاء ديرهم . فانَّ السيد مبارك بلانشه هو الذي في مدَّة قصادتهِ الرسوليَّة على ما بين النهرين كان سعى ببنائهِ وهندسته . ثم خلفهُ السيد امانتون (Mgr Amanton) الدومنيكي فساعدهم في اتمامهِ وتجهيز اثاثهِ . وهو دير واسع وثيق البناء بعيد عن ضوضاء العالم وكنيستهُ رحبة تقويَّة

وكان لهم سبب آخر دعاهم ايضاً الى الترحيب بنا . وذلك ان منشئ رهبانيتهم كان من اهل ماردين من عائلة تقرب عائلتنا وكان اسمهُ جبرائيل دَنبو . فهذا المذكور ولد في ماردين نحو السنة ١٧٨٠ وكان يتعاطى التجارة فسافر في غرَّة القرن التاسع عشر الى البصرة لاشغاله فمُني هناك بداء عُضال يئس من شفائهِ الاطباء فوجه بنظره الى السماء ونذر الترهب اذا عوفي من مرضهِ فلم يلبث ان نال العافية التامَّة ورجع الى وطنهِ ليفي بنذرهِ . لكنَّ العيشة الرهبانيَّة كانت قد بطلت في بلاد ما بين النهرين منذ قرون عديدة فطلب مشورة احد الرهبان الكرمليين الذي اشار اليه ان يذهب الى لبنان ويأخذ من رهبانهِ قوانين الترهب ويعود الى وطنه فينشئ فيه اديرةً لاهل طائفته

فاستحسن جبرائيل راي المرسل الكرملي وقدم لبنان ولبس الاسكيم الرهباني في احد اديرة الرهبان الموارنة فلمَّا اتقن آدابهم النسكية بعد خمس سنوات عاد الى بلادهِ ثم دعا الى الرهبانية بعض اهل ملتهِ واعطاهم قانون مار انطونيوس ابي الرهبان . ثم عرضوا امرهم على يوحنَّا هرمزد بطرك الكلدان والسيد حنانيشوع مطران العماديَّة فنالوا منهما بعد الجهد الجهيد ديرًا قديماً في الجبل المشرف على القوش يُعزى الى ربَّان هرمزد كانت بطلت فيهِ السيرة الرهبانية منذ مئتي سنة فانتقلوا

اليه ورمموه سنة ١٨٠٨ وسكنوا فيهِ الى يومنا . ورُقي جبرائيل الى درجة الكهنوت سنة ١٨١١ بعد الحاح الاخوة عليهِ

ثم كثر عدد الرهبان لقداسة منشئهم وحسن سمعة تلامذته وغيرتهم فبعد مدَّة فتحوا اديرة أُخرى منها دير السيدة او دير مارت مريم المذكور (١٨٥٨) ودير مار جرجس (١٨٦٢) . وقد اثبت الكرسي الرسولي هذه الرهبانية سنة ١٨٤٤ ومنها خرج نحو عشرين بطركاً او مطراناً او اسقفاً خدموا الكنيسة الكلدانية اصدق خدمة واولوها رقياً وبهاء بمشروعاتهم الرسولية المختلفة . هذا فضلًا عن عدد كبير من فضلاء الكهنة والرهبان الذين استحقوا ثناء مواطنيهم عموماً ببرّهم وغيرتهم الرسوليَّة وتآليفهم العديدة

امَّا الاب جبرائيل رئيسهم فدبرهم احسن تدبير الى السنة ١٨٣٢ حيث مات شهيد محبتهِ . ففي ذلك العام خرج محمَّد باشا امير الاكراد في راوندوز لمحاربة جنود الدولة ووالي العمَّاديَّة فوشى لديهِ بعض اعداء النصارى باهل القوش . فسار اليهم ليقاتلهم فهرب الالقوشيون الى دير ربَّان هرمزد لكنَّ الاكراد احاطوا بهم وقتلوا منهم كثيرين ومن جملتهم الاب جبرائيل وبعض رهبانه . وكان الاب جبرائيل نجا من ايديهم اذ رأى امراة تُعول وتصيح على ولدها الذي كان بقي وراءها . فحنَّ عليها الاب الحنون وانفتل راجعاً ليخلص الولد فادركهُ الاكراد وقتلوه . وبقي جسدهُ بلا فساد حتى جاء الرهبان ودفنوه باكرام في احدى كنائس القوش فبقي هناك الى سنة ١٨٤٣ حيث نُقلت بقاياهُ الى دير ربَّان هرمزد . وقد وجدنا في دير السيدة ترجمة حياتهِ هذه بالكلدانية مع قصة دير ربَّان هرمزد من السنة ١٨٠٨ الى ١٨٣٢ فاستنسخناها لمكتبتنا الشرقية ونسختنا هذه قد نقلها مؤخرًا الى الفرنسوية المستشرق الاديب موريس بريار (Maurice Brière) فنشرها في مجلة الشرق المسيحي (Orient Chrétien, XV. 410 et XVI 115, 259 et 346) دون اصلها الكلداني

فبين هؤلاء الرهبان الافاضل قضينا تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي بعد الصلاة وزيارة الدير تفقدنا مكتبة الرهبان الغنيَّة بمخطوطاتها السريانيَّة والعربيَّة ودوَّنَّا اسماء الكتب التي رأينا في تعريفها افادة من جملتها كتب طقسية ودينية

مكتوبة على الرقّ . ثمَّ عنـد رأد الضحي رافقونا الى القوش لزيارة كهنتها ونظر اثارها

القوش بلدة قديمة اهلها اليوم نحو ٥٠٠٠ معظمهم كلدان كاثوليك وهي تُعدّ كمعقل الكثلكة في جهات الموصل منها خرج عدد من مشاهير رجالهم . وللكلدان في القوش عدّة كنائس زرنا بعضها التي فيها مسحة من الطرز الهندسي القديم كما انّنا اجتمعنا ببعض كهنتها الذين يرعون شعبهم بكل همة وتقى . وكثيرًا ما سعى المبتدعون البروتستانت وبعض اهل الفساد ان يُلقوا الزوّان في هذه التربة الصالحة ليغووا الالقوشيين بأضاليلهم فرُدُّوا خائبين وعساهم لن يفلحوا ابدًا في تحقيق نيّاتهم السيئة — ومما راينا في القوش كنيس لليهود يحجُّون اليه من كل صوب ويزعمون انَّ فيهِ قبر ناحوم النبي المنسوب في اوّل نبوّتهِ الى « القوش » . وقد ارتأى البعض انّهُ ولد فيها مدّة جلاء بابل . لكنَّ هذا الراي ضعيف والارجح ان القوش المذكورة احدى قرى الجليل التي رأى القديس ايرونيموس اخربتها . وقيل غير ذلك ايضاً والله اعلم . واهل القوش يتكلمون حتى يومنا بالكلدانية العاميّة كاهل القرى المجاورة للموصل وقد راينا منهم من ينقل الكتب القديمة ويرسم تصاويرها لاسيا الكهنة المولعين بدرس آداب اجدادهم ومآثرهم الخطيّة

وفي عصر النهار رقينا جبل القوش لنزور دير ربّان هرمز الشهير وهو على مسافة نصف الساعة من القوش يُصعد اليهِ على طريق اشبه بالسلّم لكنَّ المسافر اذا بلغ اعلاه لا يلبث ان ينسى تعبهُ لما يشاهد من المناظر الرائقة والآثار البديعة . اذ وصلنا توارد الرئيس ورهبانهُ الى السلام علينا ومؤانستنا واستقبلونا في ديوان كبير يطلّ على سهول الموصل ودساكرها . ثمَّ تلطفوا وقدّموا لنا القهوة في فنجان من زمن الاب جبرائيل فأثّر فينا هذا التذكار واستلمنا تلك الذخيرة قبل شرب محتواها

ثمَّ دعانا حضرة الرئيس الاب افرام الى زيارة ديرهِ فكانت تلك ساعة بهجة وسرور اذ تفقـدنا بقايا مزار ينطق بلسان حالهِ عن مفاخر الكنيسة الكلدانية القديمة . وما يقال عنهُ بالاجمال انّ الدير بما يحيط بهِ من نواحي الجبال يشبهُ كنيسة عظيمة رفيعة الجدران قبتها السماء وسوقُها الوادي وحنيّتُها معاطف الجبل وراءها وهيكلها دير ربّان هرمز . وترى على جانبي الدير عـدّة قلالي نقرها قدماء

النسّاك في الجبل شبه الكهوف فعاشوا فيها عيشة ملائكيَّة في الصوم والصلاة والاشغال اليدويَّة. وكان عددهم يبلغ المئين وهم اليوم عشرة او اثنا عشر. ثمَّ درنا في داخل الدير ورأينا قلاليَّهُ المستحدثة التي نصفُها منقور في الصخر الاصمّ كبعض قلالي قزحيَّا او بيوت قرية معلولا

وهناك اسراب عميقة ضيقة فيها قبور البطاركة النساطرة ثم الكاثوليك الذين سكنوا في هذا الدير. وترى لكل ضريح صفيحة من الرخام عليها دستور ايمان البطريرك بالكلدانيَّة مع شعارهِ وتاريخ كتابتهِ. واقدم تاريخ تلك الكتابات من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر للمسيح وهي كلها مرقومة بحساب اليونان وسني الاسكندر

ربَّان هرمز منشئ هذا الدير عاش في القرن السادس للمسيح وقد خلط البعض بينهُ وبين سميّهِ الشهيد هرمزد الفارسي في اواخر القرن الرابع وقد استولى النساطرة على الدير عدَّة اجيال حتى صار الى الكلدان الكاثوليك في القرن الثامن عشر بعد ان فنيت مدَّةً العيشة الرهبانيَّة فأضرم جذوتها الاب جبرائيل كما رأيت

وكنيسة دير ربَّان هرمز محدثة لكنها محكمة البناء حسنة الهندسة والزينة داعية الى التخشع. وفيها قبر الاب جبرائيل فانَّ ابناءه سنة ١٨٤٣ استحضروا لجثتهِ تابوتاً فخيماً ونقلوها بكل رونق واكرام الى هذه الكنيسة فدفنوها في ضريح خاصّ جعلوا فوقهُ كتابة بالشعر الكلدانيّ تشير الى المتوفّى ومقامهِ الرفيع وسنة وفاتهِ. فجثونا عند ذاك القبر وطلبنا شفاعة وليّ الله وصلينا لاجل نموّ وازدهار رهبانيتهِ

ثمَّ خرجنا من هناك لنزور مكتبة الدير فوجدنا فيها مع صغرها مخطوطات كلدانيَّة وعربيَّة استفدنا منها لتاريخ الآداب النصرانيَّة في جهات الموصل. ورهبان الدير اذا فرغوا من فرائضهم الدينيَّة وبقيَّة اشغالهم انقطعوا كقدماء الرهبان الى نسخ الكتب فبهمَّتهم وهمة امثالهم نجت تآليف كثيرة من تيَّار الزمان

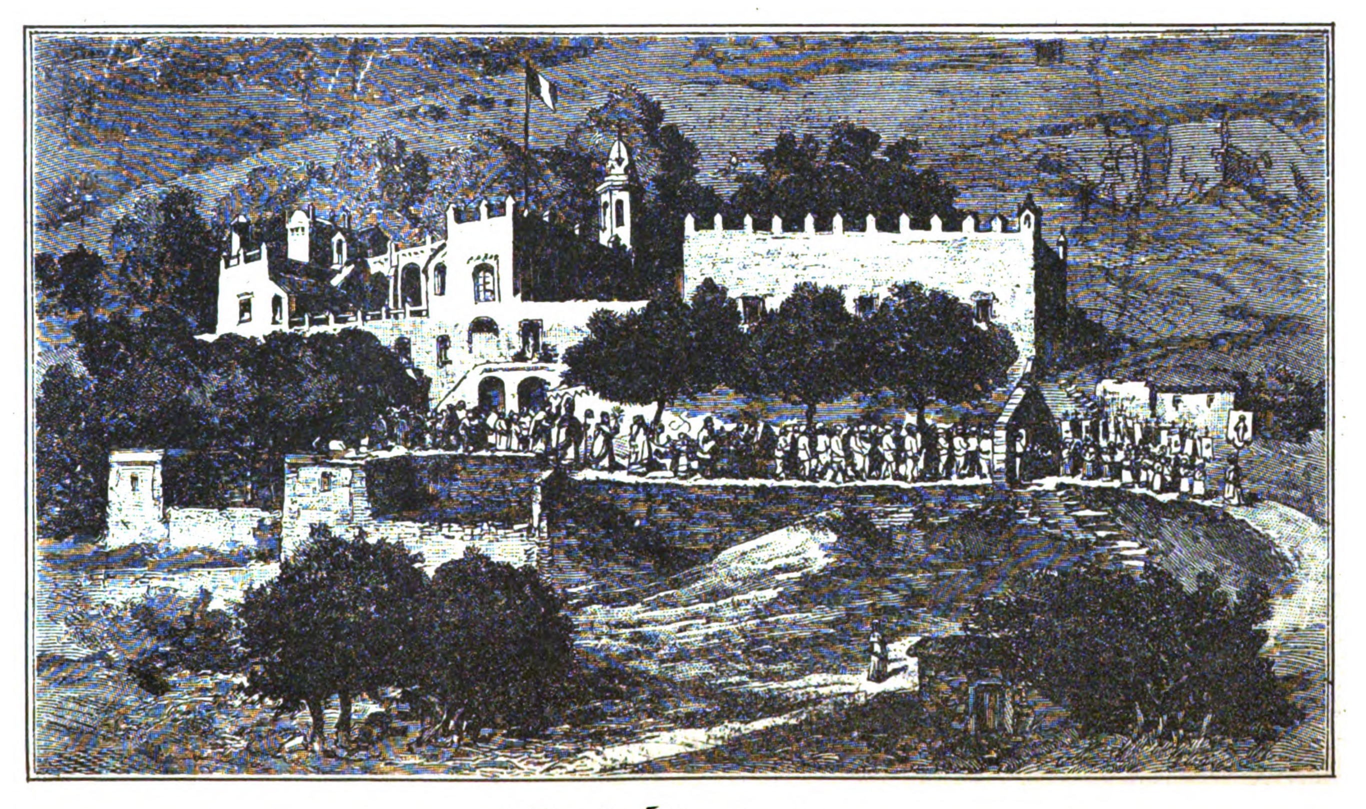
ثمَّ اختلطنا بابناء الاب جبرائيل في تلك الليلة وعاينَّا شظف عيشهم وزهدهم بكلّ ملاذّ الدنيا وحضرنا صلواتهم القانونيَّة وتباحثنا معهم مليًّا عن تاريخهم وامور رهبانيتهم فذكَّرونا بالاب يوسف لابورد الذي سكن بينهم سنتين وتفرَّغ لتعليمهم

اللاهوت وكان بينهم مثالًا لكلّ الفضائل الرهبانيَّة. ثمَّ رقدنا في قلاليهم الصخرية فكان رقادنا بينهم من اطيب الليالي

وعلى مسافة قريبة من دير ربَّان هرمز شرقاً فوق قرية تُدعى عين سفنة كثيرة الخصب مزار اليزيديَّة المعروف بالشيخ عادي فهناك كما يزعمون قبره في مشهد عظيم شيدوه لذكره. امَّا الشيخ عادي هذا زعيم اليزيديَّة فقد اختلفت الآراء في حقيقة امرهِ وزمانهِ ومآتِرهِ (فلتراجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا المذهب ومنشئه في السنة الثانية من المشرق). والبعض يزعمون انَّ عادي المذكور هو هو القديس أدّي او عدّي احد السبعين تلميذًا الذي بشر بالنصرانية في العراق فحفظ اليزيديون ذكرهُ بعد ان مرقوا عن النصرانية. راجع مقالة للاب بسون (Besson) من قدماء المرسلين اليسوعيين في القرن السابع عشر نشرها المستشرق پردريزه (Mr. P. Perdrizet) في مجلة جغرافية عنوانها (Société de Géographie de l'Est, 1903, p. 280 et 429) ثم كتاب رحلة البارون فون اوبنهيم (Max von Oppenheim) من البحر المتوسط الى خليج العجم (ص ١٤٧ – ١٦٠). امَّا مزار الشيخ عادي فقد دخلتهُ سيدة انكليزيَّة تدعى جرتردوه بال فوصفتهُ وصفاً مدققاً في خبر رحلتها (G. L. Bell: *Anurath to Amurath.* p274-279) ويزعم البعض ان تلك الابنية بقايا دير نصراني قديم اتخذه اليزيدية في القرون الوسطى كمركز لدينهم. وفيهِ تأييد لمزعم القائلين بنصرانيتهم سابقاً

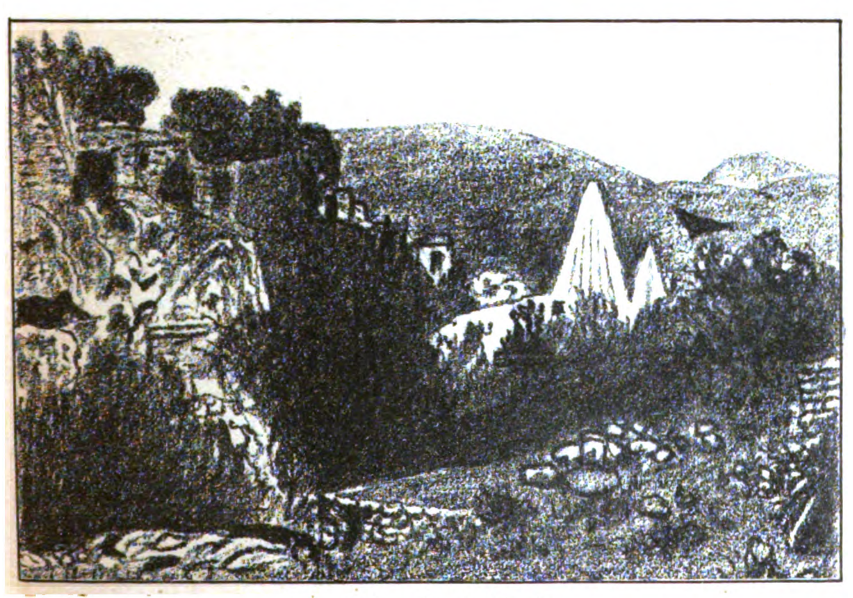
وفي غلس اليوم التالي قدَّمنا الذبيحة الطاهرة في كنيسة ربَّان هرمز وكان واقعاً في ذاك النهار عيد احد قديسي رهبانيتنا القديس استانسلاوس شفيع حضرة اخينا فشعرنا بتعزية كبرى لتلاوة صلواتنا في ذاك المعبد قريباً من ضريح شهيد من اقاربنا. ثمَّ اسرعنا فودَّعنا رئيس الدير المفضال وسائر رهبانهِ الذين اختبرنا فيهم جميعاً صحة قول احد القصَّاد الرسوليين سنة ١٨٦٠ «انَّ هؤلاء الرهبان يجمعون بين التقى والعلم فضفروا لطائفتهم اكليلًا من الفخر لا تفنيهِ الأيّام»

ثمَّ رجعنا الى القوش حيث كان دعانا الى الغداء حضرة الاب بولس اودو ابن اخي المثلث الرحمات البطريرك يوسف اودو الشهير واخذنا عنده صور بعض المخطوطات القديمة وامثلة لاجود الخطَّاطين المحدثين رجاء ان نحفر في مطبعتنا طقماً



دير مار يعقوب للآباء الدومنيكان

دير ربَّان هرمزد



مزار الشيخ عادي لليزيديين

كلدانياً. وهو امر حال الزمـان دون اجرائهِ فعلًا الى العام الماضي حيث نجز ذلك الطقم وهو اضبط قلم للكتابة الكلدانيَّة كما ترى

ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ ܢܬܩܕܫ ܫܡܟ ܬܐܬܐ ܡܠܟܘܬܟ ܘ
ܢܗܘܐ ܨܒܝܢܟ ܐܝܟܢܐ ܕܒܫܡܝܐ ܐܦ ܒܐܪܥܐ...

وبُعيد الظهر ودَّعنا اهل القوش ورهبان دير السيدة فسرنا الى تلّ اسقف من قرى الكلدان وسار في رفقتنا ثمانية فرسان ببنادقهم يتقدَّمونا في طريق يكثر فيها اللصوص لمرورها بين تلال. فلمَّا بلغوا بنا الى مأمن شكرناهم واعطينا كل واحد منهم تذكارًا تقويًّا فعادوا ادَرجهم مسرورين. تلّ اسقف قرية على ضفة نهر صغير عدد نفوسها من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نفس كلهم كاثوليك يخدمهم كاهن شهير بغيرتهِ وكرمهِ الاب هرمز. فهذا لِما طُبع عليهِ من الاريحيَّـة يقصدهُ الضيوف من نصارى ومسلمين واكراد فيفيضون في محامدهِ ويؤدون لهُ كل الخدم التي يطلبهـا بل يتحاكمون اليهِ وينقادون الى حكمهِ دون تأخُّر. فعرفنا بهِ ما للكهنة الافاضل من النفوذ حيثما وُجدوا. وقرب تلّ اسقف هذه قد احتفر اثريّ افرنسيّ يُدعى پلاس (Place) حفريَّات اوقفتهُ على اوعية قديمة وكتابات اشوريَّة. وفي شرقي تلّ اسقف خربة خورساباد التي وُجد فيهـا هيكل سرغون مع الآثار الجليلة والتماثيـل التي اغنت متاحف اوربَّة

قمنا قبل فجر اليوم التـالي لنسير باكرًا مؤملين ان نصل الى الموصل في المساء فبلغنا قرية بطنايا حيث قدَّسنا في كنيسة الكلدان. وبطنـايا ايضاً كلها للكلدان الذين يناهز عددهم الالف. وكان راعيها لمَّا مررنا القس ابراهيم وكيـل غبطة البطريرك عبديشوع والشبيه بالخوري هرمز في غيرتهِ ونفوذهِ. فبعد القداس ارانا ما في كنيستهِ القديمة من المخطوطات الطقسيَّة البديعة ووجدنا عندهُ مآثر ادبيَّة اخرى لبعض كتبة الكلدان وشعرائهم كنرساي ووردا ومجاميع فيها ميـامر ومواعظ ومقالات دينيَّة وادبيَّة. ثم رافقنا الى دير قريب من هناك على اسم مـار اوراها كان قديماً للنساطرة فاستولى عليـهِ الخراب لكنّ القسّ ابراهيم استنفد الوسع في ترميمهِ ومع قلة ذات يدهِ امكنهُ ان يعيد لهُ هيئتهُ القشيبة ويجـدّد كنيستهُ وكان لهُ الرجاء الوطيد ان يجعلهُ قريباً مدرسة اكايريكيَّة. وترى اهل الجيرة يساعدونهُ طاقة

جهدهم حتى الأكراد منهم والعربان الذين ينذرون النذور لهذا الدير فتُجاب ادعيتهم ·
وليس بعيدًا من بطنايا بجشيقا التي اكتشفوا فيها عـددًا لا يُحصى من الخزفيّات البابليّة

وقبل الظهر بساعة سرنا جنوباً الى قرية اخرى كبيرة اهلها ايضاً من الكلدان وهي تلّ كيف يبلغ بيوتها ٩٠٠ بيت وعدد نفوسها فوق ٥٠٠٠ حللنا عند كنيستها وقصدنا ان نسير منها الى الموصل في اصيـل النهار لكنّ كاهن الكنيسة لم يدعنا نسافر ذلك المساء لانّ الطّريق غير امينة فاقنعنا بان ننتظر صباح اليوم التالي فنسير في رفقة بعض المكارين · فتجوّلنا في البلدة وزرنا بعض اهليها · والتلكفيون قوم من ذوي النشاط يهاجرون الى المدن القريبة للارتزاق · ومنهم من يذهب الى بغداد يحترف لاهله بالخدمة · والآباء الكرملتان قد انشأوا في ديرهم في بغداد جمعيّة لهؤلاء التلكيفيين لاسيما الاولاد ليهذبوهم ويصونوهم ممّا يحدق بهم من الاخطار في الدين والآداب · وتلّ كيف مبنيّـة بالحجارة على خلاف القرى المجاورة وفيها كنيستان كنيسة السيـدة المعروفة بمرت مريم وكنيسة مار قرياقوس · وفي الاولى عدّة مخطوطات كلدانيّة كاناجيل وطقوس وبعض تفاسير للاسفار المقدّسة وميامر للآباء وقصائد دينيّة اكثرها لمار افرام ومار يعقوب

يوم الجمعة ١٥ ت١ قمنا في بطن الليل وبعد صلاتنا مشينا في معية ركب نزلوا الى الموصل · فكانت السماء تشعّ بنجومها الساطعة التي تُرى في ما بين النهرين اضوأ وانور منها في بلاد الشام لا سيما السيّارات وبالاخصّ الزهرة التي كانت تنير طريقنا وكنّا غير مرّة نشاهدها في السماء بعد طلوع الشمس بزمن طويل لبهاء نورها

وبعد ان قطعنا التلال التي تفصل تلّ كيف عن الموصل بلغنا عند الفجر سهولاً رحبة كانت تنحدر الى دجلة · وكنا نرى من عن يميننا جبـال الموصل حيث يقضي الموصليون فصل الصيف · وكنّا نميز في عطف الجبل ابنية ضخمة فافادنا بعض رفقتنا انّ تلك الابنية دير اليعاقبة الشهير بمار متّى حيث قبر ابن العبري امام اليعقوبية في القرن الثالث عشر الذي ترجمناه في السنة الاولى من المشرق فتمنينا لو يسمح لنا الوقت بزيارة ذلك الدير الذي استولى عليهِ الخراب في زماننا

ثمّ جدّدنا في السير نحو موصل الحدباء حتى لاحت لنا المدينة بمنائرها وابنيتها

وهي على ربوة تشرف على دجلة الجارية في شرقها فقطعنا النهر على جسر من القوارب كما فعلنا في الجزيرة. واذا بعامل اوقفنا ليتفقد حاجاتنا فاخذ تذاكرنا وصندوقة مذبحنا النقَّال وكتاب صلاتنا وأبى ان يردّها فأكّدنا لهُ أنَّنا نطالبهُ بها على يد قنصل فرنسة. ثم دخلنا البلد وسرنا توًّا الى دير حضرة الآباء الدومنيكان فاكرموا مثوانا واستقبلونا بمزيد الحفاوة. وكان رئيسهم حضرة الاب ديلامات (R. P. Delamette) نائباً عن حضرة الاب دوڤال الذي كان الكرسي الرسولي استدعاه الى رومية قبل شهر ليعهد اليهِ بقصادة سوريَّة (البقية لعدد آخر)

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنبيز اليسوعي (تابع)

انَّ النصف الثاني من القرن السابع عشر يستحقّ ان يُدعى العصر الذهبي للنهضة الكاثوليكيَّة في الشرق. فانَّ المرسلين الفرنسويين الذين كانوا بهمّتهم وتفانيهم زرعوا بالدموع اخذوا في اواسط القرن المذكور يحصدون بالفرح

على انَّ ذلك الفرح انَّما كان فرح القلب وتعزية الباطن امَّا في الخارج فانَّ حالتهم بقيت حرجة في مضايقة دائمة ممَّا يُصيبهم او يصيب ابناءهم الروحيين. ومن تصفَّح الرسائل العديدة التي كتبها في ذلك العهد المرسلون وقناصل الدول وسفراء الاستانة يأخذه العجب من كثرة البلايا المحدقة بالرهبان الذين كانوا يفلحون كرم الرب في جهات الشرق ويتذكَّر تعداد بولس الاناء المصطفى لاخطاره في التبشير حيث قال (٢ كور ١١: ٢٦): «كنت في اخطار السيوف وفي اخطار اللصوص وفي اخطار من أمّتي واخطار من الامم واخطار في المدينة واخطار في البريَّة واخطار في البحر واخطار بين الاخوة الكذبة وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري...»

فهذا الوصف ينطبق بتمامهِ على حالة المرسلين. فانَّهم بوجودهم في بلاد اجنبيَّة

ما كانوا يعرفون لا اهلها ولا عاداتها ولا لغتها كانوا معرَّضين كل يوم لمضايق شتى. فكانوا لا يعيشون الّا من بعض حسنات تُرسل اليهم من بلادهم اذا تأَخرت بلغت حالهم الى الضنك والعوَز. وقد افادنا الاب بسون في تاريخه (Besson. *La Syrie* p.31) ان معاشهم كان كصوم متواصل ثم قال: «قلما نعرف رسالةً اجنبيَّة يعيش اصحابها في شظف من العيش اعظم من المرسلين الموجودين في هذه الانحاء»

وكذلك المسكن فان المرسلين في حلب كانوا في اسوأ حال. ومـا نعلمهُ عن اليسوعيين خصوصاً انَّهم لم يمكنهم على طول القرن السابع عشر ان يقتنوا لهم بيتاً يسكنونهُ فكانوا يبيتون غالباً في خان الفرنج في حجرتين او ثلاث حجر يتكرَّم عليهم بها قناصل الدولة الفرنسويَّة. فهناك يقضون عامَّة اشغالهم الروحية والادبيَّة والماديَّة. ومثلهم الكبوشيون والكرمليتان

وكانوا اذا سئموا من تلك الحالة واستأجروا لهم بيتاً وجدوا من اعداء دينهم من ضروب المصادرات واصناف المحن مـا يضطرُهم الى الرجوع الى خان الفرنج فيعيشون في ضنك وازدحام لا يمكنهم التصرف في اعمالهم الرسوليَّة كما يشأوون. ولولا ان ارباب الطوائف كانوا يدعونهم للوعظ والتعليم وتوزيع الاسرار في كنائسهم لما استطاعوا خدمة الشرقيين في مهامّهم الروحيَّة

وهذه المشاق التي كانوا يقاسونها في منازلهم كانت تتضاعف اذا خرجوا. فانَّ بعض اشقياء المسلمين كانوا يرقبونهم فتـارةً يوسعونهم شتماً وتارةً يضربونهم بعصيهم او سيوفهم وكثيرًا مـا كانوا يجرّدونهم من بعض ثيابهم او يطالبونهم بالمال او يلكمونهم مجدّفين على دينهم الى ان يقوم احد من عقلائهم فيردّ عنهم اولئك الاجلاف لاسيما اذا راى صبر الرهبان وإغضاءهم عن مضطهديهم

وكان الاذى يلحق بهم في بعض الاحيان من قبل الولاة واصحاب الامر. فانَّ حلب كان يتوالى فيها الحكام الاتراك فيسرعون الى جمع المال بكل ما امكنهم من الوسائط لعلمهم بانَّ وقتهم قصير وان الدولة تطالبهم بمبالغ عظيمة لا يمكنهم الحصول عليها الّا بالوسائل الذميمة. وكان الولاة يطمعون خاصة بالمرسلين رجاء ان يصيبوا سهماً كبيرًا من المال المرغوب. لنا على ذلك شواهد متعدّدة تملأُ كتباً ضخمة منهـا ما اخبره القنصل الفرنسوي پيكه (Picquet) عن بشير باشا الذي تولى

الحكم من السنة ١٦٥١ الى ١٦٥٦ فهذا مدَّة ولايتهِ لم يألُ جهدًا في مصادرة الحلبيين لاختلاس اموالهم. ثم جعل العيون على المرسلين ليرصدوهم ليلًا مع نهار حتى اذا وجدوهم يصلُّون في غير المعبد القنصلي يعلمونهُ بامرهم فيصادرهم بالمال. فزجَّ لذلك في الحبس الاب شيزو (A. Chezaud) اليسوعي واحد الاخوة المساعدين ريمون بورجوا (R. Bourgeois) وضيَّق عليهما في السجن وامر بضربهما حتى ان الاب شيزو مرض مرضاً عضالًا فرحمهما بعض الفرنج وفداهما بمبلغ من المال. وكذلك راهبان كبوشيَّان كبَّلهما بشير باشا بالاغلال ولم يزل يصادرهما حتى خلصهما القنصل الفرنسوي بماله الخاصّ

على انَّ المرسلين الفرنسويين كانوا لا يعدُّون اتعابهم وآلامهم شيئاً في سبيل خلاص القريب فانَّهم مع فقرهم المُدقع كانوا يسعفون المساكين على قدر استطاعتهم فيقتسمون معهم القليل الذي لديهم. وكانوا غالباً يحرِّضون تجار الفرنج على الاحسان اليهم. وكانوا يطوفون البيوت ليجمعوا الصدقات للاسرى والعجزة فيلطِّفون بذلك اوجاعهم وينتهزون الفرصة ليلهموهم الصبر والتسليم لمشيئتهِ تعالى وممارسة بقيَّة الفضائل المسيحيَّة

وقد امتاز المرسلون بحنانهم على المرضى وعنايتهم بالمسقومين فكانوا يعودونهم على اختلاف اديانهم ويوزعون عليهم الادوية. بل جعل المرسلون يدرسون الطبَّ لمعالجتهم اذ كان الاطباء في ذلك الوقت اعزّ من بيض الانوق. فاشتهر في الطبابة الاب شيزو السابق ذكرهُ (١ ومثلهُ الاب گوده (٢ وكذلك الاب سيلوستروس الكرملتاني (٣ والآباء الكبوشيون (٤ فكانت هذه اعمال الرحمة الجسدية كوسيلة لمساعدة النفوس وإعدادها لآخرتها

وقد ظهرت خصوصاً محبة المرسلين للقريب في حلب مدة الاوبئة العديدة التي فتكت بأهلها في القرن السابع عشر. فان الطاعون فشا في انحاء الشام ثماني دفعات في ذلك العهد وكان لحلب من ضرباتهِ السهم الأَفوز لاسيا في السنوات ١٦٥٢ و١٦٦١

١) اطلب الآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقيَّة (Rabbath: *Documents*, I, 53, 400)
٢) الآثار الخطيَّة (Ib. I, 420)
٣) فيها (Ib. I, 438-439)
٤) فيها (Ib. I, 519)

و١٦٦٩ و١٦٨٦ و١٦٩٢ فان العدوى كانت تفتك فتكاً ذريعاً بالاهلين وحلب منقطعة عن المدن بعيدة من الجبال فكان يموت بوقت قريب الوف مؤلفة. كتب المرسلون ان سنة ١٦٩٢ كان عدد موتى النصارى كل يوم مائتين اما المسلمون فكان ينيف عدد موتاهم على الألف وبلغ في طاعون ١٦٦٩ العشرة الآلاف في احد الايام حتى قيل ان ثلث بل نصف اهل حلب ذهبوا ضحيَّة الوباء. فالرهبان الفرنسويون كانوا اذا تأكد وقوع الموتان تخصصوا بخدمة المطعونين وسكنوا في وسطهم منقطعين عن اخوتهم الرهبان ليثابر اولئك على اشغالهم مع السالمين. وقد ذكر الآباء الكرمليتان في سجلّاتهم (١ اسماء المرسلين من الفرنسيسين والكبوشيين والكرمليتان واليسوعيين الذين نالوا من روسائهم نعمة المخاطرة بحياتهم في خدمة المصابين وقد مات بعضهم شهداء محبتهم من رهبانيات مختلفة منهم سنة ١٦٦٩ الاب جان بيار (Jean Pierre de la Mére de Dieu) رئيس الكرمليتان

فالله تعالى لم يدع كل هذه الاتعاب والشدائد التي قاساها المرسلون محبَّةً بالنفوس دون جزاء بل اتت باثمارها الشهيَّة وفقاً لمواعيد المخلص حيث قال (يوحنا ١٢ : ٢٤) : « الحقّ الحقّ اقول لكم انَّ حبة الحنطة التي تقع في الارض ان لم تمت بقيت وحدها وان ماتت اتت بثمر كثير »

قلنا انَّ هذه الاثمار الجيدة التي جناها المرسلون الفرنسيون في حلب انما كانت في القسم الثاني من القرن السابع عشر. والفضل في ذلك لا يعود فقط للمرسلين بل لقناصل دولتهم الذين كانوا في اواسط ذلك الجيل من ذوي الدين والشهامة فجاروا الرهبان في خدمة الكثلكة. نخصّ منهم بالذكر القنصل انج دي بونين (L'Ange de Bonin) من ١٦٣٩ الى ١٦٥٢ ثمَّ فرنسوا پيكه (Fr. Picquet) من ١٦٥٢ الى ١٦٦١ وفرنسوا بارون (Fr. Baron) من ١٦٦١ الى ١٦٦٩

فهؤلاء الثلثة قد اجمع معاصروهم على اطراء محامدهم. فانَّ انج دي بونين احسن ادارة امور دولتهِ مدَّة قنصليَّتهِ في حلب. وقد اثنى على همتهِ الاب بسّون في تاريخهِ (ص ٦٢) وذكر الخدم الطيبة التي خدم بها المرسلين حيث ذبَّ عن حوزتهم وردَّ مكايد اعدائهم وألّف قلوب الشرقيّين بلطفهِ وفضله

١) راجع الآثار الخطيَّة الجزء الثاني (Documents II, 5,10)

واشهر منه فرنسوا پيكه الذي خلفهُ في رتبته بعد وفاتهِ. فهذا الرجل كان من لسرة صيارفة فرنسويين من مدينة ليون ولد يوم عيد الفصح من السنة ١٦٢٦ فعُرف منذ نعومة اظفارهِ بخلالهِ الحسنة وذكاء عقلهِ ورسوخهِ في الدين والتقى فعرفت سموَّ فضلهِ الدوقة دي اغويليون اذ كان يدرس في باريس فطلبت من الملك لويس الرابع عشر ان يتعين فرنسوا پيكه بصفة قنصل عام على حلب. فاجاب الملك الى ملتمسها بعد ان تحقق ما اتَّصف بهِ الشاب من السجايا الطيبة مع كونه لم يتجاوز السنة ٢٦ من عمرهِ. فما وصل الى حلب حتى اقرَّ الجميع بفريد خلاله وتوسموا فيهِ الخير للوطن وللدين معاً. ولم يخب ظنهم فيهِ فانَّ هذا الرجل العظيم قضى في حلب تسع سنوات كان لهُ في كل يوم منها مبرَّةٌ بل مبرَّات فانهُ منذ وصوله اكتسب ثقة ابناء دولته بنزاهته واستقامته وتجرُّدهِ لنجاح امورهم. واجتلب مودة النصارى على اختلاف طوائفهم بما اظهر من التقى والتدين واكرام ارباب الدين ومساعدة المسيحيين في كل حاجاتهم الدينيَّة والزمنيَّة. بل تودَّد للمسلمين وعمَّال الدولة بما كان يجود به عليهم من الصلات والالطاف حتى ضربوا المثل في كرمه. امَّا المرسلون فعدُّوه كواحد منهم لما راوا من فضله العميم ومن غيرته المتقدة في خدمة الكنيسة الكاثوليكية وترقية شؤونها بين اهل الشرق

على ان القنصل پيكه مع ما كان مزداناً به من الصفات كان ذا اباء عظيم ونخوة جنسيَّة لم يحتمل معهما ضيماً ولم يرضَ بظلم او جور فكان في الدفاع عن حقوقه او حقوق ذويه لا يخاف لومة لائم ولمَّا اراد بشير باشا ان يهضم شيئاً منها تصدى لهُ وردَّ بشهامة كل مطالبه غير مكترث لغيظه ووعيدهِ. وداوم على خطته حتى توالت الشكاوى على الوالي الى الباب العالي فاراد السلطان عزله لكنَّ بشير باشا عصى على الدولة وجمع الجند لمحاربة جيوشهم فخاف نصارى حلب على نفوسهم ونسائهم وذراريهم الَّا ان القنصل پيكه اوقف نفسهُ للذَّود عن حياضهم فلم يصابوا بأذى بل جاهر بشير باشا باكرام القنصل وفوَّض اليه احكام النصارى فكان الكل بلسان واحد يشكرون عدلهُ واستقامته حتى جعل المسلمون انفسهم يتحاكمون اليه. فمنع بجاهه كثيرًا من المظالم ريثما ارسل الباب العالي عسكرًا لمحاربة بشير باشا تحت قيادة حسن باشا مستشار الدولة الذي كان سابقاً كاخية بشير باشا في حلب. فلمَّا قدم

بجيشه الى الشهباء ارسل الى القنصل پيكه واكرمهُ ايَّ اكرام واتفق معهُ على الوسائل لقصّ جناح الثورة فتمَّ لهُ الامر كما شاء. فعظم في اعينه القنصل واهـداه اثمن الهدايا من جملتها آنستان من اجمل فتيَات دارهِ فردَّهما القنصل شاكرًا ومُعلناً بنذره للعفة. فكان هذا الفعل داعياً للعجب والانذهال في اعين جميع اهل حلب. وثبت القنصل پيكه تسع سنوات في حلب قدوةً لاهلهـا في كل الفضائل المسيحيَّة الى ان قدَّم استعفاءهُ ليلبي دعوة الله في الكهنوت فسافر سنة ١٦٦٢ الى رومية ومعهُ ٢٥ من الاحداث اختـارهم ليدرسوا في مدرسة انتشار الايمان ومدرسة الموارنة ثم يعودوا ويسعوا في خدمة ابناء طوائفهم. وبعد ان واجه في رومية الحبر الاعظم اسكندر السابع الذي استخبره بالتفصيل عن احوال كنائس الشرق ثم باركهُ واثنى على حسن دينه عاد الى فرنسة واستعدَّ لدرجة الكهنوت فسيم كاهناً بعد سنتين وبقي في ليون مدةً يباشر كل اعمال خدمة النفوس بغيرة لا تعرف الملل وكان الملك والكرادلة وكبار الدولة يطلبون مشورتهُ في معرفة احوال الشرق فخدم الشرقيين خدماً لا تحصى. الى ان اختاره الحبر الاعظم اينوشنسيوس الحادي عشر كقاصد رسولي على بابل وبلاد العجم فرُقّي الى درجة الاسقفية في ايلول سنة ١٦٧٧ . ثم علم البابا حاجة كنائس الشام الى قاصد للنظر في امورها وتوطيد الايمان في قلوب المرتدين الى الكثلكة فعهد الى السيد پيكه بهذه القصادة فعـاد الى حلب ودبَّر كل شيءٍ بحكمته كما سترى ثم سافر الى العراق العجمي ليعتني بكنيسة بابل فخرج من حلب سنة ١٦٨١ واجتمع ببطريرك الكلدان يوسف الاوَّل في ديار بكر ثم رحل الى جهات الارمن بامر الكرسي الرسولي فزار كنائسها ثم دخـل العجم وحظي في اصفهان بمواجهة الشاه عباس سنة ١٦٨٤ وقدم لهُ رسالة ملك فرنسة والطاقة. ثم رحل الى مدينة همدان حيث اخذ يُعنى بكل شؤون كنيسة بابل وكنائس العجم المنوطة بتدبيرهِ لكنهُ اصيب بعد اشهر بداء عُقام فاستعد لملاقاة ربّه ومات موت الابرار في ٢٥ آب سنة ١٦٨٥ وكتبت ترجمة حياته المطوَّلة فطبعت في باريس بتفاصيلها الشائقة (Vie de Messire François Picquet, *Paris*, 1732)

وقد اطلنا في ذكر اعمال فرنسوا بيكه لما له من الفضل في ترقي الكثلكة في حلب كما سترى وكان لمَّا قدَّم استعفـاءهُ عين كخلف لهُ في وظيفته رجلًا اختبر تقاه

وغيرتهُ اسمهُ فرنسوا بارون (Fr. Baron) الذي اقتفى آثار القنصل پيكه وخدم مثلهُ صوالح الوطن والدين انصح خدمة كما شهد عليه روساء الرهبانيَّات الفرنسويَّة الثلث في حلب اي اليسوعيون والكپوشيون والكرمليتان في رسالتهم المؤرخة في سنة ١٦٦٢ وكذلك بطاركة الارمن والسريان والروم في رسائلهم الى ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ (١

فكان هؤلاء القناصل كما سبق عضدًا للمرسلين الذين ضاعفوا همَّتهم في فلاحة كرم الربّ الموكل الى عنايتهم . وكان املهم الكبير ان يجلبوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة امّ الكنائس المنفصلين عنها دون جدال او خصام فيقنعوهم بصحة العقائد الرومانيَّة استنادًا الى تعاليم اجدادهم وآباء كنائسهم وشواهد طقوسهم

وكان افتتاح اشغال المرسلين مع الموارنة وكلهم كاثوليك بسطاء القلب مستعدُّون لقبول تعاليم الايمان برغبة وسرور . وكانوا فقراء قليلي العدد يخدمهم كهنة من لبنان ذوو علم زهيد يرتزقون بالحياكة وكنيستهم على اسم النبي الياس صغيرة في حي الجديدة . فانكبَّ المرسلون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوه بكل قواهم وثبتوه في الايمان القويم وانعشوا فيهِ روح التقى والاقبال على الاسرار . فكان الموارنة في مقدَّمة الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيَّة واستماع الارشادات والمواعظ واتخاذ العبادات الكنسيَّة والانضواء في الاخويَّات الصالحة . واذ سعى بعض ذوي الاغراض ان يضعوا حدودًا لغيرة المرسلين بشكايات باطلة رفعوها الى غبطة البطريرك يوسف العاقوري لم تلبث هذه الغيمة ان تنقشع . فضاعف المرسلون اهتمامهم بموارنة حلب ثم تحسنت شؤونهم واخذ عددهم يربو شيئاً فشيئاً فبلغ سنة ١٦٧٠ نحو ١٥٠٠ وناهز ٤٠٠٠ سنة ١٦٨٥ . وفي ترجمة حياة القنصل پيكه -vie de Fr.Picquet,p.50) (54 انهُ انقذهم من شرور معاديهم ونال لهم من المجمع المقدَّس ومن اهل البرّ في فرنسة صدقات واسعة كان يوزّعها عليهم وكان يوصي بكهنتهم المسافرين الى اوربَّة لجمع الحسنات . واذ راى اليسوعيون ان كنيسة النبي الياس ضاقت بهم سعوا لدى السفراء لينالوا لهم فرماناً لتوسيع تلك الكنيسة لا سيما الاب ديشان

---

١) راجع الآثار الخطيَّة (Documents, I, 467, 469, 475)

(P. Deschamps). وما لبث بعض تلاميذ مدرسة الموارنة في رومية ان عادوا الى وطنهم واشتغلوا مع المرسلين في تهذيب ابناء طائفتهم واعدُّوا لها قرناً ذهبيًّا في الجيل التالي على عهد الطيب الذكر جبرائيل فرحات

وكانت خدمة المرسلين للكنيسة السريانية اخطر واعظم. فانّنا روينا سابقاً ارتداد اندراوس اخيجان بن عبد الغال مربّي الى الكثلكة وسيامتهُ اسقفاً على حلب بيد انَّ هذا الحبر الجليل ما كاد يجلس على كرسيِهِ حتى قامت قيامة اليعاقبة عليهِ وضايقوه بضروب الدسائس فخاف اندراوس على حياتهِ وهرب الى لبنان لكن المرسلين بمساعدة القنصل پيكه نالوا لهُ الفرمان الشاهاني من الباب العالي مثبتاً سلطتهُ على سريان حلب وعرضوا على الوالي ابرهيم باشا واقع الحال وبينوا لهُ خباثة اليعاقبة. فامر الوالي بارجاع اندراوس الذي لخذ مذ ذاك الحين يسوس رعيتهُ بكل تُقى ويدعو طائفة السريان الى نبذ البدعة اليعقوبيَّة واتّباع الكنيسة البطرسيَّة. ومع ما اصابهُ من المشاقّ من قبل المخالفين بقي في منصبهِ وعرفهُ الكرسي الرسولي بل ارسل لهُ بطريرك اليعاقبة منشورًا يقرّرهُ على حلب ويصرّفهُ في الرئاسة. فكان ذلك فوزًا عظيماً للكثلكة. ولم يزل الاسقف اندراوس يجدّ ويكدّ في ارتداد السريان المخالفين حتى قلع من قلوبهم زوان الضلال (١

على انَّ المرسلين وكاثوليك حلب لم يكتفوا بما نالهُ اندراوس اخيجان من التقدُّم لكنهم راوا ان الايمان الكاثوليكي لن ترسخ قدمهُ في الكنيسة السريانية ما لم يكن لهم بطريرك كاثوليكي. فساعدهم الزمان في ادراك مأربهم. ففي تلك الايام توفّي بطريرك اليعاقبة المسمى يشوع بن قمشه فراى القنصل الفرنسوي «بارون» خلف المسيو پيكه وكافّةُ المرسلين مع كهنة حلب انَّ تلك انسب فرصة لترقية اندراوس اخيجان الى الرتبة البطريركيَّة فنال له القنصل البراءة الشاهانيَّة وارسل لهُ البابا اسكندر السابع درع الرئاسة ورُقي الى السدة البطريركيَّة في ٢٠ آب سنة

١) راجع كتاب عناية الرحمان في هداية السريان للسيّد ديونوسيوس افرام نقّاشه (ص ٢٤-٥٠) وكتاب الزهرة الذكيَّة في البطريركيَّة السريانيَّة للقس اسحاق ارملة (ص ٨٨) والسلاسل التاريخيَّة في اساقفة الابرشيَّات السريانية للفيكنت فيليب دي طرازي (ص ١٧٨-١٨٧)

١٦٦٢ على يد بطريركين كانا اعلنا بخضوعهما للكنيسة الرومانيّة اي البطريرك مقاريوس زعيم الرومي الملكي وخشادور بطريرك سيس على الارمن مع مطران حلب بهنام روجيحان اخي اندرواس الذي سُقف في ذلك اليوم عينهِ ليساعد البطريركين في رتبة تنصيب البطرك الجديد. فكان اندراوس اول بطريرك كاثوليكي على السريان بعد رجوعهم الى طاعة الكنيسة الرومانيّة. واضحت حلب مهدًا لتلك الطائفة الكريمة بمساعي المرسلين الفرنسويين

على ان الكنيسة السريانية لم تنجُ من الشدائد والاضطهادات فانَّ اعداءها اليعاقبة تواطأوا عليها ولم يزالوا يتوسلون بكل الوسائل لمعاكسة الكاثوليك الذين بذلوا النفس والنفيس لحفظ وديعة الايمان. وعقب السيد اندراوس في رتبتهِ بعد وفاتهِ الصالحة (١ سنة ١٦٧٧ مطران القدس السيد غريغوريوس بطرس شاهبادين الذي نال ايضاً من الحبر الاعظم درع التثبيت ومن الباب العالي الفرمان الشاهاني وأُقيم بطريركاً في ٢ نيسان سنة ١٦٧٨ في حفلة تولَّاها مطران الموارنة جبرائيل البلوزاني ومطرانان ارمنيَّان مع مطرانين جديدين سيما في ذلك اليوم للسريان يشوع مصر شاه لكرسي اورشليم ورزق الله امين خان لكرسي حلب. وقد جاهد البطريرك الجديد احسن جهاد في سبيل ايمانه ولاجلهِ سيق اخيرًا الى المنفى بمكايد اعداء الكثلكة رغماً عمَّا نالهُ من فرمانات الدولة وأُرسل سنة ١٧٠١ الى قلعة آطنه فوصل اليها مع المطران رزق الله امين خان بعد شقّ النفس فتوفي المطران ساعتين بعد وصولهِ ولم يلبث البطريرك ان تبعهُ للدار الباقية بعد ثلثة اشهر فلفظ روحهُ البارَّة في ٢٨ شباط سنة ١٧٠٢ وبموتهما نالت الكنيسة الحلبيَّة فخرًا جديدًا اعني نعمة الاستشهاد كما انَّ المرسلين الفرنسويين وجدوا في ثبات المرتدّين الى الحظيرة البطرسيَّة تعزية عظيمة لعلمهم بانَّ دم الشهداء افضل ما تُسقى بهِ زريعة الايمان لتنمو وتزكو. واليوم كلنا يرى نتيجة تلك المحن بازدهار الكنيسة السريانيَّة الكاثوليكيَّة وانحطاط اليعقوبيَّة

وكما نفضت الكنيسة السريانيَّة غبارها في حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر كذلك الكنيسة الارمنيَّة استقت فيها من مناهل المرسلين الفرنسويين.

(١) كانت رتبة جنازهِ ظفرًا للكنيسة الكاثوليكية اذ حضرها قناصل الدول وممثلو الدولة وصلَّى عليهِ ارباب خمس طوائف كاثوليكية بلغات كنائسهم

سبق لنا القول عن مساعي الاب شيزو اليسوعي في تهذيب ارمن حلب فبلغ عدد المتكثلكين منهم الى الالف في سنة ١٦٥٢. وجاراه في غيرته اليسوعيَّان الاب گوده والاب اميو (Amieu) ثم الاب سيلفسترس رئيس الكبوشيين والاب برونو رئيس الكرمليتان ولكلهم فضل كبير في تبشير ارمن حلب حتى ردُّوا اسقفاً ارمنيًّا كان من بلاد القبادوق مقيماً في الشهباء. على ان الاكليروس الارمني كان منقسماً فمنهم من يعضد المرسلين وينشطهم ومنهم من يعتبر اعمالهم كبخسٍ واجحاف بالكنيسة الارمنيَّة. وكان وقتئذٍ مطران حلب الارمني محبًّا المرسلين يطريْ غيرتهم ويشكر اعمالهم الَّا انَّ جاثليق سيس في قيليقية الذي كان يقيم في حلب واسمهُ طورس (١٦٤٣ -١٦٥٨) كان معادياً للكثلكة اخذ يحرّش مطران حلب على المرسلين ولعلهُ كان اغراه عليهم لولا ان كبير جثالقة الارمن جاثليق اشتميازين المسمى فيليب اغباك (١٦٣٢-١٦٥٥) مرَّ في تلك الاثناء بحلب ورأى بالعيان مشروعات المرسلين فاثنى على همتهم واعلن لهم بمكنونات صدره وبعواطفهِ الكاثوليكيَّة ودافع عنهم لدى ابناء ملَّتهِ فزاد بذلك اعتبار ارمن حلب للمرسلين وتواردوا لاستماع ارشاداتهم فانضوى منهم كثير الى البيعة البطرسيَّة

لكنَّ الكثلكة بين الارمن بلغت عزَّها بعد ذلك بقليل لمَّا توفي طورس وجلس على كرسي سيس الجاثليق خشادور (١٦٥٨ - ١٦٧٣) فاطلق الحريَّة التامَّة للمرسلين على ابناء ملته وكان يتردَّد الى منازلهم ويعمل بمشورتهم. ولدينا رسالة منهُ الى لويس الرابع عشر ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ يصرّح فيها بايمانهِ وكذلك ارسل للحبر الاعظم اسكندر السابع صورة ايمانه على يد الاب سيلڤسترس الكبوشي (١ واعلن بطاعتهِ لكرسي هامة الرسل. ثم رحل الى سيس وبقي على ايمانهِ وباسمه جاء الى حلب احد الاساقفة الارمن فخطب في صحة الايمان الكاثوليكي امام الشعب كلهِ واثبت حقيقة الرئاسة البطرسيَّة

وفي اثناء ذلك ارتدَّ كثيرون من الارمن في مقدَّمتهم مطران حلب وثلاثة عشر كاهناً كانوا كلهم يعتقدون عقائد الكنيسة الرومانية ويمارسون وصاياها. ولم

١) اطلب الآثار الخطيَّة (Documents, I, 467,472-473)

يستطع جاثليق القدس ازدوڤدزور الداروني (١٦٤٥ — ١٦٧١) ان يثنيهم عن عزمهم

وفي تاريخ الارمن لتشامتشيان (Tchamitchian: *Histoire de l'Arménie*. III, 698) ما يؤيد ارتداد خشادور فانهُ روى هناك « ان هـذا البطريرك في السنة ١٦٦٣ كتب الى البابا اسكندر السابع كتاباً على يـد اسقف اشوتس اعلن فيهِ بايمانهِ الكاثوليكي واعترف برئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء وقد امضى معهُ ذلك الكتاب ثلاثة عشر اسقفاً ارمنيًا وتسعة من رؤساء الكهنة (ورتبيط) »

فهذا الفوز الكبير كاد ينفي بين ارمن حلب آثار الهرطقـة لاسيما بعد ان نما عدد الكهنة المرتدين وسيم ثمانيـة كهنة جدد بوضع يد البطريرك خشادور حتى بلغ عـددهم عشرين كاهناً كاثوليكيًا. على ان خروج خشادور من حلب نشط المنفصلين على مقاومة الكاثوليك فسعوا لدى الحكومة بهوانّيس الذي كان اقيم كوكيل اسقفي عليهم. فخاف هوانيس على نفسهِ من شرور الساعين وتوارى مـدّة لكنّ القنصل بارون بنفوذهِ تمكن من كبح جماح المضادّين وكشف دسائسهم لدى ولاة حلب

وكان ختـام القرن السابع عشر كصراع بين الارمن الكاثوليك يسندهم القناصل والمرسلون الكاثوليك وبين الارمن الغريغوريين الـذين خافوا ان يفقدوا شيئاً من امتيازاتهم الجنسيّة وصوالحهم الزمنيّـة اذا اقرّوا بالرئاسة البطرسيّة. وقد قام في اواخر ذلك الجيل عـدّة اساقفة يترشحون للبطريركيّات الثلث اعني جاثليقيّة سيس وجاثليقيّة القدس وجاثليقة اتشميازين منهم كريكور بدساغ (١٦٨٣—١٦٨٩) وازدوڤدزور السمسوني وماتيوس سارّ القيصري وكانوا كلهم يتظاهرون بالكثلكة رجاء ان يفوزوا برتبة الجاثليق او يسعفهم القناصل لدى الباب العالي لنوال الفرمان المثبت لرئاستهم. وفي سجلّات الآباء الكبوشيين ان كريكور بدساغ جاثليق سيس جحد اضاليل الارمن على يد الاب پيار دي بلوا (Pierre de Blois) سنة ١٦٨٩

فهذه الغايات الزمنية كانت تريب المرسلين في صحة ايمان رؤساء الارمن الّا انهم كانوا يوملون انّ ايمانهم سوف يقوى مع الزمان ويتأصلون شيئاً فشيئاً في الروح الكاثوليكي كما حصل بعد ذلك في اواسط القرن الثامن عشر (لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

HARVARD SEMITIC SERIES, III. — SUMERIAN IN THE HARVARD SEMITIC MUSEUM. PART I, CHIEFLY FROM THE REIGNS OF LUGALANDA AND URUKAGINA OF LAGASH, copied with introd. a. index of Names of Persons, by **Mary Inda Hussey,** PH. D. — *Cambridge U. S. A., Harvard University.* 1912. *Leipzig, Hinrichs.* 4°,36 *pp.* + 81 *plates.*

الصفائح الشومريّة في متحف هرفرد السامي

كثيرًا ما تجاري السيدات الاميركيّات العلماء بتصانيفهنّ. لنا على ذلك شاهد جديد في ما انجزتهُ آخرًا سيدة تُدعى «ماري إنْدا هوسّي» الحائزة لشهادة الدكتوريّة في الفلسفة. فانّها استقرَت الصفائح الاشوريّة العديـدة المصونة في متحف هرفرد فنقلت عنـهُ صور ما كُتب منها باللغة الشومريّة (١ فصوّرت بعضهـا تصويرًا شمسيًّا واخذت رسوم بعضها الآخر باليد فنشرتها في هذا القسم الاوّل من كتابها. ومن ينظر هذه التصاوير يقضِ العجب من دقتها وجلائها وضبطها التامّ. ومضامينُها غالبًا اوراق حساب وفذالك وبيان حقوق وديون لهياكل الآلهة. يرتقي تاريخها الى نيف والفي سنة قبل المسيح من عهد لوغالندا واوروكجينا ملكي لاغاش. ولاغاش هذه من اقدم بلاد الكلدان السفلى (٢ وهي التي عُرفت بعد ذلك باسم تَلّه فاجرى فيها الحفريّات الاثريّ الفرنسوي دي سرزك (de Sarzec) ثم تبعهُ الملازم (C[nt]. Cros) وهناك وُجدت الصفائح المذكورة والمرجَّح ان اهل البادية اختلسوها فباعوها سرًّا للاميركيين. ومهما كان من الامر فان مؤلفة الكتاب لم تهمل وسيلةً في ابراز عملها في صورة وافية بالمرام ليرجع اليهِ العلماء في ابحاثهم ويتخذوهُ حجة في ما يكتبونهُ عن قدماء الاشوريين. وقد اشارت الى كل التآليف السابقة التي لها علاقة بمصنَّفها والحقتهُ بفهارس للاعلام مع الالقاب اللائقة بكل منها. فنمحض الشكر السيدة هوسي ونتمنّى ان الله ينسئ في اجلها لتنجز هذا السفر الجليل الذي من شأنهِ ان يوقفنا على احوال ملوك قدماء الكلدان ولعلّنا لا نلبث ان نعرف اخبارهم

١) راجع العدد السابق من المشرق (ص ٧٨٨)

٢) والبعض يقرؤون اسمها سيربورلا

احسن من معرفتنا لاخبار الشام قبل عهدنا القريب . وكذلك نهنئ جناب الطبّاع هنركس (Hinrichs) الذي اجاد طبع هذا الكتاب حتى بلغ فيهِ الكمال س . ل

P. Alberto Vaccari J. S.: L'Arabo scritto e l'arabo parlato in Tripolitana. Grammatica elementare pratica, *Torino, G. B. Paravia,* 1912, in-8, VIII-187

القواعد الاصلية في اللغة العربية

منذ اعلان الحرب الايطالية التركية احسّ الايطاليون بحاجتهم الى معرفة اللغة العربية في طرابلس الغرب فتضاعفت همّة شبّانهم في درسها . واذ لم يجدوا في الايطالية كتاباً يرشدهم الى لهجة الطرابلسيين خصوصاً اراد احد الآباء اليسوعيين المتخرّجين سابقاً في كليتنا ان يسدّ الخلل نوعاً فوضع هذا التأليف كعجالة يستفيد منها الاحداث ريثما يضع غيره اوسع واجمع يُتخذ كدستور في التعليم . والكتاب يحتوي مع ذلك كثيرًا من قواعد الصرف والنحو مع تمرينات ومباحثات عديدة تسهّل للدارسين التكلم بالعربية والكتابة فيها . وهناك ملحوظات خاصة باللهجة الطرابلسية مع تدوين لفظ اهلها بالحرف الاوربّي . وفي آخر الكتاب مجموعة لاخصّ المفردات المستعملة في الكلام . فنهنئ حضرة المؤلف ونتمنّى لكتابهِ رواجاً ولا نكتم عليهِ وقوع عدّة اغلاط طبعية في كتابهِ يجب اصلاحها في طبعة ثانية ل . ش

Gramatica de Arabe Literal por **Clemente Cerdeira** Interprete de España en Marruecos. 1ª *parte, Imprenta Católica, Beirut,* 1912, pp. IXII-215

الاصول العربية في اللغة الاسبانية

هذا ايضاً ثمرة الاحوال الجارية في شمالي افريقيّة . فان الشاب الاديب اكليمنضوس سِرْدَايره تسهيلًا للمعاملات الدولية بين مواطنيهِ واهل مراكش وضع لهم هذه الاصول وشرحها في الاسبانية . وهذا القسم الاوّل يتناول قواعد الصرف وما يختصّ بالمفردات من اسم وفعل وحرف . وقد اتّبع المؤلف في كتابه الاساليب الشرقية بعد ان تبيّن فضلها بدرسهِ العربية على اساتذة من بيروت . وكان المؤلف باشر بطبع الكتاب في المطبعة الحجرية الفرنساوية فطبع منهُ ١٢٨ صفحة ثم رأى في عملها خللًا وعدل لانجاز كتابهِ الى مطبعتنا الكاثوليكية فترى لذلك فرقاً كبيرًا بين القسمين من حيث نظافة الطبع وجودة الورق والضبط . فاقتضى التنبيه ل . ش

Le P. Cyrille Charon : HISTOIRE DES PATRIARCATS MELKITES (Alexandrie, Antioche, Jérusalem), T. III. Les INSTITUTIONS. Fasc. II, *Rome*, 1911, X-305 à 760

تاريخ البطريركيات الملكية – الجزء الثالث: الرسوم. القسم الثاني

ان حضرة الاب كيرلس شارون يواصل بهمة لا تعرف الملل التأليف الكبير الذي تولّى نشره عن البطريركيات الملكية والذي يتناول تاريخها القديم والحديث ورسومها ونظامها وحقوقها القانونية. وقد ظهر منهُ سابقاً قسمان وصفناهما في وقتها. وها هوذا القسم الثاني من الجزء الثالث الذي خصهُ المؤرخ بالطقسيات والنظامات والعادات الجارية في البطريركيات الملكية.. وهو قسم يجمع من المعلومات والافادات التي لا يمكن الحصول عليها في مكتبة واسعة. فالمؤلف حفظهُ الله بعد ان قضى عدَّة سنين في الشرق لا يألو جهدهُ في درس الطقس اليوناني الملكي من كل وجوهِ ويبحث في كل مكاتب الخاصة والعامَّة حظي في رومية بفتح السجلات الواتيكانية الغنية بمثل هذه الكنوز البيعية فاستخلص منها لبابها ولم يدع مسئلة الّا طرق بابها فجاء كتابهُ عبارة عن مكتبة دينية طقسية قانونية يحتاج اليها ليس الروم الملكيون فقط بل كل من يُعنى بدرس العلوم الدينية الشرقية. فنحضُّهم جميعاً على اقتنائهِ ونؤكد لهم انهم يجدون فيه ما طالما طلبوه في مصنفات اخرى دون جدوى. ونشكر باسمنا وباسم الشرقيين عموماً مؤلفهُ على وضعه تأليفاً كهذا مع ما تكلف عليه من المشاقّ جازاهُ الله الف خير ومكنهُ من انجازهِ تماماً ل. ش

Karl Wied : Leichtfassliche Anleitung z. Erlernung d. Turkischen Sprache. 4[te] *verbesserte Aufl., A. Hartleben's Verlag in Wien u. Leipzig,* 1912. XIII-184

طريقة سهلة لتعليم اللغة التركية

ان ازدياد المعاملات بين الدول الاوربيَّة والدولة العثمانيَّة يقضي بدرس التركيَّة اكثر من السابق وهذا ما حمل الاستاذ الالماني كرل ڤيد على وضع هذا الكتاب الذي طُبع بعد زمن قليل طبعته الرابعة وهي التي بلغتنا مؤخَّرًا. فمن يقلِّبهُ يتحقق حسن اساليبهِ ووضوحهُ وطرائقهُ التعليميَّة القريبة المنال التي تمكِّن الطالب من التعمق بعدئذٍ في دقائق اللغة. وقد احسن المؤلف على ظننا بالعدول عن كتابة الالفاظ

التركيَّة بالحرف العربي في الاقسام الاولى من كتابهِ فرسمها بالحرف الاوربي الَّا في القسم الرابع الاخير حيث يكون الطالب قد تأسس في اصول اللغة. فيستطيع الخوض في شرح نصوصها. الَّا اننا لا نوافق المؤلف في طريقته لرسم بعض الحروف العربيَّة او التركية بحرفين او ثلاثة او اربعة من الحروف الاوربيَّة فيكتب الشين *sch* والجيم *dsch* والچيم *tsch* واذا كان الحرف مضاعفاً ضاعف هذه الحروف حتى تبلغ ثمانيـة جّ = *dschdsch* وهذا من الغرائب مع وجود طرائق سهلة لذلك بالحروف المشكلة ش = ś او š ج = ǵ او g̋ و چ = ć. فهذه الاصطلاحات شاعت الآن في اوربَّة فنشير على المؤلف باستعمالها كما وددنا لو ان حضرة الاستاذ هرتمن (M. Hart-mann) جرى عليها في كتابهِ عن لغة مصر والشام. ولا بأس ان يستدعي ذلك بعض النفقات مع زيادة اقبال الدارسين على هذه التآليف ل. رنزڤال

THE MASS : A Study of the Roman Liturgy. By the Rev. **Adrian Fortescue**, *Longmans, Green and C°, London*, 1911, in-12, IX-428

بحث علمي في القداس على حسب الطقس الروماني

باشرت احدى الجمعيات الكاثوليكية في لندن (The Westminster Library) نشر مجموع من التآليف يشمل العلوم الدينيَّة التي يُعنى بها الكهنة خاصَّة. فصدر منها بالانكليزيَّة عـدَّة منشورات بقلم مشاهير كاثوليك بريطانية العظمى. والكتاب المعنون آنفاً هو لاحد كهنتهم الافاضل حضرة الخوري ادريان فورتسكيو. الذي قضى سنتين في كليتنا البيروتية سابقاً متفرّغاً لدرس الطقوس الشرقيـة فأهّلتهُ دروسهُ الى هذا التأليف الذي يقسم الى عشرة فصول وسبعين باباً فيتضمن كل الابحاث المنوطة بالذبيحة الالهية كاصلها الاوَّل وتركيبها واقسامها ومؤلفيهـا والاختلافات الطارئة عليها وتعريف كل معانيها ورموزها ولغتها. وهو في كل فصل يشير الى التآليف المتعددة التي راجعها واستند اليها ويقابل بين الطقس الروماني وبقية الطقوس القديمة ما يدلّ على مطالعات واسعة وحسن انتقاد وذوق سليم. وهناك عدَّة ابحاث تهمّ الشرقيين كمسألة استعمال اللغـة اللاتينيَّة (ص ١٢٦) ومسألة الفطير (ص ٣٠٠) ومسألة المناولة على شكل واحد (٣٧٦). وقـد خصّ ملحقاً (ص

٤٠٢) بمسألة الصلاة الى الروح القدس (Epiclèse) في القداس وختم الكتاب بجدول للكتب الطقسية الشرقية والغربية (ص ٤٠٨) ثم بفهرس مطوَّل على سياق حروف المعجم. فهذا السفر الجليل كما ترى لا يفيد الغربيين وحدهم بل كل من يريد ان يحيط علماً بالطقوس الدينية ل. ش

Dr de Grandmaison de Bruno : VINGT GUÉRISONS à LOURDES discutées médicalement. 2e *éd., Paris, G. Beauchesne*, 1912, pp. 313

بحثٌ طبي في عشرين شفاء في لورد

هذا تأليف جديد ينطق بعظمة مريم البتول ورفعة مقامها في لورد. وليس المؤلف لاهوتيًّا او فيلسوفاً بنى كلامهُ على القضايا المنطقيَّة والاحكام العقليَّة وانما هو طبيب نطاسي نال في باريس ان يُلحق باطبّاء مستشفياتها البلديَّة اسمهُ الدكتور دي غراندمازون فلما سمع ما تناقلتهُ الالسن عن ضروب الشفاءات العجيبة الجارية في مدينة لورد بشفاعة ام الله اراد ان يتحقق الامر بعينهِ فانتقل الى ذاك المزار واخذ يستكشف على طريقة علميَّة عن الحوادث العجيبة التي تُنسب الى شفاعة العذراء . فبعد ان تبيَّن صحتها مطَّلعاً على كل شهادات الاطبَّاء واوصاف المرضى قبل شفائهم وبعد شفائهم ونوع شفائهم عمد الى تحرير هذا الكتاب الذي اختار فيهِ عشرين من الشفاءات الجارية في لورد لجمع كل قرارات الاطباء عن كل مرض وعن معالجتهِ الطبيَّة واقرار الاطبَّاء بعجزهم عن شفائهِ بالوسائل المعروفة في زماننا ثم قابلها مع ما جرى بعد ذلك من الشفاء في حوض سيدة لورد وشواهد الاطباء وغيرهم من الثقات على انَّ ذلك لم يتمَّ بعوامل طبيعيَّة ولا ادوية البتة بل تمَّ على خلاف ذلك امَّا في ساعة دخول المريض في مياه الحوض وامَّا عند طواف القربان الاقدس او بعد صلوات حارَّة في مغارة السيّدة بحيث لا يجوز نسبة الشفاء الى غير الله وسيدة لورد. وقد فند المؤلف كل ما توهَّمهُ اعداء الدين لنفي المعجزات كالاستهواء وغير ذلك حتى لا يسع القارئ الَّا ان يصرخ « انَّ اصبع الله لَهاهنا » . فالشكر كل الشكر للدكتور غراندمازون الذي وضع علمهُ الطبي في خدمة الدين ولم يُبقِ بادلَّتهِ عذرًا للملحدين الاب ك. ميجاسون

١ً كتاب تمرين الطلّاب في علم الحساب (طبعة ثانية صفحاتها ٣٦٠ + ٤٠) =
٢ً كتاب الادلة الغرّاء في سمو شأن مريم العذراء (صفحاتهُ وي + ٣٢٦)
والكتابان للعلامة الشيخ ظاهر خيرالله الشويري طبعا في بيروت سنة ١٩١٢ في مطبعة الاتحاد ويباعان في كل مكاتب البلد

تأليفان نفيسان جمع فيهما مؤلفهما الشيخ الفاضل بين الدين والدنيا و « ما اجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا ». فالكتاب الاوَّل مدارهُ على علم الحساب كان صاحبهُ حفظهُ الله نشرهُ قبل سنوات فأثنى ارباب المدارس على اتقانهِ وصراحة عبارته وتفننهِ في تنويع المسائل وطرق حلّ الامثلة. وها هوذا قد اعاد النظر في طبعهِ واضاف اليه من الابواب والفصول ما ضاعف مضامينهُ » حتى صار كافياً للتاجر والصانع والزارع والمحترف ». فنشكر همـــة المؤلف ونطلب من الله ان يمدَّ في اجله ريثما يخدم الوطن بطوَّل في الحساب بشرّنا بتمثيله للطبع ثم بكتاب في الحساب العـــالي والمطالب الرياضية لا يزال ناقصاً في لغتنا العربيَّة

امَّا الكتاب الثاني فانهُ ادعى الى الثناء لانهُ يفوق على السابق فوْق الدين على الدنيـــا. وليس الكتاب ديني فقط بل هو مطرقة مهولة تدكّ في كل صفحة بل تسحق سحقاً الاضاليـــل البروتستانية العديدة التي اشاعوها في بلادنا بمطبوعاتهم وتعاليمهم فكنَّا سابقاً زيَّفنا كثيرًا من تلك المزاعم الباطلة بردود مرسلي رهبانيتنا وقد سرَّنا ان يقوم اليوم احد ابناء الكنيسة الارثذكسيَّة فينتصر معنا للحقّ ويثبت اتفاق الكنيستين الشرقية والغربيَّة في الحقائق الدينية التي ناقضها البروتستانت جزافاً فانكروها رغماً عن شواهـــد التاريخ وتواطؤ التقليد واحكام المجامع. فالمؤلف المحقّق كشف القناع عن سفسطاتهم في ١٧٥ صفحة من كتابهِ. ثم انتقل الى القسم الثاني الذي قصدهُ بعنوان الكتاب فجعـــل القسم الاوَّل كتمهيد لهُ . وفيهِ يدافع عن شرف البتول الطاهرة التي تجاسر البروتستانت وانكروا ما خصَّها الله بهِ من النعم والامتيازات كبتوليتها الدائمة وشرف امومتها الالهيَّة وشفاعتها المشفعة وانتقال جسدها الى السماء. وهو في كل ذلك يظهر الحقيقة في كل مجاليها ويثبتها بما لا يُنقض من الادلة. فما كنَّا نقرأ من هذا الكتاب صفحةً الَّا صرخنا « بارك الله في كاتبهِ ولا فُضَّ فوهُ ». وممَّا سرَّنا سرورًا خاصًا ان جنـــاب المؤلف لم يدافع فقط عن شرف

البتول الطاهرة بل عن بتولية خطيبها البار القديس يوسف (ص١٩٢–١٩٣) وهو يؤيد بذلك رأينا الذي قرّرناه سابقاً في ردّنا على جريدة المنار الارثذكسية (في المشرق ٢ : ٤٣١ و٣ : ٣٨٠ و٤١٣ و٥١١) ومجمل القول اننا نوصي كل الكاثوليك فضلًا عن الارثذكس بمطالعة هذا الكتاب الفريد في بابه وبنشرهِ بين المؤمنين طاقة جهدهم وبالرجوع اليه في الردّ على السفاسف البروتستانية وبالشكر لمؤلفه على هذه الخدمة الممتازة لكنيسة الله ل٠ش

كتاب طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي المتوفّى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)

نشرهُ وذيلهُ بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس الاب ل٠شيخو اليسوعيّ

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ (١٤٥)

هو الكتاب الذي نشرناهُ سابقاً في المشرق وعرف الكل عظم شأنه اذ يرتقي الى تسعة قرون ويحتوي من المعلومات ما لا تجدهُ الّا في قليل من كتب العرب. وقد عرف القدماء خطرهُ فنقلوا كثيرًا من فصوله كجمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء وابن ابي اصيبعة في عيون الانباء وابن العبري في مختصر تاريخ الدول والحاج خليفة في كشف الظنون. وقد طبعناه على حدة وزدنا عليه ٥٥ صفحة ضمّناها الروايات في نسخ لندن واصلاحات شتى ثمّ خمس فهارس لموادّ الكتاب وأعلامه الشخصية والمكانية وغير ذلك ممّا يبين فضل هذا التأليف الفريد في جنسه الناطق بترقي عرب الاندلس في القرون الوسطى ل٠ش

كتاب آداب العرب

تأليف ابراهيم بك العرب

طُبع في المطبعة الاميريَّة بمصر سنة ١٩١١ ص ١١٣)

كان قبل بضع سنوات محمد عثمان جلال المصري عرّب قسماً من امثال الكاتب الفرنسوي الشهير لافونتين ونظمها شعرًا فاستحسن كثيرون عملهُ وقد اثنينا عليه في كتابنا علم الادب (ج ١ ص ٢٢٢). وها هوذا كتاب من صنفه لاحد الشعراء العصريين جناب ابراهيم بك العرب ضمّنهُ مئة من اجود الامثال الادبية على السنة الحيوانات اختار مواضيعها من مصادر شتى ونظمها بشعر رائق

يفضل على نظم محمد افندي عثمان . فلا غرو ان نظارة المعارف المصرية قرَّرت طبع هذا الكتاب على نفقتها واوصت بتدريسهِ في المدارس العمومية . وهذا مثل السرطان نقتطفهُ من الكتاب (ص ٦٨) دلالةً على طريقة المؤلف :

مشى السرطان يومًا باعوجاجٍ فقلَّد شكل مشيتهِ بنوهُ
فقال : علامَ تنحرفون . قالوا : سبقتَ بهِ ونحنُ مقلّدوهُ
فخالفْ سيرك المعوجَّ واعدلْ فانّا ان عدلتَ معدّلوهُ
اما تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخطا من ادَّبوهُ
وينشأ ناشئُ الفتيان منّا على ما كان عوَّدهُ ابوهُ

شذرات

براءة جديدة للحبر الاعظم كان آخر هذا العدد ممثَّلًا للطبع اذ بلغتنا براءة لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر يعمم فيها الرخصة لكافَّة المؤمنين ان يتناولوا القربان الاقدس على ايّ صورة شاءوا من خمير او فطير على شكل واحد او شكلين . وسنعود الى هذا الموضوع ان شاء الله في عدد آخر

نحن والكلمة اعارنا احد الاصحاب العدد ١٨ من الكلمة (١٥ ايلول ١٩١٢) الذي لم يُرسل الينا رأساً . واذا فيه فصلٌ عنوانهُ « صدق مجلَّة الكلمة الارثذكسيَّة وهذيان مجلة المشرق الجزويتيَّة » (ص ٥٥٧ — ٥٦٦) فعرفنا الكاتب من طالعه . وظننَّا ان سيادة المطران هواويني يثبت « هذيان مجلَّة المشرق » في ردّها على مزاعم الكلمة واكاذيبها المتعدّدة التي فصَّلناها في مقالتنا « كلمة في مجلة الكلمة » (المشرق ١٩١٢ ص ٢٢٩ — ٢٢٦) وفي نبذتنا « الكلمة وبطريرك القبط المستقيل » (ص ٣٩٨) وفي الشذرة « لغط الكلمة » (ص ٥٥٨) : فسكتت المجلَّة عن كل ذلك وكذْبها فيه اضوأ من النهار زاعمة انها « لا تعلق على كلامنا ادنى اهمية » اذ هو « من جملة مخرفاتنا وتمويهاتنا الجزويتية » (كذا بحرفه) لكنها تحرَّكت اخيرًا لتكذيبنا اشاعتها في ارتداد جنرال كاثوليكي الى الارثذكسية وتنمَّرت غيظًا لعدم تسليمنا لقولها بعد ان خدعت قرَّاءها باشاعات كاذبة دللنا اليها مرارًا فهي تزعم ان الخبر صحيح وان الجنرال المرتدّ الى الارثذكسية هو معروف . ونحن لا

نحاجها في الامر اذا ثبتت حقيقتهُ وعليه قد راجعنا ثانية المراكز الرسمية في مدريد وبلغناها اقوال صاحب الكلمة وان شاء الله نفوز قريباً بالجواب فنورده بحرفه لقرّائنا. وما كان احرى بسيادة المطران هواويني ان يثبت قولهُ بالبرهان دون ان يسوّد صفائح كلمته بكلام يشمئز منهُ ادباء عصرنا. ونؤكد لسيادة الكاتب انهُ مخدوع بكثير من منقولاته عن المجلّات اليونانية والروسية المعادية للكاثوليك فيرويها دون ان يتحقق صحتها كشذرته مثلًا في العدد المذكور (ص ٦٥٩) التي عنوانها «شيعة كاثوليكية في بيلوستوك روسيا» لأنهُ لو وُجدت شيعة كهذه بين الكاثوليك لحرَمتها الكنيسة بلا شكّ. وكذلك روايتهُ هناك عن الحرس البابويّ هو «خبر كاذب» او مبالَغ بهِ وعلى كلّ لا يجوز رواية هذه الاخبار دون اسنادها الى جريدة صادقة. والّا سقطت حرمة الراوي في اعين العقلاء وذكَّروهُ بالخشبة الانجيلية

ترقّي الكنيسة الكاثوليكية في الصين بقيت الكنيسة الكاثوليكية مدَّة نحو خمسين سنة تجاهد الجهاد المتواصل في انارة اهل الصين ودعوتهم الى الدين المسيحي وهي لا تلاقي من الاثمار ما يوازي اتعاب اولادها. فانَّ الكاثوليك هناك كانوا يبلغون سنة ١٨٤٠ نحو ٢٤٠,٠٠٠ وبعد خمسين سنة كان عددهم ٥٤٢,٦٦٤ اعني بزيادة ٣٠٢,٦٦٤ فقط وكان المرسلون مع ذلك بلغوا ستة اضعافهم وكثرت الكنائس حتى صارت ثلاثة اضعافها. لكنَّ هذه الحالة قد تحسنت كثيرًا منذ عشرين سنة فبلغ عدد المتنصّرين سنة ١٩٠٩ ١,٢٣٠,١٨٠ بزيادة ٦٨٧٠٥١٦ وهذه الحركة قد زادت في السنين الثلث الاخيرة بتنصّر ٢٨٠,٠٠٠ من الصينيين فكان عددهم السنة المنصرمة ١٩١١ ٨٤,٠٠٠ وكاد يبلغ في السنة الحالية ١٠٠,٠٠٠ والمرجَّح ان هذه النهضة كانت ثمرة استشهاد النصارى الصينيين في حرب البوكسير حيث فضّل الوف منهم الموت على جحود ايمانهم. وقد جعل اليوم اهل الصين يعيرون الكثلكة اذناً صاغية فيدرسون تعاليمها ويعتبرون اعمالها العجيبة بينهم كمدارسها ومستشفياتها ومياتمها ومطابعها ومراصدها الفلكية ولا سيما فضائل ابنائها

جدول منقولات البريد الدوليّ نشر المكتب العامّ للدول

المرتبطة بالوفاق البريدي الدولي جدول مجموع مـا نُقل بواسطتهِ من المحمولات والطرودات سنة ١٩١٠ فاذا هي كما يأْتي :

المنقولات	عددها
المكاتيب	٩٠٥,٢٤٣,٦٧٧
بطاقات بريديَّة (كرت بوستال)	٢٧٧,٩٢٣,٠٨٦
مطبوعات	٥٥١,٩٢٩,١٦٨
مساطر تجاريَّة	,٣٨,٢٧٣,٦١١
ارساليات خالصة الاجرة	,١١,١٦٦,٣٨٨
طرودات اعتياديَّة	,٥٥,٤٠٥,٨٨٣
طرودات معينة قيمتها (البالغ مجموعها ٧٩٣,٤٥٠,١٢٥,٦ فرنكًا)	,٥,٧٧٠,٢٧٣
حوالات على البوسطة (ثمنها ٦٣٩,٩٣٤,٦١٤,١ ف)	,٣٨ʻ٨٣٩,٤٣٦
جرائد للمشتركين	,٥١,٨١٣,٢١٣

اسئلة واجوبة

س سألنا من سبرنغفلد ماس جناب الاديب اسطفان الحلو متى ابتـدأ في الكنيسة تثبيت القديسين والفحص عن سيرهم وعجائبهم قبل موتهم وبعدهُ

تثبيت القديسين في البيعة

ج لم تسمح الكنيسة قطّ بان يُكرم احد ابنائها المتوفّين برائحة القداسة حتى الشهداء منهم اكراماً علنياً دون رخصة الاساقفة الـذين كانوا يتبينون صحة استشهادهم وحسن سلوكهم. فاذا ثبت لهم الامر كانوا يقيمون على قبر الميت مذبحاً ويقدّمون الذبيحة عليهِ. وقد افادنا القديس اوغسطينوس انَّ اسقف المحلّ في زمانهِ كان اذا استشهد احد لاجل الايمان يفحص عن الامر فحصاً مدققاً ثم يرسل نتيجة بحثهِ الى رئيس اساقفة الاقليم فيعلن باتّفاق الاساقفة الذين تحت رئاستهِ قداسة الشهيد وجواز اكرامهِ او ينفون ذاك الاكرام لعدم وجود الادلّة الكافية على الاستشهاد وحسن الاعمال. وكانوا يدوّنون اسماء القدّيسين في سجلّات الكنيسة والذبتخات ويقرأونها في ايّام الاعياد والآحاد. ثمَّ لحظ الاحبـار الرومانيون ان ذاك الفحص لم يتمّ دائمًا بالاعتناء الكافي فأُكرم اناسٌ لم يستحقوا ذلك فاختصّ البابوات بديوانهم الفحص عن اعمال القديسين وتثبيتهم وذلك في القرن العاشر فكان اوَّل قدّيس تثبَّت على

هذه الطريقة اولريك اسقف اوسبرج وذلك في المجمع اللاتراني الاوَّل سنة ٩٩٣. ثمَّ وضع الباباوات عدَّة مناشير فصَّلوا فيها صورة الفحص عن قداسة اولياء الله وتبيان معجزاتهم لئلَّا يحصل في ذلك ادنى تلاعب. ومن تحقَّق اليوم كيف تجري الكنيسة في ذلك لا يستطيع ان يشكَّ مطلقاً في سموّ فضائل القديسين ومعجزاتهم

س سألنا جناب سليم افندي صادر انعرف للبطريرك مكسيموس مظلوم المجلَّدين الرابع والخامس من كتابهِ الكنز الثمين في اخبار القديسين

المجلَّدان الرابع والخامس من كنز الثمين

ج هذان المجلدان قد اشار اليهما غبطة البطريرك المذكور في مقدَّمتهِ حيث ذكر انهُ يلحقهما بالمجلَّدات الثلاثة الاولى المطبوعة في مطبعتنا لكنهُ عدل عن ذلك ولا نعلم سبب عدولهِ. امَّا نسخ هذين المجلَّدين فنظنّ انَّ منهما نسخة في بطريركية الروم الكاثوليك في دمشق او في بيت الخواجات مظلوم في حلب لكننا لم نطَّلع عليهما. وقد ورد ذكرهما في جدول مصنَّفات البطريرك الذي سرده صاحب تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ١٢٤)

س سأل حضرة الخوري بولس صفير ايجوز ابقاء اشكال القربان اكثر من خمسة عشر يوماً ومتى تفسد تلك الاشكال

ج يؤخذ من جوابات المجمع المقدَّس انَّ اشكال القربان الاقدس ينبغي تجديدها كلَّ ثمانية ايَّام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً. اما زمان فسادها فيختلف على اختلاف فصول السنة والامكنة وجنس الاشكال من فطير او خمير ويصعب تحديد وقت معلوم لفسادها وعلى كل حال يخطئ الكاهن الذي لا يستدرك خطر فساد الاشكال باهمالهِ

س سأل احد كهنة ديار بكر ماذا نعرف عن احد كلدان ديار بكر ذهب الى ايطالية في القرن الثامن عشر وتوفّي فيها اسمهُ كيوركيس آدم

كيوركيس آدم

ج وجدنا في بعض مخطوطات مكتبتنا انَّ المذكور كان اسمه كيوركيس ثمَّ سيم كاهناً فدُعي حنَّا ثم سافر من دياربكر الى بلاد ايطالية وسكنها مدَّة وتوفي في مدينة نابولي في ٣١ ايلول سنة ١٧٣٤ ودُفن جسمه في دير مار يوحنَّا كربونارا لرهبان مار اغوسطين وظهرت في حياتهِ وموتهِ اشائر القداسة ل. ش

المشرق



براءة رسوليَّة

في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين

(تعريب جريدة البشير)

بيوس الاسقف

عبد عبيد الله للذكر المخلد

انها لعادةٌ عريقة في القدم بقيت مدَّة طويلة من الزمن مرعيَّــة في الكنيسة ان المؤمنين المسافرين يتبعون بطيبة خاطر العادات والطقوس الدينية التي كانت تختلف لاختلاف الامكنة بشرط ان لا يكون فيها ما يُشتمُّ منهُ رائحة الاعتقادات الباطلة والعبادة الوثنية. وكان ذلك معمولًا بهِ لتوثيق عرى الوئام والاتحـاد بين اجزاء الكنيسة الكاثوليكية الواحدة المتعددة اي بين الكنائس الخصوصية حسبما قال القديس لاون التاسع: « ان العادات المختلفة لاختلاف الامكنة والازمنة لا تحول دون خلاص المؤمنين اذا كان يربطهم جميعاً بالله الواحد ايمان واحد يعمل بالمحبة كلَّ ما يستطيع عملهُ »

وقد كانت الضرورة تقضي بذلك فان الذين كانوا يسافرون الى البلاد الغريبة لم يكونوا يجدون فيها اغلب الاوقات لا معابد ولا كهنة من طقسهم الخاصّ. وكان هذا يجري في منح الاسرار او قبولها وخصوصاً سرّ القربان المقدس كما كان يجري في سائر الامور المختصة بالعبادة الالهيــة. ولذلك كان مسموحاً للكهنة والعلمانيين المسافرين المصحوبين بالشهادات الرسميَّة ان يقدّموا الذبيحة الالهية او يتناولوا القربان المقدس في كنائس الــذين ليسوا من طقسهم. وكان الاساقفة والكهنة والشمامسة اللاتينيون يشتركون هنــا في رومية مع اليونانيين في تقدمة الذبيحة الالهية كما ان اليونانيين في الشرق كانوا يقدسون مع اللاتينيين وقد بلغ هــذا الامر من الشهرة حدًّا بعيدًا بحيث اصبح العمل بخلافهِ جديرًا ان يكون دليلًا على زوال وحدة الايمان او اتفاق القلوب

ولكن بعد ان فصل الانشقاقُ المحزن عن مركز وحدة الكنيسة الكاثوليكية قسماً عظيماً من الشرق المسيحيّ لم يعد مسموحاً بحفظ تلك العادة الصالحة. فانه لمَّا اخذ مخائيل كرولاريوس ليس فقط يطعن الطعن الذميم بعادات اللاتينيين وطقوسهم بل يعلم ايضاً جهارًا ان التقديس على الخبز الفطير غير جائز بل باطل قام الاحبــار الرومانيون بما تقتضيهِ وظيفتهم الرسولية ولكي يُبعدوا عن اللاتينيين خطر هــذا الضــلال حرموا عليهم التقديس والمناولة على الخبز الخمير لكنهم سمحوا لليونان المرتدّين الى الوحدة والايمان الكاثوليكي ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين. وقد كان ذلك في تلك الازمنة والامكنة مفيدًا بل ضروريًّا لانهُ حينئذٍ لم يكن يوجد غالباً اساقفــة متّحدون بكرسي الطوباوي بطرس ولم يكن يوجد في كل مكان كنائس كاثوليكية للشرقيين. فكان يُخشى من ان الكاثوليــك الشرقيين اذا لم يُسمح لهم بالمناولة عند اللاتينيين يذهبون الى كنائس واساقفة المنفصلين فيعرّضون نفوسهم لخطر اكيد على ايمانهم

ثم ان تغيُّر الاحوال السعيد الذي حصل نوعاً اذ تمت المصالحة بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية في مجمع فلورنسة أحيا بعض الاحياء النظام القديم. فان اباء المجمع المذكور قد قرَّروا « ان تقديس جسد المسيح هو صحيح سواء كان على الخبز الفطير او على الخمير وانهُ يجب الكهنة ان يقدسوا جسد الرب على الفطير او

على الخمير كل حسب عادة كنيستهِ الغربية او الشرقية » لكنهم قد ارادوا بهذا الحكم تأييد الحقيقة الكاثوليكية في صحة التقديس على الفطير والخمير ولم يقصدوا اقل القصد منع المؤمنين من المناولة في الطقسين. بل لا ريب في انهم سمحوا بها رغبةً في توفيق عرى السلم والوئام. يؤيـد ذلك الرسالة المسهبة التي كتبها ايزيدوروس مطران كياف وكل روسية بعد ختام مجمع فلورنسة الذي كان لهُ فيهِ اليد الطولى وحيث كان ممثِلًا لدوروثاوس البطريرك الانطاكي وقد وجَّه تلك الرسالة سنة ١٤٤٠: من مدينة بودا بصفة كونهِ نائب الحبر الاعظم في ليتوانية وليفونية وسائر الامصار الروسية الى جميع الخاضعين لكنيسة القسطنطينية. فتكلم فيها عن الاتفاق السعيد بين اليونانيين واللاتين قال:

« استحلفكم بسيدنا يسوع المسيح ان لا يقوم انشقاق من الان فصاعـدًا بينكم وبين اللاتين لانكم جميعاً عبيد سيدنا يسوع المسيح وباسمهِ تعمَّدتم. ولهـذا يجب على اليونانيين اذا وجدوا في ناحية اللاتين واذا كان في ناحيتهم كنيسة لاتينية ان يحضروا الطقوس الالهية عندهم ويسجدوا لجسد الرب يسوع ويكرموه بخشوع كما يفعل كل واحد في كنيسته الخاصة ثم ان يعترفوا بخطاياهم للكهنة اللاتين ويقبلوا من ايديهم جسد الربّ. وكذلك على اللاتين ان يحضروا الطقوس الالهية في كنائس الروم ويسجدوا فيها بايمان حيّ لجسد يسوع المسيح لان هناك جسد المسيح حقيقة سواء كان قد قدَّسهُ كاهن يوناني على الخمير او كاهن لاتيني على الفطير. بما انهُ يحق لهُ الاكرام عينهُ سواء كان تحت الفطير او الخمير. وليعترف ايضاً اللاتين عنـد الكهنة اليونانيين وليتنـاولوا من ايديهم لان لا فرق بين الفريقين. هكذا قرر المجمع الفلورنتيني في جلستهِ العمومية في ٦ حزيران سنة ١٤٣٩ »

على انهُ وان كانت شهادة ايزودورس تثبت ان مجمع فلورنسة قد سمح للمؤمنين بالمناولة في الطقسين فلم يعمل بهذا السماح في ما بعد لا في كل الامكنة ولا دائماً. وذلك خاصَّة لان الروم لم يلبثوا ان نقضوا اتحـادًا لم يكن محكماً. فلم يبق من داعٍ يحمل الاحبار الرومانيين على الاعتناء بحفظ انعـام مجمع فلورنسة الذي ذكره ايزودورس. لكنهُ قد بقيت عادة المناولـة في الطقسين محفوظة في امكنة عديدة حتى عهد سلفنـا بناديكتوس الرابع عشر فانهُ برسالتهِ « Etsi pastoralis » التي وجهها الى الايطاليين اليونانيين بتـاريخ ٢٦ أيَّار سنة ١٧٤٢ كان اوَّل من حرم لاسباب صوابية ان يتناول العلمانيون اللاتين على الخمير من ايدي الكهنة اليونانيين وسمح لليونانيين الذين لا خورنية لهم ان يتناولوا على الفطير عنـد اللاتين. اماَّ في

الاماكن التي انتشرت فيها عادة المناولة في الطقسين وكان يقطنها اليونانيون واللاتين معاً ولكل من الفريقين كنائس خاصة فقد عهد الى الاساقفة ان لم يتمكنوا من منع تلك العادة دون اثارة الشعب ومسّ شواعره ان يسعوا في منع ذلك بغاية اللين بحيث ان اللاتين يتناولون دائماً على الفطير واليونانيين على الخمير. وقد امر سلفنا في ما بعد ان ما كان قد قرّره بشأن اليونانيين الايطاليين يتناول ايضاً الملكيين والاقباط

وقد عمّت تلك الاحكام جميع الشرقيين شيئاً فشيئاً والاصحّ انها عمّت بحكم العادة لا بمقتضى قانون خاصّ. على ان ذلك لم يمنع الكرسي الرسولي ان يمنح بعض الاحيان اللاتينيين ما كان مراراً عديدة رضي بل سمح به اي ان الشرقيين الذين لهم كنائس خاصّة هم انفسهم وبدون حاجة ماسّة يتناولون على الفطير

وقد حصل ذلك خصوصاً بعد ان دفع حبّ النفوس المضطرم بعض العائلات الرهبانية من رجال ونساء الى ان تتوجه من انحاء اوربة الى الاقطار الشرقية حيث ساعدت الكاثوليك من كل الطقوس بانشاء الكثير من اعمال المحبة المسيحية في ما بينهم وفتح المدارس لتثقيف الشبيبة في كل مكان. ولما كان ابناء تلك الرهبانيات بسبب الاقتراب المتواتر من الافخارستيا يعيشون عيشة هنيّة في وسط المصاعب والمتاعب فقد اثاروا دون عناء حبّ الاقتداء بهم في قلوب كثير من الشرقيين المعروفين بشدّة ميلهم الى التقوى والعبادة. ولمّا كان هؤلاء يصعب عليهم تحقيق رغبتهم تلك لدى ذويهم لبعد الاماكن او لقلّة وجود الكهنة والهياكل او لاسباب طقسية اخرى متنوعة فقد التمسوا بالحاح من الكرسي الرسولي ان يسمح لهم بالمناولة في الطقس اللاتيني فاجاب الكرسي الرسولي بعض احيان هذا الالتماس. فانهُ قد سمح لطلبة العلم في مدارس اللاتين وايضاً لغيرهم من المؤمنين الذين يحضرون القداس في كنائسهم وهم مشتركون في الاخويات التقويّة ان يتناولوا لداعي العبادة في مجرى السنة في كنائس اللاتين القربان الالهي الذي يكون قد كرّسه الكهنة اللاتين بشرط حفظ حقوق خوارنة الرعايا ولا سيما ما يتعلق بالمناولة الفصحيّة والزاد الاخير

وزد على ذلك انهُ في المجمع الفاتيكاني عينهِ بين المباحث التي بحثت فيها اللجنة الخصوصية المعينة للاهتمام بشؤون الطقوس الشرقيّة قد كانت هذه وهي هل يحسن

ان تخفّف بعض التخفيف شدّة القوانين الكنسيّة المتعلقة بمنع اختلاط الطقوس خصوصاً في مناولة القربان الاقدس وان يسمح للمؤمنين بان يتناولوا على الطقسين. واذ كان آباء اللجنة المذكورة حكموا بان يسمح بذلك وضعوا قرارًا بهذا المعنى. لكن غوائل ذلك الزمن قضت بانحلال المجمع قبل ان تسمح الفرصة بعرض القرار على موافقة عموم الاباء. ثم ان مجمع انتشار الايمان المقدَّس المختصّ بالطوائف الشرقية كي يحقق رغائب اولئك الذين كانوا يضطرون غالباً الى الامتناع عن المناولة لعدم وجود كنائس او كهنة من طقسهم اصدر حكماً في ١٨ آب ١٨٩٣ وفيهِ تنشيطاً على المناولة المتواترة قد رخّص لجميع المؤمنين سواء كانوا من الطقس اللاتيني او الشرقي الذين ليس لهم حيث يقطنون كنائس او كهنة من طقسهم ان يتناولوا حسب طقس كنيسة المحلّ بشرط ان تكون كاثوليكية وذلك ليس فقط عند ساعة الموت او في عيد الفصح لكن في اي وقت كان تدفعهم فيه التقوى الى المناولة

ثم ان سلفنا لاون الثالث عشر السعيد الذكر في رسالتهِ (Oriantalium dignitas Ecclesiarum) قد متّع بهذا الانعام كل الذين لا يمكنهم لبعد المسافة ان يذهبوا الى كنائسهم بدون مشقة ثقيلة. لكنهُ في الوقت عينهِ حرَّم في المدارس اللاتينية حيث تكون عدَّة تلامذة شرقيين ان يتناول هؤلاء في الطقس اللاتيني وامر ان يكون هناك كهنة من طقسهم يقدسون ويوزعون عليهم المناولة اقلهُ في ايام الآحاد والاعياد المأمور بها وذلك مع الغاء كل انعام سابق. لكن قد دلَّت الخبرة بعد ذلك على انهُ لا يتيسر في كل مكان الحصول على كهنة شرقيين فانهم لانشغالهم في محلّ آخر بخدمة النفوس لا يمكنهم في الآحاد والاعياد حتى وفي غيرها من الايام ان يحضروا الى كنائس اللاتين ويوزعوا على الطلبة والطالبات الخبز الملائكي التائقين اليه

ولهذا السبب تواترت العرائض الى هذا الكرسي الرسولي لكي يخفّف من شدَّة قوانين الكنيسة في هذا الامر الخطير. وبعد ان اصدرنا بتاريخ ٢٠ ك١ سنة ١٩٠٥ بواسطة لجنة المجمع التريدنتيني المقدس حكمنا الذي بدوهُ (Sacra Tridentina Synodus) في المناولة اليومية كثرت تلك التوسلات من قبل

الشرقيين الذين يسترخصون الانتقال الى الطقس اللاتيني كي يسهل عليهم الاغتذاء بالقوت السماوي. وبين اولئك عدد عديد من الفتيان والفتيات كانوا يرغبون رغبة شديدة التمتع بالانعام نفسهِ

فنحن بما اننا نعتبر ان عقيدة الايمان الكاثوليكي بصحة تكريس الخبز الفطير والخبز الخمير هي ثابتة ومسلَّم بها لدى الجميع ونعتقد فوق ذلك ان الكثيرين من اللاتينيين والشرقيين يستغربون بل يستثقلون ذلك النهي عن المناولة في اي كان من الطقسين وبعد ان استشرنا مجمع انتشار الايمان المقدس المناطة بهِ شؤون الطقوس الشرقيَّة ودقَّقنا النظر في هذا الامر قد رأينا الغاء كل القرارات التي تمنع او تقيد حرّيَّة الاختيار بين الطقسين في مناولة القربان المقدس. ونسمح لجميع الشرقيين واللاتينيين ان يقتاتوا بسرّ جسد الربّ المجيد امَّا على الفطير وامَّا على الخمير من ايدي الكهنة الكاثوليكيين وفي الكنائس الكاثوليكية من اي طقس كانت حسب عادة الكنيسة في القدم حتى « ان جميع الذين يُطلق عليهم اسم مسيحيين اجمالًا وافرادًا يتفقون ويتحدون يوماً في هذا السرّ رمز الوفاق والاتحاد »

وانَّنا لعلى ثقة بان الاحكام التي قررناها هنا سيكون منها لابنائنا الاعزَّاء في الامصار الشرقية من اي طقس كانوا فائدة عظيمة جدًّا ليس فقط لاضرام نار العبادة في قلوبهم بل ايضاً لتوثيق عرى الوفاق فيما بينهم. امَّا من حيث العبادة فلا يخفى على احد ان القربان الالهي الذي اعتاد اباء الكنيسة اللاتينيون واليونانيون ان يسمُّوهُ خبز الانسان المسيحي اليومي من حيث انهُ يغذي ويقوي بنوع ما صحَّة النفس تكون الحاجة الى مناولتهِ امسّ عند الذين تكون فيهم المحبة والايمان اعني مبدئَي الحيوة الفائقة الطبيعة عينيهما قد اصبحا في خطر اعظم

ولذلك ان الكاثوليك الشرقيين المضطرين ان يعيشوا في وسط المنفصلين لا يلحق هذا الاختلاط الخطير ضررًا بايمانهم ومحبتهم اذا اعتادوا ان يتقووا بهذا القوت السماوي بل انهم يشعرون بانتعاش ونمو الحياة الروحية فيهم. اما ما يتعلق بالامر فقد تبيَّن جليًّا بما جرى حتى الان ان اناساً متحدين ايماناً ولكن مختلفين طقساً قد ينجم بينهم دواعي منافسة واختلاف بسبب ان البعض يسهل لهم اكثر من البعض الآخر ان يتناولوا جسد المسيح. امَّا الآن فبما اننا نريد ان جميع المؤمنين

يشتركون حسب اي طقس شاءوا في هذه المائدة المقدَّسة التي هي رمز واصل ومبدأ الوحدة الكاثوليكية فلم يبقَ ريب في انهُ يجب ان يزداد فيما بينهم وفاق القلوب كما قال الرسول « انا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كور ١٠: ١٧)

فهذا اذًا ما نقرّرهُ ونثبتهُ بملء سلطتنا الرسولية:

١ً في اقامة القداس الالهي لا يجوز للكهنة ان يخلطوا بين طقس وطقس. فعليهم ان يكرسوا ويناولوا سر جسد الرب كلٌّ حسب رتبة طقس كنيسته

٢ً عند ما تمسّ الحاجة ولا يوجد كاهن من طقس آخر يجوز للكاهن الشرقي الذي يستعمل الخمير ان يناول القربان المقدس المكرس على الفطير وكذلك يجوز للكاهن اللاتيني او الشرقي الذي يستعمل الفطير ان يناول على الخمير. ولكن على كل منهم ان يستعمل رتبة طقسهِ في المناولة

٣ً يجوز لجميع المؤمنين من اي طقس كانوا ولداعي العبادة ان يقبلوا سر القربان الاقدس المكرس في اي طقس كان

٤ً يفي كل مؤمن بوصية المناولة الفصحية اذا قبلها في طقسهِ ومن يد خوريه الذي يبقى دون ريب مطيعاً لهُ في اتمام سائر واجباته الدينية

٥ً يجب ان يقبل المحتضَرون الزاد الاخير في طقسهم الخاص ومن يد خوريهم الخاص. امَّا في حالة الضرورة فيجوز ان يقبلوه من يد اي كاهن كان. ولكن على الكاهن ان يناول حسب طقسهِ

٦ً كلٌّ يابث في طقسه الاصلي حتى ولو اعتاد المناولة حسب طقس آخر مدة طويلة من الزمان. ولا يسمح لاحد ان يغير طقسهُ الَّا لاسباب عادلة شرعية يكون الحكم فيها لمجمع انتشار الايمان المقدس المختصّ بشؤون الشرقيين. ولا يدخل في هذه الاسباب عادة المناولة على طقس آخر مهما طالت مدتها

وكلما قرَّرناه وحدَّدناه واعلنَّاه في هذه الرسالة نريد ونأمر ان كل الذين يعنيهم يحفظونهُ بكل تدقيق ولا نسمح بالجدال فيهِ ولا بانتقاصهِ او خرق شيء منهُ لاي سبب كان ولو خارق العادة وباي حجة او باي اسم كان بل نريد ان يحصل على مفاعيلهِ الكاملة التامَّة دون ان يمنع ذلك الاوامر الرسولية السابقة حتى التي صدرت في

المجامع العامّـة والاقليمية ولا ايًا كان من العادات والرسوم ولو كانت مثبتة بالسلطة الرسولية او بسلطة سواها فهذه كلها ابطلناها ونبطلها

واننا تحقيقاً لما سبق ننقض ونأمر ان تُنقَض كل تلك العادات والرسوم نقضاً صريحاً خاصاً كما لو كنّا ذكرناها في هذه الرسالة كلمة بكلمة وكذلك ننقض كل ما يخالف ما قرّرناه

هذا واننا نريد ان نُسَخ هذه البراءة اذا كانت مطبوعة وممهورة بتوقيع المسجّل وبختم احد الموظفين الكنسيين هي عينها يكون لها نفس القوة التي لبراءتنا هذه

اعطي في رومية بقرب القديس بطرس سنة الف وتسعماية واثنتي عشرة للمسيح في عيد ارتفاع الصليب وهي العاشرة لحبريتنا

الكردينال اغلياردي
رئيس دائرة الختم
الرسولي

الكردينال غوتي
رئيس مجمع انتشار
الايمان

المناولة الحُرَّة في الكنيسة الكاثوليكيَّة

بفضل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

كان السعيد الذكر البـابا لاون الثالث عشر بهمّتهِ العالية وسموّ نظرهِ وحسن تدبيرهِ قد رفع شأن الكنيسة الكاثوليكية الى اوج العزّ فصارت بمساعيهِ كالسراج على المنارة يضيءُ ضوؤها لكل من يطلب النور او كالمدينة على الجبل لا تخفى عظمتها على احد ايًا كان

فلمّا قام من بعـده على كرسيّ هامة الرسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا وجّه نظرهُ خصوصاً الى المؤمنين المنبثين في اقطـار العالم ليرعى كلّ الخراف الناطقة الموكولة الى همتهِ في انجع مراعي الخلاص

فلتحقيق امنيتهِ اخذ اوَّلًا في قلع الزؤان الذي كان العدو اخذ في زرعهِ في حقل الكنيسة فضرب على الاضاليل العصريَّة المستجدَّة وابطل مزاعم بعض المحدثين الذين ستروا تحت حجاب العلم الكاذب تعاليمهم الوخيمة ثمَّ جعل ينشط بخطبهِ ويراءاتهِ الرسولية واعمالهِ الشخصية كل المشروعات الكاثوليكية من مؤتمرات عمومية ومجامع قربانية وانشاء محافل علمية ومنتديات اجتماعية حتى لم يفتْهُ شيءٌ مما يصلح لخير الكنيسة وابنائها كتوجيه انظار الكتبة الى آداب الصحافة وبعث همم الشبَّان المنتظمين في الجمعيات الترويضية وهلمَّ جرًّا

الَّا انَّ امام الاحبار مع عنايتهِ بكل تلك الاعمال المتباينة قد جعل في مقدَّمة اهتمامهِ ترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة كأنه اراد ان تصدق فيه السمة التي وسمهُ بها على ما يُظنّ احد الاولياء تعريفاً بشخصهِ انهُ سيكون «كنار موقدة (ignis ardens)». وذلك ما رمى اليهِ باختياره لاسم بيوس الذي معناه ذو التقى والورع وزاد صراحةً لبيان خطَّتهِ في ادارة الكنيسة حيث اتَّخذ له شعارًا كلمة الرسول (افسوس ١ : ١٠) ان يجمع ويجدّد في المسيح كل شيءٌ

ولم تبق تلك الغايات الشريفة في طيّ النسيان بل جدّ في اخراجها الى حيز العمل منذ ابتداء رئاستهِ . فمن ذلك اصلاحهُ للموسيقى الكنسية وتحريضهُ للمؤمنين على قراءة الانجيل المقدس وحضُّهُ للواعظين بان يكرزوا كلام الله ويحيدوا في خِطَب المنابر عن الزخارف الباطلة والمواضيع النافلة القليلة الجدوى . ومنها امرهُ للكهنة وخَدَمة الرعايا بان يشرحوا للشعب التعليم المسيحي في كل اسبوع

لكنَّ الكنيسة تستمدُّ خصوصاً اسباب حياتها من تلك الاسرار العجيبة التي وضعها السيد المسيح لتكون كمناهل النعم وينابيع الخلاص اذ منها يستقي ابناؤها الحياة وينالونها باوفر حظّ (يوحنَّا ١٠ : ١٠)

وقد امتاز بين تلك الاسرار سرّ اعظم وارفع ألا وهو سرّ جسد ودم السيد المسيح في القربان الاقدس فهو المنّ الذي نزل من السماء فمن اكلهُ يحيا الى الأبد (يوحنَّا ١٠ : ٥٢) اذ انَّ آكلهُ يحيا بالمسيح كما يحيا المسيح بابيه السماوي (يو ١٠ : ٥٨)

فمذ أُنشي هذا السرّ الفائق لكل ادراك البشر اضحى القربان الاقدس كمركز حياة الكنيسة وكالروح الالهيَّة المحيية لجسم البيعة المنظور فحيثما تمتدُّ كنيسة الله

فهناك جسدهُ الطاهر تجري منهُ سيول الحياة السماوية لتقدّس نفوس المؤمنين وترشحها لجنّات النعيم فهو هو الجسد الذي تحوم حولهُ النسور والعقبان (متى ٢٤ : ٢٨)

*

ومن خواص سرّ القربان الاقدس في البيعة المقدّسة انّهُ رباط الحبّ بين كل ابناء الله اذ بهِ يعيشون تلك العيشة الاهليّة التي تجعلهم اولاد أب واحد هو الله بالذات وامّ واحدة هي كنيسة المسيح التي تولدهم في حجرها وتقوتهم بتعاليمها وتصونهم كبؤبؤ عينها ريثما يتصوّر المسيح فيهم فيجري في عروقهم دم واحد وتجمعهم حياة واحدة ويكونون مكمَّلين بالوحدة (يوحنا ١٧ : ٢٣)

فهذه الميزة الشريفة انما تنالها الكنيسة بتوزيع سرّ القربان الاقدس الذي اتخذه السيد المسيح على شبه الطعام اليومي من بُرّ يقوت الاجساد وشراب ينعشهُ اعني شكلي الخبز والخمر. قال بولس الاناء المصطفى في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ١٦ — ١٧): « كأس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فانّا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانّا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » فهذه الكأس وهذا الخبز لمّا رسمهما الرب كعربون الوحدة بين تلاميذه قال لهم: « كُلُوا. واشربوا منهُ كلكم »

وما لبث السيد المسيح ان صعد الى السماء وارسل رُوحهُ الذي حلّ على تلاميذهِ فتأيّدوا بقوّتهِ. لكنهم عرفوا « انّ حياة الروح كحياة الجسد معرّضة للضعف والفشل اذا لم يسندها الطعام الذي أُعطي من الرب ولذلك يقول لوقا الرسول في الاعمال (٢ : ٤٢) انّ المسيحيين الاوّلين « كانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات »

وبقي المؤمنون في الاجيال الاولى مثابرين على تلك العادة الحميدة فيتقرّبون كل يوم الى ينبوع الحياة إمّا في المجتمعات العامّة في الكنيسة كما اشار اليهِ صاحب الاعمال وبولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٠) ويوستينوس في دفاعهِ عن النصرانيّة وامّا في بيوتهم حيث كانوا يحفظون جسد الربّ فيتناولونه كل يوم في عزلتهم كما افادنا ترتليانوس والقديس قبريانوس وايريناوس

على انّ الايمان ضعف بعد ذلك بفعل البدع التي انتشرت في الكنيسة وبسبب

غارات البرابرة الذين زحفوا على المملكة الرومانية ثم لاجل الحروب التى جرت بين الامم المسيحية وكان امتداد الكنيسة في اقاصي البلاد مع صعوبات المواصلات يصرف ايضاً نظر ارباب البيعة عن المؤمنين فصار التقرُّب من سرّ القربان الاقدس نادرًا حتى انَّ الاحبار الرومانيين والمجامع المقدَّسة وضعوا حدودًا لذلك مَن تجاوزها اخطأ خطأً مميتاً

ثمَّ قام في الكنيسة رجال ابرار يتلهَّبون غيرةً على خلاص النفوس كالقديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانية اليسوعية والقديس فيليب دي نيري والقديس فرنسيس دي سال والقديس الفنس ليغوري وغيرهم كثيرين فنشروا العبادة للقربان الاقدس وحثُّوا المؤمنين على المناولة المتواترة وتصدَّى اليسوعيُّون لبدعة جَنسانيوس الساعية بابعاد المسيحيين عن سر الافخارستيا . فاتت مساعي هؤلاء مكلَّلة بالنجاح

ومن ثمَّ جعل الكاثوليك يزيدون رغبةً في التقرُّب من خبز الملائكة ولاسيما في القرن التاسع عشر بعد خمود نار الثورة الفرنسويَّة حيث شعر الكثيرون بوجوب قتل الكفر بالاقبال على الاسرار المقدسة . وقد حرَّض الاحبار الرومانيون كبيوس التاسع ولاون الثالث عشر على التقرُّب المتواتر الى سرّ محبة الله في القربان

ولكن لم يبلغ منهم احد شأو قداسة رأس الكنيسة البابا الحالي فانَّهُ استحقَّ بان يُدعى رسول الافخارستيا . فمذ تبوَّأَ عرش الخلافة البطرسية صرف مفروغ جهده الى دعوة المؤمنين الى ذلك الخبز الجوهري الذي نطلبهُ في الصلاة الربَّانية فانَّهُ في البراءات البابويَّة الاولى التي اصدرها كان يكرّر على كافة المؤمنين رغبتهُ في رؤية ابناء الله ملتفِّين كلّ يوم حول المائدة الالهيَّة وفي ٢٠ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٥ فصل الحكم في ذلك وأثبت في رقيم اصدرهُ المجمع المقدَّس قانونيَّة المناولة اليوميَّة لكافَّة المؤمنين وأعلن برغبة السيد المسيح والكنيسة الكاثوليكيَّة في ان يتقرَّب العلمانيُّون فضلًا عن الكهنة وارباب الدين الى ذلك السرّ الالهي مصرّحاً بانهُ لا يحول دونهُ سوى الخطإ المميت الواجب رحضهُ في سرّ التوبة

ثم اردف امام الاحبار فعلهُ ذاك بتسهيل امر المناولة على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم من نصف الليل تحت شروط معلومة وبمنحهِ الغفارين على المتقرّبين بالتواتر وحضّ الرعاة على اقامة الثلاثيات الاستعداديَّة لعيد القربان الاقدس

وما لبث ان رأى في تأخير الاطفال عن المناولة اجحافاً بحقّ نفوسهم فامر بان يتقرَّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز بعد وقوفهم على اهمّ العقائد الدينيَّة

فكان لهذه النهضة الدينية اوقع الحسن في كل الصدور وزاد اقبال المؤمنين على التناول اضعافاً على ما كان قبلًا. فانَّ في كنائس رسالتنا السوريَّة قدَّم المؤمنون نيفاً ومئة الف مناولة على نيَّة الحبر الاعظم ودوَّنوا اسماءهم في سجلّ غاية في الرونق قدَّموه الى امام الاحبار في سنة يوبيلهِ الاسقفي فسرَّ بهِ ايَّ سرور

*

على انَّ تلك الحركة الشائقة نحو سرّ القربان الطاهر التي عمَّت اقطار العالم المسيحي وجدت في بعض الكنائس الشرقية الكاثوليكية عوائق لم تلقها في بلاد اخرى وذلك اوَّلًا بسبب مادَّة الخبز المستعملة في بعض الطوائف وهو الخبز الخمير الذي تقدّسه الكنائس اليونانية على اختلاف لغاتها ثم السريانيَّة والكلدانيَّة والقبطيَّة وثانياً لعلَّة المناولة على شكلي الخبز والخمر في الكنائس اليونانية وفي الكنيسة السريانية فقط فكان الشرقي التابع لهذه الطقوس اذا اراد التقرُّب في الكنائس اللاتينيَّة او المارونيــة او الارمنيَّة التي تقدّس الخبز الفطير منعتهُ عن ذلك القوانين الجارية بامر الكرسي الرسولي الَّا عند الضرورة التامّة ومثلهُ اللاتيني والماروني والارمني في الطقوس ذوات الخبز الخمير لم يُسمح لهم تناول الخمير تحت طائلة الخطأ

على انَّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رقيم اوَّل اعلنهُ مجمع انتشار الايمان في ١٨ آب سنة ١٨٩٣ ثمَّ في براءتهِ الجليلة المعنونة «بشرف الكنائس الشرقيَّة» (Orientalium dignitas Ecelesiarum) خفَّف نوعاً هذا العبء الثقيل على عاتق النفوس التقيَّة فانَّهُ منح في رقيمهِ للكاثوليك من اهل الطقسين (الشرقي والغربي ان يتناولوا في طقس غير طقسهم في الاماكن التي لا يوجد فيها كاهن او كنيسة من طقسهم الخاصّ. امَّا في براءتهِ السابق ذكرها فانَّه بعد تأييدهِ لامتيازات الكنائس الشرقيَّة وتوسيعها بنعم جديدة اذن لكلّ الكاثوليك من الطقسين ان يتناولوا على شكل الخبز الفطير او الخمير في كل موضع لا يستطيعون دون ان ينالهم انزعاج كبير الذهاب الى كنيستهم بسبب بُعدها. لكنهُ قيَّد ذلك بشرطين ان يبقى الحكم في امر هذه المناولة للسادة المطارنة وان لا يُعدَّ التناول على غير طقس المتقرّب كتغيير لطقسهِ

لكنَّ هذه التسهيلات ذاتها لم تحلَّ المشكل حلًّا وافياً اذ لم يستطع كثيرون من المؤمنين ان يفرزوا بين الانزعاج الكبير او الخفيف كما انهم لم يمكنهم في كل وقت ان يلتجئوا الى السادة الاساقفة فكانوا لا يزالون في ريب من امرهم فيمتنعون عن المناولة المتواترة ولا سيما اليومية التي حضَّ عليها امام الاحبار فجاءت البراءة البابويَّة الاخيرة مزيلة لذاك المشكل مبطلة للحواجز التي كانت بين اهل الطقسين دون ان تمسَّ في شيء كرامتهما

وهنا لا بُدَّ من ان نعود بنظرنا الى تاريخ الكنيسة وعاداتها في ممرّ الاجيال لنتأكد انَّ قداسة نائب المسيح لم يأتِ بمنحهِ رخصة المناولة الحرَّة امرًا عجيباً يخالف في شيء الكتب المقدَّسة او تقاليد الكنيسة في اجيالها الاولى حتى القرون المتوسطة وانَّما ألغى حكماً موقتاً لبعض اسلافهِ في القرون الاخيرة

*

دعنا اوَّلًا نبحث عن امر المناولة على الخبز الفطير او الخمير . لا بدع انَّ السيد المسيح في العشاء السرّي احال الخبز الى جسدهِ والخمر الى دمهِ . فهذه حقيقة تشهد عليها الاناجيل المقدَّسة ورسائل بولس الرسول وآثار كل الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بلا استثناء في طقوسها وعاداتها وتقاليدها المتواترة جيلًا بعد جيل حتى اوائل النصرانية

فالخبز الذي قدَّسهُ الربّ هو الفطير كما يصرّح بهِ الانجيليون الثلثة متى (٢٦ : ١٧) ومرقس (١٤ : ١٢) ولوقا (٢٢ : ٧) بقولهم ان المسيح اكل الفصح في اوَّل يوم الفطير . وكان موسى نهى اليهود من قبل الله عن ان يأكلوا غير الفطير في فصحهم مدَّة سبعة ايَّام (خروج ١٢ : ٢٠) فتعين من قول الانجيليين السابق انَّ المسيح قدَّس الخبز الفطير . ما لم يزعم الزاعم انَّ المسيح اكل الفصح قبل اوانهِ وهذا مما لا يوافق نصّ الانجيل ويخالف الشريعة مع انَّ الربّ اكد غير مرَّة انَّه اتى ليتمّم الشرع فلا ينقض منهُ حرفاً . امَّا ما يؤخذ من آيات يوحنَّا (١٣ : ١ — ٢ و ١٨ : ٢٨ و ١٩ : ٣١ و ٤٢) ان اليهود لم يأكلوا بعد الفصح وان يوم صلب المسيح كان يوم التهيئة فمشكل كتابيّ سعى مفسرو الاسفار المقدَّسة بفضِهِ حلّوهُ

على طرائق مختلفة تثبت كلها عدم الاختلاف بين الاناجيل الثلاثة وقول يوحنا. وهو بحث خاض عبابهُ حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق (١(١٨٩٨):٧٢ و١٠٨) فنحيل اليهِ القرَّاء انفةً من التكرار

ثمَّ لو سلَّمنا للمعترض ان المسيح قدَّس في العشاء السرّي الخمير لا الفطير فيبقى انَّ المسيح قدَّس الفطير مساء الاحد اذ ظهر للتلميذين السائرين الى عمواص فاكل معهما واعطاهما سرَّ جسدهِ عندما «اخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما... فعرفاه عند كسر الخبز» (لوقا ٢٤: ٣٠ و٣٥) وكان الخبز فطيرًا لوقوع ذلك الاحد في جملة الايام السبعة التي فُرض فيها استعمال الفطير

فان كان لا بُدَّ من الاقرار بتقديس السيد المسيح للفطير فلا تثريب على الكنيسة اللاتينية ومثلها الكنيستان الارمنية والمارونية لاستعمالها الفطير في القدَّاس

وان استقرينا التاريخ الكنسيَّ من عهد الرسل الى ايَّام ميخائيل كرولاريوس في القرن الحادي عشر وجدنا الكنائس المنبثَّة في كلّ اقطار المسكونة شرقاً او غرباً يُقدّس بعضها على الخمير وبعضها على الفطير دون ان يحاجَّ احد الفريقين الفريق الآخر بل ربَّما اختلفت العادة في الكنيسة الواحدة فقدِّمت الذبيحة تارةً على الخمير وتارةً على الفطير على مقتضى تقدمة المؤمنين الذين كانوا يأتون قديماً بالخبز الذي يخبزونهُ في بيوتهم سواء كان خميرًا او فطيرًا لعلم الجميع بانَّ كليهما يُسمَّى خبزًا ويصلح لتقدمة الهيكل والذبيحة وقد وجدوا لكلّ شكل معاني رمزيَّة فيرون في خميرة الخبز الخمير شبهاً بنفس المسيح المحيية لجسدهِ ويرون في الفطير الخلوص والحقّ كما قال الرسول (١ كور ٥: ٧-٨): «ألقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجيناً جديدًا.. ولنعيّد لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء بل بفطير الخلوص والحق» فضلًا عن كون مستعملي الفطير كانوا يعتبرون عملهم موافقاً لامر الرب لموسى في سفر الاحبار (٢: ٤) حيث قال: «وان قرَّبتَ قربان تقدمة مخبوزًا في تنُّور فليكن جرادق من سميذ فطير...ورُقاق فطير...»

وكذلك الشواهد الواردة في اعمال الكتبة الكنسيين والآباء الاوَّلين فتجد بينها نصوصاً تخصُّ بالذكر الخبز الخمير او تصرّح باستعمال الفطير. وقد جمع البعض

هذه الاقوال التى لا يُستنتج منها الَّا امر واحد جواز استعمال ايّ خبز كان من البرّ للتقديس ولا ننكر انَّ الخبز الخمير زاد شيوعاً في كنائس الشرق على الفطير الذي شاع اكثر في كنائس الغرب

وكان المؤمنون المتنقلون من الشرق الى الغرب لا يتردَّدون في التقرُّب من الخبز المقدَّس وإنْ فطيرًا كما كان الغربيُّون في كنائس الشرق يمتزجون باهلها فيتناولون القربان على شكل الخمير

لنا على هذا الاشتراك المتبادل في المناولة عدَّة دلائل. منها ما رُوي في كتاب الاحبار (Liber Pontificalis, *ed. Duchesne*, I, 354) انَّ سفير الحبر الروماني جان اسقف پورتو تولَّى في كنيسة آجيا صوفيا في عاصمة الروم رتبة القدَّاس مع الاساقفة اليونان

واغرب من ذلك شهادة جليلة وردت في رسالة للبطريرك ميخائيل كيرولاريوس نفسهِ حيث كتب لبطريركي الاسكندريَّة وانطاكية ما رواه المشرق (١ : ١٤٤) نقلًا عن بارونيوس المؤرخ (ج ١٧ ص ٩٣) وهذا نصُّها الشائق معرَّباً « اتَّصل بنا انَّ بطريركي الاسكندريَّة واورشليم لا يكتفيان بان يقبلا في شركتهما اولئك الذين يستعملون الفطير بل انَّهما يستعملان هما ايضاً في الذبيحة المقدَّسة الخبز الفطير »

فهذه الشهادة من فم اكبر اعداء الكنيسة الرومانية تكفي لتفعم كل معترض لاستعمالها الخبز الفطير في التقديس والمناولة كأنَّها تأتي بذلك امرًا منكرًا. وزد على هذا الرسالةَ التي استشهد بها الحبر الاعظم من قول ايزودورس اسقف كياف حيث حضَّ هذا المطروبوليت شعبهُ على قبول الاسرار من ايدي الكهنة اليونانيين او اللاتين على حدّ سواء اذ كلهم ابناء كنيسة واحدة

على انَّ هذا الاتفاق لسوء احوال تلك الازمنة لم يدم طويلا وكرَّ الاتراك على حاضرة ملك الروم ففتحوها واسرعوا الى وضع حاجز فاصل بين كنيستي الغرب والشرق بغيةً في التسلط على ممالكها جميعاً بعد تفريق كلمتها وفقاً للمبدأ الشهير « اقسم تملك »

وكلّ يعرف كيف دخلت الكنائس الشرقية في طور جديد بواسطة المرسلين

اللاتين منذ القرن السادس عشر. فانضمَّ الكبوشيون والكرمليون واليسوعيون الى اخوتهم الرهبان الفرنسيسيين وخلَّفوا لكنيسة المسيح شعوباً جديدة من كلدان وروم كاثوليك وارمن وسريان عادوا الى الحظيرة البطرسية وابهجوا قلب امنا الكنيسة بارتدادهم

على انَّ الكنيسة الرومانية رغبةً في توطيد ايمانهم لم تشأ ان تمسَّ في شيءٍ طقوسهم الجليلة الموروثة عن آبائهم القديسين. ولذلك قد نشر الاحبار الاعظمون الرسائل المكرَّرة في تعظيم الطقوس الشرقيَّة والمحافظة عليها بكل تدقيق وربما تهدَّدوا بالتأديبات الكنسيَّة المرسلين اذا ما حاولوا ان يغضُّوا من قدرها او يجلبوا المؤمنين الشرقيين الى مغادرتها. وكان من جملة ما نهوا عنهُ الاختلاط في مناولة القربان الاقدس على غير طقس فوضعوا بذلك حدودًا لبعض حقوق المؤمنين مفضلّين بهِ الخير العام على العبادة الخاصَّة

الَّا انَّ احوال الشعوب قد تغيرت اليوم فترى الشرق والغرب قد امتزجا امتزاج الماء بالراح وصار الكلّ يعرفون انَّ الطقوس مع عظم شأنها ووجوب حفظها ليست بأمور جوهريَّة. ومن ثمَّ لا ينقص شيءٌ من كرامتها اذا دعا الداعي الى التساهل في توسيع نطاقها لما ينجم عن ذلك من الفوائد العميمة لذوي الكنيستين كتوثيق عرى الايمان ونموّ الحبّ والاخاء اذ يجلس كل الكاثوليك على مائدة واحدة ويأكلون خبزًا واحدًا من فطير او خمير بلا اختلاف

وكان ارباب الكنيستين قد احسّوا بذلك فرفعوا غير مرَّة معاريضهم الى الكرسي الرسولي في تعميم المناولة الحرَّة للمؤمنين على اي طقس شاؤوا لئلَّا يُحرم الشرقيون او الغربيون من نعمة التقرُّب في ظروف كثيرة

ولما عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ تجدَّدت تلك المعاريض للكرسي الرسولي طالبةً الحريَّة التامَّة في المناولة على اي طقس كان فاحال الحبر الاعظم طلبهم الى لجنة لتفحصهُ. وكان في تلك اللجنة الطيب الذكر بطريرك السريان بهنام بنيّ احد الراغبين في المناولة الحرَّة كما انَّ بطريرك اللاتين في القدس السيد يوسف ڤالركا كان يرى خيرًا عظيماً في الترخيص بها

وعليهِ فلا يكون قداسة البابا بيوس العاشر الَّا محققاً لرغائب معظم المؤمنين

الكاثوليك في انحاء الشرق اذ فوَّض بهذه النعمة الجزيلة فلهُ منّاً الشكر العميم

*

هذا وقد بقيت قضيَّة اخرى حكم فيها ايضاً نائب المسيح الحكم الفصل ببراءتهِ الاخيرة لها علاقة مع الامر السابق اعني المناولة على شكلي الخبز والخمر فكما منح قداستهُ الاجازة لسائر المؤمنين بان يتقرَّبوا على طقسي الخبز الفطير او الخمير على مقتضى مشيئتهم كذلك رخَّص ضمناً للجميع بان يتناولوا على الشكلين او على الشكل الواحد كما يشأوون وبهذا الحكم ايضاً ازال مشكلًا كبيراً شغل عقول ابناء الكنيسة الجامعة منذ قرون عديدة

ولهذا الحلّ اساسٌ ايضاً في اسفار العهد الجديد وفي عادة الكنائس واقوال الآباء القديسين

فيؤخذ من العهد الجديد ان السيد المسيح قدّس شكلي الخبز والخمر واعطاهما في العشاء السري لتلاميذهِ اجمعين وامرهم بان يفعلوا هم ايضاً كذلك لذكرهِ وجعلهم بقولهِ هذا كهنةً في كنيستهِ ليقدّموا الذبيحة الطاهرة على شبه طقس ملكيصادق اعني تحت شكلي الخبز والخمر . وكذلك كان سبق وقال لليهود اذ بشَّرهم بقرب انشائهِ لسرّ القربان (يوحنا ٦ : ٥٤ — ٥٧) « ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديَّة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير لانَّ جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ » وجاء مثل ذلك في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتيوس (١٠ : ١٣ و ١١ : ٢٣ — ٣٠)

على انَّ امر الربّ ومواعيدهُ للمتقربين من سرّ الافخارستيا تعمُّ ليس فقط المتقرّبين من شكلي الخبز والخمر بل المتقرّبين من الشكل الواحد ايضاً ومن ثمَّ لا يجوز القول بان السيد المسيح امر كل المؤمنين بالمناولة على الشكلين كما امر رسلهُ والكهنة من بعدهم ان يقدّموا الذبيحة على الشكلين . وذلك انَّنا نرى الرب لا يقدّم لتلميذي عمواص غير شكل الخبز بعد ان باركهُ وكسرهُ . وكذلك في اقوال الربّ لليهود ربَّما قصر كلامهُ على الخبز فقط حيث قال (يوحنا ٦ : ٤٨ — ٥٣) : « انا خبز الحياة آباؤكم اكلوا المنّ في البريَّة وماتوا . هذا هو الخبز النازل

من السماء لكي لا يموت كل من ياكل منهُ . . . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيهِ انا هو جسدي لحياة العالم ». ومثلهُ قول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٧) : « اي انسان اكل خبز الربّ او شرب كأسه على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الربّ ودمهِ » فتهدَّد بالجرم آكل الخبز وحدهُ او شارب الخمر وحدهُ بوضعهِ اداة الفصل

ويؤيد قولنا صاحب اعمال الرسل (٢ : ٤٢ و٤٦) الذي ذكر المؤمنين ومثابرتهم على الصلاة « وكَسْر الخبز » اي مناولة القربان الاقدس كما اتفق عليهِ المفسرون دون ذكر شكل الخمر

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ جسد الربّ بعد قيامتهِ جسدٌ حي متحدة بهِ نفسهُ الناطقة ولاهوتهُ الاقدس . وكذلك دمهُ الزكي لا ينفصل عن جسدهِ ولاهوتهِ فمن اقتبل احد الشكلين نال السيد المسيح كلهُ بلا انقسام . على انَّنا لا ننكر ان التقرُّب على الشكلين ادلّ على المأدبة الالهيَّة التي يدعونا اليها المخلص لذكرهِ السجود كما ان الذبيحة لا تُقام الَّا بتقدمة الشكلين كما امر بهِ السيد المسيح تلاميذهُ بقولهِ « اصنعوا هذا لذكري »

وان استفتينا بعد ذلك عادات الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة وجدنا لديها سندًا في اثبات المناولة على شكل الخبز فقط او على الشكلين وكانت العادة الغالبة ان يتناول المؤمنون جسد الربّ ودمهُ تحت الشكلين في الكنائس اذا حضروا الذبيحة في حفلات ايَّام الاحاد والاعياد . امَّا خارجاً عنها فكانت المناولة في الغالب على شكل الخبز فقط وذلك انَّ المؤمنين في الاجيال الاولى كانوا يحفظون في بيوتهم جسد الرب ليقتاتوا بذلك الخبز السماوي في مدَّة الاسبوع يشهد على عادتهم كتبة القرون الاولى كترتوليان في كتابهِ الى زوجتهِ والقديس قبريان في كتابهِ عن الساقطين والقديس ايرونيموس في رسائلهِ

وكذلك كان السيَّاح والنسَّاك يأتون الى المدن ليحضروا حفلة القدَّاس ايَّام الأحد ثمَّ يعودون الى مناسكهم ومعهم جسد الرب تحت شكل الخبز فقط فيتناولونهُ في العزلة . اشار القديس باسيليوس الى ذلك في رسائلهِ وروفينوس في تاريخ الرهبان وبلاديوس في الاخبار الرهبانية (Historia Lausiaca)

ومما شهد لهُ المؤرخون الاقدمون ايضاً كاوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ٤٤) وپولينوس الكاتب في ترجمة القديس امبروسيوس انها كانت عادة مألوفة في الكنائس ان يُحفظ في صوان خاصّ جسد الربّ تحت شكل الخبز وحده ليُحمل للمرضى ومن ثمّ لم يكن المرضى يتناولون غير الخبز دون الخمر ما لم يتناولوا قريباً من الكنيسة وبُعيد الذبيحة المقدّسة

بل وردت في التواريخ القديمة بعض النصوص المثبتة انَّهم كانوا يتناولون ايضاً في الكنيسة على شكل الخبز فقط. من ذلك ما رواهُ المؤرخ سوزمان (ك ٨ ف ٥) عمَّا جرى لامرأة هرطوقية في عهد القديس يوحنَّا فم الذهب التي استبدلت مراءاةً الخبز المقدَّس بخبز آخر استحضرتهُ لها احدى جواريها فما كادت تدنيهِ من شفتيها حتى صار حجرًا صلباً ولصق بفيها فادركت قبح صنعها واقرَّت للقديس يوحنَّا بجريمتها منيبة فاخرج الحجر من حنجرتها وابقاه في خزانة كشاهد على تلك المعجزة. وقد شاهد سوزومان ذلك الخبز المتحجر الباقي الى زمانهِ (راجع كتاب نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنَّا فم الذهب ص ٤٩) وكفى بذلك دليلًا على انَّ القربان الاقدس كان يُعطى احياناً تحت شكل الخبز فقط

وكذلك افادنا القديس لاون الكبير بابا رومية في القرن الخامس في ميمر الثاني والاربعين انَّ المانويّين الذين كانوا يكرهون الخمر ويعدُّونهُ من مخترعات ابليس كانوا يندسُّون في جملة المؤمنين فيتناولون جسد الربّ « تحت شكل الخبز وحدهُ ». ولمَّا قام خلفهُ القديس جلاسيوس امر بان يتناول كل المؤمنين الشكلين اي الخبز والخمر ليمتاز الكاثوليك عن المانويّين. فبقي الامر كذلك مدَّة الى ان توارى اشياع ماني

وما لا يُنكر ان عادة المناولة على شكل الخمر بطلت في معظم الكنائس بدافع الظروف الشخصيَّة والمكانيَّة والزمانية

فاما الظروف الشخصية فلأنَّ كثيرين لاسيما من الاطفال والنساء يأنفون من شرب الخمر بل من رائحتها فاضطرَّ الامر الكهنةَ في عدَّة كنائس ان يكتفوا بشكل الخبز. وزد عليهِ الخطر في اهراق الدم الكريم لسبب تزاحم المتناولين واضطرابهم في حركاتهم سواءٌ شربوا من كأس واحدة او تناولوا القربان من الملعقة

فضلًا عن اشمئزاز البعض من شرب كأس او لَعق ملعقةٍ مسَّهما اشخاص ذوو عاهات ظاهرة او خفيَّة

واما الظروف المكانية التي دفعت كثيرًا من ارباب الكنائس على ابطال المناولة على شكل الخمر فلصعوبة استحضار كميَّة كافية من الخمر في انحاء لم تُغرس فيها الكروم كالاقطار الشمالية او البلاد التي يُحظر فيها استحضار الخمر كبلاد المسلمين لاسيما اذا كثر عدد المتناولين

واما ظروف الزمان فلأَنَّ الكنيسة قد اعتادت اكرام القربان الاقدس بحفظهِ في الكنائس ليلًا مع نهار للتقرُّب منهُ ولنقلهِ للمرضى ولزيارتهِ والسجود له وهذا مما يصعب اجراؤهُ في شكلي الخبز والخمر معاً لما يطرأ على اعراضهما من الفساد السريع اذا امتزجا . وهذا الخطر بعيد اذا حُفظ شكل الخبز وحدهُ لا سيما اذا جُدّد كل ثمانية ايَّام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً كما امر المجمع المقدَّس

فكلّ هذه الاسباب اوجبت بعد ردهة من الزمان ابطال عادة التناول على الشكلين فأُلغيت تماماً في الكنائس اللاتينيَّة والارمنيَّة والكلدانية والمارونية وبقي منها اثر خفيف في الكنيسة السريانية والكنيسة القبطية اذ يجعل الكاهن بعض نُقط من الدم الكريم على شكل الخبز قبل ان يُكسر فيقدّمهُ للمؤمنين . على انَّ هذا لا يكاد يصدق فيهِ معنى الشرب

فبقيت الكنيسة اليونانية وحدها محافظة على توزيع القربان على الشكلين ولعلَّ فعلها هذا كان من اعظم الاسباب في قلة عدد المتناولين في السنة اللهمَّ الَّا خميس العهد وبعض الاعياد الكبيرة . ومن غريب ما يجري عليهِ الروم الارثذكس انَّهم اذا قدَّسوا الخبز في خميس العهد حمَّصوهُ وطحنوه ومزجوه ببعض النقط من الخمر المقدَّسة وعلى هذه الصورة يحفظونهُ في كيس ويناولون منهُ المرضى والاطفال . وكل يرى ما في هذه العادة من قلَّة الاكرام لجسد الرب فضلًا عن انَّ هناك لم يبقَ اثرٌ للخمر ولا يجوز القول بان التناول يكون على شكلي الخبز والخمر

ومهما كان من الامر فانَّ خليفة هامة الرُّسل باطلاقهِ الحرّيَّة للمؤمنين اقرَّ للكنيستين بصوابيَّة عملهما بل منح الكنيسة اليونانيَّة انعاماً جزيلًا اذ رخَّص لنحو مائتين وخمسين مليوناً من المؤمنين ان يجروا على مثال ابنائها فيتناولوا جسد الربّ

تحت شكليهِ اذا شاؤوا وهو امرٌ طالما رفضتهُ الكنيسة الرومانيَّـة على اولادها سابقاً بل ردَّت طلبة ملوك المانية وبوهيمية والمجر الذين التمسوا تلك النعمة بالحاح لرعاياهم اللاتين . ثم انَّها بتساهلها هذا قد اوصدت الباب في وجه كثيرين من الشرقيين لاسيما الوجوه منهم الذين كانوا يطلبون الانتقال من طقسهم الى الطقس اللاتيني رغبةً في المناولة المتواترة وانفةً من استعمال الملعقة . فلم يبقَ لهم اليوم من داعٍ لمبارحة طقسهم

فالشكر اذن كل الشكر لقداسة البابا بيوس العاشر الذي وطَّد دعائم الطقوس الشرقية وضاعف ببراءتهِ هذه الجديدة روابط الحبّ والاخاء بين الشرق والغرب فيستطيع ابناؤهما ان يصرخوا مع النبيّ (مز ١٣٢ : ٢) : « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » ويجلسوا على مائدة واحدة ويأكلوا خبزًا واحدًا ويشربوا من كأس واحدة ريثما تتمُّ الوحدة بين الكنيسة الظافرة والكنيسة المجاهدة حيث تزول احجاب الاسرار ويتمتَّع الابرار بنظر ذاك الاله الذي كشف لهم ايمانُهم على الارض عظمَ جلالهِ وسموَّ جبروتهِ فاهَّلهم لان يروهُ وجهاً لوجه الى منتهى الادهار

شواعري في مدينة النور

للشاب الاديب الدكتور اميل عرب

وما ادراك ما مدينة النور ! هي عاصمة فرنسة في اصطلاح اهلها بل في عُرف جميع سكَّان العالَمَين . دخل بنا القطار الطيَّار (الاكسپرس) في محطَّتها المدعوَّة محطة ليون ونحن وافدون اليها من مرسيلية في ضحى اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني من السنة المنصرمة . فما رنَّ في آذاننا اسم باريس عندما صرخ بهِ رائد القطار حتى شعرتُ في نفسي شبه هزَّة كهربائيَّة كادت تسحرني

وبعد هنيهةٍ ركبتُ الاوتومبيل فجعل يتطاير بي في شوارع باريس الفسيحة بين قصورها ومبانيها الفخيمة التي ذكَّرتني بما كنتُ اقرأهُ في حداثة السنّ عن المدن الموصوفة في اساطير الف ليلة وليلة . على انَّ مخيَّلة الانسان كثيرًا ما تعظِم لهُ

الاشياء عن بُعد فينظمها في طرائف عالم الاوهام فاذا رآها في حقيقتها استصغرها وهذا ما جرى لي في تلك الساعة اذ عقب انذهالي الاوَّل نوعٌ من الخيبة لمَّا رأيتُ عاصمة الفرنسيس كغيرها من المدن وان كانت اعظم واجمل منها وسكَّانها اوفر من سواها

*

مرَّ علينا في باريس احد عشر شهرًا فودَّعناها في ٢٦ ايلول مساءً وركبنا القطار عينهُ ليعود بنا الى مرسيلية . وكان في محطة ليون نحو اربعين من اصدقائنا الفرنسويين والوطنيين قد رافقونا لتشييعنا فتبادلنا عبارات الوداد حتى آن وقت الرحيل فتحرَّك القطار يقلُّنا الى جنوبي فرنسا وكان آخر نظرنا متَّجهاً الى مدينة النور والى اولئك الاصدقاء الذين كانوا يسلِّمون علينا سلام الوداع فنشير اليهم بمناديلنا الخافقة كخفقان قلبنا

ما لبثت باريس ان توارت عن الابصار وانطرحتُ انا على صُفَّة القطار مسندًا رأسي الى وسادتها فحسستُ في نفسي بهزَّة جديدة او بالحري باضطراب عظيم كأني ارى حالي بين حيّ وميت وبين عالم الوهم وعالم الحقيقة

ففي تلك الاثناء مرَّت بازاء عيني كالبرق كلّ الامور والمشاهد التي عاينتها مدَّة اقامتي في باريس فلاحت لي فرنسة بعظمتها ورونقها مجسَّمةً في رؤيا عاصمتها فرأيتُ سلطانة الاعصار الجديدة في رونقٍ مثلَّث زادها في قلبي حبًّا واعتبارًا

تصوَّرتُ لي فرنسة بسطوتها وقوَّتها العجيبة التي اكسبتها مرارًا الفخر المؤبد في اعين سائر الدول . وكنت قد رأيتُ في استعراض عيد الدولة الواقع في ١٤ تموز ما خلب لبّي وسبى قلبي حيث سار امام عمدة ممثلي الدولة وجمهور الحضور ١٢٠,٠٠٠ من الجند على مختلف ازيائهم وفرَقهم منهم الرَّجل والخيل ومنهم راكبو الدرَّاجات والطيَّارون في الجوّ ومنهم ارباب البطاريَّات والبحريّون وكانوا كلهم يسيرون في نظام عجيب ورُواء مهيب وكان ختام استعراضهم حملةً مثَّلها ٤٠,٠٠٠ فارس فاقتحموا بجيادهم اقتحام الرجل الواحد مسلّمين على رئيس الجمهوريَّة . وفي مساء النهار طافوا في شوارع باريس وفي ايديهم المصابيح الزاهية الالوان تتقدَّمهم الراية الوطنيَّة وتصدح امامهم الموسيقى العسكريَّة بكل انغامها الحماسيَّة وكان

الشعب يسير على جوانبهم بكل تحمُّس ولا يراهم الرائي الَّا انحنى ليحيّي الوطن العزيز الممثَّل برايتهِ المجيدة الخافقة فوق رؤوسهم

هذه صورة القوَّة والبسالة تذكَّرتُها وقتئذٍ فصرختُ مع ابناء الوطن: فلتحيَ امّة الفرنسيس ! فلتحيَ فرنسة الباسلة !

*

على انَّ هذه القوَّة المادّيَّة لم تعمل فيَّ كما عملتهُ قوَّة فرنسة الادبيَّة. فخطرت على بالي وقتئذٍ تلك الاعمال العظيمة والمشروعات الجليلة التي تفوق بها الأمّة الفرنسويَّة على جميع الامم من نوادٍ علميَّة ومدارس عالية لا تُحصى لاحراز كلّ المعارف البشريَّة المنبثَّة في انحاء المعمور ومتاحف جمعت الطاف العالم وكنوزهُ المتفرّقة في واحد كمتحف اللوفر وكنائس يحيّر بناؤها عقول كبار المهندسين كنوتر دام ومنتمرتر وقصور فخيمة كالتروقاديرو ومشاهد عظيمة كالپانتيون والانقاليد ومباني خيريَّة لا يضمُّها احصاء فكلّ ذلك كان يتخيَّل لي فيذكّرني برفيع مقام فرنسة من حيث الآداب والعلوم والفنون الجميلة والاعمال الخيريَّة فلم اتمالك ان صرختُ: فلتحيَ فرنسة امّ الرجال العظام وسلطانة العالم الادبيّ بين شعوب المعمور !

*

وما كاد يخرج هذا الصوت من قلبي حتى اوقفني فكر آخر اطرب قلبي واقرَّ عيني فرأيتُ فرنسة في منظر آخر أنساني مفاخرَها السابق ذكرها وقوَّتها المادّيَّة ومقامَها الادبيّ الفريد ألا وهو رونقها الدينيّ وايمانها الحيّ. كنتُ اسمع قبل دخولي باريس انَّ الدين كاد يُطمَس من قلوب الفرنسويين فأيم الله ان ذلك لإفك وكذب فاني في مدَّة الاشهر التي قضيتها في عاصمتهم رأيت من دينهم ما اخجلني عن ضعف دين بعض مواطنيّ

نعم ليس دين الفرنسويين متوقفاً على بعض المظاهرات الخشوعية التي تُرى في بلادنا ولا على طول الاقامة في المعابد والصلوات المستطيلة وانَّما ايمانهم يظهر بالعمل اكثر منهُ بالعواطف

وكان اعداء الدين يحسبون انهم اذا فصلوا الدين عن الكنيسة قتلوا الدين في القلوب واطفأوا نورهُ الساطع فخاب املهم وكذب حسبانهم فترى اليوم الدين في

فرنسة معززًا ظافرًا في كلّ طبقات الامّة دون استثناء. واذ كنت ازور كنائس العاصمة كان يأخذ مني العجب مأخذهُ اذ ارى الجماهير المجمهرة يتقاطرون اليها خاشعين متورّعين بلا حياء بشري فسألت احد كبار القوم عن سبب هذا التزاحم فاجابني : « انّما هذا ثمرة تحامل اعداء الدين علينا لانّ الايمان كان كامنًا في قلوبنا فلمّا شنّ اخصامنا علينا الغارة انتعش وازدهر واستيقظ الناعون من سُباتهم فعاد للدين بهاؤهُ »

قلتُ : وما هذا الشعار المكتوب على ابواب كنائسكم : حرّية . مساواة . اخاء

قال : « ومَن احرى بهذا الشعار منّا الكاثوليك لأنّنا لا نكتفي بقشرة الالفاظ بل نلزم معناها تمامًا

« فالحرّيّة لدينا نحن الكاثوليك ان نتمسّك بعرى الدين ونجاهر بمبادئنا الصحيحة فنعطي كلًّا حقّهُ لله ما لله ولقيصر ما لقيصر ولسنا لنتعرّض لمن لا يوافقنا في معتقدنا ولكننا نريد ايضًا ان يقيسنا الغير بالمثل فيَدَعونا نخدم الله كما نشاء

« والمساواة ليست عندنا اسمًا بلا جسم . ادخلْ كنائسنا تجد الكبير والصغير الغني والفقير الخامل الذكر والشهير الرئيس والمرؤوس ممتزجين امتزاج الماء بالراح فلا يُبطر الغنيّ غناه ولا يقنط الفقيرَ فقره فكلّ يقنع بما قسم لهُ الله واذا اضطرتهُ الحاجة وجد من يؤاسيهِ ويسدّ عوزهُ . وربّما كان الفقير رئيسًا في الكنيسة يخضع لسلطتهِ الاعيان والذوات

« ومثلهُ الاخاء . فلن تعهدهُ بيننا كلامًا فارغًا فان روابط الحبّ تجمع كل القلوب فابونا واحد هو الله (متى ٢٣ : ٩) وامّنا واحدة كنيسة المسيح . نقول قولًا واحدًا ونشترك في اسرار واحدة »

قال هذا واراني في الكنيسة كثيرين من اعيان الدولة والمبعوثين وقوّاد الجيوش ببزّاتهم الرسمية وكلهم مستحرّون بالصلاة كأبناء بيت واحد خانعين الى أب واحد . فبقيتُ واجمًا اسرّح النظر في ذاك المشهد الجليل الذي ذكّرني بما رواه قدماء المؤرخين عن تقى الفرنسيس وورعهم

وكم لقيتُ مذ ذاك من دلائل الدين مدّة سكوني في باريس . فمن ذلك اكرامهم لموتاهم فكنت ارى اعظم الشوارع ازدحامًا اذا مرّت فيها عربة الموتى اسرع الكلّ

الى كشف رؤوسهم امام الراحل الى ابديَّتهِ معلنين برجاء القيامة وخلود النفس.

واذ زرتُ يوماً مقبرة الاب لاشاز (Père Lachaise) على سبيـل الفرجة اخذني الاندهاش من كثرة الزوَّار لقبور احبابهم اتوا ليزينوا ضرائحهم بالزهور ثم كانوا كلهم يجثون راكعين ليصلوا لراحة النفوس

وعادت الى ذاكرتي الحفلة الشائقة التي عقدها الكاثوليك في احد ايَّام آذار في ندوة كبيرة تُدعى نادي ڤاغرام وكان عدد الحضور ١٥,٠٠٠ تحت نظارة الكردينال أميت (Mgr Amette) رئيس اساقفة باريس وكان حولهُ الاميرال بيـانايه (l'Amiral Bienaimé) وزير البحريَّة سابقاً وعدد كبير من المبعوثين والاعيان كالمسيو ديني كوشين (Denis Cochin) والكونت دي مون (de Mun)

فبعد افتتاح الحفلة بالصلاة الى الروح القدس قام عدد من خطباء باريس فتكلموا في كل شؤون الكثلكة وتوسيع نطاق اعمالها وترقية مشروعاتها الخيريَّة والعلمية والادبيَّة. وختم نيافة الكردينال ذاك الاجتماع بخطبة كلها درر حضَّ فيهـا الكاثوليك على تضحية النفس والنفيس في مقاومة التعليم اللاديني وبيَّن انَّ الدين والوطن معاً يدعوانهم الى هذا الجهاد الصالح

فدوى ذاك النادي الرحب بتصفيق استحسان الحضور وارتجَّ باصوات تحمُّسهم فكان مشهدًا فريدًا قلَّما وجدنا لهُ من شبيهِ اللهم الَّا المؤتمر الكاثوليكي السنوي الذي التأم في نادي الجمعية الجغرافية الرحب الارجاء الواقع في شارع سان جرمـان وكانت الغاية منهُ مناهضة الشيعة الماسونية

وهذا المجتمع الفخيم قد عُقد في اصيل يوم الاحد في اواسط شهر حزيران بعد ان اعلنت جرائد باريس الكبرى بوشك وقوعهِ وكان لهُ عملٌ عظيم في الصدور

فكان المتقدّم في هذا الاجتماع الكومندان دي فراڤيل (Cnt de Fraville) جالساً على دكَّة مرتفعة يحفُّ به احد رؤساء شورى الدولة سابقاً وكثيرٌ من قدماء الوزراء وبعض مبعوثي دار الندوة وقوَّاد الجيش وكلهم من لجنة الجمعيَّة المركزيَّة المعاكسة للماسونيَّة في باريس

وان سألت ما هي هذه الجمعيَّة وما هو تاريخها اجبتُك انَّ سبعـة من وجوه الكاثوليك في باريس اذ شعروا بالاخطار الهائلة والاضرار الجمَّـة التي تتهدَّد

وطنهم فرنسة بدسائس الماسونيَّة اتَّفقوا قبل خمس سنوات على معارضة تلك الشيعة بكل ما يستطيعون من الوسائل . فبارك الله عملهم ودافعوا عن تحقيق رغبتهم دفاع الابطال بل شنُّوا الغارة على الماسونيَّة واماطوا النقاب عن قبائحها وارجاسها وانشأوا لماكستها جريدتين اسمهما « فرنسة العاملة وجريدة الناشئة الكاثوليكيَّة » (L'Action Française et le Journal de la Jeunesse Catholique) ومجلة شهريَّة كبيرة دعوها « المجلة اللاماسونيَّة » (La Revue Antimaçonnique) فهذه الجمعيَّة نمت بعد سنين قليلة حتى بلغ اليوم عددها سبعة آلاف . ومن جملة الخطباء المفوَّهين الذين رقصت القلوب لاستماعهم اللازم دريان (Cnt Driant) مبعوث مدينة نانسي الذي قام في مجلس الامَّة غير مرَّة للدفاع عن شؤون الدين ولتكرار الطلب في ان يُجعل عيد المطوَّبة جان درك كعيد وطني . ثم تناوب الخطباء وعدَّدوا ما تأتيهِ الماسونيَّة في فرنسة من الجنايات الفظيعة في حقّ الدين والدولة وبحثوا عن الادوية الناجعة لكبح شرّها وكشف اسرارها القبيحة

ومما تذكَّرتُهُ ايضاً من نهضة الدين اطلاقُ سراح الراهبة ڤالنتين التي بعد ان قضت حياتها في خدمة المرضى والمبئوسين هيَّج الفرماسون عليها اصحابهم وحملوا ظلماً احد القضاة ليحكم عليها بالحبس ثلاثة اشهر بدعوى ممارستها الطبَّ على طريقة غير شرعيَّة فانتصر لها الصحافيُّون من جملتهم كتبة جريدة « التان » واثنوا على همة وزير العدلية « بريان » لالغائهِ حكم القاضي المذكور وتبرئتهِ لساحة الراهبة

فهذه الاعمال وغيرها تمثلت اذ ذاك في عقلي فلم اتمالك من ان اكرّر تحيَّتي ثالثةً لفرنسة بقولي: فلتحيَ فرنسة ناصرة الدين ! وليحيَ ذووها الناهضون للزندقة والكفر ! فمن المحال ان تسقط دولة تذود عن حقوق الله وتجعل اتكالها عليهِ في اعمالها وتعضد برجالها ومالها كلّ المشروعات الدينيَّة ليس في بلادها فقط بل في الاقطار كلها حتى اقاصي المعمور !

قلتُ هذا واذا بمرأى غريب لاح لي . رأيت سيدة وسيمةً جليلة المنظر لابسةً لبس الملوك على رأسها التاج وفي يدها راية مثلَّثة الالوان كُتب عليها « ليحيَ المسيح المحبّ لفرنسة » واذا بعدَّة وحوش طفرت من الهاوية لتهجم على السيدة وتنكس رايتها وكان مكتوباً على رأس كل وحش الفاظ تدلّ على كنههِ ميَّزتُ بينها « ثورة .

فوضى . لا دين . ماسونيّة » فرأيتها ناشبة مخالبها وفاتحة فاها لتمزّق السيدة وتفترسها . وهي على وشك العمل اذ رأيت ملاكاً عليهِ بزَّة الجنود سالّا سيفهُ الناري وعلى جبهتهِ مكتوب شعار ميخائيل « مَن كالله » فصرخ صراخاً ارتعدت لهُ فرائص الوحوش فتجدّد امامي القتال الموصوف في سفر الرؤيا . فقاتل ميخائيل ملاك فرنسة اولئك الوحوش فلم يقووا وولّوا هاربين مخذولين فهتفت المرأة قائلة : المجد للمسيح محبّ فرنسة . الآن صار الخلاص والقوّة والملك لالهنا والسلطان لمسيحهِ (رؤيا ١٢ : ٧—١٠)

الدرّاجة

بحث تاريخي فني للاديب فريد افندي فارس نمرا احد طلبة الصيدلة في مكتبنا الطبي

قد قيل انَّ في الحركة بركةً وها قد اضحت الحركة اليوم فرضاً واجباً على الانسان اذا ما شاء ان يثبت سالمًا موفّقاً في ساحة الجهاد العظيم القائم في عهدنا بين الشعوب فمن تقاعس او تناعس سبقهُ اقرانهُ وفازوا بما كان يؤمل نوالهُ دونهم

وذاك النزاع في سبيل الحياة هو الذي دفع المرء الى اختراع الوسائل التي تقرّب عليهِ المسافات البعيدة وتنقلهُ بسرعة الطير بل اسرع الى اقاصي المعمور فاستعان اوَّلًا بالرياح ليتجشم اخطار الاسفار ويخوض غمرات البحار ثم استخدم البخار والغازات ليطير على اجنحتها الى اسحق البلدان ثمَّ رأى فضلًا عليها في الكهرباء فكاد يجاري البرق خفَّةً

على انَّ تلك الاختراعات مع سرعتها الغريبة تقضي من النفقات الطائلة ما لا يستطيع ان يقوم بهِ غير كبار المتموّلين وذوي الثروة القارونيَّة فطلب الانسان ما يخفّف جريهُ مع رعاية الاقتصاد فلم يجد وسيلة افضل من استخدام قواه الطبيعية لتسيير الدرّاجات فاكتسب بها سرعة وخفة وتوفير مال واوقات

وكانت الدرّاجات قليلة الشيوع في بلادنا الى هذه السنين الاخيرة واليوم اذ عرف الناس ولا سيما الشبان فضلها اخذوا يزيدون اقبالًا عليها . وقد سبقت مصرُ قطرَ الشام في استعمالها حتى صار ركوبها امرًا مألوفاً في انحاء وادي النيل بل وُضعت

سباقات لراكبي الدرَّاجات ينال فيها الجزاء من يبلغ غايةً معلومة قبل رصفائهِ . وقد افادتنا جريدة البشير آخرًا انَّ احد ركَّاب الدراجات قد قطع المسافة ما بين القاهرة والاسكندريَّة في الطريق الجديدة المنشأة حديثًا بينهما بظرف خمس ساعات وخمسين دقيقة . وهي لعمري سرعة عظيمة لانَّ تلك المسافة لا تقلّ عن ٢٠٧ كيلومترات وقطار السكة الحديديَّة السريع (الاكسپرس) يقطعها بقوَّة البخار في ثلاث ساعات اعني في الدقيقة كيلومترًا و١٥٠ مترًا

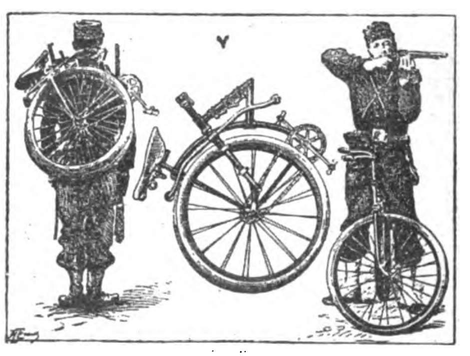
واذا قابلنا بين هذه السرعة وسرعة الرجل الذي لا يستعين بغير قوَّة بدنهِ مع درَّاجة بسيطة لرأينا الفضل للانسان على البخار من عدَّة وجوه . نعم انَّ الراكب المذكور لم يقطع في الدقيقة الَّا ٧٤١ مترًا لكنهُ بالنسبة الى قوَّتهِ الجسديَّة العضليَّة قد فاق على قوَّة البخار الناريَّة والقوَّة الحديديَّة اذ وجد في جسمهِ تلك القوَّة المخزونة فابرزها دون حاجة الى فحم ولا نار ولا بخار . فعاد الفضل في تسيير الدرَّاجة الى عقلهِ خصوصاً الذي اكتشف هذه العربة البسيطة والخفيفة التي يجدها في كل ساعة متهيئة لخدمتهِ لا يعوزها عَلَف وساسة كالخيل ولا خدمة وعمَّال كالسكَّة الحديديَّة

واليوم حيث رغب الينا بعض الاصدقاء ان نكتب طرفةً عن تاريخ الدرَّاجة وانواعها وفوائدها اجبنا الى طلبتهم بطيب الخاطر

١ تاريخ الدرَّاجة

انَّ الدرَّاجة كبقيَّة الاختراعات البشريَّة ليست هي ابنة يومها بل تنقلت في اطوار شتى قبل ان تبلغ كمالها الذي نالتهُ في ايَّامنا . يُروى انَّ اوَّل من سبق الى استعمال الدرَّاجة كان رجلًا افرنسيًّا اسمهُ دي سيڤراك (de Sivrac) اخترع سنة ١٦٩٠ عجلة صغيرة ذات دولابين متساويين من خشب جعل الواحد امام الآخر وركَّب فوقهما مركبة كمتن الدابَّة كان يركبها فيسير بضربه الارض بقدميهِ مرَّة على اليمين ومرَّة على اليسار فتدور الدواليب بسرعة ولذلك دُعيت بالسيَّار (célérifère) ثمَّ حسَّنوا المركبة فجعلوها على صورة فرس او دابَّة كما ترى في الصورة

على انَّ هذا الاختراع الاوَّل لم يتسع نطاقهُ بل عُدَّ كالعوبة صبيان وكاد يبقى مجهولًا الى الربع الاوَّل من القرن المنصرم ففي السنة ١٨١٨ وقع عليهِ نظر



١ الدرَّاجة المعروفة بالسيَّار ٢ الدرَّاجة الخشبيَّة ٣ درَّاجة العنكبوت
٤ الدرَّاجة الحاليَّة (بيسكلت) ٥ درَّاجة تركبها النساء ٦ درَّاجة ذات مركبتين
٧ درَّاجة عسكريَّة للحرب

احد الالمان من دوقيَّة باد اسمهُ البارون دراي دي ساوِربرون (Drais de Sauer-bron) كان متوليًا توزيع المياه ونظارة الاحراج فرأى ان يحسّن اختراع دي سيڤراك بوضعهِ في يد الراكب سكّانًا يديرهُ كما يشاء الى الجهات المختلفة ويوقف بهِ عجلتهُ طوع امرهِ

ومذ ذاك استوقفت الدرَّاجات نظر العقلاء فاخذوا يبحثون عن الطرائق لتحسينها منهم الاسكوتلندي غاڤن دلزل سنة ١٨٤٦ اصطنع درَّاجة سموها الحصان الخشبي لصورتها. واشتهر بعدهُ فرنسوي يُدعى ارنست ميشو (Ern. Mi-chaud) كان مولعًا باصطناع الادوات الميكانيكيَّة فجعل للدرَّاجة المعروفة قبلهُ مقبضًا ودوَّاستين لتُدار العجلة برجلي الراكب. فشاعت اوَّلًا ثمَّ أُهملت لثقل حركاتها وهي كلها من الخشب فكان الراكب يقاسي بتسييرها تعبًا شاقًّا حتى سمَّوها بكاسرة العظام وكان الاغنياء مع ذلك يشترونها ليزينوا بها منازلهم كتحفة فاخرة

ولمَّا كان معرض باريس الكبير سنة ١٨٦٧ عنَّ لارنست ميشو ان يبدل الخشب بالحديد وعرض درَّاجتهُ على تلك الصورة للزائرين فاستحسنوها ونال جائزةً على عملهِ ثمَّ كثر طلبها لانَّ الزبائن رأوا بالحديد فضلًا كبيرًا على الخشب لاجل مرونتهِ وصلابتهِ وسهولة شغلهِ وتطريقهِ. ولم يزل مذ ذاك الحين المسيو ميشو يزيد في تحسين عملهِ فألبس الدولابين باطار من المطَّاط (الكاوتشوك) واصلح الدرَّاجات هو وغيرهُ من بعدهِ اصلاحات اكسبتْها رشاقةً وخفَّة حركة وسرعة مسير

ومما كان يكرّه ركوب الدرَّاجة انَّ ممتطيها كان اذا مرَّ في امكنة محجرة او نتوءات او حفائر اهتزَّ جسمهُ بمرور عجلتهِ عليها لصلابتها. فاستدراكًا لهذا الخلل وضع الفرنسوي تروفُّو (Truffauld) المطَّاط المجوَّف فكان ينفخ فيهِ الهواء بمنفخة معدَّة لذلك. فكانت نتيجة هذا الاختراع ان الراكب لم يعد يشعر بما يلقاه في طريقهِ من الحصى وحُفر الارض

وكانت درَّاجة تروفُّو تسمَّى بسيكلًا (bicycles) وكان دولاباها على حجم مختلف فدولاب الامام كان كبيرًا يبلغ قطرًا مترًا ونصف يجلس عليهِ الراكب فيديرهُ بالدوَّاستين امَّا الدولاب الآخر الذي وراءهُ فكان صغير الشكل لا يزيد قطرهُ عن ٣٠ سنتمترًا فدُعيت هذه الدرَّاجة بدرَّاجة العنكبوت

على انَّ هذه الدرَّاجة كانت تعرّض راكبها لعدَّة اخطار فأُهملت بعد قليل وابدلوها بالدرّاجة ذات الدولابين المتساويين اللذين لا ينيف قطرهما على ٨٠ او ٩٠ سنتيمترًا وهي البيسكلات (bicyclette)

ثمَّ بعد قليل وُضع لهذه الدرّاجة سلسلة قويَّة موكَّبة على دائرتين الواحدة تتصل بالدوَّاس والاخرى بدولاب الوراء لتحريكهِ. وعلى طرفيهما اسنان متساوية تتشبث ببكرات السلسلة وتديرها. وهي الدرَّاجة التي نالت رضى الجميع ففضلوا ركوبها الى يومنا مع اضافة عدَّة تحسينات اليها لراحة راكبها وازدياد سرعتها. وكذلك قد أُبدل الحديد بالفولاذ للينهِ

٣ انواع الدرَّاجات

رايت في تاريخ الدرَّاجة ما طرأ على تركيبها من الاختلافات حتى بلغت الى الصورة التي شاعت فيها اليوم. على انَّ هذه الدرَّاجة عينها قد تفننوا في استحضارها وتسويتها على اختلاف الغايات التي توخّوها فمنها ما يُصطنع للاحداث ومنها للسيدات فترى اليوم في بلاد كثيرة اولادًا ونساء يتجوَّلون في الساحات والطرق العمومية دون ان يرى احد في ذلك عجباً

ومن الدرَّاجات ما يركبهُ شخص واحد او اثنان او اكثر وذلك بان تزدوج الدواليب ويلزم بعضها بعضاً بحيث تتفق حركات الركَّاب. فالدرَّاجة ذات المركبين (bicyclette tandem, duplette) تتألف من مقعدين على دولابين الواحد وراء الآخر. والدرَّاجة ذات المقاعد الثلاثة (triplette) او الاربعة (quadru - plette) الى العشرة (déciplette) تؤلف كذلك لعدد من الركَّاب يتواطأون في العمل كالبحريين في قذف المجاذيف

وبعض الدرَّاجات تكون بدولاب واحد (monocycle) او دولابين كما رأيت. وكثير منها يُجعل لها ثلاثة دواليب اثنان من وراء وواحد في الامام (tricycle) وهي سريعة الحركة

وكذلك تختلف الدرَّاجات المتخذة لنقل البريد او بعض لوازم الركَّاب واخصُّ منها الدرَّاجات العسكريَّة يركبها الجند امَّا لرصد العدوّ واما لمقاتلتهِ.

وقد اتخذوا فِرَقاً من الجند يركبون الدرَّاجات في الحرب ودرّاجاتهم خفيفة جدًّا يمكنهم طيُّها وحملها على عواتقهم في الاماكن الصعبة. واذا ركبوها يمكنهم ان يوقفوها بطرفة العين فيترجلون والدرَّاجة بين افخاذهم ويطلقون بنادقهم ثمَّ يواصلون سيرهم دون تأخير قبل ان يدركهم العدوّ

فهذه الدرّاجات كما ترى دخلت اليوم في حياة العمران وتعدَّدت هيئاتها وانواعها الى ما لا يُحصى عدُّهُ. وقد ضربنا الصفح عمَّا يتحرَّك منها بقوَّة الكهرباء او البترول وغير محرّكات (motocycle)

٣ فوائد الدرَّاجة واستعمالها

واما فوائد الدرَّاجة فقد كان الناس في اوَّل اختراعها يخافون تأثيرها في الاعصاب وحركات القلب لكنَّ هذا الخطر قد بعد اليوم لتحسين ادوات الدرَّاجة والاطبَّاء يعدُّونها كترويض للجسم ومجلبة لانشراحهِ وبسطه ولها لذَّة ذاتية تحصل في نفس الراكب فيشعر كأنَّهُ جواد ينهب الارض نهباً وغزال يقفز بين الآجام قفزًا ويخطر كيف يشاء ويقف أنَّى يشاء ويسير حيثما يشاء لا يثنيهِ عن اتمام عزمهِ الَّا ضعف عزائمهِ. تراهُ ممتطياً مركبتهُ يسابق النسيم البليل فطورًا تكون رفيقةً لهُ يمشي الهوينا مشتبكاً بها وطورًا يتأبطها كأنَّها انيستهُ او إلفهُ العزيز الخفيف الظلّ والجانب وفي الامكنة الوعرة ومصاعد الآكام تنال شرفاً من صاحبها لانها تلزمهُ بحملها فتصبح والحالة هذه مركوبةً راكبةً. وحسنات هذه الدرَّاجة انها تعلف من الهواء ولا تطلب غيرهُ مؤونة فحياتها بالهواء ومماتها بدونهِ وقد استعملها مأمورو البوسطة والتلغراف فوجدوا بها اكبر مساعد لانفاذ مأموريتهم وكثيرًا ما يستخدمها الجند اوقات الحرب والسلم نظرًا لخفتها وسرعتها وليس الخطر كبيرًا في ركوبها لقلة ارتفاعها فاذا وقع احد رجال الفرقة وقف الذي وراءهُ حالًا بوضع رجليهِ على الارض ووقف الذين بعدهُ فيتلافون الخطر وكذلك يقدر الراكب ان يحارب ببارودتهِ ودرَّاجتهُ تحتهُ دون ان تعيقهُ

وقد شاع استعمال الدراجة كثيرًا في البلاد الاوربيَّة وهناك تجري مسابقات عديدة في كل سنة ولم تحرم البلاد المصريَّة من هذه السباقات كما رأيت لانَّ الصحف تفيدنا عن حركة الدرّاجات فيها وبلادنا السوريَّة قد صار لها نصيب منها

لانَّ شباننا قد بدؤوا يستعملونها واما استعمالها الطبي فهو ضدّ الامراض العصبية التي تستلزم العاباً رياضيَّة فنعم الدراجة لادراك هذا الغرض وقد يوصي بها ايضاً بعض الاطبَّاء لتقوية اجسامهم بعد مرض خفيف ولكن يجب ان يجتنب ركوبها كل من هو ضعيف البنية نحيف الجسم وصاحب مرض صدري

وخلاصة القول انَّ الدرَّاجة احدى الاختراعات العصريَّة التي تؤدي للانسان خدماً جمَّة فيحقُّ عليهِ الشكر لربهِ الذي يقرّب بها وسائل معاشهِ الهنيء

عودٌ على بدء

للشيخ فدا حسين احد اساتذة كليَّة عليگده الاسلاميَّة

باسمهِ سبحانهُ

سعادة القسّ . . . مدير المجلة الغرَّاء المعروفة بالمشرق دمتم بالعزّ والكرامة الى يوم القيامة

وبعد فان الخُوَيدم ينهي بعد الدعاء لأيَّامكم لا اخلانا الله من انعامكم اني فيما مضى برهة قليلة من الزمان قد تشرفت بزيارة مقالتكم الرشيقة الشامخة الشان وخطابتكم الانيقة المبهرة للبّ كل انسان في نقض مقالة كاتب الكوثر التي حامى بها عن الاعراب الاوَّلين . . . الذين اشتهروا بانتقاض العلم واطماس آثار الاقدمين من الحكماء المتألهين فاجتهد لذلك في نفي خبر الحريق الذي وقع على يدهم لمكتبة الاسكندريَّة التي لم تزل تعرف بكونها معدناً لكتب الحكماء السالفين

فلعمري لقد اعجبني وراقني ما اتيتم به في مقالتكم الغرَّاء من قواطع الحجج وسواطع البراهين في تفنيد راي هذا الكاتب والكشف عن بطول ما رماكم في كلامهِ ببغضة العرب ومعاداتها وتقبيح اخلاقها وعاداتها . واني فيما مضى من برهات الزمان وشذرات من الدهر الخوان قد عثرت على كلام مشبع طويل للعلامة مستر بُتلر (Buttler) الانكليزي صاحب الكتاب المعروف بفتوح العرب في مصر والاسكندريَّة وهو كتاب ضخم في اللغة الانكليزيَّة وافرد فيه باباً مستقلًا في

الردّ على من ذهب الى القول بوقوع الحريق على يد العرب في مكتبة الاسكندريّة . فانتعشت نفسي لوضع مقالة مسهبة طويلة في اللغة العربية في الردّ على صاحب تلك المقالة الغويّة وحججهِ الضعيفة الغير القوية وعنونتُها : « بفجعة الدهر على ضيق العلم بالكهر والصهر » فجاءت بعون الله كلاماً حافلاً طويلاً بالغ الارب في هذا الطلب. وقد مضت لذلك عدة سنين وبقيت هذه المقالة مطروحة في زوايا الخمول الى هذا الحين وحال بيني وبين نشرها عوائق الدهر وعاقني عن اكمالها ونشرها نوائب العصر . فبينما كانت الامور تجري هكذا اذ وقفتُ في تلك الايام على مقالتكم الوشيقة الباهرة النظام البديعة الانسجام فاستفدت منها عدّة فوائد والتقطتُ منها عددًا وافرًا من العوائد يجب عليّ اتشكر منها اليكم والاعتراف بالامتنان العظيم من قبلي لديكم واحببت ان اقتبس من طور علمكم نارًا ومن ضيـاء فضلكم انوارًا فها انا استأذنكم في التقاط هذه الفوائد وادراجها في مقالتي تكثيرًا للوجوه والشواهد معزوّة الى اسم جنابكم ومنسوبة الى سامي خطابكم

ولكن قبل ذلك استمنحكم بان تتفضلوا عليّ بعيون بعض العبـارات من الكتب التي اشرتم اليها واستشهدتم بها ولكن لم تأتوا بعيون الفاظها مخافة الاطناب في الكلام فاقتصرتم بمحض الاشارة اليها باحسن نظام. ولما ان هـذه الكتب لا تكاد توجد في هذه البلاد الشاسعات اضطررت ان استمنحكم ببثّ عيون تلك العبارات ويكون لكم الفضل بذلك علينا انشاء الله تعالى. وتلك هي العبارات المطلوبة التي اشرتم اليها في مقالتكم الغرّاء وهي عدّة اشياء :

١) عين عبارة عبد اللطيف البغدادي والوزير جمال الدين ابن القفطي من اصول كتابيهما ممّا ينطق بحريق مكتبة الاسكندرية

٢) اصل تلك الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق الشهير دي هامر التي اشرتم اليها في المشرق العدد الخامس لايار سنة ١٩١١ ص ٣٩٢ بقولكم « وقد جمع المستشرق الشهير دي هامر شواهد اخرى لا حاجة الى ذكرها . . . »

٣) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٢ من العدد (٥) للمشرق لسنة ١٩١١ بقولكم « ان هذا المورخ (Paul-Orose) لم يتكلم عن حريق هذه المكتبة بل عن المكتبة الاولى المحروقة على عهد يوليوس قيصر . . . الخ »

٤) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٣ من العدد (٥) للمشرق سنة ١٩١١ بقولكم « كما افاد معاصره المؤرخ ايفاغريوس بل لم يذكر احد من القدماء . . . الخ »

٥) اصل غمرات الكوثر التي اجتهد كاتبها فيها نفي وقعة الحريق على ايدي الاعراب وخليفتهم عمر بن الخطاب

فان تفضلتم علينا باسعاف تلك المقترحات الخمس التي ذكرتُ آنفاً كانت لكم المنّة الابدية علينا ووجب علينا التشكر لكم ولو انسأ الله في اجلنا الى ابد الابدين ودهر الداهرين والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين

ثم اني عجبت من سعة اطلاعكم على خبايا العلوم المشرقيَّة وخفايا مطالب الكتب السالفة التاريخيَّة العربيَّة كيف عزب عنكم اذ مررتم ساكتين على وجوه السلب التي ذكرتموها من جهة نُفاة هذه الوقعة وما اتيتم عليها بردّ ونقض وهي باجمعها وجوه سخيفة واضحة البطول مبنيَّة الفساد وليس مبناها غير الاستنكار والاستبعاد الذي لا مجال لهُ ولا محل في نطاق التحقيق والانتقاد وكان فيما ذكرتم في ذيل ذلك من وجوه السلب قولكم (٣٩٣ من العدد ٥ سنة ١٩١١) : « وثانياً لان يحيى النحوي الذي يقال عنهُ انهُ راجع عمرو بن العاص . . . . الخ » والحال انّ معاصرة يحيى لعمرو بن العاص امرٌ ثابت متحقِّق لم يبقَ فيهِ مجال لشكّ وريبة وذلك اني كنت قد قلبتُ هذا الامر ظهرًا لبطن اوانَ اشتغالي بتسطير مقالتي المعنونة « بفجعة الدهر » فلم اجد بُدًّا من الذهاب الى معاصرتهما واتحاد زمانهما بشهادة يحيى النحويّ نفسهِ في بعض كتبهِ واليك اصل العبارة التي كتبتها في هذه المقالة ما تلك صورتها منقولة منها فاقول :

ومن اعظم الدلائل واكبر البراهين على معاصرة عمرو ليحيى النحوي قول يحيى نفسهِ في تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس فيما ذكرهُ ابن القفطي في اعلام العلماء باخبار الحكماء وقد سبقهُ في ذلك ابن النديم في الفهرست حيث قال « وذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعي في الكلام في الزمان مثالًا قال فيهِ : مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي . قال ابن النديم : فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة ونيف وقد يجوز ان يكون فسَّر هذا الكتاب في صدر عمره لانهُ كان في ايام عمرو بن العاص » . ومثلهُ ما ذكر ابن القفطي في اعلام العلماء قال : ذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة عند ما فسرها من كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس وتكلم في

الزمان فضرب مثالًا قال فيهِ: مثل سنتنا هذه وهي في سنة ثلاث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي » انتهى كلام ابن القفطي

قلت ومعلوم ان هذا دقلطيانوس القبطي مات في سنة ثلثمائة وثلاث وعشرين من سني المسيح عليهِ السلام وكانت وقعة الاسكندريَّة في سنة ستمائة واثنتين واربعين من سني الميلاد على صاحبها الاف التحيَّة من ربّ العباد الى يوم المعاد فهذا يوجب ان يكون يحيي النحوي حاضرًا في وقعة الاسكندريَّة وان يكون قد كتب تفسيرهُ للسماع الطبيعي لارسطوطاليس بعد وقعة الاسكندريَّة باربع وعشرين سنة. وشاهدُ ذلك انهُ قد عثر على مصنف ليحيي النحوي في السماع الطبيعي قد كتبهُ في سنة ستمائة واحدى وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ وقد سماه فزيكا فيما ذكرهُ الفاضل العلّامة وليم اسميث في كتابهِ المعروف الذي يدعى مجموع تواريخ المشاهير الروم واليونان ومشاهير آلهتهم (Sir W. Smith: *Diction. of Greek and Roman Biogrophy and Mytbology*) والذي احسب ان التاريخ الذي ذكرهُ الفاضل المذكور لتصنيف هذا الكتاب اقلّ من حسابنا بخمس سنين وشهادة يحيي نفسهِ دليل على صحة حسابنا فالاظهر انه صنف فزيكا في سنة ستمائة وست وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ ان كان هذا الكتاب هو الكتاب الذي فسر منهُ السماع الطبيعي لارسطوطاليس » انتهى ما اردنا نقلهُ من مقالتنا المعنونة: « بفجعة الدهر ». فان وافقتموني في هذا الراي ورايتم ان هذه الطريق الى اثبات معاصرة يحيي النحوي لعمرو صحيحة بالحساب اخبرتموني بذلك ويكون لكم المنة بذلك علينا فان نشرتم هذه العبارة تكملةً لنقض صاحب الكوثر فليس ذلك من فضلكم ببعيد والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين. وليكن هذا آخر الكلام مني في تلك الرسالة المحقرة اليكم وألتمس منكم الجواب عنها عاجلًا معجلًا انشاء الله تعالى ويكون لكم المنة علينا الى اخر الدهر اه

﴿ المشرق ﴾ انَّنا نشكر للشيخ الاديب الفاضل والاستاذ العالم فدا حسين جميل ظنّهِ فينا ونعتبرُ كلامهُ احسن جزاء عمَّا كتبنا في العلوم العربيَّة وحريق مكتبة الاسكندريَّة (في المشرق ١٤: ٢٩٩و٣٩٩) فانَّنا بردّنا هناك على مجلّة الكوثر لم نقصد البتَّة بخس حقوق العرب وكلٌّ يعلم ما نفرغهُ من المجهود في استخراج تآليفهم من

زوايا النسيان ورفع شأنهم لدى كلّ ذي عيان لكنّنا رأينا ايضاً انّ للتاريخ الصادق حقوقاً يجب مراعاتها وان كانت في بعض الامور لا توافق اوهام فئة من المحدثين الذين يغالون في اطراء العرب ورفعهم الى ذروة الكمال كأنّ منهم مصدر كلّ علم واليهم مرجع كلّ فضل وانّما احسن الامور اوساطها فالعدل يقضي بأن نقرّ بخدمة العرب النصوح للعلوم في عهد بني عبّاس وهو يضطرّنا ايضاً الى ان نقول بأنّهم لم يستيقظوا من سنتهم الّا بعد ظهور الاسلام بقرنٍ ونصف وانّهم بنوا على اساس من سبقهم لاسيا اليونان كما انّهم استعانوا في كثير من آدابهم ومعارفهم بقومٍ من اجانب المستعربين كالعجم والكلدان والسريان والروم. وناهيك للوقوف على حقيقة قولنا بمراجعة الكتب التي ألّفها العرب انفسهم في تاريخ الآداب كالوزير جمال الدين القفطيّ وابن ابي اصيبعة وابن خلدون والحاج خليفة وقبلهم ابن النديم صاحب الفهرست وابو القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرنا آخراً كتابهُ الفريد «طبقات الامم»

هذا وقد بقي علينا ان نجيب الى اسئلة جناب الشيخ فنقول:

١ ان العبارات التي طلب ان نثبتها لهُ بنصّها الاصلي من كتابي عبد اللطيف البغداديّ والوزير جمال الدين بن القفطيّ في صدد حريق مكتبة الاسكندريّة قد رويناها بحرفها الواحد مع غيرها من النصوص في السنة الثالثة عشرة من المشرق (١٩١٠) ص ٩٥٧ و ٩٥٨ فلا حاجة الى تكرارها مع طولها

٢ الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق دي هامر هي التي نقلناها في العدد المذكور من المشرق (١٣: ٩٥٨) عن ابن خلدون والحاج خليفة والمقريزيّ. فلتراجع

٣ شهادة بول اوروز او اوروشيوس (Paul-Orose) وردت في تاريخه (ك ٦ ف ١٥) (Migne, P. L. XXXI- 10 37) المكتوب نحو السنة ٤٢٠ للمسيح والالفاظ التي استند اليها البعض لاثبات قولهم بانّ مكتبة الاسكندريّة حُرقت في زمانهِ بمساعي تاوفيل بطريرك الاسكندريّة هي هذه:

«Nos vidimus armaria librorum ; quibus direptis, exinanita ea a nostris hominibus , nostris temporibus, memorent, quod quidem verum est »

فانّ بعض المفسرين لهذا النصّ المستغلق ظنّوا انّ اوروشيوس روى انّهُ وجد خزائن مكتبة الاسكندريّة الكبرى المعروفة بالسيرابيوم بعد حرقها في زمانهِ اعني

بامر البطريرك تاوفيل الاسكندريّ . غير انّ هؤلاء المفسرين لو راجعوا كلام اوروشيوس لأدركوا حقيقة معناهُ من قرائنهِ فانّ المؤرخ يذكر هناك ما جرى من الحروب بين يوليوس قيصر وبومپيوس لمّا تنازعا الملك في مصر وما سبَّب حربهما من الاضرار وكيف حُرقت احياء الاسكندريّة في اثناء الحرب فامتدّ الحريق الى مكتبة كان فيها اربعمائة الف كتاب فيقول اوروشيوس « انهُ رأى خزائن تلك المكتبة الباقية الى زمانهِ فارغةً من مصنَّفاتها المحروقة باثم رجاله» اي مواطنيهِ جنود الرومان . فوهم المفسرون في ثلاثة امور الاوَّل بزعمهم انّ اوروشيوس يتكلَّم عن مكتبة هيكل السيراپيوم وكلامهُ هناك عن مكتبة اخرى شهيرة كانت تُدعى مكتبة بروخيوم (Bruchium) باسم الحيّ المعروف بهذا الاسم كما اعلمنا القديس ابيفانيوس في كتاب الاقيسة والاوزان(Epiphanius: *de Mensuris et Ponderibus*.c. 9). الثاني بظنهم انّ اوروشيوس انّما زار اخربة هيكل السيراپيوم وليس في كلامهِ ما يدلّ على ذلك لأن هياكل الاسكندريّة كانت متعدّدة . والثالث بتفسيرهم قولهُ « على يد رجالنا » انهُ اراد النصارى وهناك يتكلّم اوروشيوس لا كنصرانيّ بل كروماني فيقول انّ الذين حرقوا تلك المكتبة انّما كانوا من مواطنيهِ اي من الرومان مثلهُ

٤ ان شهادة المؤرخ ايڤاغريوس في الكتاب الثاني والفصل الخامس من تاريخهِ واردة في جملة خبرهِ عن فتنة حدثت في الاسكندريّة بعد موت تاوفيل باربعين سنة فيخبر ايڤاغريوس انّ ملك الروم مرقيان اراد ان يعاقب الاسكندريين لثورة اثاروها على جندهِ فهرب الجند وتحصنوا في الهيكل الذي كان قديماً لسيراپيس فاحاط بهم الشعب واحرقهم

« Cum milites in templum quod olim fuerat Serapidis se recepissent, populus eos illic obsedisse et vivos eos cremasse. »

فهذا دليل واضح على انّ تاوفيل بتدميرهِ لهيكل سيراپيس لم يخرب منهُ الّا القسم المختصّ بعبادة الصنم ليس الابنية الاخرى حيث كانت مكتبة السيراپيوم

٥ امّا اعداد الكوثر التي رُدّ فيها علينا فهي مرسلة الى الهند مع البريد ان شاء الله هذا ونشكر فضل مكاتبنا الاديب الذي استوجه نظرنا الى ما قالهُ ابن النديم

وابن القفطيّ في زمن يحيي النحويّ . وشهادتهما حرّية بالذكر الّا انّ في اقوال المؤرخين في هذا الصدد من التناقض والتباين ما لا يزيل المشكل بتمامهِ لأن يحيي النحويّ على قول علماء زماننا مستندين فيه الى قدماء الكتبة هو هو المعروف عندهم بيوحنّا الغراماطيقي (Joannes Grammaticus) او يوحنا المجتهد (Joannes Philoponus) وهم يجعلون زمانهُ في اواسط القرن السادس. وكذلك يقول ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء انَّهُ كان تلميذ شاوارواي او ساويروس الانطاكي الذي توفيّ سنة ٥٢٠ فبعيد عن التصديق ان يكون عاش يحيي النحويّ الى ايّام عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب اعني الى نحو السنة ٦٤٠ فبلغ من العمر قرناً ونصف بالتقريب. ولعلّهُ وجد كاتبان باسم يحيي النحوي يكون العلماء خلطوا بينهما. ونحن معوّلون على درس هذا المشكل التاريخيّ قريباً ان شاء الله

زهرة الحياة

لحضرة الخوري يوسف سماحه ق. ب

هي الحياة الدنيا اشبه بزهرةٍ تتفتح اكمامها في الصباح فتبدو جميلة المنظر زكيّة العرف تعطِّر الارجاء بطيب شذاها وتستلفتُ الانظار الى بديع مرآهــا. فما اجملها عندما يبسم لها ثغر الغزالة فتنعكس اشعّتُهــا على نقط الندى المكلِّلة تلك الزهرة فتتلألأ كحبَّات لؤلؤ على تاجٍ من الذهب الابريز

ولكن ما قام قائم الهاجرة ورمت الشمسُ بجمرات الظهر حتّى سخنت نقطات الندى فعادت بخارًا فشوّهت لون الزهرة . والشمس ترميهــا بسهامها الحادّة حتّى سلبتها نضارتها !!!

مالت ربّةُ النور الى المغيب فصبغت الافق الغربي بلون اصفر . فكأنها وهي متدلّيةٌ في آخر الافق تقول بلسان حالها : الوداع أيّتها الطبيعة الجميلة ! الوداع أيّتها الحدائق الغلباء . والمدن الغناء . والقصور الشاهقة . والانهار الدافقة !! . بل الوداع ايتها الازهار الغضّة . والعساليج البضّــة . التي كويتُكِ بجرّي الذي يذيب دماغ الضبّ . فلوّحتُكِ واحلتُ جمالكِ الرائع الى قبح دميم . فنضب منك ماء الغضاضة.

فلا تعشّمين ان تصيري هشيماً مداساً !!! قالت ذلك وتوارت في الحجاب ! . . .

وكانت زهرتنا الوسيمة أثّر فيهـا وطيسُ الحرارة فذبلت فتلاشت فسقطت هشيماً تحت ارجل المارَّة !! . . . .

تلك هي حياتك ايها الانسان المغترّ بغُلَوائه . المتنعّم بما لديه من طيّبات الشبيبة لا يحسّ بما خبأهُ له الدهر من شقائه . انتبه يا هذا من غفلتك . واستيقظ من رقدتك . ولا يغرّنك زهو الشباب . فهو ما لا حقيقة لهُ كالسراب . فانت في شرخ شبيبتك كزهرة الحقل . يبسم لك ثغر الزمان كما تبسم ربّـة النهار للزهرة صباحاً فتنعشها وتدبّ فيها القوة فتنمو ويترقرق فيها مـاء الجمال فتخترق الابصار بباهر روائها . وإنْ هي الَّا هنيهة حتى يتحوَّل ذاك المبسمُ البادي الى جهومة تتناءى منها الابصار !!

فلا تخدعنّك ابتسامةُ الزمان وشِرّةُ الشباب ورخاء العيش . فـلا تعتّم شمس شبيبتك ان تأفل ويُقمر ليل شبابك ولا يبقى لك سوى بقية ذكرى محزنة !!

فان كنتَ احسنت العمل فانت من الرابحين . وان اسأت فعلى نفسك وكنت من الخاسرين . فاعمل لآخرتك كانك راحل غـدًا فالزمان يومان : ماضٍ لا يُردّ . ومستقبل لا يُعرَف له غد . ولا تكن كقومٍ غرَّتهم الفانية . فغفلوا عن الباقية . فرحوا ومرحوا . وتمتّعوا بلذاتهم مليًّا كانهم فيها خالدون . فدرأت عليهم المنون من حيث لا يشعرون . فطفروا ذعرًا وطلبوا مأمناً . فاذا الطرق في وجوههم مسدودة فصرخوا ربَّنا ربَّنا أَجِرنا انك غفور رحيم ! . واذ لم يكن صراخهم محبـةً بالله ولا عن توبةٍ نصوح بـل خوفاً من حرّ نار صَقَر المستعرة وسيف الموت المُصْلَت فوق روؤسهم فاجابهم الحق : « اني لا اعرفكم فطالما نبذتم شريعتي ودستم اوامري وذهبتم وراء شهواتكم وسجدتم لآلهةٍ لم يعرفها اباؤكم . بل تركتموني انا الينبوع الحيّ واحتفرتم لانفسكم آبارًا مشقّقة لا تروي ظمأكم فانتم تموتون بخطاياكم وانا اتمجدُ بهلاككم . ولو بسطتم ايديكم احجب وجهي عنكم لان ايديكم مملوءة من الدماء وقلوبكم نخرة وافكاركم زائغة شريرة . فستُرسلون الى سعيرِ نارٍ لا تطفأ ودودٍ لا يموت . كـذا العُصاةُ والخطأةُ يحطَّمون تحطيماً والذين تركوا الرب يُستأصلون . . . »

فيا ايها الذين زاغوا عن الشريعة . رحمةً بنفوسكم اربأوا بنفوسكم قبل ان يدنو الاجل. وينقطع الامل . فسترون بعد هذه الحياة أيَّ منقلبٍ تنقلبون.. وما الموت ببعيدٍ عنكم . وما الحياة لكم بخالدة . بل هي كبخارٍ يظهر قليلًا ثم يبيد مضمحلًا ....

وحياةُ الدنيا تسمَّى حياةً مثلما تُحسَبُ المجرَّةُ نهرا

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنبيز اليسوعي (تتمَّة)

٣ً الطوائف الحلبية في حلب من السنة ١٦٥٠ الى ١٧٠٠ (تابع)

ظهرت النهضة الكاثوليكية بنوع اجلى في حلب في طائفة الروم الملكيين وقد بيَّنَّا سابقاً ما جرى على يد المرسلين في ايام السيد ملاطيوس كرمه الحموي فلمَّا صار بطريركاً وانتقل الى دمشق ورث عنهُ خلفهُ السيد ملاطيوس زعيم (١٦٣٥—١٦٤٨) ميلهُ الى الكثلكة ورخص للرهبان الفرنسويين ارشاد ابناء طائفتهِ على مقتضى تعاليم الكنيسة الرومانية. وكان لهُ قدوة في البطريرك افتيميوس الصاقزلي (١ الذي كان يجلّ الرهبان اليسوعيين في دمشق ويسلّمهم مدارس طائفتهِ ويرتشد بمشورتهم. وممن وقف نفسهُ على نشر الكثلكة بين روم حلب في ذلك الوقت الارشدياقون ميخائيل بجع تلميذ المرسلين ثمَّ وهبهُ داود اوَّل تلامذة مجمع انتشار الايمان الذي عاد الى الشهباء سنة ١٦٦١ فكلاهما عضد المرسلين في اثبات الحقائق الكاثوليكية ونَفْي ما كان سابقاً من النفور بين الكنيستين ولم تثنِ عزمها الشدائد التي لقياها في سبيل غايتها. وكان السيد مكاريوس زعيم يزيد كل يوم تقرُّباً من الدين الكاثوليكي حتى انهُ جاهر بهِ غير مرَّة لا سيما لما جلس على كرسي بطريركيَّة انطاكية

١) هذا الاسم ورد محرَّفاً باسم افتيشيوس في المقالة السابقة والصواب افتيميوس كما نبَّه اليهِ حضرة الاب المحقّق قسطنطين الباشا في المشرق (٩: ٦٣٢)

من السنة ١٦٤٨ الى ١٦٧٢. ولدينا رسالتهُ التي ارسلها الى الحبر الاعظم على يد القنصل پيكه سنة ١٦٦١ مقرًّا فيها بخضوعهِ التامّ للكرسي الرسولي. وكذلك نُشرت رسالتهُ الى الملك لويس الرابع عشر في الآثار الخطيَّة (١. وبرجوعهِ وُجد في حلب في وقت واحد ثلاثة بطاركة من الكاثوليك الحديثي العهد بالكثلكة اي البطريرك الرومي الملكي مكاريوس المذكور والبطريرك كاتشادور الارمني والبطريرك اندراوس اخيجان السرياني

وتوطّدت الكثلكة في حلب بين الروم الملكيين في الربع الاخير من القرن السابع عشر فان مطروفان وغريغوريوس اسقفي حلب اثنى على ايمانهما المرسلون وقد كتب الثاني رسالةً ضمَّنها خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٦٩٨. وفي ذلك الزمان وقع نزاع بين كيرلس الخامس واثناسيوس الرابع في امر البطريركيَّة وكان الاوَّل قد اختاره الدمشقيون واختار الحلبيون الثاني وكان كلٌّ منهما يتودّد الى المرسلين ويدّعي بصدق الايمان وان ظهر من كليهما ما يوقع الشكّ في صحة نيّتهما. على ان الدين الكاثوليكي زاد انتشارًا وتعرَّق في قلوب كثيرين بهمة الرهبان الفرنسويين. وبذلك تمهد الطريق لطائفة كاثوليكيَّة محضة لا يمتزج فيها زؤان الاضاليل الفوطيوسيَّة. وهو الامر الذي جرى فعلًا بعد ذلك بقليل. وفي سجلّات المرسلين جداول تفصيليَّة تعدّد اسماء المرتدّين من كهنة ومؤمنين يؤخذ منها ان عدد الكاثوليك في حلب اناف على عشرين الفًا في اواخر القرن السابع عشر. كانوا كباكورة ثلاث طوائف كريمة دخلت في حظيرة الكنيسة الرومانيَّة فابهجت بيعة الله بثمارها الصالحة

٤ً الاعمال الرسوليَّة التي قام بها المرسلون من ١٦٥٠ الى ١٧٠٠

عرفتَ من هذا النظر العموميّ السابق كيف مهَّد المرسلون الفرنسويُّون الطريق للطوائف الكاثوليكيَّة المستحدثة في الشهباء وكيف اسبغ الله نعمهُ على مساعيهم واتعابهم . وها نحن نعدّد في هذا الباب الاخير المشروعات التي تولّى

١) اطلب الآثار الخطيَّة (Rabbath: *Documents*, I, 459,473)

ادارتها اولئك المرسلون ليرى القرَّاء انَّهم لم يدَّخروا وسعاً في فلاحة كرم الربّ فلا عجب أن اثمرت اعمالهم من الثمار الخلاصيَّة ما نما وزكا من بعدهم فصارت بهمَّتهم الكنائس الشرقيَّة اشبه بتلك الشجرة الباسقة الافنان المظلِّلة لطيور السماء بعد ان كانت كحبَّة الخردل اصغر من كلّ الحبوب (مرقس ٤ : ٣١)

انَّ امسَّ عملٍ قام بهِ المرسلون عند دخولهم الشهباء ارشاد المؤمنين واثارة عقولهم . وذلك لأنَّ الجهل المطبق لتغلُّب كوارث الزمان كان قد استولى على الاذهان فلم يكد النصارى يعرفون من عقائد الايمان غير القليل الزهيد فاسرع المرسلون بعد أن اقتبسوا كفايتهم من مبادي العربيَّة الى وقف نفوسهم لتعليم الدين فباشروا اوَّلًا بجمع الاحداث ليعلّموهم اصول التعليم المسيحيّ فكان هؤلاء الصغار اذا عادوا الى بيوتهم كرَّروا على مسامع اهلهم ما تعلَّموهُ فارشدوهم الى معرفة دينهم

ثمَّ رأى المرسلون ان يخالطوا الشعب ويفسّروا لهُ العقائد المسيحيَّة ويعدلوا بهِ عن الاضاليل التي كانت نفذت بين العموم بسوء فعل الزمان فجعلوا كلّ ايَّام الآحاد والاعياد يتناوبون في المواعظ والارشادات اوَّلًا في كنيسة الموارنة ثمَّ في كنيسة الارمن والروم فكان الحلبيُّون يتقاطرون الى سماع كلامهم كالعطاش الى ينابيع المياه وكثيرٌ من هذه الاوعاظ والخطب الدينيَّة باقية الى اليوم في مخطوطات توارثها الحلبيُّون ككنز ثمين منها للكرمليين ومنها لليسوعيين او الكبوشيين وقد نُشر بعضها بالطبع بعد ذلك وفي مكتبتنا الشرقيَّة قسمٌ منها في مجلَّدات متقنة الخطّ على ورق صفيق يُعرف بالبَّادي

ولم يكتفِ أُولئك الصيَّادون باقتناص الاسماك الروحيَّة المقبلة اليهم بل اخذوا يجولون في بيوت الخاصَّة والعامَّة ليلقّنوا الفقراء مبادئ الدين والآداب ويهذّبوا النساء اللواتي كنَّ في تلك الازمنة مقصورات في بيوتهنَّ لا يستطعن الخروج منها الَّا مخفورات محصَّنات فيجمعوهنَّ في دار احداهنَّ ويعلّموهنَّ ما يحتجنَ اليه لخلاصهنَّ ولتربية اولادهنَّ

واذ وجد المرسلون اقبالًا من اهل الشهباء على تعاليمهم فكَّروا في نشر العبادات الكاثوليكيَّة بينهم فكان المرسلون الفرنسيسيُّون والكبوشيُّون يحيّون

اليهم اكرام آلام السيّد المسيح ورياضة درب الصليب والكرمليّون يشركونهم بثوب العذراء الطاهرة . امّا اليسوعيّون فانشأوا لهم الاخويّات المريميّة التى كادت تعمّ كلّ ابناء الطوائف الكاثوليكيّة

وكانت تلك الاخويّات تجمع اوّلًا نخبة الكاثوليك دون فرقٍ بين طوائفهم فيقيمون الفرائض التقويّة في كنيسة الارمن ثمّ توفّر عدد الاتقياء حتّى اضطرّ المرسلون الى ان يقسموهم فجعلوا شركةً لكل طائفة تجتمعُ مرّة في كنيسة الطائفة فيتلون فرض السيّدة ويحضرون خطبة المرشد ويتفاوضون في امورهم الروحيّة. والحّ شبّان الموارنة وطلبوا ان تُنشأ لهم اخويّة خاصّة فاجاب الى دعوتهم الاب غيليوم غوده (G. Godet) الذي توفيّ سنة ١٦٥٠ ثمّ اقاموا اخويّة أُخرى للاولاد من كل الطوائف طبعت في قلوبهم حبّ الفضيلة منذ حداثة سنِّهم

وقد أتت كل هذه الاخويات باعمال جليلة كانت من اعظم الوسائل لبثّ روح التُّقى بين اهل حلب. ولدينا السجلّات التي كانوا يدوّنون فيها امور الاخوة ومبرّاتهم من عيادة المرضى وزيارة المحبوسين وتوزيع الحسنات على الفقراء . وكان يتعهّد المشتركون الحياد عن الملاهي ويلزمون لبس الثياب المحتشمة والقيام بفرائض خاصّة من العبادة والاماتات والتقرّب المتواتر من الاسرار

واذ تحقّق المرسلون اليسوعيون ان مثل الفرنج يؤثّر كثيرًا في الشرقيين افرغ الاب جان اميو (J. Amieu) كنانة جهدهِ في نشر الفضائل المسيحيّة بينهم فأنشأ لهم اخويّة خاصّة تجتمع في الخان الفرنساويّ . فما لبثت هذه الجمعيّة ان نمت واتّسعت فدخلها كبار التجار الذين اضحوا قُدوة صالحة لكل اهل حلب فكانوا يثابرون على الاسرار ويتبرّعون بمالهم على ذوي البأساء ويصلحون بين الاعداء ويؤيدون الايمان في قلوب الضعفاء

وممّا ساعد على نموّ اخويّة الفرنج في حلب انما انضوى اليها القنصل فرنسوا بيكه فاظهر من التقى والورع والغيرة المتّقدة في خير القريب ما كان يعزّز الدين الكاثوليكيّ في اعين الجميع وقد اتّفق الاخوة فانتخبوهُ رئيس لشركتهم الصالحة فتمّم واجباتهِ بنشاط لم يعهدوهُ في غيرهِ. وعليهِ لم يشاؤوا ان يقام رئيس آخر بدلًا منه. ولمّا خلفهُ

المسيو فرنسوا بارون في منصبهِ اراد ان يتقفَّى آثار خلفهِ في تقواهُ وطلب مثلهُ ان يُدرَج اسمهُ في عداد الاخوة ·

ثم توفي الاب جان اميو مرشد اخوية الفرنج فتولَّى ادارتها راهب آخر يشبههُ في غيرتهِ وفضلهِ الاب جلبرت ريغو (Gilb. Rigault) الذي بلَّغ الشركة ذروة كمالها حتَّى انَّ اهل حلب كانوا يشيرون بالبنان الى اعضائها ويثنون عليهم اطيب الثناء

وكان المرسلون مع اهتمامهم بالارواح لا تفوتهم الاجساد فكانوا لا يكفُّون في حلب عن مساعدة الفقراء لا سيما اولئك الذين كان الدهر بعد الغنى ورغد العيش اخنى عليهم وألصقهم بالدقعاء فيخجلون من الاستعطاء · فكان المرسلون يقتسمون معهم قوتهم اليومي ويجتنون عليهم قلوب مواطنيهم الفرنج

وقد رأيت في ما سبق انَّ اهتمامهم بالمسقومين والمرضى كان بالغاً جدًّا حتَّى انَّ بعضهم كانوا تفرَّغوا لدرس الطبّ كي يعالجوا الامراض ويلطّفوا اوجاع المسقومين فكانوا اذا خرجوا من اديرتهم تزاحم حولهم الحلبيُّون وطلبوا منهم الادوية لأدوائهم او لعلاج ذويهم

وكان حنانهم على المرضى يزيد خصوصاً لدى فشوّ الطاعون فهذا الوباء كما مرَّ بك كان يتناوب على حلب فيرمي اهلها بسهامهِ القتَّالة اما المرسلون فكانوا يتفانون في علاجهم قدر استطاعتهم ويعرِّضون بنفوسهم الى خطر الموت بطيب القلب حاسبين موتاً كهذا في سبيل القريب شبيهاً بنعمة الاستشهاد

ومن اعمال المرسلين المشكورة في حلب خدمتهم للعبيد · وكان بين هؤلاء قومٌ ممَّن أُسروا في الحرب فبيعوا كالرقيق ومنهم مَن استولى عليهم القرصان في البحر فاستعبدوهم · وكان كثير من اولئك المنكودي الحظّ نصارى في خدمة سادة من غير ملَّتهم لا يسمحون لهم غالباً بان يمارسوا فرائضهم الدينيَّة · فالمرسلون كانوا يهتمُّون بهم ويجتمعون بهم سرًّا ليثبتوهم في ايمانهم او يردُّوهم اليهِ اذا رأوهم جحدوا معتقدهم وقد رووا في رسائلهم اخبار عدد من اولئك العبيد الذين ارشدوهم ثمَّ افتكُّوهم من اسرهم او حملوهم على المجاهرة بدينهم · فنالت بعضهم محن وشدائدُ قاسوها بكل بسالة وصبر جميل · منهم پولونيٌّ اراد سيّدهُ ان يصنع بهِ الفحشاء فلم يجد الشاب وسيلة لأن ينجو من هذا الخطر الَّا بقتل سيّدهِ فحُكم عليهِ

بالموت فمات راضياً مسلّماً امرهُ الى الله في ١٢ شباط سنة ١٦٦٠ فبقي جسمهُ عشرة ايَّام في مكانهِ بلا فساد لم تمسّهُ وحوش الصحراء ولا كواسر الطير بل كانت تفوح منهُ رائحة عطرة حتَّى دفنهُ بعض المسلمين باكرام لما تحقَّقوا من براءتهِ (١

وكما مات هذا الشابّ شهيد عفَّتهِ استشهد غيرهُ حبًّا بايمانهم . منهم داود الحلبيّ الروميّ الذي أسهب معاصروهُ في وصف بسالتهِ وموتهِ الصالح (٢ . وكان هذا متوليًا لجمع الخراج من نصارى حلب فضغن عليهِ احد ابناء ملّتهِ والبسهُ يوماً عمامةً خضراء دون علمهِ ليوهم المسلمين انَّهُ جحد دينهُ فلمَّا علم داود بصحَّة الامر ألقى عنهُ العمامة نافرًا فكان ذلك داعياً الى قتلهِ كأنَّهُ بفعلهِ اهان الدين الاسلاميّ او ارتدَّ عنهُ بعد الاقرار بهِ . وتفاصيل استشهادهِ قد رُويت في ترجمة القنصل پيكه بنوعٍ مؤثّر في القلوب (٣ . ويُخبرَ هناك كيف دخل اليهِ في حبسهِ الراهب الكرمليتانيّ برونو دي سنت ايف (Bruno de S^t Yves) وارشدهُ الى الدين الكاثوليكيّ وشدَّد عزيمتهُ حتَّى مات ميتة الشهداء بعد مقاساتهِ ضروب المحن في حبسهِ . وكانت وفاتهُ السعيدة في ٢٩ تموز سنة ١٦٦٠ وحضر حفلة جنازتهِ ثلاثة بطاركة وخمسة لساقفة وتقسَّم النصارى ذخائرهُ ثمَّ اشتهر بعد موتهِ بعدَّة كرامات وارتدَّ كلّ اهلهِ الى الدين الكاثوليكيّ ودخل حفيدهُ حنَّا بن تدرس في رهبانيَّة الكرمليتان ودُعي باسم داوُد دي سان شرل وصار بعد ذلك اسقفاً وقاصدًا رسوليًا على ازمير (٤

ومنهم ايضاً شهيد آخر ارمنيُّ الملّة كان اسمهُ بأَلي (Baali) فهذا الشابّ كان يتردَّد على المرسلين وكان ينتصر للدين الكاثوليكيّ ويدافع عنهُ بلا خوف ففي بعض الأيَّام اجتمع عليهِ فئة من اشقياء المسلمين الذين اوسعوهُ ضرباً فسبَّ دينهم وكفى ذلك لأن يُرفع امرهُ الى الوالي فحُكم عليهِ بان يُحرق حيًّا في حارة النصارى المعروفة بالجديدة ما لم يرضَ بالاسلام فاجاب الشاب انهُ يفضّل الف موت على جحود دينهِ وسار الى الموت فرحاً متهلّلًا كأنهُ يسير الى عرس وأُلقي في النار مقيَّدًا . فلمَّا

---

١) اطلب الآثار الخطيَّة (Rabbath : *Documents* I, 456)

٢) راجع الآثار المذكورة (Id. I, 457-458)

٣) ترجمة فرنسوا بيكه (Vie de Fr. Picquet, pp. 96-1501)

٤) الآثار الخطيَّة (Documents, II, 6)

احترقت قيودهُ قام يتمشَّى في النار كأنهُ لا يشعر بسعيرها فضربهُ الجلّاد ضربة على رأسهِ كانت هي القاضيـــة وكان استشهادهُ في ١٢ تموز سنة ١٦٩٧ وكرَّمهُ الله بالمعجزات كالشهيد داود السابق ذكرهُ (١

فكلّ هؤلاء شرَّفوا الايمان الكاثوليكيّ بثباتهم وعزّوا قلوب المرسلـين بقدوتهم الصالحة التي قدَّموها لمواطنيهم · ولا غرو ان ترى بعــد ذلك نموّ عدد الكاثوليك في الشهباء حتى انَّهم بلغوا نيفاً وعشرين الفاً في اواخر القرن السابع عشر بعد ان كانوا بضع مئات عند وصول المرسلين سنة ١٦٢٥· وفي الآثار الخطيَّة التي نشرها الاب انطون ربَّاط رسائل جمة تثبت ذلك تفصيلاً واجمالاً (٢

وما كان المرسلون يكتفون بنصارى الكنائس المنفصلة بــل كانوا يشملون بهمَّتهم كلّ الضالّين بــلا تمييز كالبروتستانت المتاجرين في حلب من انكليز وهولنديين (٣ وغيرهم بل رغب اليهم بعض الموحدّين ان يرشدوهم ففعلوا

وكان في حلب قومٌ من اليزيدية عبَدة الشيطان والشمسيَّة عبدة الشمس وبدعة هنديَّة تُدعى بانيان فالمرسلون لم يشاؤوا ان يُحرم هؤلاء من نعمة الايمان فكانوا يزورونهم ويعودون مرضاهم ويسعفونهم في حاجاتهم فاكتسبوا بذلك ثقتهم وبعد حين جعلوا يثبتون لهم بطلان اديانهم وصحّة المعتقــد الكاثوليكيّ · وكان اليسوعيُّون في مقدَّمـــة الذين يهتمون بأُولئك المساكين فبارك الله مساعيهم وردّوا كثيرين منهم الى الدين القويم كمـا روى الاب بسُّون في تاريخهِ وقد توفّق ايضاً الآباء الكرمليُّون الى هداية قوم منهم (٤

وممَّا يعود فضلــهُ الى المرسلين في القرن السابع عشر انَّهم مهَّدوا الطريق في الشهباء المعيشة الرهبانيَّة · فانَّ غوائــل الزمان كانت أنست بين النصارى تلك

---

١) وردت تفاصيل استشهادهِ في سجلّات الآباء الكرمليين في حلب (Documents II, 24-29)

٢) الاثار الخطيَّة (Id. II, 27-29,66,73,86. etc)

٣) الآثار الخطيَّة (Id. II, 6)

٤) اطلب (Besson: *Syrie et Terre Sainte*, 50-52) ثم راجع الآثار الخطيـة (Documents I,400,512)

العيشة الفضلى التي دعا اليها السيّد المسيح النفوس الممتازة بتقاها فالمرسلون الفرنسويون اذ باشروا بزرع الفضائل المسيحيَّة في القلوب ما لبثوا ان وجدوا بين تلاميذهم رجالًا ونساء يتوقون الى الزهد في الدنيا ويرغبون في الانقطاع الى خدمة الله وتضحية نفوسهم في اعمال التنسك فاخذوا يصرفون عنايتهم الى اولئك المتورّعين فكانوا يخصُّونهم بالارشادات التقوية والفرائض النافلة وممارسة الفضائل الرهبانيَّة ريثما يصحّ لهم ان يجمعوهم في اديرة خاصَّة . من الآثار الباقية من ذلك العهد ما رواهُ الاب الكبوشي يستنيان دي طور (١ قال انَّ آباء رهبانيَّتهِ في حلب علَّموا عدَّة بنات من اهلها ان يتبعن قوانين مار فرنسيس وكنَّ يعشن كراهبات في بيوت الخاصَّة وهنَّ يمارسن كلّ فرائض الرواهب لا يخرجن من بيوتهنَّ الَّا لحضور القداس في الكنيسة وكنَّ في العزلة يلبسنَ الثوب الرهبانيّ

وبعد حين اجتمعت بنات غيرهنَّ من الارمن والسريان بلغ عددهن ٢٣ فطلبن من بطريرك السريان اندراوس اخيجان ان يلبسهنَّ الاسكيم الرهبانيَّ فالسيّد الجليل وكل امرهن الى رئيس الكبوشيين الاب جان دي سنت انيان (J-B. de S^t Aignan) فاخذ يرشدهنَّ ويستعين بهنَّ لكل اعمال التقى والصلاح بين نساء حلب (٢

وكما نشأت مذ ذاك الحين الرهبانيَّة بين النساء الصالحات كذلك شعر بعض اتقياء الشبَّان بدعوة الله الى الترهُّب غير ان الامر لم يتسَنَّ لهم الَّا بعد بضع سنوات في العشر الاوَّل من القرن الثامن عشر ومنهم كانت الرهبانيَّات اللبنانيَّة المارونيَّة البلديَّة والملكيَّة الشويريَّة . على انَّ بعض اولئك الشبَّان سبقوهم فانتموا الى رهبانيَّات غربيَّة كالاخ اليَّا الارمني السابق ذكرهُ والاب المكرَّم ابراهيم جرجس المارونيّ اليسوعي الذي مات شهيدًا في مصوَّع سنة ١٦٨٣

ومن الاعمال التي باشرها المرسلون في حلب مدارس الاحداث . وكانت اوَّل مدرسة فتحوها في حي الجديدة في دار كنيسة الروم تولَّى تدبيرها الاب اليسوعي جيروم كويرو (J. Quyrot) سنة ١٦٢٨ فبلغ عدد طلبتها في السنة التالية ٣٠ طالبًا

---

١) اطلب كتابهُ مرسح تركيا (Théâtre de la Turquie, p. 467)

٢) الآثار الخطيَّة (Documents I, 422-423)

كان الاب يعلّمهم العربيّـة والايطاليّة واليونانيّة (٢ . لكنَّ اعداء اليسوعيين اضطرُّوهم الى العدول عن التعليم مدَّة ثمَّ عادوا الى تهذيب الشبيبة بعد خمس سنوات ففتحوا مدرسـة اخرى مختلطة من اولاد كل الطوائف ذكروها مرارًا في رسائلهم . وكذلك الكرمليُّون فتحوا مدرسة علَّم فيهـا الاخ الياس المنتمي الى سيّدة الكرمل وكان هذا حلبيًّا من طائفة الارمن فكان يعلّم العربيّة والايطاليّة لنحو عشرين ولدًا . ومثلهم الكبوشيُّون اداروا مدرسةً للناشئة الحلبيَّة ورد ذكرها في رسالة لوزير ملك فرنسة لويس الرابع عشر (١

ولا شكَّ انَّ هذه المدارس لم تتجاوز في اوَّل امرها مبادئ التعليم اي الكتابة والقراءة في العربيَّة والايطاليَّة والفرنسويَّة مع اصول الدين وقواعد الحساب لكنها كانت نعمةً سابغةً في مدينة كحلب حيث كادت الآداب تُطمَس بعد ازدهارها . فاضحت كفاتحة عصر جديد فلن يمرّ على تلك المكاتب مئة عام حتى تصير الشهباء كمهدٍ للنهضة الادبيَّة بين نصارى الشام فنها تنتشر الى بقيَّة الانحاء .

بل نرى المرسلين يخصُّون قسماً من زمانهم للكتابة والتأليف فكانوا بذلـك قدوةً للطوائف الشرقيَّة . وشرعوا اوَّلا بتصنيف الكتب الدينيَّة كالتعليم المسيحي وكتب الصلوات والتأملات وشرح العقائد الكاثوليكيَّة والدفاع عن الدين القويم وقد اشتهر اليسوعيُّون في ذلك فمذ دخلوا حلب درسوا لغة اهلها واسرعوا الى كتابة التآليف الروحيَّة . منهم الاب حبيب شيزو الذي ألَّف كتباً عديدة ونقل غيرها الى العربيَّة والارمنيَّة والفارسيَّة قيل انَّ عدد مصنفاتهِ او منقولاتهِ بلغ الاربعمائة (٢ . ومثلهُ الاب جان اميو الذي عُني بتأليف كتب دينيَّة في العبـادة الى البتول وفي اكرام القديس يوسف ونقل كتاب الكردينال ريشليو في الكمال المسيحي وزيَّف اضاليل المبتدعين (٣ . وكذلك الاب ميشال نو (M. Nau) لهُ عدَّة تآليف دينيَّـة منها كتاب الدلالة اللامعـة (راجع مقالة حضرة القس جرجس منش ص ٥٢٣) . وصنف الاب بوازو (Boisot) كتباً منها ترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس

١) اطلب الآثار الخطية (Documents I, 380)

٢) الآثار الخطية (Id. I, 52,77,379-381,434,517 etc., II, 65)

٣) الآثار الخطية (Documents I, 53,92-63) ٤) الاثار الخطية (Id. I, 431)

وللكرمليين مآثر دينيّة أُخرى منها ما صنّفهُ مرسلوهم في حلب من التآليف وقد وصف حضرة الاب انستاس الكرملي تلك الآثار في جملة ما عدّدهُ من مصنّفات اخوتهِ في الشرق واضفنا اليها اسماء كتب أُخرى فاتتهُ (المشرق ٩ : ٨٣١—٨٤٤)

ومثلهم الكبوشيّون والفرنسيسيّون ذُكر لهم في تواريخهم مصنّفات عُنوا بوضعها او بنقلها (٣

ولم يقصر المرسلون في حلب عملهم على التآليف الدينيّة بل صنّفوا ايضاً عدّة كتب لغويّة وادبيّة وتاريخيّة وعلميّة منها قاموس اللغة العربيّة للاب شيزو وتعريب غراماطيق الاب ألقارس اللاتينيّ لهُ وقاموس آخر في اربع لغات لهُ وقاموس تركيّ لاتينيّ للاب اميو

ومن الخدم التي ادّاها المرسلون في حلب للعلم انّهم في رسائلهم لرؤسائهم ومواطنيهم كانوا يتّسعون في وصف احوال الشرق عموماً وحلب خصوصاً فتجد هناك كنوزًا من المعلومات لا اثر لها في غيرها من الكتب. فمن ذلك وصف حالة الشهباء وابنيتها الدينيّة والمدنيّة وعادات اهلها ومرافقها وتجارتها وآدابها ونظامها السياسي ووصف مللها المختلفة حتى يستطيع من درس الباقي من تلك الآثار ان يكتب تاريخاً مطوّلًا لحلب وجهاتها منذ اواخر القرن السادس عشر الى يومنا

وكان وزراء فرنسة يكاتبون المرسلين ويطلبون منهم ان يفيدوهم في توسيع نطاق الاعمال بين بلادهم والدولة العليّة. ولمّا ارادوا ان ينشئوا لمكتبتهم الملكيّة فرعاً لمخطوطات الشرق كان المرسلون الفرنسويون في حلب والاستانة وسطاً لتحقيق امانيّهم. ففي رسائل الاب كويرو اليسوعي ما يروي فيها ابتياعهُ لعدّة مخطوطات عربيّة وتركية لمكتبة باريس ومساعدتهُ للمستشرق غوليوس (Golius) الهولندي في اقتناء غيرها لمكتبة ليدن (١

وكان اذا لم يمكنهم ان يبتاعوا تلك الكتب ينقلوها الى الافرنسيّة ويرسلوها

١) اطلب تاريخ الرسالة الكبوشيّة في الشرق للاب هيلار دي برانتون (Hilaire de Barenton, p. 122-124)

٢) اطلب الآثار الخطيّة (Documents I, 404)

الى وزير الدولة كما فعل الاب نو الذي وقف على تاريخ بطاركة انطاكية الملكيين في حلب فارسل ترجمتهُ لوزير الدولة في فرنسة الشهير كولبار (Colbert)

وهذه الحركة العلميَّة امتدَّت بمثال المرسلين الى غيرهم من الاكليروس الحلبيّ كالبطريرك مكاريوس زعيم الشهير بتآليفهِ التاريخيَّة والطقسيَّة (١ والخوري بطرس التولويّ الذي ترجمهُ حضرة القس جرجس منش (٢ وعدَّد تآليفهُ ومنقولاتهِ

وكأنَّ الاعمال السابق ذكرها لم تروِ غليل المرسلين فانَّهم طلبوا حول حلب مدناً وقرًى ينتقلون اليها فيبشِّرون اهلها فمن المدن التي شكرت غيرتهم مدينة الاسكندرونة التي كانوا يتردَّدون اليها من وقت الى آخر فيرشدون اهلها ويوزعون عليها الاسرار المقدَّسة ولا يبالون لِما يلاقونهُ في ربعها من الامراض والحمِّيات. وكانوا اذا وجدوا فيها مركباً راسياً للفرنج زاروهم ودعوهم الى اتمام واجباتهم الدينيَّة. وممَّن امتاز بهذه الاعمال الخيريَّة الابوان شيزو وريغو (٣. وكذلك زاروا اهل كلّس وانشأوا بينهم اخويَّة العذراء. فاخذ عدد الكاثوليك ينمو فيها مذ ذاك الحين. ومن حلب خرج مرسلون آخرون فتقدَّموا الى جهات ما بين النهرين كالاب ميشال نو الذي رحل الى ماردين ليردَّ ما فيها من اليعاقبة. وكبعض الآباء الكبوشيين الذين ذهبوا الى ديار بكر واورفا فزرعوا فيهما بزر الايمان الكاثوليكي

فهذه المشروعات تبيّن علانيةً ما سبقنا وقلناهُ في مقدَّمة كلامنا انَّ حلب كانت في القرن السابع عشر مهد الكثلكة في الشرق وان الفضل في ذلك مرجعهُ الى المرسلين الفرنسويين. وان شاء الله نروي في مقالة أُخرى ما اتوهُ في مطاوي القرن التالي

---

١) الآثار الخطيَّة (Id. I, 48)

٢) اطلب المشرق (٦ : ٧٦٩)

٣) اطلب المشرق (٦ : ٧٦٩-٧٧٧)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ملحق بالقسم الاوّل

(التوحيد بين العرب) وممن فنَّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاتهِ عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١ بهمّة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Doughty) والقنصل الفرنسوي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلّامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كرَّاستهِ عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة كما كانت عند غيرهم من الشعوب فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(عبادة الزُّهرة بين العرب) وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي (ed. Bickell, I. 244-246) في الزُّهَرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم الى دين المسيح

ܒܢܝ̈ ܟܘܟܒܬܐ ܕܒܢ̈ܝ ܗܘܘ   ܥܪ̈ܒܝܐ ܕܒܢ̈ܝ ܗܓܪ
ܘܢܫ̈ܝܗܘܢ ܐܝܟ ܗܠ ܢܫ̈ܐ   ܐܝܬ ܕܙܢ̈ܝܢ ܘܐܝܬ ܕܡܫܢ̈ܝ
ܘܥܡ ܕܐܪܥܐ ܥܪ̈ܒܝܐ   ܗܠ ܡܥܡܠܐ ܕܐܘܡܢܘܬܐ
ܩܪ̈ܝܢ ܠܗ ܒܢܝ ܟܘܟܒܬܐ   ܕܥܒܕܐ ܡܥܡܠܐ ܩܠܝܠܗ
ܒܪ̈ܐ ܠܥܙܐ ܐܠܗܬܗܘܢ   ܘܒܪ̈ܕܝܐ ܠܥܡܠܐ
ܘܢܫ̈ܐ ܕܩܪܒ ܠܗ̇ ܡܘܕܝܐ   ܠܟܘܟܒܬܐ ܠܫܡܫܘܢ ܠܥܡܫܐ

ܠܫܡ̈ܝܢ ܗܢܝܢ ܒܝܬܐ

(١ اطلب مقالاتهِ المنونة (Découvertes épigraphiques en Arabie) نشرها في مجلة الدروس اليهودية (Revue des Études Juives, IX, 1884, p. 1 et 164)

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل ابنـاء هاجر (العرب) تقدّم الذبائح (لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنَّ نساءهم كبقية النساء فمنهنَّ جميـلات ومنهنَّ دميمات . ومنذ اقبلت النساء العربيّات على (عبـادة) شمس البرّ (اي المسيح) فانهنَّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الـذي عبدنَهُ باطلًا. فانّ اولئك الافراد (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناخم (خضعن) للتأديب. والنسـاء اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن معنا بصلاتهنَّ »

(اصنام العرب) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer: *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p. 180) ما حرفهُ عن اصنام العرب قال : .

« وصنفٌ (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبـائل فكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذَيل ويغوث لمذحج ولقبـائل من اليمن ونَسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمذان (لهمْدان) والـلات لثقيف بالطائف والعزَّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل اعظم اصنامهم وكان هُبَـل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ذو الخَلَصة) المرجَّح ان ذا الخلَصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحريّ بيعةً نصرانيَّة لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١) :

« الخلَصَة بيت اصنام لدوس وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة اليمانيَّة التي بناها ابرهة بن الصبَّاح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمَّى الكعبة اليمانيَّة وبيت الحرم الكعبة الشاميَّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيَّة في محلّ آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بدير نجران وعليهِ يجب القول ان القبائل التي كانت تحجُّ اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيَّة

(الذبائح عند العرب) جاء في شرح المفضليات لابن الانبـاري (ed. Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأنَّ اعناقَها انصابُ ترجيب » انَّ العرب « كانوا يذبحون في رجب »

(نصرانية غسّان) يضاف الى مـا ورد هنالك لليعقوبي قولهُ (ج ١ ص ٢٣٣) بعد ذكرهِ لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسّان مملكةً من قبل صاحب الروم » وجعل تنصُّرها على عهد « جفنة بن عليَّة (ثعلبة) بن عمرو ابن عامر » . وكذلك الفيروزابادي في مقدّمـة قاموسهِ قد قال : « انَّ كثيرًا من

ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا وامَّا ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى ٠ وقد افادنا ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حرفهُ قال :

« وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيهِ من شعوب الترك المتنصرة والشركس وارْكس واللاص وكسا ومعهم اخلاط من الفرس واليونان »

(تنصر القيصر فيلبس العربي) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلّ الامبراطرة (القياصرة) في دينهِ بالنصرانية Hic (Philippus-Arabs) primus Imperatorum omnium Christianus fuit (*Paul- Orose, Hist*. VII, c. 20)

(ماوية ملكة غسَّان) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) انَّ الروم لمَّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

(مهاجرة النصارى الى بلاد العرب في اضطهاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « انَّ كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لمَّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن ڤالنس القيصر الروماني « انَّهُ نفى كثيرين من المعترفين بالايمان في الرها الى حدود العرب » Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiæ dispergi jussit (*Theodoret*, H. E. IV. 18)

(اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius : *Anaceph*. n° 12) اساقفةً اقيموا على قُرى العرب (μητροκωμίαι Ἀραβίας)

(فروة صاحب عمان) ومن مدن البلقاء عمان ٠ وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انَّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملًا على عمَّان من

ارض البلقاء وكان نصرانيًّا فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلباً

(الفيلسوف النصراني بنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكليَّة الكاثوليكيَّة (Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329) للمستشرق البلجكيّ نيف (F. Nève) مقالة مسهبة يثبت فيها انَّ الهند المذكورة في تاريخ بنتانوس انَّما هي اليَمن ليس الَّا قال:

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvous entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ».Cfr. aussi *Annales de Philosophie, 3e série*, t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(الرحمان) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريَّة المكتشفة حديثاً ولاسيما في الكتابات النصرانيَّة . اطلب مجلة الاسيويَّة الالمانيَّة (Fell : *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوَّلة في الآثار العربية والسريانيَّة والحبشيَّة المنوطة باخبار اولئك الشهداء للعلّامة الالماني فال (Fell : *Die Christenferfolgung in Südarabien*)

(سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصغاء اليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ . فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة اشارة الى الدعوة النصرانيَّة لدى ذكرهم ذلك النبيّ الذي دعاهم الى الله فقتلوهُ وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهدائها في اليمن . دونك شيئاً من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114):

«كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الّا لمن قد ملّكوه على انفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم اوثان يعبدونها فبعث الله عزَّ وجلَّ اليهم نبيّاً اقام فيهم زمانًا يدعوهم الى الله فكذبوه فاوعدهم وخوَّفهم وحثهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا: آتِنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحاً . . . . فانبثق ذلك السدّ واتى على اهل هاتين المدينتين

(يريد سبأ المنقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . . . فلمّا حلَّ بهم هـذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو وانابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوّاهم وجمع كلمتهم وأيّد امرهم . . »

(كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, *Mss. Arab. Paris*, Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لاحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفهُ :

« حدَّث غسّان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلّى الله عليهِ في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء !) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلّاهُ . وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء . وقد بقي من هذه الكنيسة ضبر شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق العطارين والى درب دمشق . وقد ادركتُ عقوداً كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(النصارى في حضرموت) روى الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ١٨٥٢—١٨٥٦ و ٢٠٠٥ — ٢٠٠٧) ان قسماً من قبيلتي السَّكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(النصرانية في سُقُطرى) وممن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح . وبقيت النصرانية فيها اجيالًا طويلة بعـد الاسلام . قـال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٣٧) : « وظهر المسيح فتنصر مَنْ فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت » . وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ١٠٢) : ان في سُقُطرى « من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثمَّ قال « واما اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47) . وافادنا الرحّالة مركو پولو في اواخر القرن الثالث عشر انَّ سقطرى كانت خاضعـة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة . عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريّة على اهلها . ولمّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلهـا نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثاً عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدّة

(القديس فرنسيس كسفاريوس في سقطرى) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد نزولهِ اليها عند رحلتهِ الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الّا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك. (راجع مقالة مطوّلة الكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو (F. Romanet de Caillaud) في مجلّة الارض المقدَّسة (La Terre Sainte. 1889, pp. 174 et 187) وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس الجديدة للاب برو (A. Brou: *St François Xávier*. I. 120)

(النصرانية في البحرين) ومن المحدثين الذين اشاروا الى تنصُّر عرب البحرين قبل الاسلام الرحَّالة بالغراف (Palgrave) في سفرهِ الى اواسط جزيرة العرب (ج٢ ص ٢٠٢). راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣: ٨٧٣ — ٨٧٤) في ذكر فَرَسان (ص ١٣٧)

(تنصُّر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبريَّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخهِ (ج ١ ص ٨٣٤—٨٣٥):

« وكان من عمَّال سابور بن ازدشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو ابن عدي على فُرَج العرب من ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذٍ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال لهُ امرؤ القيس البدء وهو اوَّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمَّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣: ١٩٩) انَّ امَّ امرئ القيس البدء كانت غسَّانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسَّان

(النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اوَّل من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اوَّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل (كما روى ابن خلدون نفسه)

(تنصُّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء) يزاد الى ما رويناما قالهُ ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299): « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة».

ومن الحيرة كان احد كبار السيَّاح المعروف بمار يوحنَّان (Chabot : *Le livre de la Chasteté.*, p. 28) الذي تنسَّك في جبل الإِزل في دير معرّتا. قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (ܟܬܒܐ ܕܢܟܦܘܬܐ) انهُ «كان من الحيرة عربيّ الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهَّب في دير معرتا وكرَّمهُ الله بعمل المعجزات»

(المنذر والاسقفان اليعقوبيّان) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †556) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ:

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbaram mirabiliter propositionem concludens atque superans, Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

(تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismondi, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنـذر مرض مرضاً شديدًا فشفاه الاسقفـان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال: «وكان الحسن اشدّهم تمسكاً بالنصرانية وكان لا يمنع تقدُّم المساكين اليهِ اذا دخل البيعة»

(النصرانية في المدينة) ومن الآثار المنبئة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلْع فنُسب اليه دير سَلع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٤٨٨) وذكر في تاج العروس (٤ : ١٧٣) له ابنةً تدعى شموساً

(الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في وصف يوم الغبيط (٣ : ٨٨) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر: استأسر لي. . .

فناداه بسطام : ان كررتَ فانا حنيف . وكان بسطام نصرانيًّا »

(نصرانيَّة بهراء) شهد على نصرانيتها ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨) قال « انَّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام »

(محمّدان نصرانيَّان في الجاهليَّة يضافان الى محمَّد بن مجاشع اسقف تميم) هما محمد ابن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصرًا لامرئ القيس وهو الذي سمَّاه امرؤ القيس بالشويعر . امَّا محمد بن خزاعي فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(وصية الحوث بن كعب) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها . ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتها العلامة غولتسير (Goldziehr) في كتابهِ (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انهُ على دين شُعيب » وروايتنا هي الاصحّ كما يلوح من القرائن . وقد روى ايضاً غولتسير « أُسيَد بن خزيمة » بدلًا من « اسد »

(نصرانيَّة بني حنيفة) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to X^y*, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية (ص ٤٣١)

(نصرانيَّة خثعم) قد ذهلنا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم . وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣) :

« وكان بنو عبد المدان بنوهُ مربَّعًا مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعًا عن الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة »

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم . وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن انمار بن نزار بن معد بن عدنان . وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(اديرة لبني طيّ) والى طيّ يُنسب دير سِلسلة الـذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيّ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حُرَقة ودير امّ عمرو

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١١ الموصل

كان اوّل فكرنا بعد حلولنا في دير الآباء الدومنيكيين الاجلّاء ان نشكر الله الذي اوصلنا سالمين الى الموصل وزاد شكرنا لعزّته تعالى انّنا علمنا وقتئذٍ شيئاً من الاهوال التي حاقت بجهات ديار بكر وما بين النهرين حيث كنّا سائرين مطمئنين والدماء تسيل حولنا ونحن لا ندري

وبعد اتمامنا الفرائض الدينيّة اجتمعنا بآباء الدير وتبادلنا مليًّا عبارات الاخاء والوداد ثمّ زرنا معاهد مقامهم وما يلحق بهِ من الابنية المجاورة كالمطبعة والمدارس ولا سيما المدرسة الاكليريكيّة التي يديرها الآباء بكل اهتمام

وبُعَيد الظهر اسرعنا الى تقدمة واجبات الوقار والاكرام لغبطة السيّدين البطريركين جرجس عبد يشوع خيّاط بطريرك الكلدان على بابل واغناطيوس بهنام بنيّ بطريرك انطاكية على السريان فتشرّفنا بلثم راحاتهما والتماس بركتهما وكان استقبال غبطتهما لنا كاستقبال اعطف الآباء بل تلطّف كلاهما ودعانا الى مأدبة فاخرة مع حضرة رئيس الآباء الدومنيكان فكاد هذا اللطف يخجلنا لولا علمنا بانّ السيّدين الجليلين (طيّب الله ضريحهما) ارادا ان يكرما في شخصنا الحقير الرهبانيَّة اليسوعيَّة فشكرنا لهما تعطّفهما باسم حضرة رئيسنا العام

وكذلك حظينا بشرف المثول لدى سيادة المطران يوسف اليّا خيّاط الكلداني اسقف العمّاديّة والمطران بولس دانيال السرياني اسقف دارا شرفاً . وكان سيادة القاصد الرسوليّ على ما بين النهرين وكردستان السيّد هنري التاير وقتئذٍ غائباً من

الموصل فقدّمنا لوكيلهِ حضرة الاب اغوسطين صائغ مراسيم التجلّة ودرنا بصحبتهِ في انحاء دار القصادة التي وجدناها جديرة بمقام ممثّل الكرسي الرسولي. ورأينا في الديوان صور القصّاد السابقين وفي جملتهم سيادة القاصد مبارك بلنشه الذي خلّد لهُ ذكرًا طيّباً في الموصل باعمالهِ المبرورة . ورأينا في الموصل شيوخاً يثنون على مشروعاتهِ ويذكرونهُ بالخير مع الآباء يوسف لابورد ولويس كانوتي وبولس ريكادونا ومنصور (مكسيمليان) ريلُو ولكلّهم مآثر خلّفوها في حاضرة كردستان. ولمّا اتموا المهمّة التي عُهدت اليهم عادوا الى الشام بعد ان سلّموا تلك الرسالة الى حضرة الآباء الدومنيكيين الفرنسويين بدلًا من الايطاليين الذين تولّوا تدبيرها سابقاً

الموْصل من المدن المنشأة في عهد الدولة الاشكانيّة كما هو مرجَّح وقيل قبلها فخلفت مدينة نينوى التي كانت واقعةً على ضفة دجلة اليسرى فبُنيت الموصل على ضفّة هذا النهر اليمنى وانّما اختلفوا في تسميتها بالموْصل وقد وصفها ياقوت الحموي في زمانه فقال واحسن (معجم البلدان ٤ : ٦٨٢—٦٨٣)

«الموصل المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظر كبرًا وعظماً وكثرة خَلْق وسعة رُقْعة فهي محطّ رحال الركبان ومنها يُقصَد الى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يُقصَد الى اذربيجان. وكثيرًا ما سمعتُ انّ بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لانّها باب الشرق ودمشق لانّها باب الغرب والموصل لانّ القاصد الى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها. قالوا سُمّيت بالموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سِنْجار والحديثة وقيل بل الملك الذي احدثها كان يسمّى الموصل (كذا !). وهي مدينة قديمة الاسّ على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقيّ نينوى . . . قال حمزة: كان اسم الموصل في ايّام الفرس نوادرشير او بوادرشير بالنون او الباء ثمّ كان اوّل من عظّمها والحقها بالامصار العظام وجعل لها ديوانًا برأسهِ ونصب عليها جسرًا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمّد بن مروان بن الحكَم آخر ملوك بني اميّة المعروف بمروان الحمار والجعديّ. وكان لها ولاية ورساتيق وخراج مبلغهُ اربعة آلاف الف درهم والآن فقد عمّرت وتضاعف خراجها وكثر دخلها . . . وكثيرًا ما وجدتُ العلماء يذكرون في كتبهم انّ الغريب اذا اقام في الموصل سنةً تبيَّن في بدنهِ فضل قوّة . . . وما نعلم لذلك سبباً الّا صحّة هواء الموصل وعذوبة مائها . . . وليس للموصل عيب الّا قلّة بساتينها وعدم جريان الماء في رساتيقها وشدّة حرّها في الصيف وعظم بردها في الشتاء. فامّا ابنيتهم فهي حسنة جيّدة وثيقة بهيّة المنظر لانّها تُبنى بالنورة والرخام ودورهم كلها ازاج وسراديب مبنيّة ولا يكادون يستعملون الخشب في سقوفهم البتّة وقلّ ما عُدم شيءٌ من الخير في بلد من البلدان الّا ووُجد فيها . . .»

فترى من هذا الوصف ما كانت عليهِ الموصل في القرون الوسطى بهمَّـة ملوكها بني حمدان التغلبيين ثمَّ توالت عليها الدول الاسلاميَّة من بني عُقَيل ثمَّ بني مروان ثمَّ السلجوقيين ثمَّ الايوبيين الى أن تغلَّب عليها المغول وخلفهم التركمان والعجم فنازعهم في ملكها بنو عثمان وولَّوا عليها الآغوات الذين اذاقوا اهلها امرَّ الشدائد فأنقذهم منها في اواسط القرن الماضي محمَّد باشا واليها بعـد انتصارهِ على اولئك المستبدين الظالمين وتعميمهِ للامن والعدل فلمَّا مات بكاهُ الجميع كأعزّ الاصدقاء

والموصل اليوم لا تشبه في شيء الوصف الذي وصفهُ بهـا ياقوت فترى ازقَّتها ضيّقة وسخةً وبيوتها متراكمة بلا هندسة ولا نظام لا يزينها شيءٌ من النوافذ الواسعة والطنف الجميلة فيضيق الصدر بسكناها

على انَّ بعض الاجانب والمثرين من اهلهـا اخذوا منذ بضع سنوات يبنون البيوت الرحبة والدور المتقنة الهندام والابنية العموميَّة المستطرفة كالمجلس والثكنة العسكريَّة ودار الولاية وبعض الكنائس والجوامع ومنازل الخاصَّة

امَّا الآثار القديمة فلم يبق منها الَّا القليل فمن جملتهـا بعض الخانات والمساجد والكنائس اخصُّها كنيسة الكلدان المعروفة بمسكيتا وبعض كنائس السريان واليعاقبة

والموصل يبلغ عدد اهلها اليوم نحو ٨٠,٠٠٠ نسمة ثلثاهم مسلمون وهم من بقايا القبائل العربيّة القديمة والثلث الآخر من بقيَّة الامم والطوائف بينهم ١٠,٠٠٠ من كاثوليك الكلدان والسريان والارمن والباقون يعاقبة وبروتستانت ويهود

وموقع الموصل على ربوة لا تعلو فوق سطح مياه البحر الَّا ١٠٦ امتار فيقوى فيها الحرّ حتى يبلغ في الصيف ٤٥° من المقياس المئوي بـل يتجاوزها الى الدرجة الخمسين والمدينة مع ذلك طيبة الهواء . وفي لغة اهلها مسحة من لغـة الاعراب ولاسيما في سنجقيها كركوك والسليمانيَّة وباديَتها

وكانت الموصل سابقاً مشهورة بمنسوجاتها وباسمها شاعت في اوربَّة الموصليَّات (mousselines) من الانسجة القطنيَّة الرقيقة الصنع مع متانتها . وكذلك بقيَّة صنائعها فكان اهلهـا يصطنعون الحليّ والمصاغات والاسلحة والطنافس . وكان في ولاية الموصل معادن يُستخرج منها الذهب والفضَّـة والنحاس لكنَّها أُهملت بعد ذلك لقلَّة الوسائط لاستثمارها . وهناك ايضاً مناجم من الفحم الحجريّ ومن

الكبريت ومنابع القير والنفط والملح المعدني وكلّها كثيرة الجدوى طائلة الارباح لولا انّ الحكومة لم تنشط الجمعيّات المنعقدة لترويجها ٠ وكذلك تكثر فيها المياه المعدنيَّة التي تصلح لعلاج بعض الامراض شرباً او استحماماً

وولاية الموصل غنيَّة ايضاً بمحصولاتها الزراعيّة فانَّ تربتها من اجود الترب لا سيما اذا حُفرت فيها القنيّ لريّها كما فعل البابليّون والعجم ٠ وغلّاتها وافرة تكفي لاهلها وتزيد عنهم كثيراً ٠ وفي مفاوزها سائمة المواشي التي يرعاها الاكراد والعربان ويصدر منها الالوف المؤلفة الى البلاد الاجنبية وتُتَّخذ جلودها واصوافها فتُدبغ وتُصبغ ويستحضر منها ضروب الاكسية ٠ وهناك ايضاً وحوش ضارية ذكرها الاقدمون كالاسد والنمر والببر والنعامة لكنها اليوم قد بادت منها وبقي في بواديها الضباع والذئاب والدبب والثعالب والوعول والايائل

وهذه الولاية اغنى من سواها بالحفريّات القديمة ومنها استخرج ارباب العاديّات كنوزاً من الآثار التي تزدان بها متاحف اوربّة ٠ كفي منها بذكر نينوى التي تُرى بازاء الموصل فانَّ الحفريّات التي اجراها هناك كبار الاثريين كالمسيو بوتا (Botta) ولايار (Layard) ففي قسمها المعروف بكوينجيك اكتُشف قصر ملوك نينوى الذي رمَّمهُ سنحاريب بن سرغون ٠ ثمّ عقبهما المسيو لفتوس (Loftus) ورسام (Rassam) فاكتشفا قصرين آخرين فخيمين قصر اسارحدُّون بن سنحاريب وقصر اشوربنيبال بن اسارحدون ووجدت هناك كتابات اشورية على الآجرّ في عدد ٢٠,٠٠٠ قطعة نصفها اليوم في متحف لندن البريطانيّ ٠ ولما توفّق المستشرقون الى حلّ لغز الكتابة الاشوريّة انفتح امام العلماء عالم جديد وعرفوا من اخبار قدماء الامم الراقية الى مهد البشريّة ما كانت طمستهُ كوارث الحدثان وبقي دفيناً في قلب الارض

وعلى هذه الاطلال قائم في عهدنا المشهد المعروف بنبي يونس فيزعم اهل الموصل انَّ يونان النبي بعد انذارهِ سكّان نينوى وردّ غضب الله عنهم لحسن توبتهم توفي وقُبر هناك ٠ وصوم نينوى الجاري في كنائس الشرق منسوب الى تلك الواقعة

امّا حالة الموصل الادبيّة فكانت قديماً حسنةً يشهد عليها العدد العديد ممَّن خرجوا منها فخدموا العلوم والآداب منهم نصارى كتوما المرغاوي النسطوري

مؤلف تاريخ الولاة بالكلدانيَّة واسحاق النينوي صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة المتعدّدة وحنَّا الحادياني احد اساتذة مدرسة نصيبين وغيرهم . ومنهم مسلمون كبني الاثير وكانوا ثلاثة اخوة اشتهروا كلهم بالتأليف فواحد منهم مؤرخ شهير اسمهُ عزّ الدين علي والآخر اديب فاضل يدعى بضياء الدين محمد والثالث برز باللغة وعلوم الدين يُسمَّى مجد الدين مباركاً اصلهم من الجزيرة وانتقلوا الى الموصل . ومن الموصل كان ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان . وبهاء الدين بن شدَّاد كاتب صلاح الدين الأيوبيّ ومترجم سيرتهِ . وابراهيم الموصلي وابنهُ اسحاق نديما هارون الرشيد الشهيران بفنّ الغناء والموسيقى

اما الآداب في الموصل الحاضرة فانَّها كانت في منتصف القرن السابق بلغت الغاية من التقهقر والانحطاط . فلمَّا احتلَّها المرسلون الدومنيكيُّون الفرنسويون واستقرَّ فيها قدمهم صرفوا جلَّ عنايتهم في تهذيب الاحداث ففتحوا المدارس التي تُعدّ اليوم في مقدّمة دور التعليم في تلك الجهات . وللآباء المرسلين ما عدا مدرستهم الكبرى التي يدرّسون فيها العلوم الثانويَّة مدرسة اكليريكيَّة انشأوها سنة ١٨٨٢ لتثقيف المترشحين للدعوة الكهنوتية من سريان وكلدان تخرَّج فيها عدَّة كهنة فضلاء ثمَّ مدارس ابتدائية ومياتم . وتساعدهم في تعليم الاناث راهبات من الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الثالثة يُعرفنَ براهبات التقدمة (Sœurs de la Présentation de Tours) يتولينَ تدبير مدارس البنات وعدَّة اعمال خيريَّة منها ميتمٌ للصغار ومستشفى للمرضى ودار للقطاء

وقد اقتدى بالمرسلين ارباب الطوائف الكاثوليكية ففتحوا ايضاً المدارس لتهذيب احداث مللهم واخصّ هذه المدارس مدرسة اكليريكية للكلدان رقيت بعد نموها بهمَّة غبطة البطريرك الحالي عمانويل يوسف توما

وللمسلمين ايضاً في الموصل مدارس ابتدائية لاحقة بالجوامع . كما ان الحكومة تدير فيها مدرسة رشديَّة

اما الطباعة الموصليَّة فانَّنا قد سطرنا تاريخها في السنة ١٩٠٣ وهي الخامسة من المشرق (٥ : ٤٢٢ و ٨٤٠) وبيَّنا فضل مطبعة الآباء الدومنيكيين وما ادَّتهُ من الخدم المتعدّدة للدين والآداب في العراق وما بين النهرين في العربيَّة والكلدانيَّة

والسريانيَّة والتركيَّة والفرنسويَّة . وكذلك ذكرنا المطبعة الكلدانية ومطبعة الحكومة

وقد اجتمعنا مدَّة اقامتنا في الحدباء باماثلها المعروفين بتضلُّعهم في العلوم والآداب لا سيما غبطة بطريرك الكلدان الشهير بطول باعهِ في اللغتين الكلدانيَّة والعربيَّة مع ما لهُ فيهما من المآثر وقد اطلعنا غبطتهُ على ما في القلاّية البطريركية من المخطوطات وكثيرًا ما كان ارسل للمستشرقين الاوربيين من التآليف العزيزة الوجود فنشروها بالطبع

وكذلك زرنا بعض شيوخ المسلمين المشار اليهم لمعارفهم الادبيَّة وبواسطتهم وقفنا على ما في بعض الجوامع من المخطوطات القديمة بل امكنَّا ان نحصّل عند بعض الباعة قسماً صالحاً من التآليف الخطيَّة المحفوظة اليوم في خزانة مكتبتنا الشرقيَّة بعضها ادبيَّة وشعريَّة وبعضها تاريخيَّة ودينيَّة لكتبة نصارى ومسلمين

ومع اهتمامنا بالتقاط تلك الآثار ودرس تاريخ الموصل الادبي رأينا من الأَولى ان نحيط علماً بدين اهلها الكاثوليك

كانت الكثلكة بعد انتشار البدعتين النسطوريَّة واليعقوبيَّة في بلاد العراق والجزيرة اضحت في حالة حرجة لبعد تلك الاقطار عن مركز الوحدة وعناية خلفاء هامة الرسل . لكن ارباب تلك الكنائس منذ القرن الثالث عشر اخذوا يوجهون انظارهم الى امّ المدائن ويرسلون صورة ايمانهم للاحبار الرومانيين كسبريشوع الخامس ويابالاها الثالث طالبين من الكرسيّ الرسول الشركة معهُ بالمعتقد الى ان قام يوحنَّا سولاقا في اواسط القرن السادس عشر ثمَّ كثير من اخلافهِ . وقد عدَّد سيادة المطران بطرس عزيز تلك المساعي الصالحة للتقرُّب من الكنيسة الرومانيَّة في مقالة مستجادة نشرها في السنة الخامسة من المشرق ١٩٠٢ (٥ : ١١١٥) يتَّضح منها فضل اهل الموصل في ارتدادهم الى الكنيسة المقدَّسة

وكذلك السريان اليعاقبة في الموصل ادركوا ضلالهم من وقت الى آخر فسعوا في الرجوع الى حظيرة الايمان الصحيح كالمفريان اغناطيوس داود الحيشوميّ الموصلي في القرن الثالث عشر الذين جاهر بخضوعهِ للكرسيّ مع المفريان باسيليوس يوحنَّا بن المعدنيّ ومثلهما في القرن الرابع عشر المفريان غريغوريوس متّى حنُّو الموصليّ (١٣١٧ – ١٣٤٥) ثمَّ المفريان باسيليوس بهنام الحدليّ الذي حضر سفيرهُ الى رومية فقرَّر

باسمهِ خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٤٤٤ . وكذلك المفريانان باسيليوس نعمة الله اصفر وابن اخيهِ باسيليوس بطرس اصفر وكلاهما في القرن السادس عشر تردَّد في الرجوع الى الكثلكة وتقلَّبا مع الريح

على انَّ هذه الارتدادات بقيت متذبذبةً متقطعة فلم تثبت حتى قدم المرسلون الكبُّوشيون الفرنسويون الى الموصل في اواسط القرن السابع عشر فكان دخولهم فيها في اواخر سنة ١٦٣٧ فاخذوا هناك يفلحون كَرم الربّ بكل نشاط وداوموا على ذلك نحو مئة سنة وبهمّتهم ارتدَّ قوم من النساطرة واليعاقبة الى حجر الكنيسة منهم المفريان طيموثاوس عبد الجليل الذي انضمَّ بارشادهم الى الايمان سنة ١٦٣٧ . ومنهم المفريان باسيليوس اسحق بن جُبَير الذي دوَّن ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦) سنة ١٩٠٨ حضرة القس اسحاق ارملة ومنهم ايضاً القس خدر الكلداني الذي نشرنا رحلتهُ من الموصل الى رومية سنة ١٩١٠ في المشرق (١٣ : ٥٨١ الخ)

ولمَّا اضطرَّت الاحوال الآباء الكبُّوشيين ان يبارحوا الموصل خلفهم فيها سنة ١٧٥٠ الآباء الدومنيكيُّون بامر الكرسيّ الرسوليّ وباغراء القس خدر السابق ذكرهُ وكان اصلهم من الطليان واوَّلهم الابوان طورياني (Turriani) وكوديلنشيني (Codeleoncini) وصلا الى الموصل في ايَّام مضطربة جدًّا فانَّهما وجدا عبَّاس الثاني شاه العجم وبعض الاغاوات المستبدين يتنازعون ملكها على انهما لم ييأسا بل اخذا يتعلَّمان لغة البلاد وتودَّدا الى الاهلين بل الى الحكام والامراء بتطبيب مرضاهم ومعالجة اسقامهم ففتحا لهما بالطبّ طريقاً الى القلوب ثمَّ خلفهما غيرهما فاشتهر منهم الآباء لانتزا (Lanza) الذي تعيَّن مدَّة كقاصد رسولي في بلاد الشام وصولديني (Soldini) وغارزوني (Garzoni) ولكلهم مآثر مشكورة اخصُّها هداية بعض القرى المجاورة للموصل كالقوش وبطنايا وتلّ اسقف وتلّ كيف وهم اوَّل من طاف جبال النساطرة وكردستان فكانوا ممَّن زرعوا بالدموع ليحصد بعدهم خلَفُهم بالترنيم . على انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اخذت تتوطَّد شيئاً فشيئاً في القلوب فكانت الموصل بعد حلب المهد الثاني للكثلكة في الشرق . واليوم تراها زاهيةً زاهرةً يثني المرسلون على تُقى اهلها . وقد جمعوا قواهم الى مساعي الاكليروس الشرقيّ لردّ ما بقي هناك من المنفصلين عن كنيسة المسيح لاسيا النساطرة الذين في هذه السنين

الاخيرة اقلعوا عن اضاليلهم ليعترفوا بالايمان المستقيم ولفيف الكهنة يتنافسون في عمل الخير تحت نظارة رُعاتهم الغيورين . فللكلدان خورنيَّتان كبيرتان وعدَّة كنائس اقدمُها كنيستهم الكاتدرائيَّة على اسم الشهيدة مسكينـة او مسكيتا ثمَّ كنيسة مار ايشوعياب وكنيسة العذراء الطاهرة عـلى ضفَّة دجلة ومصلَّيات عديدة وديران على اسم مار ميخائيل ومار ايليا الحِيريّ غربيّ الموصل وجنوبها . قيل انَّ عدد الكلدان في هذه الابرشية البطريركيَّة وحدها مع القرى الكاثوليكيَّة المجاورة لا يقـلّ عن ٢٥,٠٠٠ . وكذلك للسريان الكاثوليك ثلث كنائس : الطاهرة ومار آحوداما ومار توما ولهم قريباً من الموصل دير شهير تجري فيهِ عدَّه كرامات على اسم الشهيد مار بهنام . وهم اليوم في ولاية الموصل نحو ١٠,٠٠٠ وقـد اشتهر بينهم رجال افاضل تشرَّفت بهم ملَّتهم كالطيِّب الذكر البطريرك انطون سمحيري والكثير المآثر السيّد اقليميس يوسف داود وغبطة بطريركهم الحاليّ الذي احرز لهُ بمصنَّفاتهِ الذكر الجميل بين علماء عصرهِ

هذا بعض ما قرَّ بهِ نظرنا مدَّة اقامتنـا في الموصل وكان بودّنا ان نتجوَّل في ارباض المدينة ونتفقَّد اديرتها ومزاراتها لولا قصر وقتنـا واضطرارنا بمواصلة سيرنا الى بغداد (لهُ بقيَّة)

وزن فَعُّول في العربيَّة

نبذة لغوية للاب لويس رنزڤال اليسوعي

انَّ كتب اللغة في العربيَّة مع سعتها وضخم احجامهـا لا تزال مخلَّة في اشياء كثيرة لم ينتبه اليها ائمَّتهم او اشاروا اليهـا اشارةً خفيفة لا تكاد تفي بالمقصود . فينبغي علينا الشكر للمستشرقين الذين لا يدعون باباً الَّا طرقوهُ وحجاباً الَّا مزَّقوهُ فمن جملة تلك الابحاث درسهم للاوزان العربيَّة من اسماء وافعال فانَّهم اتَّسعوا فيها وقابلوها باوزان اللغات الساميَّة الشقيقات فاستفادوا من هذه المقابلة فوائد جمَّة لبيان اصل تلك الاوزان وتركيبها واغراضها . فممَّـا نشروهُ منذ عهد قريب كتاب

للدكتور كرل بروكلمان (١ قابل فيهِ بين اوزان الاسماء والافعال في العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة والحبشيَّة واللهجات القريبة منها . واخصّ منهُ كتاب للمعلّم بَرْث في اوزان الاسماء في اللغات الساميَّة (٢

فمن جملة ما اورداهُ هناك وزن « فَعُّول » بفتح الاوَّل وتشديد الثاني المضموم ذكرا منهُ بعض الامثلة العربيّة من اوصاف وموصوفات وعرضاهُ على شبههِ في اللغات السامية الاخرى كالعبرانيَّة والسريانيَّة والحبشيَّة وكان سبقهما الى ذلك بعض المستشرقين كالاستاذ فيشر (A. Fischer) في المجلَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, LVIII (1904), p. 875-876) والاستاذ پريتوريوس (Prætorius) فيها (Ibid. LVII, 776) وڤولرس (Vollers) ونالينو (Nallino) فذكروا هذا الوزن في الاعلام العربيَّة ورأوا انَّ معناهُ التعطف والتودّد فسّموا بهِ هذا الوزن « caritatif »

على انَّنا رأينا كلامهم بهذا الصدد غير مستوفٍ فأحببنا ان نعود الى ذاك البحث فنعرض على اللغويين ملحوظاتنا فنذكر اوَّلًا شيوع هذا الوزن ثانياً معانيهُ ثالثاً تركيبهُ ورابعاً اصلهُ

١ شيوع وزن فَعُّول

ان وزن فَعُّول شائع في العربية في عدَّة موصوفات كبلُّوط وتنُّور وذَرُّوح (سمّ) وزَقُّوم (شجرة) وسَمُّور (حيوان) وشَبُّوط (سمكة) وعَجُّور وفَرُّوج وقَدُّوم وقَعُّور (بئر عميقة)

وجاء ايضاً في الاوصاف لكنَّهُ نادر ومنهُ درهم سَتُّوق اي زائف . واجازوا قَدُّوس وسَبُّوح بالفتح وان كان ضمّ الاوَّل اشيع . جاء في تاج العروس في مادَّة « سبح » ما حرفهُ :

« سُبُّوح وقُدُّوس والضمّ فيهما ويفتحان عن كُراع من صفاتهِ تعالى لانهُ يسبّح ويقدّس كذا في المحكم . . . قال ابو اسحق : السُّبُّوح الذي يتنزَّه من كلّ سوء والقُدُّوس المبارك

---

١) وهو في قسمين ضخمين واسمهُ بالالمانيَّة (C. Brockelmann : *Vergleich. Grammatik d. semit. Sprachen*)

٢) واسمهُ (J. Barth : *Die Nominalbildung in d. semit. Sprachen*)

والطاهر. قال اللحياني: المُجمَع عليهِ فيهما الضمّ (قال) فان فتحتهُ فجائز. وقال ثعلب: كلّ اسم على فَعُّول فهو مفتوح الأوَّل الّا السُّبُّوح والقُدُّوس فانَّ الضمّ فيهما اكثر وكذلك الذُّرُّوح كذا في الصحاح. وقال الشيخ ابو حيَّان في ارتشاف الضرب نقلًا عن سيبويه: ليس في كلام العرب فعُّول صفةً غير سُبُّوح وقُدُّوس واثبتَ فيهِ بعضهم ذُرُّوحًا فيكون اسمًا ومثلهُ قال القزَّاز في جامعهِ. قال شيخنا: ولكن حكى الفهريّ عن اللحيانيّ في نوادرهِ انهُ يقال: دِرْهم سَتُّوق وشَبُّوط لضرب من السمك وفرُّوج لواحد الفراريج. وحكوا ايضًا اللغتين في سُفُّود وكُلُّوب انتهى. وقال الازهريّ: وسائر الاسماء تجيء على فَعُّول مثل سَفُّود وقَفُّور وقَبُّور وما اشبهها والفتح فيها اقيس والضمّ اكثر استعمالًا »

واكثر ورود هذا الوزن في الاعلام ولا سيما الاعلام الشائعة على السنة الجمهور فانَّها كثيرة تنيف على المئــة كحَمُّود وسَلُّوم وشَكُّور وصَرُّوف وفَضُّول وهلمَّ جرًّا

ووزن فَعُّول في الاعلام يشترك بين المذكَّر والمؤنَّث فالمذكَّر كما مرَّ والمؤنَّث كأمُّون (امينة) ورَجُّون (ريجينا) وزَنُّوب (زينب) وغير ذلك

وربَّما اتى وزن فَعُّول بالتــاء المقصورة على وزن فَعُّولة فيقولون في الموصوف كَمُّونَة لواحدة الكمُّون. ويقولون في الوصف حَمُّوقة للكثير الحمق. ويقولون في الاعلام قَدُّورة وبَدُّورة (مذكَّران) وحَبُّوبة وزَنُّوبة (مؤنثان)

٢ معنى وزن فعُّول

انَّ المستشرقين السابق ذكرهم قد نظموا وزن فَعُّول في جملة الاوزان الدَّالة على التعطُّف والتودُّد بيد ان كلامهم في هذا الصدد لا يفي بالمرام فانَّ لهذا الوزن على ما نرى معانيَ شتَّى على صورتهِ المذكَّرة والمؤنثة: اوَّلها المبالغة كما في قولك عَبُّود عَلَم للكثير العبادة وقَعُّور للبئر البالغة القعر وحَمُّوقة للرجل المتناهي في الحمق وحَبُّوبة للمرأة البليغ حبُّها في القلوب

ثانيها اقتصار اللفظ ونَحْتهُ فقالوا: جَبُّور ومَخُّول ورَفُّول بدلًا من جبرائيل وميخائيل ورفائيل وطَنُّوس عوض انطونيوس وعَمُّوس نحتوهُ من عبد المسيح

ثالثها التودُّد والتعطُّف كحَنُّون وجَمُّول وزَنُّوب ونَسُّوم (اعلام)

رابعها التصغير كمَرُّوم (مريم) وسَتُّوت (من ست او سيــدة) ونَجُّوم (من نجمة)

خامسها اللَّقب مع اشارة الى بعض الموصوفات كدَبُّوس وجَرُّوس وشَحُّود وكَبُّوش و قدُّوم وقَمُّور كلها من الاعلام

٣ تركيب وزن فَعُّول

يركَّب هذا الوزن بالعدول عن اوزان اخرى قريبة منهُ كما قالوا عُمَر في عامِر . فنقلوا الى فَعُّول وزن فاعِل (باسل بَسُّول . مَالك مَلُّوك . جَابِر جَبُّور . كامِل كَمُّول) ووزن فَاعلة (فاطِمة فَطُّوم. عائِشَة عَيُّوش) ووزن فَعْلَل او فَيْعَل (زَيْنَب زَنُّوب . زَيْنة زَيُّون . مَرْيَم مَرُّوم . صَيْرَف صَرُّوف) ووزن فَعِيل وفَعِيلة (سَليم سَلُّوم . فَصيح فَصُّوح. أمِينَة أَمُّون. وشَفيقة شَفُّوق. بديعة بدُّوع) والأَوزان فَعْل فِعْل فُعْل فَعَل الخ (بَدْر بَدُّور وبَدُّورة. هِنْد هَنُّود . نِمْر نَمُّور. حَسَن حَسُّون. نَحْل نَحُّول . لَحْد لَحُّود . كُحْل كَحُّول) . ووزن فَعْلَى (سَعْدَى سَعُّود)

وربَّما ركَّبوا هذا الوزن من اسماء دخيلة او اعجميَّة فقالوا من ميخائيل مَخُّول . ومن زَكَريــا زَكُّور . ومنْ انطونيوس طَنُّوس . ومن سيسيليا سَسُّول . ومن كاترينا كَتُّور . ومن مارينا مَرُّون . ومن هَيلانة هَلُّون . ومن مادلينه وماتيلدا مَدُّول ومَتُّول . ومن ريجينا رَجُّون

ورأيت انَّهم يختصرون بهذا الوزن الاعلام المركَّبة الاضافيَّة كشكُّور ولَطُّوف ونَصُّور وفَتُّوح الخ اصلها شكرالله ولطف الله ونصرالله وفتح الله الخ

٤ اصل وزن فَعُّول

الغالب على ظنّنا انَّ وزن فَعُّول ليس عربيًّا بــل مستعارًا من احدى اللغات الشقيقات كالارامية او العبرانيَّة لكثرته فيهما . والدليل على ذلك انَّ اكثر الموصوفات العربيَّة على وزن فعُّول ليست اصيلة بل دخيلة كتنُّور وبلُّوط وزقُّوم وفَرُّوج لا يمكن ردّها الى اصل عربيّ محض

وهي اقلّ وجودًا في الاوصاف كما رأيت اذ لم يذكروا من هذا الوزن الَّا كلمتين نادرتين حَمُّوقة وسَتُّوق والثانية اعجميَّة . امــا قَدُّوس وسَبُّوح فدخيلتان اصلهما من الآراميَّة فضلًا عن ترجيح الضمّ في اوَّلهما

واكثر ما ورد من هذا الوزن الفاظ الاعلام وليس لهـا ذكر في المعاجم القديمة

الّا القليل منها كعَبُّود وهَبُّود وحَمُّود . والباقي شائع على السنة العامّة لم يُدوَّن في كتاب يركّبونهُ كما يدور على السنتهم والله اعلم

مطبوعات شرقيّة جديدة

Un Newman Russe **Vladimir Soloviev** par MICHEL D'HERBIGNY, *Paris*, *G. Beauchesne et Cie*, 1911. in-12, XVI-336

سيرة الفيلسوف الروسي ڤلاديمير سولوڤياف

ظهر في روسيَّة في وقت واحد رجلان عظيمان ادَّعيا اصلاح وطنهما وسلكا لنوال غايتهما طريقاً مختلفة احدهما لاون تلستوي الذي اراد ان يبنى اصلاحهُ على دعائم واهنة فجحد الدين ونشر المبادئ الاشتراكيَّة واثار في قلوب العامَّة المطامع وروح الثورة فذهب ولم يبقَ من عملهِ غير طنطنة كلام واضغاث احلام . والآخر ڤلاديمير سولوڤياف شخَّص الداء الذي ينخر عظام وطنهِ روسيَّة فوجدهُ في اتّباعها للكنيسة البوزنطيَّة وانفصالها عن الوحدة الكاثوليكيَّة . ولم يتَّصل سولوڤياف الى هذه النتيجة الّا بدرسهِ الخاصّ لتاريخ بلاده ومراجعة التقاليد الرسوليَّة وتآليف آباء الكنيسة اليونانيَّة في قرون النصرانيَّة الاولى فاتَّضح لهُ نور الحقّ وخصَّ حياتهُ للتعليم اوَّلًا في كليَّة موسكو ثمَّ انقطع للكتابة والتآليف المتعدّدة التي نشرها في روسيَّة وخارجاً عنها وفيها بيَّن الشرّ العظيم الذي اقترفتهُ القسطنطينيَّة باغراء بطريركها فوطيوس واتباعهِ لمَّا شقَّت عصا الطاعة للكرسيّ الرسوليّ . ويظهر المؤلف في كلّ تآليفهِ متلهباً غيرة لخير بلادهِ متقدًا حبًّا لصالحها متفانياً في خدمة الحقّ ليس الّا وكتاباتهُ قد اثّرت في الوفرِ من مواطنيهِ ويؤمل منها تمهيد السبيل للتقرُّب من مركز الوحدة الذي اقامهُ السيّد المسيح في شخص بطرس وخلفائهِ . مات سولوڤياف ولم تمت آثارهُ النثريَّة والشعريَّة التي سعت في جمعها شركة روسيَّة من تلامذتهِ . فلمَّا جدّدت نشرها جعل كثيرون يدرسونها ليستضيئوا بانوارها . وفي الكتاب المعنون آنفاً ملخص سيرة واعمال ذاك الرجل الشهير الذي عاش كالنسَّاك واوقف حياتهُ للدفاع عن الحقيقة التي رأى نفسهُ سعيدًا بمعرفتها ونشرها بين مواطنيهِ ويا ليت هذا الكتاب يُعرَّب لفائدة الروم في هذه البلاد فلا شكَّ انَّهم اذا قرأوهُ وجدوا في الكنيسة

البطرسيَّة حلّ كلّ مشاكلهم الطائفيَّة . وان شاء الله نعود الى نشر بعض اقوال ڤلاديمير سولوڤياڤ الذي ينطق اعداؤهُ نفسهم بصدق نيَّتهِ وسمّو فضلهِ وقوَّة حجتهِ وبلاغة لسانهِ ل٠ش

Ks. M. Czerminski S. J. : O. MAKSYMILIAN RYLLO Towarzystwa Jesusowego Misyonarz Apostolski. *Kraków*, 1911-1912. 2 vols, XIV-344 et 352

ترجمة الاب مكسيميليان ريّلو

الاب مكسيميليان ريلّو هو الذي عُرف ببلادنا باسم الاب منصور ريلّو وكان احد اليسوعيين الذين استأنفوا اعمال رسالتنا الجديدة بعد الابوين بولس ريكادونا ومبارك پلانشه. ولهذا المرسل الپولونيّ الاصل من المآثر الطيِّبة والمشروعات الجليلة في ايطاليا ثمَّ في بيروت ولبنان حيث صار مدَّة رئيساً عاماً على الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ في بلاد ما بين النهرين حيث ارسلهُ الكرسيّ الرسوليّ غير مرَّة بصفة وكيلهِ الخاصّ ثم في رئاسة مدرسة انتشار الايمان واخيراً في انشاء رسالة الخرطوم حيث توفيّ سنة ١٨٥٣ ما كنّا نتمنّى ان ينشرهُ احد اخوتهِ . فها قد تحقَّقت امنيَّتنا وطُبعت سيرة هذا الرجل العظيم باللغة الپولونيَّة وكنّا جمعنا كثيراً من مآثرهِ فأطلعنا عليها صاحب هذه الترجمة فدوَّنها بكتابهِ . وان شاء الله نروي لقرَّائنا عند سنوح الفرصة خلاصة هذه السيرة العجيبة التي قلّما يُروى مثلها . وغاية ما نؤملهُ ان يُنقل هذا الكتاب من اصلهِ الپولوني الذي لا نعرفهُ الى لغة أُخرى اقرب الى اللغات الشائعة بيننا ل٠ش

Samuel M. Zwemer : THE MOSLEM CHRIST. AN Essay on the Life, Character and Teaching of Jesus Christ according to the Koran and Orthodox Tradition, *Edinburgh and London,* 1912, pp. 198

السيّد المسيح في القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة

انَّ مؤلف هذا الكتاب هو احد المرسلين البروتستانت الانكليز الذين وقفوا حياتهم لدرس العالم الاسلاميّ رغبةً منهم ان يقرّبوا المسلمين من النصرانيَّة ويزيلوا عنهم الاوهام التي يتصوّرونها في الدين المسيحيّ . وهذا التأليف الجديد انَّما غايتهُ ان يبيّن المؤلف انَّ ما يرويهِ المسلمون في حقّ السيّد المسيح لا يوافق حقيقة الامر وانَّ شهادات القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة اذا عُرضت على محكّ الانتقاد تؤيد تعاليم النصارى . امَّا نحن فلا نبدي رأياً في هذا الكتاب ريثما نرى الفريقين

من مسلمين ونصارى يتبادلون آراءهم بكل حرّيّة وكلّ نزاهة لينصروا الحقّ فقط ويبطلوا ما يتصوّرهُ بعضهم من الشبهات والاوهام . فان تمّ ذلك قربت القلوب وزال النفور وتمكّن الاخاء الصحيح بين كلّ الموحّدين ل . ش

Dr A. Dirr: Praktisch-theoretisches Lehrbuch d. Aegyptischen Vulgaer-Arabisch. 2e *umgearb. Aufl., A. Hartleben's Verlag in Wien* u. *Leipzig*, 1912, pp. VIII-182

دليل اللغة العربيّة الدارجة في مصر

كما يدرس المستشرقون لغات الشرق واصولها وقواعدها الراهنة كذلك يتعلّمون ويعلّمون اللغات العاميّة الدارجة بين الشرقيين مع تدوين خصائصها المخالفة للغة العلم . وان اعتبرت لغتنا العربيّة خصوصاً تجدهم يدرسون لهجة كلّ بلد ويقابلون بينها وبين اللغة الاصوليّة لتعريف شواردها . وهوذا كتاب وضعهُ الدكتور الالمانيّ درّ في اللغة المصريّة قسّمهُ اقساماً عديدة بحث في كلّ باب منهُ عن احد مطالب الصرف والنحو مثبتاً فيهِ امتيازات اللهجة العاميّة عن اللغة الصحيحة وألحق كلّ باب بتمرينات شتى من الالمانيّة الى العربيّة ومن العربيّة الى الالمانيّة ثمّ اضاف اليه مكالمات وقصصاً ومعجماً للالفاظ الكثيرة الاستعمال . وهذه الطبعة الثانية قد حسّن فيها المؤلف عملهُ واستفاد من الملحوظات التي بلغتهُ من مكاتبيهِ . فنحضّ الالمان الساكنين في مصر ان يدرسوا هذا الكتاب فهو احسن دليل لتعلّم اللغة المصريّة ل . ش

G. Zaïdan: AL ABBASSA ou la Sœur du Calife. Traduit de l'arabe par M.-Y. Bîtâr, mis en français par Ch. Moulié, *Paris, Fontemoing*, 1912. XI-320

العبّاسة اخت هارون الرشيد

بين الروايات التاريخيّة التي ألّفها صاحب الهلال قد امتازت روايتهُ المعنونة بالعبّاسة اخت هارون الرشيد جمع فيها ما ورد في كتب العرب عن البرامكة وعزّهم ثمّ نكبتهم فاخرج تلك المرويّات على صورة رواية خياليّة سدى لحمتها على منوال مؤثّر في القلوب فراج سوقها في الشرق . ولمّا زار المؤلف في الصيف الاخير عاصمة فرنسا احبّ الفرنسويّون احتفاء بالزائر ان تُنقل هذه الرواية الى لغتهم فنقلها احد تلامذة كليّتنا الادباء سابقاً ميشال افندي بيطار معلّم العربيّة في مكتب اللغات

الشرقيَّة الحيَّة في باريس ودَّبجها احد القصَّاصين الفرنسويين على ذوق مواطنيهِ باختيار ما راق لهُ من اصلها العربيّ . فلا نشكّ ان الفرنج يتهافتون على هذه الرواية تهافتهم على البضاعة الشرقيَّة المستطرفة . ولم يسوءنا في هذا الكتاب غير مقدَّمة المسيو كلود فرَّار (Cl. Farrère) الذي حبًّا بالشرق الاسلامي اهان مواطنيهِ الفرنسويين في الصفحة الاولى من الكتاب حيث تأسَّف على انتصار شرل مرتل من عبد الرحمان الزاحف على فرنسة والممالك النصرانيَّة ودعا فوزهُ عملًا همجيًّا !!! ل . ش

R. Jeannière, s. j. : Criteriologia vel Critica cognitionis certæ, *Paris*, *G. Beauchesne* 1912, XVI-616, in-12

الطريقة الفلسفيَّة

في علم الفلسفة قسمٌ مهمٌّ يتبع علم المنطق ويُقدَّم على الابحاث الفلسفيَّة يُدعى بالطريقة الفلسفيَّة (Critériologie) وغايتهُ بيان الوسائل لاكتشاف الحقيقة والتنكيب عن الضَّلال والسفسطة فالاب جانيار اليسوعيّ أَلَّف في هذا المعنى كتابًا واسعًا استفاد فيهِ من علوم قدماء المدرسيّين (les Scolastiques) والفلاسفة المحدثين معًا فجاء تأليفًا ضخمًا مستوفيًا لم يَفُتهُ شيء من الابحاث التي يتداولها علماء زماننا ومن المذاهب التي اشاعها كنت (Kant) واللاأدريُّون والوضعيُّون والملحدون فيبحث عنها كلّها بحثًا مدقّقًا وينتقدها انتقادًا علميًّا يؤيدهُ بالبرهان القاطع . وقد وجدنا لهذا الكتاب المزايا الاربع التي تمتاز بها المصنَّفات النفيسة اعني الوضوح وقوَّة الحجَّة وابتكار الطريقة في ايراد القضايا واثباتها ثمَّ التفنُّن في التفسير . وعلى رأينا انَّ هذا الكتاب اولى بالاساتذة منهُ بالطلبة لخوضهِ في مسائل عديدة لا يحتاج اليها دارسو الفلسفة . وقد رأينا بالاجمال انَّ المؤلف يتأثَّر اعقاب معلّمي لوڤان في بلجكة ولذلك قد عدل عن بعض الآراء الشائعة بين قدماء المدرسيّين ولعلّهُ مَلُوم في هذا الامر لأنَّ القدماء كانوا فيها ابعد نظرًا من المحدثين الاب ف . تورنبيز

D[r] H. Dauchez : Guide Médical du Missionnaire et de l'Explorateur Colonial, Paris, G. Beauchesne, 1908, VI-340, in-12

الدليل الطبيّ للمرسل وللرحَّالة الى المستعمرات الاجنبيَّة

انَّ المرسلين والسيَّاح احوج من غيرهم الى بعض كتب طبيَّة يرجعون اليها في

البلاد الاجنبيَّة التي يتنقَّلون فيها سواء كان لعلاج ما يعتريهم من الامراض بعيدًا عن الأُساة او لتطبيب الاجانب الذين يرشدونهم او يجولون بينهم وهم يعتبرون في الغالب مرشديهم والطائفين في بلادهم كأطبَّاء نطاسيين . على انَّ هوُلاء المرسلين والسيَّاح لا يعرفون عادةً من الطبّ الَّا اصولهُ العامَّة وليس في ايديهم من كتبهِ الَّا النادر او المخلّ . فسدًّا لهذه الثلمة وضع الدكتور دوشه من اطبَّاء باريس كتابًا صغير الحجم كبير الفائدة اختصر فيهِ علم الطبابة وضمَّنهُ ما يحتاج اليهِ الكهنة والمرسلون وارباب السياحات لتمريض المرضى ومعالجتهم في اكثر الاسقام والاوبئة مع وصف انواع الادوية التي يمكنهم ان يستصحبوها معهم او يستطيعون ان يُلفوها في كلّ البلاد الاجنبيَّة ويشرح لهم كيفية استحضارها مع عدَّة تصاوير تمثّل لهم العمل وقد اطَّلع على هذا الكتاب كثيرون من كبار الاطبَّاء واستحسنوهُ كما اثنى على صاحبهِ النطاسيّ من التجأ اليهِ في البلاد النازحة ووجدوهُ كمكتبة طبيَّة مختصرة . جازى الله موُلفهُ الذي اهدى كتابهُ الى ثلاثة من اولادهِ اليسوعيين المشتغلين في اعمال الرسالة ل . ش

كتاب المسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد

تأليف الخوري عبد الاحد جرجس البغدادي

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٢٦)

قال احد الآباء القديسين: « ليس غلوّ في الثنـــاء على مريم » . وقال السيّد جرمانوس فرحات:

لو كان للافلاكِ نطقٌ او فمُ لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

ومن ثمَّ يشملنا السرور كلَّما نرى احد كتبتنا الشرقيين يجرّدون قلمهم لاوصاف مريم وانَّما هذا السرور يتضاعف اذا كان الكاتب من اهل العلم والتُّقى كحضرة الخوري عبد الاحد جرجي فانَّ كتابــهُ الحديث المعنون بالمسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد هو حقيقــة مأثرة فاخرة قلَّما جاء بمثلها احد كهنة الشرق . وغاية ما يقال انَّها تتضمَّن لُباب الاسفار المقدَّسة واقوال الآباء وتعاليم اللاهوتيين في البتول الطاهرة . وقد جعل تأليفهُ ثلاثين فصلًا بحيث يصلح لرياضة الشهر المريميّ فيُتلى منهُ كلّ يوم فصــل في الكنائس او في بيوت المؤمنين . وممَّا استحسنَّاهُ في

هذا الكتاب انَّ كلّ مــا شرحهُ صاحبهُ البارع من عظم مقام مريم العذراء وسموّ فضائلها وقوَّة شفاعتها انَّما اثبتهُ مبيّناً فيهِ العلاقة بين والدة الله وابنها الالهيّ وفقاً لقول الآباء القديسين انَّ مريم سُلّم المؤمنــين الى يسوع فبئس من يفصل الامَّ عن ابنها او الابن عن امهِ ل . ش

دروس الجغرافيا . القسم الاوَّل

تأليف فوزي افندي العظم

طُبع في المطبعة الاهليَّة في بيروت سنة ١٣٣٠ – ١٩١٢ (ص ٤٨)

كتاب صغير الحجم لطيف الشكل نظيف الطبع جمع فيهِ مؤلفهُ الاديب مبادئ علم الجغرافية لصغــار المدارس على طريقة تقرّبها الى فهمهم مع ٢٤ صورة تمثّل لهم الموصوفات ولو كان بعضهــا ادقّ واوضح لفازت على سواها . وكذلك بعض التحديدات تحتاج الى مراجعة نظر وتحوير

جواهر الادب في خزائن العرب

جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر

طُبع بالمطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٢٠)

هو الجزء الرابع من المجموع الادبيّ الذي تولّى نشرهُ صاحب المكتبة العموميَّة فجعلهُ ابواباً وفصولاً اثبت في كلّ منهــا ما يوافقهُ من المعاني كالآداب والحكم واللطائف والحكايات . وخلاصة القول انهُ عارض بهِ كتابنا مجاني الادب بل نقل عنهُ قسماً كبيراً كالالاخ بيلاج في مصر ولا بأس فانَّ زيادة الخير خير كما يقال ل . ش

تاريخ مدينة زحلة

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طُبع بمطبعة زحلة الفتاة في زحلة (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٢٩٨)

هي قلادة ثمينة صاغتها ايدي ابن محبّ ليزين بها جيد امّهِ المحبوبة اي الوطن العزيز . فهذا الحبّ البنوي ذلّل لــهُ كلّ الصعاب في التفتيش عن آثار زحلة التي كاد يطمسها الزمان . والحقّ يقال انَّ من راجع الكتب المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يجد لزحلة ذكرًا قبل مئة عام بيــد ان نظر الحبّ يكتشف ما لا يراهُ غيرهُ ولم يزل جناب كاتبنا الهمام منشئ مجلة الآثار يقلّب الاوراق ويستفتي التقاليد ويرصد الجماد

نفسهُ حتى استخرج لوطنهِ تاريخاً يحسدهُ عليهِ غيرهُ من البلاد وهو عبارة عن ٣٠٠
صفحة تقريباً يجد فيهِ القارئ من الفوائد ما لا يعثر عليهِ في الكتب الضخمة · ولا
غرو ان يكون وقع في هذا المجموع بعض الروايات الضعيفة السند فانَّ ذلك كالظلّ
في الصور يزيد بهِ رونق محاسنها · فنهنئ زحلة بوجود كاتب مثل عيسى
افندي خلّد ذكر مسقط رأسهِ على ممرّ الايَّام ونهنئ عيسى افندي على ما ابداهُ من
النشاط في رفع شأن وطنهِ جازاهُ الله خيرًا ل · ش

الروض النضير في روايات البشير (ع ٢)

بقلم بعض الادباء

في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ (ص ١٥٨)

احدى عشرة رواية تفكَّه بها قرَّاء جريدتنا البشير فودُّوا لو تُجمَع في كتاب
منفرد · فها هي ذا قد ظهرت على حدة على صورة كتاب رشيق القدّ جميل الغلاف
نظيف الطبع يصلح خصوصاً لاحداث المدارس تقرُّ بهِ ابصارهم وترتاح الى قراءتهِ
اذهانهم فيتعلمون بهِ الفضائل الاهلية والاجتماعيَّة فضلًا عن اساليب الكتابة في
انشاء الروايات · وهو الثاني من جنسه سبقهُ بستان السلوى في ثماني روايات أُخر ل · ش

شذرات

بيني وبين يسوع قصيد زفَّها لقرَّاء المشرق الشماس الفاضل
حبيب جرجس اسطفان احد تلامذة المدرسة المارونية بنسبة عيد الميلاد الشريف

انت قلبي يسوعُ رمتَ فهاكا لا تُبِحْهُ يا ربَّهُ لِسواكا
يا حياة الارواح لا أغدُ ميتاً ماتَ من ماتَ عن حياة هواكا
انَّ في النفس منك مُرْوِيَ ظمءٍ لكمالٍ لها لِقاه لِقاكا
كلُّ شيءٍ تراكَ فيهِ وأحلى كلِّ شيءٍ أنْ فيهِ نفسي تراكا
يا كمالَ الجمالِ كلُّ كيانٍ كَوْنُهُ وثْبةٌ نِهاها بَهاكا
بَهجةُ الحبِّ سكرةُ الفكرِ في الأكوانِ سرٌّ أنْ كلُّها تهواكا
يا هناء الرائي وانتَ ضِياه في صداها وفي رِواها رآكا

منكَ هذا اليكَ ذاكَ فما أحـــلاكَ كلّا للكلِّ ما أحلاكا
موجدي غايتي حياتي هنائي لا تَدَعني أشذُّ وحدي هَلاكا
لا تُضعني يسوعِ إنّيَ إن ضِعــتُ أضاعتْ مــا كوّنتهُ يداكا
لستُ مني أولى ولكنني منـــكَ وما في هلاكِ نفسي رضاكا
لك رسماً كوّنتني ثمّ رقّيتَ م إلى أن أبدعتَ مني أخاكا
أسفي أنْ محوتُ فيَّ وأدرى انتَ مني بما سنــاءَ سناكا
أسفي أنْ منعتُــكَ القلب مثوا كَ مُريدًا عليك فيهِ عداكا
أسفي أنّني علوتُ فنـــاء عَدَماً دونهُ مُـــدينُ عُلاكا
سيدي سيدي اليــكَ اياي وا شقاء لقلب مَن خـلّاكا
لستُ أهلًا لدافقٍ منك يُحيي او خليقاً بمبلجٍ من ضياكا
مَنبعَ الجود ليس حقٌ لنفسٍ في بهاءٍ تُفيضُ الّا سخاكا
كيف يخشى الجَبهَ الاثيمُ يُدنّيهِ م على جاذب الصليب نِداكا
لا يرى الحبُّ في مُلبّيك اثمًا بل عليهِ يُلقي كساءً دماكا
أيها الحبُّ يا يسوعيَ إنّي لك تحت الصليب في مَن أتاكا
مُدَّ كفيــك لي وأوْلِ فمي رَشْـــفَ حياةٍ أفــاض سرٌّ وَلاكا
أدنِني أدنني يسوعُ وأدخلــني الى القلب كلُّ عزّي هُناكا
قيّد النفس في هواكَ وأخلِصــها لك الدهر لا لهذا وذاكا
ليس حرٌّ في الناس الّا اسيرًا لك يأبى من القيود فكاكا
لك كلّي مُلكٌ ولا أبتغي منـــك من الخير سيدي إلّاكا
سيّــدي سيــدي اليكَ أجِلني كيف تبغي وأعطني أن اراكا
ان موتي أن لا اموتَ فألقا كَ فوا لوعتي الى لقيــاكا
مُرٌ بما شئتَ كلُّ مُرٍّ لذيذٌ منكَ والشهدُ علقمٌ لولاكا
فاحيَ يا سيدي يسوعُ حياةً وهنــاء لكلّ من يهواكا
واحيَ من كلّ كائنٍ مدفِق الكو ن لك الشكرُ والثناء دِراكا
كلُّ موتي ان لا أموت فألقا كَ وعيشي توقّعي مَلقــاكا

❊ مساحة الكرة الارضيّة ❊ انَّ المسّاحـين الاقدمين لجهلهم سعة

القطبين لم يمكنهم أن يضبطوا بالتدقيق مساحة كرتنا الارضيّة فبعد السياحات الحديثة لتلك الجهات القاصية تولّى عـدّة علماء جغرافيين ضبط مساحة كرتنا منهم علماء ثلثة ألّفوا في ذلك التآليف الجديدة العلّامة الفرنسوي بلديت (A. Baldit) والدكتور ڤاغنر (Dʳ H. Wagner) والاستاذ كرومّل (Krümmel) فكانت نتيجة ابحاثهم انّ مساحة السيّارة التي نقطنها تبلغ ٥١٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع قسمها البرّي يبلغ ١٤٩,٠٠٠,٠٠٠ ك م والبحري ٣٦١,٠٠٠,٠٠٠ فتكون نسبة البرّ الى البحر كنسبة الواحد الى الاثنين و ٤٢ من المئة

آلتان لكشف جبال الجليد بعد غرق مركب التيتانيك (راجع الصفحة ٤٢٥) اخذ العلماء يبحثون عن آلة حسّاسة تعرف ركّاب السفن بقرب جبال الجليد فقام عالمان ووضعا آلتين كثر فيهما الكلام في المجلّات العلميّة . الاولى للاستاذ برنس (Barnes, Journal. *September*. p, 339) هي مقياس حرارة لبيان اخفّ درجات الحرّ والبرد تدوّن من تلقاء ذاتها الاختلافات الطارئة على الجوّ ولو عن بُعد قاصٍ فاذا قربت قِطَع الجليد دلّ عليها المقياس ونبّهت افكار عمّال المركب . والثانية مبنية على بعض خواصّ ماء الكهربائيّة اكتشفها المسيو كوپلان (Coplan) احد اساتذة ليدس (Leeds) فآلتهُ تتأثّر تأثّرًا محسوساً بقرب قطع الجليد عند طفوِّها فوق سطح البحر لتكهربها . كما انّهُ جهّزها ايضاً باداةٍ تكشف لهُ ما في الماء من الجراثيم الناجمة عن وجود الجليد

الريّ في ما بين النهرين باشر « السير وليم ڤلكوكس » في بنائهِ خزّان يحصر مياه الفرات عند القرية المعروفة بالهنديّة وسيكون طول هذا الخزّان ٢٥٠ مترًا ذات ٢٥ قنطرة لتقسيم مياه الريّ وسيرتفع علوّ الماء فوق النهر سبعة امتار ثمّ يقام تحتهُ خزّان آخر يبلغ ارتفاع مائهِ مترين ونصف . والمظنون انّ هذه المياه المخزونة كافيـة لريّ البلاد المعروفة سابقاً ببلاد البابليين البالغة نحو ٦٠٠,٠٠٠ فدّان

ترقي التلغراف اللاسلكي ليس برج ايفـل اعظم مراكز التلغراف الاثيري بل مركز پولدهو (Poldhü) في معاملة كورنوايل من اعمال انكلترّة فهناك سوارٍ علوّها ٢٥٠ قدماً نصبها مركوني ويمكنها ان تخابر كل انحاء

اوربة وشمالي اميركة . واليوم يسعى الانكليز في تشييد مركز آخر في لندن في ناحيتها الغربيَّة ترتبط مع مراكز اخرى متواصلة تُجعل في نيويرك ثم في مدينة القاهرة ثم في عدن ومن عدن الى پريتوريا جنوبي افريقيا وسينغابور في الهند الصينيّة وهكذا يستطيع الانكليز في خمس دقائق ان يخابروا ايَّ ناحية كانت من كل اقطار الدنيا

المكتبة الالبانية بعد انجازنا لمقالتنا عن البانية ارسل الينا جناب المسيو هنري غويس (Mr H. Gûys) احد المتخرجين في مدرسة اللغات الشرقيَّة الحية في باريس ونزيل بيروت منذ ثلاث سنوات كتاباً عنوانهُ المكتبة الالبانية اودعهُ تعريف ما نُشر منذ القرن الخامس عشر الى السنة ١٩٠٠ من المطبوعات الخاصَّة بألبانية وتاريخها ووصف اهلها وعاداتها ولغاتها . فجاء كتاباً واسعاً يتضمن وصف ٧٢٤ كتاباً في لغات شتى وكان باشر بجمعها المسيو اميل لوغران (Emile Legrand) فوصف منها ٤٩٧ عددًا فلمَّا توفي قام المسيو غويس بانجاز عملهِ وتحسينهِ وزيادة الفهارس الممتعة التي ترشد القرّاء الى معرفة احوال البانية

الاسماك الغريبة الجنس ان اسباب المواصلات بين الشعوب قد وفَّرت ايضاً اسباب المعاش لاختلاط الامم ببعضها وتبادل خيراتها فكم من الحبوب والبقول والمزروعات التي لم يُعرف سابقاً اسمها اضحت اليوم رزقاً للالوف من البشر . وكما نقلوا البزور والحبوب نقلوا ايضاً الحيوانات من دواب ومواشي وطيور بعضها لحمل الاثقال وبعضها للقوت وبعضها لمجرَّد الزينة كجموع البغاوات التي ترى في قصر يلدز وقصر شونبرون في ڤينة وكانوا الى هذه السنين الاخيرة لم يفكروا في الاسماك الغريبة الاشكال التي تُرى في انهار اميركا وفي بحيرات افريقية وبحار الهند واوقيانية . فاخذ الانكليز ثم الالمان والنمسويون والسويسريون في طلب تلك الاشكال واستجلابها الى بلادهم فاصطنعوا لها احواضاً في المعاهد العمومية او بركاً في بيوت الخاصة وبعضهم يربّونها ثم يبيعونها باسعار غالية لطالبيها . وكل هذه الاسماك تمتاز امَّا بالوانها الزاهية العجيبة وامَّا بتركيبها الغريب وامَّا بطبائعها المستغربة وخواصها الغريزيَّة اللطيفة في توليد صغارها وتربيتهم وفي الدفاع والهجوم لطلب غذائها فصارت تجارتها رابحة حتى ان اصحاب المؤتمر الفرنسوي العلمي سنة ١٩١٠ اعاروا الامر بالًا واهتموا بتوفير تلك الاجناس لخير البلاد

أسئلة وأجوبة

س سألنا من سارًا ناغر (البرازيل) وطنيّنا سمعان الخوري عقل ما رأينا في جميَّة تتعبَّد للارواح حضر احدى جلساتها فرأى في اصحابها اموراً غريبة ادهشتهُ ثمَّ دعوهُ الى الانضمام بسلكها

غرائب جماعات المناجين للارواح

ج انَّ ما رآه جناب المستفيد هو من الامور الشائعة التي طنطنت بها فئات من المناجين للارواح (Spirites) وقد كتب العلماء في هذه الطائفة كتباً ضخمة فمنهم من عزا اعمالهم الى الخزعبلات ومنهم من نسبها الى ارواح الموتى . والصواب انَّ كثيرًا من هذه الظواهر يمكن تعليلها بعلل طبيعيَّة سواء كانت ملاعيب رشيقة اعتادها بعض النصَّابين او هي اعمال بعض المصابين باعراض عصبيَّة شديدة اخصُّهم النساء . والكلام في ذلك يقتضي شروحاً طويلة . ومع هذا لا يُنكر انَّ في بعض تلك المظاهرات فعلًا للارواح . ولكن لا يجوز ان يقال انَّها ارواح صالحة او ارواح الموتى بل ارواح شرّيرة غايتها اغواء البشر . وعلى كلّ حال فليعلم السائل انَّ الكرسيّ الرسوليّ حرَّم الدخول في تلك الجمعيَّات التي اقلُّ اضرارها أن تلقي بالمنتظمين فيها في اسقام بدنيَّة وادبيَّة رُبَّما ادَّتهم الى اختلال الشعور

س وسألنا جناب حنَّا افندي مدوَّر كيف نوفّق بين قول صاحب مروج الاخبار (ص ٩ س ١٨) حيث روى انَّ ولادة السيِّد المسيح كانت سنة ٥٠٩٩ للعالم وبين قولهِ (ص ٣٦١ س ٣) بان السيِّدة والدة الاله ولدت سنة ٣٦٨٥ فيكون مولدها قبل ابنها بنحو ١٤١٤ سنة

تاريخ ميلاد السيِّد المسيح وميلاد العذراء

ج معلوم انَّ آراء القدماء قد اختلفت جدًّا في حساب سنة تكوين العالم فقد عدُّوا لهم في ذلك نيفاً ومئة رأي فمنهم من قصَّر تلك المدَّة الى السيد المسيح حتى جعلوها ٣٣٨٣ سنة فقط وغيرهم اطالوها حتى بلغوها ٧٠٠٠ سنة ونيفاً . فصاحب مروج الاخبار اتَّبع في تدوين تاريخ مولد المسيح السنكسار الروماني كما نبَّه عليهِ فوضع ذلك في سنة ٥٠٩٩ للعالم . واما مولد العذراء فانهُ عدل في اثباتهِ الى تاريخ آخر للعالم كان شائعاً عند اليهود اعني سنة ٣٧٠٠ (راجع كتاب الاب دي كوبيه التوفيق بين العلم وسفر التكوين ص ٢٨—٢٩)

ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الخامسة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١٢

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)

الدول للامير امين ارسلان ببعض تصرُّف واختصار (٢٤١—٢٥٠) = ابن واثل: مأساة تاريخية نثرية ذات ثلاثة فصول بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (٢٥١—٢٦٣؛ ٥: ٢٨٠—٢٩٣؛ ٦: ٤١٤—٤٢٥) = ميمر مفقود للقديس انسطاسيوس السيناوي نشرهُ الاب لويس شيخو (٢٦٤—٢٨٠) = تاريخ الحرير في بلاد الشام للمسيو غَستون دوكوسُو (٢٨٠—٢٨٧؛ ٥: ٢٧٤—٢٨٠) = تحية الصليب (قصيدة) من نظم الاديب سليم ابي رزق (٣١٧—٣١٨) = اعتناق سيدتين ابيسكوباليتين الكنيسة الكاثوليكية – الحكم على غاليليو – زجلية على خراب طرابلس (٣١٨—٣١٩)

العدد ٥ (ايَّار) شاهد القيامة في دياميس رومية رواية خيالية لاميل كبهارت من الاكادمية الفرنساوية (٣٢١—٣٢٦) = الخلاصة الماسونية خطاب القاه الاب لويس شيخو (٣٢٦—٣٥٠) = حلب الشهباء ومجلة المقتبس لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٣٥٠—٣٥٦) = من المهد الى اللحد (قصيدة) للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كليتنا (٣٥٧—٣٦٣) = اليوبيل الاسقفي لغبطة بطريرك السريان (٣٩٦) — تحية الشرق بالمكتب الفرنساوي الجديد (قصيدة) للمنسنيور يوسف العلم – الكلمة وبطريرك القبط المستقيل (٣٩٧—٣٩٩)

العدد ٦ (حزيران) يوبيل كلية اثينا ومؤتمر المستشرقين للاب لويس رنزڤال اليسوعي (٤٠١—٤١٣) = مصرع جبَّار البحار للاب لويس شيخو (٤٢٥—٤٣٢) = العقائد الوثنية في الديانة النصرانية انتقاد للاب لويس شيخو (٤٣٢—٤٤٥؛ ٧: ٥٢٩—٥٤٣) = وداع الام لابنها المهاجر (قصيدة) من نظم الاديب يوسف افندي غصوب (٤٤٦—٤٥٠) = الذكر المخلَّد في سيرة السيد جرمانوس معقد للاب لويس شيخو (٤٥٦—٤٦٥) = شطط الشيخ النبهاني (٤٧٤—٤٧٦) – التقويم الصيني ودليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ (٤٧٦—٤٧٧)

العدد ٧ (تموز) غاية الهناء بفتح مملكة الهواء. مختصر محاضرة القاها الاب كلاوديوس بجاسون اليسوعي (٤٨١—٤٩٤) = نظر انتقادي في حكايات بعض شهداء الفرس على عهد الملك شابور لسيادة المطران ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني (٥٠٢—٥٠٩) = تاريخ قصر الحَضْر للاب سبستيان رنزڤال اليسوعي (٥٠٩—٥٢٣) = تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي: فَعِلَ يَفْعُلُ. فَعُلَ يَفْعِلُ. فَعَلَ يَفْعَلُ لحضرة الخوري دون حنا مرتا قانوني القبر المقدس (٥٢٣—٥٢٦) = الأرق واسبابهُ ومعالجتهُ للدكتور كامل سليمان الخوري (٥٢٦—٥٢٩) = في عرين الماسونية (٥٥٧) لغط الكلمة – شهادة ياباني للكثلكة — كتاب الكهنوت (٥٥٨—٥٦٠)

العدد ٨ (آب) العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية بقلم حضرة الخوري بولس سليمان (٥٦١—٥٧٢) = مؤلف الدلالة اللامعة لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٥٧٢—٥٧٧) = العسل نظر صناعي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (٥٩٠—٥٩٦) = تاريخ آداب اللغة العربية (نقد الجزء الثاني) للاب لويس شيخو (٥٩٧—٦١٠) = استعمال المُنفِّطات في الطبّ بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الخوري (٦١١—٦١٥) = آثار بابلية قديمة (٦٢٧) حديث خرافة – السيف القاطع لعنق الفرّ المخادع – تكذيب اشاعة (٦٢٨—٦٢٩)

العدد ٩ (ايلول) النهضة الكاثوليكية في حلب والرسالات الفرنساوية في القرن السابع

عشر للاب فرنسوا تورنبيز اليسوعي (٦٤١–٦٥٤ ; ١١ : ٨٥٩–٨٦٩ ; ١٢ : ٩٢٠–٩٣٠) = معالجة طنين الأذنين للدكتور كامل سليمان الخوري (٦٥٥–٦٥٧) = صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم نشرها الاب لويس شيخو (٦٥٧–٦٦٩) = نصيحة الزهور موشَّح لحضرة الخوري يوسف سماحه ق.ب. (٦٦٩–٦٧٣) = شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرَّمة پولين ماري جاريكو بنسبة السنة الخمسين لوفاتها نظر تاريخي للاب لويس شيخو (٦٧٣–٦٨٨) = اليسوعيون والعلم (٧١٥) – اول سائح في بلاد تيبت – المتاحف الفوتوغرافية – ما اشرفك ايها الدين – شطط مجلة المنار المصريَّة (٧١٦–٧١٩)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الملائكة بازاء العلم والدين نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو (٧٢١–٧٣٦) مقالتان قديمتان في قوس قزح نشرهما الاب لويس شيخو (٧٣٦–٧٤٤) = ميمر لتادرس ابي قرة في وجود الخالق والدين القويم نشرهُ الاب لويس شيخو (٧٥٧–٧٧٤ ; ١١ : ٨٢٥–٨٤٣) = قصر بيت الدين (قصيدة) لحضرة المعلم منصور ابي رزق (٧٩٣–٧٩٥) = مراية التدرن اي السلّ بالعرق – اضطهادات البابويين للارثذكسيين – نظام الكنيسة الكاثوليكية – الدكتور شبلي شميل والمقتطف – الاله المجهول – رسالةٌ برقية حول الارض – اكتشافات برديَّة – مكاتب نقَّالة (٨٩٥–٨٩٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ألبانية نظر جغرافي تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو (٨٠١–٨١١) = براءة جديدة للحبر الاعظم – نحن والكلمة – ترقي الكنيسة الكاثوليكية في الصين – جدول منقولات البريد الدولي (٨٧٧–٨٧٩)

العدد ١٢ (كانون الاول) براءة رسولية للحبر الاعظم البابا بيوس العاشر عن المناولة في الطقسين (٨٨١–٨٨٨) = المناولة الحرَّة في الكنيسة الكاثوليكية للاب لويس شيخو (٨٨٨–٩٠١) = شواعري في مدينة النور للدكتور اميل عرب (٩٠١–٩٠٧) = الدرَّاجة : بحث تاريخي فنّي للاديب فريد افندي فارس خرا (٩٠٧–٩١٣) = عودٌ على بدء للشيخ فدا جسين احد اساتذة كليَّة عليگده الاسلامية مع جواب المشرق (٩١٣–٩١٨) = زهرة الحياة (٩١٨–٩٣٠) = وزن فَعُول في العربية للاب لويس رنزڤال (٩٤٧–٩٥٠) = بيني وبين يسوع (قصيدة) للشماس حبيب ج. اسطفان (٩٥٦) مساحة الكرة الارضية – آلتان لكشف جبال الجليد – الريّ في ما بين النهرين – ترقي التلغراف اللاسلكي – المكتبة الالبانية – الاسماك الغريبة الجنس (٩٥٧–٩٥٩) = فهارس (٩٦١–٩٧٦)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الخامسة عشرة من المشرق

الكتب العربية والسريانية الخ

مطبوعات اوربيّة

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤٩ السطر ١٣ غلط « السنة ١١٧٩ » والصواب « ١١٩٧ » وهذا الغلط ورد غير مرَّة فليُصلح = ٨٠ : ١ = « عطيماً » ص « عظيماً ١٠٢ : ١ « تاريح » ص « تاريخ » = ١٠٦ : ٢٠ « قنس » ص « فنس » = ١٠٨ : ١ « يوسف الجزَّار » ص « يوسف الجزار » = ١٧٩ : ١٩ « المشدّ » ص « المسد » = ١٨٠ : ٣-٤ « الزحلاويّ شهيد ايمانهِ » هو جدّ بيت الشهيد في زحلة وخال المطران غريغوريوس عطا = ١٨٢ : ٢٤ « زينيل آغا » وقيل « زنبيل آغا » = ٣٠٦ : ٥ « L, 338 » ص « I, 338 » = ٣٥٩ : ٩ « إلّا انَّ » ص « ألَا انَّ » = ٣٦١ : ١٨ « للأنباء » ص للأبناء » = ٣٩٧ : ١٤ « موصولُ » ص « موصولَ » - ١٨ « فتبينُوا »

ص « تنيِّنوا = ٥٠٠:٤٠٠ « بين عرب شمالي سوريّة » ص « بين عرب الحجاز ونجد » =
٤٠٢ : ٣٢ « Philosaphoumena » ص « Philosophoumena » = ٥٠٠:٤٠٠ ٣٢ - ara »
maïschem » ص « aramaïschen » = ٥٠٦ : ٩ « كو بولاها اذرپروا » ص « گو بولاها
واذرپروا » — ١٠ « فان كوبولاها كان ابن الملك بولار » ص « فانَّ كوبولاها كان ابن
الملك شابور واذرپروا كان ابن الملك بولار » =٥٠٧ : ٦ « اذرپر » ص «اذرپروا » =٥٠٨ :
٢١ « عشرة سنين » ص « عشر سنين » = ٧٧٧ : ٢-٣ « كثيرين من النصارى » ص « كثيرين
من الطائيِّين » — ٢٥-٢٦ « vom Rote.n bis zum Persischem Meerbusen » ص
« Roten . . . Persischen » = ٧٨٦ : ١١ « رلايتا » ص « ولايتا » = ٩٦٠ : ٥ « للارواع »
ص « للارواح »



DÉCEMBRE



SEPTEMBRE

OCTOBRE

NOVEMBRE

MAI

JUIN

MARS

AVRIL

TABLES DES SOMMAIRES

XV^e ANNÉE 1912

JANVIER

FÉVRIER

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Quinzième Année

1912



BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1912

